

مكتبة دار الفکر للطباعة والنشر

المعجم

في فقه الإمامية
والفقه الحنفية

المجلد الأول

فقه الإمامية الحنفية

وإدار

مكتبة دار الفکر

بازار طهران، طهران، إيران



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المعجم

وَقَدْ رَغِبَ الْفَرَّانُ سُبْحَانَهُ

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ



مركز تحقیق کیمیا و ترغیب عمومی
اعداد

اعداد

قِسْمُ الْقُرْآنِ بِجَمْعِ الْبُحُوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ

پارٹنر وائسز

مُدِيرُ الْقِسْمِ

اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَسْأَلُكَ بِمَجْدِكَ وَوَعْدِكَ اَنْ تَكُنْ لِّىْ نَصِيْرًا

المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته / تأليف و تحقيق: قسم القرآن في مجمع البحوث الإسلامية: بإشراف و إشراف محمد واعظزاده الخراساني. - مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٩ق. - ١٣٨٧ش

ISBN set 978-964-444-179-0

ISBN 978-964-444-425-8 (ج ١)

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات: لیا.

محرر:

١. قرآن — — و ترجمه. ٢. قرآن — — و تفسیر. الف. واعظزاده خراسانی، محمد، ١٣٠٤ — . ب. بیاد پژوهشهای اسلامی.

٢٩٧/١٣

BP ٦٦ / ٤ / م٥٧

م٧٨-٨٦٩٧

کتابخانه ملی ایران

کتابخانه	۵-۱۰۵
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی	
شماره ثبت:	۰۲۵۶۶۲
تاریخ ثبت:	



المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته

جلد الرابع

تأليف و تحقيق: قسم القرآن في مجمع البحوث الإسلامية
إشراف: الأستاذ محمد واعظزاده الخراساني

الطبعة الثانية ١٤٢٩ق / ١٣٨٧ش

٢٠٠٠ نسخة / قيمة الدورة (١٣ جزء): ١٤٣٠٠٠٠ ريال
الطبعة: غزلوغ

مجمع البحوث الإسلامية، ص. ب ٣٦٦-٩١٧٣٥

هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلامية: ٢٢٣٠٨٠٣

معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلامية، (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٢، (قم) ٧٧٢٣٠٢٩

شركة بنشر، (مشهد) الهاتف ٧-٨٥١١١٣٦، الفاكس ٨٥١٥٥٦٠

Web Site: www.islamic-ri.ir

E-mail: info@islamic-ri.ir

طريق الطبع محفوظة للنشر

این کتاب با تسهیلات حمایتی صندوق امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی چاپ شده است.

المشاركون في هذا المجلد
الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني

ناصر النجفي

قاسم النوري

محمد حسن مؤمن زاده

حسين خاكشور

السيد عبد الحميد عظيمي

السيد جواد سيدي

السيد حسين رضويان

علي رضا غفراني

وقد قُوض عرض الآيات و ضبطها إلى أبي الحسن الملكي و محمد الملكوتي و مقابلة النصوص إلى محمد جواد الحويزي و عبد الكريم الرحيمي و تنضيد الحروف إلى الأستاذ حسين الطائي في قسم الكمبيوتر.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

نحمد الله تعالى ونشكره على أن وفقنا لتقديم المجلد الرابع من الموسوعة «المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته» إلى عشاق علوم القرآن وتفسيره والمختصين بمعرفة لغاته وأسرار بلاغته ورمز إعجازه. واشتمل هذا الجزء على شرح (٣٨) كلمة قرآنية من حروف الألف والياء، ابتداءً من (أنف)، وانتهاءً بـ (بدل). وأوسع الكلمات فيه بحثاً : (أول) حيث استوعب (٨٥) صفحة.

نسأله تعالى، ونبتهل إليه أن يتم علينا نعمته، و يوفر لنا رحمته، ويساعدنا في استمرار العمل إلى آخر المطاف، إنه خير معين، وبالإجابة جدير.

محمد واعظ زاده الخراساني

مدير قسم القرآن في مجمع البحوث الإسلامية



مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

المحتويات

المقدمة.....	٩	أيتوب.....	٥٠٧
أن ف.....	١١	ب ا ب ل.....	٥٣٩
أن م.....	٣١	ب ا ر.....	٥٥٧
أن ن ي.....	٣٧	ب ا س.....	٥٦٧
أن و - ي.....	٦٣	ب ت ر.....	٦١٩
أهل.....	٨١	ب ت ك.....	٦٣٣
أوب.....	١٤٥	ب ث ل.....	٦٣٩
أود.....	١٦٩	ب ث ث.....	٦٥١
آل.....	١٧٩	ب ج س.....	٦٦٩
أول.....	٢٠٧	ب ج ح.....	٦٧٥
أون.....	٢٩٣	ب ح ر.....	٦٨٣
أوه.....	٣٠٧	ب خ س.....	٧٢١
أوي.....	٣١٧	ب خ ع.....	٧٣٥
إني.....	٣٤٣	ب خ ل.....	٧٤١
أي د.....	٣٤٧	ب د أ.....	٧٥٩
أي ك.....	٣٦١	ب د ر.....	٧٨٣
أي م.....	٣٧٣	ب د ع.....	٨٠٩
أي ن.....	٣٨١	ب د ل.....	٨٢٣
أي ي.....	٣٨٩	الأعلام و المصانير المنقول عنهم	
أي.....	٤٧٣	بلا واسطة.....	٨٩٥
أيان.....	٤٩٩	الأعلام المنقول عنهم بالواسطة.....	٩٠١



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أنف

لفظان، ٣ مرات، في سورتين منفيتين

الأنف ٢: ٢ أنفًا ١: ١

أنف أن يخام

والأنف من المرعى والمسالكة والمشارب: ما لم يُسقى
إليه، كقوله: وكأس أنف، وسهل أنف، [ثم استشهد

النصوص اللغوية

الكلمين: بنو أنف اتفقه سقوا بذلك، لأن كريحهم
خوف نحر جزورًا، وكان له أربع نسوة، فبعث إليهن بلحم
خلا أم جعفر، فقالت ألم جعفر: اذهب واطلب من أبيك
لحمًا، فجاء ولم يبق إلا الأنف، فأخذها، فلزمه، وهجى
به، ولم يزالوا يُسبون بذلك، إلى أن قال المخطئة:

فروم هم الأنف والأذنان غيرهم

ومن يُسوي بأنف اتفقه اللذبا

فصار بذلك مدحًا لهم. (ابن فارس ١: ١٤٧)

الغليل: الأنف معروف، والمصحح: الأنوفه وبعير
مأنوف، أي يُساق بأنفه، لأنه إذا عقره الخيشاش انقاد،
وفي الحديث: «إن المؤمن كالبعير الأنف حيثما قيد انقاد»
أي مأنوفه كأنه جعل في أنفه خيشاش يقاد به.

والأنف: الحمية، ورجل حمي الأنف، إذا كان أيضًا

بشرًا

والأنف أيضًا: الذلول المتفاه لصاحبه، وقال:
بعضهم: الأنف الذي يأتي من الزجر والشوط والحمية،
فهو سمع موات، يعني الذواب.

واستفقت انتافًا، وهو أول ما تبتدى به من كل شيء
من الأمر والكلام كذلك، وهو من أنف الشيء، يقال:
هذا أنف السدة، أي أوله، وأنف البرد: أوله.

ونقول: آنفت فلانًا إنافاً فأنا مؤنف.

وأبيت فلانًا أنفاً، كما تقول: من ذي قبل. (٣٧٧: ٨)
استأنفت كذا، أي رجعت إلى أوله، وانتلفت انتافًا.

(ابن فارس ١: ١٤٦)

أنف اللحية: طرفها، وأنف كل شيء: أوله. [ثم

استشهد بشعر]

وألف الجبل: أوله. وصابدا لك منه. [ثم استشهد

(ابن فارس ١: ١٤٧)

بشرا

أبو عمرو الشيباني: في تفسير الحديث الذي جاء: «إن المؤمن مثل البعير الأليف» هو الذي يشتكي الله من البرة، فهو ذكول مُنفاد، فأراد أن المؤمن سهل لين.

(إصلاح المطلق: ٢٤٩)

اليسائي: أليف الصبا: محبة وأوليته.

(القائى ١: ٦٤)

الفرأ: ألفت الرجل: ضربت الله وأتته الماء، إذا بلغ الله.

أبو عبيدة: بنو ألفت الناقة: بنو جعفر بن قريع بن صوف بن كعب بن سعد، يقال: إنهم نحرروا جزوا كانوا غنموها في بعض غزواتهم، وقد تخلف جعفر بن قريع فجاء ولم يبق من الناقة إلا الألف، فذهب به فسموه به.

(ابن فارس ١: ١٤٦)

أبوريدة، الألف: الذين يأخرون من أعمال الضمير.

مؤتفا حراما، يريد شهرا حراما فلا يحتاج فيه، أي هو من الأمن، كأنه في شهر حرام، وكانوا لا يتجنبون أحدا في الشهر الحرام.

قال أبو حاتم: وفي كتابي «مؤتفا» بكسر التاء، فإن لم يكن غلطاً، فإنه أراد كائن عليه وهو مؤتف مستأف شهرا حراما، فنصب «مؤتفا» على الحال. (٨)

المؤتف: المحدث الطرف. (١٢٢)

يقال: استفتا طيبة الطعام وخيرته، إذا استأفها أكله.

(١٣٥)

يقال: أليف فلان الطعام بأفاه ألقا، إذا كرهه. (٢٥١)

ألفت من قولك أشد الألف، أي كرهت ما قلت لي.

(الأزهرى ١٥: ٤٨٢)

الأصمعي: رجلٌ مُتَناف: يُرْعِي ماله ألف الكلاء.

ويقال للمرأة: إذا حملت فاشتد وحملها وتشبهت عل

أهلها الشيء، بعد الشيء: إنها تتألف الشهوات تألقا.

ويقال للعديد اللين: أليف وأليف.

ويقال: فلان يتبع الله، إذا كان يستشعر الزائفة

فبشعها.

وإذا نسبوا إلى بني ألفت الناقة - وهم بطن من بني

سعد بن زيد مناة - قالوا: فلان الألفي، سمو ألفتين، لقول

المطيط طم، [ثم استشهد بشعره] (الأزهرى ١٥: ٤٨٢)

سنان مؤلف، أي محدث. [ثم استشهد بشعر]

(ابن فارس ١: ١٤٨)

أبو عبيد: وفي الحديث: «كالجمل الأليف» هو الذي

حضر الله الحطام، وإن كان من عيشاش أوبرة أو خزامه في

أفقه، فهو لا ينتج على قائده في شيء، للوجع الذي به.

وكان الأصل في هذا أن يقال له: مأنوف، لأنه مفعول

به، كما يقال: مصدور وميطون، فلذي يشتكي صدره

أويط.

وقال بعضهم: الألف: الذلول. ولا أرى أصله إلا من

هذا. (الأزهرى ١٥: ٤٨١)

ابن الأعرابي: أليف: أجسم، وثيف: كرم، [ثم

استشهد بشعر]

وسمعت أعرابيا يقول: لُفْتُت فرسي هذه البلدة، أي

اجتوت كلاًها، فهزئت.

(الأزهرى ١٥: ٤٨٢)

الألف: السبد.

(الأزهرى ١٥: ٤٨٣)

- أَنْفُ السَّراجِ، إِذَا أُحْدِثَتْ طَرَفُهُ وَسَوَّيْتَهُ، وَمِنْهُ
يُقَالُ فِي مَدْحِ الْفَرَسِ: «أَنْفٌ تَأْنِيفُ السَّيْرَ» أَيُ قُدُّ
وَسَوِّي كَمَا يَسَوِّي السَّيْرَ. (ابن فارس ١: ١٤٨)
- امْرَأَةُ أَنْوْفٍ: الَّتِي يَجْهَبُكَ شَتْكُهَا.
(ابن منظور ٩: ١٢)
- ابن السُّكَيْتِ: وَالْأَنْفُ: أَنْفُ الْإِنْسَانِ، وَأَنْفُ
الْجَبَلِ: نَادِرٌ يَشْخَصُ مِنْهُ، وَأَنْفُ الْبَرْدِ: أَشَدُّهُ، وَيُقَالُ:
جَاءَ يَعْدُو أَنْفُ الشَّدِّ، أَيُ أَشَدُّهُ، وَأَنْفُ النَّبَاتِ: طَرَفُهُ
حِينَ يَطْلُعُ.
وَالْأَنْفُ: مَصْدَرُ أُنْفِتُ مِنَ الشَّيْءِ أَنْفُ مِنْهُ أَنْفًا
وَأَنْفَةً. (إصلاح المطلق: ٦٧)
- يُقَالُ: ■ أَنْفْتُ، إِذَا وَطِئْتُ كَلًّا أَنْفًا، وَهُوَ الَّذِي
لَمْ يُزْعَ، وَيُقَالُ: رَوْحَةُ أَنْفٍ، وَكَأْسُ أَنْفٍ، لَمْ يُشْرَبْ بِهَا
قَبْلَ ذَلِكَ، كَأَنَّهُ اسْتَوْنَفَ شَرَابَهَا، وَقَدْ أَنْفَتَهُ، إِذَا خَمِرَتْ
أَنْفَهُ. (إصلاح المطلق: ٣٤٩)
- [قَالَ] الطَّائِي: يَقَالُ: أَرْضٌ أُنِفَتْ الثَّيْتُ، إِذَا أُسْرَحَتْ
النَّبَاتُ، وَتِلْكَ الْأَرْضُ أَنْفٌ بِلَادِ اللَّهِ، وَأَنْفُ الْأَرْضِ:
مَا اسْتَقْبَلَ الشَّمْسَ مِنَ الْجَلْدِ، وَمِنْ ضَوَائِي الْجِبَالِ.
(إصلاح المطلق: ٣٥٧)
- يُقَالُ: رَوْحَةُ أَنْفٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ رَعَاهَا أَحَدٌ. (٢١٩)
- وَجَاءَ يَعْدُو أَنْفُ الشَّدِّ بِالْفَتْحِ، أَيُ أَشَدُّهُ بِجَهْدِهِ.
(٢٨٥)
- الْأَنْفَافِي: الْعَظِيمُ الْأَنْفِ (الْجَوْهَرِيُّ ٤: ١٣٣٢)
- أُنِفَ الْبَعِيرُ، أَيُ اشْتَكَى أَنْفَهُ مِنَ الْبُرَّةِ فَهُوَ أُنِفٌ، مِثْلُ
ثِيَبٍ هُوَ ثِيَبٌ. (الْجَوْهَرِيُّ ٤: ١٣٣٢)
- الْمُتَوَسِّدُ الْعَرَيْنِ وَالْمُرْسِنُ وَالْأَنْفُ وَاحِدٌ لَمَّا يَحِيطُ
بِالْجَمِيعِ. (٣٧٥: ١)
- يُقَالُ: رَوْحَةُ أَنْفٍ، إِذَا لَمْ تُزْعَ، وَكَأْسُ أَنْفٍ، إِذَا
لَمْ يُشْرَبْ مِنْهَا شَيْءٌ قَبْلَ.
(٢١: ٢)
- تُخَلَّبُ: وَأَضَاعَ مَطْلَبَ أَنْفِهِ، أَيُ الرَّحِمِ الَّتِي خَرَجَ
مِنْهَا، [تَمْ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ] (ابن منظور ٩: ١٢)
- الرَّجْحَاجُ: يَقَالُ: أُنِفْتُ الشَّيْءَ أَنْفَهُ، إِذَا تَنَزَّهْتَ عَنْهُ،
وَأَنْفَتِ الرَّجُلُ: خَمِرَتْ أَنْفَهُ، وَأَنْفُ الشُّوكِ الْإِبِلِ، إِذَا
خَمِرَ أَنْوْفُهَا عِنْدَ الرَّحِي. (فعلت وأفعلت: ٤٤)
- ابن دُرَيْدٍ يَقُولُ: انْتَفَتِ الْكَلَامُ انْتِفَاً، إِذَا ابْتَدَأَتْهُ
ابْتِدَاءً. (٢٧٦: ٣)
- رَجُلٌ مَنَافٍ: يَسْتَأْنِفُ الْمَرَاعِي وَالْمَنَازِلَ. (٤٢٠: ٣)
- الْمَنَافِي: مَا رَأَيْتُ أَحْمِي أَنْفًا مِنْ فُلَانٍ، وَلَا أَنْفٍ
مِنْهُ، وَرَأَيْتُ أَنَّهَا بِحَسْبِهَا مَحْمِيَةً. (١١٢)
- الْقَائِلِي: وَمِمَّا يَشْبَهُهُ مِنْ خَلْقِ الْفَرَسِ بِخَلْقِ الْبَشَرِ
طَوِيلٌ يَطْلُعُ مِنْ أَنْفِهِ، وَتَأْنِيفُ حُرْقُونِيَّةٍ.
- وَالنَّائِيفُ: التَّحْدِيدُ، [تَمْ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ] (٢٥٤: ٢)
- الْأَزْهَرِيُّ: رَجُلٌ حَمِي الْأَنْفِ، إِذَا كَانَ أَنْفًا يَأْنِفُ أَنْ
يَضَامَ، وَقَدْ أُنِفَ يَأْنِفُ أَنْفًا وَأَنْفَةً، وَفِي الْحَدِيثِ: «كَالْجَبَلِ
الْأَنْفِ».
- وَقَالَ بَعْضُ الْكَلَّالِيْنَ: أُنِفَتِ الْإِبِلُ، إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ
عَلَى أَنْوْفِهَا، وَطَلِبَتْ أَمَاكِنَ لَمْ تَكُنْ تَطْلُبُهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَهُوَ
الْأَنْفُ، وَالْأَنْفُ يُوْذِيهَا بِالنَّهَارِ. [تَمْ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]
- وَقَدْ أُنِفَ الْبَعِيرُ الْكَلًّا إِذَا أَجْمَهُ، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ وَالنَّاقَةُ
وَالْفَرَسُ تَأْنِفُ فَخْلَهَا، إِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا فَكَسَرَتْهُ. [تَمْ
اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]
- وَيُقَالُ: حَاجَ الْبُهِتَى حَتَّى آنَفَتِ الرَّاعِيَةَ نِصَالَهَا

وذلك أن يبس سفاها فلا ترعاها الإبل ولا غيرها.
وذلك في آخر الحرّ، فكأنها جعلتها تأنف رعيها، أي
تكرهه.

ويقال: انتفت الأمر واستأفته، إذا استقبلته.
وهو من أنف الشيء.

وأنف كل شيء: أوله. يقال: هنا أنف الشد، أي
أوله. وأنف البرد: أوله. وأنف المطر: أول ما أنبت. [ثم
استشهد بشر]

وأنف خفت البعير: طرف منته.

والعرب تسمي الأنف: «أنفان». [ثم استشهد بشر]
وأنف فلان ماله تأنيفاً، وأنفاً لثاقاً، إذا رعاها أنف
الكلاب. [ثم استشهد بشر]

ويقال: أرض أنيفة، إذا بكر نباتها.

وهذه أنف بلاد الله، أي أسرعها نباتاً. (١٥: ٤٨٦)

الصاحب: الأنف: الحمية، ورجل كحشي الأنف.
والمؤنف: الذي يملك على الأنفة.

والأنف: سرور. وبعير صانوف: يساق بها أنفه.
ورجل أنافي: عظيم الأنف.

والأنفان: حرط الخنيزين.

وغلان يفتح أنفه، أي يشتتم الروائح.

وأنفه الماء فهو مؤنف: إذا بلغ الماء أنفه. وأنفه:

أصاب أنفه، يأنفه ويأنفه.

والأنوف: الطيبة ربح الأنف من النساء. والتي تأنف

نحو لا خير فيه.

والمأنوف: البعير المزور الأنف.

والأنف: الذي يشتكي أنفه ولا يتنع على قائده.

وقيل في قوله: «حق أنفها بصالحها»: أي أوجعت
أنفها، وقيل: جعلتها تشتكي أنفها، وقيل: تكرهها.
وهم أنف الناس: أي هم الكرام. وبنو أنف الناقة: قبيلة.
والنفة إليهم: أنفي.

والأنف والأنفة: الاستكاف. أنف بأنف، كأنه
يخرى منه. والأنف من البعير: الذلول الذي يأنف من
الرؤجر والموان.

والأنف: الذي حقره الخيشاء.

والمؤنف: الذي يحمل غيره على الأنفة والحمية.

وأنفته فأنف: أي أغضبه فغضب.

والأنف من المرعى والمسالك: ما لا يسبق إليه، كلاً
أنف ومنهل أنف.

وأنف اللحية: طرفها.

وأنف الذمير: أوله.

وأنف الجبل: أوله وما به ذلك منه.

والأنف: الذي يتبع الأنف من الأشياء.

وانتمت في العمل انتفاً: أول ما يبتدىء. والمتأنف:

الكلام والأمر. والأنف: المؤتلف من الأمر.

وألفة الصبا: ميته.

وكان ذلك من ذي أنف.

والمؤتلف: الذي لم يؤكل منه شيء.

وجارية أنف: مؤتلفة الشباب مقبلة.

والمؤتلف: المؤتلف من الأماكن لم تؤكل قبله.

ورجل يشاف: يقرؤ الأرض متوجهاً، والساثر في أنف
النهار.

والمؤنف: الذي لم يرعه أحد، بمنزلة الأنف.

وأرض أنفة وأنفة: أسرعت الثبات. وجبل أنف:
يثبت قبل سائر الجبال.

وفلان يتأنف الإخوان.

وامرأة متأنفة: إذا كانت تتشبه على أهلها الأظلمة
بعد حملها، وأنفت المرأة تأنف: إذا حملت ولم تفت شيئا.
وأنف كل شيء: حذو وحذو، ونصل مؤنث: أي
معدو، وقد أنف تأنيفاً، وهو في الثرقوب: تحديد طرفه.

وأنف لمرء إينافاً: أعجله.

وقوله: أضاع مطلب أنفه: قيل: فرج أمه.

والأنف: المنية الحنة.

والأنيف من الحديد: مثل الأنث.

والجوهري: الأنف للإنسان وغيره. والجمع: أنف
وأنوف وآناف.

وأنف كل شيء: أوله.

والأنوف: المرأة الطيبة ربح الأنف، وأنتت الرجل:
ضربت أنفه.

ويقال: أنه الماء: بلغ أنفه، وذلك إذا نزل في الشهر.

وأنفتها أناهي مؤنثة، إذا تهمت بها أنف للمرحى.

ويقال أيضاً: آتيك من ذي أنف، كما يقال: من ذي
قفل، أي فيما يستقبل.

وأنف من الشيء: يأنف أنفاً وأنفة، أي استكشف.

يقال: ما رأيت أحماً أنفاً ولا أنف من فلان.

وفي الحديث: «المؤمن كالجمل الأنف إن فسد انقاد،
وإن استنبح على صخرة استنبح»، وذلك للوجع الذي

به، فهو ذلول منقاد.

وقال أبو عبيد: كان الأصل في هذا أن يقال: مأنوف.

لأنه مفعول به، كما قالوا: مصدورٌ للذي يشتكي صدره،
ومبطونٌ، وجميع ما في الجسد على هذا. ولكن هذا الحرف
جاء شاذاً عنهم.

وتقول: أنفته أنا إينافاً، إذا جعلته يشتكي أنفه.

والاستناف: الابتداء، وكذلك الاستناف، وقلت: كذا
أنفاً وساقاً.

والثأنيف: تحديد طرف الشيء. (٤: ١٢٢٢)

ابن فارس: الحمرة والتون والفاء أصلان، منها
يتفرع سائر الباب كلها: أحدهما: أخذ الشيء من أوله،
والثاني: أنف كل ذي أنف، وقياسه التحديد.

فأما الأصل الأول: فقال المنكبي: استأنفت كذا، أي
رجعت إلى أوله، وانتفت انتافاً. ومؤنفة الأمر: ما يمتد
فيه. ومن هذا الباب قولهم: فعل كذا أنفاً، كأنه ابتدأه.
وقال الله تعالى: ﴿... قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ خِذُوا
أَنْفَكُمْ...﴾ محمد: ١٦.

والأصل الثاني: الأنف، معروف، والمصدر: أنف،
والجمع: أنوف.

وسير مأنوفة يساق بأنفه، لأنه إذا حقره الحشاش
انقاد وسير أنف وأنف، مقصور ممدود، ومنه الحديث:
«المسلمون هميون يسيرون كالجمل الأنف إن قيد انقاد،
وإن أُنبح استنبح».

ورجل أنافي: عظيم الأنف، وأنتت الرجل: ضربت
أنفه. وامرأة أنوف: طيبة ربح الأنف.

فأما قولهم: أنف من كذا، فهو من «الأنف» أيضاً، وهو
كقولهم للمتكبر: «وَرِمَ أنفه». ذكر الأنف دون سائر
الجسد، لأنه يقال: شخ بأنفه، يريد رفع رأسه كبراً،

وهذا يكون من الغضب. [ثم استشهد بشعر إلى أن قال:]
وتقول العرب: فلان أنقى، أي جزى ومغفري. [ثم
استشهد بشعر]

ورجل مثاف: يسير في أنف النهار، وخمرة أنف:
أول ما يخرج منها. [ثم استشهد بشعر]
وجارية أنف: موبغة الشاب.

والثانيف في الثروب: التحديد، ويستحب ذلك من
الفرس. (١١٦: ٩)

الهنوي: والاستفاف في اللغة، معناه الابتداء.
وكأس أنف: ابتدئ الشرب بها، ولم يشرب بها قبل
ذلك.

وفي الحديث: «أما الأمر أنف» قاله بعض الكفار، أي
مستأنف استئنافاً من غير أن يسبق به ما من لفظ
وتقدير، وإنما هو مقصور على اختيارك ومخولك فيه.
وأنف الشيء: أوله. وأنف الشئ: أوله. [ثم استشهد
بشعر]

وفي الحديث: «لكل شيء أنفة»، وأنفة الصلاة
التكبير الأول، قوله: أنفة الشيء: ابتدأه. هكذا
الزواية، والصحيح: أنفة.

وفي الحديث: «المؤمنون هيئون لجئون كالجمل
الأنف» أي المأنوف، وهو الذي غر الحشاش أنفه، فهو
لا يمتنع على قائده للوجع الذي به، والأصل فيه: المأنوف.
كما يقال: مهطون ومصدور. وقيل: الجمل الأنف: الذئول.
وفي حديث أبي مسلم الخولاني: «ووضعها في أنف
من الكلاء» يقول: ينجع بها المواضع التي لم تزع قبل
الوقت الذي دخلت فيه.

وفي حديث أبي بكر: «فكلكم ورم أنفه» أي اغتاط
من خلافة عمر.

وقول أبي بكر: «أما إنك لو فعلت ذلك لجعلت أنفك
في قتالك»، يقول: أعرضت عن الحق. (٩٨: ١١)
الثعالبي: «فصل في أدواء تدل على أنفسها
بالانساب إلى أعضائها».

وأنف: يشتكي أنفه، ومنه الحديث: «هين لين
كالجمل الأنف، إن قيد انتقاد وإن أنشع عمل صخرة
امتاع». (١٤٩)

«فصل في تفصيل الأوصاف المصودة في محاسن
خلق المرأة».

فإذا كانت طيبة الفم، فهي: رشوف. فإذا كانت طيبة
ريح الأنف، فهي: أنوف. (١٦٧)

أبو سهل الهروي: والأنف معروف للإنسان
وغيره، هو آلة الشم. (فصيح ثعلب: ١٢٢)

ابن سيدة: الأنف: جميع المنخر، الجمع: أنوف
وأنوف وأناف، ورجل أنافي: عظيم الأنف.
والأنوف من النساء: الطيبة ريح الأنف.

(الإفصاح ٥٠: ١)
الأنف: أنفه يأبغه أنفاً: ضرب أنفه.

(الإفصاح ٦٤٦: ١)
الطوسي: والأنف: الجاني بأول المعنى. ومنه
الاستفاف، وهو استقبال الأمر بأول المعنى. ومنه الأنف،
لأنه أول ما يبدو من صاحبه. ومنه الأنفة: رفع النفس
عن أول الدخول في الرتبة. (٢٩٨: ٩)

الراغب: أصل الأنف «الجسارحة» ثم يستى به

طرف الشيء، وأشرفه، فيقال: أنف الجبل وأنف اللحية ونسب الحمية والغضب والعزة والذلة إلى الأنف. [ثم استشهد بشعر]

وقيل: شَمَخَ فلانٌ بأنفه: للمتكبر، وشَرِبَ أنفه: للدليل، وأنف فلان من كذا، بمعنى استكشف، وأنفته: أصببت أنفه، وحتى قيل: الأنفة: الحمية، واستأنفت الشيء: أخذت أنفه، أي مبدأه، ومنه قوله عز وجل: ﴿مَآذًا قَالُوا إِنَّمَا﴾ محمد: ١٦، أي مبدأ. (٢٨) الزمخشري: أرغم أنوفهم، وأثهم، وقُست عن أنفيه، أي منخريه. [ثم استشهد بشعر]

وامرأة أنوف: طيبة الأنف، وتزويج أعرابي فقال: وجدتها رُشوفًا، وشُوفًا، أنوفًا.

ومن المشتق منه: عليهم أنفة وأنف، وقد أنف من كذا: ألغى أنفهم قالوا: الأنف في الأنفة والمؤمن كالجمال الأنف، وهو الذي أوجعت أنفه الخيامة.

ومن المجاز: هو أنف قومه، وهم أنف الناس. [ثم استشهد بشعر]

وأنف الجبل، وأنف اللحية، وهذا أنف الصد، وهذا أنف عمله، وسار في أنف النهار، وكان ذلك على أنف الدهر، وخرجت في أنف الخيل.

ومن المشتق منه: كلاً ومهلاً وكأس أنف. [ثم استشهد بشعر]

وجارية أنف: لم تفلح، [ثم استشهد بشعر] وأنته آفًا، ومضت آفة الشباب، وهو يتأنف الإخوان، أي يطلبهم آفين، لم يعاشروا أحداً واستأنف الشيء وأنتفه، ونصل مؤنث: معدد، وفلان يشع أنفه، أي

يشتمهم، [ثم استشهد بشعر] (أساس البلاغة: ١٠) في قصة خروجه إلى المدينة، وطلب المشركين إياه، قال شراقة بن مالك: فينا أنا جالس أقبل رجلٌ فقال: إني رأيت أنفًا أسوداً بالساحل، أراهم محبداً لفلان وأصحابه، قال: فقلت: ليسوا بهم، ولكن رأيت فلاناً وغلاناً اطلقوا بُنياناً.

أنف، أي الساعة من اثناف الشيء، وهو ابتداءه، وحقيقته في أول الوقت الذي يقرب منا.

ومنه: إنه قيل له: مات فلان، فقال: أليس كان عندنا آفًا؟ فقالوا: بلى، قال: سيحان الله كأنها أخذت على غضب. [إلى أن قال:]

أنف البعير، إذا اشكى عقر البعشاش أنفه فهو أنف. وقيل: هو الذلول الذي كأنه يأنف من الزجر فيعطى ما فقهه، وليس لفائدة. (الفائق: ١: ٦١)

في الحديث: لكل شيء أنفة، وأنفة الصلاة الكبيرة الأولى، أي ابتداء وأول كأن الناء زيدت على أنف، كقولهم في الذنب: ذنبه، جاء في أمثالهم: إذا أخذت بذنبه الضرب أغضبه. (الفائق: ١: ٦٤)

إنما الأمر أنف، أي مستأنف، لم يبق به قدر من الكلاً الأنف، وهو الوافي الذي لم يزع منه.

(الفائق: ٣: ٢١٨)

أبن الأثير: في حديث سبق ألحقت في الصلاة: «طلباً أخذ بأنفه ويخرج» إنما أمره بذلك ليؤهم المصلين أن به رُعافاً، وهو نوع من الأدب في سر المورة وإخفاء القبيح، والكناية بالأحسن عن الأقيح، ولا يدخل في باب الكذب والزياء، وإنما هو من باب التجمل والحياء،

وطلب السلامة من الناس.

ومنه الحديث: «أنزلت عليّ سورة أُنقأ». أي الآن.

وقد تكررت هذه اللفظة في الحديث.

ومنه حديث أبي مسلم الخولاني: «ووضعا في أنف من الكَلَأ وصَفُوهُ من الماء». الأَنْفُ بضمّ الهزّة والثون: الكَلَأ الذي لم يُرْمَعْ ولم يُنْقَأْ الماشية.

وفي حديث معقل بن يسار: «فخمي من ذلك أنقأ» يقال: أنف من الشيء يأنف أنقأ، إذا كرهه وعرفته نفسه عنه. وأراد به هاهنا أخذته المحبة من الفيرة والغضب. وقيل: هو أنقأ، يسكون الثون للمضمر، أي اشتدّ غيظه وغضبه، من طريق الكناية، كما يقال للمعتبط: ورم أنفه.

وفي حديث أبي بكر في عهده إلى عمر بن الخطاب: «فكلكم ورم أنفه أي اغتاط من ذلك، وهو من أحسن الكنايات، لأنّ الغتاط يرم أنفه ويحمر».

ومنه حديثه الآخر: «أما إنك لو فعلت ذلك لجعلت أنفك في ثقائك» يريد أعرضت عن الحق وأقبلت على الباطل. وقيل: أراد إنك تُقبل بوجهك على من وراءك من أشياحك فتؤثرهم ببرك.

والصَّفَانِي: أنفة كل شيء، باطناً، أوله. وفي الأحاديث التي لا طرق لها: «لكل شيء أنفة، وأنفة الصلاة التكبيرة الأولى» وكان الماء زيدت حل «أنف» كقولهم في الذئب: ذئبة. وفي المثل: إذا أخذت بذئبة الضبّ أخضبه. وأنف: ثنية.

قال أبو عبيد: الجمل الأنف، على مثال «فاحل»: الذي عمره الخشاش، والصواب مارواه الجوهرية: أنف

بالقص، مثال ثيب.

والأنفان: سحبا الأنف. [ثم استشهد بشعر]

يقال: أنفت مالي تأنيفاً، إذا رعيته الكَلَأ الأنف.

أنفه الماء: بلغ أنفه، مثل أنفه وأنفه: حملة على الأنف. وأنف: طلب الأنف. وأنف اللحية: طرفها. والأنف: المشية المستنة. وأنفت المرأة، إذا حملت فلم تنه شيئا.

وأضاع مطلب أنفه، قيل: هرج أنه.

وذو الأنف: هو الثعالب بن عبدالله بن جابر الخثعمي، فادخل خثعم إلى النبي ﷺ يوم طائف، وكانوا مع نقيف. (٤: ١٣٧)

وجارية مؤتفة الشباب، أي مقبلة.

(الرأيدي ٨: ٤٨)

ابن منظور: قال أبو سعيد: الجمل الأنف: الذئيل الموائ الذي يأتي من الزجر ومن الضرب، ويحطى ما عنده من الشير طوعاً سهلاً. كذلك المؤمن لا يحتاج إلى زجر ولا حتاب، وما لزمه من حق صبر عليه وقام به. [إلى أن قال:]

والثأنيف: تهديد طرف الشيء، وأنفا القوس: المذنان اللذان في بواطن الشيتين. وأنف الثعل: أسننتها. وأنف كل شيء: طرفه وأوله. [ثم استشهد بشعر]

قال ابن بسيدة: ويكون في الأزمنة. واستعمله أبو غرناش في اللحية. [ثم استشهد بشعر]

وأنف الثاب: طرفه حين يطلع. وأنف الثاب: حرفه وطرفه حين يطلع. وأنف المطر: أول ما أنبت. [ثم استشهد بشعر]

أَنْفُ الْكَلَامِ

والمؤنفة من النساء: التي استؤنفت بالزواج أولاً.
ويقال: امرأة مكشوفة مؤنفة.

ورجل حمي الأنف، إذا كان أنفاً يأنف أن يضام.
وأنف من الشيء يأنف أنفاً وأنفة: حمي، وقيل:
استكف. يقال: مارأيت أحماً أنفاً ولا أنف من فلان.
وأنف الطعام وغيره أنفاً: كرهه. وقد أنف البحر الكلاً، إذا
أجه، وكذلك المرأة والثاقة والفرس تأنف فعلها، إذا
سبقت حملها فكرهته، وهو الأنف. [ثم استشهد
بشعر] (١٣:٩)

الفجومي: أنف من الشيء أنفاً، من باب «تعب»
والأسم «الأنفة» مثل قصبته، أي استكف، وهو
الاستكبار. وأنف منه: نزه عنه.

والأنف المتطرس، والمجمع: أناف على «أفعال»
والأوف وأنف، مثل فلوس وأنفس.

وأنف الجبل: ماخرج منه. وروضة أنف بضمتين،
أي جديدة الثبت لم تُرْع. واستأنفت الشيء: أخذت فيه
ولبتأته. وأنفته كذلك. (٢٦:١)

الفيروز أبادي: الأنف: معروف، جمعه: أنوف
وأناف وأنف، والسيد، وثنية، ومن كل شيء أوله
أولئك. ومن الأرض مااستقبل الشمس من الجسد
والضواحي ومن الرغيف كسرة منه، من الثاب طرفة
حين يطلع، ومن اللحية جانبها، ومن المطر أول ماأنبت،
ومن خف البعير طرفة تميم.

ورجل حمي الأنف، أي أنف يأنف أن يضام.
وقال لسي الأنف: الأثان.

وهذا أنف عمل فلان، أي أول ما أخذ فيه. وأنف
خف البعير: طرفة تميم.

والمؤنّف: الحدّ من كلّ شيء. والمؤنّف: المسوّى.
وسير مؤنّف: مقدود، على قدح واستواء. ومنه قول
الأحرابي يصف فرساً: لمزّ نهز التير وأنف تأنيف التير،
أي قدّ حتى استوى كما يستوي التير المقدود.

وروضة أنف، بالضم: لم يزّعها أحد، وفي الحكم:
لم تُوطأ، واحتاج أبو النجم إليه فسكنه، فقال:
«أنف ترى ذنابها تُنلله»

وكلاً أنف، إذا كان بحاله لم يزّع أحد. وكأنش أنف،
تلاى، وكذلك المنهل.

والأنف: المنحر التي لم يستخرج من دناسيتها قبلها.
[ثم استشهد بشعر]

وأرض أنف وأنفقة منبئة.
واستأنف الشيء وأنفه: أخذ أوله وأبدأه، وقيل:
استقبله، وأنا أنفته استأنفاً، وهو «أفعال» من أنف
الشيء، وفي حديث ابن عمر: «إنما الأمر أنف» أي
يستأنف استأنفاً من غير أن يسبق به سابق قضاء
وتقدير، وإنما هو على اختيارك ودخولك فيه.

استأنفت الشيء، إذا ابتدأته، وطلعت الشيء أنفاً،
أي في أول وقت يقرب مني، واستأنفه بوعده: ابتدأه من
غير أن يسأله إياه. [ثم استشهد بشعر]

وأنف الشيء: أوله ومستأنفه.
والمؤنفة والمؤنفة من الإبل: التي يتبع بها أنف
المرعى، أي أوله. وفي كتاب علي بن حمزة: أنف الرمي -
ورجل يشاف: يستأنف المراعي والمنازل، ويرعى ماله

وَأَنفَةُ الصَّلَاةِ: ابْتَدَأُهَا وَأَوَّلَهَا. وَرَوَى فِي الْحَدِيثِ
مُضْمُومَةً. وَالصَّوَابُ التَّحْسُّنُ.

وَجَعَلَ أَنْفَهُ فِي قَفَاءٍ، أَيِ اعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ، وَأَقْبَلَ
عَلَى الْبَاطِلِ. وَهُوَ يَتَّبِعُ أَنْفَهُ، أَيِ يَتَّبِعُ الرَّائِحَةَ لِيَتَّبِعَهَا.
وَذَوِ الْأَنْفِ: الثَّمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَائِدُ خَيْلِ خُصَمِ يَوْمِ
الْعُتَاظِ. وَأَنْفُ النَّاقَةِ: لِقَبِ جَعْفَرِ بْنِ قُرَيْظٍ أَبُو طَلْحٍ مِنْ
سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءً، لِأَنَّ أَبَاهُ نَحْرَ جَزُورًا فَتَسَمَّى بَيْنَ نَسَائِهِ.
فَبَحِثَتْ جَعْفَرًا أَنَّهُ هَاتَاهُ، وَهَدَى قَسَمَ الْجَزُورِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا
رَأْسُهَا وَعَنْقُهَا، فَقَالَ: شَأْنُكَ بِهِ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي أُنْفِهَا
وَجَعَلَ يَمْرَحُهَا، فَلَقَّبَ بِهِ. وَكَانُوا يَخْضِبُونَ مِنْهُ، فَلَمَّا
مَدَحَهُمُ الْمُطْطِئَةُ:

فَرَمَ هُمُ الْأَنْفِ وَالْأَذْنَابِ غَيْرَهُمُ

وَمَنْ يَسْوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الدَّلِيلَ

صَارَ اللَّقَبُ مَدْحًا، وَالنِّسْبَةُ أَنْثَى.

وَأَضَاعَ مَطْلَبَ أَنْفِهِ: فَرَجَ لَهُ.

وَأَنْفَهُ يَأْنِفُهُ وَيَأْنِفُهُ: ضَرَبَ أَنْفَهُ، وَالْمَاءُ فَلَاتًا بَلَغَ
أَنْفَهُ، وَالْإِبِلُ وَجِلَّتْ كَلًّا أَنْفًا.

وَرَجُلٌ أَنْثَى بِالْقَصَمِ: عَظِيمِ الْأَنْفِ. وَامْرَأَةٌ أَنْثَوَتْ:
طَلِيَّةٌ رَانَعَتْ، لَوَاتَانُفٌ مِمَّا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَرَوْحَةُ أَنْثَى كَثُفِي
وَعُحْسِي: لَمْ تُزْعَ، وَكَذَلِكَ كَأَسْ أَنْثَى: لَمْ تُشْرَبْ. وَأَمْرُ
أَنْثَى: مَسْتَأْنَفٌ لَمْ يَسْبِقْ بِهِ قَدَرٌ. وَالْأَنْثَى أَيْضًا: الْمُنْثِيَّةُ
الْمُسْنَةُ.

وَقَالَ: أَنْفًا كَصَاحِبٍ وَكَعِيْفٍ، وَفَرَى بِهَا، أَيِ مَدَى
سَاعِيَةً، أَيِ فِي أَوَّلِ وَقْتٍ يَقْرُبُ مَنَاءً.

وَأَرْضٌ أَنْفَى الثَّيْبِ: أَسْرَعَتْ، وَهِيَ أَنْفُ بِلَادِ اللَّهِ.
وَأَتَيْكَ مِنْ ذِي أَنْفٍ بِضَتَيْنِ، كَمَا تَقُولُ: مِنْ ذِي قَبْلٍ:

فَمَا يَسْتَقْبِلُ. أَنْفَةُ الْعَصِيِّ: مِجْمَعُهُ وَأَوَّلِيَّتُهُ.

وَالْأَنْفُ: الْأَيْتُ مِنَ الْحَدِيدِ اللَّيِّنِ. وَمِنْ الْجِبَالِ
الْمُنْبَتِ قَبْلَ سَائِرِ الْبِلَادِ.

وَالْمُتَنَافُ: السَّائِرُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَالزَّاعِي مَالَهُ أَنْفُ
الْكَلْبِ.

وَأَنْفٌ مِنْهُ كَفَرِيحٌ، أَنْفًا وَأَنْفَةً مَحْرَكَتَيْنِ: اسْتَنْكَفَ،
وَالْمَرْأَةُ حَمَلَتْ غُلَمَ تَشْتَهِي نَيْثًا، وَابْعِيرَاشَتَكِي أَنْفَهُ مِنْ

الْبَرَةِ، فَهُوَ أَنْفٌ كَكَتَفٍ وَصَاحِبٍ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَأَفْصَحُ.

وَأَنْفُ الْإِبِلِ: تَتَّبِعُ بِهَا أَنْفُ الْمَرْحَى، وَفَلَاتًا حَمَلَهُ عَلَى
الْأَنْفَةِ كَأَنْفِهِ تَائِيًا فِيهَا، وَفَلَاتًا جَعَلَهُ يَشْتَكِي أَنْفَهُ،
وَأَمْرُهُ: أَصْغَلَهُ.

وَالِاسْتِنَافُ وَالِاسْتِنَافُ: الْإِبْتِدَاءُ، وَالْمَوْثِقُ:
الْمُحْتَبَلُ الَّذِي لَمْ يُوَكَّلْ مِنْ شَيْءٍ، كَالْمُتَأَنَّفِ لِلْفَاعِلِ.

وَجَارِيَةٌ مَوْثِقَةُ الشَّيْبِ: مَقْبِلَتُهُ، وَإِنَّمَا لِمَتَأَنَّفٍ
الشُّهُورَاتُ، إِذَا تَشَبَّهَتْ الشَّيْءَ بِدَى الشَّيْءِ لَشِدَّةِ الْوَحَمِ.

وَنَصْلُ مَوْثِقٍ كَمَعْظَمٍ: قَدْ أَنْفَ تَائِيًا، وَالتَّائِيَةُ:
طَلَبُ الْكَلْبِ، وَغَنَمٌ مَوْثِقَةٌ كَمَعْظَمَةٍ، وَأَنْفَهُ الْمَاءُ: بَلَغَ أَنْفَهُ.

(١١٣:٣)

الطَّرِيحِيُّ: أَنْفٌ مِنَ الشَّيْءِ، مِنْ بَابِ «تَيْب» يَأْنِفُ
أَنْفًا، إِذَا كَرِهَهُ وَغَرِظَتْ نَفْسُهُ فِيهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «سَأَلْتُهُ عَنْ سَبْحَانَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَنْفَةُ»
هُوَ كَقَصْبَةٍ، أَيِ تَنْزِيهِهِ اللَّهُ تَعَالَى، كَمَا أَنَّ سَبْحَانَ تَنْزِيهِهِ.

قَالَ بَعْضُ الشَّارِحِينَ: الْأَنْفَةُ فِي الْأَصْلِ: الضَّرْبُ
عَلَى الْأَنْفِ لِيَرْجِعَ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ لِتَعْيِيدِ الْأَشْيَاءِ، فَيَكُونُ

هَذَا بِمَعْنَى رَفَعَ اللَّهُ عَنْ مَرْتَبَةِ الْخَلُوقِ بِالْكَلْبَةِ، لِأَنَّهُ تَنْزِيهِهِ
عَنْ صِفَاتِ الرِّذَائِلِ وَالْأَجَامِ.

وأنف من الشيء، أي استكف وهو الاستكبار.

وأنف كل شيء: طرفه. وأنف كل شيء: أوله.

وأنف الرجل وغيره: معروفه، والجمع: أنف وأنوف وأناف. ومنه حديث: «من أحدث في الصلاة فليأخذ بأنفه وليطرحه». [إلى أن قال:]

وفي الخبر: «شجاعة المرء على قدر أنفه» الأنفة: حمية الأنف وتوران النضب لما يتخيل من مكروم يعرض استنكاراً له واستنكافاً من وقوعه. وظاهر كونه مبدأ للشجاعة في الإقدام على الأمور.

وجاء أيضاً، أي من قبل. ومنه قوله تعالى في حديث عصا موسى: «وإن عهدي بها أيضاً وهي خضراء».

وهأنزلت على سورة أنف أي الآن.

ولهت الشيء أنفاً، أي أول وقت يقرب مني.

(٢٨: ٥)

الزبيدي: الأنف للإنسان وغيره، معروفه. قال

شيخنا: هو اسم لمجموع المنفرين والمهاجر والقصبة، وهي ماصلة من الأنف. فعند المنفرين من المزدوج لا ينافي عند الأنف من غير المزدوج، كما توهمه التميمي في «شرح الشعراوية» فتأمل.

جمعه: أنوف وأناف وأنف، الأخير كأفلس. وفي حديث الساعة: «سعى تقاتلوا قوماً صفار الأعين ذلف الأنف»، وفي حديث عاكسة: «يا عمر ما وضعت الخطم على آفتان». [إلى أن قال:]

ومن الجاز: «جعل أنفه في قفاه» أي أعرض عن الحق وأقبل على الباطل، وهو عبارة عن غاية الإعراض عن الشيء ولي الرأس عنه، لأن قصارى ذلك أن يقبل

بأنفه على ما وراءه، فكأنه جعل أنفه في قفاه. ومنه قوله للمتهزم: عينا في قفاه. لنظره إلى ما وراءه دائماً فارقاً من الطلب. (٦: ٢٦)

محمد إسماعيل إبراهيم: الأنف: عضو النفس والشم، وهو اسم لمجموع المنفرين والمهاجر. وأنف كل شيء: أوله. وأيضاً من زمن: ماضي قريب. (١١: ٤٩)

محمود شيت: ١ - أنه أنف البعير أنفاً، وجعه أنفه من الخيانة، فهو أنف، وأنفه، وأنف منه: أنفاً وأنفناً. استكف واستكبر، يقال: فحيم أنفك وأنفك. وأنف المسافر: سافر أول النهار. وأنف الشيء ومنه: تنزه عنه وكرهه.

ب - أنف الشيء: حده طرفه، يقال: نعل مؤنّف. وأنف فلاناً: جعله يأنف.

ج - استأنف الشيء: طلب إعادة النظر فيه.

د - الأنف: الماضي القريب. يقال: فعله أنفاً: قريباً. أو أول هذه الساعة، أو أول وقت كتابه.

هـ - الأنف: عضو النفس والشم. وشمخ بأنفه: تكبر. ورهم أنفه: ذل. ومات حنق أنفه: من غير قتيل. وأنف الجبل: مائتاته وشخص. وأنف القوم: سيدهم. جمعه: أنوف وأناف وأنف.

و - الأنفة: العزة والحمية.

٢ - أنف السيف: حده طرفه. وجعله ماضياً.

ب - استأنف الحكم: طلب إعادة النظر فيه. وتكمل في الحاكم المكروية.

ج - أنف الجيش: قائده. ولأنف الجبل: مائتاته. وتكمل في الجغرافيا العسكرية. (١١: ٥٨)

النصوص التفسيرية

الأنف

القعدناني: أعدت قراءة الكتاب المذكور أنفاً.

ويقولون: أعدت قراءة الكتاب الأنف الذكر

والصواب: أعدت قراءة الكتاب المذكور أنفاً، أي من وقت قريب كما تقول للمعجمات.

وقال تعالى في الآية ١٦ من سورة محمد: ﴿وَمِنْهُمْ

مَنْ يَسْمَعُ إِنْ لَمْ يَأْتِهِ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾

وجاء في «النهاية»: ومنه الحديث: «أنزلت عليّ

أنفاً أي الآن. وقد تكررت هذه اللفظة بهذا المعنى في الحديث.

وقال الأزهري: فعلت الشيء أنفاً، أي في أول وقت

يقرب مني. (٣٨)

المصطفوي: الأصل الواحد في هذه المادة هو

الأنف من كل حيوان. ولما كان الأنف أول ما يبدو من

وجه الإنسان والحيوان وأنه واقع في مقدمة الرأس

فتشمل في معنى: الابتداء والأول والمقدم وما يظهر

أولاً، وباعتبار ظهور أثر الغضب والحمة والذلة

والإعراض فيه ابتداءً - لأنه أول ما يرى ويطلع -

فتشمل في قريب من هذه المعاني.

وكل هذه المعاني لازم أن يُراعَى فيها قيد التقدم

والظهور وخصوصية ساق الأنف، لا مطلق الابتداء

والتقدم والإعراض والغضب. (١٤٩: ١)

وَكُنْتِنَا عَلَيْهِمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

وَالْآنْفَ بِالْآنْفِ... المائدة: ٤٥

ابن عباس: يقطع الأنف بالأنف

(الطبري ٦: ٢٥٩)

الزمخشري: والأنف بدووع بالأنف. (١: ٦١٧)

نحوه البهوي (٢: ٤٨)، والمسيدي (٣: ١٢١)

والبعضاوي (١: ٢٧٦)، والنسفي (١: ٢٨٥).

والبابري (٦: ١٠٤)، والحازن (٢: ٤٨)، وابن كثير

(٢: ٥٨١)، والسيوطي (الجلالين ١: ٢٧٦)، وأبو السود

(٢: ٣٢)، والكاشاني (٢: ٣٩)، والبزوصوي (٢: ٣٩٧).

والمسيدي (٣: ١٧٩)، والآلوسي (٦: ١٤٧).

المصطفوي: قال العلماء: كل شخصين جرى

القصاص بينهما في النفس جرى القصاص بينهما في العين

والأنف والأذن والرجل وجميع الأطراف، إذا تمثالاً في

السلامة من الشلل. وإذا استنع القصاص في النفس استنع

أيضاً في الأطراف. (٢: ١٩٩)

الطباطبائي: يدل على أن المراد به بيان حكم

القصاص في أقسام الجنايات، من القتل والقطع والجرح.

فالمقابلة الواقعة في قوله: «النفس بالنفس» وغيره، إنما

وقعت بين المقتصر له والمقتصر به.

والمراد به أن النفس تعادل النفس في باب القصاص،

والعين تقابل العين، والأنف الأنف، وهكذا. والباء

للمقابلة كما في قوله: «بعت هذا بهذا». (٥: ٣٤٤)

أَيْنًا

وقيل: معناه قريباً مبتدئاً. وقيل: إنهم كانوا

يسمعون للخطبة يوم الجمعة، وهم المنافقون.

(٢٩٥: ٩)

البَغَوِيُّ: (أَيْنًا) يعني الآن، وهو من الاستئناف.

ويقال: انتفتت الأمر، أي ابتدأته. وأَنْف الشيء: نوله.

(١٤٩: ٦)

نحو: المنازلة.

الصَّبِيْدِيُّ: أي في ساعتنا هذه. والآيَف: أقرب حين

منك، وسمي أَنْف الرجل، لأنه أقرب جسده منك.

واستف الكلام استئنافاً، إذا ابتدأ به واستأنف الأمر، إذا

استقبل أوله.

(١٨٢: ٩)

الطَّبْرَسِيُّ: قولهم: «مَادَا قَالَ أَيْنًا» أي أي شيء

قال الساعة؟ وإنما قالوه استهزاء أو إظهاراً إنهم نكتل

أيضاً بوجه وضعمه.

وقيل: إنما قالوا ذلك لأنهم لم يفهموا معناه

على وجهه.

وقيل: بل قالوا ذلك تحقيراً لقوله، أي لم يقل شيئاً

فيه فائدة.

ويحتمل أيضاً أن يكونوا سألوا رياءً ونفاقاً، أي لم

يذهب حتى من قوله إلا هذا، فإذا قال أعيد، على

لأنظله؟

(١٠٢: ٥)

الفخر الرازي: قال بعض المفسرين: معناه

الساعة، ومنه الاستئناف وهو الابتداء، فعلى هذا

فالأول أن يقال: يقولون: «مَادَا قَالَ أَيْنًا» بمعنى أنهم

يستعيدون كلامه من الابتداء، كما يقول المستعيد للمعيد:

أجد كلامك من الابتداء حتى لا يفوتني شيء منه.

(٥٨: ٢٨)

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ

قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَادَا قَالَ أَيْنًا... محمد: ١٦

الإمام هبة الله: (إنما كنا عند رسول الله ﷺ

فيخرجنا بالوحي فأعياه أنا ومن تبعه، فإذا خرجنا قالوا:

«مَادَا قَالَ أَيْنًا».) (الطَّبْرَسِيُّ: ٥: ١٠٢)

مُقَاتِل: إن النبي ﷺ كان يخطب ويبعث المنافقين،

فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبداً من مسمود

استهزاء: ماذا قال رسول الله ﷺ. (البَغَوِيُّ: ٩: ١٤٩)

الرَّجَّاح: كانوا يسمعون خطبة النبي ﷺ، فإذا

خرجوا سألوا أصحاب رسول الله ﷺ استهزاء وإعلاناً أنهم

لم يلتفتوا إلى ما قال، فقلوا: «مَادَا قَالَ أَيْنًا»، أي ماذا

قال الساعة، ومعنى (أَيْنًا) من قولك: استأنفت الشيء، إذا

ابتدأته، وروضة أَنْف، إذا لم تَزَعْ بعد، أي لما أقول ثم عني،

فالمعنى ماذا قال من أول وقتي يقرب منك. (١٠: ٥)

الطَّبْرَسِيُّ: قرأ ابن كثير في إحدى الروايتين (أَيْنًا)

على وزن «قِيل»، الباقون (أَيْنًا) بالمد على وزن «فاعل».

قال أبو علي الفارسي: جعل ابن كثير ذلك مثل: حاذرو

حقير، فأكه وفككه. والوجه الرواية الأخرى.

حكى الله تعالى نبيه ﷺ أَنْ مَنْ الْكُفَّارِ مَنْ إِذَا جَاءَ

إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَاسْتَمَعَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مِنْهُ وَسَمِعَ مَا يُؤَدِّيه

إِلَى الْحَقِّ مِنَ الرُّوحِ وَمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ، فَلَا يَصْغِي إِلَيْهِ

وَلَا يَنْتَضِعُ بِهِ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ لَمْ يَذَرِ مَا سَمِعَ

وَلَا قَهْمَهُ، وَيَسْأَلُونَ أَهْلَ الْعِلْمِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ

وَالنَّهْمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ «مَادَا قَالَ أَيْنًا»، أي أي شيء قال

السَّاعَةُ؟

الْقُرْطُبِيُّ: أَي الْآن، عَلَى جِهَةِ الاسْتِهْزَاءِ، أَي أَنَا
لَمْ أَتَفَتْ إِلَى قَوْلِهِ: وَ(أَيْفًا) بِرَادِّهِ السَّاعَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ
الْأَوْقَاتِ إِلَيْكَ، مِنْ قَوْلِكَ: اسْتَأْنَفْتُ الشَّيْءَ، إِذَا ابْتَدَأْتَ
بِهِ، وَمِنْهُ أَمْرُ أَتَفْتُ وَرَوْحَةُ أَتَفْتُ، أَي لَمْ يَرْعَهَا أَحَدٌ، وَكَأَنَّ
أَتَفْتُ، إِذَا لَمْ يَشْرَبْ مِنْهَا شَيْءٌ، كَأَنَّهُ اسْتَوْتَفَّ شَرِبَهَا، مِثْلُ
رَوْحَةِ أَتَفْتُ، [نَمَّ اسْتَهْدَ بَشَرًا] (٢٣٨: ١٦)

الْبَيْضَاوِيُّ: (أَيْفًا) مِنْ قَوْلِهِمْ: أَيْفُ الشَّيْءِ لِمَاتَقَدَّمَ
مِنْهُ، مُسْتَعَارٌ مِنَ الْجَارِحَةِ، وَمِنْهُ اسْتَأْنَفَ وَاسْتَفَّ وَهُوَ
ظَرْفٌ بِمَعْنَى وَقْتًا مَوْثِقًا، أَوْحَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (قَالَ)
وَقَرِئَ: (أَيْفًا)، (٢٣٥: ٢)

نَحْوَهُ أَبُو السُّمُودِ (٥: ٧٤)، وَالْمُرَاسِي (٢٦: ٦٠)،
وَفَرِيدٌ وَجُدِي (٦٧٤).

النَّبْسَابُورِيُّ: قَالَ الْمُنَافِقُونَ لِلْعُلَمَاءِ، وَهُمْ يَحْضُرُونَ
الصُّعَابَةَ كَابَنَ عِيَّاسٍ^(١) وَابْنَ مَسْعُودٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ: أَي
شَيْءٍ قَالَ مُحَمَّدٌ (أَيْفًا) أَي فِي سَاعَتِنَا هَذِهِ، وَأَتَفْتُ كُنْتُ
شَيْءٌ مَا تَقَدَّمَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: اسْتَأْنَفْتُ الْأَمْرَ: ابْتَدَأْتَهُ،
وَلَا يَسْتَعْمَلُ مِنْهُ ضَلُّ ثَلَاثِي بِهَذَا الْمَعْنَى، وَإِنَّمَا تَوَجَّهَ الْقَدَمُ
عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ سَوَالَهُمْ سَوَالِ اسْتِهْزَاءٍ وَإِعْلَامِ أَنَّهُمْ لَمْ يَلْتَفِتُوا
إِلَى قَوْلِهِ، وَلَوْ كَانَ سَوَالٌ بِحَثِّ عَقْبٍ لَمْ يَنْهَوْهُ لَمْ يَكُنْ
كَذَلِكَ، عَلَى أَنَّ حُذْمَ الْفَهْمِ دَلِيلُ قَلَّةِ الْإِكْتِرَاتِ بِقَوْلِهِ.

(٢٦: ٢٦)

أَبُو عِيَّانٍ، أَيْفًا وَأَيْفًا: هُمَا اسْمَا فَاعِلٍ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلْ
فَعْلُهُمَا - وَالَّذِي اسْتَعْمَلَ «اسْتَفَّ» - وَهِيَ بِمَعْنَى مُبْتَدَأًا،
وَتَفْسِيرُهَا بِالسَّاعَةِ تَفْسِيرٌ مَعْنَى. (٧٦: ٨)

كَانَ الْمُنَافِقُونَ يَحْضُرُونَ عِنْدَ الرَّسُولِ وَيَسْتَمْعُونَ
كَلَامَهُ وَتِلَاوَتَهُ، فَإِذَا خَرَجُوا قَالُوا لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَهُمْ

السَّامِعُونَ كَلَامَ الرَّسُولِ وَحَقِيقَتَهُ الرَّاعُونَ لَهُ: وَمِثْلُ ذَلِكَ قَالَ
أَيْفًا: أَي السَّاعَةِ، وَكَذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْهَزْءِ وَالِاسْتِخْفَافِ،
أَي لَمْ يَفْهَمُوا مَا يَقُولُ وَلَمْ يَنْدَرِ مَا نَفَعُ ذَلِكَ، وَمِمَّنْ سَأَلُوهُ ابْنَ
مَسْعُودٍ: وَ(أَيْفًا) حَالٌ، أَي مُبْتَدَأًا، أَي مَا الْقَوْلُ الَّذِي اسْتَفَّ
قَبْلَ انْفِصَالِهِ عَنْهُ.

وَقَرَأَ الْمَسْهُورُ (أَيْفًا) عَلَى وَزْنِ «فَاعِلٌ» وَابْنُ كَثِيرٍ
عَلَى وَزْنِ «فَعِيلٌ».

وَقَالَ الزُّنْزُورِيُّ: وَ(أَيْفًا) نَحْصَبُ عَلَى الظَّرْفِ، انْتَهَى،
وَقَالَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ فَتَرَهُ بِالسَّاعَةِ.

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَالْمَفْسُورُونَ يَقُولُونَ: (أَيْفًا) مَعْنَاهُ
السَّاعَةُ الْمَاضِيَةُ الْقَرِيبَةُ مَتَا، وَهَذَا تَفْسِيرٌ بِالْمَعْنَى، انْتَهَى.

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَيْسَ ظَرْفٌ، وَلَا تَعْلِمُ أَحَدًا مِنَ النَّحَاةِ
هَذَا فِي الظَّرْفِ. (٧٩: ٨)

الشَّيْبُوطِيُّ: (أَيْفًا) بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ، أَي السَّاعَةِ، أَي
(تَفْسِيرُ الْجَلَالِينِ ٣: ٣٩٥).

الْأَلُوسِيُّ: أَي مَا الَّذِي قَالَ قُبِيلُ هَذَا الْوَقْتُ،
وَمَقْصُودُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْاسْتِهْزَاءُ وَإِنْ كَانَ بِصُورَةِ
الِاسْتِعْلَامِ، وَجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ مَرَادُهُمْ حَقِيقَةُ الْاسْتِعْلَامِ إِذْ
لَمْ يَلْقُوا لَهُ أَذَانَهُمْ تَهَاوُنًا بِهِ، وَلِذَلِكَ ذَمُّوا، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى.
قِيلَ: قَالُوا ذَلِكَ لِابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنِ ابْنِ عِيَّاسٍ:
أَنَامْنَهُمْ، وَقَدْ مَيِّتَ فِيمَنْ سُئِلَ، وَأَرَادَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ أَنَّهُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ بِنَحْوِ الْقُرْآنِ، وَمَا أَحْسَنَ
مَاعَبَرَهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَ(أَيْفًا) اسْمُ فَاعِلٍ عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ، أَوْ بِتَجْرِيدِ

(١) كَانَ ابْنُ عِيَّاسٍ صَغِيرًا لَمَّا حَيَاةُ النَّبِيِّ وَلَمْ يَكُنْ لَمَّا
مُسَوًى ابْنُ مَسْعُودٍ.

فعله من الزوائد، لأنه لم يسمع له فعل ثلاثي بل استأنف وائتنف، وذكر الزجاج أنه من: استأنفت الشيء، إذا ابتدأته، وكان أصل معنى هذا: أخذت أفعه أي مبدأه. وأصل الألف الجارحة المرووفة، ثم يسمى به طرف الشيء ومقدمه وأشرفه، وذكر غير واحد أن (أينفا) من ذلك.

قالوا: إنه اسم الساعة التي قبل ساعتك التي أنت فيها، من «الألف» بمعنى المتقدم، وقد استعير من الجارحة لتقدمها على الوقت الحاضر. وقيل: هو بمعنى زمان الحال، وهو على ما ذهب إليه الرغزباني نصب على الظرفية، ولا ينافي كونه اسم فاعل، كما في «بأدي» فإنه اسم فاعل فاعل على معنى الظرفية في الاستعمال.

وقال أبو حيان: الصحيح أنه ليس بظرف ولا تعلق أحدًا من النعانة هذه في الظروف، وأوجب نصبه على الحال من فاعل (قال) أي ماذا قال مبتدأ، أي ما يقول الذي انتبهه الآن قبل انفصالنا عنه، وإلى ذلك يشير كلام الرغزباني.

وقرأ ابن كثير (أينفا) على وزن «فيل» (٢٦: ٥٠) هزة مرووفة: «عَاذًا قَالَ أَيْنَفًا»: ماذا قال الآن من جديد.

في الآيتين حكاية لحالة من حالات بعض فئات الكفار والمنافقين وحالة المؤمنين، حينما كانوا يحضرون مجالس النبي ويستمعون إلى ما يقوله ويلفقه، حيث كان الأولون يحضرون هذه المجالس لاهية أذهانهم وقلوبهم مستغففين بما يسمعون، وحينما يخرجون يسألون بعض ذوي العلم والقلم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين

شهدوا المجلس عما قال النبي من شيء جديد، فهو لا قد طبع على قلوبهم بسبب كفرهم ونفاقهم وخبث طواياهم؛ ففقدوا السداد والرشاد والإدراك وانساقوا وراء الأهواء، بخلاف المؤمنين المخلصين الذين كان الله يزيدهم هدى وفهمًا لما ينبغي أن يتقوا به الله، كلما شهدوا بمجالس النبي وسمعوا كلامه ومواعظه.

وسؤال «ماذا قال أينفا» يحتمل أن يكون استخفافًا وسخرية، كما يحتمل أن يكون بقصد التأكيد، لأنهم لم يتنبهوا إلى ما كان يقوله النبي، أو لم يسموه ويفهموه. وقد ذكر المفسرون الاحتمالين.

وفي سورة التوبة آيتان قد تكونان من هذا الباب، وتفيدان أن السؤال على سبيل السخرية والاستخفاف، وهما آيتان: «وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ لَّيْسَ مِنْكُم مَّن يَسْقُولُ آبَكُمْ رَأَيْتُمْ رَافِعِي أَيْمَانًا قَالُوا الَّذِي نَسْأَلُكُمْ فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَتَاتُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ» التوبة: ١٢٤، ١٢٥.

حيث يصح الاستئناس بالآيتين لترجيح احتمال الاستخفاف والسخرية في السؤال الذي نحن في صدد.

الطَّبَّاطِبَائِي: (أينفا) اسم فاعل منصوب، على الظرفية، أو لكونه مفعولاً فيه، ومعناه الساعة التي قبيل ساعتك، وقيل: معناه هذه الساعة، وهو على أي حال مأخوذ من «الألف» بمعنى الجارحة. (١٨: ٢٢٥)

الأصول اللغوية

١ - الأنف: جارية معروفة في الإنسان. وبما أن هذه الجارية بارزة تبدي الوجه، وتكون أنثراً مستقيمة في مقدمة الإنسان وأول ما يظهر منه، وبما أن هناك أشياء تبدو آثارها ورموزها على الأنف، لهذا استغنت عنه الأفعال والصفات والموصوفات، وشرحت عنه الهازات والكتابات والاستعارات، فهو ظهير الأذن قائماً حسب ما اخترنا.

فالأنف - إذا - اسم لأصل واحد تفرعت منه الأفعال والمستويات.

٢ - والفعل منه أَيْفَ يَأْنِفُ أَيْفًا، كَفَرِحَ يَفْرَحُ فَرَحًا وهو من الأفعال المتعلقة بالمناظر والأحاسيس وعليه كان هذا الفعل ومشتقاته يتضمن الأفعالات التي تأتي عن أثر يظهر على الأنف، كاحمرار الأنف وأذا، وتأثره وامتصاصه، إلى غير ذلك.

كما يتضمن صوراً بياضية، فالفعل «أَيْفَ» يعني كره وامتعض، وكأته ولّى بأفنه رفضاً أو استنكافاً أو كراهية أو تنزهاً عن الشيء.

وإذا قلنا: أَيْفَتِ الإبل، كان المراد أنها امتعضت من الذباب المتجمع على أنفها، فهربت إلى مكان آخر. وقد يكون هذا من باب تسمية الشيء باسم لازمه، فلانقول: فَرَّ بِجَسَمِهِ، ولا ولي بوجهه عنه، وإِنَّمَا نَقُولُ: أَيْفَ. أي ولي بأفنه، فأطلق الفعل على عضو يلازم الجسم، أو قد يكون من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما نقول: هذه أرض لم تخطأها قدم، والمقصود لم يصلها إنسان.

فالأصل في «أَيْفَ» إذا تغير اتجاه الأنف، إما حقيقة

كما تفعل المرأة مع زوجها إنابان حملها، والإبل إذا فرّت من الذباب المتطاير فوق أنفها، وإِنَّمَا بِحَازًا تعبيراً عن السموخ والترقع، وإن كان السامخ والمستكبر ذاتاً من مرتفع في صورته الواقعية.

٣ - والآنفة إنما تدلّ على أمرين:

١ - الحية والرمّة والإياء والنزاهة.

٢ - الكبر والاستكبار والثعالي، والأول مستحسن

دون الثاني.

أما الآنفة بمعنى النزاهة المطلقة والتزينة الخالص، فإنه أمر متعلق بالذات الإلهية المقدسة التي تنزه عن صفات النقص، والتي تدلّ لها الأنوف، فهذه الآنفة «تقابل سبحانه الله»، ولهذا يستحبّ للمسلم أن يُسْرِعَ أَنْفَهُ بِالْقُرَابِ أثناء سجوده، مبالغة في الخضوع لله عز وجل.

٤ - أما الفعل «أَنْفَ» مفتوح العين فهو استعمال نادر، لكنّه يَصْدُقُ به: ضرب أنفه، والإبل إذا وطئت كلاً لم تخطأ ليل قبلها، والاستعمال الأكثر في هذا المعنى هو «أَنْفَ» الذي يراد به أصاب أنفه، أو جعله يشتكي منه.

٥ - والفعل «تَأَنَفَ» ينسب إلى الرجل حين يطلب من هو متكبر أو شاذ، لا يعاشر أحداً، وينسب إلى المرأة حين يشتدّ وشمها فتنتهي الشيء بعد الشيء، فتشكون شبيهة بمن يتبع أنفه بعد أن يشمّ الروائح فيتشهي.

٦ - ويبدو أن «أَنْفَ» بمعنى حدّد، ومنه المؤثف، هكذا جاء على وجه التشبيه بالأنف، فكونه محدداً من طرفه لمدوّراً كأغلب الجوارح والأعضاء. وقيل منه: أَنْفَتِ السراج، إذا حدّدت طرف ناره إذا ارتفعت فانتشرت، وإذا قيل: أَنْفَ فلانُ ماله تأنيفاً، فيعني أنه

وظفه في أمر جديد.

٧ - أما «استأنف» و«انتف» فهما فلان لا يدلان على الابتداء فحسب، وإنما يدلان غالباً على الابتداء من بعد توقف، والشروع بالعمل مرة أخرى. وكأنه أخذ الأمر من أنفه أي مبدأه. والمؤتف هو مثل المبتدأ أي ما يبدأ فيه أومنه.

٨ - لما كان الأصل في «لن ف» هو الجارحة المعروفة، وهي أبرز ما يكون من الوجه، وأول ما يبدو من صاحبه، فلذا سميت به أطراف الأشياء ومبتدأها فوسطاً في المعنى.

ونسب المتقدمون والأشراف إليه فقيل: هنا أنفي، إذا كان ممن يخشعه، وقيل للشيد: أنف، وللشيء الذي يشغى من الجبل: أنف الجبل، وفُطِرَ الشاب: أنفه ولأول البرد: أنفه أيضاً.

وجاءت الاستعارات والمجازات والكتابات كلها قلنا - نحوم حول الأنف أخذة صفة من صفاته أوحالة من حالاته أو علاقة مرتبطة به، فقيل: حمي الأنف، أي عزيز يأبى الضيم. وقيل: روخه أنف، أي ملأى. وكذلك كأس أنف، وكانت لم تستأنف بعد، أو كأن الكأس لم يشرب منها شيء، أي لم تستأنف، أو لم يقر بها أنفه. وقيل: فلان يتبع أنفه، إذا كان يجري وراء كل ما يمي أنفه وفلان ويرم أنفه، إذا غضب، ورغم وترب أنفه، إذا ذل، فكان أنفه وطىء التراب، وفتح بأنفه، إذا تكبر.

٩ - وجمع «الأنف» على الأشهر هو الأنوف، أما أنف وأناف وأناف، فهي جموع غير مشهورة. و«أنفان»

للمثنى يقصد به مرة أنفان مختلفان لإنسان، ويقصد به مرة أخرى منخران لأنف واحد، وللمشهور أن الأنف ما احتوى على منخرين، فكلاهما أنف واحد، لأن الأنف هو المنخران مع الحاجز، أما إذا قيل: أنفان، وأريد الأنف الواحد، فالمقصود به المنخران.

١٠ - و«أنفاه» اسم على وزن «فَاعِل»، مثل ساقا ولاحقاً، بما جاء منصوباً على الظرفية الزمانية، وفيه معنى الحال. وكأن معناه مبتدئ الوقت الذي نحن فيه، أو مستقبل الساعة التي نحن فيها، ويراد به القو أو الساعة، أو قيل الوقت الذي مر قريباً.

١١ - والميثاف: من يمضي إلى أول الشيء وفيه، والأنافي: من كان كبير الأنف، والأنف من الشباب: أوله ومستأنفه، ومن الأرض: نبتة البارز نباتها كما يبرز الأنف.

والأنف: القادم في أول الوقت أو الأمر، والأنيف: المبكر.

والمأنوف: الذي يجري خلف أنفه، وهو من الجاز. والأنوف على وزن «فَعُول» كهنون ورؤوم: يطلق على الذكر والأنثى، فإذا قيل: هذا رجل أنوف، أريد به الرجل الشديد الأنفة، وإذا قيل: هذه امرأة أنوف، أريد بها المرأة الطيبة ربح الأنف.

والأنف: الأول، وقد يقصد به الجديد، لأن الأول من الأمر يكون جديداً غالباً.

ومن الاستعمالات الحديثة: استأنف المحكم: طلب إعادة النظر فيه، ومنه: محكمة الاستئناف.

الاستعمال القرآني

١ - جاء (الأنف) في القرآن مرتين في آية واحدة، بمعنى الجارحة، و(أنفًا) مرة واحدة منصوبًا على الظرفية، بمعنى أول وقت يقرب من أرواس الساعة التي نحن فيها: ﴿وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ فِيهَا أَنْ تُنْفُسَ بِالنَّفْسِ وَالْهَيْئِ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفِ بِالْأَنْفِ﴾ المائدة: ١٥.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِهِ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ثَاذًا قَالِ أَنْفًا﴾ محمّد: ١٦.

٢ - يلاحظ أولاً: أن في الآية الأولى مقابلة بين الجوارح المعتدية والجوارح المعتدى عليها جنباً وعتدً. ليؤخذ حق المظلوم من الظالم أمام القضاء العدل، فالنفس بالنفس والعين بالعين، وهكذا. وفي المقابلة تكمن العدالة والمساواة تمامًا، فلا تقتل نفس غير فاتلة بالنفس المقتولة، ولا تفتاعين غير المعتدى بين المعتدى عليه، كما لا تفتأ عينه بآفته، ولا عينان متلاً بعين واحدة، أو بالعكس.

كما أن إطلاق المقابلة سواء في النفس أو الجوارح - يوضح عدم التفرق بين الفقير والغني والحاكم والرمّة والقوي والضعيف، فكل أفراد الأمة سواء أمام القانون.

ثانياً: أن الآية قد ناهت آية القصاص تماماً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعُقْدُ بِالْعُقْدِ وَالْأَسْلُ بِالْأَسْلِ﴾ البقرة: ١٧٨.

والهاء في الآيتين للمقابلة في جنس المعتدى والمعتدى عليه، وفي عدهما.

ومن هنا جاء لفظ القصاص فيهما ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الْقِصاصُ﴾ ﴿وَالْجُرُوحُ قِصاصٌ﴾ المائدة: ٤٥.

والقصاص هو المجازاة بالمثل، لاحظ «قصص». والفرق بين الآيتين أن الأولى تعم النفس والجوارح، والثانية تركز على النفس فقط، مع التوسع في أنواعها: الحر والعبد والذكر والأنثى، مع اشتراكهما في الترفيع في العفو تصرّيحاً أو تلويحاً، وأنه أفضل من القصاص، وفي التوعّد بالمداب.

وهناك فرق آخر بين الآيتين، وهو أن الحكم في الأخيرة مؤكّد بقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٩، بما فيه من أسرار البلاغة دون الأولى.

وفرق ثالث: أن الأولى حكاية لما كتب في التوراة على بني إسرائيل، فهي بالنسبة إلى أمة الإسلام تشريع غير مباشر، بخلاف الآية الثانية فإنها تشريع مباشر. ولتقت فرق رابع، وهو أن الثانية تعرّضت لمن اعتدى ثانية بعد القتل، دون الأولى.

ثالثاً: قدّمت النفس على الجوارح في آية المائدة، لأنّه إذا جرى القصاص فيها بين شلخصين فإنّه يجري بينهما في الجوارح همّراً، أو لأنّ النفس أهمّ، ثمّ جاءت بعدها الجوارح مع رعاية الأهمّ فالأهمّ، حسب ما يسنّ في الفكر، فالعين إن أصيبت - فُتيت - كان ضررها أقلّ ممّا لو أصيبت النفس، والأنف إن جُدع لضرره أقلّ من العين، وهكذا. ولكن في كون الأنف أهمّ من الأذن عليه تأمل.

رابعاً: أن الله اكتفى في الآية بعد ذكر النفس ببعض الأعضاء التي توجد في الرأس لاعتنائاً بها وبالرأس.

لإسقاطه الحسياء به، ثم حتم الحكم بخيرها بقوله: **«وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ»**.

خامساً: أن النفس والعين وغيرهما جاءت في المعتدي منصوبة، وهي مناسبة لكونها تنصب للقضاء ليقص منها. وجاءت في المعتدي عليها مكسورة متلثة تماماً مع حالتها، لما وقع عليها الجور والكسر، فيجب أن يعبر كسرهما بأخذ الحق لها من التجاوز المنسوب أمام القضاء.

وحنالك نكتة أخرى في النصب والكسر، وهي أن المنسوب لابد أن يكسر بإزاء كسر مقابله والمكسور لابد أن ينصب كذلك، ليحصل العدل تماماً.

وهذا يلائم مع القراءة المشهورة بنصب العين والآنف وما بعدها، فهي أول من قرأه الرفع من هذه الجهة، أما الجروح فجاءت مرفوعة، فهي استأنف ليدم تجانسها لفظياً مع النفس والعين، وما بعدها.

وهذا يعتبر فارقاً آخر بين الآيتين، حيث جاءت الألفاظ (المرء) و(العبد) و(الأنثى) في المعتدي في الآية الثانية مرفوعة، حيث يجب رفعها عن المجتمع رأساً، مع اشتراك الآيتين في كسر المعتدي عليه. وقد جاء الآنف في القرآن بلفظ آخر، وهو الخرطوم، مكسوراً أيضاً **«وَسَيَسْفُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ»** القلم: ١٦، إطلاقاً على الآنف في موضع التهكم تشبيهاً بالليل، لأنفته وكبره.

سادساً: قد لاحظنا أن «الأنف» لم يأت في القرآن مرفوعاً، مما يشعر بأن رفع الأنف للإنسان مرفوض وغير مقبول، فليس له أن يتكبر على الناس، فيستخ بأفقه ويتعالى على الآخرين، وإن كان أفضل منهم، كما

قال تعالى: **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ»** الحجرات: ١١، مع أنه جاء منصوباً ومكسوراً معاً في المعتدي والمعتدى عليه.

سابعاً: وفي الآيتين بُعد أخلاقي آخر، وهو التصريح بالتميز عن المتجاوز رجاء أن يتوب، بإضاح الحال أمامه بإيجاد جزو ودي أخوي، وإتباعه بالمعروف والإحسان: **«وَمَنْ عَنِ لَّهُ مِنْ آخِيهِ شَيْءٌ فَاغْتَبِغْ بِالْعَفْوَ وَادِّاءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ»** البقرة: ١٧٨، وفي التعبير عن ولي الدم بالأخ إشارة لحسن الجهة والزلفة، وتلميح إلى أن العفو أحب إلى الله.

وقد سمي العفو في الآية الأولى صدقة وكفارة **«لِيَنْصَدُقَ بِهِ فَعَدَى كَفَّارَةً لَهُ»** المائدة: ٤٥.

والتمسك في (له) للمتصدق، وهو المبروح أو ولي الدم، ثم إذا كان كفارة له فكيف لا يكون كفارة للمتصدق؟ مع أن المعتدى عليه تصدق بمقتضى عفو صدقة منه وكفارة لها، وتخفيف من الله، ورحمة على العباد جميعاً.

فالقرآن لا ينسى الجانب الأخلاقي والبعد العاطفي حتى في موضع التكال والتفعة، وكيف لا يكون ذلك وهو بمثابة المرأة للآداب الإلهية وصدى للأخلاق الزبانية، فإنه ينفر القنوب جميعاً سوى الشرك به.

ثامناً: أن ذيل الآية الأولى: **«وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»** المائدة: ٤٥، وذيل ما قبلها: **«وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»** المائدة: ٤٤، وذيل ما بعدها: **«وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»** المائدة: ٤٧.

الآراء والأقوال قد اختلفت حول (أَيْثًا) فهو ظرف أم حال؟ وهل كان سواهم هذا استفهامًا أو تمنيًا وفاقًا واستهزاء. كما اختلفت القراءات فيه، فقرأ (أَيْثًا) و (أَيْثًا)، فقد تقدم في النصوص ما يبينها من إعادته، سوى أن فيه نكتين:

الأول: أن الله تبارك وتعالى لم يرض برفع الألف حتى في صيغة اسم الفاعل والصفة المنسبة، فجاء منصوبًا، وفيه تلويح أيضًا إلى تلك المزية الأخلاقية التي سبق بيانها.

الثانية: لا يبعد أن يكون التعبير عن الساعة أو الحالة المتقدمة بالالف باعتبارها أقرب أعضاء المتكلم إلى المخاطب، وبهذا استعبره من القرب الزماني تسببًا الزمان بالمكان، للملازمة بينها. كما لا يخلو هذا التعبير من شيء من إساءة الأدب والإهانة إلى النبي ﷺ بذلك، أنه، كآله يتكلم بالله استكبارًا وأنفة، أو أن كلمة «أَنْف» تدل على كبر أنه أو نحو ذلك، فليتأمل.

واختلاف التعبير في (الْكَاذِبُونَ) و(الظَّالِمُونَ) و(الْقَاسِطُونَ) ناسي وحال - والله أعلم - عن نكتة بلاغية، وهي أن الأولى نزلت في اليهود، فهم كافرون، لإنكارهم حكم التوراة، وكذلك الثانية «وَوَكُنْتُمْ عُثْيَرٌ» المائدة: ٤٥.

ولكنها لا تخص اليهود وتشمّل المسلمين، فهي تشريع لهم بصورة غير مباشرة كما قدمنا، فعدهم القرآن ظالمين لأنفسهم، ووثقهم دون اليهود، ووردت الثالثة في النصارى، حيث قال: «وَلَيَحْكُمَنَّ أَقْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ» المائدة: ٤٧، فبأنهم تجاهلوا الحق وانحرفوا عن الجادة، فهم ضالون، كرجاء ذلك في تفسير «الْمَنْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» الفاتحة: ٧، لأن «الْمَنْصُوبِ عَلَيْهِمْ» هم اليهود و«الضَّالِّينَ» هم النصارى.

٢- يلاحظ في الآية الثانية «مَاذَا قَالَ أَيْثًا» محمد: ١٦، بالنظر إلى النصوص القصيرية والأصول اللغوية أن

أَنَام

أَنَام

لفظ واحد مدني، مرة واحدة، في سورة مدنية

التصوُّص اللغوي

لكم، ولا تقول: جاء في الأنام، تريد بعض الأنام. وجمع (٢٢٨)

الخليل، الأنام: ما على ظهر الأرض من جميع الخلق، ويجوز في الشعر: الأنيم.

الأنام: أنام. الطوسي: يجوز أن يكون «الأنام» من ونم الذباب.

(٣٨٨ ٨) مثله التماهي.

إذا صوت من نفسه، ويسمى كل ما يصوت من نفسه

ابن دريد: الأنام معروف. وقال الكوفيون: واحد

أنامًا، وقلت الراو من «ونام» همزة كقولهم: أناة من

الأنام: يسيم [تم استشهد بشعر] ولم يعرفه

«وناة».

(١٥٤) البصريون.

الزمتخشري: لو رزقنا الله عدل سلطانه لأنام أنامته

(١٨١ ٥) الصاحب: الأنام: ما على ظهر الأرض من جميع

في ظل أمانه.

الخلق، ويجوز أنيم، والجميع أنام.

القيومي: الأنام: الجن والإنس. وقيل: الأنام:

(٤١١ ١٠) أبو هلال: الفرق بين «الأنام» و«الناس»: أن الأنام

ما على وجه الأرض من جميع الخلق.

على ما قال بعض العلماء - يقتضي تعظيم شأن المسكن

نحو الطباطبائي.

من الناس^(١)، قال الله عز وجل: «وَالَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ

القيروز أبادي: الأنام كسحاب وسحاب وأسير:

إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» آل عمران: ١٧٢، وإنما قال

الخلق، أو الجن والإنس، أو جميع ما على وجه

لهم: جماعة. وقيل: رجل واحد. وأن أهل مكة قد جمعوا

(١) كذا في المصدر، ويبدو أن فيه تسمية.

وتسميها بالخلق، على ما يبدو من قربه لا يوجب عن وجه تفردها في القرآن، مع كثرة ورود الخلق فيه. وآيات الخلق تُؤنن بفرق بينه وبين الأنام، فالخلق عام لكل ما خلق الله في السماوات والأرض وما بينهما من ملائكة وإنس وجن، ومن حيوان ونبات وجماد ما تعلم منها وما لا تعلم.

فهل يكون الأنام لمن خلق الله لهم الأرض من الأحياء دون ما في السماوات ومائر الكائنات المخلوقة في الأرض وما بينهما؟ لا أراه بعيداً، والله أعلم.

(الإعجاز البياني: ٣٢٨)

عبد الكريم الخطيب: (للأنام) إشارة إلى أن هذه الأسماء هي في خلافة الأنام. وهم الناس، وأن مسهم الميزان الذي يضبطون به أمور الأرض، أنبه بذلك الميزان الذي وضعه الله سبحانه لضبط النماء وعملها. (١٤: ٦٦٧)

الأصول اللغوية

١- لم يذكر اللغويون أي لفظ لهذه المادة سوى «أنام»، وهم في معناه مختلفون، فقالوا: يعني ما على ظهر الأرض من جميع المخلوق، وقالوا: يُطلق على ذوي العقول فقط، وعمل الساكنين على وجه الأرض، دون الجماد والنبات والحيوان.

والصحيح عندنا: أن «الأنام» هم الناس فقط، و«المخلوق» هم الإنس والجن والحيوان والنبات والجماد.

٢- وفي لفظ «أنام» تحتل ما يلي:

أ- أنه لفظ قديم جداً، وكانت له اشتقاقات مستعملة،

القرآن: جميع المخلوق. (١١٣: ٣)

ابن قتيبة: الخلق. (غريب القرآن: ٤٣٦)

مثله أبو عبيدة (٢: ٢٤٢)، والشجستاني: (١٨٢)،

وأبو حيان (تحفة الأريب: ٣٥).

الزمخشري: (للأنام) للخلق، وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة.

وعن الحسن: الإنس والجن، فهي كالمهاد لهم.

يتصرفون فوقها. (٤: ٤٤)

التديني: قيل: الأنام: المخلوق، وقيل: هو الناس

خاصة، والأول أجود، لأن في الأرض غير الناس من

المخلوق. (١: ٩٩)

السيابوري: أي لكل ما على ظهر الأرض من

دابة، وقيل: للإنسان. وخص بالذكر لشرفه، ولأنه الذي

خلق لأجله. (٢٧: ٦٤)

الطبري: الأنام، بنسب الفاء: الجن والإنس.

(٦: ١٥)

العاملين، هو في سورة الزحمان ومعناه معنى الناس

تزيلاً وتأنوياً، فانهم. (٨٣)

الجزوسي: هو جمع لا واحد له من لفظه، بمعنى

المخلوق والجن والإنس معاً على الأرض، كما في القاموس.

فهي كالمهاد والفراش لهم، يتقلبون عليها، ويتصرفون

فوقها.

وقيل: من وثم الباب: ههنا، وفيه إشارة إلى بسط

أرض البشرية لتشمس كل قبيلة بما يلائم طبعها.

(٩: ٢٩٢)

بنت القاطن: الكلمة وحيدة في القرآن كله،

يد أنها أُميتت بمرور الزمان، ولم يبق منها غير، كما أن كلمة «الناس» نسي أصلها ومفردتها.

ب - ربما هو مشتق من مادة «ون» التي أصلها: سُلخ الذباب، أي: عذرتها، ثم توسع في استعماله، وأُطلق على المخلوق مجازًا.

وهذا الاحتمال ضعيف، لأن بعض المخلوقات لا تتصف بهذه الصفة، كالجن والحيوان والنبات، وقد يجوز الطوسي اشتقاقه من هوتم الذباب إذا صوت من نفسه، ويسمى كل ما يصوت من نفسه أُنثًا، ولعل هذا يناسب شموله لكل ذي روح من المخلوق، وقيل: من وتم الذباب: غرس، قاله البروسوي. [لاحظ التوضيح]

ج - ربما هو من انشاء، أي الزيادة والكثر، فكأنما الناس يزددون على كل العصور، وأصله «نماء»، ثم نقلت الحزرة إلى أوله، وقدمت الألف على الميم، فأصبح «أُنثًا».

د - أو من الترم، قال قتادة: الأُنثام: كل ذي روح لأنه ينثم.

٢ - وقال الكوفيون: مفرد أنام «نيم» ولكنه غير مشهور، وإلا لكان قد عرفه البصريون، وقيل: إن جمع أنام «أَنَام».

الاستعمال القرآني

١ - وردت كلمة (الأُنثام) مرة واحدة في القرآن، وقد خاض المفسرون كالتلويين في معناها، فقالوا: هي معنى المخلوق، وقالوا: كل دابة على وجه الأرض، وقالوا: جميع المخلوق من كل ذي روح، وقالوا: إنها تعني الإنس والجن،

وقالوا: إن قوله: «سَتَقَرُّ لَكُمْ آيَةُ الثَّقَلَيْنِ» الرحمن: ٣١، الوارد عقب قوله: «وَالْأَرْضُ وَشَقَّهَا لِأَنَامٍ» الرحمن: ١٠، يعني الإنس والجن، أو الإنسان والحيوان، ويبدو أن عدم الاتفاق على رأي في معنى (الأُنثام) يمكن في تفسيرهم المخلوق بمعنى شامل، فالخلايق تشمل كل ما خلق الله في السماوات والأرض، أما الأُنثام فهم المخلوق الذين يعيشون على الأرض.

٢ - ومن المرجح أن هذه الكلمة كاسر الكلمات التي وردت مرة أو مرتين، قد استعملت رصاية لروى الآيات، فإن روى سورة الرحمن هو الألف مع التون، أو الألف مع الميم، وشذ فيها الألف والرأ للكلمتي (كالفخار) و(نار)، فإذا استعملت مكانه كلمة «الناس» أو «المخلوق» وما أشبهها فإن ذلك لا يتناسب مع الروي، والله أعلم.

٣ - ونحن نرى أن معنى (الأُنثام) في الآية بمعنى «الناس» استنادًا على ما يلي:

١ - إن سياق الآيات يدور حول التذكير بنعم الله على الإنسان؛ إذ ابتداء بقوله: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» الرحمن: ٣، وهي أولى النعم، وأخبره بقوله: «عَلَّمَهُ الْقُرْآنَ» الرحمن: ٤، ثم استمر بذكر النعم واحدة تلو الأخرى، إلى قوله: «وَالْأَرْضُ وَشَقَّهَا لِأَنَامٍ» الرحمن: ١٠، وعاد إلى ذكر النعم، وختمها بقوله: «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» الرحمن: ١٣، والمخاطب موجه إلى الإنس والجن، وبما أنه ذكر - عند استعراض النعم - الفاكهة والتخل والحب والزيمان، فنتج من ذلك أن المخصوص بالمخاطب هو «الإنسان» دون غيره، لأن تلك النعم لا يتطعم منها إلا

الإنسان.

ب - إنَّ الإنسان هو خليفة الله في الأرض، وقد أكرمه بهذه النعم الماديّة والمعنويّة لينهض بمسؤوليته ويتحمل أعباء الأمانة، فهيأ له الأرض مسرحاً لحياته.

ج - إنَّ بسط الأرض وتهذيبها وجعلها كالفراش هو للإنسان على المنصوص، فبعض الخلائق - كالتي تعيش في باطن الأرض - لا تحتاج إلى بسطها وتهذيبها. وبعضها لا يسكن الأرض فقط كالجنّ.

د - إنَّ سياق الآيات يدلُّ على أنَّ الحديث يدور

حول المنصوص وليس العموم، فكان الأخرى أن يذكر لفظ الأنام دون المخلوق، لأنَّ المخلوق لفظٌ عامٌ، وذكره يحتاج إلى قرينة لكي يمكن معرفته.

هـ ولو قيل: إنَّ الأنام من «النوم» كناية عن الراحة، وإنَّ قوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ في معنى قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ طه: ٥٢، لم يكن بعيداً عن السبقي، إلَّا أنهم لم يذكروه في جملة المستملات لأصلها. سوى ما مرَّ من فتادة.





سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

أَنْ نَى

أَنْ

لفظ واحد ٢٨ مرة، ١٧ مكتبة، ١١ مدنية

في ١٩ سورة، ١٢ مكتبة، ٦ مدنية

كأنه من

التصريح اللغوي

القليل: «أَنْ» معناها كيف؟ ومن أين؟

أَنْ شئت: كيف شئت؟ ومن أين شئت؟ [ثم]

استشهد بشر

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَنْ لَّكَ هَذَا﴾ آل عمران: ٢٧

أي من أين لك هذا؟

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَنْ يَكُونَ لَكَ الْمُلْكُ عَلَيْكَ﴾

البقرة: ٢٤٧، أي كيف يكون؟ [ثم استشهد بشر]

(٣٩٩: ٨)

الأزهري: «أَنْ» أدات، ولها معنيان:

أحدهما: أَنْ تكون بمعنى متى، قال الله تعالى: ﴿قَلْبُكَ

أَنْ هَذَا﴾ آل عمران: ١٦٥، أي متى هذا وكيف هذا؟

وتكون «أَنْ» بمعنى من أين، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ

لَهُمُ الشَّكَاوُصُ مِنْ عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ﴾ سبأ: ٥٢، يقول: من أين

لهم ذلك.

وقد جمعها الشاعر تأكيداً فقال:

«أَنْ وَمِنْ أَيْنَ آتَاكَ الظُّرْبُ» (١٥: ٥٥٦)

البقاعي: «أَنْ» معناه أين، تقول: ﴿وَأَنْ لَّكَ

هَذَا﴾ آل عمران: ٢٧، أي من أين لك هذا؟ وهي من

الظروف التي يهازى بها، تقول: أُنِّي تأتي آتاك، معناه من

أي جهة تأتي آتاك.

وقد تكون بمعنى «كيف» تقول: أُنِّي لك أن تفتح

الحصن؟ أي كيف لك ذلك؟ (٦: ٢٥٤٥)

الراغب: «أَنْ» للبحث عن الحال والمكان، ولذلك

قيل: هو بمعنى أين، وكيف، لتضمنه معناها. قال الله عز وجل: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ آل عمران: ٣٧. أي من أين وكيف. (٢٩)

القيومي: «أَنَّى» استفهام عن الجهة. تقول: أَنَّى يكون هذا؟ أي من أي وجه وطريق. (٢٨: ١)

الفيروز ابادي: «أَنَّى» تكون بمعنى أين، ومنى، وكيف. وهي من الظروف التي يجازى بها: أَنَّى تأتي أَنَّى. (٤: ٤١٠)

الشيوطي: اسم مشترك بين الاستفهام والشرط. فأما الاستفهام فتدغم فيه بمعنى كيف. نحو: «أَنَّى يَحْسِبُ هَٰذَا بَلَدٌ مَّوَدَّاهُ» البقرة: ٢٥٩. «أَنَّى يُؤْمَسُكُونَ» التوبة: ٣٠.

ومن أين، نحو: «أَنَّى لَكَ هَذَا» آل عمران: ٣٧. أي من أين أتى هذا، أي من أين جاءنا. [إلى أن قال:]

وبمعنى متى، وقد ذكرت المعاني الثلاثة في قوله تعالى: ﴿فَاتَّوَا حَزَنًا لَّكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ البقرة: ٢٢٣. (٢: ٢٠٧) الطبري: «أَنَّى» بشديد النون والأنف، فيكون شرطاً في الأمكنة، بمعنى أين، ويكون استفهاماً بمعنى ثلاث كلمات، وهي: متى، وأين، وكيف. (٦: ٢١٠)

النصوص التفسيرية

أَنَّى

١- يَسْأَلُكُمْ عَنْتَ لَكُمْ فَاتَّوَا حَزَنًا لَّكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ... البقرة: ٢٢٣

أبي بن كعب: اتتها مضطربة وقائفة، ومنحرفة، ومقبلة، ومُدبرة، كيف شئت إذا كان في قبلكها.

مثله فتاة والسدي. (الطبري: ٢: ٣٩٣)

أم سلمة: قديم المهاجرون فتزوجوا في الأنصار، وكانوا يُجَبون^(١)، وكانت الأنصار لا تفعل ذلك، فقالت امرأة لزوجها: حتى آتي النبي ﷺ فأسأله عن ذلك. فأتت النبي ﷺ فاستعيت أن تسأله، فسألت أنا. فدعاها رسول الله ﷺ فقرأ عليها ﴿يَسْأَلُكُمْ عَنْتَ لَكُمْ فَاتَّوَا حَزَنًا لَّكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ ميمًا واحدًا، ميمًا واحدًا^(٢). (الطبري: ٢: ٣٩٦)

ابن عباس: يأتيها كيف شاء، مالم يكن يأتيها في دبرها أو في المبيض.

مثله مكرمة. (الطبري: ٢: ٣٩٢)

انتها أَنَّى شئت: ثقيلة ومُدبرة، مالم تأتيها في الدبر والمبيض. (الطبري: ٢: ٣٩٢)

مثله مجاهد. (الطبري: ٢: ٣٩٦)

اسق لها من حيث نباته. (الطبري: ٢: ٣٩٢) إن شئت فاعزل، وإن شئت فلا تعزل.

مثله ابن السيب. (الطبري: ٢: ٣٩٥)

إن هذا المعنى من قريش، كانوا يشرحون النساء بمكة، ويطلبون بهن، مقبلات ومدبرات، فلما قدموا المدينة تزوجوا في الأنصار، فذهبوا ليعملوا بهن كما كانوا يفعلون بالنساء بمكة، فأنكرن ذلك، وقلن: هذا شيء لم نكن نرى عليه. فانتشر الحديث، حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك: ﴿يَسْأَلُكُمْ عَنْتَ لَكُمْ فَاتَّوَا حَزَنًا لَّكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾

(١) أي يأتيها وهي باركة منكبة على وجهها.

(٢) أي اللسان، وفي حديث الوطد في حمام واحد، أي في مسلك واحد.

[سئل عليه السلام عن هذه الآية قال:] من قُبِلَ . (القروسي ١: ٢١٧)

الإمام الصادق عليه السلام: أي متى شتم في الفرج .
[وفي رواية أخرى:] في أي ساعة شتم .
[وفي أخرى:] من قُبِلَ منها، ومن خَلَفَها في القُبَل . (الكاشاني ١: ٢٣٣)

سئل عليه السلام عن الرجل يأتي المرأة في دُبُرِها قال: لا بأس إذا رضيت .

قيل: فأين قول الله عز وجل: ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ خَلْفِ أَثَرِ اللَّيْتِ﴾؟ البقرة: ٢٢٢ .

قال: هذا في طلب الولد فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله . (إن الله تعالى يقول: ﴿يَسْأَلُكُمْ لَكُمْ لِمِ كُنْتُمْ فَانْتَوُوا خَزَائِكُمْ أَنَّى يَسْتَأْذِنُكُمْ خَزَائِكُمْ أَنَّى يَسْتَأْذِنُكُمْ﴾ . (الكاشاني ١: ٢٣٣)

سئل عليه السلام عن إتيان النساء في أعجازهن فقال: هي مكشوفة لا توطأ . (الكاشاني ١: ٢٣٣)

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألت عن الرجل يأتي أهله في دُبُرِها، فكره ذلك، وقال: وإياكم ومعاشر النساء، وقال: إنما معنى ﴿يَسْأَلُكُمْ لَكُمْ لِمِ كُنْتُمْ فَانْتَوُوا خَزَائِكُمْ أَنَّى يَسْتَأْذِنُكُمْ خَزَائِكُمْ أَنَّى يَسْتَأْذِنُكُمْ﴾ أي ما حجة شتم .

(القروسي ١: ٢١٧)

ابن جزي: سمعت حطاء بن أبي رباح قال: تذاكرنا هذا عند ابن عباس، فقال ابن عباس: انتوهن من حيث شتم: مقبلة ومُدْبِرَة . فقال رجل: كان هذا حلالاً، فأُنكر حطاء أن يكون هذا هكذا، وأُنكره كأنه إنما يريد الفرج، مقبلة ومُدْبِرَة في الفرج . (الطبري ٢: ٣٩٣)

وسيق به: (أَنَّى)، تكون في معنى كيف وأين .

خَزَتْ لَكُمْ فَأَتُوا خَزَائِكُمْ أَنَّى يَسْتَأْذِنُكُمْ . (إن شئت فقله، وإن شئت قديرة، وإن شئت غارقة، وإنما يعني بذلك موضع الولد للحرث، بقوله: آتت الحرث من حيث شئت . (الطبري ٢: ٣٩٥)

جاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله هلكت! قال: وما الذي أهلكك؟ قال: حولت رحلي الليلة، قال: فلم يرد عليه شيئاً، وقال: فأوحى الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿يَسْأَلُكُمْ لَكُمْ لِمِ كُنْتُمْ فَانْتَوُوا خَزَائِكُمْ أَنَّى يَسْتَأْذِنُكُمْ خَزَائِكُمْ أَنَّى يَسْتَأْذِنُكُمْ﴾ . (الطبري ٢: ٣٩٧)

إن هذه الآية نزلت ردّاً على اليهود، وأن الرجل إذا أتى المرأة من خلفها خرج الولد أحول، فأكد لهم الله في ذلك .

مثله جابر بن عبد الله، ونحوه الحسن . (الطوسي ٢: ٣٩٣)

نحوه الربيع . (الطبري ٢: ٣٩٣)
ابن عمر: عن أبي الخطاب سعيد بن يسار، أنه سأل ابن عمر، فقال له: يا أبا عبد الرحمن إنا نشترى الجملاري، فنمخضهن، فقال: وما التمخيض؟ قال: الدُّبُرُ، فقال ابن عمر: أف أف، يفعل ذلك مؤمن؟ أو قال: مسلم . (الطبري ٢: ٣٩٤)

أن يأتيها في دُبُرِها . (الطبري ٢: ٣٩٤)
الصحاح: متى شتم . (الطبري ٢: ٣٩٤)
مُجَاهِد: انتوا النساء في أدبارهن صلى كل نحو . (الطبري ٢: ٣٩٣)

الإمام الباقر عليه السلام: حيث شاء .

(٤: ٢٣٥)

الإمام الرضا عليه السلام: إن اليهود كانت تقول إذا أتى الرجل المرأة من خلفها خرج ولده أحول، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُكُمْ خِزْمٌ لَكُمْ فَنَاقُوا خِزْمَكُمْ أَلِيَّ شَيْئُمْ﴾ من خلف أو قدام، خلافاً لقول اليهود، ولم يكن في أدبارهن.

أبو عبيدة: كناية وتشبيه، قال: ﴿فَنَاقُوا خِزْمَكُمْ أَلِيَّ شَيْئُمْ﴾.

الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿أَلِيَّ شَيْئُمْ﴾، فقال بعضهم: معنى (ألي) كيف.

وقال آخرون: معنى ﴿أَلِيَّ شَيْئُمْ﴾ من حيث شتم وألي وجه أحييتهم.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿أَلِيَّ شَيْئُمْ﴾ من شتمهم. وقال آخرون: بل معنى ذلك أين شتمهم، وحيث شتمهم.

وقال آخرون: معنى ذلك اتوا حزنكم كيف شتمهم، إن شتم فاعزلوا، وإن شتم فلا تمزلوا.

ولما الذين قالوا معنى قوله: ﴿أَلِيَّ شَيْئُمْ﴾: كيف شتم - مقبلة ومُدْبِرَة في الفرج والقبل - فإنهم قالوا: إن الآية إنما نزلت في استنكار قوم من اليهود استنكروا إتيان النساء في أقبالهن من قبل أدبارهن، قالوا: وفي ذلك دليل على صحة ما قلنا، من أن معنى ذلك على ما قلنا.

والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال معنى قوله: ﴿أَلِيَّ شَيْئُمْ﴾: من ألي وجه شتم، وذلك أن (ألي) في كلام العرب كلمة تدلّ إذا ابتدئ بها في الكلام - على المسألة عن الوجوه والمذاهب، فكان القائل إذا قال

لرجل: ألي لك هذا المال؟ يريد من ألي الوجوه لك، ولذلك يُعْجِبُ العجيب فيه بأن يقول: من كذا وكذا، كما قال تعالى ذكره مُخِيراً عن ذكر يافى مآله مريم: ﴿أَلِيَّ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ آل عمران: ٣٧.

وهي مقاربة: أين وكيف في المعنى، ولذلك تداخلت معانيها، فأشككت (ألي) على سامعها ومتأولها، حتى تأولها بعضهم بمعنى «أين»، وبعضهم بمعنى «كيف»، وآخرون بمعنى «متى»، وهي مخالفة لجميع ذلك في معناها، وعن لها مخالفات.

وذلك أن «أين» إنما هي حرف استفهام عن الأماكن والمعال، وإنما يستدلّ على افتراق معاني هذه الحروف بافتراق الأجوبة عنها، ألا ترى أن سائلاً لو سأل آخر فقال: أين مالك؟ لقال بسكان كذا، ولو سأل له: أين أخوك؟ لكان الجواب أن يقول: ببلدة كذا، أو بموضع كذا، فبمعنى «أين» محلّ ما سألته من محله، فيعلم أن «أين» مسألة من المحلّ.

ولو قال قائل لآخر: كيف أنت؟ لقال: صالح أو بخير أو في عافية، وأخبره عن حاله التي هو فيها، فيعلم حينئذ أن «كيف» مسألة عن حال المسؤول عن حاله.

ولو قال له: ألي يحيي الله هذا الميت؟ لكان الجواب أن يقال: من وجه كذا ووجه كذا، فيصف قولاً نظير ما وصف الله تعالى ذكره للذي قال: ﴿أَلِيَّ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ﴾ فجلاً، حين بعثه من بعد مماته، وقد فرقت النحل بين ذلك في أشعارها، إنم استشهد بشعر:

والذي يدلّ على فساد قول من تأوّل قول الله تعالى ذكره: ﴿فَنَاقُوا خِزْمَكُمْ أَلِيَّ شَيْئُمْ﴾: كيف شتم، أو تأوّل

الحكم أنه سمع الشافعي يقول: ما صح عن رسول الله ﷺ في تحريمه ولا تحليله شيء، والقياس أنه حلال. [وبعد نقل روايات في جوازه وتحريمه، قال:]

المشهور عن مالك إباحة ذلك، وأصحابه ينفون عنه هذه المقالة فحبها وشناعتها، وهي عنه أشهر من أن يندفع بغيره عنه. وقد حكى محمد بن سعيد عن أبي سليمان الجوزجاني قال: كنت عند مالك بن أنس فُسِّلَ من النكاح في الدُّبُرِ، فضرب بيده إلى رأسه وقال: الساعة اغتسلت منه. وقد رواه عنه ابن القاسم على ما ذكرنا، وهو مذكور في الكتب الشرعية. ويروى عن محمد بن كعب القرظي أنه كان لا يرى بذلك بأساً ويحاول فيه قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ السَّامِ. ١٦٥، ١٦٦ [إل أن قال:]

قيل له: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُزْوِهِمْ خَائِضُونَ﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ [المعارج: ٢٩، ٣٠]. يقتضي إباحة وطئهن في الدُّبُرِ لورود الإباحة طلاقة غير مقيدة ولا مخصوصة.

قيل له: لما قال الله تعالى: ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ خَلْفِ الْأَرْحَامِ﴾ ثُمَّ قَالَ فِي نَسِیِ التَّلَاوةِ: ﴿فَأَتُوا غُرُثَكُمْ أَنْ يُشْتَمَ﴾ أبان بذلك موضع المأمور به، وهو موضع الحرث. ولم يرد إطلاق الوطء بعد حظره إلا في موضع الولد، فهو مقصور عليه دون غيره، وهو قاضٍ مع ذلك على قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ للمؤمنين: ٦، كما كان حظر وطء الحائض قاضياً على قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾؛ فكانت هذه الآية مرتبة

بمعنى حيث شئتم، أو جعلى متى شئتم، أو بمعنى أين شئتم، أن قائلوا لو قال لاخر: أَيْ تَأْتِي أَهْلُك؟ لكان الجواب أن يقول: من قبلها أو من دبرها، كما أخبر الله تعالى ذكره عن مريم إذ سئلت ﴿أَتَىٰ لَكَ هَذَا﴾ أَتَى قَالَتْ: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ آل عمران: ٣٧. وإذا كان ذلك هو الجواب، فعلوم أن معنى قول الله تعالى ذكره: ﴿فَأَتُوا غُرُثَكُمْ أَنْ يُشْتَمَ﴾ إنما هو: فَأَتُوا حُرُثَكُمْ من حيث شئتم من وجوه المآثي، وأن ما عدا ذلك من التأويلات فليس للآية بتأويل.

وإذا كان ذلك هو الصحيح، فبَيِّنَ خطأ قول من زعم أن قوله: ﴿فَأَتُوا غُرُثَكُمْ أَنْ يُشْتَمَ﴾ دليل على إباحة إتيان النساء في الأدبار، لأن الدُّبُرَ لا يَحْتَرُ فيه، وإنما قال تعالى ذكره: ﴿غُرُثُكُمْ﴾ فَأَتُوا الْحُرثَ من أي وجوه شئتم، وأَيُّ حَثَرْتِ فِي الدُّبُرِ؟ فيقال: اتته من وجهه.

وتبيِّن بما يتنا صحة معنى ما روي عن جابر وابن عباس، من أن هذه الآية نزلت فيما كانت اليهود تقول للمسلمين: إذا أتى الرجل المرأة من دبرها في قبلها جاء الولد أحول. (٢: ٣٩٢-٣٩٨)

الْقَسِي: أي متى شئتم. وتأولت الساقة في قوله: ﴿أَتَىٰ يُشْتَمُ﴾، أي حيث شئتم في القبل والدبر.

(١: ٧٣)

الْبُخَارِيُّ: اختلف في إتيان النساء في أدبارهن، فكان أصحابنا يحرّمون ذلك وينهون عنه أشدَّ النهي، وهو قول التوردي والشافعي فيما حكاه المزي.

قال الطحاوي: وحكى لنا محمد بن عبد الله بن

على ما ذكر من حكم المائض.

التقية، وخوف من الشاعة.

ومن يحظر ذلك يحتج بقوله: ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ البقرة:

٢٢٢. فحظر وطء المائض للأذى الموجود في الحيض.

وهو القدر والتجاسة، وذلك موجود في غير موضع الولد في جميع الأحوال، فاقضى هذا التعليل حظر وطئهن إلا في موضع الولد.

ومن يبيحه يجيب عن ذلك بأن المستحاضة يجوز

وطؤها باتفاق من الفقهاء مع وجود الأذى هناك، وهو دم الاستحاضة، وهو نفس كتجاسة دم الحيض وسائر الانجاس.

ويجيبون أيضًا على تخصيصه بإباحة موضع الحرث

باتفاق الجميع على إباحة الجماع فيها دون الفرج، وإن

لم يكن موضعًا للولد، فدل على أن الإباحة غير مقصورة على موضع الولد.

ويجيبون عن ذلك بأن ظاهر الآية يقتضي كونه

الإباحة مقصورة على الوطء في الفرج، وأنه هو الذي

عناه الله تعالى بقوله: ﴿مَنْ حَتَّ أَعْرَكمُ الله﴾ إذ كان

معطوفًا عليه. ولولا قيام دلالة الإجماع لما جاز الجماع فيها

دون الفرج. ولكننا سلّمناه للدلالة، وبقي حكم المظر فيها

لم تقم الدلالة عليه. (١: ٣٥١، ٣٥٣)

نحوه القرطبي. (٣: ٩٣، ٩٤)

الشريف الصرغسي: جواز نكاح النساء في

أديارهن.

هذه المسألة عليها إطباق الشيعة الإمامية ولا خلاف

بين فقهاءهم وعلمائهم في الفتوى بإباحة ذلك، وإنما يقل

التظاهر بينهم في الفتوى بإباحة هذه المسألة على سبيل

والحجة في إباحة هذا الوطء إجماع الفرقة الحقة

عليه. وقد بينا إجماعهم حجة، ويدل أيضًا عليه قوله

تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾.

ومعنى ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ كيف شئتم، وفي أي موضع أردتم.

فإن قيل: ما أنكرتم أن يكون معنى قوله: ﴿أَنَّى

شِئْتُمْ﴾ أي وقت شئتم؟

قلنا: هذه النقطة تستعمل في الأماكن والمواضع وكل

ما تستعمل في الأوقات، ألا ترى أنهم يقولون: ألقى زيداً

أين كان وأنى كان، يريدون بذلك عموم الأماكن. ولو

سلّمنا أنها تستعمل في الأوقات، لم يلنا الآية على عموم

الأماكن والأوقات، فكأنه قال: فأتوا حركم أي موضع

شئتم، وأي وقت شئتم.

فأما من يظن على هذه بأن يقول: قد جعل الله

تعالى النساء حركاً، والحرث لا يكون إلا حيث النسل.

فيجب أن يكون قوله: ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ مختصاً

بموضع النسل، فليس بشيء، لأن النساء وإن كنّ لنا

حركاً فقد أبيح لنا وطئهن - بلا خلاف بهذه الآية

وبغيرها - في غير موضع الحرث، فيها دون الفرج، ويجب

لنا أن نسال: فليس يقتضي جعله تعالى حركاً حركاً حفظ

الاستمتاع في غير موضع الحرث.

ألا ترى أنه لو قال صريحاً: نساؤكم حركت لكم

فأتوا حرككم في القبل والدبر وفيما دون الفرج وفي كل

موضع يقع به حظ الاستمتاع، لكان الكلام صحيحاً.

وقد استدلل قوم في هذه المسألة بقوله تعالى:

﴿وَأَتَاكُمُ الذُّكْرَانُ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ

وهذا لا شاهد فيه، لأنه يجوز أن يكون: أَنَّى به،
لاختلاف اللغتين، كما يقولون: متى كان هذا وأَيَّ وقت
كان؟ ويجوز أن يكون بمعنى «كيف».

وتأول مالك، فقال: «أَنَّى يُشْتَمُّ» تنfid جواز
الإتيان في الذكر، ورواه عن نافع عن أبي عمرو، وحكاة
زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر، وروي عن طريق
جماعة عن ابن عمر، وبه قال أكثر أصحابنا، وخالف في
ذلك جميع الفقهاء والمفسرين، وقالوا: هذا لا يجوز من
وجوه:

أحدها: أَنَّ الذكر ليس بحرث، لأنه لا يكون فيه
الولد.

وهذا ليس بشيء، لأنه لا يمنع أن تُسَمَّى النساء
حرثاً، لأنه يكون منهن الولد، ثم يُبيح الوطء فيها لا يكون
منه الولد. يدل على ذلك أنه لا خلاف، أنه يجوز الوطء
بين المحلذين وإن لم يكن هناك ولد.

وثانيها: قالوا: قال الله: «فَاتَوَهَّنْ مِنْ حَيْثُ أَنْزَلَكُمْ
اللهُ» وهو الفرج، والإجماع على أَنَّ الآية الثانية ليست
بنسخة للأول.

وهذا أيضاً لا دلالة فيه، لأن قوله: «مِنْ حَيْثُ
أَنْزَلَكُمْ اللهُ» معناه من حيث أباح الله لكم، أو من الجهة
التي شرعها لكم، على ما حكينا من الزجاج، ويدخل
في ذلك الموضعان معاً.

وثالثها: قالوا: إن معناه من أين شتم، أي أتوا الفرج
من أين شتم، وليس في ذلك إيابة لغير الفرج.

وهذا أيضاً ضعيف، لأننا لا نسلم أن معناه الفرج، بل
عندنا معناه أتوا النساء، أو أتوا المحرث من أين شتم،

وَيُكْتَمُ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَاصُونَ» الشراء،
١٦٥، ١٦٦، وقال: لا يجوز أن يمدحهم إلى التضرع
بالأزواج عن الذكران، إلا وقد أباح منهن من الوطء
الخصوص مثل ما يتحس من الذكران.

وكذلك قالوا في قوله تعالى: «هَؤُلَاءِ بَنَاتُ مَنْ أَخْبَرُ
لَكُمْ» هود: ٧٨، وأنه لو لم يكن في بناته المعنى الملتصق
من الذكران ما جعلهن عوضاً عنه.

وهذا ليس بشيء، يُعتمد، لأنه يجوز أن يتضرع من
إتيان الذكران بذلك، من حيث كان له عنه عوض بنكاح
النساء في الفروج المعهود، كان فيه من الاستمتاع واللذة
مثل ما في غيره، وكذلك القول في الآية الأخرى.

الآثرى أنه كان يحسن التصريح بما ذكرناه، فيقول:
أَتَاتُونِ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ مِنَ الْوَطْءِ فِي الْكَيْلِ، لأنه عوض عنه ويغني
عن استعماله، على كل حال.

(رسائل الشريف المرتضى: ٢٢٢، ٢٢٤)
الطوسي: «أَنَّى يُشْتَمُّ» معناه من أين شتم، في
قول قتادة والزبيح. وقال مجاهد: معناه كيف شتم. وقال
الضحاك معناه: متى شتم.

وهذا خطأ عند جميع المفسرين، وأهل اللغة، لأن
(أَنَّى) لا يكون إلا بمعنى «من أين» كما قال: «أَنَّى لِيهِ هَذَا»
قالت هَوَيْتُ مِنْ عِنْدِ اللهِ آل عمران: ٣٧.

وقال بعضهم: معناه من أي وجه، واستشهد بقول
الكثير بن زيد:

أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ أَبْلَكَ الْعَرَبُ

من حيث لاصوبة ولا ريب

ويدخل فيه جميع ذلك.

ورابعها: قالوا: قوله في العيص: ﴿قُلْ هُوَ أَذَىٰ﴾
فَاغْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي النِّسَابِ: البقرة: ٢٢٢، فإذا حرم
للأذى في الدم، والأذى بالتجر أعظم منه.

وهذا أيضًا ليس بشيء، لأن هذا حمل الشيء على
غيره من غير علة، على أنه لا يمنع أن يكون المراد بقوله:
﴿قُلْ هُوَ أَذَىٰ﴾ البقرة: ٢٢٢، غير النجاسة، بل المراد أن
في ذلك مفسدة، ولا يجوز أن يحمل على غيره إلا بدليل
يوجب العلم على أن «الأذى» بمعنى النجاسة حاصل في
البول ودم الاستحاضة، ومع هذا فليس بمنهي عن
الوطء في الفرج.

ويقال: إن هذه الآية نزلت رداً على اليهود، وإن
الرجل إذا أتى المرأة من شلف في قُبُلها خرج الولد
أحمر، فأكذبهم الله في ذلك، ذكره ابن عباس وجابر
ورواه أيضًا أصحابنا. وقال الحسن: أنكر اليهود إتيان
المرأة قائمة، وباركة، فأمر الله لها حتى بعد أن يكون في
الفرج، وهو السبب الذي روي. ولا يمنع أن يكون
ما ذكرناه مباحاً، لأن غاية ما في السبب أن تطابقه الآية.
فإنما أن لا تنكحاه، فلا يجب عند أكثر المصلين.

(٢: ٢٢٣، ٢٢٤)

نحوه الطبرسي: (١: ٣٢٠)

الرَّامِسُ خَصْرِيٌّ: تمثيل، أي فأتوهن كما تأتون
أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم،
لا تحظر عليكم جهة دون جهة، والمعنى جامعوهن من أي
شق أردتم بعد أن يكون المأثق واحداً، وهو موضع
الحرث.

وقوله: ﴿هُوَ أَذَىٰ﴾ فَاغْتَرِلُوا النِّسَاءَ... مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمْ اللَّهُ: البقرة: ٢٢٢، ﴿فَاتَرُوا حَزَنَكُمْ أَلَىٰ شَيْئَمْ﴾
من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستعنة. وهذه
وأنبأها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن
يتعلموها ويتأدبوا بها، ويتكلموا مثلها في محاوراتهم
وسكاتهم.

ابن عطية: معناه عند جمهور العلماء - من صحابة
وتابعين وأئمة - من أي وجه شئتم، مُقْبِلَةً ومُدْبِرَةً وعلى
جَنَبِهِ، وأَيَّ إِنَّمَا تَجِبِيءُ سَوَالاً أو إخباراً عن ثمر له جهات،
فهو أعم في اللغة من كيف ومن أين ومن متى.

هذا هو الاستعمال العربي، وقد فسر الناس (ألى) في
هذه الآية بهذه الألفاظ، وفسرها سيئونه بكيف ومن
أي - باجتماعها. (١: ٢٩٩)

ابن القزويني: اختلف العلماء في جواز نكاح المرأة في
دبرها، فجوزوه طائفة كثيرة، وقد جمع ذلك ابن شعبان في
كتاب «جامع النسوان وأحكام القرآن» وأسد جواره
إلى زمرة كريمة من الصحابة والتابعين وإلى مالك، من
روايات كثيرة. [تم ذكر روايات في عدم الجواز]

(١: ١٧٣)

الفخر الرازي: [بعد نقل قول العلماء في جواز
الوطء وعدمه قال:]

حجة من قال بالجواز وجوه:
الحجة الأولى: التمسك بهذه الآية من وجهين:
الأول: أنه تعالى جعل الحرث اسماً للمرأة، فقال:
﴿يَسْأَلُكُمْ حَزَنُكُمْ﴾ فهذا يدل على أن الحرث اسم
للمرأة، لا للموضع المعلن، فلفظاً قال بعده: ﴿فَاتَرُوا

عَزَّوَكُمُ أَيُّ يَشْتَرِكُ كَانَ الْمُرَادُ فَأَتُوا نِسَاءَكُمْ أَيُّ شَيْئًا،
فَيَكُونُ هَذَا إِطْلَاقًا فِي إِيْتَابِهِ عَلَى جَمِيعِ الْوُجُوهِ، فَيَدْخُلُ
فِيهِ حَمْلُ التَّزَاجِ.

الوجه الثاني: أَنَّ كَلِمَةَ (أَيُّ) مَعْنَاهَا أَيْنَ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿وَأَيُّ لَبِّ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ جَنَّةِ اللَّهِ﴾ آل عمران: ٢٧
والتقدير: من أين لك هذا، فصار تقدير الآية: فَأَتُوا
مَحَرِّمَكُمْ أَيْنَ شَيْئًا. وكلمة «أَيُّ يَشْتَرِكُ» تدلُّ على تعدُّد
الْأُمُكِنَةِ، يُقَالُ: اجْلِسْ أَيْنَ شَيْئًا، وَيَكُونُ هَذَا تَحْيِيرًا بَيْنَ
الْأُمُكِنَةِ.

إِذَا ثَبِتَ هَذَا فَقَوْلُ: ظَهَرَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ حَمْلُ الْآيَةِ عَلَى
الْإِيْتَابِ مِنْ قُبُلِهَا فِي قُبُلِهَا، أَوْ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا، لِأَنَّ
عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ الْمَكَانَ وَاحِدًا، وَالتَّحْدِيدُ إِنَّمَا وَقَعَ فِي
طَرِيقِ الْإِيْتَابِ، وَاللَّفْظُ اللَّاتِقُ بِهِ أَنْ يُقَالَ: أَفْهَوْا إِلَيْهِ
كَيْفَ شَيْئًا، فَلَمَّا لَمْ يَكُنِ الْمَذْكُورُ هَاهُنَا لَفْظًا «كَيْفِيًّا» بَلْ
لَفْظًا «أَيُّ» وَثَبِتَ أَنَّ لَفْظَ «أَيُّ» مُتَعَرِّفٌ بِالتَّحْيِيرِ بَيْنَ
الْأُمُكِنَةِ، ثَبِتَ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مَا ذَكَرْتُمْ بَلْ مَا ذَكَرْنَا.

المحجة الثانية لهم: التمسك بعموم قوله تعالى: ﴿وَالْأُولَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ المومنون: ٦، ترك
العمل به في حقِّ المذكور لدلالة الإجماع، فوجب أن يبقى
معمولاً به في حقِّ النِّسَاءِ.

المحجة الثالثة: توافقتنا على أَنَّهُ لَوْ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: دُبُرِي
عَلَيَّ حَرَامٌ، وَتَوَيَّ الطَّلَاقَ، أَنَّهُ يَكُونُ طَلَاقًا، وَهَذَا
يَقْتَضِي كَوْنَ دُبُرِهَا حَلَالًا لَهُ، هَذَا مَجْمُوعُ كَلَامِ الْقَوْمِ فِي
هَذَا الْبَابِ.

أَجَابَ الْأَوَّلُونَ فَقَالُوا: الَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ إِيْتَابُ النِّسَاءِ فِي غَيْرِ الْمَأْنِيِّ

وَجُودًا

الأول: أَنَّ الْحَرْثَ اسْمٌ لِمَوْضِعِ الْمَرْأَةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ
لِلْمَرْأَةِ بِجَمِيعِ أَعْزَانِهَا لَيْسَتْ مَوْضِعًا لِلْحَرْثِ، فَاسْتَحْجَجَ
بِإِطْلَاقِ اسْمِ الْحَرْثِ عَلَى ذَاتِ الْمَرْأَةِ، وَيَقْتَضِي هَذَا الدَّكِيلُ
أَنْ لَا يُطْلَقَ لَفْظُ الْحَرْثِ عَلَى ذَاتِ الْمَرْأَةِ إِلَّا أَنَّا نَسْرِكُنَا
الْعَمَلَ بِهَذَا الدَّكِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَسْتَلُوكُمْ حَرْثُ لَكُمْ﴾، لِأَنَّ
اللَّهُ تَعَالَى صَرَّحَ هَاهُنَا بِإِطْلَاقِ لَفْظِ الْحَرْثِ عَلَى ذَاتِ
الْمَرْأَةِ، لَمَعْنًا ذَلِكَ عَلَى الْهَازِ الْمَشْهُورِ، مِنْ تَسْمِيَةِ كُلِّ
الشَّيْءِ بِاسْمِ جِزْمِهِ، وَهَذِهِ الصُّورَةُ مَفْقُودَةٌ فِي قَوْلِهِ:
﴿فَأَتُوا عَزَّوَكُمُ﴾، فُوجِبَ حَمْلُ الْحَرْثِ هَاهُنَا عَلَى
مَوْضِعِ الْمَرْأَةِ عَلَى التَّحْيِيرِ، ثَبِتَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَا دَلَالَهَ
فِيهَا إِلَّا عَلَى إِيْتَابِ النِّسَاءِ فِي الْمَأْنِيِّ.

الوجه الثاني: في بيان أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ
دَالَّةً عَلَى مَا ذَكَرْتُمْ، لَمَّا يَبَيَّنَّا أَنَّ مَا قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى
التَّحْيِيرِ بَيْنَ الْأُمُكِنَةِ، كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحدهما: قَوْلُهُ: ﴿قُلْ هُوَ أَذْيٌ﴾، وَالثَّانِي: قَوْلُهُ:
﴿فَأَتُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ البقرة: ٢٢٢، فَلَوْ دَلَّتْ
هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى التَّجْوِيزِ لَكَانَ ذَلِكَ جَمًّا بَيْنَ مَا يَدُلُّ عَلَى
التَّحْرِيمِ، وَبَيْنَ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّحْلِيلِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ،
وَالْأَصْلُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ.

الوجه الثالث: القروايات المشهورة في أَنَّ سَبَبَ نَزُولِ
هَذِهِ الْآيَةِ اخْتِلَافُهُمْ فِي أَنَّهُ هَلْ يَجُوزُ إِيْتَابُهَا مِنْ دُبُرِهَا فِي
قُبُلِهَا؟ وَسَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ لَا يَكُونُ خَارِجًا عَنْ الْآيَةِ،
فُوجِبَ كَوْنُ الْآيَةِ مُتَاوِلَةً لِهَذِهِ الصُّورَةِ، وَمَتَى حَمَلْنَاهَا
عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ لَمْ يَكُنْ بِنَا حَاجَةً إِلَى حَمْلِهَا عَلَى
الصُّورَةِ الْأُخْرَى، فَثَبِتَ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْآيَةِ

ليس ماذكروه، وعند هذا نبعت عن الوجوه التي تمسكوا بها على التفصيل.

أما الوجه الأول: فقد بينا أن قوله: ﴿فَأَتُوا خَزَنَكُمْ﴾ معناه فأتوا موضع الحرث.

وأما الثاني: فإنه لما كان المراد به الحرث في قوله: ﴿فَأَتُوا خَزَنَكُمْ﴾ ذلك الموضع الممتن، لم يكن حمل ﴿أَنِّي سِتُّمْ﴾ على التخيير في المكان، وعند هذا يضر فيه زيادة، وهي أن يكون المراد من ﴿أَنِّي سِتُّمْ﴾، فيضمر لفظة «من» لا يقال: ليس حمل لفظ الحرث على حقيقته، والتزام هذا الإضمار أولى من حمل لفظ الحرث على المرأة على سبيل المجاز، حتى لا يلزمنا هذا الإضمار، لا نأقول:

بل هذا أولى، لأن الأصل في الإيضاح الحرمة.

وأما الثالث فجوابه: أن قوله: ﴿إِلَّا عَلَى زَوْجِكُمْ أَوْ عَلَى مَن يَخْتَارُ﴾ المؤمنون: ٦٤، عاب، ودلائلنا خاصة، والخاص مقدم على العام.

وأما الرابع فجوابه: أن قوله: ﴿مُرْكٌ عَلَيَّ حَرَامٌ﴾ إنما صلح أن يكون كناية عن الطلاق، لأنه محل لعل الملازمة والمضاجعة، فصار ذلك كقوله: يدك طالق، والله أعلم. واختلف المفسرون في تفسير قوله: ﴿أَنِّي سِتُّمْ﴾ والمشهور ما ذكرناه، أنه يجوز للزوج أن يأتيها من قبلها في قبلها، ومن دبرها في قبلها. والثاني: أن المعنى أنني وقت سِتُّم من أوقات الحل، يعني إذا لم تكن أجنبية، أو محرمة، أو صائمة، أو حائضًا، والثالث: أنه يجوز للرجل أن ينكحها قائمة أو باركة، أو مضطجعة، بعد أن يكون في الفرج. الرابع: قال ابن عباس: المعنى إن شاء عزل، وإن شاء لم يعزل، وهو منقول عن سعيد بن المسيب، الخامس:

متى سِتُّم من ليل أو نهار.

فإن قيل: فما المختار من هذه الأقاويل؟

قلنا: قد ظهر عن المفسرين أن سبب نزول هذه الآية هو أن اليهود كانوا يقولون: من أتى المرأة من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله تعالى هذا لتكذيب قولهم، فكان الأولى حمل اللفظ عليه. وأما الأوقات فلا تدخل لها في هذا الباب، لأن (أَنِّي) يكون بمعنى متى، ويكون بمعنى كيف، وأما العزل وخلافه فلا يدخل تحت (أَنِّي) لأن حال الجماع لا يختلف بذلك، فلا وجه لحمل الكلام إلا على ما قلنا. (٦: ٧٥-٧٨)

أبو حيان: لم يرد نقل كلام الفقهاء في جواز وطء المرأة وحرمتها، ذكر كلام الرضا شريفي ثم قال:

وهو حسن، قالوا: والمائل في (أَنِّي) (فَأَتُوا)، وهذا الذي قالوه لا يصح، لأننا قد ذكرنا أنها تكون استثناءً أو شرطاً، لا جائز أن تكون هنا شرطاً، لأنها إذا كانت ظرف مكان، فيكون ذلك مبيحاً لإتيان النساء في غير القبل، وقد ثبت تحريم ذلك عن رسول الله ﷺ وعلى تقدير الشرطية يستتبع أن يعمل في الطرف الشرطي ما قبله، لأنه معمول لفعل الشرط، كما أن فعل الشرط معمول له.

ولاجتماع أن يكون استثناءً، لأنها إذا كانت استثناءً اكتضت بما بعدها من فعل، كقوله: ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ آل عمران: ٤٧، أو من اسم كقوله: ﴿أَنِّي لَكِ هَذَا﴾ آل عمران: ٣٧، ولا يقتصر إلى غير ذلك، وهنا يظهر افتقارها وتعلقها بما قبلها، وعلى تقدير أن يكون استثناءً لا يحمل فيها ما قبلها وإنما تكون معمولاً للفعل

بعدها فتبين على وجهي (أَنَّى) أنها لا تكون مسمولة لما قبلها، وهذا من المواضع المشكلة أَنَّى تحتاج إلى فكر ونظر.

والذي يظهر - والله أعلم - أنها تكون شرطاً لافتقارها إلى جملة غير الجملة أَنَّى بعدها، وتكون قد جعلت فيها الأحوال كجعل الظروف المكانيّة، وأجريت مجراها تشبيهاً للحال بالظرف المكانيّ.

وقد جاء تظير ذلك في لفظ «كَيْفَ» خرج به عن الاستلزام إلى معنى الشرط في قولهم: كَيْفَ تكون أكون، وقال تعالى: ﴿بَلْ يَدَّاءُ مَكْشُوطَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ المائدة: ٦٤، فلا يجوز أن تكون هنا استفهاماً وإنما لحظ فيها معنى الشرط وارتباط الجملة بالأخرى، وجواب الجملة محذوف ويدل عليه ما قبله، تقديره: أَنَّى تستمر فأثروه، وكَيْفَ يشاء، ينفق، كما حذف جواب الشرط في قولك: اضرب زيداً أَنَّى لقيته، التقدير: أَنَّى لقيته فأضربه.

فإن قلت: قد أُخرجت (أَنَّى) عن الطريقيّة الحقيقيّة وأبقيتها لتسميم الأحوال مثل «كَيْفَ» وجعلتها مقتضية لجملة أخرى كجملة الشرط، فهل الفعل الماضي الذي هو (استمر) في موضع جزم كحالها إذا كانت ظرفاً، أم هو في موضع رفع كهو بعد «كَيْفَ» في قولهم: كَيْفَ تصنع أصنع؟

فالجواب: أنه يحتمل الأمرين، لكن يرجح أن تكون في موضع جزم، لأنه قد استقرّ الجزم بها إذا كانت ظرفاً صريحاً غاية ما في ذلك تشبيه الأحوال بالظروف، وبينها علاقة واضحة، إذ كلّ منها على معنى «في» بخلاف

«كَيْفَ» فإنه لم يستقرّ فيها الجزم، ومن أجاز الجزم بها فأتى ما قاله بالقياس، والمحفوظ عن العرب الرفع في الفعل بعدها، حيث يقتضي جملة أخرى. (٢: ١٧٦)

الكاشاني: [بعد نقل روايتين عن الإمام الصادق والإمام الرضا عليهما السلام كما تقدم، قال:]

لامتافاة بين الروايتين، لأن المراد بالأولى نبي دلالة هذه الآية على حلّ الأدبار، والمراد بالثانية نبي دلالة قوله تعالى: ﴿مَنْ حَتَّ أَتْرَكُمُ اللَّهُ﴾ البقرة: ٢٢٢ على حرمتها.

وأما تلاوته هذه الآية عقيب ذلك فاستنباه منه بها على أن الله سبحانه إنما أراد طلب الولد إذ سمّاهن المحرّف، ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿مَنْ حَتَّ أَتْرَكُمُ اللَّهُ﴾ البقرة: ٢٢٢، إشارة إلى الأمر بالمباشرة، وطلب الولد في قوله سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتْرَكُوا﴾ البقرة: ١٨٧.

وفي الرواية الثانية إشارة إلى أن المتوقف حله على التسطّر هو موضع الحرث خاصة دون سائر المواضع. (١: ٢٣٢)

الألوسي: اختار بعض المحققين كونها هنا بمعنى «من أين» أي من أي جهة، ليدخل فيه بيان التزول، والقول بأن الآية حيث تكون دليلاً على جواز الإتيان من الأدبار ناشئ من عدم التدبر في أن «من» لازمة إذ نال، فبصير المعنى، من أي مكان، لا في أي مكان، فيجوز أن يكون السخاخ حيث تعميم الجهات من التّدَام والمكثف والمقروق والتحت واليسمين والشّبال، لتعميم مواضع الإتيان.

فلادلل في الآية لمن جوز إتيان المرأة في دبرها كابن عمر - والأخبار عنه هي ذلك صحيحة مشهورة، والزوايات عنه بخلافها على خلافها - وكان أبي مليكة، وعبد الله بن القاسم - حتى قال فيما أخرجه الطحاوي عنه: ما أدركت أحداً لفتدي به في ديني، يشك في أنه حلال وك- مالك بن أنس - حتى أخرج الخطيب عن أبي سليمان الجوزجاني أنه سأله عن ذلك، فقال له: الساعة فسلت رأس ذكرى عنه - وكبعض الإمامية لا كلهم - كما يظنه بعض الناس ممن لا خبرة له بمذهبيهم - وكثيرون من المالكية - والباقي من أصحاب مالك ينكرون رواية الحل عنه، ولا يقولون به.

وباليت شرعي كيف يستدل بالآية على الحرمان ما ذكرناه فيها ومع قيام الاحتمال، كيف يستدل الاستدلال لاسيما وقد تقدم قبل وجوب الاعتزال في المحيض وحلل بأنه أذى مستقدر، تنزع الطباع السليمة عنه، وهو يقتضي وجوب الاعتزال عن الإتيان في الأدبار لاشتراك الملة، ولا يقاس ما في المحاش من الفضلة بدم الاستحاضة، ومن قاس فقد أخطأت إسته العبرة لظهور الاستقذار، والثمرة مما هي الصحاش دون دم الاستحاضة، وهو دم اغجار العرق كدم الجرح.

وعلى فرض تسليم أن (أني) تدل على تعميم مواضع الإتيان - كما هو الشائع - يجاب بأن التقييد بمواضع الحرث يدفع ذلك، فقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبيرة، قال: بينا أنا ومجاهد جالسان عند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إذ أتاه رجل فقال: ألا تثنيني من آية المحيض؟ قال: بلى، فقرأ:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ فِي الْمَحِيضِ﴾ إلى ﴿فَأَقْوَصُ شَرِّهُ﴾ أفتركم الله؟ البقرة: ٢٢٢. فقال ابن عباس، من حيث جاء الدم من ثم أمرت أن تأتي، فقال: كيف بالآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْهُ﴾ فأتوا عزائمكم أني شتم؟ البقرة: ٢٢٣. فقال: ويحك، وفي الدبر من حرث، لو كان ما تقول حقاً لكان المحيض منسوخاً، إذا شغل من هاهنا جئت من هاهنا، ولكن (أني شتم) من الليل والنهار.

وما قيل: من أنه لو كان في الآية تعين الفرج لكونه موضع الحرث للزم تحريم الوطء بين الشافعين وفي الأعكان، لأنها ليست موضع حرث كالصالحين، مدفوع بأن الإبناء فيما عدا الصغامين لا يعد في العرف جماعاً ووطء، والله تعالى قد حرم الوطء والجماع في غير موضع الحرث لا الاستثناء، فحرمة الاستثناء بين الشافعين وفي الأعكان لم تعلم من الآية إلا أن يعد ذلك إتياناً وجماعاً وأني به!

ولأنك في منزلة من هذا، وبه يعلم ما في مناظرة الإمام الشافعي، والإمام محمد بن الحسن؛ فقد أخرج الحاكم من عهد الحكم أن الشافعي ناظر محمدًا في هذه المسألة، فاحتج عليه ابن الحسن بأن الحرث إنما يكون في الفرج. فقال له: أفهكون ما سوى الفرج محرماً فالتزمه؟ فقال: أرأيت لو وطأها بين ساقها أو في أعكانها أو في ذلك حرث؟ قال: لا. قال: أفيحرم؟ قال: لا. قال: فكيف تحتج بما لا تقول به. وكأني من هنا قال الشافعي فيها حكاه عنه الطحاوي، وأما مالك، والخطيب لسا سئل عن ذلك: ما صح عن النبي ﷺ تحليله ولا تحريمه شيء، والقياس أنه حلال.

فَأَنسَى تُشْعِرُونَ» المؤمنون: ٨٩ فكيف ومتى توفكون وتسعرون وتصرفون؟

﴿قَالَ يَاقَزِيمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ آل عمران: ٣٧ كيف ومتى تهبأ هذا الرزق وحضر عندك؟

ويمح أن يكون بمعنى المكان «أين» مجازاً.
(١: ١٥٤، ١٥٥)

٢- أَوْ كَأَلَّذِي مَرَّ عَلَيَّ قَرْيَةً وَهِيَ خَبَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا...

البقرة: ٢٥٩
الطبري، معنى ذلك أن قائله لسمار بيت المقدس، أو بالموضع الذي ذكر الله أنه مر به خراباً بعد ما عهد، هامراً، قال: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟﴾ فقال: بعضهم كان قبلة ما قال من ذلك شكاً في قدرة الله على إحيائه، فأراه الله قدرته على ذلك، بضربه المثل له في نفسه، ثم أراه الموضع الذي أنكر قدرته على عمارته وإحيائه، أحيا ما رآه قبل خرابه، وأمر ما كان قبل خرابه.
(٣: ٣٦)

الطوسي: معناه كيف، وذلك يدل على أن (أنسى) في قوله: ﴿فَأَنسَى تُشْعِرُونَ﴾ البقرة: ٢٢٣، معناه كيف شتم، دون ما قاله بعضهم من أن معناه حيث شتم، لأن معناه هاهنا لا يكون إلا على «كيف». ولقائل أن يقول: إن اللفظ مشترك وإنما يستفاد بحسب مواضعه. وقال الزجاج: معناه «من أين» في الموضعين. (٢: ٣٢١)
الزمخشري: اعتراف بالسج من معرفة طريقته

وهذا خلاف ما عرف من مذهب الشافعي، فإن رواية التميمي عنه مشهورة، فقلعه كان يقول ذلك في القديم ورجع عنه في الجديد، لما صح عنه من الأخبار، أو ظهر له من الآية. (٢: ١٢٤، ١٢٥)

الطباطبائي: «أنى» من أسماء الشرط يستعمل في الزمان كمتى، ودرهما يستعمل في المكان أيضاً، قال تعالى: ﴿يَقُولُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ آل عمران: ٣٧، فإن كان بمعنى المكان كان المعنى من أي محل شتم، وإن كان بمعنى الزمان كان المعنى في أي زمان شتم. وكيف كان، يفيد الإطلاق بحسب معناه، وخاصة من حيث تقيده بقوله: (شتم) وهذا هو الذي يمنع الأمر، أعني قوله تعالى: ﴿فَأَنسَى تُشْعِرُونَ﴾ أن يدل على الوجوب، إذ لا معنى لإيجاب فعل مع إرجاعه إلى اختيار المكلف ومشيئته. (٢: ٢١٢)

المصطفوي: الظاهر أن هذه الكلمة تدل على الاستفهام في مقام التحقيق، في مورد يناسب الزمان والوقت، وقد وردت في القرآن المجيد في (٢٨) مورداً، وهذا المعنى هو الأنسب في جميعها.

﴿يَسْأَلُكُمْ عَمَلُكُمْ لَكُمْ فَاَنْتُمْ عَمَلُكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ كيف وفي أي زمان شتم؟

﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ البقرة: ٢٥٩، كيف وفي أي وقت يحييها الله؟

﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ آل عمران: ٤٠، كيف ومتى يكون لي غلام؟

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنسَى تُؤَفِّكُونَ﴾ فاطر: ٣، ﴿مُؤَمِّدَةً فَأَنسَى تُؤَفِّكُونَ﴾ يونس: ٢٤، ﴿سَيَقُولُونَ لَوْ لَمْ

الإحياء، واستعظام لقدرة المسيحي. (١: ٢٨٩)

الطُّبْرَسِيّ؛ أي كيف يُحترق الله هذه القرية بعد خرابها؟ وقيل: كيف يُحيي الله أهلها بعد ما ماتوا. وأطلق لفظ القرية وأراد به أهلها. كقوله: ﴿وَسُئِلَ الرَّسُولُ يُوْسُفَ: ٨٢، ولم يقل ذلك إنكاراً ولا تعجباً ولا لرتيابة. ولكنه أحب أن يرى الله إحياءها مشاهدة، كما يقول الواحد منا: كيف يكون حال الناس يوم القيامة، وكيف يكون حال أهل الجنة في الجنة، وكيف يكون حال أهل النار في النار؟ وكقول إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ البقرة: ٢٦٠. أحب أن يرى الله إحياء الموتى مشاهدة ليحصل له العلم به ضرورة، كما حصل العلم دلالة، لأن العلم الاستدلالي ربما اعتورته الشبهة.

(١: ٢٧٠)

الفَخْرُ الرَّازِيّ؛ هذا كلام من يستبطن من الله

الإحياء بعد الإماتة، وذلك كفر.

فإن قيل: يجوز أن ذلك وقع منه قبل البلوغ.

قلنا: لو كان كذلك لم يجر من الله تعالى أن يُعجب رسوله منه؛ إذ العجب لا يصحب من شك في مثل ذلك. وهذه الحجة ضعيفة لاحتمال أن ذلك الاستبعاد ما كان بسبب الشك في قدرة الله تعالى على ذلك، بل كان بسبب اضطراب الماديات في أن مثل ذلك الموضع المخراب قلما يُصير به الله معموماً. وهذا كما أن الواحد منا يشير إلى جبل، فيقول: متى يقلبه الله ذهباً أو يافوئنا، لأن مراده منه الشك في قدرة الله تعالى، بل على أن مراده منه أن ذلك لا يقع ولا يحصل في سطر العادات، فكذلك ما هنا.

(٧: ٣٠، ٣٦)

الْقُرْطُبِيُّ؛ معناه من أي طريق وبأي سبب، وظاهر اللفظ السؤال عن إحياء القرية بعبارة وسكان، كما يقال الآن في المدن الخربة التي يبعد أن تُسمر وتُسكن: أتى تُعمر هذه بعد خرابها؟ فكان هذا تلخُّف من الواقف المستعبر على مدبته التي عهد فيها أهله وأحبته، وضرب له المثل في نفسه بما هو أعظم ممَّا سأل عنه، والمثال الذي ضرب له في نفسه يحتمل أن يكون على أن سؤاله إنما كان على إحياء الموتى من بني آدم، أي أتى يُحيي الله موتاهما؟ وقد حكى الطُّبري عن بعضهم أنه قال: كان هذا القول شكاً في قدرة الله تعالى على الإحياء، فلذلك ضرب له المثل في نفسه.

قال ابن عطية: وليس يدخل شك في قدرة الله تعالى على إحياء قرية يطلب العبارة إليها، وإنما يتصور الشك من جاهل في الوجه الآخر، والصواب ألا يتأول في الآية (٣: ٢٩٠)

زُهَيْدٌ وَهَّاءٌ؛ يتمتع من ذلك ويعدّه غريباً.

لا يكاد يقع. (٣: ٤٩)

الطُّبَّاطِبَائِيّ، أي أتى يُحيي الله أهل هذه القرية؟ فيه بمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَسُئِلَ الرَّسُولُ يُوْسُفَ: ٨٢

وإنما قال هذا القول استعظاماً للأمر ولقدرة الله سبحانه، من غير استبعاد يؤدي إلى الإنكار أو ينشأ منه، والذليل على ذلك قوله على ما حكى الله تعالى عنه في آخر القصة: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ٢٥٩، ولم يقل: الآن، كما في ما يائنه من قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿إِنِّي خَشِيتُ الْمَنَى﴾

يوسف: ٥١، وسيجيء توضيحه قريباً.

على أن الرجل نبيّ مكلم وآية مبعوثه إلى الناس،
والأنبياء معصومون حاشاهم عن الشك والارتياب في
البعث، الذي هو أحد أصول الدين. (٣٦١: ٢)

٢- قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ
الله. آل عمران: ٣٧

ابن عباس: إنه وجد عندها الفاكهة الفضة، حين
لا توجد الفاكهة عند أحد، فكان زكريّا يقول: يا مريم أنى
لك هذا؟ (الطبري ٣: ٢٤٧)

أبو عبيدة: أي من أين لك هذا. [تم استشهد
بشعر]

الطبري: قال زكريّا: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا؟﴾ من
أي وجه لك هذا الذي أرى عندك من الرزق؟ قالت:

مريم بحية له: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ تعني أن الله هو الذي
رزقها ذلك، فسأفه إليها وأعطاهما. وإنما كان زكريّا يقول

ذلك لما، لأنه كان - فيما ذكر لنا - يخلق عليها سبعة
أبواب، ويخرج ثم يدخل عليها فيجد عندها فاكهة

الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء فكان
يعجب بما يرى من ذلك، ويقول لها تعجباً مما يرى:

﴿أَنَّى لَكَ هَذَا؟﴾ فتقول: ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾. (٣: ٢٤٧)

النجاشي: قال أبو عبيدة: المعنى من أين لك؟
وهذا القول فيه تساهل، لأن «أين» سؤال عن

المواضع و«أنى» سؤال عن المذاهب والجهات، والمعنى
من أي المذاهب ومن أي الجهات لك هذا؟ [تم استشهد
بشعر]

الطبري: معناه من أين لك. وقال قوم: معناه كيف
لك، والأول أظهر. (٢: ٤٤٨)

نحوه الطبري: من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه
أرزاق الدنيا، وهو آت في غير حينه، والأبواب مغلقة

عليك، لا سبيل للدخول به إليك؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ
الله﴾ فلا تستبعد.

قيل: تكلمت وهي صغيرة، كما تكلم عيسى وهو في
المهد.

وعن النبي ﷺ: «أنت جاع في زمن فحط فأهدت له
فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم أثمرته بها.

فخرج بها إليها، وقال: هلتي يا نبيّة، فكشفت عن الطبق
فإذا هو مملوء خبزاً ولحماء فبهت وعلمت أنها نزلت

من عند الله. فقال لها ﷺ: أنى لك هذا؟ فقالت: هو من
عند الله عز وجل يرزق من يشاء بغير حساب. فقال عليه

السلام: الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء
بني إسرائيل. ثم جمع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب

والحسن والحسين وجميع أهل بيته فأكلوا عليه حتى
شبهوا وبقى الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة صلب

جيرانها. (١: ٤٢٧)

أبو حيان: استغرب زكريّا وجود الرزق عندها وهو
لم يكن أتى به، وتكرّر وجوده عندها كلما دخل عليها.

فسأل على سبيل التعجب من وصول الرزق إليها وكيف
أتى هذا الرزق.

و«أنى» سؤال عن الكيفية وعن المكان وعن
الزمان، والأظهر أنه سؤال عن الجهة، فكأنه قال: من أي

جهة لك هذا الرزق، ولذلك قال أبو عبيدة: معناه من أين، ولا يبعد أن يكون سؤالاً عن الكيفية، أي كيف تهباً وصول هذا الرزق إليك؟ [نم استشهد بشعر] (٤٤٣: ٢) رشيد رضا: أي من أين لك هذا، والأيتام أيتام قحط.

قال الأستاذ الإمام ماثلاً مبوطاً: إن القرآن نزل سائفاً يسهل على كل أحد فهمه، من غير حاجة إلى حناء ولا ذهاب في الدفاع عن شيء خلاف الظاهر؛ فلعينا أن لا نخرج عن سنته ولا نضيف إليه حكايات إسرائيلية أو غير إسرائيلية لجعل هذه القصة من خوارق العادات، والبحث عن ذلك الرزق ماهو، ومن أين جاء؟ فضرر لا يحتاج إليه لفهم المعنى ولا يزيد العبث، ولو علم الله أن في بيانه خيراً لنا ليته.

الطباطبائي: قوله: ﴿قَالَ يَا عِزِّمَ أَيُّ لَكَ هَذَا...﴾ فضل الكلام من غير أن يحلف على قوله: ﴿وَجَدَ يَتَقَبَّلُهَا رِزْقًا﴾ يدل على أنه ^١ إنما قال لها ذلك مرة واحدة فأجابته بما قطع به، واستيقن أن ذلك كرامة لها، وهنالك دعا وسأل ربه فريته طيبة. (١٧٥: ٣)

١- قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وأمرأتى عاقرة قال كذلك الله يفعل ما يشاء.

آل عمران: ٤٠
حكيمته: أتاه الشيطان، فأراد أن يكدر عليه نعمة ربه، فقال: هل تدري من ناداك؟ قال: نعم، ناداني ملائكة ربي. قال: بل ذلك الشيطان، لو كان هذا من ربك لأخفاه إليك كما أخفيت نداءك. فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لى آية﴾ آل

عمران: ٤١، فكان قوله ما قال من ذلك، ومراجعته ربه فيها راجع فيه بقوله: ﴿أَنْ يَكُونَ لى غلام﴾ للموسوسة التي خالطت قلبه من الشيطان، حتى خيلت إليه أن النداء الذي سمعه كان نداء من غير الملائكة، فقال: ﴿رَبِّ أَنْ يَكُونَ لى غلام﴾ مستبثاً في أمره، ليتقرر عنده بآية. يريه الله في ذلك أنه بشارة من الله على الشن ملائكتك، ولذلك قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لى آية﴾ (١)

(الطبري ٣: ٢٥٨)

الحسن: من أي وجه يكون لى الولد؟ أي يكون بإزالة العمر عن زوجتي، ورد شبابي؟ أم يأتي ونحن على حالنا؟ فكان ذلك على سبيل الاستعلام، لا على وجه الشك.

مثله ابن الأنباري، وابن كيسان.

(ابن الجوزي ١: ٣٤٨)

الشكوى: لما سمع النداء، يعني ذكرنا لما سمع نداء الملائكة، بالشارة بيحيى، جاءه الشيطان فقال له: يا ذكرنا إن الصوت الذي سمعت، ليس هو من الله، إنما هو من الشيطان يسخر بك، ولو كان من الله أوحاه إليك، كما يوحى إليك في غيره من الأمور، فشكك مكانه، وقال: ﴿أَنْ يَكُونَ لى غلام﴾ ذكرنا يقول: ومن أين ﴿وَقَدْ بَلَغَنى الكبر وأمرأتى عاقرة﴾؟ (الطبري ٣: ٢٥٧)

الطبري: فإن قال قائل: وكيف قال ذكرنا وهو نبي الله: ﴿رَبِّ أَنْ يَكُونَ لى غلام وَقَدْ بَلَغَنى الكبر وأمرأتى عاقرة﴾ وقد بشرته الملائكة بما بشرته به، عن أمر الله إياها به؟ أنك في صدقهم؟ فذلك ما لا يجوز أن يوصف به

(١) هنا مخالف لصحة الأشياء وقد وده الشرع والعقل.

وتقديره: كذلك الأمر الذي أنت عليه بفعل الله ما يشاء، هذا قاله الحسن.

وقيل في وجه آخر: وهو أنه قال على وجه الاستعظام لمقدور الله، والتعجب الذي يحدث للإنسان عند ظهور آية عظيمة من آيات الله، كما يقول القائل: كيف سمحت نفسك بإخراج الملك القيس من يدك؟ نتيجة من جوده، واعتزافاً بهظمه.

وقال بعضهم: إن ذلك إنما كان للوسوسة التي خالطت قلبه من قتل الشيطان، حتى خيلت إليه أن النداء كان من غير الملائكة. وهذا لا يجوز، لأن النداء كان على وجه الإعجاز على عادة الملك فيما يأتي به من الوحي عن الله، والأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم تلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الإلهام فلا يعرفوا نداء ملك من نداء شيطان لو إنسان.

الزهري: استجابه من حيث العادة، كما قالت مريم.

الطبرسي: أي من أين يكون، وقيل: كيف يكون. [إلى أن قال:]

ويحتمل أن يكون اشتبه الأمر عليه أيطيه الولد من امرأته الصبور أم من امرأة أخرى شائسة، فقال الله: (كذلك).

الفخر الرازي: لما كان زكريا عليه السلام هو الذي سأل الولد، ثم أجابه الله تعالى إليه، فليتم تعجب منه ولم يستعده؟

الجواب: لم يكن هذا الكلام لأجل أنه كان شاكاً في قدرة الله تعالى على ذلك، والدليل عليه وجهان:

أهل الإيمان بالله، فكيف الأنبياء والمرسلون؟ أم كان ذلك منه استنكاراً لقدرة ربه، فذلك أعظم في البلية؟

قيل: كان ذلك منه عليه السلام على غير ما ظننت، بل كان قبله ما قال من ذلك. [ثم نقل قول الشدي وجكرمة إلى أن قال:]

وقد يجوز أن يكون قبله ذلك مسألة منه ربه: من أي وجه يكون الولد الذي بشر به، لمن زوجته هي عاقر، أم من غيرها من النساء؟ فيكون ذلك على غير الوجه الذي قاله عكرمة والشدي، ومن قال مثل قولها.

(٣: ٢٥٧، ٢٥٨)

النجاشي: يقال: كيف استنكر هذا وهو نبي، يعلم أن الله يفعل ما يريد؟ ففي هذا جريان:

أحدهما: أن المعنى يأتي ملائمة استوجبت هذا على التواضع له. وكذلك قيل في قول مريم: «أَنْتَ تَكُونُ لِي وَكَيْدًا وَلَمْ يُحَسِّنْ بَشَرًا» آل عمران: ٤٤٧

والجواب الآخر: أن زكريا أراد أن يعلم هل بُرء شائسا؟ وهل تُرَدُّ امرأته؟ وهل يرزقها الله ولداً من غير رد؟ أو من غيرها؟

فأعلمهم الله عز وجل أنه يرزقها ولداً من غير رد، فقال عز وجل: «كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ». (١: ٣٩٥)

الطبرسي: إن قيل: لم راجع هذه المراجعة مع ما بشره الله تعالى بأنه يجب له ذرية طيبة، وجد أن سأل ذلك؟

قيل: إنما راجع ليعرف على أي حال يكون ذلك أيرده إلى حال الشباب ولامرأته، أم مع الكبر، فقال الله تعالى: «كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ» أي على هذه الحال،

الأول: أن كلَّ أحد يعلم أن خلق الولد من الطفة إنما كان على سبيل العادة، لأنه لو كان لا نطفة إلا من خلق، ولا خلق إلا من نطفة، لزم التسلسل ولزم حدود الحوادث في الأزل، وهو محال، فحملنا أنه لابد من الانتهاء إلى مخلوق خلقه الله تعالى لامن نطفة، أو من نطفة خلقها الله تعالى لامن إنسان.

والوجه الثاني: أن ذكرنا **تعالى** طلب ذلك من الله تعالى، فلو كان ذلك محالاً لمتنا لما طلبه من الله تعالى. فثبت بهذين الوجهين أن قوله: **﴿أَنْتَ بِكَوْنِ لِي غَلَامٌ﴾** ليس للاستبعاد، بل ذكر الطلاء فيه وجوهاً:

الأول: أن قوله **﴿أَنْتَ﴾** معناه من أين، ويحتمل أن يكون معناه كيف تُعطى ولداً على القسم الأول أم على القسم الثاني؛ وذلك لأن حدود الولد يحتمل وجهين أحدهما: أن يسميه الله سبحانه، ثم يُعطيه الولد مع شيخوخته، فقوله: **﴿أَنْتَ بِكَوْنِ لِي غَلَامٌ﴾** معناه كيف تُعطى الولد على القسم الأول، أم على القسم الثاني، فقول له: (كذلك)، أي على هذه الحال، **﴿وَاللَّهُ يَخْفَلُ مَا يَشَاءُ﴾**، وهذا القول ذكره الحسن والأصم.

والثاني: أن من كان آيئاً من الشيء، مستبعداً لمصوله ووقوعه، إذا اتفق أن حصل له ذلك المقصود فربما صار كالمدهوش من شدة الفرح، فيقول: كيف حصل هذا؟ ومن أين وقع هذا؟ كمن يرى إنساناً وجهه أموالاً عظيمة، يقول: كيف وهبت هذه الأموال؟ ومن أين جمعت تلك يهبتها؟ فكذا هاهنا لما كان ذكرنا **تعالى** مستبعداً لذلك، ثم اتفق إجابة الله تعالى إليه، صار من عظم فرحه وسروره، قال ذلك الكلام.

الثالث: أن الملائكة لما بشروه يحيى، لم يعلم أنه يُرزق الولد من جهة أنثى أو من صلبه ^(١)، فذكر هذا الكلام لذلك الاحتمال.

الرابع: أن العبد إذا كان في غاية الاشتياق إلى شيء فطلبه من السيد، ثم إن السيد يدهه بأنه سيُعطيه بعد ذلك، فالتأمل بسامع ذلك الكلام، فربما أعاد السؤال ليبيد ذلك الجواب، فحينئذ يلتفت بسامع تلك الإجابة مرة أخرى، فالتسبب في إعادة ذكرنا هذا الكلام يحتمل أن يكون من هذا الباب.

الخامس: نقل عن سفيان بن عُيينة أنه قال: كان دعاءه قبل البشارة بسنتين سنة حتى كان قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة، فليست سمع البشارة زمان الشيخوخة لاجرم استبعد ذلك على مجرى العادة، لانكسار في قدرة الله تعالى، فقال ما قال.

السادس: نقل عن السدي أن ذكرنا **تعالى** جاءه الشيطان عند سماع البشارة فقال: إن هذا الصوت من الشيطان، وقد سخر منك، فاشتبه الأمر على ذكرنا **تعالى** فقال: **﴿وَرَبِّ أَنْتَ بِكَوْنِ لِي غَلَامٌ﴾**؟ وكان مقصوده من هذا الكلام أن يريه الله تعالى آية تدل على أن ذلك الكلام من الوحي والملائكة، لامن إلقاء الشيطان.

قال القاضي: لا يجوز أن يُشبه كلام الملائكة بكلام الشيطان عند الوحي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ إذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق من كل الفرائع، ويمكن أن يقال: لما قامت المعجزات على صدق الوحي في كل ما يتعلق بالدين، لاجرم حصل الوثوق

لكنه كالمدهوش عند حصول ما كان مستبعداً له عادة.
الخامس: إنما سأل لأنه كان عاجزاً عن الجماع لكبر
سنه، فسال ربه هل يقويه على الجماع وامراته على
القبول على حال الكبر؟

السادس: سأل هل يرزق الولد من امرأته العاقر أم
من غيرها؟

السابع: أنه لما بشر بالولد أتاه الشيطان ليكدر عليه
نعمه ربه، فقال له: هل تدري من ناداك؟ قال: ملائكة
ربي. قال له: بل ذلك الشيطان، ولو كان هذا من عند ربك
لأخفاه لك، كما أخفيت نداءك، فخالطت قلبه وسوسة،
فقال: «أَنْ يَكُونَ لِي غَلَامٌ» ليعين الله له أنه من الوحي،
قاله جبرئيل والسدي.

قاله القاضي: لو استند على الرسل كلام الملك بكلام
الشيطان لم يبق الوثوق بجميع الشرائع.

وأجيب: بأن ما قاله لا يلزم، لاحتمال أن تقوم
المعجزة على الوحي بما يتعلق بالدين، وأما ما يتعلق
بمصالح الدنيا فربما لا يؤكد بالمعجزة، فيبقى الاحتمال؛
فيطلب زواله.

وقال الزمخشري: استبعاد من حيث العادة، كما
قالت مريم، انتهى.

وعلى ما قاله لو كان استبعاداً لما سأله بقوله: «وَهَبْ
لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» آل عمران: ٣٨، لأنه لا يسأل
إلا ما كان ممكناً لامسماً الأنبياء، لأن خرق العادة في
حَقِّهم كثير الوقوع. (٢: ٤٤٩، ٤٥٠)

وشيد وضاء قالوا: إن السؤال للتعجب، وأكثر وا في
ذلك السؤال والجواب، [وقد تقدم في الآية السابقة]

هناك بأن الوحي من الله تعالى بواسطة الملائكة
ولامدخل للشيطان فيه. أما ما يتعلق بمصالح الدنيا
وبالولد فربما لم يتأكد ذلك المعجز، فلا جرم بقي احتمال
كون ذلك من الشيطان، فلا جرم رجع إلى الله تعالى في أن
يزيل عن خاطره ذلك الاحتمال. (٨: ٤٠، ٤١)

أبو حنيفة: كان قد تقدم سؤاله ربه «وَهَبْ لِي
مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» آل عمران: ٣٨، فلاحظ في
إمكانية ذلك وجوازه، وإذا كان ذلك ممكناً وبشروته به
الملائكة فما وجه هذا الاستفهام؟ وأجيب بوجوه:

أحدها: أنه سؤال عن الكيفية، والمعنى أي ولد لي
على من الشيوخة وكون امرأتي عاقراً، أي بلغت من
من لائله، وكان قد بلغ تسماً وتحمين سنه، وامراته
بلغت ثمانين وتسعين سنة؟! وقال ابن عباس: كان يوم
بشر، ابن عشرين ومائة سنة. وقال الكلبي: ابن لستين
وتسعين سنة، أم أعاد أنا وامراتي إلى من الشيوخة ومهنة
من يولد له.

فأجيب: بأنه يولد له على هذه الحال، قال سبحانه
الحسن والأحمر.

الثاني: أنه لما بشر بالولد، استعلم أيكون ذلك الولد
من صلبه نفسه أم من بنيه؟

الثالث: أنه كان نسي السؤال، وكان بين السؤال
والتبشير أربعون سنة، ونقل عن سفيان أنه كان بينهما
ستون سنة.

الرابع: أن هذا الاستعلام هو على سبيل الاستظام
لقدره الله تعالى، يحدث ذلك عند معاينة الآيات، وهو
يرجع معناه إلى ما قاله بعضهم: إن ذلك من شدة الفرح،

وليسحضرهم كسلام في المسألة لا يسبق بمقام الأنبياء عليهم السلام.

ولا يمنع مانع ما أن يكون الاستفهام على ظاهره، وأن يكون قد قاله قاله تشويقاً إلى معرفة الكيفية التي يكون بها الإنتاج، مع عدم توفر الأسباب العادية له بكبر سنه وعمر زوجته. (٢٩٨: ٣)

الطَّبَائِبَاتِي: استفهام تعجب، واستعلام لحقيقة الحال، لا استبعاد واستظام مع تصريح البشارة بذلك، وأن الله سبحانه سيرزقه مأسأله من الولد، مع أنه ذكر هذين الوصفين اللذين جعلهما منبأً للتعجب والاستعلام في ضمن مآلته، على ما في سورة مريم، حيث قال: ﴿وَرَبِّ إِنِّي وَهَنَ النَّظْمُ مِنِّي وَاصْتَكِلَ الزَّوْجُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِهِ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنِّي وَزَايَ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا...﴾ مريم: ٤، ٥.

لكن المقام يُثَلِّ على آخر، فكأنه عليه السلام لما انقلب حالاً من مشاهدة أمر مريم، وتذكر انقطاع عقبه، لم يشعر إلا وقد سأل ربه مأسأل. وقد ذكر في دعائه ماله سهم وأمر في تأثره وتحرُّنه وهو بلوغ الكبير، وكون امرأته عاقراً، فلما استجيب دعوته وبُشِّرَ بالولد كأنه مصححاً وأفارق بما كان عليه من الحال، وأخذ يتعجب من ذلك وهو بالغ الكبير وامرأته عاقرة، فصار ما كان يشعر على وجهه ضارب اليأس وسواء الحزن يغيّره إلى نظرة التعجب المشوب بالسرور.

على أن ذكر نواقص الأمر بعد البشارة بقضاء أصل الحاجة، واستعلام كيفية رفع واحد واحد منها، إنما هو

طلب تفهيم خصوصيات الإفاضة والإتيان، التبادلاً بالنعمة الفائضة بعد النعمة، نظير ما وقع في بُشْرَى إبراهيم عليه السلام بالدُّرَّة، قال تعالى: ﴿وَنَسِيتُهُمْ عَنْ حُضْنِ إِزْجَارِهِ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَظِيمٍ ﴿ قَالَ أَتُبَشِّرُنِي عَلَىٰ أَن مَّسْنَى الْكِبَرِ قَدْ مُبَشِّرُونِ ﴿ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَاقِينَ ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿ المجر: ٥١-٥٦، فذكر في جواب نهي الملائكة إتياء عن القنوط أن استفهامه لم يكن عن قنوط، كيف، وهو غير ضالٍّ والقنوط ضلالة، بل التبدد إذا أقبل على عبده إقبالاً يؤذن بالقرب والأنس، والكرامة أوجب ذلك انبساطاً من العبد واحتياجاً يستدعي تلذذه من كل حديث، وتتمتع في كل باب.

(١٧٨، ١٧٧: ٣)

٥ - قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ. آل عمران: ٤٧

الطَّبَائِبَاتِي: قالت مريم، إذ قالت لها الملائكة: إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَةِ مِنْهُ: ﴿وَرَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾، من أي وجه يكون لي ولداً أيسر قبل زوج أتزوج به وبعل أنكحه؟ أو تبتدى في خلقه من غير بعل ولا فعل، ومن غير أن يمسي بشراً؟ (٢٧٣: ٣)

الطُّوسِي: إن قيل: كيف سألت مريم عن خلق الولد من غير مسيس، مع أنها لا تنكر ذلك في مقدور الله تعالى؟

قلنا: فيه وجهان:

وخطاب الزوج وكلامهم كلام الله سبحانه، فقد كانت تعلم أن الذي يُكَلِّمها هو الله سبحانه، وإن كان الخطاب متوجهاً إليها من جهة الزوج المتمثل أو الملائكة، ولذلك خاطبت ربها.

ويمكن أن يكون الكلام من قبيل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ المؤمنون: ٩٩، فهو من الاستغاثة المعترضة في الكلام، [إلى أن قال:]

وأما التصجب من هذا الأمر فإنما يصح لو كان هذا الأمر مما لا يقدر عليه الله سبحانه أو يشق، أما القدرة فإن قدرته غير محدودة يفعل ما يشاء، وأما صعوبته ومشقته فإن الشسر والصعوبة إنما يتصور إذا كان الأمر مما يعجز عن إتيائه بالأسباب، فكذلك كثرت المسقّمات والأسباب، وعزّت ويثقل ما لها اشتد الأمر صعوبة، والله سبحانه لا يخلق ما يخلق بالأسباب بل ﴿وَإِذَا قُضِيٰ أَمْرًا﴾

(البقرة: ١١٧).

وهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غَلَامٌ﴾ مريم: ٨.

١- أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ بِغُلَّتِيهَا فَلَمْ يَأْتِ هَذَا...

الجَبَّائِي: إنهم إنما استكروا ذلك، لأنّه وعدهم بالتصبر من الله إن أطاعوه. (الطبرسي: ١: ٥٣٢)
الطَّبْرِي: (أَيّ هذا؟) من أيّ وجه هذا؟ ومن أين أصابنا هذا الذي أصابنا، ونحن مسلمون وهم مشركون، وفيما نبيّ الله ﷺ يأتيه الوحي من السماء، وعدونا أهل كفر بالله وشره؟

أحدهما: أنها استغثت أيكون ذلك، وهي على حالتها من غير بشر، أم على مجرى العادة من بشر؟ كما يقول القائل: كيف تيمت بخلان في هذا السفر، وليس معه ما يركبه معنا؟ لأنه قويّ أم هناك مركوب؟

الثاني: أن في البشارة التعجب مما خرج عن المعتاد فتعجبت من عظم قدرة الله، كما يقول القائل عند الآية يراها: ما أعظم الله! وكما يقول القائل لغيره: كيف تهب ضيقتك، وهي أجل شيء لك؟ وليس يشك في حبه وإنما يصعّب من جوده.

مثله الطبرسي.

أبوحيان: [قال مثل الطوسي وأضاف:]

قبل، استغثت من الكيفية كما سأل ذكرتنا من الكيفية، تنديره: هل يكون ذلك على مجرى العادة بتقمّط وطء، أم بأمر من قدرة الله؟

وقال الأنباري: لما خاطبها جبريل عليه السلام يريها بها سوء، ولهذا قالت: ﴿إِنِّي أَخُوذُ بِالرَّحْمَنِ إِنَّهُ إِن كُنْتُ نَبِيًّا﴾ مريم: ١٨ فلما بشرها لم تيقن صحة قوله، لأنها لم تعلم أنه ملك، فقالت: ﴿رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾. آل عمران: ٤٧.

الآلوسي: يُحتمل أن يكون الاستغاث بمجازيها، والمراد التعجب من ذلك والاستبعاد العادي. ويُحتمل أن يكون حقيقاً، على معنى أنه يكون بتزوج أو غيره. وقيل: يحتمل أن يكون استغاثاً عن أنه من أيّ شخص يكون.

الطَّبْرِي: خطابها لربها، مع كون المُكَلِّم إياها الزوج المتمثل، بناءً على ما تقدّم أن خطاب الملائكة

منه الطبرسي.

(١: ٥٢٢)

الرّمخشري: (أني هذا) نصب لأنه مقول، والهمزة

للتقرير والتفريع.

فإن قلت: علام عطفت الواو هذه الجملة؟

قلت: على ماضٍ من قصه أحد من قوله: ﴿وَلَقَدْ

صَدَقَكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ آل عمران: ١٥٢، ويجوز أن تكون

مطوقة على محذوف، كأنه قيل: أفعلتم كذا وقتلتم حيث

كذا أني هذا؟ من أين هذا؟ كقوله تعالى: ﴿أَنِّي لَأَيُّهَا

آل عمران: ٣٧، لقوله: ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ آل عمران:

١٦٥، وقوله: ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ آل عمران: ٢٧، والمعنى

أنتم السبب فيما أصابكم لا اختياركم الخروج من المدينة،

أو لتخليتكم المركز.

(١: ٤٧٧)

الفخر الرازي: سبب نصبتهم أنهم قالوا: نعمي تنصر

الإسلام الذي هو دين الحق، ومننا الرسول، وهم

ينصرون دين الشرك بالله والكفر، فكيف صاروا

منصورين علينا؟

واعلم أنه تعالى أجاب عن هذه الشبهة من وجهين:

الأول: ما أدرجه عند حكاية السؤال وهو قوله:

﴿قَدْ أَصَبَكُمْ بِقُلُوبِكُمْ﴾ آل عمران: ١٦٥، يعني أن أحوال

الدنيا لا تبقى على نهج واحد، فإذا أصبتم منهم مثلي هذه

الواقعة، فكيف تستجدون هذه الواقعة؟

والثاني: قوله قل: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾.

(٩: ٨١، ٨٢)

أبوحيان: المعنى كيف أصابنا هذا ونحن نقاتل

أعداء الله، وقد وعدنا بما النصر وإسداد الملائكة؟

فاستفهموا على سبيل التعجب عن ذلك، و(أني) سؤال

عن الحال هنا، ولا يناسب أن يكون هنا بمعنى أين أو متى،

لأن الاستفهام لم يقع عن المكان ولا عن الزمان هنا، وإنما

الاستفهام وقع عن الحالة التي اقتضت لهم ذلك، سألوا

عنها على سبيل التعجب. [وبعد نقل كلام الرّمخشري

قال:]

والظرف إذا وقع خبراً للمبتدأ لا يقدر داخلاً عليه

حرف جر غير «في» أنا أن يقدر داخلاً عليه «من» فلا،

لأنه إنما انتصب على إسقاط «في» وذلك إذا أضمر الظرف

تمدّى إليه الفعل بواسطة «في» إلا أن يتسع في الفعل

فينصب نصب التشبيه بالمفعول به، فتقدير الرّمخشري:

(أني هذا) من أين هذا؟ تقدير غير سائغ، واستدلّاه

على هذا التقدير بقوله: ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، وقوله:

﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، وقوف مع مطابقة الجواب للسؤال في

اللفظ، ومحول من هذه القاعدة التي ذكرناها، وأنا على

ما قرّناه فإن الجواب جاء على مراعاة المعنى لا على

مطابقة الجواب للسؤال في اللفظ.

وقد تقرر في علم العربية أن الجواب يأتي على

حسب السؤال مطابقاً له في اللفظ، ومراعى فيه المعنى

لا اللفظ، والسؤال به (أني) سؤال عن تعيين كيفية حصول

هذا الأمر، والجواب بقوله: ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾،

يتضمن تعيين الكيفية، لأنه بتعيين السبب تعيين الكيفية

من حيث المعنى. لو قيل: على سبيل التعجب والإنكار

كيف لا يحجّ زيد الصالح؟ وأجيب ذلك بأن يقال: بعدم

استطاعته. حصل الجواب، وانتظم من المعنى أنه لا يحجّ،

(٣: ١٠٧)

وهو غير مستطیع.

أجني، ليكون القول بذلك بعيداً كما أدهاه أبو حنبلان،
والهمزة حيث متخللة بين المتعاطفين للتقرير بحمل
التثنية، أو الحمل على الإقرار والتفريع على مضمون
المطوف والمعنى أكان من الله تعالى الوعد بما تنصرون
بشرط الصبر والشكر، فحين فشلت وتنازعت
وعصيت وأصابتكم الله تعالى بما أصابتكم ﴿قُلْتُمْ أَنْتَ
هَذَا﴾ (٤: ١١٥).

٧- وَجَاءَتْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنْتَ
لَهُ الذَّاكِرُ.

ابن عباس: يقول: وكيف له؟ (الطبري: ٣: ١٨٨)
الطبري: يقول: من أي وجه له التذكير.

(٣: ١٨٨)

الطبري: معناه من أين له الذكركي التي كان أمرها
في دار الدنيا؟ فأتى بقوله: إلى طريق الاستواء وتبصره
الضلال من الهدى، فكانه قال: وأنت له الذكركي التي
يتضح بها، كما لو قيل: يتقدم، وأنت له الذم؟ (١٠: ٣٤٧)
الزحطري: ومن أين له منعة الذكركي؟ لا بد من
تقدير حذف مضاف، وإلا فبين ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ﴾ وبين
﴿وَأَنْتَ لَهُ الذَّاكِرُ﴾ تناف وتناقض. (٤: ٢٥٣)

الأوسى: اعتراض جيء به لتحقيق أنه ليس
يتذكر حقيقة، لمراته عن الجدوى، لعدم وقوعه في أوانه.
و(أَنْتَ) خبر مقدم، و(الذَّاكِرُ) مبتدأ، و(لَهُ) متعلق بما
تعلق به الخبر، أي ومن أين تكون له الذكركي وقد فات
أوانها.

وقيل: هناك مضاف محذوف، أي وأنت له منعة
الذكركي، ولا بد من تقديره لتلا يكون تناقض، وقد

الأوسى: (أَنْتَ هَذَا) جملة اسمية مقدمة الخبر،
والمعنى من أين هذا؟ وكيف هذا؟ لدلالة الجواب [على]
مفعول القول.

وقيل: (أَنْتَ) منصوبة على التقرية، «لأصان»
المقدّر، و(هَذَا) فاعل له، والجملة مقول (قُلْتُمْ)، وتوسط
الظرف وما يتعلق به بينه وبين همزة، مع أنه المقصود
إنكاره، والمطوف بالواو حقيقة لتأكيد التكثير وتشديد
التفريع، فإن فعل الفصح في غير وقته أفصح، والإنكار
على فاعله أدخل. والمعنى أحين نالكم من المشركين
نصف ما قد نالهم منكم قبل ذلك رجعتم وقتلتم من أين
هذا ونحن مسلمون نقاتل غضباً لله تعالى وفينا رسوله،
وهؤلاء مشركون أعداء الله تعالى ورسوله ﷺ أذ قد
وعدنا الله تعالى النصر؟ وإليه ذهب الجبائي.

وهذا على تقدير توجيه الإنكار والتفريع إلى
سدور ذلك القول عنهم، في ذلك الوقت خاصة، بناءً على
عدم كونه مظنة له داعياً إليه، بل على كونه داعياً إلى
عدمه، فإن كون نصيب عدوهم مثلي نصيبهم مما يؤن
الخطب ويورث الشؤة.

أو أظلمت ما فعلتم من الفشل والتنازع أو المخرج من
المدينة والإلحاح على النبي ﷺ ولما أصابتكم غائلة ذلك
قلتم: (أَنْتَ هَذَا)؟ وهذا على تقدير توجيه الإنكار
لاستبعادهم المأذنة، مع مباشرتهم لسببها. وجوز أن
يكون المطوف عليه القول إشارة إلى أن قولهم كان غير
واحد، بل قالوا أقوالاً لا ينبغي أن يقولوها.

وذهب جماعة إلى أن المطوف عليه ماضى من
قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ آل عمران:
١٥٢، إلى هنا، وللتعلق بقصة واحدة لم يتخلل بينها

علمت أن هذا يحقق بما قرّر أولاً هل أنه إذا جُعل
اختصاص اللّام مقصوراً على النافع استقام من غير
تقدير، ويكون إنكار أن تكون الذّكري له، لا عليه. وأمّا
كونه حكايمة لما كان عليه في الدنيا من عدم الاعتبار
والانشاظ فليس بشيء.

(١٢٩ جـ)

الطَّبَائِبَاءِيُّ: أَي وَمَنْ أَيْنَ لَهُ الذَّكْرَى؟ كُنَايَةٌ عَنْ
عَدَمِ انْتِصَاعِهِ بِهَا، فَإِنَّ الذَّكْرَى إِنَّمَا تَنْفَعُ فِيهَا أُمُّهُ أَنْ
يَتَذَكَّرَ مَا قَرَّطَ فِيهِ بَهْوِيَّةً وَعَمَلٌ صَالِحٌ، وَالْيَوْمُ يَوْمُ الْإِنْجَاءِ
لَا يَوْمَ الرِّجْزِ وَالْعَمَلِ.

الأصول الثمانية

١- عذ أرياب للعاجم قاطبة لفظ «أُنْ» من مادة
(أُنْ) ، إلا أنَّ حدة منهم قد اضطرب كلامهم فيه، فتأثرت
بجملوه من (أُنْ) وأُخرى من (أُنْ) ، كجاسب اللسان
والقاموس والتاج. فإن كان من (أُنْ) فألفه أصح
كألف «طوى»، وإحدى التونين زائدة فيه كزيادتها في
«تقَى». وإن كان من (أُنْ) فألفه زائدة كألف «طوى»،
وكلا التونين من أصل الكلمة. [لاحظ أنْ]

٢- وتعمل «أَنْ» في الشرط بمعنى «أين»، يقال:
أَنْ يَكُنْ أَكُنْ، أَيِ أَيْنَ يَكُنْ أَكُنْ. وَأَنْ تَأْتِيَنِي أَتَكَ، أَيِ
مِنْ أَيِّ جِهَةٍ تَأْتِيَنِي أَتَكَ. وفي الاستفهام بمعنى كيف، يقال:
أَنْ لَكَ تَفْتَحَ الْحَصْنَ؟ أَيِ كَيْفَ لَكَ ذَلِكَ، وبمعنى من أين،
يقال: أَنْ لَكَ؟ أَيِ مِنْ أَيْنَ لَكَ.

وأما قول الأزهري بأنها تأتي بمعنى «مضى»، وقول الفيروز ابادي بمعنى «حيث» فهما خاطران إلى قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذُوا حَزَنَهُمْ أَنِّي ضَلُّتُمْ﴾ البقرة: ٢٢٣، ولا وجه له. كما سيأتي في الاستعمال القرآني.

٣- وأتى تشاكل «حقى» في الصياغة، ونكاد
تضارعها في كثرة معانيها مثلًا خارعته في وزنها. كما
هي مقصورة الألف كحقى، خلافًا لما جاء في وزنها من
الأدوات، مثل: كَلَّا وَلَمَّا وَأَمَّا، وغيرها.
ولا يشكر أن هذه الصياغة نادرة في اللغة، وأن ما جاء
من الأسماء والصفات على وزن (فَعْل) محدود أيضًا.
ويكاد يقتصر على الألفاظ التالية: عَثَرُ وَبَدَأَ وَخَطَمُ،
وهي بواضع، وشَمَرُ: اسم فرس، وَخَطَمُ: لقب العنبرين
صروين تميم^(١).

ورغم ذلك فإن ما استقرَّ عليه رأي اللغويين هو
القياس، لأن الألف المختصرة لا تزداد في لفظ ثلاثي
مضغف، فهي ليست زائدة في «أنى»، كما ذهب بعض إلى
إعتلاف ذلك.

الاستعمال القرآني

جاءت «أَنْ» شرطاً واستنهاذاً في القرآن.

١- الشرط: مرة واحدة:

«يَسْأَلُكُمْ عَهْدٌ لَكُمْ فَاغْتَاوْا فَوَدَّ أَنَّكُمْ لَأَنْثَىٰ مُتَمَرِّدَةٌ»

البقرة: ٢٢٣.

قيل في معنى (أَيَّ) هنا: كيف، ومن أين، وأَيَّ، ومتى،
وحيث. فعل القول الأوَّل يراد بالإتيان حالته، أي حالة
المرأة مضطجعة كانت أو باركة أو على جنب، وذلك في
قُبْلِهَا فقط. والمراد بالقول الثاني مكان الإتيان، فيدخل
الدُّبُر. وعلى القول الثالث يخرج الدُّبُر، لأنَّ المراد صفة
إتيان الرَّجُل من أَيِّ وجه وطريق، ويعني القول الرابع

يونس: ٢٢

﴿قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾

يونس: ٢٤

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾

مريم: ٢٠

﴿سَيَقُولُونَ هُوَ قُلٌّ فَأَنْتِ تُشْعِرُونَ﴾

المؤمنون: ٨٩

﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنْتِ يُؤْفَكُونَ﴾

العنكبوت: ٦١

﴿وَأَنْ لَّهُمُ الشَّوْشُ مِنْ عَذَابٍ بِهِ﴾

سبا: ٥٢

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتِ تُؤْفَكُونَ﴾

فاطر: ٣

﴿فَاسْتَشْفُوا الصَّعَاطِ فَأَنْتِ يُهَيَّجُونَ﴾

يس: ٦٦

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتِ تُضَعَفُونَ﴾

الزمر: ٦

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ وَبِكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتِ

المؤمن: ٦٢

﴿يُؤْفَكُونَ﴾

المؤمن: ٦٩

﴿وَلَيْتَ تَأْتِيَهُمْ مِنْ خَلْقِهِمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنْتِ

الزخرف: ٨٧

﴿أَنْ لَّهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾

الدخان: ١٣

﴿فَأَنْتِ لَمْ يَأْتِكُمْ مِنْهُمُ الْكُفْرُ﴾

ممتد: ١٨

﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَرُ الْإِنْسَانَ وَأَنْ لَّهُ الذِّكْرَى﴾

الغجر: ٢٣

﴿قُلْتُ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾

آل عمران: ٣٧

﴿قُلْتُ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾

آل عمران: ١٦٥

الزَّمان يَنْظُرُ الْفَكْرَ عَنْ حَالِ الْإِيمَانِ وَمَكَانِهِ. أَمَّا الْقَوْلُ

الْحَامِسُ فَهُوَ بِمَعْنَى مَنْ أَيْنَ وَمَتَى، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَاهَا، إِلَّا

أَنَّ «حَيْثُ» لَا تَحْتَضِرُ مَعْنَى الْقَرِطِ مِثْلَ «أَنْ».

فَيُظْهِرُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ فِي إِثْبَانِ الْمَرَاةِ

لِي دُبُرِهَا:

الأول: الحرمة. وَقَدْ قَالَ بِهَا خَمْسَةُ عَشَرَ مَحَلًّا

تَقْرِيْبًا، مِنْهُمْ أَيْنَ مَسْجُودٍ.

الثاني: الحَلِيَّةُ. وَقَالَ بِهَا أَرْبَعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ

أَبُو سَمِيدٍ الْخُدْرِيُّ.

الثالث: العزل. وَقَالَ بِهِ سِتَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ أَيْنَ

عَبَّاسٍ، وَدَلِيلُهُمْ بَعْدَ الْآيَةِ الزَّوَايَاتِ، وَهِيَ الصَّدَةُ فِي الْبَابِ.

٢- الاستهْامُ الْإِنْكَارِيُّ:

أ- كَيْفَ: (٢٥) مَرَّةً:

﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْغُلَامُ عَلَيْنَا﴾

﴿قَالَ أَلَمْ يَحْضُرْ هَذِهِ اللَّهُ يَهْدِي مَوَازِيحَ﴾

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَمْ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنْتِ تُؤْفَكُونَ﴾

﴿أَنْ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾

﴿قَالَتْ لَكُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

﴿قَالَ يَأْمُرُ أَنَّى لِي هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾

﴿قُلْتُ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾

﴿قَالَ يَنْذَرُ الْإِنْسَانَ وَأَنْ لَّهُ الذِّكْرَى﴾

﴿قَالَ يَنْذَرُ الْإِنْسَانَ وَأَنْ لَّهُ الذِّكْرَى﴾

﴿قَالَ يَنْذَرُ الْإِنْسَانَ وَأَنْ لَّهُ الذِّكْرَى﴾



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

أَنْ وَ-ي

٥ ألفاظ، ٨ مرّات، ٣ مكّية، ٥ مدنيّة

في ٨ سور: ٥ مكّية، ٣ مدنيّة

والإيناء، محدود: قد يكون بمعنى الإبطاء، أنيت

الشيء، أي أخرته. ونقول للشيطان: آيت وأذيت.

والشيء يأتي أيئاً، إذا تأخر عن وقته. [تمّ

استشهد بشعر]

يَأْن ١-١

آنا ٣-٢

آي ١-١

إنا ١-١

أنية ٢-٢

التصوحي اللغويّة

الخليل: الإنيّ والإنيّ، مقصور: ساعة من ساعات

الليل، والجميع: آنا. وكلّ إنيّ ساعة.

والإنيّ، مقصور أيضاً: الإدراك والبلوغ. وإنيّ

الشيء: بلوغه وإدراكه، فنقول: انتظرنا إنيّ الطعام، أي

إدراكه. وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ نَاطِلِينَ إِنْهَاء﴾ الأحزاب:

٥٣، أي غير متظرين نُضجه وبلوغه.

وقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ حَيْمِ أَنْ﴾ الرحمن: ٤٤، أي قد

انتهى حرّه، والفعل: أني يَأْنِي أني.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْبٍ أُنْيَةٍ﴾ العنكبوت: ٥، أي

سُخنة. [تمّ استشهد بشعر]

وتقول: ما أني لك، وأنم بأن لك، أي ألم يحنّ لك؟

والأنّي: من الأناة والثّوادة. [تمّ استشهد بشعر]

ويقال: إنّه لذوأناة، إذا كان لا يسجل في الأمور، أي

تأني. فهو أني، أي متأنّ. [تمّ استشهد بشعر]

والأناة: الحلم، والفعل: أني، وتأنّى واستأنّى، أي

تثبت. ويقال للمتعمّك في الأمر: المتأنّي. وفي الحديث:

«أذيت وأنيت»، أي أخرت الجسيء وأبطأت. [تمّ

استشهد بشعر]

واستأنيت فلاناً، أي لم أحوّله، ويقال: استأن في

أمرك، أي لا تسجل. [تمّ استشهد بشعر]

واستأنيت في الطعام، أي انتظرت إدراكه.

ويقال للمرأة المباركة الحليحة المواتية: أناء.
والجميع: الأنوات. قال أهل الكوفة: إنفاهي من «الوئي»
وهو الضعف، ولكنهم همزوا الواو.

والإناء، ممدود: واحد الأنية. والأواني: جمع الجمع.
تجمع «فعال» على أفعلة، ثم تجمع «أفعلة» على أفاعيل.
(٨: ٤٠٠)

سبيئويه: الأناء: أصله: وناة - مثل أحد ووحد - من
الوئي. (الأنوار ١٦: ٢٢٧٤)

أبو حنيفة: «الأناء» واحد «إني» مثل حسني.
والجميع: آناء، مثل أحباء. (الأنوار ١٦: ٢٢٧٣)
أبو زيد: يقال: ما كان ذا سلم ولقد تحلم، وما كان ذا
لناة ولقد تأنى تأنياً.

والقاحه أني: أي بطيء.

الأصمعي: في الحديث: أن النبي ﷺ قال لرجل
جاء يوم الجمعة يتخطى رقاب الناس: «رايتك آتيت»
وآذيت.

آتيت، أي أخبرت المهيء وأبطأت. ومنه قيل
للمتمكث في الأمور: متأن.

الأناء من النساء: التي فيها فتور عن القيام.
(الأنوار ١٥: ٥٥٤)

ابن الأعرابي: تأنى، إذا رفق. آتيت وآتيت، بمعنى
واحد. (الأنوار ١٥: ٥٥٤)

يقال: آن يثنى أيئاً، وأنى لك يأتي أيئاً، أي حان.
(ابن فارس ١: ١٤٣)

أبو حنيفة: الأناء: المرأة التي فيها فتور عند القيام.
(ابن فارس ١: ١٤٢)

ابن السكيت: والأناء: البطيئة الزينة من كل
خفة. (٣٢٩)

الإنى من الساعات ومن بنوع الشيء: منتهاء.
منصور، يكتب بالياء، ويفتح فيمد.
ويقال: آتيت الطعام في النار، إذا أطلت شكتته.
وآتيت في الشيء، إذا قصرت فيه.

(الأنوار ١٥: ٥٥٤)

السبيرة: وقول عبدة بن الطبيب:

• وزد وأشقر ما يؤنيه طابئ.

يقول: ماتغير من اللحم قبل نضجه، وقوله: ما يؤنيه
طابئ، يقول: ما يؤخره، لأنه لو آناه لأنضجه، لأن معنى
آناه: بلغ به إناه، أي إدراكه. قال الله عز وجل: «فغير
ناظرين إناه» الأحزاب: ٥٣.

وتقول: أنى يأتي أيئاً، إذا أدرك، وأن يثنى مثله.
وقوله تعالى: «يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَبِيبٍ أَبٍ» الرحمن:
١٤، أي قد بلغ إناه.

الزجاج: قال أهل اللغة: واحد آناء الليل: إني
وآناء، مثل يغني وأنعام. وأشد أهل اللغة في ذلك قول
الشاعر:

حُلُوْهُ ومُرْكُطُهم القُدَحُ يَمُرُّه

بكل إني حذاء الليل يستعمل
قالوا: واحدها «إني». مثل معي وأسماء. وحكى
الأخفش «إنو».

ابن فرييد: يقال: آن لك أن تفعل كذا وكذا وأنى
لك، أي حان لك. وبلغ الشيء إناه مقصور، أي منتهى.

الْبُؤْهَرِي: أُنِي الشَّيْءَ يَأْنِي إِي، أَي حَانَ، وَأُنِي
أَيْضًا: أُنُوكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿غَيْرَ تَأْطِرِينَ إِنَاءً﴾
الْأَحْزَاب: ٥٣، أَي خُضِبَ.

وَيُقَالُ أَيْضًا: أُنِي الْحَمِيمَ، أَي أَنْتَهَى حَرَّهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿وَتَبَيَّنَ تَمِيمٌ لَّنِي﴾ الرَّحْمَنُ: ٤٤، أَي بِأَلَمِ إِيَّاهُ فِي
شِدَّةِ الْعَرَّةِ. وَكُلُّ مَدْرُوكٍ أُنِي.

وَأَنَاءٌ يُؤْنِيهِ إِيَّاهُ، أَي أَخْرَجَهُ وَجَبَّهُ وَأَبْطَأَهُ. [نَمَّ
اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]

وَالْأَسْمَ مِنْهُ: الْأَنَاءُ، عَلَى «فَعَالٍ» بِالْفَتْحِ، [نَمَّ
اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]

وَأَنَاءُ اللَّيْلِ: سَاعَاتُهُ، يُقَالُ: مَضَى إِيَّانَ مِنَ اللَّيْلِ
وَالْأَوَّلِ. [نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]

وَتَأْنِي فِي الْأَمْرِ، أَي تَرْفُقُ وَتَنْظُرُ. وَاسْتَأْنَى بِهِ، أَي
انْتَظَرْتَهُ، يُقَالُ: اسْتَأْنَيْتُ بِهِ حَوَافِلَ. وَالْأَسْمُ: الْأَنَاءُ، مِثْلُ
الْأَسْمَاءِ، يُقَالُ: تَأْنَيْتُ حَتَّى لَا أَنَاءَ بِي.

وَالْأَنَاءُ مِنَ النِّسَاءِ: الَّتِي فِيهَا فَتَوْرٌ - عِنْدَ الْقِيَامِ -
وَتَأْنٍ. [نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]

وَرَجُلٌ أُنِي عَلَى «فَاعِلٍ» أَي كَثِيرُ الْأَنَاءِ وَالْجِلْمِ.
وَالْإِنَاءُ مَعْرُوفٌ، وَجَمْعُهُ: أُنِيَّةٌ، وَجَمْعُ الْأُنِيَّةِ: الْأَوَانِي،
مِثْلُ مَقَاوِ وَأَشْقِيَّةٍ وَأَسَاوِي. (٢٢٧٣: ٦١)

ابْنُ فَارِسٍ: الْهَمْزَةُ وَالْثَوْنُ وَمَا بَعْدَهُمَا مِنَ الْمَعْتَلِّ،
لَهُ أَصُولٌ أَرِيمةٌ: الْبُطَّةُ وَمَا أَشْبَهَ مِنَ الْحَلْمِ وَغَيْرِهِ، وَسَاعَةٌ
مِنَ الزَّمَانِ، وَإِدْرَاكُ الشَّيْءِ. وَظَرْفٌ مِنَ الظَّرُوفِ.

فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ الْخَلِيلُ: الْأَنَاءُ: الْجِلْمُ، وَالْفَعْلُ مِنْهُ
تَأْنَى وَتَأْنًا. [نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]

وَمُرُومِي «وَتَأْنِي»، وَيُقَالُ لِلتَّمَكُّثِ فِي الْأُمُورِ: التَّأْنِي.

وَكَذَلِكَ فَسَّرَ فِي التَّنْزِيلِ «غَيْرَ تَأْطِرِينَ إِنَاءً»
الْأَحْزَاب: ٥٣، أَي مَتَاهَا وَإِدْرَاكَهَا، وَلِلَّهِ أَعْلَمُ.

وَأَنْتِ، إِذَا أَطَأْتَ، [نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]
وَالْإِنَاءُ: وَاحِدُ الْأُنِيَّةِ مَمْدُودٌ: الَّذِي يُجْعَلُ فِيهِ الطَّعَامُ
وغيره، مِثْلُ رَدَاءٍ وَأَرْدِيَّةٍ.

وَالْإِنَاءُ: الْإِنْتَظَارُ، وَهُوَ مَصْدَرُ أُنِي يُؤْنِي إِيَّاهُ. [نَمَّ
اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]
وَالْأَنَاءُ: الْإِنْتَظَارُ، مَمْدُودٌ أَيْضًا.

وَأَنَاءُ اللَّيْلِ: وَاحِدُهَا «إِنْيٌ» وَهِيَ السَّاعَةُ مِنَ اللَّيْلِ.
[نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ] (١١: ١٩١)

ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: أَنَاءُ اللَّيْلِ، عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: إِي
يَسْكُونُ الثَّوْنُ، وَإِنِّي يَكْسِرُ الْأَلْفَ، وَإِنِّي يَخْتِجُ الْأَلْفَ.

تَأْنَيْتُ الرَّجُلَ، أَيِ انْتَظَرْتَهُ وَتَأَخَّرْتُ فِي أَمْرِهِ. وَلَمْ
أَعْجَلْ.

وَيُقَالُ: إِنْ خَيْرَ فُلَانٍ لِيُنْطِي. أُنِي. [نَمَّ اسْتَشْهَدَ
بِشَعْرٍ]

وَرَجُلٌ مَأْنٌ، أَيِ مَتَمَكُّثٌ مَثَلَّثٌ، أَنْتِ وَأَنْتِ.
الْأُنْيُ، مِنْ بَلُوغِ الشَّيْءِ: مَسَاءٌ مَقْصُورٌ، يَكْتُبُ
بِالْيَاءِ. (الْأَزْهَرِيُّ: ١٥: ٥٥٢)

الْأَزْهَرِيُّ: الْإِنَاءُ، مَمْدُودٌ: وَاحِدُ الْأُنِيَّةِ، مِثْلُ رَدَاءٍ
وَأَرْدِيَّةٍ ثُمَّ تَجْمَعُ الْأُنِيَّةُ: الْأَوَانِي، عَلَى فَوَاعِلٍ جَمْعُ
«فَاعِلَةٍ».

وَيُقَالُ: لَا تُؤْنِي فِرْعَوْنَ، أَيِ لَا تَوَخَّرْهَا إِذَا أَمَكَّتَكَ.
وَكُلُّ شَيْءٍ أَخَّرْتَهُ فَقَدْ أُنِيَّتَهُ.

وَقِيلَ: امْرَأَةٌ أُنَاءٌ، أَيِ رَزِيَّةٌ لَا تَصْغَبُ وَلَا تُغْجِبُ.
[نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ] (١٥: ٥٥٥)

وقال رسول الله ﷺ للذي تغطي رقاب الناس يوم الجمعة: «رايتك آذيت وآيت» يعني أغرت المسجي وأطأت. [ثم استشهد بشر]

وبقال من الأناة: رجل أني ذؤناة. [ثم استشهد بشر]

وقيل لابنة العس: هل يُلْقِعُ الشيء؟ قالت: نعم، وإلقاحه أني، أي بطي.

ويقال: فلان خيره أني، أي بطي.

والأنا: من الأناة والثؤدة. [ثم استشهد بشر]

وتقول للرجل: إته لذؤناة، أي لا تعجل في الأمور،

وهو أن وفور. [ثم استشهد بشر]

واستأنيت فلانة أي لم أعجله. ويقال للمرأة الحليمة

المباركة: أناة، والجمع: أنوات.

وأما الزمان فالإني والأني: ساعة من ساعات الليل،

والجمع: آناة. وكل أني: ساعة. وابن الأعرابي: يقال

«أنني» في الجميع. [ثم استشهد بشر]

وأما إدراك الشيء فالإني، تقول: انتظرنا إني اللحم،

أي إدراكه. وتقول: مائتي لك ولم يأن لك، أي لم يحين،

قال الله تعالى: «لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا» الحديد: ١٦، أي

لم يحين.

واستأنيت الطعام، أي انتظرت إدراكه. «وَبَيْنَ حَيْمٍ

أَنْ» الرحمن: ٤٤، قد انتهى حره، والفعل أني الصاء

المسحون يأنى، «مِنْ عَيْنِ أَيْتَةٍ» الفاشية: ١١. [ثم

استشهد بشر]

وقال الله تعالى: «غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً» الأحزاب: ٥٣.

وأما الفلرف فالإناء ممدود من الآنية، والأواني جمع

جمع، يجمع «فصال» على أفعله. (١: ١٤١)

أبو هلال: الفرق بين العلم^(١) والأناة: أن الأناة هي

البطء في الحركة، في مقارنة الخطو في المشي، ولهذا يقال

للمرأة البديئة: أناة. [ثم استشهد بشر]

ويكون المراد بها في صفات الرجال التثقل في

تدبير الأمور، ومفارقة التعجل فيها، كأنه يقارنها مقارنة

لطيفة، من قولك: أني الشيء، إذا قرب، ونأني، أي تعجل

ليأخذ الأمر من قرب.

وقال بعضهم: الأناة: السكون عند الحالة المزعجة،

والفرق بينها وبين الثؤدة: أن الثؤدة مفارقة الغفلة في

الأمور، وأصلها من قولك: وأدء يئده، إذا أثقله بالشراب،

ومنه التثؤدة. وأصل الأناة فيها «ولو» وصلها الثخنة.

وأصلها من الرخامة. والثخنة وأصلها من وهمت، والثرة

وأصله من توت.

فالثؤدة تعيد من هذا خلاف ما تعيد الأناة، وذلك أن

الأناة تعيد مقارنة الأمر والتسبب إليه بسهولة، والثؤدة

تعيد مفارقة الغفلة. ولولا أننا رجعنا إلى الاشتقاق لم نجد

بينهما فرقاً.

ويجوز أن يقال: إن الأناة هي المبالغة في الرضى

بالأمور والتسبب إليها، من قولك: أن الشيء، إذا انتهى،

ومنه: «تجيم أن»^(٢) الرحمن: ٤٤، وقوله: «غَيْرَ نَاطِرِينَ

(١) العلم هو الإسهال بتأخير العقاب المستحق، والعلم من

الله تعالى: عن الصاة في الدنيا، فعمل ينافي تسجيل

المقوية من القسمة والمافية.

(٢) «آن»: (فاعل) من (أن يئد) وأما «آن» فهو (مفعول) من

(أون)، وليس أحدهما مشتقاً من الآخر، إلا أن بينهما

اشتقاقاً أكبر.

لم أعجله، واستأني به: رفقي به، ويستأني بالجراحة:
يظهر مآل أمرها. [ثم استشهد بشعر]

وآتيت الأمر: أخرته عن وقته، يقال: لا تؤن
لرمسته. [ثم استشهد بشعر] (الأساس البلاغة: ١١)
ابن بحر: أني عن القوم، وأنى الطعام عتاً إلى
نديداً، والصلاة أنيا، كل ذلك: أبطأ.

وأنى يأنى ويأني أنيا فهو أني، إذا رفقي.
(ابن منظور ١٤: ٤٩)

ابن الأثير: في حديث الهجرة: «هل أنى الرحيل»،
أي حان وقته.

تقول: أنى يأتي. وفي رواية «هل أن الرحيل»، أي

وفيا: «لأن رسول الله ﷺ أمر رجلاً أن يزوج ابنته
من جليبيب فقال: حق أثار أنها، فلمّا ذكره لها
قالت: منّا أليكنيب إني، لا، لمر الله».

قد اختلف في ضبط هذه اللفظة اختلافاً كثيراً،
فرويت بكسر الهزة والتون وسكون الباء وبعدها هاء،
ومنها أنها لفظ تستعملها العرب في الإنكار، يقول
القاتل: جاء زيد، فتقول أنت: أزيدني وأزيد إني، كأنك
استبعدت مجيئه، وحكي سيويه أنه قيل لأعرابي سكن
البلد: أخرج إذا أخصبت أبادية؟ فقال: أنا إني؟ يعني
أقولون لي هذا القول وأنا معروف بهذا الفعل، كأنه أنكر
استنهامهم إياه.

ورويت أيضاً بكسر الهزة وبعدها باء ساكنة ثم
نون مفتوحة، وتقديرها: أليكنيب إني؟ فأستقطت الباء،

إناء: الأحزاب: ٥٣. أي نهايته من الضج. (١٦٧)

ابن سيده: الأناء: الجلم والوقار، أنى في الأمر أي
أنيا وإنى وأناة، وأنى يأتي أنيا وإنى، وتأنى واستأنى:
تثبت وتمكث، ولم يجعل. (الإيضاح ١: ١٤١)

الزاجب: أن الشيء: قرب إناه^(١): «وتجيم أن»
الرحمن: ٤٤، بلغ إناه في شدة الحر، ومنه قوله: «من عني
أني» الغاشية: ٥. وقوله تعالى: «ألم يأن للذين آمنوا»
الحديد: ١٦، أي ألم يقرب إناه؟

ويقال: آتيت الشيء إيناء، أي أخرته عن أوانه،
وتأنيت: تأخرت، والأناء: التؤدة.

وتأنى فلان تأنياً، وأنى يأتي فهو أن، أي وفور.
واستأنيت: انتظرت أوانه، ويمجوز في معنى استبطنته
واستأنيت الطعام كذلك.

والإناء: ما يوضع فيه الشيء، وجمعه آنية، نحو كساء
وأكسية، والأواني جمع الجمع. (٢٩)

الزحشري: انتظرنا إلى الطعام: أي إدراكه، وبلغت
البرمة إناها، «غير ناظرين إناه» الأحزاب: ٥٣.
يقال: أنى الطعام إني، وحيم أن، وعين آنية: قد
انتهى حرها.

وهو يقوم آناه الليل، أي ساعاته، وأنا أنى لك، وألم
يأن لك أن تعمل، وإنه لذو أناء ورفق. [ثم استشهد
بشعر]

وامرأه أناء: فتور، ونساء أنوات. وتأنى في
الأمر واستأنى، يقال: تأن في أمره واتيد. [ثم استشهد
بشعر]

واستأنى في الطعام: انتظر إدراكه، واستأنيت فلاناً:

ووقفت عليها بالماء.

قال أبو موسى: وهو في مسند أحمد بن حنبل بخط أبي الحسن بن الفرات، وخطه حجة، وهو هكذا معجم مقيد في مواضع.

ويجوز أن لا يكون قد حذف الياء، وإنما هي «ابنة» نكرة، أي أترؤج جُلَيْبِيَّا بنت؟ تعني أنه لا يصلح أن يُزوّج بنت إنما يُزوّج مثله بأمة ليستقاماً له.

وقد رويت مثل هذه الزواية الثالثة بزيادة ألف ولام للتخفيف، أي الجُلَيْبِيَّة الابنة. ورويت الجُلَيْبِيَّة الأمة؛ تريد الجارية، كناية عن بنتها. ورواه بعضهم أمة أو أمتة، على أنه اسم البنت. (٧٨: ١)

الفُيُومِي: «إني» بكسر الميم والقصر والفتح والياء. وزان جمل. وتأتى في الأمر: تمكث ولم يجعل والاسم منه «أنا» وزان حصة.

والإباء والآنية: الإغواء والأوعية وزناً وصحياً، والأواني جمع الجمع.

والإني، بالكسر مقصوراً: الإدراك والتفحّص. وأنى الشيء أنياً من باب «رمى»: دنا وقرب وحضر.

وأنى لك أن تفعل كذا، والمعنى هذا وقتك فبادر إليه. قال تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ الْمَدِيد: ١٦».

وقد قالوا: أن لك أن تفعل كذا أنياً من باب «باع» يسماء، وهو مقلوب منه. وآنيته بالمد: أخرته، والاسم: الأنا، وزان سلام. (٧٨: ١)

الفسير وزابادي: أنى الشيء أنياً وأناء وإنى بالكسر، وهو أنسى كنى: حان وأدرك، أو غامر

بالثبات. والاسم: الأنا، كسحاب، وبالكسر مصدر، جمعه: آنية وأوان.

وأنى الحميم: انتهى حرّه، فهو آن. وبلغ هذا أنا، وبكسر: غايته أو تفضّجه وإدراكه.

والأناء كقناة: الحلم والوقار كالأنى، والمرأة فيها فتور عند القيام، ورجل آن: كثير الحلم.

وأني كسع. وتأتى واستأنى: تبيّت، وأنى أنياً كعشى جُبّاً ورضي رضى، فهو أنى: تأخر وأجلاً كأتى ثانية. وآنيته إيناء.

والآنى وبكسر، والأناء والإنو بالكسر: الوضوء، والساعة من الليل، أو ساعة ما منه، والآنى كأتى وعلى: عمل النهار، جمعه: آناء وأنى وإنى وأنا كعشا، أو كعشى، أو بكسر التون المشددة: بئر بالمدينة لبني قريظة، ووادٍ طريق حاج مصر. (٣٠: ٢)

والآنى: إسماعيل إبراهيم، أنى أنياً وأنى ثانية: قرب ودنا وحان، والآنى: الجزء، والجمع آناء.

والإناء: الوعاء، والجمع آنية. وأنى الطعام إنى: نضج، وأنى السائل: بلغ غاية الحرارة، فهو آن. (٤٩: ١)

المذنانى: أن يمين، أنى يأتى، أن يؤن: حان، ويخطئون طه حسين، لأنه قال: لعل الوقت لم يؤن، أي لم يمين. ويقولون إن الصواب هو:

أ- لم يمين، من أن يمين: حان.
ب- أو: لم يأتى، من أنى يأتى: حان.

ولكن هذه الأفعال الثلاثة صحيحة، والفعلان الأخيران: آن وأنى، تكاد كتب اللقطة تجمع على ذكرهما.

بينما الفعل أن يؤون؛ بمعنى حان، نادر الاستعمال، ولم يذكره سوى اللسان والتاج والمصباح والمحيط وذيّل أقرب الموارد والمعجم الكبير. وقد ذكره التاج والمحيط في مادة «أين» لامادة «أون».

ولست أدري لماذا اختار طه حين استعمال هذا الفعل: أن يؤون القابع في زوايا الإهمال والنسيان، وأنا أرى أن نكتفي باستعمال الفعلين:

أ - أن يبين أين: حان [تم استشهد بشر]

وهو أين. [تم استشهد بشر]

ب - أن يأت، أتيا وإلى وأنى: حان، قال تعالى: «الْمَسْكِينُ يَلْبِثُونَ أَمْشَوْا أَنْ تَفْشَعُ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ» الحديد: ١٦.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ يَأْتِيَنَّ لَا تُؤَخَّرُهُنَّ: الصَّلَاةُ إِذَا آتَتْ، وَالْمَسَازِدَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالْإِيْمُ إِذَا وَجَدَتْ كَقَوْلِهِ: [تم استشهد بشر]

صل أن لا تُعْطَلِيَنَّ الْمَرْمِيْنَ بِالْفَرِيْبِ النَّادِرِ، الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ الْفِعْلَ: أَنْ يَوْوُنَ أَوْتَاءَ بِمَعْنَى: حَانَ. (٤٠) الْمُصْطَفَوِيُّ: يظهر من كلمات القوم ومن التحقيق في موارد الاستعمال أن الأصل الواحد في هذه المادة هو: البلوغ والنضج، من جهة الوقت. وهذا المعنى يختلف بحسب اختلاف الموارد والمفاهيم، كما في بلوغ وقت اشتداد الحرارة، والبلوغ في أوقات الليل وساعاته، وبلوغ مرتبة الخيل والنبأية، وبلوغ وقت الاستفادة من الظروف، وبلوغ وقت إدراك الطعام والأكل منه.

ويؤيد هذا المعنى ما يفهم من مادة أين، أون، أنو:

«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آفَكُوا» الحديد: ١٦، أي ألم يبلغ وقت خسوع قلوبهم في مقابل العظمة في تعالى «يَسْقُطُونَ بِشَيْءٍ وَيَبْئِنَّ حَجِيمٌ أَنْ» الرحمن: ٤٤، بين جهنم وبين ماء حار في النهاية، أو مطلق الحميم الذي بلغ إلى حد نهايته في الحرارة، «تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ أَيْتَةٍ» الغاشية: ٥، عين بلغت وكملت وقت حرارتها، «إِلَّا أَنْ يُؤَذِّنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِقٍ بِإِنَاءٍ» الأحزاب: ٥٣، غير متطرين بلوغ الطعام ونضجه، في وقت مخصوص.

«يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ» آل عمران: ١١٣، «وَمِنْ آيَاتِي اللَّيْلِ فَتُفَجَّرُ» طه: ١٣٠، «أَمْشَوْا قَائِمِينَ أَنْاءَ اللَّيْلِ» الزمر: ٩، أي الليل إذا كملت ساعاته وبلغت أجزاؤه إلى حد الكمال، ونهاية النقلة والتكوت، وتعمقت حقيقة الليلة.

«وَيُطْلَبُ عَلَيْهِمْ بِأَيَّةٍ مِنْ فِطْنَةٍ» الدھر: ١٥، «ظُرُوفٌ بَلَغَتْ حُدَّ الْكَمَالِ، وَانْتَهَتْ الْإِسْتِفَادَةُ مِنْهَا إِلَى وَقْتِ الْفَيْتَةِ».

فلي كل من هذه الموارد قد أخذ قيد البلوغ بحسب الموضوع وقيد الوقت، وهذا هو الفارق بينها وبين الأوقات والظروف.

فقد انضمت اللطائف في انتخاب هذه المادة في هذه الموارد.

ولا ينبغي ما فيها بين هذه المادة وكلمة أني وإن، من التناسب.

(١: ١٥٣)

التَّصَوُّصُ التَّفْسِيرِيَّةُ

أَنَاءُ

١- ... يَتَلَوْنَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ
آل عمران: ١١٣

أَبْنُ مَسْعُودٍ: صلاة التَّخَمَّةِ هم يصلونها، ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصلونها. (الطَّبْرِيُّ ٤: ٥٥) ابن عَبَّاسٍ: ساعات الليل، بلغة هَذِيل.

(اللُّغَاتُ فِي الْقُرْآنِ: ٢٠)

قَتَادَةُ: أَيَّ سَاعَاتِ اللَّيْلِ. (الطَّبْرِيُّ ٤: ٥٥)

مُتْلَهُ الرَّبِيعِ، وَابْنُ كَثِيرٍ (الطَّبْرِيُّ ٤: ٥٥)، وَالشَّرِيفِيُّ

(١: ٢٤٠).

الشَّاذِيُّ: جَوْفُ اللَّيْلِ (الطَّبْرِيُّ ٤: ٥٥) وَرَسُولُهُ.

أَبُو عُبَيْدَةَ: سَاعَاتُ اللَّيْلِ، وَاحِدُهَا إِيَّيْ. تَقْدِيرُهَا:

يَعْنِي، وَالْجَمْعُ: أَجْنَاءُ. [تَمَّ اسْتَشْهَادُ بَشَرٍ] (١: ٢٠٣)

نَحْوُهُ ابْنُ هِشَامٍ (٢: ٢٠٦)، وَالزَّجَّاجُ (١: ٥٤٤).

وَالشَّجِسْتَانِيُّ (٣٧).

الطَّبْرِيُّ: أَمَّا (أَنَاءُ اللَّيْلِ) فَسَاعَاتُ، وَاحِدُهَا إِيَّيْ.

[تَمَّ اسْتَشْهَادُ بَشَرٍ]

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ وَاحِدَ الْأَنَاءِ «إِيَّيْ» مَقْصُورٌ، كَمَا وَاحِدُ

الْأَمْعَاءِ يَعْئِي.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

تَأْوِيلُهُ: سَاعَاتُ اللَّيْلِ، كَمَا قُلْنَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: أَنَاءُ اللَّيْلِ: جَوْفُ اللَّيْلِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ قَوْمٌ كَانُوا يَصَلُّونَ

الْمَشَاءَ الْأَخِيرَةَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ قَوْمٌ كَانُوا يَصَلُّونَ فِيهَا

بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْمَشَاءِ.

وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الَّتِي ذَكَرْتَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا مُسْتَقَارِبَةٌ

الْمَعْنَى؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ، وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِأَنَّهُمْ يَتَلَوْنَ آيَاتِ اللَّهِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ، وَهِيَ أَنَاءُ.

وَقَدْ يَكُونُ تَالِيَهَا فِي صَلَاةِ الْمَشَاءِ تَالِيًا لَهَا أَنَاءُ اللَّيْلِ.

وَكَذَلِكَ مِنْ تَالِيَا فِي بَيْنِ الْمَغْرِبِ وَالْمَشَاءِ. وَمَنْ تَلَاهَا

جَوْفَ اللَّيْلِ، فَكُلُّ تَالٍ لَهُ سَاعَاتُ اللَّيْلِ.

غَيْرَ أَنَّ أَوَّلَى الْأَقْوَالِ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ

بِذَلِكَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِي صَلَاةِ الْمَشَاءِ، لِأَنَّهُمَا صَلَاةٌ

لَا يَصَلِّيُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَوَصَفَ اللَّهُ أُمَّةً بِحَدِّهِ

بِأَنَّهُمْ يَصَلُّونَهَا دُونَ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ

(٤: ٥٤).

الرَّاغِبُ: (أَنَاءُ اللَّيْلِ): سَاعَاتُهُ الْوَاحِدَةُ: إِيَّيْ وَأُنَى

وَأَنَاءُ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَتَلَوْنَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ﴾ (٢٩)

الْمَصْنُوعُ الرَّازِيُّ: (أَنَاءُ اللَّيْلِ) أَصْلُهَا فِي اللَّفْظَةِ:

الْأَوْقَاتُ وَالسَّاعَاتُ، وَوَاحِدُهَا «إِيَّيْ» مِثْلُ يَعْئِي وَأَنْعَاءُ.

وَهَإِيَّاهُ مِثْلُ يَعْئِي وَأَنْعَاءُ، مَكْسُورُ الْأَوَّلِ سَاكِنُ الثَّانِي.

قَالَ الْقَتَّالُ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَأَنَّ الثَّانِيَّ مَا خُذَ مِنْهُ، لِأَنَّهُ

اِنْتِظَارُ السَّاعَاتِ وَالْأَوْقَاتِ، وَبِالْحَبَرِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ

لِلرَّجُلِ الَّذِي أَخَّرَ الْجَهِيَّةَ إِلَى الْجَمْعَةِ: «أَذَيْتَ وَأَنْيَيْتَ» أَيْ

دَاخَمْتَ الْأَوْقَاتَ. (٨: ٢٠٦)

الْقُرْطُبِيُّ: (أَنَاءُ اللَّيْلِ): سَاعَاتُهُ، وَاحِدُهَا إِيَّيْ وَأُنَى

وَالْيَئِي، وَهُوَ مَكْسُوبٌ عَلَى الظَّرْفِ. (٤: ١٧٦)

مِثْلُهُ الشُّشِيُّ (١: ١٧٦)، وَالنَّبَّاسُ بَوْرِي (٤: ١٤٤).

وَنَحْوُهُ الْبَرْبُوسِيُّ (٢: ٨١)، وَالْمَرَاغِيُّ (٤: ٣٤).

الْبَيْضَاوِيُّ: يَتَلَوْنَ الْقُرْآنَ فِي تَهَجُّدِهِمْ، صَبَرَ عَلَيْهِ

والتَّجَنُّاتِي (١٢٣). والتَّجَوِّي (٤: ٢٢٢). والتَّيَضَاوِي (٤: ٢٢٢).
والتَّشْرِيفِي (٣: ٧٠). والتَّخَاذُن (٤: ٢٢٢).
والتَّشْرِيفِي (٢: ٤٩٢). وأَبَوَالشُّعُود (٣: ٢٩٢).
والتَّكَاثُفِي (٣: ٣٢٦).

الطُّوسِي: يعني صلاة المغرب والعشاء. (٧: ٢٢٢)
نحوه الطُّوسِي.

ابن زَيْد: (أَنَائِي اللَّيْلِ): اللَّشْمَةُ.

(الطُّبْرِي ١٦: ٢٣٦)

السَّيْدِي: أي من ساعاته، وواحد الآثاء: إني وأني،
وهي صلاة المغرب والعشاء.

وقيل: المراد من (أَنَائِي اللَّيْلِ) صلاة العشاء.

(١٩٧: ٦)

الْبُزْ وَتَوِي: أي بعض ساعاته جمع «إني» بالكسر
والقصر، كقبيض وأعضاء. وآثاء بالفتح والمدة. (٥: ٤٤٤)

الطُّبَاطِبَاكِي: «وَمِنْ أَنَائِي اللَّيْلِ فَسَبْعُ» الجملة
ظاهرة قوله: «وَأَنَائِي فَارَهْمُونُ» البقرة: ٤.

والآثاء على «أفعال» جمع: إني أو إنو، بكسر الهمزة،
بمعنى الوقت «ين» للتبويض، والجماز والجرور متعلق

بقوله: «فَسَبْعُ» دال على ظرف في معناه متعلق بالفعل،
والتقدير: وبعض آثاء الليل سبع فيها. (١٤: ٢٣٥)

وبهذه المعاني جاءت كلمة «آثاء» في سورة
الزمر: ٩.

يَانِ

لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ...

الحديد: ١٦

بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود، ليكون أبين وأبلغ
في المدح.

وقيل: المراد صلاة العشاء، لأن أهل الكتاب
لا يصلونها لما زوي أنه عليه الصلاة والسلام آخرها، ثم
خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: أما إنه ليس من
أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم.

(١: ١٧٧)

أَبَوَالشُّعُود: (آثاء) ظرف لا يمتثلون، أي في
ساعاته جمع «إني» بزنة عصا، أو «إني» بزنة يسي،
أو «إني» بزنة ظبي أو «إني» بزنة نحس، أو «أنو» بزنة
جزو.

(٤: ٣٢)

نحوه الألويسي.

٢... وَمِنْ أَنَائِي اللَّيْلِ فَسَبْعُ وَأَطْرَافُ الشَّهْرِ لَقَلَّ
تَرْضَى.

ابن قتياب: جوف الليل (الطُّبْرِي ١٦: ٢٣٤)
هي صلاة الليل كله. (الطُّبْرِي ٤: ٣٥)

الحسن: المراد بالآية صلاة التطوع.

(الطُّبْرِي ١١: ٢٦١)

(أَنَائِي اللَّيْلِ) من أوله وأوسطه وآخره.

(الطُّبْرِي ١٦: ٢٣٦)

فَتَادَةُ: صلاة المغرب والعشاء. (الطُّبْرِي ١٦: ٢٣٤)
أَبَسَوْعُبَيْدَةُ: أي ساعات الليل، واحدها إني،

تقديره: جِسِّي، والجميع أحشاء، [تم استشهد بشر]

(٢: ٣٣)

نحوه الطُّبْرِي (١٦: ٢٣٢). والزَّجَّاج (٣: ٣٨٠).

إناء

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاءً...

الأحزاب: ٥٣

ابن عباس: غير ناظرين الطعام أن يصنع.

(الطبري ٢٢: ٣٤)

مجاهد: مشحئين نضجه. (الطبري ٢٢: ٣٤)

قتادة: غير متعئين طعامه. (الطبري ٢٢: ٣٤)

أبو عبيدة: أي إدراكه ويلوغه. ويقال: أتى لك أن

تفعل يا بني أيتها، والاسم إني وأنتى: أبلغ: أدرك.

(٢: ١٤٠)

الطبري: غير مستظرين إدراكه ويلوغه. وهو

تصدر من قولهم: قد أتى هذا الشيء يا بني وأنتى وإنا.

[ثم استشهد بشر]

وليه لغة أخرى، يقال: قد آن لك، أي تبين لك أيتها،

ونال لك، وأنال لك. [ثم استشهد بشر]

الزجاج: (إناء): نضجه ويلوغه. يقال: أتى يا بني إنا.

إذا نضج ويلغ. (٤: ٢٣٤)

القيسي: (إناء) ظرف زمان، أي وقته. وهو مقلوب

من «آن» الذي بمعنى الحين، قلبت التون قبل الألف،

وغيّرت الهمزة إلى الكسر، فمعناه: غير ناظرين آتد. أي

حينه، ثم قلب وغيّر على ما ذكرنا. (٢: ٢٠)

الزاجب: أي وقته، و«الإناء» إذا كسر أوله قُصر.

وإذا فُتح مدّ. (٢٩)

البغوي: غير متظرين إدراكه ووقت نضجه.

ابن عباس: إن لغة استبطا قلوب المؤمنين ضاعتهم

على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن، فقال:

«ألم يأن»: ألم يحن «للذين آمنوا أن تخشع»: تسوق

وتلين، وتخضع «قلوبهم ليدخروا آفوه».

(البغوي ٧: ٢٩)

عكرمة: يقول: ألم يحن للذين آمنوا.

(الدّر المنثور ٦: ١٧٥)

نحوه ابن قتيبة (ابن الجوزي ٨: ١٦٨)، والطبري

(٢٧: ٢٢٨)، والطوسي (٩: ٥٢٨)، والسيدي (٩)

(٤٩٣)، والطبرسي (٥: ٢٢٧).

الزجاج: (يأن) من أتى يا بني، ويقال: آن بين. وفي

(٥: ١٢٥)

هذا المعنى، ومعناه حان يحين.

(٢: ٣٥١)

القيسي: يني ألم يجب.

الزمخشري: من أتى الأمر يا بني، إذا جاء إنا، أي

وقته. وقرئ (ألم يئن) من آن يئن، بمعنى أتى يا بني، وإنا

(٤: ٦٤)

يأن).

نحوه البضاوي (٢: ٤٥٤)، والشافعي (٤: ٢٢٦)،

والثياثوري (٢٧: ٩٨)، والبرصوسي (٩: ٣٦٣)،

والأكوسي (٢٧: ١٧٩)، والقاسمي (١٦: ٥٦٨٥)،

والمرامي (٢٧: ١٧١)، والطباطبائي (١٩: ١٦٦).

القرطبي: أي يقرب ويحين. [ثم استشهد بشر]

وماضيه أتى بالقصر يأن، ويقال: آن لك بالمد أن تفعل

كذايتن أيتها، أي حان. مثل أتى لك، وهو مقلوب منه. [ثم

(١٧: ٢٤٨)

استشهد بشر]

الشريفي: أي يحن ويدرك، وينتهي إلى النهاية

(٤: ٢٠٨)

ومقامكم. (٣٦٨: ٤٦)

الفخر الرازي: قوله «غير ناظرين» يعني أنت
لا تنظروا وقت الطعام فإنه ربما لا يتهيأ. (إناء) قيل:
وقته. وقيل: استراؤه. (٢٢٤: ٢٥١)

القرطبي: أي غير منتظرين وقت نُضجه. (إناء)
مقصود. وفيه لغات: إنى بكسر الهمزة. ثم استشهد
بشر (وأنى بفتحها. وأناء بفتح الهمزة والمد. ثم استشهد
بشعر)

(وإناء) مصدر أنى الشيء يأتي. إذا فرغ وحن
وأدرك. (٢٢٦: ١٤)

البيضاوي: أي منتظرين وقته. أو إدراكه. وهو
حال من فاعل «لأنه خلوا» أو الجور في الكتم.

وقرأى بالجر صفة طعام. فيكون جارياً على غير من
قوله بلا إيراد الضمير. وهو غير جائز عند البحرين.

وقد يقال حمزة والكسائي (إناء) لأنه مصدر أنى
الطعام. إذا أدرك. (٢٥٠: ٢)

نحو: أبو السحر (٢١٧: ٤). والكاشاني (١٩٨: ٤).
الشربيني: أي منتظرين إناء. أي نُضجه. وهو
مصدر أنى يأتي.

وقرأه شام وحمزة والكسائي بالإمالة. ووزش
بالفتح وبين اللظين. والباقون بالفتح. (٢٦٥: ٢)

البزوصوي: أي غير منتظرين وقت الطعام
أو إدراكه. وهو بالقصر والكسر مصدر أنى الطعام. إذا

أدرك. وفيه إشارة إلى حفظ الأدب في الاستئذان
ومراعاة الوقت. وإيجاب الاحترام. (٢١٣: ٧)

الطباطبائي: أي غير منتظرين لورود إناء الطعام

يقال: أنى الحميم. إذا انتهى حره. وأنى أن يفعل ذلك.
إذا حان. إنى بكسر الهمزة مقصورة. فإذا فتحها مددت
فقلت: الإناء. وفيه لغتان: أنى يأتي. وأن يمين. مثل حان
يمين. (٢٢٤: ٥)

نحو: الميمني (٨٢: ٨). والمنازين (٢٢٤: ٥).
الزمخشري: «غير ناظرين» حال من «لأنه خلوا»
وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً. كأنه قيل:
لا تدخلوا بيوت النبي ﷺ إلا وقت الإذن. ولا تدخلوها
إلا غير ناظرين. وهؤلاء قوم كانوا يتعینون طعام
رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه.

ومعناه: لا تدخلوا بأهؤلاء المتعینون للطعام إلا أن
يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناء. وإلا فلا يمكن
هؤلاء خصوصاً لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي ﷺ
إلا أن يؤذن له إذناً خاصاً. وهو الإذن إلى الطعام فحسب.

ومن ابن أبي خبلة أنه قرأ «غير ناظرين» بـ «جسور»
صفة للطعام. وليس بالوجه. لأنه جرى على غير ما

هوله. فمن حق ضمير ما هوله أن يبرز إلى اللفظ. فيقال:
غير ناظرين إناء أنتم. كقولك: عند زيد خابته هي. وإنى
الطعام إدراكه. يقال: أنى الطعام إنى. كقولك: فلا أدرك.

ومنه قوله: «يؤمن بحيم أنى الرحمن» ٤٤. بالغ إناء.
وقيل: إناء. وقته. أي غير ناظرين وقت الطعام

وساعة أكله. (٢٧١: ٣)

نحو: النيسابوري. (٢٦: ٢٢)

الطبرسي: أي غير منتظرين إدراك الطعام؛ فيطول
مقامكم في منزله. والمعنى لا تدخلوا بغير إذن.

وقيل: نضج الطعام. انظاراً لنضجه؛ فيطول أليكم

بأن تدخلوا من قبل فطيلوا المكث في انتظار الطعام،
 وبالله قوله: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾
 أي أكلتم ﴿فَاتَشَبَّهُوا﴾ الأحزاب: ٥٣. (١٦: ٣٣٧)

إذا استفأوا من النار جعل غياهم ذلك.

(الفرطية ١٧: ١٧٥)

القراء: والآتي الذي قد انتهت شدة حره.

(11A.5)

وفي «يَانُ» لغات: من العرب من يقول: أَلَمْ يَأْنِ لَكَ،
وَأَلَمْ يَنْ لَكَ، مِثْلَ يَنْ. ومنهم من يقول: أَلَمْ يَسْنَلْ لَكَ
بِالْأَم، ومنهم من يقول: أَلَمْ يَسْلُ لَكَ، وَأَحْسَنُ الَّتِي أَتَى
بِهَا الْقُرْآنُ.

أَبُو حُبَيْدَةَ: بلغ إناء في شدة الحر، وكلُّ مُدْرِكٍ آتٍ،
وفي آية أُخْرَى «غَيْرَ نَاطِلٍ مِنْ إِنَاءٍ» الأحزاب: ٥٣، أي
[ثم استشهد بـ] إدراكه. (٢٤٥: ٢)

الطَّبْرِي: بين ماء قد أَسْفَنَ وأَغْلَى حتى انتهى حره
وَأَنَّى طَبَخَهُ. وكلُّ شيء قد أدرك فقد أُنِيَ، ومنه قوله:
﴿عَبْرَ نَاقِرِينَ إِنَاءٍ﴾ الأعراب: ٥٢، يعني إدراكه
[لم يؤخّر] (ثم استشهد بشر)

نحوه القاسمی . (۵: ۵۶۲۹)

الْقَمِي: لُثْمٌ مِنْ شَعَةِ حَرَّهَا. (٢: ٣٤٥)
الرَّجَاج: يَحْنِي آوٍ، قَدْ أَثْنَى يَأْنِي فَهُوَ آوٍ، إِذَا انْتَهَى فِي
لُثْجٍ وَالْعُرَارَةِ. فَإِذَا اسْتَغْنَوْا مِنَ النَّارِ جَعَلَ غِيَاثَهُمْ
لِحَمِيمِ الْآثِي الَّذِي قَدْ صَارَ كَالْمُهْلِ، فَيُطَافُ بِهِمْ مَرَّةً إِلَى
لِحَمِيمٍ وَمَرَّةً إِلَى النَّارِ. (٥: ١٠٢)

الطوسي: والآ: الذي بلغ نهايته، والمراد بها هنا
الذي قد بلغ نهاية حركته، من أنى يأتي إتيان فهو آن، ومنه
قوله: «غَيْرَ تَاخِرِينَ إِيَّاهُ» الأحزاب: ٥٣، يعني تضجده،
يلوغه غايته. {٤٧٨: ٩}

نَحْنُ الْمَشْجُودُ. (٤١٧:٩)

اِنْ

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَبِيبٍ إِنِ الرَّحْمَنُ: ٤٤
كَغَيْبِ الْأَخْبَارِ (إِنِ) وَإِذْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ، يَجْتَمِعُ
فِيهِ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، فَيُحْتَسِنُونَ بِأَغْلَالِهِمْ فِيهِ حَتَّى تَخْلُجَ
أَوْصَالَهُمْ، ثُمَّ يُخْرِجُونَ مِنْهَا. وَقَدْ أَحَدَتْ لَهُمْ خُلُقًا
جَدِيدًا فَيُطْلَقُونَ فِي النَّارِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَطُوفُونَ
بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَبِيبٍ إِنِ﴾ (الْقُرْطُبِيُّ ١٧، ١٧٦).

أَنَّهُ الْحَاضِرُ (الْقُرْطُبِيُّ ١٧: ١٧٧)

مثله ان، و بده.

(الطه: ٢٧: ٢٨)

ابن عساکر: (الطبعة ٢٧٦: ١١٤٤)

تلك السنة ومعه (١١٤٨٧) من الحبوب

$$(\forall x, y \in \mathbb{N}) \quad (x \leq y) \rightarrow (x + 1 \leq y + 1)$$

(1994, 1995) and (1995, 1996) = 1996

[illegible]

الذی یسجد للرب وحده

[illegible][illegible]

وَأَمَّا الْفُلُ فَأَنزَلْنَاهُ ذِي الْحِجَّةِ فَكَانَ خَلْقًا ثَمَرًا

المركز العربي

فما إذا يظنون مرة بين الحميم ومرة بين الجعيم.

خيم: التاو. (المروطي: ١٧: ١٧٥)

الزَّمْخَشَرِيّ: ماء حارٌّ قد انتهى حرّه ونُضِجه، أي
يُعاقب عليهم بين التَّصلية بالنار وبين شرب الحميم.
وقيل: إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم.

(٤٨: ٤)

نحوه الطُّبْرَسِيّ (٥: ٢٠٦)، والبَيْضَاوِيّ (٤٤٣: ٢)،
والسَّنِّيّ (٤: ٢١٢)، واليَاسَابُورِيّ (٢٧: ٦٨)، وأبو حيان
(٨: ١٩٦)، وابن كثير (٦: ٤٩٦)، وأبو الشَّوَر (٥: ١٢٦)
والكاشاني (٥: ١١٢)، والبرُّوسِيّ (٩: ٣٢)، والمُرايَني
(٢٧: ١٢٠)، وعزّة دروزة (٧: ١٣٧).

الفَخْر الرَّاغِي: هو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ يَنْسَجِفُوا
يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالسَّمَلِ﴾ الكهف: ٢٩، وكقوله تعالى:
﴿كُلُّنَا آذًا وَأَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ السَّجدة:
٢٠. لأنهم يخرجون فيستغيثون، فيظهر لهم من بعد شيء
مائع هو صديدهم المثلّ فيظنونه ماء، فيترددون عليه
كما يرد العطشان، فيقعون ويشربون منه شرب الخمر،
فيجدونه أشدَّ حرًّا، فيقطع أسماءهم كما أنَّ العطشان إذا
وصل إلى ماء مائع لا يبحث عنه ولا يذوقه وإنما يشربه
عجًّا فيحرق فؤاده، ولا يمكن عطشه.

وقوله: (خميم) إشارة إلى ما قبل فيه من الإفلاء،
وقوله تعالى: (أَنْ) إشارة إلى ما قبله، وهو كما يقال: قطعته
فانقطع، فكأنَّه حتمت النار فصار في غاية السَّخونة، وأن
الماء، إذ انتهى في الحرِّ نهاية.

بنت الشَّاطِئِي: سأل نافع عن قوله تعالى: ﴿خَمِيمٍ
أَنْ﴾، فقال ابن عباس: الآتي: الذي انتهى طبعه وحرّه،
فلما سأله نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ أجاب: نعم
أما سمعت قول نابتة بني ذبيان:

ويغضب لحيّة خدرت وخانت

يا حنى من نعيم الجوفِ أن
الكلمة من آية الرَّحْمَن: ٤٤، من أنى يأتي فهو أن،
ومعها آتية في قوله تعالى: ﴿تَضَلَّى نَارًا خَابِيَةً﴾ تُسَنَّى
بِمنْ غَيْرِ آتِيَةٍ الفاشية: ٤، ٥.

وجاء الفصل في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الحديد: ١٦،
والمصدر في قوله تعالى: ﴿وَيَسَاءَ لِمَا أَكْفَرُوا
لَا تَذْكُرُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي إِلاَّ أَنْ يُوَدَّقَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ
نَافِعٍ إِلَّا تَاءَهُ﴾ الأحزاب: ٥٢.

ومن المادة جاءت كلمة (أناة البَل) ثلاث مرّات:
الحران: ١١٣، طه: ١٢٠، الزمر: ٩، و﴿بِأَيَّةٍ مِنْ
بُطْئَةٍ﴾ القدر: ١٥، وأنى في ثلاث وخمسين آية.
وتفسير (خميم لن) بالتذي انتهى طبعه وحرّه،
أو بالتضيق كما فسّره ابن الأثير، تقريبا لا يفتونا معه
دلالة الكلمة أصلاً على «الزمن» بمعنى حان وقته وبلغ
إنباء في شدّة الحرّ، كما قال الراغب في «المفردات»، ودلالة
الزمن في «أنى» لانتبىب مع تعلّقها بالمكان أو الكيفيّة
أو الحال، و﴿أناة البَل﴾ ساعاته، والإنباء، بالكسر والقصر:
الطعام وقت نضجه، والآتية والأواني: وأوهية الإناء.

كما لا تخفى دلالة المادة على «الزمن» في الثَّانِي بمعنى
التَّسْمَل، وفي الثَّوَانِي بمعنى التَّراخي والإبطاء، وكلّ ذلك
من تصرّف العريّة في المادة لبيان فروق الدلالات، دون
أن ينفك عنها جيئاً أصل الدلالة على الزمن والوقت، في
كلّ تصرّفها واستعمالها.

من هنا كان التفسير بالتضيق لولنتهاء الطبع ملحوظ

فيه دلالة المادة أصلاً على الألوان، وجاء النضج من بلوغ
إناءه وأوانه. (٣٥٣)

أنية

وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنْيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ... الدُّر: ١٥

التَّسْفِي: والآنية: جمع إناء، وهو وعاء الماء

(٣١٨: ٤)

نحوه أبو حنيفة (٣١٧: ٨)، والطَّبَّاطِي (١٢٩: ٢).

التَّسْرِينِي: (أنية) جمع إناء، كسقاء وأسقية. وجمع

الآنية أوان، وهي ظروف للمياه (٤٥٥: ٤)

الْبُرُوسِي: (أنية): أوعية. جمع إناء، نحو كساء

وأكسية. والأواني جمع الجمع، كما في «المفردات»، وأصل

أنية: أنية، يهرتين، مثل: «أهلة».

قال في بعض التفاسير: الباء فيها إن كانت للتعدية

فهي قائمة مقام الفاعل، لأنها مفعول له معنى. والـ

فالظاهر أن يكون القائم مقامه عليهم. (٢٧١: ١٠)

نحوه الألويسي. (١٥٩: ٢٩)

المَرَاغِي: وآنية: واحدها إناء، وهو ما يوضع فيه

الشَّراب. [إلى أن قال:]

أي يُدِير عليهم خدمهم كؤوس الشَّراب والأكواب

من الفضة. وقد تكونت وهي جامعة لصفاء الزجاج

وشفيفها وبياض الفضة ولينها، وقد قدرها لهم السَّقاء

الذين يطوفون عليهم للتسقية، على قدر كفايتهم ورئس،

وذلك أَلْهِم وأخف عليهم، فهي ليست بالملاى التي

تبيض، ولا بالتأقصة التي تبيض.

والخلاصة: لأن آنية أهل الجنة من فضة بيضاء في

صفاء الزجاج، فيرى ما في باطنها من ظاهرها.

(١٦٧: ٢٩)

٢- تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ أَنْيَةٍ. العاشية: ٥

ابن عباس: هي التي قد أطال أنيها.

(الطَّبَّي: ٣٠: ١٦١)

أنية: بالنة النهاية في شدة الحر.

(الطُّوسِي: ١٠: ٣٢٤)

مثله قتادة. (الطُّوسِي: ١٠: ٣٢٤)، نحوه السَّجِسْتَانِي

(٢١٧)، والْبَلَوِي (١٩٨: ٧)، والسَّيْدِي (١٠: ٤٦٩)،

والْبَيْضَاوِي (٢: ٥٥٥)، والنَّسِيبُورِي (٣٠: ٨٢)،

والْحَازِن (٧: ١٩٨)، وأبو حنيفة (٨: ٤٦٢)، والتَّسْرِينِي

(١: ٥٢٥)، وأبو السَّموء (٥: ٢٥٨)، والكاشاني (٥:

٢٢٠)، والقاسمي (١٧: ٦١٣٨)، والطَّبَّاطِي (٢٠:

٢٧٣)

مجاهد: قد بلغت إناءها، وحان شربها.

(الطَّبَّي: ٣٠: ١٦١)

الحسن: أتى طبعها من ذبوم خلق الله الدنيا.

(الطَّبَّي: ٣٠: ١٦١)

مثله قتادة. (الطَّبَّي: ٣٠: ١٦١)

من عين أتى حرها، يقول: قد بلغ حرها.

(الطَّبَّي: ٣٠: ١٦١)

أي حرها أدرك، أوقدت عليها جهنم منذ خلقت

فدُفِعُوا إِلَيْهَا وَرَدًا عَطَافًا. (الْقُرْطُبي: ٢٠: ٢٩)

ابن زيد: أنية: حاضرة. (الطَّبَّي: ٣٠: ١٦١)

الطَّبَّي: تُسْقَى أصحاب هذه الوجوه من شراب

عين قد أتى حرها، فبلغ غايته في شدة الحر.

قال تعالى: (وَيَتَيْنَ حَبِيبَ لَنِي). يقال: أتى المصمم: انتهى حرره. فهو أن. وبلغ هنا إتمام وإتمام: غايته. وفيه إشارة إلى نار الطيعة، وعين الجهل المركب الذي هو مشرب أهلها، والاعتقاد القاسد المؤذي. (٤١٣: ١٠)

القراغي: أي إن أهل النار إذا عطشوا في تلك الذكر وظلوا ما يظن غلتهم: جيء لهم. جاء من ينبوع بلغ من الحرارة غايته، فهو لا يظن لها ولا ينفع غلة. (١٣٢: ٣٠)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة البلوغ والإدراك، والتأخر والإبطاء. وساعة من ساعات الليل، فمن الأول قولهم: أتى الشيء يأتي أنى وإلى: أتيك، كان وأدرك، وبلغ الشيء: إتمام، أي إتمامه، وأتى المصمم: انتهى حرره، وانظرنا إلى المصمم أي إتمامه. واستأنيت الطعام: أي انتظرت إدراكه، وما أتى لك، ولم يأتي لك، أي لم يحن.

ومنه أيضاً: الإتمام، واحد الآية، لأنه - كما قالوا - قد بلغ أن يحتل بها يأتي من طبع أو غرز أو نجارة، وقد جطه ابن فارس أحد أصول هذه المادة.

ومن الثاني: أتى في الأمر يأتي، وأتيت يأتي أتيت وأتيت. وتأتى واستأنى: تثبت وتمكث ولم يجعل، وأتيت في الشيء: قصرت فيه. وأتيت الشيء إتماماً: أخرته، واستأنيت غلاتاً: انتظرت وتأخرت في أمره ولم أجهل. وأتيت الطعام في النار، إذا أطلت مكنه، واستأنى فلان بالأمر: انتظره.

ويقال أيضاً: إن خير فلان لبطي أتى. ولا تؤنؤ

وقال بعضهم: عني بقوله: (عَيْنَ عَيْنٍ لَنِي). من عين حاضرة. (١٦٠: ٣٠)

الرجاس: أي متاهية في شدة الحر، كقوله: «يَطْغُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَبِيبِ أَنْ» الرحمن: ٤٤.

(٣١٧: ٥)

نحوه الأوسى:

(١١٣: ٣٠)

القسي: أتيت من شدة حرها.

(٤١٨: ٢)

الطيرسي: أي وثقى أيضاً من عين حارة قد

(٤٧٩: ٥)

بلغت إتمامها وانتهت حرارتها.

الفخر الرازي: الأتي: الذي قد انتهى حرره، من

الإتمام، بمعنى التأخير.

وفي الحديث: «أَنْ رَجُلًا أَمْرَ حَضَرِ الْجَمْعَةِ مِمَّ تَخْطِي

رقاب الناس، فقال له انتهى ذلك» آتيت وآذيت، ونظير

هذه الآية قوله: «يَطْغُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَبِيبِ أَنْ»

الرحمن: ٤٤.

قال المفسرون: إن حرها بلغ إلى حيث لو وقعت

(١٥٣: ٣١)

منها قطرة على جبال الدنيا لذابت.

(٢٩: ٢٠)

نحوه القرطبي:

النسلي: من عين ماء قد انتهى حرها، والتأنيث في

هذه الصفات والأفعال واجبة إلى الوجوه، والمراد

أصحابها، بدليل قوله: «لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ»

(٣٥٦: ٤)

الفاشية: ٦.

البروسوي: أي متاهية بالغة في الأتي، أي الحر،

غايته لتسخينها بذلك النار منذ خلقت، لو وقعت منها

قطرة على جبال الدنيا لذابت. فإذا أدت من وجوههم

تناثرت لحوم وجوههم، وإذا غيروا قطعت أضاءهم، كما

فرصتك: لا تؤخرها إذا أمكنتك، وكل شيء أخرته فقد آتته.

ومن الثالث: الآن والآن والآن: الساعة من الليل، والجمع آناء، يقال: مضى إتيان وإتيان من الليل.

٢ - أما الأناة، أي الحلم والضعف والمرأة الرزينة، فهو من «الوئي»، إذ الهزرة بدل من الواو، ومنه قولهم: أين أخيبهم أي سفرهم وقصدتهم، وأصله «وخيبهم»، ونحو: كل مال زكسي ذهب أبلته، أي غمره، وأصله «وبلته»، ونحو: أزر في «وذير»، وأج في «وج»، وأجم في «وجم»، وقد تعرضنا لذلك في مواضع عديدة من المعجم.

وقولهم: أن على نفسك، أي أوقف بها في الشير وأشدغ، وبني وسين مكنة عشر لبال آياتة أي وادعات، ليس من (أن) بل هو من (أون).

وكذا قولهم: أن الشيء، أي حان، فهو من (أي).

٣ - ولا ينكر أن بين هذه المواد الأربعة - الآن والوئي والأون والأين - اشتقاق أكبر، أي اشتراك في الحروف لفظاً، واشتراك في إعادة الزمان معنى، فهي دلالة على الزمان في كل ما تنصرف إليه من دلالات، أي أننا نلمع معنى الزمان قوياً في بعض الاستعمالات وضعيفاً في بعضها الآخر. ولكن في الحالين موجود بحيث يصح - أو يقرب من الصواب - القول بدلالة أصل الجذر على الزمن، إلا أن ذلك لا يسمح لنا بأن ندبرها في مادة واحدة، بل نجعل كلًا من هذه المواد على حدة في هذا المعجم.

وعلى هذه الرؤية - التي يبدو أنها جديدة - تجتمع

الأصول الأربعة التي لرتأها ابن فارس لهذا الجذر في أصل واحد، وهو الدلالة على الزمن، فالبط = والساعة من الزمان، وإدراك الشيء، والظرف، تتضمن معنى الزمان جميعاً، مع ملاحظة الفرق بين الواوي واليائي حسب ما تقدم، وأما ذهب ابن فارس إلى تفصيل ذلك للزمن على مجالات محددة تختلف بينها بعض الاختلاف، ذلك الاختلاف لم يسمح له أن يجعلها ضمن إطار واحد، لأنه نظر إلى الدلالة الظاهرة، لا الدلالة القائمة المستكنة في الاستعمال.

وعلى هذا الضوء يقال: أني يأتي آتياً وأن يمين آتياً، وأن يؤون أوئاً، أي حان الوقت، وأن الزحصيل، أي قرب، وأتته آتية بعد آتية، أي تارة بعد تارة، ووقتاً بعد وقت.

٤ - وإذا فلاحظوا أن يؤخذ لفظ «الآن» دالاً على الزمان الحاضر، ولفظ «إني» دالاً على الزمان المتأخر، سواء كان في الماضي أم في الحال، كقولك: آتيت الصلاة، أي أخرتها، وسأوانيا - قياساً - بمعنى سأؤخرها، فقد خففوا الهزرة، وقالوا: سأوانيا. ومن هذا المعنى الأخير قالوا: بلغ الشيء إناءً، أي مستهاً وحايته، والإيناء: الانتظار، وكذلك دال على الزمن المتأخر.

وكذا كلمة «أني» فهي أداة دالة على الاستفهام الزماني، والاستفهام المكاني أيضاً. ويدل لفظ «أين» على الاستفهام المكاني غالباً، والزماني نادراً. ويدل لفظ «أيتان» على الاستفهام الزماني، و«أيتا» على الاستفهام المكاني وهكذا فلاحظ موادها.

٥ - وقيل: آتية وأوان - جمع إناء - هما «أفعله»

وليس استعمال «الزمن» في التوصيف إشارة إلى ما يتبع عن مرور الزمن على الموصف به بغيره، فقد جاء في «فانظر إلى طعامك وشرايبك لم يستنن» البقرة: ٢٥٩، فالمعنى القريب له أنه لم تمر عليه السنون، والمعنى المراد أنه لم يتغير طعمه ولا لونه بمر السنين الطويلة عليه، لاحظ «من ه».

٢- آية: «وَيُطَاغَ عَلَيْهِمْ بِأَيِّهِ مِنْ فَضْلِهِ وَأَنْخَوَابُ كَانَتْ قَوَابِرًا» النهر: ١٥. «تَشَى مِنْ عَيْنِ أَيْتَةٍ» الناشية: هـ.

أ- في الأولى جاءت بالمعنى المتداول المعروف من الأدوات المستخدمة لتقديم الطعام والشراب، مفرداتها «إتاء» الذي يجمع على الأواني.

وأما الآية لم كونها جمعا لإتاء إلا أنها تنصت معنى لعمق من معنى الأواني، ذلك أن الآية - كصيغة - تطلق على معنى «الزمن» وهو الزمن الحاضر، أي أن هذه الأواني التي يمد الله سبحانه بها المؤمنين في الجنة ليست مثل الأواني التي يستعملونها في الدنيا، فهي آنية، أي حاضرة جاهزة في كل وقت.

وهذا فرق دقيق بين جمع وجمع، هو باب نستطيع به أن نقرر أن صيغ الجمع إنما كثرت وتعددت لبيان فوارق دقيقة بين صيغة وصيغة، وقد يكون ذلك الفارق لمعنى الزمن كما هاهنا، أومعاني أخرى.

فالأواني جمع الجمع من الإثناء، جمع جرم الإثناء إلى جرم الإثناء الآخر، فإذا ما أريد التعبير عن ذلك الجمع باستحضار معنى الزمان فيه عُدِلَ من الأواني إلى الآنية، وكانها الحاضرة الباهرة، ولكل في التناغم الموسيقي بين

و«أفاعل» و«فاعة» و«فواعل»، والقول الأول موافق للقياس، لأن «أفعلة» جمع لكل اسم مذكر على أربعة أحرف، ثالثه حرف مد، مثل: قذال وأقذلة، ورغيف وأرغفة، وعمود وأعمدة، والتزم ذلك في جمع المضاعف أو الممثل للآل من «فحال» أو «ففعال»، مثل: بنات وأبنة، وزمام وأزمنة، وقباء وأقبية، وفناء وأفنية.

ويجمع «أفعلة» على «أفاعل» أو «أفاعيل»، مثل: أعين وأعابن، وأقوال وأقاويل، وغريان وغرابين.

وأما «فواعل» فهو جمع (فاعلة) من الصفات، مثل: صاحبة وصواحب، وفاطمة وفواطم، فلا يكون جمعا للفظ «آنية»، لأنه ليس مفردا ولا صفة.

الاستعمال القرآني

الاستعمال القرآني للفظ ملحوظ فيه أيضا نخصه «الزمن» في كل الصيغ الواردة فيه:

١- يأتي بمعنى يحين: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ أُتُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ» الحديد: ١٦.

٢- أن: «يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَا حَمِيمٍ آتٍ» الرحمن: ٤٤.

وصف به «الحميم» الذي وعِدَ به أهل الجحيم، وأريد به - على ما يظهر من دلالة المادة - أن ذلك «الحميم» قد بلغ أعلى درجات غليانه، أو قد حان زمان تعذيبهم به، فإن بلوغ ذلك «الحميم» درجة الغليان القصوى يحتاج إلى زمن، فكان توصيف «الحميم» به باعتباره قد مر به الزمن الطويل حتى بلغ النهاية من الحرارة.

هذا اللفظ (آنية) ولفظ (دانية) في الآية قبلها: ﴿وَدَانِيَةُ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أُطُوفُهَا تَذِيلًا﴾ الدھر: ١١، ما يساعد على استيعاء ذلك.

ب - والآية في الآية الثانية بمعنى الحاضرة الجاهزة التي قدمر عليها الآن بعد الآن حتى وصلت إلى حالتها الجاهزة للاستعمال، وهي العين التي يعذب الكافرون بإسقامهم منها، وهذه اللفظة مؤنث لفظة «آن» وفي كل منها يبين عنصر الزمن بيانا واضحا، وفي الجمع بين (عين) و(آية) شبه الجناس ظاهر.

٤ - أناء: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ آل عمران: ١١٣

﴿وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكُمْ تَرْضُونَ﴾ طه: ١٣٠
﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾

جاءت (أناء) في هذه الآيات الثلاث مضافة إلى

الليل مقابلة ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ و ﴿أَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ في (طه)، فدلّت بذلك على أوقات نائية من الليل، وهي ما يستطيق الإنسان استمرار النوم فيها من الزمن، وتحدّد في البعد الزمني لا في قربه، أي وقت بعيد عن الفجر.

٥ - إناء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرٍ إِنَاءً﴾

الأعراب: ٥٣

أي غير مستعملين نضعه، أي زمن جهازه للأكل، فقه أيضا معنى الزمان.

وعند الطباطبائي أنه بمعنى الظرف، أي لاستعملوا في الدخول، لانتظروا دخول الإناء، ويؤيده قراءة «إناءهم» وعليه فالأولى أن يكون (ناظرين) بمعنى الرؤية، أي لانتظروا حال الأكل إلى ظروف الطعام كيف هي. ~~أصبحت أم مكسورة، خالية أم رخيصة؟ ونحو ذلك.~~

أهل

١٢ لفظاً. ١٢٧ مرة: ٧٤ مكية، ٥٣ مدنية

في ٤٠ سور، ٢٨ مكية، ١٢ مدنية

للمجمع، وجاءت الياء التي في «الأهالي» من الواو التي في

«الأهلون».

وأهلته لهذا الأمر تأهيلاً. ومن قال: وهلته، ذهب به

إلى لغة من يقول: وامرأته وواكلته.

ومكان مأهول: فيه أهل. ومكان أهل: له أهل. إنم

استشهد بشعر

وكل دابة وغيرها إذا ألفت مكاناً فهو أهل وأهلي.

أي: صار أهلياً. ومنه قيل: أهلي لما ألفت الناس والنزال.

ويروي لما استوحش ووحشي. وحرم رسول الله ﷺ

يوم خير لحوم الحمر الأهلية.

والعرب تقول: مرحباً وأهلاً، ومعناه: نزلت رَحباً، أي

سعة، وأتيت أهلاً لا غرباء.

والإهالة: الآتية ونحوها، يؤخذ فيقطع ثم يُذاب.

وهي: الجميل أيضاً. (٤: ٨٩)

نحوه: الطوسي (١: ٢٩١)، والطبرسي (١: ٢٩٠).

أهل ١٨: ٣٦-١٨: ١: ١: ١

أهله ٢٧: ٢١-٢١: ٢: ٣

أهلها ٢٠: ١٥-١٥: ٢: ٣

أهلهم ٣: ٣-٣: ١-١: ١

أهلين ١: ١-١: ٢-٢: ٣

أهلك ٩: ٨-٨: ١-١: ٢

النصوص القرآنية

الغليل: أهل الرجل: زوجته، وأخص الناس به.

والنَّاهِل: التَّروِج، وأهل البيت: شُكَّانُه، وأهل

الإسلام: من يدين به، ومن هذا يقال: فلان أهل كذا

أو كذا، قال الله عز وجل: ﴿هُوَ أَهْلُ الشُّغْرِ وَأَهْلُ

السُّغَيْرَةِ﴾ المدثر: ٥٦، جاء في التفسير أنه جل وعز

أهل لأن يتقى فلا يصح، وهو أهل لمنفرة من اتقاء.

وجمع الأهل، أهلون وأهلات. والأهالي: جمع

يسببونه؛ سألت الحنكيل عن قول العرب: أرض وأرضات؟ فقال: لما كانت مؤنثة وجمعت بالثاء ثقلت كما ثقلت طلحات وصفحات. [إلى أن قال:]

قلت: فهلاً قالوا: أرضون، كما قالوا: أهلون؟ قال: إنها لما كانت تدخلها الثاء أرادوا أن يجمعوها بالواو والتون كما جمعوها بالثاء.

و«أهل» مذكر لا تدخله الثاء ولا تنير الواو والتون، كما لا تنير غيره من المذكر، نحو صعب وقمل.

(٥٩٩: ٣)

وقالوا: أخلات، فحذفوا شبهوها بصنابات، حيث كان «أهل» مذكراً تدخله الواو والتون، فلما جاء مؤنثاً كمؤنث «صعب» قيل به كما قيل بمؤنث «صعب» وقد قالوا: أخلات فثقلوا، كما قالوا: أرضات. [ثم استشهد بشر]

الكسائي: أهلت به وودعت به، إذا الميأست به. (الأزهري ٦: ٤١٧) مثله القراء.

أهلت بالرجل، إذا آنت به. (المؤبري ١: ١٦٢٩)

اليزيدي: آنت به، واستأنست به وأهلت به أحولاً، بمعنى واحد وأهل الرجل يأهل أهولاً، إذا تزوج، للأنس الذي بين الزوجين. (الأزهري ٦: ٤١٧) أبوزيد: الإهالة هي الشعم والزيت قط.

(الأزهري ٦: ٤١٧)

الإهالة: كل شيء من الأدهان مما يؤتد به. (المؤبري ١: ١٠٦)

الأصمعي: يقال: استوجب ذلك واستحقته.

ولا يقال: استأهله ولا أنت تستأهل، ولكن تقول: هو أهل ذلك وأهلٌ لذلك، ويقال: هو أهلة ذلك.

(ابن منظور ١١: ٣٠)

ابن السكيت: مرحباً وأهلاً، أي أتيت أهلاً وأتيت شمة فلاسة فاستأيس ولا تسترجش. (٥٨٤)

مكان مأهول: فيه أهله، ومكانٌ أهلٌ: له أهل. [ثم استشهد بشر]

وكل شيء من الدواب وغيرها إذا ألف مكاناً فهو أهل وأهلي، ولذلك قيل يا أليف الناس والمقري: أهلي، ولا استوحش: برّي ووحشي، كالخمار الوحشي.

والأهلي هو الإنسي، ونهى رسول الله ﷺ يوم خيبر من لموم المحرم الأهلية.

والعرب تقول: مرحباً وأهلاً، ومعناه زلت رُحباً، أي شمة، وأتيت أهلاً لا هرباً.

ونظراً بعض الناس قول القائل: فلان يستأهل أن يكرم، بمعنى يستحق الكرامة، وقال: لا يكون الاستئصال إلا من «الإهالة»، وأجاز ذلك كثير من أهل الأدب، وأنا أنا فلا أنكره ولا أخطئ من قاله: لأنني سمعته.

وقد سمعت أعراباً فصيحاً من بني أسد يقول لرجل أولي كرامة: أنت تستأهل ما أوليت، وذلك بمضرة جماعة من الأعراب فأنكروا قوله، ويحقق ذلك قول الله عز وجل: «هو أهل الثغرى وأهل المصخرة» المذكر: ٥٦.

(الأزهري ٦: ٤١٨)

المازني: لا يجوز أن تقول: أنت مستأهل هذا الأمر، ولا أنت مستأهل هذا الأمر، لأنك إنما تريد أنت

المجوهري: الأهل: أهل الرجل وأهل الدار، وكذلك
الأهل: [ثم استشهد بشعر]

والجمع: أهلات وأهلات وأهال، زادوا فيه الياء
على غير قياس، كما جمعوا ليلاً على ليال، وقد جاء في
الشعر «أهال» مثل فرخ وأفراخ، وزند وأزناد. [ثم
استشهد بشعر]

والإهالة: الودك، والمستأهل: الذي يأخذ الإهالة
أولاً كلها. [ثم استشهد بشعر]

وتقول: فلان أهل لكنا، ولا تقول: مستأهل، والعامة
تقوله. وقد أهل فلان يأهل ويأهل أهلاً، أي تزوج،
وكذلك تأهل.

ابن فارس: الهمة والهاء واللام أصلان متباعداً،
أحداهما الأهل، والأصل الآخر: الإهالة. (١: ١٥٠)
أبو هلال: الفرق بين الأهل والآل أن «الأهل»

يكون من جهة النسب والاختصاص، فمن جهة النسب
فأهل الرجل لقربته الأندسين، ومن جهة
الاختصاص فإهل: أهل البصرة وأهل العلم.

و«الآل»: خاصة الرجل من جهة القرابة أو الصحبة،
تقول: آل الرجل لأهله وأصحابه، ولا تقول: آل البصرة
وآل العلم، وقالوا آل فرعون: أتباعه، وكذلك آل لوط،
وقال المبرد: إنا صُفرت العرب «الآل» قالت: أهيلة
فبدل على أن أصل الآل: الأهل.

وقال بعضهم: الآل: عيدان الخبيطة وأصدها، وآل
الرجل مشبهون بذلك، لأنهم معصية، والذي يُرفع في
الصحاري «آل» لأنه يرتفع كما ترفع عيدان الخبيطة،
والشخص «آل» لأنه كذلك. (٢٢٣)

مستوجب لهذا الأمر. ولا بد من «مستأهل» على ما أردت،
وإنما معنى هذا الكلام: أنت تطلب أن تكون من أهل هذا
المعنى، ولم تُرد ذلك، ولكن تقول: أنت أهل لهذا الأمر.

(الأزهري: ٦: ١٩٦)
صبر: في حديث كعب: «كأنها متن إهالة» [يعني
الثار] متن الإهالة: ظهرها إذا سكنت في الإناء. وإنما شبه
كعب سكون جهنم قبل أن يصير الكافر فيها بذلك.

(المجوهري: ١: ١٠٥)

الرجاج: أهلك الله لهذا الأمر: جعلك الله له أهلاً.
(فعلت وأفعلت: ٥٢)

ابن دُرَيْد: والإهالة: الشحم المذاب. (٣: ٤٤٦)
الأزهري: [بعد نقل قول أبي زيد وغيره قال:]
وكذلك ما علا القدر من ودك اللحم السمين إهالة،
واستأهل الرجل، إذا انتدب بالإهالة.

وجمع الأهل: أهلين وأهلات. والأهالي جمع
الجمع، وجاءت الياء التي في «الأهالي» من الياء التي في
«الأهلين».

ويقال: أهلت فلاناً لأمر كذا كنا تأهيلاً. (٦: ٤١٧)
[وبعد نقل قول ابن السكيت قال:]

والصواب ما قاله أبو زيد والأصمعي وغيره، لأن
الأسدي ألف الحاضرة فأخذ هذا عنهم. (٦: ٤١٩)

يقال: أهلت فلاناً أهلاً به، إذا أنشئت به، وهم أهلي
وأهلي، أي هم الذين أنشئ بهم. (المجوهري: ١: ١٠٥)

الخصاص: الأهل: اسم يقع على الزوجة وصلى
جميع من يشتمل عليه منزله، وعلى أتباع الرجل
وأشباعه. (٢: ٢٢٨)

الْمَرْوِيَّةُ فِي الْأَثَالِ: دَلَّاهُ إِهْلِي وَأَحْسَنِي
إِيَالِيهِ أَي خِذِي مَقُومَاتِي وَأَحْسِنِي لِقِيَامِي عَلَيْهِ.

(١٠٦: ١)

ابن سبينة: أهل الرجل: عشيرته وقُودُ قريته..
والجمع: أهلون وأهال وأهال وأهلات. [تم استشهد
بشر]

وأهل الرجل: اتخذ أهلاً. [تم استشهد بشر]
وأهل المذهب: من يمدن به. وأهل الأمر: ولأته.
وأهل البيت: سُكَّانُهُ.

وأهل بيت النبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره. أهني
هَلَانِيَّةً. وقيل: نساء النبي ﷺ والرجال الذين هم آله.
[لأن أن قال:]

وأهل كل نبي: أئمة.
وكل شيء من الدواب أليف المنازل: أهله وأهل.
الأخيرة على النسب.

ومكان مأهول، وقد جاء أهيل. [تم استشهد بشر]
وقولهم في الدعاء: مرحباً وأهلاً، أي أنشئت أهلاً
لأهرياء فاستأنس ولاستوحش.

وأهل به: قال له: أهلاً، وأهل به: أنس.
وهو أهل لكفأ، أي مستوجب له. الواحد والجمع
في ذلك سواء، وعمل هذا قالوا: المملك له أهل الملك.

وأهله لذلك الأمر وأهله: وآء له أهلاً.
واستأهله: استرجعه، كبرها بعضهم.
وأهل الرجل وأهله: زوجته. وأهل الرجل يأهل
ويأهل أهلاً وأهولاً وتأهل: تزوج.

وأهلك الله في الجنة: زوجك فيها وأدخلكها. [لأن

أن قال:]

الإهالة: ما أؤتت من الشعم، وقيل: الإهالة: الشعم
والزيت، وقيل: كلُّ دهن أؤتد به إهالة. واستأهل: أخذ
الإهالة. [تم استشهد بشر]

(٤: ٢٥٥ - ٢٥٨)
الطوسي: الأهل: خاصة الشيء الذي ينسب إليه.
ومنه قوله تعالى: «إِنْ أَنِيتُ مِنْ أَهْلِي» هود: ٤٥. وتُسمى
زوجة الرجل بآئها أهله، وكذلك أهل البلد وأهل الدار،
وهم خاصة الذين ينسبون إليه. (١٨٦: ١)

الأهل: هو المختص بنيرة من جهة ماضو أولي به.
وكلما كان أولي به فهو أحن بآئه أهله، فمن ذلك أهل الجنة
وأهل النار، ومن ذلك أهل الجود والكرم، وفلان من أهل

القرآن ومن أهل العلم ومن أهل الكوفة، ومن هذا قيل
لزوجته الرجل: أهله، لأنها مختصة به من جهة هي أولي
به من غيره. (٤١٠: ٩)

الزأجب: أهل الرجل: من يجمعه وإيتاهم نسب
أودين لوما يبري بمرأها من ميناة وبيت وبلد، فأهل
الرجل في الأصل: من يجمعه وإيتاهم مكن واحد، ثم

تجوز به فتيل: أهل بيت الرجل: لمن يجمعه وإيتاهم نسب.
وتحرف في أسرة النبي ﷺ مطلقاً إذا قيل: أهل
البيت، لقوله عز وجل: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» الأحزاب: ٣٣.
وعبر بأهل الرجل: عن امرأته، وأهل الإسلام:
الذين يجمعهم، ولما كانت القرينة حكت برفع حكم

النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال
تعالى: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ فَسَقٌ غَيْرُ ضَالٍ» هود:
٤٦

وقال تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾

هود: ٤٠.

وقيل: أهل الرجل يَأْهَلُ أَهْوَلًا. وقيل: مكان مأهول: فيه أهله، وأهْلَ به، إذا صار ذئابس وأهْل، وكلّ دابة أَلِف مكانًا يقال: أَهْل وأهْل.

وتَأَهَّل، إذا تزوّج، ومنه قيل: أَهْلَكَ اللهُ في الجنة، أي زوّجَكَ فيها وجعل لك فيها أَهْلًا يمسك وإناهم.

ويقال: فلان أَهْل لكذا، أي خليف به.

وترحبًا وأهْلًا في التَّحَبُّه للنازل بالإنسان، أي وجدت سعة مكان عنده، ومن هو أَهْل بيت لك في الشُّفْعَة.

وجمع الأهل: أهلون وأهال وأهلات. (٢٩)

الرَّمَقُشْرِيُّ والأهلون: جمع أَهْل، ويقال: أَهْلَكَ، على تقدير ناء التأنيث، كأرض وأرضات، وقد جاء أهلة. وأما «أهاله» فاسم جمع كليات.

مثله التَّيْضَاوِيُّ: (٢: ٤٠١)، وأبو الشعثه (٥: ٨١).

رجعوا إلى أهاليهم، و«فلان أَهْل لكذا» وقد استأهل لذلك وهو مستأهل له. سميت أهل الحجاز يستعملونه استعمالًا واسعًا.

ومكان أَهْل ومأهول، وأهل فلان أَهْوَلًا، وتَأَهَّل:

تزوَّج، ورجل أَهْل، وفي الحديث: «إنه أعطى للمزب حَقًّا وأعطى الأهل حَقَّين»، وأَهْلَكَ اللهُ في الجنة إجمالًا: زوّجَكَ.

«وَوَشَكَانَ ذَاهَالَةً» وهي الوَدَلَة، وكلٌّ من الأدهان يُؤْتَدَمُ به كالمَسْلِّ والزَّيْتِ ونحوهما. واستأهلها: أكلها. [ثم استشهد بشعر]

وتريدُ مأهولة، تقول: حَسْبُكَ دَارُ مأهولة وتريدُ

مأهولة. (أساس البلاغة: ١١)

المديني: في حديث عوف بن مالك: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَى الْأَهْلَ حَقَّينِ وَالْأَهْرَبَ حَقًّا» يعني إذا جيء به. وقال: فالأهل: المتأهل فوالأهل والقبائل ومكان أهل: له أهل. ومكان مأهول: فيه أهل.

وفي حديث: «لقد أسست نيران بني كعب أهلة، أي كثيرة الأهل والقوم. وأهلك الله، أي جعل لك زوجة.

وفي الحديث: «نهي عن الحُرِّ الأهلية» وهي التي تألف البيوت والمبارك مثل الإنسية.

في الحديث: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته».

في قوله تعالى: «وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ» أي أهلك الله، أي جعل لك زوجة.

في قوله تعالى: «وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ» أي أهلك الله، أي جعل لك زوجة. (١: ١١٤)

هذا اللطيف البغدادي: تقول: فلان يستحق كذا

وهو أَهْل لكذا. فأتا قولهم: يستأهل فهو مستأهل فولد. ومعناه عند العرب: الذي يأكل الإهالة وهي الشحم.

أقول: استعماله بمعنى الاستحقاق سائغ في القياس، فيستأهل «يستعمل» من لفظ «الأهل» مثل يستأصل ويستأسد من لفظ «الأصل» و«الأسد».

(ذيل فصيح نطلب: ١٠)

ابن الأثير: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»

أي حفظه القرآن العاملون به، هم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به، ومنه حديث أبي بكر في استخلاقه عمر: «أقول له إذا لقيتَه: استعملت عليهم خير أهلِكَ» يريد خير المهاجرين.

وكانوا يستون أهل مكة: أهل الله، تظيماً لهم، كما يقال: بيت الله. ويجوز أن يكون أراد أهل بيت الله، لأنهم كانوا سكان بيت الله.

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها: «ليس بك على أهلِكَ حَوَان» أراد به الأهل، نفسه ﷺ أي لا يتعلّق بك ولا يصيبك حَوَان عليهم.

وفيه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُعْطِيَ الْأَهْلَ حَظَّيْنِ وَالْأَعْرَبَ حَظًّا» الأهل: الذي له زوجة وعيال، والأعرب: الذي لا زوجة له، وهي لغة رديئة. واللغة الفصحى «عَرَبِيَّة» يريد بالطاء نصيبهم من الشيء.

ومنه الحديث: «أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْحَسْرِ الْأَهْلِيَّةِ» هي التي تألف البيوت ولها أصحاب، وهي مثل الإنسيّة ضد الوحشيّة.

«وَأَنَّهُ كَانَ يُدْعَى إِلَى خَيْرِ الشَّعْرِ وَالْإِهَالَةِ الشَّيْخَةِ فَيُجِيبُ». كل شيء من الأدهان مما يؤتدّم به إهالة، وقيل: ما أذيب من الأثية والشحم. وقيل: الدسم الجامد والشخّة المتغيرة الزّيج. (٨٣: ١)

القيومي: أهل المكان أهولاً من باب «قعد»: حتر بأهله، فهو أهل، وقرية أهله: عامرة، وأهلتُ بالشيء: أنستُ به.

وأهل الرجل يأهل ويأهل أهولاً، إذا تزوّج. وتأهل كذلك، ويطلق الأهل على الزوجة.

والأهل: أهل البيت، والأصل فيه القرابة، وقد أطلق على الأتباع. وأهل البلد: من استوطنه. وأهل العلم: من اتصف به، والجمع الأهلون، وربما قيل: الأهلالي.

وأهل النّاء والجد في الدّعاء - منصوب على النّاء، ويجوز رفعه خبر مبتدأ محذوف - أي أنت أهل. والأهل من الثّواب: مألّف المنازل، وهو أهل للإكرام، أي مستحق له.

وقولهم: «أهلاً وسهلاً ومرحباً» معناه أتيت غوماً أهلاً وموضفاً سهلاً واسماً فاهبط نفسك واستأنس ولا تستوحش.

والإهالة بالكسر: الودّك المذاب، واستأهلها: أكلها. ويقال: استأهل، بمعنى استحق.

للنيروزابادي: أهل الرجل: عشيرته وذوّ وقرباء. جمه: أهلون وأهل وأهال وأهلات ويمرّك. وأهل: أهل وبأهل أهولاً وتأهل واتهل: أخذ أهلاً.

وأهل الأمر: ولاتمه، ولبيت سكانه، والمذهب من يدين به، وللرجل زوجته كأهليته، وللنبي ﷺ أزواجه وبناته وجهرة، علي رضي الله تعالى عنه أونسائه والرجال الذين هم آله، ولكل نبي أمته.

ومكان أهل: له أهل ومأهول فيه أهله، وقد أهل كمنى. وكلّ مألّف من الثّواب المنازل فأهلي، وأهل ككثفه.

ومرحباً وأهلاً، أي صادفت أهلاً لا غرباء، وأهل به تأهلاً: قال له ذلك، وكفّرح: أنس.

وهو أهل لكذلك: مستوجب للوحد والجمع، وأهله لذلك تأهلاً وأهله: رآه له أهلاً، واستأهله: استوجهه.

لغة جيدة، وإنكار الجوهري باطل.

وفلان أغذ الإهالة: للشحم أو ما أذيب منه أو الزيت وكل ما تشد به. وشرعان ذإهالة في العين. وآل الله ورسوله: أولياؤه، وأصله «أهل» وتقدم في «أول».

وأنتهم لأهل أهلة كبرية، أي مال. (٣: ٣٤٢) ولما كانت القرينة حكمت برفع النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال تعالى: «إِنَّهُ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِكَ» هود: ٤٦، وفي المثل: «الأهل إلى الأهل أسرع من السبل إلى الشبل»، وفي خبر بلازم (١): «إِنَّهُ مَلَكًا فِي السَّاءِ السَّاءِ تَبِيحِهِ: سبحانه من يتولى الأهل إلى الأهل. (ثم استشهد بشعر، إل أن قال:)

وأطلق الله في الجنة، أي زوجك وجعل لك أهلاً، أي جعلك وإياهم. وجمع الأهل: أهلون وأهال وأهلات. وفي الحديث: «اصنع المعروف إلى من هو أهلك» وإلى من ليس أهله، فإن أصبت أهله فهو أهله، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله.

(بصائر ذوي التمييز ٢: ٨٤) الطريحي: أهل الرجل: آله وهم أشياعه وأتباعه وأهل ملته، ثم كثر استعمال «الأهل» و«الآل» حتى سمي بها أهل بيت الرجل، لأنهم أكثر من يتبعه.

وأهل كل نبي: أمته، قيل: ومنه قوله تعالى: «وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالشَّلَاقِ» طه: ١٣٢، وقد مر في «أمر» أنهم أهل بيته خاصة.

وفلان أهل لكنا أو يستأهل لكنا، أي حقيق به. وأهل البيت: سكانه، وكذا أهل الماء، ومنه الحديث:

«بَيْنَ لِلْهَاءِ أَهْلًا أَي سَكَنًا يَسْكُونُهُ».

وأهل الإسلام: من يدين به.

وأهلاً وسهلاً أي أتيت أهلاً لا قهرًا، وسهلاً لا حزنًا.

والأهلي من الدواب: خلاف الوحشي، وهو ما يألف المنازل.

والإهالة، بكسر الهمزة: الشحم للذائب، وقيل: دهن يؤتد به، وقيل: الشحم الجامد، ومنه الحديث: «أَفْهَنْ بِسَمْنٍ أَوْ إِهَالَةٍ»، وفي الخبر: «كَانَ يُدْعَى إِلَى خَبَرِ الشَّامِ وَالْإِهَالَةِ فَيُجِيبُ».

البروسوي: والأهلون: جمع أهل، وأهل الرجل: أهله وذو القربى. وقد يجمع الأهل على أهال وأهال وأهلات، ويحذف كالأرضاء، على تقدير تاء التانيث، أي على أن أصله «أهله» كما في أرض، فعلمه وأهلات. وفي الحديث: «اصنع المعروف إلى من هو أهلك» وإلى من ليس أهله، فإن أصبت أهله فهو أهله، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله.

الزبيدي: [قال القموزي بادي:] واستأهله: استوجبه، لغة جيدة، وإنكار الجوهري لها باطل.

قال شيخنا: قول المصنف باطل، هو الباطل. وليس الجوهري أول من أنكر بل أنكره الجاهل قبله، وقالوا: إنه غير فصيح وضخم في النصيح، وأقره قراحه وقالوا: هو ولده ونكته دون غيره في الفصاحة، وصرح الحريري بأنه من الأوهام ولا سيما والجوهري التزم أن لا يذكر إلا ما صح عنده، فكيف يثبت عليه ما لم يصح

عنده أفضل هذا الكلام من خرافات المصنف، وعدم قيامه بالإنصاف، انتهى.

قلت: وهذا نكير بالغ من شيخنا على المصنف بما لا يستأهله، فقد صرح الأزهرى والزحشرى وغيرهما من أئمة التحقيق بعبوة هذه اللغة وتبهم الصاغاني، قال في «التهذيب»:

[وحكى قول ابن التكتيت المتقدم خطأ بعضهم سواضاف:]

قلت: سمعت أيضًا حكفا من فصحاء أعراب الصفره يقول واحد للآخر: أنت تستأهل يا فلان الخير، وكذا سمعت أيضًا من فصحاء أعراب اليمن. [ثم استشهد بشر]

وفي «المفردات»^(١): أهل الكتاب: قُرَاء التَّوْرَةِ والإنجيل، والأهل: أصحاب الأملاك والأموال، وبه فسر قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا إِيمَانِيَّاتِ الْبُكْرَةِ»^(٢) أهلها النساء: ٥٨.

والأهلية: عبارة عن الصلاحية لوجوب الحقوق الشرعية له أو عليه. وأهل الأهواء هم أهل القبلة الذين معتقدهم غير معتقد أهل السنة. وأمت نيرانهم أهلة، أي كثيرة الأهل.

الأكوسي: الأهلون: جمع أهل، وجمعه جمع التلامة على خلاف القياس، لأنه ليس يتلَم ولاصفه من صفات من يعقل، ويجمع على «أهلات» بلا حلة تاء التانيث في مفردة تقديرًا، فيجمع كشمرة وثمرات، ونحوه لرض وأرضيات، وقد جاء على ما في الكشاف «أهلة» بالثاء. ويجوز تحريك عينه أيضًا فيقال: أهلات، بفتح الهاء، وكذا

يجمع على أهالٍ كليلال، وأطلق عليه الزحشرى اسم الجمع، وقيل: وهو إطلاق منه في الجمع الوارد على خلاف القياس، والآ فاسم الجمع شرطه عند النحاة أن يكون على وزن المفردات، سواء كان له مفرد أم لا.

(٢٦: ٩٩)

القاسمي: والأهل: سكن المرء من زوج ومستوطن.

القعداني: «مكان مأهول وأهل» ويحيطون من يقول: هذا مكان أهل، ويقولون: إن الصواب هو: هذا مكان مأهول، والكلمتان كلمتهما صحيحتان، وفي «الضاد» كلمات تأتي بلفظ المفعول مرةً ويلفظ الفاعل مرةً، والمعنى واحد مثل:

أ- مُدَّجَّجٌ وَدُجَّجٌ.

ب- وَشَأَوْ تُغْرِبُ وَتُغْرِبُ.

ج- حُلُوكُ كَانَ عَامِرٌ وَمَمُورٌ.

د- وَتَيْسَتِ الْمَرْأَةُ وَتَيْسَتْ.

هـ- وَغَيْثٌ بِالنَّيِّءِ وَغَيْثٌ بِهِ.

و- وَسَجِدَتْ رَفِيفٌ وَسَجِدَتْ.

ز- وَرَهِي عَلَيْنَا الْمُخَنِّيَ وَرَهَا.

الشصطفي: والظاهر أن المعنى الحقيقي لهذه المادة

هو «الأنس» مع الاختصاص والتعلق، ثم إن لهذا المعنى مراتب سعةً وخيطة، فالزوجة والأبناء والبنات والأحفاد والأصهار كلهم من الأهل، وكلها يستند للتعلق ويرداد الاختصاص يتولى عنوان الأهلية.

فقد يكون واحد من المرتبة المتأخرة أقرب وأولى

(١) لم نجد لها أي المفردات.

خلفائهم من اليهود: آمنوا بحسب قولهم فقالوا: ودنا لو كان خيراً مما نحن عليه فتبعه فأكلهم الله بقوله: ﴿مَائِدَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فعلى هذا يكون المراد بأهل الكتاب (أهل الكتاب) الذين بحضرة رسول الله ﷺ والظاهر السوم في (أهل الكتاب) وهم اليهود والنصارى. (١: ٣٢٩)

الطَّبَائِعِيَّةُ: لو كان المراد بأهل الكتاب اليهود خاصة كما هو الظاهر، لكون الخطابات السابقة مَسْئُوقَةً لهم فتوصيهم بأهل الكتاب، يفيد الإشارة إلى العلة، وهو أنهم لكونهم أهل كتاب ما يؤدون نزول الكتاب على المؤمنين، لاستلزامه بطلان اختصاصهم بأهلية الكتاب، مع أن ذلك ضلّ منكم بما لا يملكونه، ومعارضة مع المصباح في سعة رحمة وعظم فضله. ولو كان المراد بأهل الكتاب من اليهود والنصارى فهو سليم بعد التخصيص لاشتراك الفريقين في بعض الخصائص، وهم على غلط من الإسلام. وربما يؤيد هذا الوجه بعض الآيات اللاحقة، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنُيْذِلَّكَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَرَّةً كَانَ هَودًا لَوْ نَصَارَى﴾ البقرة: ١١١، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَنُيْذِلَّكَ عَلَى ثَوْنٍ ثَوْنٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَنُيْذِلَّكَ عَلَى ثَوْنٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ البقرة: ١١٣.

(١: ٢٤٨)

٢- وَذُكِّبَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَدُّونَكُمْ مِنْ تَحْتِ أَيْمَانِكُمْ كَفَّارًا خَسِدًا... البقرة: ١٠٩

ابن عباس: حَبِيبُ بْنُ أَخْطَبَ، وَأَبُو يَاسِرِ ابْنِ أَخْطَبَ. (الطَّبَرِيُّ: ١: ٤٨٨)

من الآخر المتقدم، وقد ينقح عنوان الأهلية عن ينقح فيه التعلق والتوافق والاختصاص ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ قَتَلَ غَيْرَ صَاحِبِهِ﴾ هود: ٦٤، وقد شُيِّع دائرة الأهل باختلاف الموارد والأغراض والمقامات. [إلى أن قال:] وهذا المعنى محفوظ في جميع موارد استعمال هذه الكلمة: أهل القرى، أهل المدينة، أهل الذكر، أهل هذه المدينة، أهل مدِين، أهل هذه القرية، أهل يقرب، أهل النار، أهل التقوى، أهل المغفرة، أهللكم، أهللكم، أهلنا، أهلنا، أهلنا، أهلنا.

فخصوميات «الأهل» مفعلة وعملاً وعقيدة وسلوكاً وأدباً ومعرفة ومقاماً وشأنًا، تختلف باختلاف المضاف إليه من هذه الجهات. (١: ١٥٥)

النصوص التفسيرية

أهل الكتاب

١- مَائِدَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُعَزَّزَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ... البقرة: ١٠٥

ابن عباس: هم يهود المدينة ونصارى نجران (ابن الجوزي: ١: ١٢٦)

الإمام الرضا عليه السلام: [في حديث] أهل الكتاب اليهود والنصارى. (البحراني: ١: ١٢٩)

الزجاج: اليهود. (١: ١٨٨)

مثله البقوي (١: ٧٩)، والغازي (١: ٧٩).

أبو حنيفة ذكر المفسرون أن المسلمين قالوا

الخمسين: النصارى واليهود (الطوسي ١: ٤٠٥)

قتادة: كتب بن الأشرف.

مثل الزهري. (الطبري ١: ٤٨٧)

الطبري: ليس قول القائل عني بقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كتب بن الأشرف، معنى مفهوم، لأن

كتب بن الأشرف واحد وقد أخبر الله بجل ثناؤه أن

كثيراً منهم يودّون لو يردّون المؤمنين كفاراً بعد إيمانهم،

والواحد لا يقال له: كثير بمعنى الكثرة في العدد إلا أن

يكون قائل ذلك أراد بوجه الكثرة التي وصف الله بها من

وصفه بها في هذه الآية الكثرة في اليز ورفعة المنزلة في

قومه وعشيرته كما يقال: فلان في الناس كثير، يراد به

كثرة المنزلة والمقدّر.

فإن كان أراد ذلك فقد أخطأ، لأن الله جل ثناؤه قال

ومعهم بصفة الجماعة، فقال: ﴿لَوْ يَدْرُسُونَكُمْ مِنْكُمْ

إِيمَانَكُمْ كَفَرًا غَدًا﴾ البقرة: ١٠٩، فذلك دليل على

أنه هي الكثرة في العدد، أو يكون ظن أنه من الكلام

الذي يخرج مخرج الخبر عن الجماعة، والمقصود بالخبر

عنه الواحد، فيكون ذلك أيضاً خطأ، وذلك أن الكلام إذا

كان بذلك المعنى فلا بد من دلالة فيه تدل على أن ذلك

معناه، ولادلالة تدل في قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ﴾ أن المراد به واحد دون جماعة كثيرة، فيجوز

حرف تأويل الآية إلى ذلك، وإحالة دليل ظاهره إلى

غير الغالب في الاستعمال. (١: ٤٨٨)

الطبري: حبي بن أخطب وكتب بن الأشرف.

(١: ١٨٤)

البنوي: اليهود. (١: ٨٢)

مثل ابن الجوزي (١: ٤٨٨)، والفريبي (١: ٨٦).

أبو الشعثاء: هم رُحط من أخبار اليهود. (١: ١١٣)

مثل البروسوي: (١: ٢٠٣)، والأكوسي: (١: ٢٥٦).

محمد بن زارة دروزة: وبمناسبة ورود تعبير أهل

الكتاب لأول مرة نقول: إنه يعني كما فسّرته آيات

قرآنية عديدة: اليهود والنصارى. مثل آيات سورة

البقرة: هذه ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ البقرة:

١٠٩، ١١٣، ولقد تكرر ذكر (أهل الكتاب) في القرآن

كثيراً بأساليب متنوعة ومواضع عديدة في مناسبات

شتى، وفي بعضها ما يلهم وجود فريق من النصارى

واليهود في مكانه، وقد استشهد بهم في آيات كثيرة على

صحة النبوة المحمدية وأسس الدعوة القرآنية ووحدة

المصدر الذي صدرت عنه هذه الدعوة والأدبانية الكتابية

السابقة، وأسلوب الاستشهاد بهم يلهم أن شهادتهم في

كتاب الله هي المستقرة، بل ولي آيات مكتبة

عديدة ما يبيد أنهم عهدوا وصدقوا وأمنوا، مثل آيات

سورة القصص: هذه ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ

هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ...﴾ القصص: ٥٢، وكذا آيات سورة

الأنعام (١٠٧ - ١٠٩) والأحقاف (١٠) والأنعام

(١١٤) والزمر (٣٦).

والقرآن ذكر كتب اليهود باسم «التوراة» فقط.

وهناك آيات تلهم أنه كان بين أيديهم أسفار من أسفار

العهد القديم المتداولة اليوم، حيث يدل هذا على أن اسم

«التوراة» كان يُطلق على ما كان موجوداً في أيديهم من

هذه الأسفار.

أما كتب النصارى فقد ذكرها القرآن باسم

«الإنجيل» بصيغة مفردة. وهذا لا يمنع أن يكون الإنجيل أكثر من واحد، صلى ما هو المعروف المتداول، وأن يكون اسم «الإنجيل» كان علمًا على ما عندهم، وفي القرآن آية تتضمن أن صفات النبي ﷺ كانت مذكورة في التوراة والإنجيل المتداولين في أيدي اليهود والنصارى، وهي هذه: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ الْأَعْرَافَ» ١٥٧.

وآيات القرآن تليهم أن كثرة اليهود كانت في يثرب، وأن أكثر الكتابيين في مكة من النصارى، وأن كثيرًا من هؤلاء كانوا جاليات غير عربية جاءت من البلاد المجاورة. وأسلوب الآيات المكتبة إجمالًا يقسم باللفظ والوعد نحو (أهل الكتاب). وقد طرأ على هذا الأسلوب بعض التبديل في القرآن المدني، بسبب تبدل موقعهم - وخاصة اليهود - من الدعوة المهدية. (١: ١٢٢)

٣- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...

ابن عباس: نزلت في القيسيين والرحبان.

(ابن الجوزي ١: ٤٠٠)

العقسن: أهل الكتابين جميعًا.

(ابن الجوزي ١: ٤٠٠)

مثله الجبائي: (الطوسي ٢: ٤٨٨)

نزلت في وفد نصارى نجران.

مثله السدي وابن زيد ومحمد بن جعفر بن الزبير

(الآلوسي ٣: ١٦٣)، ومقاتيل (ابن الجوزي ١: ٤٠٠).

قتادة: إنهم اليهود.

مثله ابن جرير والربيع بن أنس.

(ابن الجوزي ١: ٤٠٠)

الطبري: قل يا محمد لأهل الكتاب، وهم أهل

التوراة والإنجيل: (تعالوا): هلموا (إلى كلمة سواء) يعني

إلى كلمة عدل بيننا وبينكم.

واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية.

فقال بعضهم: نزلت في يهود بني إسرائيل الذين كانوا

حوالي مدينة رسول الله ﷺ.

وقال آخرون: بل نزلت في الوفد من نصارى نجران.

وأما قلنا: عني بقوله: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ» أهل

الكتابين، لأنها جميعًا من أهل الكتاب، ولم يخص جل

نكوه بقوله: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ» بضادون بعض، فليس

بأن يكون موجهاً ذلك إلى أنه مقصود به أهل التوراة

بأولى منه بأن يكون موجهاً إلى أنه مقصود به أهل

الإنجيل، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به

دون غيرهم من أهل التوراة، وإذ لم يكن أحد الفريقين

بذلك بأولى من الآخر، لأنه لا دلالة على أنه المخصوص

بذلك من الآخر، ولا أثر صحيح، فالواجب أن يكون كل

كتابي معناه، لأن أفراد العبادة لله وحده وإخلاص

التوحيد له، واجب على كل مأمور منه من خلق الله.

وأهل الكتاب يعم أهل التوراة وأهل الإنجيل، فكان

معنهما بذلك أنه عني به الفريقان جميعًا. (٣: ٦٣)

الفخر الرازي: قوله تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ»

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: المراد نصارى نجران.

والثاني: المراد يهود المدينة.

والثالث: أنها نزلت في الفريقين، ويدل عليه وجهان:

الأول: أن ظاهر اللفظ يتناولهما.

والثاني: روي في سبب النزول أن اليهود قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: ما تريد إلا أن نتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى! وقالت النصارى: ما محمد ما تريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير! فانزل الله تعالى هذه الآية.

وعندي أن الأقرب محله على النصارى لما يشاهد أنه لما أورد الدلائل عليهم لمؤلاً ثم باهلهم ثانياً فصل في هذا المقام إلى الكلام المبني على رعاية الإنصاف، وترك المجادلة وطلب الإفحام والإلزام، وما يدل عليه أنه خاطبهم هاهنا بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، وهذا الاسم من أحسن الأسماء وأكمل الألقاب، حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله، وخيره ما يقال لحافظ القرآن يا خليل كتاب الله، والمفسر: يا مفسر كلام الله. فإن هذا اللفظ يدل على أن قائله أراد المبالغة في تطهير المخاطب وفي تطيب قلبه، وذلك إنما يقال عند عدول الإنسان مع خصمه عن طريقة اللجاج والنزاع إلى طريقة طلب الإنصاف.

نحوه أبو حيان (٢: ٤٨٢)

وجاءت كلمة «أهل» بمعنى اليهود والنصارى في سورة آل عمران: ٦٥ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٥ و ٩٨ و ١١٠، وفي سورة النساء: ١٥٣ و ١٥٩ و ١٧١، وفي سورة المائدة: ١٥ و ١٩ و ٥٩ و ٦٥ و ٦٨ و ٧٧، وفي سورة البقرة: ١. وبمعنى اليهود في سورة آل عمران: ٧٢.

وفي سورة الأحزاب: ٢٦، وفي سورة الحشر: ٢ و ١١.

١ - تيسوا سواء من أهل الكتاب لئلا يفتروا على الله آياتاً الله أناء أثيل وهم يشجذون. آل عمران: ١١٣
الفخر الرازي، في المراد بأهل الكتاب (قولان):
الأول: وعليه الجمهور: أن المراد منه الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام. روي أنه لما أسلم عبدالله بن سلام وأصحابه قال لهم بعض كبار اليهود: لقد كفرتم وعسرتم، فانزل الله تعالى لبيان فضلهم هذه الآية.

وقيل: إنه تعالى لما وصف (أهل الكتاب) في الآية المتقدمة بالصفات المذمومة ذكر هذه الآية لبيان أن كل أهل الكتاب ليسوا كذلك، بل فيهم من يكون موصوفاً بالصفات الحميدة والخصال المرضية.
قال الثوري: بلغني أنها نزلت في قوم كانوا يصلون عليهم السلام في الحرب والعشاء.

ومن عطاء: أنها نزلت في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى، وصدقوا بمحمد عليه الصلاة والسلام.
والقول الثاني: أن يكون المراد بأهل الكتاب (كل من أوتي الكتاب من أهل الأديان، وعلى هذا القول يكون المسلمون من جعلتهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فاطر: ٣٢.

وما يدل على هذا ما روي ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم أخر صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس يتظرون الصلاة، فقال: «لما أنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله تعالى هذه الساعة غيركم» وقرأ هذه الآية.

قال القفال رحمه الله: ولا يبعد أن يقال: أولئك
المحاضرون كانوا أمرا من مؤمني أهل الكتاب، فقل:
ليس يستوي من أهل الكتاب هؤلاء الذين آمنوا
بمحمّد ﷺ فأقاموا صلاة العتمة في الساعة التي ينام فيها
غيرهم من أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا، ولم يعد أيضا
أن يقال: المراد كل من آمن بمحمّد ﷺ فستأهم الله
بأهل الكتاب) كأنه قيل: أولئك الذين سموا أنفسهم
بأهل الكتاب) حالهم وصفتهم تلك الخصال الذميمة،
والمسلمون الذين ستأهم الله بأهل الكتاب) حالهم
وصفتهم هكذا فكيف يستويان؟ فيكون الفرض من
هذه الآية تقرير فضيلة أهل الإسلام تأكيد لما تقدم من
قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ آل عمران: ١١٠، وهو كقوله:
﴿الَّذِينَ كَانُوا مُسْلِمِينَ كُنْتُمْ كَافِرًا فَابْتَغُوا الْإِيمَانَ لَتَقْبَلُوهُ﴾
التوبة: ١٨.

نحوه السابري.

٥ - وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَخَآ أَنْزَلَ
إِلَيْكُمْ وَخَآ أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ... آل عمران: ١٩٩.

مجاهد: من اليهود والنصارى، وهم مسلمة أهل
الكتاب.

قتادة: نزلت في النجاشي وأصحابه ممن آمن
بالنبي ﷺ.

ابن جرير: نزلت - يعني هذه الآية - في عبد الله بن
سلام ومن معه.

الطبري: اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه
الآية، فقال بعضهم: عني بها أصحمة النجاشي، وفيه

أُزيلت وقال آخرون: بل عني بذلك مسلمة أهل
الكتاب.

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله مجاهد:
وذلك أن الله جلّ ثناؤه سمّ بقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ﴾ أهل الكتاب جميعا، فلم يخص منهم
النصارى دون اليهود ولا اليهود دون النصارى، وإنما
أخبر أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله، وكلا الفريقين،
أعني اليهود والنصارى من أهل الكتاب.

لأن قال قائل: لما أنت قائل في الخبر الذي روته
عن جابر وغيره: أنها نزلت في النجاشي وأصحابه؟
قيل: ذلك خبر في إسناد ظره ولو كان صحيحا
لاستلزم أن يكون لما قلنا في معنى الآية خلاف، وذلك أن
جابرًا ومن قال بقوله إنما قالوا: نزلت في النجاشي، وقد
نزل الآية في الشيء، ثم يسم بها كل من كان في سماء.

(٢١٨: ٤)

الفخر الرازي: قال مجاهد: نزلت في مؤمني أهل
الكتاب كلهم، وهذا هو الأولى، لأنه لما ذكر الكفار بأن
مسيرهم إلى العقاب بين فيمن آمن منهم بأن مصيرهم
إلى الثواب.

الطباطبائي: المراد أنهم مشاركون للمؤمنين في
حسن الثواب، والفرض منه أن السعادة الأخروية
ليست جنسية حتى يمنع منها أهل الكتاب وإن آمنوا، بل
الأمر دائر مدار الإيمان بالله وبرسوله فلو آمنوا كانوا هم
والمؤمنون سواء.

وقد نفي عن هؤلاء المدوحين من أهل الكتاب
مادتهم الله به في سوابق الآيات، وهو التفريق بين رسل

الله وكان مأخذ ميثاقهم ليلائه اشتراءً بآيات الله ثمناً
ليله. (٥٩: ٤)

سعيد بن جبير: المراد من أسلم منهم كعبه الله بن
سلام وسلمان الفارسي، رضي الله تعالى عنهما، وغيرهما.

مثله الأعمش وابن حنينة. (الأكوسي ١٤: ١٤٧)
مجاهد: هم أهل الكتاب. (الطبري ١٤: ١٠٩)
الإمام الباقر عليه السلام: نحن أهل الأثر.

أهل الذكر

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

النحل: ١٣.

النبي صلى الله عليه وآله: الذكر: أنا، والأئمة عليهم السلام أهل الذكر.

نحو الإمام الصادق عليه السلام. (المروسي ٣: ٥٥)

[وهذا ونحوه تأويل للآيات بأبرز المصاحدين

ولا يتاني التسميم].

أبو عباس: يريد أهل التوراة، والذكر) هو

التوراة. والتأويل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُتِبَ فِي التَّوْرَةِ

مِنْ بَقِيَّةِ الذِّكْرِ﴾ الأنبياء: ١٠٥. يعني التوراة

(أقصر الزاوي ٣٠: ١٣١)

نحو مجاهد. (الطبري ١٤: ١٠٩)

قال تعالى لشركي قريش: إِنْ مَحَدَّا فِي التَّوْرَةِ

والإنجيل. (الطبري ١٤: ١٠٩)

يعني أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

مثله الحسن والسني. (الأكوسي ١٤: ١٤٧)

(أهل الذكر): أهل القرآن. (الطبري ١٠: ١٠٨)

الإمام السجادة عليه السلام: عمل الأئمة من القرض

ماليس على شيعتهم، وحل شيعتنا مائيس علينا، أمرهم

الله أَنْ يَسْأَلُونَا قَالَ: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ﴾ فأمرهم أَنْ يَسْأَلُونَا، وليس علينا الجواب إِنْ

سئلتنا أجبتنا وَإِنْ سئلتنا أمسكتنا ومثله عن الباقر

والرضا عليه السلام. (الكاشاني ٣: ١٣٧)

(الطبري ١٤: ١٠٩)

الذكر: القرآن، وآل الرسول صلى الله عليه وآله

المسؤولون. (المروسي ٣: ٥٥)

نحو الإمام الصادق عليه السلام. (المروسي ٣: ٥٧)

عن محمد بن مسلم: إِنْ مِنْ عِنْدَنَا يَزْعُمُونَ لَنْ قَوْلِ

الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أَنَّهُمْ الْيَهُودُ

وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: إِذَا يَدْعُونَكُمْ إِلَى دِينِهِمْ، ثُمَّ قَالَ يَدُهُ ^(١)

فِي صَدْرِهِ: وَنَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ وَنَحْنُ الْمُسَوَّلُونَ.

(المروسي ٣: ٥٦)

أبو زيد: الذكر: القرآن. (الطبري ١٤: ١٠٩)

الإمام الرضا عليه السلام: قال الوشاء: سألت الرضا عليه السلام

فقلت: جئتُ فداك ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ﴾ فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون.

فقلت: فأنتم المسؤولون ونحن السائلون؟ قال: نعم.

قلت: حقاً علينا أَنْ نَسْأَلَكُمْ؟ قال: نعم. قلت: حقاً عليكم

أَنْ تَجِيبُونَا؟ قال: لا، ذلك إلينا إِنْ شئنا فَجَعَلْنَا وَإِنْ شئنا

لَمْ نَعْمَلْ. أَمَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هَذَا صَفَافُنَا

فَأَعْنِ أَوْ آخِصْكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ص: ٣٩.

(المروسي ٣: ٥٥)

في باب مجلس ذكر الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق

بين «المعزة» و«الأمة» حديث طويل، وفيه قالت العلماء: فأخبرنا هل لعسر الله تعالى «الاصطفاء» في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام: فسر «الاصطفاء» في الظاهر سوى الباطن، في انبيء عشر موطنًا وموضعًا، فأول ذلك قوله عز وجل... [إلى أن قال:]

وأما التاسعة: فمن أهل الذكر الذين قال الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فمن أهل الذكر فاسألونا إن كنتم لا تعلمون.

فالت العلماء: إنما عني بذلك اليهود والنصارى. فقال أبو الحسن: سبحان الله وهل يجوز ذلك إذا دعونا إلى دينهم، ويقولون: إنه أفضل من دين الإسلام؟

فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوا يا أبا الحسن؟

فقال: نعم (الذكر): رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن أهلنا، وذلك بين في كتاب الله عز وجل، حيث يقول في سورة الطلاق: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ...﴾ ١٠، ١١ فوالذكر: رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن أهلنا، فهذه التاسعة.

(الطبري: هم الذين قد قرأوا الكتاب من قبلهم التوراة والإنجيل وغير ذلك، من كتب الله التي أنزلها على مباده. (١٠٨: ١٤)

الزجاج: فيها قولان: قيل: فاسألوا أهل الكتب أهل التوراة والإنجيل وأهل جميع الكتب يعرفون أن الأنبياء

كلهم بشر.

قيل: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، أي فاسألوا من آمن من أهل الكتاب، ويجوز - والله أعلم - أن يكون قيل لهم: اسألوا كل من يذكر بعلم وافق أهل هذه الأمة أو مخالفهم، وللكيل على أن (أهل الذكر) أهل الكتاب، قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ بَيِّنَاتٍ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ التعل: ٤٤، وقوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الأنبياء: ٥٠. (٣: ٢٠٠)

المعنى بذلك أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم سواء كانوا مؤمنين أو كفارًا وما آتاهم من الرسل.

وفي ذلك دلالة على أنه يحسن أن يرد الخصم إذا قيل عليه أمر إلى أهل العلم بذلك الشيء، إن كان من أهل الكتاب، فاسألوا أهل العلم بذلك الشيء. (الطوسي: ٦: ٢٨٤) ابن عطية: (أهل الذكر) هنا أخبار اليهود

إنما يخبرون بأن الرسل من البشر وإخبارهم حجة على هؤلاء، فإنهم لم يزالوا مصدقين لهم، ولا يتهمون لشهادة لنا، لأنهم منافقون في صدر ملّة محمد صلى الله عليه وآله، وهذا هو كسر حجتهم من مذهبهم، لأننا افتقرنا إلى شهادة هؤلاء، بل الحق واضح في نفسه وقد أرسلت قريش إلى جود يثرب يسألون ويستندون إليهم. (٣: ٣٩٥)

الطبري: يعني مؤمني أهل الكتاب. (٤: ٧٦) المصنف: أي أهل العلم بالتوراة والإنجيل والكتب المتقدمة. (٥: ٣٨٨)

أبو حيان: قال أبو جعفر وابن زيد: أهل القرآن، ويختلف هذا القول وقول من قال: من أنسلم من

الفرقيين، لأنه لا حجة على الكفار في أخبار المؤمنين، لأنهم مكذبون لهم.

أبو الشعثود: أي أهل الكتاب أو علماء الأخبار أو كل من يذكر علم وتحقيق لعلومكم ذلك. (١٧٦: ٥)
البحراني: من طريق الجمهور ما رواه الماظم محمد ابن مؤمن الشيرازي في المستخرج من تفاسير «الإتعاشر»^(١) في تفسير قوله تعالى: «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ» يعني أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، والله ما سمى المؤمن مؤمناً إلا كرامة لأهل بن أبي طالب عليه السلام.

الأوسمي: [بعد نقل ما تقدم عن أبي حيان قال:]
[وأهل الذكر] على هذا: المسلمون مطلقاً، وخصتهم بعض الإمامية بالأئمة أهل البيت إحتجاجاً بما رواه جابر ومحمد بن مسلم منهم عن أبي جعفر رضي الله تعالى عنه أنه قال: نحن أهل الذكر [ومستحسن] [تفسير الذكر] بالنبي صلى الله عليه وآله لقوله تعالى: (ذُكِّرُوا) [مُؤَلَّاه] على قول.

ويقال - على مقتضى ما في البحر -: كيف يقنع كفار أهل مكة بخبر أهل البيت في ذلك وليسوا بأصدق من رسول الله صلى الله عليه وآله عندهم، وهو عليه الصلاة والسلام المشهور فيهم بالأمين؟

ولعل ما رواه ابن مردويه من أن مولاهم بظاهره لمن زعمه ذلك البعض من الإمامية عن أنس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الرجل ليصلي ويصوم ويحج ويحرم وأنه المنافق! قيل: يا رسول الله بماذا دخل عليه المنافق؟ قال: يظن على إمامه، وإمامه من قال الله تعالى في كتابه:

«فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ» إلى آخره، مما لا يصح.

وأنا أقول: يجوز أن يراد من (أهل الذكر): أهل القرآن. (١٤٧: ١٤)
الطباطبائي: المراد به (أهل الذكر) أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم، سواء أكانوا مؤمنين أم كفاراً. وتسمي العلم ذكره لأن العلم بالمدلول يحصل غالباً من تذكر الدليل، فهو من قبيل تسمية المسبب باسم السبب. وفيه: أنه من الجاز من غير قرينة موجهة للمحل عليه، على أن المهور من الموارد التي ورد فيها الذكر في القرآن الكريم غير هذا المعنى.

وقال بعضهم: المراد به (أهل الذكر) أهل القرآن، لأن الله سمى ذكره، وأهله النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وخاصة المؤمنين. وفيه: أن كون القرآن ذكراً وأهله أهل لا ريب فيه، [ومستحسن] [تفسير الذكر] ذلك من الآية خاصة لا تلائم تمام الحقيقة، فإن أولئك لم يكونوا مسلمين لنبوة النبي صلى الله عليه وآله، فكيف يقبلون من أتباعه من المؤمنين؟

وكيف كان فالآية إرشاد إلى أصل عام عقلائي، وهو وجوب رجوع الجاهل إلى أهل الخبرة، وليس ما تضمنته من الحكم حكماً تعديلاً ولا أمراً الجاهل بالسؤال عن العالم ولا بالسؤال عن خصوص أهل الذكر أمراً مولوياً

(١) هو تفسير أبي يوسف وابن حجر، ومقاتل بن سليمان، ووكيع بن جراح، ويوسف بن موسى، وشمس بن قتادة، وتفسير حرب الطائفي، وتفسير الشافعي، ومجاهد، ومقاتل ابن حبان، وأبو صالح، وصحاح ابن موسى الشيرازي.

تشريعيًا، وهو ظاهر.

(١٢: ٢٥٨)

مكارم الشيرازي، ليست هذه المرة الأولى التي نرى فيها روايات تفسر آيات من القرآن لبيان مصاديق معينة. ولا تعدد المفهوم الواسع للآية، (والذكر) - كما قلنا - هو بمعنى الاطلاع بأي نحو كان. (وأهل الذكر) هم المطلعون على جميع الأمور في شتى الميادين. وقد أطلق (الذكر) على القرآن المجيد الذي يُعدُّ نموذجًا بارزًا للتدبر والعلم والاطلاع. ويعتبر النبي ﷺ أيضًا مصداقًا واضحًا للذكر. وكذا أهل بيته ووارثي علمه من الأئمة المعصومين عليهم السلام فهم أوضح مصداق لأهل الذكر.

ولكن التسليم بكل جوانب هذه القضية لا يستلزم شمول مفهوم الآية، وكذا شأن نزولها في أخبار أهل الكتاب، ولذا استدلل فقهاؤنا وحلواؤنا الأصوليون بهذه الآية في باب الاجتهاد والتقليد. وقالوا بوجوب اتباع غير العالم للعالم والمجتهد في المسائل الدينية.

يُبدَأُ أن هناك رواية في «عيون الأخبار» عن الإمام عليّ ابن موسى الرضا عليه السلام جاء فيها «قالت العلماء: إنما عني الله بذلك اليهود والنصارى، فقال أبو الحسن: سبحان الله، وهل يجوز ذلك، إذا يدعوننا إلى دينهم» ثم قال: «نحن أهل الذكر» (١).

فالإمام في هذه الرواية يردُّ على من يقول: إن الآية تعني الرجوع إلى علماء أهل الكتاب في كل عصر وزمان. ولكن الحقيقة ليس كذلك، إذ لم يكن الناس ملزمين بالرجوع إلى علماء اليهود والنصارى لدرك الحقائق خلال العصور الماضية، ومنها عصر الإمام عليّ ابن موسى الرضا عليه السلام بل كانوا يرجعون خلال تلك

العصور إلى علماء الإسلام وعلى رأسهم أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وبعبارة أخرى إن كان المشركون في عصر النبي ﷺ مكلفين بالرجوع إلى علماء أهل الكتاب لدرك هذه الحقيقة، وهي أن الأنبياء كانوا بشرًا على مدى التاريخ، فلا يعني هذا وجوب رجوع جميع الناس إليهم في كل زمان، بل يجب الرجوع إلى علماء ذلك الزمان في كل مسألة. وهذا أمر بين.

وإن الآية المذكورة تبين أمرًا أساسيًا للإسلام في جميع نواحي الحياة المادية والمعنوية. وتؤكد ضرورة رجوع جميع المسلمين إلى العلماء في المسائل التي

يجهلون، وعدم الخوض في أمور مُهمّة منهم. وعليه فإن موضوع «التخصص» معترف به من قبل القرآن، ليس على صعيد المسائل الشرعية والدينية فقط بل على جميع الأصعدة، ولذا لا بُدَّ من وجود علماء ومتخصصين في جميع الميادين في كل عصر وزمان، لكي يرجع الناس إليهم في المسائل التي يجهلون.

ولكن يلزم أن نذكر أيضًا هذه الملاحظة، وهي وجوب نبوت نفة وعدالة المتخصصين ومن يرجع إليهم، أفلاطمخُن إلى طيب حاذق ومتخصص ومخلص في عمله عندما نراجعهُ!

ولذا جعلت المدالة في حقل الاجتهاد أو الأعلمية في المباحث المتعلقة بالتقليد والمرجعية، أي أن المرجع يجب أن يكون عالمًا ومُطلقًا على الأحكام الدينية

ويجتمع بالتقوى والورع أيضًا. (١١: ٢٤٤)
وهذا المعنى جاء تفسير «أهل» في سورة الأنبياء: ٧.

أهل المدينة

١ - وَبَيْنَ حَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَبَيْنَ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّى تَخْطُبُهُمْ...

التوبة: ١٠١.

المطهرى: يقول تعالى ذكره: ومن القوم الذين حول
مدينتكم من الأعراب منافقون ومن أهل مدينتكم أيضًا
أمنالهم أقرام منافقون. (١١: ٩)

(٣: ٤٤٥)

نحوه ابن كثير.

الزجاج: أنه حصل فيه تقديم وتأخير، والكلام
وبين حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة منافقون
مرادوا على النفاق. (الفخر الرازي: ١٦: ١١٧٣)

نحوه الخازن (٣: ١١٥)، والقرطبي (٨: ٢٤٠).

البغوي: أي ومن أهل المدينة من الأوس والخزرج
قوم منافقون. (٣: ١١٥)

المطهرى: أي قوم مرادوا بحذف الموصوف.
ويجوز أن يكون التقدير: ومن أهل المدينة منافقون
مرادوا على النفاق، فنصل بين الصفة والموصوف
بالفرف. (٣: ١١٦)

(١: ٤٠٤)

نحوه أبو البركات.

النيسابوري: عبدالله بن أبي وجعة بن قيس
ومعتب بن قشير وأبو عامر الزاهد وأضرعهم.

(١١: ١١٤)

أبو حيان: لما شرح أحوال منافقي المدينة ثم أحوال

منافقي الأعراب، ثم بين أن في الأعراب من هو مخلص
صالح، ثم بين رؤساء المؤمنين من هم، ذكر في هذه الآية:
أن منافقين حولكم من الأعراب وفي المدينة
لا تعلمونهم، أي لا تعلمون أعيانهم أو لا تعلمونهم
منافقين [إل أن قال:]

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّى تَخْطُبُهُمْ﴾
المفردات، فيكون مطوقاً على «من» في قوله: (وَمِنْ)،
فيكون المرادان يشتركان في المبتدأ الذي هو (مُنَافِقُونَ)
ويكون (مَرَدُوا) مستثنى ما أخبر عنهم أنهم عسريجون في
النفاق. (٥: ٩٣)

٢ - مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَحْدَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ
أَنْ يَتَخَلَّوْا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ...

التوبة: ١٢٠
الخازن: يعني لساكني المدينة من المهاجرين
(٣: ١٣٥)

البزوصوي: أي ماصح وماستقام لهم، والمدينة
علم بالقبلة لدار الهجرة، كالتجمع للثريا إذا أطلقت فهي
المرادة، وإن أريد غيرها فليكن. والنسبة إليها مديني
ولميرها من المدن مديني، للفرق بينها، كما في «إنسان
الصون».

قال الإمام النووي: لا يعرف في البلاد أكثر أسماء منها
ومن مكة.

وفي كلام بعضهم: لها نحو مائة اسم، منها: دار الأخبار
ودار الأبرار ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح، والبازة
وطاية وطية لطيب العيش بها، ولأن ليطر الطيب
صارانحة لا توجد في غيرها، وتربها شفاء من المصنام

(٣: ١٨٢)

منه التَّيَّسَاوِي (٢: ١٩٥)، والتَّسَوِي (٣: ٢٣٨).

أهل التَّقْوَى وأهل المغفرة

... هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الصَّغِيرَةِ المذتر: ٥٦

النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أَهْلُ أَنْ أُتَّقَى

فَلَا يُجْتَمَلُ مَعِيَ إِلَهٌ، فَمَنْ اتَّقَى أَنْ يَجْمَعَ مَعِيَ إِلَهًا فَأَنَا أَهْلُ أَنْ

أُغْفَرَ لَهُ. (الطَّبْرَسِي ٥: ٣٩٢)

قَالَ اللَّهُ أَنَا أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ عَفْوَاً مَنْ لَنْ أَسْتَرْ عَلَى عَبْدِي

فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ أَفْضَحَهُ بِعَدْنِ سِتْرَتِهِ، وَلَا أَزَالُ أَغْفِرُ لِعَبْدِي

بِأَسْتَغْفِرِي. (الذَّرَّ الْمَشْهُور ٦: ٢٨٧)

يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى: إِلَهِي لِأَجْدِي أَسْتَحْيِي مِنْ عِبْدِي

بِرُحْمِ يَدِي إِلَى تَمَلُّوْهَا. قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: إِنَّمَا لَيْسَ ذَلِكَ

بِأَهْلٍ! قَالَ اللَّهُ: لَكِنِّي أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، أَسْهَدُكُمْ

أَنِّي لَا أَغْفِرُ لَهُ. (الطَّبْرَسِي ٥: ٤٦٠)

يَقُولُ اللَّهُ: إِلَهِي لِأَسْتَحْيِي مِنْ عِبْدِي وَأَتَّقِي يَشِيَانِ فِي

الْإِسْلَامِ ثُمَّ أَحْذِبُهَا بِعَدْنِ ذَلِكَ فِي النَّارِ.

(الذَّرَّ الْمَشْهُور ٦: ٢٨٧)

الإمام الصادق ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا

أَهْلُ أَنْ أُتَّقَى وَلَا يَشْرِكُ بِي عَبْدِي شَيْئاً، وَلَنَا أَهْلُ أَنْ

لَمْ يَشْرِكْ بِي عَبْدِي شَيْئاً لَنْ أَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ.

(الطَّبْرَسِي ٥: ٤٦٠)

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَقْسَمَ بِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ أَنْ

لَا يَجْذِبَ أَهْلَ تَوْحِيدِهِ بِالنَّارِ. (الطَّبْرَسِي ٥: ٤٦١)

قَتَادَةَ: رَبَّنَا مَحْمُودٌ أَنْ تُتَّقَى عِبَادَهُ، وَهُوَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ

يُغْفِرُ الذُّنُوبَ. (الطَّبْرَسِي ٢٩: ١٧٢)

وَمِنَ الْبَرِّسِ بَلْ وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَصَحْبُوتَهَا شَفَاءٌ مِنَ السَّيِّئِ.

وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ بِأَتَمِّهَا لَا يَخْلُوْنَ

مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالذِّينِ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ

وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، وَهِيَ أُمِّي الْمَدِينَةِ تَغْرِبُ

قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعِينَ عَامًا، وَيَمُوتُ أَهْلُهَا مِنَ الْجَمْعِ.

(٣: ٥٣٢)

«مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ»: مَدِينَةُ الْقَلْبِ، وَأَهْلُهَا

النَّفْسُ وَالْمُحَرَّى. (٣: ٥٣٤)

٣- وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ الحجر: ٦٧

الطَّبْرَسِي: يَقُولُ: وَجَاءَ أَهْلُ مَدِينَةِ سَدُومَ، وَهُمْ قَوْمُ

لُوطَ. (١٤: ٤٣)

نَحْوَهُ التَّيَّسَاوِي (١: ٥٤٥)، وَأَهْلُ السُّعُودِ (٣: ٥٤٤).

وَالْكَاشَانِي (٣: ١١٧).

الرَّمْطُشَرِي: أَهْلُ سَدُومَ الَّتِي ضَرَبَ بِقَاضِيهَا الْمَلِكُ

فِي الْجَمُورِ، مَسْتَبْشِرِينَ بِالْمَلَائِكَةِ. (٢: ٣٩٥)

مِثْلَهُ التَّسَوِي. (٢: ٢٧٦)

الْفَهْرُ الرَّازِي: أَحْلَمُ أَنْ لِمَرَادِ بِلْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَوْمُ

لُوطَ. وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي جَاوَوْهُ إِلَّا

أَنَّ الْقِصَّةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ جَاوَوْا عَادَ لُوطَ. (١٩: ٢٠٢)

نَحْوَهُ الرَّطْمِي. (١٠: ٣٩٦)

أهل عَذَابٍ

... وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ عَذَابٍ تَسْتَلُوا عَلَيْهِمْ

أَيَاتِنَا... القصص: ٤٥

الرَّمْطُشَرِي: وَهُمْ شَعِيبٌ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ.

الطَّيِّبِي: اللَّهُ أَهْلُ أَنْ يَتَّقِيَ عِبَادَهُ حَقَّاهُ عِلَّ
مَصِيَّتِهِمْ إِيَّاهُ، فَيَجْتَنِبُوا مَعَاصِيَهُ وَيَسَارِعُوا إِلَى طَاعَتِهِ.
﴿وَأَهْلُ السَّخِرَةِ﴾ يقول: هو أهل أن يغفر ذنوبهم
إذا هم فعلوا ذلك، ولا يعاقبهم عليها مع توبتهم منها.

(١٧٢: ٢٩)

نحوه المخازن.

الْبَغْوِي: أَيُّ أَهْلِ أَنْ يَتَّقِيَ مَحَارِمَهُ، وَأَهْلُ أَنْ يَغْفِرَ لِمَنْ

(١٥٠: ٧)

اتَّقَاهُ.

مثله المَيْبُودِي (١٠: ٢٩٢)، وَالْأَسْنِي (٤: ٣١٣).

وَأَبُو حَيَّان (٨: ٣٨١).

الرَّضَخَشَرِي: هُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يَتَّقِيَ عِبَادَهُ وَيَتَجَنَّبَ

عَقَابَهُ فَيُؤْتِنُوا وَيَطِيعُوا، وَحَقِيقٌ بِأَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ إِذَا أَسْتَوُوا
وَأَطَاعُوا (٤: ١٨٨).

نحوه أَبُو السَّمُود (٥: ٢١٢)، وَالْجَمُوسِي (١٠: ٢٤٣).

وَالْأَكْرُوسِي (٢٩: ١٣٥)، وَالْقَاسِمِي (١٦: ١٨٦).

الشَّرِيفِي: أَيُّ يَتَّقِيَ عِبَادَهُ وَيَعْذِرُوا غَضَبَهُ بِكُلِّ

مَا اتَّصَلَ قَدْرُهُمْ إِلَيْهِ لِمَا لَهُ مِنَ الْجَلَالِ وَالْكَرَمِ وَالْقَهْرِ.

وَقَرَأَ حَمْدَهُ وَالْكِسَائِي بِالْإِمَامَةِ مَحْضَةً، وَأَبُو صَرُوبِينَ

بَيْنَ، وَقَرَأَ وَرَّسَ بِالْفَتْحِ وَبَيْنَ الْفُطْلَيْنِ.

﴿وَأَهْلُ السَّخِرَةِ﴾ أَيُّ وَحَقِيقٌ أَنْ يَطْلُبَ غَفْرَانَهُ

لِلذَّنُوبِ لِأَسْبَابٍ إِذَا اتَّقَاهُ الْمَذْنِبُ، لِأَنَّ لَهُ الْجِبَالَ وَاللَّطْفَ.

وَهُوَ الْقَادِرُ وَالْقَادِرَةُ لِقِيَرِهِ، فَلَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضُرُّهُ.

(٤٣٨: ٤)

الْعَبَّاسِي: أَيُّ أَهْلِ أَنْ يَتَّقِيَ مِنْهُ، لِأَنَّ لَهُ الْوَلَايَةَ

الْمُطْلَقَةَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَيُؤَدِّي سَعَادَةَ الْإِنْسَانِ وَشَقَاوَتَهُ،

وَأَهْلُ أَنْ يَغْفِرَ لِمَنْ اتَّقَاهُ، لِأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

والجملة أمني قوله: ﴿هُوَ أَهْلُ الشَّقْوَى وَأَهْلُ

السَّخِرَةِ﴾ صالحة لتلخيص ما تقدم من الدَّعْوَةِ فِي قَوْلِهِ:

﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ المَذْكُر: ٥٤، ٥٥، وهو

ظاهر، ولتلخيص قوله: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

المَذْكُر: ٥٦، فَإِنَّ كَوْنَهُ تَعَالَى: (أَهْلُ الشَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ)

لَا يَتِمُّ إِلَّا بِكَوْنِهِ ذَا إِرَادَةٍ نَافِذَةٍ فِيهِمْ سَارِيَةٍ فِي أَعْمَالِهِمْ،

فَلْيَسُوا بِمُخْلِينَ وَمَا يَجُودُونَ، وَهُمْ مَعْجُزُونَ لِلَّهِ بِتَمَرُّدِهِمْ

(١٠١: ٢٠)

وَأَسْتِكْبَارِهِمْ.

عبد الكريم الخطيب: أَيُّ هُوَ سَبْحَانَهُ أَهْلُ أَنْ

يَتَّقِيَ مَحَارِمَهُ وَيَتَّقِيَ عَقَابَهُ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ

يُرْجَى عَنْهُ غَفْرَانُ الذَّنُوبِ لِمَنْ أَتَابَ إِلَيْهِ وَطَلَبَ الْغَفْرَانَ

مِنْهُ. وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مِثْلَةَ اللَّهِ الْعَالَمَةِ الْمُطْلَقَةَ

بَعَادَةَ رَحِيمَةٍ مَنَزَّهَةٍ عَنِ الْجُورِ وَالْتَّسَلُّطِ، إِنَّهَا مِثْلَةُ

الْمَخَالِقِ فِي خَلْقِهِ، فَالْخَلْقُ فِي ضَمَانِ هَذِهِ الْمِثْلَةِ فِي رَحْمَةِ

اللَّهِ أَيْمَا كَانَتْ مِثْلَةُ اللَّهِ فِيهِمْ. وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ٢٥١، ويقول

سَبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة: ١٤٣.

وفِي الْحَدِيثِ: «اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا».

(١٥١: ١٣١)

أهل يثرب

وَأَذَقَاكَ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَا أَهْلُ يَثْرِبَ لَا عِقَامَ لَكُمْ...

الأحزاب: ١٣

لاحظ: «يثرب».

أهل البيت

١ - قَالُوا أَتُحِبُّهُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ
هود: ٧٣
الطَّبْرِيُّ: يقول: رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم. وجعلت الألف واللام خلقاً من الإضافة.

(١٢: ٧٧)

نحوه البَنَوِيُّ (٣: ١٩٨)، والشَّرِيفِيُّ (٢: ٧٠).

الطُّوسِي: يدلُّ على أنَّ زوجة الرجل تكون من أهل بيته في قول الجُبَّارِيِّ وقال غيره: إنما جعل «سارة» من أهل البيت لما كانت بنت عمته. على ما قاله المفسرون.

الرَّمْثُورِيُّ: (أهل البيت) نصب على النداء أو على الاختصاص. لأنَّ (أهل البيت) مدح لهم إذ المراد أهل بيت خليل الرحمن.

(٢٨٢: ٢)

نحوه البَنَوِيُّ (٨: ٧٧).

الْقُرْطُبِيُّ: هذه الآية تُطْلَقُ على زوجة الرجل من أهل البيت، فدلَّ هذا على أنَّ أزواج الأنبياء من أهل البيت، فصائفة رضي الله عنها من جملة أهل بيت النبي ﷺ مَنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣.

أَبُو حَتَّانَ: (أهل) منصوب على النداء أو على الاختصاص، وبين النصب على المدح والنصب على الاختصاص فرق، ولذلك جعلها سَيِّوْنَهُ في بابين، وهو أنَّ المنصوب على المدح لفظٌ يَحْتَضِرُ بوضعه المدح، كما أنَّ المنصوب على الذمِّ يَحْتَضِرُ بوضعه الذمُّ، والمنصوب على الاختصاص لا يكون إلا لمدح أو ذمٍّ، لكن لفظه لا يَحْتَضِرُ

بوضعه المدح ولا الذمُّ. [ثم استشهد بشعر]

وخطاب الملائكة إِيَّاها بقولهم: (أهل البيت) دليل على اندراج الزوجة في أهل البيت، وقد دلَّ على ذلك أيضاً في سورة الأحزاب خلافاً للشَّيْخَةِ، إذ لا يحدِّثون الزوجة من أهل بيت زوجها، و(البيت) يراد به بيت التكني.

أَبُو الشَّعُوذِ: نصب على المدح أو الاختصاص، لأنهم أهل بيت خليل الرحمن، وصرف الخطاب من صيغة الواحدة إلى جمع المذكر لتعميم حكمه لإبراهيم عليه السلام أيضاً، ليكون جواباً لها جواباً له أيضاً إن خطر بباله مثل ما خطر ببالها، فالجملة كلام مستأنف على ابتكار نخبها.

فَهَبْرٌ: نداء تميمي، وجعلها من أهل بيته، لأنها ابنة عمته، فلا يدلُّ على كون زوجة الرجل من أهل بيته.

الطُّوسِي: نصب على المدح أو الاختصاص، كما ذهب إليه كثير من المُعَرِّبين. [إلى أن قال:]

وفي «المعجم» أنَّ النصب في الاختصاص بفعل واجب الإضمار، وقدره سَيِّوْنُهُ: بداهته، ويختصُّ بأيِّ الواقعة بعد ضمير المتكلم، كأننا أقبل كذا أنها الرجل وكأللهم اخبرنا أنها العصابة. وحكمها في هذا الباب - إلا عند التبرائى والأخفش - حكمها في باب النداء. [إلى أن قال:]

وصرف الخطاب من صيغة الواحدة إلى الجمع، ليكون جواباً لها جواباً لمن يخطر بباله مثل ما خطر ببالها من سائر أهل البيت.

والجملة كلام مستأنف علل به إنكار تعجبها، فهي جملة خبرية، واختاره جمع من المحققين. وقيل: هي دعائية، وليس بذلك.

واستدل بالآية على دخول الزوجة في أهل البيت، وهو الذي ذهب إليه الشيعة، ويؤيده ما في سورة الأحزاب، وخالف في ذلك الشيعة، فقالوا: لا تدخل إلا إذا كانت قريب الزوج ومن نسبه، فإن المراد من (البيت) بيت النسب لا بيت الطين والخشب، ودخل «سارة» رضي الله تعالى عنها هنا لأنها بنت عمه، وكانتهم حملوا ألبت على الشرف، كما هو أحد معانيه. (ثم استشهد بشعر)

ثم خصوا الشرف بالشرف النسبي والآ فالبيت بمعنى النسب مما لم يشع عند اللغويين، ولعل البيت دعاهم لذلك بعضهم لعائشة فرأوا إخراجها من البيت **﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** (الأحزاب: ٣٣). (١٠١: ١٢)

٢-... **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** (الأحزاب: ٣٣) النبي ﷺ نزلت هذه الآية لي، وفي علي وفاطمة وحسن وحسين.

الإمام علي عليه السلام: [في احتجاجه عليه السلام على أبي بكر] فأشرك بالله أهلي ولأهلي وولدي آية التطهير من الرِّجْسِ أم لك ولأهل بيتك؟ قال: بل لك ولأهل بيتك. قال: فأشرك بالله أنما صاحب دعوة رسول الله ﷺ وأهلي وولدي يوم الكساء: اللهم هؤلاء أهلي إليك لا إلى

الغار أم أنت؟ قال: بل أنت وأهل بيتك.

(الكاشاني ١: ١٨٨)

[وفي احتجاجه عليه السلام على الناس يوم السورى] أشرككم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير على رسوله **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾** الآية، فأخذ رسول الله ﷺ كساءً خبيراً فسطحنى، وفيه فاطمة والحسن والحسين عليه السلام. ثم قال: «يارب هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرِّجْسَ وطهرهم تطهيراً» غري؟ قالوا: اللهم لا.

(الكاشاني ٤: ١٨٨)

[وقال في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان:]

إنما الناس أتعلمون أن الله عز وجل أنزل في كتابه **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** فجمعتني وفاطمة وابنتي حسناً وأبنتي ونحمتني يؤلفني ما يؤلفهم ويحزني ما يحزنهم ويخرجني ما يخرجهم فأذهب عنهم الرِّجْسَ وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله، فقال: أنت - أو ابتك - علي خير، إنما أنزلت في وفي أخي وفي ابنتي وفي ابنتي وفي نسبي من ولد ابني الحسين عليه السلام، خاصة ليس معاً أحد غيرنا، فقالوا كلهم: نشهد أن أم سلمة رضي الله عنها حدثتنا بذلك، فسالنا رسول الله ﷺ فحدثنا كما حدثتنا أم سلمة رضي الله عنها. (الكاشاني ١: ١٨٨) إن رسول الله ﷺ نام ونومني وزوجتي فاطمة وابنتي الحسن والحسين، وألقى علينا عباءاً نقوابية، فأنزل الله تعالى فيها **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ**

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا» فقال جبرئيل ﷺ: أنا منكم يا محمد، فكان سادسنا جبرئيل. (التروسي ٤: ٢٧٢)
الإمام الحسن ﷺ: فلتنا نزلت آية التطهير
جمعنا رسول الله ﷺ أنا وأخي وأمي وأبي فجتلنا وعنه
في كساء لأُم سلمة خديجة، وذلك في حُجرتها وفي
يومها. فقال: اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي، وهؤلاء أهلي
وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فقالت
أُم سلمة رضي الله عنها: أنا أدخل معهم بارسول الله؟
فقال لها رسول الله ﷺ، يرحمك الله أنت على خير وإلى
خير وما أَرْضاني عنك ولكنها خاتمة لي ولهم، ثم مكث
رسول الله ﷺ بعد بقية عمره حتى قبضه الله إليه، يأتيها
في كل يوم عند طلوع الفجر فيقول: الصلاة بمرحكم الله
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (البحراني ٣: ١٧)

إني خطبة له قال: يا أهل الرقاق اتقوا الله فيما بين يديكم
أمرؤكم وضيئفانكم، ونحن أهل البيت الذي قال الله
تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. قال: فما زال يقولها حتى ما بقي أحد
من أهل المسجد إلا وهو يمين بكاءه. (ابن كثير ٥: ٤٥٨)
عائشة: خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط
مُرَجَّل من شعر أسود فجلس، فأنت فاطمة فأدخلها فيه
ثم جاء علي ﷺ فأدخله فيه ثم جاء حسن فأدخله فيه
ثم جاء حسين فأدخله فيه. ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾
(البخاري ٥: ٢١٢)

قال بجمع: دخلت مع أُمي على عائشة، فسألتها أُمي

لرأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنه كان قدراً من الله.
فسألتها عن علي ﷺ، فقالت: سأليني عن أحب الناس
إلى رسول الله ﷺ وزوج أحب الناس كان إلى رسول
الله ﷺ. لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ﷺ.
وجمع رسول الله ﷺ بهم عليهم، ثم قال: اللَّهُمَّ هؤلاء
أهل بيتي وحاشتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا. فقلت: يا رسول الله أنا من أهلك؟ قال: تنحني
فإنك إلى خير. (الطبرسي ٤: ٣٥٧)

أبو القعراء: رأيت المدينة سبعة أشهر على عهد
النبي ﷺ رأيت النبي ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب
علي وفاطمة فقال: الصلاة الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
(الطبرسي ٢٢: ٦)

خلفت من رسول الله ﷺ ثمانية أشهر بالمدينة، ليس
من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى إلى باب علي رضي
الله عنه فوقف عليه ثم يقول: يا علي الصلاة الصلاة
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (الدر المنثور ٥: ١٩٩)
رأيت رسول الله ﷺ يأتي باب علي وفاطمة ستة
أشهر، فيقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ الآية.

(الدر المنثور ٥: ١٩٩)

مثل أنس بن مالك. (الخانزاد ٥: ٢١٢)

شهدت النبي ﷺ أربعين صباحاً يحيي إلى باب
علي وفاطمة ﷺ، فيأخذ بيضاً في الباب، ثم يقول:
السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله. الصلاة بمرحكم الله
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (البحراني ٣: ٣١٢)

أُمِّ سَلَمَةَ: نزلت هذه الآية في بيتي، وفي البيت
سبعة: جبرائيل وميكائيل ورسول الله وعلي وفاطمة
والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، وكنت
على الباب، فقلت: يا رسول الله ألسنتُ من أهل البيت؟
قال: إنك إلى خير، إنك من أزواج النبي ﷺ، وما قال:
إنك من أهل البيت. (البحراني ٣: ٣١٣)

أمرني رسول الله ﷺ أن أرسل إلى علي وفاطمة
والحسن والحسين، فلبثنا أثراً اعتنق علياً بيمينه
والحسن بشماله والحسين على بطنه وفاطمة عند رجله.
ثم قال: اللهم هؤلاء أهلي وعترتي فأذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيراً. (البحراني ٣: ٣١٣)

نزلت هذه الآية في بيتي، وفي يومي كان رسول
الله ﷺ عندي، فدعا علياً وفاطمة والحسن والحسين
وجاء جبرائيل فدّ عليهم كساءً فديكاً، ثم قال: اللهم
هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيراً. قال جبرائيل: وأنا منكم بما عهدتُ فقال
النبي ﷺ: وأنت منا يا جبرائيل؟ فقلت: يا رسول الله وأنا
من أهل بيتك فبئتُ لأدخل معهم، فقال: كوني مكانك
يا أُمّ سلمة إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي ﷺ. فقال
جبرائيل: اقرأ يا محمد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في النبي وعلي
وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله
عليهم. (البحراني ٣: ٣١٣)

إن رسول الله ﷺ كان يبيتها على منامة له عليه
كساءً خيبري، فجاءت فاطمة رضي الله عنها بجرمة فيها
خزيرة، فقال رسول الله ﷺ ادعي زوجك وابنيك حسناً

وحسيناً، فدعتهما، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول
الله ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فأخذ النبي ﷺ بفضلة ليزاره
فنشاهم إيماناً، ثم أخرج يده من الكساء وأوماً بها إلى
السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالها ثلاث مرات.
فأدخلت رأسي في السر فقلت: يا رسول الله وأنا معكم،
فقال: إنك إلى خير، مرتين. (الدُرُّ الْمَشْهُور ٥: ١٩٨)

جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى أبيها بتريدة لها
تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: أين
ابن عتقك، قالت: هو في البيت، قال: ادعيه فأدعيه
وابنيك، فجاءت تقود ابنيها كل واحد منها في يد وعلي
رضي الله عنه يمشي في أثرهما، حتى دخلوا على رسول
الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي رضي الله عنه
عن يمينه فجلس فاطمة رضي الله عنها عن يساره،
فأخذت من تحتي كساءً كان بساطنا على المنامة في
البيت. (الدُرُّ الْمَشْهُور ٥: ١٩٨)

إن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: اثني
بزوجك وابنيك، فجاءت بهم، فأتى رسول الله ﷺ عليهم
كساءً فديكاً، ثم وضع يده عليهم، ثم قال: اللهم إن هؤلاء
أهل محمد، وفي نطفة آل محمد، فأجعل صلواتك وبركاتك
على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.
فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي، وقال:
إنك على خير. (الدُرُّ الْمَشْهُور ٥: ١٩٨)

ابن عباس: أراد بأهل البيت) نساء النبي ﷺ
لأنهن في بيته. (التهوي ٥: ٢١٣)

نحوه ابن السائب ومقاتل. (ابن الجوزي ٦: ٢٨١)
شهدنا رسول الله ﷺ تسعة أشهر يأتي كل يوم باب
عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه عند وقت كل صلاة.
فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت
«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» الصلاة رحمكم الله، كل يوم خمس
مرات. (الدر الثمور ٥: ١٩٩)

زيد بن أرقم، في حديث قال له حصين: من أهل
بيته يازيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من
أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال:
ومن هم؟ قال: هم آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر و
آل عباس رضي الله عنهم، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة
بعده؟ قال: نعم. (في حديث آخر قيل له: [

من أهل بيته. نساؤه؟ قال: لا. وأيم الله. إن المرأة
تكون مع الرجل، الصبر من الذكر، ثم يطلقها فترجع
إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا
الصدقة بعده. (ابن كثير ٥: ٤٥٧)

نحوه التميمي.
أبو سعيد الخدري، كان يوم أم سلمة أم المؤمنين
رضي الله عنها فنزل جبرئيل ﷺ على رسول الله ﷺ
هذه الآية، فدعا رسول الله ﷺ بحسن وحسين وفاطمة
وعليّ، فضمتهم إليه ونشر عليهم الثوب. والتعجاب على
أم سلمة مضروب، قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم
أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالت أم سلمة
رضي الله عنها: فأنامعهم يا نبي الله؟ قال: أنت علي
مكانك، وإنك علي خير. (الدر الثمور ٥: ١٩٨)

لما دخل عليّ رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها،
جاء النبي ﷺ أربعين صباحا إلى بابها يقول: السلام
عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله
«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» أنا حرب لمن حاربتم أنا سلم لمن
سالمتم. (الدر الثمور ٥: ١٩٩)

نزلت في خمسة: في النبي ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن
والعسين ﷺ. (الواحدي ٢: ٤٧٠)

الأنصاري: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وليس
في البيت إلا فاطمة والحسن والعين وعليّ، فيقال
النبي ﷺ: اللهم هؤلاء أهلي. (التروسي ٤: ٢٧٧)

نحوه سعد بن أبي وقاص. (الطبري ٢٢: ٨٨)
واقلم بن أسقع: جاء رسول الله ﷺ إلى فاطمة
وسمى حسن وحسين وعليّ حتى دخل، فأدنى عليّا
فأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا
كل واحد منهما على فخذ، ثم لفت عليهم ثوبه وأنا
مستديرهم، ثم تلا هذه الآية «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا».

(الدر الثمور ٥: ١٩٩)
عروة: يعني أزواج النبي ﷺ، نزلت في بيت عائشة.
(الدر الثمور ٥: ١٩٨)

الإمام السجاد عليه السلام: قال ﷺ لرجل من أهل
الشام: أما قرأت في الأحزاب «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»؟ قال: نعم.
ولأنتم هم؟ قال: نعم. (ابن كثير ٥: ٤٥٩)

عكرمة: من شاء باهله أنها نزلت في أزواج

النبي ﷺ

(الدُرِّ الشُّور ٥: ١٩٨)

الضَّعَالَةُ هم أهلُه ولزواجه. (أَبُو حَيَّان ٧: ٢٣١)

الإمام الباقر عليه السلام: نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وذلك في بيت أم سلمة زوجة النبي ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، ثم ألبسهم كساءً له خبيراً ودخل معهم فيه، ثم قال: اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني لهم ما وعدتني اللَّهُمَّ أذهب عنهم الرِّجْسَ وطهرهم طهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: أبشري يا أم سلمة فإنني على خير.

فأعطاني ذلكم وقال: لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم. وقال: إنهم لن يخرجوكم من باب هدي ولن يدخلوكم في باب ضلالة. فلو سكت رسول الله ﷺ ولم يبين من أهل بيته لأدعاهم آل فلان وآل فلان، ولكن الله عز وجل أنزه في كتابه لبيته ﴿إِنَّمَا يَمْزِجُ اللَّهُ الَّذِينَ يَدْعُونَ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فكان علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، فأدخلهم رسول الله ﷺ تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم قال: اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ لَبِيَّ أَهْلًا وَنَفْلًا وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَنَقْلِي. فقالت أم سلمة: أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ فقال: إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، ولكن هؤلاء أهلي ونقلي. (الْفَرُوسِي ٤: ٢٧٤)

(الكَاشَانِي ٤: ١٨٢)

قَتَادَةُ: هم أهل بيت طهرهم الله من الشُّور واخضعهم برحمته. (الدُرِّ الشُّور ٥: ١٩٩)

زيد بن علي عليه السلام: إِنَّ جَهْلًا مِنَ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِدَ آيَةِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَ كَذِبُوا وَأَتَمُّوا، وَأَيْمَنَ اللَّهُ وَلَوْ عَنِّي أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ لَقَالَ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً وَكَانَ الْكَلَامُ مَوْثِقًا، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِذْ كُنَّا نَايِلُونَ﴾ الْأَحْزَاب: ٢٤ ﴿وَلَا تَبْرَحْنَ﴾ الْأَحْزَاب: ٣٣ ﴿لَسَنَّا كَاتِبُونَ النَّسَابَ﴾ الْأَحْزَاب: ٣٢. (الكَاشَانِي ٤: ١٨٧)

الإمام الصادق عليه السلام: [في حديث طويل قال عليه السلام: حاكياً عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ:]
أَوْصِيَكُمْ بكتاب الله وأهل بيتي فإنني سألت الله عز وجل أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما علي العوض،

أَبُو بصير، قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ قَالَ: الْإِمَامَةُ الْأَوْصِيَاءُ، فَقُلْتُ: مَنْ عَشْرَتُهُ؟ قَالَ: أَصْحَابُ الْمِيَاءِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ قَالَ: الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، الْمُتَمَسِّكُونَ بِالثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ أَمَرُوا بِالتَّمَسُّكِ بِمَا: كِتَابُ اللَّهِ، وَعَشْرَتُهُ أَهْلُ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً، وَهِيَ الْخَلِيفَتَانِ عَلَى الْإِمَامَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (الْفَرُوسِي ٤: ٢٧٥)

الإمام الرضا عليه السلام: في حديث طويل وفيه فقال المأمون: مَنْ الْفِرَّةُ الطَّاهِرَةُ؟ فقال: الَّذِينَ وَصَّيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، فقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وَهَمَّ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي مَخْلُفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابُ اللَّهِ وَعَشْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، أَلَا وَإِنَّمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يردَا عَلَيَّ الْعَوْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا، أَتَبْهَأُ

الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

(الطوسي ٤: ٢٧١)

الطبري: اختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بقوله: (أهل البيت) فقال بعضهم: عني به رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، رضوان الله عليهم. وقال آخرون: بل عني بذلك أزواج رسول الله ﷺ.

(٢٢: ٥)

الزجاج: (أهل البيت) منصوب على المدح، ولو قرئت (أهل البيت) بالخفض، أو قرئت (أهل البيت) بالرفع، لجاز ذلك، ولكن القراءة «النصب» وهو على وجهين: على معنى: أعني أهل البيت، وعلى «التداء» على معنى: يا أهل البيت. وقيل: إن (أهل البيت) ما هنا عني به نساء النبي ﷺ وقيل: نساء النبي والرجال الذين هم آله والأئمة تدل على أنه للنساء والرجال جميعاً، لقوله:

(عنكم) بالميم ولا يظهركم. ولو كان للنساء لم يبرزكم. وهذا قول: «وإذا ذكرن عائلي في يئوينكن» الأحزاب: ٣٤، حين أفرد النساء بالخطاب. (٤: ٢٢٦)

الطوسي: قال: محرمه، هي في أزواج النبي خاصة. وهذا غلط، لأنه لو كانت الآية فيها خاصة لكني عنهم بكتابة «المؤث» كما فعل في جميع ما تقدم من الآيات، نحو قوله: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ... وَالْقُنْنَ أَفْضَلُ وَأَتَيْنَ الزُّكُورَ وَأَطَقْنَ اللَّه...» الأحزاب: ٣٣، فذكر جميع ذلك بكتابة «المؤث»، فكان يجب أن يقول: إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ، فَلَمَّا كُنِيَ بكتابة «المذكر» دل على أن النساء

لا مدخل لهن فيها.

وفي الناس من حمل الآية على النساء ومن ذكرناه من أهل البيت هرباً مما قلناه. وقال: إذا اجتمع المذكر والمؤث قلب المذكر فكُنِيَ عنهم بكتابة المذكر. وهذا يطل بما ينشأ من الرواية عن أم سلمة وما يقتضيه من كون من تناولته مصحفاً، والنساء خارجات عن ذلك. وقد استوفينا الكلام في ذلك في هذه الآيات في كتاب الإمامة، من إزاده وقت عليه هنالك. (٨: ٣٤٠)

الزحطري: (أهل البيت) نصب على التداء أو على المدح. وفي هذا دليل على أن نساء النبي ﷺ من أهل بيته. (٣: ٢٦٠)

الطبري: والذي يظهر أن زوجاته لا يخرجن من أهل البيت. (أهل البيت): زوجاته وبنتها (أبو حيان ٧: ٢٢٢)

الطوسي: قيل: (البيت): بيت الحرام، وأهله هم المتقون على الإطلاق، لقوله تعالى: «إِنْ أَرَادْتُمْ إِلَّا الْمُسْلِمُونَ» الأنفال: ٣٤.

وقيل: (البيت): مسجد رسول الله ﷺ، وأهله: من مكته رسول الله ﷺ فيه، ولم يخرجوه ولم يسد بابيه. وقد اتفقت الأمة بأجمعها على أن المراد بـ(أهل البيت) في الآية، أهل بيت نبينا ﷺ.

ثم اختلفوا فقال محرمه: أراد أزواج النبي، لأن أول الآية متوجه إليهن. وقال أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وواتله بن الأسقع وعائشة وأم سلمة: إن الآية مختصة برسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين. (ثم روى روايات إلى أن قال:)

واستدلَّت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة عليهم السلام بأن قالوا: إن لفظة (إنما) محققة لما أثبتت بمدحها، نافية لما لم يثبت، فإن قول القائل: إنما لك عندي درهم، وإنما في الذار زيد، يقتضي أنه ليس عند سوى الدرهم، وليس في الذار سوى زيد، وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة أو الإرادة التي يتبعها التظهير وإذهاب الرجس.

ولا يجوز الوجه الأول، لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق، ولأن هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بنير شك وشبهة، ولا مدح في الإرادة المجرّدة، فثبت الوجه الثاني.

وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائع. وقد علمنا أن من عدا من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته، فثبت أن الآية تقتضي عصمتهم لبطان تعلقها بنيرهم، ومنى قول: إن صدر الآية وما بعدها في الأزواج فالقول فيه إن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم، فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء، وكذلك كلام العرب وأشعارهم. (١: ٢٥٦)

ابن الجوزي: نصب (أهل البيت) على وجهين: أحدهما على معنى: أعني أهل البيت، والثاني على النداء، فالعنى: يا أهل البيت.

وفي المراد بـ (أهل البيت) جاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم نساء رسول الله ﷺ لأنهن في بيته، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة

وابن السائب ومقابل، ويؤكد هذا القول أن ما قبله وبعده متعلق بأزواج رسول الله ﷺ وعلى أرباب هذا القول اعتراض، وهو أن جمع المؤنث بالتون فكيف قيل: (عنكم) (ويطهركم)؟ فالجواب أن رسول الله ﷺ فيهن، فغلب المذكر.

والثاني: أنه خاص في رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، قاله أبو سعيد الخدري، وروى عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك.

والثالث: أنهم أهل رسول الله ﷺ وأزواجه، قتاله الضعاف، وحكى الزجاج أنهم نساء رسول الله ﷺ والرجال الذين هم آله، قال: واللغة تدل على أنها للنساء والرجال جميعاً، لقوله: (عنكم) بالميم، ولو كانت للنساء لم يميز إلا «عنكن» «ويطهركن». (١: ٢٥٨)

الفخر الرازي: إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات، وخطاب المذكرين بقوله: «ليذهب عنكم الرجس» ليدخل فيه نساء أهل بيته، ورجالهم.

واختلف الأقوال في (أهل البيت)، والأولى أن يقال: هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم، لأنه كان من أهل بيته، بسبب معاصرته بنت النبي ﷺ، وملازمته للنبي. (٢: ٢٥٩)

القرطبي: قد اختلف أهل العلم في (أهل البيت) من هم؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته خاصة، لارجل مهن، [إلى أن قال:]

وقالت فرقة، منهم الكلبي: هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة.

واحتجوا بقوله تعالى: «ليذهب عنكم الرجس أهل

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» بالميم، ولو كان للنساء خاصة لكان «عَنْكُمْ» «وَيُطَهِّرُكُمْ». إلا أنه يُحتمل أن يكون خرج على لفظ «الأهل» كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير. قال الله: ﴿وَأَنْفُسُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَفِئَتُهُمْ لَهُمْ وَاللَّهُ وَفِئَتُهُمْ أَهْلٌ﴾ [البينة: ٧٣].

والذي يظهر من الآية أنها مائة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم. وإنما قال: (وَيُطَهِّرُكُمْ) لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً كان فيهم. وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فاقطعت الآية أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهن والمخاطبة لمن يدل عليه سياق الكلام، والله أعلم.

البيضاوي: تخصيص الشيعة (أهل البيت) بفاطمة وعلي وأبيهما رضي الله عنهم لما روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات خُدوة وعليه يزرط مزجل من شعر أسود فجلس، فأنت فاطمة رضي الله عنها فأدخلها فيه، ثم جاء علي فأدخله فيه، ثم جاء الحسن والحسين رضي الله عنهما فأدخلهما فيه، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾. والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون إجماعهم حجة، ضعيف، لأن تخصيصهم بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها. والحديث يقتضي أنهم أهل البيت، لأنه ليس غيرهم. (٢: ٢٤٥)

نحو الخطاطوي (١٦: ٢٨)، وأبو السعود (٤: ٢١١).
النيسابوري: (أهل البيت) تُعيب على النداء أو على المدح. ولقد مر في آية «المباهلة» أنهم أهل العباءة

التي ﷺ لأنه أصل، وفاطمة رضي الله عنها والحسن والحسين رضي الله عنهما بالاحتقاق، والصحيح أن علياً رضي الله عنه منهم لمعاشرته بنت النبي ﷺ وملازمته إتمام، وورود الآية في شأن أزواج النبي ﷺ يطلب على الظن دخولهن فيهن، والتذكير للتغليب، فإن الرجال وهم النبي وعلي وأبناؤهم غلبوا على فاطمة وحدها أوسع أئمة المؤمنين. (٢٢: ١١)

أبو حنيفة: لما كان (أهل البيت) يشعلون وآباءهم، غلب المذكر على المؤنث في الخطاب في (عَنْكُمْ) و(يُطَهِّرُكُمْ).

وقول حكيمه ومقابل وابن السائب: إن (أهل البيت) في هذه الآية مختص بزوجاته ﷺ، ليس بجيد، إذ لو كان كما قالوا لكان التركيب «عَنْكُمْ» «وَيُطَهِّرُكُمْ». وإن كان هذا لقول مرويا عن ابن عباس، فلملأه لا يصح عنه. [لأن قال:]

ويظهر أنهم زوجاته وأهلها فلا تخرج الزوجات من أهل البيت بل يظهر أنهم أحق بهذا الاسم للازمتين بيته عليه الصلاة والسلام. (٧: ٢٢١)

ابن كثير: نص في دخول أزواج النبي ﷺ في (أهل البيت) حاجتها، لأنهن سب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل في قولاً واحداً، إنا وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح. [وبعد ذكر روايات قال:]

ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فإن سياق الكلام معونه، ولذا قال تعالى بعد هذا

قال ﷺ: «نحن سائر الأنبياء لا نورث». والاختصاص في المغاطبة أقل منه في المتكلم، وسمع: «منك الله لرجو الفضل» والأكثر إنما هو في المتكلم، [ثم استشهد بشعر] واختلف في (أهل البيت) والأولى فيهم ما قال البقاعي: إنهم كل من يكون من أئمة النبي ﷺ من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب، وكلما كان الإنسان منهم أقرب وبالنبي ﷺ أخص وأئمة كان بسا لإرادة أحق وأجدر، ويؤيده قول البيضاوي: وتخصيص الشيعة (أهل البيت) بإطاعة علي وإنيهما رضي الله تعالى عنهم لما روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه يزرع مبرجل من شعر أسود، فجلس فجاءت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون إجماعهم حجة، ضعيف.

(٣: ٢٤٤)

الكاشاني: [بعد نقل روايات كثيرة قال:]

الروايات في نزول هذه الآيات في شأن الخمسة أصحاب الباء من طريق المغاطبة والعمامة أكثر من أن تُحصى.

(٤: ١٨٩)

البروسوي: [نحو البيضاوي وأضاف:]

أي يا أهل البيت، والمراد به من حواء بيت النبوة رجالاً ونساءً. [إلى أن قال:] وتعرف في أسرة النبي ﷺ مطلقاً إذا قيل: (أهل البيت) يعني أهل البيت المتعارف في آل النبي ﷺ من بني هاشم ونسبه ﷺ بقوله: «سلمان منا أهل البيت» على أن موثق القوم

كلمة: «وَأَذْكُرَنَّ مَا يَنْتَلِي فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ» الأحزاب: ٣٤، أي وأعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغير واحد، واذكرون هذه النعمة التي خُصصن بهن بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أولاهن بهذه النعمة وأحفظاهن بهذه القيمة وأخصهن من هذه الرحمة الصيبة، فإنه لم ينزل على رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأته سواها، كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه. قال بعض العلماء رحمه الله: لأنه لم يتزوج بكراً سواها ولم ينم معها رجل في فراشها سواها ﷺ ورضي الله عنها، فلا شبهة أن تُخصص بهذه العزبة وأن تُفرد بهذه الرتبة (المرتبة) ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته قريباته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث «وأهل بيتي أسنى» وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ لما سئل عن المسجد الذي «أُسِّسَ عَلَى التَّوْحَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ» التوبة: ٨-١٠، فقال: «هو مسجدي هذا»، فهذا من هذا القبيل، فإن الآية إنما نزلت في مسجد «قبا» كما ورد في الأحاديث الأخرى، ولكن إذا كان ذلك أُسِّسَ عَلَى التَّوْحَى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ أولى بتسميته بذلك، والله أعلم.

(٥: ٤٥٢ و ٤٥٨)

نحو القاسمي.

الشرييني: «أَهْلُ الْبَيْتِ» في ناصبه أوجه:

أحدها: القاء، أي يا أهل البيت، أو المدح أي أمدح

أهل البيت، أو الاختصاص أي أخص أهل البيت، كما

يصح نسبته إليهم. (٧: ١٧١)

العاملين: وقد مر في «الآل» ما يدل على تأويل أهل النبي ﷺ وأهل بيته بالائمة الأوصياء، وبيننا هناك أنه قد يدخل تجوزاً فيهم بعض خواص تابعيهم. (٧٩)

شبه: نزلت في أهل البيت بأشفاق المفسرين، وتظاهر روايات العامة والخاصة، ويدل على اختصاصها بأهل البيت دون الأزواج، مضافاً إلى النصوص المستفيضة أن إذهاب الرّجس وعظيهم من فعله تعالى.

ولقد أرادته إرادة مؤكدة بالحسرو اللام. لعل من وقوعه، ولام الرّجس ليست عهدية إذ لا مجهود فهي استغراقية، فينتفي جميع أفرادها، أو جنسية فكذلك إذ تنفي العاهية نفي لكل أفرادها وهو معنى النقص، ولا واحدة من الأزواج معصومة إجماعاً، وذلك يثبت حجية قول واحد منهم ﷺ، فضلاً عن إجماعهم ﷺ.

وينبغي حمل تذكير الضميرين على التخليل في غير فاطمة سلام الله عليها، ويدفع إليهم التوق دخولهن، إذ كثيراً ما يورد النصحاء كلاماً في أثناء كلام آخر.

(٥: ١٤٥)

الآلوسي: نصب (أهل) على النداء، وجوز أن يكون على المدح فيقدر «أمدح» أو «أعني» وأن يكون على الاختصاص وهو قليل في المخاطبة، ومنه بك الله لرجو الفضل. وأكثر ما يكون في المتكلم، كقوله:

نحن بنات الطارق نشي على التمارق
وأل في (البيت) للعهد، وقيل: عوض عن المضاف إليه، أي بيت النبي ﷺ والظاهر أن المراد به بيت الطين والخشب لا بيت القرابة والنسب، وهو بيت الشكنى

للاسجد النبوي كما قيل. وحيث فالمراد به أهله نساؤه ﷺ والمطهرات، للفران النكثة على ذلك من الآيات السابقة والآخرة، مع أنه عليه الصلاة والسلام ليس له بيت يسكنه سوى سكانه، [ثم نقل روايات تدل على أن المراد بالأهل نساؤه ﷺ إلى أن قال:]

وأورد ضمير جمع المذكور في «عنتكم ويظهركم» رعاية للفظ «الأهل». والمرب كثيراً ما يستعملون صيغ المذكور في مثل ذلك رعاية للفظ، وهذا كقوله تعالى خطاباً لسارة امرأة الخليل ﷺ: «أتصهبن من أمر الله زحمت الله وتزكاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد» هود: ٧٣. ومنه على ما قبل قوله سبحانه: «قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا» القصص: ٢٩. خطاباً من يوسف ﷺ لأمراته، ولمل اعتبار التذكير هنا أدخل في العظيم.

ويجوز حمل تذكير الضميرين على التخليل في غير فاطمة سلام الله عليها، ويدفع إليهم التوق دخولهن، إذ كثيراً ما يورد النصحاء كلاماً في أثناء كلام آخر. (٥: ١٤٥)

تدل على أن المراد هو ﷺ غنسه، إلى أن قال:]
واختلف في المراد «أهله» فذهب الثعلبي إلى أن المراد بهم جميع بني هاشم ذكورهم وأناهم، والظاهر أنه أراد مؤمني بني هاشم، وهذا هو المراد «الآل» عند الحنفية.

وقال بعض الشافعية: المراد بهم آل صلى الله تعالى عليه وسلم الذين هم مؤمنو بني هاشم والقطيب. وذكر الزاغب أن (أهل البيت) تعرف في أسرة النبي ﷺ

تعالى عنه نحن يرى أن «نساء» عليه الصلاة والسلام
لنن من أهل البيت أصلاً. ولا يلزمنا أن ندين الله تعالى
برأيه لاسيما وظاهر الآية مقنا وكذا العرف. وحينئذ يجوز
أن يكون (أهل البيت) الذين هم أحد الثقلين بالمعنى
الشامل للأزواج وغيرهن من أصله. وعصبة النبي الذين
حرروا الصدقة بعده. ولا يضرب في ذلك عدم استمرار بقاء
الأزواج كما استمر بقاء الآخرين مع الكتاب. كما لا يعني
إلخ.

وأنت تعلم أن ظاهر ما صح من قوله ﷺ «إني تارك
فيكم خليفتين وفي رواية ثقلين: كتاب الله حبل ممدود
ما بين السماء والأرض. وعترتي أهل بيتي. وإني ما لن
بفترقا حتى يردنا عليّ المصير» يقتضي أن النساء
المطهرات غير داخلات في أهل البيت الذين هم أحد
الثقلين. لأن عترة الرجل كما في «الصحيح» نسبه
لرأسه الأذنون، وأهل بيتي في الحديث الظاهر أنه بيان
له أو بدل منه بدل كل من كل. وعلى التفسيرين يكون
متحداهما، فحين لم تدخل النساء في الأول لم تدخل في
الثاني. وفي «النهاية» أن عترة النبي ﷺ هو عبد المطلب.
وقيل: أهل بيته الأقربون وهم أولاده. وعليّ وأولاده
رضي الله تعالى عنهم. وقيل: عترة الأقربون والأجدون
منهم إلخ. والذي رجحه القرطبي أنهم من حرمت عليهم
الزكاة. وفي كون الأزواج المطهرات كذلك خلاف.

قال ابن حجر: والقول بتحريم الزكاة عليهن
ضعيف. وإن حكى ابن عبد البر الإجماع عليه. فتأمل.
ولا يرد على حمل (أهل البيت) في الآية على المعنى الأعم
ما أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي

مطلقاً. وأسرة الرجل على ما في «القاموس» رهطه أي
قومه وقبيلته الأذنون. وقال في موضع آخر: صار أهل
البيت متعارفاً في آله عليه الصلاة والسلام. [ثم نقل
روايات تدل على أن المراد بأهل بيته: فاطمة وعليّ
والحسن والحسين، وليس أزواجه من أهل بيته ﷺ]

وقد صرح بعدم دخولهن من الشيعة عبادة
المشهدى، وقال: المراد من (البيت) بيت النبوة. ولا شك
أن (أهل البيت) لغة شامل للأزواج بل الخدام من الإماء
اللاتي يسكن في البيت أيضاً. وليس المراد هذا المعنى
اللتوي بهذه السعة بالاتفاق، فالمراد به آل المباء الذين
خصصهم حديث الكساء. وقال أيضاً: إن كون البيوت
جماً في (بيوتكن) والمراد البيت في (أهل البيت) يندفع
على أن يبرهن غير بيت النبي ﷺ إلخ. وفيه ما يستلزمه إن
شاء الله تعالى.

وقيل: المراد (البيت) بيت السكنى قوله ﷺ
وأهل ذلك أهل كل من البيتين.

وقد سمعت ما قيل فيه، وفيه الجمع بين الحقيقة
والجواز. [ثم نقل روايات على أن المراد «الأهل» قومه
وقبيلته ونسأؤه، إلى أن قال:]

وقال بعضهم: إن ظاهر تعليله في كون النساء أهل
البيت بقوله: أيم الله إن المرأة تكون مع الرجل المصروع
الذهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. يقتضي أن
لا يكتن من أهل البيت مطلقاً. فلعله أراد بقوله في الخبر
السابق: نسأؤه من أهل بيته. إنسأؤه إلخ بهمة الاستفهام
الإنكاري، فيكون بمعنى ليس نسأؤه من أهل بيته، كما في
معظم الروايات. في غير صحيح مسلم، ويكون رضي الله

سيد الخُدَري قال: قال رسول الله ﷺ نزلت هذه الآية في خمسة: في علي وفاطمة وحسن وحسين وإسماعيل يُريدُ اللهُ بِإِذْهِبْ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا إذ لا دليل فيه على الحصر، والعدد لا مفهوم له، ولعل الاختصار على من ذكر صلوات الله وسلامه عليهم لأتَمُّ أفضل من دخل في الصوم، وهذا على تقدير صحة الحديث.

والذي يطلب على ظني أنه غير صحيح؛ إذ لم أجد نحو هذا في الآيات منه ﷺ في شيء من الأحاديث الصحيحة التي وقعت عليها في أسباب النزول، وبغير (أهل البيت) من له مزيد اختصاص به على الوجه الذي سمعتُ، يدفع ما ذكره المشهدي من شموله للخدام والإمام والمريد الذين يسكنون البيت، فإنهم في معرض التبدل والنحول بانتقالهم من بطنك إلى بطنك بمحو الحية والبيع، وليس لهم قيام بمصالحه واحتكام بأمره، وتغيير لشأنه إلا حيث يؤمرون بذلك، ونظفهم في سلك الأزواج، ودعوى أن نسبة الجميع إلى البيت حل حد واحد بما لا يرتضيه منصف ولا يقول به إلا متصف.

وقال بعض المتأخرين: إن دخولهم في الصوم مما لا بأس به عند أهل السنة، لأن الآية صدهم لا تدل على العصمة ولا يجزئ على رحمة الله عز وجل، ولا أجل عين ألف عين تُكرَّمه.

وأنا أمر الجمع والإفراد فقد سمعت ما يتعلق به، والظاهر على هذا القول أن التعبير بضمير جمع المذكّر في (عَنْكُمْ) للتغليب. وذكر أن في (عَنْكُمْ) عليه تغليب: أحدها: تغليب المذكّر على المؤنث، وثانيها: تغليب

المخاطب حل الغائب؛ إذ غير الأزواج المطهرات من أهل البيت لم يُجز لم ذكر فيها قبل ولم يُخاطبوا بأمر أو نهي أو غيرها فيه. وأمر التحليل عليه ظاهر وإن لم يكن كظهوره على القول بأن المراد (أهل البيت) الأزواج المطهرات فقط. [إل أن قال:]

واستدل بهذا بعضهم على عدم نزول الآية في حقهم، وإنما أدخلهم ﷺ في أهل البيت المذكور في الآية بدعائه الشريف عليه الصلاة والسلام، ولا يخلو جميع ما ذكر عن بحث.

والذي يظهر لي أن المراد (أهل البيت) من لهم مزيد علاقة به ﷺ ونسبة قوية قريبة إليه عليه الصلاة والسلام بحيث لا يقيح عرفاً اجتماعهم وشكناهم معه ﷺ، واحد، ويدخل في ذلك أزواجه والأربعة أهل الكساء، وعلى كرم الله تعالى وجهه مع ما له من القرابة من رسول الله ﷺ قد نشأ في بيته وجره عليه الصلاة والسلام فلم يخارقه، وعائلته كولد صغير، وصاحبه وأخاه كبيراً.

(١٣: ٢٢)

نحو عيزة دروزة.

الطباطبائي: كلمة (إِنَّمَا) تدل على حصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير، وكلمة (أهل البيت) سواء كان لمراد الاختصاص أو مدحاً أو نداءً يدل على اختصاص إذهاب الرجس والتطهير بالمخاطبين بقوله: (عَنْكُمْ). فلي الآية في الحقيقة قصران: قصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير، وقصر إذهاب الرجس والتطهير في أهل البيت.

وليس المراد (أهل البيت) نساء النبي خاصة، لمكان

الخطاب الذي في قوله: (عَنْكُمْ) ولم يقل (عَنْكَ)، فإما أن يكون الخطاب لمن ولغيره، كما قيل: إن المراد (أهل البيت) أهل البيت المرام وهم المؤمنون، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَوِيتَاءُ إِلَّا الشُّعُونَ﴾ الأنفال: ٢٤، أو أهل مسجد رسول الله ﷺ، أو أهل بيت النبي ﷺ وهم الذين يصدق عليهم عرفاً أهل بيته من أزواجه وأقربائه، وهم آل عباس وآل عقيل وآل جعفر وآل علي، أو النبي ﷺ وأزواجه، ولعل هذا هو المراد مما نسب إلى جكرمة وعروة إثما في أزواج النبي ﷺ خاصة.

أو يكون الخطاب لغيره، كما قيل: إنهم أقراء النبي من آل عباس وآل عقيل وآل جعفر وآل علي.

وعلى أي حال فالمراد بإذهاب الرجس والتطهير مجرد التقوى الذي بالاجتناب عن التواهي والاحتكاك بالأوامر، فيكون المعنى: أن الله لا يمتنع بتوجيه هذه التكاليف إليكم وإنما يريد إذهاب الرجس عنكم وتطهيركم، على حد قوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُظِلَّ عَنْكُم مِّنْ غُرَجٍ وَلَيَكُنْ يُرِيدُ لِيُظَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ بِفَضْلِهِ عَلَيْكُمْ﴾ المائدة: ٦، وهذا المعنى لا يلائم شيئاً من معاني أهل البيت السابقة، لما فاتته الآية للاختصاص المفهوم من (أهل البيت) لعمومه لعامة المسلمين المكلفين بأحكام الدين.

وإن كان المراد بإذهاب الرجس والتطهير التقوى الشديد البالغ، ويكون المعنى: أن هذا التشديد في التكاليف المتوجّهة إليكم لأزواج النبي وتضميف التواب والعقاب ليس ليتضع الله سبحانه به بل ليذهب عنكم الرجس ويظهركم، ويكون من تعميم الخطاب لمن ولغيره بعد تخصيصه بين، فهذا المعنى لا يلائم كون

الخطاب خاصاً بغيره وهو ظاهر، ولا مفهوم الخطاب لمن ولغيره، فإن الغير لا يشاركه في تشديد التكليف وتضميف التواب والعقاب.

لا يقال: لم لا يجوز أن يكون الخطاب على هذا التقدير متوجّهاً إليهم مع النبي ﷺ وتكليفه تشديد تكليفهم، لأنه يقال: إنه ﷺ مؤيدٌ بعصمة من الله وهي موهبة إلهية غير مكتسبة بالعمل، فلا معنى لجعل تشديد التكليف وتضميف الجزاء بالنسبة إليه مقدّمة أو سبباً لحصول التقوى الشديد له امتثالاً عليه، على ما يطبقه سياق الآية، ولذلك لم يصرح - بكون الخطاب متوجّهاً إليهم مع النبي ﷺ فقط - أحد من المفسرين. وإنما احتملنا لتصحيح قول من قال: إن الآية خاصة بأزواج النبي ﷺ.

وإن كان المراد بإذهاب الرجس والتطهير بإرادته مطلقاً لا بتوجيه مطلق التكليف ولا بتوجيه التكليف الشديد، بل بإرادة مطلقة لإذهاب الرجس والتطهير لأهل البيت خاصة بما هم أهل البيت، كان هذا المعنى منافياً لتفيد كرامتهم بالتقوى، سواء كان المراد بالإرادة الإرادة التشريعية أو التكوينية.

وهذا الذي تقدّم يتأيد ما ورد في أسباب النزول أن الآية نزلت في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسين ﷺ خاصة، لا يشاركهم فيها غيرهم.

وهي روايات جمّة تزيد على سبعين حديثاً، يروى ماورد منها من طرق أهل السنة على ماورد منها من طرق الشيعة، فقد روتها أهل السنة بطرق كثيرة عن أم سلمة وعائشة وأبي سعيد الخدري وسعد وروائله بن

جعلها فوق آية التطهير من آية ﴿وَقَدْ قَرَأَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ كموقع آية ﴿الَّذِينَ يَمَسُّونَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المائدة: ٣ من آية حرّمات الأكل من سورة المائدة، وقد تقدّم الكلام في ذلك، في الجزء الخامس من الكتاب.

وبالبناء على ما تقدّم تصير ■ (أهل البيت) نسًا خاصًا - في حرف القرآن - هؤلاء الخمسة، وهم: النبي وعلي وفاطمة والحسن وعليهم الصلاة والسلام، لا يطلق على غيرهم ولو كان من أقرّبائه الأقربين، وإن صحّ بحسب المرفد العام إطلاقه عليهم. (١٦٦: ٩-٣) الشهاوندي: إنّما فسّرنا الإرادة بالتكويينية لكونه في مقام بيان فضيلتهم على سائر الناس، ولا فضيلة للإرادة التشرعية التي يشرك فيها المؤمن والكافر، فإذا زلت الآية على عصمة أهل البيت فلا جرم لاتشمل نساء النبي للإجماع على عدم عصمتهم، وظهور المعصية من الإجماع على عدم عصمتهم، وقد انفقت روايات العامة والمخاصة على أنّها نزلت في شأن الخمسة الطيبة، وفي «نهج الحق» للعلامة أجمع المقسرون.

وروى الجمهور كأحمد بن حنبل وغيره أنّها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين، ثمّ نقل روايات على هذا الإدعاء إلى أن قال:

وقال بعض الأجلة: يحتمل أن يكون الخطاب إشارة إلى اتساعهم بأهل العصمة ترغيبًا لهم إلى الطاعة وترك المعصية.

أقول: ويمكن أن يكون الخطاب لأزواج النبي وأقاربه ذكورًا وإناثًا، والمقصود إرادة بعضهم من قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ كما قال: ﴿وَرَأَى

الأسلمع وأبي الحمراء وابن عباس ومويان مولى النبي وعبد الله بن جعفر وعليّ والحسن بن عليّ رضي الله عنهما في قريب من أربعين طريقًا.

وروتها الشيعة عن عليّ والتّجّاد والباقر والصادق والرضا عليه السلام وأُمّ سلمة وأبي ذرّ وأبي ليل وأبي الأسود الدؤليّ وعسرو بن ميمون الأوديّ وسعد بن أبي وقاص، في بضع وثلاثين طريقًا.

فإن قيل: إنّ الروايات إنّما تدلّ على شمول الآية للنبي وفاطمة والحسين رضي الله عنهم، ولا ينافي ذلك شمولها لأزواج النبي كما يفيد وقوع الآية في سياق خطابهم.

قلنا: إنّ كثيرًا من هذه الروايات وخاصة ما رويت عن أمّ سلمة - وفي بعضها نزلت الآية - تصرّح باختصاصها بهم وعدم شمولها لأزواج النبي، وتستبعد الروايات وفيها الصّحاح.

فإن قيل: هذا مدّغوع بنصّ الكتاب على شمولها لهم كوقوع الآية في سياق خطابهم.

قلنا: إنّما الشأن كلّ الشأن في اتصال الآية بما قبلها من الآيات، فهذه الأحاديث على كثرتها البالغة ناسخة في نزول الآية وحدها، ولم يرد حتّى في رواية واحدة نزول هذه الآية في ضمن آيات نساء النبي، ولا ذكره أحد حتّى القائل باختصاص الآية بأزواج النبي، كما يُنسب إلى عكرمة وعروة. فالآية لم تكن بحسب النزول جزء من آيات نساء النبي ولا متصلة بها، وإنّما وضعت بينها إمّا بأمر من النبي عليه السلام أو عند التأليف بعد الرحلة. ويؤيد أنّ آية ﴿وَقَدْ قَرَأَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الأحزاب: ٣٣، على انسجامها واتصالها لو قدر ارتفاع آية التطهير من بين

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ
لَكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُم مِّلُّوكُمْ ۚ الْمَائِدَةُ: ٢٠، ومن المعلوم
أنه لم يكن جميعهم ملوكاً، كما أنه من المعلوم أنه لم يكن
أزواج النبي مصومات لظهور عصيانه في زمان النبي
وبعده، كالمخروج على وصي الرسول الذي كان مع الحق
والحق معه، ثم خص سبحانه الخطاب بمن ازداد
لوعظهم وترغيبهم إلى طاعة الله ورسوله بقوله:
(وَإِذْ تُخَوِّنُ) (٤١٢: ٣)

المصطفوي، يراد من كانوا مخاطبين حين نزول
الآية، كما في الآيتين، وهم الخمسة الاتجاه المصومون
الذين استقروا تحت الكساء، بأمر من رسول الله ﷺ
ولا يخلو أن كلمة (أهل البيت) مركبة، يترادفها
«البيت» المصطلح في علم الرجال، ويعبر عنه بالفارسية
بكلمة «خانواده» وليست بتقدير كلمة «أهل البيت»
إليها، كما توهمها بعض المفسرين ففسروها بقولهم: أهل
بيت رسول الله ﷺ.

والهدف والتقدير خلاف الأصل في الكلام الفصيح،
مع أن ظاهر إطلاق «أهل بيت رسول الله» عدم شمولها
لنفس الرسول، وكذا في الآيتين بالنسبة إلى عمران
 وإبراهيم عليه السلام.

وسيجيء أن حقيقة معنى «البيت» هي المأوى
والمآب وتجتمع التمثل ليلاً.

وأما التناسب بين آية التطهير وما قبلها وبعدها من
نزلها في نساء النبي ﷺ فإن الجامع بينها كونها مريضة
إلى أهل البيت «خانواده» بمناها العرفي الظاهري
العمومي. وهذه الآية بقرينة نزولها في الخمسة أهل

الكساء ثبت أن مصداق (أهل البيت) الخاصة بحكم
التطهير منحصر في الخمسة. وهذا الترتيب وذكر هذه
الآية الشريفة فيما بين تلك الآيات للإشارة إلى أن (أهل
البيت) الذين يجب اتباعهم وينبغي أن يكونوا قدوة
للناس هم الخمسة، والنساء خارجات عنه، واجمع
«البيت» (١: ١٥٥).

أهل بيت

... فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ
وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. القصص: ١٢
اليفغوي: هي امرأة قد قُتل ولدها فأحسب شيء
إليها أن تعمد صغيراً ترضعه.

وفيل: إنها قالت: هل أدلكم على أهل بيت؟ قالوا
ها، من؟ قالت: أمي. قالوا: ولأنتك ابن؟ قالت: نعم،
هارون. (١٣٧: ٥)

مثله الخازن. (١٣٧: ٥)

الشربيني: ولم تقل على امرأة، لتوسع دائرة النظر.
(٨٥: ٣)

الألوسي: هل أهل بيت دون امرأة، إشارة إلى أن
المراد امرأة من أهل الشرف، تليق بخدمة الملوك.

(٥٠: ٢٠)

أهله

... فَسَنَ لَمْ يَجِدْ قَبِيصًا تَلْفَةً أَيَّامَ فِي الْحَيِّ وَنَبِيَّةٍ إِذَا
وَجَعَتْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِأَنَّ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ خَاضِرِي
المنجد الحزام... البقرة: ١٩٦

ابن عباس: أهل الحرم.

منه مجاهد. (الطبري ٢: ٢٥٥)

هم أهل الحرم والجماعة عليه. (الطبري ٢: ٢٥٥)
يا أهل مكة لائمة لكم اُحلت لأهل الأفاق
وحُرمت عليكم، إنما يقطع أحدكم وادياً، أو يحمل بينه
وبين الحرم وادياً، ثم حلّ بحرة. (الطبري ٢: ٢٥٥)
طاووس: المنة للناس، إلا لأهل مكة، ممن لم يكن
أهله من الحرم، وذلك قول الله عز وجل: ﴿لَنْ يَكُنْ
أَهْلُهُ خَاصِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. (الطبري ٢: ٢٥٥)

مكحول: من كان دون المواقيت.

(الطبري ٢: ٢٥٦)

الإمام الباقر عليه السلام: ذلك أهل مكة ليس هم مكة
ولا عليهم عمرة. قيل: فما حد ذلك؟ قال: ثمانية وأربعون
ميلاً من جميع نواحي مكة دون عُسْفان وذات عِزِي.

(الكشاف ١: ١٠١)

الزهرى: من كان أهله على يوم أو نحوه تمتع.

(الطبري ٢: ٢٥٦)

الإمام الصادق عليه السلام: من كان منزله على ثمانية
عشر ميلاً من بين يديها وثمانية عشر ميلاً من خلفها
وثمانية عشر ميلاً من يمينها وثمانية عشر ميلاً من
يسارها، فلائمة له، مثل «مَرَّة»^(١) وأشباهاها.

(الكشاف ١: ٢٦٤)

نحوه الحارثي.

ليس لأهل مكة مكة ولا لأهل بستان ولا لأهل
ذات عِزِي ولا لأهل عُسْفان، ونحوها.

(القرطبي ١: ١٩٢)

ليس لأهل شرف ولا لأهل مَر ولا لأهل مكة
مكة، لقول الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ
خَاصِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (القرطبي ١: ١٩٢)
السدي: إن هذا لأهل الأصهار، ليكون عليهم
أيسر من أن يهيج أحدهم مرةً ويهتر أخرى، فتجتمع
حجته وعمرته في سنة واحدة. (الطبري ٢: ٢٥٥)
عطاة: من كان أهله من دون المواقيت فهو كأهل
مكة لا يتمتع.

(الطبري ٢: ٢٥٦)

عُرْلة ومَر وعُرْنة وضُجْتان والرجيع ونخلتان.

(الطبري ٢: ٢٥٦)

أنه جعل أهل عرفة من أهل مكة.
الربيع بن أنس: يعني المنة إنها لأهل الأفاق.

(الطبري ٢: ٢٥٥)

مكحول: من كان أهله على يوم أو نحوه تمتع.

(الطبري ٢: ٢٥٦)

الطبري: اختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله
تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ خَاصِرِي الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ﴾ بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معتبون به،
وأنة لائمة لهم، فقال بعضهم: عني بذلك أهل الحرم
خاصة دون غيرهم.

وقال آخرون: عني بذلك أهل الحرم، ومن كان

منزله دون المواقيت إلى مكة.

وقال بعضهم: بل عني بذلك أهل الحرم ومن قُرب

منزله منه.

(١) مريض على مرحلة من مكة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندنا قول من قال:
إن حاضري المسجد الحرام من هو حوله، مكن بينه وبينه
من المسافة ما لا تقصر إليه الصلوات. (٢: ٢٥٥)
وهناك بحث آخر، راجع «ح ح ح».

الطُّبْرَسِيُّ: أي ما تقدم ذكره من التمتع بالسرة إلى
الحج ليس لأهل مكة ومن يجري مجراهم، وإنما هو لمن
لم يكن من حاضري مكة، وهو من يكون بينه وبينها
أكثر من اثني عشر ميلاً من كل جانب. (١: ٢٩١)

أبو البركات: ومعنى الآية: أن هذا القرض لمن كان
من الغرباء، وإنما ذكر أهله وهو المراد بالحضور، لأن
القالب على الرجل أن يسكن حيث أهله ساكنون.

(ابن الجوزي ١: ٢٠٨)
الْقُرْطُبِيُّ: والقول عندي في هذا قول الزُّهْرِيِّ
أن الإباحة من الله عز وجل لمن لم يكن أهله حاضري
المسجد الحرام أن يتم بعد المسافة بمصالح وإن فاته الحج.
فأما من كان بينه وبين المسجد الحرام ما لا تقصر في مثله
الصلاة، فإنه يحضر المشاهد وإن نُشر نعتاً، لقرب
المسافة بالبيت. (٢: ٣٧٤)

الْبَيْضاوِيُّ: وهو من كان من الحرم على مسافة
التصر عندنا، فإنه يُقيم في الحرم أو في حكمه، ومن
سكنه وراء الميقات عنده^(١)، وأهل الجبل عند طاووس،
وغير المكِّي عند مالك. (١: ١٠٨)

نحوه أبو الشَّوَر.

التَّصْفِيُّ: هم أهل المواقيت، فمن دونها إلى مكة.
(١: ١٠١)

الشُّرَيْبِيُّ: في ذكر «الأهل» إشعار باشتراط
الاستيطان، فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع
فعله ذلك، وهو أصبح قَوْلِي الشَّافِعِيِّ، والثاني لا.
والأهل: كناية عن النفس. (١: ١٢٠)

الْبُزْجِيُّ: أي لازم للذي لا يسكن مكة، وأهل
الرجل أخص الناس إليه، وإنما ذكر «الأهل» لأن الغالب
إن الإنسان يسكن حيث يسكن أهله، فمبَر يسكن
الأهل عن سكن نفسه.

وحاضرو المسجد الحرام عندنا هم أهل مكة، ومن
كان منزله داخل المواقيت فلا تمتع ولا قرآن لهم.
(١: ٣١٢)

القاسمي: أي بل كان أهله على مسافة البنية منه.
والأمن كان أهله حاضريه بأن يكون ساكناً في مكة فهو
في حكم القرب من الله، فله تعالى يُجبره بفضل.

هذا وقال بعض المجتهدين: إن ذلك إشارة إلى
التمتع المفهوم من قوله: (فَمَنْ تَتَجَّعِلْ)، وليست للتهدي
والصوم، فلا تمتع ولا قرآن لحاضري المسجد الحرام
عنده. (٣: ٤٩)

الطُّبَّاخِيُّ: أي الحكم المستند ذكره، وهو
التمتع بالسرة إلى الحج لغير الحاضر، وهو الذي بينه
وبين المسجد الحرام أكثر من اثني عشر ميلاً، على
ما فسره الشُّكَّ.

وأهل الرجل: خاصته، من زوجته وحياله، والتعبير
عن الثاني: البعيد، بأن لا يكون أهله حاضري المسجد
الحرام، من أظف التعبيرات. وفيه إسماء إلى حكمة

التشريع، وهو التخليف والتسهيل، فإن المسافر من البلاد النائية للحج - وهو عمل لا يخلو من الكد ومقاسات الثعب ووعناء الطريق - لا يخلو عن الحاجة إلى السكن والراحة.

والإنسان إنما يسكن ويستريح عند أهله، وليس للثاني أهل عند المسجد الحرام، فبذلك الله سبحانه من التمتع بالعمرة إلى الحج، والإهلال بالحج من المسجد الحرام من غير أن يسير ثانيًا إلى الميقات.

وقد عرفت أن الجملة الثالثة على تشريع التمتع إنما هي هذه الجملة، أعني قوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ﴾ إلخ، دون قوله: ﴿فَمَنْ تَشَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾، وهو كلام

مطلق غير مقيد بوقت دون وقت، ولا شخص دون شخص، ولا حال دون حال.

التمراحي: أي أن أهل الأفاق هم الذين يحتاجون إلى هذا التمتع، لما يلحقهم من المشقة بالسفر إلى الحج وحده، ثم السفر إلى العمرة وحدها، أما أهل الحرم فليسوا في حاجة إلى ذلك، فلا تمتع ولا قرآن لحاضري المسجد الحرام.

نحوه عبد المتعم الجبال (١٨٣: ١).

٢ - ... وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ لَوْ وَالْبَقَّةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ...

البقرة: ٢١٧

القرآن: أهل المسجد.

مثله الطبري (٣٥١: ٢)، والزجاج (٢٩٠: ١)، والطوسي (٢: ٥)، والبيهقي (١٧٤: ١)، والزيثري (٣٥٧: ١).

الطبرسي: يعني أهل المسجد، وهم المسلمون.

(٣١٢: ١)

نحوه الفخر الرازي، (٣٥: ٦).

البيضاوي: أهل المسجد، وهم النبي ﷺ

والمؤمنون. (١١٥: ١).

نحوه النسفي (١: ٨-١)، والحازن (١: ١٧٤).

والشربيني (١: ١٤٠)، وأبو السعود (١: ١٦٦).

والكاشاني (١: ٢٢٧)، والقاسمي (٣: ٥٤٢)، وعبدالمسيح

الجبال (١: ٢١٧).

٢ - وَلَنْ جُفَّتْ شِقَايَ تَبَيَّنَتْ فَاثْبُتُوا حُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ

وَحُكْمًا مِنْ أَهْلِهِ لَنْ يُرِيدَ إِسْلَاحًا... النساء: ٣٥

الطبرسي: أي وجَّهوا حكمًا من قوم الزوج

وحكمًا من قوم الزوجة لينظرا لها بينها. (٤٤: ٢)

نحوه أبو السعود (١: ١٤٠)، والبروسوي (٢: ٢٠٤).

والشربيني (١: ٣٠٦).

٤ - لَأَنْفِكَ وَأَهْلُهُ إِلَّا اشْرَاكَ ثَمَانَتْ مِنْ

الفايرين. الأعراف: ٨٣

ابن عباس: أراد المتصلين به في النسب، بدليل

قوله: (إلا لفرأته). (السيابودي ٨: ١٧٣)

اهتمام الفخر الرازي (٨: ١٧١)

الطبرسي: المؤمنين به. (٢٣٦: ٨)

نحوه البخوي (٢: ٢١٤)، والمثبدي (٣: ٦٧٤).

والبيضاوي (١: ٣٥٨)، والنسفي (٢: ٦٣)، وأبو السعود

(٢: ١٧٩)، والقاسمي (٧: ٢٨٠٥)

الطُّوسِيّ، يعني المختصّ به، والأهل: هو المختصّ
بالشيء، اختصاص القرابة، ولذلك قيل: أهل البلد، لأنهم
يلزومهم سكناه قد صاروا على مثل لزوم القرابة

(٤٩٠: ٤)

نحوه الطُّوسِيّ (٢: ٤٤٥)، والكاشاني (٢: ٢١٨)،
وشَّير (٢: ٣٨٧).

الرَّمَحَشَرِيّ: من يختصّ به من ذويه أو من
المؤمنين.

(٩٣: ١)

نحوه الشُّسَلِيّ.
الفَخْر الرَّاظِي: يُحتمل أن يكون المراد من (أهله):
أنصاره وأتباعه الذين قبلوا دينه، ويُحتمل أن يكون
المراد المتصلين به بالنسب.

(١٧١: ١٤)

نحوه الشَّيْبَابُورِيّ (٨: ١٧٣)، والخازن (٢: ٢٦٤).
البُزْوَينِيّ: أي لوطناً وأهله: اهتبه «دمعور»
و«ريثاء»، وسائر من آمن به. فإن «الأهل» يفسر
بالأزواج والأولاد والعبيد والإماء والأقارب
وبالأصحاب وبالجموع. وأهل الرجل: خاصته الذين
ينسبون إليه.

الآلُوسِيّ: أي من اختصّ به وأتبعه من المؤمنين
سواء كانوا من ذوي قرابته ^(١) أم لا. وقيل: ابتداء
«ريثاء» و«بنوثة».

والأهل معانٍ، ولكلّ مقام مقال، وهو عند الإمام
الأعظم ^(٢) رضي الله تعالى عنه في باب الوصيّة: الزوجة،
للعرف ولقوله سبحانه: «وَسَارَ بِأَهْلِهِ أَنْسَ مِنْ جَانِبِ
الطُّورِ نَارًا قَالَتْ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا» القصص: ٢٩، فتدفع
الوصيّة هنا إن كانت كتابيّة أو سُبلية وأجازت الورثة.

وعند الإمامين ^(٣) أهل الرجل كلّ من في عياله ونفقته غير
مملوكيه وورثته.

(١٧١: ٨)

٥ - وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ...

مرتب: ٥٥

الحسن: أراد بأهله أئمة.

نحوه الرُّجَّاج (ابن الجوزي ٥: ٢٤٠)، والبخوي (٤: ٢٠٢)،
والخازن (٤: ٢٠٢).

مُقَابِل: يعني قومه.

الطُّوسِيّ: والمفهوم من «الأهل» في الظاهر أقرب

أقاربه.

الرَّمَحَشَرِيّ: قيل: (أهله) أئمة كلّهم من القرابة
وغيرهم. لأن أئمّة التَّيِّين في عداد أهاليهم. وفيه أن من
حق الصالح أن لا يألو نصحاً للأجانب فضلاً عن الأقارب
والمتصلين به. وأن يُعطىهم بالفوائد الدنيّة، ولا يفرط في
شيء من ذلك.

نحوه أبو حنيفة.

الطُّوسِيّ: أي قومه وعترته وعشيرته.

(٥١٨: ٣)

الفَخْر الرَّاظِي: والأقرب في «الأهل» أن المراد به
من يلزمه أن يؤدّي إليه الشرع فيدخل فيه كلّ أئمة، من
حيث لزمه في جميعهم ما يلزم المرء في أهله خاصّة، هنا
إذا حمل الأمر على المفروض من الصلّة والزكاة.

فإن حمل على التدب فيها كان المراد أنه كما كان

(١) أبو حنيفة.

(٢) مالك والشافعي.

الطَّبَّاءُ طِبَّائِي: المراد: (أهله) خاصته من حترته وعشيرته وقومه. كما هو ظاهر اللفظ.

وقيل: المراد: (أهله) أئنته، وهو قول بلا دليل.

(١٤: ٦٢)

٦... إِذْ أُنْذِرُوا نَادَىٰ لَأَهْلِهِ لَنُكْفُوهُنَّ إِنِّي أَنْتَشُ

نَادَىٰ..... طه: ٦٠

الصَّيْهِي: أي لامرأته وولديه.

الطَّبْرَسِي: هي بنت شعيب كان تزوجها بدين.

(١: ١٥)

نحوه ابن الجوزي.

الفخر الرازي: يجوز أن يكون الخطاب للمرأة وولدها والمهادم الذي معها، ويجوز أن يكون للمرأة وحدها. ولكن خرج على ظاهر لفظ «الأهل» فإن «الأهل» يقع على الجمع، وأيضاً فقد يطالب الواحد

بلفظ الجماعة تفضيلاً.

نحوه الثياهوري (١٦: ٩٤)، والشريفي (٢: ٤٥٦)،

والبروسوي (٥: ٣٦٩)، والاكوسي (١٦: ١٦٥)، وأبو

الشمر (٣: ٢٩٩).

وهذا المعنى جاءت كلمة «أهل» في سورة القصص:

٢٩، في أكثر القصص.

٧... فَسَجَّيْنَا لَهُ أَهْلَهُ مِنَ النَّحْلِ الْعَظِيمِ.

الأنبياء: ٧٦

الطَّبْرَسِي: يعني: (أهله) أهل الإيمان، من ولده

وحلائمه.

يتجهذ بالليل يأمر أهله - أي من كان في داره في ذلك الوقت - بذلك. وكان ظله لهم في الذين يطلب على شفقتهم عليهم في الدنيا بخلاف ما عليه أكثر الناس.

وقيل: كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والمبادرة ليجعلهم قدوة لمن سواهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَثَرِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ طه: ١٣٢، ﴿قُلُوا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ التحريم: ٦. وأيضاً لهم أهلك أن يصدق عليهم فوجب أن يكونوا بالإحسان الذين أؤلف.

فأما الزكاة فمن ابن عباس رضي الله عنهما أنها طاعة الله تعالى والإخلاص، فكانت تأوله على ما يركو به الفاعل عند ربه. والظاهر أنه إذا قرئت الزكاة إلى الصلاة أن يراد بها الصدقات الواجبة، وكان يعرف من خاصته أهله أن يلزمهم الزكاة فيما رهم بذلك أو يأمرهم أن يعبروا بالصدقات على الفقراء.

نحوه الثياهوري.

البيضاوي: استئثلاً بالأهم، وهو أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه بالتكبل. قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَثَرِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ طه: ١٣٢، ﴿قُلُوا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ التحريم: ٦.

قيل: أهله: أئنته، فإن الأنبياء آباء الأمم. (٢: ٣٦) مثله أبو الشعث (٣: ٢٨٥)، والبروسوي (٥: ٣٤١)، والاكوسي (١٦: ١٠٥)، والمرآغي (١٦١: ٦٣).

الثصفي: (أهله): أئنته، لأن النبي أبو أئنته وأهل بيته، وفيه دليل على أنه لم يداخن غيره.

(٣: ٣٨)

نحوه المِراغِيّ. الإمام الصادق عليه السلام: أحيا الله له أهله الذين كانوا

(٥٥: ١٧)

المتيِّدِيّ، أي أهل بيته. قبل البليّة. وأحيا له أهله الذين ماتوا وهو في البليّة.

(٢٧١: ٦)

الفخر الرازي: المراد «الأهل» ما هنا أهل دينه.

القرّاء: ذكر أنّه كان لأبيوب سبعة بنين وسبع بنات

(١٩٣: ٢٢)

فأتوا في بلادهم، فلما كشف الله عنه أحيا الله له بنيه

(٣٠٦: ١١)

وبناته، ووُجد له بعد ذلك مثلهم.

(٥٧٥: ٤)

الطُّبْرِيّ: اختلف أهل التأويل في «الأهل» الذي

(٢٠٨: ٤)

ذكر الله في قوله: «وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ» أحم أهله الذين أوتيتهم

(٣٠٦: ١٤)

في الدنيا أم ذلك وعدّ الله أيّوب أن يفعل به في

(٣٠٦: ١٤)

الآخرة؟ وبهذا المعنى جاءت كلمة «أهل» في سورة

(٣٠٦: ١٤)

الصافات: ٧٦، في أكثر التفسير.

(٣٠٦: ١٤)

فقال بعضهم: إنّما أتى الله أيّوب في الدنيا مثل أهله

(٣٠٦: ١٤)

الذين هلكوا، فإنهم لم يردّوا عليه في الدنيا وإنّما وعد الله

(٣٠٦: ١٤)

أيّوب أن يؤتاهم في الآخرة.

(٣٠٦: ١٤)

وقال آخرون: بل ردّهم إليه بأعيانهم، وأعطاهم

(٣٠٦: ١٤)

أبن مسعود: ردّ الله إليه أهله الذين هلكوا

(٣٠٦: ١٤)

بأعيانهم، وأعطاهم مثلهم معهم.

(٣٠٦: ١٤)

وقال آخرون: بل أتاه المثل من نسل ماله الذي ردّ

(٣٠٦: ١٤)

عليه وأهله. فأما الأهل والمال فإنّه ردّها عليه.

(٣٠٦: ١٤)

الطُّبْرِيّ (١٧: ٧٢).

(٣٠٦: ١٤)

ابن عباس: أبدله الله تعالى بكلّ شيء ذهب له

(٣٠٦: ١٤)

ضعفين.

(٣٠٦: ١٤)

الحسين: إنّ الله أحيا له أهله بأعيانهم، وزادهم إليهم

(٣٠٦: ١٤)

مثلهم.

(٣٠٦: ١٤)

مثله فتادة.

(٣٠٦: ١٤)

مجاهيد: في رواية أنّه خير، فاختر إحياء أهله في

(٣٠٦: ١٤)

الآخرة ومثلهم في الدنيا، فأوتي على ما اختار.

(٣٠٦: ١٤)

مثله بكرمة.

(٣٠٦: ١٤)

أمرأته، وقد كنتي الله عنها بالأهل. (١٣٧: ٥)
 نحوه الطباطبائي. (١٥: ٣٤٢)
 النسفي: زوجته ومن معه، عند مسيره من مدائن
 إلى مصر. (٥: ٢٠٢)

١١ - قَالُوا كَفَّاهُوا بِأَهْلِ نَجِيبَتِهِ وَأَهْلَهُ ثُمَّ كَفَّوْا
 لِرَبِّهِ مَا شِئِدْنَا عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَإِنَّا أَصَادِقُونَ. النمل: ٤٩
 البغوي: أي قومه الذين أسلموا معه. (٥: ١٢٦)
 مثله الخازن. (٥: ١٢٦)
 النسفي: ولده ومن تبعه. (٥: ٢١٦)
 الشربيني: أي من آمن به. [إلى أن قال:]

«مَنْ لَكَ أَهْلُهُ» أي أهل ذلك الولي فضلاً عن أن
 يكون بائناً، أو أهل صالح. فضلاً عن أن تكون
 ههنا مهلكة أو بائناً قتل ولا موضع إهلاكه.
 (٣: ٦٥)

الآلوسي: قيل: الضمير في (أهله) يعود على الولي،
 والمراد بأهل الولي: صالح وأهله. واعترض بأنه لو أريد
 أهل الولي لقيل: أهلك أو أهله. ومنع بأن ذلك غير لازم.
 فقد قرئ «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَكَتٌ» آل عمران: ١٢،
 بالخطاب والنية، ووجه ذلك ظاهر، نعم رجوع الضمير
 إلى الولي خلاف الظاهر، كما لا يخفى. (١٩: ٢١٣)
 الطباطبائي: أهل الرجل: من يجمعه وإياهم بيت
 أو نسب أو دين. ولعل المراد: (أهله) زوجته وولده، بقرينة
 قوله بعد: «ثُمَّ كَفَّوْا لِرَبِّهِ مَا شِئِدْنَا». (١٥: ٣٧٤)

١٢ - قَالَ إِنَّ بَيْتًا لَوْ طَافُوا لَمَنُوعًا أَغْلَمَ بِمَنْ بَيْتًا

والثاني: روى القليث رضي الله عنه قال: أرسل
 مجاهد إلى عكرمة وسأله عن الآية، فقال: قيل له: إن
 أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا
 وإن شئت كانوا لك في الآخرة وأتيناك مثلهم في الدنيا.
 فقال: يكونون لي في الآخرة وأوتي مثلهم في الدنيا.
 والقول الأول أولى، لأن قوله: «وَأَتَيْنَا أَهْلَهُ»
 يدل بظاهره على أنه تعالى أهادهم في الدنيا وأعطاهم
 مثلهم أيضاً. (٢٢: ٢١)
 وهناك بحث أخرى راجع «م ت ل» وجاء بهذا
 المعنى كلمة «أهل» التي وردت في سورة ص: ٤٢

٩ - لَمَجْنُونًا وَأَهْلُهُ أَجْمَعِينَ. الشعراء: ١٧٠
 النسفي: يعني بناته ومن آمن معه. (٣: ١٩٣)
 أبو السعود: أي (أهل بيته) ومن اتبعه في الدين
 وأخرجهم من بيته عند مشاركة حلول العذاب بهم.

(٤: ١١٦)
 نحوه الكاشاني (٤: ٤٨)، والتهوسي (٦: ٢٠٢).
 الآلوسي: وظاهر أن المراد: (أهله) أهل بيته.
 وجوز أن يكون المراد بهم من تبع دينه مجازاً، فيشمل
 أهل بيته المؤمنين وسائر من آمن به.
 وقيل: لا حاجة إلى هذا التعميم، إذ لم يؤمن به قط.
 إلا أهل بيته. (١٩: ١١٦)

١٠ - إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ إِدْرِيسُ أَنِ اتَّبِعْ نَارًا سَابِقَكُمْ
 فِيهَا... النمل: ٧
 الرافعي: روي أنه لم يكن مع موسى إلا غير

لَتَجْزِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ.

المنكوت: ٣٢

الطوسي: (وأهله) المؤمنين منهم. (٢٠٥: ٨)

البزوصوي: أتباعه المؤمنين، وهم بناته. (٤٦٦: ٦)

١٢ - ... وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ الشَّيْءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ

يَنْظُرُونَ إِلَّا شَيْئًا الْأَوَّلِينَ...

الطوسي: لا ينزل بأحد جزاء المكر الشئ إلا بمن أهله. (٤٣٨: ٨)

نحوه الفخر الرازي.

الطبري: يعني بالذين يسمرونه. (٢٤: ٢٦)

القرطبي: لا ينزل عاقبة الشرك إلا بمن أشرك.

(٣٥٩: ١٤)

الكاشاني: هو الماكر. قيل: وقد حاق بهم يوم بدر.

(٢٤٢: ٤)

البزوصوي: والمعنى ولا يعيط المكر الشئ إلا

بأهله وهو الماكر. وقد حاق بهم يوم بدر. (إلى أن قال:)

وفي بحر العلوم: المعنى إلا حيقًا ملصقًا بأهله. وهو

استثناء مفرغ فيجب أن يُقدَّر له مستثنى منه عام.

مناسب له من جنسه. فيكون التقدير: ولا يحيق المكر

الشئ حيقًا إلا حيقًا بأهله. (٣٦١: ٧)

١٤ - وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَشْرُورًا. الانشقاق: ٩

فتادة: إلى أهل أعداء الله لهم الجنة.

(الطبري: ٣: ١١٧)

مجاهد: أي إلى خاصته ومن أعداء الله تعالى له في

الجنة من المحور والعلمان. (الأكوسي: ٣٠: ٨٠)

القرطبي: قيل: إلى أهله الذين كانوا له في الدنيا.

ليخبرهم بخلاصه وسلامته. (١٩: ٢٧٣)

النسفي: إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق

المؤمنين، أو إلى أهله في الجنة من المحور العيين.

(٤: ٣٤٢)

نحوه الشرييني (٤: ٥٠٧)، وأبو السعود (٥: ٢٤٩).

والكاشاني (٥: ٣٠٥).

البزوصوي: أي عشيرة المؤمنين أو فريق المؤمنين،

هم رفقاءه في طريق السعادة والكرامة. (مشروورًا)

مبتهجًا بحاله وكونه من أهل النجاة. فأنشأ: «هَذَا أَهْلُ أَهْلِهِ»

كتابته العاقلة: ١٩. فهذا الانقلاب يكون في المحشر قبل

دخول الجنة، لا كما قال في «عين السمان»: من أنه يدل

على أن أهله يدخلون الجنة قبله.

وفيه إشارة إلى كتاب الاستعداد الفطري المكتوب

في جبهته يولد الأزل بقلم كتبه الأسماء الجمالية. فإن من أوتيه

لاتناقشه الأسماء الجلالية. وينقلب إلى أهله مشروورًا.

بفيض تجلّي جماله ولطفه. (١٠: ٣٧٧)

الأكوسي: أي عشيرته المؤمنين، مبتهجًا بحاله فأنشأ

«هَذَا أَهْلُ أَهْلِهِ» العاقلة: ١٩.

وقيل: أي فريق المؤمنين مطلقًا وإن لم يكونوا

عشيرته، إذ كل المؤمنين أهل للمؤمن من جهة الاشتراك

في الإيمان. (٣٠: ٨٠)

الطباطبائي: المراد بـ«أهل» من أعداء الله له في

الجنة من المحور والعلمان وغيرهم. وهذا هو الذي يفيد

السياق.

وقيل: المراد به عشيرته المؤمنون ممن يدخل الجنة.

أَهْلِيهِمْ

... فَأَنْكِحُوهُمْ بِأَذْنِ أَهْلِيهِمْ وَأَتَوْهُمْ أَجُوزُهُمْ...

(النساء: ٢٥)

البُغْيُوتِيُّ: أي موالِيهِمْ.

نحوه الزَّمَخْشَرِيُّ: (١: ٥٢٠)، والطَّبْرِسِيُّ: (٢: ٣٤)،

وابن الجوزي: (٢: ٥٧)، والْقُرْطُبِيُّ: (٥: ١٤١)، والنَّبْهَاسِيُّ:

(١: ٢٢٠)، والشَّيْبَانِيُّ: (١: ٢٩٦)، والبَرْوسِيُّ:

(٢: ١٩٠).

الْأَكُوسِيُّ: والمراد من «الأهل» الموالِي، وحمل

الفتهاء ذلك على من له ولاية التزويج ولو غير مالك.

فقد قالوا: للأب والجد والقاضي والوصي تزويج أمة

للبيتم.

لكن في «الطَّهْرِيَّة»: الوصي لو زوج أمة البيتم من

عبد، لا يجوز.

وفي «جامع الفصولين»: القاضي لا يملك تزويج أمة

الغائب.

وفي «فتح القدير»: للشريك المفارضة تزويج الأمة.

وليس لشريك العنان والمضارب والعبد المأذون

تزوجها عند أبي حنيفة ومحمد، وقال أبو يوسف: يملكون

ذلك. [وللكلام تنقطة، فراجع] (٥: ٩)

نحوه رشيد رضا، (٥: ٢١)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ: إرشاد إلى نكاح الفتيات مشروطاً

بأن يكون بإذن موالِيهن. فإنَّ إمام أمرهن إنما هو بيد

الموالي لا غير. وإنما عتبر عنهم بقوله: (أَهْلِيَهُنَّ) جرئاً على

ما يقتضيه قوله قبل «يَتَشَكَّمُ بِرَنِّ بَعْضِهِمْ»، فالفتاة

واحدة من أهل بيت مولاها ومولاها أهلها. (٤: ٢٧٨)

وقيل: المراد طريق المؤمنين وإن لم يكونوا من

عشيرته، فالْمُؤْمِنُونَ إخوة، والوجهان لا يخلوان من بعد

(٢٠: ٢٤٣)

أَهْلِيَهُمْ

١- فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِيهِمْ يَرْجِعُونَ.

يس: ٥٠

فَتَادَاهُ أَي إِلَى مَنَازِلِهِمْ، لِأَنَّهُمْ قَدْ أَهَجَلُوا مِنْ ذَلِكَ.

(الْقُرْطُبِيُّ: ١٥: ٣٩)

البَرْوسِيُّ: الأهل يفسر بالأزواج والأولاد

وبالبيد والإماء والأقارب والأصحاب وبالمجموع.

(٧: ٤١٠)

٢- وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فِيكِبَرٍ

المطففين: ٣١

الْقُرْطُبِيُّ: أَي انصرفتوا إِلَى أَهْلِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ

(١٩: ٢٦٧)

وذويهم.

(٣٠: ٨٥)

نحوه القراخي.

الشَّيْبَانِيُّ: أَي مَنَازِلَهُمُ الَّتِي هِيَ عَامِرَةٌ بِجَمَاعَتِهِمْ

وَقَرَأَ حَمَزَةً وَالْكَسَاةُ فِي الْوَصْلِ بَضَمَ لَهَا، وَالْمِيمُ

وَأَبُو عمرو بكسر الهمزة، والباقون بكسر الهمزة وضَمَّ

(٤: ٥٠٤)

الميم.

البَرْوسِيُّ: إِلَى أَهْلِ بَيْتِهِمْ وَأَصْحَابِهِمُ الْجَهْلَةَ

(١٠: ٣٧٣)

الضَّالَّةُ النَّابِغَةُ لَهُمْ.

(٣٠: ٨٥)

نحوه القراخي.

أَهْلِكَ

١- وَإِذْ هَدَوْنَاهُ مِنْ أَهْلِكَ يُؤَيُّ السُّلَاطِينَ مَقَاعِدَ

لِلْعِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

الطَّبْرَسِي: أي خرجت من المدينة غُدُوَّةً.

(١٩٥: ١)

التَّبَسُّطِي: والمراد غُدُوَّةً من حجرة عائشة إلى المَدِينَةِ.

(١٧٩: ١)

نحوه الشَّرِيفِي (١: ٢٤٣)، والْبَرُوسِي (٢: ٨٧)،

والْأَلُوسِي (٤: ٤١).

الطَّبَّاطِبَائِي: والمراد بأهل رسول الله ﷺ

خاصته وهم جمع، وليس المراد به أحداً شخصاً واحداً.

بدليل قوله: «وَهَدَوْنَاهُ مِنْ أَهْلِكَ» إذ يجوز أن يقال:

خرجت من خاصتك ومن جماعتك، ولا يجوز أن يقال:

خرجت من زوجتك وخرجت من أمك، ولأنَّ الصَّحَابَةَ

بعض المفسرين إلى تقدير في الآية، فقالوا: يخرج من

خرجت من بيت أهلك، لما فسر «الأهل» بالفرد

ولادليل يدل عليه من الكلام.

الْمُرَاغِي: أي واذكر لهم أيها الرسول وقت

خروجك من بيتك.

نحوه مُحَمَّدٌ عَبْدُ الْمُتَمِّمِ الْجَمَالِ.

(٤١٣: ١)

٢- ... فَلَمَّا أَحْمَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ

إِلَّا مَنْ شَقِيَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ أَمَنَ وَمَا أَمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ

هود: ٤٠

الطَّبْرَسِي: يعني «الأهل» ولده ونساءه وأزواجه.

(٤١: ١٢)

نحوه الْبَغَوِي (٣: ١٨٩)، وَالطَّبْرَسِي (٣: ١٦٣)،

وَالْخَازِن (٣: ١٨٩)، وَابْنُ كَثِير (٣: ٥٥٢)، وَالشَّرِيفِي

(٢: ٥٨)، وَأَبُو الشُّمُود (٣: ٢٢)، وَالْكَاشَانِي (٢: ٤٤٤).

الْبَرُوسِي: عطف على زوجين، والمراد امرأته

المؤمنة، فإنه كان له امرأتان: أحدهما مؤمنة، والأخرى

كافرة، وهي أم كتمان وبنيه ونساءهم.

(١٢٨: ٤)

الْأَلُوسِي: عطف على زوجين أو على اثنين.

والمراد «أهله» على ما في بعض الآثار، امرأته

الصلوة وبنيه منها، وهم: «سام» ﷺ وهو أبو العرب

وأصله على ما قال البكري: بالشَّيْنِ الممبجة، و«سام»

وهو أبو السودان قيل: إنه أصاب زوجته في الشَّيْنِ فذاعا

نوح ﷺ أن تُفْتِرَ عَفْثَتُهُ فَنُفِرت، وأُخرج ابن المنذر

وابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن أبي صالح،

و«سام» كصاحب وهو أبو التُّرك، وبأجوج وبأجوج،

وروجة كل منهم.

(٥٥: ١٢)

شأنه واحمل أهلك: امرأتك وبنيتك ونساءهم.

(٢١٧: ٣)

نحوه رشيد رضا.

الطَّبَّاطِبَائِي: أي واحمل فيها أهلك، وهم

المختصون به من زوج وولد وأزواج الأولاد وأولادهم.

(٢٢٧: ١٠)

نحوه الْمُرَاغِي.

(٣٧: ١٢)

٣- قَالَ يَأْتِيهِمْ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ

صَالِحٍ... هود: ٤٦

ابن عَبَّاس: ليس من وعدناه النِّجَاةَ.

(الطَّبْرَسِي: ١٢: ٥٢)

قراءة من قرأ (ابنه) بفتح الهاء و(ابنهما). والمعتمد الموزن عليه في تأويل الآية القولان الأولان. (١٦٧: ٣)

الفخر الرازي: واعلم أنه لما ثبت بالدليل أنه كان ابناً له، وجب حمل قوله: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد أنه ليس من أهل دينك.

والثاني: المراد أنه ليس من أهلك الذين وعدت أن أنجيهم منك، والقولان متقاربان.

هذه الآية تدل على أن العبرة بقرابة الدين لا بقرابة النسب، فإن في هذه الصورة كانت قرابة النسب حاصلة من أقوى الوجوه. ولكن لما انتفت قرابة الدين، لا جرم نفاه الله تعالى بأبلغ الألفاظ. وهو قوله: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ».

نحوه القرطبي.

التيسابوري: التأويل أنه كان للزوج قربة من

ثلاثة من المؤمنين، وهم: القلب والسر والعقل، وواحد كافر وهو النفس، فنفى عن النفس أهلية الدين والملة، لأنها خلقت للأثارية. (٣٥: ١٢)

أبو السعود: أي ليس منهم أصلاً، لأن مدار الأهلية هو القرابة الدينية، ولا علاقة بين المؤمن والكافر، أو ليس من أهلك الذين أمرتك بحملهم في الغلظة، لخروجه عنهم بالاستثناء.

وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بإيمانهم، ثم عطل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله تعالى: «إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ». (٢٤: ٢) نحوه الآكوسي (١٢: ٦٩)، ومحمد عبد المنعم الجمال

(١٤٣٣: ٢).

القاسمي: قال القاسمي: أي أن أهلك في الحقيقة هو الذي بينك وبينه القرابة الدينية واللحمة المسنونة والاتصال الحقيقي لا الصوري كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «ألا وإن ولي محمد من أطاع الله وإن بعت لحنته ألا وإن عدو محمد من عصى الله وإن قرئت لحنته» (٣٤٤٨: ٩)

الطباطبائي: والمراد بكونه «ليس من أهله» - والله أعلم - أنه ليس من أهله الذين وعده الله بنجاتهم، لأن المراد بـ «الأهل» في قوله: «وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ نَسِيتُ عَلَيْهِ الْقَوْلُ» هود: ٤٠، الأهل الصالحون، وهو ليس صالح وإن كان ابنه ومن أهله بمعنى الاختصاص، ولذلك عطل قوله: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» بقوله: «إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ».

سبحان خلت: لازم ذلك أن يكون امرأته الكافرة من أهله، لأنها إنما خرجت من الحكم بالاستثناء وهي داخلة موضوعاً في قوله: «وَأَهْلَكَ» ويكون ابنه ليس من أهله وخارجاً موضوعاً بالاستثناء، وهو بعيد.

قلت: المراد بـ «الأهل» في قوله: «وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ نَسِيتُ عَلَيْهِ الْقَوْلُ» هم الأهل بمعنى الاختصاص والمستثنى - من سبق عليه القول - غير الصالحين، ومصادقه امرأته وابنه هذا، وأما الأهل الواقع في قوله هذا: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» فهم الصالحون من المختصين به ^{عليه}، طبقاً لما وقع في قوله: «وَرَبِّ إِنْ ابْنِي مِنْ أَهْلِي» هود: ٤٥، فإنه ^{عليه} لا يريد بـ «الأهل» في قوله هذا غير الصالحين من أولي الاختصاص، ولا تشمل امرأته وبطلت

حجته، فاللهم ذلك.

فهذا هو الظاهر من معنى الآية، وذكروا في تفسير الآية معاني أخرى:

منها: أن المراد أنه ليس على دينك، فكأن كُفَرَه أخرجته عن أن يكون له أحكام أهله، ونُسب إلى جماعة من المفسرين.

وفيه أنه في نفسه معنى لا بأس به إلا أنه غير معناد من سياق الآية. لأن الله سبحانه ينفي عنه الأهلية بالمعنى الذي كان يشتهر له نوح عليه السلام، ولم يكن نوح يريد بأهليته أنه مؤمن غير كامل بل إنما كان يريد أنه أهله بمعنى الاختصاص والصلاح وإن كان لازمه الإيمان، اللهم إلا أن يرجع إلى المعنى المتقدم.

ومنها: أنه لم يكن ابنه على الحقيقة وإنما ولد على فراشه، فقال نوح عليه السلام: إنه ابني، على ظاهر الأمر فأقبلته الله أن الأمر على خلاف ذلك، وتبته على حياته أمراته وينسب إلى الحسن ومجاهد.

وليه: أنه على ما فيه من نية العار والشين إلى ساحة الأنبياء عليهم السلام، والذوق المكتسب من كلامه تعالى يدفع ذلك عن ساحتهم ويبرز جانبهم من أمثال هذه الأباطيل، أنه ليس بما يدل عليه اللفظ بصراحة ولا ظهور، فليس في القصة إلا قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَنْ لَدُنِّي﴾ وليس بظاهر فيما تجرأوا عليه، وقوله في امرأة نوح: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ غَـطِّينِ مِنْ مِّمَّا بَنَى صَالِحٌ فَفَتَاَتَاهُمَا﴾ التحريم: ١٠. وليس إلا ظاهراً في أنها كانتا كافرتين تواليان أعداء زوجها

ونسran إليهم بأسرارها وتستجدهن عليهما.

ومنها: أنه كان ابن امرأته عليه السلام، وكان ربيبه لا ابنه من صلبه.

وفيه أنه بما لا دليل عليه من جهة اللفظ، على أنه لا يلائم قوله في تعليل: إنه ليس من أهله: ﴿إِنَّهُ عَنْ لَدُنِّي﴾ صريحاً ولو كان كذلك كان من حق الكلام أن يقال: إنه ابن المرأة.

على أن من المستبعد جداً أن لا يكون نوح عليه السلام بأبائه ربيبه وليس بابنه، حتى يخاطب ربه بقوله: ﴿إِنْ أُنَبِّئُ مِنْ أَهْلِي﴾ فلو كان عالماً بذلك ويتكلم بالجهل، ويحتج على ربه العليم الخبير بذلك، فيجبه أنه ليس ابنه وإنما هو (١٠: ٢٣٤)

١- ... فَأَنشَرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ الْبَلِّ وَلَا يُلْقِفْ يَدَكَ إِلَى يَدِهَا وَلَا يَخَفْ فَوَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ كَالْجُحُشِ لَا يَرْجُونَ عِذَّ اللَّهِ الْعَظِيمِ

مقابل: هم امرأته وابنتها، واسم ابنتيه: «رَيْثَا» و«زُهْرَانَا». (ابن الجوزي: ٤: ١٤١) نحوه ابن الجوزي، (٤: ١٤٢) الخازن: يعني بيتك. (٣: ٢٠١)

٥- وَأَنذِرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...

طه: ١٣٢ أبو سعيد الخدري: لما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة وعليه تسعة أشهر عند كل صلاة فيقول الصلاة وحكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَفْضَلُ النِّسَاءِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تطهيراً» الأحزاب: ٣٣. (الطبرسي ١: ٣٧)

الإمام الباقر عليه السلام: أمره الله تعالى أن ينعش أهله دون الناس، ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزلة ليست للناس، فأمرهم مع الناس عامة، ثم أمرهم خاصة.

(الطبرسي ٤: ٣٧)

الإمام الرضا عليه السلام: خصنا الله تبارك وتعالى بهذه الخصوصية إذ أسرنا مع الأمة بإقامة الصلاة ثم خصنا من دون الأمة، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهي إلى باب علي وفاطمة عليه السلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات، فيقول: الصلاة رحيم الله، وما أكرم الله أحدا من ذلالي الأنبياء بمنزلة هذه الكرامة التي أكرمتنا بها، وخصنا من دون جميع أهل بيته.

(عمود أخبار الرضا: ٢٤٠)

الطوسي: قيل: المراد به أهل بيتك وأهل دينك.

فدخلوا كلهم في الجملة.

مثله الطبرسي.

البنفوي: يعني قومك. وقيل: من كان على دينك.

كقوله تعالى: «وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ» مريم: ٥٥.

(١: ٢٣٢)

نحوه الخازن (٤: ٢٣٢)، وابن الجوزي (٥: ٣٣٥).

الفخر الرازي: فمنهم من حمّله على أقاربه، ومنهم

من حمّله على كل أهل دينه، وهذا أقرب، وهو كقوله:

«وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ».

وإن احتمل أن يكون المراد من يضمه المسكن، إذ

التثنية على الصلاة والأمر بها في أوقاتها ممكن فيهم دون

سائر الأمة، يعني كما أمرناك بالصلاة فأمر أنت قومك بها.

(٢٢: ١٣٦)

القرطبي: الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله ويدخل في عمومته جميع أمته وأهل بيته على التخصيص. وكان صلى الله عليه وآله بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح إلى بيت فاطمة وعلي رضي الله عنهما فيقول: الصلاة.

(١١: ٢٦٣)

نحوه الثياهوري.

البيضاوي: أمره بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له

من أمته بالصلاة بعد ما أمره بها، ليتعاونوا على الاستعانة

على خصاصتهم، ولا يشتتوا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت

أرباب القروة.

(٢: ٦٥)

نحوه الشريفي.

الآلوسي: [مثل البيضاوي وأضاف:]

والمراد به أهله صلى الله عليه وآله قيل: أزواجه وبناته وجهه

علي رضي الله تعالى عنهم.

وقيل: ما يشملهم وسائر مؤمني بني هاشم والمطلب.

وقيل: جميع المتبعين له عليه الصلاة والسلام من

أئمة. واستظهر أن المراد أهل بيته صلى الله عليه وآله وعليه و

سليم. [تم نقل رواية أبي سعيد الخدري المتقدمة]

(١٦: ٢٨٤)

الطباطبائي: والمراد بقوله: (أهلك) بحسب انطباقه

على وقت النزول: خديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله وعليه وآله

وكان من أهله وبني بيته، أوها وبعض بنات النبي صلى الله عليه وآله.

فقول بعضهم: إن المراد به أزواجه وبناته وجهه

علي، وقول آخرين: المراد به أزواجه وبناته وأقرباؤه من

بني هاشم والمطلب، وقول آخرين: جميع متبعيه من أمته،

غير سديد.

نعم لا بأس بالقول الأول من حيث جرّي الآية وانطباقها، لأن حيث مورد التزول، فإن الآية مكّنه ولم يكن له بمكة من الأزواج غير خديجة عليها السلام.

(١٤: ٢٣٩)

٦... فاسئلك فيها من كلّ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم...

المؤمنون: ٢٧

ابن عباس: هم ولده ونساؤهم.

(الطبري: ١٨: ١٧)

نحوه أبو السعود.

(٤: ٣٠)

الطوسي: يعني الذين آمنوا معك.

(٧: ٣٦٣)

البيضاوي: وأهل بيتك أو من آمن معك.

(٢: ١٠٦)

البروسوي: (وأهلك) منصوب بفعل محطوف على

(فاسئلك) أي واسئلك أهلك، والمراد به امرأته ونسبها

وتأخير «الأهل» لما فيه من ضرب تفصيل يذكر

الاستثناء وغيره.

(٦: ٨٠)

الآلوسي، قيل: عطف على (اتنين) على قراءة

الإضافة، وعلى (زوجين) على قراءة التثنية، ولا يخل

اختلال المعنى عليه، فهو منصوب بفعل محطوف على

(فاسئلك) أي واسئلك أهلك، والمراد بهم أمة الإجابة

الذين آمنوا به عليه الصلاة والسلام، سواء كانوا من

ذوي قرابته أم لا، وجاء إطلاق «الأهل» على ذلك، وإنما

حمل عليه هنادون المعنى المشهور ليشمل من آمن ممن

ليس ذا قرابة، فإنهم قد ذكروا في سورة هود، والقرآن

(١٨: ٢٧)

يفسر بعضه بعضاً.

الطباطبائي: (وأهلك) محطوف على قوله:

(زوجين)، وما قيل: إن عطف (أهلك) على (زوجين)

يضد المعنى المراد، لرجوع التقدير حيث إلى قولنا:

واسئلك فيها من كلّ نوع أهلك، فالأولى تقدير: اسئلك

ثانياً قبل أهلك، وعطفه على (فاسئلك) يدفعه أن (ومن

كلّ) في موضع الحال من (زوجين) فهو متأخر عنه وتبئة

كما قدما تقديره، فلا يعود ثانياً على المحطوف.

فالمراد «الأهل» خاصته، والتظاهر أنهم أهل بيته

والمؤمنون به، فقد ذكروهم في سورة هود مع الأهل، ولم

يذكرها هنا إلا الأهل فقط.

(١٥: ٢٩)

أهلككم

إذموا يتبعني هذا فالتوة على وجه أبي تبارك

بغيره وآتوني بأهلكم أجمعين.

يوسف: ٩٣

المعروف: دخل قوم يوسف عليه السلام مصر، وهم ثلاثة

وتسعون من بين رجل وامرأة.

(الفخر الرازي: ١٨: ٢٠٧)

الكلبي: كان أهله نحوًا من سبعين إنساناً.

(ابن الجوزي: ٤: ٢٨٣)

الزمخشري: أي يأتيني أبي ويأتيني آله جميعاً.

(٢: ٣٤٣)

البيضاوي: (بأهلكم) بنسائلكم وذراريكم

ومواليكم.

(١: ٥٠٧)

منه شير.

(٣: ٣٠٦)

ابن كثير: أي بجميع بني يعقوب.

أبو السعود: أي بأبي وغيره ممن يستلزمه لفظ

(٤: ٤٧)

(٣٧٩: ٥)

[[اجتَل]]

(٩١: ٣)

الأهل جميعًا من النساء والذَّرارِي.

الْبُرُوسِيُّ: بنسائكم وذرائكم ومواليكم. فإنَّ

«الأهل» يُعْشَرُ بالأزواج والأولاد، وبالعبيد والإماء

والأقارب، وبالأصحاب وبالجَمْع. (٣١٥: ٤)

الْعُبَّاءُ طِبَائِيٌّ: أَسْرَمُهُ بِانْتِقَالِ بَيْتٍ يَمُوتُ مِنْ

يَمُوتُ وَأَهْلُهُ وَبَنُوهُ وَذُرَارِيُّهُ جَمِيعًا مِنَ الْبَدْوِ إِلَى مَعْرِ

وَنَزُولِهِمْ بِهَا. (٢٤٤: ١١)

أَهْلُنَا

قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ الطُّور: ٢٦

الطُّوسِيّ: الأهل هو المختص بغيره من جهة ماحو

أَوَّلُ بِهِ، وَكُلُّهَا كَانَ أَوَّلُ بِهِ فَهُوَ أَمَقُّ بَأَنَّهُ أَهْلُهُ، فَمِنْ ذَلِكَ

أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَهْلُ الْجُودِ وَالْكَرَمِ،

وَفُلَانٌ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَمِنْ أَهْلِ الْكُفَّةِ،

وَمِنْ هَذَا قِيلَ لِرُجُلَةٍ الرِّجُلُ: أَهْلُهُ، لِأَنَّهَا مَخْصَصَةٌ بِهِ مِنْ

جِهَةٍ هِيَ أَوَّلُ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ.

فَقَوْلُهُ: «فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ» أَيُّ مِنْ يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ

أَوَّلُ بِهِ. (١١٠: ٩)

نَحْوُ الطُّبْرَسِيِّ. (١٦٦: ٥)

الْبَغَوِيُّ: فِي الدُّنْيَا. (٢٠٩: ٦)

مَثَلُهُ الْخَازِنُ (٢٠٩: ٦)، وَابْنُ الْجُوزِيِّ ٨: ٥٢، وَشَبْر

(٩٦: ٦)

الْبُرُوسِيُّ: الظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ وَارِدٌ عَلَى عَرَفِ

النَّاسِ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: شَأْنُنَا بَيْنَ قَوْمِنَا وَقَبِيلَتِنَا كَذَا، فَهُمْ

كَانُوا فِي الدُّنْيَا بَيْنَ قَبَائِلِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ عَلَى صِفَةِ

الْإِشْفَاقِ، وَفِيهِ تَمَرِضُ بِأَنَّ بَعْضَ أَهْلِهِمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى

صِفَتِهِمْ وَلِذَا صَارُوا مَحْرُومِينَ.

وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّ «الأهل» يَفْشَرُ بِالْأَزْوَاجِ

وَالْأَوْلَادِ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ وَالْأَقْرَابِ وَالْأَصْحَابِ

وَبِالْجَمْعِ، كَمَا فِي «شرح المَشَارِقِ» لِابْنِ الْمَلَكِ.

(١٩٧: ٩)

الْأَلُوسِيُّ: قِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ كُنَايَةٌ عَنْ كَوْنِ ذَلِكَ فِي

أَهْلِي

١ - وَتَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي...

هود: ١٥

الرَّقْمُ شَرِيٌّ: أَيُّ بَعْضِ أَهْلِي، لِأَنَّهُ كَانَ ابْنَهُ مِنْ

صَلْبِهِ أَوْ كَانَ رِبِيًّا لَهُ، فَهُوَ بَعْضُ أَهْلِهِ. (٢٧٢: ١)

مَثَلُهُ النَّسَبِيُّ (١٩١: ٢)، وَنَحْوُهُ النَّبَايُورِيُّ

(٣٢: ١٢)

الْمَرَاغِسِيُّ: الَّذِي وَعَدْتَنِي بِمَنْجَاتِهِمْ إِذْ أَسْرَعْتَنِي

بِمَجْلِهِمْ فِي السَّفِينَةِ، وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ الَّذِي لَا خُلْفَ فِيهِ،

وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ بِالْحَقِّ. (٤٠: ١٢)

٢ - وَاجْتَلَى لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي طه: ٢٩

الشَّرِيبِيُّ: أَيُّ أَقَارِبِي. (٤٦٠: ٢)

الْبُرُوسِيُّ: مِنْ خَوَاصِي وَأَقْرِبَائِي. فَإِنَّ الْأَهْلَ

خَاصَّةُ النَّبِيِّ يَنْسَبُ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ ابْنِي

مِنْ أَهْلِي» هُود: ٤٥، وَأَهْلُ اللَّهِ: خَاصَّتُهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ

«لَيْسَ لَكَ أَهْلَيْنِ مِنَ النَّاسِ: أَهْلُ الْقُرْآنِ وَهُمْ لَأَهْلُ اللَّهِ» كَمَا

فِي الْمَقَامِدِ الْحَسَنَةِ. وَهُوَ صِفَةُ أَدْوَرِيرٍ، أَوْ صِلَةٍ:

أبن هَبَّاس: ليس من أحد إلا وخلق الله له زوجة في الجنة، فإذا دخل النار خسر نفسه وأهله.

(القرطبي ١٥: ٢٤٣)

مُجَاهِد: لا يكون لهم أهل يرجعون إليهم.

(الطبري ٢٣: ٢٠٥)

فلا يتنصرون بأنفسهم ولا يجدون في النار أهلًا كما كان لهم في الدنيا أهل، فقد فاتتهم المنفعة بأنفسهم وأهلهم.

(الطبري ٤: ٤٩٣)

متد ابن زيد (الطبري ٤: ٤٩٣)، نحوه الطبري

(٢٢: ٢٠٥).

الحسن: خسروا أهلهم الذين أعدوا لهم في الجنة

(الطبري ٤: ٤٩٣)

الزنجوي: أزواجهم وخدمهم.

(٥٩: ٦)

متد الخازن.

الزنجوي: يعني وخسروا أهلهم الذين كانوا

يكونون لهم لو آمنوا.

المبروسي: يقتصر بالأزواج والأولاد وبالعباد

والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع، كما في

«شرح المشرق» لابن الملك.

شجر: لعدم انتفاعهم بهم سواء كانوا معهم أو في الجنة.

وقيل: أهلهم: الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا.

(٣٠٧: ٥)

الآلوسي: فالمراد بـ«الأهل» أتباعهم الذين

أهلهم. أي أضافوا أنفسهم وأضافوا أهلهم

وأضافوا.

الطباطبائي: في الآية تعريض للمشركين

الدنيا، ويحتمل أن يكون بيانًا لكون إشتغالهم كان فيهم وفي أهلهم، لتبعيتهم لهم في العادة. [إلى أن قال:]

قيل: ذكر (في أهلنا) لإشبات خوفهم في سائر الأوقات والأحوال بطريق الأولى، فإن كونهم بين أهلهم مظنة الأمن، ولا أرى فيه بأسًا، نعم كون ذلك، لأن السؤال عما اختصوا به من الكرامة دون أهلهم ليس بشيء.

وقيل: لعل الأول أن يجعل ذلك إشارة إلى الشفقة على خلق الله تعالى.

(٢٧: ٣٥)

أَهْلُونَا

... شَقَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرُ لَنَا...

الفتح: (١)

الزنجوي: يعني النساء والذراري، أي لم يكن لنا من يخلقنا فيهم.

نحو الخازن (٦: ١٦٠)، والشريفي (٤: ٤٣).

الآلوسي: هي جمع «أهل» اعتلوا بالشغل بأهلهم وأموالهم، وأنه ليس من يقوم بأنفسهم.

الآلوسي: لعل ذكر «الأهل» بعد «الأموال» من باب الترتيب، لأن حفظ الأهل عند ذوي الغيرة أهم من حفظ الأموال.

(٢٦: ٩٨)

أَهْلِيهِمْ

١... قُلْ إِنَّ الْغَافِلِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الضَّالُّونَ.

الزمر: ١٥

المخاطبين بقوله: ﴿فَاغْنُوا عَنْكُمْ مِنَ دُونِهِ﴾ الزمر: ١٥. كأنه يقول: فأيا ما عبدتم فإنكم تغسرون أنفسكم بإيرادها بالكفر مورد الهلكة وأهلكم، وهم خاصتكم بحملهم على الكفر والشرك، وهي الخسران بالحقيقة. [إلى أن قال:]

هذا على تقدير كون المراد «الأهل» خاصة الإنسان في الدنيا.

وقيل: المراد «الأهل» من أعداء الله في الجنة للإنسان لو آمن واثق، من أزواج وخدم وغيرهم، وهو أوجه وأنسب للمقام، فإن النسب وكل رابطة من الروابط الدنيوية الاجتماعية مقطوعة يوم القيامة. قال تعالى: ﴿فَلَا أَتَسَاءَبُ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ السَّوْمُونَ ١٠١﴾ وقال: ﴿يَوْمَ لَا تَحِلُّ لُفْسُ شَيْئًا﴾ الانتظار: ١٩، إلى غير ذلك من الآيات.

ويؤيده أيضا قوله تعالى: ﴿فَأَنشَأَ مِنْ قَوْمِي جُنُودًا يَتَّبِعُونِي ٧-٩﴾ فتوفى بحسب جنسها يسميهم «وَيَتَّبِعُ النَّاسُ أَهْلَهُمْ مَشْرُورًا﴾ الانشقاق: ٧-٩. (١٧: ٢٤٩)

وهذا المعنى جاءت كلمة «أهلهم» التي وردت في سورة التوري: ١٥.

٢- بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لِيَّ يَتَّقِلَ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِنْ أَيْتَنِي أَيْتَنِي أَيْتَنِي...
الفتح: ١٢

الطبرسي: أي ظننتهم أنهم لا يرجعون إلى من خُسلوا بالمدينة من الأهل والأولاد، لأن الصدوق يتأصلهم ويصطلحهم. (٥: ١١٤)

نحوه ابن الجوزي (٧: ٤٣٠)، والطبرسي (٩: ٢٧).
القراغي: أي يرجع إلى أهلهم، أي عشايرهم

وذوي قرباهم.

(٣٦: ٩٢)

أَهْلِيكُمْ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودًا النَّارُ وَالْخِيَازَةُ...
التحرير: ٦

الطوسي: وقوله: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ إنما كسر اللام وموضعها النصب، لأن العرب تقول: رأيت أهلك، يريدون جميع القربات، ومنهم من يقول: أهلك، ويجمع أهل على أهلين، فإذا أضافه ذهب التثنية للإضافة، فالياء علامة الجمع والنصب، وكسرت اللام لمجاورتها الياء. وفي الحديث: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ» قيل: من هم يارسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته.

ومن العرب من يجمع «أهلًا» لأهلًا. إنتم استشهدوا...
(٨: ٢٠٤)

الرَّحْمَنُ خَيْرٌ: قُرَى (وَأَهْلُكُمْ) حَقًّا عَلَى وَادٍ (قُرَى) وحسن الظن للفاضل.

فإن قلت: أليس التقدير قرا أنفسكم وليق أهلكم أنفسهم؟ قلت: لا، ولكن المطفوف مقارن في التقدير للواو (وَأَهْلُكُمْ) واقع بعده، فكأنه قيل: قوا أنتم وأهلكم أنفسكم، جُمعت مع للمخاطب الغائب غلبته عليه، فجعلت ضميرها متا على لفظ المخاطب.

(٤: ١٢٨)

القريبيني: النساء والأولاد وكل من يدخل في هذا الاسم قهرهم. (٤: ٣٣٠)

البروسوي: أصله: أهلين، جمع «أهل» حذفت التثنية بالإضافة. وقد يجمع على «أهالي» على ضمير

في قوله تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ زَيْنَ الْأَهْلِ﴾ السمل: ٥٧، يعني لبسته، ونحوه الأعراف: ٨٣.

والوجه الخامس: الأهل يعني القوم والعشيرة، قوله: ﴿فَأَقْصِبْ زَيْنَ الْأَهْلِ﴾ يعني من قومه، ﴿وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ النساء: ٣٥، يعني من قومها وعشيرتها.

والوجه السادس: الأهل: المختار لها قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَهْلًا لَهَا وَهِيَ كَانَتْ أَهْلًا لِلَّهِ﴾ القسح: ٢٦، يعني المختارين.

والوجه السابع: الأهل: القوم الذين بُعث فيهم نبي، قوله تعالى: ﴿وَكُنْ تَأْتِيهِمْ أَهْلُهُ﴾ يعني قومه ﴿بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ مريم: ٥٥.

والوجه الثامن: الأهل: المستحق، قوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ وأهل السَّخِيرَةِ المدثر: ٥٦، معناه أهل أن يلقى منه، وأهل أن يُسأل منه المغفرة. (٢٤)

الغير وزابادي: و«الأهل» ورد في نص التنزيل على عشرة أوجه [ذكر مثل الداماني وأضاف:]

الثاسع: بمعنى العترة والعشيرة والأولاد والأحفاد والأزواج والذريات ﴿وَأَمْرٌ أَهْلُكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ طه: ١٣٢، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣.

العاشر: بمعنى الأولاد، ولولاد أولاد الخليل: ﴿وَرَحِمَتْ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَبِيبٌ مَحَبَّةً﴾ هود: ٧٣، (بصائر ذوي التمييز ٢: ٨٣)

الأصول اللغوية

١- الأصل لهذه المادة «الأئمة» وهذا جارٍ في جميع

لباس، وهو كل من في عيال الرجل ونفقته، من المرأة والولد والأخ والأخت والعم وابن عمه والمخادم، ويخسر بالأصحاب أيضًا، [إلى أن قال:]

وقال القاشاني، رحمه الله: الأهل بالحقيقة هو الذي بينه وبين الرجل تعلق روحاني واتصال عشتي سواء اتصل به اتصالاً جسيماً أم لا، وكل ما تعلق به تعلقاً عشتياً فبالضرورة يكون معه في الدنيا والآخرة.

(٥٨: ١٠)

نحوه المراهقي. (١٦٢: ٢٨)

الوجوه والنظائر

الداماني: «الأهل» على ثمانية أوجه: الساكن القاري، الأصحاب، الزوجة، العشيرة، المختار لها، القوم المستحق.

فوجه منها: أهل القرى، يعني ساكن القرى، كقوله عز وجل: ﴿أَقَامِينَ أَهْلَ الْقُرَى﴾ الأعراف: ٩٧، يعني ساكن القرى، كقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ مَزْدَوِي: التوبة: ١٠٦، ونحوه كثير.

والوجه الثاني: الأهل يعني قراء التوراة والإنجيل ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ آل عمران: ٦٤، أي ياتقراء التوراة والإنجيل، ونحوه كثير.

والوجه الثالث: الأهل يعني الأصحاب، قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ النساء: ٥٨، يعني إلى أصحابها.

والوجه الرابع: الأهل يعني الزوجة والأولاد، قوله: ﴿وَتَسَارَى أَهْلِيهِ﴾ القصص: ٢٩، أي بزوجه وولده، مثلها

مشتقاتها ومعانيها، يقال: أهل به: أيّ به، فهو أهل، أيّ أنس. والمكان الأهل: ما يسكن فيه أحد فلا يستوحش فيه. والحيوان الأهلي: ما ألف من الدواب في قبائل الحيوان البرّي والوحشي. ويقال للدأخل: أهلاً وسهلاً، أيّ نزلت أرضاً واسعة وسهلة، ودخلت على أهلك، فاستأنس ولا تستوحش. ومنه: أهل به، أيّ قال له: أهلاً.

٢- كلمة «أهل» أيضاً في جميع موارد لوحظ فيها الأُنس، ثم تولد منه الاختصاص، فالزوجة أهل الرجل لأنسه بها ثم لاختصاصها به. وقد شاع استعمال «أهل» في الزوجة حتى اشتق منه فعل، يقال: أهل الرجل يأهل أهولاً، وتأهل: تزوج، والمتأهل: المتزوج، واستأهل الرجل: اتخذ أهلاً، والأهل: من له زوجة، كما أنّ الأعزب من لا زوجة له. ولا حقيقة لما قيل: إنّ «أهل» كـ«أهل» للزوجة ثم فُرعت منه المعاني الأخرى.

ثم إنّ «أهلاً» خرج من دائرة الزوجة إلى كل من قربته بالرجل، ثم إلى من يحميه ولهاهم سكن واحد. وبهذا الاعتبار يطلق عليهم: أهل البيت، ثم توسع فأطلق أهل بيت الرجل: على من يحميه ولهاهم نسب واحد. يقال: هم أهل، أي من قبيلتي. وقد شاع ذلك في أهل بيت النبي من أجل «آية التطهير»، ثم تجاوز من القرابة والتسبب إلى أتباع الرجل وأشياعه، فأهل كل نبي: أمته. ومنه «أهل البصرة»، أهل الكوفة، أهل الإسلام، أهل البلد، أهل الكتاب» وهكذا.

٣- وتسوّد من معنى الاختصاص: الأولوية والاستحقاق، يقال: هو أهل لذلك، أي حقيق به. ومنه: أهلك الله لهذا الأمر، أي جعلك أهلاً له ولعلّ منه: أهل

المجد والكرم، أهل الفكر، أهل العلم، أهل القرآن، أهل الله، هو أهل للعبادة، أهل الدنيا، أهل الآخرة، أهل التقوى، أهل المغفرة، ونحوها.

٤- وأما الإهالة بمعنى ما يؤتدّم به، أو الزيت والشحم فقط، فقد جعله ابن فارس أهلاً برأسه، بعيداً عن الأول كلّ البعد. والأمر - برأينا - ليس كذلك، إذ يوجد فيه معنى الأُنس، فالإدام يستأنس به الإنسان في طعامه كما يأنس به الخبز ويخرج من غربته، كما أنّ الطعام يجعل الإنسان أهلاً لأن يقوم بأعماله. ومنه: استأهل: أكل الإهالة، واتتدّم بها.

٥- والكلمات المقاربة لأهل لفظها صلة به معنى، فأهل: رفع صوته بالتلبية وأنس بالحج. واستهل: رأى الملاك وأنست عينه به. والتحاب بهل بركة: تلا لأمتي أنت به الميون. والمالة: دائرة القمر المحيطة به كالأهل للرجل كقولهم إليه: فزع إليه وأنس به، ووهل منه: فزع منه واستوحش، وأله: تعبد وخضع لله وأنس به. واللبو: ما يشغل الإنسان أنساً به عن الخير، ولاهه: دنائه، ووله: حق إليه، وهكذا.

الاستعمال القرآني

١- لم يحن من «أهل» - الذي استعمل (١٢٧) مرة في القرآن - فعل، وقد جعله البعض دليلاً على أنّه الأصل لهذه المادّة، ولكن يبدو أنّ بحيته في الجملة مُعطياً معنى الفعل أهّل من استعمال الفعل منه.

٢- وجاء أهل (٧٤) مرة في المكتّبات، و(٥٣) مرة في المدنيّات؛ وذلك ربّما مراعاة لمن لم يكن له أهل من

١٣ - أهل هذه القرية (مرتين): العنكبوت: ٣٦، ٣٤.

١٤ - أهل يثرب (مرة واحدة): الأحزاب: ١٣.

وسنركز البحث في أربعة منها، وهي: أهل البيت، أهل الذکر، أهل الكتاب، أهل الإنجيل.

الأول: أهل البيت: جاء في سورة هود - وهي مكية - بشأن امرأة إبراهيم حين بشرها الله بإسحاق، وكبر عندها أن تلد وهي عجوز، قالوا «أي الملائكة»: «أنتجهن من أمر الله زحمت الله وزكاته غلبكم أهل البيت إنهم حميد مجيد» هود: ٧٣، وأريد به «آل إبراهيم» بما فيهم زوجته.

وجاء في سورة الأحزاب - وهي مدنية - بشأن أهل بيت النبي ﷺ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» الأحزاب: ٣٣. وبلاحظ أولاً: أن لكل من إبراهيم ونبيي محمد ﷺ أهل بيت شرفوا بناتية خاصة من الله، فأهل بيت إبراهيم شرفوا برحمة الله وبركاته عليهم، فاغتصوا بأن تلد المرأة منهم وهي عجوز وبعلها شيخ، فأعطوا من الفضل مالم يؤته غيرهم. وهذا يوافق ويقرب ما جاء بشأن أهل بيت النبي من الفضل، وهو إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم. ولاغرو في ذلك فإنهم ذرية إبراهيم «ذُرِّيَّةٌ تَقِيَّتُهَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ» آل عمران: ٣٤.

وثانياً: أهل البيت في الآية الأولى شامل لإبراهيم عليه السلام، وكذلك في الثانية شامل للرسول ﷺ، وبماضه الروايات كإسائتي.

وثالثاً: أهل البيت في الآيتين لا يختص بمن يحسبهم بيت وسكن واحد كما لا يختص بالزوجة، بل المتعارف في

المهاجرين، أو دعوة إلى الزهد من التعلق بالأهل، لأجل التهيؤ للحرب والجهاد في سبيل الله. كما أن كثرة ورودها في سورة الفتح (٣) مرّات بالنسبة إلى قلة آياتها - وهي (٢٩) آية - ربما يكون إشارة إلى التساءل المهاجرين بأهلهم، أو أنفسهم بمكة وأهلها بعد الفتح.

٢ - وإن الرّم (١٢٧) - وهو تعداد مجيء «أهل» في القرآن - نفس الرّم الناتج من مجموع كلمات: بنين، بنو، بنات، بنون، إخوة، زوج، حنفة، أم، أب، أبناء... وهو (١٢٧).

٤ - وجاء مجرداً من الضمير (٥٤) مرة، ومع ضمير الغائب (٥٤) مرة أيضاً.

٥ - أصيب أهل (٥١) مرة إلى (١٤) كلمة كالآتي:

١ - أهل الإنجيل (مرة واحدة): المائدة: ٤٧.

٢ - أهل البيت (مرتين): هود: ٧٣، الأحزاب: ٣٣.

٣ - أهل بيت (مرة واحدة): القصص: ١٢.

٤ - أهل التقوى (مرة واحدة): المذثر: ٥٦.

٥ - أهل الذکر (مرتين): النحل: ٤٢، الأنبياء: ٧.

٦ - أهل القرى (٥) مرّات: الأعراف: ٩٦، ٩٧، ٩٨.

يوسف: ١٠٩، المحشر: ٧.

٧ - أهل قرية (مرة واحدة): الكهف: ٧٧.

٨ - أهل الكتاب (٣١) مرة.

٩ - أهل المدينة (٣) مرّات: التوبة: ١٠١، ١٢٠.

(المحجر: ٦٧).

١٠ - أهل مدين (مرتين): طه: ٤٠، القصص: ٤٥.

١١ - أهل المخفرة (مرة واحدة): المذثر: ٥٦.

١٢ - أهل النار (مرة واحدة): سورة ص: ٦٤.

مثل هذا التفسير - ولو عجزاً - كما قال الزاغبي: أهل بيت الرجل: من يجمعه وإياهم نسب واحد، وهذا يختلف عن قولهم: أهل الرجل، تعبيراً عن زوجته فقط، بل هو من قبيل قول نوح عليه السلام: «إِن أَنبِي مِن أَهْلِي». هود: ٥١. وراهباً: آية التطهير لها مدلول نظراً إلى السياق، ومدلول آخر نظراً إلى الروايات المتضاربة من طريق الفريقين بأنها خاصة بالخمس الطاهرة، وهم: النبي وابنته فاطمة وزوجها علي وابناها الحسن والحسين عليه السلام. وقد تسالم العلماء على صحة تلك الروايات ودالاتها على فضل الخمسة، إلا أن الشيعة بل وجماعة من غيرهم استفادوا من الآية والروايات عصمتهم عليه السلام، ثم ألحقواهم سائر الأئمة، بأدلة حقة ونقلية بل بصوم لفظها.

وخامساً: قد أطنالوا البحث حول الآية في التفسير وكتب الإمامة والمضائل، ولا تريد الموعظ بهذا، وإنما نقتصر الآية بحسب السياق، ثم نطرحها على الروايات، آمليين الوصول إلى نتيجة جامعة بين المدلولين، لعلها تفضي النزاع وترفع التضاد.

فنقول:

١- إن آية التطهير جزء من آيات تلطف نساء النبي، وأولها: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا» - إلى أن قال - «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَلْبِسْنَ الصَّلَاةَ وَآبِئْنَ الرُّكُوعَ وَأَطِيعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» - واذكرن ما ينزل

في بيوتكن من آيات الله والتحيات إن الله كان لطيفاً خبيراً» - الأحزاب: ٢٨ - ٣٤.

وقبلها وسدحاً آيات أخر بشأن أزواج النبي صلى الله عليه وآله منها آية المجاب: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِمَّا مِن وَرَآءِ حِجَابٍ». - الأحزاب: ٥٣.

٢- وسياق الآيات أنه تعالى يوصيهن بالتقوى والطاعة، ويرغبهن إلى أعمال الخير، وإلى هنا يختص بهن الخطاب، ثم إنه بعد هذه التوصيات هن يعمم الحكم هن ولجميع آل البيت، بأنه إنما يريد بذلك تطهير جميع الأسرة النبوية من الذنوب والآثام. وهذا كما يحظ الرجل ابنه، ثم يقول: إنما أريد بذلك أن يكون جميع أهلي وأسرني مهذبين بما يشين.

٣- وهذه الإرادة بالنسبة إلى الجميع إرادة مطلقة معلقة على شرطها، فإذا تحقق الشرط تحققت مشيئة الإرادة، وإلا فلا.

٤- وليست الإرادة هنا - كما قيل - إرادة تكوينية مطلقة لا تتخلف عن المراد، كقوله: «وَإِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» يس: ٨٢ وإنا تكون الإرادة كذلك ما لم تقع عقيب الأمر والنهي، وغير معلقة على طاعة العباد. وليس الأمر كذلك في الآية بل هي معلقة بحسب السياق على الطاعة، فهي مثل قوله تعالى في آية الوضوء: «مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَيْسَ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ» المائدة: ٦، فالتطهير هناك إنما يثبت لمن توباً واغتسل دون غيره.

٥- والإرادة الإلهية ثلاثة أنواع في القرآن: تكوينية مطلقة، وتشريعية، وتكوينية مشروطة بالطاعة، كما أن

التشريعية بدورها نوعان: مطلقة ومشروطة - لاحظ
«روده» - والإرادة هنا، أي في آية التطهير من القسم
الأخير، أي التكوينية المشروطة، فلا يحكم بوقوعها إلا
بعد العلم بتحقق شرطها.

٦- وليس في الآية ما يرشدنا إلى تحقق هذا الشرط،
بل غاية منهومها أن التطهير بأي معنى كان يثبت في أهل
البيت إذا ثبت منهم العمل بتلك التوصيات التي وصى بها
نساء النبي، فالآية بنفسها لا تثبت الطهارة والمعصية
بالفعل، لا في أزواج النبي ولا في أهل بيته، وإنما تثبت
حكمًا معلقًا مشروطًا، هذا بالنسبة إلى سياق الآية.

٧- وأما الروايات - وهي كثيرة - فترشدنا إلى أن
تلك التوصيات تمت وكملت في هؤلاء المعصية فحسب،
فالطهارة من الرجس خاصة بهم لا تمتدحهم إلى غيرهم
٨- والنبي ﷺ حينما جمع هؤلاء تحت «الصلوة» والآية

آية التطهير، إنما أراد أن بيته المسلمين بأن هؤلاء هم
الذين جرت إرادة الله بطهارتهم من الرجس، والذين
طهرهم الله تطهيرًا لا يجتمع تلك الشروط فيهم. وقد
أمر ﷺ في مواضع أخرى شبيهة لذلك، لن لا يلتبس
الأمر على الناس، ويدعي بعض أزواجه أنها من أهل
البيت الذين أذهب الله الرجس عنهم، بحجة كونها في
زمرة الصاطين بالآيات. وقد جاء في بعض تلك
الروايات أن أم سلمة - وقد جرت واقعة «العباءة» في
بيتها - قالت له: أنا منكم، فقال النبي: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ،
وَلَسْتُ مِنْكَ» وقد روي مطلقًا عن عائشة، ويشهد بذلك
أن واحدة من اتهامات المؤمنين، لم تدع دخولها تحت آية
التطهير.

٩- وبذلك صَحَّ إطلاق القول بأن آية التطهير نزلت
بشأن أهل البيت، لأنها وإن كانت مطلقة ولكنها جرت
فيهم فقط.

١٠- وما قلناه لا يبعد في الغاية عن قول الآخرين في
أنها إرادة تكوينية مطلقة خاصة بالخمس الطاهرة، وأن
الآية منفصلة عما قبلها وما بعدها. قال الوجهين واحد،
وهو اختصاص المعصية بهم، إلا أن في هذا الوجه
استغناء لنظم الآية وأعمال بعضها ببعض دون ذلك.

١١- وأما احتمال نقل الآية عن محلها كما صدر عن
البعض فلا يليق بعصمة القرآن عن التعريف، ولا يرضى
به حملة القرآن، وفي طلبهم أهل البيت ﷺ.

القول: أهل الذكر، وقد جاء في آيتين:
١- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ
فَقُلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ
فِي الْقُلُوبِ إِلَّا لُكُلًا يَكُونُ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ثُمَّ
جَعَلْنَاهُمْ نَوْعًا مِمَّنْ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْفِتْنَةُ لَكُنَّا لَهُمُ الْمُشْرِفِينَ﴾
الأنبياء: ٩٧

٢- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ
فَقُلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بِالنَّبِيِّاتِ
وَالزَّكَّرِ﴾
التعل: ٤٣، ٤٤

يلاحظ أولاً: أن الآيتين مكتبتان، جاءتا في سياق
واحد، وهو أنه تعالى ما أرسل قبل النبي إلا رجالًا أوحى
إليهم، فأمر الناس أن يسألوا عن ذلك أهل الذكر إن كانوا
لا يعلمون، وبملاحظة السياق فقد فسر أكثر المفسرين
أهل الذكر بأهل الكتاب، لأنهم الذين أرسلت إليهم
الأنبياء، وهم الذين يعرفون هؤلاء الأنبياء.

ثانياً: لا يوهن هذا القول سوى أمرين:

- ١ - الاستبعاد بأن يقال: كيف يُرجع الناس إلى هؤلاء المبطلين الكاذبين؟ ألا يخاف منهم أن يخلوهم؟
- ٢ - أنه قد فُسر أهل الذكر في جملة من الروايات بأهل البيت عليهم السلام.

والجواب عن الأول أن الاستبعاد في غير محله، فإن الأمر بسؤال أهل الكتاب ليس غريباً في القرآن، فقد جاء فيه:

﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَعَذِّرِينَ﴾.

يونس: ٩٤

﴿وَسْأَلِ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ أَمْبَاعِنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.

الزخرف: ١٨

﴿وَسْأَلْنَهُمْ عَنِ الْغَزَاةِ الَّتِي كَانَتْ خَلْفَ الْوَادِي إِذْ

يَتَدَوَّنَ فِي السَّمَاءِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سُبْحَةٍ كُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَسْقُونَ وَلَا تَأْبِيهِمْ﴾.

الأعراف: ١٦٣

﴿فَسْأَلِ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي

لَأَظُنُّكَ يَا مَوْسَى مُنْجُوًّا﴾.

الإسراء: ١٠١

﴿سَلِ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَعْدَ آيَةٍ

البقرة: ٢١١

ويجري هذا المجرى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعَاةٍ مِنَ الرُّسُلِ

- إلى أن قال -: قُلْ أَزْأَنْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ

وَقَسِدَ قَسَائِدُ مَنْ يَنْسِي إِسْرَءِيلَ عُلَى سَعْيِهِ فَأَمَّنْ

وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الأحقاف:

١٠. ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَ الْبَقَرُ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ

الشعراء: ١٦٧، هذا إضافة إلى أن المشركين بمكة كانوا ينكرون إرسال الرسل، وأنه تعالى لم يرسل رسولاً، وأنه لو أراد أن يرسل رسولاً لأرسل ملكاً، وبهذا المضمون كثير في القرآن، فارجع هؤلاء إلى أهل الكتاب - وكانوا يوم ذلك قاطنين في يثرب لمؤخريها، ولم تقع بينهم وبين النبي مواجهة ولا عداء - لاضير فيه، فالمشركون لو سألوهم ما أنكروا أنه قد بُعث إليهم الرسل من البشر، وكان قولهم - باعتبارهم من أهل الخبرة - حجة على المشركين. وإنما يستبعد الاعتماد على قولهم بعد الهجرة حينما تحققت وترسخت الخصومة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين.

والعاصل أن ذلك كان حجاجاً على المشركين المنكرين لبعث الرسل في بدء البعثة، وليس أمراً يتمم الناس أحكام دينهم من أهل الكتاب الذين خاصموا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة.

والجواب عن الثاني أن تفسير أهل الذكر بأهل البيت في الروايات، لا يمنع من حمل الآيتين حسب السياق على ما قلنا، إذ هو تأويل لأهل الذكر بماله من المعنى العام المرشد إلى ما في كتب كل عاقل من «رجوع الجاهل إلى العالم»، ثم تطبيق هذه القاعدة على أظهر المصاديق، وهم آل البيت عليهم السلام. فالروايات لا شك أنها تأويلية، والتأويل يرد تارة بالتعميم في المفهوم وأخرى بالتخصيص، وكلاهما لوحظ في تلك الروايات، ولا يصادم التأويل التنزيل أبداً، فإن التنزيل يدور مدار النص والسياق، والتأويل يحوم حوم ما يُشتق ويستوحى من الكلام.

ثالثاً: هناك قول بأن المراد من أهل الذكر أهل القرآن، استناداً إلى إطلاق الذكر على القرآن في جملة من الآيات، حتى صار الذكر من أسماء القرآن - لاحظ ذلك - فقد جاء نلو آية النحل ٤٤: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ الْحَقَّ لِلنَّاسِ مَّا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.

وجاء نلو آية الأنبياء: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. الأنبياء: ١٠.

وهذا القول أيضاً لا يناسب السياق، إلا باعتبار نوع من التأويل تميمياً وتخصيصاً.

الثالث: أهل الكتاب، وقد جاء في آيات كثيرة، منها ١٢ آية خطاب لهم:

١- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ تَسَوَّاهَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ...﴾ آل عمران: ٦٤.

٢- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَعْبُدُونَ فِي إِسْرَافٍ وَمَا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ إِلَّا مِمَّنْ يَتَّقُونَ...﴾ آل عمران: ٦٥.

٣- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ آل عمران: ٧٠.

٤- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَةٍ لِّمَن لَّمْ يَشْهَدْ عَالَمُونَ...﴾ آل عمران: ٧١.

٥- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ آل عمران: ٩٨.

٦- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُفْسِدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَن أَمَنَ تَتَّبِعُوهُ يَتَّبِعُوا وَمَن أَمَنَ تَتَّبِعُوا يَتَّبِعُوا...﴾ آل عمران: ٩٩.

٧- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا...﴾ آل عمران: ٩٩.

على الله إلا الحق أنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلنته ألقها إلى مريم﴾. (النساء: ١٧١).

٨- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْلَمُ مَا كُنْتُمْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾. المائدة: ١٥.

٩- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرْآنٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. المائدة: ١٦.

١٠- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَسْتَفْتُونَ مِنِّي إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِمَا نَزَّلَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَتَّى يُتْلَى عَلَيْهِ مِنْهُ كُتُبٌ أَوْ يَكُونُ حُكْمٌ...﴾ المائدة: ١٧.

١١- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ بِأَكْفَرُ مِنْكُمْ إِنِّي أَكْفَرُ...﴾ المائدة: ٥٩.

١٢- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا...﴾ المائدة: ٦٨.

١٣- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا...﴾ المائدة: ٦٨.

١٤- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَةٍ لِّمَن لَّمْ يَشْهَدْ عَالَمُونَ...﴾ آل عمران: ٧١.

١٥- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَةٍ لِّمَن لَّمْ يَشْهَدْ عَالَمُونَ...﴾ آل عمران: ٧١.

١٦- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَةٍ لِّمَن لَّمْ يَشْهَدْ عَالَمُونَ...﴾ آل عمران: ٧١.

١٧- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَةٍ لِّمَن لَّمْ يَشْهَدْ عَالَمُونَ...﴾ آل عمران: ٧١.

١٨- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَةٍ لِّمَن لَّمْ يَشْهَدْ عَالَمُونَ...﴾ آل عمران: ٧١.

١٩- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَةٍ لِّمَن لَّمْ يَشْهَدْ عَالَمُونَ...﴾ آل عمران: ٧١.

الكتاب» ابتداء بآل عمران (٦) مرّات، ثم بالنساء مرّة واحدة، ثم المائدة (٥) مرّات، ومعلوم أنّ توجيه الخطاب إلى أهل الكتاب فيه شيء من الاهتمام بهم والالتفات إليهم. وليس في البقرة خطاب «يا أهل الكتاب»، رغم أنّ أوّل مواجهة بين المسلمين واليهود كانت بعد الهجرة، إلا أنّ فيها لفظ «يا بني إسرائيل» ثلاث مرّات بلفظ واحد: «يا بني إسرائيل اذكّروا نعمتي التي أنعمت عليكم». البقرة: ٤٠، ٤٧، ١٢٢.

ثم جاءت مرّة واحدة في سورة الصف حكاية عن عيسى عليه السلام: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْوَسْوَاسِ وَالْحَقِّ لِيُؤْتِيَنَا اللَّهُ الْفَتْحَ». الصف: ٦. ومرة واحدة أيضا في سورة طه: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَذَابِكُمْ وَوَعَدْنَاكُم جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسَّلْوَى». طه: ٨٠، لاحظ (إسرائيل).

رابعًا: ما هو المراد بأهل الكتاب؟ للفقهاء مفهوم خاصّ حول هذا اللفظ، حيث يطلقون «أهل الكتاب» على كلّ من له كتاب سماويّ، كاليهود والنصارى والمصابية، أو من له شبهة كتاب كالمجوس، فإنّ لهم ذمّة تراعى، وتقبل منهم الجزية، ولا يقاتلون طمعًا في إسلامهم، وهذا بخلاف المشركين، ولاسيما مشركي العرب، فلا يقبل منهم إلاّ الإسلام دون الجزية. وفي مشركي غير العرب خلاف بين فقهاء الإسلام، فلاحظ

عباس،^(١) ولكن يرجع كونها مكّيّة إلّا آيتين، هما:

١- «وَلْيَقُلُّوا لِلَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَقُلُّوا لِلْمُؤْمِنِينَ» العنكبوت: ١١.

٢- «وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالنَّبِيِّ هِيَ الْحَسَنُ». العنكبوت: ٤٦.

وذلك أنّهم قالوا: كلّ سورة فيها ذكر للمنافقين وأهل الكتاب فهي مدنيّة، وفيه بحث، لاحظ المدخل.

ثانيًا: جاء «أهل الكتاب» في البقرة مرّتين، وهي أوّل ما نزل بالمدينة عندهم^(٢)، وجاء في آل عمران وهي ثالث ما نزل بالمدينة بعد البقرة والافتال - (١٢١) مرّة.

ويبدو أنّ المواجهة بين المسلمين وأهل الكتاب كانت في ذروتها حين غزوها، وذلك بعد غزوة أحد في العام الثالث بعد الهجرة، ثم تنازلت، فجاء في الحشر - وقد نزلت بعد

إجلاء بني النضير عن المدينة في السنة الرابعة - مرّة واحدة، وفي الأحزاب - وقد نزلت بعد غزوة الأحزاب في العام الخامس - مرّة واحدة أيضًا، ثم في النساء - وقد

نزلت بعد الأحزاب والمنتحنة حسب ما في «الإيمان» -

(٤) مرّات، وهكذا جاء مرّة أو مرّتين في سائر السور، إلّا المائدة - وهي آخر سورة نزلت على أحد القولين - فجاء فيها (٦) مرّات، وهي شاهدة على هودة تلك المواجهات بين المسلمين وأهل الكتاب في آخر حياة النبي ﷺ.

هذه هي المسيرة التاريخيّة للمواجهة بين الفريقين بالإجمال، وأما التفصيل لمعكول إلى ملاحظة تفسير تلك السور مع أخذ السيرة النبويّة الشريفة بنظر الاعتبار.

ثالثًا: من هذه الآيات وهي (٣١) آية - اثنتا عشرة

آية كما مرّت بنا - خطاب لأهل الكتاب بلفظ «يا أهل

(١) هارمان في علوم القرآن، للزركشي، ١: ١٩٤.

(٢) الإيمان ١: ٤٣.

ذلك.

﴿وَلِيُخَيِّطَ لَكُمْ لِبَاسًا مِّنَ الْإِنجِيلِ﴾ يَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَنَسْنُ لَمْ

يُخَيِّطَ لَكُمْ يَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ المائدة: ٤٧

ولاربيب أن المراد بهم النصارى الذين آمنوا بعيسى ابن مريم وبالإنجيل، أمّا اليهود فلم يؤمنوا بعيسى وبإنجيله. وهاتنا سؤال يثار، وهو هلّا قال تعالى: أهل التوراة؟ مع أنّه تحدّث عن التوراة وأهلها، وهم بنو إسرائيل واليهود في آيات ربّما تزيد على مائة وخمسين، منها حوالي مائة آية في سورة البقرة وحدها، وأيضاً هلّا قال أهل القرآن؟

والجواب أن الله أعلم بسرّ كتابه: إِلَّا أَنْ التَّحْيِيرِ عَنْ

النصارى عامة أو من طائفة منهم تلتزم بما جاء في الإنجيل، لهو شرف لهم، وأي شرف، دون شك.

ويجري هذا التخصيص لأتباع عيسى عليه السلام مجرى

ما خصه الله به من أنّه ولد بلا أب وأنّه أيده بروح القدس

الرابع: أهل الإنجيل، وفيه آية واحدة، وهي ﴿وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِنجِيلِ﴾

أمّا أهل الكتاب في القرآن فإنّ المراد بهم - حسب

التبايق في سورة البقرة - اليهود، لأنّ طائفة كثيرة من آياتها موجهة إليهم، إِلَّا أَنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَسْنَا بِدُخُلِ الْبَيْتَةِ إِلَّا مِنْ كُفْرٍ﴾ أَوْ نَعَارِىَ ﴿البقرة: ١١١﴾ وآيات أخرى، يدلّ على العموم حين النزول، أمّا

في سورة آل عمران فالظاهر شموله للطائفتين، ففيها ذكر اليهود والنصارى، والتوراة والإنجيل، وكذلك الأمر في النساء والمائدة وغيرها، إلّا في الأحزاب والحشر، فإنّ

المراد بهم يهود بني النضير، فلاحظ.

خامساً: جاء «أهل الكتاب» في ثلاث من تلك

الآيات مشفوحاً بالمشرّكين، وهي الآيات (١٣) و (٣٠) و (٣١).

و (٣١)، وهو شاهد على أنّ المراد بأهل الكتاب اليهود

والنصارى بل وغيرها من الطوائف، أتباع الأنبياء.

الرابع: أهل الإنجيل، وفيه آية واحدة، وهي ﴿وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِنجِيلِ﴾

أوب

ألفاظ: ١٧ مرة: ١٤ مكية، ٣ مدنية

في ٨ سور: ٦ مكية، ٢ مدنيتين



وتقول: ليتني كنت نومة فإني لارجوع.

والناب: المروج.

والناب: المروج.

وأبى الشمس ليلها، إذا غابت في حايها، أي تبيها.

[ثم استشهد بشعر]

ومأه بالفر: حيث يجتمع إليه الماء في وتسطها، وهي

الحافة أيضا. (٤١٦: ٨)

ويجوز: قالوا أبى الشمس ليلها، وقال بعضهم:

أؤوتا، كما قالوا القور والخور، ونظيرها من غير

المعتل، الرجوع. (٥١: ٤)

ابن خنيل: المؤونة: الشمس، وتأويها ما بين

المشرق والمغرب، تدنئ بونها وتؤوب المغرب.

(ابن فارس ١: ٦٥٤)

أبو عمرو والقياني: التأويب: أن يسير النهار

ناب: ١-٤: ١: ١

الناب: ١-١: ١: ١

مايا: ٢: ٢: ١: ١

ناب: ١-١: ١: ١

النصوص اللغوية

الخليل: يقال: أب فلان إلى سيفه، أي رده إلى

سيفه. وأب الغائب يؤوب أوتاه، أي رجع.

والأوب: ترجيع الأيدي والقوائم في السير، والقبيل

من ذلك: التأويب [ثم استشهد بشعر]

والأوب في قولك: جاءوا من كل أوب، أي من كل

وجهه وناحية.

والمؤونة: تباري الركاب في السير.

والتأويب: من سير الليل، لوئت الإبل تأويبا،

والتأويب: مرة لاغير. ويقال: التأويب: سير النهار إلى

- وينزل الليل. (الأزهرى ١٥: ٦٠٨)
- منه الصالحين. (٢٠٤)
- الفرّاء: يقال: آب الغائب يؤوب إياباً وأوتى. (الأزهرى ١٥: ٦٠٧)
- وأيتى، وما ياء، إذا رجع. (الأزهرى ١٥: ٦٠٧)
- أبو هبيلة: التأويب هو سير النهار، والإساءة: سير الليل، لا تمرى فيه. [تم استشهد بشعر]
- (الشعر ٢: ٦٣)
- هو سريع الأوتى، أي الرجوع، وقوم يؤولون الولد ياء، فيقولون: سريع الأيتى. (الأزهرى ١٥: ٦٠٩)
- الأصمعي: أوتى الإبل، إذا رجعها إلى مباءتها. (ابن فارس ١: ١٥٣)
- ويقال: تأوتى، أي أثنى ليلاً. (ابن فارس ١: ١٥٣)
- أبو زيد: يقال: أهلك الله، أي أهلك الله. وما ياء، فذلك
- وذلك إذا أمرته بخطئة ففعل، ثم وقع فيها يكره، فأيضاً
- فأخبرك بذلك، فقد ذلك تقول له: أهلك الله. [تم استشهد]
- (الأزهرى ١٥: ٦٠٧)
- بشر]
- تأوتى، إذا جئت أول الليل، فأنا متأوب ومتأيب.
- (الجزهرى ١: ٨٩)
- الأسعياني: سارال ذلك أوتى، أي صادته وجيئاً^(١).
- (ابن منظور ١: ٢٢٠)
- أبو هبيلة: يسئ مخرج الدقيق من الرحي: التأيب لأنه يؤوب إليه ما كانت تحت الرحي.
- (ابن فارس ١: ١٥٤)
- ابن الأعرابي: يقال أنا عذبتُها الرجب وحجبتها
- التؤوب: التأوب: المدور الشور الملتئم، وكلها أمثال والأوب: رجع الأيدي والقوائم في السير. [تم استشهد بشعر]
- والتؤاوتة: تباري الركب في السير، [تم استشهد (الأزهرى ١٥: ٦٠٨) بشر]
- ابن السكيت: يقال: أنا إياباً، إذا جاء ليلاً، وأنا ناوياً، وأنا ناوياً. (إصلاح المنطق: ٤٢٧)
- أبو حاتم: كان الأصمعي يستر الشعر الذي فيه ذكر الإياب، أنه مع الليل، ويحتج بقوله:
- تأوتني داء مع الليل فأنصب •
- وكذلك يستر جميع ما في الأشعار.
- فقلت له: إنما «الإياب» الرجوع، أي وقت رجع، تقول: قد آب المسافر، فكانت أراد أن أوضح له، فقلت:
- قول غيب:
- وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب
- أهذا بالعنى؟ فذهب يكلّني فيه، فقلت: فقول الله تعالى: «إِنَّا إِنَّمَا إِنهيم» الفاشية: ٢٥، أهذا بالعنى؟
- فقلت: لو كان أكثر ما يجي على ما قال، رجعتنا الله وإياه.
- (ابن فارس ١: ١٥٣)
- التأويب: أن يسير النهار نجمع، ليكون عند الليل في منزله. [تم استشهد بشعر]
- (أبو جلال: ٢٥١)
- خبر: كل شيء يرجع إلى مكانه فقد آب يؤوب إياباً، إذا رجع. (الأزهرى ١٥: ٦٠٧)
- أبو مالك: أوتى القوم تأوتاً أي ساروا بالنهار. (الأزهرى ١٥: ٦٠٨)
- الشعر: التأوب: الذي يأتيك فطلب تأربه عندك، يقال: آب يؤوب، إذا رجع، والتأويب في غير هذا: السير في النهار بلا توقف. (١: ٩٥)

وَأَوْبَةُ «مُتَطَلَّة» مِنَ التَّأْوِبِ، وَهِيَ سَبْرُ النَّهَارِ،
لَا تَمْرِجُ فِيهِ. (٢: ٦٣)

فَغَلَبَ: أَوْبُ الْأَدِيمِ: قُوْرُهُ. (ابن منظور ١: ٢٢٦)
الرَّجَّاجُ: مَا بَدَأَ الْبُثْرَ وَمَتَابَعَهَا: حَيْثُ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الْمَاءُ
فِيهَا. (الأزهري ١٥: ٦٠٩)

ابن دُرَيْدٍ: يَقَالُ: آبُ الرَّجُلِ يُوْبُ إِذَا رَجَعَ
إِلَى مَسْقَرِهِ.

وَالْمَآبُ: الْمَرْجِعُ، وَالْأَوْبُ: الرَّجْعُ، وَآبُ الْهَمِّ إِيَابًا،
وَكُلُّ رَاجِعٍ مَعَ اللَّيْلِ هُوَ آئِبٌ. [نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]
وَيَقَالُ: جَاءَ الْقَوْمُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، أَيِّ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

(١: ١٧٠)

التَّأْوِبُ: الشُّبْرُ مِنَ خُدُوزَةٍ إِلَى اللَّيْلِ. (٣: ٥٠٦)
آبٌ بِسُؤُوبٍ أَوْتَمًا وَإِسَابًا، إِذَا رَجَعَ. وَلَا يَكُونُ

«الْإِيَابُ» إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ لَيْلًا. [نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]
وَالسَّابَةُ وَالْمَآبُ: التَّرْجِعُ، وَرَجُلٌ أَوْبٌ: رَاجِعٌ عَنْ

ذَنْبِهِ، الْأَوْبَةُ: التَّرْجِعُ.

وَتَقُولُ التَّرْبُ لِلرَّجُلِ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ: أَوْبَةٌ
وَمَطْوَبَةٌ، أَيُّ أَتَيْتَ إِلَى حَيْثُ طَلَبَ، أَوْ مَآبٍ طَلَبَ.

(٣: ٢١٢)

الْقَالِي: «قَدْ حَالَ دُونَ دَوْرِيَّتِهِ مُؤْوَبَةٌ»

مُؤْوَبَةٌ: رِيحٌ جَاءَتْ مَعَ اللَّيْلِ. (١: ٣٩)

نَحْوُهُ ابْنُ بَرِّي. (ابن منظور ١: ٢٢٦)

الْأَزْهَرِيُّ: قَالَ أَهْلُ اللَّفَّةِ: الْأَوْبُ: الرَّجَّاجُ الَّذِي
يَرْجِعُ إِلَى الثَّرْبَةِ وَالْفُتَاةِ، مِنْ آبٍ يُوْبُ، إِذَا رَجَعَ، قَالَ

اللَّهُ تَعَالَى: «يَكُلُّ أَوْبٌ حَفِيظًا» ٣: ٣٢.

تَأْوَبَهُ مَعَهَا عَنَابِيلُ، أَيُّ رَاجِعَهُ.

يَقَالُ لِلرَّجُلِ يَرْجِعُ بِاللَّيْلِ إِلَى أَهْلِهِ: قَدْ تَأَوَّبَهُمْ
وَأَتَتْهُمْ، هُوَ مُؤْتَابٌ وَمَتَأَوَّبٌ.

وَالتَّأْوِبُ فِي كَلَامِ التَّرْبِ: سَبْرُ النَّهَارِ كُلِّهِ إِلَى
اللَّيْلِ. يَقَالُ: أَوْبٌ يُوْبُ تَأْوِيًّا. (١٥: ٦٠٨)

الْبُجُورِيُّ: يَقَالُ: جَاءُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، أَيُّ مِنْ كُلِّ
نَاحِيَةٍ. وَآبٌ، أَيُّ رَجَعَ، يُوْبُ أَوْتَمًا وَأَوْبَةً وَإِسَابًا.

وَالْأَوْبُ: التَّائِبُ، وَالْمَآبُ: التَّرْجِعُ، وَالتَّائِبُ مِثْلُ
آبٍ، قُلَّ وَانْقَلَبَ بِمَعْنَى. [نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

وَفُلَانٌ سَرِيعُ الْأَوْبَةِ وَهُوَ يَحْوِلُونَ الْوَلَدَ «يَسَاءُ»
فَيَقُولُونَ: سَرِيعُ الْأَوْبَةِ.

وَأَبُو الشَّمْسِ: لَفَّةٌ فِي غَابَتِ.

وَالْأَوْبُ: سُرْعَةُ تَقَلُّبِ الْيَدَيْنِ وَالرَّجُلَيْنِ فِي الشَّرِّ.
[نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

تَقُولُ مِنْهُ: نَافَقٌ أَوْبٌ عَلَى «قَوْلٍ».

و«يَاجْتَالُ أَوْبِي خَفَّةً» سَاءٌ: ١٠، أَيُّ سَبَّحِي، لِأَنَّهُ

قَالَ: «إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ خَفَّةً يُسَبِّحُونَ» ١٨: ١٨.
وَأَنْتَ إِلَى بَنِي فُلَانٍ وَتَأَوَّبَتَهُمْ، إِذَا أَتَيْتَهُمْ لَيْلًا.

(١: ٨٩)

ابْنُ فَارِسٍ: الْهَمَزَةُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ أَصْلُ وَاحِدٍ، وَهُوَ

التَّرْجِعُ، نَمَّ يَشْتَقُّ مِنْهُ مَا يَتَّخِذُ فِي السَّمْعِ قَلِيلًا، وَالْأَصْلُ
وَاحِدٌ.

وَالْفِعْلُ مِنْهُ التَّأْوِبُ، وَلِذَا ذَلِكَ يَكُونُ سَبْرُ النَّهَارِ
تَأْوِيًّا، وَسَبْرُ اللَّيْلِ إِشَادَةً وَانْقِطَاعُ الْوَاحِدَةِ تَأْوِيَّةً.

وَالتَّأْوِبُ: التَّسْبِيحُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «يَاجْتَالُ أَوْبِي
خَفَّةً وَالطُّيُورُ...» سَاءٌ: ١٠.

والمآب: المرجع. قال أبو زياد: أثبت القدم، أي إلى القوم. [ثم استشهد بشر]

ويقال: جاءوا من كل أوطى، أي ناحية ووجه، وهو من ذلك أيضاً.

والأوطى: الثقل. قال الأصمعي: سميت لانحنائها المباءة، وذلك أنها تؤوب من مارجها. وكان واحد الأوطى: آوب، كما يقال: آبك الله: أبعدك الله. [ثم استشهد بشر] (١٥٢: ١)

أبو هلال: الفرق بين الرجوع والإياب: أن «الإياب» هو الرجوع إلى منتهى المقصد والرجوع يكون لذلك ولنغيره، ألا ترى أنه يقال: رجع إلى بعض الطريق، ولا يقال: آب إلى بعض الطريق. ولكن يقال إن حصل في المنزل، وهذا قال أهل اللغة: التأويب أن يضي الرجل في حاجته ثم يعود فيثبت في منزله. وقال أبو حاتم رحمه الله: التأويب أن يمشي الشخص أجمع ليكون عند الليل في منزله، وأنشد:

البايتون قريباً من بيوتهم

ولو يشاؤون أبرأهمي أو طرقتوا

وهذا يدل على أن «الإياب» الرجوع إلى منتهى المقصد، وهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا إِنَّا إِنَّا...﴾ الفاشية: ٢٥، كأن القيامة منتهى قصدهم، لأنها لا مغزلة بعدها. (٢٥٠)

التهوي: التأويب: سير النهار، يقال: بين وبينه ثلاث مأوى، أي ثلاث رحلات بالنهار.

وفي الحديث: «كان طالوت أثباتاً» تفسيره في الحديث، أي سقاء. (١٠٦: ١)

ابن سيدة: الأوتى: آب يؤوب أوتياً وأوتياً وإياباً ومآباً، رجع. وإلى الله رجع من ذنبه وتائب، فهو آتب، وهو أواب. للمبالغة. (الإفصاح ٢: ١٢٨٢)

الطوسي: المآب: المرجع، من آب يؤوب أوتياً وإياباً وأوتياً ومآباً، إذا رجع. وتأوب تأوياً، إذا رجع. وأوتيه تأوياً، إذا رجعه. وأصل الباب الأوطى: الرجوع. (٤١٢: ٢)

الواهب: الأوطى: ضرب من الرجوع، وذلك أن «الأوطى» لا يقال إلا في الميوان الذي له إرادة، و«الرجوع» يقال فيه وفي غيره: يقال: آب أوتياً وإياباً ومآباً. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا إِنَّا إِنَّا...﴾ الفاشية: ٢٥. وقال: ﴿لَن شَاءَ الْفَذَّ إِلَى ذَمِّ عَاباً...﴾ التبا: ٣٩.

والمآب: مصدر منه، واسم الزمان والمكان، قال الله تعالى: ﴿وَاللهُ يَنْزِلُ حُسْنُ الصَّابِ...﴾ آل عمران: ١٤. والأواب كالتواب وهو الرجوع إلى الله تعالى، بترك المحاصي وفعل الطاعات، قال تعالى: ﴿أَوَابٍ حَقِيقٍ...﴾ ق: ٣٢. وقال: ﴿إِنَّهُ أَوَابٌ...﴾ ص: ٤٤. ومنه قيل للثوب: أوتية.

والتأويب يقال في سير النهار. وقيل:

* أثبت يد الزامي إلى الشهم *

وذلك فتل الزامي في الحقيقة، وإن كان منسوباً إلى اليد. ولا ينقص ما قلناه من أن ذلك رجوع بإرادة واختيار، وكذا ناقة أوب: سرعة رجع اليتيم.

(٣٠: ١)

الزعمشوري: تبتك أوتية الغائب، وفلان أواة أواب تواب، أي رجاع إلى التوبة.

الله تعالى بالقول: وقيل: هو المطيع. وقيل: المستبح. يريد صلاة الضحى عند ارتفاع النهار وشدة الحر. وقد تكرّر ذكره في الحديث.

ومنه دعاء السفر: «تَوَيْتَا تَوَيْتَا رَبَّنَا أَوْيَا» أي تويًا راجعًا مكرّرًا. يقال منه: آتَى أَوْيَا فهو آتِب.

ومنه الحديث الآخر: «آيُونَ تَائِيُونَ» وهو جمع سلامة لآتب، وقد تكرّر في الحديث.

وجاءوا من كلّ أوب، أي من كلّ مآب ومستقر. ومنه حديث أنس رضي الله عنه: «فَأَبَ إِلَيْهِ نَاسٌ» أي جاءوا إليه من كلّ ناحية.

وفيه: «شَغَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ حَتَّى آتَيْتِ الشَّمْسُ» أي غرّبت، من الأوب: الرجوع. لأنها ترجع بالغروب إلى الموضع الذي طلّقت منه. ولو اشتمل ذلك في طلوعها لكان وجهًا، لكنه لم يُشمل.

والأوب: الجاهة التحل. [ثم استشهد بشر]

ورَمِينَا أَوْيَا أَوْ أَوْيَيْن، أي رَشَقًا أَوْ رَشَقَيْن. ويقال: يَبِي وَيَبَن ثلاث مآوٍ، أي ثلاث رَحَلَات بالنهار. وآبَ فلان يده إلى مَبَقَعه، أي مدّ يده إليه لِيَسْتَلِدَّ. وناقته أَوْوَمَة: سريعة.

والأويات: القوائم، الواحدة: أَوِيَة. والآيَة: شَرْبَة القاتلة.

ومآبة البئر: مجتمع مائها. ولُوب، أي خُطِب، وأُوبَة، أي لُغْطَة. (١١) (١٢) ابن منظور: آبَ إلى الشيء: رجع، يُؤوب أَوْيَا وَيَايَا وأَوِيَة وأُوبَة، على المعاقبة، وإيَة بالكسر: رجع.

وَأَبَتِ الشَّمْسُ: غَابَتْ. وفي الحديث: «شَغَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُشَطَى حَتَّى آتَيْتِ الشَّمْسُ، تَلَا اللهُ قُلُوبَهُمْ نَارًا».

وغابت الشمس في مآبها، أي في منبرها. وآبَ يده إلى سبغه لِيَسْتَلِدَّ، وإلى شَهْبِيه لِيَرْمِي به، وإلى قوسه لِيَنْزِعَ فيها.

وَأَوْيُوا تَأْوِيًا: سَارُوا النَّهَارَ كُلَّهُ. ولهم إشار وتَأْوِيه. وما أعجبت أوبَ يديها، أي رَجَعَتْهَا فِي الشَّيْرِ. ويقال للسرور في سيره: الأوبُ أَوْبٌ سَعَادَة. [ثم استشهد بشر]

وهذا كلام ليس له آية ولا راسخة، أي مرجوع وفائدة.

وَأَبَتْ بَنِي فُلَانٍ، وتَأَوَّيْتُهُمْ جِشْمَ لَيْلٍ. [ثم استشهد بشر]

وَأَبَكَ مَارِبَكَ، مُعَاءَ سُوءٍ. وتقول لِمَنْ أَمَرْتَهُ بِمُحَاطَةِ فَعَالِكَ ثُمَّ وَفَعَ فِيهَا يَكْرَمُ أَبَكَ، أي أَبَكَ مَا تَكْرَمُ. [ثم استشهد بشر]

وجاءوا من كلّ أوب، أي من كلّ وجه ومرجع. ورَمِينَا أَوْيَا أَوْ أَوْيَيْن وهو الرَشَق، وهما شاطئ الوادي وأَوِيَا.

وَكُنْتُ عَلَى حَوْبِ فُلَانٍ وَأَوِيَه، أي على طَرَفِيه ووَجْهيه. وما يَدْرِي فِي لَمِي أَوْبٍ هو. وما زال هذا أَوِيَه أي طَرَفِيه وعادته. (أساس البلاغة: ١٢)

ابن السجري: الأوبُ: جماعة التحل، وقيل: الأوبُ: الرج. (١٣) (١٤)

ابن الأثير: فيه: «صلاة الأوابين حين تَرْتَضَى الْبَيْتَ». الأوابين: جمع أواب، وهو الكثير الرجوع إلى

ورجل آيب من قوم أواب وأياب وأوب، الأخيرة اسم للجمع، وقيل: جمع آيب، وأوبته إليه، وآب به، وقيل: لا يكون «الإياب» إلا الرجوع إلى أهله ليلاً. والآية: أن تروا الإيل الماء كل ليلة. ورعى أوتيا لو أوتين، أي وجهها أو وجهين. والأوب: القصد والاستقامة. (١: ٢١٧ - ٢٢٠) الفيومي: آب من سفره يؤوب أوتيا ومآبا، رجع، والإياب: اسم منه، فهو آيب. وآب إلى الله تعالى: رجع عن ذنبه وتاب، فهو أواب مبالغة.

وآبت الشمس: رجعت من مشرقها غمرت. والتأوب: سبر الليل. وجاءوا من كل نوب معناه من كل نرجع، أي عطف كل فج. (١١: ٢٢٨)

الغیروز ابادی: الأوب والإياب والتأوب والتأيب: الرجوع. والأیبة والإیبة والتأوب والتأيب: الرجوع.

والأوب: السحاب، والرجع، والشرعة، ورجع القوائم في السير، والقصد، والمادة والاستقامة، والشغل، والطريق، والجهة، ووزود الماء ليلاً، وجمع آب كالأواب والآياب.

وآبه الله: أهداه، وآبه لك مثل وتلك.

وآبت الشمس إياباً وأوتياً: غابت.

وتأوبته وتأيبه: أماء ليلاً، والمصدر التأوب

والتأيب، وتأنيت الماء: وزدته ليلاً.

وأوب كقرح: غطب، ولوأته^(١).

والتأوب: السير جميع النهار، أو تباري الركاب في السير كالمؤابته ورجع مؤوبة: تهب النهار كله.

والآية: شربة القائلة، [وهي نصف النهار] والمؤوب: المدور والسفور المسلتهم، ومنه «أنا حجيرها المؤوب وعديتها المرجب».

والمآب: المرجع والمقلب، وبينها ثلاث مآوب: ثلاث زحلات بالنهار.

والأوبات: القوائم، واحدتها: أوبة. (١١: ٢٢٨) الطريحي: وفي الحديث: «ثمان ركعات الزوال تسبيحة الأولين» يعني الكثيرين الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة، والأواب، بالتشديد: التائب.

وقوله: «آيئون تائبون» هو جمع آيب، وأيوب: من آب يؤوب، وهو أنه يرجع إلى العافية والصحة والأهل والمال والتولد بعد البلاء، كذا في «معاني

قوله: «إني بإيتابكم من المؤمنين» يريد بذلك الإقرار بالرجعة في دولة القائم عليه السلام.

وآبت الشمس بالمد: لغت في غابت، ومنه الحديث: «لا يصل بعد العصر شيئاً حتى تروب الشمس» أي تنيب.

وفي الحديث: «طوبى لعبدا مؤمنة لا يؤبه له» أي لا يبال به، ولا يحتفل بعقارته. (٢: ١٩)

مجمع اللغة: آب يؤوب أوتيا وإيتا ومآبا، رجع. والمآب: مصدر، واسم زمان، واسم مكان. أوب تأوتيا وأيب: رجع، فهو أواب، وهم أوتيون.

(١) بسنن، أقطبه، كما ذكره الضعاف.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿وَاللَّهُ يَجْعَلُ خُسْرَ
النَّاسِ﴾ وقد عَلِمْتَ ما عنده يومئذٍ من أليم العذاب
وشديد العقاب؟

قيل: إن ذلك معني به خاص من الناس، ومعنى ذلك:
والله عنده، حُسْنُ المآبِ للذين اتقوا ربهم، وقد أنبأنا عن
ذلك في هذه الآية التي تليها^(١).

فإن قال: وما حُسْنُ المآبِ؟

قيل: هو ما وصفه به جمل تائوه، وهو المرجع إلى
جنت تجري من تحتها الأنهار مخلد فيها، وإلى أزواج
مطهرة ورضوان من الله.

الطبرسي: المآب: وزنه «مقتل» وأصله: مأوب، ثم
تبدل الهمزة على الهزلة، وأبدل من الواو ألف، مثل
(١٢٩: ١)

منه أبو البركات (١: ١٩٤)، والفرطبي (٤: ٣٧).
الطبرسي: يعني حُسْنُ المرجع، فالمآب مصدر،
سمي به موضع الإياب.

القمي: الرزازي: اعلم أن «المآب» في اللغة المرجع،
يقال: أب الرجل إياها وأوتية وأيتية ومآبًا. قال الله
تعالى: ﴿إِنْ إِلَهُكُمُ الْغاشية: ٢٥﴾، والمقصود من
هذا الكلام بيان أن من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه
أن يصرفها إلى ما يكون فيه عبادة لمعبده، ويتوصل بها
إلى سعادة آخرته. ثم لما كان الغرض القُرْغيب في المآب،
وصف المآب بالحُسْن.

فإن قيل: المآب قسمان: الجنة وهي في غاية الحُسْن،

(١) ﴿قُلْ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ بِمَنْ دَلَّكُمْ...﴾ كده ص ١٥١

والأواب: صفة مدح للرجوع عن كل ما يكرهه الله
إلى ما يحب.

محمد إسماعيل إبراهيم: أوب أوتًا ومآبًا: رجع،
وأوب: رجع وزده. والإياب: القودة. والأواب: التائب
الكثير الرجوع إلى ربه، والجمع: أتايون. والمآب: المرجع
والمُنْتَلَب. (٥٠: ١)

النصوص التفسيرية المآب

... ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يَجْعَلُ خُسْرَ
النَّاسِ. آل عمران: ١٤

الشدّي: حُسْنُ المُنْتَلَب، وهي الجنة.
(الطبرسي: ٣: ٢٠٥)

أبو عبيدة: (المآب: المرجع، من أب يروب. مركز تحقيق التراث
(١٩: ١)

الطبرسي: يعني حُسْنُ المرجع، هو مصدر على مثال
«مقتل»، من قول القائل: أب الرجل إلينا، إذا رجع، فهو
يُروب إياها وأوتية وأيتية ومآبًا. غير أن موضع الضاء
منها مهموز، والعين مبدلة من الواو إلى الألف بحركتها إلى
الفتح.

فلما كان حظها الحركة إلى الفتح، وكانت حركتها
منقولة إلى الحرف الذي قبلها، وهو فاء الفعل، انقلب
فصارت أَلَفًا، كما قيل: «قال» فصارت عين الفعل أَلَفًا،
لأنَّ حظها الفتح. والمآب، مثل القتال والمعاد والمحال، كل
ذلك «مقتل» منقولة حركة عينه إلى فائه، فتصير واؤه أو
ياؤه أَلَفًا لفتح ما قبلها.

والنار وهي خالية عن الحسن، فكيف وصف المآب المطلق بالحسن؟

قلنا: المآب المقصود بالذات هو الجنة، فأما النار فهي المقصود بالعرض، لأنه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب، كما قال: «سَبَّحْتَ وَحَمَّيْ غَضَبِي» وهذا سر يُطلع منه على أسرار غامضة. (٥١٢: ٧)

نحوه الشريبي. (٢٠١: ١)

ابن كثير: أي حسن المرجع والقراب. (١٩: ٢) العامل: هو بمعنى المرجع والمأوى ما يخذ منه أن النبي والأنبياء مآب لحبيهم من الأولين والآخرين، ولأن الجنة مآب لحبيهم لأجل حبهم وولايتهم، ولأن النار مآب لأعدائهم لترك ذلك.

وظاهر أيضاً أن كون معنى المآب إلى الله هنا الذي ذكرناه لك، ويمكن التأويل بذلك على حسب المناسبة. (١٩٨)

الألوسي: أي المرجع الحسن، فالمآب «مفضل» من آب يؤوب، أي يرجع. وأصله: مأوب، ففعلت حركة الواو إلى المعزة الساكنة قبلها، ثم حُذِيت ألفها، وهو اسم مصدر، ويقع اسم مكان وزمان، والمصدر: أوب وإياب. (١٠٠: ٣)

المصطفوي: «وَاللهُ يَجْزِيهِ حَسَنُ الْمَأْبِ» آل عمران: ١٤، أي الرجوع الحسن. «إِنْ جَعَلْتُمْ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَأْبًا» النبا: ٢١، ٢٢، مكان الرجوع لهم. «وَنِعَمَ أَتَقَبَّدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» ص: ٢٠، شديد الرجوع والتوجه إلى الله تعالى. «إِنَّا إِنَّمَا إِنَّا بَيْنَهُمْ...» الناشية: ٢٥، أي رجوعهم. «يَا جِبَالُ أَوِّبِي عَنِّي...» سبأ: ١٠ أي

رجعي التسبيح والذكر معه.

ثم إن الرجوع إليه باعتبار الانصراف عن عالم المادة والظلمة والطبيعة والعلاقات، والتوجه إلى عالم النور والروحانية والتجرد. (١٥٩: ١)

مَأْبًا

إِنْ جَعَلْتُمْ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَأْبًا

النبأ: ٢١، ٢٢

قتادة: أي منزلًا ومأوى. (الطبري: ٢٠: ٩)

الطبري: مرجعًا ومنزلًا. (الطبري: ٢٠: ٩)

الطبري: منزلًا ومرجعًا يرجعون إليه، ومصيرًا

يهرعون إليه يسكنونه. (٢٠: ٩)

الطوسي: أي مرجعًا، وهو الموضع الذي يرجع

إليه فكان الجرم قد كان واجرامه فيها ثم رجع إليها.

وجوز أن يكون كالمنزل الذي يرجع إليه. (١٠: ٢٤٢)

المفهر الرازي: أي مصيرًا ونقرا. (٣١: ١٣)

الطباطبائي: المآب: اسم مكان من الأوب، بمعنى

الرجوع، والعناية في عدها مأبًا للطاغين أنهم حبسوها

مأوى لأنفسهم، وهم في الدنيا، ثم إذا انقطعوا عن الدنيا

آبوا ورجعوا إليها. (٢٠: ١٦٧)

وهذا المعنى جاء (مأبًا) في سورة النبا: ٢٩.

إِنَّا بَيْنَهُمْ

إِنَّا إِنَّمَا إِنَّا بَيْنَهُمْ

ابن عباس: الإياب: الرجوع. (بنت الساهلي: ٤: ٤٠)

الناشية: ٢٥

الْقَسْرَاءُ: هو بتخفيف الياء، والتشديد فيه خطأ. (الأزهرى ١٥: ٦٠٩)

الرَّجَاجُ: قُرئَ إِيَّاهُمْ بالتشديد، وهو مصدر: أَيْبَ إِيَّاهُ، على معنى: قُتِلَ فِيمَالًا، من آبَ يُووب. والأصل: إِيَّوَاهُ، فأُدغمت الياء في الواو، وانقلبت الواو إلى الياء، لأنَّها سُبقت بسكون. (الأزهرى ١٥: ٦٠٩)

نحو: الطَّرْسِي. (١٠: ٣٣٩)

ابن حَالَوَيْه: (إِيَاب) نصبٌ بِـ (إِنَّ) والهاء والهمزة جرٌّ بالإضافة، أي رجوعُهُم، والمصدر: آبَ يُووب إِيَّاهُ فهو آئِب. (٧٢)

القَيْسِي: قرأ أبو جعفر: (إِيَّاهُمْ) بتشديد الياء، وفيه خطأ، لأنَّه مصدر آبَ يُووب إِيَّاهُ. وأصل الياء واو، ولكن قلبت ياء لانكسار ما قبلها، وكان يلزم من شدِّد أن يقول: إِيَّاهُمْ، لأنَّه من الواو، أو يقول: إِيَّوَاهُمْ، فيبدل من أول المشدِّد ياء، كما قالوا: ديوان، وأصله: ديوان. (٢: ٤٧٣)

الرَّمْخُسَرِي: قرأ أبو جعفر المذني (إِيَّاهُمْ) بالتشديد، ووجهه أن يكون «فيمالاً» مصدر آيَبَ «فَيَقْتَل» من الإيهاب، أو أن يكون أصله: إِيَّوَاهُ «فَمَالًا» من أَوَّبَ، ثم قيل: إِيَّوَاهُ، كديوان في ديوان، ثم فعل به ما فعل بأصل سيِّد وميت.

فإن قلت: ما معنى تقديم الظرف؟

قلت: معناه التشديد في الوعيد، وأنَّ إِيَّاهُمْ ليس إلَّا إلى الجبار المقدر على الانتقام. (٤: ٢٤٨)

أبو البركات: (إِيَّاهُمْ) بتخفيف الياء، آبَ يُووب إِيَّاهُ، قام يقوم قيامًا، وأصله: إِيَّوَاهُ وقِيَّوَاهُ، إلَّا أنَّه

أهل المصدر لا احتلال الفعل، وقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

وقُرئَ (إِيَّاهُمْ) بتشديد الياء، وأنكره أبو حاتم، وقال: لو كان كذلك لوجب أن يقال: إِيَّوَابَ، لأنَّه وزن «يقال» ولو أراد ذلك لقال: إِيَّوَابَ كما قالوا: دينار وديوان وقيراط، وأصلها: دِنَار وديَوَان وقِرَاط، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

وقال أبو الفتح ابن جني: يجوز أن يكون أراد إِيَّوَاهُ، إلَّا أنَّه قلبت الواو ياء استعانةً طلبًا للثبوت لا وجوبًا، كقولهم: مأخِذُهُ، وهو من بنات الواو، وقد روي أنَّهم قالوا: اجلُودُ اجلياذُ، وإن كان المشهور: اجلواذُ. وقال ابن جني: يجوز أن يكون أو يَتَّ على وزن «فَوَعَلْتُ» نحو: فَوَعَلْتُ، وجاء مصدره على وزن «فَعَال» نحو الحِقَال، فصار «إِيَّوَاهُ»، فاجتمعت الياء والواو، والتابن بينهما كما في «فَوَعَلْتُ» فصار «إِيَّوَاهُ». (٢: ٥١٠)

أبو حنَّان: قرأ الجمهور (إِيَّاهُمْ) بتخفيف الياء مصدر آبَ، وأبو جعفر وثَّبه بشدِّها مصدرًا، لتعيل من آبَ على وزن «فيمال» أو مصدرًا كـ «فَوَعَل» كـ «فَعَل» على وزن «فيمال» أيضًا كـ «فَعَال»، أو مصدرًا كـ «فَعُول» كـ «جُمُور» على وزن «فَعُول» كـ «جَهُول»، فأصله إِيَّوَابَ، فقلبت الواو الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، واجتمع في هذا البناء والبناء بين قبله واو وياء وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً وأدغم، ولم يضع الإدغام من القلب، لأنَّ الواو والياء تيسَّتا عيين من الفعل بل الياء في «فَعَل» والواو في «فَعُول» زالدتان، ثمَّ

ذكر لول الرُّمَقَشَرِيّ إلى أن قال:

وأما تشبيه الرُّمَقَشَرِيّ بـ«ديوان» فليس بجيد، لأنهم لم يبتدعوا في الوضع مدغمة، فلم يقولوا: ديوان، ولولا الجمع على «ديوانين» لم يُقَلَّم أن أصل هذه الياء واو، وأيضاً فنصوا على شذوذه «ديوان» فلا ينافس عليه غيره.

وقال ابن عطية: ويصح أن يكون من «أؤب» فيجيء «إؤباً» سهلت الهزلة، وكان اللازم في الإدغام بردها «إؤباً» لكن استحسنتم فيه الياء على غير قياس انتهى.

فقوله: وكان اللازم في الإدغام بردها «إؤباً» ليس بصحيح، بل اللازم إذا اعتبر الإدغام أن يكون «إؤباً» لأنه قد اجتمعت ياء وهي المبذلة من الهزلة «أؤب» وواو هي عين الكلمة وإحداها ساكنة، فتقلب الواو إلى ياء وتندغم فيها الياء، فيصير «إؤباً».

الألومي: إياب: مصدر أتب، أي رجع، أي إن إلبنا رجوعهم بالموت والبعث لا إلى أحد سوانا لاستقلالاً ولا اشتراكاً. وجمع الضمير فيه ولها بعد باعتبار سني (من) كما أن أفرادها فيما سبق باعتبار لفظها. [ثم ذكر مثل ما تقدم من أبي حيان] (١١٨٥٠)

ينبت الشاطئ: الكلمة وحيدة الضمة في القرآن، ومنها من المائدة: (مآب) تسع مرّات، والتهيئة في سبأ: ٨٠، (أؤاب) مسفرة خمس مرّات، وجمعاً في آية الإسراء: ٣٥.

وتفسير «الإياب» بالرجوع، تقريب نظمت فيه إلى أن «الرجوع» من الكلمات القرآنية وقد جاء منه:

(المرجع) ست عشرة مرّة، و(الرجعى) مرّة واحدة، مع استعماله للفعل (رجع) إحدى عشرة مرّة للماضي، وخمسا وخمسين مرّة للمضارع، وثلاث عشرة للأمر، فافرق بين الرجوع والإياب في الاستعمال القرآني؟

لمحظ الزايب أن «الأؤب» خُزِبَ من الرجوع، وذلك أن الأؤب لا يقال إلا في الميوان الذي له إرادة، والرجوع يقال فيه وفي غيره والمآب: مصدر منه، واسم الزمان والمكان، والأؤاب كالتؤاب، وهو الزايع إلى الله تعالى بترك المعاصي وفضل الطاعات، والتأؤيب يقال في سير النهار.

لكن ابن الأثير قال في حديث: «سُئِلْنَا عن الصلاة حتى آتت الشمس» أي غربت، من الأؤب: الرجوع، أي ترجع بالوقوف إلى الموضع الذي طلعت منه، ولو لم يندغم فيها الياء، فيصير «إؤباً».

وتعتبر سائر الآيات فيها، فيؤنس إلى قريب مما لمحظ الزايب، حيث يأتي الإياب والمآب للخلق، أما الرجوع فيأتي الفعل خاتماً مستقلاً، وإن جاء مستقلاً إلى الأمر في آية هود: ١٢٣، ﴿وَلَيْتَهُ يُزْجِعَ الْأَعْمَىٰ كَلْبَةً﴾ وإلى الأسور في آية البقرة: ٢١٠، ﴿وَوَاللّٰهُ تُزْجِعُ الْأَمْوَدَ...﴾ ومعه آل عمران: ١٠٩، والأنفال: ٤٥، والحج: ٢٦، وفاطر: ٤، والحديد: ٥.

ونقول مع هذا: إن إسناد «الرجوع» إلى الأمر والأمور على سبيل المجاز لا يجعل التجويز بعيداً في إسناد «الإياب» إلى النفس، بمعنى الرجوع، في قول الزايب.

فَلَا زَجَعُوا ۖ الثور: ٢٨. «يَأْهَلُ يَلُوبُ لَا سِقَامَ لَكُمْ
فَلَا زَجَعُوا ۖ الأعراب: ١٢.

يمكن القول إذن إن الإياب والمآب أخذت دلالته
قرآنية إسلامية خاصة بالرجوع إلى الله دون سواه،
وتنهم آياتها أنه المآب الحق في الآخرة: «وَاللَّهُ جُنَّةٌ
حُشْنُ الْمَنَاقِبِ ۖ آل عمران: ١٤. «إِلَيْهِ أَرْجِعُوا وَإِلَيْهِ
عَاقِبُ ۖ الزم: ٢٦. «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ عَاقِبٍ ۖ الزم: ٢٩. «وَأَنَّ لِلْمُتَّقِينَ
لَحْشَنَ عَاقِبٍ ۖ ص: ٤٩. «وَأَنَّ لِلطَّائِفِينَ كَثْرَ مَنَاقِبٍ ۖ
ص: ٥٥. «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَتَهُمْ ۖ الناشية: ٢٥. على حين
بقيت مائة «الرجوع» على أصل معناها العام، بدلالة
(٤٠٤)

أوبى

وَاللَّهُ أَتَمُّ مِمَّا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ
وَاللَّهُ أَتَمُّ مِمَّا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ ۚ

ابن عباس: سبى معه.

مثله مجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد.

(الطبري: ٢٢: ٦٥)

مثله الحسن (الطبري: ٥: ٣٨١)، والفصحى (٢)
(١٩٩)، والبتوي (٥: ٢٣٢).

الحسن: سري معه أين سار، (أبو حيان: ٧: ٢٦٣)

وهب بن سفيان: المعنى لوهي معه.

(الطبري: ١٤: ١٢٦٥)

الفرزدق: اجتمعت القراء الذين يعرفون على تشديد

(أوبى) ومعناه سبى، وقرأ بعضهم (أوبى) من آب

ثم ضيف ملحظاً هدى إليه القدر، لسياق الرجوع
والإياب في البيان القرآني.

كل إياب ومآب فيه، إلى الله تعالى، وكذلك حقيقة:
مراجعة والرجوع، إليه سبحانه، ولكن «فعل الرجوع»
يأتي في القرآن إلى الله تعالى، ويأتي كذلك إلى غيره
سبحانه.

الماضي منه جاء مرة واحدة (إلى ربّي) وعشر
مرات: (إليها)، و (إلى قلوبهم)، و (قروبي)، و (أبيهم)،
و (أقربهم)، و (عائيتهم)، و (أهلها)، و (إلى المدينة).

ومن المضارع كذلك جاء «الرجوع» إلى الله ٢٢
مرة، وجاء منه كذلك، إلى غيره تعالى، آيات:

في حديث إبراهيم والأسماء: «فَيَقْلُوكُمْ جُذُودًا إِلَّا
كَبِيرًا لَمْ تَقْلُوكُمْ إِنَّهُ يَزْجَعُونَ»

«إِذَا قُبِ بِكَ نَحْنُ عَائِتُهُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ
مَاذَا يَزْجَعُونَ»

«وَأَنِّي مُزِيلٌ إِلَيْهِمْ بِعِدَّتِي فَسَاهِرَةٌ يَوْمَ يَزْجَعُ
الْمُزْجَعُونَ»

«يَزْجَعُ بَنِيهِمْ إِلَى بَنِي»

«عَنْ يَزْجَعُ إِلَيْنَا مُوسَى»

«لَقَدْ أَرْجِعْ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَقْلُوكُمْ» يوسف: ٤٦

«فَلَا تَرْجِعُوهُمْ إِلَى الْكَفَّارِ»

وفعل الأمر جاء «إِلَى رَبِّهِ» الفجر: ٢٨،

و «إِلَى رَبِّكَ» يوسف: ٥٠، و «إِلَى رَبِّي» الصافات:

٩٩، وجاء كذلك: «إِزْجِعْ إِلَيْهِمْ» النمل: ٣٧،

«إِزْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ» يوسف: ٨١ «وَأَرْجِعُوا إِلَى

عَائِتِهِمْ فَمَنْ يَزِيدُ» الأنبياء: ١٢ «وَأَنَّ قَبْلَ لَكُمْ لَزْجِعُوا

المعنى إن الله خاطب الجبال، وهي جماد بذلك، بل المراد أنه فعل في الجبال ما لو كانت حية قادرة لكان يتأق منها ذلك. (٣٧٩: ٨)

التَّيَّيْدِي: فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: سيري معه، وكانت الجبال تسير معه حيث شاء إذا أراد، معجزة له. والثَّأْوِيْب: سير النهار.

والقول الثاني: سبَّحي معه إذا سبَّح، وهو بلسان الحبشة. وكان إذا قرأ القرآن صَوَّتت الجبال وأصنَّت له الطير.

والقول الثالث: (أَوِّي) أي نوحى معه، والطير تساعدك على ذلك. (١١٠: ٨)

الْمُخَفَّرِي: وقُرئ (أَوِّي) و(أَوِّي) من الثَّأْوِيْب والثَّأْوِيْب، أي رجعي معه التَّسْبِيح، أو أزوجي معه في التَّسْبِيح كلها رجعي فيه، لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه.

وَكُنِيَ تَسْبِيحُ الْجِبَالِ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَخْلُقُ فِيهَا نَسِيحًا كَمَا خَلَقَ الْكَلَامَ فِي الشَّجَرَةِ، فَيَسْمَعُ مِنْهَا مَا يَسْمَعُ مِنَ الْمَسْبُوحِ مَعْجَزَةً لِدَاوُدَ.

وقيل: كان ينوح على ذنبه بهرجيع وتحزين، وكانت الجبال تساعد على نوحه بأصداؤها، والطير بأصواتها. (٢٨١: ٣)

نحوه الفخر الرازي (٢٥: ٢٤٥)، والبَيْهَقَاوِي (٢: ٢٥٦)، والشَّيْخُ (٣: ٣٦٩)، والْبَيْهَقَاوِي (٢٢: ٤٢).

الطُّبْرَسِي: وتأويله عند أهل اللغة: رجعي معه التَّسْبِيح، من آتٍ يَأْوِي. ويجوز أن يكون سبَّحانه فعل في الجبال ما يأتي به منها التَّسْبِيح معجزة له. وأما الطير فيجوز أن يسبح ويحصل له من التَّسْبِيح ما يأتي منه

يَأْوِيه أي تصرفي معه. (٢: ٣٥٥)

أَبُو صَبِيذَةَ: مجاز المختصر الذي فيه ضمير: وقتنا جبال أَوِّي معه، والثَّأْوِيْب: أن يبيت في أهله. [ثم استشهد بشر] (٢: ١٤٢)

ابن قُتَيْبَةَ: أي سبَّحي وأهله: الثَّأْوِيْب في السَّير، وهو أن تسير النهار كله وتنزل ليلاً. (٣٥٣)

الْمُجَبَّنَاتِي: معناه سيري معه، فكانت الجبال والطير تسير معه أينما سار، وكان ذلك معجزة له.

(الطُّبْرَسِي ٤: ٢٨١)

الطُّبْرَسِي: سبَّحي معه إذا سبَّح. والثَّأْوِيْب عند العرب: الرجوع، ومبيت الرجل في منزله وأهله. وقد

كان بعضهم يفرؤه (أَوِّيَ مَعَهُ) من آتٍ يَأْوِي، بمعنى تصرفي معه. وتلك قراءة لأستجير القرامطة بها، بخلافها قراءة المصنِّع. (٣٢٢: ٤٦٥)

السُّجَّشْتَانِي: سبَّحي معه، والثَّأْوِيْب: سير النهار كله، فكان المعنى سبَّحي معه نهارك كله، كتأويب الشاعر نهاره كله.

وقيل: (أَوِّي) سبَّحي بلسان الحبشة. (١٥١)

الأَزْهَرِي: قرأ بعضهم (يَا جِبَالُ أَوِّي مَعَهُ) فمن قرأ (أَوِّي مَعَهُ) معناه رجعي معه التَّسْبِيح، ومن قرأ (أَوِّي

مَعَهُ) فعناه عودي معه في التَّسْبِيح كلها عاد فيه.

(١٥: ٦٠٧)

الطُّبْرَسِي: معناه أنه نادى الجبال وأمرها بأن (أَوِّي معه) أي أزوجي بالتَّسْبِيح معه.

وقيل: معنى (أَوِّي) سيري معه حيث شاء، وليس

ذلك، بأن يزيد الله في خطيته، فيفهم ذلك.

والتأويب: السير بالنهار، وقيل: معناه لرجعي إلى مراد داود فيما يريد من حفر بئر، واستنباط عين، واستخراج معدن، ووضع طريق. (٢٨١: ٤)

أبو حيان: قرأ الجمهور (أوبي) مضاعف آت يؤوب، ومعناه سبّحي معه، قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد. وقال مؤرج وأبو ميسرة: (أوبيا) سبّحي بلفظ الحبشة، أي يسبح هو وترجع هي معه التسيح أي تزد بالذكر، وضعت الفعل للمبالغة، قاله ابن عطية.

ويظهر أن التضييف للتعدية فليس للمبالغة؛ إذ أصله: آت وهو لازم، بمعنى رجع اللازم، فعُدّي بالتضييف، إذ شرحوه بقولهم: رجعتي معه التسيح. [ثم ذكر قول الزجاج شري إلى أن قال:]

وأما قوله تساعد الجبال على نوحه بأصداقها، فليس بشيء، لأن الصدى ليس بصوت الجبال حقيقة والله تعالى نادى الجبال وأمرها بأن تؤوب معه، والصدى لا يؤمر الجبال بأن تنعله، إذ ليس ضلاً لها، وإنما هو من آثار صوت المتكلم على ما يقوم عليه البرهان.

وقرأ ابن عباس والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق (أوبي) أمر من أوب، أي رجعتي معه في التسيح أو في السير على القولين. فأمر الجبال كأمر الواحدة المؤنثة، لأن جمع ما يعقل يجوز فيه ذلك، ومنه: «يا خيل الله اركبي»، ومنه: «عارب أخزي» طه: ١٨، وقد جاء ذلك في جمع ما يعقل من المؤنث، لكن هنا قليل. [ثم استشهد بنصر]

البزوصوي: التأويب على معنيين:

أحدهما: التراجع، لأنه من الأوب وهو الرجوع.

والثاني: السير بالنهار كله، فالمعنى على الأول رجعتي معه التسيح، وسبّحي مرة بعد مرة. (٢٦٥: ٧) الطباطبائي: التأويب: التراجع من الأوب بمعنى الرجوع، والمراد به ترجيع الصوت بالتسيح بدليل قوله فيه في موضع آخر: «إنا نَحْنُ الجبال نَعْنُ يُسَبِّحُنَ بِأَلْسِنَةٍ وَأَشْرَاقٍ» وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهْ أَوَابٍ» عن: ١٨، ١٩، والطير متطوفة على محل الجبال ومنه يظهر فساد قول بعضهم: إن الأوب بمعنى السير، وإن الجبال كانت تسير معه حيث سار.

وقوله: «يَا جِبَالُ أوبي نَعْنُ وَالطَّيْرُ...» بيان للفضل الذي لكون داود، وقد وضع فيه الخطاب الذي خوطب به الجبال والطير فسخرنا به موضع نفس التفسير الذي هو الطية، وهو من قبيل وضع السبب موضع المسبب، ولكن سخرنا الجبال له تؤوب معه والطير. وهذا هو المتحصل من تفسير الجبال والطير له، كما يشير إليه قوله: «إنا نَحْنُ الجبال نَعْنُ يُسَبِّحُنَ بِأَلْسِنَةٍ وَأَشْرَاقٍ» وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهْ أَوَابٍ».

(٣٦٢: ١٦)

أَوَاب

١- إضرب على صابئون واذكُرْ عَهْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْآيَةِ إِنَّهُ أَوَاب.

النبي ﷺ الأواب: هو الرجل يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله تعالى. (الأكوسي: ٢٣: ١٧٢)

ابن عباس: المسبح.

- مثله مجاهد. (الأكوسي ٢٣: ١٧٣)
- وهو من آب يؤوب، أي رجع. (٢٥٣)
- مثله سعيد بن جبير (الأزهري ١٥: ٦٠٨).
- القَمِي: أي دعاء. (٢٢٩: ٢)
- والشَدَي (أبوحيان ٧: ٣٩٠).
- ابن الأواب: مطيح. (الطبرسي ٤: ٦٦٩)
- ابن المسيب: الذي يُذنب ثم يتوب، ثم يُذنب ثم يتوب. (الأزهري ١٥: ٦٠٨)
- قال قوم: الأواب: التراجع.
- يُذنب ثم يتوب. (أبوحيان ٧: ٣٩٠)
- وقال قوم: الأواب: التائب.
- مُجاهد الزاجع عن الذنوب. (الطبرسي ٢٣: ١٣٦)
- وقال ابن المسيب: الأواب: الذي يُذنب ثم يتوب، ثم يُذنب ثم يتوب.
- مثله ابن زيد. (أبوحيان ٧: ٣٩٠)
- وقال قتادة: الأواب: المطيح.
- تواب.
- مثله ابن زيد. (الطبرسي ٨: ٥٤٩)
- وقال عُبَيْد بن صُيْر: الذي يَذْكُرُ ذنبه في الخلا، فيستغفر الله منه.
- أي تواب راجع من كل ما يكره الله تعالى إلى كل ما يحب، من آب يؤوب، إذا رجع.
- مثله ابن زيد. (الطبرسي ٣: ٦٩٩)
- وقال أهل اللغة: الأواب: الرجوع الذي يرجع إلى القوة والطاعة. (الأزهري ١٥: ٦٠٧)
- نحوه البروتوي.
- وقال قتادة: أي كان مطيعاً لله كثير الصلاة. (١١٨)
- ابن الشجري: من أواب، إذا رجع صوته بالتسبيح. (٣٦٣: ٣)
- «يُاجْتَالُ أَوْيَ مَعَهُ» سبأ: ١٠، ورجع معه، أي سبّح.
- والأواب أيضاً: التائب. (٥٥: ١)
- الفخر الرازي: أي إن داود كان رجاعاً في أموره.
- ابن زيد: التواب الذي يؤوب إلى طاعة الله ويرجع إليها، ذلك الأواب، والأواب: المطيح. (الطبرسي ٢٣: ١٣٧)
- قال نال: «لَئِنْ لَبِثْنَا مِنْكُمْ» الناشية: ٢٥، ولقال: بناء المبالغة، كما يقال: لقال وختراب، فإنه أبلغ من قاتل وضارب. (١٨٥: ٢٦)
- أبو عبيدة: الأواب: الرجوع وهو التواب، يخرجها من آب إلى أهله، أي رجع. [ثم استشهد بشعر]
- نحوه الطبرسي (٢٣: ١٣٦)، والسيبوري (٢٣: ٨٦).
- الأخفش: الرجوع إلى الحق. (٤٠٠: ١)
- ابن قتيبة: التائب مرة بعد مرة، وكذلك التواب.
- الصاملي: الأواب: مفرداً وجمعاً، قبائله وورد في مواضع، روى الصدوق في كتاب ألفه في فضائل

ترجع التَّسْبِيح، والمرجع رجاء لأنه يرجع إلى فعله رجوعاً = رجوع.

والترق بينه وبين ماقبله وهو (يُسَبِّحُنْ): أَنْ (يُسَبِّحُنْ) يدل على الموافقة في التسبيح، وهذا يدل على المتابعة عليها.

وقيل: الضمير «الله» أي كل من داود والجمال والطير لله أواب، أي مسبح مرجع لله (٨: ١٣)

الألوسي: استئناف مقرر لمضمون ماقبله، مصرح بما فهم منه إجمالاً، من تسبيح الطير. واللام تعليلية. والضمير لداود أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاء إلى التسبيح.

موضع «الأواب» موضع «المسبح» إنما لأنها كانت موضع التسبيح، والمرجع رجاء لأنه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع. وإنما لأن «الأواب» هو التواب (٢٣: ١٧٦) إنكار الذكر وإدانة التسبيح والتقدم.

وقيل: يجوز أن يكون المراد: كل من الطير، فالجملة للتصريح بما فهم.

جزة دروزة: كل مسبح معه، مُتَقَاد ومطيع له. (٢: ٧٣)

الطَّبَاطِبَائِي: وقوله: «كُلُّ لُهُ أَوَابٌ» استئناف يفتر ما تقدمه من تسبيح الجبال والطير، أي كل من الجبال والطير لأواب، أي كثير الرجوع إلينا بالتسبيح، فإن التسبيح من مصاديق الرجوع إليه تعالى. ويحتمل رجوع ضمير (لَهُ) إلى داود عليه السلام، حل بغيره.

ولم يكن تأييد داود عليه السلام في أصل جعله تعالى

الشيعة من الصادق عن آبائه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ في حديث له: «يا علي أهل مودتك كل أواب حقيق...» ويظهر منه إمكان تأويل «الأواب» بمن ذكر، ويناسبه ماورد في اللغة من تفسير «الأواب» بالاستقامة، بل يناسبه سائر معاني «الأواب» أيضاً، كالتراب، والرجوع إلى الله، والمطيع، والمسبح، وغيرها. (٦٩)

الألوسي: أي رجاء إلى الله تعالى وطاعته هز وجل، وعن عمرو بن قرظيل: أنه المسبح، بلغة الحبشة. (٢٣: ١٧٣)

الطَّبَاطِبَائِي: الأواب: اسم مبالغة من الأوب بمعنى الرجوع، والمراد به كثرة رجوعه إلى ربه. (١٧: ١٨٩)

٢- والطير متشورة كل لهُ أواب. (١٩: ١٧٦) ابن عباس، يعني المطيع، بلغة كنانة وهذيل وقيس وعيلان. (اللفات في القرآن: ١٠)

فتادة: مخررة. (الطوسي: ٨: ٥٥٠)

الجبائني: لا يتبع أن يكون الله خلق في الطيور من المعارف ما تفهم به مراده وأمره من نهيه فطبعه في ما يريد منها، وإن لم تكن كساملة العقل، ولا مكلفة. (الطوسي: ٨: ٥٥٠)

الطوسي: أي رجاء، إلى ما يريد. (٨: ٥٥٠)

نحوه الطيرسي. (٤: ٤٦٩)

البروسوي: رجاء إلى التسبيح، إذا سبح سبعت الجبال والطير =

وموضع «الأواب» موضع «المسبح» لأنها كانت

الإقبال على مساواة والحفيظ هو الذي إذا أدركه بأدب فواء لا يتركه فيكمل بها تقواه. ويكون هذا تفسيرا للمعتق، لأن المعتق هو الذي اتقى الشر والتمطيل ولم ينكره، ولم يعترف بغيره.

والأواب هو الذي لا يعترف بغيره ويرجع عن كل شيء غير الله تعالى، والحفيظ هو الذي لم يرجع عنه إلى شيء مما عداه. (١٧٦: ٢٨)

القرطبي: قال صبيد بن عسير: هو الذي لا يجلس مجلسا حتى يستغفر الله تعالى فيه. وعنه قال: كنا نحدث أن الأواب الحفيظ: الذي إذا قام من مجلسه قال: سبحان الله وبحمده، اللهم إني استغفرك بما أصبت في مجلسي هذا. [إلى أن قال:]

وقال أبو بكر الوراق: هو المتوكل على الله في الشراء والصراء.

وكيف القاسم: هو الذي لا يستغل إلا بآفة عز وجل. (٢٠: ١٧)

جزة دروزة: صيغة مبالغة من الأوبة، وهي الرجوع. وهنا هي الرجوع إلى الله، وشدة التعلق به.

(٣٨: ٢)

الأوابين

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا.

الاسراء: ٢٥

أبن عباس: للعظيمين المسنين.

(الطبري: ١٥: ٦٩)

(الطبرسي: ٣: ٤١٠)

مثل قتادة.

للجهال والطير تسبيحا، فإن كل شيء مسبح لله سبحانه. قال تعالى: ﴿وَرَأَى مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...﴾ الإسراء: ٤٤. بل في موافقة تسبيحها لتسبيحه وقرع تسبيحها أسباع الناس.

(١٧٠: ١٧)

وهذا المعنى جاء لفظ (الأواب) في سورة مريم: ٣٠، ٤٤، في أكثر التفسير.

٣- هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ. (٣٢: ٣٢) ابن مسعود: هو الذي يذكر ذنبه في الخلوة، فيستغفر الله منها.

مثل الشفي، ومجاهد، والحكم بن عتبة.

(القرطبي: ١٧: ٢٠)

الضغالة: أي رجاع إلى الله عن المعاصي ثم يرجع ويذهب ثم يرجع.

الفرغ الرازي: الأواب: الرجاع، قيل: هو الذي يرجع من الذنوب ويستغفر، والحفيظ: الحافظ الذي يحفظ ثوبته من التقصير.

ويحتمل أن يقال: الأواب هو الرجاع إلى الله بذكره، والحفيظ الذي يحفظ الله في ذكره، أي رجع إليه بالذكر فيرى كل شيء واقفا به وموجدا منه، ثم إذا انتهى إليه حفظه بحيث لا ينسا عند الرخاء والنعاء.

والأواب والحفيظ، كلاهما من باب المبالغة، أي يكون كثير الأوب شديد الحفظ. وفيه وجوه أخر أدق، وهو:

أن الأواب هو الذي رجع عن متابعة هواه في

المسبحين.

(الطبري ١٥: ٦٩)

الراجعون إلى الله فيما ينوبهم. (الطبرسي ٣: ٤١٠)
الحفيظ الذي إذا ذكر خطايا، استغفر منها.

(القرطبي ١٠: ٢٤٧)

إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَصْغُرُ بِالَّذِينَ يَصَلُّونَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ
وَالْمَشَاءِ. وهي صلاة الأوليين. (الحازن ٤: ١٢٧)

أَمِنْ الضَّيِّبِ: الذي ينوب مرة بعد مرة، كلها لغيب
بأمر بالتوبة.

نحوه سعيد بن جبير. (المختار ٣: ١٩٧)

الراجع إلى الخير. (الحازن ٤: ١٢٧)

مثل سعيد بن جبير. (الطبري ١٥: ٦٨)

مُجَاهِدُ: الأواب: الثواب المتجدد للراجع عن ذنبه.
وزوي ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام.

(الطبرسي ٣: ٤١٠)

قَنَادَة: هم المطيعون، وأهل الصلاة.

(الطبري ١١: ٦٩)

الإمام الصادق عليه السلام: من صلى أربع ركعات في كل
ركعة خمسين مرة (قل هو الله أحد) كانت صلاة ناطقة
صلوات الله عليها، وهي صلاة الأوليين.

(القرطبي ٣: ١٥٢)

الطبري: اختلف أهل التأويل، في تأويل قوله:
﴿فَإِنَّكَ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفْرًا﴾ فقال بعضهم: هم
المسبحون.

وقال آخرون: هم المطيعون المحسنون.

وقال آخرون: بل هم الذين يصلون بين المغرب
والمشاء.

وقال آخرون: هم الذين يصلون الضحى.

وقال آخرون: بل هو الراجع من ذنبه، التائب منه.
وأولئك الأقوال في ذلك بالعتاب: قول من قال:
الأواب هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى
طاعته، ومما يكرهه إلى مايرضاه، لأن الأواب إنما هو
فقال: من قول القائل: آب فلان من كذا، إنما من سفره إلى
منزله، أو من حال إلى حال، فهو يؤوب أوتابا، وهو رجل
آتب من سفره، وأواب من ذنبه. [ثم استشهد بشعر]

(١٥: ٦٨ - ٧١)

الطوسي: الأواب: هو الراجع عن ذنبه بالتوبة.
وأصله: الرجوع، يقال: آب يؤوب أوتابا، إذا رجع من
شيء. [ثم استشهد بشعر] (٦: ٤٦٨)

السيدي: الأواب: بمعنى التائب، وهو الراجع إلى
الله عز وجل في كل ماأمر به المقلع عن جميع ماأنهى عنه.
تكلّموا معهم بالخشوة يندثون ويثوبون إلى الله
ولا يأخذهم الله بذلك.

وقيل: هم الذين يصلون بين المغرب والمشاء.
وقيل: يصلون صلاة الضحى. وتسمى التبيّة صلاة
الضحى: صلاة الأوليين. (٥: ٥٤٣)

الفخر الرازي: أي رجاّين إلى الله، منتظمين إليه
في كل الأعمال. وسنة الله وحكمه في الأولين أنه غفور
لهم يكفر عنهم سيئاتهم. والأواب هو الذي من عادته
ودينه الرجوع إلى أمر الله تعالى والالتجاء إلى فضله،
ولا يلتجئ إلى شفاعته شفيع، كما يفعل المشركون الذين
يعبدون من دون الله جمادا، يزعمون أنه يشفع لهم.

ولفظ الأَوَّاب على وزن «فَعَال» وهو يغيد المدلومة
الكثرة، كقولهم: قتال وضَرَاب. (١٩٢: ٢٠)

ابن باديس: الأَوَّابون في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ
لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا﴾ هم الكثير الرجوع، والأَوَّبة في كلام
العرب هي الرجوع.

والثوبة هي الرجوع عن الذنب ولا يكون إلا
بالإقلاع عنه، واعتبر فيها الشرع التزم على مافات،
والتزم على عدم العود، وتداركه ما يمكن تداركه، فظهر
لأن الأوبة أهم من الثوبة، فتأمل من رجع إلى ربه تائبًا
من ذنبه، ومن رجع إليه يسأله ويتضرع إليه أن يرزقه
الثوبة من الذنوب.

فنستفيد من الآية الكريمة سعة باب الرجوع إلى الله
تعالى، فإن تاب العبد، ففاداه هو الواجب عليه، والظن
له بغض الله من ذنبه، وإن لم يتب فليدوم الرجوع إلى الله
تعالى بالتزاول والتضرع، والتعرض لمخطئ لا محالة،
وعصومًا في سجود الصلاة، فتبين أن شاء الله تعالى أن
يُستجاب له.

وجاء لفظ (الأَوَّابين) جمعًا لأَوَّاب، وهو «فَعَال» من
أمثلة المبالغة، فدلَّ على كثرة رجوعهم إلى الله، وأفاد هذا
طريقة إصلاح النفوس بدوام علاجها بالرجوع إلى الله،
ذلك أن النفوس بما رُكِب فيها من شهوة، وبما فُطرت
عليه من غفلة، وبما عرضت له من شؤون الحياة، وبما
سَلَط عليها من كُرْهَاء الشَّوْء من شياطين الإنس والجن،
لا تزال، إلا أن عصم الله في مفارقة ذنب، ومواقفة
معصية صغيرة أو كبيرة، من حيث تدري ومن حيث
لا تدري.

وكل ذلك فساد يطرأ عليها، فيجب إصلاحها بإزالة
نقصه، وإيجاد ضرره عنها. وهذا الإصلاح لا يكون إلا
بالثوبة والرجوع إلى الله تعالى، ولما كان طُرُوء الفساد
متكررًا فالإصلاح بما ذكر يكون دائمًا متكررًا، والمداومة
على المبادرة إلى إصلاح النفس من فسادها، والقيام في
ذلك، والمجد فيه، والتصميم عليه، هو من جهاد النفس
الذي هو أعظم الجهاد.

ومن معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الَّذِينَ إِذَا أَذْنَبُوا تَابُوا، وَالثَّوْبَةُ طَهَارَةٌ لِلنَّفْسِ مِنْ دُونَ الْمَعَاصِي.
(١١٠)

الطَّيِّبَاتِي: أي للزاهمين إليه عند كل معصية،
وهو من وضع البيان العام موضع الخاص. وللمعنى: إن
تكونوا صالحين وعلم الله من نفوسكم، ورجعتم وتبتم
بالحسن، فكل مرة ظهرت منكم على وأديكم، غفر الله لكم،
ذلك إنه كان للأوابين غفورًا. (١٣: ٨١)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة هو الرجوع والعودة، يقال:
آب يؤوب لوياً وأوبة، بمعنى رجع نوع رجوع، وعاد
صنف عودة. وقد عرفت المربة هذا الجذر باستعماله في
الجزء، كقولهم: آب بيده، إلى قائم سيفه ليستلّه، وإلى
سهمه ليرمي به، وإلى قوسه لينزع فيها، وكذا في الكل،
كقولهم: آبت الشمس، وآب الرجل من سفره، وكل ذلك
دالٌّ على نوع من العودة أو الإعادة، والفرق بينها - أي
بين الجزء والكل - أن العودة في الأول تتم بجزء من

الاستعمال القرآني

١- استعمال القرآن هذه المادة على ما هي عليه في أصل اللغة، مع زيادة دلالية وتصريفية، كما سرى. فقد ورد فيه لفظ «المآب» ٩ مرّات، تفيد كلها الدلالة على المكان النهائي للمرء، وذلك بعد حساب يوم القيامة، حيث دلّ على:

أ- الجنة: بلفظ (حسن مآب) في (٥) مواضع:

﴿ذَلِكَ مَتَاعُ السَّعْيَةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ

النَّصَافِ﴾ آل عمران: ١٤

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ

وَعَشْرُونَ مِائَةً﴾ الرعد: ٢٩

﴿وَلَنُفَرِّقَنَّ بَيْنَهُمَا (أي لداود عليه السلام) ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَحْشَدْنَا

لَزُلْزِلَ وَهَيْبَتُ مِائَةٍ﴾ من: ٢٥

﴿وَإِنْ لَمْ يَلْحَظْنَا مِائَةً (أي لسليمان عليه السلام) عِندَنَا لَزُلْزِلَ وَهَيْبَتُ

مِائَةٍ﴾ من: ٤٠

﴿هَذَا ذِكْرُ وَإِنْ لِلشَّيْبَانِ مِائَتَيْنِ مِائَةٍ﴾ من: ٤٩

ب- الجحيم: بلفظ (شر مآب) في موضع واحد:

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ تَشَرَّ مِائَةٍ﴾ من: ٥٥

ولفظ (مآباً) في آية واحدة:

﴿إِنْ جَهَنَّمَ تَمَازُجٌ مِائَةٍ لِلطَّاغِينَ مِائَةٍ﴾

النبا: ٢١، ٢٢

ج- عموم من غير تحديد أريد به الله جلّ وعلا في آيتين:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا

أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مِائَةٍ﴾ الزمزم: ٣٦

﴿لَنْ يَنَالَ أَهْلَهُ إِلَى ذِكْرِ مِائَةٍ﴾ النبا: ٣٩

العائد، وفي الثاني تتم به كلاً.

٢- ويوجد في هذه المادة تداخل مع مادة «أب ب»، وهذا التداخل ملحوظ في قولهم: أبّ الرجل يده إلى قائم سيفه ليشتله، كما قالوا: أبّ. وكذلك نصّهم على الأبّ في بعض تصرّفاته يفيد نوعاً من الرجوع وضرباً من العودة، لاحظ «أب ب».

لذلك نحتمل أن أصل الجذر هو الهمزة والباء، على منتهى صلة المرء بالمآب، وهو «الأب» الذي يعود إليه الفرد حين يُنسب، ثم يتطور هذا الجذر ليصير «أب ب» بالباء المشددة، فيدلّ على الكلاً الذي تعود إليه الماشية. ثم يتطور اللفظ بفكّ تضييفه إلى الواو الوسطية، فيكون «الأوب» بمعنى الرجوع النهائي للمرء، واستقراره في مكان أو زمان. وهذه العودة النهائية نية بحسب مطلبات الزمان. فإذا أريد العودة المحددة بزمن، قيل: عاد ورجع، وإذا أريد العودة الطويلة نسبياً، استعملت «أوب».

٣- ويأتي «المآب» وكأنّه محلّ الاستقرار النهائي للمرء، مع أن صيغة «مفعّل» دلّلت على المكان طلقاً، إلا أن معنى الجذر يظلّ في المادة إشارة إلى منتهى المصير من حيث المكان، فزادت «المآب» على سائر ما جاء على وزن «مفعّل» في دلالتها على الاستقرار النهائي.

٤- ونلاحظ في هذه المادة أن المنظور فيها هو الموطن الأصلي، فلا يقال مثلاً: أبّ إلى مكة، إن لم يكن من أهلها، فإن كان من أهلها، صحّ ذلك القول. هذا على ما هو في أصل اللغة، فإذا ما خرج من ذلك، فبعد من أبواب المجاز وقضايا البلاغة الأخرى.

يلاحظ أولاً: أن سورة (ص) هي سورة المآب،
تكرار اللفظ فيها (٤) مرّات، وتليها سورة الزعد والنبأ
مرّتين في كلّ منها، ثم (آل عمران) مرّة واحدة.

ثانياً: في آيات سورة (ص) - بما فيها من نكات
بلاغية - تقابل لطيف بين المتقين والطّاعين: حسن مآب،
وشرّ مآب، وكذا في سورة النبأ: **إِلَّا أَنْ (مَأْبًا) جَاءَ فِيهَا**
مع (الطّاعين) قال (مفازاً) للمتقين: **«وَالطّٰغِيْنَ مَأْبًا»**،
«إِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ مَغَارًا» النبأ: ٢٢، ٣١.

والمقابلة بين أهل النعم وأهل المحم هي كثيرة في
القرآن، وفيها نوع موازنة بين القسريتين، وجمع بين
الإذار والتبشير، وهو أبلغ في الهداية والإرشاد.

وثالثاً: جاء التبشير بلفظ (مآب) خمس مرّات
والإنذار مرّتين، وهذا يرجع كثرة الثواب على العباد
والرحمة على النفس، والفضل على الحساب في موضع
المعاد. ويضلل روح الرجاء على المخوف وتحيي قلبه على
جانب المعاد، وهو يواكب ما ثبت أن رحمته سبقت
غضبه، وأن الله يغفر الذّنوب جميعاً.

ورابعاً: العموم من غير تحديد في الأخيرتين (وإليه
مآب) و(إلى ربه مآباً)، جاء في موضع التبشير بالخير
أيضاً، فضلاً عن تلك الخمس، مشيراً إلى الطمّوح، أو
التشجيع بالحصول على «المآب» في الآخرة، من غير
تصريح بمفهوم ذلك المآب لكنّ المفهوم أن «المآب»
ههنا هو الرجوع إليه سبحانه وتعالى، والرجوع إليه
ليس له مفهوم إلاّ الجنة، أو صاهو أسمى منها، وهو
الوصول إلى الله ورضوانه الذي هو غاية آمال السالكين
إلى الله، حيث إن الكسلة لا يطلبون من الله إلاّ الله، دون

الجنة والنعم.

وهذا نظير ما جاء في شأن «المستشهدين» في سبيل
الله: **«بَلْ أَتَيْنَا بِعَنْدِ رَبِّهِمْ يَوْمَ يُزْفَوْنَ»** آل عمران: ١٦٩،
فسيأتيهم يصلون إلى الغاية، ويحضرهم عند ربهم،
ويجلسون على مائدته من غير حجاب، وأن الله يضيئهم
عنده ويحضر منه، لا في جنة بعيدة وغائبة عنه في
حساباتنا، ولا يبلغ هذا المقام إلاّ التّقيون والعديّون
والشهداء، **«وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا»** النساء: ٦٩.

وخامساً: جاء في آل عمران (حَسُنَ الْمَأْبُ) وفي
سائر الآيات (حَسُنَ مَأْبُ)، فهاهي العلة في هذا التعريف
والشكر: وأنها أبلغ في أداء المقصود؟

يبدو أن التعريف إشارة إلى الجنة المهيّدة - بما فيها
من النعم - التي تكرر ذكرها في القرآن، في مقابل ما ذكر
في الآية من مناع القبا، فهي من هذه الناحية تشبه
التعظيم والتكريم. كما أن التكريم أيضاً يفيد التعظيم من
جهة أخرى، حيث يذهب به ذهن السامع إلى كلّ مذهب
يمكن. وربما هناك سرّ آخر يكشفه الراسخون في الأدب
القرآني.

ويعدّ التدبر توصلاً إلى أن (حَسُنَ الْمَأْبُ) في
آل عمران رُوحي فيه الرّوي؛ إذ قبله: النار، المعاد،
الأبصار، وبعد: العباد، النار، الأسفار وهكذا، وكلّها
جاءت سرّفاً بالأنف واللام، بلاتنوين.

والرّوي في سورة الزعد قبل (حَسُنَ مَأْبُ)، أنا،
وبعد: مآب، وكذلك في الآية (٢٠) من سورة (ص)،
فقبلها: أنا، وفي الآية (٤٠) من نفس السورة، فقبلها:
(يُخَيَّرُ جَنَابُ)، وبعدها: عذاب، وفي الآية (٤٨) منها

أيضاً، لبعدها بآيتين: شرابه وهي في شأن المستقين، حيث قال: «هَذَا ذِكْرُ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُشْنَ قَابٍ» ص: 2٩، ويقابله «هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ قَابٍ» ص: ٥٥. والزوي في كثير من آيات سورة (حق) وإن جاء مع الألف واللام مرّات، إلا أنه جاء أيضاً بدون الألف واللام مرّات، وقد روعي فيها التشكير في لفظ (سأب) دائماً، سواء بشأن أهل الجنة أو أهل النار. ومثلها سورة الزعد، حيث جاء فيها الزوي بصورتين إلا أن (سأب) فيها بدون الألف واللام في الموضعين، وبذلك يعلم أن (سأب) في سورة النبأ قد روعي فيه الزوي أيضاً في الموضعين.

٢- وورد فيه لفظ «الإياب» - من هذه المادة - الفاك على الرجوع النهائي في آية واحدة:

«إِنَّ إِلَهَنَا إِيَابُهُمْ» ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا جِسَابَهُمْ

والناشئة ٥٥ ص ٢٤٦
وملاحظ أنها أبلغ في التخويف والإظهار من ذكر المسحيم وما فيها، حيث قارن تعالى الرجوع إليه بالحساب عليه، مع الإتيان بالجمع بدل المفرد: (إِيَابًا)، (عَلَيْنَا)، إعظاماً للأمر، ومثلها كثير في القرآن.

والقرآن يجمع التخويف والإرجاء في مثل قوله: «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» البقرة: ١٥٦

مع أن القرآن صيغ الرجوع في مثل هذه الآيات بصيغة الإيمان، ولونه بلونه، حين عدّ «الإياب» عودة إلى الله، لا نزوحاً إلى وطن، أو رجوعاً إلى زمان، وبذلك صارت العودة النهائية إلى الربّ الجليل عودة لا عودة بعدها، ولا رجوع منها.

٢- جاء الأمر من هذه المادة (أوب) مرّة واحدة: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا مِثْقَالاً مِثْقَالاً أَوْبِي مِثْقَالَهُ وَالطُّيْرَ وَأَقْنَأَ لَهُ الْمَدِيدَ» ص: ١٠
ملاحظ أولاً: أنه قرئ (أوب)، ولم يقبلها بعض المفسرين. وكيفما يكن الأمر، فإن هذا الاشتقاق ودلالته على التسييح شيء جديد، لم تألفه العربية قبل القرآن، كما لم يذكر في أي نص من النصوص الفصحى التي ظهرت بعد القرآن الكريم. وبعبارة أخرى أن «التأويب» - بمعنى التسييح وترجييع الاستغفار والدعاء - من المفردات القرآنية الجديدة.

وثانياً: من الواضح أن ترجيع التسييح والاستغفار لم يكن مقتصراً على النبي، حيث إن الفصل لم يكن (أوب) يكون الأول، وإنما يستند بعدها، فصار معناه وددي ورجعي، ولو كان ساكن الواو، لجاز قول من قال: إنها بمعنى عودي ورجعي، وسيري معه، فلما لم يكن كذلك، صحّ رأي اللغويين والمفسرين القائلين: إنها ترجيع التسييح، ويؤيده قوله تعالى: «إِنَّا نَخْشَوُكَ الْغَبَاتَ خِفَةً يُنْشِئُ بِالْقَيْسِ وَالْإِسْرَافِ» ص: ١٨، فإنه كالبان والتفسير لقوله: «يَا جِبَالُ أَوْبِي».

وثالثاً: أنه لم يبيّن أصل منها سوى (أوب)، ويبدو أنه - وكذلك (أواب) - مما أحدثه القرآن في هذه المادة، زيادة لأصل اللفظ.

ثم جاء «الأواب» مفرداً في خمسة مواضع، و«الأوابين» جمعاً في موضع واحد: «وَصَفَا لَدُنْهُ: «وَلَذِكْرُ عِبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْإِيْدِ وَإِسْمَ أَوَابٍ» ص: ١٧

ب - وصفاً لسلطان: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ
الْعَزِيدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾
من: ٣٠

ج - وصفاً لأثيوب: ﴿إِنَّمَا وَجَدْنَاهُ حَافِياً نِعَمَ الْفَيْدِ
إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾
من: ٤٤

د - وصفاً للمؤمنين: ﴿وَأَرْسَلْنَا الْجَنَّةَ لِنَلْبِسَنَ غِيَرَهُ
بِهِمْ هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ خَبِيرٍ﴾ ق: ٣٦، ٣٧
هـ - وصفاً للطير: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهْ أَوَّابٍ﴾

من: ١٩
و - وصفاً للصالحين: ﴿وَلَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا فِي نُفُوسِكُمْ
إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾

الإسراء: ٢٥
ويلاحظ أولاً أن «الأوَّاب» بصيغة المباعدة، والجمع «الأوَّابون» للذين يكثرون من الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى عن طريق الاستغفار وكثرة الذكر، وكلها في محال الاستعانة والمستعين من الناس، سوى آية «وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً»، وستتناولها بالبحث لاحقاً.

ونعتقد أن القائلين بأن المعنى «من يرتكب الذنب ثم يتوب، ثم يرتكب الذنب ويتوب»، وأن هذا الصنف هو المقصود بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾، قد بهانوا الصواب. ونميل إلى الاعتقاد بأن المقصود أولئك الذين يكثرون من الاستغفار، باعتبارهم طريق الأوبة إليه سبحانه، متجنبين الوقوع في الإثم والذنب. وهذا هو مؤدى اللفظة من سياقاتها المختلفة، كقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ عَذَابِنَا دَأْوُ فَائِدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، فليس من المعقول أن يكون داود عليه السلام يكثر من ارتكاب الذنب، ثم يكثر من

الاستغفار، وإنما الاتيين ما قلناه.
وثانياً: قوله: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهْ أَوَّابٍ﴾ أوضح ما قلناه في معنى (أوَّاب)، حيث أن الطير تطير بعيداً عن دلو، تشرق وتغرب ثم تعود إلى، فيكثر منها ذلك، فيصير (أوَّاب) بمعنى الرجوع إلى وطنه، فكان داود عليه السلام هو الموطن الذي تعلقه الطير، فكل منها أوَّاب له.

وهذا الاستعمال أوضح الاستعمالات السابقة، إذ الطير في طيرانها لم تنحصر داود، وذلك بدليل قوله: (محشورة)، فهي مجموعة مأسورة بطاعته، لذا لا يبعد جولانها عصباناً، وإنما هي تتخذ إلى دلو سبيل العودة، ولذلك فهي رجاعة إليه، وإذا كان رجوعها مادياً، فإن الأوبة إلى الله عن طريق الاستغفار أوبة معنوية لامادية، مثلاً مثل: (أوبى منه) في غناطية الجبال. هذا ولكن قوله: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهْ أَوَّابٍ﴾ صلف من ما قبله: ﴿إِنَّمَا مَحْشُورَةً الْجِبَالُ مَحْشُورَةً بِسَافِقَتِي وَالْإِسْرَاقِ﴾، ومعناه أن الطير تسبح لله والضمير (له) يرجع إلى الله لا إلى داود، وهو أحد الوجهين في «الكشاف» وغيره. وعليه فلارجوع إلى داود، لاجسماً ولا معنواً. ويبدو «الأوَّاب» هنا بمعنى المسبح، فهو تعبير آخر عن تسبيح الجبال والطير.

وهناك قول بأن «كُلُّ لَهْ أَوَّابٍ»، أي كل من داود والجبال والطير مسبح لله تعالى، ومرجع للتسبيح، وهو الأظهر؛ إذ لا معنى لاستغفار الجبال والطير لعدم عصبانها.

وثالثاً: إذا كان المراد منه هنا الرجوع الجسدي،

منها بحمد الله وتيسيره: سبأ ﴿التَّحْسِنُ لَهُ﴾، الإسراء ﴿شَيْخَانِ الَّذِي أُتْرِيَ﴾.

وسادساً: قد جاء كلٌّ من صيغتي (أواب) و(مأب) أربع مرّات في سورة (ص)، باعتبار أن دويّ الآيات فيها (ب) في أكثر من ثلثها، أي بنسبة ٣٥ : ٨٨ من مجموع آياتها، والباقي (ن) ١٢ مرة، ثم بعض المروف الأخرى، فلاحظ. وبذلك علمنا أن ما يقرب من نصف مرّات هذه المادة جاء في سورة (ص)، أي بنسبة ٨ : ١٧، كما أن عدد مجيء (مأب) و(لأواب) في القرآن بنسبة $\frac{9}{17}$ ^{مأب} _{أواب} وسادساً: جاء (أواب) ثلثون مرة مدح مرّات وقبلها مرة واحدة:

١- صابر (يشأن أيوب) ﴿وَأَنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾، ص: ٤٤
٢- ذو الأيد (يشأن داود) ﴿وَوَدَّكُمُ هَيْدَنَّا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾، ص: ١٧

والمراد به ذو القوة، أو ذو الإحسان، مثل: له أياد.
٣- نعم العبد أو هيدناً (يشأن سليمان وداود وأيوب)،
٤- حفيظ: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾، ق: ٣٢.

وبلاحظ أنه وصف خاتم في الجميع سوى الأخير، فهو عام، فتحصل لدينا أن من كان «أواباً» في عرف القرآن، يكون صابراً قوياً في طاعة الله، محسناً إلى العباد، حفيظاً لأمر الله. وهذه الخصال مجموعها تشكل حقيقة العبودية لله، فيستحق صاحبها وصف (نعم العبد) و(عبدنا).

فالحمد كذلك، فالطير كانت تطير وتبتهج عن داود ثم ترجع إليه مراراً وتكراراً، فلاحصيان هناك، بل بعد وقرب، وذهاب وإياب بالمعنى المادي، فلاخير في عدم صدق الحصيان بالنسبة إلى الطير، أمّا إذا كان الرجوع معنوياً بمعنى الثوبة، فالحمد عصيان الله تعالى ويحد عنه كذلك. ولكنه منقّى عن داود والأنبياء ^{عليهم السلام}. وعليه فهو بمعنى المسيح مرة بعد أخرى، كما سبق.

ورابعاً: أن أكثر ورود هذه المادة كان في السور المكيّة، حيث ورد فيها ثلاثة أضعاف مرّات ورودها في السور المدنيّة تقريباً، بل لم يرد في السور المدنيّة إلا لفظا (المأب) و(مأب)، وفي سورتين اثنتين، هما آل عمران والزّمد، وليس في السورة الأخيرة ما يدلّ على أنها مدنيّة، بل فيها ما يشهد بكونها مكّيّة، وعليه فهي آية واحيدة مدنيّة في آل عمران. والمستقر له بين المدنيّة والمكيّة هو لفظ (مأب) فقط، متكرراً. ومعنى (مأب) أن استعمال هذه المادة كان شائعاً في مكة ومفهومها فيها أكثر من المدينة، ثم دخل المدينة - ولعلّه من طريق القرآن - بصيغة واحدة هي (مأب) متكرراً مرّتين، كما كان في مكة، ومعرفاً مرة واحدة فقط. والله أعلم.

وخامساً: أن معظم المادة قد ورد في السور التي تبدأ بالمحروف: آل عمران (ألم)، ص، ق، الزّمد (المر)، حيث وردت في هذه السور اثنتي عشرة مرة من المجموع الكليّ الذي هو سبع عشرة مرة، فهل في ذلك سرّاً وأما السور الأخرى التي ورد فيها الجذر، ولم تبدأ بحرف من الحروف، فقد بدأت اثنتان منها بصيغة استفهاميّة: التّأ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، النّاسية ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾، وبدأت اثنتان



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

أود

يُودُ

لفظ واحد، مرّة واحدة مدنيّة، في سورة مدنيّة

النصوص اللغويّة	البيان
الخليل والأود: مصدر أذ يؤود أودك وتقول أذنت الشدة فانا أودد أودا فانا أذ وتفسيره عجنه فاساج. [ثم]	البيان: أذنت: نحو الطبري (١٢: ٣)، والتجستاني (٢٨). أبو زيد: تأيذ أيد، إذا اشتد وعوى.
استشهد بشعر]	(الأزهري ١٤: ٢٢٨)
وتقول: أدني هذا الأمر، يؤودني أودا وأودا، إذا بلغ منك الشدة.	أدني الميثل يؤودني أودا: أنقلني، وأنا مؤود، مثال مقول. (الجهري ٢: ٤٤٢)
ويقال: أدّة الكبر، ومنه التأود وهو كالتقي والتسوج للفضيب وغيره. [ثم استشهد بشعر]	الأصمعي: أد الشد يؤود أودا، إذا خنا، وقد لقاد المود يتاد اتبادا فهو متاد، إذا تقى واحوج.
وتقول: ما أدلك فهو لي أيد، أي ما أتلك فهو لي	(الأزهري ١٤: ٢٢٨)
مُقِل.	أبو عبيد: المؤيد وزن مُعيد الأمر العظيم. وقال طرفة:
والأود: الموج، وأود يأود أودا فهو أود.	• ألت ترى أن قد أتيت بمؤيد •
وموضع بالبادية يحس أود بالشد، [ثم استشهد	وجعه غيره على مأود، جعله من أدّة يؤود أودا،
بشعر]	(٨: ٦٥)
أبو عبيد: تقول: لقد أداني هذا الأمر، وما أدلك	

[إذا أثقله، وثأؤد، إذا شقى، [ثم استشهد بشر]

(الأزهرى ١٤: ٢٢٨)

ابن الأعرابي: والمآود والموائد: الدواهي، وهو من المقلوب، ورماء بإحدى المآود، أي الدواهي.

(ابن منظور ٣: ٧٥)

ابن السكيت: آد الشيء، إذا ماله [ثم استشهد بشر]

ابن أبي اليمان: الأود: خطف الثور، يقال: أدت المود أودوه أوداً، إذا خطفته. قال الله جل ذكره: ﴿وَلَا يَأْوَدُهُ يَخْطَفُهَا﴾ البقرة: ٢٥٥، أي لا يخطفه.

(التخفيف: ٨-٣)

الزجاج: وأد الرجل: كثرت عنده آلة الحرب.

(كتاب فہم وأصله: ٥٣)

ابن قريظ: يقال: أدني الأمر يزودني أوداً، إذا جعلني. وكذلك كسر قوله جل ثناؤه ﴿وَلَا يَأْوَدُهُ﴾ يخطفها البقرة: ٢٥٥، والله أعلم.

وأد الشيء يزوده، إذا وجع، فهو آد، أي راجع.

والمزود: الداهية، [ثم استشهد بشر]

والأود: التوج، أود يأود أوداً، وأود: وإبر معروف، (١: ١٧٤، ١٧٥)

الأزهري: يقال: آد التمار فهو يزود أوداً، إذا رجع في الشيء، [ثم استشهد بشر]

ويقال: أود الشيء يأود أوداً، إذا أخرج، فهو أود.

وأود قبيلة، وأد^(١) موضع، (١٤: ٢٢٧، ٢٢٨)

البحراني: أود الشيء بالكسر يأود أوداً، أي أخرج، وثأؤد، تخرج.

يقال: ما أدكأ فهو لي آيد.

وأدة أيضاً بمعنى حناء وعطفه، وأصلها واحد.

وأد الشيء، أي ماله، [ثم استشهد بشر]

والاستياد: الاحتناء، [ثم استشهد بشر] (٢: ٤٤٢)

ابن فارس: الهزمة والواو والدال أصل واحد، وهو

الخطف والاحتناء، أدت الشيء: عطفته، وثأؤد التبت، مثل

تطف وتزوج، [ثم استشهد بشر]

ول هذا يرجع آدي الشيء يزودني، كأنه ثقل

عليك حتى ثاله وعطفك.

وأود قبيلة، ويمكن أن يكون اشتقاقها من هذا، وأود

موضع، (١: ١٥٤)

القرني: يقال: آده، إذا أثقله واشتد عليه.

وفي الحديث: «أقام الأود وشق القعدة، الأود:

التوج، وقد ثأؤد الشيء، والمعد: وزم يكون في الظهر.

(١: ١٠٧)

الطوسي: الأود: مصدر آده يزوده أوداً وإياداً، إذا أثقله وجهده.

وأدت السود فانا أودوه أوداً فانا، ومعناه عجنه

فانماج، لأنه اعتمد عليه بالثقل حتى ماله والأود.

والأوداء على وزن أضوج وضوجاء، والمعنى واحد.

والجمع: الأود بوزن التوج، وأصل الباب الثقل.

(٢: ٣١٠)

مثله الطبرسي (١: ٣٦١)، وصدر المتأخرين (٤: ١٧٦).

(١) التصحيح: أود، كما ذكره صاحب «اللسان» عن الأزهري

٧٥١٢، ويمكننا ذكره ابن قريظ وابن فارس وغيرهما.

وأدته فأناد وأودته فتأود: عطفته فأنطفت.
وأدته الأمر أودك وأودك: بلغ منه اليهود. والمآود:
الدواهي. وأد: مال ورجع. وأود: رجل. وبالضم: موضع
بالبادية.

وأود القوم: أوزهم وحشهم.

وتأوده الأمر وتأدله: ثقل عليه.

وذو أود: مرتد، تلك سبابة سنة باليمن.

(٢٨٤: ١)

الطويحي: الأود، بالفتح: القوة. والأود أيضاً:

البرج.

وأود الشيء بالكسر يأود أودك: أي أغوج. وتأود:

والأود: أي جود. ومنه «يقيم بؤدكم» أي



أمرجاءكم

وأود القوم: أوزهم وحشهم.

الأود، والأوداء: الأغوج، والقوجاء. وأدت الشدة:

عطفته.

وذو أود: مرتد من ملوك اليمن. تلك سبابة سنة.

(٦٨: ١)

النصوص التفسيرية

لأود

وبيع كريمة السموات والأرض ولأود: جفطها

البقرة: ٢٥٥

وهو الغلي العظيم.

أبن عباس: لا يمتل عليه جفطها.

منه ربيع بن أنس والفتاك. (الطبري ٣: ١٢)

ومنه السوطي (٨: ٢)، والبيضاوي (١: ١٣٣).

الراغب: أد يؤود أودك وإيادك، إذا أثقل، نحو قال
يقول قولاً. وفي الحكاية عن نفسك أدت مثل قلت،
فتحقيق أد: عوجه من ثقله في ممره. (٣٠)

الزمخشري: أد الحمل، أي أثقله. وأدت الحمل
الأرض بكثرتها. وأد الشدة: اعتمد عليه فتنا. وأناد
أنطفت. وتقول: رجعت منه بالفاكية الناد، وبالصلب
الناد. وأود الشيء وتأود وفيه أود أي عوج.

ومن الهان: أدني هذا الأمر: بلغ مني اليهود والمنفعة.

وأد الشيء: أنسى ورجع، وأد الشيء: [تم استشهد بشر]

(أساس البلاغة: ١٢)

الصفاني: تأود الأمر: إذا ثقل عليه. [تم استشهد

بشر]

ويقال: رضاء الله بإحدى المآود والمزائد. أي

الدواهي.

أود القوم: أوزهم وحشهم.

الأود، والأوداء: الأغوج، والقوجاء. وأدت الشدة:

عطفته.

وذو أود: مرتد من ملوك اليمن. تلك سبابة سنة.

(١١٢: ٢)

الرازي: أود الشيء: أغوج، وبابه طرب. وتأود:

تخرج. وأد الحمل: أثقله من باب قال. فهو مؤد بورن

(٤٤)

«مقول».

الفيومي: يؤوده أودك: أثقله فأناد. وزاد «أثقل»

أي ثقل به. وأد أودك: عطفه وحنا. (٢٩: ١)

الفيروز ايسادي: أود كخرج يأود أودك: أغوج،

والثقت أود وأوداء.

والْقُسِّي (١: ٨٤).

لا يشقه ولا يشقل عليه.

مثله الحسن، وقتادة.

(أبو حيان ٢: ٢٨٠)

ومثله الطَّبْرِي (٣: ١٢)، والحجّازي (٣: ٦).

والقاسمي (٣: ٦٦٢)، والبرّوسوي (١: ٤٠٥).

والطَّبْرسي (١: ٣٦٣).

مُجَاهِد: لا يضرُّ به أو لا يكثرُّه حفظُها. (١: ١١٥)

الحسن: لا يشقل عليه شيء.

مثله قتادة والسُّدِّي. (الطَّبْرِي ٣: ١٢)

نحوه أبو عبيدة (١: ٧٨)، والأخفش (١: ٣٧٩).

والقُرطبي (٣: ٢٧٨)، والطَّبري (غريب القرآن: ١٨٤).

والكاشاني (١: ٢٦٠).

أبان بن تغلب: لا يصاطمه حفظُها.

(أبو حيان ٢: ٢٨٠)

ابن زَيْد: لا يبرُّ عليه حفظُها. (الطَّبْرِي ٣: ١٢)

ابن قُتَيْبَة: لا يشقله حتى يؤوده، أي يثقله. (٣٣٤)

الأزهري: لا يكثرُّه ولا يشقله ولا يشقُّ عليه.

(٢٢٨: ١٤)

نحوه الزُّجَاج (١: ٣٢٨)، والسيبكي (١: ٦٩٥).

والزُّنْجَرِي (١: ٣٨٦)، والنسفي (١: ١٢٨).

والنيسابوري (٣: ١٩)، والحازن (١: ٢٢٨)، وأبو السمود

(١: ١٨٩)، والشَّريفي (١: ١٦٩)، وشَّجَر (١: ٢٦٠).

وقريد وجدي (٥٣)، ورشيد رضا (٣: ٣٣).

والنَّهْأَوْنَدِي (١: ١٧٨)، ومحمد عبد المنعم (١: ٢٥٦).

والقاسمي (٣: ٦٦٢).

أبو الفتح: (لا يؤدُّه) أي لا يجهدُه، وقيل: (يؤدُّه)

يسقطه من مثله.

(١: ٤٤٣)

أبو حيان: قرأ الجمهور أيؤوده بالهمز، وقرئ شاذًّا

بالحذف، كما حدثت همزة أناس، وقرئ أيضًا (يؤوده)

بواو مضمومة على البدل من الهمزة، أي لا يشقه ولا يشقل

عليه، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، وغيرهم.

وقال أبان بن تغلب: لا يصاطمه حفظُها. وقيل:

لا يشقله حفظ السَّهَوات عن حفظ الأرضين ولا حفظ

الأرضين عن حفظ السَّهَوات، والهاء تعود على الله

تعالى. (٢: ٢٨٠)

صدر المتألهين: لما عظم الله تعالى أمر السماء

وما فيها والأرض وما فيها سابقًا بأن نسب وأضاف ما في

كلِّ منها إلى ملكه وسلطانه، ثم عظم أمر الكرسيِّ بأنَّه

وسع السَّهَوات والأرض، إذ كما أنَّ الكرسيَّ بطبيعته

الجبسية المعددة للأمكنة والأزمنة محيط بما في داخله -

لا كمجرد إحاطة الظرف بالمظروف عمدًا كان المكان

المحاط عليه أم لا، بل بأن لا يصحَّ للمحاط عليه مكان أو

حيز أو وضع أو ما شئت فسمه إلا بسبب طبيعة جسميته

بخصوصها - فكذلك بحقيقته العقلية والنفسية، وروحه

وقلبه الذي هو مستوى الزَّحان مؤثِّرة فيها دونها من

النفوس والطَّباع الفلكية والعنصرية وملكوت العالم

السُّفلي - من الجهاد والنبات والحيوان - ولذلك تنبعت

الأرزاق والآجال من هناك وترتفع الدَّعَوات لطلب

الحاجات إلى ذاك، فأراد أن يشير إلى أنَّ ذلك لا يشقُّ

عليه ولا ينوء به، فقال: «وَلَا يَؤُدُّهُ حِفْظُهَا».

أي لا يصعب الكرسيُّ ولا يشقُّ على ظاهر حقيقته

وباطن قلبه حفظ أجسام السَّهَوات والأرض وحفظ

ورحمته على سببه بإيجاده وإقامته وحفظه وإدامته.
ثم أعلم أن العلة الفاعلية بحسب المشهور على
ضربين: أحدهما: الفاعل الذي يحتاج في فاعليته إلى
حركة وآلة وقابل - كالكاتب والبناء - ومثل هذا الفاعل
يقال له في عرف الإلهيين: «المُعَدَّة» و«المُحَرِّك»، وهي
العلة بالعرض.

وثانيهما: الفاعل الذي لا يحتاج إلى حركة وآلة
جسمانية وقابل - وهو الفاعل في عرفهم - وإن سألت
الحق فليس الفاعل بالحقيقة إلا ما هو بريء بالكلية عن
جهة الإمكان، وما هو إلا الواحد الحق، كما مرّت الإشارة
إليه.

والفاعل بالمعنى الأول فتعلقه بالمادة الجسمانية
بغيره عند تحريكه يلحقه - لاحالة - كلال وإعياء
وهو من صفات المخلوق، لأن الجسمانيات متناهية الدّوات، متناهية
والأصلوات، فصحها الكلال أولاً ثم الزوال ثانياً. وقد
صرّح بعض الحكماء بأن الفاعل الجسماني قابل في
الحقيقة لعمله لمباشرة إياه، ولما اتقوى التسالة المتقدّسة
عن شوب الأفعال للمادّي، المرتفعة عن حضيض العالم
السفلي فهي ملوثة التّغير عن حالها، ممتعة التّجبد في
ضالها، بريئة الدّوات عن الحق معنى عارض يوجب
كلالها وملاها، أو مضادّ مفد يقتضي فسادها وزوالها.
وهي وسائط فيض الحق ودوابط جوده، ومكثرت
بجهات رحمته ومفئذ شعوب فضله وجوده، فهي
بالحقيقة عباد الرحمن المؤتمرون بأمره المتزجرون بنهيه
وزجره، كما وصفهم الله تعالى بقوله: «وَلَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ

قُوسَهَا وَطِبَائِعَهَا وَصُورَهَا - إِنْ كَانَ الضَّمِير راجعاً إلى
«الكرسي» - أو لاجمعه تعالى حفظها بالكرسي على
الوجه المذكور - إِنْ كَانَ الضَّمِير راجعاً إليه سبحانه - كما
لا يؤود الرّوح الإنساني حفظ أسرار السّماوات والأرض
ومعانيها التي أودعها الله في السّرّ الإنساني بقوله تعالى:
«وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» البقرة: ٣١.

وتحقيق هذا المطلب يحتاج إلى مزيد تقرير له، ليظهر
لك بالبرهان كيفية دوام الممكن بدوام علته القيّاضة، من
غير تعب وملال وأودة وكدال، وهذا هو الذي وعدناه
أنّنا فاستمع وعيّه.

أعلم أن للحق تعالى أسماء وصفاته ولكلّ منها
بجالي ومظاهر في كلّ من العوالم، من أحصاها - أي عرفها
وعرف لوازمها وآثارها وبدايتها وغايتها - وجبت له
الجنة، وهي الكمال العلمي الرفاعي، أي العلم بمخافتي
الأشياء، كما هي عليها الموجب لمشاهدة المثل الحقيقي
والأنشراح الجنانية الموعودة - إنشاء الله - جزاء لصالح
العمل ومرضي السّمي.

فكما أن عالم المجهولات من الملائكة العقلية - بجملة
عددتها الكثيرة وضروبها التي لا يحيط بها غير الله - هو
عالم قدرة الله تعالى ومظهر جباريته، ومستوى اسم
«الجبار»، كذلك «عالم الكرسي» بجملة ما فيها من
ملكوت السّماوات والأرض «عالم رحمته» ومظهر
رحمانيته ومستوى اسم «الرحمن»، إذ برحمته قامت
السّماوات والأرض، فالكرسي صورة رحمانية الله تعالى
على الخلق، وبها يعطف بعضهم بعضاً بالترتيب الحكيم
والنظم السّبي والمستبي، فلكلّ سبب خاص عطفة

عَالَمَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» التحريم: ٦.

يختلف الفاعل بالمعنى الأول، فإنه لوقوعه في عالم الأضداد وتصادم صور المواد ربما يحوق عن فعله المقصود مانع، ويقطع عن طريقه المصمود إليه لقاطع.

وإن أردت زيادة التوضيح فقد أودع الله تعالى في نفسك هذين الضربين من التأثير، أي الإبداع والتحريرك، وهو المسمى بالإحداثيات أيضاً، لأنَّ الحدوث يعرض الحركة بالذات ولما يقرنه بالعرض.

فـ«الإبداع» إيجاد شيء، لا عن شيء، ومثاله فيك تصورك للأشياء بقوتك المصورة ومثلها بين يديك في عالمك الخاص، على وجه يكون وجودها لك نفس مشاهدتك إياها، و«الإحداثيات» هو جعل الشيء محيطة ومثاله فيك تكلمك وكتابتك بآلات وأسباب غيرها.

ففي الضرب الأول لا يصرف منك شيء إلى شيء، وفي الثاني يصرف منك المادة والآلة والزمان والقوة شيئاً فشيئاً، ليحصل منه المفعول تدريجاً، ويكمل عند انقضاء الحركة والزمان، وهما مقدار خروج المادة إلى الفعل، وتوجه القوة والآلة نحو الكمال، تقريباً إلى المبدئي القمّال.

فإذا علمت هذين الضربين من الفاعلية، وعلمت خصوصية كلّ منها واستيازه عن صاحبه بخصوصه ولوازم، ظهر لك أنَّ القصد والمشقة والأودة لا يمرض إلاَّ تفاعل جسماني لا يفعل إلاَّ بأن يفعل ويتحرك من حال إلى حال، ويكون فاعليته على سبيل المباشرة.

وأما الذي فاعليته شيء بحيث إذا أراد أن يقول له:

«كن» فيكون، أي يكون مجرد إرادة الفعل منه، مقتضياً لحصول فعله من غير أمر زائد، يكون متوسطاً بين فعله - كإيجاده تعالى عالم الأمر - أو يكون الوسط حاصلًا بأمره من غير مدخلية مادة واستعداد وحركة - كإيجاده لمواهب السماوات والأرض بواسطة أمره - أو مع مدخليةها - كإيجاده حوادث الفلكية والأرضية بإفادة الأسباب وإفخاضة الاستعدادات والحركات، من غير تعبر فيه تعالى، وإليه أشار بقوله سبحانه: «وَلَا يَزِيدُهُ جُنُودُهُمْ» أي لا يمتد به إدامة جواهر مافي السماوات والأرض - هنا إذا كان الضمير للمفعول كناية عن تعالى، ولنا إذا كان راجعاً إلى «الكرسي» فالحكم بدم عروض القصد والمشقة ثابت للكرسي، لأنه بحقيقته وذاته من وسائل جوده تعالى وربانيته وجهات كرمه ورحمانيته التي لا يبد ولا تنقص أبداً، فلا يلحق له مشقة ونقص، وإنما يحصل له فاستعمال حصوله للحق بالطريق الأول.

وبالجملة كلّ ما هو علّة لشيء بالحقيقة - لا بحسب القر للإعداد والاستعداد - فيكون المعلوم من تواجذاته ورسعات وجوده بمنزلة الظلّ للشخص، فكما لا يشغل ولا يشقّ وجود الظلّ على الشخص واستتباعه إياه، فكذلك المعلوم بالقياس إلى ما هو علّة له بالذات، وهذه الأسباب التي يظنّ الناس أنّها علّة إنما يزودها وجود ما ينسب إليها، لأنّها ليست عللاً بالحقيقة، بل بحسب المجاز، وما هو علّة بالحقيقة لا يلحقه الفتور في تأثيره، اللهم إلاَّ أن يكون بحسب نفس الأمر ناقصاً ضعيف الوجود.

عليه، إلى غيرها مما جاء في التفسير.

٢- والقمل يعمل البعدين: القمل المادّي والمعنوي.
 إلّا أنّ الجانب الحسّي فيه أقرب: لأنّ السماوات والأرض
 بمسوتان كما أنّ الجانب للمعنوي أنسب - وهو منّي عنه
 - بساحته تعالى، فإنّ صغير المفعول به (يؤدّ) يرجع
 إليه، ولا يخلو أحد مها كان بعيداً عن معرفته تعالى نسبة
 القمل المادّي إليه.

٣- والفعل المضارع النقي (لَا يَزِيدُ) يُعْطِي مَدًّا زَمَنِيًّا
لَا حُدُودَ لَهُ، فَإِنَّ الْآيَةَ بِكَامِلِهَا وَأَجْزَائِهَا الْمُتَرَابِطَةِ
الْمُتَكَامِلَةِ بِصَدَدِ بَيَانِ سَيِّطَرَتِهِ الْقِيُومِيَّةِ عَلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ،
فَلَا شَيْءَ خَارِجَ الْإِرَادَةِ وَالْقِيُومِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ يَخْلُفُ بِالنِّقَاطِ
أَوْ يَجْهَدُ الْهَارِي جُلًّا جَلَالَهُ مِنْ نَاحِيَةِ الْحَالِ أَوْ الْحَفْظِ.
لَا سَمِيًّا أَنَّهُ وَجِيفَ قَبْلَهُ بِأَنَّهُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا تَوَمٌ،
وَأَنَّهُ عَالَمٌ مُحِيطٌ بِالْعَالَمِ وَبِالْإِنْسَانِ. وَمِنْ هُنَا يَجِدُ الذَّوْقُ
الْمُتَعَلِّقَ الْمَشْرِفَ أَنَّ (لَا يَزِيدُ) جَاءَتْ عَلَى أَنْسَبِ
مَا يَكُونُ، وَلَا يَكُنْ رُفْعًا وَلَا حَذْفًا وَلَا تَبْدِيلًا مِنْ لَفْظِ
آخَرٍ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ الصِّفَاتُ وَمِنْ جِهَتِهَا «لَا يَزِيدُ»
جِغْلُفَتُهُمَا مِنْ لَوَازِمِ حَيَاتِهِ الْقِيُومِيَّةِ وَيَسْتَحِيلُ
تَضَاكُكُهَا عِنْدًا.

وقوله في ذيل الآية: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، فيه تناسب مع ﴿الْمَلِكُ الْقَيُّومُ﴾ في أول الآية، والصفات الأربع حذتن لسائر الصفات التي ذكرت في الوسط. على أنسب وجه في الترتيب والتوالي.

١- ثم إن اختصاص النبي بحفظها من دون خلقها لا يعني طبعاً أن خلقها يؤد، بل هو إشارة إلى أحد الأمرين:

آداء الميسل، أي أنقله ثم استعمل مجازاً في «التفعل
اللعنوي»، فيقال: آدني هذا الأمر، أي بلغ مني الجهد
والمشقة.

٢- وثمّا كان من مظاهر الثقل والإثقال الضنك والتعب والاعوجاج ونحوها أصبح الأول يُطَي معنى الاعوجاج والمطف - لو لم يكن أصلاً له - والرجوع، يقال: يُقيم أودنا، أي يعدل اعرجاجنا، ومن مظاهر هذا التطور أن «المأودة» بمعنى الإثقال أصبحت تعني التواهي والأمور المنظمة التي يشق تحملها.

٣- والفعل: لَوْدَ يَأْوُدُ لَوْدًا، وقد يُقلب الواو همزة،
فيقال: لَوْدٌ، ثم أُدغمت الهمزتان، أو اعتلّ اللواو مثل: قَوْلٌ
وقال نصار «آدَة». ولعلّ وآدَ - بمعنى دفن من كان هياكله
مقلوب «آدَة» أو بالعكس، لأنّ «الوَاد» هو الإصحاح
بالتراب.

ويبدو أنَّ هناك علاقة أيضًا بين التَّجَلُّدِ الْقُرْبَانِيَّةِ و«وَأَذَّةٍ فِي النَّفْسِ» (أذَّةٌ، فالأذُّ هو القوةُ والأمرُ المجهِبُ والعَظِيمُ المنكَرُ، والسَّدَّةُ والغَلْبَةُ والدَّاهِيَةُ، وهي معاني قُرْبِيَّةٌ من معنى التَّضَلُّعِ). كما أنَّ لها جميعًا علاقةً باليدِ - وأصلها يدو - وهي مظهرُ القُوَّةِ والثَّابِتِيَّةِ، والعملُ المستمرُّ المُجْهِدُ.

الاستيعاب القرآني

١- جاء في التنزيل في سياق وصف الله: بالحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وأن له ما في السموات والأرض، ووسع كرسيه السموات والأرض ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُنَّ﴾ أي لا ينفذه ولا يجهد ولا يشق عليه ولا يمز

الأول: إن كان لا يؤده حفظها فخلقها أول بذلك.
لأن قدرة الخلق أشد من الحفظ.

الثاني: أن الناس حينما يرون السماء والأرض قائمتين يتصورون أن من يحفظها سوف ينوء بحملها؛ فبنى الله ذلك إشعاراً بأن قدرته لا حد لها، فهو قدير دائماً وصفة. ومن هنا نستحسن كون هذه الصفة ومقابلها وما بعدها شرحاً وتفسيراً لقوله في صدر الآية: ﴿قَوَّاهُ الْحُسْبُومُ﴾ لاحظ كلام صدر المتأخرين في التفسير التفسيري وتأمل فيه.

٥ - ولعلّ مجيء هذا اللفظ مرة واحدة بمصيغة المضارع المنّي في القرآن إشارة إلى أن الأمر مؤكد ثابت ودائم لا يحتاج إلى تكرار، ولا ينهي لأحد نسبته إلى الله.

كما أن الماضي في ﴿لَنْ أُنْزِلَ إِلَهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ التحل: ١، يُطغى التأكيد في مجيء القيامة كأنها واقعة ولا ينبغي التزبب فيها.

٦ - وكما أن الغفلة القليلة منية عن الله، فكذلك الحفظ مضمون لا يقتل عليه، ولأن الحفظ - كما مر - أسهل من الإيجاد من العدم، والثقة أقل من التوهم.

وهذا تناسب لطيف في الآية يشير إلى حسن الختام، فبني الغفلة معها قلّت في أول الآية يناسب دوام حفظ السماوات والأرض، وعدم التوهم بحملها في آخر الآية. كما أن عدم الإحياء بحفظها في آخر الآية يناسب القيومية في أولها.

www.KitaboSunnat.com



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

آل

لفظ واحد، ٢٦ مرة: ١٥ مكية، ١١ مدنية
في ١٤ سورة: ١٠ مكية، ٤ مدنية

التخصص اللغوي

الخليل: الآية السابعة

وآل الرجل: ذواته، وأهل بيته.

وآل البحر: ألواحه، وما أعرف من أقطار جهنم

[ثم استشهد بشر]

وآل الخيمة: عتدها.

وآل الجبل: أطرافه ونواحيه. (٣٥٩: ٨)

الضبي: قالت العرب: الأك، مذ غداة إلى ارتفاع

الضبي الأعلى، ثم هو سراب سائر اليوم.

(الأزهرى ١٥: ١٤٠)

الكسائي: تصغير آل: أول.

(الأزهرى ١٥: ٤٣٨)

الشافعي: إنه مثل عن قول النبي ﷺ اللهم صل

على محمد وعلى آل محمد من آل محمد؟

بن قائل: آله: أهله وأزواجه، كأنه ذهب إلى أن

الرجل يقال له: آل؟ أهله؟ لا، وإنما يعني أنه ليس

له زوجة

وهذا معنى يحتمله اللسان، ولكنه معنى كلام

لا يحرف إلا أن يكون له سبب من كلام يدل عليه؛ وذلك

أن يقال للرجل: تزوجت؟ فيقول: ما تأملت، فيعرف

بأول الكلام أنه أراد: ما تزوجت، أو يقول الرجل:

أجبت من أهلي، فيعرف إن الجناية إنما تكون من

الزوجة.

فإنما أن يبدأ الرجل فيقول: أهلي بهذا كذا فأنما أזור

أهلي، وأنا كريم الأهل، فأنما يذهب الناس في هذا إلى:

أهل البيت له.

وقال قائل: آل محمد: أهل دين محمد.

ومن ذهب إلى هذا أشبه أن يقول: قال الله

لنوح ﷺ: ﴿قُلْنَا اهْبِطْ بِهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ

وَأَخْلَقْنَا هُودَ - وقال نوح: ﴿رَبِّ إِنِّي أَنْتَبِي مِنْ

أَهْلِي» هود: ٤٥، فقال تبارك وتعالى: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» هود: ٤٦، أي ليس من أهل دينك.

والذي نذهب إليه في معنى الآية: أن معناه إنه ليس من أهلك الذين أمرناك بمثلهم معك.

فإن قال قائل: وما دل على ذلك؟

قيل: قوله: «وَأَهْلُكَ إِلَّا مَنْ تَبَعَ عَلَيَّ الْقَوْلُ»

هود: ٤٠، فأعلمه أنه أمره بأن يحمل من أهله من لم يتبع عليه القول من أهل المعاصي، ثم بين ذلك فقال:

«إِنَّهُ عَمَلٌ خَيْرٌ صَاحِبٌ» هود: ٤٦.

ونذهب ناس إلى أن «آل محمد» قرابته التي يتفرّد بها دون غيرها من قرابته.

وإذا عدّ آل الرجل: ولده الذين إليه نسبهم، وحن يكوّبه بيته من زوجة أو مملوك أو مول أو أحد صبيته حياله، وكان هذا في بعض قرابته من قتل أبيه دون قرابته من قتل أمه، لم يجوز أن يستدل على ما رواه الله من هذا من رسول، إلا بسنة رسول الله ﷺ.

فلما قال: إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، دل على أن «آل محمد» هم الذين حرّمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها الخمس، وهم صليبة بني هاشم، وبني المطلب، وهم الذين اصطفاهم الله من خلقه بعد نبيه ﷺ.

(الأزهرى ١٥: ٤٣٨)

أبو عمرو الشيباني: الأكل: الشخص. والأكل:

الأحوال، جمع آلة. والأكل: الشراب.

والآل: الخشب المهرّد. ومنه قوله:

«أَلْ هَلْ آلٍ تَحْتَلْ آلَا»

للأكل الأول: الرجل، والثاني: الشراب، والثالث:

الخشب. (الأزهرى ١٥: ٤٣٨)

الأهْلُ: لُتَا «آل» فإثنا تحسن إذا أُضيفت إلى

اسم خاص نحو: أُتيت آل زيد وأهل زيد، وأهل مكة، وآل مكة، وأهل المدينة وآل المدينة، ولو قلت: أُتيت آل الرجل وآل المرأة لم يحسن، ولكن: أُتيت آل الله، وهم زعموا أهل مكة.

وليس «آل» بالكثير في أسماء الأرضين، وقد سمعنا من يقول ذلك. وإنما هي حمزة أبدلت مكان الهاء مثل هيات وأبيات. (١: ٢٦٥)

ابن السكيت: الأكل: الذي يرفع الشخص، وهو يكون بالضمي. والشراب: الذي يجرى على وجه الأرض كأنه الماء، وهو يكون نصف الثمار.

(الأزهرى ١٥: ٤٤٠)

ابن قتيبة: الشراب: ما رأته من الشمس كالماء تحت النهار. والأكل: ما رأته في أول النهار وآخره، الذي يرفع كل شيء. (٣٠٥)

المُبَرَّه: إبعاد قول الكسائي: تصغير آل على «أويل قال».

فقد زالت تلك الصلة وحسار «الأكل» و«الأهل» أصلين لمعينين، فيدخل في الصلة كل من أتبع النبي ﷺ قرابة كان أو غير قرابة. (الأزهرى ١٥: ٤٣٨)

لقطب: اختلف الناس في «الأكل»، فقالت طائفة: آل النبي: من أتبعه، قرابة كان أو غير قرابة، وآله: ذو قرابته متبعا كان أو غير متبع.

وقالت طائفة: الأكل والأهل واحد.

واحتجوا بأن «الأكل» إذا صغر قالوا: أهيل، فكان

الهمزة ماء، كقولهم: حَقَرْتُ الثوب وأثَرْتَهُ إِذَا جُعِلَتْ لَهُ
عَلَمٌ. (الأزهري: ١٥: ٤٢٨)

الطَّبْرِي: أصل آل: أهل، أهدت الماء همزة، كما
قالوا: ماء، فأبدلوا الماء همزة، فإذا صغروه قالوا: صغره،
فردوا الماء في التصدير، وأخرجوه على أصله، وكذلك إذا
صغروا «آل» قالوا: أهيل. وقد حكي سماعاً من العرب في
تصغير آل: أوليل. وقد يقال: فلان من آل النساء، يراد به
أنه منهن خليف، ويقال ذلك أيضاً بمعنى أنه يريدهن
وجوهن، [ثم استشهد بشعر]

وأحسن أماكن «آل» أن يُطلق به مع الأسماء
المشهورة، مثل قولهم: آل النبي محمد ﷺ وآل علي، وآل
عباس، وآل صفيل وغير مستحسن استعماله مع
الجهول، وفي أسماء الأرضين ومائشبه ذلك، غير حسن
عند أهل العلم بلسان العرب أن يقال: رأيت آل الرجل
ودآني آل المرأة ولا رأيت آل البصرة، وآل الكوفة
وقد ذكر من بعض العرب سماعاً أنها تقول: رأيت آل
مكة وآل المدينة، وليس ذلك في كلامهم بالمحصل
القاضي. (١: ٢٧٠)

ابن قُويَّة: الأكل: الشراب، وآل كل شيء: شخصه
وآل الرجل: أهله وقرباه. [ثم استشهد بشعر]

(١: ١٨٩)
الأزهري: قال الأصمعي: الشراب والأكل واحد.
وخالفه غيره، فقال: الأكل: من الضمى إلى زوال
الشمس، والشراب: بعد الزوال إلى صلاة العصر.

واحتجوا بأن «الأكل» يرفع كل شيء حتى يصير له
آل، أي شخص، وآل كل شيء: شخصه. ولأن الشراب:

ينفض كل شيء فيه حتى يصير لاصقاً بالأرض،
لا يخص له. [وقال بعد نقل قول ابن السكيت المتقدم:]
وعلى هذا رأيت للعرب في البداية وهو صحيح،
سمي: شرباً، لأنه كالماء الجاري. (١٥: ٤٤٠)
البحراني: آل الرجل: أهله وعياله، وآله أيضاً:
أتباعه

والآل: الشخص، والأكل: الذي تراه في أول النهار
وآخره، كأنه يرفع الشخص، وليس هو الشراب.

(٤: ١٦٢٧)
ابن فارس: آل الرجل: أهل بيته، لأنه إليه مآله
والسهم مآله.

آل الرجل: شخصه، وكذلك آل كل شيء، وذلك
أنهم يسمون عنه بآله وهم عشيرته، يقولون: آل أبي
بكر، وهم يريدون أبا بكر، وفي هذا فُسُوس قليل.

(١: ١٦٦)

أبو جلال: الفرق بين الشخص والأكل: أن «الأكل» هو
الشخص الذي يظهر لك من بعد، شبه بالأكل الذي يرتفع
في الضحاري وهو خير الشراب. وإنما «الشراب»
سبغة تطلع عليها الشمس فتبرق كأنها ماء، والأكل:
شخص ترتفع في الضحاري للتأخر وليست بشيء.
وقيل: «الأكل» من الشخص مالم يشبه، وقال بعضهم:
«الأكل» من الأجسام ما طال، ولهذا سمي الخشب آلاً.

(١٣١)

الفرق بين الأهل والأكل: أن «الأهل» يكون من جهة
النسب والاختصاص، فمن جهة النسب قولك: أهل
الرجل: لقربته الأدين، ومن جهة الاختصاص قولك:

أهل البصرة وأهل العلم، والأك: خاصة الزجل من جهة القربة أو المتحبة تقول: آل الزجل، لأهله وأصحابه، ولا تقول: آل البصرة وآل العلم، وقالوا: آل فرعون: أتباعه، وكذلك آل لوط.

وقال المبرد: إذا صغرت العرب «الأك» قالت: أخيل، فيدل على أن أصل الأك: الأهل. وقال بعضهم: الأك: عيدان الخيمة وأعمدتها، وآل الزجل مشبهون بذلك لأنهم معتمده، والذي يرفع في الصحاري آل، لأنه يرتفع كما ترفع عيدان الخيمة، والشخص: آل، لأنه كذلك.

الفرق بين الأك والعرة: لأن «العرة» على ما قال المبرد: النصاب، ومنه عرة فلان، أي منصبه، وقال بعضهم: العرة: أصل الشجرة الباقي بعد قطعها، قالوا: عرة الزجل: أصله. وقال غيره: عرة الزجل: أهلها، ويترأها به الأدنون، واحتجوا بقول أبي بكر بن محمد بن عرة رسول الله ﷺ، يعني قريشاً، فهي مفارقة للآل على كل قول، لأن «الأك» هم الأهل والأتباع، و«العرة» هم الأصل في قول، والأهل ومنو الأسماء في قول آخر.

ابن سيدة: الأك، هم من الزجل: قومه الذين يؤول إليهم، وأصله: أهل، وتصغيره «أخول» أو «أويل».

الشراب: الذي يكون نصف النهار، لاطناً بالأرض لاصقاً بها كأنه ماء جار، والأك: الذي يكون بالضم يرفع الشخص ويدهاها كالملايين السماء والأرض.

وقيل: الأك والشراب واحد، وقيل: الأك: من

الضمي إلى زوال الشمس، والشراب: به الزوال إلى صلاة العصر، ويسمى الشراب شراباً لأنه يسرب سروباً، أي يجري جرياً، ويرفع الأك كل شيء حتى يصير آلاً، أي شخصاً. (الإصحاح ٢: ١٠٥١)

آل الزجل: أهله، وآل الله وآل رسوله: أوليائه، أصلها «أهل» ثم أبدلت الهاء همزة، فصارت في التقدير «آل» فلما تولت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً، كما قالوا: آدم وآخر، ولي الفصل آمن وآزر.

فإن قيل: ولم زعمت أنهم قلبوا الهاء همزة، ثم قلبوها بها بعد، وما نكرت من أن يكون قلبوا الهاء ألفاً في أول الحال؟

الجواب: أن الهاء لم تقلب ألفاً في غير هذا الموضع، بل قلبت هذا هنا عليه، فعمل هذا أبدلت الهاء همزة، ثم أبدلت الهمزة ألفاً، وأيضاً فالألف لو كانت منقلبة عن أصلها لم تكن منقلبة عن الهاء على ما قد ساء لجاز أن تستعمل آل في كل موضع يستعمل فيه أهل، ولو كانت ألف آل بدلاً من هاء أهل لقيل: انصرف إلى آل، كما يقال: انصرف إلى أهلك، وآلك والليل كما يقال: أهلك والليل، فلما كانوا يفتشون بالأك الأعراف الأعرض دون الشائع الأعم حتى لا يقال إلا في نحو قولهم: القراء آل الله، والهمزة على حمزة وعلى آل حمزة هو وقال زجل مؤمن من آل فرعون المؤمن: ٢٨، وكذلك ما أنشد أبو العباس المبرزقي:

تجسوت ولم تكن عليك طلاقاً

يؤى ربي التفرغ من آل أعوجا

لأن أعوج فيه: فرس مشهور عند العرب، ولذلك

قال: آل أصوح، ولا يقال: آل الخياط، كما يقال: أهل الخياط ولا آل الإسكاف، كما يقال: أهل الإسكاف، دل على أن الألف ليست فيه بدلًا من الأصل، إنما هي بدل مما هو بدل من الأصل، فجرت في ذلك مجرى التاء في القسم، لأنها بدل من الواو فيه، والواو فيه بدل من الياء، فلما كانت التاء فيه بدلًا من بدل وكانت فرع الفرع اختصت بأشرف الأسماء وأشهرها وهو اسم الله، فذلك لم تغفل: تزييد ولا تاتيتو، كما لم تغفل: آل الإسكاف، ولا آل الخياط، فإن قلت: فقد قال بشر:

لَمَّا تَزَكَّ مَا يَطْلُبُ مِنْ آلِ نَحْتِ

ولكنما يطلبن قيسًا ويشكرًا

لقد أضافه إلى نعمة، وهي نكرة غير مخصوصة، ولا مشروطة، فإن هذا بيت شاذ، هنا كله قول ابن جرير قال: والذي العمل عليه ما قدمناه، وهو رأي الأخفش.

فإن قلت: أليس تزعم أن الواو في والله بدل من الواو في ياءه، وأنت لو أضمرت لم تغفل: «وه» كما تقول: «به» لأهلن» فقد تجد أيضًا بدل لا يقع موقع المبدل منه في كل موضع، فاستكر أيضًا أن تكون الألف في آل بدلًا من الهاء، وإن كان لا يقع جميع مواقع أهل؟

فالجواب أن الفرق بينهما: أن الواو لم تمتنع من وقوعها في جميع مواقع الياء، من حيث امتنع وقوع آل في جميع مواقع أهل، وذلك أن الإظهار يرد الأسماء إلى أصولها في كثير من المواضع، ألا ترى أن من قال: أعطيتكم درهمًا، فحذف الواو التي كانت بعد الميم وأسكن الميم، فإنه إذا أضمر الدرهم قال: أعطيتكموه، فرد الواو لأجل اتصال الكلمة بالمضمر، فأما ما حكاه

يونس من قول بعضهم: أعطيتكموه فسادًا، لا يقاس عليه منه عادة أصحابنا، فلذلك جاز أن يقول: عيم لأقدمن، وبك لأحلفن، ولم يميز أن يقول: «وه» ولا «وه»، بل كان هذا في الواو أخرى، لأنها حرف منفرد، فضعف عن القوة، وعن تصرف الياء التي هي أصل، وأنت ممنوع من استعمال آل في غير الأشهر الأخص، وسواء في ذلك أضفته إلى مظهر أو أضفته إلى مضمر.

فإن قيل: أليس تزعم أن التاء في قوذج بدل من واو، وأن أصله قوذج، لأنه قوخل من الوئوج، ثم إنك مع ذلك قد تجدهم أبدلوا الدال من هذه التاء، فقالوا: دؤوذج، وأنت مع ذلك تقول: قوذج في جميع المواضع التي تقول فيها: قوذج كان الدال مع ذلك بدلًا من التاء التي هي بدل

فالجواب عن ذلك: أن هذه مخالطة من السائل، فالجواب أن الدال كان له به تعلق، وكانت تختص زيادة، فأما وهم لا يقولون قوذج أبته، كراهية اجتماع الواوين في أول الكلمة، وإنما قالوا قوذج، ثم أبدلوا الدال من التاء المبدلة من الواو فقالوا: دؤوذج، فإِنما استعملوا الدال مكان التاء التي هي في المرتبة قبلها تليها، ولم يستعملوا الدال موضع الواو التي هي الأصل، فصار إبدال الدال من التاء في هذا الموضع كإبدال الهزة من الواو في نحو: أفتت، وأجوت، لقربها منها، وأنه لا منزلة بينها واسطة.

وكذلك لو عارض معارض يمنية - تصغير هنة -

بشر [أول أن قال]

والأشهر في «آل» أن يضاف إلى الأسماء لا إلى
البقاع والبلدان وقد يقال: آل مكة وآل المدينة.

(١٣٩: ١)

الطبرسي: الآل والأهل واحد.

قيل: أصل آل: أهل، لأن تصغيره «أهليل» وحكى
للجسائي «أزليل» فزعموا أنها أبدلت، كما قالوا: حيات
وأحيات، وقيل: لا، بل هو أصل بنفسه.

والفرق بين الآل والأهل: لأن الأهل أعم منه، يقال:
أهل البصرة، ولا يقال: آل البصرة. ويقال: آل الرجل:
قومه وكل من يزول إليه بنسب أو قرابة، مأخوذ من
«الأول» وهو الرجوع، وأهله: كل من ينسب إليه. وقيل:
آل الرجل: قرابته وأهل بيته.

قال أبو حمزة: سمعت أضراباً ضيقاً يقول: أصل
مكة، آل الله، قلنا: ما معنى ذلك قال: أئمه مسلمين؟
المسلمون آل الله، قال: وأما يقال: آل فلان للرئيس
المتبع، وفي شبه مكة لأنها أم القرى، ومثل فرعون في
الضلال والنجار قوم له، فإذا تجاوزت هذا فإن آل الرجل
أهل بيته خاصة قلنا له: أفيقول لقبيلته آل فلان؟ قال:
لا، إلا أهل بيته خاصة.

(١٠٤: ١) ابن الأثير: [بعد نقل حديث الصدقة قال]

ومنه الحديث: «لقد أعطي مزماراً من مزامير آل
داود» أراد من مزامير داود نفسه، و«الآل» حلة زائدة.
وفي حديث عيسى بن ساعدة: «فطمت مهنها وآلا»
فالآل الآلة: الصراخ، والمهنة: القفر.

(٨١: ١)

الطبرسي: الآل: أهل الشخص، وهم ذوو قرابته.

وقد أطلق على أهل بيته وعلى الأتباع، وأصله عند
بعض «أول» تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلت ألفاً مثل
«قال».

قال البطلاني في كتاب «الانصاف»: ذهب
الجبائي إلى منع إضافة «آل» إلى المضر، فلا يقال: آل.
بل أهله، وهو أول من قال ذلك وتبعه النحاس
والزبيدي وليس بصحيح، إذ لا قياس بمضد، ولا سماع
يؤكد.

قال بعضهم: أصل الآل: أهل، لكن دخله الإبدال
واستدل عليه بمود الهاء في التصغير، فيقال: أهليل.

الآل: الذي ينسب إليه الشراب يدكر ويؤنث. (٢٩: ١)
الشمس: إسماعيلي، الآل: ما أشرف من البعير
والشراب، أو خاص بما في أول النهار ويؤنث، والمنسب
والشخص وضد الحية كالآلة، الجمع: آلات. وجبل
وأطراف الجبل ونواحيه. وأهل الرجل وأتباعه
وأولياؤه.

ولا يصل إلا فيما فيه شرف خالفاً، فلا يقال: آل
الإسكافه كما يقال: أهله.

وأصله: أهل، أبدلت الهاء همزة فصارت «آل»
نقلت همزتان فأبدلت الثانية ألفاً، وتصغيره: أوليل
وأهليل.

(٣٤٩: ٣) الطبرسي: آل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق
وأولادهما.

وآل عمران: موسى وهارون ابنا عمران بن بصير.
وفي الحديث: «لا تحل الصدقة لمحمد وآل محمد»
وسئل الصادق عليه السلام عن الآل؟ فقال: ذرية

محمَّد ﷺ فقيل له: من الأهل؟ فقال: الأئمة ﷺ.

وفي «معاني الأخبار»: مثل عن آل محمَّد؟ فقال ﷺ: ذُرِّيَّتُهُ، فقيل: ومن أهل بيته؟ قال: الأئمة ﷺ. قيل: ومن عقرته؟ قال: أصحاب المياد، وقيل: من أُمَّتِهِ؟ قال: المؤمنون.

وعن بعض أهل الكنان في تحقيق معرفة «الآل» أن آل النبي ﷺ كلٌّ من يؤول إليه، وهم فسيان الأول: من يؤول إليه مآلاً صورياً جسيماً كأولاده، ومن يحدوحدوهم من أقاربه الصوريين، الذين يحرم عليهم الصدقة في الشريعة الحديثة.

والثاني: من يؤول إليه مآلاً معنوياً وروحانياً، وهم أولاده الروحانيون من العلماء الزاهدين والأولياء الكاملين والمكفاء المتأهلين المقربين من مشكاة المصابيح... إلى أن قال: ولا شك أن النسبة الثانية أكد من الأولى وإذا اجتمعت النسبتان كان نوراً على نور. والأئمة المشهورين من العترة الطاهرة.

ثم قال: وكما حرم على الأولاد الصوريين الصدقة الصورية كذلك حرم على الأولاد المعنويين الصدقة المعنوية، أعني تقليد النير في العلوم والمعارف.

وآل حم: سور أولها «حم» أو يراد نفس «حم». وآل أصله «أهل» قلبت الهاء همزة بدليل «أهل» فإن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها. (٥: ٣١٢)

الأكوسي: «الآل» قيل: بمعنى الأهل، وإن أنه بدل من هام، وإن تصغيره «أهل»، وبعضهم ذهب إلى أن أنه بدل من همزة ساكنة، وتلك الهمزة بدل من هام. وقيل: ليس بمعنى الأهل، لأن الأهل للقرابة والأك من

يؤول إليك في قرابة أو رأي أو مذهب، فألفه بدل من ولو ولذلك قال يونس في تصغيره: أويل، ونقله الكيساني نقلاً عن العرب.

وروي عن أبي عمرو غلام ثعلب: أن الأهل: القرابة كان لها تابع أو لا، والأك: القرابة بتابعها، فهو أخص من الأهل، وقد خُصَّره أيضاً بالإضافة إلى أولي المخطر، فلا يضاف إلى غير القلاء ولا إلى من لا خطر له منهم، فلا يقال: آل الكوفة ولا آل الحجاز. وزاد بعضهم اشتراط التذكير فلا يقال: آل فاطمة. ولعل كسر ذلك أكثرى. وإلا فقد ورد على خلاف ذلك كآل أعوج - اسم فرس - وآل المدينة، وآل نعم، وآل العليب، وآل...

ويستعمل غير مضاف كهم خير آل. ويجمع كأهل. فقال آلون.

مجتمع اللغة: آل الرجل: أهله. وخص «الآل» مجتمعة إلى أعلام الناطقين دون التكررات ودون الأزمنة والأمكنة، كما غلبت إضافته إلى ما فيه الشرف، فلا يقال: آل الإسكاف. (١١: ٦٨)

المصطفوي: الظاهر أن هذه الكلمة مشتقة من «الأول» بمعنى الرجوع، ولحاظ هذا المعنى كُطلق على هذه يرجع نسبهم أو عتوانهم أو طريقتهم أو دينهم إلى شخص، فضاف إليه، فيقال: آل يعقوب، آل النبي، آل فرعون، آل موسى.

ويختلف مفهومه سعة وضيقاً باختلاف هذه النسبة، وقد يتعين مفهومه بالقرائن كلاً ما أو مقاماً أو خارجياً «فأعجبناكم وأعزجتنا آل فرعون» البقرة: ٥٠، أي من يشبهه وسينه. «وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسَّيِّئِ»

الأهرام: ١٢٠، أي رعيته التابعين له.

وكذلك من جهة سمة المفهوم «كذاب آل يزعمون
والذين من قبلهم» الأنفال: ٥٢. «فقد أتينا آل إبراهيم
الكتاب والحكمة» النساء: ٥٤.

ثم بعد ذلك، قوله تعالى: «فيه شكيمة من ربكم
وتبوء بها ترك آل موسى وآل هرون» البقرة: ٢٤٨.
ولا يمد أن تقول: إن القدر المسلم من مفهوم «الأك»
هو أهل بيت الرجل، ثم يوسع بالقرآن فيطلق على ذوي
قربته، ثم يوسع فيطلق على مطلق الأتباع له. فالتوسعة
مستحاجة إلى القرينة، فإذا لم تكن قرينة في المورد فيحمل
على القدر المتيقن.

اللهم صل على محمد وآله، فالتصليّة واقصليهم
والشعيّة وذكرهم حتّى ذكر الرسول ﷺ قرآنين
لاختصاص الآل. وإن قلنا بخقدان القرآنيين وعدم دلالتها
فهم القدر المسلم والمصدق المتيقن، فالآل المخصوص بهم
أهل الكساء الذين عرفهم رسول الله ﷺ.

فالقيّد في مفهوم «الأهل» هو الأنس، وفي «الآل»
هو الرجوع والانتكاه. ولما اشتقاق أحدهما عن الآخر
غير معلوم. (١: ١٦٢)

التخصص التفسيري

١- آل إبراهيم وآل عمران

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ
عَلَى الْعَالَمِينَ.
أَبُو ذَرٍّ: لَمَّا بَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ أَبُو ذَرٍّ الْمَسْجِدَ
فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ
وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ» ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ
فَأَهْلُ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ هُمْ الْآلُ مِنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَالصُّلُوةُ
وَالسَّلَامُ مِنَ إِبْرَاهِيمَ، وَالْعِثْرَةُ الْهَادِيَّةُ مِنْ مُحَمَّدٍ،
فَحَسْبُكُمْ شَرَفٌ شَرِيفُهُمْ فَاسْتَوْجِبُوا حَقَّهُمْ وَنَالُوا
الْقَضِيَّةَ مِنْ رَبِّهِمْ كَالنَّهَارِ الْمَجْنِيَّةِ وَالْأَرْضَ الْمُدْحِيَّةِ
وَالْجِبَالَ الْمَنْصُوبَةَ وَالْكَبَّةَ الْمُسَوَّاةَ وَالشَّمْسَ الضَّاحِيَّةَ
وَالنَّجْمَ الْهَادِيَّةَ وَالشَّجَرَةَ الزَّيْتُونَةَ أَضَاءَ زَيْتُهَا وَيُورِدُهَا
مَاحِوْطُهَا، فَحَسْبُكُمْ وَصِيَّ آدَمَ وَوَارِثَ عِلْمِهِ وَإِمَامَ
الْمُتَّقِينَ وَقَائِدَ التَّوَّابِ الْمُحِبِّينَ وَتَأْوِيلَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَعَلَى
أَبْنِ أَبِي طَالِبٍ الصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ وَالْفَارُوقِ الْأَعْظَمِ
وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَوَارِثِ عِلْمِهِ وَأَخُوهُ.

فما بالكُم أيها الأمة المنعيرة بعد نبينا لو قدّمتم من
قدّم الله وخلفتم الولاية لمن خلفها النبي ﷺ، لما عصال
وأيها الناس الذين آمنوا بالله في حكم ولاسقط سهم من
فرائض الله ولا تنازعتم هذه الأمة في شيء من أمر دينها
إلا وجدتم علم ذلك عند أهل بيت نبيكم، لأن الله تعالى
يقول في كتابه العزيز: «الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكِتَابُ يَتْلُونَهُ
عَلَى بِلَاقِيهِ» البقرة: ١٢١، فلو كانوا وبال ما قرطتم
«وَسَيَقْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» الشعراء:
٢٢٧. (فرائد الكوفي: ٨١)

أَبْنُ عَبَّاسٍ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ
عِمْرَانَ وَآلِ يَاسِينَ وَآلِ مُحَمَّدٍ. (الطَّبْرِيِّ ٣: ٢٣٤)
آلُ إِبْرَاهِيمَ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَحَسِّبُونَ بِدِينِهِ وَهُوَ دِينُ
الْإِسْلَامِ. (الطَّبْرِيِّ ١: ٤٢٢)
الْحَسَنُ: فَضَّلَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ بِالنَّبُوءَةِ عَلَى النَّاسِ

كسَلُوم، كسانوا هم الأنبياء الأسفياء المستطمين
(الطبري ٣: ٢٣٤)

المُراد به آل عمران عيسى عليه الصلاة والسلام
وأُمته مريم بنت عمران بن ماثان، من ولد سليمان بن داود،
(الألوسي ٣: ١٣١)

الإمام الباقر عليه السلام: [في حديث لَنَا نَصِي مُحَمَّدٌ عليه السلام
نَبِيُّهُ واستكمل أيامه أوحى الله عز وجل إليه: أن يا محمد
قد فضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي
عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وأثار علم
النبي عند علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه لم أطلع المسلم
والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وأثار علم النبوة
من القرب من ذرّتك، كما لم أطلعها من بيوتات الأنبياء
الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم؛ وذلك قوله عز وجل:
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى
الْعَالَمِينَ﴾. (الطبري ٣: ٢٣٤)

قَتَادَة: ذكر الله أهل بيتين صالحين، وذرّتين
صالحين، فضلهما على العالمين، فكان محمد من آل
إبراهيم. (الطبري ٣: ٢٣٤)

الإمام الصادق عليه السلام: قال محمد بن أسعث بن عيسى
الكندي للحسين عليه السلام: يا حسين بن فاطمة - صلوات الله
عليهما - أية حرمة لك من رسول الله عليه السلام ليست تدير؟
فتلا الحسين عليه السلام هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا
وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بِطَحْنٍ مِنْ
بَطْنٍ ثُمَّ قَالَ: وَالله إنَّ مُحَمَّدًا عليه السلام لَمِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِنَّ
الْعُقْبَةَ الْهَادِيَةَ لِمَنْ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

(الكاشاني ١: ٣٠٥)

مُقَاتِل: المراد: (آل إبراهيم) إسماعيل وإسحاق
ويغروب والأبساط.

المُراد بهم موسى وهارون عليهما السلام، عمران حينئذ هو
عمران بن يعصر أبو موسى. (الألوسي ٣: ١٣١)
الطبري: إِنَّمَا عَلِيٌّ (آل إبراهيم وَآل عمران)
المؤمنين، وقد دَلَّنَا على أَنَّ آلَ الرَّجُلِ: أتباعه وقومه،
ومن هو على دينه. (٣: ٢٣٤)

الطوسي: قال الحسن: (آل عمران): المسيح، لأنَّ
أُمَّة مريم بنت عمران، وفي قراءة أهل البيت «وآل محمد
على العالمين». وقال أيضًا: إِنَّ (آل إبراهيم) هم آل محمد
الذين هم أهل.

وقد بيَّنا في ماضي أَنَّ «الآل» بمعنى الأهل، والآية
تدلُّ على أَنَّ الذين اصطفاهم معصومون مَنزَّهون، لأنَّه
لا يختار ولا يصطفى إلا مَنْ كان كذلك، ويكون ظاهره
وباطنه واحدًا، فإذا يجب أن يختص الاصطفاء بآل
إبراهيم وآل عمران من كان مرضيًا معصومًا، سواء كان
نبيًا أو إمامًا. (٢: ٤٤١)

المتنبدي: آل الرجل: أقاربه وخواتمه من قبلته
ومن وافقه في دينه، وأما من خالفه في دينه ولم يتبع
طريقته فليس من آله وإن كان مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وإليه الإشارة
بقوله: ﴿فَسَنَ تَعْلَمُنَّ قَائِمَهُ مِنِّي﴾ إبراهيم: ٣٦، وقال
تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾ المائدة: ٥١.
وكان ابن لوح علفًا لدين أبيه، لما حده من آله بقوله:
﴿إِنَّهُ تَبَتُّ مِنِّي مِنْ أَهْلِكَ﴾ هود: ٤٦، وقال: ﴿أَدْخِلُوا آلَ
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ المؤمن: ٤٦، لأنهم كانوا جميعًا
على ملة الكفر واثب بعضهم بعضًا.

وقد عذَّ المصطفى ﷺ أفراده كفارةً حبسها وصنعهم بقوله: «إِنَّ آلَ أَبِي لِيَسَإِلَ بِأَوْلِيَاءٍ إِنَّمَا وَثَّقِي اللَّهُ وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّهُمْ رَحِمَ آبَائِهِمْ بِبِلَاغِهِ». وروى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَضَ، فَأَتَى لَحْلُ قُبَا يَعُودُونَهُ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ نَطْعَمْ بِمَرْضِكَ إِلَّا الْآنَ فَجِئْنَا، فَأَدْعُوا اللَّهَ لَنَا، فَقَالَ: «سَوْفَ أَدْعُو لَكُمْ وَلِآلِ مُحَمَّدٍ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ آلُ مُحَمَّدٍ قَالَ: «سَأَلْتُونِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ، الْمُسْلِمُونَ آلُ مُحَمَّدٍ، كُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِي».

وقيل: إن أهل الدين الذين يتسبون إلى رسول الله ﷺ

الأول: خواتمه وأتباعه «علم متن وحصل محكمه
من عمل بأوامره ولم يمارق طريقته، فيطلق على هؤلاء
«آل».

الثاني: من يُحسب إليه ويصل على شاكلته تقليداً،
ومن في عمل وفراط فيه ولم يجد سبيلاً إلى جلم سُتُوكِ
ولا قتل قُتُوكِ، فَيُطْلَق على هؤلاء «أُتُوكِ» ولأه آل، قال
النبي إذا جمع أُتُوكِ وليس جميع أُتُوكِ آل، [إلى أن قال:]
واصطفى آل عمران، يعني موسى عليه السلام وهارون عليه السلام،
وقيل: (آل عمران) مريم وابنها عيسى عليه السلام، وهو
عمران بن ماثان النجار، وكان رجلاً صالحاً من صلحاء
الأرض المقدسة.

الزُّمَّخَشَرِيُّ: (آل إبراهيم): إسماعيل وإسحاق وأولادهما. و(آل عمران): موسى وهارون ابنا عمران. ابن يصر، وقيل: عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان. وبنو الممراتين ألف وثلاثمائة سنة. (١: ٤٢٤)

الطُّبْرُسِيُّ: (لَا تَزْهَيْمِ) وَالْجَمْرَانِ قِيلَ: أَرَادَ بِهِ

نفس إبراهيم ونس عمران، كقولهم: ﴿وَبَشِّرْنَا نِسَاءَ آلِ
مُوسَىٰ بِأَلْهُنَّ﴾ البقرة: ٢٤٨، يعني موسى وهارون.
وقيل: (آل إبراهيم) أولاده إسماعيل وإسحاق ويعقوب
والأسباط وفهم داود وسليمان ويونس وزكريا ويحيى
وعيسى، وفهم نبيات لآله من ولد إسماعيل، وأما (آل
عمران) فقبل: هم من آل إبراهيم أيضا. (١: ٤٣٣)

التقعر الرازي: من الناس من قال: المراد به آل إبراهيم) للمؤمنين كما في قوله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ المؤمن: ٦٤، والتصحيح أن المراد بهم الأولاد، وهم المراد بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا تَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤.

(آل عمران) فقد اختلفوا فيه، فمنهم من قال:
 عمران والد موسى وهارون، وهو عمران بن
 يعقوب بن قحط بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن
 إبراهيم عليه السلام من (آل عمران) موسى وهارون
 وأتباعهما من الأنبياء، ومنهم من قال: بل المراد عمران
 ابن ماثان والد مريم، وكان هو من نسل سليمان بن داود
 ابن إسماعيل، وكانوا من نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحاق
 بن إبراهيم عليه السلام، قالوا: وبين العبرانيين
 ألف وثلاثمائة سنة.

واحتج من قال بهذا القول على صحته بأمر:
أحدهما: أن المذكور عليه قوله: «وَأَلَّ عِثْرَانٌ عَلَى
الْمُتَالِفِينَ» هو عسران بن ماثان جد عيسى عليه السلام من قبل
أبيه، فكان صرف الكلام إليه أولى.

ثانيها: أنَّ المقصود من الكلام أنَّ التصاري كانتوا
يحتاجون حل إلهية عيسى بالخوارق التي ظهرت على

يده، فإله تعالى يقول: **إِنَّمَا ظَهَرْتَ عَلَىٰ يَدَيْهِ إِكْرَامًا مِنَّا** لله تعالى إتياء بها، وذلك لأنه تعالى اصطفاها على العالمين وخصه بالكرامات العظيمة، فكان حمل هذا الكلام على عمران بن ماثان أولى في هذا المقام من حمله على عمران والد موسى وهارون.

ثالثها: أَنَّ هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** الأنبياء: ٨١.

واعلم أَنَّ هذه الوجوه ليست دلائل قوية بل هي أمور ظنية، وأصل الاحتمال قائم. (٨١: ٢٤)

الفرط بين: خص هؤلاء بالذكر من بين الأنبياء، لأن الأنبياء والزُّمِّلَ بمقتضهم وقضيتهم من نسلهم. ولم ينصرف (عمران) لأن في آخره **أَيُّهَا وَابْنُهَا** زائدتين.

النسب بوري: المراد به (الآل) كل مؤمن على وجهه من بعض بالنوراة الدينية.

أبو حنَّان، الظاهر في (عمران) أنه أبو مريم، لقوله بعد **﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾** آل عمران: ٣٥، فذكر قصة مريم وابنها عيسى ونص على أَنَّ الله اصطفاها بقوله: **﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾** آل عمران: ٤٢، فقول: **﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾** كالشرح لكيفية الاصطفاء لقوله: **﴿وَأَلَّ عِمْرَانُ﴾** وصار ظهير تكرار الاسم في جملتين. فيسبق اللحن إلى أَنَّ الثاني هو الأول، نحو **أَكْرَمَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ**، وإذا كان المراد بالثاني غير الأول كان في ذلك إلباس على السامع.

وقد رجَّح القول الآخر بأنَّ موسى يقرن بإبراهيم

كثيراً في الذكر ولا يطرُق التعميم إلى أَنَّ عمران الثاني هو أبو موسى وهارون، وإن كانت له بنت تُسمَّى مريم وكانت أكبر من موسى وهارون شيئاً، للخص على أَنَّ مريم بنت عمران بن ماثان ولدت عيسى، وإنَّ ذكرنا كقول مريم أمَّ عيسى، وكان ذكرنا قد تزوج أخت مريم اسماع ابنة عمران بن ماثان، فكان يحيى وعيسى ابني خالة. وبين العمرانيين والمريتين أعصار كثيرة، قيل: بين العمرانيين ألف سنة ومائاتة سنة.

والظاهر أَنَّ الآل: من يؤول إلى الشخص في قرابة أو مذهب، والظاهر أَنَّهُ نص على هؤلاء هنا في الاصطفاء للمزايا التي جعلها الله تعالى فيهم. (٨١: ٢٤)

الآلوسى: ذكر (آل إبراهيم) لغرضه المحترفين باصطفائهم في الإيمان بنبوته واسطة قلاتهم واسمائتهم. نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من ذُرِّيَّتِهِمْ. وذكر (آل عمران) مع لتدراجهم في الآل الأول، لإظهار مزيد الاعتناء بأمر عيسى عليه الصلاة والسلام، لكمال رسوم الاختلاف في شأنه. وهذا هو الداعي إلى إضافة (الآل) في الأخيرين دون الأولين.

وقيل: المراد به (الآل) في الموضعين بمعنى النفس، أي اصطفى آدم ونوحاً وإبراهيم وعمران. وذكر (الآل) فيها اعتناءً بشأنها، وليس بشيء. [إلى أن قال:]

والظاهر هو القول الأول، لأنَّ السورة تُسمَّى آل عمران، ولم تُشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة. وأمَّا موسى وهارون فلم يذكر من قصتها فيها طرف، فدلَّ ذلك على أَنَّ عمران المذكور هو أبو مريم، وأيضاً يُرجَّح كون المراد به أبا مريم

لَنْ اَللهُ تَعَالَى ذَكَرَ اصْطِفَاءَهَا بَعْدَهُ وَتَعَرَّضَ عَلَيْهِ، وَانَّهُ قَالَ
سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ: آل عمران: ٣٥

(١٣١: ٣)

التَّهَارُودِيُّ: فِي «الْمَسِيح» فِي حَدِيثٍ - فَقَالَ
لِلْمَأْمُونِ: هَلْ فَضَّلَ اللهُ الْعَتْرَةَ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ؟ فَقَالَ أَبُو
الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَبَانَ فَضْلَ الْعَتْرَةِ عَلَى سَائِرِ
النَّاسِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: أَيْنَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ
اللهِ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى
لُذْمَ زَوْجَاتِهَا وَإِلَى إِيزَهِيمَ وَإِلَى عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. وَقد
قُسِّرَ (آل إِبْرَاهِيمَ) بِآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مُحَمَّدٌ جَوَادٌ مَشْفِقٌ: [بَعْدَ نَقْلِهِ قَوْلَ أَبِي حَنِيْفَانَ
هَذَا:]

وَمِمَّا يَكُنْ، فَقَدْ ابْتَدَأَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِذِكْرِ آدَمَ، لِأَنَّهُ
أَبُو الْبَشَرِ الْأَوَّلِ، وَثَنَى نُوحًا، وَهُوَ أَبُو الْبَشَرِ الثَّانِي، لِأَنَّهُ
جَمِيعُ سُكَّانِ الْأَرْضِ مِنْ نَسْلِهِ وَحَدَهُ مِنْ أَوْلَادِهِ الْكَافَّةِ
سَامٌ، وَحَامٌ، وَيَافَثُ: حَيْثُ قَطَعَ الطُّوفَانُ عَلَى جَمِيعِ
النَّاسِ إِلَّا نُوحًا، وَاصْطَفَى اللهُ كَلَامًا مِنْ آدَمَ وَنُوحَ بِشَخْصِهِ،
وَلِذَا لَمْ يَقْتَرِنْ اسْمُهَا بِدَآلٍ، أَمَّا إِبْرَاهِيمَ وَعِمْرَانَ فَقَدْ
اصْطَفَاهُمَا مَعَ «الْأَكْلِ».

وَكَمَا أَنَّ آدَمَ وَنُوحًا هُمَا أَبَوَا الْبَشَرِ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ
أَبُو الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا بَعْدَ نُوحٍ، حَيْثُ لَا نَبِيَّ مِنْذُ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ
نَسْلِهِ.

وَالطَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِ(عِمْرَانَ) فِي قَوْلِهِ: (آل عمران)
هُوَ أَبُو مَرْيَمَ جَدُّ حَيْسَى لِأَبِي مُوسَى الْكَلْبِيِّ، لِتَكَرُّرِهِ فِي
الْآيَةِ الثَّانِيَةِ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾. [إِلَى أَنْ قَالَ:]
وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ لِعِمْرَانَ - أَبِي مُوسَى الْكَلْبِيِّ - بَنَتٌ

اسْمُهَا مَرْيَمُ أَكْبَرُ سَنَاءً. وَإِنَّ بَيْنَ عِمْرَانَ هَذَا وَعِمْرَانَ جَدِّ
الْمَسِيحِ أَلْفٌ وَثَمَانِيَةٌ سَنَةً. (٤٨: ٢)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ: فَأَمَّا (آل إِبْرَاهِيمَ) فَظَاهِرٌ لِنُظْمِ أَتَمِّهِمُ
الطَّيِّبِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ كِاسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ وَالْأَنْبِيَاءَ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَالطَّاهِرُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَسَيِّدُهُمْ
مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْمُلْحَقُونَ بِهِمْ فِي مَقَامَاتِ الْوِلَايَةِ. إِلَّا أَنَّ
ذَكَرَ (آل عمران) مَعَ (آل إِبْرَاهِيمَ) يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ
لَمْ يَسْتَمْلِ عَلَى تِلْكَ السَّمَةِ، فَإِنَّ (عِمْرَانَ) هَذَا إِنَّمَا هُوَ أَبُو
مَرْيَمَ أَوْ أَبُو مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلَى أَيِّ تَقْدِيرٍ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ
إِبْرَاهِيمَ وَكَذَا آلُهُ، وَقد أُخْرِجُوا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ، فَالْمُرَادُ
بِ(آل إِبْرَاهِيمَ) بَعْضُ ذُرِّيَّتِهِ الطَّاهِرِينَ لِأَجْبِهِمْ.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا قَالَ: ﴿وَأَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ
عَلَى غَيْرِهِمْ اللهُ الَّذِي تَحْتِجُّ عَلَيْهِمْ فَقَدْ أَنْتَبَهْنَا إِلَى إِيزَهِيمَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ وَأَتَيْنَاهُمْ مَثَلًا عَظِيمًا﴾ النِّسَاءُ: ٥٤، وَالْآيَةُ فِي
الْعَمَامِ كَمَا تَرَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَذُرِّيَّتَهُمْ كَمَا يَتَضَحُّ
بِالْزُّجُوعِ إِلَى سِهَاتِهَا، وَمَا يَحْتَفِ بِهَا مِنَ الْآيَاتِ. وَمِنْ
ذَلِكَ يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ (آل إِبْرَاهِيمَ) لَهَا غَيْرُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ، أَعْنِي غَيْرَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَذُرِّيَّةَ يَعْقُوبَ،
وَهُمْ - أَيُّ ذُرِّيَّةَ يَعْقُوبَ - بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَبْقَ لآلِ
إِبْرَاهِيمَ إِلَّا الطَّاهِرُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ،
وَفِيهِمُ النَّبِيُّ وَآلُهُ.

عَلَى أَنَّا سَتَبَيَّنَ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنَّ الْمُرَادَ بِ(النَّاسِ) فِي
الْآيَةِ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي (آل إِبْرَاهِيمَ)
بِدَلَالَةِ الْآيَةِ.

عَلَى أَنَّهُ يَشْرِبُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي ذِيلِ هَذِهِ الْآيَاتِ:
﴿إِنَّ أَوَّلَى الْغَايِبِ لِلَّذِينَ أُتْبِعُوا وَهَذَا النَّبِيُّ

وَالَّذِينَ آمَنُوا ۖ آل عمران: ٦٨، وقوله تعالى: ﴿وَلَذَ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَحَبَّبَ بَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ۖ إِلَى أَنْ قَالَ ۖ رَبَّنَا وَإِنَّا فِيهِمْ شَكُوكٌ مِمَّا يَشْكُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذَكِّرَ اللَّهُ الْبَشَرَ ۖ وَالْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَذُرِّيَّتَهُمْ ۖ الْبَقَرَة: ١٢٧-١٢٩.

فالمراد بـ(آل إبراهيم) الطاهرون من ذرئته من طريق إسماعيل، والآية ليست في مقام العصر، فلاتنافي بين عدم تعرضها لاصطفاء نفس إبراهيم واصطفاء موسى وسائر الأنبياء الطاهرين من ذرئته من طريق إسحاق، وبين ما انتهت آيات كثيرة من مناقبهم وشأنهم وعُلُوّ مقامهم، وهي آيات متكررة جداً لا حاجة إلى إيرادها، فإن إثبات الشيء لا يستلزم نفي العكس وكذا لا ينافي مثل ماورد في بني إسرائيل من كثرة ما ذكره تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْهُدَىٰ وَزَوَّلْنَا عَنْهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الجاثية: ١٦، كل ذلك ظاهر.

ولأن تفضيلهم على العالمين ينافي تفضيل غيرهم على العالمين، ولا تفضيل غيرهم عليهم، فإن تفضيل قوم واحد أو أقوام مختلفين على غيرهم، إنما يستلزم تقدمهم في فضيلة دنيوية أو أخروية على من دونهم من الناس، ولو نافي تفضيلهم على الناس تفضيل غيرهم، أو نافي تفضيل هؤلاء المذكورين في الآية -أضي آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين - تفضيل غيرهم على العالمين، لا يستلزم ذلك التنافي بين هؤلاء المذكورين في

الآية أنفسهم، وهو ظاهر.

ولأن تفضيل هؤلاء على غيرهم ينافي وقوع التفاضل فيما بينهم أنفسهم، فقد فضل الله النبيين على سائر العالمين وفضل بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٨٦ وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا نَحْنُ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ الإسراء: ٥٥.

وأما (آل عمران) فالظاهر أن المراد بـ(عمران) أبو مريم كما يشعر به تنقيب هاتين الآيتين بالآيات التي تذكر قصة امرأة عمران ومريم ابنة عمران، وقد تكرّر ذكر عمران أبي مريم باسمه في القرآن الكريم، ولم يرد ذكر عمران أبي موسى حتى في موضع واحد يمتنع فيه كونه هو المراد بهيته، وهذا يؤيد كون المراد بـ(عمران) في الآية أبا مريم عليه السلام. وعلى هذا فالمراد بـ(آل عمران) هو مريم وعيسى عليهما السلام، لوهما وزوجة عمران.

والذي لا يذكر أن التنافس غير معترف به يكون اسم أبي مريم عمران، فالقرآن غير تابع لهوهم. (٣: ١٦٥) عبد الكريم الخطيب: قد اقتضت حكمته سبحانه أن يعطني من يشاء من عباده لتلقي هباته وهباته، وأن من عباده الذين اصطفاهم لأفضاله وينجيهم آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران.

فآدم هو أبو البشر وقد اصطفاه الله فجعله خليفة في الأرض، ونوح هو الأب الثاني للبشرية، بعد أن هلك البشر بالطوفان، وإبراهيم هو أبو الأنبياء، وآله هم هؤلاء الأنبياء من ذرئته، وعمران هو الفرع الزاكي من شجرة إبراهيم، ومن ذرئته موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْإِيزِيمَ وَالْجَفْرَانَ﴾ إشارة إلى امتداد الاصطفاء من الأصول إلى الفروع، وهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ لا آل آدم، ولا آل نوح، لأن ذلك يشمل الإنسانية كلها، من حيث كان آدم ونوح أبوي للبشرية كلها، فلا يكون - والأمر كذلك - مكان للاصطفاء من بين الذرية المصطفاة كلها.

(٢: ١٢٣)

٢- آل لوط

١- قَالُوا إِنَّا لَأَرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿١﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُتَّجِفُونَهمُ أَجْمَعِينَ.

المحجر: ٥٨، ٥٩

الطُّهْرِيُّ: إِلَّا أَتْبَاعَ لُوطٍ، عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الَّذِينَ.

(١٤: ١١)

الرُّجَّاجُ: استثناء، ليس من الأول، المعنى ﴿قَالُوا إِنَّا لَأَرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُتَّجِفُونَهمُ أَجْمَعِينَ﴾ المعنى إِنَّا أَرْسَلْنَا بِالْمَذَابِ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ.

(٣: ١٨١)

الرُّمُوحُشَرِيُّ: إِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾

استثناء متصل أم منقطع؟

قلت: لا يخلو من أن يكون استثناء من (قَوْمٍ) فيكون منقطعاً، لأن القوم موصوفون بالإجرام، فاختلف لذلك الإنسان، وأن يكون استثناء من الضمير في (مُجْرِمِينَ) فيكون متصلاً، كأنه قيل: إلى قوم قد أوجروا كلهم إلا آل لوط وحدهم، كما قال: ﴿لَا وَجَدْنَا لَهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الذَّارِيَات: ٣٦.

فإن قلت: فهل يختلف المعنى باختلاف الاستثنائيين؟

قلت: نعم، وذلك لأن (آل لوط) مُتَّجِفُونَ في المنقطع

من حكم الإرسال، وعلى أنهم أُرسلوا إلى القوم المجرمين خاضعة ولم يُرسلوا إلى آل لوط أصلاً. ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال المحجر أو السهم إلى المرمى، في أنه في معنى التصويب والإهلاك، كأنه قيل: أهلكنا قوماً مجرمين ولكن آل لوط أجهناهم، ولنا في المتصل بهم دخلون في حكم الإرسال، وعلى أن الملائكة أُرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء، فلا يكون الإرسال مخلصاً بمعنى الإهلاك والتعذيب، كما في الوجه الأول.

فإن قلت: فقوله: ﴿إِنَّا لَمُتَّجِفُونَهمُ أَجْمَعِينَ﴾ يتم يتعلق عمل

الوجهين؟

قلت: إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر «لكن» في الأصل، (آل لوط) لأن المعنى لكن آل لوط مُتَّجِفُونَ، وهذا متصل كان كلاماً مستأنفاً كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم: ﴿إِنَّا لَمُتَّجِفُونَهمُ أَجْمَعِينَ﴾ فقالوا: إِنَّا لَمُتَّجِفُونَهمُ.

فإن قلت: فقوله: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ يتم استثنائي، وهل هو

استثناء من استثناء؟

قلت: استثنائي من الضمير المجرور في قوله: ﴿لَمُتَّجِفُونَهمُ﴾ وليس من الاستثناء في هيء، لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه، وأن يقال: أهلكناهم إلا آل لوط إلا لمرأته، كما اتحد الحكم في قول المطلق: أنت طالق ثلاثاً إلا اثنين إلا واحدة، وفي قول المقر: قلان على عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهماً، فأما في الآية فقد اختلف المسكان، لأن ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ متعلق بـ (لَمُتَّجِفُونَهمُ) أو بـ (مُجْرِمِينَ) أو بـ (الْإِيزِيمَ وَالْجَفْرَانَ) قد تعلق بـ (لَمُتَّجِفُونَهمُ) فأنى يكون استثناء من استثناء؟ (٢: ١٢٣)

السَّيِّئِيَّةُ: يعني أهلُه السُّومِنِينَ، وهم ابنتان وامرأة
سوى الغابرة. (٥: ٣٢٣)

الطَّبْرِيَّة: استثنى منهم (آل لوط) وهم خاصته
وعشيرته، وإنما استثناهم منهم وإن لم يكونوا مجرمين،
من حيث كانوا من قوم لوط ومن بحث إليهم، وقيل: إن
معناه: لكن آل لوط إنما لم نجوهم أجسبين، أي مخلصهم
أجسبين من العذاب. (٣: ٣٤٠)

الْقَطْرِ الرَّازِي: المراد من (آل لوط) أتباعه الذين
كانوا على دينه. (١٩: ١٩٩)

نحو: القُرْطَبِي.

النَّيْسَابُورِي: زعم صاحب «الكشاف» أن

الإرسال ما هنا في معنى القذيب والإهلال كما هو
المعبر أو الشهم إلى الترمي.

وأقول: كأنه لا حاجة إلى هذا التجوز، لقوله: ﴿وَأَنذَرْنَا

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مَجْرَجِينَ﴾ يُفْرِغُ عَلَيْهِمْ نَارًا سَاحِقَةً
طِينًا ﴿الذَّارِيَاتِ ٣٢، ٣٣﴾ فالتقدير: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ

لتهلكهم إلا آل لوط. وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً
لاختلاف الجنس، فإن القوم موصوفون بالإجرام دون

آل لوط، ويكون قوله: ﴿إِنَّا نَسْتَجُوهُمْ﴾ جارياً مجرى
خبر «لكن»، كأنه قيل: لكن قوم لوط مُنَجُّون، ويكون

قوله: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ استثناء من الاستثناء أي أُرْسِلْنَا إِلَيْهِمْ
لتهلكهم إلا آل لوط إلا امرأته، كقول السرخسي: قلان علي

عشرة إلا ثلاثة إلا واحداً.

وجوز في «الكشاف» أن يكون قوله: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾

مستثنى من الضمير في (مَجْرَجِينَ) حتى يكون الاستثناء
متصلاً، أي إلى قوم قد أجزوا كلهم إلا آل لوط وخدمهم.

ولم لا يجوز الاستثناء من الاستثناء بناءً على أن (آل

لوط) مستثنى من معمول (أَرْسَلْنَا) أو (مَجْرَجِينَ)، وإلا

امْرَأَتَهُ من معمول (مُنَجُّوهُمْ) وقد حررت ما فيه، على
أنه إذا جعل الإرسال بمعنى الإهلال كما قرره هو، آل

الأمر إلى ما ذكرنا، فلا أدري لِمَ استعده مع وفور فضله؟
(١٤: ٢٩)

الطَّبَاطِبَائِي: هم لوط وخاصته، وظهر به: أن
القوم قومه ﴿إِنَّا نَسْتَجُوهُمْ﴾ أي مخلصوهم من العذاب

(أَجْسِبِينَ) وظاهر السياق كون الاستثناء منقطعاً.

(٢٧: ١٨٢)

٢- لَقَدْ جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالِ إِن كُمْ قَوْمٌ

مُتَكَبِّرُونَ. الحجر: ٦١

السَّيِّئِيَّة: إنما قال: (آل لوط) وهم أتوا لوطاً، لأنهم

كانوا في بلدة واحدة، وقيل: (آل لوط) يريد شخصه، كما
في الخبر: «وباركة على آل إبراهيم» وعني به

إبراهيم. (٥: ٣٢٣)

الأكوسي: شروع في بيان إهلاك المجرمين ونتيجة
آل لوط. ووضع الظاهر موضع الضمير للإيذان بأن

مجيئهم لتحقيق ما أُرسلوا به من ذلك، وليس المراد به
ابتداء مجيئهم، بل مطلق كنهوتهم عند آل لوط.

(١٤: ٦٧)

عيد الكريم الخطيب: هنا سؤال وهو: لماذا كان

المديت من لوط في مجيء الرسل إليه غير موجه إليه بل
كان موجهاً إلى «آله» هكذا ﴿قُلْنَا جَاءَ آلَ لُوطٍ

الْمُرْسَلُونَ﴾؟

ولم التزم القرآن هذا التعبير في كل مرة ورد فيها مجيء الرُّسُل إلى لوط؟

والجواب على هذا - والله أعلم - أن لوطاً عليه السلام كان هو وآل بيته - غير امرأته - كلٌّ من آمنوا بالله في القرية، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ مِنْ النَّارِ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا إِيَّاهُ مِنْ غِيظِ النَّاسِ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا إِيَّاهُ مِنْ غِيظِ النَّاسِ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا إِيَّاهُ مِنْ غِيظِ النَّاسِ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا إِيَّاهُ مِنْ غِيظِ النَّاسِ﴾ [التَّوْبَةِ: ١١١]. وهذا يكون لوط ومن آمن معه من آل بيته، هم كيان واحد عليهم في مجتمع هذه القرية الفاسدة. ومن هنا كان الحديث إلى لوط في هذا الجسد الذي يضمُّ أهله الذين آمنوا معه، والذين هم أشبه ببعض أعضائه.

٣- إِنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ خَاصَّةً إِلَّا أَنْ لَوْطٍ نَاجِيَ عَنْهُمُ الْغَمِيمِ: غير آل لوط الذين صدقوه واتَّبَعُوا عَلَى دِينِهِ.

الْمَيْثُودِي: يعني بناته ومن آمن به من أزواجهن. (٣٩٣: ٩)

المفسر الرازي: (إِلَّا أَنْ لَوْطٍ) لستاء مكاناً إلى كان من الذين قال فيهم: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ خَاصَّةً﴾ فالضمير في (عَلَيْهِمْ) عائد إلى قوم لوط، وهم الذين قال فيهم: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ القمر: ٣٣، ثم قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ لكن لم يستن عند قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ وآله من قومه، فيكون آله قد كذبوا ولم يكن كذلك؟

الجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن الاستثناء مثنى عاد إليهم الضمير في

(عَلَيْهِمْ) وهم القوم بأسرهم، غير أن قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ لا يوجب كون آله مكذِّبين، لأن قول القائل: عصى أهل بلدة كذا، يصح وإن كان فيها شريعة قليلة يطيعون، فكيف إذا كان فيهم واحد أو اثنان من المطيعين لغيره.

فإن قيل: ماله حاجة إلى الاستثناء، لأن قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يصح وإن نجا منهم طائفة يسيرة؟

نقول: القاعدة لتأكد كانت لا تحصل إلا ببيان إهلاك مَنْ كَذَّبَ وإنجاء مَنْ آمَنَ، فكان ذكر الإنجاء مقصوداً، وحيث يكون القليل من الجمع الكثير مقصوداً لا يجوز التخصيم والإطلاق من غير بيان حال ذلك المقصود

بالاستثناء، أو بكلام منفصل، مثله: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ مِنَ النَّارِ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا إِيَّاهُ مِنْ غِيظِ النَّاسِ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا إِيَّاهُ مِنْ غِيظِ النَّاسِ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا إِيَّاهُ مِنْ غِيظِ النَّاسِ﴾ [التَّوْبَةِ: ١١١].

فإن قيل: لا بد أن يكون المقصود ما كان مقصوداً، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تِصَّبَتْ بِمَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ﴾ [التَّوْبَةِ: ١١١]. ولم يستن، إذ المقصود بيان أنها

أوتيت، لا بيان أنها ما أوتيت. وفي حكاية إيليس كلاهما مراد ليحتمل أن من تكلم على آدم عوقب، ومن تواضع أتيب، كذلك القول هاهنا. وأما عند التكذيب فكان المقصود ذكر المكذِّبين فلم يستن.

الجواب الثاني: أن الاستثناء من كلام مدلول عليه، كأنه قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ خَاصَّةً﴾ فما أنجينا من العاصب إلا آل لوط. وجاز أن يكون الإرسال عليهم والإهلاك يكون هاتماً، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوا قُرْبَىٰكُمْ﴾ [النِّسَاءِ: ٢٥]. فكان للعاصب أهلك من كان الإرسال عليه مقصوداً ومن لم يكن كذلك، كأطفالهم ودوابهم ومساكنهم، فما

فجاء منهم أحد إلا آل لوط.

فإن قيل: إنذالم يكن الاستثناء من قوم لوط بل كان من أمر عام فيجب أن يكون لوط أيضاً مستثنى؟

نقول: هو مستثنى عقلاً، لأن من المعلوم أنه لا يجوز تركه وإنجاء أتباعه. والذي يدل عليه أنه مستثنى قوله تعالى عن الملائكة: ﴿لَمَّا عَلِمُوا مِنْ فِيْهَا لَسْتَجِيبَتُهُ وَأَخْلَتْهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ المنكوبة: ٣٢، في جوابهم لإبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿إِنْ فِيْهَا لُوطًا﴾.

فإن قيل: قوله: ﴿إِلَّا آلُ لُوطٍ إِنَّا لَمُتَّبِعُوهُمْ﴾ العنبر: ٥٩، استثناء من المجرمين، وآل لوط لم يكونوا مجرمين، فكيف استثنى منهم؟

والجواب: مثل ما ذكرناه، فأحد الجوابين: إننا أرسلنا إلى قوم جسد عليهم أنهم مجرمون وإن كان فيهم من لم يجرم.

ثانيهما: إلى قوم مجرمين وأهلالة بهم المثل إلا آل لوط.

القرطبي: يعني من تبعه على دينه، ولم يكن إلا بتاء.

البروسوي: هم أهل بيته الذين نجوا من العذاب، وكانوا ثلاثة عشر، وقيل: يعني لوطاً وابنته. (٢٨٠: ٩)

٣- آل يعقوب

١- وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيْكَ رَبُّكَ وَيُخَلِّقُكَ مِنْ تَابِعِ الْأَعْدَادِ وَيُحْيِيْ نَفْسَكَ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ...

يوسف: ٦

أبو عبيدة: أي على أهل يعقوب، والدليل على

ذلك أنك إذا صغرت «آل» قلت: «أهل»، وعلى أهل

ملته أيضاً. (٣٠٢: ٩)

الطبري: على أهل دين يعقوب وملته، ومن ذريته وغيرهم. (١٥٤: ١٢)

الزمخشري: (آل يعقوب) أهله، وهم نسله وغيرهم. (٣٠٢: ٢)

الطبرسي: أي وعلى إخوتك، النيسابوري: المراد (آل يعقوب) نسله.

(٨٢: ١٢)

أبو حيان: (آل يعقوب) الظاهر أنهم أولاده ونسبهم، أي نجمل النبوة فيهم.

وقيل: أهل دينه وأتباعهم، كما جاء في الحديث: «مَنْ أَلَّفَكَ فَقَالَ: كُلُّ تَقِيٍّ». وقيل: امرأته وأولاده الأحد عشر. وقيل: المراد يعقوب نفسه خاصة. (٢٨١: ٥)

الطبرسي: المراد بهم أهله من بنيه وغيرهم، وأهله: أهل، وقيل: أول. ولا يستعمل إلا فيمن له خطر

مطلقاً، ولا يضاف لما لا يقتل ولو كان ذا خطر، بخلاف «أهل» فلا يقال: آل الحجام وآل الحرم، ولكن أهل الحجام وأهل الحرم، نعم قد يضاف لما نزل منزلة الماثل،

كما في قول عبد المطلب: وانصر على آل الصليب وصابديه اليوم آلك وفيه رد على أبي جعفر الزبيدي حيث زعم عدم

جواز إضافته إلى الضمير، لعدم سماعه مضافاً إليه.

(١٨٧: ١٢)

القاسمي: وهم أهله من بنيه وحاشيتهم، أي يسبغ نسته عليهم بك، (٣٥٠: ٧)

٢- يَوْمَئِذٍ نَخْتِمُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا.

مریم: ٦

الْكَلْبِيِّ: لَيْسَ هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بَلْ هُوَ

يَعْقُوبُ بْنُ مَائَانَ. (التَّبْيِيذِيُّ ١: ٦)

مِثْلُهُ مُقَاتِلٌ. (الطُّوسِيُّ ٧: ١٠٦)

الطُّوسِيُّ: كَانَ آلُ يَعْقُوبَ أَخْوَالَهُ، وَهُوَ يَعْقُوبُ بْنُ

مَائَانَ، وَكَانَ قِيمَ الْمَلِكِ مَتَمِّمٌ، وَكَانَ ذَكَرًا مِنْ وَلَدِ هَارُونَ

ابْنِ عِمْرَانَ أَخِي مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ. (١٠٦: ٧)

التَّبْيِيذِيُّ: هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ أَبُو يُوسُفَ،

وَذَكَرًا كَانَ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ. (١: ٦)

الرَّمْضَقَشَرِيُّ: قِيلَ: (يَنْ) لِلتَّحْبِضِ لِلتَّعْدِيدِ، لِأَنَّ

آلَ يَعْقُوبَ لَمْ يَكُونُوا كَالْهِمَّ أَنْبِيَاءَ وَلَا أَعْلَمَاءَ، وَكَانَ

ذَكَرًا عَظِيمًا مِنْ نَسْلِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ.

وقيل: هو يعقوب بن مائان أخو زكريا. وقيل:

يعقوب هذا وهيران أبو مرهم أخوان من نسل سليمان بن

داود. (٢: ٥٠٣)

٤- آل موسى وهارون

... وَبَيِّنَةٌ بِمَا تَزَلُّ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ.

البقرة: ٢٤٨

الْقَفَّالُ: إِنَّمَا أُضِيفَ ذَلِكَ إِلَى مُوسَى وَآلِ هَارُونَ،

لِأَنَّ ذَلِكَ الثَّابُوتَ قَدْ تَنَاوَلَتْهُ الْقُرُونُ بَعْدَهُمَا إِلَى وَقْتِ

حَالُوتٍ، وَمَا هِيَ الثَّابُوتُ أَشْيَاءَ تَوَدُّهَا الْعُلَمَاءُ مِنْ أَتْبَاعِ

مُوسَى وَهَارُونَ، فَيَكُونُ (الْأَلُّ) هُمُ الْأَتْبَاعُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ادْخُلُوا آلَ مَرْثُومٍ أَسَدُ الْعَذَابِ﴾ الْمُؤْمِنُ: ٤٦.

(الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: ٦: ١٩١)

الرَّمْضَقَشَرِيُّ: لَيْسَ قُلْتُ: مَنْ آلُ مُوسَى وَآلِ هَارُونَ؟

قُلْتُ: الْأَنْبِيَاءُ مِنْ بَنِي يَعْقُوبَ بَعْدَهُمَا، لِأَنَّ عِمْرَانَ

هُوَ ابْنُ قَاهِتَ بْنِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ، فَكَانَ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ

أَتْنَمًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَرُدَّ مِمَّا تَرَكَ مُوسَى وَهَارُونَ، وَالْأَلُّ

مَنْعَمٌ لِتَضْيِيقِ شَأْنِهِمَا. (١: ٣٨٠)

نَحْوُ الْيَسَاوِيِّ. (١: ١٣٠)

الطُّبْرُسِيُّ: قِيلَ: أَرَادَ (الُّ) مُوسَى وَآلُ هَارُونَ

مُوسَى وَهَارُونَ عَلَى نَبِيَّائِهِمَا السَّلَامَ، بِعَنِي مِمَّا تَرَكَ

مُوسَى وَهَارُونَ، تَقُولُ الْعَرَبُ: آلُ فُلَانٍ يَرِيدُونَ

نَحْوَهُ. (١: ٣٥٣)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: يَحْتَمِلُ أَنْ

يَكُونِ الْمُرَادُ مِنْ (الُّ) مُوسَى وَآلُ هَارُونَ) هُوَ مُوسَى

وَهَارُونَ أُنْصَحَا، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ لِأَنَّهُ مُوسَى الْأَشْمَرِيُّ: «لَقَدْ أَوْتِي هَذَا مَرْمَزًا

مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» وَأَرَادَ بِهِ دَاوُدَ نَفْسَهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ

لِأَحَدٍ مِنْ آلِ دَاوُدَ مِنَ الْقُتُوبِ الْحَسَنِ مِثْلَ مَا كَانَ

لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (٦: ١٩١)

الْقُرْطُبِيُّ: أَسَدُ «الشَّرَكَةِ» إِلَى (الُّ) مُوسَى وَآلُ

هَارُونَ) مِنْ حَيْثُ كَانَ الْأَمْرُ مُنْدَرِجًا مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ،

وَكُلُّهُمْ آلُ مُوسَى وَآلِ هَارُونَ. وَآلُ الرَّجُلِ: قَرَابَتُهُ.

(٣: ٢٥٠)

أَبُو حَتِيَّانَ: (الُّ) مُوسَى وَآلُ هَارُونَ) هُمُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ،

إِلَيْهِمَا مِنْ قَرَابَةِ نُوُورِ شَرِيعَةٍ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ (آلَ) مُوسَى

وَآلِ هَارُونَ) هُمُ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ كَانُوا بَعْدَهُمَا، فَإِنَّهُمْ كَانُوا

يَتَوَلَّوْنَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ فَتَدَّ.

[ويعد نقل قول الزمخشري والفخر الرازي قال:]

ودعوى الإقحام والزيادة في الأسماء لا يذهب إليه نحوي محقق، وقول الزمخشري: و (الآل) مقحم لتخميم شأنهما، إن عني بالإقحام ما يدل عليه أول كلامه في قوله: ويجوز أن يراد مئسا ترك موسى وهارون، فلا معنى كيف يفيد زيادة (آل) تخميم شأن موسى وهارون، وإن عني (الآل) الشخص فإنه يطلق على شخص الرجل آله، فكأنه قيل: مئسا ترك موسى وهارون أنفسهما، فحسب تلك الأشياء العظيمة التي تضمنتها التابوت إلى أنها من بقايا موسى وهارون شخصيهما، أي أنفسهما، لأن بقايا غيرهما.

طبري (آل) هنا مجرى التوكيد الذي يراد به أن المتروك من ذلك الخير هو منسوب لذات موسى وهارون، فيكون في التخصيص عليهما بذاتهما تخميم لتأنيدهما، وكان ذلك مستغنى، لأنه لو قيل: مئسا ترك موسى وهارون، وكان ظاهر ذلك أنهما أنفسهما تركا ذلك وورثتهما.

الطبري طبراني: آل الرجل: خاصته من أهله، ويدخل فيهم نفسه إذا أطلق، (الآل) موسى وآل هرون، هم موسى وهارون، وخاصتهما من أهلها. (٢٩١: ٢)

٥ - آل فرعون

١ - وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَشُومُونَكَ سُوءَ الْقَذَابِ ... البقرة: ٤٩

مقاتل: (آل فرعون) هنا أهل مصر.

(أبو حيان: ١٩٢)

أبو عبيد: أهل بيته خاصة. (أبو حيان: ١٩٢)
ابن قتيبة: (آل فرعون): أهل بيته وأتباعه وأشياعه. (٤٨)

الإمام العسكري عليه السلام: هم الذين كانوا يدنون إليه بفراسته ودينه ومنهجه. (الطبراني: ٩٦)
الطبري: (آل فرعون): أهل دينه وقومه وأشياعه. (٢٧٠: ١)

الزجاج: (آل فرعون): أتباعه ومن كان على دينه، وكذلك آل الأنبياء صلوات الله عليهم: من كان على دينهم، وكذلك قولنا: صلى الله على معبد وآله، معنى آله: من أتبعه من أهل بيته وغيرهم. (١٣٠: ١)

أتباعه على دينه. (أبو حيان: ١٩٢)
الطبراني: قومه وأهل دينه. (١٠)
الطبراني: قومه وأتباعه. (٢١١: ١)
الطبراني: (آل فرعون): القبط. (١٨٢: ١)

الفخر الرازي: (آل فرعون) لا شك أن المراد منه هاهنا من كان من قوم فرعون، وهم الذين عزموا على إهلاك بني إسرائيل، ليكون تعالى متجبا لهم منهم، بما تضمنه من الأحوال التي توجب عقابهم وهلاك فرعون وقومه. (١٧: ٣)

الطبراني: (آل فرعون): قومه وأتباعه وأهل دينه. وكذلك آل الرسول ﷺ من هو على دينه وملة في عصره وسائر الأعمار، سواء كان نبياً له أولم يكن، ومن لم يكن على دينه وملة فليس من آله ولا أهله، وإن كان نبيه وقريبه.

أَبْرَهُيْمُ: (آل فرعون)؛ قومه وأهل دينه، ومطلها:
﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ المؤمن: ٤٦.

(٤٠: ١)

الطَّبْرَسِي: ولم يذكر فرق فرعون، لأنه قد ذكره
في مواضع، كقوله: ﴿فَأَلْهَمْنَاهُ وَحْيَ سَقَّةٍ﴾ الإسراء:
١٠٣، فاختصر لدلالة الكلام عليه، لأنَّ الغرض مبني
على إهلاك فرعون وقومه، وظهيره قول القائل: «دخل
جيش الأمير البادية» ويكون الظاهر أنَّ الأمير معهم،
وجوز أن يريد (آل فرعون) نفسه، كقوله: ﴿يَمَّا تَرَاهُ
أُلُ تُؤْنِي وَأُلُ تُؤُونُ﴾ البقرة: ٢٤٨، يعني موسى
وهارون.

أَبْرَهُيْمُ: ولم يذكر فرعون فيمن عصى، لأنَّ
أَجْرَهُمْ مَسْكُورٌ، فاكفى بذكر (آل) هنا، لأنهم هم
الذين ذكروا في الآية قبل هذه، ونسب تلك الصفة
إليهم من سوءهم بني إسرائيل الذئاب وذبحهم
أبناءهم واستحيائهم نساءهم، فناسب هذا أفرادهم
بالتفرق.

وقد ذكر تعالى فرق فرعون في آيات أخر منها:
﴿فَأَخَذْنَا وَحْيَهُ فَتَنَّاكُم بِآلِيهِ﴾ القصص: ٤٠،
﴿حَقُّ إِذَا أَذْرَكْتُمُ الْفِرْقَ﴾ يونس: ٩٠، ﴿فَأَسْبَغْتُهُمْ
فِرْعَوْنَ بِحُمْرٍ مُّؤْتَوٍ مِّنْ أَسْمِ عَلَاقِيبِهِمْ﴾ طه:
٧٨.

الْبُرُوسِيُّ: يريد فرعون وقومه، للعلم بدخوله

خلافًا للرافضة^(١) حيث قالت: إِنَّ آلَ رَسُولِ
الله ﷺ فاطمة والحسن والحسين فقط، دليلنا قوله
تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ البقرة: ٥٠، ﴿أَدْخِلُوا آلَ
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ المؤمن: ٤٦، أي آل دينه، إذ
لم يكن له ابن ولا بنت ولا أب ولا هم ولا أخ ولا عَصْبَة،
ولأنه لا خلاف أنَّ من ليس بمؤمن ولا موحد فإنه ليس
من آل محمد وإن كان قريبًا له، ولأجل هذا يقال: إِنَّ
أَهْلَهُ وَأَهْلَهُمْ لَيْسَ مِنْ آلِهِ وَلَا مِنْ أَهْلِهِ، وإن كان
بينهما وبين النبي ﷺ قرابة، ولأجل هذا قال الله تعالى في
ابن نوح: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ هود: ٤٦.

وقالت طائفة: آل محمد: أزواجه وذريته خاصة،
لحديث أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله كيف
نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، صلى على آل إبراهيم، وبارك على
محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم،
[ذلك حميد مجيد].

وقالت طائفة من أهل العلم: الأهل معلوم، والأك:
الأتباع، والأول أصح لما ذكرناه، ولحديث عبد الله بن أبي
أوفى: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا أتاه قوم بصدقهم قال:
«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ» فإذا أتاه أبي بصدقته فقال: «اللَّهُمَّ صَلِّ
عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى».

(٣٨١: ١)
النَّيْسَابُورِيُّ: المراد (آل فرعون) أتباعه وأهلونه
الذين مزموه على إهلاك بني إسرائيل بأمره. (٣٠٨: ١)

٢- وَإِذْ فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْفَقْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ
فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ كَاظِمُونَ. البقرة: ٥٠.

(١) هذه الكلمة تمت من التائيد بالألقاب وكم لها من نظير
بين فرق المسلمين، فيجب على المسلمين العذر من
اشتغالها فيما يقولون وفيما يسطرون، حفاظًا على
آخرتهم ووحدة بهم.

فيهم، وكونه أولى به منهم. (١٣١: ١)
 الألوسي، في الكلام حذف يدل عليه المعنى،
 والتقدير: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾ ونجسكم فرعون
 وجنوده في تقسيمه ﴿فَأَعْيَيْنَاكُمْ﴾ أي من الفرق، أو من
 إدراك فرعون وآله لكم، أو مما تكرهون، وكفى سبحانه
 بآل فرعون عن فرعون وآله، كما يقال: بني هاشم،
 وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ الإسراء: ٧٠،
 يعني هذا الجنس الشاغل لآدم، أو المختص على ذكر
 (الأك) لأنهم إذا عذبوا بالإغراق كان مبدأ العناد ورأس
 الضلال أولى بذلك. وقد ذكر تعالى غرق فرعون في
 آيات أخر من كتابه، كقوله سبحانه: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِنَ
 خَلْقِهِ جَهَنَّمَ﴾ الإسراء: ١٠٣ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ
 فِي الْيَمِّ﴾ القصص: ٤٠، وحمل (الأك) على الشخص -
 حيث إنه ثبت ثلثة كما في «الصّاح» - ركيز غير مناسب
 للمقام. وإنما المناسب له التسميم. (٣٥٥: ١)

٣- وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ.

الأعراف: ١٣٠

الطبري: ولقد اخترنا قوم فرعون وأتباعه، على
 ما هم عليه من الضلالة، بالسنين. (٢٨: ٩)
 نحوه الطبرسي (٢: ١٦٦)، والبروسوي (٣: ٢١٧).
 الألوسي: المراد بآل فرعون أتباعه من القبط.
 وإضافة (الأك) إليه وهو لا يضاف إلا إلى الأشراف، لما
 فيه من الشرف الدنيوي الظاهر، وإن كان في نفس الأمر
 خسيئاً. (٣٦: ٩)

رشيد رضا: [بعد نقل قول الراغب قال:]

إِنْ ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أطلق في القرآن على أهل بيته
 خاصة، في موضع واحد لا يحتمل غيرهم، وفي موضع
 آخر محتمل لغيرهم، فالأول قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَيْنَاهُ آلَ
 فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ القصص: ٨، والثاني
 قوله: ﴿وَقَالَ زُحَلُّ شُعَيْنٌ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ المؤمن: ٢٨.
 وأطلق كثيراً بمعنى ملاء، وخاصة أتباعه أو جملتهم،
 كقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ البقرة: ٥٠، ﴿أَدْخَلُوا آلَ
 فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ المؤمن: ٤٦، ﴿وَإِذْ هَبَّتْكُمْ مِنْ
 آلِ فِرْعَوْنَ﴾ البقرة: ٤٩، ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ﴾
 القمر: ٤١.

كذلك كثر ذكر ملاء فرعون في إرسال موسى إليهم،
 وما دار بين فرعون وبينه، وهم أشراف قومه ورجال
 دولته كما تقدم. ولولا أن ورد ذكر قومه في بعض الآيات
 لمعنا (الأك) في الآية - التي نحن بصدد تفسيرها وفي
 أمثالها - عليهم دون سائر قومه. فقد قال تعالى في أول
 قصّة موسى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أُنَبِّئِ الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَسْتَفْهِنُونَ الشّعراء: ١٠، ١١.
 وقال: ﴿وَلَقَدْ نُنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ
 كَرِيمٌ﴾ الدخان: ١٧، ومن الواضح أن عامة قوم فرعون
 ينالهم من عذاب الأخذ بالسنين ونقص الثمرات
 ما لا ينال فرعون وأهل بيته وخاصة ملاء. فالمراد بآله
 قومه، وهم أهل مصر في عهده، وهم مؤخذون بظلمه
 وطنيانه، لأن قوته المائلة والجندية منهم. وقد خلقهم
 الله أحراراً وكرمهم بالعقل والفضيلة التي تكره الظلم
 والظنّيان بالفرية، فكان حتماً عليهم أن لا يقبلوا
 استعباده لهم وجعلهم آله لطغيانه وإرضاء كبريائه

وشهراته، ولا سيما بعد بعثة موسى ووصول دعوته إليهم ودفعهم لما آتاه الله به من الآيات. (٨٦: ٩)

المزاحي: (آل فرعون): قومه وخاصته وأعواله في أمور الدولة، وهم الملا من قومه، ولا يستعمل هذا اللفظ إلا فيمن يختص بالإنسان بغربة قريبة، كما قال عز لمسه: ﴿وَأَلَيْزَاجِهِمْ وَقُلَّ عَمَرَانُ﴾ آل عمران: ٣٣، أو بموالاة ومناجاة في الزمان كما قال: ﴿أَذْخَلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ المؤمن: ٤٦. (٤٠: ٩)

٤. فَانْقَطَعُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ هَمْ عَدُوًّا

وَعَزَّائًا...

هيد الزحمان بن زيد: إن امرأة فرعون خرجت إلى البحر وكانت برصاء، فوجدت ثابوتها فأخذتها فبرئت من برصها، فقلت: هذا الصبي مبارك. (الماوردي ٤: ٢٣٦).

ابن عباس: أنه انقطع جolari امرأته حين غريجن لاستسقاء الماء فوجدن ثابوته فحمله إليها. (الماوردي ٤: ٢٣٦)

السدي: أقبل الموج بالثابوت يرضه مرة ويغضه أخرى، حتى أدخله بين أشجار، عند بيت فرعون فخرج جolari آسية امرأة فرعون ينسطن فوجدن الثابوت فأدخلته إلى آسية، وعلن أن فيه مالا، فلبثا ظفرت إليه آسية، وقمت عليها رحمته، فأحبته، فلبثا أخبرت به فرعون، أراد أن يذبحه، فلم تنزل آسية تكلمه، حتى تركه لها، قال: إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل، وأن يكون هذا الذي على يديه هلاكنا،

فذلك قول الله: ﴿فَانْقَطَعُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ هَمْ عَدُوًّا وَعَزَّائًا﴾. (الطبري ٢٠: ٣١)

ابن إسحاق: أصبح فرعون في مجلس له، كان يجلسه على سرير النيل كل غداة، فبينما هو جالس، إذ مر النيل بالثابوت يقذف به، ونسية بنت مزاحم امرأته جالسة إلى جنبه، فقلت: إن هذا شيء في البحر، فأتوني به، فخرج إليه أموانه، حتى جاءوا به، ففتح الثابوت فإذا فيه صبي في مهده، فألقى الله عليه محبته، وعطف عليه نفسه. (الطبري ٢٠: ٣٢)

الطبري: واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله:

(الفرعون) في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني بذلك: جolari امرأته فرعون.

وقال آخرون: بل عني به ابنة فرعون، ذكر من قال ذلك.

من محمد بن قيس: قال: كانت بنت فرعون برصاء، فجاءت إلى النيل، فإذا الثابوت في النيل تغرقه الأمواج، فأخذته بنت فرعون، فلبثا فتمت الثابوت، فإذا هي بصبي، فلبثا أطلعت في وجهه برأت من البرص، فجاءت به إلى أمها، فقلت: إن هذا الصبي مبارك لمتا ظفرت إليه برئت.

وقال آخرون: عني به أموان فرعون.

ولاقول في ذلك عندنا أولى بالصواب، مما قال الله عز وجل: ﴿فَانْقَطَعُ أَلْ فِرْعَوْنَ﴾، وقد بينا معنى الال فيما مضى، بما فيه للكتابة من إعادته هاجنا. (٣١: ٢٠)

المصنعي: آل الرجل: شيعته وخاصته. (٢٧٨: ٧)

- ابن قتيبة: أحله وجملته، وروى أن أسية امرأة فرعون رأت الثابوت يوم في اليوم فأسرت بسوته وفتخته فرأت فيه صبياً صغيراً فرحمته وأحبته. (٢٧٧: ٤)
- الفرار الزاوي: والمراد بالفرار فرعون جواره. (٢٢٨: ٢٤)
- هـ - وَقَالَ رَبُّهُ لِيُؤْمِنَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ... المؤمن: ٢٨
- النبي ﷺ: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس الذي يقول: «يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ» إِبْرَاهِيمَ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَأَهْلَهُمْ كَذَبُوا... وهو أفضلهم. (البحراني: ٤: ٢٢٦)
- ابن عباس: لم يكن من آل فرعون مؤمن غيرهم وغير امرأة فرعون، وغير المؤمن الذي أشهد موسى فقال: «إِنَّ السَّعْيَ يَأْتِيُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ» القصص: ٢٠. (الطبرسي: ٤: ٥٢١)
- الإمام الباقر عليه السلام: كان خازن فرعون مؤمناً بموسى، قد كتم إيمانه..... وهو الذي قال الله: «وَقَالَ رَبُّهُ لِيُؤْمِنَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ». (البحراني: ٤: ٩٥)
- السدي: هو ابن عم فرعون. ويقال: هو الذي نجا مع موسى. (الطبرسي: ٢٤: ٥٨)
- كان رجلاً قبطياً ابن عم فرعون، وزوج ماضطة بنت فرعون.
- مطه مقاتل. (المهدي: ٨: ٤٦٦)
- الإمام الرضا عليه السلام: كان ابن خال فرعون، فنسبه إليه فرعون بنسبه، ولم يصفه إليه بدينه. (البحراني: ٤: ٩٦)
- الطبرسي: اختطف لعل العلم في هذا الرجل المؤمن، فقال بعضهم: كان من قوم فرعون، غير أنه كان قد آمن بموسى، وكان يصر إيمانه من فرعون، [وبعد نقل قول السدي قال:] وقال آخرون: بل كان الرجل إسرائيلياً، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون.
- وأولى القولين في ذلك بالصواب عند القول الذي نقله السدي: من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، قد أصنى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند خيبه عن قتله، وقبله ما قاله، وقال له: ما أرىكم إلا ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد، ولو كان إسرائيلياً لكان حربياً أن يعاجل هذا القاتل له ولمن له ما قاله، بالعقوبة على قوله، لأنه لم يكن يستصح بني إسرائيل، لاعتداده إقام أعداء له، فكيف يتوكله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلاً، ولكنه لما كان من ملائمة، استمع قوله، وكف عتاً كان هم به في موسى. (٢٤: ٥٧)
- الزجاج: جاء في التفسير أن هذا الرجل، أصنى مؤمن آل فرعون كان يُسمى يسحاق، وقيل: كان اسمه حبيثاً، ويكون (من آل فرعون) صفة للرجل، ويكون (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) معه مخدوف، ويكون المعنى يكتم إيمانه

منهم، ويكون (يكنتم) من صفة رجل، فيكون المعنى: وقال رجل مؤمن يكنم إسماعه من آل فرعون.

(٤: ٣٧١)

التفسير: قال قوم من المفسرين: هو رجل إسرائيلي وما كان قبطيًا. ضل هذا القول في الآية تقديم وتأخير، أي وقال رجل مؤمن يكنم إسماعه من آل فرعون، لأنه لم يكن مؤمن من آل فرعون أبدًا.

(٨: ٤٦٦)

الزمخشري: (يكنم) أي يفرعون صفة لـ (رجل) أو صفة لـ (يكنم)، أي يكنم إسماعه من آل فرعون، واسمه سمعان أو حبيب، وقيل: حزيل أو حزيل، والظاهر أنه كان من آل فرعون. فإن المؤمنين من بني إسرائيل لم يقاتلوا ولم يهزوا، والدليل عليه قول فرعون: «أبناء الذين آمنوا عنة المؤمن: ٢٥، وقول المؤمن: «فحقن بخصرتنا من أناس الجاهل جاءتنا» المؤمن: ٢٩، دليل ظاهر على أنه يتنصع لقومه.

الطبرسي: وقيل: إنه كان ولي عهد من بعده، وكان اسمه حبيب، وقيل: اسمه حزيل. (٤: ٥٢١)

الفخر الرازي: اختلفوا في ذلك الرجل الذي كان من آل فرعون، فقيل: إنه كان ابن عم له وكان جارًا مجري ولي العهد ومجري صاحب الشرطة، وقيل: كان قبطيًا من آل فرعون وما كان من أقاربه. وقيل: إنه كان من بني إسرائيل.

ولقول الأول أقرب، لأن لفظ (الكن) يقع على القرابة والعشرة. (٢٧: ٥٧)

القرطبي: ذكر بعض المفسرين أن اسم هذا

الرجل حبيب، وقيل: سمعان، بالشين المعجمة، قال السهيلي: وهو أمسح ماقبل فيه.

وفي تاريخ الطبري رحمه الله: اسمه خبرك، وقيل: حزيل، ذكره الثعلبي عن ابن عباس وأكثر العلماء. وقيل: حزيل أو حزيل.

واختلف هل كان إسرائيليًا أو قبطيًا؟

فقال الحسن وغيره: كان قبطيًا، ويقال: إنه كان ابن عم فرعون، قاله السدي، قال: وهو الذي نجى مع موسى عليه السلام. ولهذا قال: (يكنم إسماعه من آل فرعون) [أي أن قال:] وقيل: كان هذا الرجل من بني إسرائيل يكنم إسماعه من آل فرعون، عن السدي أيضًا.

في الكلام على هذا تقديم وتأخير، والتقدير: وقال رجل مؤمن يكنم إسماعه من آل فرعون.

فمن جعل الرجل قبطيًا (أي من) عنده متعلقة بـ (يكنم) صفة لـ (رجل)، والتقدير: وقال رجل مؤمن منسوب من آل فرعون، أي من أهله ولقاربه، ومن جعله إسرائيليًا (أي من) متعلقة بـ (يكنم) في موضع المفعول الثاني لـ (يكنم). القسيري: ومن جعله إسرائيليًا فيه يخذ، لأنه يقال: كتمه أسر كذا، ولا يقال: كتمه. (١٥: ٣٠٦)

البرصوي: (يكنم إسماعه من آل فرعون) فهو صفة ثانية للرجل، وقوله: (يكنم إسماعه) صفة ثالثة، قدم الأول أعني (مؤمن) لكونه أشرف الأوصاف، ثم الثاني لئلا يتوهم خلاف المنصود، وذلك لأنه لو أخر عن (يكنم إسماعه) لتوهم أن (يكنم) صفة، فلم يفهم أن ذلك الرجل كان من آل فرعون، [أي أن قال:]

قال في «التكملة»: فَإِنْ قُلْتَ: (الآل) قد يكون في غير القرابة بدليل قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ المؤمن: ٤٦، ولم يرد إلّا كل من كان على دينه من ذوي قرابته وغيرهم.

فالجواب: أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لم يكن من أهل دين فرعون وإنما كان مؤمناً، فإذا لم يكن من أهل دينه فلم يبق لوصفه بأنه من آل إلا أن يكون من عشيرته، انتهى.

وقيل: كان إسرائيل ابن عمّ فارون، أو أبوه من آل فرعون وأمه من بني إسرائيل، فيكون (بن آل فِرْعَوْنَ) صلة (يَكْتُمُ)، وفيه أنه لا يقتضي هنا لتقديم المتعلق، وأيضاً أن فرعون كان يعلم لسان بني إسرائيل، لا تروى إلى قوله: ﴿أَنْبَاءَ الَّذِينَ أَتَوْا مُصَافًى﴾ المؤمن: ٢٥، فكيف يمكنهم أن يفعلوا، كذلك مع فرعون.

وقيل: كان عربياً سوحيماً ينالهم لأجل المصلحة. (٨: ١٧٧)

الطَّبَائِبِيُّ: ظاهر السياق أَنَّ (بن آل فِرْعَوْنَ) صفة رجل و(يَكْتُمُ لِسَانَهُ) صفة أخرى، فكان الرجل من القبط من خاصة فرعون، وهم لا يعلمون بإيمانه لكنمائه إياهم ذلك تقيّة.

وقيل: قوله: (بن آل فِرْعَوْنَ) مفعول ثان لقوله: (يَكْتُمُ) خُذَمَ حليد، والغالب فيه وإن كان التحدّي إلى المفعول الثاني بنفسه، كما في قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ النساء: ٤٢، لكنّه قد يتحدّى إليه (بن) كما صرح به في «المصباح».

وفيه أَنَّ السَّيَاقَ يَأْهَى فَلانكتة ظاهرة تقتضي تقدّم

المفعول الثاني على الفعل من حصر ونحوه، على أَنَّ الرَّجُلَ يَكْتُمُ نداء فرعون وقومه بلفظة «يا قومي» ولو لم يكن منهم لم يكن له ذلك. (١٧: ٣٢٨)

عبد الكريم الخطيب: (بن آل فِرْعَوْنَ) أي من آل بيته، ومن الرؤوس البارزة في دولة فرعون، لقد يكون أميراً، أو وزيراً، أو قائد جنده، ونحو هذا. (١٢: ١٣٢٥)

٦- وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ. القمر: ٤١
القحط الرّوازي: ما الفائدة في لفظ (آل فِرْعَوْنَ) بدل «قوم فرعون»؟

نقول: القوم أهم من الآل، فالقوم: كل من يقوم الرئيس بأمرهم أو يقومون بأمره، والآل: كل من يؤول إلى الرئيس خيرهم وشرهم، أو يؤول إليهم خيره وشره. فالحميد الذي لا يعرفه الرئيس ولا يعرف هو عين الرئيس وإنما يسمع اسمه، فليس هو بآله.

إذا عرفت الفرق، نقول: قوم الأنبياء الذين هم غير موسى عليه السلام، لم يكن فيهم قاهر يقهر الكل ويجمعهم على كلمة واحدة، وإنما كانوا هم رؤساء وأتباعاً. والرؤساء إذا كثروا لا يبقى لأحد منهم حكم نافذ على أحد، أمّا على من هو مثله ظاهر، وأمّا على الأراذل فلاّتهم يلجؤون إلى واحد منهم، ويدفعون به الآخر فيصير كل واحد برأسه، فكان الإرسال إليهم جميعاً.

وأما فرعون فكان قاهراً يقهر الكل، وجعلهم بحيث لا يخالفونه في قليل ولا كثير، فأرسل الله إليه الرسول وحده، غير أنّه كان عنده جماعة من التابعين المقرّين

مجازه: اعملوا يا آل داود بطاعة الله، شكراً له على نعمه.
 قيل: المراد من (أَلْ ذِكْوَدَا) هو دلود نفسه. وقيل:
 داود وسليمان وأهل بيته. (٢٢٤: ٥)

الآلوسي: (آل) سنادي، حذف حرف النداء.
 [إلى أن قال:]

وجوز بعض الأفاضل دخول (داود) في (الآل)
 هنا، لأن «آل الرّجل» قد يعنى.

الوجه والنظائر

مُقابل: تفسير (آل) على ثلاثة وجوه:

الوجه منها: (آل) يعني قومه فذلك قوله: «وَلَقَدْ
 جَاءَنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا كَذِبًا» القمر: ٤٦. يعني فرعون وقومه
 وقال: «أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ»
 المؤمن: ٤٦. يعني فرعون وقومه أهل بيته القبط.
 وقال: «وَلَقَدْ جَاءَنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا كَذِبًا» المؤمن: ٢٨. يعني
 من قوم فرعون.

والوجه الثاني: (آل) يعني أهل بيت الرّجل، فذلك
 قوله: «إِنَّا آلُ لُوطٍ عَجِيبٌ» القمر: ٣٤. يعني
 لوطاً وابنتيه. وقال: «فَلَمَّا جَاءَ آلُ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ»
 العنبر: ٦١. يعني أهل لوط. وقال أيضاً: «إِنَّا أَرْسَلْنَا
 إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ مُوسَى» إلا أن لوطاً إِنَّا لَمُسْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ»
 العنبر: ٥٨، ٥٩. يعني لوطاً وأهله. ثم استثنى من أهله
 فقال: (أَلَا امْرَأَتُهُ) لانتجها.

والوجه الثالث: (آل) يعني ذرية الرّجل وإن سفل،
 فذلك قوله: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ»
 يعني إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط. «وَأَلَّ

مثل قارون، تقدّم عنده إسماعيل العظيم، وهامان لدهائه،
 فاعتبرهم الله في الإرسال، حيث قال في مواضع: «وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَسُلَيْمَانَ»
 وقال تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلَيْمَانَ
 عَلَيْهِمَا إِلَهًا يَسْمَعُونَ وَهَارُونَ وَقَارُونَ فَلَمَّا جَاءُوا
 كَذَابًا» المؤمن: ٢٣، ٢٤. وقال: «وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ
 وَهَارُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا» المنكوت: ٣٩.
 لأنهم إن آمنوا آمن الكل، بخلاف الأقوام الذين كانوا
 قبلهم وسعدهم. فقال: «وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ التَّنْذِيرُ»
 وقال كثيراً مثل هذا كما في قوله: «أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ
 أَشَدَّ الْعَذَابِ» المؤمن: ٤٦. «وَقَالَ وَجُمل مؤمنين من آل
 فِرْعَوْنَ يَكْتُمُونَ إِسْمَانَةَ» المؤمن: ٢٨. وقال بلفظ «السلامة»
 أيضاً كثيراً. (٢٩: ٦٣)

البيروني: اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه
 أولى بالذكر، أي وبالله لقد جاءهم الإنذارات من جهة
 موسى وهارون وهرون. كأنه قيل: فعادوا فعلوا حيث لم
 قيل: «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَلْبًا» القمر: ٤٢. (٩: ٢٨١)
 الآلوسي: الاكتفاء بذكر (آل فِرْعَوْنَ) للعلم بأن
 نفسه أولى بذلك، فإنه رأس الظلمة ومدعي الألوحيّة،
 والقول بأنه إشارة إلى إسلامه ممّا لا يمتنع إليه.
 (٢٧: ٩١)

٦- آل داود

...إِغْتَسَلُوا آلَ ذِكْوَدَا شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ
 الشُّكْرُ.

البيروني: أي وقلنا: «إِغْتَسَلُوا آلَ ذِكْوَدَا شُكْرًا»

- عِمْرَانُ ﴿ آل عمران: ٢٣، يعني موسى وهارون
اختارهم للرسالة. (٢٧١)
منه هارون الأعور (٢٩٥)، والدامخاني (٦٦)،
ونعوه الفيروز اهادي، (بصائر ذوي التمييز ٢: ١٦٢).
لاحظ الأصول اللغوية والاستعمال القرآني لهذه
الكلمة في (أول).



أول

ألفاظ: ٧٩ مرة، ٦٦ مكتبة، ١٣ مدنية

في ٣٦ سورة، ٢٨ مكتبة، ٨ مدنية



من قال: إن تأليفها من همزة وواو ولام، فكان
يتبعي أن يكون «أفضل» منه: أول محدود، كما تقول من
أول يومها: أوله. ولكنهم احتجوا بأن قالوا: أدمت
تلك الهمزة في المول، لكثرة ما جرى على الألسن.

ومن قال: إن تأليفها من واو ولام، جعل الهمزة
ألف «أفضل» وأدغم إحدى الواووين في الأخرى،
وشددها.

وتقول: وأبى حاشا أول يا فقي، لأن «أول» على بناء
«أفضل». ومن يؤن حمله على النكرة، ومن لم يؤن
فهو يابه. [ثم استشهد بقمر]

والتأويل والتأويل: تفسير الكلام الذي يختلف
معانيه ولا يصح إلا بيان غير لفظه. (٨: ٣٦٨)

آل يؤول إليه، إذا رجع إليه، تقول: طبخت للتبذ

(١) أي دقل الشاعر.

تأويل ٧٩ الأول: ٢، ١-١

تأويل ١-١: ٢ الأول: ١-١

تأويله ٢-١: ٨ الأول: ٦، ١-٥

أول ٢١: ١٥ الأول: ٣٢، ١-٣١

النصوص اللغوية

الخلول: فأتى الأوائل من الأول، فهم من يقول:

تأسيس بنائه من همزة وواو ولام، ومنهم من يقول:

تأسيسه من واو ولام، ولكل حجة، قال (١) في

وصف الثور والكلاب:

• جهام تحت الوالات أوخير •

رواية أبي الدقش. وقال أبو خيرة: تحت الأوالات

أوخير.

والأول والأول بمنزلة أفضل وفعل. وجمع أول:

أولون، وجمع أول: أوليات، كما أن جمع الأخرى:

- والدواء فأن إلى قدر كذا وكذا إلى الثلث أو الربع، أي
رجع. (٨: ٣٥٩)
- أبو هُبَيْدَة: التَّأْوِيلُ: المَرْجِعُ والمَصِيرُ، مأخوذ من: آل
يؤول إلى كذا، أي صار إليه.
- والإيمال: هو وزن قبالة وعاء يؤول فيه شراب
أو عصير أو نحو ذلك، يقال: ألتُ الشراب أوْوله أوْلاً؛
قال:
- فَقَتَّ الحِتَامَ وَقَدْ أُوْثِمْتُ وأحدث بعد إقبال إقبالاً
وهو الحُتْرُ، وكذلك بول الإبل التي جزأت بالزُّطْبِ.
- [ثم استشهد بشر]
- والمصدر منه: الأوَّل والأوَّل.
- سببونه: أوَّل «أفضل» لا فحل له، لا اعتلال فائه
وعينه.
- أبو زيد، يقال: لقيته عام الأوَّل ويوم الأوَّل؛
آخره.
- يقال: جاء فلان لي أوَّلِيَّة الناس، إذا جاء لي أوَّلهم.
- (الأزهري: ١٥: ٤٣٧)
- كان الجاهلية يستون يوم الأحد: الأوَّل.
- (ابن فارس: ١: ١٥٩)
- ناقة أوَّلَة وجمل أوَّل، إذا تقدما الإبل.
- (ابن فارس: ١: ١٥٨)
- الأصمعي: آل الثَّغْلَانِ يؤولون أوْلاً، إذا حُفِرَ، وآل
ماله يؤوله إبالاً، إذا أصلحه وسأه.
- (الأزهري: ١٥: ٤٣٧)
- الأكبة: سرير الميت، [ثم استشهد بشر]
- (الأزهري: ١٥: ٤٤١)
- آل الرجل رعيته يؤولها، إذا أحسن سياستها.
- يقال: ردوته إلى آيلته، أي طبعه وسوسه. (١)

وقوله: هذا أول مال كسبه، جائز ألا يكون بعد كسبه، ولكن إرادته: «هذا ابتداء كسبه».

ولو قال قائل: أول عبد لمملكه فهو حر، فملك عبدًا، أحقق ذلك العبد، لأنه قد ابتداء الملك. (١: ٤٤٥)

ابن دُرَيْد: أول «فَوَعَلَ»، قال حم: هو فَوَعَلَ أيضًا ليس أقبل، كان الأصل «وَوَلًا» فغلبت الواو الأولى حمزة وأدغمت واو فَوَعَلَ في عين الفعل فهي وار، فقالوا: أول. (٣: ٣٦٣)

تقول: ألت الإبل أوولها أولًا وإيالا، إذا أحسنست سياستها والقيام عليها.

وآل اللجن يسوول أولًا، إذا خُفِر، وآل المسمل والطيران يؤول أولًا، إذا عقدته بالثار حتى ينفث.

الأزهري: [بعد نقله قول الأصمعي قال:]

ويقال لأهوال الإبل التي جزلت بالرحط في آجر جزئها: قد آلت تؤول أولًا، أي: خُفِرَتْ، فهي آيلة.

[بعد نقله قول الخليل قال:]

والذي نرفه: آل الشراب، إذا خُفِر، وانتهى بلوغه ومنتهاه من الإسكار، ولا يقال: ألت الشراب.

والإيال، مصدر: آل يؤول أولًا وإيالا.

[قيل:] آل فلان من فلان، أي: وُلد منه ولجها، وهي لغة الأنصار. [ثم استشهد بشعر]

يقولون: رجل آيل، مكان «وائل».

ومنهم من ينصب «أول» ويرفع «ذنبه»، على معنى: في أول ما أطلع ضب ذنبه، أي في أول ذلك.

يقال: [إنما طعام فلان القنماء والتأويل]، والتأويل: نبت يمتلئه الحمار، والقنماء: شجرة لها شوك - ويضرب هذا للرجل إذا اشتبه قهقهته، وشبهه بالحمار في ضحك عقله.

الأزهري (١٥: ٤٥٨) يقول: «أول» ما أطلع ضب ذنبه، أي في أول ذلك. (١٥: ٤٥٨)

فلان آيل مالٍ وحائس مالٍ ومُرافق مالٍ وإزاء مالٍ وبيرمال مالٍ، إذا كان حسن القيام عليه والسياسة له.

وكذلك خال مالٍ وخائل مالٍ. (ابن منظور ١١: ٣٦) تُغلب، التأويل والتغيير واحد.

الأزهري (١٥: ٤٥٨) المبرور: «أول» يكون على ضربين: يكون اسمًا، ويكون نعتًا موصولًا به: من كذا.

فأما كونه نعتًا، فنقول: هذا رجل أول مثله، وجاءني زيد أول من هبلك، وجبتك أول من أس.

وأما كونه اسمًا، فنقول: ما تركت أولًا ولا آخرًا، كما تقول: ما تركت له قديمًا ولا حديثًا.

وعلى أي الوجهين سميت به رجلًا انصرف في التكرار، لأنه في باب الأسماء بمنزلة «طفكسل» وفي باب التثنية بمنزلة «أحمر».

الأزهري (١٥: ٤٥٧) الزُّجَّاج: ومعنى «أول» في اللغة حل الحقيقة: ابتداء الشيء، فجائز أن يكون المبتدأ له آخر، وجائز أن لا يكون له آخر، فالواحد أول العدد والعدد غير متناه.

واضح الجنة أول وهو غير متقطع.

واضح الجنة أول وهو غير متقطع.

وَأَلْ غَمُّ الشَّاقَّةِ، إِذَا ذَهَبَ. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَعْر]

(٤٤١: ١٥)

[ويعد تقلد قول التحليل في «الأول» قال:]

ويجمع «الأول» على «الأول» مثل الأكبر والكبير،

وكذلك «الأولى».

ومنهم من شدد الواو من «أول» مجموعاً.

(٤٥٦: ١٥)

قد قال بعض اللغويين في اشتقاق الأول: إنه «أصل»

من آل يؤول، وأول «أصل» منه، فكان «أول» في

الأصل: أول، فقلت الهزمة الثانية ولول، وأدغمت في

الواو الأخرى، فقل: أول.

وعُزي هذا القول إلى سيبويه. وكأنه من قولهم: آل

يؤول، إذا نجحوا سبق. ومثله: وأل يئل، بمناة.

(٤٥٧: ٢٥)

قال أبو سعيد [الأصمعي]: العرب تقول: «فُتيت في

ضحاكك بين القنماء والتأويل»، وهما تان محمولان من

تراعي البهائم، فإذا أرادوا أن ينسبوا الرجل إلى أنه

بهيمة، إلا أنه عُصَب موشع عليه، ضربوا له هذا المثل.

وأنشد غيره^(١) لأبي وجزة:

فَرَزِبَ الْمَرَاتِعَ نَظَّارَ أَطَاعَ لَهُ

مَنْ كُلَّ رَلْبِيَّةٍ مَكْرُومٍ وَأَوَّلَ

وَدَأَيْتَ فِي تَفْسِيرِهِ^(٢) أَنَّ «التأويل» اسم بقعة يؤلج

بها بقر الوحش، كُتِبَتْ فِي الرَّمْلِ.

قلت: المكْر والقنماء معروفان، قد رأيتها في البادية،

وأما التأويل فما سمعته إلا في شعر أبي وجزة هذا،

(٤٥٩: ١٥)

وقد رعاها.

الْعَقَّاقِي: أَوَّلَتِ الشَّيْءَ: رَدَدَتْهُ إِلَى أَوَّلِهِ، فَالْأَفْظَةُ

مَأْخُذَةٌ مِنْ «الأول» (أبو حيان ٤: ٣٠٦)

ابن جني: آل اللَّبَنُ إِيَّالًا: تَعَفَّرَ فَاجْتَمَعَ بَعْضُهُ إِلَى

بَعْضٍ، وَأَلَّهْ أَنَا، وَأَلَّهَانِ أَيْلٌ. (البن منظور ١١: ٣٤)

الجبوهرية: التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء،

وقد أولته وتأولته تأوُّلاً، بمعنى: [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَعْر، إِلَى

لَنْ قَالَ:]

والآلة: الأدوات، والمسمع: الآلات، والآلة أيضاً: واحدة

الآل والآلات، وهي خَشَبَاتٌ تُثَبَّتُ عَلَيْهَا الْحَسِيمَةُ. [تَمَّ

اسْتَشْهَد بِشَعْر]

والآلة: الجسارة. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَعْر]

الآلة: الحالة، يقال: هو بآلة سوء. [تَمَّ اسْتَشْهَد

بِشَعْر]

والإيالة: السياسة، يقال: آل الأمير رعيته يؤولها

لَوْحًا عَلَى آلٍ، أَي سَانَهَا وَأَحْسَنَ رِعَايَتَهَا، وَفِي كَلَامِ

بعضهم: «قد لُنا وليل علينا».

وآل ماله، أي أصلحه وسأته.

والإيصال: الإصلاح والسياسة. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَعْر،

إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَأَلَّيْلُ: اللَّبَنُ الْخَائِرُ، وَالْمَسْمَعُ: أَيْلٌ، مِثْلُ قَارِحٍ

وَقَرْحٍ، وَحَائِلٌ وَحُؤْلٌ. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَعْر]

(٤: ١٦٢٧)

الأول: تقيض الأخير، وأصله: أولال على «أصل»

مهموز الأوسط، فلبت الهزمة وأوَّأ وأدغم، يدل على ذلك

(١) يعني غير أبي سعيد.

(٢) الظاهر: تفسير أبي سعيد.

قوله: هذا أول منك. والجمع: الأوائل والأولي أيضاً.
على القلب.

وقال قوم: وقول على «قَوَّلَ» فقلبت الواو الأولى همزة. وإنما لم يُجمع على «أولول» لاستفهام اجتماع الواوين بينها ألف الجمع.

وهو إذا جعلته صفة لم تصرفه. تقول: لقيته عاماً أولاً. وإذا لم يجعله صفة صرفته. تقول: لقيته عاماً أولاً. قال: ابن السكيت: ولا تقل: عام الأول.

وتقول: ما رأيته مذهباً أول، ومذهباً أول. فن رفع «الأول» جعله صفة لعام، كأنه قال: أول من عامنا. ومن نصبه جعله كالتعريف كأنه قال: مذهب عام قبل عامنا.

وإذا قلت: إننا بهذا أول. ضممت على النافية كقولك: فعلته قبل. وإن أظهرت المحذوف نصبت فقلت: ابتداءً به أول فعلك. كما تقول: قبل فعلك.

وتقول: ما رأيته مذمباً. فإن لم تره يوماً قبل أمس قلت: ما رأيته مذمباً من أمس. فإن لم تره مذمباً من قبل أمس قلت: ما رأيته مذمباً من أول من أمس. ولم تجاوز ذلك.

وتقول: هذا أول بين الأولين. [تم استشهد بشعر] وتقول في المؤنث: هي الأولى، والجمع: الأول. مثل أخرى وأخر. وكذلك الجماعة الرجال من حيث التأنيث. [تم استشهد بشعر] (١٨٢٨: ٥)

إن فاعلهم: همزة والواو واللام أصلان ابتداءً الأمر، وانتهاءً.

أما الأول فـ«الأول» وهو مبتدأ الشيء، والمؤنث «الأولى» مثل أفضل وأفضل. وجمع الأولى: أوليات. مثل

الأخرى.

فلما «الأوئل» فمنهم من يقول: تأسيس بناء «أول» من همزة وواو ولام. وهو القول. ومنهم من يقول: تأسيسه من واوين بعدها لام. وقد قالت العرب للمؤنث: أولة، وجمعها: أولات. [تم استشهد بشعر، وبعد نقل قول أبي زيد قال:]

والقياس في جمعه: «أولول» إلا أن كل واحد وقت طرماً أو قريئة منه بعد ألف ساكنة قلبت همزة.

وتقولون: أما أول ذات يدين فإني أحمد الله. والصلاة الأولى، سميت بذلك، لأنها أول ما صلى.

والأصل الثاني [قول الخليل الذي تقدم]. وبعد نقل الأحوال الخليل وابن السكيت وأبو حاتم قال:]

وآل الطير، إذا خثر. وآل جسم الرجل، إذا تحف. وهو من الباب، لأنه يحور ويحري. أي يرجع إلى تلك

والإزالة: السيادة من هذا الباب، لأن مرجع الرجعية إلى راعيا.

وتقول العرب في أسنانها: «أنا وإيل علينا» أي سنانا وسنانا غيرنا. [تم استشهد بشعر] (١٥٨: ١)

أبو هلال: الفرق بين قولنا «الأول» وبين قولنا «قبل» وبين قولنا «آخر» وقولنا «بجدة»: أن الأول هو من جملة ما هو أوله وكذلك الأخير من جملة ما هو آخره.

وليس كذلك ما يتعلق بـ«قبل» و«بعد»، وذلك أنك إذا قلت:

زيد أول من جاءني من بني تميم وآخره، أوجب ذلك أن يكون زيد من بني تميم. وإذا قلت: جاءني زيد قبل

بني تميم لوجدتهم، لم يجب أن يكون زيد منهم. فكل هذا

يجب أن يكون قولنا: الله أول الأشياء في الوجود وآخرها، أن يكون الله من الأشياء، وقولنا: إنه قبلها أو بعدها لم يوجب أنه منها ولا أنه شيء، إلا أنه لا يجوز أن يطلق ذلك دون أن يقال: إنه قبل الأشياء الموجودة سواء أوبدها، فيكون استثناءه من الأشياء لا يخرج من أن يكون شيئاً.

و«قبل» و«بعد» لا يقتضيان زماناً، ولو اختصيا زماناً لم يصح أن يستعملا في الأزمنة والأوقات، بأن يقال: بعضها قبل بعض أو بعده، لأن ذلك يوجب للزمان زماناً، وغير مستنكر وجود زمان لاني زمان ووقت لاني وقت. و«قبل» مضتة بالإضافة في المعنى واللفظ، وربما حذلت الإضافة اجتزاءً بما في الكلام من الدلالة عليها. وأصل «قبل» المماثلة، فكان الحادث المستعمل قد قابل الوقت الأول، والحادث المتأخر قد شهد من الوقت الأول ما يستقبل.

والآخر يعني: على تحصيل الاثنين، تقول: أحدها كذا والآخر كذا، والأول والآخر يقال بالإضافة، يقال: أوله كذا وآخره، إلا في أسماء الله تعالى. والأول الموجود قبل، والآخر الموجود بعد، والفرق بين السابق والأول: أن السابق في أصل اللفظة يقتضي مسبوقاً والأول لا يقتضي ثانياً، ألا ترى أنك تقول: هذا أول مولود ولد لفلان، وإن لم يولد له غيره، وتقول: أول عبدملكه حر، وإن لم يملك غيره، ولا يخرج العبد والابن من معنى الابتداء، وهذا يبطل قول الملحدين: إن «الأول» لا يسمى أولاً إلا بالإضافة إلى ثان.

وأما تسمية الله تعالى بآته «سابق» يفيد أنه موجود

قبل كل موجود، وقال بعضهم: لا يطلق ذلك في الله تعالى إلا مع البيان، لأنه يوهم أن معه أشياء موجودة قد سبقها، ولذلك لا يقال: إن الله تعالى أسبق من غيره، لأنه يقتضي الزيادة في التسبق، وزيادة أحد الموصوفين على الآخر في الصفة يوجب اشتراكها فيها من وجه أو من وجوه.

والفرق بين التأويل والتفسير: أن التفسير هو الإخبار عن أفراد آحاد الجملة، والتأويل: الإخبار بمعنى الكلام. وقيل: التفسير: أفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل. والتأويل: الإخبار بفرض المتكلم بكلام.

وقيل: التأويل: استخراج معنى الكلام لاهل ظاهره على وجه يحتمل مجازاً أو حقيقة، ومنه يقال: تأويل المتن: وتفسير الكلام: أفراد آحاد الجملة ووضع كل شيء منها موضعه، ومنه أخذ تفسير الأئمة بالماء.

والمفسر عند الفقهاء: ما فهم معناه بنفسه، والمجمل: ما لا يفهم المراد به إلا بغيره، والمجمل في اللفظة: ما يتناول الجملة، وقيل: المجمل: ما يتناول جملة الأشياء، أو يبيّن عن الشيء على وجه الجملة دون التفصيل.

والأول هو الصوم وما شاكله، لأن ذلك قد سمي بجملاً من حيث يتناول جملة مستحبات، ومن ذلك قيل: أجملت الحساب. والثاني هو ما لا يمكن أن يُعرف المراد به، خلاف المفسر. والمفسر: ما تقدم له تفسير، وغرض الفقهاء غير هذا وإنما سموا ما يفهم المراد منه بنفسه مفسراً لما كان يتبين، كما يتبين ما له تفسير.

وأصل التأويل في العربية من: ألت إلى الشيء أوله إليه، إذا صرحت إليه، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَقْلُمُ ثَأْرِيَهُ إِلَّا

الله والرايسخون في العلم آل عمران: ٧، ولم يقل: تفسيره، لأنه أول ما يؤول من التشابه إلى المحكم.

(٤٢)

ابن سيدة: قال ابن جني: «وَأَيُّهَا أَيْمِلْ»، وهذا عزيز من وجهين:

أحدهما: أن تجمع صفة خير المبرور على «فعل» وإن كان قد جاء منه نحو عیدان قيس، ولكنته نادر.

والآخر: أنه يلزم في جمعه «أول» لأنه من الواو بدليل: آل أولًا، لكن الواو لما قرئت من الحرف احتملت الإعلال، كما قالوا: نيم وصيم. (ابن منظور ١١: ٣٤)

الطوسي: التساويل: التفسير، وأصله المربيع والمصير، من قولهم: آل أمره إلى كذا يؤول أولًا، إذا صار إليه. وأولته تأويلًا، إذا صيرته إليه. (٢: ٣٩)

الزاجب: التساويل: من الأول، أي الرجوع إلى الأصل، ومنه التأويل، للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى النهاية المرادة منه صلًا كان أو فصلًا، غني العلم نحو: «وَمَا يَنْفَعُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» آل عمران: ٧، وفي الفعل كقول الشاعر:

«وَلَتَلَوِي قَبْلَ يَوْمِ الْهَيْجِ تَأْوِيلًا»

وقوله تعالى: «قُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ» الأعراف: ٥٢، أي بيانه الذي هو غاية المقصودة منه. وقوله تعالى: «ذَلِكَ خَمِيرٌ مُخْتَصِرٌ تَأْوِيلًا» النساء: ٥٩، قيل: أحسن معنى وترجمة، وقيل: أحسن جوابًا في الآخرة.

والأول: السياسة التي تُراعى مآلها، يقال: أول لنا وأيمل علينا، و«لؤل» قال الخليل، تأسيسه من همزة وواو

ولام، فيكون «فعل»، وقد قيل: من ولوين ولام، فيكون «فعل»، والأول أنصح، ففلة وجودها فاوؤه وعينه حرف واحد كدفع.

فصل الأول يكون من آل يؤول، وأصله «أول» فأدغمت الهمزة لكثرة الكلمة، وهو في الأصل صفة، تقولهم في موته: أول، نحو أخرى.

«الأول» هو الذي يترتب عليه غيره، ويستعمل على أوجه:

أحدها: المتقدم بالزمان، كقولك: عبد الملك أولًا ثم منصور.

الثاني: المتقدم بالرئاسة في الشيء، وكون غيره خلفًا به، نحو: الأمير أولًا ثم الوزير.

الثالث: المتقدم بالوضع والتسبة، كقولك للخارج من الراق: القادسية أولًا ثم قيس، وتقول للخارج من مكة: مكة أولًا ثم القادسية.

الرابع: المتقدم بالنظام النهائي، نحو أن يقال: الأساس أولًا ثم البناء.

وإذا قيل في صفة الله: هو الأول، فعناء أنه الذي لم يسبقه في الوجود شيء، وإلى هذا يرجع قول من قال: هو الذي لا يحتاج إلى غيره، ومن قال: هو المستغني بنفسه، وقوله تعالى: «وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» الأنعام: ١٦٣، «وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» الأعراف: ١٤٢، فعناء أنا المختص بي في الإسلام والإيمان، وقال تعالى: «وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَاذِبِينَ» البقرة: ٤١، أي لا تكونوا ممن يقتدى بكم في الكفر.

ويستعمل «أول» ظرفًا لغيره على الغم، نحو: جئتكم

أَوَّلُ، ويقال بمعنى «قديم» نحو: جئتكَ لَوَّلًا وآخِرًا، أي قديمًا وحديثًا. (٣١)

الرَّؤْمُفُشْرِيُّ: آل الرَّمِيَّة يُوْطِلُهَا إِيَّالَهُ حَسَنَةً، وَهُوَ حَسَنُ الْإِيَّالَةِ، وَأَتَانَهَا، وَهُوَ مُؤْتَالٌ لِقَوْمِهِ بِمُتَالٍ عَلَيْهِمْ، أَيْ سَائِسٌ مُتَكَيِّمٌ، قَالَ زِيَادٌ فِي خُطْبَةٍ: قَدْ أَلْنَا وَلِيْلَ عَلِيٍّ، أَيْ سُنَّا وَبَيَّنَّا، وَهُوَ مَثَلٌ فِي التَّجَارِبِ، [تَمْ اسْتَشْهَد بِشَرِّ]

وَهُوَ أَوَّلُ مَالٍ.

وَأَوَّلُ الْقُرْآنِ وَتَأَوَّلَهُ، وَهَذَا مِثْلُ أَوَّلٍ حَسَنٌ لَطِيفُ التَّأَوُّلِ جَدًّا، [تَمْ اسْتَشْهَد بِشَرِّ]

وَيَقُولُ: جَمَلَ أَوَّلٍ وَضَاقَ أَوَّلَهُ، إِذَا تَقَدَّمَ الْإِجْلُ. وَيُقَالُ: أَوَّلَ الْحُكْمِ إِلَى أَهْلِهِ: وَدَّهَ إِلَيْهِمْ، وَبِالذَّهْمِ لِلْمُضَلِّ: أَوَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَيْ رَدَّ عَلَيْهِ ضَالَّتَكَ. وَخَرَجَ فِي أَوَائِلِ اللَّيْلِ وَلَوَائِلِهِ.

وَمِنْ الْجَازِ: فَلَانٌ يَزُولُ إِلَى كَرَمٍ، وَمِثْلُكَ كَوْنُكَ إِلَى كَيْفِيَّتِهِ إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهَا وَاجْتَمَعَ، وَطَبَخْتَ الدَّوَاءَ حَتَّى آلَ الْمَتَانِ مِنْهُ إِلَى مَنْ وَاحِدٍ.

وَيَقُولُ: لَا تَسْأَلْ عَلَى الْحَسَبِ تَحْرِيلًا، فَتَقْرَى اللَّهُ أَحْسَنَ تَأْوِيلًا، أَيْ حَاقِبَةً.

وَتَأْتِيكَ فُتُورُكَ فِيهِ الْخَيْرُ، أَيْ تَوَسُّعُهُ وَتَحَرُّرُهُ، وَتَحَلُّ عَلَى آتَةِ الْحَدَثَاءِ، وَهِيَ النَّمْسُ.

(أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ١٢)

ابْنُ خَلْفِيَّةٍ: [بَعْدَ نَقْلِ قَوْلِ سَيِّدِهِ قَالَ:] قَالَ غَيْرُ سَيِّدِهِ: هُوَ لَوَّلٌ مِنْ وَآلٍ، إِذَا نَجَا، خَفَّتِ الْهَمَزُ وَأَبْدَلَتْ وَلَوًّا وَأَدْغَمَتْ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنْ آلٍ شَبَّهَ أَوَّلَ قُلُوبِهِ فَبَجَاءَ وَزَنَهُ

«أَفْعَلٌ» وَسُجِّلَ وَأَبْدَلُ وَأَدْغَمَ. (١: ١٣٤)

الطَّيْرُ سَمِيٌّ: أَوَّلُ الشَّيْءِ: ابْتِذَانُهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَبْتِذَالُ لَهُ آخِرٌ وَيَجُوزُ أَنْ لَا يَكُونَ آخِرٌ لَهُ، لِأَنَّ الْوَاحِدَ أَوَّلُ الْمَدَدِ وَلَا نِهَايَةَ لِآخِرِهِ، وَتَعْيِمُ أَهْلُ الْجَمْعِ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا نِهَايَةَ لَهُ.

التَّأَوُّلُ: مَا يُؤُولُ إِلَيْهِ حَالُ الشَّيْءِ. (٢: ٤٢٦)

التَّأَوُّلُ: الْخَبَرُ عَمَّا حَضَرَهَا يُؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ فَيُحَاطَبُ. (٣: ٢٣٢)

أَبُو الْهَرَكَاتِ: أَوَّلُ: وَزَنَهُ «أَفْعَلٌ» فَاوَّ، وَوَوَّ، وَعَيْنُهُ وَوَوَّ، وَلَمْ تَكُنْ لِلرَّبِّ مِنْهُ بَضَلٌ.

وَذَهَبَ الْكُوفِيُّونَ إِلَى أَنَّهُ «أَفْعَلٌ» مِنْ وَآلٍ، أَيْ نَجَا. وَأَصْلُهُ: أَوَّلُ، فَخَفَّتْ الْهَمَزُ الْخِثَانِيَّةُ، وَأَبْدَلَتْ مِنْهَا وَوَوَّ، وَأَدْغَمَتْ الْأَوَّلَى فِيهَا، كَمَا قَالُوا فِي مَقْرُوءَةٍ: مَقْرُوءَةٌ، وَبِالْمُجْمُوعَةِ: مَقْرُوءَةٌ، وَلَوْ كَانَ مَخْفِقًا عَلَى الْقِيَاسِ لَكَانَ الرَّجْعُ أَنْ يَخَالَ: «أَوَّلٌ» بِإِلْقَاءِ حَرَكَةِ الْهَمَزِ عَلَى الْوَاوِ، كَمَا قَالُوا فِي تَخْفِيفِ ضَوَائِرٍ: ضَوَّاءٌ، وَلَا يَجِبُ قَلْبُ الْوَاوِ، لِأَنَّ الْحَرَكَةَ عَارِضَةً، فَلَا يَسْتَدْبِرُهَا.

الْمَدِينِيُّ: فِي الْمَدِينَةِ: «الرُّؤْيَا لِأَوَّلِ عَابِرِهِ»، قِيلَ: مَعْنَاهُ إِذَا قَبَّرَهَا بِمَرٍّ صَادِقٍ عَالِمٍ بِأَسْوَأِهَا وَقُرُوءِهَا، وَاجْتَهَدَ وَوَقَّعَهُ اللَّهُ لِلصَّوَابِ، وَقَلَّتْ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ، مِمَّنْ فَضَّرَهَا بَعْدَهُ.

وَبِأَوَّلِهِ عَلَى وَزْنِ «أَفْعَلٍ» كَانَ أَصْلُهُ هَمَزٌ بَعْدَ الْوَاوِ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ يُجْمَعُ: أَوَائِلُ فَاسْتَنْقَلَتْ الْهَمَزُ بَعْدَ الْوَاوِ فَيَجْعَلُهَا وَوَوًّا أُخْرَى، فَأَدْغَمُوا وَقِيلَ: أَصْلُهُ: قَوْعَلٌ.

وَبِأَوَّلِهِ عَلَى وَزْنِ «أَفْعَلٍ» كَانَ أَصْلُهُ هَمَزٌ بَعْدَ الْوَاوِ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ يُجْمَعُ: أَوَائِلُ فَاسْتَنْقَلَتْ الْهَمَزُ بَعْدَ الْوَاوِ فَيَجْعَلُهَا وَوَوًّا أُخْرَى، فَأَدْغَمُوا وَقِيلَ: أَصْلُهُ: قَوْعَلٌ. (٨: ١١٠)

ابْنُ الْجَوْزِيِّ: التَّخْسِيرُ: إِخْرَاجُ الشَّيْءِ مِنْ مَعْلُومٍ

الحقارة إلى مقام التجهلي، والتأويل: نقل الكلام من موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل، لولاء ما ترك ظاهر اللفظ. (الزبيدي ٧: ٢١٥)

المتأخر الرازي: ... المسألة الثالثة: الأول «فعل» للتأنيث، فالأول إذن «أفعل» صفة، وفيه مباحث:

الأول: لابد من «فاعل» أخذ من الأفعول والفعل، فإن كل فعل وفعل للتأنيث والتذكير له أصل، فليؤخذ منه كالمفضل والأفضل، من الفاضلة والفاضل، فما ذلك؟ نقول: هاهنا أخذ من أصل غير مستعمل، كما قلنا: إن

الآخر «فاعل» من فعل غير مستعمل، وسبب ذلك هو أن كل فعل مستعمل فله آخره وذلك لأن له ماضياً فإذا استعملت ماضيه لزم فراغ الفعل، وإذا لكان الفاعل بعد في الفعل فلا يكون ماضياً، فإليك لا تقول لمن هو بعد الأكل: أكل، إلا متجاوزاً عند ما سبق له قليل، فيقول: أكل

إشارة إلى أن ما بقي غير مستعمله، وتقول لمن قرب من الفراغ: فرغت، فيقول: فرغت، بمعنى أن ما بقي قليل لا يعتد فكم أني فرغت، وأما الماضي في الحقيقة لا يصح إلا عند تمام الشيء، والفراغ منه، فإذا للفعل المستعمل آخر، ولو كان نقولنا: آخر على وزن «فاعل» فعل هو آخر

يأخر كأمر يأمر لكان معناه صدر مصدره كدجلس معناه صدر الجلوس منه بالتشام والكمال، فكان ينبغي أن القائل إذا قال: فلان آخر، كان معناه وجد منه تمام الأخيرة وفرغ منها، فلا يكون بعد ما يكون آخر، لكن تقدم أن كل فعل فله آخر بعده لا يقال: بشكل بقولنا: تأخر، فإن معناه صار آخرًا، لأننا نقول: وزن الفعل يتلوه على صفة ما ذكرنا، فإنه من باب التكلف والتكبر إذا

المفضل في غير المتكبر، أي يرى أنه آخر، وليس في الحقيقة كذلك. [إلى أن قال:]

والأول «فعل» ليس له فاعيل، وليس له فعل، والأول أبعد عن الفعل من الآخر، وذلك لأن الفعل الماضي علم له آخر من وصله بالماضي، ولولا ذلك الوصف لما علم له آخر. وأما الفعل لتفسير كونه فعلاً علم له أول، لأن الفعل لابد له من فاعيل يقوم به، أو يوجد منه، فإذا «الفاعل» أولاً ثم «الفعل»، فإذا كان «الفاعل» أول الفعل كيف يكون «الأول» له فعل يوجد منه فلا فعل له ولا فاعيل، فلا يقال: آل الشيء، بمعنى سبق، كما يقال: «قال» من القول، أو «نال» من النبل، لا يقال: إن

فعل سبق، أخذ من السابق ومن السابق الأسبق، مع أن الفاعل سبق الفعل، وكذلك يقال: تقدم الشيء، مع أن الفاعل متقدم على الفعل، إلى غير ذلك. نقول: أما «تقدم» قد مضى الجواب عنه في «تأخر». وأما «سبق» يقول القائل: سابقته فسبقته، فتجيب عنه بأن ذلك مفتقر إلى أمر صدر من فاعل، فالسابق إذن يستعمل في الأول فهو طريق المشابهة لا بطريق الحقيقة، والفاعل أول الفعل بمعنى قبل الفعل، وليس سابق الفعل، لأن الفاعل والفعل لا يتسابقان، فالفاعل لا يسبقه.

والنبي يوضح ما ذكرنا أن الأول أبعد عن الفعل بخلاف الآخر وما يقال: إن «أول» بمعنى جعل الآخر أولاً لاستخراج معنى من الكلام، فحيث وإلا لم يكن آخر مدونه في إفادة ذلك، بل التأويل من آل الشيء، إذا رجع، أي رجعته إلى المعنى المراد.

وأحد من اللغتين «قبل» و«بعد»، فإن الآخر فاعل

المسألة الرابعة: «أول» تدل على أن «أوله» لا ينصرف، فكيف يقال: أصله أولاً، ويقال: جاء زيد أولاً وصمرو ثانياً؟ فإن قيل: جاز فيه الأمران بناء على أوله وأولى، فن قال: بأن تأنيث أول أوله فهو كالأربع والأربعة، فجاز التثنية، ومن قال: أولى، لا يجوز.

تقول: إذا كان كذلك كان الأشهر ترك التثنية، لأن الأشهر أن تأنيثه «أولى» وعليه استعمال القرآن، فإذا الجواب أن عند التأنيث الأول أن يقال: «أول» نظراً إلى المعنى، وعند العرب «أولة» لأنه هو الأصل ودل عليه دليل، وإن كان أضعف من النير.

وربما يقال: بأن منع الضرف من «أفعل» لا يكون إلا إذا لم يكن تأنيثه إلا «فعل»، وأما إذا كان تأنيثه بالتاء فلو جاز ذلك قيد لا يكون غير منصرف.

(٢٨: ٢٠٢ - ٢٠٥)

ابن الأثير، في حديث الإفك: «وأمرنا أمر العرب الأول» يروى بضم الهزرة وفتح الواو، جمع «الأولى» ويكون صفة للعرب، ويروى بفتح الهزرة وتشديد الواو صفة للأمر، قيل: وهو الوجه.

في حديث أبي بكر رضي الله عنه وأضيافه: «بسم الله الأولى للشيطان» يعني الحالة التي غضب فيها وحلف أن لا يأكل، وقيل: أراد اللقمة الأولى التي أحتت بها نفسه وأكل.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما، «اللهم فقهم في الدين وعلمهم التأويل» هو من آل النبي، يؤول إلى كذا، أي رجع وصار إليه. والمراد بـ«التأويل» نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل.

من غير فعل، والأول أفعل من غير فاعل ولا فاعل، و«قبل وبعد» لافاعل ولا أفعل، فلا يثبت من فعل أصلاً، لأن الأول أول لما فيه من معنى «قبل» وليس قبل قبل لما فيه من معنى «الأول»، والآخر آخر لما فيه من معنى «بعد»، وليس بعد بعد لما فيه من معنى «الآخر»، يدلك عليه أنك تملأ أحدهما بالآخر، ولا تمكس، فنقول: هذا آخر من جاء لأنه جاء بعد الكل، ولا تقول: هو جاء بعد للكل، لأنه آخر من جاء، ويؤيده أن الآخر لا يتحقق إلا بتثنية موصولة وهي التي لا بتثنية بعدها، وبعد ليس لا يتحقق إلا بالآخر، فإن للتوسط بعد الأول ليس بآخر. وهذا البحث من أبحاث الزمان، ومنه يعلم معنى قوله ﷺ «لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله» أي الدهر هو الذي يجمع منه القبلية والبعديّة، والله تعالى هو الذي يجمع منه ذلك، والبعديّة والقبلية حقيقة لأنبياء الله، ولا مفهوم للزمان إلا ما به القبلية والبعديّة فلا تسبوا الدهر، فإن ما تفهمونه منه لا يتحقق إلا في الله وبالله، ولولاه لما كان قبل ولا بعد.

القائي: ورد في كلام العرب «الأولة» تأنيث الأول، وهو يتأنيث صفة استعمال «الأولى» لأن الأول تدل على أن الأول أفضل للتفضيل، وأفضل للتفضيل لا يلحقه تاء التأنيث، فلا يقال: زيد أعلم وزين أعلم، لسبب يطول ذكره، وسنذكره في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

القائي: ورد في كلام العرب «الأولة» تأنيث الأول، وهو يتأنيث صفة استعمال «الأولى» لأن الأول تدل على أن الأول أفضل للتفضيل، وأفضل للتفضيل لا يلحقه تاء التأنيث، فلا يقال: زيد أعلم وزين أعلم، لسبب يطول ذكره، وسنذكره في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

تقول: الجواب عنه هو أن «أول» لما كان «أفضل» وليس له فاعل شابه الأربع والأرب، فجاز إلحاق التاء به، ولما كان صفة شابه الأكبر والأسفر، فقيل: أو.

لولا ما ترك ظاهر اللفظ .

ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَمَسْجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ يَا أَوَّلَ الْقُرْآنِ» تعني أنه مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ المتصر: ٢.

ومنه حديث الزُّهْرِيُّ قَالَ: قُلْتُ لِمَرُودٍ مَا هَالِكُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُتِمُّ فِي الشَّرِّ - بِمَعْنَى الصَّلَاةِ - ؟ قَالَ: تَأْتِلُ كَمَا تَأْتِلُ هَيَّانَ. أَرَادَ بِتَأْوِيلِ هَيَّانَ: مَا رَوَى عَنْهُ أَنَّ الصَّلَاةَ بِمَكَّةَ فِي الْحَجِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَمِعَ الْإِقَامَةَ بِهَا. (١: ٨٠، ٨١)

الْقُرْطُبِيُّ: التَّأْوِيلُ يَكُونُ بِمَعْنَى التَّصْيِيرِ، كَقَوْلِكَ: تَأْوِيلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ عَلَى كَذَا، وَيَكُونُ بِمَعْنَى مَا يُؤَوَّلُ الْأَمْرُ إِلَيْهِ، وَاسْتِثْقَاةً مِنْ أَلِ الْأَمْرِ إِلَى كَذَا يُؤَوَّلُ إِلَيْهِ، أَيْ صَارَ وَأَوَّلَهُ تَأْوِيلًا، أَيْ صَيَّرَهُ.

وَقَدْ حَذَّ بَعْضُ الْمُفْتَاهِمِ فَقَالُوا: هُوَ لِهَذَا احْتِمَالٌ فِي الْفَلْظِ، مَقْصُودٌ بِدَلِيلٍ خَارِجٍ عَنْهُ. (١: ١٥)

أَبُو حَتِّانٍ: يَسْتَعْمَلُ «أَوَّلُ» اسْمًا ثَانِيًا:

أَحَدُهَا: أَنْ يَجْرِيَ بِجَرَى الْأَسْمَاءِ فَيَكُونُ مَصْرُوعًا، وَتَلِيهِ الْعَوَالِمُ، نَحْوُ «أَفْكَلٍ» وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُ عَلَى قَدِيمٍ وَعَلَى هَذَا قَوْلُ الْعَرَبِ: مَا تَرَكْتُ لَهُ أَوَّلًا وَلَا آخِرًا، أَيْ مَا تَرَكْتُ لَهُ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا.

وَالِاسْتِصْهَالُ الثَّانِي، أَنْ يَجْرِيَ بِجَرَى أَفْعَلِ التَّنْضِيلِ فَيَسْتَعْمَلُ عَلَى أَمْثَالِهِ: مِنْ كَوْنِهِ بِمَعْنَى مَلْفُوظًا بِهَا لَوْ مَقْدَرَةٌ، وَبِالْأَكْفِ وَالْأَمِّ، وَبِالإِضَافَةِ.

وَقَالَتِ الْعَرَبُ: لَبِأَ بِهَذَا الْأَوَّلُ، فَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ بِاتِّحَاقِ، وَالْخِلَافُ فِي حَلَةِ بَنَائِهِ ذَلِكَ لِقَطْعِهِ عَنِ الإِضَافَةِ.

وَالْمَقْدِيرُ: أَوَّلُ الْأَشْيَاءِ، أَمْ لَكِبَ الْقَطْعَ عَنِ الإِضَافَةِ، وَالْمَقْدِيرُ: أَوَّلُ مَنْ كَذَبَ.

وَالْأَوَّلُ أَنْ تَكُونَ الْمَلَكَةُ الْقَطْعَ عَنِ الإِضَافَةِ، وَالْخِلَافُ إِنْ بَنِيَ أَوَّلَ ظَرْفٍ لَوَاسِمٍ خَيْرَ ظَرْفٍ؟ وَهُوَ خِلَافُ مَبْنِيٍّ عَلَى أَنْ الَّذِي يُبْنَى لِلتَّطْعِ شَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لَوْلَا يَشْتَرِطُ ذَلِكَ فِيهِ، وَكُلُّ هَذَا مُتَوَلَّى فِي عِلْمِ النُّحَاةِ. (١: ١٧٢)

الْقَيْسِيُّ: أَلِ الشَّيْءِ بِمَوْوَلٍ أَوَّلًا وَمَا لًا، رَجَعَ وَالْإِيَّالَ وَذَلِكَ كِتَابٌ: لَسِمَ مِنْهُ. وَقَدْ اسْتَعْمَلَ فِي الْمَعَانِي، فَحِيلَ: أَلِ الْأَمْرِ إِلَى كَذَا.

وَالْمَوْوَلُ: الْمَرْجِعُ وَذَلِكَ وَمَعْنَى:

وَقَالَ الرَّجُلُ مَا لَهُ إِيَّالًا بِالْكَسْرِ، إِذَا كَانَ مِنَ الْإِيَّالِ وَالْمَعْنَى تَطْلُعُ عَلَى يَدَيْهِ، وَأَلِ رَجَعَتْ: سَاتِبًا، وَالْأَسْمَاءُ وَالْإِيَّالَةُ بِالْكَسْرِ أَيْضًا.

وَالْأَوَّلُ: مُفْتَحُ الْخُذِّ، وَهُوَ الَّذِي لَهُ ثَانٍ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى الْوَاحِدِ وَمِنْهُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْأَوَّلُ، أَيْ هُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا ثَانِي لَهُ، وَعَلَيْهِ اسْتِعْمَالُ الْمُصَنِّفِينَ فِي قَوْلِهِمْ: وَلَهُ شُرُوطٌ.

الْأَوَّلُ: كَذَا لَا يَتَرَدَّدُ بِهِ التَّأْوِيلُ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ بَعْدَهُ، بَلِ الْمُرَادُ الْوَاحِدُ وَقَوْلُ الْقَائِلِ: أَوَّلُ وَلَدٍ تَلَدَهُ الْأُمَّةُ حُرًّا، مَحْمُولٌ عَلَى الْوَاحِدِ أَيْضًا حَتَّى يَحْمَلَ عَلَى الْمَلِكِ بِالْمَوْلَةِ الَّتِي تَلَدَهُ سَوَاءً وَلَدَتْ غَيْرَهُ أَمْ لَا.

إِذَا تَقَرَّرَ أَنَّ «الْأَوَّلَ» بِمَعْنَى الْوَاحِدِ، فَالْمَوْوَلَةُ عَمِي «الْأَوَّلَى» بِمَعْنَى الْوَاحِدَةِ أَيْضًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَوَّلَى الْخَوَاتِمَةُ الْأَوَّلَى﴾ اللَّخَانُ: ٥٦، لَيْ سَوَى الْمَوْوَلَةِ الَّتِي ذَلَّلَهَا فِي النَّبَا وَلَيْسَ بِهَذَا أُخْرَى.

وقد تقدّم في الآخر أنّه يكون بمعنى الواحد وأنّ الأخرى بمعنى الواحد، فقولته عليه الصلوة والسلام في ولوغ الكلب: يُتَمَلَّ سَبْعًا، في رواية «أولاهن» وفي رواية «أخراهن» وفي رواية «إحداهن» الكل ألفاظ مترادفة على معنى واحد، ولا حاجة إلى التأويل، وثبته لهذه الدققة وتخرجها على كلام العرب، واستغن بها عما قيل من التأويلات، فإنها إذا عرضت على كلام العرب لا يقبلها القوي.

ويُجمع «الأولى» على: الأوّليات والأوّل والعشر الأوّل، والأوائل أيضاً، لأنّه صفة الليالي، وهي جمع مؤنث، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ و﴿لَيْلٍ عَشْرٍ﴾ اللجر: ١، ٢.

وقول المائة: العشر الأوّل، يفتح الهمزة وتشديد الراء خطأ.

وأما وزن «أول» فقول: «فعل» وأصله «فعل» فقلت الواو الأولى همزة ثم أدغم، ولهذا اجتزأ بعضهم على تأنيته بالهاء، فقال: أولّه، وليس للتأنيث بالمرضى.

وقال المحققون: وزنه «أصل» من آل يؤول، إذا سبق وجاء، ولا يلزم من السابق أن يلحقه شيء، وهذا يؤيد ما سبق من قولهم: «أول ولد تلدته» لأنّه بمعنى ابتداء الشيء، وجائز أن لا يكون بعده شيء آخر، ونقول: هذا أول ما كتب، وجائز أن لا يكون بعده كسب آخر، والمعنى هذا ابتداء كسبي.

والأصل: الأوّل بهمزة، لكن قلبت الهمزة الثانية واواً وأدغمت في الواو.

وجاء في لوائل القوم جمع «أول» أي جاء في الذين

جاءوا أوّلًا، ويُجمع بالواو والثون أيضاً، وسُمع «أول» بضمّ الهمزة وفتح الواو مخففة، مثل أكبر وكبير.

وفي «أوله» معنى التفضيل وإن لم يكن له فعل، ويُستعمل كما يُستعمل أفضل التفضيل، من كونه صفة للواحد والمتنق والمجموع باللفظ واحد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ البقرة: ٤٦، وقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَجَ النَّاسِ﴾ البقرة: ٩٦.

ويقال: الأوّل، وأوّل القوم، وأوّل من القوم، ولما استعمل استعمال أفضل للتفضيل انتصب عنه الحال والتسيير، وقيل: أنت أول مغولاً وأنا أول مغولاً وأنتم أول مغولاً، وكذلك في المؤنث، فأوّل لا ينصرف، لأنّه أفضل التفضيل، لو عمل زنته.

قال ابن الحاجب: «أول أفضل التفضيل ولا فعل له، ومثله آبل، وهو صفة لمن أحسن القيام على الإبل، وهذا ذهب البصريين، وهو الصحيح؛ إذ لو كان على «فعل» كما ذهب إليه الكوفيون لقل: أولّه بالهاء، وهذا كالصرح بامتناع الهاء.

ونقول: عام أول، إن جعلته صفة لم تصرفه لوزن الفعل والصفة، وإن لم تجعله صفة صرفته، وجزاء: عام الأوّل بالتحريف والإضافة، ونقل الجوهري عن ابن السكيت منها.

ولا يقال: عام أول، على التركيب، (١: ٢٩ - ٣١) البحر جاني: التأويل في الأصل: الترجيح، وفي الشرح: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المعتمل الذي يراه مولفها بالكتاب والمؤنة، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ يونس: ٣١،

إن أراد به إخراج الظلم من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلاً.

(٢٢)

الغير وزابادي: آل إليه أولاً ومآلاً: رجع، وعنه: ارتد، والدهن وغيره أولاً وإيلاً: خُفِرَ، وألته أنا، لازم ومتعد، والمثلث وعينه إيلاً: ساءت بهم، وعلى للقوم أولاً وإيلاً وإيلاً: ولي، والمآل: أصلحه ومساوئ كائناته، والقيء مآلاً: يقص، ومن فلان: نجاً - لفته في وائل - ولحم الناقة ذهب فضمت.

وأوله إليه: رجعته.

والإيل، كقُتِبَ وخُلب وسُيِد: الويل.

وأول الكلام تأويلاً وتأوله: دبره وفدوه وفتره.

والتأويل: عبارة الرؤيا، ويقطع طية الزجج، من باب

التثنية.

والأجل كخُلب الماء في الزجج واللبن الخائن كالأجل

أو هو دواءه.

والأكلة: الحاقة والشدة وسرير الميت وما اعتنلت به

من أداء، يكون واحداً وجمعاً، أو هي جمع بلا واحد.

أو واحد والجمع: آلات.

والأول: لفتد الآخر في «وأل».

والإيالات بالكسر: الأودية.

وأول كفرج: سبى.

وأوليل: ملاحه بالخرب.

(٣٤١ ٣)

أصل الأول: أول، وقيل: وائل، والجمع: الأوائل

والأولي - على القلب - والأولون، وتأتيه: الأولى،

والجمع: الأول.

وإذا جعلته صفة منته من القترطه وإلا فصرفته،

تقول: لقيته عائماً أول، وعائماً أولاً. و«عام الأول» مردود

لوقليل، وتقول: ما رأيت مذحماً أول، ترفعه على الوصف،

وتصبه على القترطه وإياه أول، يضم على الصائفة،

كفعله قبل، وأول كل شيء، بالتصب.

وتقول: ما رأيت مذأول من أول من أمس، ولا يجاوز

ذلك، (بصائر ذوي التمييز ٢: ٨٧)

الطريحي: الأول: هو ابتداء الشيء، ثم قد يكون

له ثان وقد لا يكون.

وفي وجه ضيف: أن الأول يقتضي آخر، كما أن

الآخر يقتضي أول.

والأول: إرجاع الكلام ومعرفته من معناه الظاهري

إلى معنى آخر منه، مأخوذ من آل يزول، إذا رجع وصار

إليه.

وتأول فلان الآية، أي ظر إلى ما يزول منها.

وفي حديث علي عليه السلام: «ما من آية إلا وعلمي

تأويلها» أي معناها الخفي الذي هو غير المعنى الظاهري،

لما خُفِرَ من أن لكل آية ظهراً وباطناً، والمراد أنه عليه السلام

أطلع على تلك الخفيات المصوبة والأسرار المكنونة.

وفي حديث السامع الذي لا يُسْمَع بطنه: يستعمل

آلة الذين في الدنيا أي يعمل السلم - التلويح هو آلة

ووسيلة إلى الفوز بالسعادة - وسيلة موصلة إلى تحصيل

الدنيا الثانية من المال والجاه وميل الناس إليه وإقبالهم

عليه، ونحو ذلك.

والأكلة: الأكلة والجمع: الآلات.

والإيال ككتاب: اسم منه.

وقد استعمل في المعاني، ف قيل: آل الأمر إل كذا.
والأول: الرجوع، وقولهم: آلت المضربة إلى النفس،
أي رجعت.

وطبخت البيذ حتى آل لثان منّا واحداً، أي صار،
ولعلنا هذا عام أول، حل الوصف، و عام أول، على
الإضافة.

وقولهم: أي رجل دخل أول فله كذا، سبني على
الظم، قاله في «المغرب».

واعتكفت العشر الأول، بضم الهزرة وخفة الواو،
والصلاة أول ما فرضت ركعتان منصرف على
الظرف، وما مصدرية. (٥: ٢١١-٢١٤)

الألوسي، «أول» في المشهور «أفضل» لقوله: هذا
أول منك، ولا أفضل له، لأنّ فاءه وعينه واو. وقد دل
الاستقراء على انتفاء الفضل لما هو كذلك، وإن وجد فنادر،
وما في «الشافية» من أنّه من «وول» بيان للفضل الظاهر،
وقيل: أصله: أول، من وائل وألّا، إذا لجأ، ثم خفف
بإبدال الهزرة واو، ثم الإدغام، وهو تخفيف غير قياسي،
والمناسبة الاشتقاقية لأنّ الأول الحقيقي - أعني ذاته
تعال - ملجأ للكل، وإن قلنا: وائل بمعنى تبادر، فالمناسبة
أنّ التبادر سبب الأوليّة.

وقيل: أوّل من آل، بمعنى رجع، والمناسبة
الاشتقاقية على قياس ما ذكر سابقاً، وإنّما يجمع على
«أوول» لاستفهام اجتماع الواوين بينها ألف الجمع.

وقال الذرّيدي: هو «فوعل» فقلبت الواو الأولى
هزرة، وأدغمت واو فوعل في عين الفعل، ويطنه ظاهراً
منع الصّرف. (١: ٢٤٤)

مجمع اللغة: الأول: ضدّ الأخير، وموئته أول،
وجمعه: أوائل ولؤلؤن. أول الكلام وتأوله: فسرّه، وبين
المراد منه والتأويل: التفسير، وتبين ما يؤول إليه الأمر
من الكلام. (١: ٦٩)

محمد إسماعيل إبراهيم: تأول الكلام تأويلاً:
فسره ورجع به إلى أصله، وتأويل الأحاديث، يراد به
في العبارة القرآنية: تفسير الأحكام. (١: ٥٦)
العدنانيّ: يحطّون من يجمع الأول على الأوالي،
ويقولون: إنّ الصواب هو الأوائل، والمحققة هي أنّ
«الأول» يجمع على:

١- الأوائل: معجم ألفاظ القرآن الكريم، ومنه
لبن أؤس القائل:

لستنا وإن كُرمت أوائلنا
يوماً على الأحساب تشكّل

واللّيت بن سعد، والتّهديب، والصّحاح، ومعجم
مقاييس اللغة، والأساس، والمختار، واللّسان، والمصباح،
والقاموس والثّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد،
والمتن، والمعجم الكبير، والوسيط، ومن معجم المتنّي:

٢- الأوالي: قال ذو الرّمة، حسب رواية «اللّسان»:
تكاد أواليها تُفرّي جلوتها

ويكتحل التّالي بموٍر وحاصب
ومن ذكر «الأوالي» أيضاً: الصّحاح، والمختار،
واللّسان، والقاموس، والثّاج، ومحيط المحيط، وأقرب
الموارد، والمتن، والمعجم الكبير، والوسيط، ومن معجم
المتنّي:

وجميع هؤلاء ما عدا الوسيط، ذكروا أنّ الأوائل

صارت «الأولى» على القلب.

٣- والأولين: معجم ألفاظ القرآن الكريم،

والصحاح، والمختار واللسان، والمصباح، والقاموس،

والتاج، والمدة، والمتن، والمعجم الكبير، والوسيط.

٤- والأول: قال بشر بن النكث:

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ لَأَهْوَأَ أَوَّلِ

يَمُوتُ بِالْأَرْكَ، وَحَيًّا بِالْمَعْل

وَقَالَ الْمُشْتَبِي:

لَيْتَ الْمَدَائِحِ تَسْتَوِي مَنَاقِبِهِ

فَمَا كُنْتُ وَأَهْلُ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ

وَالْتَهْذِيبِ، وَالصَّحَاحِ، وَاللَّسَانِ، وَالْمَصْبَاحِ، وَالتَّاجِ.

ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمعجم الكبير.

٥- والأول: قال أبو تمام:

إِنَّ الْقِسْوَانِيَّ وَالْمَسَامِيَّ لَمْ تَزَلْ

مِثْلَ النَّظَامِ إِنَّمَا أَصَابَ فَرْطُهُ

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ الْأَوَّلَى

يَدْعُونَ هَذَا سُوءًا مَجْدُودًا

أَرَادَ الْأَوَّلَ، فَقُلِبَ. وَمِنْ ذِكْرِ الْأَوَّلَى أَيْضًا: اللسان،

والتاج، والمعجم الكبير.

لَمَّا أَصْل «الأول» فكما يقول الوسيط: هو لَوَّلٌ، أو:

وَوَّلٌ، ولذلك نراه يورد هذه الكلمة في مادة «وأل»

وحدها، كما فعل: الصحاح، والمختار، واللسان،

والقاموس، والتاج، والمدة، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد،

وهناك من يوردها في مادة «أول» وحدها: معجم

ألفاظ القرآن الكريم، والتهذيب، ومعجم مقاييس اللغة،

ومفردات الزاغب الأصغري، والأساس، والتهذيب،

والمصباح، ومعجم ديوان المتنبي.

لَمَّا فِي لَمْتَنَ وَالْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ فَإِنَّمَا نَجِدُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ

«لَوَّلٌ» فِي مَادَّتِي «وَوَّلٌ» وَ«أَوَّلٌ» كَلْتَبِهَا. (٧١٠)

يُظَنُّونَ مَنْ يَطْلُقُ عَلَى ذِكْرِ الْوَوَّلِ اسْمَ الْأَوَّلِ،

وَيَقُولُونَ: إِنَّ الصَّوَابَ هُوَ: الْأَوَّلُ أَوْ الْأَوَّلَى. وَالْحَقِيقَةُ هِيَ

لَنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الثَّلَاثَةُ مَحْبُودَةٌ.

فَمَنْ ذَكَرَ «الأول»: الزاغب أبو النجم الفضل بن قدامة

القيشيري:

كَأَنَّ فِي أَنْفَاءِ الثُّمُولِ

مِنْ عَيْسِ الصَّيْفِ قُرُونِ الْأَوَّلِ

وَالْمُخَلِّلِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَابْنِ

الْأَزْهَرِيِّ وَمَعْجَمِ مَقَائِسِ الثَّلَاثَةِ، وَاللَّسَانِ، وَالْقَامُوسِ

وَالْتَّاجِ، وَالْمَدَّةِ، وَمَحِيطِ الْمَحِيطِ، وَالْمَتْنِ، وَالْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ.

وَمَنْ ذَكَرَ «الأول»: أبو عبيد البكري الذي ينكر

«الأول» في الصحاح، وابن سيده، والمغرب، والمختار،

واللسان، والمصباح، والقاموس، والتاج، والمدة، ومحيط

المحيط، والمتن، والمعجم الكبير، والوسيط.

وَمَنْ ذَكَرَ «الأول»: الصحاح، وابن سيده، والمغرب،

والمختار، واللسان، والمصباح، والقاموس، والتاج،

والمدة، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والمعجم

الكبير، والوسيط.

وَيَجْمَعُ الْأَوَّلُ عَلَى:

أ - أَيَّال: اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَالْمُغْرِبِ، وَاللَّسَانِ،

وَالْتَّاجِ، وَالْمَتْنِ، وَالْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ، وَالْوَسِيطِ.

ب - وَأَيَّال: اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَالتَّهْذِيبِ، وَمَعْجَمِ

مَقَائِسِ الثَّلَاثَةِ، وَالْمُغْرِبِ، وَالْمَصْبَاحِ، وَالْمَدَّةِ، وَالْوَسِيطِ.

لَمَّا أَكْتَمَهَا فِيهَا: الآية، أو الآية، أو الآية (٣٧)
 الشَّصْفَقِيُّ، التحقيق أَنَّ الْأَمْلَ لِلوَاحِدِ فِي هَذِهِ
 الْمَادَّةِ هُوَ «الزَّجْوَعُ» إِنَّمَا بِاعْتِبَارِ التَّقَدُّمِ وَالْجَدِّ أَوْ بِاعْتِبَارِ
 النِّهَايَةِ وَالخَتْمِ، أَوْ بِحَافِظِ الْحَقِّ وَالْفَرْضِ أَوْ غَيْرِهَا، وَهَذَا
 الْمَعْنَى مَطْلُوبٌ فِي جَمِيعِ مَسْتَقَاتِهَا: الْأَوَّلُ، الْأَوَّلَى، الْأَوَّلِينَ
 التَّأْوِيلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَاجْمَعُ مَوَارِدَ اسْتِمَالَتِهَا،
 وَيُوَدِّعُ هَذَا الْمَعْنَى قَرِيبًا مِنْ مَادَّةِ «لُوبٍ، أَوْي»
 ﴿تَسْجُدْ أَسَى عَلَى الْغُزَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾
 التَّوْبَةُ: ١٠٨، حَتَّى يَكُونَ أَسَاسَاتِي عَلَيْهِ
 ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ الْمَدِيد: ٣، أَيْ الْبَدْءُ لِلْمَقْدَمِ
 يَشِي عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُوَ الْأَمَامُ﴾
 آل عمران: ٩٦، ثُمَّ تَلَحُّقُهُ بِبَيْتِ الْغُرَى.
 ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ التَّوْبَةُ: ١٠٠، السَّابِقِينَ
 ابْتَدَؤُوا بِقَبُولِ الْإِسْلَامِ
 ﴿أَوَّلَ مَا نَمَّا الْأَوَّلُونَ﴾ الصَّافَات: ١٧، الَّذِينَ هُمْ
 الْمُتَقَدِّمُونَ لِلْفَتْحِ،
 ﴿يَسْتَوُونَ الَّذِينَ تَكْفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سَاطِرُ الْأَوَّلِينَ﴾
 الْأَنْعَام: ٢٥، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ سَاطِرِهِمُ الْمُتَأَخِّرُونَ،
 ﴿مِنْ بَقِيَّةِ أَفْئِكَتِكُمُ الْفُرُونَ الْأَوَّلِ﴾ النَّصَر: ٤٣،
 فَتَكُونُ جَبَرَةً لِلْآخِثِينَ.

﴿وَيَقْلُوكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ يَوْسُف: ٦،
 حَقَائِقُ مَعَانِيهَا الْمَقْصُودَةُ.
 ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ يَوْسُف: ١٠٠،
 الْمَطْلُوبُ الَّذِي يَقْصَدُ وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ.
 ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَنْطَلِقْ عَلَيْهِ حَسْبًا﴾ الْكَهْف: ٥٠ (٢٨١).

٨٢، مَرْجِعُهَا الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْعَمَلُ،

﴿وَمَا يَتْلُمْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ آل عمران: ٧، حَقِيقَتُهُ
 الْمَقْصُودَةُ الْمَطْلُوبَةُ.

فَظْهَرَ أَنَّ إِخْلَاقَ كَلِمَةِ «الْأَوَّلِ» عَلَى مَفْتَحِ الْعَمَلِ
 لَوْ الْبَدْءُ أَوِ الْمَقْدَمُ، مِنْ جِهَةِ كَوْنِهَا مُصَدِّقًا لِلْمَرْجِعِيَّةِ، فَهَذَا
 الْمَعْنَى مَطْلُوبٌ فِيهَا، وَكَذَلِكَ إِخْلَاقُ كَلِمَةِ «التَّأْوِيلِ» عَلَى
 الْمَعْنَى الثَّانِي، وَمُنْتَهَى الْمَقْصُودِ.

وَلَا يَمَعُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ صَارَتْ مُشْتَمِلَةً
 فِي هَذِهِ الْمَعْنَى عَلَى سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ، فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ،
 وَلَكِنْ الْفَيْدُ مَحْفُوظٌ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ: أَنَّ «التَّفْسِيرَ»
 هُوَ ابْتِغَاءُ مَعْنَى كَلِمَةٍ مِنَ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ وَمَا يَتَضَمَّنُهَا مِنْ
 الْفَرَائِغِ وَحَقْلًا.

وَلَمَّا «التَّأْوِيلُ» هُوَ تَمْيِيزُ مَرْجِعِ الْكَلِمَةِ وَالْمَرَادِ
 بِالْمَقْصُودِ، وَقَدْ يَحْتَقِ الْمَرَادُ عَلَى النَّاسِ وَلَا يَهْدُلُ عَلَيْهِ
 ظَاهِرُ الْكَلِمَةِ، فَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِطْلَاقِ بِالْمَقْصُودِ وَالْمَرَادِ
 مِنَ الْكَلِمَةِ، ﴿وَمَا يَتْلُمْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي
 الْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٧، (١: ١٦٦).

النصوص التفسيرية

تأويل

١- وَكَذَلِكَ يُجَنَّبُكَ رَبُّكَ وَيُقَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ
 الْآخَادِيثِ يَوْسُف: ٦
 مُجَاهِدٌ: عِبَارَةُ الرُّؤْيَا. (الطَّبْرِيُّ ١٢: ١٥٣)
 مِثْلُ فَتَاةٍ. (الطُّوسِي ٦: ٩٨)، وَالشَّيْءُ (أَبُو حَنِيفَةَ)
 ٥: (٢٨١).

الحسن: تأويل أحاديث الأنبياء والأئمة، يعني كتب الله ودلائله على توحيده، والمشروع من شرائعه ولموردينه. (الطبرسي ٣: ٢١٠)

نحوه الرجاج. (الخان ٣: ٢١٥)، ومطه الجبائي (الطبرسي ٣: ٢١٠).

مواقب الأمور. (أبوحيان ٥: ٢٨١) قتادة: فاجتباء واصطفاه وعلمه من عبر الأحاديث، وهو تأويل الأحاديث.

(الطبرسي ١٢: ١٥٣) معناه ويعلمك من تعبير الرؤيا، لأن فيه أحاديث الناس عن رؤياهم. وسماء تأويلاً، لأنه يؤول أمره إلى ما رأى في المنام. (الطبرسي ٣: ٢١٠)

مقابل: غرائب الرؤيا. (أبوحيان ٥: ٢٨١) ابن زيد: تأويل الكلام، العلم والحلم، وكان يوسف أعبر الناس.

(الطبرسي ١٢: ١٥٣) العلم والحكمة. (أبوحيان ٥: ٢٨١) ابن قتيبة: أي من تفسير غامضها، وتفسير الرؤيا.

(٢١٢) الطبرسي: ويعلمك ربك من علم ما يؤول إليه أحاديث الناس، عما يروونه في منامهم، وذلك تعبير الرؤيا.

(١٥٣: ١٢) أبو مسلم الأصفهاني: سماء ويعلمك عواقب الأمور بالثبوت والوحي إليك، فتعلم الأشياء قبل كونها معجزة لك، لأنه أضاف التحليم إلى الله، وذلك لا يكون إلا بالوحي. (الطبرسي ٣: ٢١٠)

الطوسي: التأويل في الأصل هو المستهى الذي

يؤول إليه المعنى. وتأويل الحديث: فقهه الذي هو حكمه، لأنه إظهار ما يؤول إليه أمره مما يستمد عليه، وفائدته. (٦: ٩٨)

مثله الطبرسي. (٣: ٢١٠) التبيدي: يعني تعبير الرؤيا، أي ما يؤول إليه أمرها، وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا.

وقيل: ويعلمك من تأويل الأحاديث، يعني معاني الكلام في آيات الله وكتبه.

والتصير والتأويل بمعنى واحد، والمآل: حاكمة العمل وغاية، والتبصر حاكمة التبرؤ وادي التصير. والتأويل هو أنك تحدث حتى تشير إلى غاية شيء، وحاكمة عمل. (٥: ٨٨)

الرؤيا: الأحاديث: الرؤيا، لأن الرؤيا إسماء حديث نفس لوملك أو شيطان، وتأويلها: عبارتها وتفسير علمها. يوسف أعبر الناس للرؤيا، وأصبحهم عبارة لها.

ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث: معاني كتب الله وسنن الأنبياء، وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها، يفسرها لهم ويشرحها، ويدلهم على مودعات حكمها. (٤: ٣٠٣)

الغفر الرازي: فيه وجود الأول: المراد منه تعبير الرؤيا، سماء تأويلاً، لأنه يؤول أمره إلى ما رآه في المنام، يعني تأويل أحاديث الناس فيما يروونه في منامهم. قالوا: لأنه علم في علم التعبير غاية.

الثاني: تأويل الأحاديث في كتب الله تعالى والأخبار

المروية عن الأنبياء المتقدمين - كما أن الواحد من علماء زماننا يشغل بتفسير القرآن وتأويله - وتأويل الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ

الثالث: الأحاديث: جمع حديث، والحديث هو الحادث. وتأويلها: ماؤها، ومآل المراد إلى قدرة الله تعالى وتكوينه وحكمته والمراد (من تأويل الأحاديث): كيفية الاستدلال بأصناف المخلوقات الروحانية والجسمانية على قدرة الله تعالى وحكمته وجلالته.

(١٨: ٨٩)

البُروسي: المراد بتأويل الأحاديث: تعبير الرؤى، جمع الرؤيا، إذ هي إما أحاديث الملك إن كانت صادقة، أو أحاديث النفس والشيطان إن لم تكن كذلك. وتسميتها تأويلاً، لأنه يؤول أمرها إليه، أي يرجع إلى ما يذكره المعبر من حقيقتها.

الآلوسي: الظاهر أن المراد من التأويل الأحاديث

تعبير الرؤيا، إذ هي إخبارات غيبية يخلق الله تعالى بواسطتها اعتقادات في قلب القائم حسماً يشاؤه، ولا يخبر عليه تعالى. أو أحاديث الملك إن كانت صادقة، أو النفس أو الشيطان إن لم تكن كذلك. [إلى أن قال:]

وشاع التأويل: في إخراج الشيء عن ظاهره. [إلى أن قال:]

وقيل: المراد بالأحاديث: الأمور المحدثه من الروحانيات والجسمانيات، وتأويلها: كيفية الاستدلال بها على قدرة الله تعالى وحكمته وجلالته. والكل خلاف الظاهر، فيما أرى.

القاسمي: أي تعبير المنامات. وإنما سمي التعبير

تأويلاً، لأنه جعل المرتب آيلاً إلى ما يذكره المعبر بهدوء التفسير، وراجعاً إليه.

رشيده رضا: أي يعلمك من علمه اللدني تأويل الرؤى وتعبيرها، أي تفسيرها بالعبارة، والإخبار بما تؤول إليه في الوجود، وهو تأويلها، كما سيأتي حكاية لقول يوسف لأبيه: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّي خَلْقًا﴾ يوسف: ١٠٠، أو هو أعم من ذلك من معاني الكلام.

الطباطبائي: التأويل هو ما ينتهي إليه الرؤيا من الأمر الذي تتحبه، وهو الحقيقة التي تتمثل لصاحب الرؤيا في رؤياه بصورة من الصور المناسبة لمداركه ومشاعره، كما تمثل سجدة أبي يوسف وإخوته الأخذ عظم في صورة أحد عشر كوكاً والشمس والقمر وشروطها أمامه، ساجدة له.

وشرورها أمامه، ساجدة له.

٢ - وقال يا أيها هذا تأويل رؤيتي من قبل يوسف: ١٠٠

سلمان الفارسي: كان بين الرؤيا وتأويلها أربعون سنة.

الحسن: ثمانون سنة.

الكلبي: اثنتان وعشرون سنة.

ابن إسحاق: ثمانون سنة.

عبدالله بن شاذان: سبعون سنة.

عبدالله بن شاذان: سبعون سنة.

عنا إليه مثل الشيء وترجمه وعاقبته. (١٠: ١٥٢)
 القُرْطُبي: أي ترجمها، من آل يؤول إلى كدلا أي
 صار. وقيل: من ألت الشيء إذا جمته وأصلحته.
 والتأويل: جمع معاني القحاط لشكلت بلفظ لا يشكال
 فيه. يقال: أول الله عليك أمرتك أي جمعه.
 ويجوز أن يكون المعنى: وأحسن من تأويلكم.

(٢٦٣: ٥)

الطباطبائي: التأويل هو المصلحة الواقعة التي
 تنشأها الحكم، ثم تترتب على العمل. (٤: ١٠٢)
 وهذا المعنى جاء «تأويلا» في قوله تعالى: «وَأُولُوا
 الْكُفْلِ إِذَا يَلَيْكُم وَزَيُّوا بِالْفُطُوحِ الْغُشْبِ» ذلك حجة
 وأحسن تأويلا. الإسماعيل: ٣٥.

تأويله

١- فإنا الذين في قلوبهم ذنوب فَنُحِبُّونَ عَائِشَةَ
 بِنَةَ أَبِي بَكْرٍ وَنُحِبُّونَ تَائِيْلَهُ وَنُحِبُّونَ تَائِيْلَهُ إِلَّا اللَّهُ
 وَالْمُؤْمِنُونَ فِي الْقُلُوبِ يَتَوَلَّوْنَ أَهْلًا مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا
 وَمَا يَكُنُ لَكُمْ أَلَاءُ إِلَّا لَوَلَّوْا أَهْلًا.

ابن عباس: يعني تأويله يوم القيامة إلا الله.

(الطبري ٣: ١٨١)

الشاذلي: أرادوا أن يعلموا تأويل القرآن، وهو
 عواقبه. قال الله: «وَمَا يَكُنْ تَائِيْلُهُ إِلَّا اللَّهُ». وتأويله:
 عواقبه، حتى يأتي المسخ منه فيسحق المنسوخ.

(الطبري ٣: ١٨١)

الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى التأويل
 الذي عن الله جل ثناؤه بقوله: «وَمَا يَكُنْ تَائِيْلُهُ إِلَّا اللَّهُ» فقال

المتشدد: أي هذا الذي علمت بي من التفسير هو ما
 اقتضاه رؤيائي ولناظلي. (١٣٨: ٥)

الطبري: أي هذا تفسير رؤيائي وتحديق
 رؤيائي التي رأيها. (٣٦٥: ٣)

أبو حنيفة: أي عاقبة رؤيائي. (٣٤٨: ٥)

تأويله

بأنهم الذين أخذوا أبوكوا الله وأبوكوا الرسول
 وأول الأخر منكم لأن تنازعتم في قوم فلوثة إلى الله
 والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير
 وأحسن تأويلا. النساء: ٥٩

شهابه: أحسن جراحة. (الطبري ٥: ١٥١)

لأنه: ذلك أحسن نوايا وخير عاقبة.

(الطبري ٥: ١٥٢)

ابن زيد: أحسن عاقبة. والتأويل: التصديق
 (الطبري ٥: ١٥٣)

الطبري: أحد تأويلا ومعبدة. وأجل عاقبة.

(١٥١: ٥)

الأجاج: أي إن راكم ما اختلفتم فيه إلى ما أتى من
 عند الله وترككم التعارض خير وأحسن تأويلا لكم، أي
 أحسن عاقبة لكم.

وجاز أن يكون (أحسن تأويلا) أي أحسن من
 تأويلكم أنتم معون راكم إيماء إلى الكتاب والسنة
 (تأويلا) منصوب على التمييز. (٢٨: ٢)

الغفر الزاوي: أي ذلك الذي أمرتكم به في هذه
 الآية خير لكم وأحسن عاقبة لكم. لأن التأويل عبارة

بعضهم: معنى ذلك الأجل الذي أرادت اليهود أن تعرفه من انتضاء مدة أمر محمد ﷺ وأمر أمته من قبل المعروف للقطعة من حساب الجمل كدالة والمص. والحر. والمرء وما أشبه ذلك من الآجال. [وبعد نقل قول ابن عباس قال:]

وقال آخرون: بل معنى ذلك عواطف القرآن، وقالوا: إنما أرادوا أن يعلموا متى يبيء ناسخ الأحكام التي كان الله جلّ ثناؤه شرعها لأهل الإسلام قبل مجيئه، فنسخ ما قد كان شرعه قبل ذلك. [وبعد نقل قول السدي قال:] وقال آخرون: معنى ذلك وابعضاء تأويل ما تشابه من أي القرآن يتأولونه؛ إذ كان ذا وجوه ونصاريف في التأويلات، على ما في قلوبهم من الزيف، وما ركبه من الضلالة.

والقول الذي قاله ابن عباس: من أن ابتداء التأويل الذي طلبه القوم من التشابه هو معرفة إلهيهم المبدء ووقت قيام الساعة. والذي ذكرنا عن السدي من أنهم طلبوا وأرادوا معرفة وقت: هو جواب قبل مجيئه، أولى بالصواب، وإن كان السدي قد أغفل معنى ذلك من وجه صرفه إلى حصره، على أن سناء: أن القوم طلبوا معرفة وقت مجيء الناسخ بما قد أحكم قبل ذلك.

وإنما قلنا: إن طلب القوم معرفة الوقت الذي هو جواب قبل مجيئه، المحبوب علمه عنهم وعن خيرهم، بتشابه أي القرآن، أولى بتأويل قوله: ﴿وَأَيُّهَا تَأْوِيلُهُ﴾ لما قد دللنا عليه قبل من إخبار الله جلّ ثناؤه أن ذلك التأويل لا يعلمه، إلا الله ولا شك أن معنى قوله: وقضينا وفعلنا، قد علم تأويله كثير من جهلة أهل الشرك، فضلاً

عن أهل الإيمان، وأهل الرسوخ في العلم منهم. نقول في تأويل قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ...﴾ يعني جلّ ثناؤه بذلك: وما يعلم وقت قيام الساعة، وانتضاء مدة أجل محمد وقبته، وما هو كائن إلا الله، دون من سواه من البشر الذين أسألوا إدرانك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة. (١٨٧: ٣١)

الرجحان: طلبوا تأويل بهنهم وإحيائهم.

(أبو حنيفة ٢: ٣٨٤)

عبد الجبار: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ فقد تأوله العلماء على وجهين:

أحدهما: أنه عطف بقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ عليهم فكأنه قال: وما يعلم تأويله إلا الله وإلا الراسخون في العلم، وبين أنهم مع العلم بذلك يقولون: أمّا به في أحوال علمهم به ليكمل مدعهم، لأن العالم بالشيء إذا أظهر التحديق به فقد بالغ فيها يلزمه، ولو علم وجحد كان مطمئناً.

والثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ مستقل، ثم ابتداء بقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾.

وحمل أصحاب هذا القول «التأويل» على أن المراد به «التأويل»، لأنه قد يعبر بأحدهما عن الآخر، ألا تراه عز وجل قال: ﴿هَلْ يَسْتَخْفُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ الأعراف: ٥٣، والمراد به التأويل، والمعلوم من حال التأويل الذي هو يوم القيامة والحساب، ومقادير الحساب، أنه عز وجل يختص بالعلم به وبوقته، لأن تفصيل ذلك لا يعلمه أحد من العباد.

فعل هذا القول لا يجب أن يكون المشابه مما لا يعلم المكلف تأويله.

ولو كان المراد به ما قاله المخالف، سن لأن المشابه لا يعلم تأويله إلا الله، ولأن سائر المكلفين إنما كلّفوا الإيمان به، لم يكن تخصيصه «العلماء» - في باب الإيمان به - بالذكر معنى، لأن غير العلماء لا يلزمهم إلا ما يلزم العلماء، فلما قال: «وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» فخصهم بذلك، علم أن المراد به أنهم لما هم المراد بالمشابه صحّ منهم الإيمان به، فخصهم بالذكر دون غيرهم.

ولولا أن الأمر كما قلناه لم يكن لجملة تعالى المحكم أصلاً للمشابه معنى، إن لم يلزم إلا الإيمان به.

ولولا صحّة ذلك لم يكن للفتة من يتبع المشابه ابتداء الفتنة معنى، لأنّه كان يجب في كلّ من اتّبع المشابه أن يكون مذمومًا، لأنّه إنما يلزم الإيمان به قط، ولا يجوز أن يتبع على اتّباعهم المشابه لا ابتداء الفتنة، علم أن من اتّبع المشابه للدين وعلى الوجه الصحيح، يكون محمودًا. فكلّ ذلك يبيّن أنّه ليس في كتاب الله عزّ وجلّ شيء إلا وقد أراد عزّ وجلّ به ما يمكن المكلف أن يعرفه، وإن اختلفت مراتب ذلك، ففيه ما يستقلّ بنفسه ويمكن معرفة المراد بظاهره، وفيه ما يحتاج إلى قرينة على الجملة، وفيه ما يحتاج إلى قرينة مفصلة.

(مشابه القرآن ١: ١٥)

وربما قيل: فامعنى قوله: «وَمَا يَتْلُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» كيف يجوز في بعض القرآن أن لا يعلمه العلماء وإنما يؤمنون به وقد أنزله

الله بيانًا وشفاء؟

وجوابنا: أن في العلماء من يتأوله على ما نزل إلى أحوال الناس في التّوابع والعقاب وغيرهما، فينّ تعالى أنّه جلّ جلاله يعلم ذلك، وهو تأويله، وأن الراسخين في العلم يؤمنون بجملة ذلك ولا يعرفونه ولم يحن بذلك: الأحكام والتّشديد، وهذا كقوله: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوا مِنْ قَبْلُ الْأَعْرَاف: ٥٢». وأراد به «التأويل».

وقال بعض العلماء: المراد إن الراسخين يعلمون أيضًا، وهم مع ذلك يؤمنون به، فيجمعون بين الأمرين بأنّه قد يعلم معنى الكلام من لا يؤمن به، وقد يؤمن به من لا يعلم معناه، كقوله تعالى: «وَمَا يَتْلُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» أي والراسخون في العلم، ويعلمون مع ذلك: «آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» وكلا

وبين تعالى أن من في قلبه زيغ يجمع المشابه كاتّباع المشابه والمجربة ظاهرة ما في القرآن، فظنهم بذلك، والواجب اتّباع الدليل، وليس في المشابه آية إلا ويفترن بها ما يدلّ على المراد، والعقل يدلّ على ذلك، فانه تعالى جعل بعض القرآن مشابهاً ليؤدّي إلى إثارة العلم وإلى أن لا يتكلّموا على تقليد القرآن، ففيه مصلحة كبيرة.

وقد قيل: إن المراد لا يعلم تأويله على التفصيل حاجلاً أو أجلاً إلا الله تعالى، وإن كان الراسخون في العلم يعلمون ذلك على الجملة دون التفصيل.

(تنزيه القرآن عن اللطاعن: ٥٨)

التبديلي: التأويل: على وزن «تعيل» والمراد به التأويل، كما في «تنزيل» في صدر سورة الزمر بمعنى «التنزيل». ألم تر أنه قال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ الأعراف: ٥٣، أي يأتي متاوكله ومآله.

والفرق بين التفسير والتأويل، هو أن التفسير: علم النزول والنسب والتمسك للآية، وهذا يختص على التوفيق والتعاج، ويختص بالمثل والأثر.

والتأويل: حمل الآية على المعنى الذي يحتملها، ولا يحظر استنباط هذا المعنى على العلماء، مادام موافقاً للكتاب والسنة.

واستعمال «التفسير» يكون في الأحكام الشرعية مثل «هجرة» و«سائبة» و«وصيلة» أو في الكلام الموعر الذي يحتاج إلى شرح، مثل: ﴿وَلَقَدْ جَاءُوا السَّلَوةَ وَاتَّخَذُوا الزَّمَنَةَ﴾ البقرة: ٤٣، أو كلام يتضمن قصة، وللمعجم هذا الكلام إلا بمعرفة تلك القصة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذُوا دِينًا فِي الْكَفَرِ﴾ التوبة: ٣٧.

وأما استعمال «التأويل» فتارة يكون على سبيل المعلوم وتارة على سبيل المخصوص، كـ «الكفر» إذ يستعمل مرة في الجحود المطلق، وأخرى في جحود الباري جلّ ثناؤه على المخصوص، ومثله «الإيمان» فيستعمل في التصديق المطلق، وفي تصديق دين الحق على المخصوص.

ومن التأويل أيضاً: استعمال لفظ مشترك بين المعاني المختلفة كما في لفظ «وجوده»، حيث يستعمل في «جدة» وفي «وجنه» وفي «وجوده» ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ الأنعام: ١٠٣ فقد اختلف العلماء فيه، أصر

بصر عين أم بصر قلب. (٢٠: ٢)

الفخر الرازي: اعلم أن التأويل هو التفسير، وأصله في اللغة: المرجع والمصير، من قولك: آل الأمر إلى كذا، إذا صار إليه، ولولته تأويلاً، إذا صيرته إليه. هذا معنى «التأويل» في اللغة، ثم يسمى التفسير تأويلاً، قال تعالى: ﴿مَا تُشِئْتُمْ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ الكهف: ٧٨، وقال تعالى: ﴿وَأَخْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء: ٥٩، وذلك أنه إخبار عما يرجع إليه اللفظ من المعنى.

واعلم أن المراد منه أنهم يطلبون التأويل الذي ليس في كتاب الله عليه دليل ولا بيان، مثل طلبهم أن الساعة متى تقوم؟ وأن مقادير الثواب والعقاب لكل مطيع عاصي كم تكون؟

قال القاضي: هؤلاء الرافضون قد ابتغوا المتشابه من

أحدهما، أن يعملوه على غير الحق، وهو المراد من قوله: ﴿إِيثَاءَ الْيَقِينِ﴾.

والثاني: أن يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه، وهو المراد من قوله: ﴿وَأِيثَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾.

(١٨٨: ٧)

أبو حيان: قيل: (تأويله) طلب كنه حقيقته وعمق معانيه. (٣٨٤: ٢)

الأوسى: أي طلب أن يفتنوا المؤمنين والمؤمنات عن دينهم بالشكك والتلبيس، ومناقضة المحكم بالمشابه، كما نقل عن الواقدي - وطلب أن يؤولوه جميعاً يشبهون، فالإضافة في تأويله للمهد، أي بتأويل

رشيده وضياء التأويل هنا بمعنى الإرجاع، أي أنهم يرجعون إلى أحوالهم وتعاليمهم، لا إلى الأصل المحكم الذي بُني عليه الاعتقاد.

ولما «الْمُتَّبِعَةُ تَأْوِيلُهُ» فهو أنهم يمتحنونه على أحوال الناس في الدنيا، فيحولون خبر الأحياء بعد الموت وأخبار الحساب والجنة والنار عن معانيها، ويصرفونها إلى معان من أحوال الناس في الدنيا، ليخرجوا الناس عن الذين بالمرءة، والقرآن مخلوع بالمرءة عليهم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحِبُّهُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا آلَهُمُ الْأُولَىٰ نَزْلَهُ﴾ يس: ٧٩.

(١٦٦: ٣)

الطباطبائي: ما معنى التأويل؟ فسر قوم من المفسرين «التأويل» بالتفسير، وهو المراد من الكلام. وقد كانت المراد من بعض الآيات سطوفا بالضرورة كان المراد «التأويل» على هذا من قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَقْلِمُوا يَدَكُمْ عَنْ الْبَيْعِ بِالْأَيْدِي الَّتِي الَّتِي تَبْذُرُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ المائدة: ٦٤. هو المعنى المراد بالآية المشابهة، فلا طريق إلى العلم بالآيات المشابهة - على هذا القول - لنبر الله سبحانه، أو لتسيره وغير الراسخين في العلم.

وقالت طائفة أخرى: إن المراد «التأويل» هو المعنى المخالف لتظاهر اللفظ، وقد شاع هذا المعنى، بحيث عاد اللفظ حقيقة ثانية فيه، بعد ما كان يحسب اللفظ لمعنى مطلق الإرجاع أو المرجع.

وكيف كان لهذا المعنى هو الشائع عند المتأخرين، كما أن المعنى الأول هو الذي كان شائعاً بين قدماء المفسرين، سواء فيه من كان يقول: «إن «التأويل» لا يعلمه إلا الله» ومن كان يقول: «إن الراسخين في العلم أيضا

مخصوصه، وهو مالم يوافق المحكم، بل ما كان موافقاً للتشبي، والتأويل: التفسير، كما قاله غير واحد. (رويد نخل قول الزاغ قال:)

وجوز في هاتين الطلعتين أن تكونتا على سبيل التوزيع، بأن يكون «الْمُتَّبِعَةُ الْبَيْتَةُ» طلبية بمعنى «وابتداء التأويل» حسب التشبي، طلبية آخرين، ويجوز أن يكون الاتباع لمجموع الطلبتين، وهو المطلق بالمعاند، لأنه لقوة عناده ومزيد فسادة يشتهر بها صفاً، وأن يكون ذلك لكل واحدة منها على اتحاف، وهو المناسب بحال الجاهل، لأنه متغير تارة يتبع ظاهره وتارة يزول به ما يشبهه، لكونه في قبضة هؤلاء، يتبدل كلما دعاه.

ومن الناس من حمل (الفتنة) على المال، فإن الله سبحانه قد سقاء فتنة في مواضع من كلامه، ولا ينبغي أن يكون «التأويل» على هذا من قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَقْلِمُوا يَدَكُمْ عَنْ الْبَيْعِ بِالْأَيْدِي الَّتِي الَّتِي تَبْذُرُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ المائدة: ٦٤. هو المعنى المراد بالآية المشابهة، فلا طريق إلى العلم بالآيات المشابهة - على هذا القول - لنبر الله سبحانه، أو لتسيره وغير الراسخين في العلم.

ولي تحليل «الاتباع» بالابتداء تأويله دون نفس تأويله، وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة والحقيقة، لئذان بأنهم ليسوا من التأويل - في صير ولا تغير ولا تحليل ولا تدير - وأن ما يمتحنونه ليس بتأويل أصلاً، لأنه تأويل غير صحيح قد يذر صاحبه.

﴿وَمَا يَتْلُمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ في موضع الحال من ضمير (يَتْلُمُونَ) باعتبار العلة الأخيرة، أي يتبعون المشابهة لابتداء تأويله، والحال أن التأويل المطابق للواقع - كما يشعر به التعبير بالعلم والإضافة إلى الله تعالى - مخصوص به سبحانه، وبين وقته عز شأنه من عباده الراسخين في العلم. (٨٢: ٣)

يطعون، كما نقل عن ابن عباس أنه كان يقول: أنا من الراسخين في العلم وأنا أعلم تأويله.

وذهب طائفة أخرى: إلى أن «التأويل» معنى من معاني الآية لا يطمع إلا الله تعالى، أو لا يطمع إلا الله والراسخون في العلم، مع عدم كونه خلاف ظاهر اللفظ. فيرجع الأمر إلى أن للآية المتشابهة معاني متعددة بعضها تحت بعض، منها ما هو تحت اللفظ يتأله جميع الأهالي، ومنها ما هو أبعد منه لا يتأله إلا الله سبحانه، أو هو تعالى والراسخون في العلم.

وقد اختلفت أظواهرهم في كيفية ارتباط هذه المعاني باللفظ، فإن من المتيقن أنها من حيث كونها مرادة من اللفظ ليست في عرض واحد، ولذا لزم استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد، وهو غير جائز على ما بين في محله. فهي لا محالة معان مترتبة في الطول، ففعل: إنها لوازم معنى اللفظ، إلا أنها لوازم مترتبة بحيث يكون لللفظ معنى مطابق، وله لازم، وللأول لازم وهكذا.

وقيل: إنها معان مترتبة بعضها على بعض ترتب الباطن على ظاهره، فإرادة المعنى المجرد المألوف لإرادة المعنى اللفظي، وإرادة باطنه بعين إرادته نفسه، كما أكد إذا قلت: استقي، فلا تطلب بذلك إلا الشيء، وهو بعينه طلب للزواج، وطلب لرفع الحاجة الوجودية، وطلب للمكالم الوجودية. وليس هناك أوجه لوامر ومطالب، بل الطلب الواحد المتعلق بالشيء متعلق بعينه بهذه الأمور التي بعضها في باطن بعض، والشيء مرتبط بها ويعتمد عليها. وهاتنا قول رابع: وهو أن «التأويل» ليس من قبيل المعاني المرادة باللفظ، بل هو الأمر الصيغي الذي يعتمد

عليه الكلام، فإن كان الكلام حكاية إنشائية كالأمر والنهي، فتأويله المصلحة التي توجب إنشاء الحكم وجعله وتشريعه، فتأويل قوله: «وَأَقْبَهُوا الضُّلُوءَ» البقرة: ٤٣ مثلاً، هو الحالة التوراتية الخارجية التي تقوم بنفس المصلي في الخارج، فتنهاه عن الفحشاء والمنكر.

وإن كان الكلام خبرياً، فإن كان إخباراً عن الحوادث الماضية، كان تأويله نفس الحادثة الواقعة في ظرف الماضي، كالأيات للشملة على أخبار الأنبياء والأمم الماضية، فتأويلها نفس القضايا الواقعة في الماضي.

وإن كان إخباراً عن الحوادث والأسود المسالمة والمستقبله فهو على قسمين:

أولها أن يكون الخبر به من الأمور التي تتأله الموحدين ثم ندر كم القول، كان أيضاً تأويله ما هو في الخارج من القضية الواقعة، كقوله تعالى: «وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ فَسَمِعُوا» الشعبة: ٤٧، وقوله تعالى: «لَحِيتِ الزُّرُومَ» في أذني الأترس وهم من تغلغلهم سماعيون في جمع بينهم الزرور: ٤٨.

وإن كان من الأمور المستقبلية التي لا تتأله حوائج النبوية ولا يدرك حقيقتها عقولنا، كالأمور المربوطة بمرور القباية ووقت الساعة وحشر الأموات والجمع والشمول والحساب وتطهير الكتب، أو كان مما هو خارج من منح الزمان وإدراك العقول، كحقيقة صفاته وأعماله تعالى، فتأويلها أيضاً نفس حقائقها الخارجية.

ونفرد بين هذا القسم، أصح الآيات المبيحة لحال

ومن جملتها: أن التفسير بيان المعنى الظاهر من اللفظ. والتأويل بيان المعنى المشكّل.

ومن جملتها: أن التفسير يعلّق بالرواية، والتأويل يعلّق بالنسبة.

ومن جملتها: أن التفسير يعلّق بالاتباع والتباعد، والتأويل يعلّق بالاستبطاء والنظر.

فهذه سبعة أقوال، هي في الحقيقة من شعب القول الأول الذي قلناه يرد عليها ما يرد عليه، وكيف كان فلا يصح الزكون إلى شيء من هذه الأقوال الأربعة، وما يستحب منها.

فما يقال: فلا تلك قد عرفت أن المراد بالتأويل التأويل الذي ليس ظهوراً من المفاهيم، تدلّ عليه الآية، سواء كان ظاهرها أو موافقاً، بل هو من قبيل الأسرار الخارجية ولا كل أمر خارجي حتى يكون المصدق الخارجي للتفسير تأويلاً له، بل أمر خارجي مخصوص بنسبة إلى الكلام نسبة المشكّل إلى الشئ (بفتحين) والباطن إلى الظاهر.

ولنا تعليلاً غيرد على القول الأول: أن أقل ما يلزمه أن يكون بعض الآيات القرآنية لا يقال تأويلها أي تفسيرها - أي المراد من مداليلها اللفظية عامة - الألفاظ. وليس في القرآن آيات كذلك بل القرآن ناطق بأنه إنما أنزل قرآناً ليناله الألفاظ، ولا مناص لصاحب هذا القول إلا أن يختار أن الآيات المتشابهة إنما هي طوائف السور من الحروف المقطّعة، حيث لا يقال معانيها عامة الألفاظ. ويرد عليه: أنه لا دليل عليه، وبمجرد كون التأويل مشتملاً على معنى الرجوع وكون التفسير أيضاً غير خال

صفات الله تعالى وأفعاله وما يلحق بها من أحوال يوم القيامة ونحوها، وبين الأقسام الأخر: أن الأقسام الأخر يمكن حصول العلم بتأويلها بخلاف هذا القسم، فإنه لا يعلم حقيقة تأويله إلا الله تعالى، نعم يمكن أن يتأوله الراسخون في العلم بعليم الله تعالى بعض التل على قدر ما سمعه عقولهم، وأما حقيقة الأمر الذي هو حق التأويل، فهو شأن استأثر الله سبحانه بعلمه.

فهذا هو الذي يستحصل من مذاهيم في معنى التأويل، وهي أربعة.

وهذه الأقوال آخر ذكرها، هي في الحقيقة من شعب القول الأول، وإن تعاضى القائلون بها عن قوله.

فمن جملتها: أن التفسير أعم من التأويل، وأكمل استعماله في الألفاظ وخرجاتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني والمجمل، وأكثر ما يحصل التأويل في الكلام الإلهي، ويستعمل التفسير فيها وفي غيرها.

ومن جملتها: أن التفسير بيان معنى اللفظ الذي لا يحصل إلا وجهاً واحداً، والتأويل تنبيه أحد احتمالات اللفظ بالذليل استنباطاً.

ومن جملتها: أن التفسير بيان للمعنى المظهر من اللفظ، والتأويل ترجيع أحد احتمالات من المعاني غير المظهر بها، وهو قريب من سابقه.

ومن جملتها: أن التفسير بيان دليل المراد، والتأويل بيان حقيقة المراد، مثله قوله تعالى: «وإن زعمكم ليا أنضاد» القبر: ١٤، فتفسيره: أن المراد «منعاه» من قولهم: رعد يرمده، إذا راقب، وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله، والفتنة عنه.

عن معنى الرجوع، لا يجب كون التأويل هو التفسير، كما أن الأم مرجع لأولادها وليست بتأويل لهم، والزئير مرجع للمردوس وليس بتأويل له.

على أن «الرجاء» في الآية خاصة مستقلة للشبهة، وهو يوجد في غير فروع الشؤن، فإن أكثر الحقن الحديثة في الإسلام إنما حدثت بانقياع عمل الأحكام وآيات الصفات وغيرها.

وأما القول الثاني فيرد عليه: أن لازمه وجود آيات في القرآن أريد بها معان يخالفها ظاهرها الذي هو وجه الفتنة في الذين يتنافه مع المعكات، ومرجه إلى أن في القرآن اختلافًا بين الآيات، لا يرتفع إلا بصرف بعضها عن ظواهرها إلى معان لا يفهمها عامة الألفاظ وهذا يغلل الاحتجاج الذي في قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلِ لِلْمُتَّقِينَ أَقْرَبًا وَلَوْ كَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَوَجَدُوا مِنْهُ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢ إذ لو كان ارتقاع الاختلاف آية مع آية بأن يقال: إنه أريد بإحدهما نوبها من غير ما يدل عليه الظاهر، بل معنى تأويلي باصطلاحهم لا يعلمه إلا الله سبحانه متلا، لم تنجح حجة الآية، فإن انتفاء الاختلاف بالتأويل باصطلاحهم في كل مجمرع من الكلام ولو كان لله أمر ممكن، ولا دلالة فيه على كونه غير كلام البشر إذ من الواضح أن كل كلام حق القطعي الكلب والنور يمكن إرجاعه إلى الصدق والحق بالتأويل والصرف عن ظاهره.

فلا يدل ارتقاع الاختلاف بهذا المعنى عن مجمرع كلام، على كونه كلام من يتعالى عن الاختلاف الأحوال وتتألف الآراء والتصور والتسايق، وللخطأ والكمال

مرور الزمان، كما هو المعنى بالاحتجاج في الآية، فالآية بلسان احتجاجها صريح في أن القرآن معرض لمعاني الألفاظ، ومسرح للبحث والتأمل والتدبر، وليس فيه آية أريد بها معنى يخالف ظاهر الكلام العربي، ولا أن فيه أسجية وتسمية.

وأما القول الثالث فيرد عليه: أن اشتغال الآيات القرآنية على معان مترتبة بعضها فوق بعض وبعضها تحت بعض، مما لا ينكره إلا من حرم نصب القدر، إلا أنها جميعًا - وخاصة لو قلنا: إنها لولزم للمعنى - مداليل لفظة عظيمة من حيث الألفاظ وذكاء السامع المستدبر وبلادته، وهذا لا يلائم قوله تعالى في وصف التأويل: ﴿وَمَا يُلْقِمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا لِلْهَٰئِمِ﴾، فإن المعارف المالية والمسائل الدقيقة لا يختلف فيها الأذهان من حيث التقوى وطهارة النفس بل من حيث الهدى وعدمها، وإن كانت التقوى وطهارة النفس شيتين في فهم المعارف الظاهرة الإلهية، لكن ذلك ليس على نحو الدوران واليعة، كما هو ظاهر قوله: ﴿وَمَا يُلْقِمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا لِلْهَٰئِمِ﴾. وأما القول الرابع فيرد عليه: أنه وإن أصاب في بعض كلامه، لكنه أخطأ في بعض الآخر، فإنه وإن أصاب في القول: بأن التأويل لا يقتصر بالمشابهة بل يوجد لجميع القرآن، وأن التأويل ليس من صنع المدلول الظاهري بل هو أمر خارجي يمتد عليه الكلام، لكنه أخطأ في حد كل أمر خارجي مرتبط بمضمون الكلام حتى مصادر الأخبار الحاسكية عن الحوادث الماضية والمستقبلية تأويلًا للكلام، وفي حصر المشابه الذي لا يعلم تأويله في آيات الصفات وآيات القيامة.

توضيحه: لأن المراد حينئذ من «التأويل» في قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئْهُمْ تَأْوِيلَهُ﴾ إلخ، إما أن يكون تأويل القرآن، يرجع ضميره إلى الكتاب، فلا يستقيم قوله: ﴿وَلَا يَتْلُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ إلخ، فإن كثيراً من تأويل القرآن وهو تأويلات المفسرين بل الأحكام أيضاً، وآيات الأخلاق مما يمكن أن يعلمه غيره تعالى وغير المراسخين في العلم من الناس، حتى الزائغون قلباً على قوله، فإن المصادمات التي تدل عليها آيات القصص يساوى في إدراكها جميع الناس من غير أن يحرم عنه بعضهم، وكذا الحقائق الخفية والمصالح التي بوجودها العمل بالأحكام من العبادات والمعاملات وسائر الأمور المشرعة.

وإن كان المراد بالتأويل فيه تأويل التشابه فقط، استقام المحصر في قوله: ﴿وَمَا يَتْلُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ إلخ، وأفاد أن غيره تعالى وغير المراسخين في العلم مثلاً لا ينبغي لهم ابتناء تأويل التشابه، وهو يؤدي إلى الفتنة وإضلال الناس، لكن لا وجه لمحصر التشابه الذي لا يعلم تأويله في آيات الصفات والقيامة، فإن الفتنة والاضلال كما يوجد في تأويلها يوجد في تأويل غيرها من آيات الأحكام والتفصيل وغيرها.

كأن يقول القائل - وقد قيل -: إن المراد من تشريع الأحكام إحياء الاجتماع الإنساني بإصلاح شأنه بما يطبق على الصلاح، فهو فرض أن صلاح المجتمع في غير الحكم المشرع، أو أنه لا يطبق على صلاح الوقت، وجب اقتبائه وإنشاء الحكم الديني المشرع.

وكان يقول القائل - وقد قيل -: إن المراد من

كبريات الأنبياء المنقولة في القرآن لصور عادية، وإنما نقل بألفاظ ظاهرها خلاف العادة لصلاح استمالة قلوب السامع، لا ليجذب قلوبهم وخضوع قلوبهم، لما يتخيلونه خارقاً للعادة قاهرة لقوانين الطبيعة، ويوجد في المذهب المشبه المحدث في الإسلام شيء كثير من هذه التأويل، وجميعها من التأويل في القرآن «ابتداءً للفتنة» بلا شك، فلا وجه لتصر التشابه على آيات الصفات وآيات القيامة.

إذا عرفت ما مر علمت: أن الحق في تفسير «التأويل» أنه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها اليانعات الشرعية من حكم أو موهبة أو حكمة، وأنه موجود في آيات القرآن، محكمها ومتشابهها، وأنه ليس من القواعد المدلول عليها بالألفاظ بل هي من القواعد المدلول عليها بالآيات الشرعية، وإنما فهمها الله سبحانه بتد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب، فهي كالأمثال تُضرب لتقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع، كما قال تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ • إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ • وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَّ حَكِيمٌ﴾ الزخرف: ٢، ٣، ٤ وفي القرآن تصريحات وتلويحات بهذا المعنى.

على أنك قد عرفت فيما مر من البیان: أن القرآن لم يستعمل لفظ «التأويل» في الموارد التي استعملها - وهي ستة عشر مورداً على ما عُدّت - إلا في المعنى الذي ذكرناه. (٣: ٤٤-٤٩)

عبد الكريم الخطيب: يستعمل القرآن الكريم

«التأويل» لأمر الخفية الغامضة التي يُدني ظاهرها ما حتم عليه باطنها، من أمور مُجربة وراء هذا الظاهر. وتبين الظاهر غير المراد والباطن المراد بوزن شائع، وبعد بهد لا يملكه إلا بصردوي البصائر، من رضي الله عنهم، ودرهم إلى هذا المقام الكريم الذي يطلقون منه على ماوراء المُجيب من علم الله.

ذكر القرآن الكريم أن هذا المقام الكريم - مقام التأويل - كان ليوسف عليه السلام. فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَكْتُِبُ بُيُوتَنا فِي الْأَرْضِ وَلِنُظَاهِرَ مِنْ تَحْتِها الْأَعْيُنَ﴾ يوسف: ٢١. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْهِيكَ عَنْهَا وَلِنُظَاهِرَ مِنْ تَحْتِها الْأَعْيُنَ﴾ يوسف: ٢٦. وقال سبحانه على لسان يوسف: ﴿وَمَا أَتَيْتُ بِهَا نِكَاحًا قَدْ كُنتَ مِنَ الْمُسْتَفْهِينَ﴾ يوسف: ٢٣. وقال سبحانه على لسان يوسف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي هُوَ أَعْيُنَ رُؤُوسِنا مِنْ قَوْلِ﴾ يوسف: ١٠٠. وقال تعالى على لسان صاحبي السجن: ﴿كُنتَ بِنا وَنَافِثِنا بِنا نَزِيلَنا مِنْ الْأَشْجِينِ﴾ يوسف: ٣٦. وقال سبحانه على لسان يوسف: ﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ عَلامٌ تَوَذَّيْتَهُ إِلَّا نَكاحُنا بِنا وَهَلِيلُنا أَنْ يَأْتِيَنَّكَ ذَلكَ بِما عَلَّمْتَنِي رَبِّي﴾ يوسف: ٣٧. وقال تعالى على لسان أصحاب فرعون: ﴿وَمَا نَحْنُ بِناؤِيلِ الْأَعْلَامِ بِقالِينِ﴾ يوسف: ٤٤. وقال على لسان أحد صاحبي السجن، وهو الذي نهى: ﴿أَنَا أَنتَ بَكْرُنا بِناؤِيلِنا قَارِئِيلُونِ﴾ يوسف: ٤٥.

وكما كان ليوسف هذا العلم الذي فضل الله عليه به، فكشف بهذا العلم ماوراء تلك المُجيب من الأزمنة والأمكنة، كان ذلك العلم أيضًا للبد الصالح صاحب

موسى عليه السلام، والذي يقول الله تعالى فيه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ بَنائِنا مُتَّبِعًا وَهُدًى مِنْ بَنائِنا وَعَلَّمْنَاهُ بِسْمِنا لَدُنَّا بِنا﴾ الكهف: ٦٥.

وفي صفة موسى للبد الصالح رأى موسى المُجيب في أمور كان بأنها البد الصالح بين يديه، فتجربى في وضع مطلوبه كما يبدو ذلك في مستوى النظر الطبيعي للناس، بنامي - في حقيقة أمرها - تسير في أعدل وجه وأحسنه كما ظهر ذلك منها حين كشف البد الصالح لموسى، مع وراء هذا الظاهر غير المستقيم، أو بمعنى أوضح حين كشف له عن حجاب الزمن وأثره مسيرتها. والنهاية التي تنتهي إليها، وما نزول إليه عاقبة أمرها.

وفي هذا يقول البد الصالح لموسى - بعد أن حجز موسى عن التبر سه في هذا الطريق كما قال القرآن على لسانه: ﴿فَإِذا يَرْتَلِنا نَها وَنَها شَأْنُنا بِناؤِيلِنا ضالَمَ تَظْهِيرَنا﴾ الكهف: ٧٨.

هذا ماورد في القرآن الكريم من لفظ «التأويل» وهو في جميع ماورد لم يُستعمل إلا في الكشف عن أمور غامضة، متخفية وراء شيء، تقول بين الظاهر إليها وبينها، وهي - كما نرى في سورة يوسف - أحلام هي رموز إلى أشياء وأحداث لم يسطع قراءتها وفك رموزها إلا يوسف عليه السلام. فوحي كمانى في سيرة البد الصالح مع موسى، أضحت أحلام من أحلام اليقظة، لا يكاد المرء يصور حتى ينكرها، ويغفل أطيافها المستحقة أمام عينيه.

«التأويل» على هذا هو فك طلاسم ورموز، يتفك الناس جيئًا أسرارها حائرين، ويقول فيها كل إنسان

من البحث، وهذا التأويل - والله أعلم - هو قوله: ﴿وَمَا يَقْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ آل عمران: ٧، أي ما يعلم متى يكون البحث وما يؤول إليه إلا الله. (٣٤١: ٢)
الْمُتَحَفِّضِينَ: إلّا عاقبة أمره، وما يؤول إليه من تبين صدقه وتظهر صحة ما خلق به، من الوعد والوعيد.

(٨٢: ٢)

الْأَلُوسِيِّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ وهو يوم القيامة، وقيل: هو يوم بدر.

(١٢٨: ٨)

وشهد وحده: أي ليس لأحد منهم شيء. ينظرونه في أمره إلّا وفزع تأويله، وهو ما يؤول إليه ما أخبر به من أمر كنسب الذي يقع في المستقبل، في الدنيا ثم في الآخرة. وتكون الكلام كتأويل للزوا هو حقيقته، والمآل

(٤٢٦: ٨)

الْمُتَحَفِّضِينَ: إلّا عاقبة أمره، وما يؤول إليه ما أخبر به من أمر كنسب الذي يقع في المستقبل، في الدنيا ثم في الآخرة. وتكون الكلام كتأويل للزوا هو حقيقته، والمآل

ف قوله: ﴿وَمَا يَقْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، معناه هل ينتظر هؤلاء الذين يتفكرون على الله كذباً، أو يكذبون بآياته - وقد فت عليهم الحجة بالقرآن النازل عليهم - إلّا حقيقة الأمر التي كانت هي الباعث على سرق بياناته، وتشريع أحكامه والإنذار والتبشير للذين فيه؟ فلو لم ينتظروه لم يتركوا الأخذ بما فيه.

ثم يُخبر تعالى عن حالهم في يوم إتيان التأويل بقوله ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ أي إذا انكشفت حقيقة الأمر يوم القيامة يعترف التاركون له بحقيقة ما جاءت به الرسل، من الشرائع التي أوجبوا العمل بها، وأخبروا أنّ الله سيحكمهم

بقوله، وينظر كل ناظر إليها بنظر، وهيئات أن يلتقي قول بقوله أو يقع نظر على ظهر، فكل ما يقل فيها: فهو رجم بالقياس، إلّا من علمه الله تأويل الأحاديث. (٣٩٩: ٢)

٢ - هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ.

الأعراف: ٥٣

شجاعة: جزاءه. (الطبري ٨: ٢٠٣)
الحسن: أي هل ينتظرون إلّا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول تنبؤهم إليه. (الطبري ٢: ٤٢٦)
فتافه: أي نوابه. عاقبته. (الطبري ٨: ٢٠٣)
السدي: تأويله: حواشي، مثل وقعة بدر، والقيامة، وما وعد فيه من موحد. (الطبري ٨: ٢٠٤)

الزبيح: فلا يزال يقع من تأويله أمر بعد أمر، حتى يتم تأويله يوم القيامة، في ذلك أنزل: ﴿وَلَمْ يَنْتَظِرُوا إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ حيث أناب الله تبارك وتعالى أوليائه وأعداءه نواب أفعالهم. (الطبري ٨: ٢٠٤)

ابن زيد: يأتي تحقيقه. (الطبري ٨: ٢٠٤)
الفرهاء: الهاء في (تأويله) للكتاب، يريد عاقبته، وما وعد الله فيه. (٣٨٠: ١)

الجبائني: لأن تأويله ما وعدوا به من البعث والنشور والحساب والعقاب. (الطبري ٢: ٤٢٦)
الطبري: (إلّا تأويله) يقول: إلّا ما يؤول إليه أمرهم، من ورودهم على عذاب الله، وحلهم جميعه، وأنشأ هذا ما أوعدهم الله به. (٢٠٣: ٨)

الزجاج: معناه هل ينتظرون إلّا ما يؤول إليه أمرهم

ويجانبهم عليها.

(١٣٥: ٨)

عبد الكريم الخطيب: الاستهزاء هنا إنكارية ينكر على أهل الشرك والضلال توقفهم في الاستجابة لهذا الكتاب والايان به والعمل بما فيه. فإذا يظنون؟ لوماذا يظنون؟ أيتظنون تأويل هذا الكتاب، وولوج ما أخبر به من وعد وعيد؟ إن تأويله - أي ما نزل إليه - أخباره - لا تكون إلا يوم القيامة.

فهل إذا جاء هذا اليوم، ووقع بهم الوعيد الذي أوعدهم الله به، أيقنعهم إيمان أو يقل منهم عمل؟ كلا فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿تَذَمُّ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَجْعَلُ لِنَفْسٍ إِيمَانًا لَمْ تَكُنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ الأنعام: ١٥٨. إنهم في هذا اليوم لا يملكون إلا أن يرددوا الآيات الباطلة.

٣- بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله.

يونس: ٣٩

الطوسي: معناه ما يؤول أمره إليه وهو صاقته، ومعناه متأوله من التراب والعقاب. (١٣٦: ٥)

السيوطي: أي لم يأتهم، وسيأتيهم حقيقة ما وعدوا في الكتاب، إنه كائن من الوحيد، وتازل بهم من العذاب. (٢٩٠: ٤)

الزحبي: إن قلت: ما معنى التوقع في قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾؟

قلت: معناه أنهم كذبوا به على البديهة، قبل التدبر ومعرفة التأويل، تقليداً للآباء، وكذبوه بعد التدبر ثمراً وعناداً، فطعنهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به.

وجاء بكلمة التوقع، ليؤذن أنهم علموا بدء علو شأنه وإعجازه، لما كثر عليهم التحدي ورازوا قواهم، في المعارضة واستبقوا عجزهم عن مثله، فكذبوا به بغيًا وحسدًا. [إلى أن قال:]

ويجوز أن يكون معنى ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب، أي عاقبته حتى يبين لهم أهو كذب أم صدق؟ يعني أنه كتاب معجز من جهتين: من جهة إعجاز قلمه، ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب. فسرعوا إلى التكذيب به قبل أن يظنوا في قلمه وولوج حد الإعجاز، وقبل أن يخبروا أخباره بالمعجزات، وصدقه وكذبه. (٢٢٨: ٢)

الطوسي: أي لم يأتهم بعد حقيقة ما وعد في الكتاب، مما يؤول إليه أمرهم من العقوبة. وقيل: معناه أن في القرآن أنباء لا يعلمونها ولا يمكنهم معرفتها، إلا بالرجوع إلى النبي ﷺ، فلم يرجعوا إليه وكذبوا به، فلم يأتهم نصيره وتأويله، فيكون معنى الآية بل كذبوا بما لم يدركوا علمه من القرآن ولم يأتهم تفسيره، ولو راجعوا فيه رسول الله ﷺ لعلموه. (١١٠: ٣)

القرطبي: أي ولم يأتهم حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم، أو كذبوا بما في القرآن من ذكر البعث والجنة والنار. (٣٤٥: ٨)

الفخر الرازي: قال أهل التحقيق: قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ بدلٌ هل أن من كان غير عارف بالمتأويلات وقع في الكفر والبدعة، لأن ظواهر النصوص قد يوجد فيها ما تكون متعارضة، فإذا لم يعرف الإنسان وجه التأويل فيها وقع في قلبه أن هذا الكتاب

ليس بحق. أما إذا عرف وجه التأويل طبق التنازل على التأويل، فيصير ذلك نوراً على نور، جدي الله لنوره من يشاء. (١٧: ٩٩)

الألوسي: التأويل: نوع من التفسير والإتيان بجاز من المعرفة والوقوف، ولعل اختياره للإعصار بأن تلك المعاني متوجهة إلى الأذهان منسقة إليها بنفسها، وجوز أن يراد بالتأويل: وقوع مدلوله، وهو عاقبته وما يؤول إليه، وهو المعنى الحقيقي عند بعض، فإتيانه حيث بجاز من تبيينه ولنكشافه، أي ولم يتبين لهم إلى الآن تأويل ما فيه من الإخبار بالنيب حتى يظهر أنه صدق أم كذب. والمعنى أن القرآن مجهز من جهة النظم والمعنى، ومن جهة الإخبار بالنيب، وهم فاجأوا تكذيبه قبل أن يتدبروا ظلمه ويبتفكروا في معناه، فوينظروا وقوع ما أخبر به من الأمور المستنبلة.


ونلي إتيان التأويل بكلمة (لما) الدالة على توقيف معنى منها بعد نفي الإحاطة بعلمه بكلمة (لما) لتأكيد التوقيف وتشديد التنبيه، فإن الشاعرة في تكذيب النبي قبل علمه المتوقّع إتيانه أفضى منها في تكذيبه قبل علمه ظناً. (١١: ١٢٠)

العلّياطهاني: الآية ثبّت وجه الحقيقة في عدم إيمانهم به، وفولهم: إنه افتراء، وهو أنهم كذبوا من القرآن بما لم يحيطوا بعلمه، أو كذبوا بالقرآن الذي لم يحيطوا بعلمه، فظهر معارف حقيقة من قبيل العلوم الواقعية لا يسميها علمهم ولم يأتهم تأويله بعد أي تأويل ذلك الذي كذبوا به حتى يضطرهم إلى تصديقه.

هذا ما يقتضيه السياق من المعنى، فتولّد: «ولمّا

يأتهم تأويله» يشير إلى يوم القيامة، كما يؤيد قوله تعالى: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَنَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَفْعَلُ» الأعراف: ٥٣.

وهذا يؤيد ما قدمناه في تفسير قوله: «مِنْهُ آيَاتُهُ الْفُتْنَةُ وَآيَاتُهُ تَأْوِيلُهُ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ» آل عمران: ٧، في الجزء الثالث من الكتاب، أن المراد به «التأويل» في حرف القرآن هو الحقيقة التي يعتمد عليها معنى من المعاني من حكم أو معرفة أو فقه أو غير ذلك، من المعاني الواقعية من غير أن يكون من قبيل الحقيقة لأن لجميع القرآن وما ينضجه من معرفة أو حكم

ما أخبر به من الأمور المستنبلة.  ونلي إتيان التأويل بكلمة (لما) الدالة على توقيف معنى منها بعد نفي الإحاطة بعلمه بكلمة (لما) لتأكيد التوقيف وتشديد التنبيه، فإن الشاعرة في تكذيب النبي قبل علمه المتوقّع إتيانه أفضى منها في تكذيبه قبل علمه ظناً. (١١: ١٢٠)

العلّياطهاني: الآية ثبّت وجه الحقيقة في عدم إيمانهم به، وفولهم: إنه افتراء، وهو أنهم كذبوا من القرآن بما لم يحيطوا بعلمه، أو كذبوا بالقرآن الذي لم يحيطوا بعلمه، فظهر معارف حقيقة من قبيل العلوم الواقعية لا يسميها علمهم ولم يأتهم تأويله بعد أي تأويل ذلك الذي كذبوا به حتى يضطرهم إلى تصديقه. هذا ما يقتضيه السياق من المعنى، فتولّد: «ولمّا

فيه تأويلها وحقيقة أمرها ظهوراً يضطرهم على الإيقان والتصديق بها، وهو يوم القيامة الذي يكشف لهم فيه الغطاء عن وجه الحقائق بواقعيّتها، هؤلاء كذبوا وظلموا كما كذب الذين من قبلهم، وظلموا ما ظن كيف كان عاقبة أولئك الظالمين حتى تحس بما سيصيب هؤلاء.

هذا ما يحطيه دقيق البحث في معنى الآية، والمفسرين فيها أقوال شتى مختلفة مبنية على مذهبوا إليه من معنى «التأويل» لاجتدوى في التعرض لها، وقد استغنينا أقوالهم سابقاً. (١٠: ٦٦)

عبدالكريم الخطيب: وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ تَابُوا رَبَّهُمْ تَأْوِيلُهُ﴾ إشارة خاصة إلى القرآن الكريم، وأنه ليس من هوان الأمل في بخر المرء من حجابها في نظرة عابرة، أولسة طائفة، وإنما هو آيات الله التي أودعت في حروفه وكلماته وآياته أسرار هذا العالم ونظام هذا العالم، وملاك أسر هذا المصطفى العظيم ومنابع سعيه المستقيمة.

وإذا كان هذا هو شأن القرآن الكريم، فإنه - لكي يتعرف الإنسان عليه، ويقع حل بعض ما فيه من أسرار - يجب أن يقف المرء طويلاً معه، وأن يحطيه تلكاياته كلها، ويهذا يعرف ما هو هذا القرآن الذي يسمعه، ويدرك طعم هذا التمر الذي يتدلى عليه من أغصانه وأشجاره.

أما النظرة المسمّاة الشاردة المجول، أو النظرة الجأمة الباردة العمياء، فلن تنال شيئاً، ولن تبلغ غاية تحصل بها شيئاً من هذا الخير الكثير.

وهذا هو السرّ أبيض السرّ في (لنا) التي تنيد

استداده الزمن وتراخيه حتى يقع الحديث الذي يجيء من الفعل الوارد عليه، هذه الأداة (لنا) التي تنيد القراخي والامتداد في الزمن المستقبل.

والصورة هنا هكذا: إن هؤلاء المشركين من شأنهم أن يواجهوا الأمور بمواقفهم وتوازن أهوائهم، فيدفعوا كل أمر لا يلتقي مع أهوائهم، ولا يستجيب لمنازعاتهم، هكذا شأنهم مع صدير الأمور وكبيرها ومع قريبها وبعيدها، فإذا جاءهم أمر تلقوه سلفاً بما تسرح به صدورهم من نزعات وأهواء، فإذا جاء الأمر على وفق أهوائهم، وجرى على طريق نزعاتهم، قبلوه وأطعوا إليه، وإلا أنكروه وتكفروا له.

وهم مع القرآن، يادؤوه بالإعراض والتكذيب قبل أن يظفروا فيه. ومن ظفر منهم إليه، فخر نظراً منصرفاً إذا، فكذبوا بالدهجيات، كما كذبوا بما يحتاج إلى بحث وظهر وإيمان ﴿يَبْلُ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا يَعْلَمِهِ وَلَآ يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ يونس: ٢٩، أي كذبوا بما لم يقع لهم منه علم أصلاً، لأنهم لم يظفروا فيه، ولو ظفروا لعلموا. ثم كذبوا بما لم يأتهم تأويله ولم يدركوا أسرارهم، لأنهم لم يطيلوا البحث ويؤمنوا بالنظر، ولو فعلوا لجاءهم تأويله، ولتكشفت لهم بعض أسرارهم.

فهم على تكذيب بالقرآن أينك، يكذبون به قبل أن يظفروا فيه، ويكذبون به بعد أن يظفروا فيه، لأنهم يسبقون هذا النظر بمشاعر الاتهام، فإذا ظفروا لم ينضمم النظر، لأنه - كما قلنا - نظر شارد، مستغف بما ينظر إليه. (١٠: ٦٦)

أول

١- ولبيثوا هنا أنزلت عندكم ولا تكونوا

أول كافر به -

البقرة: ١٦

أبوالمصالية: ولا تكونوا السابقين إلى الكفر به
ليحكمكم الناس، أي لا تكونوا الله في الكفر به

(الطبرسي: ١: ٩٤)

ابن جرير: ولا تكونوا أول جاحدين صفة النبي في
كتابكم، فعل هذا تعود الماء في (به) إلى الشيء

(الطبرسي: ١: ٩٤)

الثاني: يشمل أن يكونوا أول كافر بالقرآن، إنه
حق في كتابكم.

(الطبرسي: ١: ٩٥)

الطبرسي: إن قال لنا قائل: كيف قيل: «ولا تكونوا
أول كافر به» والمخاطب فيه الجمع. (وكافر) واحد
وهل يتميز إن كان ذلك جائزاً أن يقول قائل: لا تكونوا
أول رجل قام؟

قيل له: إنما يجوز توحيده ما أضيف له «أصل» وهو
خيرٌ لجمع إذا كان إسماً مشتقاً من «فعل وفعل» لأنه
يؤذي عن المراد منه المحذوف من الكلام، وهو «من»
ويقوم مقامه في الأداء من معنى ما كان يؤذي عنه «من»
بين الجمع والثاني: وهو في لفظ واحد الأسرى أنك
تقول: ولا تكونوا أول من يكفره «من» بمعنى جمع، وهو
خير متصرف تصرف الأسماء للنسبة والجمع والثاني:
فإذا أقيم الاسم المشتق من «فعل وفعل» مقامه، جرى
وهو موحد مجزأ في الأداء معاً كان يؤذي عنه من معنى
الجمع والثاني: كقولك: الجيش ينهزم، والجند يُقبل
فتوحد للفعل لتوحيد لفظ الجيش والجند، وغير جائز أن

يقال: الجيش رجل، والجند غلام، حتى تقول: الجند
جليلان، والجيش رجال، لأن الواحد من عدد الأسماء التي
هي غير مشتقة من فعل وفعل لا يؤذي عن معنى
الجماعة منهم، ومن ذلك قول الشاعر:

وإذا هموا طمئنا فالأثم طامئ

وإذا هموا جاحوا فشر جاح

فوجد مرة على ما وصفت من تبة «من» وإقامة
القاهر من الاسم الذي هو مشتق من «فعل وفعل»
مقامه، وجمع أخرى على الإخراج على عدد أسماء الجبر
منهم، ولو وجد حيث جمع أوجع حيث وجد كان صواباً
جائزاً.

فإنما تأويل ذلك فإنه يعني به: باسمه أخبار أهل
الكتاب عدوا بما أنزلت على رسولي محمد ﷺ من
القرآن فسلطت كتابكم، والذي عندكم من التوراة
والإنجيل المصحف إليكم فيها أنه رسولي ونبيي المبعوث
بالحق، ولا تكونوا أول من كذب به، وجحد أنه من
صدي وعندكم من العلم به ما ليس عند غيركم.

(١: ٢٥٢)

الزجاج: يعني القرآن، ويكون أيضاً «ولا تكونوا
أول كافر به»: بكتابكم وبالقرآن، إن شئت عادت الماء
على قوله: (إنا ننتكم).

وإنما قيل لهم: «ولا تكونوا أول كافر به» لأن
المخاطب وقع على حكايتهم، فإذا كفروا كفرهم
الاتباع، فلذلك قيل لهم: «ولا تكونوا أول كافر به».

فإن قال قائل: كيف تكون الماء لكتابهم؟

قيل له: إنهم إذا كفروا ذكر النبي ﷺ في كتابهم فقد

كفروا به، كما أنه من كثر آية من القرآن فقد كفر به.

ومعنى «وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» - إذا كان بالقرآن - لا مؤتة فيه، لأنهم يظهرون أنهم كافرون بالقرآن، ومعنى (أَوَّلَ كَافِرٍ) أول الكافرين.

قال بعض البصريين: في هذا قولين: قال الأخفش: معناه أول من كفر به، وقال البصريون أيضاً: معناه ولا تكونوا أول فريق كافره، أي بالنبي ﷺ وكلا القولين صواب حسن.

وقال بعض النحويين: إن هذا إنما يجوز في فاعل ومنعول. تقول: الجيش منهزم، والجيش مهزوم، ولا يجوز فيها ذكر: الجيش رجل، والجيش فرس، وهذا في فاعل ومنعول أثبت، لأنك إذا قلت: الجيش منهزم، فقد علم أنك تريد هذا الجيش فطقت في فاعله فاعلاً لأن المعنى الذي وضع عليه الجيش معنى يدل على فاعله، فقال: ومنعول يدل على ما يدل عليه الجيش، فثبتت كونه فاعلاً، وإذا قلت: الجيش رجل، فبأنما يكره في هذا أن يترجم أنك تظن أنه فاعل، لأنك إذا عرف معناه فهو سائق جيد، تقول: جيشهم إنما هو فرس ورجل، أي ليس بكثير الأتباع، فبدل المعنى على أنك تريد: الجيش خيل ورجال، وهذا في فاعل ومنعول أثبت كما وصفا.

(١٢٢: ٩)

الطوسي: إنما وحد «كافراً» في قوله: «وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» وقيل: جمع، لما ذكره الفراء والأخفش، وهو أنه ذهب مذهب «القول» كأنه قال: أول من كفر به، ولو أراد الاسم لما جاز إلا الجمع، ومثل ذلك قول القائل للجياحة: لا تكونوا أول رجل يفعل ذلك.

قال المبرد: هذا الذي ذكره الفراء خارج عن المعنى لفهمهم، لأن القول - هاهنا - والاسم سواء إذا قال القائل: زيد أول رجل جاء، فمعناه أول الرجال الذين جاءوا رجلاً رجلاً، ولذلك قال: (أَوَّلَ كَافِرٍ) «أول مؤمن» ومعناه: أول الكافرين وأول المؤمنين، لا لفصل بينها في لغة ولا قياس، الأخرى أنك تقول: رأيت مؤمناً رأيت كافراً كما تقول: رأيت رجلاً، لا يكون إلا ذلك، لأنك إنما رأيت واحداً كما تقول: رأيت زيدا أفضل مؤمن، وزيد أفضل حر، وزيد أفضل رجل، وأهل غلام، وليس بين ذلك اختلاف.

ولكن جاز: ولا تكونوا أول قبيل: كافره، وأول حزب كافره، وهو ما يسوغ فيه التعت، ويثبت به الاسم، لأنك تقول: جامي قبيل صالح، وجامي حسي كرم، فثبت به الجمع، إذا كان الجمع اسماً واحداً لم يجمع كقولك: غز، وقبيل، وحزب، وجمع، ولا تقول: جامي رجل كريم، وأنت تريد رجل ثراً كما تقول: نمر كريم، لأن التثنية جار على المنعوت، والاسم منفرد بنفسه.

وغير قوله: (أَوَّلَ كَافِرٍ) قول الشاعر:

فإذا هم طبعوا فالأثم طامع

وإذا هم جاعوا فشر جياح

ومعنى قوله: «وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» قال قوم: يعني بالقرآن من أهل الكتاب، لأن قريشاً كفرت به قبلهم بمكة. (١٨٦: ٩)

السيدي: [بعد نقل قول أبي العالية قال: يسوغ أن يكون قوله: (أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) كناية عن التوراة، يعني

وزدها ووزد من عمل بها إلى يوم القيامة. وليس لي نبيه عن أن يكونوا أول كافر به دلالة على أنه يجوز أن يكونوا آخر كافر، لأن المقصود النهي عن الكفر على كل حال. وخشى أولاً بالذكر لما ذكرنا من عظم موقفه.

(١: ٩٥)

الْقَصْرِ الزَّائِي: معناه أول من كفر به، أو أول فريق أخرج كافر به، أو لا يكن كل واحد منكم أول كافر به، ثم فيه سؤالان:

الأول: كيف جئوا أول من كفر به، وقد سبقهم إلى الكفر به مشركوا العرب؟
والجواب من وجوه:

أولها: أن هذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يهتدون به، لمعرفتهم به وبصفته، ولأنهم كانوا هم المبشرون بزمان محمد ﷺ والمستفتحون على الذين كفروا به. **ثانيها:** أن هذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يهتدون به، لمعرفتهم به وبصفته، ولأنهم كانوا هم المبشرون بزمان محمد ﷺ والمستفتحون على الذين كفروا به.

ثانيها: يجوز أن يراد: ولا تكونوا مثل أول كافر به، يعني من أشرك من أهل مكة، أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه - مذكوراً في التوراة والإنجيل - مثل من لم يعرفه، وهو مشرك لا كتاب له.

وثالثها: ولا تكونوا أول كافر به من أهل الكتاب، لأن هؤلاء كانوا أول من كفر بالقرآن من بني إسرائيل، وإن كانت فرس كفروا به قبل ذلك.

ورابعها: «وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» يعني بكتابتكم يقول ذلك لعلمائهم، أي ولا تكونوا أول أحد من أئمتكم كذب كتابكم، لأن تكذيبكم بمحمد ﷺ

الآية أنكم لما اجتمعتم عن ذكر نعت المصطفى ﷺ في التوراة وكفرتم به، فقد كفرتم بالتوراة كلها، كما لو كفر أحد بآية من القرآن، فإنه يكفر بالقرآن كله. يقال: هم بنو قريظة والتضير كانوا أول كافر به، ثم كفر به أهل غيبر وفدله وتناجت على ذلك اليهود (١: ١٦٧) **الزَّائِي:** (أول كافر به) أول من كفر به، أو أول فريق أخرج كافر به، أو لا يكن كل واحد منكم أول كافر به، كقولك: كسانا حلة، أي كل واحد منا.

وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته، ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحى إليه، والمستفتحين على الذين كفروا به. وكانوا يهتدون أنبأه أول الناس كلهم فلما همت كان أمرهم على العكس، كقوله: «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ عَنْ سَبَأِنِهِمْ إِلَى قَوْلِهِ: «وَمَا تَرْجُو الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَنْ يَهْتَدُوا بِآيَاتِهِمْ» الآية ١ و ٢. «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا غَرَضُوا كَفَرُوا بِهِ» البقرة: ٨٩.

ويجوز أن يراد: ولا تكونوا مثل أول كافر به، يعني من أشرك به من أهل مكة، أي لا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكوراً في التوراة موصوفاً، مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له. (١: ٢٧٦)

الطَّبْرَسِي: [بعد نقل قول الزماني قال:] وإنا حلقم أول الكفر، لأنهم إذا كانوا أممهم وهدوة في الضلالة كانت ضلالتهم أعظم، نحو ما روي عن النبي ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ

يوجب تكذيبكم بكتابكم.

وخامسها: أن المراد منه بيان تليظ كفرهم، وذلك لأنهم لما شاهدوا المعجزات الدالة على صدقه عرفوا البشارات الواردة في التوراة والإنجيل بمقتضىه، فكان كفرهم أشد من كفر من لم يعرفه، إلا نوعاً واحداً من الذليل، والشاب إلى الكفر يكون أعظم ذنباً ممن بعد، لقوله ﷺ: «من سب سبته عليه وزرعا ووزد من عمل بهاء، فلتا كان كفرهم عظيماً وكفر من كان سابقاً في الكفر عظيماً فقد اشتركا من هذا الوجه، فصح إطلاق اسم أحدهما على الآخر على سبيل الاستمارة.

وسادسها: المعنى ولا تكونوا أول من جحد مع المعرفة، لأن كفر قريش كان مع الجهل لامع المعرفة، وسابعها: أول كافر به من اليهود، لأن النبي ﷺ المدينة وبها قرظة والتخير فكفروا به ثم تابعتهم اليهود على ذلك الكفر، فكانه قيل: أول من كفر ككفر أهل الكتاب، وهو كقوله: ﴿وَأَنْتَ أَشَقُّكُمْ عَلَى النَّاسِ﴾ البقرة: ٤٧، أي على عالمي زمانهم.

وثامنها: ولا تكونوا أول كافر به عند صانعكم بذكره بل كثبوا فيه وراجعوا عقولكم فيه، وتاسعها: أن لفظ (أولاً) صلة، والمعنى ولا تكونوا كافرين به، وهذا ضعيف.

القول الثاني: أنه كان يجوز لهم الكفر إن لم يكونوا أولاً، والجواب من وجوه:

أحدها: أنه ليس في ذكر ذلك الشيء دلالة على أن ما عداه بخلافه.

وثانيها: أن في قوله: ﴿وَأَمَّا إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾

مقتضى البقرة: ٤١، دلالة على أن كفرهم أولاً وأخيراً محذور.

وثالثها: أن قوله: ﴿وَرَفَعَ السَّمُوتُ بِسُفْرِ عَمَّتِهِ تَرْوِيَّتًا﴾ الزمخدر: ٢، لا يدل على وجود عمت لا يرونها. وقوله: ﴿وَفَتَلْنَاهُمْ الْآيَاتِ بِفَتْرٍ حَقٍّ﴾ آل عمران: ١٨١، لا يدل على وقوع قتل الأنبياء بحق، وقوله عقيب هذه الآية: ﴿وَلَا تَشْكُرُوا بِآيَاتِي قَلِيلًا﴾ المائدة: ٤٤، لا يدل على إباحة ذلك بالنسبة الكثير، فكذا هاهنا، بل المقصود من هذه السهالة استظام وقوع المجد والإنكار ممن قرأ في الكتب نعت رسول الله ﷺ وصفته.

ورابعها: قال المبرّد: هذا الكلام خطاب لقوم خاطبوا به قبل غيرهم، فقبل لهم، لا تكفروا بمحمد، فإنه يكون بعدكم الكفار، فلا تكونوا أنتم أول الكفار، لأن هذه «الأولوية» موجبة لمزيد الإثم، وذلك لأنهم إذا سبقوا إلى الكفر، فإما أن يقتدي بهم غيرهم في ذلك الكفر، أو لا يكون كذلك.

فإن اقتدى بهم غيرهم في ذلك الكفر كان لهم وزر ذلك الكفر ووزر كل من كفر إلى يوم القيامة، وإن لم يقتديهم غيرهم اجتمع عليهم ثمران: أحدهما: سبق إلى الكفر، والثاني: التفرد به، ولا شك في أنه مستغصه عظيمة، فقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ إشارة إلى هذا المعنى.

فهو الثيسابوردي (١: ٢٩٦)

أبو حيان: تأولوا (أول كافر) من كفر، وأول حزب كفر، ألا يكن كل واحد منكم أول كافر.

والنهي عن أن تكونوا أول كافر به لا يدل ذلك على

إباحة الكفر لهم ثانية أو أخيرة ففهوم الصفة هنا غير مراد
ولما أشكلت الأوليّة هنا زعم بعضهم أن (الأول)
صلة، يعني زائدة، والتقدير: ولا تكونوا كافرين به، وهذا
ضعيف جداً.

زعم بعضهم: أنَّ نَحْمَ محذوفًا مطوفاً، تقديره: ولا تكونوا أول كافرين ولا آخر كافرين وجعل ذلك مما حذف فيه المحطوف لدلالة المعنى عليه.

وخصَّ «الأوليّة» بالذكر، لأنها أوحش، لما فيها من الابتداء بها، وهذا شيء يقول الشاعر:

مِنْ أَنْاسِ لَيْسَ فِي أَخْلَاقِهِم

عاجل الفحص ولا سوء جزع
لا يريد أن فيهم فُحصًا آجلاً هل أراد لأفحص
عندهم. لا عاجلاً ولا آجلاً. (١٧: ١)

الألوسي: لا بدّ هنا عند الجمهور من تأويل المفضل عليه بجملة مفردة للفظ جمع المعنى، أي أول فريق خلاص أو تأويل المفضل، أي لا يمكن كل واحد منكم، والمراد عموم السلب، كما في «وَلَا تُطِيعُ كُلَّ خَلَائِفٍ» القلم: ١٠.

ويعرض الناس لايوجب - في مثل هذا - المطابقة بين
 النكحة التي أضيف إليها أفضل التفضيل، وما جرى مجرى
 عليه، بل يجوز الوجهان عنده، كما في قوله:
 وإذا هم طعموا فالآنم طاعم

وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَسَرَّ جِياع
وَمَنْ أَرْجَبَ أَوَّلَ الْبَيْتِ كَالْآيَةِ. وَنَهَتْهُمْ عَنِ التَّقَدُّمِ
فِي الْكُفْرِ بِهِ، مَعَ أَنَّهُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ لِقَدَمِ مَنْهُمْ لَمَّا أَنْ الْمُرَادُ
الْتَرَضِضُ فَأَوَّلُ الْكَافِرِينَ غَيْرِهِمْ، أَوْ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ
كَافِرِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْخَطَابِ لِلْمَوْجُودِينَ فِي

وَعَائِدُهُمْ إِلَى الْمَعَاءِ مِنْهُمْ.

وقد يقال: الضمير راجع إلى (مامعكم)، والمراد من لا تكونوا أول كافر بما معكم: لا تكونوا أول كافر بمن كفر بما معه. ومشركو مكة وإن سبّوهم في الكفر - بما يصدق القرآن حيث سبّوا بالكفر به وهو مستلزم لذلك - لكن ليسوا بمن كفر بما معه.

والفرق بين لزوم الكفر والتزامه غير بين، إلا أنه
يحدث هذا الوجه، لأن هذا واقع في مقابلة: ﴿أَمْسُوا بِمَا
أَنْزَلْتُ﴾ فيقتضي إجماع مطلق الكفر والإيمان.

وقيل: يقتدر في الكلام «مثل». وقيل: يقتدر: ولا تكونوا أول كافر وآخره. وقيل: (أول) زائدة، والكلل: جليل وبطل التريض على سبيل الكناية يظهر وجهه

وقيل: إنها مشكلة لقولهم: إنا نكون أول من يتبعه.
وقيل: إنها بمعنى التبع، وعدم التخلف، فافهم.

(٢٤٤:١)
 القاسمي: يعني من جنكم أهل الكتاب، يحد
 سباعكم بجنه. فالأولية نبيّة، فإنّ يهود المدينة أوّل بني
 إسرائيل خطبوا بالقرآن. (١١٦:٢)

رشيد رضا: أي ولا تبادروا إلى الكفر به والجمود
 له مع جداركم بالتبقي إليه، وهذا الاستعمال معروف في
 الكلام البليغ، لهذا المعنى لا يقصد بالأولية فيه حقيقتها،
 والمخاطب عام لليهود في كل عصر وزمان. (٢٩١: ١)
 الطَّبَّاعُ بَاطِنِي: أي من بين أهل الكتاب، أو من بين
 قومكم ممن مضى وسيأتي، فإن كفر مَنكَ كانوا قد
 سقوهم إلى الكفر به. (١٥١: ١)

٢- إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. آل عمران: ٩٦

النَّبِيُّ ﷺ: إنه سُئِلَ عن أول مسجد وضع للناس فقال: «المسجد الحرام، ثم بيت المقدس».

(الزُّعْفَرِيُّ ١: ٤٤٦)

الإمام علي عليه السلام: إن رجلاً قال له: أهو أول بيت؟

قال: لا، قد كان قبله بيوت، ولكنه أول بيت وضع

للناس مُبَارَكًا، فيه الهدى والرحمة والبركة.

(الزُّعْفَرِيُّ ١: ٤٤٦)

ابن عباس: هو أول بيت حج بعد الطوفان.

(الزُّعْفَرِيُّ ١: ٤٤٦)

ابن عمر: خلق الله البيت قبل الأرض باليُسْبَلِ

وكان إذا كان عرشه على الماء دَمْدَمَ بهضاء، يَدُوحُجَّةً الأرض من تحته.

سعيد بن جبيرة: أول بيت وضع للمياه.

(الطَّبْرِيُّ ١: ٧)

مُجَاهِدٌ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْكَعْبَةَ، ثُمَّ دَحَى

الأرض من تحتها.

الْقَسَّاصُ: أول بيت رغب فيه وطلب منه البركة

مكة.

الحسن: هو أول مسجد عُيِّدَ فيه في الأرض.

(الطَّبْرِيُّ ١: ٧)

قَتَادَةُ: ذَكَرْنَا أَنَّ الْبَيْتَ عَطَّ مَعَ آدَمَ حِينَ عَطَّ.

قال: أَعْطَ مَعَكَ بَيْتِي يُطَافُ حَوْلَهُ كَمَا يُطَافُ حَوْلَ

عَرْشِي، يُطَافُ حَوْلَهُ آدَمُ وَمَنْ كَانَ بَعْدَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،

حَتَّى إِذَا كَانَ زَمَنُ الطُّوفَانِ زَمَنُ أَغْرَقِ اللهُ قَوْمَ نُوحٍ، وَفِيهِ

الله وظهره من أن يصيبه عقوبة أهل الأرض، قصار

مصوراً في السماء، ثم إن إبراهيم تتبع منه آثاراً بعد ذلك،

فبناء على أساس قديم كان قبله. (الطَّبْرِيُّ ٤: ٨)

الشَّاذِيُّ: أمّا (أول بيت) فإنه يوم كانت الأرض

ماء، كان دَمْدَمَ على الأرض، فلمّا خلق الله الأرض،

خلق البيت معها، فهو أول بيت وضع في الأرض.

(الطَّبْرِيُّ ٤: ٨)

الإمام الصادق عليه السلام: عن عبد الصمد بن سعد قال:

طلب أبو جعفر أن يشتري من أهل مكة بيوتهم أن يزيد

في المسجد فأبوا، فأرضعهم فامتنعوا، فضايق بذلك، فأقْبَى

عبد الله عليه السلام، فقال له: إني سألت هؤلاء شيئاً من منازلهم

وأقْبَيْتَهُمْ لَتَزِيدَ في المسجد وقد منعوني ذلك، فقد غَشَى

عبد الله عليه السلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أَيْفَئِنَّكَ ذَلِكَ وَحُجَّتُكَ

عليهم فيه ظاهرة. فقال: وبما أحتج عليهم؟ فقال:

بِكِتَابِ اللهِ. فقال: في أي موضع؟ فقال: قول الله: وَإِذَا

أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ، قد أخبرك الله إن

أول بيت وضع للناس هو الذي ببكة، فإن كانوا هم تولّوا

لب البيت ظلمهم أقْبَيْتَهُمْ، وإن كان البيت قديماً قبلهم فله

فناؤه.

فدعاهم أبو جعفر، فأحتج عليهم بهذا فقالوا له:

اصنع ما أحببت.

(الطَّبْرِيُّ: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال

بعضهم: تأويله إن أول بيت وضع للناس يُعْبَدُ اللهُ فيه.

مباركاً وهدى للعالمين الذي ببكة.

قالوا: وليس هو أول بيت وضع في الأرض، لأنه قد

كانت قبله بيوت كثيرة، وقال آخرون: بل هو أول بيت

فيه.

فإن قيل: كونه «أولاً» في هذا الوصف يقتضي أن يكون له ثلث، وهذا يقتضي أن يكون بيت المقدس يشاركه في هذه الصفات التي منها وجوب حجته، ومعلوم أنه ليس كذلك.

والجواب من وجهين:

الأول: أن لفظ «الأول» في اللغة: اسم للشيء الذي يوجد ابتداءً، سواء حصل عقبه شيء آخر أو لم يحصل. يقال: هذا أول قدومي مكة. وهذا أول مال أصبته ولو قال: أول عبد ملكته فهو حر، فذلك عبده، عتق وإن لم يملك بعده عبداً آخر، فكذلك هنا.

والثاني: أن المراد من قوله: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ» أي أول بيت وضع لطاعات الناس وعباداتهم، وبيت المقدس يشاركه في كونه بيتاً موضوعاً للطاعات والعبادات، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: «هَذَا بَيْتُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ» [١]، والرجال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا، فهذا القدر يكفي في صدق كون الكعبة أول بيت وضع للناس، وأما أن يكون بيت المقدس مشاركاً له في جميع الأمور حتى في وجوب الحج، فهذا غير لازم، والله أعلم.

أعلم أن قوله: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَنَاهُ مَبَارَكًا» [٢]، يحتمل أن يكون المراد كونه أولاً في الوضع والبناء، وأن يكون المراد كونه أولاً في كونه مباركاً، وهدي، فحصل للمفسرين في تفسير هذه الآية قولان: الأول: أنه أول في البناء والوضع، والذاهبون إلى هذا المذهب هم أقوال:

أحدها: ما روى الواحدي رحمه الله تعالى في «البيضة» بإسناده عن مجاهد، أنه قال: خلق الله تعالى هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرضين. وفي رواية أخرى: خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفي سنة، وإن قواصده لي الأرض السابعة الغل.

وروى أيضاً عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى بعث ملائكته فقال: ابنوا لي في الأرض بيتاً على مثال البيت المعمور، وأمر الله تعالى من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، وهذا كان قبل خلق آدم.

وأيضاً روى في سائر كتب التفسير عن عبدالله بن عمر، ومجاهد والسدي: أنه أول بيت وضع على وجه الأرض عند خلق الأرض والسماء، وقد خلقه الله تعالى قبل الأرض بألفي عام، وكان زهدة بيضاء على الماء، ثم دُحيت الأرض تحته.

قال القفال في تفسيره: روى حبيب بن ثابت عن ابن عباس أنه قال: وجد في كتاب في المقام أوتعت المقام «لنا الله ذوبكته وضعت يوم وضعت الشمس والقمر، وحرمتها يوم وضعت هذين البحرين، وحفنتها بسبعة أملاك حنفاء».

وثانياً: أن آدم صلوات الله عليه وسلامه لما أهبط إلى الأرض شكوا الوحشة، فأمره الله تعالى ببناء الكعبة وطاف بها، وبقي ذلك إلى زمان نوح عليه السلام، فلما أرسل الله تعالى الطوفان، رفع البيت إلى السماء السابعة حيال

والأرض والشمس والقمر، وتحريم مكة لا يمكن إلا بعد وجود مكة.

الزابع: أن الآثار التي حكيها عن الصحابة والتابعين مائة على أنها كانت موجودة قبل زمان إبراهيم عليه السلام.

واعلم أن من أنكر ذلك أن يحتاج بوجوه الأول: مادوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم إني حرمت المدينة كما حرمت إبراهيم مكة»، وظاهر هذا يقتضي أن مكة بناء إبراهيم عليه السلام. ولقائل أن يقول: لا يثبت أن يقال: البيت كان موجودا قبل إبراهيم، وما كان محرما، ثم سمره إبراهيم عليه السلام.

الثاني: تسكوا بقوله تعالى: «وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ» (الأنبياء: ١٢٧). ولقائل أن يقول: لعل البيت كان موجودا قبل ذلك ثم انهدم، ثم أمر الله إبراهيم عليه السلام برفع قواعد، وهذا هو الورد في أكثر الأخبار.

الثالث: قال القاضي: إن الذي يقال من أنه رفع زمان الطوفان إلى البناء بعيد، وذلك لأن الموضع الشريف هو تلك الجهة المحيطة، والجهة لا يمكن رفعها إلى البناء، ألا ترى أن الكعبة - والعماء بالله تعالى - لو انهدمت ونُقل الأحجار والخشب والأتربة إلى موضع آخر، لم يكن له شرف البتة، ويكون شرف تلك الجهة باقيا بعد الانهدام، ويجب على كل مسلم أن يصلي إلى تلك الجهة بعينها. وإذا كان كذلك، فلا فائدة في نقل تلك الجدران إلى البناء.

ولقائل أن يقول: لما صارت تلك الأجسام في القرية

الكعبة يشهد عنده الملائكة بدخله كل يوم سبعون ألف ملك سوى من دخل من قبل فيه ثم بعد الطوفان اندرس موضع الكعبة، وبقي مخزيا إلى أن بعث الله تعالى جبريل صلوات الله عليه إلى إبراهيم عليه السلام، ودله على مكان البيت، وأمر بهارته فكان المهندس جبريل، والبناء إبراهيم، والمعين إسحاق عليه السلام.

واعلم أن هذين القولين يشتركان في أن الكعبة كانت موجودة في زمان آدم عليه السلام، وهذا هو الأصوب، ويدل عليه وجوه:

الأول: أن تكليف الصلاة كان لازما في دين جميع الأنبياء عليهم السلام، بدليل قوله تعالى: «وَأَوْفِيكَ الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَنَحْنُ عَنْكَ نَسُوحٌ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِنْ هَاجِلًا وَإِسْتِخَارًا إِذَا تَلَّ عَلَى أُنُوتِ الرُّوحِ خَرُوا مُخِرًا وَنَكِيرًا» (سورة هود: ٥٨). فدللت الآية على أن جميع الأنبياء عليهم السلام كانوا يسجدون لله، والسجدة لابد لها من قِبلة، فلو كانت قِبلة شيث وإدريس ونوح عليهم السلام موضعا آخر سوى القبلة، لبطل قوله: «إِنْ لَوْلَا تَبَتِ وَضَعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ»، فوجب أن يقال: إن قبلة أولئك الأنبياء المتقدمين هي الكعبة، فدل هذا على أن هذه الجهة كانت أبدا منسرفة مكرمة.

الثاني: أن الله تعالى سمى مكة: أم القرى، وظاهر هذا يقتضي أنها كانت سابقة على سائر البقاع في الفضل والشرف منذ كانت موجودة.

الثالث: روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم فتح مكة: «ألا إن الله قد حرم مكة يوم خلق السماوات

إلى حيث أمر الله بنقلها إلى السماء، وإنما حصلت لها هذه العزة بسبب أنها كانت حاصلة في تلك الجهة، فصار نقلها إلى السماء من أعظم الدلائل على غاية تعظيم تلك الجهة وإعزازها، فهذا جملة ما في هذا القول.

القول الثاني: أن المراد من هذه الآية: كون هذا البيت أولًا، في كونه مباركًا وهدى للخلق.

روي أن النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن أول مسجد وضع للناس، فقال عليه الصلاة والسلام: «المسجد الحرام ثم بيت المقدس». فقبل: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة».

وعن علي رضي الله عنه: «أن رجلاً قال له: أهر أول بيت أقال لا، قد كان قبله بيوت، ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً فيه الهدى والرحمة والبركة. أول من بنى إبراهيم ثم بنى قوم من العرب من جرهم ثم هدم، فبنى المسالمة، وهم ملوك من أولاد عيليق بن سام بن نوح هدم فبنى قريش».

واعلم أن دلالة الآية على الأولوية في الفضل والشرف أمر لا بد منه، لأن المقصود الأصلي من ذكر هذه «الأولوية» بيان التفضيلة، لأن المقصود ترجيحه على بيت المقدس، وهذا إنما يتم بالأولوية في التفضيلة والشرف، ولا تأثير للأولوية في البناء في هذا المقصود. إلا أن ثبوت الأولوية بسبب التفضيلة لا ينافي ثبوت الأولوية في البناء، وقد دللنا على ثبوت هذا المعنى أيضاً.

إذا ثبت أن المراد من هذه «الأولوية» زيادة التفضيلة والمتبة، فلنذكرها هنا وجوه تفضيلة البيت:

فالأول: اتفقت الأمم على أن باني هذا البيت هو

الخليل عليه السلام، وباني بيت المقدس سليمان عليه السلام، ولا شك أن للخليل أعظم درجة وأكثر متبة من سليمان عليه السلام. فمن هذا الوجه، يجب أن تكون الكعبة أشرف من بيت المقدس. (٨: ١٥١ - ١٥٤)

وأعلم أن الله تعالى أمر الخليل عليه السلام بعمارة هذا البيت، فقال: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» الحج: ٢٦، والمثلغ لهذا التكليف هو جبريل عليه السلام، فلهذا قيل: ليس في العالم بناء أشرف من الكعبة، فالأمر هو الملك الجليل، والمهندس: هو جبريل، والباني: هو الخليل، والتكليف: إسماعيل عليه السلام.

التفضيلة الثانية لهذا البيت: (مقام إبراهيم) وهو الحجر الذي وضع إبراهيم قدمه عليه فجعل الله مانهج قدم إبراهيم عليه من ذلك الحجر - دون سائر أجزائه - كالحسين حتى غاص فيه قدم إبراهيم عليه السلام. وهذا مما لا يقدر عليه إلا الله، ولا يظهره إلا على الأنبياء. ثم لما رفع إبراهيم قدمه عنه خلق فيه الصلاة الحجرية مرة أخرى، ثم إن الله تعالى أبقى ذلك الحجر على سبيل الاستمرار والدوام، فلهذا أنواع من الآيات العجيبة والمعجزات الباهرة، أظهرها الله سبحانه في ذلك الحجر. التفضيلة الثالثة: قلما ما يجتمع فيه من حصص الجمار، فإنه منذ آلاف سنة وقد يبلغ من يرمي في كل سنة ستمائة ألف إنسان، كل واحد منهم سبعين حصاة، ثم لا يرى هناك إلا مالو اجتمع في سنة واحدة، لكان غير كثير. وليس الموضع الذي تُرمى إليه الجمرات مسيل ماء، ولا مهب رياح شديدة، وقد جاء في الآثار: أن من كانت

حيث أنه مقبولة رفعت حجارته إلى السماء.

الفضيلة الرابعة: أن الطيور تترك المرور فوق الكعبة عند طيرانها في الهواء، بل تتحرف عنها إذا ما وصلت إلى مافوقها.

الفضيلة الخامسة: أن عنده يجمع الوحش، لا يؤذي بعضها بعضاً، كالكلاب والقطب، ولا يصطاد فيه الكلاب والوحوش، وتلك خاصية عجيبة. وأيضاً كل من سكن مكة أبسن من النهب والغارة، وهو بركة دهاه لإبراهيم عليه السلام، حيث قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ وقال تعالى في صفة أمنه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَنْتَظِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ﴾ المنكوت: ٦٧، وقال: ﴿فَلْيَقْضُوا رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطَقْتَهُمْ مِنْ حُجُورٍ وَأَمْتُهُمْ مِنْ حَوْلِهِ﴾ فريش: ٣، ٤، ولم يقل البتة أن ظالماً هدم الكعبة وخرب مكة بالكيفية. وأما البيت المقدس فقد هدمه بختصر بالكيفية.

الفضيلة السادسة: أن صاحب القيل، وهو أبرهة الأشرم، لما قاد الجيوش والقيل إلى مكة لتخريب الكعبة، وعجز فريش عن مقاومة أولئك الجيوش، وفارقوا مكة وتركوا الكعبة، فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل - والأبابيل هم الجماعة من الطير، بعد الجماعة - وكانت صفاراً تحمل أحجاراً ترميهم بها، فهلك الملك وهلك السكر بهلك الأبحار، مع أنها كانت في غاية الصغر. وهذه آية باهرة دالة على شرف الكعبة، وإرخاص نبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

فإن قال قائل: لم لا يجوز أن يقال: إن كل ذلك بسبب طائفة، موضوع هناك بحيث لا يعرفه أحد، فإن

الأمر في تركيب الطلقات مشهور.

قلنا: لو كان هذا من باب الطلقات لكان هذا طائفة مخالفاً لسائر الطلقات، فإنه لم يحصل شيء سوى الكعبة مثل هذا البقاء الطويل في هذا المدة الطويلة، ومثل هذا يكون من المعجزات، فلا يتمكن منها سوى الأنبياء.

الفضيلة السابعة: إن الله تعالى وضعها بولج غير ذي زرع، والحكمة من وجوه:

أحدها: أنه تعالى قطع بذلك رجاء أهل حرمه وسنة بيته ممن سواه، حتى لا يتركوا إلا أهل الله. وثانيها: أنه لا يسكنها أحد من الجاهلية ولا الكفرة، فباتهم يريدون طيبات الدنيا، فإذا لم يجدوها تركوها، تركوا ذلك الموضع، فالمقصود تنزيه ذلك الموضع من لوث وجود أهل الدنيا. وثالثها: أنه فعل ذلك، فلا يقصدها أحد للتجارة،

بل يكون ذلك لمحض العبادة والزبارة فقط. ورابعها: أظهر الله تعالى بذلك شرف الفقراء، حيث وضع لشرف البيوت في أقل المواضع نصيباً من الدنيا، فكأنه قال: جعلت الفقراء في الدنيا أهل البلد الأمين، فكذلك أجعلهم في الآخرة أهل المقام الأمين، لهم في الدنيا بيت الأمن، وفي الآخرة دار الأمن.

وخامسها: كأنه قال: لما لم أجعل للكعبة إلا في موضع خال من جميع نعم الدنيا، فكذا لأجعل كعبة المعركة إلا في كل قلب خال من محبة الدنيا، فهذا ما يتعلق بفضائل الكعبة.

وعند هذا ظهر أن هذا البيت، أول بيت وضع

للناس، في أنواع الفضائل والمناقب، وإذا ظهر هذا جلت
قول اليهود: إِنَّ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ أَشْرَفُ مِنَ الْكَعْبَةِ. والله
أعلم. (١٨: ١٥١-١٥٦)

أَبُو حَتِّانَ، [بعد نقل أقوال المفسرين قال:]

وذكر الشريف أبو البركات أسعد بن علي بن أبي
الغنائم الحسيني الجواني النشابة: أَنَّ شَيْثَ بْنِ آدَمَ هُوَ
الَّذِي بَنَى الْكَعْبَةَ بِالْعَلَيْنَ وَالْحِجَارَةَ، عَلَى مَوْضِعِ الْخِيَمَةِ
الَّتِي كَانَ اللَّهُ وَضَعَهَا لِآدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ، فَعَلَى هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ
يَكُونُ أَوَّلُ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ عَلَى ظَاهِرِهِ.

وردوي عن ابن عباس: أَنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ حُجَّ بِمَدَنِيَّةِ
الْعُلُوْفَانِ، فَتَكُونُ «الْأَوَّلِيَّةُ» بِاعتبار هذا الوصف من
التمجُّع، إِذْ كَانَ قَبْلَهُ بَيْوت.

وردوي عن علي: «أَنَّهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ: أَهوَ أَوَّلُ بَيْتٍ
فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا، قَدْ كَانَ قَبْلَهُ بَيْوت، وَلَكِنَّهُ أَوَّلُهُ يَسْتَوْضِعُ
لِلنَّاسِ مَبَارَكًا فِيهِ الْهُدَى وَالرَّحْمَةُ وَالْبَرَكَةُ» فأصحُّ
«الْأَوَّلِيَّةُ» بِقِيَدِ هَذِهِ الْحَالِ. (٣: ٥)

رشيد رضا: أَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ
وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ» فهو
جواب عن شبهة، وتقريره: أَنَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الَّذِي
نَسْتَقْبِلُهُ فِي صَلَاتِنَا هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ وَضَعَ مَبَكَّةَ لِلنَّاسِ، بِنَاءً
لِإِبْرَاهِيمَ وَوَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لِأَجْلِ الْبَيَادَةِ خَاصَّةً. ثُمَّ
بَنَى السَّجْدَ الْأَخْصَى بَيْتَ الْمُقَدَّسِ بِمَدَنِيَّةٍ قُرُونًا، بِنَاءً
لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَصَحَّ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَدَنِيَّةِ
إِبْرَاهِيمَ، وَيَتَوَجَّهَ بِعِبَادَتِهِ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَتَوَجَّهَ لِإِبْرَاهِيمَ
وَوَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ.

وهذا هو المعنى الظاهر المتبادر - من الآية - الَّذِي

قرره الأستاذ الإمام، وهو كاف في إبطال شبهة اليهود
على النبي عليه الصلاة والسلام، من غير حاجة إلى البحث
في هذه «الأوليَّة»، هل هي لأوليَّة الشرف أم لأوليَّة
الزَّمان؟

أقول: والمتبادر أَنَّها لأوليَّة الزَّمان، بالنسبة إلى بيوت
العبادة الصحيحة التي بناها الأنبياء، فليس في الأرض
موضع بناء الأنبياء أقدم منه، فيما يعرف من تاريخهم
وما يؤترو عنهم، وهذا يستلزم الأوليَّة في الشرف.

وذهب بعض المفسرين: إلى أَنَّ الْأَوَّلِيَّةَ زَمَانِيَّةٌ،
بالنسبة إلى وضع البيوت مطلقاً، فقالوا: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَتَهُ
قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ، وَلَنْ يَبْنَى بَيْتَ الْمُقَدَّسِ بَنِي بَعْدَهُ بِأَرْبَعِينَ عَامًا.
قال الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى: إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ
خَلَّصِيهِ فِي الْعَقْلِ بِحِيلِهِ، وَلَكِنَّ الْآيَةَ لَا تَسُدُّ عَلَيْهِ،
وَلَا يَتَوَقَّفُ الْاجْتِهَادُ بِهَا عَلَى ثَبُوتِهِ. وبَيْتَ الْمُقَدَّسِ
الْمَعْرُوفُ الَّذِي يَنْصَرَفُ إِلَيْهِ الْإِطْلَاقُ قَدْ بَنَاهُ سُلَيْمَانُ
بِالْإِسْقَافِ، وَذَلِكَ قَبْلَ مِيلَادِ الْمَسِيحِ بِمِائَةِ (٨٠٠) سَنَةً، كَذَا
قال رحمه الله تعالى في الدرس.

والمعروف في كتب القوم أَنَّهُ تَمَّ بِنَاؤُهُ سَنَةَ (١٠٠٥)
قَبْلَ الْمِيلَادِ، والحديث الَّذِي ذَكَرَ آخِفًا فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدَيْنِ
رَوَاهُ الشَّيْخَانِ - مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - بِلَفْظِ الْوَضْعِ لِلْبِنَاءِ.
قال: مثل رسول الله ﷺ مِنْ أَوَّلِ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ،
فقال: «المسجد الحرام، ثُمَّ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ». فقيل: كم
بينهما؟ فقال: «أربعون سنة». وأجابوا عَمَّا لَمْ يَنْبَغِ
الِإِسْكَالُ بِوُجُودِ:

منها: أَنَّ الْوَضْعَ غَيْرُ الْبِنَاءِ وَهُوَ ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ سَمَاءُ
بَيْتًا. ولو جعل المكان مسجداً ولم يبن فيه لماسَّتي يتأبَل

مسجدًا أو قبلة.

ومنها: أن ذلك مبني على القول، بأن إبراهيم هو الذي بنى أول مسجد للعبادة في أرض بيت المقدس. وذلك مقبول، وإن لم يكن عندنا فيه نص صحيح.

والموضوعات المروية في بناء الكعبة كثيرة، ولا حاجة إلى إضاعة الوقت في ذكرها، وبيان وضعها.

(٦: ٤)

الطُّبَّاطِبَاتِي: [بعد بيان معنى وضع البيت للعبادة قال:] أما كونه أول بيت بُني على الأرض ووضع ليطع به الناس، فلا دلالة على ذلك من جهة اللفظ.

(٣٥٠: ٣)

٣... قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ لَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

الحسن: أول من أسلم من أمتي، وأمن بعد الفقرة: (الطُّبَّاطِبَاتِي ٢: ٢٢٩)

الكَلْبِي: معناه أمرت أن أكون أول من أخلص العبادة من أهل هذا الزمان. (الطُّبَّاطِبَاتِي ٢: ٢٢٩)

مثله المَيْبُودِي: (٣١٦: ٣)

الطُّوسِي: معناه أن أكون أول من خضع وأمن بعرف الحق من قومي، وأن أترك ما هم عليه من إنشراك.

ومثله قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْفَاقِدِينَ﴾ الزخرف: ٨١، بأنه لم يكن للرحمان ولد، يعني من هذه الأمة، لأنه قد عبد الله النبيون والمؤمنون قبله.

ومثله قوله: ﴿سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ١٤٣، ممن سألك أن تربه نفسك بأنك لا ترى. وقول الشعرة: ﴿وَأَنَا نَطْمَعُ أَنْ يَتَفَرَّ لَنَا وَبِنَا حَطَايَانَا أَنْ كُنَّا لَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ٥١، بأن هذا ليس بسحر، وأنه الحق، أي أول المؤمنين من الشعرة. (٩٤: ٤)

نحوه الطُّبَّاطِبَاتِي: (٢٧٩: ٢)

الْبَقَوِي: يعني من هذه الأمة. الزَّمَخْشَرِي: لأن النبي سابق أُمته في الإسلام. كقوله: ﴿وَبِذَلِكَ أَمُرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام: ١٦٣، وكقول موسى: ﴿سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ١٤٣. (٨: ٢)

أبو حنيفة، قال ابن عطية: المعنى أول من أسلم من هذه الأمة، وهذه الشريعة، ولا يتضمن الكلام إلا ذلك، وهذا الذي قاله الزَّمَخْشَرِي وابن عطية هو قول الحسن. وقال الحسن: معناه أول من أسلم من أمتي، قيل: وفي هذا القول ظر، لأن النبي ﷺ لم يصدر منه امتناع عن الحق وعدم انقياد إليه، وأما هذا على طريق التبريض على الإسلام، كما يأمر لئلك رعيته بأمر ثم يتبعه بقوله: أنا أول من يفعل ذلك، ليعلمهم على فعل ذلك.

وقيل: أراد الأولوية في الزتبة والفضيلة، كما جاء: نحن الآخرون الأولون، وفي رواية: السابقون.

وقيل: (أسلم) أخلص، ولم يعد بالله شيئًا، وقيل: استسلم.

وقيل: أراد دخوله في دين إبراهيم ﷺ، كقوله:

﴿مِلَّةَ آبَائِكُمُ الَّذِينَ هُمْ حَتَّىٰ كُمُ السُّلْبَيْنِ مِنْ قَبْلُ﴾

الحج: ٧٨.

وقيل: أول من أسلم يوم الميثاق، فيكون سابقاً على الخلق كلهم، كما قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَبَيْنَ نُوحٍ﴾ الأحزاب: ٧. (١٦: ٨٦)

الألوسي: وجهه لله سبحانه وتعالى مخلصاً، لأن النبي عليه الصلاة والسلام مأثور بما شرعه إلا ما كان من خصائصه عليه الصلاة والسلام، وهو إمام أمته ومقتداهم، وينبغي لكل أمر أن يكون هو العامل أولاً بما أمر به، ليكون أسمى للاعتدال، ومن ذلك ما حكى الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام ﴿سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَهِكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وقيل: إذ ما ذكر للعرض، كما يأمر قلبك، وعنه

بأمر ثم يقول: وأنا أول من يفعل ذلك، ليحملهم على الاعتدال، وإلا فلم يصدر عنه **ذلك** امتناع عن ذلك حتى يؤمر به، وفيه نظر. (١١٠: ٧)

الطباطبائي: إن كان المراد: أول من أسلم من بينكم، فهو ظاهر فقد أسلم **عليه** قبل أمته، وإن كان المراد به: أول من أسلم من غير تقييد كما هو ظاهر الإطلاق، كانت أوليته في ذلك بحسب الرتبة دون الزمان. (١٣: ٧)

عبد الكريم الخطيب: هذا ما أمر به النبي من ربه، وهو أن يكون أول من أسلم وجهه لله، وأول من ألقى بنفسه بين يديه، ووالاد

إذ كان **ذلك** هو مفتتح دعوة الإسلام، وحامل رسالتها إلى المسلمين، فكان أول من آمن بها، واستقام

على هديها؛ وذلك بعد أن استدل على خالفه بتفكيره في خلقه، وأنكر أن يتخذ ولياً من دونه، وهو الذي فطر السماوات والأرض، وهو الذي يطعم ولا يطعم، فإذا جاءت دعوة الله تعالى إليه صادفت تلك الدعوة قلباً مستقبلاً لها.

والأمر هنا هو الدعوة إلى الإيمان بالله، من الله، وإلى نبي الله، وليس في هذا الأمر إلزام ولا قهر، ولكن النبي الكريم في استجابته لربه، وفي مبادرته إلى الاستجابة، واحتضانه بها، وشدة نفسه إليها، وعقد قلبه عليها، كل أولئك قد جعل الدعوة الإلهية أمراً يشغله النبي بكيانه كله، ويضيقه كل ما قدر عليه من قوة وعزم. (١٤: ١٤١)

١- وَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...

الأنعام: ٩٤

الطباطبائي: أي بِلاناصر ولا مسين، كما خلقكم في بطون أمهاتكم، ولا أحد منكم. (الطوسي: ٤: ٢٢٤) الطبري: عُرَاءَ غُلَقًا غُرْلًا خُفَاءَ، كما ولدتهم أمهاتهم، وكما خلقهم جُلَّ تَنَافٍ في بطون أمهاتهم، لا شيء، عليهم ولا منهم، بما كانوا يتباهون في الدنيا. (٢٧٧: ٧) نحو: البَنَوِي.

الزجاج: جاء في التفسير: عُرَاءَ غُرْلًا، والفُرْل: هم المؤلف، والذي تحمله اللفظة أيضاً، كما بدأناكم أول مرة، أي كان بكم كخلقكم. (٢٧٣: ٢)

الزمخشري: على الهيئة التي ولدتهم صليها في الانفراد. (٣٦: ٧)

الطبري: أي منفردين كما خلقتهم. وقيل: عُرَاءَ كما

خرجتم من بطون أنهاركم حفافاً فُرْلاً يَتَمَسَّ ليس منهم شيء.

وقال العلماء: يُحْمَرُ المجد غداً وقد من الأعضاء ما كان له يوم ولده فمن قُطِعَ منه عضو يُردّ في القيامة عليه. وهذا معنى قوله: «فُرْلاً» أي غير مختونين، أي يُردّ عليهم ما قُطِعَ منه عند الحثان. (٤٢: ٧)

أبو حنيفة: والكاف في (كما) في موضع نصب، قيل: بدل من (أفرادي)، وقيل: نعت المصدر محذوف، أي بهيئاً كما خلقناكم، يريد كمجيبكم يوم خلقناكم، وهو شبه بالانفراد الأول وقت الخلقة، فهو تعبير لحالة الانفراد تشبه بحالة المخلوق، لأنّ الإنسان يُخلَقُ أقسر لآمال له ولا ولد ولا حشم.

وقيل: مُرَّةٌ فُرْلاً. ومن قال: على الهبة التي ولدتكم عليها في الانفراد، يشمل هذين القولين.

وانتصب (أول مرة) على الظرف، أي أول (زمان، زماناً) ولا يفتقر إلى شيء من الأفعال. (أول خلق الله، لأنّ «أول خلق» يستدعي خلقاً ثانياً، ولا يخلق ثانياً، إنّما ذلك إعادة لخلق. (١٨٢: ٤)

٥ - وَنَقَلَبُ أَقْبَذَتَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَقْتَهُونَ الأنعام: ١١٠ ابن عباس: أول مرة أنزلت الآيات، فهم لا يؤمنون ثاني مرة بها طلبوا من الآيات، كما لم يؤمنوا أول مرة بما أنزل من الآيات.

مثله مجاهد وابن زيد. (الطوسي ٤: ٢٥٦) يعني أول مرة في الدنيا، وكذلك لو أُمِيدُوا ثانية، كما

قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ الأنعام: ٢٨. (الطوسي ٤: ٢٥٦)

الجِبَانِيَّة: معناه يحاربهم في الآخرة كما لم يؤمنوا به في الدنيا. (الطوسي ٢: ٣٥٠)

القَصِي: في الدّرّ وللبنيان. (٢١٣: ١) القرطبي: أي أول مرة أنتم الآيات التي هبوا عن معارضتها، مثل القرآن وغيره.

وقيل: ونقلب أقدمة هؤلاء كيلا يؤمنوا، كما لم تؤمن كفار الأمم السالفة لما رأوا ما اقترحوا من الآيات.

(٦٥: ٧)

الخازن: يعني كما لم يؤمنوا بما قبل ذلك من الآيات التي جاءها رسول الله ﷺ مثل انشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات الباهرات.

وقيل: (أول مرة) يعني الآيات التي جاء بها موسى وانتصب (أول مرة) على الظرف، أي أول (زمان، زماناً) ولا يفتقر إلى شيء من الأفعال. (أول خلق الله، لأنّ «أول خلق» يستدعي خلقاً ثانياً، ولا يخلق ثانياً، إنّما ذلك إعادة لخلق. (١٨٢: ٤)

القاسمي: أي: قبل سؤالهم الآيات التي اقترحوها. (٢٤٦٩: ٦)

الطباطبائي: والمراد بقوله: (أول مرة) الدعوة الأولى قبل نزول الآيات قبل ما يتصور له من المرة الثانية، التي هي الدعوة مع نزول الآيات.

وللمعنى أنهم لا يؤمنون لو نزلت عليهم الآيات، وذلك أنّهم كانوا فلا يصدقون بها كما ينبغي أن يصدقوا، وأبصارهم فلا يسمعون بها ما من حشمتهم أن يسمروا، فلا يؤمنون بها، كما لم يؤمنوا بالقرآن أول مرة من الدعوة قبل نزول هذه الآيات المفروضة، ونذرهم في طغيانهم يترددون ويتحيزون، هذا ما يقضي به ظاهر

أكبر من كل واحدة واحدة من النساء، وفي مثله لا يختلف أفضل التفضيل، فالتحقيق أنه لا يشبه ما فيه اللام، وإنما المطابقة بين موصوفه وما أضيف إليه، ولا تدخل لطباقة في اللفظ والمعنى، فتدبر.

والجملة في موضع التعليل لما سلف، فهي مستأنفة استئنافاً بيانياً، أي لأنكم رضيتم، (١٥٣: ٩٠)

الطَّبَاطِبَائِي: المراد (بِالْقُرْآنِ أَوَّلَ مَرَّةٍ): التَّخَلُّفُ عن الخروج في أول مرة، كان عليهم أن يخرجوا فيها، فلم يخرجوا، ولعلها لغزوة تبوك، كما يهدي إليه السياق.

(٩: ٣٦٠)

عبد الكريم الخطيب، أي أول مرة ذهبت فيها للجهاد دعوة ملزمة لا تحلل منها، وذلك في غزوة تبوك التي ندب النبي لها المسلمين جميعاً، كما أمره الله سبحانه وتعالى بذلك في قوله: ﴿إِنِّي زَوَّادٌ خِفَافًا وَبِقَالٍ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية: ٤١، فلهذا كان مرة يدهى فيها المسلمون دعوة حاشية للجهاد بكل ما يملكون من أنفس وأموال.

(٥: ٨٥٩)

٨- فَإِذَا جَاءَ هَٰذَا الْيَوْمَ لَا يَنْفَعُكُمْ وَلِيَّتُمْ وَلَيْدَ خُلُوا الْمَشْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوا مَا عَلُوا تَتَبَرَّجُوا.

الطَّبَرِي: حين أفسدتم الفساد الأول في الأرض.

(١٥: ٤٣)

الطُّوسِي: في المرة الأولى، يعني غيرهم، لأن هؤلاء بأعيانهم لم يدخلوها في الدفعة الأولى.

(٦: ٤٥١)

الطَّبَرِي: دلّ بهذا على أن في المرة الأولى قد دخلوا المسجد أيضاً وإن لم يذكر ذلك، ومعناه وَلَيْدَ خُلُوا هؤلاء المسجد كما دخله أولئك أول مرة. (٣: ٣٩٩) أبو حيان: معنى ﴿كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي بالسيف والقهر والفتنة والإذلال. وهذا يحد قول من ذهب: إلى أن أولي المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا تهب.

الطُّوسِي: (أَوَّلَ مَرَّةٍ) فهو في موضع التمت مصدر محذوف، وجوز أن يكون حالاً، أي كاتنين كما دخلوه، (وَالأَوَّلُ) منصوب على الظرفية الزمانية. (١٥: ٣٠)

الطَّبَاطِبَائِي: المراد بالمسجد هو المسجد الحرام، بيت المقدس، ولا يتبعها بالذكر بعضهم: أن المراد جميع الأرض المقدسة بمازك.

وفي الكلام دلالة أولاً أنهم في وعد المرة الأولى سيدخلون المسجد الأقصى، وإنا لم يذكر قبلًا للإيجاز ونسائياً: لأن دخولهم المسجد إنما كان للهتاف والتخريب.

وثالثاً: يشر الكلام بأن هؤلاء المهاجرين المبعوثين لمهاذلة بني إسرائيل والافتقار منهم، هم الذين بحثوا عليهم أولاً. (١٣: ٤٢)

عبد الكريم الخطيب: هناك حقائق تقررها الآية الكريمة، وهي:

إن الذين يتسلطون على بني إسرائيل في هذه المرة، سيدخلون المسجد الأقصى، ﴿كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. وهذا يعني أموراً:

إن الذين يدخلون المسجد الأقصى هذه المرة، قد

يدخل عليهم أصحاب المسجد كما دخلوه أول مرة،
ليُؤدوا وجوههم، أي يلبسوهم الخزي والشمو، وقد
اختصت الوجوه بهذا، لأنها الصفة التي ترسم عليها
أحوال الإنسان كلها، وما يمتد من خير أو شر. وما يلقاها
من نعيم أو مؤس. (٤٥١: ٨)

٩ - لَأَشْهِيَنَّكَ رَبُّكَ وَيُؤْثِرُكَ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُسْلِمِينَ. الأنعام: ١٦٣
الحسن: معناه أول المسلمين من هذه الأمة.

(الطوسي ٤: ٣٦٢)
مثله فتاة. (الطبري ٨: ١١٢)
فتاة: يعني به هذه الأمة، لأن إسلام كل نبي سابق
على إسلام أمته، لأنهم منه يأخذون شريعته.

(أبو حيان ٤: ٢٦٢)
الكلمين: أولهم في هذا الزمان. (أبو حيان ٤: ٢٦٢)
الطبري: أنا أول من أقر وأذن وخضع من هذه
الأمة لربه، بأن ذلك كذلك. (١١٢: ٨)
الميتدي: أنا أول المسلمين من هذه الأمة في هذا
الزمان.

وقيل: وأنا أول من استحق هذا الاسم. (٥٤٠: ٣)
الطبري: فيه بيان فضل الإسلام وبيان وجوب
اتباعه على الإسلام؛ إذ كان ^{أول} من سارع إليه،
ولأنه إنما أمر بذلك ليتأشى به ويتقدي بفعله.

(٣٩٢: ٢)
القفر الرازي: أي المسلمين لقضاء الله وقدره.
ومعلوم أنه ليس «أولاء لكل مسلم» فيجب أن يكون

كان لهم دخول إليه من قبل، وأنهم إنما يفعلون في هذه
المرة ما فعلوه في المرة السابقة.

ودخول المسلمين المسجد الأقصى أول مرة، كان في
خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ظل في
أيديهم إلى أن دخله بنو إسرائيل في هذه الأيام، من عام
ألف وثلاثمائة وسبعة وثمانين للهجرة.

ثم خرج المسجد الأقصى من يد المسلمين إلى يد
الصلبيين، ثم أعيد إليهم مرة أخرى، على يد صلاح
الدين، ولم يكن لبي إسرائيل حساب لتقدير في هذا
الأمر.

ودخول المسلمين إلى المسجد الأقصى وانتزاعه من
يد الصليبيين ليس له شأن بالدخول الذي سيجعله
المسلمون، بعد أن ينتزعوا هذا المسجد من يدهم
إسرائيل، لأن بني إسرائيل لم يدخلوا المسجد،
ولم يستولوا عليه منذ الفتح الإسلامي، حتى وضع
لأيديهم في هذه الأيام.

فهذه إحصاءة من إحصاءات المرة الثانية، أو وعد
الآخرة، وهي أن يكون المسجد الأقصى في يد
بني إسرائيل، ثم يجيء إليهم من يخرجهم منه، وينتزع
من أيديهم، وهم أولئك الذين كان المسجد مسجدهم
الذي «دخلوه أول مرة» وليس المسجد إلا مسجد
المسلمين، وليس الذي يدخله للمرة الثانية وينتزع من
اليهود إلا المسلمين.

والإحصاءة الثانية، هي الحال التي عليها اليهود
أنفسهم، وهي أن يكونوا على الصفة التي وصفهم الله بها،
حين يفسدون في الأرض، ويقتلون علواً كبيراً، وحين

للمراه كونه «أولاً» لمسلمي زمانه. (١٤: ١١)

القرطبي: إن قيل: أوليس إبراهيم والنبيون قبله؟ قلنا عنه ثلاثة أجوبة:

الأول: أنه أول المخلوق أجمع معنى، كما في حديث أبي هريرة من قوله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة».

الثاني: أنه أولهم لكونه مقدماً في المخلوق عليهم.

الثالث: أول المسلمين من أهل ملته، قاله ابن العريفي، وهو قول قتادة وغيره. [انتهى ملخصاً] (١٥٥: ٧)

أبو حنيفة: قيل: من العرب، وقيل: من أهل مكة، وقيل: أولهم في المزية والرتبة والتقدم يوم القيامة. [وبعد نقل قول القنبر الرزازي قال:]

وفيه إفاء لفظ (أول) ولا تُلغى الأسماء والأحسن من هذه الأقوال القول الأول. [قول قتادة] (٢٦٢: ٤) البرزوسوي: يعني أول من استسلم عند الإجماع

لأمر «كن» وعند قبول قبض المصية، لقوله: «يحسبهم ويعتونه». والاستسلام للمصية في قوله: «يحبونه» دل عليه قوله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري». كما في «التأويلات النجمية». (١٢٩: ٣)

الطباطبائي: في قوله: «وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» دلالة على أنه ﷺ أول الناس من حيث درجة الإسلام ومزله فإن قبله زماناً غيره من المسلمين.

وقد حكى الله سبحانه ذلك عن نوح إذ قال: «وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» يونس: ٧٢، وعن إبراهيم في قوله: «أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» البقرة: ١٣٦، وعنه وعن ابنه إسماعيل في قولها: «رَبُّنَا وَاجْعَلْنَا

مُسْلِمِينَ لَكَ» البقرة: ١٢٨، وعن لوط في قوله: «وَقَدْ وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» الذاريات: ٣٦، وعن ملكة سبأ في قوله: «وَلَوْ بَيَّنَّا الْإِسْلَامَ مِنْ قَبْلِهِمَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ» النمل: ٤٢، إن كان مرادها الإسلام قد وقرها: «وَأَسْلَمْتُ صَاحِبَ سُلَيْمَانَ لِيَلُو رَبِّ الْعَالَمِينَ» النمل: ٤٤.

ولم يست (أول المسلمين) أحد في القرآن إلا ما يوجد في هذه الآية من أمره ﷺ يغير قومه بذلك، وما في سورة الزمر من قوله: «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِلَ إِلَيْكُمْ لَكُمُ الْبَيْتُ الَّذِي كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ» الزمر: ١١، ١٢.

وما قيل: إن المراه أول المسلمين من هذه الأمة، فإن إبراهيم كان أول المسلمين ومن بعده تابع له في الإسلام وفيه أن التأكيد لا دليل عليه وأما كون إبراهيم أول المسلمين فلهذا ما تقدم من الآيات المنقولة.

وأما قوله تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل في دعائهما: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ» البقرة: ١٢٨، وقوله: «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمِيكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ» الحج: ٧٨، فلا دلالة فيها على شيء. (٣٩٤: ٧) هذا الكريم الخطيب: أي أول من استجاب لدعوة الله التي دُعي إليها وأمر أن يؤذن بالناس فيها. فالتبني هو صاحب الدعوة الإسلامية، فكان أول من لبس ثوبها وتزوج بها.

والسؤال هنا: هل كان النبي صلوات الله وسلامه عليه أول المسلمين عامة، أي أول الإنسانية كلها إسلاماً أم هو أول المسلمين من أمة محمد وحدها؟

والجواب على هذا - والله أعلم - : أنه ﷺ أول المسلمين في أمته، إذ أن الإسلام هوسمة الرسالة المحمدية وحدها - من بين الرسالات التساوية كلها - ولأن الإسلام وإن كان هودين الله، الذي جاءت به رسالاته كلها، إلا أنه لم يأخذ هذا الوصف إلا في رسالة محمد، التي كانت يجمع الرسالات، وخاتمها، وأن إبراهيم وإسماعيل ﷺ قد دعوا الله بأن يجعل منها أمة مسلمة، هي أمة محمد عليه الصلاة والسلام. ولي هذا يقول الله على لسانها: ﴿وَرَبُّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ البقرة: ١٢٨، ويقول سبحانه: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ تَمِيمٌ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ الحج: ٧٨. (٤: ٢٥٧)

١٠- وأمرت لأن أكون أول المسلمين. الطبري: أمرني ربي جل ثناؤه بذلك، لأن ما تكلم به من أمة من أسلم منكم، فخصم له بالتوحيد، وأخلص له العبادة، ويرى من كل ماديته من الآلهة.

(٢٣: ٢٠٤) الطوسي: أي المسلمين لما أمر الله به ونهى عنه، وإنما أمر بأن يكون أول المسلمين وإن كان قبله مسلمون كثيرون، لأن المراد به أول المسلمين من هذه الأمة، فلي ذلك أنه دعاهم إلى ما رضى الله له ورضيه لنفسه.

(٩: ١٥) الرَّمْصُفَرِيُّ: أي سلفهم وسابقتهم في الدنيا والآخرة، والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين فمن أخلص كان سابقاً. [إلى أن قال:]

وفي معناه أوجه:

أن أكون أول من أسلم في زمالي ومن قومي، لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطّمها. ولأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً، وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره، لأكون مقتدىً في قول وفعل جميعاً، ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرّون بما لا يفعلون.

وأن أفعل ما استحق به الأوليّة من أعمال السابقين، دلالة على التّعب بالمسبّب.

نحوه نوحيتان. (٧: ١١٩)

الفخر الرازي: في قوله: ﴿وَأَمَرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ التّيه على كونه رسولاً من عند الله واجب الطاعة. لأن أول المسلمين في شرائع الله لا يمكن أن يكون إلا رسول الله. لأن أول من يعرف تلك الشرائع هو الرسول المبلغ.

(٢٦: ٢٥٥) القرطبي: ﴿لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة، وكذلك كان، فبأنه كان أول من خالف دين آبائه، وخلع الأصنام وحطّمها، وأسلم لله وآمن به، ودعا إليه. (١٥: ٢٤٢)

البروسقي: ﴿لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة، أي لأجل أن أكون مقدّمهم في الدنيا والآخرة، لأن السبق في الدين إنما هو بالإخلاص فيه، فمن أخلص عد سابقاً، فإذا كان الرسول ﷺ متصفاً بالإخلاص قبل إخلاص أمته فقد سبقهم في المذكور، إذ لا يدرك الميوق مرتبة السابق، ألا ترى إلى الأصحاب مع من جاء بعدهم، واقتار أن اللّام مزيدة، فيكون كقوله تعالى: ﴿قُلْ

إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ» الأنعام: ١٤، فالمعنى وأمرت أن أكون أول من أسلم من أهل زماني، لأن كل نبي يتقدم أهل زمانه في الإسلام، والدعاء إلى خلاف دين الآباء، وإن كان قبله مسلمون. (٨٦: ٨٨)

الألوسي: أي وأمرت بذلك لأجل أن أكون متقدّم المسلمين في الدنيا والآخرة، لأن إحرار قصب السبق في الذين بالإخلاص فيه، وإخلاصه عليه الصلاة والسلام أتم من إخلاص كل مخلص، فالمراد بالأولوية: الأوليّة في الشرف والرتبة. [ثم ذكر كلام الزمخشري إلى أن قال:] وفي «الكشف» المختار من الأوجه الأربعة: الوجه الثاني، فإنه المكرر الشائع في القرآن الكريم. وفيه سائر المعاني الأخر من موافقة القول الفصل، ولزوم أوليّة الشرف من أوليّة التأسيس، مع أنه ليس فيه أنه أير باني يكون أشرف وأسبق فافهم. (٢٤٩: ٢٣١)

الطّبا طبائني، إشارة إلى أن في الأمر المتوجه إلي زيادة على ما توجه إليكم التكليف، وهو أنني أيرت بما أيرت، وقد توجه الخطاب إلي قبلكم، والنرض منه أن أكون أول من أسلم لهذا الأمر، وآمن به.

قيل: اللام في قوله: (لَأَنْ أَكُونَ) للتعطيل، والمعنى وأمرت بذلك، لأجل أن أكون أول المسلمين. وقيل: اللام زائدة كما تركت اللام في قوله تعالى: «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ» الأنعام: ١٤.

ومآل الوجهين واحد بحسب المعنى، فإن كونه ﷺ أول المسلمين يُعطي عنواناً لإسلامه، وعنوان الفعل يصح أن يجعل غاية للأمر بالفعل، وأن يجعل مستلماً للأمر فهو أمر، يقال: اضربه للتأديب، ويقال: أدبه بالضرب.

[وبعد نقل قول الزمخشري قال:]

ولنت خير بأن الأنسب لسياق الآيات هو الوجه الثالث، وهو الذي قدّمناه، ويلزمه سائر الوجوه.

(٢٤٧: ١٧)

هذا الكريم الخطيب: إشارة إلى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هو أول المسلمين خضوعاً لسلطان الله، وامتثالاً لأمره، يُسلم إليه وجوده، وتُفخّص له ولائه، وأنه صلوات الله وسلامه عليه القدوة للمسلمين في طاعة ربه وفي اتقاء حرمانه، وأنه - وهو سلطان المؤمنين - أكثر المؤمنين عبادة له، واجتهاداً في عبادته، واتقاء لحُرمانه، وخوفاً من عقابه.

ثم بعد من عباد الله، وأفضل عباد الله، وأكرمهم عند الله، وأمرهم إليه - من كان أمرهم به - وأكثرهم طاعة وولاء له. فمن أراد من المؤمنين أن يكون أقرب إلى الله، فليكن في طاعة الله، فإنه كلما ازداد طاعةً ازداد قرباً.

(١١٣: ١٢)

١١ - فَلَمَّا أَتَانِي قَالَ شَهْنَأَهُ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ

المؤمنين. الأعراف: ١٤٣.

ابن عباس: أول من آمن بك من بني إسرائيل.

(الطبري: ٩: ٥٦)

نحو: مُجاهد والسدي. (الطبري: ٢: ٢٧٦)

أنا أول من يؤمن أنه لا يراك شيء من خلقك.

(الطبري: ٩: ٥٥)

أبو العالقة: كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أول

من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة.

(الطبري ٩: ٥٥)

مُجَاهِد: أَنَا أَوَّلُ قَوْمِي إِسْرَائِيلَ. (الطبري ٩: ٥٦)

الإمام الصادق عليه السلام: معناه أَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ

بِأَنَّكَ لَأَوَّلِي. (الطبري ٢: ٤٧٦)

الجبلي: أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ لَا يَرُكُّ شَيْءَ مِنْ

خَلْقِكَ، فَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِي بِاسْتِظَامِ سُؤَالِ

الرُّؤْيَةِ. (الطوسي ٤: ٥٧١)

الطبري: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِأَنَّكَ مِنْ قَوْمِي،

أَلَّا يَرَاكَ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ إِلَّا هَلَكَ. [وبعد نقل أقوال

المفسرين قال:]

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في قوله: ﴿وَأَنَا

أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ أَنَا أَوَّلُ

الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ قَبْلَهُ فِي بَنِي

إِسْرَائِيلَ مُؤْمِنُونَ وَأَنْبِيَاءٌ، مِنْهُمْ وَلَدَ إِسْرَائِيلَ لَصَلْبَةٍ،

وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ وَأَنْبِيَاءً، فَلِذَلِكَ اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي قُلْنَا

قَبْلَ. (٩: ٥٦)

الزمخشري: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّكَ لَسْتَ بِعَرَبِيٍّ

وَلَا مَدْرَكٍ بِبَنِي مِنْ الْعَوَارِثِ. (٢: ١١٥)

الفخر الرازي: ■ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّكَ لَأَوَّلِي فِي

الدُّنْيَا، أَوْ يُقَالُ: وَلَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّوَالُّ مِنْكَ

إِلَّا بِإِذْنِكَ. (١٤: ٢٣٥)

أبو حنيفة: قِيلَ: مَنْ أَهْلُ زَمَانِهِ إِنْ كَانَ الْكُفْرُ قَدْ

طَبَّقَ الْآفَاقَ. (٥: ٣٨٦)

الآلوسي: أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِظُلْمَتِكَ وَجَلَالَتِكَ، أَوْ

بِأَنَّهُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ، فَيُثَبِّتُ عَلَى مَا قَبْلَ.

وأراد: كَمَا قَالَ الْكُورَانِي - أَنَّهُ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ

عَنْ ذَوِي مَسْبُوقٍ بَيْنَ الْيَتِيمِ فِي ظُلْمَةٍ. (٩: ٤٦)

الطباطبائي: أَيُّ أَوَّلِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِي بِأَنَّكَ

لَأَوَّلِي. هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَقَامُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَحْتَمَلِ أَنْ

يَكُونَ الْمُرَادُ: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَيْنِ قَوْمِي بِمَا أَتَيْتَنِي

وَهَدَيْتَنِي إِلَيْهِ، آمَنْتُ بِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنُوا، فَحَقِيقٌ بِي أَنْ

أَتُوبَ إِلَيْكَ، إِذَا خَلَقَ بِي تَقْصِيرَ أَوْ قُصُورَ، لَكِنَّهُ مَعْنَى بَعِيدٍ.

(٨: ٢٤٣)

١٢ - إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا

أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ الشَّعْرَاءُ: ٥١

الْقُرَّاءُ: وَجِهَ لِلْكَلَامِ أَنْ تَقْتَضِ (أَنْ) لَاتِيهَا مَا ضَبَّ

وَهِيَ فِي مَذْهَبِ جَزَاءٍ، وَلَوْ كُفِّرَتْ وَتَوَيَّ بِمَا يَهْدِيهَا الْجَزْمُ

كَانَ حَوَائِدَ. وَقَوْلُهُ: ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يَقُولُونَ:

أَوَّلَ مُؤْمِنِي أَهْلِ زَمَانَتَا. (٢: ٢٨٠)

الطبري: لِأَنَّ كُنَّا أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِمُوسَى. وَصَدَّقَهُ

بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَتَكْلِيلِ فِرْعَوْنَ فِي إِدْعَائِهِ

الرُّبُوبِيَّةِ، فِي دَهْرِنَا هَذَا وَزَمَانَتَا. (١٩: ٧٤)

الرُّجَّاجُ: يَفْتَحُ (أَنْ) أَيُّ لَأَنَّ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَذَهَبَ الْقُرَّاءُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَوَّلَ مُؤْمِنِي أَهْلِ دَهْرِهِمْ. وَلَا

أَحْبَبَ عَرَفَ الرُّوَايَةَ فِي التَّفْسِيرِ، لِأَنَّهُ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ

أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سِتِّمَسَاتَةِ أَلْفٍ، وَقِيلَ:

سِتِّمَسَاتَةُ أَلْفٍ وَسِتِّمَسَاتَةُ أَلْفًا.

وإنما معنى ﴿أَنَّ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَيُّ أَوَّلَ مَنْ

آمَنَ فِي هَذِهِ الْحَالِ عِنْدَ ظُهُورِ آيَةِ مُوسَى، حِينَ أُلْقُوا

حِبَالَهُمْ وَعَصَصَتُهُمْ، وَاجْتَهَدُوا فِي سَحَرِهِمْ. (٤: ٩١)

الطوسي: لِأَنَّا كُنَّا أَوَّلَ مَنْ صَدَّقَ بِمُوسَى وَأَقْرَبَ

بُشْرَتِهِ، وَبَعَا دَعَا إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَفِي التَّشْبِيهِ عِنْدَ مَنْ كَانَ يَعْمَلُ بِالتَّحَرُّ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ عِنْدَ تِلْكَ الْآيَةِ.

وَمَنْ قَالَ: هُمْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَدْ غَلَطَ، لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا آمَنُوا بِهِ. (٨: ٢٤)

الْمَيْبُودِيُّ: أَيْ لِأَجْلِ أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْقَبِيلَةِ قَوْمِي. وَقِيلَ: أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ عِنْدَ ظُهُور الْآيَةِ. (٧: ١٠٦)

مِثْلُهُ أَبُو حَتَّانَ. (٧: ١٧)
الزَّمَخْشَرِيُّ: كَانُوا أَوَّلَ جَمَاعَةِ مُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ، أَوْ مِنْ رِعْيَةِ فِرْعَوْنَ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْمَشْهَدِ.

(٥: ١١٣)
الطَّبْرِسِيُّ: [قَالَ مِثْلَ الْعُلُوسِيِّ وَأَضَافَ:]
أَوْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ. (١: ١٩١)
الْقَطَرُ الرَّازِيُّ: الْمُرَادُ: لِأَنَّ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ

الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ حَضَرُوا ذَلِكَ الْمَوْقِفَ، أَوْ يَكُونُ الْمُرَادُ مِنَ الشَّجَرَةِ خَاصَّةً، أَوْ مِنْ رِعْيَةِ فِرْعَوْنَ، أَوْ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ. (٢٤: ١٣٦)

الْأَلُوسِيُّ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ (أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) مِنْ أَتْبَاعِ فِرْعَوْنَ، أَوْ (أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) مِنْ أَهْلِ الْمَشْهَدِ، أَوْ (أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ.

وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ الْإِخْبَارُ بِكُونِهِمْ كَذَلِكَ لَعَلَّهِمْ بِمُؤْمِنٍ سَبَقَهُمْ بِالْإِيمَانِ، فَهُوَ إِخْبَارٌ مَبْنِيٌّ عَلَى غَايِبِ الظَّنِّ وَلَا مَحْذُورٌ فِيهِ، كَذَا قِيلَ.

وَقِيلَ: أَرَادُوا أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ بِاللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ عِنْدَ فِرْعَوْنَ كِفَاحًا بَعْدَ الدَّعْوَةِ وَظُهُورِ الْآيَةِ.

فَحَلَّيْدُ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ وَأَسِيَّةَ، وَكَذَا لَا يَرِدُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّهُمْ - كَمَا فِي «الْبَحْرِ» - كَانُوا مُؤْمِنِينَ قَبْلَهُمْ، إِنَّمَا لَعَلَّهِمْ لَعَلَّهِمْ عِلْمَ الشَّجَرَةِ بِذَلِكَ، أَوَّلًا كَلَّا مِنْ الْمَذْكُورِينَ لَمْ يَكُنْ الْإِيمَانُ بِاللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ عِنْدَ فِرْعَوْنَ كِفَاحًا بَعْدَ الدَّعْوَةِ وَظُهُورِ الْآيَةِ، فَتَأَمَّلْ. (١٩: ٨٠)

١٣ - قُلْ إِنْ كَانَ لِلرُّسُلِ وَكُفْرًا فَآلُ الْغَابِطِينَ.
الزَّخْرَفَةُ: ٨١
رَاجِعْ «غَبَّتَهُ» وَ«وَلَّيْتَهُ».

١٤ - هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
الْعَشْرَةُ: ٢

الْمَنْعُوتُ: كَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ أَوَّلَ حَشْرِ الْيَهُودِ إِلَى النَّشَامِ، ثُمَّ يَحْشُرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى أَرْضِ النَّشَامِ. (١: ١٩١)

مِثْلُهُ الزُّهْرِيُّ وَالْجَنَانِيُّ. (الطَّبْرِسِيُّ: ٥: ٢٥٨)
الْمَنْعُوتُ: بَلَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَنَا أَجْلَى بَنِي النَّصِيرِ، قَالَ: فَاسْأَلُوا هَذَا أَوَّلَ الْعَشْرِ، وَأَنَا عَلَى الْأَثَرِ.

(الطَّبْرِسِيُّ: ٢٨: ٢٩)
الْكَلْبِيُّ: إِنَّ بَنِي النَّصِيرِ أَوَّلَ مَنْ حُشِرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهُمْ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ. (الْمَيْبُودِيُّ: ١٠: ٣٤)

ابْنُ زَيْدٍ: فِي قَوْلِهِ: (لِلأَوَّلِ الْعَشْرِ): النَّشَامِ، حِينَ رَدَّاهُمْ إِلَى النَّشَامِ. (الطَّبْرِسِيُّ: ٢٨: ٢٩)

الطَّبْرِسِيُّ: لِأَوَّلِ الْجَمْعِ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ حَشْرُهُمْ إِلَى أَرْضِ النَّشَامِ. (٢٨: ٢٨)
الْبَلْخِيُّ: يَرِيدُ أَوَّلَ الْجَلَاءِ، لِأَنَّ بَنِي النَّصِيرِ أَوَّلَ مَنْ

أجلى من أرض العرب. (الطوسي: ٩: ٥٥٩)

الطوسي: قال قوم: أول الحشر: هو حشر اليهود من بني النضير إلى أرض الشام، وثاني الحشر: حشر الناس يوم القيامة إلى أرض الشام أيضاً. (٩: ٥٥٩)

الزبيدي: معنى (أول الحشر) أن هذا أول حشرهم إلى الشام، كانوا من سبط لم يصيبهم جلاء قط، وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام.

أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجماله عمر إيتاهم من خيبر إلى الشام. وقيل: آخر حشرهم: حشر يوم القيامة، لأن المحشر يكون بالشام. (١: ٨٠)

الطبرسي: قيل: إنما قال: (أول الحشر) لأن الله فتح على نبيه ﷺ في أول ما قاتلهم من يمان في ربيعة.

الفخر الرازي: ما معنى (أول الحشر)؟ الجواب: أن «الحشر» هو إخراج الجمع من مكان إلى مكان، وأما أنه لم يسم هذا الحشر بأول الحشر؟ فبيان من وجوه:

أحدها: وهو قول ابن عباس والأكرمين: إن هذا أول حشر أهل الكتاب، أي أول مرة حُشروا وأخرجوا من جزيرة العرب، لم يصيبهم هذا القتل قبل ذلك، لأنهم كانوا أهل منعة وعز.

وثانيها: أنه تعالى جعل إخراجهم من المدينة حشراً، وجعله أول الحشر من حيث يحشر الناس للساعة إلى ناحية الشام، ثم تتركهم للساعة هناك.

وثالثها: أن هذا أول حشرهم، وأما آخر حشرهم

فهو إجماله عمر إيتاهم من خيبر إلى الشام.

وربما: معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما يحشرهم لقتالهم، لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله. وخامسها: قال قتادة: هذا أول الحشر، والحشر الثاني: نازعهم الناس من المشرق إلى المغرب، ثبت معهم حيث باتوا، وثقل معهم حيث قالوا، وذكروا أن تلك النار تروى بالليل ولا تروى بالنهار. (٢٩: ٢٧٨)

الطوسي: الآم لام التوقيت كآتي في قوله: كتبته لعشر خلون، وما لها إلى معنى «في» الحرفية، ولذا قالوا هنا: أي في أول الحشر، لكنهم لم يقولوا: إنها بمعنى «في» إشارة إلى أنها لم تخرج عن أصل معناها وأنها للاختصاص، لأن ما وقع في وقت اختص به دون غيره من الأوقات. وقيل: إنها للتشليل، وليس بذلك.

ومعنى (أول الحشر) أن هذا أول حشرهم إلى الشام، أي أول ما حُشروا وأخرجوا، وبه بالأولية على أنهم لم يصيبهم جلاء قبل، ولم يجلبهم بختنصر حين أجلى اليهود، بناء على أنهم لم يكونوا معهم إذ ذاك، وأن قتلهم من بلاد الشام إلى أرض العرب كان باختيارهم، ولم يصيبهم ذلك في الإسلام، أو على أنهم أول مشورين من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام.

ولا نظر في ذلك إلى مقابلة الأول بالآخر، وبعضهم يستبرها، فمعنى (أول الحشر) أن هذا أول حشرهم، وآخر حشرهم: إجماله عمر إيتاهم من خيبر إلى الشام. وقيل: آخر حشرهم: حشرهم يوم القيامة، لأن الحشر يكون بالشام.

وعن بكر بن عبد الله: من شك أن «الحشر» ها هنا يعني

عبد الكريم الخطيب: (الأول المحشر) إشارة إلى أن هذا أول إخراج لليهود من ديارهم، وأنه سيكون بعده إخراج لمجاهدين أخرى منهم، وقد حدث هذا فعلاً، فأخرج بنو قريظة بعد هزوة الأحزاب، وقتل كل من بلغ لثلم منهم، وسبي النساء، والأطفال والشيوخ، ثم أخرج اليهود جميعاً من الجزيرة العربية في عهد عمر بن الخطاب؛ حيث أجلي البقية الباقية منهم، والتي كانت تعيش في خيبر. (١٤: ٨٥٠)

الأول

١- هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكُلُّ
المحيد: ٣
الفيلسوف الزاوي: إنه بحث مستو في نفسه
النسابة مع تهاوت (٢٩: ٢٠٩)
النسابة مع تهاوت
أول هذه السورة قد سبق في السجدة، فلاحاجة إلى إعادة كلها، إلا أننا ذكرنا أورده الإمام فخر الدين هاجنا على سبيل الإيجاز مع تنقيح ما يجب تنقيحه.

قال: هذا مقام تهيب، والبحث فيه من وجوه:
الأول: أن تقدم الشيء على الشيء إما تقدم التأثير، كتقدم حركة الإصبع على حركة الحناكم، وإما التقدم بالحاجة لا بالتأثير، كتقدم الإمام على المأموم، أو معقول، كما إذا جعلنا المبدأ هو الجنس العالي، وإما بالزمان كتقدم الأب على الابن.

قال: وتقدم بعض أجزاء الزمان على الزمان، عندئذ ليس من هذه الأقسام الخمسة.

الثام فليقرأ هذه الآية، وكأنه أخذ ذلك من أن المعنى: لأول حشرهم إلى الثام، ليكون لهم آخر حشر إليه أيضاً ليتّم التعاليل، وهو يوم القيامة من القبور، ولا يخفى أنه ضيف الدلالة.

وفي «البحر» عن جكرمة والزهرى أنهما قالوا: المعنى لأول موضع الحشر، وهو الثام. وفي الحديث أنه ﷺ قال لهم: «أخرجوا»، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر، ولا يخفى ضيف هذا المعنى أيضاً.

وقيل: آخر حشرهم أن ناراً تخرج قبل الساعة فتحشرهم كسائر الناس من المشرق إلى المغرب. ومن الحسن: أنه أريد حشر القيامة، أي هذا أوله والقيام من القبور آخره، وهو كهاثرى.

وقيل: المعنى أخرجه من ديارهم لأول جمع حشره التي ﷺ أو حشره الله عز وجل قتالهم، لأنه ﷺ لم يكن قبل قصد قتالهم. وفيه من المناسبة لوصفهم ما لا يخفى، ولذا قيل: إنه الظاهر. وتمثّل بأن النبي ﷺ لم يكن جمع المسلمين لقتالهم في هذه المرة أيضاً، ولذا ركب عليه الصلاة والسلام حملاً عظيماً بليغ، لعدم المبالاة بهم، وفيه نظر.

وقيل: لأول جمعهم للمقاتلة مع المسلمين، لأنهم لم يجمعوا لها قبل.

الطبا طبائى: (الأول المحشر) من إضافة الصفة إلى الموصوف، واللام بمعنى «في» كقوله: «أقيم الصلاة لتذكروا الشمس» الإبراء: ٧٨، والمعنى الله الذي أخرج بني النضير من اليهود من ديارهم، في أول إخراجهم من جزيرة العرب. (١٩: ٢٠٩)

أما التأثير والحاجة فلا تـه لو كان كذلك لوجدنا معاً،
كما أن العلة والمعلول يوجدان معاً، وكذا الواحد والاثان.
وأما الشرف والمكان فظاهران، وأما بالزمان فإن الزمان
لا يقع في الزمان وإلا تسلسل.

قلت: لم لا يجوز أن يكون تقدم أجزاء الزمان بعضها
على بعض بالحاجة أي بالطبع، فإن الزمان كما لا يخفى
حين كان ككس متصلاً غير قار الذات اختضت حقيقته
أن يكون له وجود سيال، يقب بعض أجزائه بعضاً،
لا تنتهي التوبة إلى جزء مفروض منه إلا وقد انقضى منه
جزء مفروض على الاتصال.

وقال: إذا عرفت ذلك فنقول:

القرآن دال على أنه تعالى قبل كل شيء، واليهان
أيضاً يدل على هذا، لأن انتهاء الممكنات لابد أن يكون
إلى الواجب، إلا أن تلك القلبية ليست بالتأثير، لأن المؤثر
من حيث هو مؤثر مضاف إلى الأثر من حيث هو الأثر.
والمضافان معاً، والمؤثر لا يكون قبل ولا بالحاجة، لأنها
قد يكونان معاً - كما قلنا - ولا نقص الشرفه، فإن تلك
القلبية ليست مرادة هاهنا، ولا بالمكان - وهو ظاهر -
ولا بالزمان، لأن الزمان بجميع أجزائه ممكن الوجود،
والتقدم على جميع الأزمنة لا يكون بالزمان، فإن تقدم
الواجب تعالى على ما عداه خارج عن هذه الأقسام
الخمسة، وكيفيته لا يعلمها إلا هو.

قلت: إنه سبحانه متقدم على ما سواه بجميع أقسام
التقدمات الخمسة.

أما بالتأثير فظاهر قوله: والمضافان معاً. قلنا: إن
أردت من الهيئـة المذكورة فسلم ولا محذور، وإن أبيت

مطلقاً فممنوع.

وأما بالطبع فلا تـ ذات الواجب من حيث هو لا تقتصر
إلى الممكن من حيث هو، وحال الممكن بالخلاف.
وأما بالشرف فظاهر. وأما بالمكان فلا تـه وراه كل
الأماكن ومعها، لقوله: ﴿فَأَيُّكُمْ تَتْلُوا قُرْآنَ وَجْهَ اللَّهِ﴾
البقرة: ١١٥، وقد جاء في الحديث: «لو أدليتكم بحبل إلى
الأرض الشغل لحبط على الله» ثم قرأ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾.

وهاهنا سرّ لمنا قد رمزنا إليه في هذا الكتاب،
تهمه ياذن الله إن كنت أهلاً له.

وأما بالزمان فأنظر قوله: والتقدم على الزمن

لا يكون بالزمان.

قلنا: ممنوع، لأن الزمان عند الصنفين هو أمر وهمي،
والزمان الذي يتكلم هو فيه إنما هو مقدار حركة الفلك
العظيم، ولا ريب أن قبل هذه الحركة لا يوجد لها مقدار،
إلا أن قبل كل شيء يوجد امتداد وهمي، يحصل فيه
وجود الواجب سبحانه.

ومن هذا التحقيق يرتفع ما أشكل على الإمام من
التشخيص بين الأزل وما لا يزال، فإن المبادئ الوهية
تتغير بتغير الاعتبارات، وباختلافها تختلف حقائقها، إذ
ليس لها وجود سواها، لقد يصير ما هو في جانب الأزل
في جانب لا يزال، وبالعكس إذا تغيرت المبادئ
المفروضة. (٢٧: ٩١-٩٣)

وهذه الآية بحوث أخرى هامة وقد تقدم بنصها في
«الأخيرة» فراجع «أخ ر».

لَاؤِلِنَا

قَالَ جِبْرِائِيلُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ وَبِنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا عَائِدَةً مِنْ
السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا حِجَابًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا... للمائدة: ١١٤
راجع: أخرنا، في «أخ ر».

الْأَوَّلُونَ

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ...
التوبة: ١٠٠
راجع: السابِقُونَ، في «س ب ق».

الْأَوَّلِينَ

١- وَإِنْ يَحْدُثُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ.

الأنفال: ٢٨

مُجَاهِدٌ: فِي قَرِيشٍ يَوْمَ بَدْرٍ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَ
الطَّبَرِيِّ (٢٤٧: ٨) ذلك.

ابن إسحاق: أَيِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

الطَّبَرِيُّ (٢٤٨: ٩)

الزُّمَخْشَرِيُّ: مِنْهُمْ الَّذِينَ حَقَّ بِهِمْ مَكْرَهُمْ يَوْمَ
بَدْرٍ، أَوْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الَّذِينَ تَعَزَّوْا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ مِنْ
الْأُمَمِ فَدَمَّرُوا، فَلْيَتَوَقَّعُوا مِثْلَ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَتَّعَبُوا.

(١٥٧: ٢)

راجع: سُنَّةٌ، فِي «س ن ز».

٢- لَقَدْ مِنْ الْأَوَّلِينَ • وَلَقِيلُ مِنَ الْآخِرِينَ.

الواقعة: ١٢، ١٤

راجع: لَقَدْ، فِي «ت ل ل».

وَفِيهِ مَبَاحِثُ أُخْرَى قَدْ تَقَدَّمتْ فِي (الآخِرِينَ)،
فراجع «أخ ر».

٢- لَقَدْ مِنْ الْأَوَّلِينَ • وَلَقَدْ مِنَ الْآخِرِينَ.

الواقعة: ٣٩، ٤٠

راجع: الْآخِرِينَ، فِي «أخ ر».

١- قُلْ لِلَّهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

الواقعة: ٤٩

الفخر الرازي: تَقْدِيمُ (الْأَوَّلِينَ) عَلَى (الْآخِرِينَ) فِي
جَوَابِ قَوْلِهِ: «أَوَّلَانَا وَالْآخِرُونَ» الواقعة: ٤٨، فَإِنَّهُمْ
أُخْرُوا ذَكَرَ الْأَبَاءَ لَكُنْوَ الْإِسْتِعْدَادَ لَهُمْ أَكْثَرُ، فَقَالَ: «إِنَّ
الْأَوَّلِينَ» الَّذِينَ تَسْتَعِدُّونَ بِهِمْ وَتَوَخَّوْنَهُمْ، يَبْتَغِيهِمْ
لَهُ فِي أَمْرٍ مُقَدَّمٍ عَلَى (الْآخِرِينَ) يَتَبَيَّنُ مِنْهُ إِثْبَاتُ حَالِ
مَنْ أُخِّرَ تَمَوُّهُ مُسْتَعِدِّينَ، إِشَارَةً إِلَى كُنْوَ الْأَمْرِ هَيْئًا.

(١٧٢: ٢٩)

الطَّبَرِيُّ: تَقْدِيمُ (الْأَوَّلِينَ) لِلْمَبَالِغَةِ فِي الرَّدِّ، حَيْثُ
كَانَ إِنْكَارُهُمْ لِحُثِّ آبَائِهِمْ لُتَّةً مِنْ إِنْكَارِهِمْ لِحُثِّهِمْ، مَعَ
مُزَاجَةِ الْقَرِينَةِ فِي هُودِيٍّ

(١٤٥: ٢٧)

وَفِيهِ مَبَاحِثُ أُخْرَى، رَاجِعُ: الْآخِرِينَ، فِي «أخ ر».

• أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَوَّلِينَ • ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ.

المرسلات: ١٦، ١٧

راجع: الْآخِرِينَ، فِي «أخ ز».

الْأَوَّلَى

١- قَالَ قَسَايَا أَتَقُوزُونَ الْأَوَّلَى.

طه: ٥١

الطَّبَرِيُّ: فَمَاشَأَنَ الْأُمَمِ الْعَالِيَةِ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ نُفَرِّقُهَا
تَقُولُ، وَلَمْ تُصَدِّقْ بِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ، وَلَمْ تُخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ.

(١٧٣: ١٦)

الطَّبَرِيُّ: هِيَ الْأُمَمُ الْمَاضِيَةُ.

والأولى) تأنيث الأول، وهو الكائن على صفة قبل

غيره، فإذا لم يكن قبله شيء، فهو قبل كل شيء. وفرد ذلك على ما في معلوم الله من أمرها، وقيل: إنه أراد من يؤمنهم ويجازهم. (١٧٨: ٧)

الطَّبْرَسِي: أي لما حال الأمم الماضية، فإنها لم تتر بأهل وماتدعو إليه، بل عبدت الأوثان، ويعني بالتقرون الأولى) مثل قوم نوح وعاد وثمود. (١٢: ٤)

الألوسي: لنا شاهد اللّمين ماظمه في ذلك الجواب من البرهان الثّير على الطراز الرائع، خاف أن يظهر للناس حقيقة مقالاته، ويُطلان خرافات نفسه

ظهوراً بيناً، أراد أن يصرّفه عن شئته إلى ما لا يهنيه من الأمور التي لا تعلق لها في نفس الأمر بالرسالة العكايات، موهماً أن لها تعلقاً بذلك، ويشغلها بصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

يُدغم بين يدي قومه نوع مرفقة، فقال: **وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ** أي إذا كنت رسولاً فأخبرني ما حال القرون الماضية، والأمم الخالية، وماذا جرى عليهم من الحوادث النضلة. (٢٠٣: ١٦)

الطَّبْطَبَائِي: أي ما حال الأمم والأجيال الإنسانية الماضية التي ماتوا وفتوا، لا خبر عنهم ولا أثر؟ كيف يجزّون بأعمالهم ولا عامل في الوجود ولا عمل، وليسوا اليوم إلا أحاديث وأساطير؟

فآية ظهيرة ما نقل عن المشركين في قوله: **وَقَالُوا بَلَدًا خَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ يَتَأَلَّقِي خَوَافِي جَدِيدٌ** السجدة: ١٠، وظاهر الكلام أنه مبنّي على الاستبعاد من جهة انتفاء العلم بهم وبأعمالهم للسموت واقصوت.

فآية ظهيرة ما نقل عن المشركين في قوله: **وَقَالُوا بَلَدًا خَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ يَتَأَلَّقِي خَوَافِي جَدِيدٌ** السجدة: ١٠، وظاهر الكلام أنه مبنّي على الاستبعاد من جهة انتفاء العلم بهم وبأعمالهم للسموت واقصوت.

فآية ظهيرة ما نقل عن المشركين في قوله: **وَقَالُوا بَلَدًا خَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ يَتَأَلَّقِي خَوَافِي جَدِيدٌ** السجدة: ١٠، وظاهر الكلام أنه مبنّي على الاستبعاد من جهة انتفاء العلم بهم وبأعمالهم للسموت واقصوت.

كما يشهد به جواب موسى عليه السلام. (١٦٦: ١٤)

٢... أَوَّلَم تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى.

طه: ١٢٣

مُجَاهِد: التوراة والإنجيل. (الطَّبْرَسِي: ١٦: ٢٣٧)

قَتَادَةَ: الكتب التي حلت من الأمم التي يمشون في

ساكنهم. (الطَّبْرَسِي: ١٦: ٢٣٧)

الطَّبْرَسِي: أولم يأتيهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم، التي أحلكتهم.

(٢٣٧: ١٦)

الْمَيْبُذِي: أي بيان ما في التوراة والإنجيل والزبور

من أنباء الأمم أنهم اقترحوا الآيات فلبسوا أنفسهم

ولم يؤمنوا بها، كيف عجبنا لهم المذاب والهلاك، فما

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عسى يصدده، حتى يظهر فيه نوع غفلة فيتساقى بذلك إلى

عنى بقوله: «الجاهلية الأولى» التي قبل الإسلام؟

قيل: فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية.

وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح، وجائز أن

يكون ما بين إدريس ونوح، فتكون الجاهلية الآخرة:

ما بين عيسى ومحمد.

وإذا كان ذلك متنا يحتمله ظاهر التنزيل، فالصواب

أن يقال في ذلك، كما قال الله: إنه نهى عن تبرج الجاهلية

الأولى. (٢٢: ٥)

الزجاج: قيل: إن «الجاهلية الأولى» من كان من

لبن آدم إلى زمن نوح. وقيل: من زمن نوح إلى زمن

إدريس. وقيل: منذ زمن عيسى إلى زمن النبي ﷺ.

والأصح أن تكون منذ زمن عيسى إلى زمن

النبي ﷺ لأنهم هم للجاهلية المبروفون، لأنه روي أنهم

كانوا يتخذون الخيايا، ومن التواجر يحلن^(١) لهم.

فإن قيل: لم قيل: (الأولى)؟ قيل: يقال لكل متقدم

ومتقدم: أولى وأول، فتأويله أنهم تقدموا أمة محمد ﷺ

فهم أولى وهم أول، من أمة محمد ﷺ. (٤: ٢٢٥)

الطوسي: «الجاهلية الأولى» وهو ما كان قبل

الإسلام [إلى أن قال:]

وأما الجاهلية الأخرى، فهو ما يعمل بعد الإسلام

بسل أولئك. (٨: ٣٢٩)

القيتبي: يقال: «الجاهلية الأولى»: ما بين نوح

ومولد إبراهيم، وهي سبع مائة سنة.

وتعرض نفسها على الرجال. (التبدي ٨: ٤٥)

الشافعي: «الجاهلية الأولى»: ما بين عيسى

ومحمد ﷺ. (الطبري ٢٢: ٤)

الكلي: ما بين نوح وإبراهيم. (أبو حيان ٧: ٢٣٠)

مقاتيل: زمن نمرود بغايا يلبس أدنى الدروع

ويعشين في الطرق. (أبو حيان ٧: ٢٣٠)

ابن زيد: التي كانت قبل الإسلام، وفي الإسلام

جاهلية. (الطبري ٢٢: ٥)

الفرأه: ذلك في زمن وُجد فيه إبراهيم النبي ﷺ،

كانت المرأة إذ ذاك تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مغبط

الجانبيين.

ويقال: كانت تلبس الثياب تبلغ^(١) المال، لا توارى

جسداه، فأمرن ألا يغطن مثل ذلك. (٢: ٣٤٢)

الشبرود: كانت المرأة تجمع بين زوجها وحليها،

للزواج نصفها الأسفل وللحلم نصفها، يمتنع به في التغييل

والترشف. (أبو حيان ٧: ٢٢٦)

الطبري: إن أهل التأويل اختلفوا في «الجاهلية

الأولى»، فقال بعضهم: ذلك ما بين عيسى ومحمد ﷺ.

وقال آخرون: ذلك ما بين آدم «نوح».

وأولى الأقوال في ذلك عندني بالصواب. أن يقال: إن

الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرجن تبرج

الجاهلية الأولى.

وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون

معنى ذلك: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل

الإسلام.

فإن قال قائل: أو في الإسلام جاهلية، حتى يقال:

(١) كذا، وكأن المرأة أنها تبلغ المال الكثير.

(٢) يتجن لهم غلة ومالاً، لأنهم كانوا يشتغلون وسيلة

للحسب، وربما أكرمهم على هذا.

وقيل: «الجاهلية الأولى»: ما ذكرنا والجاهلية الأخرى: قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان.

وقيل: «الجاهلية الأولى» بمعنى القديمة، وليس لها أخرى، كقوله تعالى: «وَأَنَّهُ لَظَلَّكَ غَادًا الْأَوَّلَى» النجم: ٥٠. (٨: ٤٤)

الزَّمَنُ خَشَرِي: «الجاهلية الأولى» هي القديمة التي يقال لها: الجاهلية الجهلاء، وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ، فتمشي وسط الطريق، تعرض نفسها على الرجال.

وقيل: ما بين آدم ونوح، وقيل: بين إدريس ونوح، وقيل: زمن داود وسليمان، والجاهلية الأخرى: ما بين عيسى ومحمد عليها الصلاة والسلام.

وعجز أن تكون الجاهلية الأولى: جاهلية الكفر قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى: جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام. (٢٣: ٢٢٧)

الفخر الرازي: فيه وجهان:

أحدهما: أن المراد من كان في زمن نوح، والجاهلية الأخرى: من كان بعده.

وثانيهما: أن هذه ليست أول تقتضي أخرى، بل معناه تبرج الجاهلية القديمة، كقول القائل: أين الأكاسرة الجبابرة الأولى؟ (٢٥: ٢٩)

أبو عتيان: «الجاهلية الأولى» يدل على أن ثم جاهلية متقدمة وأخرى متأخرة، فليل: ما ابتان لآدم سكن أحدهما الجبل، فذكور أولاده صابح وإناتهم صباح، والآخر السهل وأولاده على عكس ذلك، فسوى لهم ليليس هيكلا يجتمع جميعهم فيه، فال ذكور الجبل إلى

إناث السهل وبالعكس، فكثرت الفاحشة، فهو تبرج الجاهلية الأولى. (٧: ٢٣٠)

الطَّبَائِبَاتِي: «الجاهلية الأولى»: الجاهلية قبل البعثة، فالمراد الجاهلية القديمة.

وقول بعضهم: إن المراد به زمان ما بين آدم ونوح عليه السلام ثمان مائة سنة، وقول آخرين: إنها ما بين إدريس ونوح، وقول آخرين: زمان داود وسليمان، وقول آخرين: إنه زمان ولادة إبراهيم، وقول آخرين: إنه زمان الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد عليه السلام، أقوال لا دليل يدل عليها. (١٦: ٣-٩)

١- إن من الأتوتتتا الأولى وما تحن بمشهرين.

الدخان: ٣٥

الزَّمَنُ خَشَرِي: ما معنى ذكر (الأولى) كأنهم وعدوا موته أخرى حتى غرروا وجعدوها وأبشروا الأولى؟

قلت: معناه - والله الموفق للصواب - أنه قيل لهم: إنكم تموتون موته تنقيا حياة كما تقدمتكم موته قد تنقيا حياة، وذلك قوله عز وجل: «وَكُنْتُمْ أََمْْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» البقرة: ٢٨، فقالوا: «إن من الأتوتتتا الأولى» يريدون ما الموتة التي من شأنها أن ينقيا حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية، وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة إلا للموتة الأولى خاصة، فلا فرق إذا بين هذا وبين قوله: «وإن من الأتوتتتا الدنيا» الأنعام: ٢٩، في المعنى.

(٣: ٥٠٤)

الآلوسي: توحيها (الأولى) ليس لقصد مقابلة

كنا، فبطابقان، والمعهود (الموتة) التي تحبها الحياة
التيوتية، ولذلك استشهد بقوله تعالى ﴿ وَكُنْتُمْ
أَمْوَاتًا ﴾ الخ.

فليس اعتبار الوصف عدولاً عن الظاهر من غير
حاجة، كما قال ابن المنير.

وقوله في الاعتراض أيضاً: إن الموت التتابع على
الحياة الدنياوية لا يعبر عنه بالموتة لأن فيها لمكان
بناء المرة إشعاراً بالتجدد، والموت التتابع مستصحب
لم تعدد حياة مدفوع، كما قال صاحب «الكشف».

ثم إنه لا يلزم من تفسير «السَّوْتَةُ الْأُولَى» بما بعد
الحياة، في قوله تعالى: ﴿ لَا يَذْوُقُونَ فِيهَا السَّوْتَةَ إِلَّا
الَّذِينَ كَانُوا يَسْعَوْنَ فِي الدُّنْيَا ﴾، تفسيرها بذلك هنا، لأن
الجماع الذي عليها هناك قرينة أنها التي بعد الحياة الدنيا،
لأن ما قبل الحياة غير منقوص، ومع هذا كله الإنصاف أن
الذي هو الأول في الدنيا هو الأول في الآخرة، كما أن الذي
هو الأول في الآخرة هو الأول في الدنيا، بل هي
التي تارة إلى التهم عند الإطلاقي المعروفة بينهم، وأمر
الوصف بالموتة (الأولى) على ما سمعت أولاً.

وقيل: إثم وعدوا بعد هذه ثلثة مئة القبر وحياة
البعث، فقوله تعالى عنهم: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى ﴾
رد للموتة الثانية. (٢٥: ١٢٦)

الطباطبائي: وجه تقييد (الموتة) في الآية
بالموتة الأولى بأنه ليس بتقيد احترازي، إذ لا ملازمة بين
الأول والآخر، أو بين الأول والثاني، فمن الجائز أن يكون
هناك شيء أول ولا ثاني له، ولا في قبالة آخر، كما قيل.
وهناك وجه آخر ذكره الزمخشري. [ويعد لفظ قول

الثانية، كما في قوله: حج زيد الحجة الأولى، ومات.
قال الأسيدي في «التحفة الأولى» في اللغة: ابتداء
الشيء، ثم قد يكون له ثاني وقد لا يكون، كما تقول: هذا
أول ما اكتسبته، فقد تكتسب بعده شيئاً وقد لا تكتسب،
كذا ذكره جماعة، منهم الواحدي في تفسيره، والزمجاني.
ومن فروع المسألة ما لو قال:

إِنْ كَانَ أَوَّلُ وَلَدٍ تَلِدْنِي ذَكَرًا فَانْتِ طَالِقٌ، تُطْلَقُ (إذا
ولدت له وإن لم تلد غيره بالانتفاي).

قال أبو حنيفة: انفقوا على أنه ليس من شرط كونه
أولاً أن يكون بعده آخر، وإنما الشرط أن لا يتقدم عليه
غيره، انتهى.

ومنه يعلم ما في قول بعضهم: إن الأول يُضاهى
الآخر والثاني، ويقتضي وجوده بلا شبهة.

والثال إن صح طائفاً هو ليعين سوى تعدد الحجج
لما خترته المنيّة، فلهجه ثان باعتبار العزم من القول
الإطلاق، وأنه لا حاجة إلى أن يقال: إنها أول بالترتيب
إلى ما بعدها من حياة الآخرة، بل هو في حد ذاته غير
مقبول، لما قال ابن المنير: من أن «الأولى» إنما يعقلها
«أخرى» تشاركها في أخص معانيها، فكما لا يصح أو
لا يحسن أن يقال: جاءني رجل وامرأة أخرى، لا يقال:
الموتة الأولى، بالنسبة لحياة الآخرة.

[ويعد لفظ قول الزمخشري قال:]

ولمّا كان الثاني والإثبات لما كان لرد المتكرّر الممّر إلى
للصواب، كان منزلاً على إنكارهم، لا سيما والتعريف
في (الأولى) تعريف عهد، وقوله تعالى: ﴿ السَّوْتَةُ
الْأُولَى ﴾ تفسير للمجهول وهي على نحو: هي العرب تقول

الزَّمْشَرِيُّ قَالَ:

(أَبُو حَتَّىان ٨: ١٦٩)

الطَّبْرِيُّ: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح،
وهم الذين نزلهم الله بريح صرصر عاتية، وإياهم عني
بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِقَادِ إِزْمَ ذَاتِ الْإِعْبَادِ﴾
الفجر: ٦، ٧

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء
المدينة وبعض قراء البصرة (عاداً لولي) بترك الهمز
وجزم التون، حتى صارت اللام في (الأولي) كأنها لام
مفتلة، والعرب تفضل ذلك في مثل هذا. حكى عنها سماعاً
منهم: «أَمْ لَنْ عَنَّا»، يريد: أَمْ لَنْ الْآنَ، جزموا الميم لنا
حُرِّكَتِ اللَّامُ الَّتِي مَعَ الْأَلْفِ فِي «الآنَ». وكذلك تقول:
«صم اثنين»، يريدون: صم الاثنين.

وأما عامة قراء الكوفة وبعض المكِّيَّين، فإنهم قرأوا
ذلك بإظهار التون وكسرها، وهمز (الأولي) على اختلاف
بني سُلَيْمَانَ مِنَ الْأَعْمَشِ، فروى أصحابه عنه - غير القاسم
ابن مَن - موافقة أهل بلده في ذلك، وأما القاسم بن مَن
فحكى عنه عن الأعشى أنه ولفق في قراءته ذلك قراءة
المدينيين.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما ذكرنا من
قراءة الكوفيَّين، لأن ذلك هو الفصح من كلام العرب،
وأن قراءة من كان من أهل السليقة فعلى البيان
والتنخيم، وأن الإدغام في مثل هذا الحرف وترك البيان
إنما يوسع فيه لمن كان ذلك سجيته وطبعه من أهل
البادي.

فأما المولودون فإن حكمهم أن يتعزوا أفصح
للقراءات وأعلاها وأثبها، وإن كانت الأخرى جائرة

ويمكن أن يوجه بوجه ثالث وهو أن يقولوا: ﴿إِنْ
مِنْ إِلَّا مَوْتُنَا الْأَوَّلَى﴾ بعد ما سمعوا قوله تعالى: ﴿قَالُوا
رَبَّنَا أَمَنَّاتُنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْبِيتُنَا اثْنَتَيْنِ﴾ المؤمن: ١١، وقد
تقدم في تفسير الآية أن الإمامة الأولى هي الموت بعد
الحياة الدنيا، والإمامة الثانية هي التي بعد الحياة
البرزخية، فهم في قولهم: ﴿إِنْ مِنْ إِلَّا مَوْتُنَا الْأَوَّلَى﴾
يفنون الموت الثانية الملازمة للحياة البرزخية التي هي
حياة بعد الموت، فإنهم يرون موت الإنسان انعداماً له
وبطلاناً لذاته.

ويمكن أن يوجه بوجه رابع، وهو أن يرجع التثنية
به (الأولي) إلى الحكاية دون المعكي، وذلك بأن يقولوا
الذي قالوا إنما هو ﴿إِنْ مِنْ إِلَّا مَوْتُنَا﴾، ويكون
الكلام: أن هؤلاء يفنون الحياة بعد الموت، ويقولون: نحن
هي إلا موتتنا، يريدون: الموت الأولى من الموتين، ونحن
ذكرنا في قولنا: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَنَّاتُنَا اثْنَتَيْنِ﴾ الآية.
والوجوه الأربع مختلفة في القرب من القهم، فأقربها
لأنها ثم الرابع ثم الأول.

٥ - لَا يَذْوُونَ لَهَا الْخَوْتُ إِلَّا الْخَوْتُ الْأَوَّلَى.

الدخان: ٥٦.

رابع: الموت الأولى، في «م وَت».

٦ - وَأَلَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأَوَّلَى.

النجم: ٥٠.

الحسن: (الأولي) أي قبلكم. (الطوسي: ٩: ٤٣٩)

ابن زَيْد: هي من أول الأمم. (الطبري: ٢٧: ٢٨)

المُسَرَّد: عاد الأخيرة هي نمود.

غير مردودة.

(٢٧: ٧٧)

الزَّمَحْشَرِيَّ: عاد الأولى: قوم هود، وعاد الأخرى: إرم. وقيل: (الأولى) القدماء، لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح، أو المتقدمون في الدنيا الأشراف.

وقرى (عاداً لولى) و(عاد لولى) بإدغام التوين في اللام، وطرخ همزة أولى، ونقل ضمتها إلى لام التعريف.

(١: ٣٤)

الطُّبْرَسِيَّ: وهو عاد بن إرم، وهم قوم هود أهلكتهم الله بريح صرصر عاتية، وكان لهم عقب فكانوا عاداً الأخرى.

الفُخْرُ الزَّالِيَّ، قيل: (الأولى) تميزت من قوم كانوا بمكة هم عاد الآخرة. وقيل: (الأولى) لبيان تقدمهم لا تمييزهم، تقول: زيد العالم جاءني، فتمصفه لا تميزه، ولكن لتبين علمه.

وفيه قراءات: (عاداً الأولى) بكسر نون التنوين لالتقاء الساكنين، و(عاد الأولى) بإسقاط نون التنوين أيضاً لالتقاء الساكنين كقراءة ﴿عَزَّوَجَلَّ﴾ التوبة: ٢٠، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الله الصُّدَّةُ الإخلاص: ١، ٢.

و(عاداً لولى) بإدغام التوين في اللام ونقل ضمة الهمزة إلى اللام، و(عاداً لولى) بهمزة الواو.

وقرأ هذا القارئ على (سوقه)، ودليله ضعيف وهو يحتمل هذا في موضع (الموقدة) و(المؤعدة) للضمة والواو، فهي في هذا الموضع تجرى على الهمزة، وكذا في (سوقه) لوجود الهمزة في الأصل، وفي موسى، وقوله لا يحسن.

(٢٩: ٢٣)

الطُّرَطْبِيَّ: سحاه (الأولى) لأنهم كانوا من قبل نود، وقيل: إن نود من قبل عاد.

وقال ابن زيد قبل لها: (عاد الأولى) لأنها أول أمم أهلكت بعد نوح ﷺ. وقال ابن إسحاق: هما عادان فالأولى أهلكت بالترج الصرصر ثم كانت الأخرى فأهلكت بالضيحة.

وقيل: (عاد الأولى) هو عاد بن إرم بن حوص بن سام بن نوح، وعاد الثانية: من ولد عاد الأولى، والمعنى متقارب.

وقيل: إن عاد الآخرة الجبارون، وهم قوم هود.

(١٧: ١٢٠)

الطُّبْرَسِيَّ: ومنهم بالأولى ليس للاحتراز عن عاد الآخرة بل لتقدم هلاكهم بحسب الزمان، على هلاك سائر الأمم بعد قوم نوح.

قال في «التكملة»: وصف (عاد) بـ(الأولى) يدل على أن عاتية، فالأولى هي عاد بن إرم قوم هود، والثانية من ولدها، وهي التي قاتلها موسى ﷺ بأرمياء، كانوا تناسلوا من الهزيلة بنت معاوية، وهي التي نجت من قوم عاد مع بنينا الأربعة عمرو وعمرو وهامر والعديد، وكانت الهزيلة من المالبق.

الطُّبْرَسِيَّ: وهم قوم هود النبي ﷺ، ووصفوا بـ(الأولى) لأن هناك عاداً ثانية هم بعد عاد الأولى.

(١٩: ٥٠)

٧- هذا تذييل من التذير الأولى.

التجهم: ٥٦

راجع: التذير، في ذر.

٨- فَأَخَذَ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى.

التأوهات: ٢٥

ابن عباس: أما (الأولى) فعين قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ القصص: ٢٨، وأما (الآخرة) فعين قال: ﴿أَنَا وَرَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ التآوهات: ٢٤.

(الطبري ٣٠: ٤١)

مثله الضحالك. (الطبري ٣٠: ٤٢)

مجاهد: بين قول فرعون ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ وبين قوله: ﴿أَنَا وَرَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ أنهما من عند (الطبري ٣٠: ٤١)

﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾: أول عمله وآخره.

(الطبري ٣٠: ٤٢)

الحسن: الدنيا والآخرة. (الطبري ٣٠: ٤٢)

الكثير: نكال الآخرة من المسكة والأولى.

(الطبري ٣٠: ٤٢)

أبو ذؤيب: (الأولى): تكذيبه وعصيانه، و(الآخرة)

قوله: ﴿أَنَا وَرَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾. (الطبري ٣٠: ٤٢)

الطبري: عقوبة الآخرة من كلمته، وهي قوله:

﴿أَنَا وَرَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، والأولى قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ

إِلَهٍ غَيْرِي﴾. [وبعد نقل أقوال المفسرين قال:]

وقال آخرون: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة مجتل

الله له الفرق، مع ما أهدك من العذاب في الآخرة.

وقال آخرون: (الأولى): عصيانه ربه وكفره به،

و(الآخرة): قوله: ﴿أَنَا وَرَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾. (٣٠: ٤١، ٤٢)

الطباطبائي: المعنى: فأخذ الله فرعون، أي عذبه

ونكّله نكال الآخرة والأولى، وأما عذاب الدنيا فأغرقه

وأغرق جنوده، وأما عذاب الآخرة فعذابه بعد الموت،

فالمراد به (الأولى) و(الآخرة): الدنيا والآخرة.

وقيل: المراد به (الآخرة) كلمته الآخرة ﴿أَنَا وَرَبُّكُمْ

الْأَعْلَى﴾ التآوهات: ٢٤، و(الأولى) كلمته الأولى،

قالها قبل ذلك: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾

القصص: ٢٨، فأخذ الله بهاتين الكلمتين ونكّله نكاليهما.

ولا يخلو هذا المعنى من خفاء.

وقيل: المراد به (الأولى): تكذيبه ومعصيته المذكوران

في أول القصة، وبالأخرى: كلمة ﴿أَنَا وَرَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾

المذكورة في آخرها، وهو كساقته.

وقيل: (الأولى): أول معاصيه، و(الأخرى): آخرها،

والمعنى أخذ الله نكال مجموع معاصيه. ولا يخلو أيضاً من

خفاء. (٢٠: ١٨٩)

٩- وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى.

١٠- وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى.

قد بحثنا حول هاتين الآيتين في لفظة «الآخرة» من

مادة «أخ ر».

أُولَاهِمَا

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهِمَا بِنِقْمَتِنَا عَلَيْكُمْ عِتَادًا لَنَا أُولَى

بِئْسَ شَرِيحٌ قَبَّاحُوا خِلَالِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا.

الإسراء: ٥

راجع: وعد، في «وع د».

أُولِيهِمْ

قَالَتْ الْخَزِيزَةُ لِأُولِيهِمْ رَمَيْنَا هَؤُلَاءِ وَاحْتَلَوْا فَاتَيْنَهُمْ
عَذَابًا مُضَاعَفًا مِنَ النَّارِ... وَقَالَتْ أُولِيهِمْ لِأَخْزِيهِمْ لَمَا
كَانَ لَكُمْ غُلْبَتَايِمِنْ فَضْلٍ... (الأعراف: ٢٨، ٢٩)
لهذه الكلمة (أَخْزِيَهُمْ) بحث قد تقدم في مادة «أخ»
«ر».

أُولُوا الْعِلْمِ

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْعَسْكَرُكَ وَأُولُوا الْعِلْمِ
قَائِمًا بِالْقِسْطِ... (آل عمران: ١٨)

الحسن: المؤمنون. (أبو حنيفة: ٢: ٤٠٢)

السدي: المؤمنون كلهم.

مثل: الكلبي.

(القرطبي: ١: ٤١)

مقاتيل، مؤمنو أهل الكتاب. (القرطبي: ١: ٤١)

ابن كيسان: المهاجرون والأنصار.

(القرطبي: ١: ٤١)

الزمخشري: إن قلت: ما المراد «أُولُوا الْعِلْمِ» الذين

عظمهم هذا التظيم، حيث جمعهم معه ومع الملائكة، في

الشهادة على وحدانيته وحده؟

قلت: هم الذين يثبتون وحدانيته وحده بالعجب

الساطعة والبراهين القاطعة، وهم علماء العدل

(١: ٤١٨)

النفخ الزاوي، المراد من «أُولُوا الْعِلْمِ» في هذه

الآية الذين عرفوا وحدانيته بالدلائل القاطعة، لأن

لله شهادة إنما تكون مقولة إذا كان الإخبار مقروناً بالعلم،

ولذلك قال **عَلَّمَ** «إذا علمت مثل الشمس فاشهد»، وهذا

يدل على أن هذه الدرجة العالية والمرتبة الشريفة ليست

إلا لعلماء الأصول. (٧: ٢٢٠)

القرطبي: قد قيل: إن المراد «أُولُوا الْعِلْمِ»

الأنبياء **عليهم السلام**. وقال السدي والكلبي: المؤمنون كلهم،

وهو أظهر لأنه عام. (٤: ٤١)

أبو حنيفة: (أُولُوا الْعِلْمِ) قيل: هم الأنبياء، وقيل:

للعلماء، وقيل: مؤمنو أهل الكتاب، وقيل: المهاجرون

والأنصار، وقيل: علماء المؤمنين.

والمراد بأُولُوا الْعِلْمِ: من كان من البشر عالماً، لأنهم

يتقدمون إلى عالم وجاهل، بخلاف الملائكة فإنهم في

العلم سواء. (٢: ٤٠٢)

وهو علمهم وطعامهم قد اختلفوا في «أُولُوا الْعِلْمِ»، فقيل:

هم السجدة، وقيل: علماء أهل الكتاب، وذهب

الزمخشري إلى أنهم المستزقة والرازي إلى أنهم علماء

الأصول

وهذا من عجيب الخلاف، فإن «أُولُوا الْعِلْمِ»

لا يحتاجون إلى تعريف ولا تفسير، فهم أصحاب العلم

البرهاني القادرون على الإقناع، وهم معروفون في هذه

الآية، وهي الأسم السابقة. (٣: ٢٥٦)

أُولُوا الْقُرْبَىٰ

وَإِذَا خَضَعَ الْقِسْطَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسْكِينُ فَازَرُّوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا.

النساء: ٨

الزمخشري: متن لا يرشد. (١: ٥٠٣)

الطبرسي: أي فقراء قرابة الميت. (٢: ١١)

الْقَرُوبَى: المراد من «أولي القرى»: الذين يرثون، والمراد من (اليتامى والمساكين): الذين لا يرثون.

(١٩٧: ٩)

الْقَرُوبَى: بين الله تعالى أن من لم يستحق شيئاً إرثاً وحضر القصة، وكان من الأقارب أو اليتامى والفقراء الذين لا يرثون أن يكرموا ولا يعرموا، إن كان المال كثيراً ولا اعتذار إليهم إن كان عقالاً أو قليلاً لا يقبل الرخخ.

(٤٨: ٥)

الْأَلُوسِي: ممن لا يرث، لكونه صاحباً محجوباً، أو لكونه من ذوي الأرحام. والقرينة على إرادة ذلك ذكر الورثة قبله.

(٢١٢: ٤)

الطَّبَاطِبَانِي: ظاهر الآية أن المراد من حضورهم القصة: أن يشهدوا قصة التركة حينما يأخذ الورثة في اقتسامها، لا ما ذكره بعضهم أن المراد بحضورهم عند الميت حينما يوصي ونحو ذلك، وهو ظاهر.

وعلى هذا فالمراد من «أولي القرى»: الفقراء منهم، ويشهد بذلك أيضاً ذكرهم مع (اليتامى والمساكين).

(٢٠٠: ٤)

أُولُوا الْأَرْحَامِ

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ قَالُوا لَكَ بِنُفُسِكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ يَفْضُلُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِكِتَابِ اللَّهِ.

ابن عباس: وذوو الأرحام والأقربة بعضهم أحق بميراث بعضهم من غيرهم.

(الطبرسي ٢: ٥٦٣)

مثله الحسن.

الطَّبَاطِبَانِي: والمتناسبون بالأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث.

(٥٧: ١٠)

الطُّوسِي: ومعنى (أولوا) ذوو، واحد: ذو، ولا واحد له من مثله.

(١٩٢: ٥)

الْمَيَّيْدِي: الأقرباء الذين تجمعهم بالقرب رحم واحدة أو ينسبون إلى أب واحد، بعضهم أولى ببعض في الميراث من الأجانب.

(٨٤: ٤)

أُولُوا الطُّوُلِ

وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِهَا وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطُّوُلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذُرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاهِلِينَ.

التوبة: ٨٦

راجع: الطُّول، في «ط و ل».

أُولُوا الْعِزْمِ

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ.

الأحقاف: ٢٥

ابن عباس: «أولوا العزم من الرسل»: من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه، وهم خمسة: أولهم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمد ﷺ.

مثله قتادة: (الطبرسي ٥: ١٩٤)

ذوو العزم والعزم.

كل الرسل كانوا أولي عزم. (القرطبي ١٦: ٢٢٠)

أبو العالية: هم إبراهيم وهود ونوح، ورابعهم محمد ﷺ.

(الطبرسي ٥: ٩٤)

الشَّعْبِي، هم الَّذِينَ أُسْرُوا بِالْقِتَالِ فَأُظْهِرُوا
الْمُكَاشَفَةَ، وَجَاهَدُوا الْكُفْرَةَ.

مثله الْكَلْبِيُّ وَتُجَاهِد.

(الْقُرْطُبِيُّ ١٦: ٢٢٠)

نَحْوُ الشَّدْيِ.

(الطَّبْرِسِيُّ ٥: ٩٤)

تُجَاهِدُ: هم خَمْسَةٌ: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى،
وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَهُمْ أَصْحَابُ
الشَّرَائِعِ.

(الْقُرْطُبِيُّ ١٦: ٢٢٠)

مثله الطَّاءِ.

(الطَّبْرِيُّ ٢٦: ٣٧)

الضَّحَّاكُ: ذُو الْجَمَّةِ وَالْعَبْرِ.

(الْمَيْكِيُّ ٩: ١٦٧)

الْحَسَنُ: (أُولُو الْعِزْمِ) أَرْبَعَةٌ: إِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى،

وِدَادُ، وَعِيسَى.

(الْقُرْطُبِيُّ ١٦: ٢٢١)

الْإِمَامُ الْبَاهِقُ: إِنَّمَا سَمُّوا «أُولِي الْعِزْمِ» لِأَنَّهُمْ جُهِدَ

إِلَيْهِمْ فِي عَمْدِ الْكَلْبِ، وَالْأَوْصِيَاءُ مِنْ بَعْدِهِ، وَالْمُهَدِّي

وَمِيرَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاجْمَعُ عِزْمَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَالْإِقْرَارُ بِهِ.

(الْمُكَاشَفَةُ ٥: ١٩)

قِتَادَةٌ: كُنَّا نَحْدِثُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ مِنْهُمْ.

(الطَّبْرِيُّ ٢٦: ٣٧)

الشَّدْيِ: هم سِتَّةٌ: إِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَدَاوُدُ،

وَسُلَيْمَانُ وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(الْقُرْطُبِيُّ ١٦: ٢٢٠)

الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَاعَةَ بَيْنَ مَهْرَانَ قَالَ: قُلْتُ

لَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاصْبِرْ نَفْسَكَ

صَبْرًا أَوْ لَوْ أَنَّ الْقَوْمَ مِنَ الرُّسُلِ﴾؟

فَقَالَ: نُوْحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى،

وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قُلْتُ: كَيْفَ صَارُوا (أُولُو الْعِزْمِ)؟

قَالَ: لِأَنَّ نُوحًا بَعَثَ بِكِتَابٍ وَشَرِيعَةٍ، وَكُلٌّ مِنْ جَاءَ

بَعْدَ نُوحٍ أَخَذَ بِكِتَابِ نُوحٍ وَشَرِيعَتِهِ وَمَنْهَاجِهِ، حَتَّى جَاءَ

إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالشُّعْفِ وَبِعِزْمَةِ تَرْكِ كِتَابِ نُوحٍ لَا كُفْرًا بِهِ،

فَكُلُّ نَبِيٍّ جَاءَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ أَخَذَ بِشَرِيعَتِهِ وَمَنْهَاجِهِ

وَبِالشُّعْفِ، حَتَّى جَاءَ مُوسَى بِالتَّوْرَةِ وَشَرِيعَتِهِ

وَمَنْهَاجِهِ وَبِعِزْمَةِ تَرْكِ الشُّعْفِ، فَكُلُّ نَبِيٍّ جَاءَ بَعْدَ مُوسَى

أَخَذَ بِالتَّوْرَةِ وَشَرِيعَتِهِ وَمَنْهَاجِهِ، حَتَّى جَاءَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِالْإِنْجِيلِ وَبِعِزْمَةِ تَرْكِ شَرِيعَةِ مُوسَى وَمَنْهَاجِهِ، فَكُلُّ نَبِيٍّ

جَاءَ بَعْدَ الْمَسِيحِ أَخَذَ بِشَرِيعَتِهِ وَمَنْهَاجِهِ، حَتَّى جَاءَ

مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَاءَ بِالْقُرْآنِ وَبِشَرِيعَتِهِ وَمَنْهَاجِهِ، فَحَلَّاهُ

حِلَالًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَرَامَهُ حَرَامًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

فَهَذَا (أُولُو الْعِزْمِ) مِنَ الرُّسُلِ. (الطَّبْرِسِيُّ ٥: ٢٢٢)

مُقَاتِلٌ: هم سِتَّةٌ: نُوحٌ صَبَرَ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ،

وَإِبْرَاهِيمُ صَبَرَ عَلَى النَّارِ، وَإِسْحَاقُ صَبَرَ عَلَى الذَّبْحِ،

وَيَعْقُوبُ صَبَرَ عَلَى فَقْدِ الْوَلَدِ وَذَهَابِ الْبَصَرِ، وَيُوسُفُ

صَبَرَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَأَيُّوبُ صَبَرَ عَلَى الطُّرِّ

وَالْبَلْوَى.

(الطَّبْرِسِيُّ ٥: ٩٤)

ابْنُ جُرَيْجٍ: إِنَّ مِنْهُمْ إِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ وَأَيُّوبَ،

وَلَيْسَ مِنْهُمْ يُونُسُ وَلَا سُلَيْمَانُ وَلَا آدَمُ.

(الْقُرْطُبِيُّ ١٦: ٢٢٠)

ابْنُ زَيْدٍ: كُلُّ الرُّسُلِ كَانُوا أُولِي عِزْمٍ، لَمْ يَتَّخِذْ اللَّهُ

رَسُولًا إِلَّا كَانَ ذَاهِمًا، فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا.

(الطَّبْرِيُّ ٢٦: ٣٧)

نَحْوُ الْجُبَانِيِّ.

(الطَّبْرِسِيُّ ٥: ٩٤)

الْإِمَامُ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا سَمِّيَ (أُولُو الْعِزْمِ) لِأَنَّهُمْ

كَانُوا أَصْحَابَ الْعِزَامِ وَالشَّرَائِعِ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ كَانَ

بعد نوح كان على شريعته ومنهاجه وتاباً لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل، وكلّ نبيّ كان في أيام إبراهيم وبعده كان على شريعته ومنهاجه وتاباً لكتابه إلى زمن موسى، وكلّ نبيّ في زمن موسى أو بعده كان على شريعته وتاباً لكتابه إلى أيام عيسى، وكلّ نبيّ كان في زمن عيسى أو بعده كان على منهاج عيسى وشريعته وتاباً لكتابه إلى زمن نبينا محمد ﷺ، هؤلاء الخمسة هم أفضل الأنبياء والرسل ﷺ، وشريعة محمد إلى يوم القيامة ولانبي بعده إلى يوم القيامة. فمن ادعى بعده نبوة أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكل من سمع ذلك منه. (البحراني ١: ١٢٩)

الطَّبَرِيُّ: الَّذِينَ لَمْ يَنْهَوْا عَنْ التَّوَلُّدِ لِأَمْرِ مَا نَالَهُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةٍ.

وقيل: إن أولى العزم منهم، كانوا الذين امتنعوا في ذات الله في الدنيا بالحق، فلم تزد لهم الحق إلا جحداً في أمر الله، كنوح، وإبراهيم، وموسى، ومن أشبههم. (٢٦: ٣٧) **الْقَمِّيّ**: هو نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم، ﷺ، ومحمد ﷺ، ومعنى أولى العزم: أنهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار بالله، والإقرار بكلّ نبيّ كان قبلهم وبعدهم، وعزموا على الصبر مع التكذيب والأذى.

(٢: ٣٠٠) **الطُّوسِيّ**: قال قوم: (أولوا العزم) هم الذين يبتون على عقد القيام بالواجب واجتناب المحرم، فعلى هذا الأنبياء كلّهم أولوا العزم، ومن قال ذلك جعل (من) هاءاً للثبوت لا للتبويض. ومن قال: إن أولى العزم طائفة من الرسل وهم قوم مخصوصون، قال (من) هاءاً للتبويض

وهو الظاهر في روايات أصحابنا، وأقوال المفسرين.

(٩: ٢٨٦)

الْمَيْبُودِيّ: قال بعضهم: الأنبياء كلّهم أولوا العزم إلا يونس لمجلة كانت منه، ألا ترى أنه قيل للنبي ﷺ: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾.

وقيل: هم الذين ذكرهم الله في سورة الأنعام، لقوله بعد ذكرهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِ﴾. (الأنعام: ٩٠).

وقيل: هم سكة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وهم المذكورون على التسق في سورة الأعراف والشعراء. (٩: ١٦٨)

الطُّبْرَسِيّ: العزم هو الوجوب والمهرم (أولوا العزم من الرسل) هم الذين شرعوا الشرائع وأوجبوا على الناس الأخذ بها، والامتناع عن غيرها. (٥: ٩٤)

الْفَطْرُ الزَّازِقِيّ: في الآية قرآن:

الأول: أن تكون كلمة (من) للتبويض، ويراد: (أولوا العزم) بعض الأنبياء. قيل: هم نوح صبر على أذى قومه، وكانوا يضربونه حتى يُشفي عليه، وإبراهيم على النار وذبح الولد، وإسحاق على الذبح، ويعقوب على فقدان الولد وذهاب البصر، ويوسف على الحبس والسجن وأيوب على الضر، وموسى قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَدْرِكُونَ﴾ الشعراء: ٦٦، قال: ﴿كَأَلَا إِنَّ صِينَ رَبِّي مَتَّعِينِ﴾ الشعراء: ٦٢، ودلّو بكى على ذنوبه أربعين سنة، وعيسى لم يضع نبتة على لبته، وقال: إنها مخرّبة فاصبروها ولا تسروها، وقال الله تعالى في آدم: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ طه: ١١٥، وفي يونس: ﴿وَلَا تَكُنْ

كُضَائِبِ الْحَوْبِ» القلم: ٤٨.

والقول الثاني: أَنْ كُلَّ الرُّسُلِ أُولُو عِزٍّ وَلَمْ يَبْتَ لَهِ رَسُولًا إِلَّا كَانَ ذَاهِزًا وَحَزَمًا وَرَأْيًا وَكِبَالًا وَعَقْلًا وَلَقِظَةً (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: (مِنْ الرُّسُلِ) تَبَيَّنَ لَاتَّبَعِيضُ. كَمَا يَقَالُ: كَتَبْتُهُ مِنَ الْخُفْرَةِ. وَكَأَنَّهُ قِيلَ: اصْبِرْ كَمَا صَبَرَ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِكَ عَلَى أَذَى قَوْمِهِمْ، وَوَضَعَهُمْ (الْعِزَّمَ) لَصَبْرِهِمْ وَبَنَانِهِمْ.

الْقُرْطُبِيُّ: قِيلَ: هُمْ نَبِيَاءُ الرُّسُلِ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، وَهُمْ ثَمَانِيَةٌ عَشْرًا: إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَنُوحَ، وَدَاوُدَ، وَسُلَيْمَانَ، وَأَيُّوبَ، وَيُوسُفَ، وَمُوسَى، وَهَارُونَ، وَذَكَرِيَّا، وَيَحْيَى، وَعِيسَى، وَإِلْيَاسَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَالْيَسَعَ، وَيُونُسَ، وَلُوطَ. وَاخْتَارَهُ الْمُسْلِمُونَ الْفَضْلَ لِقَوْلِهِ فِي عَقِبِهِ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِإِحْسَانٍ يُدْعَى» (أُولُوا الْعِزَّمَ) اتَّعَاكَ رَحْمَتِي وَكَرَمِي. فَقِيلَ: هُمْ نَبِيَاءُ الرُّسُلِ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ٩٠.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (أُولُوا الْعِزَّمَ) اتَّعَاكَ رَحْمَتِي وَكَرَمِي. فَقِيلَ: هُمْ نَبِيَاءُ الرُّسُلِ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ٩٠. وَاقْتَضَى ذَلِكَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ اخْتَارُوا لِأَهْلِكُمْ. إِنْ شِئْتُمْ أَنْزَلْتُ بِكُمْ الْعَذَابَ وَأَنْجَيْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنْ شِئْتُمْ نَجَّيْتُكُمْ وَأَنْزَلْتُ الْعَذَابَ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ.

فَتَشَاوَرُوا بَيْنَهُمْ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يُنْزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ وَيُنْجِيَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَاتَّجَمَعَ اللَّهُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنْزَلَ بِأُولَئِكَ الْعَذَابَ. وَذَلِكَ أَنَّهُ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ مُلُوكَ الْأَرْضِ، فَهَمُّ مِنْ تُشْرٍ بِالْمُنَاشِيرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَلَخَ جِلْدَةَ رَأْسِهِ وَوَجَّهَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَلَبَ عَلَى الْخُتْبِ حَقَّ مَاتَ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَزَّقَ بِالْأَثَارِ. (١٦: ٢٢٠)

أَبُو حَيَّانَ: أُولُوا الْعِزَّمَ مِنَ الرُّسُلِ وَهُمْ مَنْ حَفِظَ لَهُ شِدَّةٌ مَعَ قَوْمِهِ وَبِمَاهِدَةٍ، فَتَكُونُ (مِنْ) لَاتَّبَعِيضُ.

(٨: ٦٨)

الْبُزْوَينِيُّ: [بِدَقِّ قَوْلِ الْأَقْوَالِ الْمُفْتَسِرِينَ قَالَ:] يَقُولُ الْفَقِيرُ: لَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَضَّلَ أَهْلَ الْوَحْيِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِبَعْضِ الْخَصَائِصِ، وَإِنْ كَانُوا مُتَسَاوِينَ فِي أَصْلِ الْوَحْيِ وَالشُّبُوهَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَبَرَّكَ الرُّسُلَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» الْبَقَرَةُ: ٢٥٣. وَكَذَا بَازٍ بَيْنَهُمْ فِي مَرَاتِبِ الْإِبْتِلَاءِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمْ لَا يَخْلُوعُ الْإِبْتِلَاءَ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ أَمْرَ الدَّعْوَةِ مَبْنِيٌّ عَلَيْهِ، فَأُولُوا الْعِزَّمَ مِنْهُمْ لَوْ أَنَّ غَيْرَهُمْ مِنَ الرُّسُلِ. وَكَذَا الرُّسُلُ فِي الْأَنْبِيَاءِ. وَأَمَّا نَبِيَّاؤُنَا فَأَهْلُ أُولَى الْعِزَّمَ، دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَرَأَيْنَا تَحَلَّى عَظِيمًا» الْقَلَمُ: ٤.

فَإِنَّ كَوْنَهُ (عَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ) يَسْتَدْعِي شِدَّةَ الْإِبْلَاءِ، وَكَذَا قَالَ: «مَا أَوْذَى نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أَوْذِيْتُ» فَفَرَّقَ بَيْنَ عِزِّهِمْ وَعِزِّهِمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَا تَكُنْ كَظُلُمِ الْأَنْبِيَاءِ» الْقَلَمُ: ٤٨، مَعَ قَوْلِهِ: «إِذْ ذَهَبَ مُطَاوِبًا» الْأَنْبِيَاءِ: ٨٧. دَلَّ عَلَى أَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ صَدْرَتِ الشَّجَرَةُ. وَقَوْلُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَنَسْنَأْ عُقَابًا لِنُفُوسِهِ» يُونُسَ: ٥٠، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ صَدْرَتِ التَّرْكِيَةُ. وَقَوْلُ لُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ لَأُبْرِي إِلَى رُءُوسِ شُرَيْكِهِ» هُودَ: ٨٠، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ ذَهَلَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ رَكْنَهُ الشَّدِيدَ، وَقَسَّ عَلَى هَذَا الْمَذْكُورَ قَوْلُ عَزْرَةَ: «قَالَ أَنَّى يُخْبِرُ غَيْرُهُ اللَّهَ بِغَدِّ مَوْتِنَا» الْبَقَرَةُ: ٢٥٩، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَظَهَرَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مُتَفَاوِتُونَ فِي دَرَجَاتِ الْعَارِفِ، وَمَرَاتِبِ الْإِبْتِلَاءِ، وَطَبَقَاتِ الْعِزِّ.

قال بعضهم: (أولوا العزم) من لا يكون في عزمه نسخ ولا في طلبه نسخ، كما قيل لبعضهم: لم وجدت ما وجدت؟ قال: بعزيمة كعزيمة الرجال، أي الرجال البالغين مرتبة الكمال. (٤٩٥: ٨)

الألوسي: [بعد نقل أقوال المفسرين قال:]

ولعل الأولى في الآية القول الأول [قول ابن زيد] وإن صار (أولوا العزم) بعد مختصاً بأولئك الخمسة عليهم الصلاة والسلام عند الإطلاق، لاشتهارهم بذلك كما في الأعلام الغالبة، فكانه قيل: فاصبر على الدعوة إلى الحق ومكابدة الشدائد، كما صبر إخوانك الرسل قبلك.

(٣٦: ٣٥)

الطباطبائي: قد أمر الله سبحانه في هذه الآية ﷺ أن يصبر ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ وفيه تلويح إلى أنه ﷺ منهم، فليصبر كصبرهم. ومعنى (العزم) ما هنا إما الصبر كما قالوا، فيصبر كما صبر

قوله تعالى: ﴿وَكُنْ صَبِرًا وَفَعَلْنَا إِنَّ ذَلِكَ لَرِيسٌ عَزِيمٌ﴾ الشورى: ٤٣.

وإما العزم على الوفاء بالميثاق المأخوذ من الأنبياء، كما يلوح إليه قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ طه: ١١٥.

وإما العزم بمعنى العزيمة، وهي الحكم والشرية. وعلى المعنى الثالث، وهو الحق الذي تذكره روايات أنه أهل البيت عليهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ وعليهم، لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ الشورى: ١٣، وقد

من تقريب معنى الآية.

وعن بعض المفسرين أن جميع الرسل (أولوا العزم)، وقد أخذ (من الرسل) بياناً لأولي العزم، في قوله: ﴿أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

وعن بعضهم أنهم الرسل الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام: ٨٢ - ٩٠، لأنه تعالى قال بعد ذكرهم: ﴿فَسَبِّحْهُمْ اقْتِدَاءً﴾.

وفيه أنه تعالى قال بعد عددهم: ﴿وَمِنْ أُنْبِيَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَخْوَالِهِمْ﴾ الأنعام: ٨٧ ثم قال: ﴿فَسَبِّحْهُمْ اقْتِدَاءً﴾ ولم يقل ذلك بعد عددهم بلا فصل، [وبعد نقل أقوال المفسرين قال:] وهذه الأقوال بين عالم يستدل

عليه بشيء أصلاً وبين ما استدل عليه بالأدلة فيه. ولذا أغضنا عن نقلها. وقد تقدم في أبحاث الثبوت في الجزء الثاني من الكتاب بعض الكلام في أولي العزم من الرسل ﷺ إن شئت. (١٨: ٢١٨)

عبدالكريم الخطيب: من هم ﴿أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾؟ وهل من الرسل ما لا يتصف بهذه الصفة؟ ثم ألا يكون عدم اتصاف الرسل بتلك الصفة مما يُنافي المهمة المنتدب لها من السماء؟

اختلف المفسرون في تحديد أولي العزم من الرسل والرأي على أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، ولا شك أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهو المقصود بهذا الأمر، كان يعرف عن يقين من هم ﴿أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أما غير الرسول فإنه ليس مطالباً بأن يعرف من هم ﴿أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾؛ بل لم يكن لغير الرسول شيء في هذا

٢ - وَلَوْ زِدُوهُ إِلَى الرُّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ
لَقَطَعْتَهُ الَّذِينَ يَسْتَبْطِئُونَهُ مِنْهُمْ... النساء: ٨٣
المباحث المتعلقة بياتين الآيتين قد تقدمت في (أولى
الأمر) فراجع هام رقمه.

الوجوه والنظائر

التأويل

مقاتيل: تحير «تأويل» على حصة وجوه:
فوجه منها: (تأويله) يعني منتهى كم يملك محمد
وأنته! ذلك قوله: «ابْتِغَاءَ الْيَقِينِ وَالْإِنْفَاءِ تَأْوِيلُهُ»
آل عمران: ٧، يعني منتهى كم يملك محمد وأنته! وذلك لأن
الأنبياء أرادوا أن يعلموا - من قبل حساب المثل - كم
يملك محمد وأنته. ثم ينقضي ملكه، ويرجع الملك إلى
اليهود! قال الله: «وَنَسَا يَسْأَلُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ»
آل عمران: ١٧، يعني وما يعلم تأويل كم يملك محمد وأنته
إلا الله، لا يعلم ذلك إلا الله بأنهم يملكون إلى يوم القيامة،
ولا يرجع الملك إلى اليهود.

والوجه الثاني: (تأويله) يعني عاقبة ما وعد الله في
القرآن من الخير والشر يوم القيامة، لذلك قوله: «وَمَنْ
يُظْهِرُ إِلَّا تَأْوِيلَهُ» الأعراف: ٥٣، يعني ما يظن كفار
مكة (إلا تأويله) يعني عاقبته، وما وعد الله في القرآن
على السنة الرُّسل من الخير والشر.

وقال أيضاً: «يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ» الأعراف: ٥٣،
يعني يوم القيامة يأتي عاقبة ما وعد الله في القرآن من
الخير والشر.

وقال أيضاً: «يَوْمَ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا بِهِمْ لَكُمُ

الأمْر الموجه إليه من ربه، إذ كان استئصال هذا الأمر،
والوفاء به، هو مما يطالب به النبي وحده، لما أثنى الله من
فضله، من نفس عظيمة تشع لهذا الأمر العظيم، والله
سبحانه وتعالى يقول: «لَا يَكْتَلِفُ اللَّهُ تَلْئِذَا إِلَّا وَمَنْهَا»
البقرة: ٢٨٦، وإن كان هذا لا يمنع من أن يكون لنا في
رسول الله أسوة، في مقام الصبر على ما تهتلى به من
شدائد.

أما أن يكون هناك من الرُّسل من لا يتصف بهذه
الصفة، فذلك ما صرح به القرآن في قوله تعالى من
آدم عليه السلام: «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَسِيتٍ وَلَمْ يُحِذْ
لَهُ غَرَضًا» طه: ١١٥، وقوله تعالى عن يونس عليه السلام:
«فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ»
القلم: ٤٨.

فالرُّسل عليهم الصلاة والسلام وإن كانوا أكمل
الناس كمالاً وأكرمهم مقاماً، هم في كمالهم ومقامهم النقص
لا يساميه أحد من البشر درجات، بعضها فوق بعض،
كما يقول سبحانه: «يَلِكُ الرُّسُلُ فَضُلًا بِخُسْفٍ»
بعض: البقرة: ٢٥٢.

وإذا كان في الرُّسل القاضل والمفضول، فإن
هذا - كما قلنا - لا ينقص من قدر المفضول، إذ كان - وهو
في مقامه هذا - على هامة الكمال المتاح للبشر، من غير
رسل الله. (١٣: - ٣٠)

أولى

١ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ
وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ... النساء: ٥٩

يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴿يونس: ٢٩﴾ يعني عاقبة ما وعد الله في القرآن أنه كائن في الآخرة من الوعيد.

والوجه الثالث: (تأويل) يعني تعبير الرؤيا، فذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَّبُّكَ وَيُغْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَخَادِيثِ﴾ يوسف: ٦، يعني تعبير الرؤيا.

وقال: ﴿وَلِنَقْلُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَخَادِيثِ﴾ يوسف: ٢١، يعني تعبير [الرؤيا].

وقال أيضاً: ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَخَادِيثِ﴾ يوسف: ١٠١، يعني تعبير الرؤيا.

والوجه الرابع: (تأويل) يعني تحقيق، فذلك قول يوسف: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ يوسف: ١٠٠، يعني تحقيق رؤياي.

والوجه الخامس: (تأويله) يعني ألوانه، فذلك قول يوسف لصاحبي السجن: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزَكَّاياهُ إِلَّا نَكَّائِكُمَا بِتَمَّامٍ بِهِ﴾ يوسف: ٢٧، يعني ألوانه، يعني ألوان الطعام من قبل أن يأتكما.

مسئله الدامغاني (١٨٨)، والتفسير لبادي (بصائر ذوي التمييز ٢: ٢٩١).

الأول

مُقاتِل: تفسير «أول» على أربعة وجوه:

فوجه منها: (أول) يعني أول من كفر بالشيء من اليهود على عهد النبي، فذلك قوله ليهود المدينة: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرِينَ بِوَيْهِ الْبَقَرَةِ: ٤١﴾ يعني أول من كفر بالنبي ﷺ من اليهود.

والوجه الثاني: (أول) يعني أول من آمن بالله من

أهل مكة، فذلك قوله للنبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلزَّاهِلِينَ وَلَدٌ فَأَنَا لَوَلَّى السَّاعِدِينَ﴾ الزخرف: ٨١، يعني أول الموحدين من أهل مكة، كقوله: ﴿قُلْ إِنْ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ الأنعام: ١٤، من أهل مكة.

والوجه الثالث: (أول) يعني أول المؤمنين بأن الله لا يرى في الدنيا، فذلك قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنَّ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ لَئِبْطٌ جَعَلَ ذِكْرًا وَخَرَّ مُوسَى سُجَّدًا فَلَمَّا أَكَلَى قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ١٤٣، يقول: أنا أول المصدقين بأنك لن ترى في الدنيا.

والوجه الرابع: (أول) يعني أول المؤمنين من بني إسرائيل لموسى وهارون، فذلك قول السحرة بعد ما أسلموا حين أوحدهم فرعون بالقتل: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمَا خَطَايَاكُمْ أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ٥١، يعني أول المصدقين من بني إسرائيل بما جاء به موسى.

الدامغاني: «أول» على خمسة أوجه: [ذكر مثل مُقاتِل وقد أضاف وجهًا خامسًا وهو:]

الوجه الخامس: (أول) هو الله تعالى، قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ الحديد: ٣.

الفيروز ابادي: قدورد «الأول» في نص القرآن على اثني عشر وجهًا:

الأول: بمعنى بيت الله الحرام ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: ٩٦.

الثاني: بمعنى الكلم موسى ﷺ ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا

أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿الأعراف: ١٤٢﴾

الثالث: بمعنى الكفار من اليهود ﴿وَلَا تَكُونُوا أَكُونُ
كَافِرِينَ﴾ البقرة: ٤١.

الرابع: بمعنى سيد المرسلين ﴿فَأَنَّا أَكُونُ الْقَائِدِينَ﴾
الزخرف: ٨١ ﴿وَأَمِزْتُ لِأَنِّي أَكُونُ أَكُونُ الْمُتَلَبِّينَ﴾
الزمر: ١٢.

الخامس: بمعنى سحرة فرعون ﴿أَنِّي كُنْتُ أَكُونُ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ٥١.

السادس: بمعنى قوم عيسى وقت نزول المائدة
﴿تَكُونُ لَنَا حَبِيبًا لِأَوْلَانَا وَأَخِرَانَا﴾ المائدة: ١١٤.
السابع: بمعنى أهل العقوبة في النار ﴿وَقَالَتْ لَوْلِيَهُمْ
لَا تُخْرِجُهُمُ﴾ الأعراف: ٣٩.

الثامن: بمعنى المظلومين من بني إسرائيل ﴿فَأَنَّا جَاءَهُمْ
وَعَدُ أُولَئِهِمْ﴾ الإسراء: ٥.

التاسع: في تشبيه سيد المرسلين بالأنبياء
الماضين ﴿كَفَا أَرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ الأنبياء: ٥.

العاشر: بمعنى مجمع الخلائق في مُسْكِرِ الْمَأْمَرِ ﴿قُلْ
إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ المائدة: ٤٩، ٥٠.
الحادي عشر: في خضوع سيد المرسلين وخشوعه،
وانقياده حبال الصلاة ﴿وَسِذْلَكَ أَمِزْتُ وَأَنَا أَكُونُ
الْمُتَلَبِّينَ﴾ الأنعام: ١٦٣.

الثاني عشر: في الجمع بين صفتي الأوليّة والآخريّة
للحق تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ الحديد: ٣.

وأما من طريق المعنى فإنه يأتي على ستة أوجه: إمّا
على سبيل التّرتيب، كالقفل والفاعل، وإمّا على حكم
التّرتيب، كالتّشبيه والجسميّة، وإمّا من طريق التّركيب

كالقرد والبيط مع المركّبات، وإمّا بحسب النقل،
كالبدعيّات مع الاستدلالات، وإمّا بطريق الميسر،
كالضروريّات مع القضايا، وإمّا على حكم المجاورة،
كالتّشبيها مع الآخرة. (جواهر ذوي التّفسير ٢: ٨٦)

الأصول اللّغويّة

١- الأصل في هذه المادّة هو «الرجوع»، يقال:
طهخت التّيب أو الدّواء، قال إلى الثّلت أو الثّرب، أي رجّع.
ومنه: التّأويل، أي المرجع والمصير، يقال: أوّل إليه
الشيء: أرجعه، وأوّل الكلام وتأوّلته: فسّره، وآل فلرجل
ماله يؤوله إيّاه: أصلحه وسأه، وآل رعيته يؤولها:
أحسن سياستها.

وجه أيضاً: الأك، بمعنى الأهل والأقربين، لأنّهم
يؤولون إلى من ينتمون إليه بقراءة أودين، وهو يؤول
الشيء: أرجعه، وأوّل الكلام وتأوّلته: فسّره، وآل فلرجل
ماله يؤوله إيّاه: أصلحه وسأه، وآل رعيته يؤولها:
مثل: آن.

وقيل: ليس عين «آله» ولو، بل هي همزة أوألف
مبدئة من هاء، فأصله: أهل، بدليل قولهم في تصغيره:
أهليل.

ولكنّا نرى أنّ كلّاً منها أصل بنفسه، وأنّ ما احتجّ
به مجموع بمايلي:

أ- لعلّ لفظ «أهليل» هو تصغير «أهل» دون «آل»،
لأنّهم قالوا في تصغير هذا الأخير: أوّل، فلا يمكن لهبّ
بأن يكون لفظ «أهليل» تصغيراً لكليهما. رغم قول كثير
منهم به.

ب - ما قبلوا به من إبدال الهمزة من الهاء - على قول -
لا يعبأ أن يكون لغة لبعض القبائل، فتلاً تسم تقول:
هيات، والمجازيون يقولون: أيات. ولما إبدال الألف
من الهاء - على قول آخر - فلا شاهد له في اللغة.

ج - إن الألفاظ: هنر وأثر، وهيات وأيات، وماء
وماء وغيرها، لا تفرق فيما بينها في المعنى، إلا أن «الآل»
يستعمل استعمالاً مغايراً عن «الأهل»، كما تقدم في
التصريح، وقد اجتمعنا في قول السيد الحسيني النحوي
سنة (١٧٢٣ هـ) مادحاً ذوي فهم النبي ﷺ:

وأنت خير من يشي على قدم

وهم لأحمد أهل البيت والآل

٢ - والآل والأهل واحد معنى، إلا أن الأول يختص
عن الثاني بمعنى الشرف والرقة، ويفرق الثاني
الأول بالسكن والأنس، فإن قيل: آل فلان، فيلزم
قربته وأتباعه الذين يركن إليهم، ويسمونهم قبيلاً،
به، وتدخل الزوجة في الآل أيضاً، وإن قيل: أهل فلان،
يعني زوجته ومن يختص به ويأنس. وقد يدخل فيه
القربة والأتباع أيضاً. لاحظ «أهل».

٣ - وليس «الأول» - بمعنى الأحق والأجدر - من
هذه المانقة، فهو أهل من «ول ي»، ولا «المول»: الملجأ،
فهو قليل من «وأل» وكذا «الآل»، فهو من «أيل»،
الآثرى أن الثوار لا تظهر حين الجمع على «أيايل»
أو «أيايل»، كما ظهرت في «آوته»: جمع أولان، و«مأوز»:
جمع مأوزة، مثلاً؟ والصحيح أن نطقي «أيل» و«أيايل»
عينيها ياء، مثل: أيم وأيايم، من «أي م».

وأما «ألى» بمعنى «الذين»، فقد أردفه ابن سيدة

بفضل الهمزة واللام والياء، وقال: ذكرته هنا، لأن
سيبويه قال: «ألى» بمنزلة «جدي».

وكذا «أولو» و«آلات» و«آلاء» و«أولئك»، فهي من
«أل و» على الأرجح، فلاحظ.

٤ - وقد أردف أرباب المعاجم الحديثة المفردات: أول،
والآلات، والآء، وهؤلاء، وأولئك، بمادة (أول) رغم أن
الرجل الأول ومن تلاهم من اللغويين قد عدوها من
مادة (أل و) أو (أل ي)، إذ صرح ابن جني بأن «آلاء»
- اسم الإشارة - على وزن (أفعال)، وجعل تصديره
«أليئاً»، وكذلك فعل الجوهري.

يبد أن المتأخرين عاملوا الخط لهذه المفردات، حيث
تلقوا من المتقدمين الذين أنبتوا «أولاً» - في الخط دون
اللفظ - بين الهمزة واللام فيها، هذا لفظ «هؤلاء»، وهذا
صريح في رسم الخط القرآني وفي بعض المعاجم
التي أخرجها عن الخط، فتوقعوا أن عينيها «واو»، كالأوز
والأوز والأول والأون وغيرها.

ومما زاد الطين بلة هو وضع علامة السكون على
هذه «الواو» وعدم وضعها على «أول» - صوتت
«أول» - وأشباهه في بعض المصاحف المطبوعة في سوريا
ومصر. وهذا المذموم إلى اضطراب من يتلوها، إذ تلجئه إلى
إشباع همزة «ألو» وأضرابه، وعدم إشباع همزة «أولي»،
وهو خلاف المجهود.

٥ - أما «أول» ففيه خلاف شديد، ونحسب أن
القارئ، والشعاع ما اختلفوا في كاختلافهم في هذا
اللفظ، إذ أنهم اختلفوا في حروفه الثلاثة الأولى، واتفقوا
- لحسن الخط - على حرفه الأخير، ويكون هذا الخلاف

في تصاريص الأوزان الثانية لهذا اللفظ :

أ - «أَوَّل» على وزن أَفْعَل من «أول»، بإدغام همزة الثانية في الواو، لكثرة الاستعمال.

ب - «وَوَوَّل» على وزن فَوَعَلَ من «وَوَّل»، بقلب الواو الأولى همزة، ثم إدغام الواو الثانية في الثالثة.

ج - «أَوَوَّل» على وزن أَفْعَل من «وَوَّل»، بإدغام الواو الأولى في الثانية.

د - «أَوَّال» على وزن أَفْعَل من «وَوَّل»، بقلب همزة الثانية واوًا، ثم إدغام الواوين معًا.

٦ - ولكن يؤخذ على القول الأول إدغام همزة الثانية في الواو، مخالفتها القياس، إلا أن يقال: بقلب همزة واوًا، لو أن تعاد إلى أصلها، وهو الواو، ثم تدغم في الواو التي تليها، وهذا محتمل على الفرض الأول، وأن أهل «أول» هو «وول» على الفرض الثاني فيعود إلى القول الثاني، وهو خلاف الفرض، والقياس أن تدغم همزة الثانية معًا، فيكون (أَوَّل)، وهذا لم يستعمل.

ويؤخذ على القول الثاني كونه على وزن «فَوَعَلَ»، وهو منصرف، إذ لو كان كذلك، لم يمتعه من التصرف مانع، وكاد القول الثالث يقترب من الصواب، لولا ما فاوّه وصيه حرف واحد قليل في اللغة، ولم تعثر بعد الاستقصاء إلا على ثلاث مفردات، وهي: النَّخْرُ الشَّر الضَّعِيف، والنَّبْ: أَفْلام السَّعِين، والدَّخْن: اللُّهُم واللَّعِب، وعلى هذا القول، فإن «أَوَّل» يمتاز عن هذه المفردات باعتلال فائه وعينه، وهذا مما يزيد هذا الرأي بُعدًا وضيقًا، فيبقى في حيز التخمين.

أما القول الرابع، فهو قول حسن، لأنه يوافق

القياس والشماع، فلا يحتاج إلى تقدير، وفعله: وَأَلَّ يَلِّ، أي سبق، والأوَّل: السابق، وجمعه: أوائل، مثل: أوحد وأوحد، وأوالي، مقلوب أوائل، وكذا أوَّلون، وأوَّل، مثل: أخِر، وألَّ، مقلوب أوَّل وأوَّل، مثل: حَسِمٌ وَثِيمٌ. وثاني أوَّل: أوَّل، مثل: آخر وأخري، فهو «مُتَلَّ» من «وَلَّ»، بقلب الواو همزة، والهمزة - وهي عين الكلمة - واوًا.

٧ - وقد تمخضت تلك الأقوال الأربعة في أصل «أول» بقولين، أدبنا إلى توزع المعاجم العربية بينها:

١ - «أول»: وإليه ذهب سيويه وابن فارس والقيومي وغيرهم، ومن المعاصرين صاحب كتاب «معن اللغة» الشيخ أحمد رضا، عضو مجمع اللغة العربية في دمشق، وصاحب «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»، وصاحب «المتجدد» وغيرهم.

٢ - «أول»: وإلى هذه ذهب قال الجوهري، ومن سار على نهجه كسائر النحويين، صاحب «ختار الصحاح»، والفيروز آبادي في «القاموس المحيط»، والزبيدي صاحب «تاج المروس»، ومن قال بذلك أيضًا ابن منظور، صاحب الموسوعة اللغوية الكبرى «لسان العرب»، ومن المعاصرين مؤلفو «المعجم الوسيط»، وهو من مطبوعات «مجمع اللغة العربية في القاهرة»، وصاحب «معجم الألفاظ اللغوية المعاصرة» محمد الدنان، عضو «مجمع اللغة العربية» في عمان.

ولو اقتصر هذا الانقسام بين المعاجم على مدرستي البصرة والكوفة، لم يجمع اللغة السوري والمصري، لكان الأمر، لأنه لم تعثر تقليدي، ولكن الانقسام سري في

الاستعمال القرآني

يقع البحث هنا في محاور:

المحور الأول: التأويل: جاء (١٧) مرة، في هذه

المواضع:

١- الأحاديث: ١- ﴿وَيَسْأَلُكَ مِنْ تَأْوِيلِ﴾

الآخِذِينَ ﴿يوسف: ٦﴾

٢- ﴿وَنُفِّلْنَاهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْآخِذِينَ﴾ يوسف: ٢١

٣- ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْآخِذِينَ﴾

يوسف: ١٠١

ب- الأحلام والرؤى: ٤- ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ

الْأَحْلَامِ بِقَالِينَ﴾ يوسف: ٤٤

٥- ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَوْلٍ﴾

يوسف: ١٠٠

٦- ﴿يَتَّبِعُنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْضِينَ﴾

يوسف: ٣٦

٧- ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَنَّكَ عِلْمًا تَرَاهُ إِلا نِسَاءً تُحْكُمُ

بِتَأْوِيلِهِ قُلْ إِنْ يَأْتِيَنَّكَ﴾ يوسف: ٣٧

٨- ﴿إِنَّا أَنْبَأُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَارِئُونَ﴾ يوسف: ٤٥

ج- فعل مبهم: ٩- ﴿سَأْنُفِّسُكَ بِتَأْوِيلِ عَالَمٍ تَضْطَعُ

عَلَيْهِ ضَبْرًا﴾ الكهف: ٧٨

١٠- ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ عَالَمٍ تَضْطَعُ عَلَيْهِ ضَبْرًا﴾

الكهف: ٨٢

د- إيحاء الكيل: ١١- ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ

وَزِنْتُمْ بِالْأَيْدِي وَالسُّنْبُطِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

تَأْوِيلًا﴾ الإسراء: ٣٥

هـ- الرذالي الكتاب والسنة: ١٢- ﴿فَإِنْ تَنَادَعْتُمْ فِي

الجماعة الواحدة، فأحدث عَرَضًا في أُنسائها، وغشًا في

وصلتها، فقد أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة - قبل

أربعين عامًا تقريبًا - كتابًا في علوم القرآن، سماه «معجم

للفاظ القرآن»، وبعد مدة أصدر مجمله الثاني في اللغة،

أطلق عليه اسم «المعجم الوسيط»، وأردفه بمجمعه

الثالث «المعجم الكبير» في اللغة أيضًا، ثم ختم هذه

السلسلة من المعاجم بـ «المعجم الوجيز». وقد عدَّ «أول»

من «أول» في المعجم الأول، ومن «وال» في المعجم

الثاني، ومن «أول» في الثالث، كما بدأ أول مرة، ثم من

«وال» في الرابع، كما في الثاني.

وهذا التردد في «أول» - ودرجًا في لفاظ أخرى -

مرده إلى تعاقب المؤلفين في تصنيف كل معجم من معاجم

الجميع الأربعة. فأقدمت الجماعة اللاحقة على نسخ

ماقررت الجماعة السابقة، دون تقديم مبرر لذلك، ولعم

أن الدكتور إبراهيم مذكور كان أمينًا للمعجم المذكور

حين إصدار المعجمين: الثاني والثالث.

ولا ينكر أن الجامع والمؤسسات تنهض بطاقات

أفرادها، بيد أن ذلك لا يعني أن كل عامل فيها يسير على

شاكلته، ويتفق آراءه تنقض ما تراء مؤسسته، وإلا

يتمخض الجمع، فيلذ بجامع، فتعم الفوضى، وتستهتر

الجهود.

ألا وأن «قسم القرآن» في مجمع البحوث الإسلامية،

يضارع الجامع للغة العربية في الأقطار العربية، ويشرف عليه

أستاذ فقيه، وعالم وجيد، مضطلع باللغة والتفسير

والتحديث وسائر علوم الشريعة؛ قلله دره وعليه أجره

وأبهر العاملين، في هذا السفر العظيم.

أوصفات الله والذكار الآخرة؟ وعليه فلا طريق لنا إلى فهم المتشابه. أوسع ما هو قابل للفهم للخاصة، ولا يفهم العامة، وأن التشابه والحكم أمران نسيان. فرب آية تكون متشابهة لجبل، وهكمة لجبل آخر، مثل الآيات التي ترجع إلى حلم من المعلوم التي اكتشف معناها بعد تقدم العلم، وهي كثيرة في القرآن، ويدور حولها الإعجاز العلمي للقرآن الكريم الذي أضيف إلى وجود الإعجاز في العصر الحاضر. إل غيرها من الأبحاث، ولا نريد أن نخوض فيها هنا. بل نمول على ما جاء في النصوص التفسيرية. ولا سيما في تفسير «المنار والميزان». وإن من بفكرنا شيء من ذلك، فنورده في محله، لاحظ «ح ك م» و «ش ب ه».

المحور الثاني:

الآل: جاء (٢٦) مرة^(١) في المواضع:

١- الزوجة والعيال:

- أ- آل لوط: ﴿إِلَّا أَنْ لُوطٌ إِنَّهُ يُنْجِيهِمْ﴾^١ الحجر: ٥٩، ٦٠
- أفراقة قدزنا إنيها كين الفايدين ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- ب- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- ج- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- د- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- هـ- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- و- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- ز- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- ح- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- ط- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- ي- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- ك- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- ل- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- م- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- ن- آل لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال إنكم قوم شكرون
- هـ- العشرة والأقرباء والذرية:

بالبحث لاحقاً. وثلاث مرّات في (١٥) و (١٦) و (١٧) في ما يؤول إليه أمر الكتاب، والمراد به - حسب التباين، واتّباعاً للتخصص - الذكار الآخرة.

ورابعا: قد تبين أن الآيات ليست على نسق واحد مصداقاً بشأن التأويل، إلا أنه يجمها - منوهاً - أمر واحد، أي المعنى اللغوي، وهو عاقبة الشيء، ولا سيما عاقبة ما مضى من الرّوايا والأحاديث، والأعمال من الكتاب والآيات، ولا سيما المتشابه من الآيات.

وخامساً: لقد طال البحث في تأويل المتشابه من جهات:

١- ماهي التشابهات والحكمات؟

٢- هل يختص حلم تأويل التشابهات بالله - على الوقف بـ (آل الله) في الآية - أوسري إلى الراسخون في العلم، على أن يكون (الراسخون في العلم) عطفاً على (آل الله)؟

٣- من هم الراسخون في العلم؟ هل هم الأنظمة من آل البيت النبوي عليهم صلوات الله، كما تقول به الشيعة، أوسع غيرهم من الدارسين في علم القرآن؟

٤- هل تأويل الكتاب شيء غير تأويل التشابهات، أو هما بمعنى واحد؟

٥- ما معنى إرجاع التشابه إلى الحكم؟ وما هي كيفيته؟

هذه هي الأبحاث الأصلية، وهناك أبحاث فرعية، مثل: ماهو سر وجود التشابه في القرآن، مع أنه أنزل بلسان عربي مبين، وفيه تفصيل لكل شيء؟ وهل التشابه خاص بالاختصاص حقيقة، مثل الحروف المقطعة،

- ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾ هود: ٤٥، ٤٦، واسراء: لوط: ﴿فَأَتَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ النمل: ٥٧.
- وهذا يؤيد رأي من يقول: آل فلان، يعني من يؤول إليه بقرابة أودين، قال فرعون من آل إليه متبعًا لطريقته، واسراء: لوط آلت إلى قومها متبعة بهمهم. ويضد أيضًا من يقول: بأن «الأهل» يختص بذوي قرى الرجل، ولذا قال نوح: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ فرة عليه الرتب: ﴿إِنَّهُ لَهَيْس مِنْ أَهْلِكَ﴾.
- أما في الإسلام، فقد دخل في الأهل من الأتباع سلمان الفارسي، وخرج من الآل من القرابة أبوهي الهاشمي، ولهم مقال الشاعر:
- لقد رفع الإسلام سلمان فارسي
وعد وضع الشرك الشريف أبا لهي
- المبحور الثالث: الأول والأولى، على قول من يرى «أول» من «أول».
- الأول: جاء مفردًا (٢٤) مرة: (٢٢) مرة مضاعفًا، ومرتين مرفوعًا باللام في المواضع:
- أ- الكفر بالتوراة: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَاذِبِينَ﴾
- البرق: ٤١
- ب- البيت الحرام: ﴿وَإِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾
- آل عمران: ٩٦
- ج- الإسلام: ﴿قُلْ إِنِّي لَمِزْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَتَمَّ﴾
- الأنعام: ١٤
- ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾
- الأنعام: ١٦٣
- ﴿وَأَمِزْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الزمر: ١٢
- د- المرة: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْقَانًا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ
- ﴿مَرَّةٍ﴾ الأنعام: ٩٤
- ﴿وَنَقَلْنَا أَعْيُنَهُمْ وَابْتِصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ
- ﴿مَرَّةٍ﴾ الأنعام: ١١٠
- ﴿وَهُمْ يَخْرُجُ الرُّسُولُ وَهُمْ يَدُّكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾
- التوبة: ١٣
- ﴿وَأَنْتُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُقُورِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ التوبة: ٨٢
- ﴿وَلَيْدُ خُلُوعِ الْمَسْجِدِ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾
- الإسراء: ٧
- ﴿فَنُفِخُوا مِنْ بَعْدِنَا قُلُوبُ الَّذِينَ فُطِرْتُمْ أَوَّلَ
- ﴿مَرَّةٍ﴾ الإسراء: ٥١
- ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾
- الكهف: ٤٨
- ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يس: ٧٦
- ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فصلت: ٢١
- ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
- الأعراف: ١٤٣
- ﴿إِنَّا نَنْفُخُ أَنْ يَخْرُجَ لَنَا رِجَّتَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ
- ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ٥١
- و- اليوم: ﴿لَتَسْجُدَ أُنْسٌ عَلَى الْكَفَى مِنْ أَوَّلِهِ يَوْمٍ
- أَعْقَى أَنْ تَقُومَ بِهِ﴾ التوبة: ١٠٨
- ز- الإلقاء: ﴿قَالُوا يَا مَوْسَى إِنَّمَا أَنْ تُنْفِخَ وَاقِصًا أَنْ
- تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ طه: ٦٥
- ح- الخلق: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ ثَبِيثًا﴾
- الأنبياء: ١٠٤
- ﴿أَتَتَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ ق: ١٥
- ط- العبادة: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الزخرف: ٨١

وهذا مع الإضافة في المواضع:

ط - النساء: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الثَّلَاثَةَ الْأُولَى﴾

لواقعة: ٦٢

ي - قادة الكافرين: ﴿قَالَتْ أَخْرِجِيَهُمْ لِأُولِيهِمْ وَنِسَاءِ

الأعراف: ٣٨

﴿وَقَالَتْ أُولِيَهُمْ لِأَخْرِجِيَهُمْ لَمَّا كَانَتْ لَكُمْ غَلَّتُنَا مِنَّا

الأعراف: ٢٩

ك - المرة من الإفساد: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولِيُنَا

الإسراء: ١١

بمقتضا عليكم عبادا لنا﴾

يلاحظ أولا: أن «الأول» استعمل في القرآن بمعنى

والسابق، فكل أول فيه سابق، وليس كل سابق فيه

أول.

فإن قيل: ما معنى (الأولون) في قوله تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾؟

نقول: له ثلاثة وجوه:

الأول: بمعنى «السابقين»، فهو نظير قوله:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ الواقعة: ١٠.

الثاني: بمعنى «الأسبقين».

فإن قيل: هلا قال: «والسابقون الأسبقون» فيذكر،

من لفظه، دون أن يستعمل معناه من لفظ آخر؟

نقول: إن استعمال أفضل التفضيل من «سبق» نادر في

اللغة، إذ لم نثر على أثر قوي يعتده، وربما جاء في الأثر

والشعر.

الثالث: وهو الأقرب، أن «السابقين» كانوا ضعفين:

ضعف: السابقون الأولون، وضعف: السابقون بعد

الأولين، وهكذا كان المهاجرون والأنصار.

ثانيا: إن الأول والأولين والأول طياتي للأخير

أ - التيرة: ﴿تَسْبِعُهَا سَبْعِينَ الْأُولَى﴾ طه: ٢١

ب - القرون: ﴿قَالَ لَمَّا بَلَغَ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾

طه: ٥١

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ الْبَنَاتِ مِن تَفِيدُوا أَهْلَكُنَا

القصص: ٤٢

ج - الصحف: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِيَهُمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ

طه: ١٣٣

الأنبياء: ١٨

د - الدنيا: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمُسْتَدِي الْأُولَى

القصص: ٧٠

و - الأجزاء: ﴿وَالْأُولَى وَالْأُولَى﴾

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾

التارعات: ٢٨

﴿وَأَنَّ لَنَا لَآخِرَةً وَالْأُولَى﴾

﴿وَلَا آخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ الضحى: ٤

هـ - الجاهلية: ﴿وَلَا تَبْرَأُ بَيْنَ تَبْرَأُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

الأعراف: ٢٣

و - الموت: ﴿أَلَمْ نَكُنْ بِمُوسَى﴾ إلا مؤثقتنا

الصافات: ٥٨، ٥٩

﴿وَأَنَّ هِيَ إِلَّا تَوَكَّلْنَا الْأُولَى﴾ الذخا: ٣٥

﴿لَا تَهْدُونَنَا بَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا السَّوْءَةَ الْأُولَى﴾

الذخا: ٥٦

ز - عاده: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ النجم: ٥٠

ح - الشر: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾

النجم: ٥٦

والآخرين والأخرى، في الآيات التالية:	والأخيرة	القصاص: ٧٠
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾	﴿لَقَدْ الْأُولَى وَالْآخِرَةُ﴾	النجم: ٢٥
﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأُولَانَا وَأَخِيرَتَنَا﴾	﴿فَاتَّخَذَهُ اللَّهُ تَكَاثُلَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾	القارعات: ٢٥
﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ • كُنْتُمْ عَوْنِي إِلَى	﴿وَأَنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾	اليل: ١٣
مِهْقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾	﴿وَلِلْآخِرَةِ حَقٌّ ذِكْرٌ مِنَ الْأُولَى﴾	الضحى: ٤
﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ • وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾	﴿ثَلَاثَ أُخْرَجْتُمْ لِأُولِيئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَهْلُكُمْ﴾	الأعراف: ٣٨
﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ • وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾	﴿وَذَلِكَ أُولِيئِهِمْ يُخْرَجْتُمْ لَمَّا كَانَ لَكُمْ قَلْبَانِ مِنْ	الأعراف: ٢٩
﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَدْ أَحْسَنَ فِي الْأَوَّلِ	﴿فَقُلْ﴾	





سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

أُون

الآن

لفظ واحد، ٨ مرّات، ٤ مكثّة، ٤ مدنيّة

في ٦ سور، ٢ مكثّة، ٣ مدنيّة

التصريح اللغويّة

الغليل: الأوتان: جانا الخرج، يقال: خرج ذوأوتين، والأوتان: البدلان، والأوتان أيضا.

ويقال للأوتان إذا أخرجت وعظم بطنها؛ قد أوتت تأوتنا.

وإذا أكلت وقهرت واشتغلت خاضعتك فقد أوتت تأوتنا. [ثم استشهد بشعر]

والأوان: الحين والزمان، تقول: جاء أوان البرد. [ثم استشهد بشعر]

وجمع الأوان: أوتت.

والآن: بمنزلة الساعة، إلا أن الساعة جزء مؤقت من أجزاء الليل والنهار، وأما الآن فإنه يلزم للساعة التي يكون فيها الكلام والأمر، وربما يتغير ويصير.

والرب تنصب في الجسر والنصب والرفع، لأنه لا يتكّن في التصريف، فلا يتكّن ولا يتكّن ولا يتكّن ولا يتكّن ولا يتكّن ولا يتكّن، (٤٠٣: ٨)

الآن: بني على الفتح، تقول: نحن من الآن نصير إليك، فنفتح «الآن» لأن الألف واللام إنما يدخلان لتهدب «الآن» لم تهدب قبل هذا الوقت، فدخلت الألف واللام للإشارة إلى الوقت، والمعنى نحن من هذا الوقت نفعل. فلما فضحت معنى هذا وجب أن تكون موقوفة، فضحت لانتفاء الساكنين، وهما الألف والنون.

(الأزهرقي ١٥: ١٥٤٧)

الليث: الإوان: شبه أزج غير مُشود الوجد. والإيران: لقد [ثم استشهد بشعر]

وجماعه الإوان: أُون، مثل جُولان وخُون. وجماعه

الإيوان: أووين وإيوانات. وجماعة إيوان اللجام: إيوانات.

وكل شيء عمدت به شيئاً فهو إوان. [ثم استشهد
بشعر] (الأزهرى ١٥: ٥٤٥)

سبيطونه: أوان ولوانات، جمعه بالثاء حين لم
يُكسر. هذا على شهرة آوته وقد آن يثنى، هو فقل
يقبل، يتخيله على الأوان. (ابن منظور ١٣: ٤٠)

أرى قولهم: اضرب أتهم أفضل، على أنهم جعلوا
هذه الضمة بمنزلة الفتحة في خمسة عشر، وبمنزلة الفتحة
في «الآن» حين قالوا: من الآن إلى غد، ففعلوا ذلك

بـ«أتهم» حين جاء مجيئاً لم تثنى أخواته عليه إلا قليلاً،
واستعمل استعمالاً لم تستعمله أخواته إلا ضميراً.
(الكتاب ٢: ٤٠٠)

جعلوا «الآن» كأيّن، وليس مثله في كل شيء،
ولكنه يضارعه في أنه ظرف. (الكتاب ٣: ٣٩٩)

الكسائي: قال أبو جهم: هذا إوان ذلك، والكلام
الفتح: أوان. (ابن منظور ١٣: ٤٠)

ابن شميل: هذا أوان الآن تعلم، وما جئت إلا أوان
الآن، أي ما جئت إلا الآن، ينصب «الآن» فيهما.

(الأزهرى ١٥: ٥٤٨)
الآن أنك إن فعلت. (أساس البلاغة: ١٢)

أبو عمرو والشيباني: أتيتك آتة بعد آتت، بمعنى
آوتة. (الأزهرى ١٥: ٥٤٦)

القراء: الآن: حرف يني على الألف واللام لم تخلع
منه، وترك على مذهب الصفة، لأنه صفة في المعنى
واللفظ، كما رأيتهم فعلوا في «الذي» و«الذين» فتركوها

على مذهب الأداة، والألف لهما غير مفارقتين، ومثله
قول الشاعر:

فإن الألاء يعلمونك منهم

كعلمي فظنوك مادمت أشراً
فأدخل الألف واللام على «الاء» ثم تركها مخفوضة
في موضع التصب، كما كانت قبل أن تدخلها الألف
واللام، ومثله قوله:

وأي حُبست اليوم والأمس قبله

يباهك حتى كادت الشمس تغرب
فأدخل الألف واللام على «أمس» ثم تركه مخفوضاً
على جهته الأولى. [ثم استشهد بشعر] ففعل «الآن» بأنها
كانت منصوبة قبل أن تدخل عليها الألف واللام، ثم
أدخلتها فلم يغيرها.

وأصل الآن إنما كان «أوان» حذفت منها الألف
سوقه وتوارها إلى الألف، كما قالوا في الزجاج: الزجاج. [ثم
استشهد بشعر]

فجعل الزجاج والأوان على جهة «فعل» ومرة على
جهة «فعل»، كما قالوا: زعن وزمان.

ولن شئت جعلت «الآن» أصلها من قولك: أن لك
أن تفعل، أدخلت عليها الألف واللام، ثم تركتها على
مذهب «فعل» فأتاها التصب، من نصب «فعل». وهو
وجه جيد، كما قالوا: هي رسول الله ﷺ من قبل وقال
وكثرة السؤال، فكانتا كالاسمين فهما منصوبتان. ولو
خُفِضتا على أنهما أُخرجتا من ية الفعل كان صواباً.
سمعت العرب تقول: من شُبَّ إلى ذُبَّ بالفتح، ومن
شُبَّ إلى ذُبَّ، يقول: مذ كان صغيراً إلى أن ذُبَّ، وهو

«قَتَلَ»

(١: ٤٦٧)

المائدة

أصل الآن «الأوان» فحذفت الواو. والألف واللام دخلتا في «آن» لانهما ينويان عن الإشارة.

(الطوسي ١: ٣٠٠)

هو في الأصل «أوان» وهو اسم لعدة الزمانين الذي أنت عليه، منصوب على كل حال. (الزهري ١: ١٠٨) أبو زيد: العرب تقول: مررت بزيد الآن، تنقل اللام وتكسر الدال، وتُدغم التثوين في اللام.

(الزهري ١٥: ٥٤٩)

أنت أؤون أؤنا. وهي الزفاجة والدعة. وهو رجل آين مثل قاجد أي وادع. (الزهري ١٥: ٥٤٤)

الأصمعي: يقال: للبدلين يتكلمان: الأوانان.

(الزهري ١٥: ٥٤٥)

وامش على الأون وهو الزوند من المشي. (الأساس البلاغة: ١٢)

الأموي: وفي حديث ابن عمر: ذهب هذه ثلاث مملك. «تلان»، وهي لغة معروفة، يزيدون التاء في «الآن» وفي «عين» ويحذفون الهزة الأولى، فيقال: «تلان» و«تجين».

(الزهري ١٥: ٥٤٩)

ابن الأعرابي: آن يؤون أؤنا، إذا استراح. [نم] لشهد بشر [شرب حتى أؤن، وحتى عؤن، وحتى كآته طراف، قال رؤبة:

«بيرا وقد أؤن تأوين الثقي»

وصف أؤنا وردت الماء فشربت حتى امتلأت خواصرها، غصار الماء مثل الأونين إذا غبلا صلي

الثاقون: امتلاء البطن.

والثاقون: ضعف البدن والزايء أي ذلك كان.

(الزهري ١٥: ٥٤٥)

ابن السكيت: يقال: للدابة إذا شرب غصار بطنه مثل البدلين: قد أؤن تأوينا حسنا. [نم] استشهد بشر [إصلاح المطلق: ٤١٤]

يقال: فلان يصنع ذلك الأمر أؤنا، إذا كان يصنعه ويدعه مرارا. (إصلاح المطلق: ٤٢٧)

سبينا وسين مكة عشر ليل آبنات، أي وبعات. (الزهري ١٥: ٥٤٥)

الزفوق: قد أؤنت، أي انقضت. (ابن منظور ١٣: ٣٩)

كرام الثقل: الأوان: التلاحف، ولم أسمع لها (ابن منظور ١٣: ٤٠)

ابن السراج: ليس هو آن وآن حتى يدخل عليه الألف واللام للتعريف، بل وضع مع الألف واللام للوقت العاخر، مثل الثريا والذي، ونحو ذلك.

(القيومي ١: ٣٦)

ابن قريشة والأولسان: البدلان، الواحد أؤن وشرب حتى أؤن، إذا انتفع بجنباء، والأؤن: الزفق في السير.

وأولن القشي: حينه وفعلت القشي: أؤنا، أي في

كل حين. (١: ١٩١)

ابن الأثير: وأصله «الأوان» فأستطت الألف التي بعد الواو وجعلت الواو ألفا، لاقتطاع ما قبلها.

وقيل: أصله: أَنْ لَكَ أَنْ تَعْمَلْ، فسُي الرِّقْعُ بالفعل الماضي، وترك آخره على الفتح. (الأزهري ١٥: ٥٤٨)
الأزهري: أَنْ على نفسك، أي أرفق بها في السير.
وتقول له أيضًا إذا طاش: أَنْ على نفسك أي اتدع.
ويقال: أَوْن على قدرتك، أي اتكد على غموك، وقد
أَوْن تأوينا. (١٥: ٥٤٤)

وقد أَوْنَتْ، أي اقتصدت.

ويقال: رُبِعَ أَمْنٌ خَيْرٌ مِنْ سَبِّ حَضْرَاحٍ.

(١٥: ٥٤٥)

الفارسي: إِنَّمَا بَيَّ «الآن» لتضمنه معنى الحرف، وهو تضمن معنى التعريف. لأن التعريف حكمه أن يكون بمرتب وليس مُعرِّفه بما فيه من الألف واللام، لأنه لو كان كذلك للزم أن يكون قبل دخول اللام عليه نكرة كمرجل والرجل.

وكذلك «الذي» فإن فيه الألف واللام، وليس يُعرَّف الاسم بها إِنَّمَا مُعرِّفه بغيرها، وهو كونه موصولا منصوحا، ولو كان مُعرِّفه باللام لوجب أن يكون سائر الموصولات المعرفة بالصلوات، نحو «مَنْ وَمَا» غير مسترفة. ويقوي زيادة اللام مارواه المبرد عن المازني، فكما أن اللام في «الذي» زائدة، كذلك في «الآن» زائدة. (الطبرسي ١: ١٣٤)

ابن جني: الذي يدل على أن اللام في «الآن» زائدة أنها لا تخلو من أن تكون للتعريف كما يظن غافقا، أو تكون زائدة لغير التعريف كما يقول نحن.

فالذي يدل على أنها لغير التعريف أننا اعتبرنا جميع مالا منه للتعريف، فإذا إسقاط لامه جاز في ذلك نحو

رجل والرجل وغلّام والغلّام، ولم يقولوا: اقْتُلْهُ أَنْ، كما قالوا: اقْتُلْهُ الآن، فدل هذا على أن اللام فيه ليست للتعريف بل هي زائدة كما يزداد غيرها من الحروف.

فإذا ثبت أنها زائدة فقد وجب النظر فيما يُعرَّف به «الآن» فمن يخلو من أحد وجوه التعريف الخمسة: إما لأنه من الأسماء المضمرة، أو من الأسماء الأعلام، أو من الأسماء المهمة، أو من الأسماء المضافة، أو من الأسماء المرفة باللام.

فعال أن تكون من الأسماء المضمرة، لأنها معروفة محدودة وليست «الآن» كذلك، ومحال أن تكون من الأسماء الأعلام، لأن تلك تخص الواحد بمبته، و«الآن» تقع على كل وقتٍ حاضِرٍ لا يخص بعض ذلك دون بعض، ولم يقل أحد: إن «الآن» من الأسماء الأعلام. ومحال أيضا أن تكون من أسماء الإشارة، لأن جميع أسماء الإشارة لا تجد في واحد منها لام التعريف، وذلك نحو هذا وهذا، وذلك وتلك وهؤلاء، وما أشبه ذلك.

فقد بطل بما ذكرنا أن يكون «الآن» من الأسماء المشار بها، ومحال أيضا أن تكون من الأسماء المسترفة بالإضافة لأننا لا نشاهد بعده اسمًا هو مضاف إليه.

فإذا بطلت واستحالت الأوجه الأربعة المقدم ذكرها، لم يبق إلّا أن يكون معرفًا باللام، نحو الرجل والغلّام، وقد دلت الدلالة على أن «الآن» ليس معرفًا باللام الظاهرة التي فيه، لأنه لو كان معرفًا بها لجاز سقوطها منه، فلزوم هذه اللام لـ«الآن» دليل على أنها ليست للتعريف، وإذا كان معرفًا باللام لاحتالة، واستحال أن تكون اللام فيه هي التي عرّفته، وجب أن يكون

والإوان والإيوان الصفة العظيمة كالأزج، ومن
ليون كسرى. [ثم استشهد بشعر]

وجمع الإوان: أَوْنٌ، مثل حيوانٍ وخَوْنٍ، وجمع
الإيوان: إيواناتٌ وأولوينٌ مثل ديوانٍ وقوانينٍ، لأنَّ
أصله «إِوانٌ» فأبدلت من إحدى الولوين ياءً.

(٢٠٧٥: ٥)

الآن: اسمٌ للوقت الذي أنت فيه، وهو ظرف غير
متكّن، وقع معرفته ولم تدخل عليه الألف واللام
للتعريف، لأنه ليس له ما يشركه، وربما فتحوا اللام
وحذفوا همزتين.

(٢٠٧٦: ٥)

مثله التياجوري.

ابن فارس: الهمة والواو والتون كلمة واحدة تدلُّ

على حرف الهمزة، يقال: آن يؤوّن أوّناً، إذا رفق. [ثم استشهد



(ابن منظور ١٣: ٤١)

البحروري، الأون: الدعة والسكينة والرفق، كقولك: كسرت الأون، أي كسرت الدعة والسكينة والرفق.

أوناً، ورجلٌ آيُنٌ.

القيصري، الآن: ظرف زمان للذي أنت فيه، وهو

مبنى لخالفته سائر ما فيه الألف واللام، إذ دخلت فيه لغير
همد ولا جنس.

وقيل: إنَّ أصلَ آن «أون» ثم أبدلوا من الواو ألفاً،

وحذفت إحدى الألفين لالتقاء الساكنين. (٥٤: ١)

ابن سيدة: الأون: الرويد من المشي والسير، آن

يؤوّن أوناً، وأونٌ، تمهل.

وجماعة إيوان تلجأ: إيواناتٌ. والإيوان: من

أعمدة الخيام، وكلّ شيء عمدت به شيئاً فهو إيوانٌ له.

(ابن منظور ١٣: ٤٠)

مترقفاً بلام أخرى غير هذه الظاهرة التي فيه، بمنزلة
«أسي» في أنه تعرف بلام مرادة، والقول فيها واحداً،
ولذلك بُنِيَ لتضمتها معنى حرف التعريف، وهذا رأي
أبي علي، وعنه أخذته، وهو الصواب.

قال سيبويه: وقالوا: الآن أنك، كذا قرأناه في كتاب
سبويه بنصب «الآن» ورفع «أنك»، وكذا: الآن حدُّ
الزمانين، هكذا قرأناه أيضاً بالنصب.

فاللام في قولهم: الآن حدُّ الزمانين، بمنزلة ما في
قولك: الرجل أفضل من المرأة، أي هنا الجنس أفضل من
هذا الجنس، فكذلك «الآن»، إذا رفعه جعله جنسَ هذا
للمتمم في قولهم: كنتُ الآن عنده، فهذا معنى كنتُ في
هذا الوقت الحاضر بعضه وقد تضمنت أجزاءً منه عنده،
وتنيت «الآن» لتضمنها معنى الحرف.

منه: أنتُ أَوْنٌ أوناً، ورجلٌ آيُنٌ، أي رافعة ولدع.

والأون أيضاً: المشي الرويد، وهو مُبدلٌ من الحون.

[ثم استشهد بشعر]

ويقال: أنْ على نفسك أي لوفق في السير والترح.

ويستأوين مكة ثلاث ليالٍ أوأين، أي رواية،

وعشر ليالٍ آيناتٍ، أي وادعاتٍ.

والأون: أحد جانبي الخرج، تقول: خرج ذوأونين،

وهما كالبديلين. والأون: الودك.

ومنه قولهم: لَوْنُ الحمار، إذا أكل وشرب وامتلا بطنه

وامتدّت خاصرته، فصار مثل الأون.

والأوان: المدين، والجمع: آوناً، مثل زمانٍ وأزمين.

الأولسان: اللجان. وقيل: أنما أن معلوماني على
الرجل. (الزبيدي: ٩: ١٢٢)

قوله [الجوهري] وقد تقدم [حذفوا الهمزتين: يعني
الهمزة التي بعد اللام تقل حركتها على اللام وتحذفها، ولما
تحركت اللام سقطت همزة الوصل الداخلة على
اللام. (ابن منظور: ١٣: ٤٢)

ابن الأثير: فيه: «مر النبي ﷺ برجل يحتلب شاة
أوتد، فقال: دغ داعي اللبن» يقال: خلان يصنع ذلك
الأمر أوتد، إنا كان يصنعه مرازا ويدعه مرازا، يعني أنه
يعتليها مرة بعد أخرى.

وداعي اللبن: هو ما تركه العالب منه في الضرع
ولا يستقصيه ليجمع اللبن في الضرع إليه.

وقيل: إن أوتد جمع «أوان» وهو العين والزمان،
ومنه الحديث: «هذا أوان قطعت أهريري^(١)». (١: ٨١)

الشيخان: الأون: الزلق والدقة والتعب
والمؤنة. (الأضواء: ٢٢٣)

ابن مالك: «الأون» لوقت حضر جميعه، كوقت فعل
الإثناء حال التلق به أو بعده، نحو: «أثن حثف الله
عنكم وعلم» الأقال: ٦٦، «لن ينفع الآن يحد له
شيئا وضدا» الجن: ٩، وظرفيته غالبا لازمة.

واختلف في: «أل» التي فيه، فقيل: للتعريف
العضوري، وقيل: زائدة لازمة. (الشيرطي: ٢: ١٩١)
ابن منظور: قال الهجري: والإوانة: ركية معروفة.

الطوسي: الآن: مهي مع الألف واللام لأنه خرج
من التسكن بشبه الحرف، لأنه يشكر شارة وُسُرف
أخرى، فاستهم استهم الحروف، بأنه للفصل بين
الزمانين، على انتقال معناه إلى الذي يليه من الوقت كما
ينتقل «أس»، فالأس والند والآن ظائر، وأحكامها
مختلفة لمثل لزمها. (٥: ١٨١)

الآن: مهي على الفتح، لأن تعريفه كسرف الحرف
في الانتقال من معنى إلى معنى، ومعناه عند سيويه: أنحن
من هذا الوقت لفعل كذا، وفتحت لالتقاء الساكنين.
(٥: ٤٤٩)

الراغب: والآن: كل زمان متقدري زمانين ماضي
ومستقبل، نحو: لما الآن فعل كذا، ونحو «الآن» بالفتح
واللام المعرف بهما، ولزما. والمثل كذا أوتد، أي وفقطه
وقت، وهو من قولهم: الآن، وقولهم: هذا أوان ذلك، أي
زمانه المختص به وقوله.

الزحرفي: هو يفعل ذلك أوتد بعد أوتد، ولما
آتبه أوتد بعد أوتد، وامش على الأون، وهو الزويد من
الشي.

وأن على نفسك أي ارفق.
وعن بعض العرب: أوتوا في سيركم شيئا. ويقال:
على رسلك وأونك وهونك، [ثم استشهد بشعر]
وبينا وبين مكة ثلاث ليالٍ لوائن وأثبات. وكان في
ليون كسرى، والإيوان والإوان: بيت مؤزج غير
مسدود الوجه، وكل بيتا شيئا فهو لوان له.

(أساس البلاغة: ١٦)

ابن يسي: الأون: عمود من أعمدة الخباء. وقيل:

(١) الأهر: عرق إذا انقطع ملت صاحبه، وهما أهران
بخرجان من القلعة، وكامل الحديث: «سارلت أكلة
غير تماروني لهذا أوان قطعت أهريري»

أون على قدرتك أتيد على نحوك. (٤: ٢٠١)

الشكويطي: الآن: اسم للزمن الحاضر، وقد

يستعمل في غيره بجازك

وقال قوم: هي محل للزمانين، أي ظرف للماضي

وظرف للمستقبل، وقد يشعور بها عتسا قرب من

أحدهما. (٢: ١٩٩)

الطويحي: «الآن» وهو الوقت الذي يقع فيه كلام

المكلم، وقد وقعت في أول أحولها بالالف واللام، وهي

علة بناتها.

ويقال: إنا بني لأن وضعه بخالف وضع الاسم، لأن

الأسماء إنا وضعت لولا تكررات ثم التعريف يعرض

مشيخونا «الآن» لموضع بالالف واللام فلم يكن وضعه

موضع الاسم، فبني كالحرف.

أو يقال: إنا بني لخصته حرف التعريف كأمس،

مكتبة جامعة القاهرة

واختلف في أصله، فقيل: أصله «أوان»، فحذف منه

الواو.

والفرق بين الآن والآف: أن «الآن» الوقت الذي

أنت فيه، و«الآف» اسم للزمان الذي قبل زمانك الذي

أنت فيه. (٦: ٢١١)

الألوسي: الآن: من الظروف المبنية في المشهور،

وهو اسم للوقت الحاضر جميعه، كوقت فعل الإنشاء

حال التلق به، أو الحاضر بعضه، كما في هذه الآية وقوله

سبحانه: «أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا نَارًا تَلْهُو» (٦٦).

هي بالشرف قرب وشحى، والورد كاء والدخول.

(١٣: ٤٠)

القيومي: الأوان: الحين، بفتح الهمزة وكسر هاء لغة،

والجمع: آولة.

وآن في الأمر يؤون أواناً، رفق فيه.

والإوان: وذل كتاب: بيت مؤزج غير مسدود

الفرجة، وكل سائر شيء فهو إوان له، والإيوان بزيادة

الياء مثله، ومنه إيوان كسرى.

والآن: ظرف للوقت الحاضر الذي أنت فيه، ولزم

دخول الألف واللام، وليس ذلك للتعريف، لأن التعريف

مميز للمشاركات، وليس لهذا ما يشركه في معناه.

(١١: ٣٠)

الفيروز ابادي: الأون: الأمة والسكنة والزنج

والمشي الرزيد، وقد أنت أؤون. وأحد جانبي المخرج

ودرجل آين، دابة واربعة. وثلاث ليال أوانن: رواه

وحشر ليال آينات وأدعات.

وأون المهاز تأويتا: أكل وشرب حتى امتلأ بطنه

كاليدل، كتأون.

والأوان: الحين ويكثر، جمعه: آوتة ويصنه آوتة

وآينة، إذا كان يصنه مراراً ويكطه مراراً، والتلاحف

ولم يستع لها بواحد.

وذولوان: موضع بالمدينة. والإيوان بالكسر:

الصفحة (١) العظيمة كالأزج، جمعه: إيوانات ولولوين،

كالإولن ككتاب جمعه: أؤن بالصم، وإيوان للجام: جمعه

إيوانات.

وذولوان، قبل (١٢) من دحين.

(١) البيت الضيق المسند بجزء النمل.

(٢) ملك من ملوك دحين من حبر.

وقد يخرج عند ابن مالك عن الظرفية، خبر «فهو»
يهوي في النار الآن حين انتهى إلى مقرها» فإن «الآن»
فيه في موضع رفع على الابتداء، و«حين» خبر، وهو
مبني لإضافته إلى جملة صدرها ماضي وألفه منقلبة عن
واو، لقولهم في معناه: «الأوان»، وقيل: عن ياء، لأنه من
آن يئين، إذا قرب. وقيل: أصله «لوان» قلبت الواو ألفاً
ثم حذفت لالتقاء الساكنين، ورُدَّ بأن الواو قبل الألف
لا تقلب كالجواد والتواد. وقيل: حذفت الألف وغيّرت
الواو إليها كما في راح ورواح، استعملوه مرة على «قتل»
وأخرى على «فعل» كزَمَنَ وزَمان.

واختلفوا في علّة بنائه، فقال الزُّجَّاج: بُني لتضمينه
معنى الإشارة، لأن معناه هذا الوقت. ورُدَّ بأن المضامين
معنى الإشارة بمنزلة اسم الإشارة، وهو لا يدخله «أل».
وقال أبو عليّ لتضمينه معنى لام التّشريف، لأنه
استعمل سرفه وليس حليماً، ودلّله فيه زائدة. وحذف
بأن تضمين اسم معنى حرف اختصاراً ينافي زيادة
مالا يعتدّ به، هذا مع كون المزيد غير المضامين معناه.
لهكيف إذا كان إتياء.

وقال المبرّد وابن السّراج: لأنه خالف نظائره، إذ هو
نكرة في الأصل استعمل من أول وضعه باللام، وبها أن
تدخل على النكرة، وإليه ذهب الزّمخشريّ. ورُدَّ له
مالك يلزم بناء «الجماء المنير» ونحوه متوقع في أول
وضعه باللام، وبأنّه لو كانت مخالفة الاسم لسائر الأسماء
موجبة لشبه الحرف واستحقاق البناء، لوجب بناء كل
اسم خالف الأسماء بوزن أو غيره، وهو باطل بإجماع.
واختار أنّه بُني لشبه الحرف في ملازمة لفظ واحد، لأنه

لا يمتنى ولا يجمع ولا يصغر، بخلاف حين، ووقت، وزمان،
ومدة. ورُدَّ أبوحيان بما رُدَّ هو به على من تقدّم.
وقال النّزّاء: إنّا بُني لأنه ثقل من فعل ماضٍ، وهو
«آن»، بمعنى حان، فبقي على بنائه استصحاباً على حدّ
«أنهاكم من قبل وقال»، ورُدَّ بأنّه لو كان كذلك لم تدخل
عليه «أل» كما لا تدخل على ما ذكر، وجاز فيه الإعراب
كما جاز فيه.

وذهب بعضهم إلى أنّه معربٌ منصوبٌ على
الظرفية، واستدلّ بقوله: «كأنّهما ملآن لم يفترا» بكسر
الثّون، أي «من الآن» فحذفت الثّون والهمزة وجراً، فدلّ
على أنّه مُعْرَبٌ وضُفّ باحتمال أن تكون الكسرة
كسرة بناء، ويكون في بناء «الآن» لفتان: الفتح
والكسر، كما في «شّان» إلّا أنّ الفتح أكثر وأشهر. وفي
«شرح الألفيّة» لابن الصّائغ أنّ الذي قال: إنّ أصله
«أوان» يقول بإعرابه، كما أنّ «وأنا» معرب.

واختار الجلال السيوطي القول بإعرابه، لأنه لم
يثبت لبنائه علّة معتبرة، فهو عنده منصوب على الظرفية
وإن دخلت «من» جرّاً، وخروجه عن الظرفية غير ثابت.
وفي الاستدلال بالحدث السابق مقال. (٢٥٩: ١٢٢)
أبو رزق، الآن: الوقت الذي أنت فيه، أي الوقت
الذي هو حدّ بين الزّمانين الماضي والمستقبل. والأصل
لكلّ آن مفروض في الامتداد الزّمني - نهايةً وبدايةً -
فهما الحدّان له. (٧٦: ١)

المُصطَفَوِيّ: إنّ كلمة «آن» تدلّ على القريب من
الزّمان، وهو زمان الحال، وهذا المعنى عامٌ يشمل جميع
الحالات باختلاف الأشخاص، فالألف واللام للتّشريف

وتقيدها بزمان التكلم لمن يتكلم، أي زمان حاله.
وجسمها آتات، فيقال: ما فعلت في أن من الآتات.

(١: ١٨٥)

النصوص التفسيرية الآن

١... قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ... البقرة: ٧١

الزُّجَّاج: فيه أربعة أوجه، حكى بعضها الأخفش،
فأجودها «قَالُوا الْآنَ» بإسكان اللام وحذف الواو من
اللفظ.

وزعم الأخفش أنه يجوز قطع ألف الوصل هاهنا،
فيقول: (قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ)، وهذه رواية، وليس له
وجه في القياس ولا هي عندي جائزة.
ولكن فيها وجهان غير هذين الوجهين، وهما:
جيدان في العربية.

يجوز (قَالُوا الْآنَ) على إلقاء الهمزة، وفتح اللام من
«الآن» وترك الواو محذوفة لالتقاء الساكنين، ولا يمتد
بفتح اللام.

ويجوز (قَالُوا لَأَن جِئْتُ بِالْحَقِّ) ولا أعلم أحدا قرأ
بها، فلا يقرآن بحرف لم يقرأ به، وإن كان ثابتا في العربية.
والذين أظهروا الواو أظهروا لها حركة لللام، لأنهم
كانوا حذفوها لسكونها، فلما تعزكت ردوها. والأجود
في العربية حذفها، لأن قرأ به تقول: «الأحمر» ويلقون
الهمزة، فيقولون: «لأحمر» فيفتحون اللام ويقرأون ألف
الوصل، لأن اللام في نية التسكون، وبعضهم يقول:
«لأحمر» ولا يجوز ألف الوصل، يرد الأحمر.

فلما نصب «الآن» فهي حركة لالتقاء الساكنين.
الآن ترى أنك تقول: أنا الآن أكرمك ومن الآن فعلت كذا
وكذا، وإنما كان في الأصل مبيئا وحرك لالتقاء الساكنين.
وبني «الآن» وفيه الألف واللام، لأن الألف واللام دخلتا
بهم غير متقدم، إنما تقول: الفلام فعل كذا، إذا عهده
أنت ومخاطبك، وهذه الألف واللام تبيان عن معنى
الإشارة، المعنى أنت إلى هذا الوقت تفعل، فلم يُعرب
«الآن» كما لا يُعرب هذا.

(١: ١٥٢)

الطوسي: المعنى أنت إلى هذا الوقت تفعل هذا، فلم
تُعرب (الآن) كما لم تُعرب «هذه»، ومن العرب من يقول:
(قَالُوا لَأَن جِئْتُ بِالْحَقِّ)، ويُعرب الوصل ويفتح اللام،
ويجوز الهمزة التي بعد اللام.

(١: ٣٠٠)

العمريطي: حكى الأخفش (قَالُوا الْآنَ)، قطع ألف
الوصل، كما يقال: بالله. وحكى وجها آخر (قَالُوا لَأَن)
ولم يثبتوا. فقرأوا قراءة أهل المدينة وأبي عمرو (عادة)
لولي). وقرأ الكوفيون (قَالُوا الْآنَ) بالهمز، وقراءة أهل
المدينة «قال لأن» بتخفيف الهمز مع حذف الواو لالتقاء
الساكنين.

(١: ٤٥٥)

البيضاوي: وقرئ (آلَن) بالمد على الاستفهام،
و(الآن) بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام.

(١: ٦٣)

أبو حيان: قرأ الجمهور بإسكان اللام والهمزة بعد،
وقرأ نافع بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام، وعنه
روايتان: إحداهما حذف واو (قَالُوا) ينقل الحركة، إذ هو
نقل عارض. والرواية الأخرى إقرار الواو اعتدادا بالنقل
واعتبارا لعارض التحريك، لأن «الواو» لم تحذف إلا

لأجل سكون اللام بعدها، فإذا ذهب موجب الحذف عادت الواو إلى حالها من الثبوت - واتصاف (الآن) على القطرقة، وهو ظرف يدل على الوقت الحاضر، وهو قوله لهم: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَكُورَ... لَا نِسَاءَ فِيهَا﴾ البقرة: ٧١. والعامل فيه (جئت).

البروسوي: أي هذا الوقت، بُني لتعظيمه معنى الإشارة. (١: ١٦٠)

سَيِّدُ قُطُب: (الآن) كأنما كان كمثل ماضٍ ليس حدثاً، أو كأنهم لم يشيئوا أن ما جاءهم به هو الحق إلا اللحظة. (١: ٧٩)

٢... فَأَلْزَمَ تَبَايَرُوهُنَّ فَاتَّخَذُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ

البقرة: ١٨٧

أبو الفُتُوح: (فالآن) يعني الحال، أي الوقت الذي تكون فيه، وهو الزمان بين الزمانين وهو أظرف عليه التحوُّل حالاً تارة، وحاضراً تارة أخرى. (١: ٣٠٠)

أبو البقاء، حقيقة (الآن) الوقت الذي أنت فيه، وقد يقع على الماضي القريب منك، وعلى المستقبل القريب وقوعه، تنزيلاً للقريب منزلة الحاضر، وهو المراد هنا، لأن قوله: ﴿فَأَلْزَمَ تَبَايَرُوهُنَّ﴾ أي فالوقت الذي كان يحرم عليكم الجماع فيه من الليل قد أبحت لكم فيه، فعلى هذا (الآن) ظرف لـ (تبايروهن).

وقيل: الكلام محمول على المعنى، والتقدير: فالآن قد أبحت لكم أن تبايروهن، ودل على الحذف لفظ الأمر الذي يراد به الإباحة، فعلى هذا (الآن) على حقيقته. (١: ١٥٤)

البروسوي: (فالآن) أي لما نسخ التحريم ظرف

لقوله: (تبايروهن)، أصله «فَعَلَّ» بمعنى حان، ثم جعل اسماً للزمان الحاضر وُصِفَ بالأكث واللام، وبقي على الفتح. (١: ٢٩٩)

الآلوسي: أي حين نسخ عنكم تحريم القربان وهو ليلة الصيام، كما يدل عليه الفاية الآتية، فإنها لحاية للأوامر الأربعة التي هنا ظرفها، والمضمر المفهوم منه بالنظر إلى فعل نسخ التحريم، وليس حاضراً بالنظر إلى الخطاب.

وقيل: إنه وإن كان حقيقة في الوقت الحاضر إلا أنه قد يُطلق على المستقبل القريب، تنزيلاً له منزلة الحاضر وهو المراد هنا، أو أنه مستعمل في حقيقته، والتقدير: قد أبحت لكم مباشرته.

٣... وَلَقَدْ نَسِيَ الْتَوْبَةَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ الشَّهَابَ حَتَّى إِذَا خَضَعُوا لَهُمْ لَمْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ... النَّسَاء: ١٨ الإمام الصادق عليه السلام هو الفرار، تاب حين لم ينلهم التوبة ولم يقبل منه.

ذلك إذا عاين أمر الآخرة. (البروسوي: ١: ٤٥٨) الآلوسي: أي هذا الوقت الحاضر، وذكر لمزيد تعيين الوقت. (٤: ٢٣٩)

٤... أَفَمِمَّا إِذَا مَا وَقَعَ لَكُمْ بِهِ الْإِسْنُ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ. يونس: ٥١

البُخَّي: (الآن) فيه إظهار، أي يقال لكم: الآن تؤمنون حين وقع الصواب؟ قرأ وزش عن نافع (الآن) بحذف الهزة التي بعد اللام الساكنة والفاء حركتها على اللام، وبند للهزة الأول على وزن «عالان» وكذلك

أي قيل لهم عند إيمانهم بعد وقوع العذاب: الآن آمنتم به،
(٥٢: ٤) إنكاراً للتأخير.

الآلوسي: [قال مثل البروسوي وأضاف:]
فَرى بدون همزة الاستهزاء. والظاهر عندي على
هذا تسلفه بقدر أيضاً لأن الكلام على الاستهزاء. ويصح
جواز تعلقه بالملوكور، وليس بذلك. (١١: ١٣٤)

وَأَلَّنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُتَكِبِينَ.
يونس: ٩١
الزجاج: وأما قوله: «أَلَّنْ لَكُمْ» يونس: ٥٩،
وقوله: «أَلَّنْ خَيْرٌ لَكُمْ»^(١) وقوله: (الَّذِينَ) فَإِنَّهُمْ أَجْمَعُوا
هذه الألف، ولم يحذفوا المد، كي لا يشبهه الحذف
الاحتشام لو قيل: الآن، والله أعلم.

(إعراب القرآن ١: ٣٦٢)

الطوسي: على أن يوجع من طريق التهوراني ونافع
إلا أبا طاهر، عن إسماعيل وأحمد بن صالح، عن قالون
والطبراني، عن قالون من طريق المسامي (الآن) في
الموضعين في هذه السورة، بإلقاء حركة همزة على اللام
وحذف همزة منها. [إلى أن قال:]

واختلفوا فيمن القائل هذا القول، فقال الجبائي: إن
القائل له ملك قال ذلك بأمر الله وقال غيره: إن ذلك
كلام من الله، قاله له على وجه الإحالة والتوبيخ، وكان
ذلك سبباً لومى مثلاً.

ومعنى الآية حكاية ما قيل للرعون حين قال:
«أَمْسَتْ أُمَّةٌ لَإِلَهِ إِلَّا إِلَهُي أُتْمِتُ بِهِ يَهُودًا إِسْرَائِيلَ»

لحرف الآخر. وروى زُمنة بن صالح (الآن) على مثل
«عَلان» بغير مد ولا همزة بعد اللام. وقرأ الياقون (الآن)
همزة ممدودة في الأول وإثبات همزة بعد اللام، وكذلك
قالون وإسماعيل عن نافع.
(٣: ١٥٨)
الزُحطوري: وقرأ (الآن) بحذف همزة التي بعد
اللام وإلقاء حركتها على اللام. (٢: ٢٤١)

أبو الفتح: معنى الآية هو أن الله تعالى قال على
سبيل التوبيخ والتأنيب لاستعجالهم العذاب: حيا يعق
بكم العذاب تلتمسون الإيمان به للثور، وهذا الإيمان
لا ينفعكم آنذاك ولا يفيدكم. (٣: ٢٨)

الفخر الرازي: يقال: الآن تؤمنون وترجعون
الانقطاع بالإيمان مع أنكم كنتم قبل ذلك به تستعجلون؟
على سبيل السخرية والاستهزاء. (١٧: ٩-١٠)

البيضاوي: (الآن) على إرادة القول أي قبله لهم
إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: الآن آمنتم به؟ وعن نافع
(الآن) بحذف همزة وإلقاء حركتها على اللام.
(١: ٤٥٠)

مثله التثني (٢: ١٦٧)، وأبو السود (٢: ٣٢٢).
النيسابوري: (الآن) يوزن «صالان» بحذف
همزة ثاني بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام، حيث كان
أبو جعفر ونافع وزُمنة وهمزة في الوقف. (١١: ٨٦)

البروسوي: (الآن) بإبدال همزة الثانية ألفاً مع
المد اللام، وأصله «الآن» على أن تكون الأولى
استهزامية. وهو منصوب بأنتم المقدر دون المذكور لأن
ما قبل الاستهزاء لا يعمل فيها بحذفه كالعكس. وهو
استئناف من جهة تعالى غير داخل تحت القول الملقن،

(١) «أَلَّنْ خَيْرٌ لَكُمْ» ليست بآية قرآنية.

أبو الشُّعُود: أرادت بـ(الآن) زمان تكلمها بهذا الكلام لازمان شهادتهن.

(٧٧: ٣)

مثله البروسوي.

(١٧٢: ٤)

الآلوسي: هو هنا متعلق بما خصصت أي حصص الحق في هذا الوقت.

وأرادت بـ(الآن) زمان تكلمها بهذا الكلام لازمان شهادتهن.

(٢٦٠: ١٢)

٧... فَمَنْ يَسْتَوْجِبُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ فِيهَا رَحْمَةً.

الجن: ٩

الأنسفي: أي بعد المبعث.

(٣٠٠: ٤)

أبو حنبل: (الآن) ظرف زمان للمحال و(يستطيع

المستقبل، فأتبع في الظرف واستعمل للاستقبال، كما قاله:

• سَأَسْمِي الْآنَ إِذْ بَلَغْتَ أُنَاها •

لَهُ فِيهَا رَحْمَةً. (الآن) أي في هذا الزمان الآتي، يَجِدُ

(٢٢٩: ٨)

الشُّرَيْبِيُّ: (الآن) أي في هذا الوقت وفيما يستقبل،

لأنهم أرادوا وقت قولهم فقط.

(٤١: ٤)

البروسوي: (الآن) أي في هذا الزمان وبعد المبعث.

وفي «اللباب»: ظرف حالتي استعير للاستقبال.

(١٩٣: ١٠)

الآلوسي: قال في «شرح التسهيل»: (الآن) معناه

هنا القرب مجازاً، فيصح مع الماضي والمستقبل.

(١٨٧: ٢٩)

الطُّبَّاطِبَاتِي: (الآن) يدل على حدوث أمر جديد

في رجم الجن، وهو استيعاب الرجم لهم.

(٤٣: ٢٠)

يونس: ٩٠، بَأْتِكَ تَقُولُ هَذَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَوَقَدْ

خَصَّيْتُ قَبْلُ هَذَا «وَوَكَّتَ مِنَ الشُّفْعِيدِينَ» يونس:

٩١، فِي الْأَرْضِ يَقْتُلُ الْمُؤْمِنِينَ وَادَّعَاءُ الْإِلَهِيَّةِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ

مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ.

(٤٩٠: ٥)

مثله الطُّنْبُورِيُّ (١٣٠: ٣)، وَأَبُو الْقَتُوحِ (٤٤: ٣).

الأنسفي: أتومن الساعة في وقت الاضطراب حين

أدركك الفرق وأثبتت من نفسك. قيل: قال ذلك حين

أبجسه الفرق، والعامل فيه «أتومن».

(١٧٥: ٢)

مسألة النيسابوري (١١٢: ١١)، وَأَبُو حَتَّانَ (٥:

١٨٨).

أبو الشُّعُود: (الآن) مقول لقول مقدر مطوف على

(قال)، أي قيل: الآن.

(٢٧٧: ٢)

مثله البروسوي.

الآلوسي: (الآن) الاستفهام للإنكار والتوبيخ

والظرف متعلق بمحذوف يتعد مؤخرًا، كقوله: (الآن) مؤخرًا

حين يثبت من الحياة وأبقت بالمعاني، وقدر مؤخرًا

ليتوجه الإنكار والتوبيخ إلى تأخير الإيمان، إلى حد يستع

قبوله فيه، والكلام على تقدير القول، أي قيل له ذلك.

وهو مطوف على (قال).

(١٨٢: ١١)

نحوه حَسَنٌ مَخْلُوف.

(٣٥٤)

شُبْرَا (الآن) يتسكن الآم وهمرة بعدها وبهذا

والقاء حركتها على الآم، وعامله محذوف وفيه إضمار،

أي قيل له: الآن آمنت حين لا ينضمك الإيمان ولا يقبل،

لأنه حال الإلجاء.

(١٨٥: ٣)

٦- قَالَتِ امْرَأَتُ الْمُزْنِيزِ إِنَّ خَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا

وَأَوْدَعَهُ هُنَّ نَفْسِي...

يوسف: ٥١

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة «الأون»، وهو البدل وجانب المخرج. يقال: خرج ذوأونين، وبه شُبِّهَتِ الأُتَانُ القُرْب، يقال: قد أَوْنَت تأوينا، والدَّائِمَةُ إذا شربت، فصار عليها مثل المدلين، يقال: قد لَوْنَت تأوينا حسنا. ومنه «الأون» وهو الدَّعْمَةُ والسَّكِينَةُ، لأنَّ الدَّائِمَةَ بعدما تشبع وترتوي، تخلد إلى الرَّاحَةِ والسَّكُونِ، فهذا المعنى فرع، وليس أصلاً برأسه، كما قال ابن فارس. ثم قيل لزمن التأوين توسعاً: الأوانُ والأُنُّ والآنُ. فالأوانُ والآنُ ظرفان للزمان المطلق، يقال: جاء أولُ البرد، والآنُ آتلك إن فعلت. والآنُ للزمان الحاضر، يقال: نحن من الآن نصير إليك.

وأما الإيوان، فهو غارسي محرب، والإيوان مخفف منه.

٢- وهناك تجمانس لفظي وشراف مصوري كقولهم: «الأون» و«المون»، فكلاهما يعني الدَّعْمَةُ والسَّكِينَةُ. ولولا ورودها مستقلين في بعض اللغات السامية، لقلنا بإبدال ثانيهما من بعضها بعضاً. كما في أرق وهرق، وأيا وهيا. إلا أنه لم يقل أحد بإبدال فاء أحدهما عن الآخر. ٣- والآن: ظرف للزمان الحاضر، وأصله - كما قيل - أوان، فحذف منه الواو، فاجتمع ألفان، فأدغمها ومثلاً. أو أن المذوف هو الألف، فمُثِلَتِ الواو التي قبلها ألفاً، فاجتمع ألفان، فأدغمها ومثلاً. ثم دخلت عليه الألف واللام، وبني على السكون، ولكنه حُرِّكَ لالتقاء ساكنين، وهما الألف الثانية والنون، وكانت الحركة خصمة للخطبة. وقيل: أصله الفعل «أن»، من قولهم: أن لك أن تعمل، فأدخلت عليه الألف واللام، كما دخلنا على

المتولين «قال» و«قيل».

ثم اختلف في الألف واللام - كما تقدم في التصوص - فمنهم من قال: بأتهما زائدتان، ومنهم من قال: بأتهما للتحريف. ومن عدهما زائدتين جعل الظرف شبه حرف، فبني عليها. واستدل على زيادتهما بلزومها له، وبعدم وجود الظهير، إذ لا يقال: آن والآن، كما يقال: رجل والرجل. ومن عدهما للتحريف، جعل الظرف اسماً منكراً، ثم حُرفَ بهما، ولزمناه دائماً.

أو أنه حُرفَ بالألف ولام غير ظاهرتين، مثل أنسي، وأما الظاهران فهما زائدتان. وعلة بناء الظرف - على هذا القول - تضمنته معنى حرفي التحريف.

ومن ترجع قول من قال في «الآن» أصله «آن» دخلت عليه الألف واللام، كما دخلنا على «قيل» - وهناك تجمانس لفظي وشراف مصوري كقولهم: «الأون» و«المون»، فكلاهما يعني الدَّعْمَةُ والسَّكِينَةُ. ولولا ورودها مستقلين في بعض اللغات السامية، لقلنا بإبدال ثانيهما من بعضها بعضاً. كما في أرق وهرق، وأيا وهيا. إلا أنه لم يقل أحد بإبدال فاء أحدهما عن الآخر. ٣- والآن: ظرف للزمان الحاضر، وأصله - كما قيل - أوان، فحذف منه الواو، فاجتمع ألفان، فأدغمها ومثلاً. أو أن المذوف هو الألف، فمُثِلَتِ الواو التي قبلها ألفاً، فاجتمع ألفان، فأدغمها ومثلاً. ثم دخلت عليه الألف واللام، وبني على السكون، ولكنه حُرِّكَ لالتقاء ساكنين، وهما الألف الثانية والنون، وكانت الحركة خصمة للخطبة. وقيل: أصله الفعل «أن»، من قولهم: أن لك أن تعمل، فأدخلت عليه الألف واللام، كما دخلنا على

الاستعمال القرآني

١- استعمل «الآن» في القرآن ظرفاً للفعل الماضي والأمر والمستقبل، في الآيات التالية:

١- «قَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا أَنتَ الْمُهْتَدِىُّ فَتُخْرِجُنَا مِنْ دِينِنَا وَمَا نَكَادُوا بِتُقَاتِلُونَ» البقرة: ٧١.

٢- «قَالُوا إِنَّا نَبْشِرُوكُمْ وَإِنَّا نَكْتُبُ إِلَيْكُمْ» البقرة: ١٨٧.

٣- «وَإِذَا ضَلَلْتَ أَهْلَكَ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ» النساء: ١٨.

٤- «إِنَّا نَكْتُبُ إِلَيْكُمْ وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا

صَحَفَا

الأفعال: ٦٦

٥ - ﴿أَلَمْ إِذَا مَآوِجُ أُنْتُمْ بِهِ أَثْنَنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ

تَشْتَقِجُونَ﴾

٦ - ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أَثْنَنَّ وَقَدْ غَضِبْتُ قَبْلُ

وَكُنْتُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

٧ - ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْفَزَّازِ الثَّنَّ خَضَخَ الْحَقُّ أَنَا

رَاوَدُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾

٨ - ﴿لَنْ يَشْقِيَ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِجَابًا

رَضَدًا﴾

يلاحظ أولاً: أن (الآن) جاء في القرآن عقيب

الإثبات دون التي لفعل ماضٍ - سوى الآيتين (٢) و(٨).

فجاء فيها ظرفاً لفعل الأمر والمضارع - خلافاً لما

استعمل في اللغة، حيث جاء عقيب الفعل المضارع، بيد

أنه قلب معنى الماضي إلى المضارع.

ولكن قسيمه: أمس وغداً، جاءا عقيب فعل مضارع

يناسبهما.

ثانياً: أن (الآن) جاء في الآية رقم (٦) بدون عامل،

وعامله حذّر، يدلّ عليه قوله في الآية السابقة: ﴿وَأَنَا

مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، وتقديره: الآن أسلمت؟

وكذلك الآية (٥)، فقد جاءت بدون فعل، ولكن

ينهم من قوله: ﴿أُنْتُمْ بِهِ﴾، إذ ليس هو متعلق (الآن)

بل الجملة السابقة أو الفعل للمقدّر - على خلاف بين

المفسرين - حيث جعل بعضهم الفعل المذكور متعلقاً به.

ثالثاً: أن مخالفة الاستعمال - بمرورده مع الفعل الماضي

- يشعر بتغيير الحال سلباً وإيجاباً، إذ يدلّ السابق في (١)

و(٧) على أن الباطل كان مهيمناً على زمان ما قبل مجيء

الحق، فهو تغيير إيجابي.

وهكذا الأمر في سائر الآيات، إلا أن التغيير في

بعضها سلبي، فقوله في (٣): ﴿إِنِّي تَبْتُ الْآنَ﴾، يدلّ على

أن القائل كان عاصياً، وقوله في (٤): ﴿أَلَنْ خُفِّفَ اللَّهُ

عَنْكُمْ﴾، على أن المسلمين كانوا يعانون ظروفاً قاسية،

وقوله في (٥): ﴿أَلَمْ إِذَا مَآوِجُ أُنْتُمْ بِهِ﴾، على أنهم

كانوا مصرّين على الكفر قبل وقوع العذاب.

رابعاً: جاء (الآن) مقدّماً على فعله فيما ظهر فعله،

ولانرى وجهاً له سوى المحصر، وهكذا يقدر فعل مؤخراً

فيما لم يظهر فعله، لأن سياقه المحصر. وأما تأخير (٣)

و (٨) عن الفعل فلأن المحصر لم يقصد فيها.

واختصت (٨) بمجيء المضارع فيها بدل الماضي كما

سبق، وبإملاء (الآن) بدل (الئن) في غيره، وهذا يرجع

إلى رسم الخط القرآني.

ويلاحظ أيضاً أن قوله في (٣) تهكم، وفي (٥) و(٦)

خامساً: بالتأمل في الآيات التساني التي جاء فيها

«الآن» يظهر أنه يأتي دائماً بمعنى الزمان الحاضر، إلا أن

هذا الزمان يختلف ما يراد به بحسب الموارد، فقد يراد به

لحظة التكلّم، أو هي وما يحتملها من الوقت المناسب

لموضوع الكلام، أي حين وقوع ما وقع من القول والفعل،

كما أنه قد يراد به هذا الوقت فما بعده.

واليك عرض ما أريد بالآيات: فالأولى لحظة التكلّم

من قبل موسى في كلامه الأخير، والثانية هذا الوقت فما

بعده، والثالثة حين الموت، والرابعة هذا الوقت فما بعده،

والخامسة حين وقوع العذاب، والسادسة حين العرق

والموت، والسابعة لحظة التكلّم بعد قول يوسف، والثامنة

بعد نزول القرآن.

أوه

لفظ واحد، مرتان: ١ مكّية، ١ مدنية
في سورتين: ١ مكّية، ١ مدنية

(الزبيدي: ٣٧٧ أ)

ثم قال: أوه، ثم عدا.

أهل الأعرابي: نأوه نأوها، إذا توجّع، ومثله أوه

(الأزهري: ٤٨١ أ)

أبن السكيت: قولهم: «أهه وأبيته» لآله من

التأوه، وهو التوجّع، يقال: تأوّهت أهه. [ثم استشهد

(إصلاح المصنف: ٣٢١)

بشر]

أبو حاتم: العرب تقول: أوه وآوه وأووه بالمدة

وواو وسن، وأوه بكسر الهاء خفيفة. [ثم استشهد

(الأزهري: ٤٨١ أ)

بشر]

المُبَرَّد: يقال: إجا إذا كَفَفْتَهُ، وَوَجَّأ إذا أَغْرَيْتَهُ،

(الزبيدي: ٣٢٢)

وَوَاجَّأ إذا تَجَبَّجْتَ مِنْهُ.

الطَّبْرِي: [الأوَاه] أصله من التأوه، وهو التضرّع،

والمسألة بالحزن والإشفاق.

ولانكاد العرب تطلق منه جَعَلَ يَفْعَل، وإِنَّمَا تقول

فيه: تَعَلَّل يَتَعَلَّل، مثل تأوّه يتأوّه، وأوّه يُؤوّه. [ثم

النصوص اللغوية

الخليل: أوه: حكاية التأوه في صوته، وقد يغسله

الإنسان من التوجّع. [ثم استشهد بشر]

وأوه فلان وأهه، إذا توجّع فقال: أوه أو قال: هاو

عند التوجّع، فأخرج نفسه بهذا الصوت، لينفّرج عنه

ما به.

والأوَاه: الدقّاء للخير، قال جلّ وعزّ: ﴿إِنْ يَزِجْ

لَأَوَاهُ خَلِيمٌ﴾ التوبة: ٨١٤ (٤: ١٠٤)

فَطَرْبٍ، أوَاه: كثير قول أوه، وهي اسم فعل بمعنى

أتوجّع، ووزنه «فَعَال» للمبالغة، فقياس الفعل أن يكون

ثلاثياً: آء يُوْوه أوْهًا، كقال يقول قولًا. (أبو حيان: ٥: ٨٨)

أبو عمرو والشيباني: ظليّة مَوْوَهَة ومَأْوَوْهَة.

وذلك أن الغزال إذا نجح من الكلب أو السهم وقف وقفة

استشهد بشر]

الأكف وتشديد الواو، ومدّ الألف وتغريف الواو، وأوؤ

بسكون الواو وكسر الهاء، وأوؤ بتشديد الواو وكسر

وسكون الهاء، وآو، وآو، وأوؤاه. (١: ١٦٢)

ابن سيدة: [مقلوبة أهو، أو هـ]

الآهة: المحضبة.

وأما قضينا بأن ألف الآهة ولو لما قدمنا من أن العين

واوًا أكثر منها ياء.

وأوؤ وأوؤ، وأوؤ، وأوؤ، وأوؤ، وآة كلها كلمة

منهاها التحزن.

وأوؤ من فلان ويحزن، إذا اشتد عليك فقهه [تم]

استشهد بشر]

وذوي «آؤ» يذخرها، وسياي، وقد تأؤ، آها

والآهة. [تم استشهد بشر]

وعندي أنه وضع الاسم موضع المصدر، أي تأؤ،

تأؤ الرجل.

ورجل آؤ: كثير الحزن، وقيل: هو الذعاء إلى

الغنى، وقيل: القبيح، وقيل: المؤمن بلفظ الحبشة، وقيل:

الزحيم الرقيق. (٤: ٢٢٦)

الطوسي: أصل «الأوؤ» من التأؤ، وهو التوجع

والتحزن، تقول: تأؤ، تأؤها، وأوؤ تأوؤها. [تم استشهد

بشر]

والعرب تقول: أوؤ من كذا بكسر الواو وتسكين

الهاء. [تم استشهد بشر]

والعامة تقول: أوؤ، يقال أيضًا: أوؤ بسكون الواو

وكسر الهاء. [تم استشهد بشر]

ولو جاء منه فعل بفعل لكان آة يؤؤه أوؤها، عمل

وقالوا أيضًا: أوؤ منك. [تم استشهد بشر]

ولو جاء فعل منه على الأصل لكان آة يؤؤه أوؤها.

(١١: ٥٢)

الشجستاني: التأؤ أن يقول: أوؤ أوؤ وفيه خمس

لغات: أوؤ، وآؤ، وأوؤ، وآو، وأوؤ. ويقال: هو يتأؤ،

ويتأوي. (٨١)

البحراني: قولهم عند الشكاية: أوؤ من كذا، ساكنة

الواو، إنما هو توجع. [تم استشهد بشر]

وربما قبلوا الواو ألفًا فقالوا: آؤ من كذا، وربما شدوا

الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا: أوؤ من كذا، وربما

حذفوا مع التشديد الهاء فقالوا: أوؤ من كذا، بلا علة

وبعضهم يقول: أوؤ بالمد والتشديد وقبح الواو ساكنة

الهاء، فتطويل الصوت بالشكاية. وربما أدخلوا فيه ألفًا

فقالوا: أوؤاه، يمد ولا يمد.

وقد أوؤ الرجل تأوؤها، وتأؤ تأوؤها، إذا قال: أوؤ.

والاسم منه الآهة بالمد. [تم استشهد بشر]

ويروى: «آهة» من قولهم: آؤ أي توجع. [تم]

استشهد بشر]

ومنه قولهم في الذعاء: هل الإنسان آهة لك وأوؤ

لكه بمحذوف الهاء أيضًا، مشددة الواو. (٦: ٢٢٢٥)

ابن فارس: الهمزة والواو والهاء كلمة ليست أصلًا

يقاس عليها. يقال: تأؤ، إذا قال: أوؤ وأوؤ، والعرب

تقول ذلك. [تم استشهد بشر] وقوله تعالى: «إِنْ إِنْزَجِمِ

لَأَوَّاهٍ حَلِيمٍ» هو الذعاء.

أوؤ فيه لغات: مدّ الألف وتشديد الواو، وقصر

٢- الذي يرفع صوته في الدعاء، قال تعالى في الآية

١١٤، من سورة التوبة: ﴿إِنْ يُزْجِمِ لَأُؤَاخِطِ﴾.

٣- الدعاء إلى الخير.

٤- الفقية.

٥- المؤمن (بلغة الحبشة). (٣٨)

المُصْطَفَوِيّ: والظاهر أن «آية» وظاهرها من أسماء

الأصوات، وهي ألفاظ تخرج من فم الشخص المتوجع

الحزين، واختلاف الضيق والألفاظ إنما يحصل باختلاف

المحالات في الحزن والتوجع، فبمقتضى كل حالة يظهر

لفظ مخصوص من جهة الحركات والحروف ونسب

والقصر.

ثم اشتق منها الفعل بالاهتمام الانترامي، كما في

الجوامد.

فهذه المادة إنما تدل على التوجع والحزن ليست إلا.

النصوص التفسيرية

أؤاء

وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْجِدَةٍ وَغَدَا

إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ غَدُوٌّ لَهُ تَوَلَّى مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ

خَلِيمٌ. التوبة: ١١٤

النبي ﷺ الأؤاء: الناشع المضرع.

(الطبري ١١: ٥١)

الدعاء.

(القرطبي ١٦: ٢١١)

مثل ابن مسعود، وعبيد بن عمير (الطبري ١١: ١٦٢)

٤٧، وابن فارس (١: ١٦٢)، وهو المروي عن الإمام

(الكاشاني ٢: ٣٨٢)

الباهر ﷺ

أؤوت: كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه

أؤء، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «إِنَّهُ أَوَّاهٌ».

(الطبري ١١: ٥١)

ابن مسعود، الأؤاء: الرحيم.

مثل الحسن، وقتادة، وأبي ميرة، وعمر بن

سرحيل. (الطبري ١١: ٤٨)

كعب الأعبار: إذا ذكر [إبراهيم] النار قال: أؤء من

النار. (الطبري ١١: ٥١)

ابن عباس: المؤقن.

مثل مجاهد، والثوري، والضحك.

(الطبري ١١: ٤٩)

مثل قطام. (القرطبي ٨: ٢٧٥)

الموقن، بلسان الحبشة.

مثل قطام، وجندب. (الطبري ١١: ٤٩)

المؤمن بالحبشة.

مثل ابن جريج. (الطبري ١١: ٥٠)

المؤمن. (الطبري ١١: ٥٠)

المؤمن التواب. (الطبري ١١: ٥٠)

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَفَنَ مَيْتًا، فَقَالَ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ، إِنْ كُنْتَ

لَأَوَّاهًا» يعني تلاء للقرآن. (الطبري ١١: ٥٠)

ابن المسيب: أَنَّهُ الْمَسِيحُ الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهَ فِي

الأرض القفر الموحشة.

مثل الكلبي. (القرطبي ٨: ٢٧٥)

سعيد بن جبيرة: المسيح. (الغازي ٣: ١٢٨)

مثل الشعبي. (الأوسمي ١١: ٣٥)

- أَنَّهُ الْمَكْلَمُ لِلْخَيْرِ. (الْقُرْطُبِيُّ ٨: ٢٧٦)
- أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ: تَكَلَّمْتُ امْرَأَةً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَيْءٍ وَكَرِهَهُ فَنَهَاها عَمْرٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «دَعُوها فَإِنَّها أَوَّاهَةٌ».
- قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْأَوَّاهَةُ؟ قَالَ: الْخَاشِعَةُ.
- مِثْلُهُ مُجَاهِدٌ.
- الْخُشْيَةُ: الْأَوَّاهُ: الْخَافِ.
- الْفَقِيه.
- مِثْلُهُ قَتَادَةُ.
- مُجَاهِدٌ: مُؤْتَمِنٌ مُؤْمِنٌ.
- الْمُؤْمِنُ الْمُسْتَعِينُ.
- مِثْلُهُ يَكْرِمَةُ.
- الْمُسْتَعِينُ: الْمُؤْمِنُ الْمُؤْتَمِنُ بِالْخَشْيَةِ الرَّحِيمِ.
- عَطَاءُ: الرَّاجِعُ عَنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ حَزُونٌ.
- الْإِمَامُ الْبَاقِرُ ﷺ: الْأَوَّاهُ: الْمُتَضَرِّعُ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاتِهِ، وَإِذَا خَلَا فِي قَهْرٍ مِنَ الْأَرْضِ وَفِي الْخَلَوَاتِ.
- ابْنُ عَامِرٍ: الْكَثِيرُ الذِّكْرُ ﷺ.
- الْإِمَامُ الصَّادِقُ ﷺ: كَثِيرُ الدُّعَاءِ وَالْجُكَّاءِ.
- الْبَحْلِيلُ: الْأَوَّاهُ: الدُّعَاءُ لِلْخَيْرِ.
- الْفَرَّاءُ: الْكَثِيرُ التَّوَهُُّ مِنَ الذُّنُوبِ.
- أَبُو عُبَيْدَةَ: بِجَاوِزِهِ «فَتَالَهُ» مِنَ التَّوَهُُّ، وَمَعْنَاهُ مُتَضَرِّعٌ شَفَقًا وَفَرَقًا وَلُزُومًا لَطَاعَةً رُبَّهُ. [نَحْوُ اسْتَشْفَادٍ بِشَعْرٍ]
- مِثْلُهُ أَبُو عُبَيْدٍ.
- مَعْنَاهُ الْمُنْجِبُ الْمُتَضَرِّعُ إِلَى اللَّهِ خَوْفًا وَرَأْسًا.
- نَحْوُهُ ابْنُ قَتَيْبٍ.
- الْعَطْرِيُّ: اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي «الْأَوَّاهِ»، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الدُّعَاءُ.
- وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الرَّحِيمُ.
- وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الْمُؤْمِنُ.
- وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ كَلِمَةٌ بِالْخَشْيَةِ مَعْنَاهَا الْمُؤْمِنُ.
- وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْمُسِيحُ الْكَثِيرُ الذِّكْرُ ﷺ.
- وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الَّذِي يُكْثِرُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ.
- وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مِنَ التَّوَهُُّ.
- وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ فَتِيهٌ.
- وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْمُتَضَرِّعُ الْخَاشِعُ.
- وَأَوَّلُ الْأَحْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصُّوَابِ الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، الَّذِي رَوَاهُ عَنْهُ إِدْرَاقُ الدُّعَاءِ.
- وَأَمَّا قُلْنَا ذَلِكَ أَوَّلًا بِالصُّوَابِ، لِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ ذَلِكَ وَوَصَفَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، بَعْدَ وَصْفِهِ بِإِيَّاهُ بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ لِأَبِيهِ، فَقَالَ: «وَمَا كَانَ لِاسْتِغْفَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مُوَجَّدَةٍ وَقَدْ خَلَا إِثْمًا فَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَسَدٌ» فَتَبَيَّنَ مِنْهُ الْقُوَّةُ: ١١٤، وَتَرَكَ الدُّعَاءَ وَالِاسْتِغْفَارَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَدُعَاءُ لِرَبِّهِ، شَالِي لَهُ حَلِيمٌ عَنْ شَيْءٍ وَقَالَ بِالْمَكْرُوهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ

عليه، وعَدَّ أهَاء بالاستغفار له، ودعاء الله له بالمغفرة له، عند وعيد أبيه إتياء، وتهدد له بالشتم بعد مسأرة عليه نصبحته في الله، وقوله: «أَرْغَبَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ لَا زَجَمْتُكَ وَاهْبِزْنِي عَلَيَّ»، فقال له صلوات الله عليه: «سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِحَقِّكَ غَفِيًّا» وَلَقَدْ رَكِعْتُم مِّنَ دُونِ اللَّهِ فَادْعُوا رَبِّي عَشْيَ أَلَّا تَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شُعْيًا» مريم: ٤٦-٤٨، فوحي لأبيه بالاستغفار له، حتى تبين له أنه عدو لله، فوصفه الله بأته دعاء لربه، حلیم عمن سببه عليه، وأصله من «التَّأَوُّ» وهو الضُّعْفُ، والمآلة بالحرز والاشتقاق.

الهُزُونُ: يقال: دُعَاءٌ وعليه أكثر أهل التلخيص ويقال: رقيق القلب، ويقال: مُوقِنٌ. الرُّمَحْضَرِيُّ (أَوَّلُهُ) قَالَ: مِنْ لَوْهٍ كَلَّالٍ مِنَ الْهَلَاكِ وَهُوَ الَّذِي يَكْثُرُ التَّأَوُّ، ومَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَلَمْزْهُ رَحْمَةُ اللَّهِ وَكَثُرَ تَوَضُّعُهُ وَحَلِيمُهُ كَانَ يَنْطَلِفُ عَلَى أَبِيهِ الْكَافِرِ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ، مع شَكَاسَتِهِ عَلَيْهِ. نحوه النَّسِيُّ. (٢: ٤٦٧) (٢: ١٤٨)

الْفَقْرُ الرَّازِيُّ: واعلم أن اشتقاق «الأَوَّاه» من قول الرجل عند شدة حره: أَوَّه، والتَّسَبُّبُ لِيَهْ أَنْ عِنْدَ الْحَزَنِ يَمْتَنِقُ الرُّوحُ الْقَلْبِيَّ فِي دَاخِلِ الْقَلْبِ وَيَسْتَفِدُّ حَرَفَهُ، فَالْإِنْسَانُ يُخْرِجُ ذَلِكَ النَّفْسَ الْمُعْتَرِقَ مِنَ الْقَلْبِ لِيَخْفَ بِبَعْضِ مَا بِهِ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي اشْتِقَاقِ هَذَا اللَّفْظِ. [إلى أن قال:]

وقيل: كون إبراهيم عليه السلام نَوَاحًا، كَلَّمَا ذَكَرَ نَفْسَهُ تَقْصِيرًا أَوْ ذَكَرَ شَيْءًا مِنْ شِدَائِدِ الْآخِرَةِ كَانَ يَتَأَوَّى بِشَفَاعَتِهِ

من ذلك واستعطائًا له. [إلى أن قال:]
وَلَمَّا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ حَلِيمٌ فَهُوَ مَعْلُومٌ.

واعلم أنه تعالى إنما وصفه بهذين الوصفين في هذا المقام لأنه تعالى وصفه بشدة الرقة والشفقة والخسوف والوجل. ومن كذلك فإنه تعظم رفته على أبيه وأولاده، فبين تعالى أنه مع هذه العادة تبرأ من أبيه وغلظ قلبه عليه، لما ظهر له إصراره على الكفر، فأنتم بهذا المعنى أولي. وكذلك وصفه أيضًا بأته حلیم، لأن أحد أسباب الحلم رقة القلب، وشدة الطف، لأن المرء إذا كان حاله هكذا اشتد حلمه عند الغضب. (١١٦: ١١٦)

الْقُرْطُبِيُّ: اختلف العلماء في «الأَوَّاه» على خمسة عشر قولاً:

الأول: أنه الدعاء الذي يكثر الدعاء، قتاله ابن مسعود وعبيد بن عمير.

الثاني: أنه الرحيم بهاد الله، قتاله الحسن، وقتادة، وروى عن ابن مسعود والأول أصح إسناداً عن ابن مسعود، قتاله النحاس.

الثالث: أنه الموقن، قتاله عطاء، وعكرمة، ورواه أبو ظبيان عن ابن عباس.

الرابع: أنه المؤمن بخلق المهبشة، قتاله ابن عباس أيضاً.

الخامس: أنه المستبح الذي يذكر الله في الأرض القفر الموحشة، قتاله الكلبي وسعيد بن المسيب.

السادس: أنه الكثير الذكر لله تعالى، قتاله عتبة بن عامر.

وذكر عند النبي ﷺ رجلاً يكثر ذكر الله ويُسَبِّحُ

فقال: «إِنَّهُ لَأَوْاه».

السابع: أَنَّهُ الَّذِي يُكْثِرُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ. وَهَذَا مَرْوًى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قلت: وهذه الأقوال متداخلة، وتلاوة القرآن يجمعها.

الثامن: أَنَّهُ الْمُتَأَوُّه. قَالَهُ أَبُو ذَرٍّ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «آءٌ مِنَ النَّارِ قَبْلَ أَلَّا تَنْفَعَ آءٌ».

وقال أبو ذَرٍّ: كَانَ رَجُلٌ يُكْثِرُ الطَّوَّافَ بِالْبَيْتِ وَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ: أَوْهٍ أَوْهٍ. فَشَكَاهُ أَبُو ذَرٍّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «دَعْنِي فَإِنَّهُ أَوْهٌ». فَخَرَجَتْ ذَاتُ لَيْلَةٍ فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ يَدْفَنُ ذَلِكَ الرَّجُلَ لَيْلاً وَمَعَهُ الْمَصْبَاحُ.

التاسع: أَنَّهُ الْفَقِيه. قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَالتَّخَمِي.

العاشر: أَنَّهُ الْمُتَضَرِّعُ الْخَاشِعُ، رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَدَّادِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ. وَقَالَ أَنَسٌ: تَكَلَّمْتُ لِسَرَاةٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَنْعِهِ، فَخَالَهَا عَمْرٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوها فَإِنَّهَا أَوْاهَةٌ». قَبْلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْأَوْاهَةُ؟ قَالَ: الْخَاشِعَةُ.

الحادي عشر: أَنَّهُ الَّذِي إِذَا ذَكَرَ خَطِيئَاتِهِ اسْتَغْفَرَ مِنْهَا، قَالَهُ أَبُو أَيُّوبَ.

الثاني عشر: أَنَّهُ الْكَثِيرُ التَّأَوُّهُ مِنَ الذَّنُوبِ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ.

الثالث عشر: أَنَّهُ الْمُعَلِّمُ لِلْخَيْرِ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ. الرَّابِعُ عَشَرَ: أَنَّهُ الشَّقِيقُ، قَالَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَمِيْرٍ. الْخَامِسُ عَشَرَ: أَنَّهُ الرَّاجِعُ عَنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَهُ عَطَاءٌ. وَأَصْلُهُ مِنَ التَّأَوُّهِ، وَهُوَ أَنْ يَسْمَعَ لِلصَّوْتِ صَوْتٌ مِنْ تَنْفَسِ الصَّعْدَاءِ.

قال كعب: كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا ذَكَرَ النَّارَ تَأَوَّهَ. قَالَ

الْجَوْهَرِيُّ: قَوْلُهُ عِنْدَ الشُّكَايَةِ: أَوْهٍ مِنْ كَذَا سَاكِنَةٌ أَلَوَاوُ إِنَّمَا هُوَ تَوْجَعٌ. [تَمَّ اسْتِشْهَادُ بَشَرٍ] (٨: ٢٧٥)

الْبَيْهَقِيُّ: كَثِيرُ التَّأَوُّهِ، وَهُوَ كُنْيَاةٌ عَنْ فَرَطٍ تَرَجَّمَهُ وَرَقَّةٌ قَلْبُهُ. (١: ٤٣٤)

مِثْلُهُ أَبُو السُّعُودِ (٢: ٣٠٠)، وَالْقَاسِمِيُّ (٨: ٣٢٨١).

الْثَمَسِيُّ بَابُورِيٍّ: «الْأَوْاهُ» هُوَ الْمُتَبَرِّئُ مِنَ الْخُلُوقَاتِ لِكَثْرَةِ نَيْلِ الْمَوَاجِدِ وَالْكَرَامَاتِ، فَيَكُونُ لَضِيقِ الْبَشَرِيَّةِ تَوَلَّاهُ مَوْلَاهُ، لَهَا وَدَدَ لَهُ وَلَرَادَ الْحَقِّ ضَاقَ عَلَيْهِ نَطَاقُ الْخَلْقِ، فَيَتَأَوَّهُ عِنْدَ تَنْفَسِ الْقَلْبِ الْمَضْطَرِّ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ. (١١: ٣٦)

أَبُو حَتِيَّانَ: [عِدَّ نَقْلَ قَوْلِ الرَّحْمَنِيِّ لِمَالٍ]

تَسْمِيَةُ أَوْاهٍ مِنْ أَوْهٍ هَلَاكٌ مِنَ التَّوَلُّوْ لَيْسَ بِجَدٍّ. لِأَنَّ مَعْنَى أَوْهٍ مَوْجُودَةٌ فِي صُورَةِ أَوْاهٍ، وَمَعْنَى تَوَلُّوْ مَفْقُودَةٌ فِي أَوْاهٍ لِاخْتِلَافِ التَّرْكِيبِ، إِذْ لَأَلٌ ثَلَاثِيٌّ وَلَوَلُّوْ رِبَاعِيٌّ، وَشَرَطُ الْإِشْتِقَاقِ التَّوَافُقُ فِي الْحُرُوفِ الْأَصْلِيَّةِ.

(٥: ١٠٦)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ: تَعْلِيلُ لَوْعِدِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْتِغْفَارِهِ لِأَيِّهِ، بِأَنَّهُ تَحْمَلُ بَقْوَةَ أَبِيهِ، وَوَعْدَهُ وَهَذَا حَسَنًا لِكُونِهِ حَلِيمًا، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ لِكُونِهِ أَوْاهًا، وَالْأَوْاهُ هُوَ الْكَثِيرُ التَّأَوُّهُ خَوْفًا مِنْ رَبِّهِ وَطَعْمًا فِيهِ. (٩: ٣٩٨)

الْمُصْطَفَوِيُّ: الْمُؤْمِنُ الْعَارِفُ بِاللَّهِ، لَا يَزَالُ مُتَوَجِّعًا فِي قِبَالِ نُصُورِهِ وَخَبَرِهِ وَفُتُورِهِ، وَحَزِينًا لِمَا يَلُوتُ عَنْهُ مِنْ وَطَائِفِ الْمُبُودِيَّةِ فِي الْمُتَعَالِ وَمَتَأَثِّرًا وَمَتَأَلِّبًا عَمَّا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَبْعِدَ وَطِيعَ كَمَا يَنْبَغِي وَيَسْلِقُ لِيَمْرَ جَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، فَيَدُومُ خُضُوعَهُ وَخُشُوعَهُ، وَلَا يَزَالُ يَدْرِكُ

فقره وقصوره وذلك في نفسه، وهذا المعنى من لوازم الحلم والإثابة.

فإن الحلم هو طمأنينة النفس وسكونها، بحيث لا يتركها الغضب حتى يحجب العقل ويضعف الإدراك والعمل الصالح.

والإثابة هو الرجوع إلى الله المتصال، والتوجه إليه والانتفاع من الملائق المادية، فإذا حصل الحلم والإثابة يتمكن صاحبه من الخزن في نفسه، فهو أولاد.

فالأولاد هو الذي يظهر الخزن والتوجع إقاماً من جهة قصوره، ولذا يلاحظ الحب والتوق، أو بسبب وجود عوائق وعلاقات مادية تمنع عن الوصول إلى ما يحب ويريد ومن إدراك ما يتوجه إليه.

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿إِنْ إِنْزَاهٍمْ لَكُمْ مِنْكُمْ﴾ (١: ١٩٩) منيب هود: ٧٥.

الأسبانية والتركية والكردية وفي غيرها من اللغات، ويبدل الهاء خاء في الفارسية، ونظيره «أوه» الذي يستعمل في اللغات المصرية والإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها، ويبدل هاؤه خاء أيضاً في بعض اللغات كالرومية. وبهذا يمكن اعتبار «آه» أصل هذه المادة، وسائر المشتقات فرع منه.

٣- ويلاحظ أن الحروف الثلاثة لهذه المادة كلها خفيفة، ولذا جاء معناها خفيفاً لا يدل على الثقل والثقة. وهذا الأمر يسري إلى سائر ثقلاتها الثلاثة للتمثلة، فادة «هأوه» تدل على الضعف، يقال: هأى، إذا ضعف. ومادة «أهوه» تدل على حكاية صوت الضحك، وتدل بعض معاني مادة «هـ» «أه» على التلبية، وهي المطاوعة والاعتقاد، وتقيدها الامتناع الذي يدل على الثقة والثقل.

مركز تحقيق التراث - مكتبة المخطوطات - مسقط

الاستعمال القرآني

١- جاء (أواه) في آيتين كلتاها بشأن إبراهيم عليه السلام:

١- ﴿إِنْ إِنْزَاهٍمْ لَكُمْ مِنْكُمْ﴾ هود: ٧٥

٢- ﴿إِنْ إِنْزَاهٍمْ لَكُمْ مِنْكُمْ﴾ التوبة: ١١٤

وله عند المفسرين معان مختلفة، بعضها يلتقي مع المعنى اللغوي - وهو كثير - مثل: التواب والقائت والرجوع والتفكير والدعاء والمناشع والمتضرع والمُسبح، والكثير الذكر والدعاء، والكثير التأوه خوفاً من ربه وطمعاً فيه، والمتأوه أسفاً على ما فعلت من قوم نوح من الإيمان، والكثير التلاوة، والمستغفر لله إذا ذكر خطايا. والبعض الآخر يفتقر عن المعنى اللغوي إلا

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة هو التوجع، ويُعبر عنه بصوت يخرج من الجوف أو الحلق لينجلي الهم وينفتح القلب.

ويخرج هذا الصوت بالهمان عديدة منها: آه، وأوه، وأوه. ثم اشتقوا منه أفعالاً، يقال: آه يؤوه أوهًا، مثل: آه يؤوب أوتًا، ولوه تأويًا، وتأوه تأوًا، ومنه أيضاً: لوه، صفة مبالغة.

٢- وآه لفظ طبع يدل على سجية في الإنسان تتأبه عند الخزن والتوجع، فهو يستعمل من قبل غير العرب أيضاً، فقد ورد بهذا اللفظ في اللغة

بتمتع مثل: المؤمن والرحيم والمؤمن والفقير والمؤمن والمعلم للخير...

٢- وعزا الشعر الرزائي - ونهه النيايوري - التأوه إلى اختناق مأساه «بالزوح القلبي» في داخل القلب عند الحزن. وعند اشتداد حرارته يتغور الإنسان بلفظ «أوه» ذلك النفس المحترق، ليخفف بعض مابه. وهذا الرأي جيد من الصواب، لأن الهواء ينبت من الرئة لامن القلب، وماصطلح عليه من «الزوح القلبي» لأثر له في علم التشريح. وقول المنكبل أقرب إلى الصواب، حيث قال: «عند التوجع يخرج الإنسان نفسه بهذا الصوت (أوه) ليتفرج مابه»، والمآل واحد.

٣- والمختصاص وصف (أوه) بإبراهيم لا يعني أنه خاص به ولا سيما إذا لاحظنا تلك المعاني التي لا يخلو عنها نبي من الأنبياء، كما أن وصف (أواب) ورد في دليود وسليمان وأيوب... ووصف «صادق الزقيد» مريم: كاهن في إسماعيل، ومنه كثير. ولكن هذه الأوصاف لا يختص بها نبي أو أنبياء. ولا يقاس بوصف «عائمه النبيين» الأحزاب: - ٤، الخاص بنبينا، ووصف «روح الله وكلمته» الخاص بهيى ملائكة.

وربما يقال في وجه الاختصاص: إن (أوه) بعض المعاني المتقدمة عام، وبعضها الآخر - مثل التأوه أسفاً الذي يتمثل في المعنى اللغوي لهذا اللفظ - خاص. وهذا المعنى يلاحظ بوضوح في الآيتين، فإن إبراهيم في آية هود توجع على قوم لوط، كما يظهر من السياق: «فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ» إن إبراهيم لحليم أواه نبي» بلا إبراهيم أعرض عن

هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَثَرُ رَيْكَ وَإِنَّهُمْ أَبْجِبُ عَذَابَ عَزِيزٍ مُؤْتٍدٍ... هود: ٧٤ - ٧٦.

وأما في آية التوبة فقد أسند (أوه) إلى إبراهيم بعد استغفاره لأبيه ثم تبرأ منه: «وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْجِدَةٍ وَهَذَا إِيمَانٌ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» التوبة: ١١٤.

فالحكل كان له قلب لوكه، حيث توجع على نزول العذاب على قوم هود، بعد أن جادل ملائكة الله فيهم، وعلى الرجل الذي كان بمنزلة والده مات وهو مشرك ولم يتنع باستغفار إبراهيم له. فلما أن نعتقد أن (أوه) صفة ذاتية في نفس إبراهيم، إذ انحطت سريرته على حزن عميق، فطلق يتأوه كثيراً، فعاز بذلك الشهادة (أوه) التي مازالت وسانا ربانها له، على مر العصور.

والنفس التي توجع من ذلك أن هذا الحزن العميق من شيخ الأنبياء خليل الله لم يكن على ماغاته من متاع الحياة الدنياه بل على ماأصاب أباء وقوم لوط من الخذلان والحلاك. وهذه لزوح تنبع عن حبه لله وللإنسان، فهي تحكي عن إنسان إبراهيم أمام غيره من البشر، لحرمانهم من معرفة الله وطاعته التي هي المقصد الأعلى والغاية القصوى من الخلق. فقد صدر الحزن من أهله ووقع في عمله، وهذا مثل حسرته تعالى على العباد: «يَا خَشْرَةَ عَلَى الْبَنَاتِ مَا تَأْتِيهِنَّ مِنْ رَّسُولِي إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» يس: ٣٠. وعليه لمن أشرب أواه عنصر الشفقة والرحمة فقد أصاب ولا يعد عن الصواب.

٥ - وما يوجب النظر أن (أوه) جاء في الآيتين

مشفوعاً بوصف (حليم)، وفي آية هود فقط مثلوا بوصف (مُنِيب) والحلم كما نعلم: هو التَّصَبُّر على الغضب والأنسى، وعدم الشَّكوى في المصيبة والبلوى. وهذا تعبير آخر عن تلك العاطفة البشرية، والمفكر الإنساني العالي عند إبراهيم؛ حيث كاد أن يتقلب حزنه غضباً للرَّبِّ الَّذِي خلق مثل هذا المخلوق الممرد، أو يشتكي من عدم شموله بالعناية الرَّبَّانية، وعدم إخراجه من الظُّلُمات إلى النور، ومن الخذلان والظلال إلى الضراط المستقيم. كاد أن يشتكي ويسبق لسانه بما لا ينبغي لولا أَنَّهُ كان حليماً. ولعلَّ في قوله تعالى بعد آية التوبة السابقة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا يَهْدِيَ لَهُمْ هُدًى﴾ التوبة: ١١٥،

تلميحاً وتجاوياً مع ما خطر ببال إبراهيم من تولُّم الملائكة لأبيه المشرَّع.

٦- ويلاحظ أن كلمة (حليم) تأخرت عن (أَوَّاه).

الآية الأولى: ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، والآية الثانية: ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ وهذا يعني من خطورة الموقف وتأكد الغضب والحزن في الثانية، فلولا أَنَّهُ سبق حليمه حزنه فقال ما قال وتسلَّ ما تسلَّ، والأمر في الأولى لم يكن بهذه المخرقة، فإنَّ الحزن فيها كان على رجل فقط سقاء أباء ووعده، بأن يستغفر له، وبالتسلُّ قد استغفر له، ولكن ﴿لَسَاءَ نَجِيبٌ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ مُبْتَرَأٌ مِنْهُ﴾ وهذا كله عذر له يستدعي تخفيف حزنه.

لَمَّا في الثانية فالمسألة ليست مسألة رجل، وإنما هي

مسألة قوم معاهم رسوله وابن أخته «لوط» إلى الله تعالى، ثُمَّ فُوجئوا بالعذاب، فتلك العاطفة الإنسانية كانت حساسة للغاية، فكادت تنقلب على الرَّبِّ، فالمناسب تقديم (حليم) على (أَوَّاه).

ولكنَّها على كلِّ حال جعلت لإبراهيم يجادل الرَّبِّ في قوم لوط، فهذا قول أو عمل منه تدعى حلمه. ولعلَّ كلمة (مُنِيبٌ) هنا لتدرك ماغاته من الحلم وماغلب عليه من الغضب؛ حيث رجع وتاب عبثاً صدر منه، وأُتَاب وتضرَّع إلى الله تعالى لينفخ عثرته هذه، ولصدور ذلك منه قال تعالى بعد ذلك: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ اقْشَرِ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

٧- وينبغي أن لا نتأخَّل عن فواصل الآيات في السُّورتين، فهي في التوبة: الرَّحِيم، التَّصَبُّر، مُؤْمِن، ونحوها ويناسبها المسلم، وفي هود: عَجِيب، مجيد، عَجِيب، يعقوب، مردود، ويناسبها مُنِيب.

٨- وأخيراً نرى أن وَصَفِي (حليم) و(أَوَّاه) لإبراهيم في ختام الآيتين جاء في جملة اسمية مؤكدة بأداة التأكيد «إِنَّ، لَ» ممَّا بصوَّرَ أَنَّهُ إعلان قاطع جازم باختصاص هذا الوصف الجماع به حليماً، فلاحظ مرَّةً أخرى سياق الآيتين:

﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾

﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾

أوي

١٤ لفظاً. ٣٦ مرة: ١٧ مكتبة، ١٩ مدنية

في ٢٣ سورة: ١٣ مكتبة، ١٠ مدنية

(٤٣٧: ٨)

ابن كُثَيْل، لَوِثٌ بِالْخِيلِ تَأْوِيَةٌ. إِذَا دَعَوْهَا:

«أَوِ» لَتَرْجِعَ إِلَى مَوْلَاكَ [ثم استشهد بشر]

(الْأَزْهَرِيُّ ١٥: ٦٥٦)

الْفَرَّاءُ: ذَكَرَ لِي أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يُسَمِّي مَأْوَى الْإِبِلِ:

مَأْوَى. بِكسر الواو، وهو نادر. وَلَمْ يَجِدْ فِي ذَوَاتِ الْيَاءِ

وَالْوَاوِ «مَقْبِلٌ» بِكسر الميم غير حرفين: مَأْقَى الْمِمْ،

وَمَأْوَى الْإِبِلِ، وَهُمَا نَادِرَانِ. وَاللَّفْظُ الْعَالِيَةُ فِيهِمَا: مَأْوَى

وَمَوْقٍ وَمَأْقٍ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٥: ٦٥٠)

أَبُو زَيْدٍ، قَالَ: هُوَ الْمَأْوَى حُمْزٌ، وَهُوَ مَأْوَى الْإِبِلِ

وَالْمَأْوَاةُ أَيْضًا، وَذَلِكَ حَيْثُ تَأْوِي الْإِبِلُ بِاللَّيْلِ. (١٩٥)

وَأَوِيَّةٌ لَنَا إِيوَاءٌ، وَأَوِيَّةٌ أَيْضًا، إِذَا أَنْزَلْتَهُ بَكَ، فَعَلَّتْ

وَأَفْعَلْتُ بِمَعْنَى. (الْمَجْمُوعِيُّ ٦: ٢٢٧٤)

أَبُو عُبَيْدٍ، يَقَالُ: اسْتَأْوَيْتُ فُلَانًا، أَي سَأَلْتُهُ أَنْ

يَأْوِيَنِي. (ابن فارس ١: ٦٥٢)

مَأْوَاكُم ١-٢-٣

أَوِي ٣-٣

فَأَوَاكُم ١-١

أَوَا ٢-٢

أَوِيَاهُمَا ١-١

تَوِي ١-١

تَوِيهِ ١-١

أوي ١: ١

أوي ١: ١

أوي ٢: ٢

فأووا ١: ١

المأوي ١-٣: ٤

مأواه ٣-٣

مأواهم ١٠-٢: ١٢

النصوص اللغوية

الْقَلِيلُ: تَقُولُ الْعَرَبُ: أَوَى الْإِنْسَانُ إِلَى مَنْزِلِهِ

يَأْوِي أَوْيًّا وَإِيوَاءً - وَالْأَوَى أَحْسَنُ - وَأَوِيَّةٌ إِيوَاءٌ.

وَالْتَأَوَى: التَّجَمَّعَ، وَتَأَوَّتَ الطَّيْرُ، إِذَا انْضَمَّ بَعْضُهَا

إِلَى بَعْضٍ، هُنَّ أَوِيٌّ، وَمَتَأَوَّيَاتٍ. [ثم استشهد بشر]

وَتَقُولُ: أَوَيْتُ فُلَانًا أَوِيَّ أَوِيَّةً وَأَوِيَّةً وَمَأْوِيَّةً

وَمَأْوِيَّةً، إِذَا رَجِمْتَهُ وَدَيْتَ لَهُ. [ثم استشهد بشر]

يقال: أَوَيْتُهُ بالقصر، وَأَوَيْتُهُ بالمد، على «أَفْضَلْتُهُ»

بمعنى واحد، وَأَوَيْتُ إِلَى فلان، بالقصر لا غير.

(الأزهرى ١٥: ٦٥٠)

ابن قُتَيْبَةَ: يقال: أَوَيْتُ فُلَانًا إِلَيَّ، بِمَدِّ الْأَلْفِ، إِذَا

ضَمَّنْتُهُ إِلَيْكَ. وَأَوَيْتُ إِلَى بني فلان، بِقَصْرِ الْأَلْفِ، إِذَا

نَجَّأْتُ إِلَيْهِمْ.

ابن دُرَيْدٍ: وَأَوَيْتُ إِلَى فلان وَأَوَانِي هُوَ، وَأَوَيْتُ

لِلرَّجُلِ، إِذَا رَحِمْتُهُ. وَأَوَى الرَّجُلُ إِلَى الْمَوْضِعِ بِأَوَى أَوْيًّا،

وَأَوَيْتُهُ إِلَى خُصِي إِيَوَاءً.

ومصدر أَوَى بِأَوَى أَوْيًّا، وَأَوَيْتُ إِيَوَاءً. (١: ١٩٢)

وَأَوَيْتُ إِلَى الرَّجُلِ وَأَوَيْتُهُ أَوْيًّا، إِذَا نَزَلْتَ بِهِ.

(٣: ٤٩٤)

المأوى: حيث تأوى إليه.

المُنْذِرِيُّ: أنكر أبو الهيثم أن يقال: أَوَيْتُ، بِقَصْرِ

الْأَلْفِ، بِمَعْنَى أَوَيْتُ. ويقال: أَوَيْتُ فُلَانًا بِمَعْنَى أَوَيْتُ

(الأزهرى ١٥: ٦٥٠)

الأزهرى: تقول العرب: أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ بِأَوَى أَوْيًّا،

وَأَوَيْتُهُ أَنَا إِيَوَاءً. هذا الكلام الجيد.

ومن العرب من يقول: أَوَيْتُ فُلَانًا، إِذَا نَزَلْتَهُ بِهِ.

وَأَوَيْتُ الْإِبِلَ، بِمَعْنَى أَوَيْتُهَا.

وسمعت أعرابياً فصيحاً من بني تميم كان استرحي

إِبِلًا جُرَبًا، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَلْتَظِلَّ لَهَا مِنْ مَأْوَى الْإِبِلِ

الصَّحَاحِ، وَفَادَى حَزِيْفَ الْحَمِي، وَقَالَ: أَلَا أَيْنَ أَوَى هَذِهِ

الْإِبِلُ الْمُؤَقَّسَةُ؟ وَلَمْ يَنْقُلْ: أَوْدَى.

وروى الثَّوَالِثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَأْوِي

لِلضَّالَّةِ إِلَّا ضَالٌّ». حكنا رَوَاهُ فَصَحَاءُ الْمُعَدِّينَ، بِخُصْ

الْيَاءِ، وَهُوَ عِنْدِي صَحِيحٌ لِاتِّتَابِ فِيهِ.

وسمعتُ القاصِحَ مِنْ بَنِي كَلَابٍ يَقُولُ لِمَأْوَى الْإِبِلِ:

مَأْوَاءُ، بِالْهَاءِ.

وَيُجْمَعُ «الْأَوَى» مِثَالُ الْمَأْوَى: أَوْيًّا، بِوُزْنِ عُوِيًّا. [نَمَ]

استشهد بشعر]

قلت: ويجوز تأوَت، بِوُزْنِ تَعَاوَتٍ، عَلَى «تَفَاعُلَتْ».

وقرأتُ فِي نَوَادِرِ الْأَصْرَابِ: تَأَوَّى الْجُرَحُ، وَأَوَى،

وَنَأَوَى، وَأَوَى، إِذَا تَقَارَبَ لِلْهَرَمِ.

وفي الحديث: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُخَوِّي فِي سَجُودِهِ

حَتَّى كُنَّا نَأْوِي لَهُ».

قلت: معنى قوله: «كُنَّا نَأْوِي لَهُ» بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: كُنَّا

نُرْنِي لَهُ، وَنَرَقُّ لَهُ، وَنُسَلِّقُ عَلَيْهِ، مِنْ شِدَّةِ إِقْلَالِهِ يَطْلُتُهُ عَنْ

الْأَرْضِ وَمَدَّةِ ضَبْعِهِ عَنْ بَعْضِهِ. (١٥: ٦٤٩)

الجوهري: المأوى: كل مكان يأوي إليه شيء لئلا

أَوْسَدَ بِهِ

وقد أَوَى فلان إِلَى مَنْزِلِهِ بِأَوَى أَوْيًّا، عَلَى «فُعُولٍ»

وإِوَاءٍ، وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «قَالَ سَأْوَى إِلَيَّ جَبَلٍ يَقْصِمُنِي

مِنْ الصَّاعِ» هود: ٤٣.

وَأَوَيْتُهُ أَنَا إِيَوَاءً، وَأَوَيْتُهُ أَيْضًا، إِذَا نَزَلْتَهُ بِهِ، فَعَلْتُ

وَأَفْعَلْتُ بِمَعْنَى.

وتأوى الإبل بكسر الواو، لغة في مأوى الإبل

خاصة، وهو شاذ، وقد فسرناه فِي مَأْوَى الْعَيْنِ، مِنْ بَابِ

الْقَافِ.

وتأوت الطير تأوُّيًا: تَجَمَّعَتْ، وَمِنْ أَوَى - جَمْعُ: آوَى،

مِثَالُ الْإِبِلِ وَبِكِي - وَمَتَأَوَّيَاتٍ. [نَمَ استشهد بشعر]

وَأَوَيْتُ لفلان فَأَنَا أَوَى لَهُ أَوَيْتُهُ وَإِنَّهُ أَيْضًا - تَقَلَّبَ

الطوسي: الإيواء ضمّ القادر غيره من الأحياء الذين من جنس ما ينقل إلى غيره أو ناحيته، تقول: أويّ الإنسان آويه ليواء، وأوي هو يأوي أويًا، إذا انضمّ إلى مأواه. (٨: ٣٥٥)

مثله الطبرسي: (٤: ٦٦٣)

الإيواء: ضمّ المقيوم وتصييره إلى موضع الراحة، ومنه المأوى: المنزل الذي يأوي إليه صاحبه للراحة فيه. (٦: ١٦٨)

الإيواء: ضمّ الإنسان صاحبه إليه بإنزاله عنده وتقرّبه له، تقول: أواه يؤويه إيواءً، وأوي يأوي أويًا، ولؤيت: معناه رجعت إلى المأوى. (٥: ١٨٩)

مثله الطبرسي: (٢: ٥٦١)

الأيواء: المأوى: مصدر أوي يأوي أويًا ومأوى، تقول: لؤي إلى كذا فنضمّ إليه يأوي أويًا ومأوى، وآواه غيره يؤويه ليواءً، قال عز وجل: «إِذَا أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ» الكهف: ١٠، وقال تعالى: «سَأْوَى إِلَى جِهْلِي» هود: ٤٢، وقال تعالى: «أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ» يوسف: ٦٩، وقال: «تَلَوَّى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ» الأحزاب: ٥١، «وَلَحَبِيقِي إِلَيَّ تَلَوِّي» المارج: ١٣، وقوله تعالى: «جَنَّةُ الْمَأْوَى» التجم: ١٥، كقوله: «دار الخلود» في كون الذكر مضافةً إلى المصدر، وقوله تعالى: «مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ» آل عمران: ١٦٧، اسم للمكان الذي يأوي إليه ولؤيت له: رحلته أويًا وئيًا ومأويًا ومأواه، وتحقيقه رجعت إليه بغيري «أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ» يوسف:

الواو ياء لكسرة ماقبلها وتندغم - ومأويّة غسقة، ومأواه، أي أوي له وأوي، [ثم استشهد بشعر]

ولبن أوي، والجمع بنات أوي، وأوي لا يصرف، لأنه «أفعل» وهو معرفة. (٦: ٢١٧٤)

ابن فارس: الهرة والواو والياء أصلان أحدهما: التجمع، والثاني: الإشفاق. [ثم نقل كلام الخليل إلى أن قال:]

والمأوى: مكان كل شيء يأوي إليه ليلاً أو نهاراً، وأويّ الإبل إلى أهلها تأوي أويًا فهي أويّة.

والأصل الآخر قولهم: أويّ ثفلان أوي له مأويّة، وهو أن يرقّ له ويرحمه، ويقال في المصدر: أويّة أويًا.

(١: ١٥١)

الهدوي: وفي الحديث: «كان يصلي حتى كنت أوي له» أي أرق وأوي له، يقال: أويّ له (الهدوي) أوي أويّة ومأويّة.

وفي حديث وهب: «إن الله قال: إني لؤيت على نفسي أن أذكر من ذكرني».

قال القتيبي: هذا غلط، إلا أن يكون من المقلوب، والصحيح: وأيت، من «الوأي» وهو الوعد، يقول: جعلته وعدًا على نفسي.

وفي الحديث: «أته قال للأصار: أهايتكم على أن تأووني وتضروني».

قال الأزهري: لؤي وأوي بمعنى واحد، وأوي لازم ومتعد.

وفي حديث آخر: «لا يأوي الضالة إلا ضال».

(١: ١١١)

(١) كذا والقرباء ولؤيت له، كما اجتمع عليه أرباب

٦٩. أي ضته إلى نفسه، يقال: آواه، وآواه، (٣٤)

الرُّمَحْقَرِيُّ: اللَّهُمَّ آوِنِي إِلَى ظِلِّ كَرَمِكَ وعِصْوِكَ.
وتقول: أنا أهوي إلى معائك هُويًا، وآوي إلى ظلالك
أُويًا، وما قلان امرأة تُؤويه.

وقال ابن عباس للأعصار رضي الله عنهم: بالأيواء
والنصر ألا جَلَسْتُمْ. وأنتم مأوى الماويج. وتألبوا علي
وتآؤوا، ثم شنعوا علي وتعاؤوا.

وأويتُ من كذا، إذا تركته، وأويتُ للفلان: ريثتُ له
أيتًا وتأويتُ.

وتقول: وجدني يتبعني فأوى، وشهري وأنا أحمَلُ
من ابن آوى، (أساس البلاغة: ١٢)

ابن الأثير عليه: «كان هُويًا يُعْوِي في سجود حق
كتأوي له».

وفي حديث آخر: «كان يصلي حتى كنت آوي له»
أي أويتُ له وأزيتُ.

ومنه حديث الثيرة: «لأنا آوي من قلعة أي لأمرهم
زوجها ولا ترق له عند الإعدام».

ومنه قوله: «لا تَطْلُع في فم حتى يأويه المجرم» أي
يضته التبتك ويحميه.

ومنه: «لا يأوي الضالة إلا ضال».

كل هذا من أوى يأوي، يقال: أويتُ إلى المنزل
وأويتُ لغيري وأويتُهُ، وأنكر بعضهم النصور المتعدي.

وقال الأزهري: هي لغة فصيحة.
ومن المنصور اللازم الحديث الآخر: «أما أحدهم
فأوى إلى الله أي رجع إليه».

ومن المنصور حديث الدعاء: «الحمد لله الذي كفانا

وأوانا» أي ردنا إلى مأوى لنا، ولم يجعلنا مستشرين
كالبهائم والمأوى: المنزل. (٨٢: ١)

الفسيومي: أوى إلى منزله يأوي، من باب
«ضرب» أويًا: أقام، وربما عُدِّي بنفسه فغلب: أوى
منزله.

والمأوى: بفتح الواو: لكل حيوان مسكنه، وسُجِعَ
مأوي الإبل بالكسر شاذًا، ولا ظير له في المعتل، وبالفصح
على القياس.

ومأوى النمر: مراحها الذي تأوي إليه ليلاً.

وأويتُ زيدًا بالمد في التعدي، ومنهم من يجعله
يُسْمَعَل لازماً ومتعدياً فيقول: أويتُهُ وزان «ضربته»

ومنهم من يستعمل التماسي لازماً أيضاً، وردة جماعة.
و«ابن آوى» قال في «المجرد»^(١): هو ولد الذئب.

ولا يقال للذئب: آوى، بل هذا اسم وقع عليه، كما قيل
للأسد: أبو الخمار، وللضبع: أم حامر. والمعهور أن هان

آوى: ليس من جنس الذئب بل صنف متميز.
وفي التنبيه والمجمع: ابنا آوى وبنات آوى، وهو غير

منصرف للخطبة ووزن النمل. (٣٢: ١)

الفيروز آبادي: أويتُ ملاي وإليه أويًا بالضم
ويكسر، وأويتُ تأويتُ، وتأويتُ وأثويتُ وأثويتُ:

نزلته بغسي وسكنته،
وأويتُهُ وأويتُهُ وأويتُهُ: أنزلته،
والمأوى والمأوي والمأولة: المكان.

وتأوت الطير وتأوت: تجتمعت.
وطير أوي كجتي: متأويات.

(١) المجرد: كتاب لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي.

وأوى له كزوى لؤيته وأجته ومأوية ومأواة: زى،
كاشئوى. (٤: ٣٠٣)

محمد إسماعيل إبراهيم: أوى البيت أو إلى
البيت: نزل فيه، وأوى لحاله: زى له، وأوى فلاناً: أنزله
وأسكنه. والمأوى: المكان الذي تأوى إليه. (١: ٥٢)
متجمل اللغة: أوى المكان وإليه يأوى أوليا ولؤيا:
نزله وفي نزول المكان معنى الانضمام والالتجاء.

وأواه غيره يؤويه إيواؤه ضمه وأنزله.
والمأوى: اسم للمكان الذي يؤوى إليه. (١: ٧٠)
المراعى: أوى إلى المكان: أخذ مأوى ومكاناً له.
(١٥: ١٢١)

الطباطبائي: «الإيواء» من الأوى، وأصله
الرجوع، ثم استعمل في رجوع الإنسان إلى مسكنه
ومقره. وأواه إلى مكان كذا أي جعله مسكناً له.

(١٥: ١٢١)

العدناني: أويت إلى المنزل، أويت المنزل.
ويطلقون من يقول: أويت المنزل، ويقولون: إن
الضواب هو: أويت إلى المنزل، اعتماداً على قوله تعالى:
﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ
رِزْقًا...﴾ الكهف: ١٠. وهل ورود «أوى إليه» خمس
مرات أخرى في آي الذكر الحكيم. واعتمدوا أيضاً على
الصحاح ومعجم مقاييس اللغة، وشرح ديوان اللسان
للمزدوقي، ومفردات الزاغب الأصفهاني، والأساس،
والمغرب، والختار.

ولكن أجاز الجملتين: أوى إلى المنزل، وأوى المنزل
كلتاهما كل من معجم ألفاظ القرآن الكريم، والمحكم،

واللسان، والمصباح الذي قال: ورثاً عدي بنسبه فقبل:
لوى مغزله، والقموس، والتاج، والمذ، ومحيط المحيط،
وأقرب المولود، والمثنى، والمعجم الكبير، والوسيط.

وقال ابن الأثير في «النهاية» في شرح الحديث:
«لا يأوى الضالة إلا ضالاً» كل هذا من أوى يأوى.
يقال: أويت إلى المنزل، وأويت غيري وأويت.

وأنكر بعضهم المقصور المستدي «أويت المنزل»،
وقال الأزهري: هي لغة فصيح.

وفعله: لوى إلى المكان أو المكان، يأوى أوليا، ولؤيا
من الغراء، وإواؤه، ومأوى: نزله بنفسه وسكنه.

أنا الأمر من لوى فهو «إيو» فلما قل:

أويت إلى المنزل، فالمنزل مأوى إليه.
أويت المنزل، فالمنزل مأوى.
والجملة الأولى فعل.

(١٥: ١٢١)

ويطلقون من يقول: أويت فلاناً: (أشكته)،
ويقولون: إن الضواب هو: أويت فلاناً، اعتماداً على الآية
٦٩، من سورة يوسف: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى
إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي: ضمه إليه. وقد ورد الفعل «أوى»
المصدي ينح مرات في آي الذكر الحكيم، والفعل «أوى»
اللازم خمس مرات، منها قوله تعالى في الآية العاشرة من
سورة الكهف: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾.

ويعتمدون أيضاً على ما قاله أبو الهيثم «العتاس بن
عبد»، وهل ما جاء في «غريب القرآن» لـ «سجستاني»،
وهل قول السيريني في المقامة القرظية: «يتبني
الإيواء» وهو في إيوائه أفضل قرينة، وهل الأساس.

ولكن يُجيز استعمال الفعلين **أَوَيْتُهُ** و**أَوَيْتُهُ** مُنْجَم
ألفاظ القرآن الكريم، وأبو زيد الأنصاري، وأبو عبيد
الكبري، وأدب الكاتب في باب أبنية الأفعال.
والأزهري الذي قال: **إِن «أَوَاء» أَغْلَى، وَالصَّحاح،**
والمُسْتَحْكَم، ومفردات الرَّاغِب الأَصْهَانِي، والتهذيب،
والمُتَرْب، والمُتَار، واللَّسَان، والمصباح، والقاموس،
والتَّاج، والمد، ومحيط المحيط، وأقرب المولود، والمسن،
والمعجم الكبير، والوسيط.

ولم يرد الفعل «أَوَى» في محاسة أبي تمام إلا لازماً في
قول بُرْج بن مُشِير:

خَلُوفٌ مَانُطُوفٌ ثُمَّ يَأْوِي ذَوُو الْأُمُورِ بِنَا وَالتَّدِيمِ
إِلَى حَقِيرِ أَسَافِلُهُنَّ جُوفٌ وَأَصْلَاهُنَّ صَفَاحٌ مُنْجِمِ
وَفَعْلُهُ: **أَوَى** فَلَانًا يَأْوِيهِ **أَوِيًّا، وَأَوِيًّا، وَأَوِيًّا.**

وهناك **الْمَأْوَى، والمأوي، والمأوأة، ومعناها: المكان.**

أما ورود الفعلين **أَوَى** و**أَوَى** في الحديث الشريف:

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال:

«لَا يَأْوِي الضَّالَّةُ إِلَّا ضَالٌّ».

ب - وفي حديث التَّيْمَةَ أَنَّهُ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «أَبَايْتُكُمْ
حَتَّى أَنْ تُؤَدُّوا نِيَّتِي وَتَنْصُرُونِي» أَي: تَضَعُونِي إِلَيْكُمْ،
وَتَحْمِلُونِي بَيْنَكُمْ.

ج - وقوله ﷺ: «أَنَا أَعِدُّهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ» أَي:
رَجَعُ إِلَيْهِ.

د - وجاء في حديث الدُّهَاءِ: «الْحَسَدُ لَهُ الَّذِي كَفَانَا
وَأَوْلَانَا».

ومن معاني **أَوَى**:

١ - **أَوَى** الْمَكَانَ، وَإِلَيْهِ: نَزَلَهُ بَغْضَ وَشَكْنَهُ، جَاءَ فِي

الآية ٣ من سورة هود: «قَالَ تَأْوِي إِلَيَّ جَبَلٌ
يَتَخَصَّمُنِي مِنَ الْمَاءِ».

٢ - **أَوَى** إِلَيْهِ: عَادَ إِلَيْهِ.

٣ - **أَوَى** إِلَى فَلَانٍ: نَزَلَ عَلَيْهِ: قَالَ مُسْلِمٌ بْنُ الْوَلِيدِ:
فَجَاوَزَ بَنِي الصَّبَاحِ تَقَعْدُ بِدُمَةٍ

وَتَأْوَى إِلَى جَبَلٍ مَنِيحٍ وَمَنْعَلٍ

٤ - **أَوَى** عَنْ كَذَا: تَرَكَهُ.

٥ - **أَوَى** لِفُلَانٍ وَإِلَيْهِ **أَوِيَّةٌ «اللَّسَان، والمد، وأقرب**

المولود والمعجم الكبير، وأبي «اللَّسَان، والمد، وأقرب

الموارد، والمعجم الكبير، وأبي «الصَّحاح، ومفردات

الرَّاغِب الأَصْهَانِي، وابن بَرِّي، والمُتَرْب، والقاموس،

والتَّاج، والمد، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمسن،

والمأويَّة، وماوأة: تَكَادُ الْمَعَاجِمُ كُلُّهَا تَذَكُرُ الْمَصْدَرَيْنِ

الْأَخِيرَيْنِ».

أما معنى **أَوَى** فَهُوَ: رَجَعَهُ، وَرَقَى لَهُ.

٦ - **أَوَى** الشَّيْءَ: أَدْخَلَهُ إِلَيْهِ.

ب - اِحْتَوَاهُ.

٧ - **أَوَى** فَلَانًا: أُنْزِلَ عَلَيْهِ.

ب - أُنْزِلَتْ عَنْهُ.

٨ - **أَوَى** الْمَرْحُوعُ يَأْوِي **أَوِيًّا: أَوْشَكَ أَنْ يَبْرَأَ.**

ومن معاني **أَوَى**:

١ - **أَوَى** الْمَرْحُوعُ إِيوَاءَ **أَوْشَكَ أَنْ يَبْرَأَ.**

٢ - **أَوَى** الشَّيْءَ: جَعَلَ لَهُ مَأْوًى.

٣ - **أَوَى** فَلَانًا: أُنْزِلَتْ عَنْهُ وَشُئُهُ إِلَيْهِ.

أما الفعل **أَوَيْتُهُ** فَيَحْمِلُ مَعْنَى: **أَوَيْتُهُ وَأَوَيْتُهُ، (٣٨)**

محمود شيب: ١ - أَوَى الْمَرْحُوعُ: فَهَرَبَ بِرُؤُوسِهِ.

وأوى له وإليه أوتينا وما أوتينا، وما أوتينا: رزق له ورجته.
وأوى عن كذا: تركه. وأوى المكان، وإليه أوتينا: نزله.
وأوى إليه: عاد. وأوى: لجأ. وأوى فلاناً: أنزله عنده. أو
نزل هو عنده.

ب - أوى المرحح إيواؤه: أوى، وأوى فلاناً: أسكنه
ونزله.

ج - أوى إلى المكان: أوى، وأوى فلاناً: آواه.
د - أثنى المكان: نزله. وأثنى إليه: عاد. وأثنى
إليه: لجأ. أثنى فلان: رجعته ورزق.

هـ - تأوذا: أوى بعضهم إلى بعض، يقال: تألوا على
وتأوذا.

و - المأوى: الذي يؤوى إليه. يقال: فلان مأوى
المهاويج، جمع: مأوى.

٢ - أوى المرحح: قُرب بُرؤم.
ب - تأوذا: تجتمعا بعد تفرق، لجأ بعضهم إلى بعض.

ج - المأوى: مأوى الدروع، مأوى الدبابات، مأوى
المحيوانات. مأوى السيارات «الكراج» مأوى الثاقلات.
مأوى الحافلات.

التصطفوي: والتحقق أن الأصل الواحد في هذه
المادة هو السير ابتداءً أو عوداً إلى مقام مادياً أو معنوياً.
يقصد السكنى والاستقرار أو الاستراحة. (١: ١٧١)

النصوص التفسيرية

أوى

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ
رِزْقًا...

الكهف: ١٠

التصوف: أي حين جاء أصحاب الكهف إلى
الكهف. (١٢: ٨)

التصوف: أي صاروا إلى الكهف، يقال: أوى فلان
إلى موضع كذا أي اتخذ منزلاً إلى الكهف. (٤: ١٦٠)
التصوف: ومعنى (أوى) صار إليه وجعله مأواه.
(٥: ٦٤٩)

منه التيسابوري (١٥: ١٠٤)، والقصر الرزقي (٢١: ٨٢)،
ونحوه الأوسى (١٥: ٢١٠).

التصوف: (إذ أوى) ظرف (أعجباً) أو مفعول
لأذكر، أي أذكر حين صار وأى ونفسه والتجأ.

(٥: ٢١٩)

التصطفوي: «إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ»
١، أي قصدوا الكهف وصاروا إليه ليسترعوا
فيه، وليتخلصوا من شر الأعداء.

«إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ» ٢، أي حين أن
قصدناها للاستراحة.

«تَأْوَى إِلَى جَيْلٍ يَخْفَى...» ٣، أي
أسير إليه للتخلص من الماء والمصيدة.

«أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ» يوسف: ٦٩، أي دعاه ليجلسه
عنده ويضئ له ويحمله في كتفه.

هذا هو المعنى الحقيقي، ولما التجميع والإسقاط
والانضمام والزفة والرحمة والعود وغيرها، فهي من لوازم
هذا المعنى، تستفاد منها بالقرائن.

«فَبِأَنَّ الْجَعِيمِ هِيَ السَّأْوَى» النزاعات: ٣٩،

«وَمَأْوِيَكُمْ الثَّأْرُ...» المنكوت: ٢٥، «وَمَأْوِيَةُ

جَهَنَّمَ» الأنفال: ١٦ «وَمَأْوِيَةُ الثَّأْرِ» آل عمران:

١٥١. فَإِنَّ مِنْ طُلَىٰ مِنْ سَبِيلِ الْحَقِّ وَآثَرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى الْحَيَاةِ الْعَالِيَا وَأَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَنَسِيَ لِقَاءَ اللَّهِ، فَإِنَّ مَسِيرَهُ وَمَأْوَاهُ لَيْسَ إِلَّا الْجَحِيمُ، وَلَا يَرَىٰ مَأْوَىٰ لَهُ إِلَّا النَّارَ، وَلَا يَجِدُ مَقَامًا لِلْإِسْتِرَاحَةِ إِلَّا جَهَنَّمَ وَمَثَلُ الْمَصِيرِ، وَهَذَا الْمَأْوَى اخْتِيَارُهُ بِسُوءِ ظَنِّهِ، كَمَا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي هَذِهِ النُّشْأَةِ الْمَادِّيَّةِ إِنَّمَا تَحَقَّقَتْ وَاخْتِيرَتْ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ وَاخْتِيَارِهِ، فَهُوَ لَا يَجِبُ سِوَاهُ وَلَا يَرِيدُ غَيْرَهُ وَلَا يَخْتَارُ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَسِيرُ إِلَّا إِلَيْهِ. (١٧١: ١)

سَأْوَى - أَوْى

١- قَالَ سَأْوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَخَصِمُنِي مِنَ السَّاءِ...
هو: ٤٣
الطُّبْرِيُّ: سَاسِرٌ إِلَىٰ جَبَلٍ أَمْعَضَنَ بِهِ سِلَاقَ الْمَاءِ، فَيَمْنَعُنِي مِنْهُ أَنْ يَنْزِعُنِي. (١٥: ١٢)
مثله المَرَاغِي.
الطُّسُوسِي: أَيُّ سَأْوَجِعَ إِلَىٰ مَأْوَىٰ مِنْ جَبَلٍ، يَحَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ، أَيُّ يَمْنَعُنِي مِنْهُ. يُقَالُ: أَوْى يَأْوِي أَوْيًّا، إِذَا رَجَعَ إِلَىٰ مَنْزِلٍ يَقِيمُ فِيهِ. (٥٦١: ٥)
نَحْوُ الطُّبْرِيِّ.
الْقُرْطُبِيُّ: أَوْجَعُ وَأَنْضَمُ. (٣٩: ٩)
الْخَازِنُ: سَأَلْتُجِي وَأَصِيرُ. (١٩١: ٥)
مثله الثُّبْرُوسِيُّ (٤: ١٢١)، وَنَحْوُ رَشِيدٍ (١٢: ٧٨).

٢- قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ أَوْىٰ لِي لَرُكْنٌ شَدِيدٌ

هو: ٨٠

أَبُو عُبَيْدَةَ: مِنْ قَوْلِهِمْ: أَوْىْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْىٰ إِلَيْكَ لَوْيًّا، وَالْمَعْنَى صِيرْتُ إِلَيْكَ وَأَنْضَمْتُ. (٢٩٤: ١)
مثله الطُّبْرِيُّ. (٨٨: ١٢)
الشَّوَيْفُ الرُّضِي: هَذِهِ لِسْتِمَارَةٌ، وَالْمُرَادُ بِهَا: لَوْ كُنْتُ أَوْىٰ إِلَىٰ كَثْرَةٍ مِنْ قَوْمٍ وَعَدَدٍ مِنْ أَهْلِي، وَجَعَلْتُمْ رُكْنًا لِي، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُلْجَأُ إِلَىٰ قَبِيلَتِهِ وَيَسْتَدِلُّ بِأَعْوَانِهِ وَمَنْعَتِهِ، كَمَا يَسْتَدِلُّ بِرُكْنِ الْبِنَاءِ الرُّصِينِ وَالنُّفُذِ الْأَمِينِ. (١٦٣)

الرُّمُوشِيُّ: وَقُرِئَ (أَوْىٰ) بِالنَّصَبِ، بِإِضْهَارِ دَلِيلِهِ كَأَنَّهُ قَبْلُ: لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْىًّا. [تَمَّ اسْتِشْهَادُ بَشَرٍ]

مثله أَوَى الْبَرَكَاتِ. (٢٥: ٢)
الْقُرْطُبِيُّ: أَيُّ الْمَاءِ وَأَنْضَوِي. وَقُرِئَ (أَوْىٰ) بِالنَّصَبِ، مَقْفًا عَلَى (قُوَّةٍ) كَأَنَّهُ قَالَ: لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْىًّا، وَهُوَ مَنْصُوبٌ بِإِضْهَارِ دَلِيلِهِ. (٧٨: ٩)
نَحْوُ الْآلُوسِيِّ. (١٠٨: ١٢)
الطُّبَاطِبَانِيُّ: يُقَالُ: أَوْىٰ إِلَىٰ كَذَا يَأْوِي أَوْيًّا وَمَأْوَىٰ، أَيُّ انْضَمَّ إِلَيْهِ، وَأَوَاهُ إِلَيْهِ يُؤْوِيهِ إِيوَاءً، أَيُّ خَشَمَهُ إِلَيْهِ. (٣٤١: ١٠)

فَأَوْىٰ

وَإِذْ اخْتَرَكُمُوهُمْ وَمَآ يَنْتَقِبُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوْىٰ إِلَىٰ الْكَهْفِ بِشَرِّ لَكُمْ وَتَكُنْ مِنْ رَحْمَتِي. الْكَهْفُ: ١٦
الطُّبْرِيُّ: خَصِرُوا إِلَىٰ غَارِ الْجَبَلِ. (٢٠٩: ١٥)
الطُّوسِيُّ: أَيُّ اجْمَلُوا، مَأْوَاكُمْ وَمَقَرَّكُمْ، وَقَوْلُهُ:

الشهداء. (٩٧: ٥٣)

الطبري: عند سدرة المنتهى جنة مأوى الشهداء.

(٥٥: ٢٧)

الطوسي: معناه عند سدرة المنتهى جنة المقام وهي جنة المكند، وهي في السماء السابعة. وقيل: إنه يجتمع إليها أرواح الشهداء. (٤٢٦: ٩)

مثله الطبرسي: (١٧٥: ٥)

الصيبي: قيل: هي الجنة التي وُعد المتقون، والمأوى مصدر، تقديره: جنة الرجوع. قيل: سميت جنة للمأوى لأن أرواح الشهداء تسرح في الجنة وتعلق من أشجارها، ثم تأتي إلى فتايل فيها تحت العرش.

(٣٦١: ٩)

ابن الجوزي: قرأ سعيد بن المسيب والشعبي، وأبو التوكل، وأبو الجوزاء، وأبو العالية (جنة المساوي) جاء

سعيد بن المسيب

قال ثعلب: يريدون «أجنة» وهي شاة. وقيل: معنى (جنةا) أدركه الميت، يعني رسول الله ﷺ

(٦٩: ٨)

الفخر الرازي: ولي «الجنة» خلاف، قال بعضهم: (جنة المساوي) هي الجنة التي وُعد بها المتقون، وحيث الإضافة كما في قوله تعالى: «دَارُ السَّعَادَةِ...» فاطر: ٣٥. وقيل: هي جنة أخرى، عندما يكون أرواح الشهداء. وقيل: هي جنة للملائكة.

وقرى (جنة) بأخاء، من جن بمعنى أجن، يقال: جن الليل وأجن، وعلى هذه القراءة يحتمل أن يكون الضمير في قوله: (جنةا) عائداً إلى «الزلة»، أي عند الزلة جن

(لأوا) جواب (إذ)، كما تقول: إذ فعلت ففعلنا، ففعلنا.

(١٩: ٥)

الفخر الرازي: إذهبوا إليه واجعلوه مأواكم.

(٩٩: ٢١)

أبو حنيفة: أي اجعلوه مأوى لكم، تُقبضون فيه وتأوون إليه. (١٠٦: ٦)

المساوي

١- عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَسَاوِي. التجم: ١٥

كعب الأحمار: «جَنَّةُ الْمَسَاوِي»: جنة فيها طير

خضر، ترفع فيها أرواح الشهداء. (ابن القيم: ٤٥٥)

ابن عباس: هي الجنة التي تأتي بأوي إليها جبريل

والملائكة. (ابن القيم: ٤٥٥)

هي بين العرش، وهي منزل الشهداء.

(الطبري: ٥٥: ٢٧)

إنها الجنة التي يصير إليها أرواح الشهداء.

(القرطبي: ٩٦: ١٧)

مثله الكلبي، ومثاقيل. (المصنف: ٣٦١: ٩)

الحسن: هي التي يصير إليها المتقون.

(القرطبي: ٩٦: ١٧)

هي التي يصير إليها أهل الجنة. (الطوسي: ٤٢٦: ٩)

فتادة: هي الجنة التي كان آوى إليها آدم ونصير

إليها أرواح الشهداء.

(الطبرسي: ١٧٥: ٥)

مثله الجسائي.

الفرادة: قد ذكر عن بعضهم: «جَنَّةُ الْمَسَاوِي»

يريد أجنة، وهي شاة، وهي الجنة التي فيها أرواح

هكذا المأوى، والظاهر أنه عائد إلى «الصدر» وهي الأصح.

وقيل: إن عائشة أنكرت هذه القراءة، وقيل: إنها أجازتها. (٢٨: ٢٩٢)

القرطبي: تعريف بموضع «جَنَّةِ السَّأْوَى» وأنها «عِشَّةٌ بِسَدْرَةِ الْمُتَّقِينَ» التجم: ١٤، وقرأ علي، وأبو هريرة، وأنس، وأبو سبرة الجسفي، وعبد الله بن الزبير، ومجاهد (عندَها جَنَّةُ السَّأْوَى) يعني جنة المييت. قال مجاهد: يريد أجنته، والماء للشيء ^{الذي} ~~الذي~~

وقال الأخفش: أدركه، كما تقول: جنة الليل، أي ستره وأدركه. وقراءة العامة «جَنَّةُ السَّأْوَى». { ذكر أقوال السابقين } (١٧: ٢٩)

نحو: أبو حيان. ابن القيم: المأوى «مَقْل» من أرى يأوي، إذا انضم إلى المكان وصار إليه، واستقر به. [وَمِنْهُ مَنْ يَأْوِي] ابن عباس والكوفي قال:

والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة، كما قال تعالى: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ» فَإِنَّ الْجَنَّةَ مِنَ السَّأْوَى» التازعات: ٤٠، ٤١، وقال في التار: «لِإِنَّ الْجَنَّةَ مِنَ السَّأْوَى» التازعات: ٣٩، وقال: «وَمَا أَوْيَكُمْ النَّارُ...» النكبات: ٢٥. (٤٥٥)

البيروسي: والجملة حالية. قيل: الأحسن أن يكون الحال هو الظرف (وَجَنَّةُ السَّأْوَى) مرتفع به بالفاعلية. وإضافة الجنة إلى المأوى مثل إضافة «مسجد الجامع»، أي الجنة التي يأوي إليها المتقون، أي تنزل فيها وتصير وتعود إليها أرواح الشهداء. يقال: أويت منزلي

وإليه أويًا وأويًا: عُدْتُ، وأويته: نزلته بنفسي، والمأوى: المكان. (٩: ٢٢٦)

العاصمي: المأوى وما يدل عليه كأوى ونحوه، وأصل المأوى: المنزل والمرجع، ويقال: أوى إلى المنزل، ويأوي مقصوراً أي رجع إليه ونزله، وآواه إليه ممدوداً، يعني ضمه إليه، ويقال: آوانا، أي ركننا إلى مأوى لنا.

وكل من المقصور والممدود لازم ومتعد، وسيأتي في «اليتيم» ما يدل على تأويل قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ يَتِيمَتِي فَأْوَى...» الضحى: ٦، بأن وجدك فرداً وحيداً فأوى إليك الناس، وهو دال على كونه مأوى للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وبه يصير الجنة أيضاً مأواهم.

وظاهر أن أوصياء الأئمة أيضاً كذلك، وبإطاعتهم وولايتهم التي هي إطاعة الله ورسوله وولايتهم تكون الجنة مأوى في الآخرة، وعلى حسب المقابلة يكون أئمة المومنين ~~المومنين~~ مأوى غير المؤمنين، وبذلك تكون النار مأواهم في القيامة.

فالؤمن مأواه في الدنيا النسي والائمة ^{عليهم السلام}، وفي الآخرة الجنة. وغير المؤمن مأواه لئلك الأئمة في الدنيا، وفي الآخرة النار، إذ ظاهر أن الرجوع إلى شخص في الأمور الدينية والدينية هو معنى جعله وأخذاه مأوى. (٨٩)

الآلوسي: (السأوى) على ما نص عليه الجمهور اسم مكان، وإضافة «الجنة» إليه ببيانته. وقيل: من إضافة الموصوف إلى الصفة كما في «مسجد الجامع» وتعقب بأن اسم المكان لا يوصف به، والجملة حالية. وقيل: الحال هو الظرف، و(جنة) مرتفع به على

الغاهلية.

وقرأ علي كرم ■ تعالى وجهه، وأبو الفزداء، وأبو هريرة، وابن الزبير، وأنس، ويزيد، ومحمد بن كعب، وكثاعة، (جنة) بهاء الضمير وهو ضمير النبي ﷺ وبنو فعل ماض، أي عندما ستره إيواء الله تعالى، وجميل منته به، أو ستره المأوى بظلاله. ودخل فيه علي أن (المأوى) مصدر ميمي أو اسم مكان، و(جنة) بمعنى ستره.


قال أبو البقاء: شاذ والمشمول «أجنه» ولهذا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها، وكنا جمع من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين: من قرأ به فأجنه الله تعالى، أي جملة مجنوناً، أو أدخله الجن وهو القبر.

وأنت تعلم أنه إذا صح أنه قرأ به الأمير كرم ■ تعالى وجهه ومن معه من آثار الصحابة فليس لأحد ردة من حيث القدود في الاستعمال، وعائشة قد حكى عنها الإجازة أيضاً. (٢٧: ٥١)

الطباطبائي: أي الجنة التي يأوي إليها المؤمنون، وهي جنة الآخرة. فإن جنة البرزخ جنة مسجلة محدودة باليتم، قال تعالى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة: ١٩، وقوله: ﴿فَبِأَنَاءِ جَنَاتِ الطَّامَةِ الْكُفْرَى - إِلَى أَنْ قَالَ - فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ التازعات: ٤١، ٣٤. وهي في السماء على ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمِمَّا تَوَدُّونَ﴾ الذاريات: ٢٢، وقيل: المراد بها جنة البرزخ. (١٩: ٣٦) ينبت الشاطئ: المأوى: المكان يؤوى إليه ويلاذ به ويسكن فيه. ولم يستعمله القرآن إلا في الحياة الآخرة.

وقنا مع الجنة: السجدة: ١٩، التجم: ١٥، التازعات: ٤١، وقنا مع المجمع أو النار أو جهنم وبئس المصير: آل عمران: ١٥١، ١٦٢، ١٩٧، الأنفال: ١٦، المائدة: ٧٢، الحديد: ١٥، المنكوت: ٢٥، الجنان: ٢٤، النساء: ٩٧، (١٢١) يونس: ٨، الإسراء: ٩٧، السجدة: ٢٠، التوبة: ٧٢، ٩٥، التهميم: ٩، الزعد: ١٨، التور: ٥٧، التازعات: ٢٩

وهو صريح يعهد بأن القرآن الكريم لا يسترف بغير الفكر الآخرة مأوى. ويلاحظ فيه من قرب، أنها نهاية المطاف وغاية المصير.

أما الفعل من «أوى» فيأتي في القرآن ١٢ مرة،  «أنا حقيقة في مثل آيات:

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ يَنْبُتًا فَأَوْى...﴾ الضحى: ٦.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا...﴾ الأنفال: ٧٢، ٧٤.

﴿فَأَوْىكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُفْخِرُونَ﴾ الأنفال: ٢٦، ومعهما

آيات: الكهف: ١٠، ١٦، ٦٣، ويوسف: ٦٩، ٩٩، والمؤمنون: ٥٠، والأحزاب: ٥١.

وقنا حل سبيل الرجاء:

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَرْوِي إِلَيْكَ رُكْنًا شَدِيدًا﴾

هود: ٨٠

أو الوهم:

﴿قَالَ سَأُوْى إِلَيْكَ بِجَنَّةٍ يَتَعَصَّى مِنَ السَّمَاءِ قَالَ

لَا غَالِيَةَ الْيَوْمَ مِنْ أَفْرِ الْإِلَهِ عَنْ رَجِيمٍ وَخَالَ بَيْنَهُمَا

السَّوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُسَفَرِّينَ﴾ هود: ٤٢.

﴿يُفْخِرُونَهُمْ بِوَدِّ الشَّجَرِمْ لَوْ يَفْقَدِي مِنْ عَذَابِ

ودخول حرف التمرير في المأوى والطرف للتمريف،
لأنهما مروقان. (٢١٥: ٤)

نحوه الشريبي. (٤٨٢: ٤)

القَصْرُ التَّوْازِي: تقدير الآية: فإنَّ المجعوم هي
المأوى له، ثم حذفت الصلة لوضوح المعنى، كقولك
للرجل: غَضَّ الطرف أي غَضَّ طرفه، وعندى فيه وجه
آخر، وهو أن يكون التقدير: فإنَّ المجعوم هي المأوى
اللاحق بمن كان موصوفاً بهذه الصفات والأخلاق.

(٥١: ٣١)

الآتوسي: أي مأواه، على ما رآه الكوفيون من أن
«وَالْ» عوض عن المضاف إليه الضمير، وبها يحصل
الزحط. أو المأوى له، على رأي البصريين، من عدم كونها
معناً وراجحاً. وهذا الخلاف هنا للعلم بأن الطاغية هو
صاحب المأوى، وحسنه وقوع المأوى فاصلة وهو الذي
الإعراب، أو ضمير جهته مبتدأ، والكلام دالٌّ على
المصدر، أي كأنه قيل: فإنَّ المجعوم هي مأواه أو المأوى
له لاحأوى له سولها. (٣٦: ٣٠)

لَمَّا أَتَيْنَا أَهْلَهُمْ وَاعْتَمَلُوا الضَّالِّينَ فَجَاءَتْ
الْمَلَائِكَةُ زُلْزَلًا يَمْسَحُوهَا يَمُوتُونَ. السجدة: ١٩

الطَّبْرِي: يعني بساتين المساكن التي يسكنونها في
الآخرة، ويأوون إليها. (١٠٧: ٢١)

الطَّبْرِي: (المأوى) المقام، أي لهم هذه البساتين
التي وعدهم الله بها يأوون إليها. (٣٠: ٤)

الزَّمخشرى: نوع من الجنان، قال الله تعالى:

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُهُ خُضْرُ الْهَلَاءِ وَفَصْلَتٌ مِّنَ الْأَشْجَارِ
المنارج: ١١-١٣. (١٤١: ٨)

٢- فَإِنَّ الْجَمْعَ مِنَ الْمَأْوَى. التازعات: ٤١

الزُّجَّاج: تقديره: هي المأوى له، ولا يكون بدلاً من
الحاء، كما لا يكون بدلاً من الكاف في قولك: غَضَّ الطرف
[ثم استشهد بشر]

الطَّبْرِي: أي هي مستقره ومأواه، فالألف واللام
تعاين الضمير، كقولهم: مررتُ بمستن الوجه، أي حسن
وجهه. (٢٦٤: ١٠)

٣- فَإِنَّ الْجَمْعَ مِنَ الْمَأْوَى. التازعات: ٤١

الزُّجَّاج: ومعنى (جَمْعُ الْمَأْوَى) أي هي المأوى
وقال قوم: الألف واللام بدل من الحاء، المعنى هي مأواه
لأن الألف واللام بدل من الحاء، وهذا كما تقدم في الزَّمخشرى
لِحُضِّ الطرف بإحدى فلانين الألف واللام بدلاً من
الكاف وإن كان المعنى غَضَّ طرفه، لأن المخاطب يعلم
أنك لا تأمره بغض طرف غيره. [ثم استشهد بشر]

(٢٨١: ٥)

نحوه الطَّبْرِي (٢: ٤٥٦)، وأبو البركات (٢: ٤٩٣).
الطَّبْرِي: أي النار متواء ومستقره وموضع
مقامه. (٢٦٤: ١٠)

الزَّمخشرى: المعنى فإنَّ المجعوم مأواه، كما تقول
للرجل: غَضَّ الطرف، تريد طرفه، وليس الألف واللام
بدلاً من الإضافة ولكن لما علم أن الطاغية هو صاحب
المأوى وأنه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الإضافة.

الأنفال: ١٦. النصير.

البروسوي: المأوى: المكان الذي يأوي إليه الإنسان، أي يأتيه.

(٣٢٤: ٥)

منه المرافي: (١٧٨: ٩)

رشيد رضا: ومأواه الذي يلجأ إليه في الآخرة جهنم دار العقاب، ونس المصير جهنم. كأن المهزم أراد أن يأوي إلى مكان يأمن فيه من الهلاك فعوقب على ذلك، بجعل عاقبته التي يصير إليها دار الهلاك والعذاب الدائم، أي جُوزي بضد غرضه من مصبة الفرار.

وقد تكرر في التنزيل التعبير عن جهنم والشار بالمأوى، وهو إما من قبيل ما هنا وإما لتهكم المحض،

فإنه إذا راجعت استعمال هذا الحرف في غير هذا المقام من التنزيل تجد أنه لا يذكر إلا في مقام النجاة من خوف أو عذاب، كقوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ (١٠٠: ٤٠) وقوله: ﴿وَأَوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٤٣) وقوله: ﴿وَالَّذِينَ أَوْوُوا وَتَضَعُوا...﴾ (الأنفال: ٧٢).

٨٠. وقوله: ﴿وَأَوَى إِلَى جَهْلِ يَحْيَى مِنَ السَّمَاءِ﴾ (هود: ٤٣) وقوله: ﴿وَالَّذِينَ أَوْوُوا وَتَضَعُوا...﴾ (الأنفال: ٧٢).

مَأْوِيَهُمْ

١. أُولَئِكَ مَأْوِيَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

يونس: ٨

المتبيد: أي مصيرهم ومرجعهم.

القرطبي: أي مواضعهم ومقامهم.

نحوه البروسوي (٤: ١٨)، والآلوسي (١١: ٧٣).

رشيد رضا: المأوى في أصل اللغة: السلجاء الذي

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ مِزْقَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۖ عِنْدَ قَنَا

بَيْتَةِ الْمَأْوَى﴾ النجم: ١٣-١٥، سُميت بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: تأوي إليها أرواح الشهداء، وقيل: هي عن يمين العرش، وقُرى (جَنَّةُ الْمَأْوَى) على التوحيد.

نحوه الشافعي (٢١: ٦٧)، والطبري (١: ٣٧)، والنسفي (٣: ٢١٠).

القرطبي: أخبر عن مقرّ الفريقين غداً، فلمؤمنين جَنَاتُ الْمَأْوَى، أي يأوون إلى الجنات، فأضاف الجنات إلى المأوى، لأن ذلك الموضع يتضمن جنات.

(١٠٦: ١٤)

الآلوسي: تفصيل لمراتب الفريقين بعد نفي استوائهما، وقيل: بعد ذكر أحوالهما في الدنيا. وأضيف الجنان إلى المأوى لأنها المأوى والسكن الحقيقي في الدنيا منزلاً مرتفعاً عنه لا محالة.

وقيل: (المأوى) قلّم لمكان مخصوص من الجنان كدَحْن، وقيل: جنة المأوى لما روي عن ابن عباس: أنها تأوي إليها أرواح الشهداء، وروي أنها عن يمين العرش ولا يغني مافي جملة علّما من البعد.

وأيما كان فلا يبعد أن يكون فيه رمز إلى ما ذكر من تجافهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا.

وقرأ طلحة (جَنَّةُ الْمَأْوَى) بالإنفراد. (١٣٣: ٢١)

مَأْوِيَةٍ

وَمَنْ يُؤْمِرْ بِمُؤْمِنَةٍ دَائِرَةٍ إِلَّا مَخْرُجًا لِقَتَالٍ أَوْ مَخْرُجًا إِلَى قِتَالٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوِيَةٍ جَهَنَّمَ وَيُسَلِّسُ

يأوي إليه المئتب أو المختاف أو المحتاج من مكان آوين نو
 إنسان فافع، كما ترى في استعمال أفعاله في جميع الآيات،
 كنوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ يَتِيمًا فَآوَى﴾ الضحى: ٦، ﴿وَإِذْ
 آوَى الْيَتِيمَ إِلَى الْإِثْقَابِ﴾ الكهف: ١٠، ﴿وَالَّذِينَ أَزْوَا
 وَنَعَصُوا﴾ الأقال: ٧٢، ﴿آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ يوسف:
 ٦٩، ﴿أَوَى الْيَتِيمَ إِلَى رُكْنٍ ضَيْقٍ﴾ هود: ٨٠، إلا لفظة
 (الْمَأْوَى) فإنه أطلق على «المجئة» في ثلاث آيات،
 وعلى «الثارة» في بضع عشرة آية، منها آية يؤنس هذه.
 وفي تسمية دار العذاب مأوى معلى دقيق في البلاغة
 وخيل في أصباها، فأنض من جميع أوجانها، يشترك بأن
 أولئك المظلمين بالشهوات والغافلين عن الآيات ليس
 لهم مصير يلبثون إليه بعد حول الحساب إلا جهنم، وال
 العذاب، فويل لمن كانت هذه الذكارة كالمجأ والمأوى
 لا مأوى له يلجأ إليه بعدها.
 وبهذا المعنى جاء «عازيتهم» في سورة القصص
 ١٥٦، والتوبة: ٩٥.

٢- مَنَعَ قَلِيلٌ لَّمْ يَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُنْسِ الْمُتَّقُونَ

آل عمران: ١٩٧

أبو حنيفة: المكان الذي يأوون إليه إنما هو جهنم،
 وصبر بالمأوى إشعاراً بانتقالهم عن الأماكن التي تغلبوا
 فيها، وكان في البلاد التي تغلبوا فيها إنما كانت لهم أماكن
 انتقال من مكان إلى مكان لا طراز لهم ولا خلوة، ثم
 للمأوى الذي يأوون إليه ويستقرون فيه هو جهنم.

(١٤٧: ٣)

(١٧٢: ٤)

نحوه الأوسى.

٣- يَأْوِيهِمُ النَّبِيُّ بَجَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ
 غُلَّتَهُمْ وَاذْهَبْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَيُنْسِ الْمُصِيرُ. التوبة: ٧٣
 الطوسي: أي منزلهم جهنم ومقامهم، والمأوى
 منزل مقام، لا منزل أرتحال، ومثله للمؤوى والمُسكن.
 (٣٠٢: ٥)

أوى

١- أَلَمْ يَجْعَلْ يَتِيمًا فَآوَى. الضحى: ٦
 الفراء: كنت في حجر أبي طالب، فجعل لك مأوى،
 وأغناك عنه، ولم يك غنى عن كثرة مال، ولكن الله رَحْمَاء
 بما آتاه.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَغْنَى﴾ و﴿فَأَوَى﴾ يراد به فأغناك
 وأغناك، فغنى على طرح الكاف لمشاكلة رؤوس
 الآيات ولأن المعنى معروف. (٢٧٤: ٣)

الطبري: فجعل لك مأوى تأوي إليه، ومنزلاً
 تنزله. (٢٢٢: ٣٠)

ابن خالويه: (أوى) فعل ماض، والفاء جواب (ألم)
 وإن شئت نسق، والمصدر أوى يؤوى يسوء ممدود،
 فالألف الأولى ألف قطع، والثانية فاء الفعل أصليّة،
 والأصل «أوى» فاستقبل الجمع بين همزتين غلّتا
 الثانية. أوى فهو مؤوى، والمفعول به مؤوى، فهذا فعل
 ينمى. فإذا كان الفعل لازماً قصرت الألف فقلت:
 أوتى إلى فراشي أوى أويًا فأنا آو، مثل قاض، والمفعول
 مأوى إليه، مثل قوله تعالى: ﴿كَانَ وَغْدُهُ حُنَافِيًا﴾ مريم:
 ٦١، فالأمر من الأول: آو يا زيد، مثل آمين، ومن الثاني:
 لي مثل لبيته. (١١٩)

الماورؤهي: فأوالك أي جعلك مأوى للأيتام بعد أن كنت يتيمًا، وكفيلًا للأيتام بعد أن كنت مكفولًا.

(الطبرسي ٥: ٥-٥)

الزُّمخشري: قرئ (فأوى) وهو على معنيين: إما من أواه بمعنى آواه، شمع بعض الرحاة يقول: أين أوي هذه للوقت، وإما من: لوى له، إذا رجحه. (٤: ٢٦٤)

مثله الفخر الرازي (٣١: ٢١٥)، ونحوه أبو حنبلان (٨: ٤٨٦).

الطبرسي: قيل في معناه قولان:

أحدهما: أنه تقرير لنعمة الله عليه، حين مات أبوه وبقي يتيمًا فأواه الله، بأن سخر له أولًا عبد المطلب، ثم مات عبد المطلب فقبض له أباطالب وسخره للإسفاق عليه وحسبه إليه حتى كان أحب إليه من لولاه، فكفله ورَّاه. [إلى أن قال:]

والآخر: أن يكون المعنى لم يجدك واحدًا لا يثقل لك في شرفك وفضلك فأوالك إلى نفسه واختصك برسالته، من قولهم: دُرَّةٌ يتيمٌ، إذا لم يكن لها مثل. [ثم استشهد بشعر]

القرطبي: أي جعل لك مأوى تأوي إليه عند عمك أبي طالب فكفلك.

كقيل لمخر بن محمد الصادق: لم أؤم النبي ﷺ من أبيه؛ فقال: لئلا يكون لخلق عليه حق.

وهن مجاهد: هو من قول العرب: دُرَّةٌ يتيمٌ، إذا لم يكن لها مثل.

فجاز الآية: ألم يجدك واحدًا في شرفك لا يثقل لك فأوالك الله بأصحاب يحفظونك ويموطنونك. (٢٠: ٩٦)

نحو: النسق.

(٤: ٣٦٤)

الزُّمخشري: (فأوى) جواب (ألم) أو نسق، قاله ابن خالون، أي قد وجدك ربك والوجود بمعنى السلام. (يتيمًا) معروفة الثاني، أي ألم يعلمك الله يتيمًا فجعل لك مأوى تأوي إليه، يقال: أوى فلان إلى منزله يأوي أوليًا على ما قيل: رجع إليها، وأويته لنا إيوفه. وللمأوى: كل مكان يأوي إليه شيء ليلاً أو نهارًا، أي يرجع وينزل.

الآلوسي: الإيواء: ضم الشيء إلى آخر. يقال:

أوى إليه فلانًا، أي ضمه إلى نفسه، أي ألم يعلمك طفلاً لا يثق لك فضلك إلى من قام بأمره. [إلى أن قال:]

المعنى ألم يجدك يتيمًا أهلك المراضع، فأوالك رحمة الرحمن عليك بأن وزعها بصحبته الخير والبركة حتى أحبتك وتكفلتك. والأول هو الظاهر، وهو خير من ذلك لما استطاعه بعد أن شاء الله تعالى.

ومن بدع الكاسير على ما قال الزُّمخشري: إن (يتيمًا) من قولهم: دُرَّةٌ يتيمٌ، والمعنى ألم يجدك واحدًا في قرين عديم الظهير فأوالك، والأولى عليه أن يقال: ألم يجدك واحدًا عديم الظهير في المسيلة لم يحو منك صدق الإمكان فأوالك إليه وجعلك في حق أسطفائه.

وقرأ أبو الأسمت (فأوى) ثلاثيًا، فجوز أن يكون من: لواه بمعنى آواه، ولن يكون من: لوى له، أي رجحه ومصدره: أَلَا وأَيْمٌ وماوَيْمٌ وماوَيْمٌ، وتحقيقه على ما قال الزُّمخشري، أي رجع إليه بقلبه. [ثم استشهد بشعر]

(٣٠: ١٦٦)

أَوْوَا

٢- وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ...

يوسف: ٦٩

الحسن: ضمه إليه، وأنزله معه.

مثله قنادة. (الطوسي: ٦: ١٦٨)

أبو هبة: وهو يؤوي إليه ليواد، أي ضمه إليه.

(١: ٣١٤)

مثله الزنجري (٢: ٤٣٣)، والمراسي (١٣: ١٨)،

والهروي (١: ١١١)، والطريحي (١: ٣٦).

ابن قتيبة: أي ضمه إليه، يقال: أويت فلاناً إلى يده

الأكف، إذا ضمته إليك. وأويت إلى بني فلان بقصر

الأكف، إذا لجأت إليهم.

(٢١٩)

مثله المتبدي.

الطوسي: أخبر الله تعالى عن إخوة يوسف

لما دخلوا على يوسف أوى يوسف أخاه إليه والأيواء:

ضم المبوب وتصيره إلى موضع الراحة، ومنه الأوى:

المزحل الذي يأوي إليه صاحبه للراحة فيه.

وقد اجتمعت في (أوى) ^(١) حروف الهمزة كلها،

الألف والواو والياء، والهمزة في ذلك لأن الهمزة بمنزلة

الحرف الصحيح، لأنها ليست حرف مد وليز، فجاز ذلك

على قلبه لهذه الهمزة.

(٦: ١٦٨)

الفخر الرازي: أي أنزله في الموضع الذي كان

يأوي إليه.

الطباطبائي: الإيواء إليه ضمه وتقريبه منه في

مجلسه ونحوه.

(١١: ٢٢١)

وبهذا المعنى جاء (أوى) في سورة يوسف: ٩٩.

وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ

بِقُضِّ... الأنفال: ٧٢

الطبري: يقول: والذين آووا رسول الله

والمهاجرين معه، يعني أنهم جعلوا لهم مأوى يأوون

إليه، وهو المأوى والمسنن. يقول: أسكنوهم وجعلوا لهم

من منازلهم مساكن، إذ أخرجهم قومهم من

منازلهم. (١٠: ٥١)

الطوسي: والذين آووا من الأنصار، ومعناه

ضئوهم إليهم ونصروا النبي ﷺ بأنهم المؤمنون حقاً.

(٥: ١٩١)

مثله الطبري: (٢: ٥٦٢)

البرزوقي: أي ضموا المؤمنين إلى أنفسهم في

مساكنهم ومنازلهم وواسوهم. يقال: أويت منزلي وإليه

أويتاً: نزلته بنفسه وسكنته، وأويته وأويتته: أنزلته.

والمأوى: المكان. (٣: ٣٧٩)

الطوسي: هم الأنصار آووا المهاجرين وأسرلهم

منازلهم، وأتروهم على أنفسهم، ونصروهم على

أعدائهم. (١٠: ٣٧)

رشيد رضا: ومنهم بأنهم الذين آووا الرسول

ومن هاجر إليهم من أصحابه، الذين سبقوهم بالإيمان

ونصروهم، ولولا ذلك لم تحصل فائدة الهجرة، ولم تكن

مبدأ القوة والسيادة، فالإيواء يتضمن معنى التأمين من

الغاة، إذ المأوى هو الملجأ والمأمن. [تم ذكر الآيات كما

سبق منه وقال:

وقد أطلق المأوى في التزليل على الجنة وهو على الأصل في استعماله، وعلى نار الجحيم وهو من باب التثني، ونكتته بيان أن من كانت النار مأواه لا يكون له ملجأ ينضوي إليه، ولا مأوى يعتصم به. وقد كانت يثرب مأوى وملجأ للمهاجرين، شاركهم أهلها في أسوأهم وآثروهم على أنفسهم، وكانوا أنصار الرسول ﷺ يقاتلون من قائله ويمادون من عاداه، ولذلك جعل الله حكمهم وحكم المهاجرين واحداً في قوله: «أُولَئِكَ يَنْفَعُهُمْ أَوْلِيَاءُ يَخْشَوْنَ» (١٠: ١٠٤)

جزء ذروزة: كناية عن أنصار رسول الله ﷺ من أهل المدينة، لأنهم آووا إليهم النبي والمهاجرين ونصروهم. (٨: ٦٣)

الطباطبائي: المراد بـ «وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا» هم الأنصار الذين آووا النبي ﷺ والمؤمنين المهاجرين ونصروا الله ورسوله، وكان المسلمون يحصرون المسلمين في حاتين الطباقتين إلا قليل ممن آمن بمكة ولم يهاجر. (٩: ١٤١)

العجازي: أنزلوا وأسكنوا إخوانهم. يقال: آواه: أنزله ديراً، وأسكنه إياها. (١٠: ١٧)

أَوْلِيَاءُهَا

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَهَيْمٍ، أَوْعِيَّةً: تقديره: أقمنا. ولُوي هو على تقدير «هَوِي» ومعناه ضمعنا. (٢: ٥٩)

الطبري: يقول: وضمناها وصيرناها إلى ربوة، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا فهو يأوي إليه، إذا صار إليه، وعلى مثل «أقمنا» فهو يؤويه. (١٨: ٢٥)
الطوسي: يقال: أوى إليه يأوي، وأوله غيره يؤويه لإيواء، أي جعله مأوى له. (٧: ٣٧٣)
الشافعي: جعلنا مأواه، أي منزلها. (٣: ١٢١)

تُؤَي

تُؤَي من تشاء يئوئ وتؤي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك... الأعراب: ٥١
ابن عباس: يعني بالإرجاء يقول: من شئت جعلت له منة، ويعني بالإيواء يقول: من أبيت لمسكت منة. (الطبري ٢٢: ٢٥)
أي توخر من تشاء من نسائك وترك مضاجعتها، ونظم إليك من تشاء منة ونظامها.

منه قتادة: (الإكوسي ٢٢: ٦١)
مجاهد: تعزل من تشاء منة بخير طلاق، وتعد إليك من تشاء منة بعد عزلك إياها، بلا تجديد عقد.
منه الجبائي، وأبو مسلم: (الطبري ٤: ٣٦٧)
عكرمة: تعزل من تشاء من المؤمنين للوأي يئوئ أنفسهم، وترك من تشاء.

منه الشافعي: (ابن الجوزي ٦: ٤٠٧)
الحسن: ترك نكاح من تشاء من نساء أمتك وتكح من تشاء. (الطبري ٤: ٣٦٧)
قتادة: تقدم من تشاء من نسائك في الإيواء إليك، وهو الدعاء إلى الفرائض، وتؤخر من تشاء في ذلك.

وَتُدْخِلُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ فِي الْقِسْمِ، وَلَا تُدْخِلُ مَنْ تَشَاءُ.

(الطَّبْرِسِيُّ ٤: ٣٦٧)

الإمام الصادق عليه السلام مَنْ أَرَجَى لَمْ يَنْكِحْ، وَمَنْ
أَوَى فَقَدْ نَكَحَ. (الطَّبْرِسِيُّ ٤: ٣٦٧)

الْفَرَاءُ: هَذَا مِمَّا خُصَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَحْمِلَ لِمَنْ
أَحَبَّ مِنْهُنَّ يَوْمًا أَوْ أَكْثَرَ لَوْ أَقَلَّ، وَيُحْطَلُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ
فَلَا يَأْتِيهِ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ تَكْلُّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ يَوْمَ
وَلِيلَةٍ. (١: ٣٤٦)

الطَّبْرِسِيُّ: اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ:
«تُزْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُزَى...» فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنْ
بِقَوْلِهِ: (تُزْجَى) تُؤَخَّرُ، وَقَوْلُهُ: (تُزَى) تَضَمُّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ يُطْلَقُ وَيُحْمَلُ سَهْلًا مَنْ
شَتَّ مِنْ نِسَائِهِ، وَتَمْسُكُ مَنْ شَتَّ مِنْهُنَّ، فَلَا تُطْلَقُ.
وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ تَتْرَكَ نِكَاحَ مَنْ شَتَّ،
وَتَنْكِحُ مَنْ شَتَّ مِنْ نِسَاءِ أَمَتِكَ.

وَأَوَّلُ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ
اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ جَعَلَ لِنَبِيِّهِ أَنْ يُرْجِيَ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي
أَحْلَاهُنَّ لَهُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُؤْوِي إِلَيْهِ مِنْهُنَّ مَنْ يَشَاءُ، وَذَلِكَ
إِنَّهُ لَمْ يَحْصُرْ مَعْنَى الْإِرْجَاءِ وَالْإِيْوَاءِ عَلَى الْمُنْكَرُوحَاتِ
الَّلَّوَاتِي كُنَّ فِي حَبَالِهِ - عِنْدَمَا نُزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ - دُونَ
غَيْرِهِنَّ مَنْ يَسْتَعِدُّ إِيْوَاهُهَا أَوْ إِرْجَاءُهَا مِنْهُنَّ.

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْنَى الْكَلَامِ: تُؤَخَّرُ مَنْ تَشَاءُ
مَنْ وَهَبْتَ لِنَفْسِكَ لِلَّهِ وَأَحْلَلْتَ لَكَ نِكَاحَهَا، فَلَا تَقْبَلُهَا
وَلَا تَنْكِحُهَا، أَوْ مَنْ هُنَّ فِي حَبَالِكَ فَلَا تَقْرِبُهَا، وَتَضَمُّ إِلَيْكَ
مَنْ تَشَاءُ مَنْ وَهَبْتَ لِنَفْسِكَ، أَوْ أَوْدَعْتَ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي
أَحْلَلْتَ لَكَ نِكَاحَهُنَّ فَتَقْبَلُهَا أَوْ تَنْكِحُهَا، وَمَنْ هِيَ فِي

حَبَالِكَ، فَتَجَامِعُهَا إِذَا شِئْتَ، وَتَتْرَكُهَا إِذَا شِئْتَ بِغَيْرِ قِسْمٍ.

(٢٢: ٣٤)

أَبُو زَوْعَةَ: قَرَأْنَا فِي رِوَايَةِ وَذَرٍّ (تُؤْوِي) بِتَرْكِ
الْهَمْزَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِأَلْهَمْزَةٍ، فَإِنْ سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ:
أَوْعَضُوا تَرَكَ الْهَمْزَةَ السَّاكِنَةَ نَحْوَ (يُؤْوِيُونَ) فَهَلَا تَرَكَ
الْهَمْزَةَ فِي (تُؤْوِي)؟

فَقُلْ: إِنَّ أَبَاغَضُوا تَرَكَ الْهَمْزَةَ فِي (يُؤْوِيُونَ) تَخْفِيفًا،
فَإِذَا كَانَ تَرَكَ الْهَمْزَةَ أَثْقَلَ مِنَ الْهَمْزَةِ لَمْ يَدْعِ الْهَمْزَةَ،
الْآخَرَى أَتَى لَوْ لَبِثَ (تُؤْوِي) لَاتَّقَى وَآوَانَ، قَبْلَهَا ضَمَّةٌ،
فَقُطِلَتْ. (٥٧٩)

السَّيِّدِيُّ: (تُزْجَى) أَيُّ تُؤَخَّرُ «مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ»
وَتُزَى إِتْلَفَ أَيُّ تَضَمُّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ. الْإِرْجَاءُ: تَأْخِيرُ
الْمَرْأَةِ مِنْ خَيْرِ طَلَاقٍ، وَالْإِيْوَاءُ: امْسَاكِ الْمَرْأَةِ عَلَى الْقِسْمِ
السَّوِيِّ مِنْ غَيْرِ إِرْجَاءٍ. (٨: ٦٩)

الزُّمَّخَشَرِيُّ: (تُزَى) تَضَمُّ، يَعْنِي تَتْرَكَ مُضَاجَعَةً
مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتَضَاجِعُ مَنْ تَشَاءُ، أَوْ تُطْلَقُ مَنْ تَشَاءُ
وَتَمْسُكُ مَنْ تَشَاءُ، أَوْ لَا تُقَسِّمُ لِأَيِّهِنَّ شَيْئًا، وَتُقَسِّمُ لِمَنْ
شِئْتَ، أَوْ تَتْرَكَ تَزْوِجَ مَنْ شِئْتَ مِنْ نِسَاءِ أَمَتِكَ وَتَتَزَوَّجَ
مَنْ شِئْتَ.

وهذه قسمة جامعة لما هو الفرض لأنه إما أن يُطْلَقَ
وإِذَا مَسَكَ، فَإِذَا أَمْسَكَ ضَاجِعَ أَوْ تَرَكَ وَقَسَمَ أَوْ
لَمْ يُقَسِّمْ، وَإِذَا طَلَّقَ وَعَزَلَ فَبَاتًا أَنْ يَحْلِيَ الْمَرْوَلَةَ
لَا يَتَضَمُّهَا أَوْ يَتَضَمُّهَا. (٣: ٢٦٩)

الْقُرْطُبِيُّ: (تُزَى) تَضَمُّ، يُقَالُ آوَى إِلَيْهِ، مَمْدُودَةٌ
الْأَلْفُ: انْضَمَّ إِلَيْهِ.

واختلف العلماء في تأويل هذه الآية، وأصح ما قيل

فيها: التوسعة على النبي ﷺ في ترك القسم، فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته. (١٤: ٢١٤)

البزوسوي: يقال: أوى إلى كذا أي انضم، وآواه غيره إيواؤه، أي وتطعتها إليك وتضاجعها من غير الثقات إلى نوبة وليسمة أيضًا، فلاختيار يديك في الضحبة بن شنت، ولو أيتاما زائدة على التوبة، وكذا في تركها. أو تطلق من تشاء متهم وتمسك من تشاء، أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتزوجه من شئت، كما في جهر العلوم. (٧: ٢٠٧)

الطبائبي: الإرجاء: التأخير والتجديد، وهو كناية عن الرد، والإيواء: الإسكان في المكان، وهو كناية عن القبول والضم إليه.

والتياب بدل حل أن المراد به أنه ﷺ على خيبة بين قبول من وطئت غسبها له أو رده. (١٦: ٣٣٥)

الصابوني: أنزى أي تضم، يقال: أوى وأوى بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿لَئِيْ اَتِيَهُ اَخَاهُ﴾ يوسف: ٦٩، أي ضمّه إليه وأنزله معه. (٢: ٣٠١)

تؤيه

وتصبّيته أتي تؤيه. المعارج: ١٣

مجاهد: (تؤيه: تنصره.

مثل ابن زيد. (القرطبي: ١٨: ٢٨٦)

مالك: أتيه أتي تؤيه. (القرطبي: ١٨: ٢٨٦)

الطبري: يعني أتي تضمّه إلى رحله، وتنزل فيه امرأته، قريبة ما بينها وبينه. (٢٩: ٧٥)

البغوي: أي تعنيه ويأوي إليها. (٧: ١٢٥)

الأمطري: تضمّه ابتداءً إليها، أو كإدائها بها في التواكب. (٤: ١٥٨)

نحوه للطبرسي (٥: ٣٥٥)، والفخر الرازي (٣٠: ١٢٧)، والسيوطي (٢: ٥٠٤)، والسيابوري (٢٩: ٤٩)، وأبو حيان (٨: ٣٢٤)، والأكرسي (٢٩: ٦٠)، والمراشي (٢٩: ٦٦).

القرطبي: تضمّه وتؤمّه من خوفه، إن كان به. (١٨: ٢٨٦)

البزوسوي: أوى إلى كذا انضم إليه، وآواه غيره، كما قال تعالى: ﴿لَئِيْ اَتِيَهُ اَخَاهُ﴾ يوسف: ٦٩، أي ضمّه إلى نفسه. فمعي (تؤيه) تضمّه إليها في النسب أو عند الشك في قبولها. (١٠: ١٦٠)

الوجوه والتطائر

تؤيه: تحبب أو تود. (القرطبي: ١٨: ٢٨٦)

فوجه منها: أود، يعني ضيقه كقوله: ﴿وَالَّذِينَ أَوْزَوْا وَنَصَرُوا﴾ الأنفال: ٧٢، يقول: ضيقوا النبي ﷺ إلى أنفسهم ونصروه، وقال أيضًا: ﴿فَأَوْيَكُمْ﴾ يعني ضيقكم إلى المدينة.

والوجه الثاني: أود، يعني لمتها، فذلك قوله: ﴿إِذْ أَوْيْتَنَا إِلَى الطُّحْرِ﴾ الكهف: ٦٣، يقول: لمتينا، وقال أيضًا: ﴿فَأَوْيْنَا إِلَى الْكَهْفِ﴾ الكهف: ١٦. (٢٨٩)

مثل هارون الأعمور (٣١٨)، والشماعاني (٧٣).

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة هو الضم والتجتميع، يقال:

أوى الإنسان منزله وإليه يأوي أويًا وإداه انضمّ ورجع إليه وأوى إلى بني فلان: انضمّ ولجأ إليهم. وأويته وأويته إليّ: ضمته. وتأوت الطير وتأوت: انضمّ بعضها إلى بعض وتجمعت.

ومنه أيضًا: أوى المشرح وآوى وتأوى وتأوى: تقارب للبرء، أي أن أشغره نداعت. وانضمّ بعضها إلى بعض، حتى تلتئم.

ومن الجاز قولهم: أويت فلان، إذا رحمت ورثت له، وتحببته. كما قال الراغب: رجعت إليه بقلبي، وكذا استأويت فلانًا: سألته أن يشفق عليّ ويرحمي.

ومنه قول الإمام عليّ عليه السلام في الأشرار: «واللهم تأوي الخطيئة».

والمأوى: اسم مكان بمعنى المنزل والملاجئ كما في قوله عليه السلام قاطبة، إلا الراغب، فقد عدّه مصدرًا ميميًا، وهو شاذّ سماعًا، معروف قياسًا، لأنّ كونه مصدرًا يُعمل مصدرًا ميميًا، مثل: سرى يسري سريته ومسرى: متى ليلًا.

وقد تبعه بعض المتأخرين - كما تقدّم في التصوص التفسيرية - فقالوا في: (جَنَّةُ الْمَأْوَى) المأوى مصدر، أي جنة الرجوع والإقامة.

٢- ويلحظ أنّ الفعل «أوى» الجرم قد ورد لازماً ومستعدّاً، فمن اللازم: أوى المشرح: تقارب للبرء. والمستعدّي يصدّي بنفسه، مثل: أويته، أي أنزله بي، ويصدّي بالحرف، كالحرف «إلى»: أوى إلى فلان: نزل به، وأوى إلى منزله: رجع، و«اللام» أوى لدرجته، ولا يأتي «أوى» بهذا المعنى، وهو ما غلط به صاحب «الترييح».

قال: «يقال: أويت له» وتداوله بعض المعاصرين، ولا يصحّ «أوى» بالحرف «عن»، وهو من أفراد الزمخشري، قال: «أويت عن كذا، إذا تركته» ونحبه مصنوعًا.

٣- وأما ما قاله الأزهرى نقلاً عن المنذري بأنّ أبا هيثم أنكر تصدّي «أوى» بنفسه، فإنّما في شك من ذلك، لأنّ أبا الهيثم جهل في اللغة، حاذق في النحو، ومثله لا يخلو هذا الحرف، سيما أنّه ورد في الحديث المستفيض عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «لا يأوي الضالّة إلا ضالّة»، وقال الأنصار: «أبايكم على أن تأوؤني وتصروني»، وقال أيضًا: «لا قطع في امر حتى يأويه المجرم»، فاهلك من تواتره لدى من تقدّمه من اللغويين كما في زبد وأبي حنيفة، ومن حاصره كابن فنيبة، كما تقدّم في التصوص اللغوية.

وهناك قال شواذّ قياسًا، إذ أنّ مصدر «أوى» هو «الأوى»، على وزن «فعلول» وهذا الوزن مقبوس في الفعل اللازم الصحيح العين، و«أوى» محتلّ العين كما ترى، فتوهم المنذري أو الأزهرى أو كلاهما أنّ أبا الهيثم جهل «أوى» بالتصدي في السماع، وهو يريد شواذّه في القياس.

٤- وهناك اشتقاق أكبر بين صادّي «أوى» و«أيي»، إذ أنّ أحد أصول «أيي» - كما سيأتي - التجمع، يقال: خرج القوم بأيّهم، أي بجباةهم، وقد عدّ الجوهري «الآية» من (أوى)، ولكنه أغرها عسكًا في مادة «أيي»، بيد أنّنا نرى «الواو» في حين كلّ من هاتين المادتين في اللغة العبرية، فلي «أوى» يقولون:

«أوه»، ولي «الآية»: «آواه»، وهذا يدعم ما ذهب إليه الجوهري، إلا أنه لا يطرأ في العربية، لاحظ «أي».

لَقُلْ لَكَ رَحْمَةٌ

الكهف: ١٠

٢- «قَالَ سَادَى إِنْ جَبَلٍ يَقْصِمُنِي مِنَ السَّمَاءِ»

هود: ٤٣

٣- «قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّايَ رُكْنٌ

هود: ٨٠

شديد»

٤- «فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ»

الكهف: ١٦

٥- «أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِتْنَةً فَأُوى» الضمى: ٦

٦- «فَلَوْ بَكْتُمْ وَأَيَّدَكُم بَسْمَعِهِ وَرَزَقَكُم مِنْ

الأنفال: ٢٦

الطَّيِّبَاتِ

٧- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ بَغْضِهِمْ أُولِيَانَا»

الأنفال: ٧٢

٨- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

الأنفال: ٧٤

٩- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

١٠- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

١١- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

١٢- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

١٣- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

١٤- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

١٥- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

١٦- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

١٧- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

١٨- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

١٩- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

٢٠- «وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَتَعَمَّرُوا أَوْلِيَكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ

الاستعمال القرآني

ورد الأوي والإيواء في القرآن بثلاثة معان:

١- الضم:

١- «وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِيَّاهُ أَخَاهُ»

يوسف: ٦٩

٢- «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِيَّاهُ أَخَاهُ»

يوسف: ٦٩

٣- «فَرَجَى مِنْ تَتَاءِ مِثْنُ وَتَوَّى إِيَّكَ مِنْ تَتَاءِ»

الأحزاب: ٥١

٤- «وَقَصِيلَتِي إِلَيْهِ تَبِيهِ» المارج: ٧٣

يلاحظ أولاً: أن هذا المعنى يقتصر على قرابة الرجل

وذوي رحمه، كالآخ (١)، والأنوين (٢)، والزوجة (٣)

والعشرة (٤)، فهؤلاء ينظرون إلى حصة واحدة،

وكأنهم عضو واحد، ولذا استعمل القرآن لفظ الضم في

العضو فقط:

«وَاضْمُ يَدَكَ إِنْ جَنَّاخَكَ تَخْرُجُ بِتَتَاءِ مِنْ غَيْرِ

شَوْ» طه: ٢٢

«وَاضْمُ يَدَكَ جَنَّاخَكَ مِنْ الرَّحْبِ» القصص: ٣٢

وثانياً: أن جويء الإيواء هنا يشعر بتوقى الأوي على

المأوي، إنا لعلو كعبه، كما في (١) و(٣)، أو لخطورة قدومه

كما في (٢)، أو لشدة صوته، كما في (٤).

٢- اللجوء:

١- «وَإِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ

مُشْتَغِلُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَاقُونَ أَنْ يَخْلُطَكُمْ آتَاؤُ
فَأُولَئِكَمُ وَأَيْدِيكُمْ يَنْصُرُهُمُ ۖ الْأَنْفَالُ: ٢٦.

ويتحقق أيضاً عند الشدة والشعور بالفقرية وفلة
الناصر، كما في الآيات: (٣) و(٥) و(٧) و(٨)، إذ تلفظ
التي لوط على فتوته وقوته، وتتحقق أن يكون له ناصر،
يردع القوم عنه. وقد ألبأ الله النبي محمد ﷺ من اليم
بعد موت أبيه بمدة عبد المطلب، ثم بعته أبي طالب أو
ألبأ بصحابه المسلمين بعد موت عمه أبي طالب.
لنا الأنصار فلقد ألبأوا المهاجرين بعد هجرتهم من
مكة إلى المدينة، ونصروهم حين غلظهم قومهم
المشركون.

وثالثاً: جاء ما يضارع معنى اللجوء في القرآن
بالألفاظ التالية:

١- الاعتصام:

﴿وَمَنْ يَخْتَصِم بِمَا فِي قُلُوبِهِ هَدَىٰ إِلَىٰ سَبِيلٍ عَذَابٍ
مُشْتَبِهٍ﴾ آل عمران: ١٠١
﴿قَالَ سَأْبَىٰ إِلَىٰ جَهَنَّمَ بِقِصَّتِي مِنَ السَّمَاءِ﴾

هود: ٤٣

٢- اللوذ:

﴿إِنِّي عَذْتُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ
بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ المؤمن: ٢٧
﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعْبُدُونَ بِرِجَالٍ مِنْ
الْجِنِّ﴾

٣- اللواذ: مرة واحدة: ﴿قَدْ يَفْخَمُ اللَّهُ الَّذِينَ

يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْلَا﴾ التور: ٦٣

٤- الإجارة:

﴿وَيُخْرِكُم مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ الأحقاف: ٣١
﴿وَإِنْ أَخَذَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتِجَارَكَ فَأَجْرُهُ﴾

التوبة: ٦

٥- الإغاثة: مرة واحدة: ﴿وَإِنْ يَشْتَكُوا فِئَاءًا بِمَا
كَانَ هَلِيلُ يَشْجَىٰ الْوُجُوهُ﴾ الكهف: ٢٩.

وسياقي تفصيلها في محالها.

وثالثاً: لم يأت الأوي إلى الله بمعنى اللجوء وبالمعنيين
الأخرين. كما في الاعتصام والموذ والإجارة، بل أتي
الأوي إلى الكهف وإلى الصخرة وإلى الجبل وإلى
ما يستند إليه، وأما الإيواء فقد أتي من الله، كما في (٥)
و(٦).

٣- القرار:

٤- الدنيا:

﴿قَالَ لَرَأَيْتُ إِذْ أَوَيْتَ إِلَى الصَّخَرَةِ فَيَايَ نَسِيتُ
الكهف: ٦٣

﴿وَأَوَيْتَ إِلَىٰ ذَاتِ ثَوْرٍ وَتَجِبِينَ﴾ المؤمنون: ٥٠

بلاحظ أولاً: أن الأوي والإيواء قد اقترنا بلفظي
الصخرة والريوة، كما اقترن الأوي بالكهف والجبل
والزمن الشديد في سائر الآيات، وكل هذه الأمور تدل
على القوة والمنعة والتوسل بها يسهل عن الضعف.
ولاشك أن أوي موسى وفتاه إلى الصخرة، واتخاذها
قرازا لأمد قصير كان بسبب الإعياء والتعب الذي حل
بهما من جزاء رحلتها، وهذا بصريح قوله تعالى حكاية
قول موسى: ﴿لَقَدْ لَبِيتَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ الكهف: ٦٢.

وقائلاً: لا تدري أن ليواه عيسى وأنه إلى الزبوة أكان
لخوف أم لغيره؟ لأن هذا مالا يصحح عن علته القرآن،
ولم يترخص له الاثتان.

ولكن يظاه من النصوص التاريخية أن اليهود
كانوا يتحيتون الفرس للتكيل بعيسى، وكان عيسى
يحذر بطشهم وكيدهم، ولذا اعتصم مع أمه بالزبوة،
وجعلها معقلاً لها، ليكونا بعيدين عن متناول
أيديهم. وكان أهل الكتاب في المدينة يتحصنون بقلاع
وحصون، خوفاً ممن يقومون بين ظهرانيهم، وهم ليسوا
من بني جلدتهم، ولا من أتباع دينهم، وهذا ما يحدثنا به
القرآن في الآيات الآتية:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ عَظِمْتَ أَنْ يَقْرَبُوا وَعَطُوا أَنَّهُمْ
خَائِفَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ لِقَا فِي ذَلِكَ يَوْمٍ
يَجْتَسِبُوا﴾

﴿لَا يَفْأَيِلُوا لَكُمْ جِهَتًا إِلَّا إِلَى قُورَى شَحِيحَةٍ أَوْ مِنْ
وَزَامٍ جَدِيدٍ﴾
﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
صَنَاعِيهِمْ﴾

ب - في الآخرة:

١- ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ
جَنَّاتُ النَّارِ﴾ السجدة: ١٩
٢- ﴿وَلَقَدْ رَأَوْا نَرَّةً آخَرَى • إِذْ يَسْأَلُونَ
السُّنَنَى • عَنْهَا جَنَّةُ النَّارِ﴾ النجم: ١٣ - ١٥
٣- ﴿فَأَمَّا مَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْمُنَى فَلَهُ النَّارُ • فَإِنْ
الْجَمْعُ مِنَ النَّارِ﴾ التازعات: ٢٧ - ٢٩

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ
الْهَوَى • فَإِنَّ الْجَنَّةَ مِنَ النَّارِ﴾

التازعات: ٤٠، ٤١

٥- ﴿وَعَاوِجُ النَّارِ وَهَاجَتُمْ مِنْ تَاجِهِمْ﴾

المنكوت: ٢٥، والجنات: ٣٤

٦- ﴿عَاوِجُ النَّارِ مِنْ تَوَلَّيْتُمْ وَيَسَّ النَّاصِبِ﴾

الحديد: ١٥

٧- ﴿أَقْسَمُ اتَّبِعِ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ
اللَّهِ وَعَاوِجُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ النَّاصِبِ﴾ آل عمران: ١٦٢

٨- ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ

وَعَاوِجُ النَّارِ وَالْعَالَمِينَ مِنْ أَنْصَارِهِ﴾ المائدة: ٧٢

٩- ﴿وَمَنْ يُولِمْ يَوْمَئِذٍ ذِمَّةً إِلَّا مَتَرَفًا يَحْشَرُهُ اللَّهُ

مَتَرَفًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَعَاوِجُ جَهَنَّمَ

وَيَسَّ النَّاصِبِ﴾ الأنفال: ١٦

١٠- ﴿سُتْقِلَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّغْبَ بِمَا

أُشْرَكُوا بِاللَّهِ عَالَمٌ يُنْزَلُ بِهِ سُلْطَانًا وَعَاوِجُ النَّارِ وَيَسَّ

مَتَرَفًا عَالَمِينَ﴾ آل عمران: ١٥١

١١- ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ عَاوِجُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ النَّاصِبِ﴾

آل عمران: ١٩٧

١٢- ﴿فَأُولَئِكَ عَاوِجُ جَهَنَّمَ وَنَاصِبُ النَّاصِبِ﴾

النساء: ٩٧

١٣- ﴿أُولَئِكَ عَاوِجُ جَهَنَّمَ وَلَا يَحْشَدُونَ عَنْهَا

نَجِيحًا﴾ النساء: ١٢١

١٤- ﴿بَاءَتْهَا النَّاسُ بِجَاهِدِ الْكُفَّارِ وَالْمُتَافِقِينَ

وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَعَاوِجُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ النَّاصِبِ﴾

التوبة: ٧٣، والتحرير: ٩

١٥- ﴿إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَأْوِيَّتُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ﴾

التوبة: ١٥

١٦- ﴿أُولَئِكَ مَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

يونس: ٨

١٧- ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوِيَّتُهُمْ جَهَنَّمُ

وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

الزمر: ١٨

١٨- ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ غُلَىٰ وَجُوهُهُمْ غُمَاةٌ

وَتُحْمًا وَأُولَئِكَ مَأْوِيَّتُهُمْ جَهَنَّمُ﴾

الإسراء: ٩٧

١٩- ﴿لَا تَحْتَسِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مَغْفِرَتِي فِي الْأَرْضِ

وَمَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْبَصِيرُ﴾

التور: ٥٧

٢٠- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَتَقُوا فَمَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ

السجدة: ٢٠

يلاحظ أولاً: أن «المأوى» قرار الآخرة فقط، سواء

لأهل الجنة، كما في (١) و(٢) و(٤)، أم لأهل النار كما في

سائر الآيات. وهذا ما انفرد به الأوي في القرآن دون

ظائره، حيث جاء بعضها قراراً في الدنيا والآخرة، وهي:

المسكن:

في الدنيا: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَيِّدٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّاتٍ

عَرْنٍ يَجْنِي وَفِيهَا

سبأ: ١٥

في الآخرة: ﴿وَمَسَاكِينٌ ظَلُمُوا فِي جَنَّاتٍ عَذِيبٍ

التوبة: ٧٢

المتوى:

في الدنيا: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَقَالِبَكُمْ وَمَعْلُوكَكُمْ﴾

محمّد: ١٩

في الآخرة: ﴿وَمَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَفْزًى

الطالين﴾

آل عمران: ١٥١

المقام:

في الدنيا: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ

الدخان: ٢٥، ٢٦

ونقام كريم﴾

في الآخرة: ﴿إِنَّ السَّابِقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾

الدخان: ٥١

الدار:

في الدنيا: ﴿فَمَحْشَرَتْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضُ﴾

القصص: ٨١

في الآخرة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ

البقرة: ٩٤

خالصة﴾

البيت:

في الدنيا: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ﴾

الإسراء: ٩٣

في الآخرة: ﴿وَرَبِّ الْإِنِّ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوٍ﴾

التحریم: ١١

وجاء بعضها قراراً في الدنيا فقط، وهي:

منازل القمر:

﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾

يونس: ٥

الميز:

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مَنَازِلَ صَدِيقٍ﴾

يونس: ٩٣

النصر:

﴿وَبَنِي مُطْعِنَةٍ وَفُضِرَ مُبِيدٍ﴾

الحج: ٤٥

الصرح:

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾

النمل: ٤٤

وثانياً: لا يقتصر معنى «المأوى» على الملجأ

والمرجع والمسكن والمتوى والمصير والمأمن والملاذ

والحمى فحسب، بل أنه يتضمن الأمان والأطمأنينة والاستقرار أيضاً. فالأوى هو المسكن الذي يكتفه الأمان والأطمئنان، والمسكن الذي لأمان فيه ولا استقرار لا يطلق عليه اسم الأوى.

ولا يخفى أن لفظ «الأوى» معنى دقيق، فرغم كثرة نظائره فإن كل واحد منها لا يفصح عن معنى الأوى، إذ أن المصير لغة: هو المكان الذي تصير إليه المياه، والمثوى: الموضع الذي يقال به، والحمى: الموضع الذي فيه الكلاء، ويحصى من الناس مخافة أن يرعى، والمُلجأ: المحقل والمحصن.

فأنت ترى أن كل لفظ من تلك الألفاظ لا يفهم مقام

«الأوى» إلا إذا استوعبت معانيها جميعاً، أي أخذ السير من معنى «المصير»، والإقامة من «المثوى»، والأمان من «الحمى»، والتحصن من «الملجأ».

ولا غرو - إذنا - أن القرآن لم يستعمل «الأوى» في المجال الدنيوي، إذ لا وجود لمكان يتصف بهذه الصفات إلا في الآخرة، وهو الجنة لا محالة. وأما استعماله مع «النار» و«المحيم» و«جهنم»، فهو من باب السخرية والتهكم، كقوله تعالى: ﴿لَوْ لَيْتَكَ مَائِئَةً مِّائَةً تَكُونُ فِي مَلْأُونِهِمْ إِلَّا الثَّانِي﴾ البقرة: ١٧٤ و﴿فَسَبَّحَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١

كتاب التفسير



إِي

لفظ واحد مزة واحدة، في سورة مكية

النصوص اللغوية

ابن الأثير في الحديث: «إي والله» وهي بمعنى نعم.

إلا أنها تختص مع القسم إيجاباً لما سبقه من
(١: ٨٨)

القرطبي: «إي» كلمة تحقيق وإيجاب وتأكيد.

(٨: ٣٥٦)

أبو حيان: [بعد قول الزمخشري قال:]

ولا حجة لها سمى الزمخشري من ذلك، لعدم المحبة
في كلامه، لفساد كلام العرب إذ ذلك وقبله بأزمان كثيرة.
(٥: ١٦٩)

ابن هشام: «إي» بالكسر والتكون حرف جواب

بمعنى نعم، فيكون لصديق المخير وإعلام المستخير
ولوعد الطالب، فضع بعد «قام زيد» و«هل قام زيد»
و«اضرب زيداً» و«محوهن» كما تقع «نعم» بعدهن، وزعم
ابن الحاجب أنها إنما تقع بعد الاستفهام نحو:
«وَتَسْتَبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي» يونس: ٥٣،
ولا تقع عند الجميع إلا قبل القسم.

الخليل: إنها تدخل في اليمين كالفصلة والإفتاح.

ومنه قول الله عز وجل: «إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ» يونس:
٥٣، المعنى: نعم والله.

اللبيد: «إي» يمين، قال الله تعالى: «قُلْ إِي وَرَبِّي

إِنَّهُ لَحَقٌّ» المعنى إي والله. (الأزهرى: ١٥: ٦٥٧)

الجزهري: «إي» بالكسر كلمة تستقدم القسم،

معناها بلى، نقول: إي وربّي، وإي والله. (١: ٢٢٧٧)
مثله الرازي (٣٧)، والطبري (١: ٤٢).

الزمخشري: «إي» بمعنى نعم في القسم خاصة، كما

كان «هل» بمعنى «قد» في الاستفهام خاصة.
وسمعتهم يقولون في التصديق: إيتوا، فبصلوته
بواو القسم، ولا ينطقون به وحده. (٢: ٢٤١)

ابن عطية: هي لفظة تستقدم القسم، وهي بمعنى نعم،

ويجيء بعدها حرف القسم، وقد لا يجيء، نقول: إي
ربّي، إي وربّي. (أبو حيان: ٥: ١٦٩)

وإذا قيل: «إي والله» ثم أسقطت الواو، جاز سكون
الياء وفتحها وحذفها. وعلى الأول، فيلحق الساكنان على
غير حذفها. (١: ٧٦)

نحوه الشیوطی، (۲: ۲۶۲)
الفیروز ابادی: «إی» بالکسر، بمعنى نعم،
وتوصل باليمن. (۴: ۳۰۳)

الْأَلُوسِيّ: «إِي» حرف جوابٍ وتصديقٍ بمعنى نعم،
 قيل: ولا تستعمل كذلك إلا مع القسم خاصة، كما أن
 «حَلْ» بمعنى «قَدْ» في الاستفهام خاصة، ولذلك سُمِعَ من
 كلامهم وصلها بواو القسم إذا لم يذكر المقسم به،
 فيقولون: إِيَّوْ، ويوصلون به هاء السكت أيضاً، فيقولون:
 إِيَّوْه. وهذه اللفظة شائعة اليوم في لسان المصريين وأهل
 ذلك المَنَم.

التراخي: «إني» بكسر الهمزة وسكون الياء، كلمة
يُجِيبُاب عن كلام سبق، بمعنى نعم.

المُصْطَفَوِيَّ، هذه الكلمة حرف تدلُّ على معنى في
متعلِّقها من إحداث معنى الإيجاب في مدخلها، وليس
يبعد أن نقول: إن الواضح حين وضعها كان متوجِّهاً إلى
مادة: «أوي، أيَّ» فوجود المناسبة بين تلك المواد وهذه
الكلمة لفظاً ومعنى كما لا يخفى، فإنَّ الإيجاب هو تعيين
أحد طرفي القضية وقصده حينه. [يتصرّف] (١: ١٧٨)

النصوص التفسيرية

وَيَسْتَنْبِئُكَ أَهْلُ هَؤُلَاءِ فِي ذُرِّيَّتِهِ يَوْمَئِذٍ ۚ
 ابْنُ قُتَيْبَةَ: «إِي» بمعنى بلى، قال الله تعالى:
 ﴿وَيَسْتَنْبِئُكَ أَهْلُ هَؤُلَاءِ فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾ ولاتأني إلا قبل

اليمين ملة لها. (تأويل مشكل القرآن: ٥٦٢)

الزَّجَّاجُ: المعنى: نعم ودي. (الأزهرى: ٦٥: ٦٥٧)
مثله المَرْوِيُّ. (١: ١١٢)

الطُّوسِيَّةُ أَي نَم، وَحَقَّ اللَّهُ إِنَّهُ لَحَقَّ. (٥٠: ٤٥)
 الْبُرُوسِيَّةُ: «بُرِي» بِكسر الهمزة وَسكون الياء من
 حروف الإيجاب. بِمَعْنَى نَم، فِي الْقِسْمِ خَاصَّةً، كَمَا أَنَّ
 «مَلَّ» بِمَعْنَى «قَدَّ» فِي الْاسْتِثْنَاءِ خَاصَّةً، فَالْوَاوُ لِلْقِسْمِ
 وَالْمَعْنَى نَم بِحَقِّ رَبِّي. (٤: ٥٢)

رشيد رضا: «إي» بكسر الهمزة وسكون الياء
المنقبة حرف جواز وتصديق بمعنى نعم، وإنَّما يستعمل
مع القسم، أي نعم أقسم لكم ربِّي إنَّه لحقّ واقع. وقد
أُكِّدَ هنا بالقسم و«إي» مع الجملة الإسمية.

(1994:11)

أبو رزق: (إبي رزق): نعم وأقسم بربي، و«إبي»
الترجمة: وقد أتى للتصديق. (١: ٢-١٠)

الأصول اللغوية

١- «إني» أداة جواب تعيد الإنبيات كسائر أخواتها
من حروف الجواب، وهي: لَجَلْ وَلِذَنْ وَإِنْ وَبَلْ وَتَلْ
وَبَلَّلْ وَجَبْرَ وَنَشْ.

وتستعمل لتصديق الخبر مثل: جاء زيد، فيقال
بعده: إني والله، ولإعلام المستنهم مثل: هل جاء زيد؟
فيقال: إني وربي، ولوقد الأمر مثل: أخبرني بذلك، فيقال:
إني والله.

٢- وهي كأجل ونعم، إلا أن أجل تختص بالخبر
خالفاً، نحو أن يقال لك: قام زيد، فنقول: أجل. وأكثر

ف«إني» - كما مر - تختص بالقسم، ولم يتفق هذا السياق في القرآن إلا مرة في آية مكية، مع أن موارد «نعم» و«بلى» قد اتفقت كثيراً، لاحظ «نعم» و«بلى».

ونائباً لأن سياق الآية يؤكد على أن القرآن حق، ابتداءً من «وَيَسْتَشِيرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ» - حيث إن (يَسْتَشِيرُونَكَ) من النبأ، وهو الخبر اللهم نوالشان، كأنهم باستماع القرآن ولجوهوا نأ مهلاً، ثم إن جملة (أَحَقُّ هُوَ) بتقديم الخبر على المبتدأ مع حرف الاستفهام فيها اهتمام ببلع موضع السؤال وهو القرآن.

ومروداً بقوله: «قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ» حيث بدأ بكلمة (قُلْ) وهي في السياق القرآني تأتي للاهتمام بأمر. مثل: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» الإخلاص: ١، وأمثاله، وهي كثيرة ثم تلاه (إني وَرَبِّي) أداة الجواب مقرونة بالقسم به (رَبِّي) للتمسك بالذكي، أي إذا كان الله ربِّي وسيدي والمقول لاخرى خلقاً وخلقا وهداية وثرياً. فالقرآن حق صادر منه لا ريب فيه.

ثم تكرار لفظ السؤال في جملة اسمية مؤكدة به «إِنْ» و«الْأَم»: (إِنَّهُ لَحَقٌّ) وانتهاء بقوله: (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) المشر بأن القرآن معجزة للناس، وليس لهم أن يعجزوا الله في كلامه المعجز.

ونالاً: لو اعتبرنا بهذا السياق القرآني في «إني» ثم قيل: إن هذه الكلمة عند الرب لا تأتي إلا في التأكيد على وقوع أمر خارج عن طاقة البشر مما تتحير فيه العقول، ولا تكاد تقبله إلا بألوان من التأكيد، لما كان جيداً عن الصواب.

ما تشمل «نعم» بعد الاستفهام، كقولك: نعم، لمن سألك: هل قام زيد؟ أمّا «إني» فلا تأتي إلا قبل القسم، كقوله تعالى: «وَيَسْتَشِيرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ»، وعلى قول اللبث: «إنيها بين» فهي إلى القسم أقرب من كونها أداة جواب. وتختلف «بلى» عن الجميع بكونها تأتي بعد النفي فتقضى، كقوله: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى» الأعراف: ١٧٢.

٣- و«إني» أداة ضمنية، لأنها لا تأتي بالجواب وحدها كسائر أدوات الجواب، بل تختص إلى قسم يؤكد، وافترارها يدل على ضعفها. وهذا الضعف لا يقتصر على معناها فحسب، بل يلحظ في لفظها أيضاً، فهي تتكون من الهززة والياء، وكلاهما حرفان هوائيان، وكذا الهاء المبدل من هزتها في «هي»، وهي لفة أخرى في «إني».

الاستعمال القرآني

لم ترد «إني» في القرآن إلا مرة واحدة في آية وسورة مكيّتين: «وَيَسْتَشِيرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَفَالْتَمِمْ بِمُعْجِزِينَ» يونس: ٥٣.

يلاحظ أولاً: مجيها مرة واحدة فقط في آية مكية، مع أن «نعم» جاءت أربع مرات كلها مكية، و«بلى» جاءت (٢٢) مرة في الآيات المكية والمدنية، فهل في ذلك سرّاً أو هو محض اتفاق أو حكاية عن ندرة «إني» في الكلام في مكة فقط، وشيوع «نعم» فيها، وشيوع «بلى» في مكة والمدينة ممّا؟

ولربما تكن اللمة في أن موارد استعمالها مختلفة.



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

أي د

١٠ الفاظ، ١١ مرة، ٢ مكثبان، ٩ منفية.

في ٩ سور: ٢ مكثبان، ٧ منفية

الأيد: ١	أيدكم: ١-١	أيدك: ١-١	أيدك: ١-١	الأيد: ١
أيد: ١	أيدك: ١-١	أيدنا: ١-١	أيدنا: ١-١	أيد: ١
أيد: ١	أيدكم: ١-١	أيدناه: ٢-٢	أيدناه: ٢-٢	أيد: ١
أيد: ١				أيد: ١

(٩٥) الأيد: ١ والأيد: ١ لا تهن يفتنان كل عام

(١٤١) والأيد: ١ موضع مرتفع

(الصناني: ٢: ١٩٣) والأيد: ١ الهواء

(الأزهر: ١٤: ٢٢٨) والأيد: ١ إنا أئد وقوي

أد الرجل يئد أئد: أئد وقوي

(الجوهري: ٢: ٤٤٣)

النصوص اللغوية

الحليل، الأيد: القوة، وبلفه نعيم: الأيد: ومنه قيل: أد فلان فلاناً، إذا أعانه وقواه.

والتأيد: مصدر أئدته، أي غويته. وقوله تعالى: ﴿وَالشَّعَاءُ يَنْتَلِفًا بِأَيْدِيهِ﴾ الذاريات: ٤٧، أي بقوة.

وأياد كل شيء ما يقوى به من جانبيه وهما إيداء وإيداء الشكر: المينة والبصرة. وكل شيء كان واقفاً

لشيء فهو إيداء. [نم استشهد بشر] (٨: ٩٧)

أبورئد: يقال: دن يبلغ الجد التكد إلا الأيد، كل عام يئد والأيد: الجوارح من العاله وحى الأمة والفرس

الأصمعي: والتأيد: المنع من كل شيء.

(الكثير اللغوي: ١٦٥)

هو الأيد والأيد للقوة، والتأيد: مصدر أئدته، أي

قوته. (الأزهر: ١٤: ٢٢٨)

الأيد: التراب يجمل حول المعوض أو النجاء. [نم

استشهد بشر] (الأزهر: ١٤: ٢٢٩)

أبورئد: قسود يوزن مئد: الأمر العظيم. [نم

استشهد بشر] (الأزهر: ١٤: ٢٢٨)

ابن الأعرابي: الأيد: الجهل المنيع. ومنه قولهم:

أَيَّدَهُمُ اللَّهُ.

الإياد: اللِّعَاءُ والشر والكُفُّ، وكلُّ شيءٍ كُتِفَ
ومُتَرَكٌ فهو إِيَادٌ، وكلُّ ما يُخَرِّزُ به فهو إِيَادٌ. [ثم استشهد
بشعر] (الأزهري ١: ٢٢٩)

نعموه الصِّلاني.

ابن السَّكَيْت: الآد، والأَيْد، والرُّكْن، واللُّوث، كلُّهُ
من الشَّدة، وإِنَّهُ لَصُلْبٌ وحَلِيبٌ وأَصْلِيَاءٌ، وشَدِيدٌ
وأَشَدُّهُ، وقَوِيٌّ وأَقْوِيَاءٌ، ومِهمُّ المُؤَيَّدُ تَأْيِيدُهُ، وهو
الَّذِي لَا يَتَيْتَا بِتَمَلٍّ، وهو الشَّدِيدُ. (١٣٠)

الأَيْدُ والآد: للقُوَّة، وقال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ
بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ الذَّارِيَات: ٤٧، أي بِقُوَّةٍ. [ثم استشهد
بشعر] (إصلاح المصنوع: ١٤)

نعموه الهَرَوِي.

أبو الهَيْثَم: أَدَّ يَيْدٌ، إِذَا قَوِيَ. وَأَيْدٌ يَيْدُ إِيَادًا، إِذَا
صَارَ ذَا أَيْدٍ، وَقَدْ تَأْيَّدَ. وَقَدْ بَدَأَ أَيْدًا، لَقِيَ
قُوَّةً. (الأزهري ١: ٢٢٨)

ابن دُرَيْد: المُؤَيَّد: الذَّكِيَّة. [ثم استشهد بشعر]
وَأَيْدَتُ الشَّيْءَ تَأْيِيدًا، إِذَا قُوَّتَهُ وَأَسْتَدْتَهُ، والآدُ
وَالأَيْدُ: القُوَّة. (١: ١٧٤)

أَدَّ الرَّجُلُ يَيْدُ أَيْدًا، إِذَا اشْتَدَّ وَقَوِيَ. والقُوَّة: الآدُ
وَالأَيْدُ والآدُ. (٣: ٢٧٠)

القائِي: وَأَيْدٌ قَوِيٌّ، وَالْأَيْدُ والآدُ: القُوَّة، كَقَوْلِهِ
تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ الذَّارِيَات: ٤٧
(٢: ٢٥١)

الْبَجَوَهَرِيُّ: وَالْأَيْدُ والآدُ: القُوَّة. [ثم استشهد بشعر]
تَقُولُ مِنْهُ: أَيْدَتَهُ عَلَى «صَلَّتُهُ» فَهُوَ مُؤَيَّدٌ. وتَقُولُ مِنْ

الْأَيْدِ: أَيْدَتُهُ تَأْيِيدًا، أَي قُوَّةً، وَالتَّعَاوَلُ مُؤَيَّدٌ. وَتَصْغِيرُهُ
مُؤَيَّدٌ أَيْضًا، وَالمَفْعُولُ مُؤَيَّدٌ. (٢: ٤٤٣)

ابن فَارِس: الهِمزة والياء والذال أصلٌ واحدٌ، يَدُلُّ
عَلَى القُوَّةِ والحِفْظِ. يُقَالُ: أَيْدَهُ اللهُ، أَي قَوَّاهُ اللهُ، قَالَ اللهُ
تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ الذَّارِيَات: ٤٧. فِهَذَا
مَعْنَى القُوَّةِ. وَأَمَّا الحِفْظُ فَالْإِيَادُ: كُلُّ حَاجِزٍ الشَّيْءَ
يَحْفَظُهُ. [ثم استشهد بشعر] (١: ١٦٣)

ابن سِيْدَةَ: الأَيْدُ: القُوَّةُ الشَّدِيدَةُ، أَدَّ يَيْدُ أَيْدًا.
وَأَيْدٌ: اشْتَدَّ وَقَوِيَ، فَهُوَ أَيْدٌ وَأَيْدٌ.
وَأَيْدَهُ مُؤَيَّدَةٌ وَإِيَادُهُ، قَوَّاهُ، فَهُوَ مُؤَيَّدٌ وَمُؤَيَّدٌ.
وَالْمُؤَيَّدُ: الشَّدِيدُ الَّذِي لَا يَجْأُ بِعَمَلٍ.

وَالآدُ وَالْأَيْدُ: الصُّلْبُ والقُوَّة. (الإفصاح ١: ١١٩)
الرَّافِعِي: وَيُقَالُ: إِدَّتْهُ أَيْدُهُ أَيْدًا، نَعْمَ: يَشْتَدُّ أَهْبِيئُهُ
يَيْدًا، وَأَيْدَتُهُ عَلَى التَّكْثِيرِ. قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالسَّمَاءَ
بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ الذَّارِيَات: ٤٧، وَيُقَالُ لَهُ: آدَ، وَمِنْهُ قِيلَ
لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ: مُؤَيَّدٌ، وَإِيَادُ الشَّيْءِ: مَا يَقْبِهِ. (٣٠)
الرَّمْغَضَرِيُّ: وَجَلَّ أَيْدٌ وَذَوَا أَيْدٍ، وَرَفَعَ اللهُ السَّمَاءَ
بِأَيْدِهِ، وَكَانَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ أَيْدًا، [ثم استشهد بشعر]

وَقَدْ آدَ وَتَأْيَّدَ [ثم استشهد بشعر]
وَأَيْدُ الْحَاطِطِ بِإِيَادٍ، وَكَرَّ عَلَى إِيَادِي الْمَكْرِ، وَحَسَا
جَنَاحَاهُ. [ثم استشهد بشعر]
وَأَتَى بِتَنْقِيهِ^(١) مُؤَيَّدٌ.

وَمِنْ الْمَجَازِ: إِنَّهُ لَا يَيْدُ الْقَنَاءُ وَالْعَشَاءُ، إِذَا كَانَ حَاضِرًا

(١) التَنْقِيهِ: كَزَنْجِيلِ، الذَّكَاةِ، وَالْمَرْأَةُ التَّشْلِيطةُ، وَالْمَقْرَبُ.

وَمِنْ الْإِزِيلِ الَّتِي تَكْثُرُ حَتَّى يَكَادُ قَنَافُهَا بِمَسِّ كَتْلُهَا.

الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ (٢: ١٩٧).

كثيره وقد أدت ضياعه [ثم استشهد بشر]

(أساس البلاغة: ١٣)

الْعَبْرِيَّة: وَالْأَيْدُ: الْقُوَّةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَآؤِدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ ص: ١٧، يُقَالُ: إِذْنُهُ أَيْدٌ، أَيُّ قُوَّتِهِ. وَأَيْدُهُ أَوْيْدُهُ تَأْيِيدًا، بِمَعْنَى

والتأييد: التمكن من الفعل على أتم ما يصح فيه. وَالْأَيْدُ: الْقُوَّةُ. (٢: ٥٥٥)

ابن الأثير: في حديث حسان بن ثابت: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ» أَي يُقَوِّيكَ وَيَتَصَدَّرُكَ. وَالْأَيْدُ: الْقُوَّةُ. وَزَجَلُ أَيْدٍ بِالتَّشْدِيدِ، أَي قُوَّةٍ، وَمِنْهُ خُطْبَةٌ عَلَى رَضِي اللَّهِ عَنْهُ: «وَلَنُسَكِّهَا مِنْ أَنْ تَمُوتَ بِأَيْدِيهِ أَي قُوَّتِهِ.

(١: ٨٤)

ابن منظور: وَالْإِيَادُ مَا يُؤَيَّدُ بِهِ الشَّيْءُ. وَالْإِيَادَةُ مَا حَتَمَ مِنَ الرَّمْلِ. (٣: ٧٦)

أَبُو حَيَّانٍ، أَيْدٍ «فَعْلٌ» تَأْيِيدًا، وَالْأَيْدُ «فَعْلٌ» بِهَاءٍ، وَكَلَامُهُمَا مِنَ «الْأَيْدِ» وَهُوَ الْقُوَّةُ. وَقَدْ أَبْدَلُوا فِي «فَعْلٍ» مِنْ يَاءِهِ جِيمًا، قَالُوا: أَيْجِدُ، أَي قُوَّةً، كَمَا أَبْدَلُوا يَاءَ «يَدِهِ» قَالُوا: لَا أَفْعِلُ ذَلِكَ جَنْدِي الدَّهْرُ، يَرِيدُونَ بِالدَّهْرِ، وَهُوَ لِيَدَالٍ لَا يَهْرُدُ.

وَالْأَصْلُ فِي أَيْدٍ: أَيْدٍ، وَصَحَّحَتِ الْعَيْنُ كَمَا صَحَّحَتِ فِي «أَعْيَلْتُ» وَهُوَ تَصْحِيحٌ شَاذٌ إِلَّا فِي فِعْلِ التَّعَجُّبِ لِنَقُولَ: مَا بَيْنَ وَمَا طَوَّلَ. وَرَأَى أَبُو زَيْدٍ مَقِيضًا.

وَرَأَى أُجَلَّ عَلَى حَدِّ «الْثَنِّ وَأَحْدَثَ» فَأَلْقَيْتُ حَرَكَةَ الْعَيْنِ عَلَى الْفَاءِ وَحَذَفْتُ الْعَيْنَ، لَوْجِبَ أَنْ تَقْلِبَ الْفَاءَ وَارْتَحَرَ كَمَا وَاعْتَنَاقَ مَا قَبْلَهَا، كَمَا انْقَلَبَتْ فِي «أَوَّلِهِ» جَمْعُ أَدَمَ، عَلَى «أَفَاعِلٍ» ثُمَّ تَقْلِبَ الْوَاوُ أَلْفًا لَتَحَرَّكَ كَمَا

وَاعْتَنَاقَ مَا قَبْلَهَا، فَلَمَّا لُذِيَ الْقِيَاسُ إِلَى إِحْلَالِ الْفَاءِ وَالْعَيْنِ، دُخِلَ وَصَحَّحَتِ الْعَيْنَ. (١: ٢٩٧)

الْفَيْوَمِيُّ: أَدَ يَيْدُ أَيْدًا وَأَدَا: قُوَّةٌ وَاشْتَدَّ فَهُوَ أَيْدٌ، مِثْلُ سَيْدٍ وَهَيْنٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: «أَيْدُكَ اللَّهُ تَأْيِيدًا». (٣٢) الْفَيَرُوزُ أَبَادِيٌّ: أَدَ يَشِدُّ أَيْدًا: اشْتَدَّ وَقُوَّةً، وَالْأَدُ: الصَّلْبُ وَالْقُوَّةُ كَالْأَيْدِ وَأَيْدُهُ مُؤَيَّدَةٌ وَأَيْدُهُ تَأْيِيدًا فَهُوَ مُؤَيَّدٌ وَمُؤَيَّدٌ قُوَّتُهُ. وَكَتَابٌ: مَا أَيْدُ بِهِ مِنْ شَيْءٍ، وَالْمَقْبَلُ وَالشَّخْرُ وَالْكَنْفُ وَالْمَوَاءُ وَاللُّجَأُ وَالْجَبَلُ الْحَصِينُ، وَالْقُرَابُ يُحْتَمِلُ حَوْلَ الْحَوْضِ وَالْجِبَاءُ، وَمِنْ الرَّمْلِ مَا اشْتَرَفَ، وَمِيتَنَةُ الْعُسْكَرِ وَمِيتَرَتُهُ، وَحَيٌّ مِنْ مَسَدٍّ، وَكَثْرَةُ الْإِبِلِ.

وَالْمُؤَيَّدُ كَمُؤَيِّنٍ: الْأَمْرُ الْعَظِيمُ وَالذَّكِيَّةُ، جَمْعُهُ: مُؤَايِدَةٌ.

وَتَأْيِيدُ تَقْوَى، وَكَكَيْسٍ: الْقُوَّةُ.

وَأَيْدٍ: مَوْضِعُ قُرْبِ الْمَدِينَةِ. (١: ٢٨٥)

أَبُو زَيْدٍ: «الْأَيْدُ: الْقُوَّةُ، وَذَوُ الْأَيْدِ: صَاحِبُ الْقُوَّةِ، وَلَيْسَ جَمْعُ «يَدٍ» لِحَدَمٍ وَجُودِ الْيَاءِ، فَإِنَّ يَاءَ الْأَيْدِ أَصْلِيَّةٌ لَا تُحَذَفُ، وَهَذَا مُصَدَّرٌ، وَمِنْهُ الْمُؤَيَّدُ وَالتَّأْيِيدُ، يُقَالُ: زَجَلُ أَيْدٍ وَذَوَائِيهِ وَقُوَّةٍ، وَكَانَ فُلَانٌ أَيْدًا، أَي ذَابِرَةً. (١: ١٠٠)

مَحْمُودٌ وَصِفَتْ: ١- أَدَ أَيْدًا وَأَدَا: قُوَّةٌ وَاشْتَدَّ، فَهُوَ أَيْدٌ وَذَوُ الْأَيْدِ. وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿وَالسَّاءِ تَنْتِنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ النَّارِيَّةُ: ٤٧، وَفِي الْمَثَلِ: «الْكَيْدُ أَبْلَغُ مِنَ الْأَيْدِ».

ب- أَيْدٍ لِيَاذَكَ أَدَ وَأَيْدٍ خَلَاثًا: قُوَّةً.

ج- أَيْدَهُ مُؤَايِدَةً وَإِيَادَةً: قُوَّةً.

د- أَيْدَهُ: قُوَّةً بِالْإِيَادِ.

ه- تَأْيِيدُ: تَقْوَى.

و- الإياد: ما يؤيد به الشيء، والإياد: السُر.
والإياد: الكثرة، والإياد: المتقيل، والإياد: مينة الجيش
وميسرته، يقال: كثر على إيادي العسكر، والإياد: كثرة
الناس.

ز- الأياد: القوي الشديد.

ح- المؤيد: الأمر العظيم، والمؤيد: النكاحية
الشديدة.

٢- التأيد المادي والمعنوي للجيش، جيش مؤيد
من الشعب. (٦١: ١)

المُضطَفوي: وانقار من موارد استعمال هذه
المادة، أن الأصل الواحد فيها هو القوة مع الحفظ عن
لوائع، أي الحول والقوة.



النصوص التفسيرية الأياد

إِصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا
الْأَيْدِ ص: ١٧

النبي ﷺ: «أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان
يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة
داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام
سُدسه». (ابن الجوزي ٧: ١١٠)

ابن عباس: (ذا الأيد): أي ذا القوة على العبادة.
مثله مجاهد. (الطبرسي ٤: ٤٦٩)

ومثله ابن زيد، والشدي (الطبرسي ٢٣: ١٣٦)،
ونحوه الفراء (٢: ١-٤)، وأبو عبيدة (٢: ١٧٩)، وابن
السكيت (إصلاح المصطفى: ٩٤)، وابن الجوزي (٧: ٧)

(١١٠)، والبيضاوي (٢: ٣٠٦)، وأبو السمر (٤: ٤)،
(٢٨٥)، والكرسي (٢٣: ١٧٢)، وفريد وبدي (٥٩٩)،
وشبر (٥: ٢٧٨)، والمراغي (٢٣: ١٠٤).

الإمام الباقر عليه السلام: اليد في كلام العرب: القوة
والنسة، ثم تلا الآية. (شبر ٥: ٢٧٨)

قنادة: أعطي قوة في العبادة، وفقها في
الإسلام. (الطبرسي ٢٣: ١٣٦)

الطوسي: وزن أيديك «فعلتك» من الأيد، حل
وزن «قرنتك»، وقال الزجاج: يجوز أن يكون
«فاعلتك» من الأيد.

وقرأ مجاهد (الأيديك) حل وزن «فعلتك» من
الأيد. (٤: ٥٨)

المتبدي: (ذا الأيد): ذا القوة في العبادة، كان
يصوم يوماً ويفطر يوماً، وذلك أشد الصوم، وكان يقوم
الليل كله.

وقيل: ذا القوة في الملك، وقيل: في الحرب.
(٨: ٣٢٦)

نحوه القرطبي. (١٥: ١٥٨)

الزمتخري: ذا القوة في الدين، المصطلح بمشاقه
وتكاليفه، كان على نحوه بأعباء النبوة والملك، يصوم
يوماً ويفطر يوماً وهو أشد الصوم، ويقوم نصف الليل.

يقال: فلان أيّد وذو أيّد وذو آيد، وأياد كُليل شيء،
ما يضوي به. (٣: ٣٦٢)

نحوه التنسي. (٤: ٣)

الطبرسي: قيل: ذا القوة على الأعداء وقهرهم،
وذلك لأنه رمى بحجر من مقلعه صدر وجل فأخذته من

ظهره فأصاب آخر ففتله.

وقيل: معناه ذا التحكين العظيم والنعم المظيمة، وذلك أنه كان ميت كل ليلة حول عرابه ألوف كثيرة من الرجال. (٤: ٤٦٩)

الفخر الرازي: أي ذا القوة على أداء الطاعة والاحترام من المعاصي، وذلك لأنه تعالى لما مدحه بالقوة وجب أن تكون تلك القوة موجبة للمدح. والقوة التي توجب المدح العظيم ليست إلا القوة على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

(الأيدي) المذكور هاهنا كالقوة المذكورة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا كِتَابَ قُوَّتِكُمْ﴾ مريم: ٦٢، وقوله تعالى: ﴿وَوَكَّلْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاجِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْجِبَةً وَتَجْبِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّتِكَ﴾ الأحرف: ١٤٥، أي باجتهادك في أداء الأمانة، وتشدد في القيام بالذمومة، وترك إظهار البرهن والضعف. والأيدي والقوة سواء، ومنه قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُنْفِرُونَ الْأَنْفَالِ﴾ ٦٢، وقوله تعالى: ﴿وَأَيُّذْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ البقرة: ٨٧، وقال: ﴿وَالسَّامِعَاتُ يَنْتَبِهْنَ بِأَيْدِي﴾ الفارسيات: ٤٧. (٢: ١٨٥) ولا شك أن المراد منه القوة في الدين، لأن القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار، ولا معنى للقوة في الدين إلا القوة الكاملة على أداء الواجبات، والاجتناب من المحظورات، وأي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل، والرغبة في زوجة المسلم. (٢٦: ١٩٠)

ابن عربي: أي القوة، والتحكين والاضطلاع في الدين، كيف زلّ عن مقام استقامته في الثلوثين، فلا يكن حاله في ظهور النفس حاله. (٣: ٣٤٩)

النيسابوري: أي ذا القوة في الحروب وحمل الطاعات ومن المعاصي، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أشد الصوم، ويقوم نصف الليل.

ويحتمل أن يكون «الأيدي» محذوفاً كضياء الكسر، فيكون جمع «اليد» بمعنى القوة، لأن الله تعالى أنعم عليه ما لم ينم على غيره. (٢٣: ٨١)

أبو حيان: أي ذا القوة في الدين والشرع والصدق بأمر الله والطاعة له، وكان مع ذلك قوياً في بدنه. (٧: ٣٩٠)

ابن كثير: يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام أنه كان ذا أيدي. والأيدي: القوة في كل عمل والسبل. (٦: ٥٠)

ابن كثير: وأعلم أنه تعالى ذكر أولاً قوة داود في أمر الدين، ثم زكته بحسب القضاء الأزلي، ثم توبته بحسب القضاء الحاضر. وأمره بذلك بتذكر حاله وقوته في باب الطاعة ليحتوي على الضمير، ولا يزل عن مقام استقامته وتكينه، كما زلّ قدم داود. فظهرت المناسبة بين المثنين، واتضح وجهه صطف (واذكر) على (إصبر). (٨: ١١)

القاسمي: أي القوة، أي الاجتهاد في أداء الأمانة، والتشدد في القيام بالذمومة، وبصانة إظهار الضعف واللين. (١٤: ٥٠٨٤)

سيد قطب: يذكر ملود هنا بأنه ذو القوة، وبأنه أواب، وقد جاء من قبل ذكر قوم نوح وعاد وفرعون ذي الأوتاد، وعمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة، وهم طاعة طاعة، وكان تظهر قوتهم هو الطغيان والتمني

والتكذيب. فأما داود فقد كان ذا قوة، ولكنه كان أوبًا يرجع إلى ربه طائئًا تائبًا عابدًا ذا كرام، وهو القوي ذو الأيد والسفطان. (٣٠: ١٧)

الطَّبَّاءُ طِبَّائِيٌّ: (الأيد): القوة، وكان مَلَكًا ذا قوة في تسبيحه تعالى، يسبح ويسبح معه الجبال والطيور، وذا قوة في ملكه، وذا قوة في علمه، وذا قوة وبطش في المروب، وقد قتل جالوت المَلِك كما فعله الله في سورة البقرة. (١٧: ١٨٩)

عبد الكريم الخطيب: (الأيد): القوة، وهي مأخوذة من «اليد» التي تستقل فيها قوة الإنسان الجسدية، ثم إنها ليست يدًا واحدة، بل أيديًا كثيرة، وإذن فهي قوة خارقة.

والقوة هنا ليست قوة جسدية وحسب، بل هي قوة روحية ونفسية أيضًا، تستل على طاقاته عظيمة، من الصبر على المكابدة، والشجاعة، والتدائد. (١٢: ١٠٦٠)

عبد الصنعم الجمال: وتذكر أو اذكر لعمرك قصة داود ذي القوة في العبادة وكثرة التوبة والإجابة، وقد سخرنا له الجبال والطيور تسبح بتسبيحه، وتُسَرِّدُ معه عبادته لهلاً ونهازاً، وقد أبدنا ملكه ومجنته واحفظناه للرسالة، ووقفناه للفصل في الخصومات، وإقامة العدل وتحري الحق، حتى شاع كل ذلك في الناس.

(٤: ٢٦٤٠)

الحجازي: صاحب القوة والجلد. (٢٣: ٤٧)

سكارم الشيرازي: جاء (الأيد) بمعنى القدرة،

وبمعنى النعمة أيضًا، (وذا الأيد) هو داود مَلَكًا بكل

المعنيين؛ إذ كان يتمتع بقوة جسدية عظيمة، فقد أردى في ساعة الوغى جالوت الجبار المستبد فتبلاً بحجر رماء بالحقلاع، فهوى يتعبط في دمانه، قيل: إن للمجر اختراق صدره وخرج من قناه.

وكان يتمتع بمسكة سياسية أيضًا، إذ كان يدير حكومة قوية صمدت أمام الأعداء بكل حزم ونيات، حتى قيل: إن آلافاً من اليهود كانوا يقفون على أخصبة الاستعداد حول محرابه، من الليل إلى الصباح.

وكان يتصف بقدرة معنوية وسجايا أخلاقية، ويتمتع بطلاقة عالية للعبادة، فكان يحسي معظم ليله بالعبادة ويقضي نهاره -لنصف أيام السنة- بالصوم.

وأما من حيث النعمة فقد وهبه الله أنواراً من النعم الظاهرة والباطنية، فكان مَلَكًا رجلاً قديرًا في الحرب والعبادة، وفي العلم والمعرفة والإدارة، وذا نعمة وفيرة عظيمة، من الصبر على المكابدة، والشجاعة، والتدائد. (١٩: ٢٢٧)

المصطفى: ذا قوة روحانية شديدة. وليلعلم أن القوة الروحانية من أعظم القوى، وبها ينال الإنسان أي مقصد يريد، كيف وهي من الله القادر المتعال. (١: ١٧٩)

أيد

وَالسَّمَاءُ بَيْنَتَاهَا بِأَيْدٍ الذَّارِيَات: ٤٧

ابن هُبَّاس: أي بقوة.

مثله مجاهد وقادة، وابن زيد. (الطبري ٢٧: ٧)

ومثله القراء (٢: ٨٩)، والزجاج (٥: ٥٧)، والقسي

(٢: ٣٣٠)، والفسوسي (٩: ٣٩٤)، والمسيحي (٩: ٣٣٠)

الهيئة وصلابتها المضادة للضعف، والله تعالى مثزه عن ذلك، وللقُدرة هي الصفة التي بها يتمكن الهي من الفعل وتركه بالإرادة. (١٧٦: ٩)

القراخي: أي ولقد بنينا السماء بسبع قدرتنا، وعظيم سلطتنا، وإنا نقادرون على ذلك لا يمننا نصب ولا ثنوب (٩: ٢٧)

سيد قطب: والأيد: القوة. والقوة أوضح ما ينشئ عنه بناء السماء لخالقها المتناسق. (٣٣٨: ٥٦)

الطباطبائي: رجوع إلى التباين السابق في قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الح الذاريات: ٢٠]

والأيد: القدرة والنعمة، وعلى كل من المؤمنين يستعين لقوله: ﴿وَأَنَا مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٤٧]، ما يناسبه من

الهي

فالمعنى على الأول: والسماء ببنائها بقدرة لا يوصف قدرها حولا لتوسيع في القدرة لا يجرها شيء.

وعلى الثاني: والسماء ببنائها مقارنا ببنائها للنعمة لا تنفرد بقدرة وإنا لذو وسع وجنى، لا تنفد خزائنا بالإعطاء والرزق، فزق من السماء من نساء فنوسم الرزق كيف نشاء. (٣٨١: ١٨)

عبد المنيح الجمال: بعد أن أقام الله تعالى الأدلة الطبيعية والشواهد التاريخية على إمكان البعث، وأنه كان لا مفر منه، أرشد سبحانه وتعالى إلى عظيم قدرته، وحث الإنسان على النظر في كتاب الكون، ليستدي إلى وحدانية الله. فقال تعالى: إنه خلق السماء بإحكام وقوة، وجعل منها بناء متاسكا لا يعتوره خلل أو تصدع، وزنتها بزنة الكواكب التي تسير مع غيرها من

٣٠٦، وابن الجوزي (٨: ٤٠)، والبيضاوي (٢: ٤٢٣)، والنسي (٤: ١٨٧). ونحوه النيسابوري (٢٧: ١٢)، والشيوطي (٢: ٤٤)، وأبو السعود (٥: ١٠٣)، والكاشاني (٥: ٧٣)، وحيد الكريم الخطيب (١٤: ٥٢٩)، والمجيزي (٢٧: ١٢)، ومكادم الشيرازي (٢٢: ٣٧٢).

الإمام الباقر عليه السلام: أي بقوة. (التروسي: ٥: ١٢٩) الزمخشري: بقوة، والأيد: القوة. وقد أذ ييد، وهو أيد. (٤: ٢٠)

الطبرسي: أي خلقناها ورفعتها على حسن نظامها. (٥: ١٦٠)

الفخر الرازي: أي قوة، والأيد: القوة. هذا هو المشهور، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَأَنَا الْيَدِ إِلَهُ الْأَرْوَاحِ﴾

ص: ١٧، ويحتمل أن يقال: إن المراد جمع اليد، ودليله أنه قال تعالى: ﴿وَأَنَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ ص: ٧٥، وكان

تعالى: ﴿وَمَا قَبْلَتْ أَيْدِيَنَا أَنْفَعًا﴾ نس: ٧١، وهو راجع في الحقيقة إلى المعنى الأول. وعلى هذا فحيث قال: ﴿خَلَقْتُ﴾ قال: ﴿يَدَيَّ﴾، وحيث قال: ﴿بَنَيْتُ﴾ قال: ﴿بِأَيْدِيَّ﴾، لمخالفة الجمع بالجمع. (٢٢٦: ٢٨)

الشربيني: أي بقوة وشدة عظيمة لا يقدر قدرها. (٤: ١٠٥)

البروسوي: أي بقوة، فهو حال من الصاعل، أو ملبسة بقوة، فيكون حالاً من المفعول. ويجوز أن تكون «الباء» للتبعية، أي بسبب قدرتنا، فخلق ببنائنا، لا بالهدوف.

والقوة هنا بمعنى القدرة، فإن القوة عبارة عن شدة

الشموس والأقمار في مجموعات عظيمة، تلك طريقها في مدار بمرتها بسرعة مذهلة. والله سبحانه وتعالى قادر على أن يوسع في طريقها، وقادر على خلقها وخلق غيرها. (٢٩٥٢: ٤)

أَيَّدَ

وَأَيَّدَهُ يَجْنُودُ لَمْ تَزُودْهَا التوبة: ٤٠
ابن عباس: قواء ملائكة يدعون الله تعالى له. (الطبرسي: ٣: ٣٢)

مُجَاهِد: أعانه بالملائكة يوم بدر.

مثله الكلبي.
الطبرسي: وقواء مجنود من عنده من الملائكة لم تزودها أنتم.
مثله أبو الفتح. (الطبرسي: ٢: ٥٩٣)

الطبرسي: يعني النبي ﷺ، فلا يملك أن يستعمل ذلك كناية عن خيره، وقايد الله إياه بالمجنود ما كان من تقوية الملائكة لقلبه بالشارة بالنصر من ربه، ومن إلقاء اليأس في قلوب المشركين حتى انصرفوا خائبين. (٢٥٨: ٥)

الطبرسي: أي قواء ونصره. (٣٢: ٣)
مثله شير. (٧٦: ٣)

أبو حنبلان: وقرأ مجاهد (وَأَيَّدَهُ)، والجمهور (وَأَيَّدَهُ) بتشديد الياء. (٤٤: ٥)

البروسوي: أي قوى النبي ﷺ.
المصطفوي: أيدهم الله تعالى بالملائكة أو بقوى روحانية توجب الطمأنينة والثبات، وتدرك حقيقة:

لا حول ولا قوة إلا بالله المولى العظيم. (١٧٨: ١)
وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ المائدة: ٢٢، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ الأنفال: ٦٢، وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ الأنفال: ٢٦، وقوله تعالى: ﴿فَقَايَدْنَا الْبَنِينَ أَمْوَالَهُ الصَّف: ١٤.

أَيَّدْتُكَ

إِذَا أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ المائدة: ١١٠
الفراء: قوتك، كما تقول: قوتك. وقرأ مجاهد (أَيَّدْتُكَ) على «أَقَمْتُكَ». وقال الجسائي: «فَاعَلَّتْكَ» وهي تجوز، وهي مثل حاولتك. (٣٢٥: ١)

نحو الزمخشري. (٥٣: ١)
أبو حنبلان: أي قوتك. يقال: رجلٌ أيَّد، أي (١٨١: ١)

ابن قتيبة: قوتك وأعطتك. (١٤٨)
نحو المبيدي. (٢٥٩: ٣)، والبخوي (٨٩: ٢)،
والنابوندي (٤٢٤: ١)، والقرطبي (٣٦٢: ٦).

الطبرسي: يقول: يا هبني لأذكر أيادي عندك وعند والدتك، إذ قوتك بروح القدس، وأعطتك به.
وقد اختلف أهل العربية في (أَيَّدْتُكَ) ما هو من الفعل؟

فقال بعضهم: هو «قوتك»، كما في قولك: قوتك - قوتك - من القوة.

وقال آخرون: بل هو «فَاعَلَّتْكَ» من الأيَّد وروى مجاهد أنه قرأ (إِذَا أَيَّدْتُكَ) يعني «فَاعَلَّتْكَ»

ولمّا قول ابن خطبة: **بَنَ** في القراءتين يظهر أن وزنه **«أَفْعَلْتَكْ»** ثم اختلف الإعرال، فلا لهم ما أراد. وتقدم تفسير ظير هذه الجملة في قوله: **«وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»** البقرة: ٨٧. (٤: ٥٦)

الأنطوسى: ظرف للـ (يُضَمُّ) أي اذكر أناسي عليكما وقت تأييدي لكما أو حال منها، أي اذكرها كائنة وقت ذلك

وقيل: بدل اشغال منها، وهو في المعنى تفسير لها. وجوز أبو البقاء أن يكون مفعولاً به على السعة.

وقرى (أَيَّدْتَكْ) بالمقد، ووزنه عند الزمخشري **«أَفْعَلْتَكْ»** وعند ابن خطبة **«فَاعْلَتَكْ»**. قال أبو حيان: **«يُضَمُّ»** إلى نقل مضارعه من كلام العرب، فإن كان **«يُؤَيَّدُ»** فهو **«فَاعْلَ»**، وإن كان **«يُؤَيَّدُ»** فهو **«أَفْعَلُ»**. ومعناه: ومعنى **«أَيَّدُ»** واحد.

كما قيل: متضاربان، لأن التصحر قوة. (٧: ٥٦) **الطُّبَّاطِبَانِي**، الظاهر أن التأييد بروح القدس هو السبب للمهين له لتكليم الناس في المهد، ولذلك وصل قوله: **«تُكَلِّمُ النَّاسَ»** من غير أن يفصله بالطف إلى الجملة السابقة، إيماراً بأن التأييد والتكليم معاً أمر واحد مؤلف من سبب ومسبب، واكتفى في موارد من كلامه بذكر أحد الأمرين عن الآخر، كقوله في آيات آل عمران المنقولة آنفاً: **«وَتُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْفَتْحِ وَكَفْلًا»** آل عمران: ٤٦، وقوله: **«وَأَتَيْنَا جِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ النَّبِيَّاتِ وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»** البقرة: ٢٥٣.

من القوة والأيد.

الزجاج: أي أيدتك بجبريل. جائز أن يكون قوله به (١) إذ حاولت بنو إسرائيل قتله، وجائز أن يكون أيد به في كل أحواله، لأن في الكلام دليلاً على ذلك. (٢: ٢١٨)

الطُّوسِي: وتأيد الله هو ما قوله به وأمانته على أمور دينه، وعلى رفع ظلم اليهود والكافرين عنه.

نحوه أبو الفتح. (١: ٥٨) (٢: ٢٤٣)

البيضاوي: قرئتك، وهو ظرف للـ (يُضَمُّ) أو حال منه. وقرى (أَيَّدْتَكْ). (١: ٢٩٨)

نحوه اللبني (١: ٢٠٨)، والسيبوري (٧: ٥٢)، والشريبي (١: ٤٠٤)، والكاشاني (٢: ١٩٧)، ورضا (٧: ٢٤٤).

أبو حيان: قرأ الجمهور بتصديد الياء، وقرأ بعضهم وابن محييين (أَيَّدْتَكْ) على **«أَفْعَلْتَكْ»**. وقال ابن خطبة على وزن **«فَاعْلَتَكْ»**. ثم قال: ويظهر أن الأصل في القراءتين (أَيَّدْتَكْ) على وزن **«أَفْعَلْتَكْ»**، ثم اختلف الإعرال، والمعنى فيها (أَيَّدْتَكْ) من الأيد. ثم استشهد بشعر انتهى.

والذي يظهر أن (أَيَّدَ) في قراءة الجمهور ليس وزنه **«أَفْعَلُ»** لجهة المضارع على **«يُؤَيَّدُ»** فالوزن **«فَعْلُ»**. ولو كان **«أَفْعَلُ»** لكان المضارع **«يُؤَيَّدُ»** كمضارع آمن يؤمن. ولمّا من قرأ (أَيَّدَ) فيحتاج إلى نقل مضارعه من كلام العرب، فإن كان **«يُؤَيَّدُ»** فهو **«فَاعْلَ»**، وإن كان **«يُؤَيَّدُ»** فهو **«أَفْعَلُ»**.

هل أنه لو كان المراد بتأنيده (بُروح النفس) مائة
الوحي بواسطة الروح لم يحتج بجس بن مريم عليه السلام،
وشاركة فيها سائر الرسل، مع أن الآية تأتي ذلك
إسقاطها. (٦: ٢٢٠)

العجائبي: اذكر يا عيسى بن مريم رحم الله عليك: إذ أيدك الروح القدس جبريل. علمك وتبكت وتفتك المحبة بأمر الله وإذتم، أو أيدك بروح ظاهرة قوية.

(47)

المُضْطَفَوِي: هو التوجه المخصوص ونفخ روح
قدسي منه، يتنوّى به الإنسان وتنور النفس وتطمئن
وتستقيم فيها أمر.

اَللّٰهُمَّ

وَأَيُّدُنَا بِرُوحِ الْقُدُسِ

ابن عباس: قتيبة (الدرر المنيرة: ٦٦٠)

مثله التَّهْرِي وَالْحَاوِي (١: ٦٨)، ونحوه التَّهْرِي (١: ١):

١٢٧، والشَّريفي (١: ٧٥)، والبرُّوسوي (١: ١٧٧).

الضُّحَا لِهْ نَصْرَتَا۔ (الطُّبْرَى ١: ٤٠٣)

الطُّبْرِيُّ: قَوْيْنَاهُ غَاثًا

تجدد الفلسف (١: ٣٤)

الزُّجَّاجِيَّةُ: بمعنى «أَيْدُنَا» في اللغة: قوتنا، ومقدورنا. (تم)

استفاد بشعر

الأدب والأغنية الشعبية. (١٦٨:١)

الزَّمَنُ خَيْرٌ: وَفِي (وَأَيَّدَاهُ) وَهَذَا رَأْسُهُ

بالجبر، إذا لم يتم يقال: الحمد لله الذي آخذه بعد ضعف

وَأَوْجِدُكَ بِعَدْفَتِي . (٢٩٤:٥)

الطَّبْرَسِيّ: روي في الشَّوَاهِدِ عن أبي عمرو (وَأَيُّدُنَا) على زنة «أَفْعُلَانَا»، والقراءة (أَيُّدُنَا) بالتشديد. (وَأَيُّدُنَا) إِنَّمَا كَانَتِ الْقِرَاءَةُ الْمَشْهُورَةُ فِيهِ «فَعْلَانَا» لِمَا يَمْرُضُ مِنْ تَصْحِيحِ الثَّمِينِ عَمَاقَةَ تَوَالِي إِعْلَالَيْنِ فِي (أَيُّدُنَا) عَلَى «أَفْعُلَانَا». وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ لَوْ أُعْلِلَتْ عِنْدَهُمَا يَجِبُ إِعْلَالُ عَيْنِ «أَفْعُلْتِ» مِنَ الْأَجُوفِ كَأَقْلَبْتُ وَأَبْتَتِ، فَتَابِعَ فِيهِ إِعْلَالَانِ. لِأَنَّ أَوَّلَ آيَدَتِ: أَلْيَدَتِ، كَمَا أَنَّ أَوَّلَ آمَنَ: أَلْمَنَ، فَانْتَهَلَتِ الْهَمْزَةُ الثَّانِيَةَ أَلْفَا لاجتماع هَمْزَتَيْنِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالْأَوَّلَى مِنْهَا مَفْتُوحَةٌ، وَالثَّانِيَةُ سَاكِنَةٌ.

وكان يجب أيضاً أن تُلغى حركة المين غسل النفا،

وَمُخَالَفَ الْعَيْنِ، كَمَا أَقْبَيْتُ حَرَكَةَ الْوَاوِ مِنْ «أَلْوَمْتُ» عَلَى

الغاف قبلها، فصار لقت. كان يحب مل هذا أن تغلب

الآن هنا وأولاً لأنها قد تحركت وانفتحت ماضياً، ولا بد

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ تَحْتَ الْوَلَدِ الْأَوَّلِ قَلْبًا كَمَا عَلَّمْتَ لَكَ نَكْمَهُ

آدم و احوال، کلام، عرف و سیرت، انوار اللغات، تاریخ

الحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[illegible]

المعروف باسم "الخطوة الأولى".

١٢١٢

١٠٠

١٠٠

١٠٠

وكان في هوى الصدور يدوم

والغور القوم وأهيت السماء، ولو اعلت لم يحف به

نوابي إعلانيه كان خروج «البت» على الصلحه لتد

يجمع إعلالان أولى وأخرى.

(وَأَيْدِيَهُمْ) قُوَّتُهُم من الأيد والأي، وهما القوة، ومثلها في البناء على «فعل، وفعل، الذئيم والذام، والتئيب والماب. قال المصباح:

«من أن تبدلت يادي آدا»

أي بقوة شبابي قوة الشيب.

نحوه أبو حيان.

ابن الجوزي: قُوَّتُهُم، والأيد: القوة.

نحوه النيسابوري.

القنبر الرازي: بمعنى قُوَّتُهُم، والمراد من هذه

التقوية الإعانة.

وهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَهُمْ يَزُجُّ﴾

الْقُدْسِيُّ: البقرة: ٢٥٣.

يُؤَيِّدُ

وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ

ابن عباس: [سأله نافع بن الأزرق عن قوله:

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال:

يقوّي بنصره من يشاء، قال: وهل تعرف العرب

ذلك؟ قال: نعم. [ثم استشهد بشعر]

(الدُرُّ الْمُتَوَرِّدُ: ١٠: ٢)

نحوه ابن الجوزي (١: ٣٥٨)، والخنازير (١: ٢٧٤)،

والبروسوي (٢: ٨)، والقاسمي (٤: ٨٠٣).

أبو عبيدة: (يؤيد): يقوّي، من الأيد، وإن شئت

من الأيد.

الطبري: يقوّي بنصره من يشاء من قول القائل:

قد أيدت فلاناً بكذا، إذا قوّيته وأعجته، فلاناً أُوْيِدَ تأييداً.

و«كَلَّتْ» منه: إِدَّتْ، فلاناً أُوْيِدَ أَيْدًا. ومنه قول الله عزّ

وجلّ: ﴿وَلَا تُكْزِرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ ص: ١٧، يعني

ذو القوة.

نحوه الطوسي (٢: ٤٦٠)، والطبرسي (١: ٤١٤).

الصراغي: أي والله يقوّي بمعونه من يشاء، كما أيد

أهل بدر بكثيرهم في حين العدو.

بنت الشاطئ: الكلمة من آية آل عمران: ١٣،

وحيدة الصيغة، فعل مضارع، في القرآن الكريم.

ومعها الفعل الماضي ثلثي مرّات، و(الأيد) في آيتي:

﴿وَلَا تُكْزِرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِسَاءَ أَوْلَيْهِ﴾ ص: ١٧،

﴿وَالنِّسَاءُ يَشْتَاتِهْنَ يَأْتِيهِمْ لِزَانَاً مُسَوِّمُونَ﴾ الذّارمات:

٤٧

والملحوظ الاستفراق لبقائها، هو أنّ كلّ «تأييد» في

القرآن من قول تعالى: يقرّد ذلك في آياته التسع التي جاء

الفعل فيها مستنداً إليه سبحانه، مثبتاً خير مني.

وتفسير التأيد بالتقوية قريب، هل ألا يفوتنا هذا

للمحظ من الدلالة الإسلامية في اختصاص التأيد في

القرآن، بكونه من الله تعالى وحده، فليس إلا لحزبه

المؤمنين المتكئين المجاهدين.

وكذلك (الأيد) في آيتيه، لله سبحانه ولعبده داود،

فضلاً من الله ومنه.

أما القوة فقد تأتي بمعنى البأس والجبروت، كالذي

في آيات:

في الملأ من سبأ ﴿قَالُوا لَنَحْنُ أَوْلَىٰ قُوَّةً وَأَكْبَرُ بَأْسٍ

فَهَيْدٍ﴾ التمل: ٣٣، ﴿وَكَايِنَ مِنْ قُوَّةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً

مِنْ قُوَّتِكَ أَنِّي أَخْرَجْتُكَ أَهْلَكَاهُمْ فَلَا تَصِيرَ لَهُمْ»
 مستد: ١٣ ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ
 يُغْفِرَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾
 فاطر: ٤٤.

سها آيات: القصص: ٧٨، الزوم: ٩، المؤمن: ٢١،
 ٨٢، ولعللت: ١٥.

وقد يوصف المخلوق بالقوة، كالذي في آيتي
 القصص: ٧٨، والزوم: ٥٤، كما قد تكون القوة من العباد،
 كالذي في آيتي: هود: ٨٠، والكهف: ٩٥.

وليس كذلك التأيد في الكتاب المحكم مستد إلى الله
 سبحانه، ومصلحاً بالقوة من عباده، لا بظواهر الكفر
 وبأس الجبارة. (الإيجاز البياني: ٣٠٣)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة هو القوة، يقال منه: آد
 فلان: اشتد وقوى، وأيدت الشيء: قوته. ومنه المؤيد
 وهو الأمر العظيم أو الذكوية، والإياد وهو كل ما يقوى به
 ويلجأ إليه كالقرباب يقوى به الخوض أو الجلاء، والجبل
 والحصن.

وإياد المسكر: ميخته وميسرته. وقيل: الأيد ليس
 مطلق القوة، بل مع المنظ والمجز عن المانع، فهو القوة
 الملاحظة الساترة المجازة التي يمكن أن تكون كظاً، ولهذا
 قيل لميضة المسكر وميسرته: إياده، وهما إياداه، ونرى
 أن القيد مأخوذ من السياق، ولا دخل له في أصل المعنى.

٢- وبين مادتَي «أ ي د» و«ي د ي» تقارب في

المعنى، يقال من الأول: أيد الله، أي قواه الله. ومن الثاني:
 مالي به يد، أي مالي به قوة، ومالي به يدان، ومالهم بذلك
 أي أي قوة، ولهم أيدي وأبصار، وهم أولو الأيدي
 والأبصار.

٣- ولعل «أ ي د» مقلوب «ي د ي» بتقديم الياء
 على الدال، فيكون «ي ي د»، فحينما اجتمعت ياءان
 قلبت إحداهما - وهي الأولى - همزة، فصار «أ ي د».

وورد هذا الضرب من الانقلاب في بعض اللغات
 التامية كالعبرية والسريانية. ففي العبرية يقال لليد:
 ياد وييد، وفي السريانية: يد، وييد، وإيد، وما يؤيد.
 هذا الرأي أيضاً هو أن «اليد» تعني في اللغة القوة، كالأيدي
 عليها تقدم.

٤- ولو تقصينا الأفعال: آد، وأد، وأود، وأيد، وييد،
 ويدي، لوجدناها تقول إلى معنى القوة، سواء كانت
 ماضية أو مضبوطة، متصلة بها الجازات والكتابات من
 قريب أو بعيد.

٥- وقد جاء آد يؤود أوداً - الراوي - بمعنى الثقل،
 وليس هو بعيداً عن معنى القوة. وأما الذي بمعنى القوة
 فهو آد ييد، وهذا لازم، والأول مستد، قال تعالى:
 ﴿وَلَا يَسُودُهُ جُلُودُهُمْ﴾ البقرة: ٢٥٥، لاحظ «أ و د».

الاستعمال القرآني

١- لم يأت من هذه المادة في القرآن سوى «الأيد»
 مرتين، و«التأييد» ماضياً (٨) مرّات، ومضارعاً مرة
 واحدة:

الأيد: ﴿وَاضْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَهْدَنَا دَاوُدَ

ذَا الْآيَةِ إِنَّهُ آيَاتٌ ص: ١٧.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُؤَيَّدُونَ﴾

المذكرات: ١٧.

يلاحظ أولاً: أنه وصف لداود في الآية الأولى باستعمال (لذا)، وفي الثانية وصف له تعالى. وهو يعني فيها القوة وهي من الله. فهو الصخرة جميعاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله. والآيتان تذكران بقوله: ﴿فَإِذَا أَمِيرٌ وَلِزُيُوتِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المنافقون: ٨ وفيه إيماء إلى وجود قوة روحية للأحياء ~~والميتين~~ تصنع المعجزات.

وثانياً: عقب داود مباشرة بلفظ (أولئك) وصفاً له. وهذا يشير بالصلة بين الوصفين. وهو كذلك، فعاد ~~لداود~~ لاستمداد قوته من الله برجوعه وتوحيته كثيراً إليه.

وثالثاً: جاءت كلمة (بأيدي) - بياديين حسب الرسم السامى - بين جملتين اسمية وخطبية. في سياق التبليغ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ و ﴿وَإِنَّا لَمُؤَيَّدُونَ﴾ (كسوك) بأنها قوة واسعة لانهاية لها كالسما. حيث لا يشاهد لها حدٌ محدود. حتى صارت مضرب الأمثال في السماء: قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ غُرُوبُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ آل عمران: ١٣٣. وقال أيضاً: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ غُرُوبُهَا كَفَرُوسِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الحديد: ٢١.

ورابحاً: أن جبي - (أيد) في آيتين مكيتين - وكانت مكة آنذاك دار غربة ونأي للمسلمين - يكاد يكون درساً وإسحاقاً نفسياً لهم من كتاب التاريخ والتكوين، بتذكر قصة داود وخلقة السماء. وقوله: ﴿وَإِنَّا لَمُؤَيَّدُونَ﴾ تبشير لهم بأن الرسالة الإسلامية

ستحفظها الآفاق، وتنتشر في مساحات شاسعة من الأرض. وبذلك تحمل الطمأنينة في نفوس المؤمنين ويستشرون بمستقبلهم.

العمل الماضي: ١ - ﴿إِذَا آيَدُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي السُّهْدِ وَكَهْلًا﴾ المائدة: ١١٠

٢ - ﴿هُوَ الَّذِي آيَدُهُ بِنَصْرِهِ وَيَا لِمُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال: ٦٢

٣ - ﴿وَإِذْ كُنَّا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَظْعِمُونَ فِي الْأَرْضِ تُخَافُونَ أَنَّ يُتَخَلَّفَكُمْ النَّاسُ فَأَوْيَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ الأنفال: ٢٦

٤ - ﴿فَأَمَّا طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ بِآيَاتِنَا فَذَرَيْنَاهُم مَّا هُمْ بِعَاذِينَ﴾ القصص: ١٤

٥ - ﴿وَأَنبِئْنَا جَمْعًا مِّنْهُمْ أَنَّهُمْ لَيَسْخَرُنَّ مِنْكُمْ وَالْجِبَالُ وَالْأَنْدَادُ﴾ البقرة: ٨٧ و ٢٥٣

٦ - ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَأَيْدِيَهُمْ يَجُودُ لَمْ تَزُودَهَا﴾ التوبة: ٤٠

٧ - ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ المجادلة: ٢٢

العمل المضارع: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ آل عمران: ١٣

يلاحظ أولاً: أن الآيات كلها مدنية، والمدينة دار الجهاد والقتال والمقاومة ونصرة المؤمنين والنسبة على الأعداء. فهي تستدعي إلهام المؤمنين بتأييد الله ومواضع نصرة الرسول والمؤمنين في الماضي والمستقبل، كما أيّد المؤمنين من بني إسرائيل على عدوهم، وهذا

سياق أكثر هذه الآيات.

وثالثاً: هناك سياق آخر في أربع آيات منها، وهي (١١) و (٥) و (٧)، حيث يذكر الله تأييد عيسى بروح القدس، وتأييد المؤمنين بروح منه. وهذا نصر روحى وإمداد نفسى خاص بالأنبياء والمخلصين من المؤمنين، كما أن الصف الأول نصر ظاهري بالجنود.

ورابعاً: أن التأييد في الجمع مضاف إلى الله بشكل مباشر، وهذا مع ما تقدم في (الأيداء) نداء توحيدى بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله في جميع أبعاد الوجود.

ورابعاً: أن الجمع بين التأييد والنصر والظهور والسكينة والجنود والمؤمنين، وكونهم مستضعفين قبلًا فأوهم، وروح القدس وتموها في هذه الآيات متناهي وهادف وواقع موقد، وبذلك تصبح الآيات **مطلوفاً** للبلاغة القرآنية.

وخامساً: إضافة التأييد في جانب **الخاص** إلى **العام**.

سياق المفرد (أيد) والجمع (أيدنا) وفي جانب المفعول به إلى النبي «أَيَّدَكَ بِنُصْرِهِ» و «أَيَّدَهُ بِجُنُودِهِ» وإلى المؤمنين «أَيَّدَكُمْ بِنُصْرِهِ» و «أَيَّدَهُمْ بِرُوحِ سُنَّةِ»

وإلى عيسى «أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» تحمل معها سعة التأييد وتنوعه، واختصاصه بالأنبياء والمؤمنين دون غيرهم، وأنه يصدر من الله تارة من موضع العظمة (أيدنا)، وأخرى من موضع الألوهية «وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنُصْرِهِ».

وسادساً: حين يأتي الفعل متصوفاً إلى فاعله الوحيد لم يذكر الفعل مهنياً للمجهول قط، كما أن المفعول به مشخص دائماً. وهذا يعني أن الله هو مصدر التأييد وحده لا شريك له، وأن أولئك المباد المخلصين هم موضع تأييد دون ماعداهم، وأن التأييد الإلهي ليس اسماً ولا دعاءً ولا وعداً، إنما هو فعل مباشر موجه منه سبحانه إلى أهله ومستحقه.

وسابعاً: أن التأكيد على صدور التأييد منه فيما مضى في حق الأنبياء والأولياء شاهد على استمراره فيما يأتي، وهذا **المتن** بصيغة واحدة للمستقبل «وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنُصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ»، دالة على استمرار تأييده للإسلام والمسلمين بنصره من يشاء. وهذا عام لكل من وقع اختياره تعالى على تأييده ونصره إلى يوم القيامة.

أيك

لفظ واحد، ٤ مرّات مكتبة، في ٤ سور مكتبة

التصويف اللغوي

الشدي: الأيكة: هي المرحمة، [تم استشهد
بشعر] (الطوسي: ٨: ٥٤٨)
الإمام الصادق عليه السلام: الأيكة: القبيحة من
الشجر. (البحراني: ٣: ١٨٨)
أبو عمرو ابن العلاء: الأيكة: هي الملتفة من
التبع والشد. (الطوسي: ٨: ٥٤٨)
الخليل: الأيكة: غيضة، كُنت الشجر والأراك،
ونحوها من ناعم الشجر، يقال: أيكة أيكة، أي
شجرة. (٤٢٣: ٥)
نحوه الصاحب: (٣٥٥: ٦)
أبو حنيفة: الأيكة: جمعها أيكة، وهي جماع من
الشجر. (٩: ٢)
ابن الأعرابي: يقال: أيكة من أثل، ورطط من
عثر، وقصيم من نقط. (الأزهري: ١٠: ٤١٥)

الدنيوري: الأيكة: جماعة الأراك، وقد تكون
الأيكة: الجماعة من كل الشجر حتى من التخل. والأول
أمر فيه والجمع: أيكة. (ابن منظور: ١٠: ٣٩٤)
الزجاج: الأيكة: الشجر الملتف، ويقال: أيكة
وأيكة، مثل أجنة وأجنم، والفصل بين واحد وجمعه
الهاء. (٩٧: ٤)
ابن فريد: قال الأصمعي: والأيك: الشجر الملتف.
وكأنه شك فيه، فقال: زعموا.
وليل: الأيك: جمع أيكة، وهي الزوضة. (٤٧١: ٣)
الجهوري: الأيك: الشجر الكثير الملتف، الواحد:
أيكة. (١٥٧٤: ١)
ابن فارس: لعمرة والياء والكاف أصل واحد،
وهي اجتماع شجر. (١٦٥: ١)
الهرودي: الأيكة: القبيحة، وجمعها أيكة. وكل مكان
فيه شجر ملتف فهو أيكة. (١١٣: ١)
ابن سيدي: الأيكة: جماعة الأراك، والأيكة:

الغَيْضَةُ ثُبَتَ السُّدْرُ والأَرَاكُ، والأَيْكَةُ: الشَّجَرُ المَجْتَمِعُ،
وقيل: الجماعة من كُلِّ الشَّجَرِ حتَّى من النَّخْلِ.

وإِسْتَأْيَكَ الأَرَاكُ: صَارَ أَيْكَةً، وذلك إِذَا
انْتَفَتْ.

أَيْكَةُ أَيْكٍ: مَعْمَرٌ، وقيل: هو على المبالغة،
(ابن منظور ١٠: ٣٩٥)

الزَّائِغِبُ: الأَيْكَةُ: شَجَرٌ مُلْتَفٌّ.

و«أَصْحَابُ الأَيْكَةِ» الحجر: ٧٨، قيل: نُسِبُوا إِلَى
غَيْضَةٍ كانوا يسكنونها، وقيل: هي اسم بَلَدٍ. (٣٠)

الزَّمْعَشَرِيُّ: فلان فرعٌ من أَيْكَةِ الجَدِّ، وتقول:
كَذَّبَ صَاحِبُ مُلْكَةٍ، كما كَذَّبَ أَصْحَابُ
الأَيْكَةِ.

ابن منظور: أَيْكَةُ الأَرَاكِ هِيَ أَيْكٌ وإِسْتَأْيَكَ
كَلَامُهَا: انْتَفَتْ وصَارَ أَيْكَةً. [ثم استشهد بشعر]

الْفَيَّومِيُّ: الأَيْكَةُ: شَجَرٌ، الواحدة: أَيْكَةٌ، مثل قَمَرٍ
وَقَمَرَةٍ، ويقال: من الأَرَاكِ. (١١: ٣٣)

الْفَيَّوْزُ أَبَادِي: الأَيْكَةُ: الشَّجَرُ المُلْتَفُّ الكَثِيرُ،
وَالْغَيْضَةُ ثُبَتَ السُّدْرُ والأَرَاكُ، أو الجماعة من كُلِّ الشَّجَرِ
حتَّى من النَّخْلِ، الواحدة: أَيْكَةٌ، ووقع لي البَغَارِيُّ:
لِلْأَيْكَةِ جَمْعُ أَيْكَةٍ وَكَأَنَّهُ وَهْمٌ.

وَأَيْكُ الأَرَاكِ - كَسَمْعٍ - وإِسْتَأْيَكَ: صَارَ أَيْكَةً، وَأَيْكٌ
أَيْلَةٌ: مَشْمَرٌ. (٣: ٣٠٣)

الطَّرِيحِيُّ: قوله تعالى: «أَصْحَابُ الأَيْكَةِ»
الأَيْكَةُ واحدة الأَيْكِ، وهو الشَّجَرُ المُلْتَفُّ الكَثِيرُ.

قيل: إِنَّ أَصْحَابَ الأَيْكَةِ كانوا أَصْحَابَ شَجَرٍ مُلْتَفٍّ.

وكان شجرهم شجر المُنْقَلِ، وهم قوم شُعَيْبٍ.

ويقال: الأَيْكَةُ: اسم قرية، والأَيْكَةُ: اسم بلدٍ، وقيل:
هما بمعنى.

مَجْتَمِعُ اللُّغَةِ: الأَيْكَةُ: الشَّجَرَةُ المُلْتَفَّةُ، وَأَصْحَابُ
الأَيْكَةِ هم قوم شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كانت مساكنهم كثيفة
الأشجار. (١: ٧٢)

نحو: مُحَمَّدٌ إِسْمَاعِيلُ إِبْرَاهِيمَ. (١: ٥٤)

النُّصُوصُ التَّفْسِيرِيَّةُ الأَيْكَةُ

١- وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَطَائِفِينَ. الحجر: ٧٨
النَّبِيُّ ﷺ إِنَّ مَدِينَتَيْنِ وَأَصْحَابَ الأَيْكَةِ أُمَّتَانِ. بحث
أهل السما شُعَيْبًا. (الدَّرُ الْمُنْتَوَر ٤: ١٠٣)

ابن هَيَّاسٍ: «أَصْحَابُ الأَيْكَةِ» يعني أَصْحَابَ
الأَيْكَةِ: والأَيْكَةُ: الشَّجَرُ، وهم قوم شُعَيْبٍ.
(تنوير المقباس: ٢٢٠)

نحو: سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ (الطَّبْرِيُّ ١٤: ٤٩)،
والمُسَنِّ (الطُّوسِيُّ ٦: ٣٤٩)، وَالْكَلْبِيُّ (الفَخْرُ الرَّازِيُّ
١٩: ٢٠٤)، وَالْقُفَيْيُّ (١: ٣٧٧).

الأَيْكَةُ: ذات أجسام وشجر كانوا فيها.
(الطَّبْرِيُّ ١٤: ٤٨)

هو شجر المُنْقَلِ. (الفَخْرُ الرَّازِيُّ ١٩: ٣٠٤)
«أَصْحَابُ الأَيْكَةِ»: أهل مدين، والأَيْكَةُ: المُلْتَفَّةُ
من الشَّجَرِ. (الدَّرُ الْمُنْتَوَر ٤: ١٠٣)

قَتَادَةُ: ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ كانوا أهل غَيْضَةٍ، وكان عامة
شجرهم هذا الدَّوْمُ، وكان رسولهم فيها بلنفا شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أُرسل إليهم وإلى أهل مدين، أُرسل إلى اثنين من الناس،
وعَلَّمَا بملأين شق.

أما أهل مدين فأخذتهم الضيقة.

وأما أصحاب الأيكة، فكانوا أهل شجر متكاس،
ذكر لنا أنه سَلَط عليهم الحمر سبعة أيام، لا يظلمهم منه ظل،
ولا يمتنعهم منه شيء، حيث الله عليهم سحابة، فحَلُّوا
تحتها يلتمسون الرِّيح فيها، فجعلها الله عليهم عذاباً،
بمث عليهم ناراً، فاضطربت عليهم، فأكلتهم، فذلك
«عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ»
الشعراء: ١٨٩. (الطبري: ١٤: ١٨)

الفرعاء: قرأ الأعمش، وعاصم، والحسن البصري
(الأيكة) بالهمز في كل القرآن، وقرأها أهل المدينة كذلك
إلا في «الشعراء» وفي «من» فأنهم جعلوها بغير ألف
ولام، ولم يجرها.

ونرى - والله أعلم - أنها نُكِت في مدين الموحدين
على ترك الهمز، فسقطت الألف لتتركه اللام، فيبني أن
تكون القراءة فيها بالألف واللام، لأنها موضع واحد في
قول الفريقين. والأيكة: النيفة. (٢: ٩٦)

أبو هبيرة: الأيكة وليكة مدينتهم، بمنزلة بكّة من
مكة. (الطبري: ١٠: ٤٥)

الطبري: وقد كان أصحاب النيفة ظالمين، يقول:
كانوا بالله كافرين. والأيكة: الشجر المُتَفَجِّعُ، [ثم
استشهد بشعر]

الزُّجَّاج: أي أصحاب الشجر. والأيكة الشجر،
وهؤلاء أهل موضع كان ذا شجر، فانتقم الله منهم
بكرهم. قيل: إنه أخذهم الحمر أياماً ثم اضطرم عليهم

المكان ناراً فهلكوا عن آخرهم. (٥: ١٨٥)
ابن خالق: الأيكة: اسم للقرية. والأيكة: اسم
البلد، كما أن مكة اسم البلد ومكة اسم البيت.

(الطبري: ٦: ٣٥٠)
البحراني: من قرأ «أَصْحَابُ الْإِيكَةِ» فهي
النيفة. ومن قرأ (إِيكَة) فهي اسم القرية.
ويقال: هما مثل بكّة ومكة. (الطبري: ٥: ٢٥٦)
القنسي: لم يختلف أقره في الهمز والمنقض هنا وفي
«من» وإنما اختلفوا في «الشعراء» و«من» في فتح التاء
وخفضها.

من فتح التاء قرأه بلام بعدها ياء، وجعل «إيكة»
اسم للبلد، فلم يعرفه للتأنيث والتعريف. ووزنه
ومن قرأه بالمنقض جعل أصله «إيكة» اسم لموضع

للتعريف، فأنصرف. (٢: ١١)

الكرخي: وتبوك بين الحبر وبين أول الشام على
أربع مراحل، نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين
ونخيل وحائط يسب إلى رسول الله ﷺ، ويقال: إن
«أصحاب الأيكة» الذين بُعث إليهم شعيب كانوا بها
ولم يكن شعيب منهم، وإنما كان من مدين.

«مدين على بحر القلزم - أي البحر الأحمر - محاذية
لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك،
وهي البئر التي استقى منها موسى ﷺ لسائمة شعيب،
ورأيت هذه البئر منقطة قد بُني عليها بيت.

(المسالك والممالك: ٢٠)

الطُّوسِي: الأَيْكَة: الشَّجَرَة في قول الحسن، والجمع: الأَيْك، كشجرة وشجر.

وقيل: الأَيْكَة: الشجر المُتَلَف. [ثم استشهد بشر] وقيل: الأَيْكَة: النَيْضَة. و(أَصْحَابُ الأَيْكَة) هم أهل الشجر الذين أرسل إليهم شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلَام وأرسل إلى أهل مَدْيَن، فَأَهْلَكُوا بِالصَّيْحَةِ، وَأَصْحَابُ الأَيْكَة فَأَهْلَكُوا بِالْقَلْبَةِ الَّتِي أَحْتَرَقُوا بِنَارِهَا، في قول قتادة.

فأخبر الله تعالى أَنَّهُ أَهْلَكَ أَصْحَابَ الأَيْكَة بِظُلْمِهِمْ وَغَتَوَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَجَعَدَهُمْ نَبْوَ نَبِيِّهِ...

ولم يصرفوا (الأَيْكَة) للتعريف والتأنيث، ويجوز أن يكونوا تركوا صرفه، لأنَّه ممدول عن الألف واللام، كما أن شجر^(١) ممدول عن الشجر، فلذلك لم يصرفوا.

(٣٥٠: ٢٩) وقيل: كانوا أصحاب غياض ورياض وأشجار وأنهار، يأكلون في الصيف الفاكهة الرطبة، وفي الشتاء اليابسة.

الطُّبْرَسِي: قرأ جميع القراء (الأَيْكَة) هاءاً، لأنَّها مكتوبة بالألف، إلَّا وَرَشًا عن نافع فإنه يترك الهززة ويرد حركتها إلى اللام. إذا خففت الهززة في (الأَيْكَة) وقد الحقت الألف واللام خذفتها وألقيت حركتها على اللام، ويجوز فيه إذا استؤنف لفتان، لمن قال: المُمَرُّ قال: أَيْكَة، ومن قال: المُمَرُّ قال: لَيْكَة.

ومعنى الآية أَنَّهُ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَة الظالمين في تكذيب رسولهم، وكانوا أصحاب غياض، فماتهم الله تعالى بالمَرِّ سبعة أيام ثم أنشأ سبحانه سحابة فاستظلوا بها يلتمسون الرِّيح فيها، فلما اجتمعوا تحتها أرسل

منها صاعقة فأحرقتهم جميعاً. (٣٤٢: ٣)

الغَاوِز: يعني (أَصْحَابُ الأَيْكَة) وهي النَيْضَة، واللام في قوله: (الظَّالِمِينَ) للتأكيد.

وهم قوم شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلَام كانوا أصحاب غياض وشجر مُتَلَف، وكان هاتئ شجرهم المُثَل، وكانوا قومًا كافرين، فبعث الله عز وجل إليهم شُعَيْبًا رسولاً فكذبوه، فأهلكهم الله. (٥٩: ٤)

نحوه أبو السَّمُود (٣: ١٥٥)، والبرُّوسِي (٤: ٤٨١).

أَبُو حَتَّان: (الأَيْكَة) شجر السُّوم، قيل: المُثَل، وقيل: السُّدْر، وقيل: (الأَيْكَة) اسم الناحية فيكون عَلًا. ويقويه قراءة من قرأ في «الشَّعْرَاء» و«عَش» (لَيْكَة) ممنوع المصروف. (٥: ٤٦٣)

العامِلِي: (الأَيْكَة) هي الصَّيْحَة بالفتح، أي مجتمع الشجر، وجمعها أَيْكَة. وكل مكان فيه شجر مُتَلَف فهو أَيْكَة. وأصحابها قوم شُعَيْب، وربما أمكن جعل ظيهرهم في هذه الأمة أصحاب الشجرة الملعونة، أي بني أُمَيَّة، وسيأتي بيان التلخيص في محله. (٧٧)

شُبْر: (الأَيْكَة) واحدة الأَيْك، وهو الشجر المُتَلَف الكثير، وهي غَيْضَة بِقُرْب مَدْيَن، وهم قوم شُعَيْب كانوا يسكنونها. (٣: ٣٩٢)

الآلُوسِي: هم قوم شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلَام، و(الأَيْكَة) في الأصل: الشجرة المُتَلَفَة، واحدة الأَيْك، [ثم استشهد

(١) أعتقد أن المثال الوارد في المتن هو تمهيف، والصحيح: «كما أن شجر ممدول عن الشجر، فلذلك لم يصرفه». فهذا اللَّفْظ هو الذي يضرب به المثل عند الضَّرْفَيْن، لكونه مرفوعاً وممدولاً، راجع: جامع المُروِّس المَرِيَّة لِلنَّلايِينِي، (٥: ٢٢٣).

[بشر]

والمراد بها قُبُضَة، أي بقعة كثيفة الأشجار، بناءً على ما روي أن هؤلاء القوم كانوا يسكنون القُبُضَة وعامة شجرها الدُّوم، وقيل: السَّدر، فبعث الله تعالى إليهم شعيبًا فكذبوه، فأهلكوا بما نسئمه إن شاء الله تعالى.

وقيل: بلدة كانوا يسكنونها، وإطلاقها على ما ذكر إنما طريق النقل أو نسبة المثل باسم الحال فيه، ثم غلب عليه حتى صار علمًا، وأيد القول بالعلمية أنه قرئ في «الشَّراء» و«م» (لَيْكَة) ممنوع الصَّرف. (١٤: ٧٥) انتهى ونندي: قيل: إن الأَيْكَة ومَدِين واحد، فإنَّ أطراف مَدِين كانت أرض ذات أشجار كثيرة مُلْتَفَة بعضها ببعض.

وقيل: إن (الأَيْكَة) اسم مكان آخر غير مَدِين كثير الأشجار كانوا يسكنونها، فبعث الله إليهم شعيبًا، كما بعث إلى مَدِين.

سَيِّد قُطَيْب: ومَدِين والأَيْكَة كانتا بالقرب من قرى لوط، والإشارة الواردة هنا «وَأَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَنُوحًا وَنُوحًا» المجر: ٧٩، قد تعني مَدِين والأَيْكَة، فهما في طريق واضح غير مندثر، وقد تعني قرى لوط الثالثة الذَّكر، وقرية شُعَيْب. جميعها لأنَّهما في طريق واحد بين الحجاز والشَّام.

ووقع القرى الذَّاكرة على الطريق المطروق أدنى إلى الوبئة، فهي شاهد حاضر يراه الزَّائح والفتادي، والحياة تجري من حولها وهي دائرة، كأن لم تكن يومًا

عامرة، والحياة لا تطفئها، وهي ماضية في الطريق.

(٤: ٢١٥١)

الطَّبَاطِبَاتِي: (الأَيْكَة) واحدة الأَيْكَة، وهو الشَّجر المُلْتَف بعضه ببعض، فقد كانوا - كما قيل - في قُبُضَة، أي بقعة كثيفة الأشجار.

وهؤلاء كما ذكروا هم قوم شعيب عليه السلام أو طائفة من قومه كانوا يسكنون القُبُضَة، ويؤيده قوله تعالى ذيلًا: «وَأَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَنُوحًا وَنُوحًا» المجر: ٧٩، أي مكانا قوم لوط وأصحاب الأَيْكَة في طريق واضح، فإنَّ الذي على طريق المدينة إلى الشَّام هي بلاد قوم لوط، وقوم شُعَيْب الخربة، أهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم لدعوة شعيب.

المُتَضَفِّفُون: (الأَيْكَة) هي الأشجار المتكاثرة المُتَضَفِّفَة، أو القُبُضَة التي فيها تلك الأشجار، وهذا المعنى يطابق على سبيل المثالين وما حولها، من جانب الشمال الغربي من أرض الحجاز، من سواحل البحر الأحمر، خربة من جبال تهامة وغيرها، وهي واقعة في محاذة تبوك غربًا.

ولا يخفى أن هذه الأراضي مجاورة لصحراء سبيل والفاصل بينها منتهى البحر الأحمر ثم خليج العقبة، وطول الخليج كما في «تاريخ سيناء» لشوم بك: «خليج العقبة الذي يحدَّ سيناء الجنوبية من الشرق، فطوله من رأس محند إلى قلعة العقبة نحو مائة ميل، وعرضه من سبعة أميال إلى أربعة عشر ميلًا».

ويقول «ص ٢-٢»: «ومعلوم أن العقبة مركز وتطلي هام تنفرع منها الطريق برا وبحرا إلى بلاد العرب

وسوريا وسيناء ومصر وغيرها، وأهم طرقها البرية إلى بلاد العرب : درب الحج المصري.

ولا يعد أن يكون مير موسى عليه السلام من مصر إلى مدين، ثم من مدين مع زوجته إلى سيناء من هذه الطريق ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ القصص: ٢٩، ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ﴾ الحجر: ٧٨، ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشعراء: ١٧٦، ﴿وَقَوْمُ قُورُوقَ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ مريم: ١٢، ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُعَيْجٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ ق: ١٤.

فهذه الآيات تدل على أمور:

الأول: أن (الأيكة) قد أرسل إليها شعيب وقيل للمرسلين ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ إذا قال ﴿هَمْ شُعَيْبٌ إِلَّا تَقُولُونَ﴾ إني لكم رسول بآية ﴿الشعراء: ١٧٦-١٧٨.

الثاني: أن (الأيكة) تطبق على مدين بقرينة قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مَذِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ الأعراف: ٨٥، ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ بِلِقَاءِ مَذِينٍ... وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَذِينٍ﴾ القصص: ٢٢، ٢٣، واجمع: مدين، وشعيب، وعمر.

(١: ١٨٠)

٢- كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ.

الشعراء: ١٧٦

ابن زيد: (الأيكة): الشجر، حيث الله شعيباً إلى قومه من أهل مدين، وإلى أهل البادية وهم أصحاب

ليكة، وليكة والأيكة واحد. (الطبري: ١٩: ١٠٧) الزجاج: «أصحاب الأيكة» هؤلاء كانوا أصحاب شجر ملتصق، ويقال: إن شجرهم هو الدوم، والدوم هو شجر المثقل، وأكثر القراء على إثبات الألف واللام في (الأيكة)، وكذلك يقرأ أبو عمرو وأكثر القراء، وقرأ أهل المدينة (أصحاب ليكة) مفتوحة اللام، فإذا وقف على (أصحاب) قال: (ليكة المرسلين)، وكذلك هي في هذه السورة بنير ألف في المصحف، وكذلك أيضاً في سورة «حق» بنير ألف، وفي سائر القرآن بألف.

ومعوز، وهو حسن جداً: (كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) بنير ألف في المخط على الكسر، هل أن الأصل (الأيكة) فألقت الهمزة ف قيل: (ليكة)، والعرب تقول: الأحمر جاءني، وتقول إذا ألقت الهمزة: لمسّر جاءني فتح اللام وإنهاء ألف الوصل، ويقولون أيضاً: لأحمر جاءني، يريدون: الأحمر، وإثبات الألف واللام لهما في سائر القرآن يدل على أن حذف الهمزة منها التي هي ألف الوصل بتثنية قوهم: لأحمر: أصني أن القراءة بـ (ليكة) وأنت تريد (الأيكة).

واللام أجود من أن تجعلها (ليكة) وأنت لا تقدر الألف واللام، وتفتحها لأنها لا تنصرف، لأن (ليكة) لا تنصرف، وإنما هي: أيكة للواحد وأيكة للجمع، فأجود القراءة فيها الكسر، وإسقاط الهمزة لموافقة المصحف.

وأهل المدينة يفتحون، على ما جاء في التفسير: أن اسم المدينة التي كانت للذين أرسل إليهم شعيب عليه السلام «ليكة».

حكى الله تعالى أن قوم شعيب، وهم «أَصْحَابُ
الْأَيْكَةِ» كَذَّبُوا المرسلين في دعائهم إلى خلع الأثداء
وإخلاص العباد لله.

والأَيْكَةُ : النَّبْطَةُ ذات الشَّجَرِ الْمُسَلَّطَةِ، وَجَسَدُهُ :
الْأَيْكُ. [ثم استشهد بشعر]

الرَّمْطَشَرِيُّ : قُرِئَ «أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» بِالْهَمْزَةِ
وَبِتَغْفِيلِهَا، وَبِالْجَمْرِ عَلَى الْإِضَافَةِ وَهُوَ الْوَجْه.

ومن قرأ بالنصب وزعم أن (أَيْكَةُ) بوزن «ثَيْلَةٍ»
اسم بلد، فتوهم، قاد إليه خطأ المصحف، حيث وجدت
مكتوبة في هذه السورة وفي سورة «ص» بنير ألف.

ولي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط
المصطلح عليه، ولما كتبت في هاتين السورتين على

نحو «أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» كانا
أصحاب شجر مُسَلَّطٍ، ويقال: إن شجرهم هو الذَّوْمُ،
والذَّوْمُ : شجر المُغَلِّ.

واحدة على أن (أَيْكَةُ) اسم لا يعرف. (١٢٦: ٣)

مثله المصنف الرززي. (١٦٢: ٢٤)

القمر طيبي: الأَيْكُ: الشَّجَرُ الْمُسَلَّطُ الْكَثِيرُ،
الوَاحِدَةُ: أَيْكَةُ. ومن قرأ «أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» فهي
النَّبْطَةُ، ومن قرأ (أَيْكَةُ) فهو اسم القرية، ويقال: هما
مثل بَكَّةَ ومَكَّةَ، قاله الجوهري.

وقال النحاس: وقرأ أبو جعفر ونافع (كَذَّبَ
أَصْحَابُ أَيْكَةَ الْمُرْسَلِينَ)، وكذا قرأ في «ص».

وأجمع القراء على المنطوق في آتي في سورة الحجر

وكان أبو عبيد القاسم بن سلام يختار قراءة أهل
المدينة والفتح، لأن (أَيْكَةُ) لا تنصرف. وذكر أنه اختار
ذلك لموافقتها الكتاب، مع ما جاء في التفسير، كأنها
تُسَمَّى الْمَدِينَةُ (الْأَيْكَةُ)، وتُسَمَّى النَّبْطَةُ الَّتِي تَضُمُّ هَذَا
الشَّجَرُ (أَيْكَةُ)، والكسر جئت على ما وصفنا، ولأعلمه
إلا قد قُرِئَ بِهِ. (٩٧: ٤)

أبو زَوْهَةَ : قرأ نافع وابن كثير وابن عامر (كَذَّبَ
أَصْحَابُ أَيْكَةَ) مفتوحة اللام والشاء، ولي «ص» مثلها.

جاء في التفسير أن اسم المدينة كان (أَيْكَةُ) فلم
يصرفوها للتأنيث والتشريف، وحجتهم أنها كتبتا في
المصاحف بنير همز.

وقرأ الباقون: (الْأَيْكَةُ) ساكنة اللام مكسورة القاف،
والأَيْكَةُ: الشَّجَرُ الْمُسَلَّطُ. وحجتهم ما ذكر في

التفسير، جاء: أن «أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» هم بلاد كانوا
أصحاب شجر مُسَلَّطٍ، ويقال: إن شجرهم هو الذَّوْمُ،
والذَّوْمُ : شجر المُغَلِّ.

نحو ابن عطية. (٢٤٢: ٤)

الطوسي: قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر (أَصْحَابُ
أَيْكَةَ) على أنه اسم المدينة معرفة لا تنصرف.

قال أبو علي الفارسي: الأجود أن يكون ذلك على
تلفيف الهمزة مثل: لَحْمَرٌ، ونصبه بضعف، لأنه يكون

نصب حرف الإعراب في موضع الهمزة مع لام التصريف،
وذلك لا يجوز.

وحجة من قرأ بذلك أنه في المصحف بلألف، وقالوا
هو اسم المدينة بعينها، الباقون «أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ»
بالألف واللام مطلقاً مضافاً، ومنه الخلاف في ص: ١٣.

(١) ورد في روح المعاني نقلاً عن الكشاف «الآن، لأن،
والأولى، الأولى».

والتي في سورة «ق» فيجب أن يُردّ ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه إذ كان المعنى واحداً.

وأما ما حكاه أبو عبيد من أن (لَيْكَةً) هي لسم القرية التي كانوا فيها، وأن (الْأَيْكَةَ) لسم البلد، فشيء لا يثبت ولا يعرف من قاله فيثبت علمه، ولو عُرف من قاله لكان فيه نظر، لأن أهل العلم جميعاً من أهل التفسير، والعلوم بكلام العرب على خلافه.

وروى عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن قتادة قال: أرسل عُصْبُ بْنُ مَرْثَدَةَ إلى أَهْلَيْ مَدْيَنَ: إلى قوم من أهل مَدْيَنَ، وإلى أصحاب الأيكة. قال: والأَيْكَةُ: غَيْضَةٌ من شجر مُلْتَفَةٍ.

وروى سعيد بن قتادة قال: كان أصحاب الأيكة أهل غَيْضَةٍ وشجر وكانت عاتمة شجرهم الدَّوْمُ، وهو شجر المُثَلِّ.

وروى ابن جبير عن الضحاك قال: خرج أصحاب الأيكة - يعني حين أصابهم الحرّ - فانضمتوا إلى الغَيْضَةِ والشجر، فأرسل الله عليهم سحابة فاستظلوا تحتها، فلما تكاملوا تحتها أُعْرِقُوا.

ولو لم يكن هذا إلا ما روي عن ابن عباس، قال: والأَيْكَةُ: الشجر، ولا تعلم بين أهل اللغة اختلافاً؛ لأن الأَيْكَةَ: الشجر المُلْتَفَتَ.

فأما احتجاج بعض من احتج بقراءة من قرأ في هذين الموضعين بالفتح أنه في السواء (لَيْكَةً) فلاحجة له، والقول فيه: إن أصله: الأَيْكَةُ، ثم خففت الحسرة فألغيت حركتها على اللام فسقطت، واستغنت عن ألف الوصل، لأن اللام قد تحرّكت.

فلا يجوز على هذا إلا الخفض؛ كما تقول: بالأحمر، تُحَقِّقُ الحَمْزَةَ، ثُمَّ تُخَفِّفُهَا، بِدَحْمَةٍ، فَإِنْ شِئْتَ كَتَبْتَهُ فِي الْخَطِّ عَلَى مَا كَتَبْتَهُ أَوَّلًا، وَإِنْ شِئْتَ كَتَبْتَهُ بِالْمَحْذَفِ، وَلَمْ يَمْزِ إِلَّا الْخَفْضَ.

قال سيبويه: وأعلم أن ما لا ينصرف إذا دخلت عليه الألف واللام أو أُضِيفَ لِنَصْرَفٍ، ولا تعلم أحدًا خالف سيبويه في هذا.

وقال الحكيل: الأَيْكَةُ: غَيْضَةٌ تُبَثُّ الشُّدْرُ والأُرَالَةُ، ونحوها من ناعم الشجر. (١٣: ١٣٤)

الْبَيْضَاوِيُّ: (الْأَيْكَةُ) غَيْضَةٌ تُبَثُّ نَاعِمُ الشَّجَرِ، يريد غَيْضَةً بِقَرَبِ مَدْيَنَ تُسَكِّنُهَا طَائِفَةٌ، فَبَثَّ اللَّهُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا كَمَا بَثَّ إِلَى مَدْيَنَ، وَكَانَ أَجْنَبِيًّا. (٢: ١٦٥)

نحو: الكاشاني. (٤: ٤٩)

النَّصَبِيُّ: بِالْهَمْزَةِ وَالْمَجْرُوهِ غَيْضَةٌ تُبَثُّ نَاعِمُ الشَّجَرِ، وَكَذَا فِي «ص» قَلَمُ الْبَلَدِ.

قيل: «أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» هم أهل مَدْيَنَ التَّجَوُّوا إِلَى غَيْضَةٍ، إِذْ أَلْحَ عَلَيْهِمُ الْوَجْجُ، وَالْأَصْحُ أَنَّهُمْ غَيْرُهُمْ نَزَلُوا غَيْضَةً بَيْنَهَا بِالْبَادِيَةِ، وَأَكْثَرُ شَجَرِهِمُ الْمُثَلِّ.

(٣: ١٩٤)

أَبُو حَتِيانَ: قَرَأَ الْمَرْمِيَّانَ وَابْنَ عَامِرٍ (لَيْكَةً) هَذَا فِي «ص»، بِغَيْرِ لَامٍ، مَمْنُوعِ الصَّوْفِ، وَقَرَأَ بَاقِيَ السَّبْعَةِ (الْأَيْكَةَ) بِلَامٍ الصَّرِيفِ.

فأما قراءة الفتح، فقال أبو عبيد: وجدنا في بعض التفسير أن (لَيْكَةً) اسم للقرية، و(الْأَيْكَةُ) للبلاد كلها، كَمَكَّةَ وَبَكَّةَ، وَرَأَيْتُهَا فِي الْإِسَامِ «مُصَحَّفٌ عَشْرَانِ» فِي

«الميجرة» و«ق» (الأيكة) وفي «الشعراء» و«م» (أيكة)، واجتمعت مصاحف الأمصار كلها بعد على ذلك، ولم تختلف، انتهى.

وقد طعن في هذه القراءة المبرّد وابن قتيبة والزجاج وأبو حليّ الفارسيّ والنحاس، وتبهم الزنجشيريّ، ووهوا الثراء، وقالوا:

حملهم على ذلك كون الذي كُتب في هذين الموضعين على اللفظ، في من نقل حركة الهزة إلى اللام وأسقط الهزة، فتوهم أن اللام من بنية الكلمة ففتح الياء، وكان الصواب أن يُحذف ثم مادة دل ي لك لم يوجد منها تركيب، فهي مادة مُهضلة كما أصلوا مادة «ع ذ ج» منقوطة.

وهذه زعة اعتزالها يعتقدون أن بعض القسرة بالزأي لا بازواية. وهذه قراءة متواترة لا يمكن الظن فيها، ويقترب إنكارها من الزدة، والزيادة باله. أما نافع فقرأ على سبعين من التابعين، وهم عرب نصحاء، ثم هي قراءة أهل المدينة قاطبة.

ولما ابن كثير فقرأ على سادة التابعين ممن كان بمكة كمجاهد وغيره، وقد قرأ عليه إمام البصرة أبو عمرو ابن العلاء. وسأله بعض العلماء أقرأت على ابن كثير؟ قال: نعم غنمت على ابن كثير بعد ما غنمت على مجاهد، وكان ابن كثير أحلم من مجاهد باللغة، قال أبو عمرو: ولم يكن بين القرائتين كبير، يعني خلافاً.

وأما ابن عامر فهو إمام أهل الشام وهو عربيّ فُحّ قد سبق اللحن، أخذ عن عثمان وعن أبي الدرداء وغيرهما، فهذه أمصار ثلاثة اجتمعت على هذه القراءة:

المحرمان: مكة والمدينة، والشام.

ولما كون هذه المادة مفقودة في «لسان العرب»، فإن صحت ذلك كانت الكلمة عجمية، ومواد كلام العجم غائقة في كثير مولد كلام العرب، فيكون قد اجتمع على منع صرفها العلمية والعجمية والثابت.

وتقدم مدلول (الأيكة) في المجر، وكان شبيب طائفة من أهل مدّين، فذلك جاء «وإلى مدّين نخافهم كُتبت» المنكوت: ١٣٦^١. ولم يكن من أهل الأيكة، لذلك قال هنا: «إذ قال لم كُتبت» الشعراء: ١٧٧.

ومن غريب النقل ما روي عن ابن عباس أن «أصحاب الأيكة» هم أصحاب مدّين، وعن غيره أن «أصحاب الأيكة» هم أهل البادية، وأصحاب مدّين هذه الزعة اعتزالها يعتقدون أن بعض القسرة بحرف الأومسي.

«أصحاب الأيكة» هم أصحاب مدّين، وعن غيره أن «أصحاب الأيكة» هم أهل البادية، وأصحاب مدّين (٣٧: ٧) (١١٧: ١١) تنبع الماء، فثبت الشجر الكثير الملتصق. (٣٠: ٣) سيّد قطب، «أصحاب الأيكة» هم - غالباً - أهل مدّين.

والأيكة: الشجر الكثيف الملتصق، ويبدو أن مدّين كانت تجاورها هذه النخلة الوفية من الأشجار.

(١) ويظهر من هذه الآية وغيرها أن مدّين كان أولاً من زمن شبيب اسماً للشوم وكان شبيب منهم ثم نقل بمرور الزمان حتى حصر موسى إلى البلاد - ومثله كثير - ولهذا جاء في نسخة موسى «أهل مدّين» حذر ٤٠، كما أن شبيب هنا لم يكن صاحب موسى بل هو متقدم عليه بمدة كما قال: «لأننا لم نكن كما يتحدثون» هرد، ٩٥، لاحظ النسخ هنا، ٣٧١، ٣٧٢.

وموالج مدين بين الحجاز وفلسطين حول خليج العقبة. (٥: ٢٦١٥)

هَذَّة دَرَوْرَة: أصحاب المَرْجَة. (٣: ١٢٦)
الطُّبَاطِبَاءُ: النِّبْتَةُ: المُتَلَفَت شَجَرَهَا. قيل: إنها كانت غَيْفَةً بقرب مَدِين يسكنها طائفة، وكانوا يَمْنُ بِمَثِ إِلَهِم شُعَيْب عليه السلام، وكان أجنيباً منهم، ولذلك قيل: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُّ شُعَيْبٌ﴾ الشُّرَاء: ١٧٧، ولم يقل: «أخوهم شُعَيْب» بخلاف هود وصالح فقد كانا نسيين إلى قومها، وكذا لوط فقد كان نسيباً إلى قومه بالمصاهرة، ولذا عبّر عنهم بقوله: ﴿أَخُوهُمْ هُودٌ﴾ الشُّرَاء: ١٢٤، و﴿أَخُوهُمْ صَالِحٌ﴾ الشُّرَاء: ١٤٢، و﴿أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ الشُّرَاء: ١٦١.

(١٥: ١٥١)

[كيف وقد جاء «إلى مدين أخاهم شعيب» من قوله: (الأعراف: ٨٥ وهود: ٨٤)]

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة جمع الشجر هاتمة أو ما انتص منه خاصة، يقال: أَيْكَةُ الْأَرَاكِ واستأيلك، أي التف، وأَيْكَةُ أَيْكَةٍ، أي شجرة، وأَيْكَةُ من أثل. ومن الحجاز قوطم في بُئِل الرِّجِل وشرفه: فلان فرع من أَيْكَةِ الْهَدْي، كما يقال: فلان من دوحة الكرم، ومن شجرة طيبة، أي ذو أصل كريم.

٢- وقد اختلف أرباب اللغة في «الأَيْكَةُ» على قولين: الأول: الشَّجَرَةُ الْمُتَلَفَّةُ، وبه قال الجَمْعُ الغفير منهم. والثاني: الرُّوْضَةُ، وبه قال السُّدِّيُّ والحَلِيل وابن الأَمرئِي.

لكن جعل الأَيْكُ - جمع أَيْكَةٍ - الشَّجَرُ، فبيده

بالانتصاف، وبعضه قوطم: أَيْكَةُ الْأَرَاكِ واستأيلك، ومن جعله الرُّوْضَةُ أَطْلَقَ، وشاهده قوطم: أَيْكَةُ من أثل، ورُفِط من عُسْر، وقصيبة من القَصْبِ.

وتردّد الأصمعيّ - كما ذكر ابن دُرَيْد - في إطلاق «الأَيْكَةِ» على الشَّجَرِ الْمُتَلَفِّ، وكأنّه يقول بمعنى المكان كالرُّوْضَةِ والْفَيْفَةِ، لا الجِهَاجِ كالأَيْكَةِ والمَرْجَةِ، إلّا أنّه لم يفصح عن ذلك.

كما اختلفوا في جنس الشَّجَرَةِ، فقال بعض: السُّدْرَةُ والأَرَاكَةُ ونحوها، وقال بعض آخر: مطلق الشَّجَرِ وما انتص منه.

الاستعمال القرآني

١- اقترن المفسرون والمؤرخون في «أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ» فريقين، الأول يقول: إنهم أهل «مَدِين»، قومه شعيب، والثاني يقول: إنهم قوم آخرون يسكنون ناحية إلهم «شُعَيْب» أيضاً.

واستدل الفريق الأول بوحدة الرِّسُولِ والرِّسَالَةِ والمرسل إليهم، واستدل الفريق الثاني بتفاوت العذاب المنزل عليها، واستعمال لفظ «الإخوة» في «مَدِين» دون «الأَيْكَةِ».

أما نحن فنرى رجحان كثرة الفريق الأول على الثاني، نظراً إلى الآيات التالية:

١- ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَقَارِينَ﴾

الحجر: ٧٨

٢- ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُّ شُعَيْبٌ أَلَا تُقْسُونَ﴾ الشُّرَاء: ١٧٦، ١٧٧

وَلَا تُكْرَهُوا مِنَ الشُّعْبِينَ ﴿٥٠﴾ وَزُكُّوا بِأَلْفِطَاسٍ
الشُّعْبِينَ ﴿الشُّعْبِينَ﴾ الشعراء: ١٨١، ١٨٢، وماتلا (٥) من سورة
الأعراف: ﴿فَاذْكُرُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾

د - بحسب الأشياء: بعد (٢): ﴿وَلَا تُنْفَسُوا النَّفَسَ
أَشْيَاءَهُمْ﴾ الشعراء: ١٨٢، وهذا النص لما في ماتلا (٥)
من سورة الأعراف أيضا.

هـ - الإغساد: بعد (٢): ﴿وَلَا تُغْفُوا فِي الْأَرْضِ
شُعْبِينَ﴾ الشعراء: ١٨٣، وماتلا (٥) من سورة
الأعراف: ﴿وَلَا تُغْفُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِسْلَاحِهَا﴾

و - الكفر: بعد (٢): ﴿وَمَا كَانَ أَكْفَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
الشعراء: ١٩٠، وبعد (٥) من سورة الأعراف: ٩٠:
﴿وَقَالَ الْغُلَاظُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْنَاكُمْ شُعْبِينَا
أَكْفَرُكُمْ أَكْفَرُونَ﴾.

والماتلا: اختص «أصحاب الأيكة» و«أهل مدين»
بلا حظ أولاً: أن اسم النبي شبيب ^{عليه السلام} قد ورد في القرآن في (٥) و (٨)،
بأصحاب الأيكة في (٢) فقط، ومدين في (٥) و (٨)،
فالنبي واحد، والفريتان - وإن تعددتا - واحدة، مثل
«أصحاب الحجر» و«قوم»، إذ قلنا نرى في القرآن نبيا
مرسلاً إلى فريتين أو أكثر في آن واحد، كالنبي لوط ^{عليه السلام}.
وثانياً: بين القرآن خطايا ومواقف مشتركة تدل
على وحدة الفريتين، وهي:

أ - الظلم: كما في (١) وبعد (٥) من سورة هود: ٩٤:
﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَمَّيْنَا شُعْبِيتَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
بِوَحْيِنَا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ﴾
ب - التكذيب: كما في (٢) وبعد (٥) من سورة
الأعراف: ٩٢: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيتَا كَانُوا يَمُوتُونَ فِيهَا﴾
ج - بحسب الكيل والميزان: بعد (٢): ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ

٣ - ﴿وَتَمُوا وَظَمُوا لُوطٍ وَأَصْحَابَ الْآيَةِ لَوْلِيكَ
الْأَعْرَابُ﴾ ص: ١٣

٤ - ﴿وَعَادَ وَفِرْعَوْنَ وَآخُونَ لُوطٍ﴾ وَأَصْحَابَ
الْآيَةِ وَقَوْمَ تُسُوعَ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ

ق: ١٢، ١٤
٥ - ﴿وَالَّذِي مَدَّيْنِ أَخَاهُمْ شُعْبِيتَا قَالَ يَأْتِ قَوْمُ الْمُتَكِبِينَ

اللَّهُ خَالِكُكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ الأعراف: ٨٥، وهود: ٨٤
٦ - ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ
مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ التوبة: ٧٠

٧ - ﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوا لَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ
وَالْمُؤَسَّدُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ
مَدْيَنَ﴾ الحج: ٤٢ - ٤٤

٨ - ﴿وَالَّذِي مَدَّيْنِ أَخَاهُمْ شُعْبِيتَا فَقَالَ يَأْتِ قَوْمُ الْمُتَكِبِينَ
اللَّهُ وَازْجُوا التَّيْمُومَ الْآخِرَ﴾ المتكيبات: ٤١

يلاحظ أولاً: أن اسم النبي شبيب ^{عليه السلام} قد ورد في القرآن في (٥) و (٨)،
بأصحاب الأيكة في (٢) فقط، ومدين في (٥) و (٨)،
فالنبي واحد، والفريتان - وإن تعددتا - واحدة، مثل
«أصحاب الحجر» و«قوم»، إذ قلنا نرى في القرآن نبيا
مرسلاً إلى فريتين أو أكثر في آن واحد، كالنبي لوط ^{عليه السلام}.
وثانياً: بين القرآن خطايا ومواقف مشتركة تدل
على وحدة الفريتين، وهي:

أ - الظلم: كما في (١) وبعد (٥) من سورة هود: ٩٤:
﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَمَّيْنَا شُعْبِيتَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
بِوَحْيِنَا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ﴾

ب - التكذيب: كما في (٢) وبعد (٥) من سورة
الأعراف: ٩٢: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيتَا كَانُوا يَمُوتُونَ فِيهَا﴾
ج - بحسب الكيل والميزان: بعد (٢): ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ

الحقائين» الصفات: ١٢٢-١٢٥.

ورأيًا: تلا «أصحاب الأيكة» قوم لوط في جميع المواضع، كما تلا لفظا «مدين» و«شعيب» قوم لوط دائمًا، إلا في (٦)، فقد جاء لفظ (المُسَوِّكَات) - أي قرى قوم لوط - بعد أصحاب مدين، مما يدل على تقارب معدهما، وتقدم حقبة قوم لوط على أصحاب الأيكة، لاحظ «شعيب» و«مدين».

٢- قال بعض: إن قوله تعالى: «وَالَّذِي مَدَّ يَدَهُ إِلَى شَمْعِيبَ» في (٥) و(٨) يعني أن أهل مدين قوم شعيب دون أصحاب الأيكة، إذ لفظ الأعرسة اقترن بأولئك دون هؤلاء.

ولكن هذا القول لا يمتد به، لأن «الأعرسة» في القرآن لا يطلق على الشقيل فحسب، بل يطلق مجازاً أيضاً على مستنبتات أخرى، منها القهر كما في قوله: «فَقَضَيْتُمْ دَنَاقًا فَخَرُّوا وَسَارُوا وَكَانَ تَبِيعُهُمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ» في (١٣)، فليس منهم، لاحظ «دأخ» و«هناك» وجه آخر وهو أن مدين كان اسم القوم دون البلد كما هو ظاهر قوله تعالى: «وَالَّذِي مَدَّ يَدَهُ إِلَى شَمْعِيبَ» في الآيات المتقدمة ثم انتقل إلى البلد «لاحظ مدين».

٣- ولا عبرة باختلاف نطق العذاب، فقد ورد بألفاظ مختلفة في شأن أنه واحدة مثل عاده إذ ورد في القرآن أن الله تعالى أهلكهم بسحاب مطبق: «فَكَفَا زُلُوفًا عَارِضًا مُّسْتَكْبِلًا أَوْذِيهِمْ فَفَالُوا هَذَا عَارِضًا مُّسْتَكْبِلًا يَمْلِكُ أَهْلَ السَّعْدَةِ وَالْطَّافَةِ» في (٢٤)، وهو ظير ماحل بأصحاب الأيكة: «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ عَظِيمٌ» النمل: ١٨٩، وورد في شأن عذاب عاد أيضاً قوله تعالى:

«فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ» للمؤمنون: ١٤، وهو عين منزل يأهل مدين «وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ» هود: ٩٤.

ومثل عاد في اختلاف أنواع العذاب ثمود أيضاً، فقد جاء بلفظ (الرَّجْفَةُ) مثل أهل مدين، و«الصَّيْحَةُ» و«الصَّاعِقَةُ»، وكلها ضروب من المذاب، تحدث في آن واحد، وكذلك (يَوْمَ الظُّلَّةِ) و«الرَّجْفَةُ» و«الصَّيْحَةُ»، مثلها حدث لأهل عاد إذ أطبق عليهم السحاب بالمذاب وأخذتهم الرجفة والصيحة، كل ذلك في آن واحد.

٤- والأيكة - كما تقدم - هي الزوينة، وأصحاب الأيكة أهلها، كما قال تعالى: «وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ» التوبة: ٧٠، ويبدو - والله أعلم - أن (مدين) كانت ذات أحرار وأجرام، فسيبهم الله تعالى إلى ما تشتهر به مدينتهم، وهذا الطراز من التسمية شائع في القرآن، لاحظ «ص ح ب» و«ذو».

٥- ولكن إذا كان «أصحاب الأيكة» هم سكان مدين، فأين تقع هذه البلاد؟

تشير أغلب المصادر الإسلامية ونصوص أهل الكتاب قاطبة إلى أنها تقع في غور الأردن، ويمكن تبيين موضعها طبق شواهد عديدة، لاحظ «مدين».

وقد اقترن اسم موسى بمدين، كما اقترن اسم شعيب بها أيضاً، وهنا ما حدا جمعاً قفيراً من المفسرين على القول بأن موسى تزوج بنت النبي شعيب، صاحب مدين، وتوهم بعض أن شعيباً هذا - إن صحَّت التسمية - هو نفس صاحب مدين وأصحاب الأيكة، وهو خطأ، وستلاحظ القول الأوفق حول «شعيب» في موضعه إن شاء الله.

أَيُّم

لفظ واحد، مرّة واحدة مدنيّة، في سورة مدنيّة

النصوص اللغويّة والتفسيرية

حين يُؤدّ، ويقال: مألّف فيه من خرقه، وما خرج منه.

[ثمّ استشهد بشر]

والإمام: حرّ التّطشّ في الجوّف، ولم أسمع منه فعلاً، ولو جاء في شعر: «أؤمّه تأويشاً» لما كان به بأس.

وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ
وَإِنَّا لَكُمْ إِذَا تَكُونُوا قُلُودًا يُخَيِّرُ اللَّهُ مِنْ فَخْرِهِ وَفَالِ
وَأَبِغْ عَالِمٍ

ابن عباس: الأيّم في كلام العرب: كلّ ذكر لأُمّ
منه، وكلّ أنثى لا ذكر معها. (النيسابوري ١٨: ٩٦)

الخليل: الأيّم من الحيّات: الأبيض اللّطيف. [ثمّ
استشهد بشر]

والإيّم: الدّخان.
وامرأة أيّم قد تأنّمت، إذا كانت ذات زوج، أو كان لها

قبل ذلك زوج فمات، وهي تصلح للأزواج، لأنّ فيها
سورة من شباب، والأَيّام: جمعها، تقول: أمّت المرأة

تقيم أيّماً وأَيّنة واحدة، وتأنّمت، [ثمّ استشهد بشر]
والآمة: العيب. [ثمّ استشهد بشر]

والآمة من الصّبي، فيما يقال: هي ما يعلّق بسرّه

ميمّونه: [في باب التّكسير] قالوا: رَجَّ ووجّنا، كما
قالوا: زَمِنَ وزمّني، فأجروا ذلك على المعنى، كما قالوا:
بتيمّ وحنّني وأَيّمي، فأجروا مَجَرَى وَجَّعَني،
وقالوا: حنّلي، لأنّه كالخائف.

الحصبيّ: الأيّم هو الجانّ من الحيّات.
(ابن فارس ١: ١٦٦)

الكسائيّ: اتّفق أهل اللغة على أنّ «الأيّم» هي
الأصل هي المرأة التي لا زوج لها، بكراً كانت أو ثيباً.

(القرطبي ١٢: ٢٢٩)
منه ابن سُمَيْل. (النيسابوري ١٨: ٩٦)

ابن شميل: كل حية أئيم، ذكرها كانت أو أنثى. وربما شدد قليل: أئيم، كما يقال: حين وحين.

(ابن فارس ١: ١٦٦)

الغراء: الأيامي، القرايات، نحر البنت والأخت وأشباهها. (٢: ٢٥٦)

أبو حنيفة: الأيامي، من الرجال والنساء: الذين لأزواج لهم ولهن، ويقال: رجل أئيم وامرأة أئيمة وأئيم أئيمًا. [تم استشهد به]

(٢: ٢٦٥)

مثله أبو عبيد. (الفرطبي ١٢: ٢٤٠)

أبو زيد: الأئيم: جمع أئيم وأئين أئيمًا، وهو ضرب من الحيات.

مثله أبو عبيد. (الأزهري ١٥: ٦٢١)

يقال: «رجل أئيمان وحينان» أيان: هلكت امرأته.

(الأزهري ١٥: ٦٢١)

الأصمعي: أم الرجل يؤوم [سائمة] فخلق محققا المنيعة ليخرج ثملها، فتنسار صلها، فهو أئيم والنحلة مؤومة، وإن شئت مؤوم عليها.

والأئيم [بمعنى الحية] أصله التشديد. يقال: أئيم وأئيم كهيّن وحين.

(ابن فارس ١: ١٦٦)

ابن الأعرابي: الإيام: الدخان، يقال: أم الدخان يشيم إيامًا. (الأزهري ١٥: ٦٢٢)

ابن السكيت: يقال: فلانة أئيم، إن لم يكن لها زوج، بكراً كانت أو ثيبًا. والجمع: أئامى، والأصل «أبائهم» فقلبت. ورجل أئيم: لامرأة له. وقد آست المرأة من زوجها تيم أئيمة وأئيمًا. (إصلاح المطلق: ٣٤٦)

يقال: «ماله أم وعام» أي هلكت امرأته. وكان

القياس أن يقال: أئيم، فجعلت الياء ألفًا. وقد أم يميم أئيمًا.

ومعنى «عام» هلكت ماشيته حتى يميم إلى اللبن. تأيمت المرأة: ونسأيم الرجل زمناً، إذا مكث لا يتزوجان.

أئمت المرأة: مثل أعنتها، فأنا أئيمها، مثل أعيمها. والحرب مأيمت، أي تقتل الرجال وتذع النساء بلا أزواج. (الأزهري ١٥: ٦٢٢)

ابن قتيبة: الأيامي، من الرجال والنساء: هم الذين لأزواج لهم. يقال: رجل أئيم وامرأة أئيم، ورجل أئمت وامرأة أئمت. ورجل يكتر وامرأة يكتر، إذا لم يتزوجا. ورجل ثيب وامرأة ثيب: إذا كانا قد تزوجا.

مثله أبو عبيد. (الأزهري ١٥: ٦٢١)

يقال: «رجل أئيمان وحينان» أيان: هلكت امرأته.

(الأزهري ١٥: ٦٢١)

نحو: المخصاص. (٢: ٢٢٠)

الطبري: الأئيم: التي مات زوجها أو طلقها. ومنه الحديث: «تأيمت حفصة من خنيس».

والبكرا: التي لا زوج لها، أئيم أئيمًا. ومنه الحديث: «تطول أئمة إحدائكن» فهذا في البكر خاصة.

والرجل إذا لم تكن له امرأة أئيم أئيمًا. (الطبري ١: ١١٤)

نحو: الصغاني. (الأضداد: ٢٢٢)

فعلت: أئيمت أئمة الأئمة والأئيم، أي ظاهرة الشرعي والتخلي عن الزوج. (٣٢)

تأيمت المرأة: أي أقامت على الأئيم، لا تتزوج. [تم استشهد به]

(الطبري ١: ١١٥)

ابن دريد: أم الرجل يميم أئمة وإئمة، إذا ماتت

إسراءته. وتأتمت المرأة، إذا لم تتزوج بعد موت زوجها.
والرجل أيمان والمرأة أئمة وأئمة، والنساء أياتى، ورجل
عيمان أيمان.

والأئمة: ضرب من الحيات، ويقال له: أئمة بالتثنية.
أيضا، وهو الأصل. (١: ١٩٠)

أتمت المرأة تيم أئمة، إذا حارت أئمة، وهي التي
قدمت عنها زوجها، فبقيت بغير زوج، وكذلك الرجل
إذا بقي بغير زوجة. (٣: ٢٧٤)

ابن الأنباري: رجل أئمة ورجلان أيمان ورجال
أئمة، ونساء أئمة، وأئمة: بين الأئمة والأئمة.

(الأزهري ١٥: ٦٢٢)

الأزهري: قال أبو عبيدة: الأئمة والأئمة والأئمة
الذكوران من الحيات، وهي التي لا تضع أحدا.

(١٥: ٦٢٦)

الفارسي: «الأياتى» هو مقلوب موضع العين إلى
اللام. (ابن منظور ١٢: ٢٩)

البحراني: الأياتى: الذين لا أزواج لهم من
الرجال والنساء. وأصلها «أياتى» فقلبت، لأن الواحد
رجل أئمة، سواء كان تزوج من قبل أو لم يتزوج.

وامرأة أئمة أيضا، بكسر الكاف أو ثبوتها.
وقد أتمت المرأة من زوجها تيم أئمة وأئمة وأئمة.
وفي الحديث: «أنه كان يتوعد من الأئمة».

وتأتمت المرأة، وتأتم الرجل زمنا، إذا مكث
لا يتزوج. (تم استشهد بشر) (٥: ١٨٦٨)

نحو الزاوي. (٣٦)

ابن فارس: الهمة والياء والميم ثلاثة أصول

متباينة: الذخان، والهيئة، والمرأة لازوج لها.

أما الأول فقال الخليل: الأياتى: الذخان. (تم
استشهد بشر)

وأما الثاني: فالأئمة من الحيات: الأبيض. (تم
استشهد بشر)

والثالث: الأئمة: المرأة لا يتل لها، والرجل لامرأة له.
وقال تعالى: «وَأَتَكُونُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ» النور: ٣٢.
وأتمت المرأة تيم أئمة وأئمة. (تم استشهد بشر)

(١: ١٦٥)

الزهري: وفي الحديث: «الأئمة أحق بنفسها» هذه
التي خاصة.

الحديث: «كان يتوعد من الأئمة والأئمة
والأئمة» فالأئمة: أن تطول العزلة. والأئمة: شدة الشهوة
للجن. يقال: ماله آم وعامة أي طارق لمرأته وذهب لبتة.

(تم استشهد بشر)

وفي الحديث: «أنه أمر بقتل الأئمة والأئمة، والأئمة
الهيئة».

ومنه الحديث الآخر: «أنه أتى على أرض جرز
بجندة مثل الأئمة» وهي الأئمة أيضا، مشددة الياء.

(١: ١١٤)

الطوسي: الأياتى: جمع أئمة. وهي المرأة التي
لا زوج لها، سواء كانت بكرا أو ثيبا. ويقال للرجل
الذي لا زوجة له: أئمة أيضا، ووزن أئمة «فصيل» بمعنى
«فصيل» فجمعت كجمع يقيم ويهيم ويستمى. (تم
استشهد بشر)

ويجوز جمعه: أياتى. ويقال: امرأة أئمة وأئمة إذا لم يكن

لها زوج، [ثم استشهد بشر]

وقال قوم: الأئيم: التي مات زوجها، ومنه قوله ^(١):

«والأئيم أحق بنفسها» يعني الشيب. (٤٣٢: ٧)

نحوه البهري (٥: ٥٩)، والطبرسي (٣: ٤٢٢)،

والصابري (٢: ١٧٦)، والنسفي (٣: ١٤٢).

الزائجة: الأيتام: جمع الأئيم، وهي المرأة التي لا تمل

لها، وقد قيل للرجل الذي لا زوج له؛ وذلك على طريق

التشبيه بالمرأة فيس لا فناء عنه على التحقيق، والمصدر:

الأئمة، وقد أم الرجل وأنت المرأة، وتائيم وتائمت،

وامرأة أئمة ورجل أئيم، والحرب مأئمة، أي يفرق بين

الزوج والزوجة، والأئيم: الميتة. (٣٢)

نحوه مجتمع اللغة.

الميتدي: «الأيتام» عند الكوفيين على قول

«فأنت» مثل يتامى، جمع على المعنى، لأن الأئيم كاليتيم

وعند البصريين «أئيم» فيل، جمع على «أئيم» تطيح

بأسير وأسارى، وقيل: جمع على «أيتام» ثم قدم وأخر

فصار أيتامين، ثم قلبت فصارت أيتامى. (٦: ٥٢٦)

الزفخشري: الأيتامى واليتامى أصلها: أيتام

ويتامى، فقلبا، والأئيم للرجل والمرأة، وقد أم وأنت

وتأيتا، إن لم يتزوجا يكرزن كانا أوتيسين. [ثم استشهد

بشر]

ومن رسول الله ﷺ «اللهم إنا نعوذ بك من الميتة

والنيتة والأئمة والكرم والقرم». (٥: ١٢٣)

نحوه الحازن (٥: ٥٩)، والنيسابوري (١٨: ٩٦)،

وأبو العمود (٤: ٥٦).

ابن بري: أم الرجل من الواو [بعض دخن] يقال:

أم يؤوم، وإليامه الياء فيه منقلة عن الواو.

(ابن منظور ١٢: ٤١)

ابن الأثير: ومنه الحديث: «امرأة آمت من

زوجها ذات منسوب وجمال» أي صارت أئيمًا لا زوج لها.

ومنه كلام علي رضي الله عنه: «مات فئتها وطال

تأئيمها» والاسم من هذه اللفظة الأئمة. (١: ١٨٥)

الغفر الرازي: «الأيتامى» لا يختص بالنساء دون

الرجال، فلعن كان الاسم شاملاً للرجال والنساء، وقد

أضر في الرجال تزويجهم بإذنهم، فوجب استعمال ذلك

الضمير في النساء، وأيضاً فقد أمر النبي ﷺ باستنهار البكر

بقوله: «البكر تستأمر في نفسها وإذنها صابغتها» وذلك أمر

وإن كان في صورة الخبر، ثبت أنه لا يجوز تزويجها إلا

بإئيمها.

والجواب: أننا الأول فهو تخصيص للنس، وهو

يؤول أمر نفسه فلا يجب على الولي تعهد أمره بخلاف

المرأة، فإن احتياجها إلى من يصلح أمرها في التزويج

أظهر، وأيضاً فلفظ «الأيتامى» وإن تناول الرجال

والنساء، فإذا أطلق لم يتناول إلا النساء، وإنما يتناول

الرجال إذا قيد، وأما الثاني، في تخصيص الآية بغير

الواحد كلام مشهور. (٢٣: ٢١١)

الصنعاني: الأئيم: سواء تزوج من قبل أو لم يتزوج.

فيقال: رجل أئيم وامرأة أئيم، [ثم استشهد بشر]

(القيومي ١: ٣٣)

الفيروز ابادي: الأئيم ككيس: من لا زوج لها يكرز

لوثئيمها، ومن لا امرأة له، جمع الأول: أيتام وأيتامى، وقد

أَمْتُ تَيْمٍ أَيْمًا وَأَيُّومًا وَأَيْتَةً وَأَيْتَةً.

وَأَيْتُهُ: تَزْوِجُهَا أَيْمًا.

وَرَجُلٌ أَيْمَانٌ عَيْمَانٌ، فَأَيْمَانٌ إِلَى النِّسَاءِ وَعَيْمَانٌ إِلَى
الزَّهْنِ. وَامْرَأَةٌ أَيْمَى عَيْمَى. وَالْحَرْبُ مَا يَتَّبَعُ لِلنِّسَاءِ.

وَتَأَيَّمُ: مَكَثَ زَمَانًا لَمْ يَتَزَوَّجْ. وَأَيْتَةُ اللَّهِ تَعَالَى تَأَيَّمًا.
وَمَالَهُ أَمٌّ وَعَامٌّ، أَيْ هَلَكَتْ أَمْرَاتُهُ وَمَا بَقِيََتْهُ حَتَّى

يَسْتَيْمَ وَيَسْتَيْمَ.

وَالْأَيْمُ كَكَيْسٍ: الْحُرَّةُ وَالْقَرَابَةُ، نَحْوُ الْبِنْتِ وَالْأَخْتِ
وَالْعَالَةِ.

وَيَجْعَلُ يَجْعَى حُرِّيَّةً.

وَالْحَبَّةُ الْأَبْيَضُ اللَّطِيفُ، أَوْ حَامٌّ كَالْأَيْمِ بِالْكَسْرِ.
جَمْعُهُ: أَيْوَمٌ.

وَالْأَيْتَةُ: الْعَيْبُ وَالنِّقْصُ وَالنِّضَاجَةُ.
وَيُرْوَى أَيْمٌ كَكَيْسٍ: يَلُحُّ.

وَالْمَوْأَيْتَةُ كَمُخَيَّنَةٍ: الْمُؤَيَّرَةُ وَلَا زَوْجَ لَهَا. وَالأَيْمُ كَمُؤَيَّرَةٍ.
كَقَرَابٍ وَكِتَابٍ: مَاءٌ فِي الْإِبِلِ، وَالذُّخَانُ (٤: ٧٩)

الطَّرِيقِيُّ: وَفِي الذُّهَاءِ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ بَوَارِ الْأَيْمِ»
فَقِيلَ، مِثْلُ كَيْسٍ: الْمَرْأَةُ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا. وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ

لَا يَرْغَبُ أَحَدٌ فِي تَزْوِجِهَا. (٦: ١٥)

الْقَاسِمِيُّ: الْأَيْمَى: مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنَ الْأَحْرَارِ
وَالْحَرَارِ، وَمَنْ كَانَ فِيهِ صِلَاحٌ مِنْ غِلْمَانِكَمْ وَجَوَارِيكُمْ.

الْقَذَنَانِيُّ: الْأَيْمُ: وَيُخَطِّفُونَ مِنْ يُطْلَقُ كَلِمَةُ «أَيْم»
عَلَى الْقَتْلَةِ الْبُكَرِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْأَيْمَ أَوَّ الْأَيْمَةِ هِيَ الْغَيْبُ

الَّتِي قَدِّدَتْ زَوْجَهَا، اعْتِمَادًا عَلَى:
١ - قَوْلِهِ ﷺ: «الْأَيْمُ أَحَقُّ بِغُسِّهَا مِنْ وَلَتِهَا، وَالْبُكَرُ

تُسْتَأْذَنُ فِي غُسِّهَا، وَإِنَّهَا صُمَاتُهَا». صَمَّتُهَا.

٢ - وَجَاءَ فِي حِمَاةِ أَبِي تَقَامٍ:

لَا تَتَكَبَّرَنَّ النَّفَرُ، مَا عِشْتَ أَيْمًا

فُجِرَتْ قَدْ سُلَّ مَسْأَلُهَا وَمُلَّتْ

٢ - وَقَالَ مَعْجَمُ «مَقَابِيسِ اللَّفْتَةِ»: الْأَيْمُ: الْمَرْأَةُ

لَا يَتَلَّ لَهَا، وَالزَّجَلُ لِمَرْأَةٍ لَهُ.

١ - وَجَاءَ فِي «الْأَسَاسِ»: أَيْمٌ أَمْرَاتُهُ: جَعَلَهَا أَيْمًا.

[نَمْ اسْتَهْدِ بِشَرِّ]

وَلَكِنْ:

١ - جَاءَ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ وَالْثَلَاثِينَ مِنْ سُورَةِ النُّورِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالْعَالِيَيْنَ مِنْكُمْ﴾
وَجَاءَ فِي «تَفْسِيرِ الْجَلَالِينِ»:

«الْأَيَامَى: جَمْعُ أَيْمٍ، وَهِيَ مَنْ لَيْسَ لَهَا زَوْجٌ، يَكْثُرُ أَكْلَانَتْ أَوْ
يَكْثُرُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ زَوْجٌ. وَهَذَا فِي الْأَحْرَارِ وَالْحَرَارِ.

وَالْمَوْأَيْتَةُ كَمُخَيَّنَةٍ: الْمُؤَيَّرَةُ وَلَا زَوْجَ لَهَا. وَالأَيْمُ كَمُؤَيَّرَةٍ.
كَقَرَابٍ وَكِتَابٍ: مَاءٌ فِي الْإِبِلِ، وَالذُّخَانُ (٤: ٧٩)

الطَّرِيقِيُّ: وَفِي الذُّهَاءِ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ بَوَارِ الْأَيْمِ»
فَقِيلَ، مِثْلُ كَيْسٍ: الْمَرْأَةُ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا. وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ

لَا يَرْغَبُ أَحَدٌ فِي تَزْوِجِهَا. (٦: ١٥)

الْقَاسِمِيُّ: الْأَيْمَى: مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنَ الْأَحْرَارِ
وَالْحَرَارِ، وَمَنْ كَانَ فِيهِ صِلَاحٌ مِنْ غِلْمَانِكَمْ وَجَوَارِيكُمْ.

الْقَذَنَانِيُّ: الْأَيْمُ: وَيُخَطِّفُونَ مِنْ يُطْلَقُ كَلِمَةُ «أَيْم»
عَلَى الْقَتْلَةِ الْبُكَرِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْأَيْمَ أَوَّ الْأَيْمَةِ هِيَ الْغَيْبُ

الَّتِي قَدِّدَتْ زَوْجَهَا، اعْتِمَادًا عَلَى:
١ - قَوْلِهِ ﷺ: «الْأَيْمُ أَحَقُّ بِغُسِّهَا مِنْ وَلَتِهَا، وَالْبُكَرُ

جَمِيلٌ:

﴿أَجِبُّ الْآيَاتِ إِذْ يَبْعَثُ أُيُومٌ﴾

فيدل على أنَّ «الأيُّم» هي البكر التي ما رُوِّجت،

لقوله:

﴿وَأَحْبَبْتُ لِمَا أَنْ غَيَّبْتُ النِّوَانِيَا﴾

٥ - وقال «المعجم الكبير»:

أ - الأيُّم: التزب، رجلاً كان أو امرأة، وقال

الصَّاعِقَانِي: وسواء تزوج من قبل أو لم يتزوج،

ب - الأيُّم: القَيْب، والجمع: أَيُّيم على الأصل،

وآيأتى.

٦ - وأضاف «المعجم الوسيط»: وهي أئمة أيضاً.

لذا أطلق كلمة الأيُّم على:

أ - الرجل التزب، سواء تزوج من قبل أم لم يتزوج،

ب - البكر والقَيْب، (٤٥)

الطَّنْطَاوِي: أي دَوَّجسوا من الرجال والنساء

والأخوات والبنين، والإخوان.

المَرَاهِي: أي دَوَّجوا من لأزواج له من الأحرار

والحرائر، أي من الرجال والنساء. والمراد بذلك مد يد

المُساعدة بكل الوسائل حتى يتسنى لهم ذلك، كما سادهم

بالمال، وتسهيل الوسائل التي بها يتم ذلك الزواج

والمصاهرة. (١٨: ١٠٣)

عِزَّة دُرُوزَة: الآيأتى: غير المتزوجين، وتشمل

الكلمة الذكور والأنثى والأبكار والنسبات. (١٠: ٤٩)

المُضْطَفَّوِي: أنَّ الأصل الواحد فيها هو:

الاضطراب والتقلب، وباعتبار هذا المعنى يطلق على

الحية لتعلملها، وعلى الدخان لتطويه، وعلى التزب إذا

كان مضطرباً ومتقلباً من القايُّم. فالأيُّم هو الرجل أو المرأة

بلازواج لا مطلقاً، بل بقيد الاضطراب والتشوش.

وباعتبار هذا القيد قد أمر الله تعالى بالإتيان لرفع

اضطرابهم وإصلاح حالهم وتمكينهم ليصيروا مطمئنين

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ

وَإِذَا نَكَحْتُمُ﴾ التور: ٣٢.

ومن هذا الأصل: إطلاق الواوِي على العطشان إذا

ضج. (١: ١٨٢)

الأصول اللغوية

١ - لهذه المادة أصلان، الأول: المزوجة، ومنه الأيُّم أو

الأيُّم، وهي المرأة التي لأزواج لها سواء أكانت بكراً أم

تثبناً، والرجل الذي لأزوجة له، يقال: أمت المرأة تميم

أبناً وأئمة وأئمة وأئمة، إذا لم تتزوج لومات زوجها،

وكذلك الرجل. ويقال أيضاً: تأيمت المرأة تتأيم تأيماً، إذا

لم تتزوج بعد موت زوجها، وكذا الرجل.

والأصل الثاني: الأيُّم أو الأيُّم أيضاً، وهو زوج أبيض

من الحيات، وجمعه: أيُّوم. أمّا الإيام - أي الدخان - فلا

تدله من هذا الباب، لأن ياءه منقلبة عن الواو كياء إياب،

وفله أم أيُّوم إياماً، مثل ناح ينوح نياحاً، إلا أن بعض

اللغويين - كما تقدم في النصوص - تلقى بين «أيُّم»

و«أوم»، ولا يبعد وحدتهما في الاشتقاق الأكبر، أو قلب

الياء واو.

٢ - وأمّا إرجاع المعاني كلها إلى أصل واحد، وهو

الاضطراب والتقلب، لا اشتراكها فيه - كما فعل

المُضْطَفَّوِي - فبعد، لعدم استعمال لفظ من هذه المادة

بمعنى الاضطراب، نعم، لو قيل: إنَّ الأصل فيهما هو من

والأيم: فقد الزوج. وأتم: ساس. ويتم: صار يثيباً. أما
اللفظ ظاهر. وأما المعنى فإن الجمع يحمل معنى التصد
والحاجة، فالإمام: من يقصده للمأموم ويأتي به ويحتاج
إليه، والأيم: من لا زوج له، فيحتاج إلى زوج فيطلبه
ويقصده. والآيم: الثالث - كالفائد، والإمام - يوس
لناس، فيحتاجون إليه ويقصدونه.

الاستعمال القرآني

١ - إن كلمة «أَيامِي» بوزنها الجميل هنا فريدة في
القرآن، فصبتها توحى باليتم والمطش والخيرة، فهي
مثل: يتامى وعطاش وحيارى، ولو جمعت «أَيَم» على
الآيم: أيام أو أيام - كما قيل - لكان وقعه ثقيلاً عليل
الآيم: أيام - على فرض صحة قلبه - أجمل في الوزن، وأبلغ

٢ - وقد أمر الله الأولياء بأن يُزوّجوا الأيامي من
الأحرار والمسلمين من الإماء والعبيد، بمن يتوفر فيهم
الصّلاح والقابلية لتشكيل الأسرة وإدارتها ورعايتها،
ورغبة منهم في الزواج بطبيعة الحال، سواء أظهروا هذه
الرغبة أم أبطنوها حياة منهم.

٣ - وجاء الأيامي مقدّماً على الإماء والعبيد في
الآية، وهذا لا يعني تفضيل الأحرار على العبيد، بل أن
الأحرار والأحرار أكثر رغبة في الزواج، لما يناسب حالهم
في المجتمع، وقد رتبهم على الإصاح عن رغبتهم، بخلاف
الإماء والعبيد.

أو أنهم أحقّ بالله لأنهم يشتركون في قتال

لا زوج له، بدليل كثرة المشتقات منه، ثم نُقل منه إلى نوع
من الحيات، وحرّ المطش في الجوف، والنّخان - لو
أنكرنا: أن (إمام) بمعنى النّخان أصله «أوام» شبه بينه
وبين «الأيم» في الثقل والاضطراب - لم يكن بعيداً عن
الضوابط.

٢ - وأطلق لفظ «الأيم» على الرجل والمرأة، كما
أطلق لفظ «جرم» على كلّ منها. وقيل: أصله للمرأة،
واستعمل للرجل على التشبيه، ثم فرّقوا بينهما في الإفراد،
فقالوا: امرأة أيمّة ورجل أيم، ووحدوا في الجمع، فقالوا:
أيامي، لكليهما، إلا أن آيات جمع أيمّة، وآيمون جمع أيم
وأما «أيامي» فمختلف فيه، فقيل: هو جمع أيم
ووزنه «كعالم» كأيامي، وجاء على هذا الوزن شذوذاً، أو
تشبيهاً بأسير وأسارى.

وقيل: هو مطلوب أيام، جمع أيم، ثم حلت عين
الكلمة - أي الياء الثانية - محلّ لامها، وهو الميم، فصار
«أيامي» ثم قلبت الياء ألفاً، وأبدلت الكسرة فتحة،
فصار أيامي.

وقيل: أصله «أيانهم» جمع أيم، ثم قدّم الميم على
الحركة فصار «أيامي» ثم شذّلت الحركة فقلت ياء، ومن
ثم أبدلت الياء بالألف فصار أيامي.

ويلاحظ أن هذه الأقوال فيها تحلّ وتكلف، علاوة
على مخالفتها للقياس. وما نرى «أيامي» إلا جمعاً للفظي
«أيسى» و«أيان»، مثل ثكلى وثكالى، وعطشان
وعطاشى، وجمع أيم: أيام، على القياس، مثل بيدر
وبيادر.

٤ - وهناك تجانس لفظي ومعنوي بين أمّ قصده،

الأعداء، فهم أولى بالرعاية دون الإمام والعبيد. أولادهم أقرباء من أسرة واحدة، فهم أولى بالرعاية من الغرباء. فهل يتوقع ممن لا يهتم بتزويج أبنائه وأقربائه أن يهتم بتزويج عبيده وإمائهم؟ والذي يلفت النظر هنا هو أنه تعالى اهتم بأمر تزويج المَرْب ولو كان مملوكًا.

على أن تزويج الأيامي ربما لا يشترط فيه العلاج فهو أسهل، دون العبيد والإماء، فقدم الأسهل على غيره.

١- وكما جاءت كلمة (الأيامي) على أنسب ما يكون في الآية فقد جاءت كذلك على أنسب ما يكون بين مجموعة الآيات (٢٠-٢٤) من سورة التور بل من أول

السورة، حيث بدأت السورة بهذا الزنى والمقذف واللعان، ثم طرحت حديث الإفك بما فيه إطراره وبلاغه، وبينت زواج الخبيثين والخبيثات، وحكم دخول البيوت، والنظر إلى غير المحارم، ثم الأمر بتزويج الأيامي والإماء والعبيد وباستغاف الذين لا يحدون نكاحًا، ثم النهي عن إكراه الفتيات على البغاء، فالأسلوب القرآني يشرح تلك، ويبين أسبابه وعمله ومواطنه، ثم يعطي العلاج الناجع، ويعالج مشكلة الجنس من شقّي جهاتها. هـ - ولا يخفى أن هناك إيمانًا في التجانس في الجمع بين «الأيامي» و«الإماء» في جملة واحدة.

المعجم في فقه لغة القرآن

أَيْنَ

٣ ألفاظ، ١٩ مرة: ١٢ مكيّة، ٧ مدنيّة
في ١٦ سورة: ١٠ مكيّة، ٦ مدنيّة

أَيْنَ ٧: ٧ أَيْنَ مَا ٨: ٤-٤ أَيْنَا ٤: ١-٣ يُصَرَّفُ الْأَيْنُ (الزبيدي ٩: ١٢٢)

الْمُضَيَّاتُ: هي مؤنثة وإن شئت ذكرت، وكذلك كل ما جعله الكتاب اسماً من الأدوات والصفات، التانيث
سواء أعرّف والتذكير جائز.

النصوص اللغوية

فأما قول حميد بن ثور الهذلي:
واسماء مألهاً لَيْلَةً أَدْلَجَتْ

إِلَى: وأصحابي بَأَيْنَ وَأَيْنَا
فإنه جعل «أَيْنَ» حَلّاً للفتحة، مجرداً من معنى
الاستفهام، فنحذف الضمير للتعريف والتأنيث كـ«أَيُّ»
فتكون الفتحة في آخر «أَيْنَ» على هذا فتحة الجزر،
وإعراباً مثلها في: مررتُ بأحمد، وتكون «ما» على هذا
زائدة، و«أَيْنَ» وحدها هي الاسم، فهذا وجه.

ويبرز أن يكون رُكْب «أَيْنَ» مع «ما»، فلتأ فعل
ذلك فتح الأول منها كفتحة لِيَاء من «حَسْبُكَ» لا ضَمَّ
«حَيَّ» إلى «عَلَّ» والفتحة في التثنية على هذا حادثة

الغليل، أَيْنَ: وقت من الأمكنة. قوله أَيْنَ فُلَانٌ:
فيكون مُتَّصِلاً في الحالات كلها.

وأما «الأَيْن» من الإحياء فإنه يُصَرَّف، وهو يجري
مجرى الكلام في كل شيء، والعرب لا تشق منه فعلاً إلا
في الشعر، فقالوا: أَن يَتَيْنَ أَيْنَا. (٨: ٤٠٤)
منه التثنية: (الأزهرى ١٥: ٥٥٠)
أبو عُبَيْدَةَ: [أَيْنَ] لا ضلَّ له. (الزبيدي ٩: ١٢٢)
أبو زَيْد لا يثنى منه فعلاً، وقد خولف فيه.
وَأَنَّ لك أن تعمل كذا يَتَيْنَ أَيْنَا.

(الجريري ٥: ٢٠٧٦)
الأصمعي: يقال للحية: أَيْمٌ وَأَيْنٌ. [ثم] لستشهد
بشعراً (الكثير اللغوي: ١٧)

للتركيب وليست بالتي كانت في «أَيْنَ»، وهي استفهام لأن حركة التركيب خلقتُها ونابت عنها. وإذا كانت فتحة التركيب تؤثر في حركة الإعراب فتزيلها إليها. نحو قولك: هذه خمسة، فتقرب، ثم تقول: هذه خمسة عشر، فتخلّف فتحة التركيب فتحة الإعراب على قوة حركة الإعراب، كان ليدل حركة البناء من حركة البناء أخرى بالمجواز وأقرب في القياس. (ابن منظور ١٣: ٤٤)

الأَيْنُ: الرّجل والمِخْل. (الزّبيدي ٩: ١٣٣)

ابن الأعرابي: أَيْنَ يَتَيْنُ أَيُّنًا، من الإعياء. [ثم استشهد بـ]

ابن السكيت: الأَيْنُ والأَيْنُ الذّكر من الحيّات. (الأزهري ١٥: ٥٥٠)

الصّبْرُ: تقول العرب: جئتُك من أَيْنَ لا تخطبُ في جواب من لم يفهم فاستفهم، كما يقول قائل: أَيْنَ المذهب والمذهب؟ (الأزهري ١٥: ٥٥٠)

قال قوم: أَيْنَ يَتَيْنُ أَيُّنًا، المزة مقلوبة فيه عن الماء، وأصله: حَانَ يَحِينُ حِينًا، وأصل الكلمة من الحين. (الزّاجي: ٣٢)

الزّجاج: «أَيْنَ»، و«كَيْفَ» حرفان يُستفهم بهما، وكان حَقُّها موقولين فعركا لاجتماع الساكنين، ونُصبها ولم يُخفّض من أجل الياء، لأنّ الكسرة مع الياء تنقل، والفتحة أخفّ. (الأزهري ١٥: ٥٥٠)

ابن قُرَيْب: إِنَّا قُلْنَا من الأَيْنِ، وهو القصد [ثم استشهد بـ]

وَأَن يَتَيْنَ أَيُّنًا، إِذَا أَعْيَا، وَابْتِ يَافِلَانِ، أَيِ أَصِيَتْ. [ثم استشهد بـ]

ويقال: أَيْنَ لَكَ أَنْ تَقْعَلَ كَذَا وَكَذَا، وَأَيْنَ لَكَ، أَيِ حَانَ لَكَ. (١٩١: ١)

الصّاحِبُ: «أَيْنَ» وقت من الأمكنة. والأَيْنُ: الإعياء والكلال، ولا يشتق منه فِعْلٌ. وقيل: أَيْنَ يَتَيْنُ أَيُّنًا.

والأَيْنُ: الحية. (١٠: ٤٢٣)

ابن جني: باب في الأصلين، يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير، وإن قصّر أحدهما عن تصرّف صاحبه كان أوسعهما تصرّفًا أصلًا لصاحبه، وذلك كقولهم: أَيْنَ الشّيء يَأْتِي، وَأَن يَتَيْنَ، فهـ «أَن» مقلوب عن «أَي» لوجود مصدر: أَيْنَ يَأْتِي وهو الإناء، ولا تجدد له «أَن» مصدرًا، كلاهما الأصلين.

فأما «الأَيْنُ» فليس من هذا في شيء، إنما الأَيْنُ: الإعياء والتعب، فلما تقدّم «أَن» المصدر الذي هو أصل المصدر، لم يبق له مصدر، فقلوب من أَيْنَ يَأْتِي إناء، غير أن أبا زيد رحمه الله حكى له «أَن» مصدرًا وهو «الأَيْنُ»، فإن كان الأمر كذلك فما إذا تساويان، وليس أحدهما أصلًا لصاحبه. (الزّبيدي ٩: ١٣٣)

الجوهري: أَيْنَ: سؤال عن مكان، إذا قلت: أَيْنَ زيد؟ فأما تسأل عن مكانه. (٥: ٢٠٧٦)

منه الطّريحي: (٦: ٢١٢)

ابن فارس: المزة والياء والثنون يدلّ على الإعياء، وتقرب الشيء.

أما الأوّل فالأَيْنُ: الإعياء. ويقال: لا يَتَيْنُ منه فِعْلٌ. وقد قالوا: أَيْنَ يَتَيْنُ أَيُّنًا.

وأما القرب فقالوا: آه لَكَ يَتَيْنُ أَيُّنًا.

منزله أي أنا حان وقرب؟ تقول منه: **أَنْ يَنْبِنَ أَيُّهَا**، وهو مثل **أَنْ يَأْتِي أَتَى**، مقلوب منه. (١٧: ١٨٧)

ابن منظور: **أَنْ الشَّيْءُ أَيُّهَا حَانَ**، لغة في «**أَتَى**» وليس بمقلوب منه، لوجود المصدر، [ثم استشهد بشعر] وقالوا: **أَنْ أَهْنَكَ وَلَيْسَكَ وَأَنْ أَتَكَ**، أي حان حينك، وأين: سؤال عن مكان، وهي مُغْنِيَةٌ عن الكلام الكثير والتطويل، وذلك أنك إذا قلت: **أَيْنَ يَسُوكَ؟ أَغْنَاكَ** ذلك عن ذكر الأماكن كلها، وهو اسم لآئك تقول: من أين. (١٣: ١٠ - ١٤)

المفرد أبوادي، **الأَيْنُ**: الإحياء، والحيّة، والزجل، والميل، والحين ومصدر **أَنْ يَنْبِنَ**، أي حان، وأن **أَيْسَكَ**، **وَأَيْنَ** سؤال عن مكان. (٤: ٢٠٦)

الزبيدي: قال البكري رحمه الله تعالى، في «شرح القاموس» قال: **أَنْ أَتَى**، حان، وأن أصله الواو ولكنه من باب «يُغِيل» كقول يولي وجاء المصدر بالياء يُطَرِد على نفسه، قال شيخنا رحمه الله تعالى: قوله: كقول يولي ودعوى كونه واوياً، فيه نظر ظاهر، ومخالفة للقياس. (٩: ١٣٣)

المصطفوي، الظاهر أن الأصل الواحد في هذه المادة هو **القرب** بعد اتسب والكل والعجز، فمضى «الإحياء» محفوظ في ضمن **القرب**، يقال: **أَنْ** له الأمر، أي قرب الأمر واختتم زمان الشعب وانتهى الكل والعجز. وإطلاقها على معنى «الإحياء» باعتبار انتقائه وقرب النجاة.

وهذه الخصوصية مظهرة في جميع مشتقات هذه

ولما الحية التي تُدعى **الأَيْنُ** فذلك ليدال، والأصل للميم. [ثم استشهد بشعر] (١: ١٦٧)

التهزوي، في الحديث: «**أَنَّهُ** أمر بقتل الأئمة الأئمة، **والأَيْنُ**، الحية». (١: ١١٥)

ابن سيدة، **الأَيْنُ**، الإحياء، **أَنْ يَنْبِنَ أَيُّهَا**، أي ويب. وأنت: أغنيته.

وقيل: ليس له فعل. (الإصاح ٢: ٢٦٩)

الأَيْنُ، الجان. (الإصاح ٢: ٨٥٠)

الزواجب: «**أَيْنَ**» تظن يُبحث به عن المكان، كما أن «**مَتَى**» يُبحث به عن الزمان.

والأَيْنُ، الإحياء، يقال: **أَنْ يَنْبِنَ أَيُّهَا**، وكذلك **أَنْ يَأْتِي أَيُّهَا**، إذا حان. (٣٢)

الزنجشيري، **أَنْ** وقتك، بمعنى حان، ولما **أَنْ** لك لم تعمل!

وتجفت الإبل على **الأَيْن**، أي على الإحياء. وتقول: **أَيْنَ** منها **الأَيْنُ**؟ [ثم استشهد بشعر]

ومن أين لك هذا؟ (أساس البلاغة: ١٣)

الشهيداني، «**أَنْ**» مقلوب من «**أَتَى**» مستنداً بقوله: **آتَاءَ التَّوَلَّ**، واحد: **أَتَى** و**أَتَى**، **آتَاءَ** قول في كل هذا وفيها صرف منه. (الزبيدي ٩: ١٣٣)

ابن الأثير: في حديث خطبة العيد: «قال أبو سعيد: فقلت: أين الاجتماع بالصلاة؟ أي أين تذهب؟ ثم قال: «الاجتماع بالصلاة قبل الخطبة». وفي رواية: «أين الاجتماع بالصلاة؟ أي أين تذهب؟ ألا تبدأ بالصلاة؟»، والأول أقوى.

وفي حديث أبي ذر: «لما أن للرجل أن يعرف

للإدانة، مع اعتبار خصوصيات آخر في كل صيغة بحسب لفظها. ولنلاحظ هذه الخصوصية تناز هذه المادة عن مادة: أَوْن، أُنَى، قَرِب، تَجِب. (١٨٣: ١)

للسؤال، ويحتمل أن يكون معناه أين هس الشركاء؟ ويحتمل أن يكون المراد أين شفاعتهم لكم وانشاعكم بهم؟

وعلى كلا الوجهين لا يكون الكلام إلا توبيخاً وتقريراً وتقريراً في قوسهم، أن الذي كانوا يظنونهم مأبوس عند، وصار ذلك تبييناً لهم في دار الدنيا، على فساد هذه الطريقة. (١٨١: ١٢)

القرطبي: سؤال إضاح لإضاح. (٤٠١: ٦) أبو عتيان: سؤال توبيخ وتقرير، وظاهر مدلول ﴿أَيْنَ شُرَكَائِكُمْ﴾ غيبة الشركاء عنهم، أي تلك الأصنام قد اضمحلت فلا وجود لها. (٩٤: ٤)

أبو السعود: هذا السؤال المنفي من غيبة الشركاء مع عموم المشركين، لقوله تعالى: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ نَسُوا مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ من دون الوفاء

أبو السعود: ٢٢، ٢٣، وغير ذلك من النصوص إنما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبيين، وتنقطع ما بينهم من الأسباب والملاقي، حسباً يحكيه قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا بَيْنَهُمْ﴾ يونس: ٢٨، ونحو ذلك من الآيات الكريمة، إنما يعدم حضورها حيث لا في الحقيقة، بإبعادها من ذلك الموقف، وإنما بتزليل عدم حضورها بعنوان الشراكة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة؛ إذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها، بل إنما هو من حيث إنها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول.

ولارب في أن عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف، فهي من حيث هي شركاء غائبة لاحالة، وإن كانت حاضرة من حيث ذواتها أصلاً

التخصص التفسيري

أَيْنَ

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَبِيحًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. الأنعام: ٢٢ الطوسي: إنما يقول هذا توبيخاً لهم وتبكيتاً على ما كانوا يدعون أنهم يبدونه من الأصنام والأوثان، ويعتقدون أنها شركاء لهم وأنها تشفع لهم يوم القيامة، فإذا لم يبدوا لما كانوا يدعونه صحة، ولم يظنوا بحدوث الأوثان، ولا بعبادتهم، فيعلمون أنهم كانوا كاذبين في أقوالهم.

الطبرسي: اختلف في وجه هذا السؤال، قيل للمشركين إذا رأوا تجاوز الله تعالى عن أهل التوحيد، قال بعضهم لبعض: إذا سئلتهم فقولوا: إنما سؤحدون، فلقا جميعهم الله قال لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ﴾ ليظنوا أن الله يعرف أنهم أشركوا به في دار الدنيا وأنه لا ينضمهم الكهان، من ثقاته.

وقيل: إن المشركين كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله فتبيل لهم يوم القيامة، أين شركائكم الذين كنتم تزعمون إنما تشفع لكم، توبيخاً لهم وتبكيتاً على ما كانوا يدعونه، عن أكثر المفسرين، وإنما أضاف الشركاء إليهم، لأنهم اتخذوها لأنفسهم. (٢٨٣: ٢) الفخر الرازي: المتصور منه التبريع والتبكيوت

كانت أو غيرها.

ولما ما يقال: من أنه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجا فيها فبروا مكان خزيهم وحسرتهم، فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وهدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد. وقد عرفت أنهم شاهدوها قبل ذلك، وانصرفت عروة أطماعهم عنها بالكليّة، على أنها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ، وإنما الذي يحصل يوم العشر، الانكشاف الجليّ واليقين القويّ المترتب على المعاينة والمعاودة. (٨٩: ٢)

الألوسي: [بعد نقل قول أبي الشعثاء قال:]

وتعقبه مولانا الشهاب بأنه تغيل لأصل له. لأنّ التوبيخ مراد في الوجه كلّها. ولا يصوّر حيث إنّ التوبيخ إلا بعد تحقق خلافه، مع أن كون هذا واقعاً بعد التبرّي في موقف آخر ليس في التقم ما يدلّ عليه. ومثله لا يجوز به من غير نقل لاحتمال أن يكون هذا في موقف التبرّي، والإشعار المذكور لا يتأتّى مع أنه توبيخ.

وأما العلّوة التي ذيل بها كلامه غارقة عليه أيضاً مع أنها غير مسلمة، لأنّ عذاب البرزخ لا يقتضي أن يشفع لهم بعد ذلك، فكيف من مُدبّ في قبره يُشفع له. (١٢٢: ٧)

أَيْتَمَّا

وَالْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْتَمَّا تُولُوا فَمَ وَجْهَ
لَهُ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
الطبري: معناه حيثما. (٥٠٥: ١)

الطوسي: قوله: ﴿فَأَيْتَمَّا تُولُوا﴾ جزم بـ(أَيْتَمَّا)، والجواب ﴿فَمَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ و(ثم) موضعه نصب، لكنّه يُني على الفتح. وقوله: (أَيْتَمَّا) تُكْتَبُ موصولة في أربعة مواضع، ليس في القرآن غيرها، هذه واحدة، وفي التحل: ٧٦: ﴿أَيْتَمَّا يُوْجَّهُوا...﴾ وفي الأحزاب: ٦١: ﴿تَكُونُونَ أَيْنَ مَا تُقْبَلُونَ...﴾ وفي الشعراء: ٩٢: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُقْبَلُونَ﴾ ومن الناس من يجعل معها التي في النساء: ٧٨: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَذَرِكُمْ الْخَوْثُ...﴾ وكسّها على القياس إلا التي في الشعراء، فإنّ قياسها أن تُكسب مفعولة، لأنّ (تأ) اسم موصول بما بعده، بمعنى الذي.

(٤٢٦: ١)

الطبري: في أي مكان فعلتم التولية.

(٣٠٧: ١)

(٢١٠: ١)

مثله البرزخوني.

القبلة، وقرأ الحسن (يُولُوا) على النية ﴿فَمَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي هنالك جهته سبحانه التي أمرتم بها، فإذا كان التولية لا يختص بمسجد دون مسجد ولا مكان دون آخر، (فَأَيْتَمَّا) ظرف لازم الظرفيّة معضّن لـ(مضى الشرط، وليس مفعولاً. [إلى أن قال:]

وجوز أن تكون (أَيْتَمَّا) مفعول (تُولُوا) بمعنى الجهة. فقد شاع في الاستعمال (أَيْتَمَّا) توجهوا بمعنى أي جهة توجهوا بناء على ما روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن الآية نزلت في صلاة المسافرين، وانتطرق على الراحلة. وعلى ما روي عن جابر: أنها نزلت في قوم عصيت عليهم القبلة في غزوة كنت فيها معهم، فصلوا إلى

الجنوب والشمال، فلتقا أصبحوا تبين خطؤهم.

ويحتمل على هاتين الروايتين أن تكون (أَيْشًا) كما في الوجه الأول أيضًا، ويكون المعنى في أي مكان فعلتم أي تولية، لأن حذف المفعول به يفيد العموم، واقتصر عليه بعضهم مدعى أن ما تقدم لم يقل به أحد من أهل العربية.

ومن الناس من قال: الآية توطئة لنسخ القبلة، وتكره للممبوء أن يكون في حيز وجهة، وإلا لكانت أحق بالاستقبال، وهي محمولة على العموم غير مختصة بعالم السفر أو حال التحري. والمراد بـ(أَيْشًا) أي جهة، وبه الوجه «الذات».

وجه الارتباط حيث لا بد لنا جري ذكر المسجد سابقًا لورد بعدها تقريبًا حكم القبلة على سبيل الاعتراض، وادعى بعضهم أن هذا أصح الأقوال، وفيه تأمل.

الأصول اللغوية

١- «أَيْنَ» ظرف مكان يفيد الشرط والاستعظام، يقال من الأول: أين تجلس أجلس، وأينما تذهب أذهب. ومن الثاني يقال: أين فلان؟ ومن أين أتيت؟

٢- وأصل المادة كما يظهر من مشتقاتها -تشرع للإعفاء من العي، وهو الجهل الذي تصب به الإنسان وعجز عن رفعه، فلماذا يسأل بدأين؟ عن المكان المسمى المجهول تبعًا وعجزًا عن العلم به. وليس الأصل فيها القرب بعد التصب كما قيل، بل الجهل الذي يرجى ويقرّب رفعه، وإطلاقه على كل من هذه المعاني في اللغة للتداعي

بيها، وليس شيء منها أصلًا يرأسه سوى الإعياء.

٣- وقد يعبر به «أين» كناية عن أمر سوى المكان المجهول، فيقال: أين قولي من قولك؟ فرقًا بين القولين، وإن بينهما يؤن بهمه لا يعلم مداه.

٤- وبين «أَيْنَ» و«أَنَّى» تقارب في الاستعمال والمعنى وتشابه في اللفظ، فكلاهما يستعمل في الشرط والاستعظام، وتضمن «أَنَّى» معنى «من أين»، [لاحظ أدو]

الاستعمال القرآني

استعملت (أَيْنَ) في القرآن بكلا المعنيين: الشرط

والاستعظام.

١- الاستعظام: وردت عشر آيات في هذا المعنى: ثلاث مرات مع (ما) وسبع بدونها، سؤالًا عامًا يلي: ١- الشركاء: ﴿أَتَمَنُّ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ

تَرْعَوْنَ﴾ الأنعام: ٢٢

﴿أَتَيْنُّ شُرَكَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾

النحل: ٢٧

﴿أَتَيْنُّ شُرَكَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعَوْنَ﴾

القصص: ٦٢، ٧٤

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ فصلت: ٤٧

﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

الأعراف: ٣٧

﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُقْبِدُونَ﴾ الشعراء: ٩٢

﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ المؤمن: ٧٣

ب- المسلا: ﴿يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ

السَّمْعُ

القِيَمَةُ: ١٠

ج - العَذْلَان: ﴿خُبِرْتُ عَنْهُمْ الدَّلَّةُ أَيْنَ

مَاتُوا﴾

آل عمران: ١١٢

﴿أَيْنَ مَاتُوا أُبْغِدُوا وَلَسْتُ أَتَقَبِّلُ﴾

الأحزاب: ٦١

د - الدَّهْقُ: ﴿أَيْنَ مَاتَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾

النساء: ٧٨

هـ - التَّسْهِاون: ﴿أَيْنَمَا يُوجِبُهُ لَآيَاتِ

بُخَيْرٍ﴾

التعل: ٧٦

و - البركة: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾

مريم: ٣١

ز - الإحاطة: ﴿وَهُوَ عَنْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

الحديد: ٤

﴿وَأَذْنِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ ضَعُفُهُمْ أَيْنَ

المجادلة: ٧

مَاتُوا﴾

يلاحظ أولاً: أن الشرط في الآيات أعلاه مقرون

بالجواب، إلا في بعض الآيات، فالجواب فيها مقدر، يلهم

متابعه. فمعنى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أين

ما كنت جعلني مباركاً، وكذلك في قوله: ﴿خُبِرْتُ عَنْهُمْ

الدَّلَّةُ﴾ وغيره.

ولتأمل أن يقول: (أَيْنَ) في هذه الآيات عارية عن

معنى الشرط، فليست سوى ظرف مكان، وعليه يسوغ

لنا أن نقول: (أَيْنَ) جاءت في القرآن على ثلاثة معاني:

استفهام، وشرط، وظرف مكان.

ثانياً: جاء الشرط في خصوص الدنيا دون الآخرة

دوماً، كقوله تعالى: ﴿خُبِرْتُ عَنْهُمْ الدَّلَّةُ أَيْنَ مَاتُوا﴾،

ومدحاً كقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾

ج - المسلك: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ التكوين: ٢٦

يلاحظ أولاً: أن جميع هذه الآيات تخص يوم

القيامة، ولما قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾، فهو يخص

ساعة قيامها، إذ هو جواب الشرط للآيات المستقدمة:

﴿إِنَّا السَّمْسُ كُوزٌ ۖ وَإِذَا السَّجُودُ انْكَذَرَتْ...﴾

التكوين: ١، ٢، وجواب (أَيْنَ) مقدر، وتقديره: نذهب

إلى الله.

ثانياً: أن هذه الآيات مكية، فقد نزلت في فترة

حرجة، كان الصراع فيها محتدماً بين المسلمين وعتاة

قريش المشركين، ولذا كانت تدور حول سؤال

المشركين من الشركاء الذين كانوا يمجدون الأصنام

ويَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ، وكما هو معلوم أن رفض الشرك كان

أهم مقاصد النبوة في مكة.

وقوله: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَسْمَرُ﴾

و﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ يحتمل كل الناس، باعتبار أن كل

نفس يومئذٍ تطلب النجاة والخلص، وهذا لا يخص

المشركين والكافرين لحسب، بل يعم الناس جميعاً.

ثالثاً: أن (ما) وردت مع الدعوة دون الله وعبادة

سواه والإشراك فيه، تعبيراً وكناية عن الأصنام.

٢- الشرط: وردت سبع آيات في هذا المعنى مقرونة

بـ (ما)، في الأمور الآتية:

أ- التوجه: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ﴾

البقرة: ١١٥

ب - الإحضار: ﴿أَيْنَ مَاتَكُونُوا يَلْبَسْ بِكُمْ اللَّهُ﴾

البقرة: ١٤٨

بـ (ما)، في الأمور الآتية:

وهذا فرق بين في الاستعمال بين (أَيْنَ) الاستفهامية و(أَيْنَ) الشرطية في القرآن.

ثالثاً: (ما) مع (أَيْنَ) في هذه الآيات التسع كلمة واحدة، وهي الشرط، وهي تزيد الإيهام والعمق الموجود في (أَيْنَ)، فليست هي موصولة. وهذا بخلاف (ما) في ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ في الآيات الثلاث المنقذة، فهي موصولة

كفي بها من الأصنام تحقيراً لها، وتكتب منفصلة عن (أَيْنَ)، وينبغي أن تكون متصلة في الشرط دائماً، ولكنها في القرآن قد تفصل وقد تتصل، كما يلاحظ ذلك في الآيات المنقذة، بحسب الرسم القرآني الخاص للسياق دون القياس.



أي

١١ لفظاً، ٢٨٢ مرة، ٢٨٢ مكيّة، ١٠٠ مدنيّة

في ٥٨ سورة: ٤٢ مكيّة، ١٦ مدنيّة

آية ٨٢: ٦٥-١٨	آياته ٣٧: ٢٤-١٣	تُحْمَلَةُ لَقَطَتْ: آية مائة قد أُتيت، فاعلم إن شاء الله.
الآية ١: ١	آياتها ١: ١	(٤٤١: ٨)
آيتك ٢: ١-١	آياتك ٣: ١-٢	خرج القوم بأيّهم: أي بجماعتهم.
آيتين ١: ١	آياتي ١٤: ١٢-٢	(ابن فارس ١: ١٦٨)
آيات ١١٥: ٧٤-٤١	آياتنا ٩٢: ٨٠-١٢	الكسائي: أصل آية، آيئة على وزن «فاعلة»
الآيات ٣٣: ٢١-١٢		حذفت الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام
		مالزم في دابة.
		(ابن عطية ١: ٥٧)

النصوص اللغوية

الخليل: الآية: العلامة، والآية: من آيات الله	يُؤَيِّدُ: موضع العين من الآية «واو» لأنّ ما كان
والجميع: الآي، وتقديرها «فَمَلَّة».	موضع العين منه واو واللام ياء أكثر مقاً موضع العين
إنّ الألف التي في وسط الآية من القرآن، والآيات:	واللام منه ياءان، مثل «شَوَيْتُ» أكثر من باب
العلامات، هي في الأصل: ياء، وكذلك ما جاء من بناتها	«حَبَيْتُهُ»، وتكون النسبة إليه أُوَيِّي.
على بناتها، نحو: الغاية والزاية، وأشياء ذلك.	(الجنّوري ٦: ٢٢٧٥)
فلو تكلفت اشتقاقها من «الآية» على قياس علامة	هي «فَمَلَّة» وأصلها: آيئة، ثمّ أبدلوا من الياء
	التاكة فتحاً.
	(القيسي ١: ٤٢٠)
	أبو عمرو الشيباني: خرج القوم بأيّهم أي

بجماعتهم، لم يَدْعُوا وادراءهم شيئاً. ومعنى آية من كتاب الله، أي جماعة حروف، [ثم استشهد بشعر]

(إصلاح المنطق: ٣٠٤)

الفرأء: هي [الآية] من الفعل «فاعلة»، وأما ذهب منه اللام، ولوجاءت تامة لجاءت «أيتة» ولكنها خفت.

(الجوهري ٦: ٢٢٧٥)

أصلها: آية، على وزن «فَعْلَة» بسكون العين، أبدلت الياء الساكنة ألفاً استقلالاً للتضخيم، (ابن عطية ١: ٥٧)

أبو عبيدة: الآية: العلامة، وجمع آية: آي وآيات. والآية في القرآن العزيز كأنها علامة شيء، ثم يخرج منها

إلى غيرها. (ابن دُرَيْد ١: ١٩٢)

الأصمعي: آية الرجل، شخصه.

(ابن فارس ١: ١٦٨)

ابن الأعرابي: تأيئت الأسر: انتظرت إمكانية. ويقال: ليست هذه بدار تبيته، أي مقام.

(ابن فارس ١: ١٦٨)

ابن السكيت: يقال لضوء الشمس: الأياء.

(٣٩٠)

يقال: قد تأيئت، إذا تلبثت وتعمست. وليس منزلكم هذا بمنزل تبيته، أي بمنزل تلبث وتعمس.

وقد تأيئته، أي تعمدت آيته، أي شخصه.

(إصلاح المنطق: ٣٠٤)

ابن أبي الهمان: الآية: العلامة، يقال: اجعل بيني وبينك آية، أي علامة، وآيات بيئات، أي علامات

وحججاً. والآية من القرآن: كلام متصل إلى انقطاع.

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾

آل عمران: ٤١، أي علامة. ﴿قَالَ أَيُّكَ﴾ آل عمران:

٤١، أي علامتك. والآية: الشيء العجيب من قوله:

﴿وَيُزَيِّدُكُمْ آيَاتِهِ﴾ البقرة: ٧٣، أي صجائبه، يقال: فلان

آية من الآيات أي عجب من العجب. (٧٠٥)

تُغَلَّبُ: الأياء، مفتوح الأول ممدود: والإياء

مكسور الألف مقصور، وإياء: كله واحد: شمع الشمس

وضوؤها. (الأزهري ١٥: ٦٥١)

ابن دُرَيْد: يقال: تأيأ بالمكان تأيئاً، إذا أقام به.

وتأيأ في هذا الأمر تبيته، أي ظفر، وتأيأ بالسلاح: تعمده.

[ثم استشهد بشعر] (١٩٢: ١)

الأزهري: وأيأة الشمس، وآياتها: ضوؤها. [ثم

استشهد بشعر]

ويقال: الأيأ بالمد، والإيأ بالقصر. ولم أسمع خيا

(١٥: ٦٥١)

الزمخشي: الفرق بين الآية والمبيجة: أن المبيجة معتمد

البينة التي توجب الثقة بصحة المعنى. والآية: تكشف عن

المعنى الذي فيه أعجوبة. (الطوسي ٦: ٩٩)

الجبسوهري: الآية: العلامة، والأصل لَوَيْة

بالتحريك.

وجمع الآية: آي، وآيائ، وآيات. [ثم استشهد

بشعر]

وآية الرجل: شخصه، تقول منه: تأيئته، على

تفاعله، وتأيئته على تفككه: إذا قصدت آيته وتعمدته.

[ثم استشهد بشعر]

وتأيأ، أي توقف وتمكث، تقديره: تعيلاً. يقال: ليس

منزلكم هذا منزل شبيبة أي منزل ثلثين وتحبب [ثم
استشهد بشر] (٢٢٧٥: ٦)

ابن فارس: الهزاة والياء والياء أصل واحد وهو
«الظفر» يقال: تأبأ يتأبأ تأبياً أي تمكث. [ثم استشهد
بشر]

وأصل آخر وهو «التحند» يقال: تأبست على
«تفاعلت» وأصله تعددت آيته وشخصه [ثم استشهد
بشر]

والأول: الآية: العلامة، وهذه آية مأبأة، كقولك:
علامة مقلّمة، وقد أبيت. [ثم استشهد بشر]

قالوا: وأصل آية: الآية، بوزن «أغنية» مهور
مزتين، فحذفت الأخيرة فامتدت.

قال الخليل: خرج القوم بأيتم أي بمجامعتهم. وعند
آية القرآن، لأنها جماعة حروف، والجمع: أي
وإيالة الشمس: ضرؤها، وهو من ذلك، لأنه كالمصنوع
فما. (١٦٧: ١)

أبو هلال: الفرق بين العلامة والآية: أن الآية هي
العلامة الثابتة، من قولك: تأبيت بالمكان، إذا تحببت به
وتثبت. [ثم استشهد بشر]

وقال بعضهم: أصل آية: آية ولكن لما اجتمعت
يامان أن قلبوا إحداها ألفاً كراهة الضعيف، وجاز
ذلك، لأنه اسم غير جار على فعل. (١١) (٥٤)

القيسي: في وزن آية أربعة أقوال:
قال سيبويه: هي «فعلته» وأصلها: أبيت، ثم أبدلوا من
الياء الساكنة ألفاً، هذا معنى قوله، ومثله عنده: غايته
ولأيته.

واعتلال هذا عند شاذ، لأنهم أهلوا العين،
وصنعوا اللام، والقياس إعلال اللام، وتصحيح العين.
وقال الكوفيون: آية «فعلته» بفتح العين، وأصلها
أبيت، فقلبت الياء الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها،
وهو شاذ في الاعتلال، إذ كان الأصل أن تُسَلَّ الياء
الثانية وتصح الأول، فيقال: أبيت.

وقال بعض الكوفيون: آية «فعلته»، وأصلها: أبيت،
فقلبت الياء الأولى ألفاً لانكسارها وتحريك ما قبلها،
وكانت الأولى نول باللمة من الثانية، فدخلت للكسرة
عليها، وهذا قول صالح جار على الأصول.

وقال ابن الأنباري في «آية»: وزنها «فعايلة»
وأصلها: آية، فأسكنت الياء الأولى استقلالاً للكسرة
على الياء، وأدغموها في الثانية فصارت «آية» مثل لفظ
«دابة» ووزنها، ثم خففوا الياء كما قالوا: «كينونة»
بفتح الياء الساكنة، وأصلها: كينونة، ثم خففوا فحذفوا
الياء الأولى المتحركة استقلالاً للياء المشددة مع طول
الكلمة، وهذا قول جيد من القياس، إذ ليس في «آية»
طول يجب الحذف منه كما في «كينونة». (١٦٢: ١) (١٦٦: ١)
نحوه فهو البركات.

الطوسي: الآية: الدلالة على ما كان من الأمور
العظيمة. والآية والسلامة والعبارة، فظاهر في اللفظ.
(١٩٩: ٦)

وفي وزن «آية» ثلاثة أقوال:
أحدها: «فيلته» إلا أنه شذ من جهة إعلال العين مع

(١) ذكر معنى العلامة في الفرق بين الدلالة والعلامة فراجع
كتاب أبي هلال، ٥٤.

كون الّلام حرف علّة، وإنّما القياس في مثله إعلال الّلام، نحو حياة ونواة، ونظيرها: راية وطاية، وشذ ذلك، للإشعار بقوة إعلال العين.

القائي: «فَعَلَّة» آية، إلّا أنّها قلبت كراهية الضعيف، نحو طاي في طيب.

الثالث: «فاعلة» متوصلة. وهذا ضعيف، لأنهم صرّوها «أُتِيَّة» ولو كانت «فاعلة» لقالوا: «طَوِيَّة» إلّا أنّه يجوز على ترخيم التصدير، نحو كُطِبَة. (٤٥٤: ٢)

الزّاحب: الآية هي العلامة الظّاهرة، وحقيقته لكلّ شيء وظاهر، هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فحق أدركه مدركه الظاهر منها علم أنّه أدركه الآخر الذي لم يدركه بذاته؛ إذ كان حكمها سواء، وذلك ظاهر في الموصولات

والمعقولات. فمن علم ملازمة «القائم» للطريق المذهب وجد «القائم» فلم أنّه وجد الطريق. وكذا إذا علم شيئاً مصنوعاً علم أنّه لا بدّ له من صانع.

واستقاي الآية إمّا من «أي» لما فيها هي التي تُبين أيّاً من أيّ، والصّحيح أنّها مستقلة عن الثاني الذي هو التّثبت والإقامة على الشيء، يقال: تأتي أي لرفق.

أو من قرأهم: أويّ إليه.

وقيل للبناء العالي: آية، نحو: «أَتَتُونْ يَكُلْ دِيعْ آيَّةْ تَقِيُونْ» الشعراء: ١٢٨، ولكلّ جملة من القرآن دالة على حكم آية، سورة كانت أو فصلاً أو فصلاً من سورة.

والدّ يقال لكلّ كلام منه منطلي بفصل لفظي: آية، وحل هذا اعتبار آيات السور التي تُدّيهما السورة. (٣٣)

الزّمخشري: ما هي بدلر شيء أي تمكّن. يقال: أُنِيْتُ بالمكان ونأيت به، [ثمّ استشهد بشر]

وكأما ألقت عليه التّمس أبانتها، أي شاعها. (أساس البلاغة: ١٢)

ابن عطية: الآية هي العلامة في كلام العرب، ومنه قول الأمير الموصي إلى قومه باللفز: «بآية ما أكلت معكم حينئذ». فلما كانت الجملة القائمة من القرآن علامة على صدق الآتي بها، وعلى عجز المتحدّي بها سميت آية، هذا قول بعضهم.

وقيل: سميت آية، لما كانت جملة وجماعة كلام، كما تقول العرب: جئنا بآيتنا، أي بجماعتنا.

وقيل: لما كانت علامة للفصل بين ما قبلها وما بعدها سميت آية، [ثمّ نقل ما تقدّم في كلام القيسي في وزن آية] (٥٧: ١)

الطبرسي: الآية: العلامة التي تنهى عن منقطع الكلام، من جهة مخصوصة، والقرآن منفصل بالآيات، (٨٨: ٣)

الآيات: جمع آية، ومعنى الآية في اللغة: السلامة، ومنه قوله تعالى: «تَكُونْ لَنَا جِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً بِنَفْسِكَ...» المائدة: ١١٤، أي علامة لإيجابتك دعائنا، وكلّ آية من كتاب الله علامة ودلالة على المضمون فيها.

وقيل: إنّ الآية: القسّة والرسالة، [ثمّ استشهد بشر]

فعل هذا يكون معنى الآيات: القصص، أي قصّة تنوّهة. (٩١: ١)

أبو البركات: آيات: جمع آية، وفي أصلها عدّة وجوه، لا يكاد يسلّم شيء منها عن قلب أو حذف، على خلاف القياس، ويجرأوها على القياس أن تكون آية

على «فيلة» بكسر الميم، فنقلب الميم ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فتصير آية.

والأصل أن يقال في آيات: أينات إلا أنه اجتمع فيها علامتا تأنيث، فحذفوا إحداهما. وكان حذف الأولى، لأن في الثانية زيادة معنى، لأنها تدل على الجمع والتأنيث. والأولى إنما تدل على التأنيث فقط، فلها كان حذف الأولى وتبقي الثانية أول. (٢: ٣٣)

الفخر الرازي: الآية: وزنها «فيلة» أصلها: أبة فاستقلوا التشديد في الآية، فأبدلوا من الياء الأولى ألفاً لانفتاح ما قبلها.

والآية: الحجة والعلامة، وآية الرجل: شخصه. وخرج القوم بأيّتهم: بمباحاتهم.

وسميت آية القرآن بذلك، لأنها جماعة حروف. وقيل: لأنها علامة لانتطاع الكلام الذي بعدها. وقيل: لأنها دالة على انقطاعها عن الخلقين، وأنها ليست إلا من كلام الله تعالى. (٤: ١٤١)

ابن الأثير: ومعنى الآية من كتاب الله تعالى: جماعة حروف وكلمات، من قولهم: خرج القوم بأيّتهم، أي بمباحاتهم، ثم يدعّوها وراءهم شيئاً. والآية في غير هذا العلامة. وقد تكرّر ذكرها في الحديث.

وأصل آية: أوية بفتح الواو، وموضع الميم واو، والنسبة إليها أويي. وقيل: أصلها «فاعلة» فذهبت منها اللام أو العين تخفيفاً، ولوجاءت تامة لكانت «آية» وإنما ذكرناها في هذا الموضع حملاً على ظاهر نطقها.

(١: ٨٧)

القرطبي: أما الآية فهي العلامة، بمعنى أنها علامة

لانتطاع الكلام الذي قبلها من الذي بعدها وانفصاله، أي هي بائنة من أختها ومفردة. وتقول العرب: بيني وبين فلان آية، أي علامة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَنْ أَيْدَ مُلْكِي﴾ البقرة: ٢٤٨. [تم استشهاد بشعر]

وقيل: سميت آية، لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه، كما يقال: خرج القوم بأيّتهم، أي بمباحاتهم. [تم استشهاد بشعر]

وقيل: سميت آية، لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بنقلها. [تم ذكر أقوال السابقين] (١: ٦٦) الفيومي: الآية: العلامة، والجمع: أي وآيات، والآية من القرآن: ما يحسن السكوت عليه، والآية: البينة. (١: ٣٢)

الفخر الرازي: الآية: العلامة والشخص، وزنها «فيلة» بالفتح أو «فيلة» بحركة، أو «فاجلة»، جمعها: آيات وأي وآياي، وجمع الجمع آيات، والبيرة، جمعها: أي، والأماره.

ومن القرآن: كلام متصل إلى انقطاعه. وآية مما يضاف إلى الفصل لترب منها من معنى الوقت. وإنا السس في الحروف البينة.

وتأنيته وتأنيته: قصدت شخصه، وتعمدته.

وتأني بالمكان: تثبت عليه وتأني. وموضع مائي الكلا، وخيمه. * [أي كثير الكلا] (٤: ٣٠٣)

الآية في أصل اللغة، بمعنى العجب، وبمعنى العلامة،

(*) مائتي نسبة إلى مائة، وللاعتناء له بمائة آية. وهو كناية عن كثرة الكلا نظير «فلان كثير الزماد» ويحتمل فيه «شيء» اسم مفرد من «ثلاثي»: أي جمع فيه الكلا.

ويعنى الجبابة.

والاعتبار.

سميت آية القرآن آية؛ لأنها علامة دالة على ما تضمنته من الأحكام، وعلامة دالة على انقطاعه عما بعده وعما قبله.

ولأن فيها عجائب من القصص، والأمثال والتفصيل، والإجمال، والتمييز عن كلام الخلقين.

ولأن كل آية جماعة من الحروف، وكلام متصل للمعنى إلى أن ينقطع، وينفرد بإفادة المعنى. والرب تقول: خرج القوم بأيهم، أي بجماعتهم. [تم استشهد بشعر]

وأصلها: أيية، على وزن «فعلقة» عند سيونيه، وأية، على مثال «فاجلة» عند الكسائي، وأية على «فعلقة» عند بعض، وأية عند الفراء، و«أية»، بوزن «فعلقة» عند بعض.

الآلوسي: [نقل أقوال المتفدين في وزن الآية تم قال:]

وقالوا في الجمع: آياء كأفعال، فظهرت الياء، والهمزة الأخيرة بدل ياء، والألف الثانية بدل همزة هي فاء الكلمة، ولو كان عينها «واو» لقالوا في الجمع: آواء، ثم إنهم قلبوا الياء الساكنة ألفاً على غير القياس لعدم تحريكها وانفتاح ما قبلها. (٢٤٠: ١)

مجمع اللغة: الأصل في معنى الآية: الصلابة الواضحة، وهو متحقق في كل ما أطلق عليه كلمة آية، فسمي خلق الكون آية، لأنه علامة على قدرة الله، وسميت معجزات الأنبياء آية، لأنها علامة على صدقهم، وعلى قدرة الله.

وسميت الهجرة آية، لأنها علامة على معاني السطة

وقيل لكل جملة في القرآن بين فاصلتين: آية، علامة على ما تضمنته من أحكام وآداب ونحوهما.

وسمي البناء العالي آية، لأنه علامة على قدرة بانيه، وجمعت آية على: آيات. (١: ٧٣)

المصطفوي: والظاهر أن هذه الكلمة مأخوذة من مادة أوى يأوي، بمعنى التوجه والقصد والسير إلى مقام يستريح فيه، فهي على وزن «فعلقة» وهذه المادة كثير استعمالها من البائي «أي» وإن كان معناه قريباً منها، وهو التعتد.

فالآية ما يكون مورداً للتوجه، والقصد في السير إلى المقصود، ووسيلة للوصول بها إليه، وهذا المعنى منطوق في جميع موارد استعمالها.

«وَلَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ هُزُوا...» البقرة: ٢٢١. يعني كل شيء ما يكون مورداً للقصد والتوجه للوصول إلى الله تعالى ومعرفة. (١: ١٧٢)

النصوص التفسيرية

آية

١ - سَلِّ بِنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ أَنْبِيَائُهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ...

البقرة: ٢١١

شجاهد: ما ذكر الله في القرآن وما لم يذكر.

(الطبري ٢: ٣٣٢)

يعني الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، من فلق البحر والظلل من النهار، والصفا، واليد، وغير ذلك.

مثله الحسن.

(القرطبي ٢٨: ٣)

نحوه الربيع.

(الطبري ٣٣٢: ٢)

أي علامة ظاهرة وهي المعجزات الدالة على صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

مثله الحسن.

(الآلوسي ٩٩: ٢)

ومثله الجبائي (الطبرسي ٣٠٤: ١) والقرطبي

(٢٨: ٣).

الآلوسي: الآيات البينات: ما ذكرها الله تعالى من

قلب عصا موسى حيث رده البيضاء، وقلبه البحر،

وتفريق عدوهم من فرعون وأصحابه، وقليله عليهم

النعام، وإنزال المن والثلج، وذلك من آيات الله التي

أق بها بني إسرائيل، فخالقوا جميع ذلك، وقلوا أنبياء.

ورسله، وبذكوا عهد ووصيته إليهم.

(١٩٠: ٢)

الزمن مشرق، وهي معجزاتهم، فمن آية في الكتب

شاهدة على صحة دين الإسلام.

نحوه الفخر الرازي (٣: ٦)، والتهنواوي (١: ١١٢)،

والنسفي (١: ١٠٥)، والنيسابوري (٢: ٢٠٨).

أبو حيان: الآيات البينات: ما تضمنته القصة

والإنجيل، من صفة النبي ﷺ وتحقق نبوته، وتصديق

ما جاء به، أو معجزات موسى صلى الله على نبيك وعليه

كالعصا، واليد البيضاء، وقلق البحر، أو القرآن قص الله

قصص الأمم الخالية حسبما وقعت على لسان من لم

يدارس الكتب ولا العلماء، ولا كتب ولا تحمل أو

معجزات رسول الله ﷺ كتسبيح المصطفى، وتنجير الماء

من بين أصابعه، وانتقال القمر، وتسليم المنجى، أربعة

أقوال.

وقد رواه بعد قوله: «مِنْ آيَاتِ بَيِّنَةٍ» عذولها، فقد رده

بعضهم: فكذبوا بها، وبعضهم: فبذلواها. (١٢٨: ٢)

الآلوسي: [وجد نخله قول مجاهد قال:]

وتخصيص إنشاء المعجزات بأهل الكتاب - مع

صوره للكل - لأنهم أعلم من غيرهم بالمعجزات،

وكيفية دلالتها على الصدق، لعلمهم بمعجزات الأنبياء

السابقة.

وقد روى بالآية معناها المتعارف، وهو طائفة من

القرآن وغيره. (٩٩: ٢)

٢ - ما تشع من آية أو تشبهها ثابت بخير منها

أو مثلها... البقرة: ١٠٦.

لاحظ من شرحه.

٣ - وانظر إلى عبادك وتبعك آية للناس...

البقرة: ٢٥٩.

حامل وله خمسون سنة، فأما الله مائة سنة، ثم بعثه،

فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة، ولد ابن له مائة سنة،

فكان له أكبر منه، وذلك من آيات الله.

(الطوسي ٣٢٤: ٢)

نحوه ابن عباس.

(القرطبي ٢٩٤: ٣)

عكرمة: جاء وهو ابن أربعين سنة كما كان يوم

مات، ووجد فيه قد ينهون على مائة سنة.

(أبو حيان ٢: ٢٩٣)

السدي: رجع إلى أهله، فوجد داره قد هبت

وبنته، وهلك من كان يعرفه، فقال: أخرجوا من داري،

قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا عزير، قالوا: أليس قد هلك

هالك.

عزيز مذكرا وكذا قال: فَإِنَّ حَزِيْرًا لَنَا هُوَ، كَانَ مِنْ حَالِي
وَكَانَ، فَلَمَّا حَرَفُوا ذَلِكَ، خَرَجُوا لَهُ مِنَ الدَّارِ، وَدَفَعُوا
إِلَيْهِ. (الطُّبْرَى ٣: ٤٢)

الأعمش: كونه (آية) هو آتة جاء شيئاً على حاله
يوم مات فوجد الحفدة والأبناء شيوعاً.

(أبو حنيفة ٢: ٢٩٢)

الْقَرَاء: إِنَّمَا أُدْخِلْتُ فِيهِ الرَّوَّ لِنَيْتِ فَعِلْ بِحَدِّهَا حَضَرَ.
كَأَنَّهُ قَالَ: وَلِتَجْمَلَكَ آيَةٌ فَعَلْنَا ذَلِكَ. وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ.

وقوله: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ﴾ حين يمت أسود التلحة

والرأس وينوبه شيء فكان آية لذلك (١٧٣: ١)

الطَّبْرِيُّ: إِنَّمَا عَنِ مَقُولِهِ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّكَ آيَةً...﴾

ولنجمعك حجة على من جهل قدرتي وشك في عظمتي

وَأَتَيْنَا الْمَغَادِيرَ عَلَى بُحُلٍ مَا بُنِيتُ مِنْ إِبْرَامَةَ وَرَحَابَةَ، وَأَتَيْنَا

وإنشاء، وإلغام وإذلال، وإقمار وإغناء، يمدى ذلك كله

لا يملك أحد دونه، ولا يشر عليه فيرى. *مركز تحقيقات كشمير*

وكان بعض أهل التأويل يقول: كان آية للناس.

ہاتھ جاء بعد مائة عام الى ولده ووليد ولده شاہا وھم شیوخ.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه جاء وقد هلك من

يعرفه، فكان آية لمن قدم عليه من قومه.

وَالَّذِي هُوَ أَوَّلُ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْآيَةِ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ

الله تعالى ذكره أخبر أنه جعل للذي وصف صفته في هذه

الآية حجة للناس، فكان ذلك حجة على من عرّفه من

ولله وقومه ممن علم موته، وإحياء، الله إيتاء بعد ما فيه.

وعلى من بعث إليه منهم. (٤٢: ٣)

الزَّمْخَشَوِيُّ: يريد إحياءه بعد الموت، وحفظ

..

وقيل: أتى قوم ركب حمارة، وقال: أنا عذير.

فَكَتَبُوا، فَقَالَ: هَاتُوا الثَّوْلَةَ فَأَخَذَ يَهْدِيهَا هَذَا عَنْ ظَهْرِ

قلوبه، وهم ينظرون في الكتاب، فآخروم حرفاً، فقالوا: هو

إِنَّ اللَّهَ، وَلَمْ يَقْرَأِ التَّوْرَةَ ظَاهِرًا أَحَدٌ قَبْلَ حُسَيْنٍ، فَذَلِكَ

گونه آید.

وقيل: رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخاً وهو

شَابَّ، فَإِذَا حَدَّثَهُمْ بِحَدِيثٍ قَالُوا: حَدِيثٌ عَائِدٌ سَنَتُهُ.

(T₉ = 3)

نحوه التماسوى (١: ١٣٦)، والسورة (١: ١٣١).

ابن قُطَيْبَةَ: وفي إمامته هذه المدة، ثم إمامته أعظم

آية، وأمر، كله آية للناس خاتم الذهب، لا يحتاج إلى

فليس بعض ذلك دون بعض، (١: ٣٥)

القنخري الزاوي، إنه تعالى قال في حق هذا

الْمُخْصَرُوكِ) وَلَيُخْلِكَ أُنَّةً لِلنَّاسِ...﴾. وهذا اللفظ إنما

نُتَمَلِّقُ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، قَالَ تَعَالَى: وَهُوَ جَعَلْنَاهَا

إِنَّمَا آيَةُ الْفُتَاتَيْنِ...﴾ الأنبياء: ٩١، فكان هذا وعداً من

لے تعالیٰ پائے پھیلے ہیں۔

وأيضاً لهذا الكلام لم يدل على التوبة بغيره.

لأنك أنه يفيد الشرف العظيم، وذلك لا يليق بحال

من مات على الكفر وعلى الشك في قدرة الله تعالى.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون المراد من جعله (آية)

نُتِنَ عَرَفَهُ مِنَ النَّاسِ شَأْنًا كَامِلًا إِذَا مَا لَدُوهُ يَبْدُو مَالَهُ

سنة على شبابه وقد شاخوا أو هرموا، أو سمعوا بالخبر أنه

ثلاثين عاماً منذُ زمانٍ وقد عاد شائياً، حسَّ أن مقالاً لأجل

لَمَّا دَانَ آيَةُ النَّاسِ، لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ بِذَلِكَ، وَيَعْرِفُونَ بِهِ

قدرة الله تعالى، ونبوة نبي ذلك الزمان.

والجواب من وجهين:

الأول: أن قوله: ﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً﴾ إخبار عن أنه تعالى يجعله آية، وهذا الإخبار إنما وقع بعد أن أحياء الله وتكلم معه، والمجول لا يحمل ثانياً، فوجب حمل قوله: ﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ على أمرؤاته من هذا الإحياء، وأنتم تحملونه على نفس هذا الإحياء فكان باطلاً.

والثاني: أن وجه التخصيص أن قوله: ﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ...﴾ يدل على التشريف العظيم، وذلك لا يليق بحال من مات على الكفر والشك في قدرة الله تعالى.

(٣٢: ٧)

رشد رضا، اعتنوا في قوله: ﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ...﴾ من حيث العطف ولا مسطوف عليه في الكلام، فقد رتبهم فعلاً محذوفاً، أي ولنجعلك آية للناس فعلاً ما فعلنا من الإمامة والإحياء.

وقال الأستاذ الإمام: نزيل تعجبك، وتريد آياتاً في نفسك وطعامك وشرايك وحمارك، ولنجعلك آية للناس. فالتعجب دلتنا على الخدوش المطوي دلالة ظاهرة، وهذا من لطائف إيجاز القرآن، وأما كون ما رأى آية له فظاهر، وأما كونه هو آية للناس، فهو أن علمهم بموته مائة سنة ثم يحياته بعد ذلك من أكبر الآيات.

(٥١: ٣)

الطباطبائي: ﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ عطف للغاية يدل على أن هناك غيرها من الغايات، والمعنى: إننا فعلناك ما فعلنا لنبيين لك كذا وكذا، ولنجعلك آية للناس، ليعين أن العرض الإلهي لم يكن في ذلك متحصراً

في بيان الأمر له نفسه، بل هناك غاية أخرى، وهي جعله آية للناس، فالعرض من قوله: ﴿وَنَنْظُرُ إِلَى الْعِظَامِ﴾ البقرة: ٢٥٩، بيان الأمره فقط، ومن إسمائته وإحيائه بيان الأمره وجعله آية للناس، ولذلك قدم قوله: ﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ إلخ على قوله: ﴿وَنَنْظُرُ إِلَى الْعِظَامِ...﴾.

(٣٦٤: ٢)

١- قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي يَسَعَى الْفَسَاةِ تَكَايُلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ... آل عمران: ١٣

فتادة: عبرة وتذكّر. (الطبري ٣: ١١٣)

الطبري: هي علامة ودلالة على صدق ما أقول.

(١١٣: ٣)

والبروتوني (٢: ٨٨) والأكوسي (٣: ٩٥).

الطبري الزاوي، وأعلم أن العلماء ذكروا في تفسير

كون تلك الواقعة آية بينة وجوهاً:

الأول: أن المسلمين كان قد اجتمع عليهم من أسباب الضعف من المقاومة أمور:

منها قلة العدد، ومنها أنهم خرجوا قاصدين للحرب فلم يتأهبوا، ومنها قلة السلاح والفرس، ومنها أن ذلك ليل غارة في الحرب، لأنها أول غزوات رسول الله ﷺ وكان قد حصل للمشركين أخضاء هذه المساق، منها كثرة العدد، ومنها أنهم خرجوا متأهبين للحرب، ومنها كثرة سلاحهم وخيلهم، ومنها أن أولئك الأقوام كانوا ممارسين للمحاربة والمقاتلة في الأزمنة الماضية، وإذا كان كذلك فلم تعجز العادة أن مثل هؤلاء العدد في القلة

والضعفه وعدم السلاح وقتله المبرقة بأمر المحاربة،
يظنون مثل ذلك الجمع الكثير، مع كثرة سلاحهم
وتأهبهم للمحاربة، ولما كان ذلك خارجاً عن العادة كان
مميزاً.

والوجه الثاني في كون هذه الواقعة آية: أنه عليه
الصلوة والسلام كان قد أخبر قومه بأن الله ينصره على
قريش، بقوله: ﴿وَأَذِيعُكُمْ اللَّهُ إِخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا
لَكُمْ...﴾ الأنفال: ٧. يعني جمع قريش أو غير أبي سفيان،
وكان قد أخبر قبل الحرب بأن هذا مصرع فلان، وهذا
مصرع فلان، فلما وجد مخبر غيره في المستقبل عمل
وفق خبره، كان ذلك إخباراً عن النبي فكان معجزاً.

والوجه الثالث في بيان كون هذه الواقعة آية: ما ذكره
تعالى بعد هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿يَمْزِجُهُمْ فِي كَلِمَةٍ
وَأَنَّى الْقَائِلِينَ...﴾ آل عمران: ١٣. والأصح في تفسير هذه
الآية أن «الزائنين» هم المشركون «والمزبطين» هم
المؤمنون، والمعنى أن المشركين كانوا يرون المؤمنين مثلي
عدد المشركين قريباً من اثنين أو مثلي عدد المسلمين
وهو سبائة، وذلك معجز. [إلى أن قال:]

والوجه الرابع في بيان كون هذه القصة آية: قال
الحسن: إن الله تعالى أمدَّ رسوله ﷺ في تلك الفزوة
بخمسة آلاف من الملائكة، لأنه قال: ﴿فَأَسْتَبْقَاتِ لَكُمْ
أَنِّي مُبْدِكُمْ بِأَلْفٍ...﴾ الأنفال: ٩. وقال: ﴿يَمْلِكُ إِنِّي
تَقْصِيحُوا وَتَسْلُكُوا وَيَأْتِيَكُمْ مِنْ قُورَيْبِهِمْ هَذَا يُبَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ
بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ آل عمران: ١٢٥.

(٢: ٣: ٧)

٥ - قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ أَيْتُكَ أَلَّا تَكَلِّمَ
النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَوْجاً... آل عمران: ٤١
الطُّوسِي: الآية: العلامة، وإنما سأل العلامة والآية،
لوقت الحمل الذي سأل ربه ليتعجل السرور به، في قول
الحسن، فجعل الله تعالى آيته في إسمائه، فلم يقدر أن
يكلم الناس إلا إياه من غير آفة حدثت في لسانه، كما
يقال في مريم: ١٠ ﴿ثَلَاثَ نَيَّالٍ سَوِيّاً...﴾ هذا قول
الحسن، وقفاة، والرابع، وأكثر المفسرين. (٢: ١٥٤)
الزُّمَّشَرِيُّ: علامة أعرف بها الحمل لاشتق النعمة
إذا جاءت بالشكر. (١: ٤٢٨)

الطُّوسِي: أي علامة لوقت الحمل والولد، فجعل
الله تعالى تلك العلامة في إسمائه لسانه من الكلام إلا إياه
من غير آفة حدثت فيه، بقوله: ﴿قَالَ أَيْتُكَ...﴾ أي قال
الله، ومحمّل أن يكون المراد قال جبرائيل: (أَيْتُكَ) أي
علامتك ﴿أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَوْجاً...﴾.

(١: ٤٤٠)

الفَخْرُ الرَّاغِبِيُّ: وأعلم أن ذكرنا طهراً لفرط سروره
بما بُشِّرَ به، وتحت بكرم ربه، وإتمامه عليه، أحب أن يجعل
له علامة تدل على حصول العلوي، وذلك لأن العلوي
لا يظهر في أول الأمر، فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً...﴾ فقال
الله تعالى: ﴿أَيْتُكَ أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ...﴾ وفيه ما نل:

المسألة الأولى: ذكرها منا ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ وذكر في
سورة مريم ﴿ثَلَاثَ نَيَّالٍ﴾ فدل مجموع الآيتين على أن
تلك الآية كانت حاصلة في الأيام الثلاثة مع لياليها.

المسألة الثانية: ذكروا في تفسير هذه الآية وجوهاً:
أحدها: أنه تعالى حبس لسانه ثلاثة أيام فلم يقدر

أن يكلم الناس إلا رمزا، وفيه فائدتان:

إحداها: أن يكون ذلك آية على مخلوق الولد.

والثانية: أنه تعالى حبس لسانه عن أمور الدنيا،

وأقصره على الذكر والتسبيح والتهليل، ليكون في تلك

اللذة متصلا بذكر الله تعالى، وبالطاعة والشكر على تلك

النعمة الجسمية، وعلى هذا التقدير يصير الشيء الواحد

علامة على المقصود، وأداة لشكر تلك النعمة، فيكون

جامعا لكل المقاصد.

ثم اعلم أن تلك الواقعة كانت مشتملة على المعجزة

من وجوه:

أحدها: أن قدرته على التكلم بالتسبيح والذكر،

وعجزه عن التكلم بأمر الدنيا من أعظم المعجزات.

وثانيها: أن حصول ذلك المعجز في تلك الأيام

المقدرة مع سلامة البنية، واعتدال المزاج، من جملة

المعجزات.

وثالثها: أن إخباره بأنه متى حصلت هذه الحالة فقد

حصل الولد، ثم إن الأمر خرج على وفق هذا الخبر،

يكون أيضا من المعجزات.

القول الثاني في تفسير هذه الآية، وهو قول أبي

مسلم: إنه المعنى أن ذكرنا طاعة لما طلب من الله تعالى آية

تدله على حصول المثلوق، «فقال أينك ألا تكلم».

أي تصير مأمورا بأن لا تتكلم ثلاثة أيام بلياليها مع

المخلوق، أي تكون مشغولا بالذكر والتسبيح والتهليل،

معرضا عن المخلوق والدنيا، شاكرًا لله تعالى على إعطاء

مثل هذه الموهبة، فإن كانت لك حاجة دل عليها بالرمز،

فإذا أمرت بهذه الطاعة، فاعلم أنه قد حصل المطلوب.

وهذا القول عندي حسن مقبول، وأبو مسلم حسن

الكلام في التصير، كثير الفوص على الدقائق واللفاظ.

(٤٣: ٨)

نحوه النياوردي.

أبو حيان: قال الربيع والسدي وغيرهما: إن ذكرنا

قال: يا رب إن كان ذلك الكلام من قبلك والبشارة حق،

فاجعل لي آية علامة أعرف بها صحة ذلك، فوقف على

هذا الشك في أمر الله، بأن منع الكلام ثلاثة أيام مع

الناس.

وقالت فرقة من المفترين: لم يشك قط ذكرنا وإنما

سأل عن الجهة التي بها يكون الولد، وتم به البشارة، فلما

سأل له: «كذلك الله يفعل ما يشاء» مريم: ٤٠، سأل

علامة على وقت الحمل، ليعرف متى يكون المثلوق

ويحيى [إلى أن قال:]

وكانت الآية حبس اللسان لتخلص المدة للذكر

الله، لا يشغل لسانه بشيء، توفرا منه على قضاء حق تلك

النعمة الجسمية وشكرها، كآته لما طلب الآية من أجل

الشكر قيل له: آيتك أن تحبس لسانك [لا عن الشكر.

[ثم ذكر مثل الفخر الرازي]

(٤٥١: ٢)

نحوه الأكوسي.

البهوتوسي: أي علامة تدل، أي تحقق المثلوق أو

وفرع الحمل، وثم سألها: لأن المثلوق أمر خفي لا يوقف

عليه، فأراد أن يظلمه الله عليه ليلقي تلك النعمة الجميلة

منه، حين حصولها بالشكر، ولا يؤخره إلى أن يظهره

ظهورا متادا.

الطباطبائي: ووفرع هذه الآية في ولادة يحيى من

الطباطبائي: ووفرع هذه الآية في ولادة يحيى من

وجوه المضاهاة بينه وبين عيسى، فإنها تُضاهي قول
عيسى لمريم بعد تولده: ﴿فَإِنَّمَا تُزَيِّنُ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا
قُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْفِرَّادَ إِنْسِيًّا﴾
مريم: ٢٦.

وسؤاله **■** من ربه أن يجعل له آية - والآية هي
العلامة الدالة على الشيء - هل هو يستعمل به حل لن
البشارة إنما هي من قبل ربه، وبعبارة أخرى هو خطاب
رحماني ملكي لا شيطاني؟ أو لأنه أراد أن يستدل بها
على حمل امرأته، وبما علم وقت الحمل؟ خلاف بين
المفسرين.

والوجه الثاني لا يخلو من بُعد من سياق الآيات
وجريان القصة، لكن الذي أوجب تحاشي التقوم من
الذهاب إلى أول الوجهين، أعني كون سؤال الآية **■**
لن الخطاب رحماني، هو ما ذكرناه: أن الأنبياء لهمهم
لاية أن يعرفوا الفرق بين كلام الملك ووسوسة الشيطان
ولا يجوز أن يتلاعب الشيطان بهم حتى يبتلط عليهم
طريق الإلهام وهو كلام حق.

لكن يجب أن يعلم أن تعرفهم إنما هو تعريف الله
تعالى لهم لأن قيل أنفسهم واستقلال ذواتهم، وإنما كان
كذلك فلم لا يجوز أن يتعرف زكريا من ربه أن يجعل له
آية يعرف به ذلك؟ وأي محذور في ذلك؟ نعم لو
لم يستجب دعاءه ولم يجعل الله له آية كان الإشكال في
حلّه.

على أن خصوصية نفس الآية، وهي عدم التكليم
ثلاثة أيام تؤيد بل تدل على ذلك، فإن الشيطان وإن
أمكن أن يمس الأنبياء في أجسامهم، لو تغرب أو إفساد

في ما يرجونه من نتائج أهياهم في رواج الدين واستقبال
الناس، أو تضييف أعداء الدين، كما يدل عليه قوله
تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا لِّيُوسُفَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ
الشَّيْطَانُ يَغْشَى وَعَذَابٌ﴾ ص: ٤١، وقوله تعالى:
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَلَّسَّى
أَلَى الشَّيْطَانِ فِي أَثْنَيْنِ...﴾ الحج: ٥٢، وقوله تعالى:
﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَمِيمَ وَمَا أَتَسَابُهٗ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾
الكهف: ٦٣، ولكن هذه وأمثالها من مس الشيطان
وتعرضه لاتسج إلا ليعاذ النبي، وأما منه الأنبياء في
توسمهم فالأنبياء محصون من ذلك، وقد مر في ما تقدم
من المباحث إثبات عصمتهم **■**.

والذي جعله الله تعالى آية لزكريا على ما يدل عليه
قوله: ﴿أَنبِئْكَ أَلَّا تَكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ أَيَّامٍ إِلَّا رُسُلًا﴾
ال عمران: ٤١، هو أنه كان لا يقدر ثلاثة أيام على تكليم
الإنس والجن، ولا حتى نفسه، إلا بذكر الله وتسميحه، وهذه آية
واقعة على نفس النبي ولسانه، وتعرف خاص فيه
لا يقدر عليه الشيطان لكان العصمة، فليس إلا رحمانيا،
وهذه الآية كما ترى متناسبة مع الوجه الأول، دون
الوجه الثاني. **■** إلى أن قال:

وقد ذكر بعض المفسرين: أن المراد من جعله تعالى
عدم التكليم آية، نبيه عن تكليم الناس ثلاثة أيام،
والإنتطاع فيها إلى ذكر الله وتسميحه، دون اعتقال
لسانه. قال: الصواب أن زكريا أحب بمقتضى الطبيعة
البشرية أن يتمتع لديه الزمن الذي ينال به تلك المنحة
الإلهية، فيطمئن قلبه ويشر أهله فسأل عن الكيفية، ولما
أجيب بما أجيب به سأل ربه أن يفضّه بعبادة يتمجّل بها

شكرو، ويكون إتمامه إياها آية وعلامة على حصول المقصود. فأمره بأن لا يكلم الناس ثلاثة أيام بل ينقطع إلى التذكر والتسبيح مساءً وصباحاً، مدة ثلاثة أيام. فإذا احتاج إلى خطاب الناس أو مأ إليهم إجابة، على هذا تكون بشارته لأهله بعد مضي الثلاث الليالي، انتهى.

وأنت خير بآته ليس لما ذكره - من مسأله حياه تكون شكرًا للنعمة، وانتهائها إلى حصول المنصود، وكون إنتهاها هو الآيه، وكون قوله: ﴿أَلَا تُكَلِّمُ﴾ مسوقًا للنهي التشرعي. وكذا إرادته بشاره أهله في الآيه - عين ولا أثر.

يَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّكُمْ.. آل عمران: ٥٠
 مُجَاهِدٌ: مَا يَكُنْ لَهُمْ عَيْسَى مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلَّهَا، وَمَا
 أُعْطَاهُ رَبُّهُ. (الطَّبْرِيُّ ٣: ٢٨٢)
 الطَّبْرِيُّ: يَعْنِي بِذَلِكَ: وَجْهِكُمْ بِحُجَّةٍ وَعِبْرَةٍ مِنْ
 رَبِّكُمْ، تَعْلَمُونَ بِهَا حَقِيقَةَ مَا أَقُولُ لَكُمْ. (٣: ٢٨٢)
 الرَّافِعُ شَرِي: شَاهِدَةٌ عَلَى صِحَّةِ رِسَالَتِي. وَهِيَ
 قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾. آل عمران: ٥١، لِأَنَّ
 جَمِيعَ الرُّسُلِ كَانُوا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ لَمْ يَخْتَلَفُوا فِيهِ، وَقُرِئَ
 [أَنْ] بِالْفَتْحِ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ (أَيُّدٍ) وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَاءَ مَا كَانُوا
 يَفْعَلُونَ﴾. آل عمران: ٥٠، لِمَعْتَرَضٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَعَلَ هَذَا الْقَوْلَ آيَةً مِنْ رَبِّهِ؟

قلت: لأن الله تعالى جعله له علامة يعرف بها الله
وسهل المسائر للزمل؛ حيث هداه للنظر في أدلة العقل
والاستدلال. ويجوز أن يكون تكريراً لقوله: ﴿وَجِئْتُكُمْ
بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت
لكم، من خلق الطير والإمراء والإحياء والإنباء
بالخفيات وضيره، من ولادتي جنير أبي، ومن كلامي في
الهدى ومن سائر ذلك. وقرأ عبداً الله وجئتكم بآيات من
ربكم فأتوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعوني فيما
أدعوكم إليه.

نحوه التّضادّيّة.
 الثّرْطُبيّ، إنّما وحد وهي آيات، لأنّها جنس واحد
 في الدّلالة على رسالته.
 أبو حنّان: ظاهر اللفظ أنّ يكون قوله: ﴿وَجِئْتُكُمْ
 بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ التّأسيس للتّوكيد لقوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ
 بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ آل عمران: ٤٩، وتكون هذه الآية قوله:

۶۔ وَرَسُولًا إِنَّمَا يَهْدِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّى قَدِ فَتَنَكُمُ بَآيَاتِهِ مِن دُونِكُمْ...

القَطْرُ الرَّازِي: المراد بالآية: الجنس لا الفرد. لأنه تعالى عَدَدَ هَاهُنَا أَتَوَاتُحًا مِنَ الْآيَاتِ، وَهِيَ إِحْيَاءُ الْمَوْتِ وَلِهَذَا الْأَكْمَرُ وَالْأَبْرَصُ، وَالْإِخْبَارُ عَنِ الْمَغْيِبَاتِ، فَكَانَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» الْجِنْسُ لَا الْفَرْدُ. (٥٨٩)

الألوسي: (بأية) في موضع الحال. أي محبباً أو
محبباً بأية، أو متعلقاً بـ (جشككم) والهاء للاستلزام أو
للتعدي، والقنوين للتفخيم دون الوحدة، الظهور
ما ينافيها، وقرئ (بأيات).

٧.... وَلَا يُجِزْ لَكُمْ تَخَضُّعُ الْإِذَى حُرْمَ عَلَيْهِمْ وَحُجَّتُكُمْ

﴿إِنَّ اللَّهَ ذِيُ وَرْثِكُمْ فَأَغْبُوا...﴾ آل عمران: ٥١، لأن هذا القول شاهد على صحة رسالته، إذ جميع الرسل كانوا عليه، لم يختلفوا فيه. [إلى أن قال:]
وقيل: الآية الأولى في قوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ هي معجزة، وفي قوله: ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ هي الآية من الإنجيل، فاختلف متعلق المجيء. ويجوز أن يكون ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كررت على سبيل التوكيد. [ثم ذكر مثل الزمخشري] (٤٦٩: ٢)

حسنة جميلة لاعتاب عليها - عقبها بكونها آية من تعالى، كأنه من الفائدة الزائدة المترتبة على الغرض الأصلي غير مقصودة وحدها حتى يتعلق بها عتاب أوسخط. وإلا لظن كانت مقصودة وحدها من حيث كونها آية لم تغل سألها من نتيجة غير مطلوبة، فإن جميع المزايا الحسنة التي كان يمكن أن يراد بها كانت ممكنة الحصول بالآيات المشهودة كل يوم منه ﷺ، للمحاربين وغيرهم. (٢٣٥: ٦)

٨ - قال عيسى ابن عزيمة اللهم ربنا أنزل علينا فائدة من السماء تكون لنا عبداً لا أولنا وأخيراً وآية منك...
المائدة: ١١٤
الطوسي: الآية هي الدلالة العظيمة الشأن في إزجاج قلوب المباد إلى الإقرار بمدلولها، والاعتراف بالحق الذي يشهده ظاهرها، فهي دلالة على كونه ذلك وصحة نبوة نبيك.
مثله الطبرسي: (٢٦٥: ٢)
المصبيدي: أي وتكون المائدة آية ودلالة على توحيدك، وصدق نبئك. وقرئ شاذاً (وَأَنَّ مِنْكَ).

٩ - وَمَا تَنْبِئُهُمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ.
الطبرسي: يقول: حجة وعلامة، ودلالة من حجج ربهم ودلالاته وأعلامه على وحدانيته، وحقيقة نبوته يا معبد، وصدق ما أتيتهم به من عندي. (١٤٨: ٧)
الطوسي: في هذه الآية إخبار من الله تعالى أنه لا يأتي هؤلاء الكفار المذكورين في أول الآية ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وهي المعجزات التي يظهرها على رسوله وآيات القرآن التي كان ينزلها على نبيه ﷺ ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.
(٨٢: ٤)

أبوحيان: قيل: الآية هنا: العلامة على وحدانية الله وانفراد بالأنوثة. وقيل: الرسالة. وقيل: المعجز الخارق. وقيل: القرآن. (٧٤: ٤)
البزوصوي: (سا) نافية، و(ين) الأولى مزيدة للاستعراق، والثانية تبخيصية واقعة بمجرورها صفة لـ (آية)، والمراد بالآيات: إما الآيات التنزيلية، فإتيانها نزولها، والمعنى ما ينزل إلى أهل مكة آية من الآيات نحوه الفخر الرازي. (١٣١: ١٢)
أبوحيان: ومعنى ﴿وَأَنَّ مِنْكَ﴾ علامة شاهدة على صدق عهده. وقيل: حجة ودلالة على كمال قدرته. وقرأ البهائي (وَأَنَّ مِنْكَ) والضمير في وأنه إسماء للمعبد أو الإنزال. (٥٦: ٤)
الطباطبائي: لنا قدم مسألة العيد - وهي مسألة

أبوحيان: قيل: الآية هنا: العلامة على وحدانية الله وانفراد بالأنوثة. وقيل: الرسالة. وقيل: المعجز الخارق. وقيل: القرآن. (٧٤: ٤)
البزوصوي: (سا) نافية، و(ين) الأولى مزيدة للاستعراق، والثانية تبخيصية واقعة بمجرورها صفة لـ (آية)، والمراد بالآيات: إما الآيات التنزيلية، فإتيانها نزولها، والمعنى ما ينزل إلى أهل مكة آية من الآيات

القرآنية ﴿إِن كَانُوا عَسَفْنَا مُسْرِضِينَ﴾، ولما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعجيب المصنوعات فإتيانها ظهورها لهم. والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية الدالة على وحدانية الله تعالى إلا كانوا عنها معرضين، تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي إلى الإيمان بمكوّنها.

نحوه الألوسي: (٩١: ٧)

وشهد رضا: وقوله: (يُنْزِلُ آيَاتِهِ) يدل على استغراق الثاني أو تأكيده. وإضافة الآيات إلى الربّ تعيد أن إنزاله الوحي وبهته للرسول وتأيدهم وهدايته للخلق بهم من مقتضى ربوبيته، أي مقتضى كونه هو السيد المالك المربي لخلقهم المبدئ لأمرهم على الوجه الموافق للحكمة. وأنه لا يقدر عليه غيره. فالذين يؤمنون بالربّ ولا يؤمنون بكتبه ورسوله يجهلون قدر ربوبيته وكنه حكمته ودرجته. وقيل: إن المراد بها الآيات هنا الدلائل التكوينية

الثابتة، وهو ضعيف، فإنّ هذه لا يكاد يعبر عنها بالإتيان، لأنّها ماثلة دائماً للبصائر والأبصار، وإنما يجبر بالإتيان من آيات الوحي التي تتجدّد وعلما يتجدّد مثلها من المعجزات، ومصادق الإخبار بالنبى كالإخبار بنصر الرّسل وخد لان أقوامهم، وآيات التساغة. مثال ذلك آيتا الأنبياء والشعراء المشار إليهما آنفاً وقوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ وَتُسَلِّكُمْ بِالنَّبَاتِ﴾ المؤمن: ٥٠. ﴿وَقَالُوا هَذَا نَبَاتُنَا مِنْ قَبْلُ نَسْلُكُهَا لِبَاسٍ خِفَافٍ﴾ الأعراف: ١٣٢.

(٣٠١: ٧)

المصطفى: الآيات هنا: آيات القرآن المرشدة إلى آيات الأكوان، والمبينة لنجوة محمد ﷺ.

(٧٣: ٧)

١٠... وَلَنْ يَرْضَاكَ كُلُّ أُمَّةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا...

الأنعام: ٢٥

ابن عباس: كلّ دليل وحجة لا يؤمنوا بها لأجل ما جعل على قلوبهم أكنة. (أبو حنيفة: ٤: ٩٨)

الزجاج: أي كلّ علامة تدلهم على نبوتك.

(٢٣٧: ٢)

أبو حنيفة: الآية: كانشقاق القمر، ونسج الماء من أصابعه، وحسن الجذع، وانقلاب العصا سيقاً، والماء الملح غذياً، وتصيير الطعام القليل كثيراً، وما أشبه ذلك.

(٩٨: ٤)

١١... وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اشْتَغَلَتْ أَنْفُسُهُمْ فَمَا تَوَلَّ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَا الْمُؤْمِنِينَ... الأنعام: ٢٥

الطبرسي: ٢: ٢٩٦. فاضل.

الطبرسي: يعني بعلامة وبرهان على صحة قولك، غير الذي أتيتك فاضل.

الزحزحسي: والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وتهالكه عليهم، وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بهارجاة إيمانهم.

وقيل: كانوا يقترحون الآيات، فكان يود أن يجابوا إليها فمادى حرصه على إيمانهم، فليل له: إن استطعت ذلك فاضل، دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك فاضل حتى يأتيهم بما اقترحوا من الآيات لعلهم يؤمنون.

ويجوز أن يكون ابتداء التلقي في الأرض أو السَّم في السماء وهو الإتيان بالآية، كأنه قيل: لو استطعت التَّوَدُّ إلى ما تحت الأرض أو الرُّقَى إلى السماء لتعلت، لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها. وحذف جواب (إن) كما تقول: إن شئت أن تقوم بنا إلى فلان تزود. (١٥: ٢) نحوه الألويسي.

ابن عطية: ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بَأْتِيَةٌ﴾ علامة، ويريد لما في فعلك ذلك، أي تكون الآية قس دخولك في الأرض، أو ارتقائك في السماء، ولما أن تأتيتهم بالآية من إحدى الجهتين، وحذف جواب الشرط قبل في قوله: ﴿إِنْ لَنُشْطَقَنَّ﴾ إيمان قهر السامع به، تقدير: فاضل أو لدونك، كما تقدم.

الطُّوسِي: أي حجة تلجئهم إلى الإيمان أو جنتهم على ترك الكفر، فافعل ذلك. وقيل: فتأتيتهم بآية أفضل مما آتيتهم بها، فافعل ذلك. من ابن عباس: يريد لا آية أفضل وأظهر من ذلك.

(٢٩٦: ٢) أبو حيان: [وبعد نقله قول الرُّمَّسِي، وابن عطية قال:] وما جوزاه من ذلك لا يظهر من دلالة اللفظ، إذ لو كان ذلك كما جوزاه لكان التركيب فتأتيتهم بآية، وأيضاً فأي آية في دخول سرب في الأرض، وأما الرُّقَى في السماء فيكون آية.

الطُّبَّاطِبَائِي، والمراد بالآية في قوله: ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بَأْتِيَةٌ﴾ الآية التي تضرهم إلى الإيمان. فإن الخطاب أعني قوله: ﴿وَلَنْ كَانَ كَبِيرَ عَقْلِهِ إِغْرَاضُهُمْ...﴾ إنما التي إلى التي ^{التي} من طريق القرآن الذي هو أفضل آية

إلهية تدل على حقيقة دعوته، ويقرب إعجازه من فهمهم وهم بُلغَاء عَقْلَاء.

فالمراد أنه لا ينبغي أن يكبر ويشق عليك إغراضهم، فإن الدار دار الاختيار، والدعوة إلى الحق وقبولها جاريان على مجرى الاختيار، ولئلا لا تقدر على الحصول على آية توجب عليهم الإيمان. تلزمهم على ذلك، فإن الله سبحانه لم يرد منهم الإيمان إلا على اختيارهم، فلم يخلق آية تجبر الناس على الإيمان والطاعة، ولو شاء الله لآمن الناس جميعاً، فالتحق هؤلاء الكافرون بالمؤمنين به، فلا تبش، ولا تجزع بإغراضهم، فتكون من الجاهلين بالسمارف الإلهية.

وأما ما احتمله بعضهم: أن المراد فتأتيتهم بآية هي أفضل من الآية التي أرسلناك بها، أي القرآن، فلا تلائمه سياق الآية، وخاصة قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمَسَعَهُمُ عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ الأنعام: ٣٥، فإنه ظاهر في الاضطرار.

(٦٤: ٧)

١٢ - وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ تَقْوَى عَلَى أَنْ يَهْزِيَ أَيْدِيَهُمْ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

الأنعام: ٣٧

الطُّوسِي: يعني الآية التي سألوها واقترحوا أن تأتيتهم بها من جنس ما شاءوا، لنا قالوا: ﴿فَتَأْتِيَانَا بَأْتِيَةٌ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ الأنبياء: ٣١، يعنون فُلُقُ البحر، وإحياء الموتى. وإنما قالوا ذلك حين أيقنوا بالعجز عن معارضته فيما أتى به من القرآن، فاستراحوا إلى أن تنصوا مثل آيات الأولين، فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا

أَلْقَى دَلَّتْ عَلَى نُبُوَّتِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ
لِلْمَصْلَحَةِ. وَكَذَلِكَ قَالَ فِيهَا تَلَوْنَاهُ: ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾ الْمَنْكِبُوت: ٥١، فَيَبِينُ أَنَّ فِي بُنْيَانِ
الْكِتَابِ كِفَايَةً وَدَلَالَةً عَلَى حَقِّقِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى
أَمْرٍ آخَرَ، فَحَقَّقَ مَا قَالُوهُ. (٤: ١٣٤)

نَحْوَهُ الطَّبَرِيسِيُّ: (٢: ٢٩٦)
الْوَحْشِيُّ: وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ مَعَ تَكَثُّرِ مَا أَنْزَلَ مِنْ
الْآيَاتِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِتَرْكِهِمُ الْاِجْتِهَادَ بِمَا أَنْزَلَ
عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْآيَاتِ حَتَّى كَانَتْ مِنْهُمْ
﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ تَضَطَّرُّهُمْ إِلَى
الْإِيمَانِ كَشَقِّ الْجَبَلِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَحْوِهِ، أَوْ آيَةً بِإِنْ
يَقْرَأُهَا جَاءَهُمْ الْقَضَابُ. (٦: ١٦)

الْقَهْرُ الْوَاقِعِيُّ: أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا التَّوَعُّدَ الرَّابِعَ مِنْ
شَبَهِاتِ مُنْكَرِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: لَوْ كَانَ
رَسُولًا مِنْ هَذَا اللَّهِ فَهَلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً قَاهِرَةً وَمُعْجَزَةً
بَاهِرَةً؟

وَيُرْوَى أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ طَعَنَ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ
عَمْدُ ﷺ قَدْ أَتَى بِآيَةٍ مُعْجَزَةٍ لَمَا صَحَّ أَنْ يَقُولَ أَوْلَئِكَ
الْكُفَّارُ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ وَلَمَّا قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ
عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾؟

وَالْجَوَابُ عَنْهُ: أَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجَزَةُ اللَّهِ وَبَيِّنَةُ بَاهِرَةٌ،
بَدِيلٌ أَنَّهُ ﷺ تَعَدَّاهُمْ بِهِ فَعَجَزُوا عَنْ مَعَارَضَتِهِ وَذَلِكَ
بَدَلٌ عَلَى كَوْنِهِ مُعْجَزًا.

بَقِيَ أَنْ يَقَالَ: فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ قَالُوا:
﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّي﴾؟
فَنَقُولُ: الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وَجْهٍ:

أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ الْكِتَابَ الْمَنْكِبُوت: ٥١، وَقَالَ هَاهُنَا: قُلْ
يَا مُحَمَّدُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً...﴾ مَا فِي
إِنْزَالِهَا مِنْ وَجُوبِ الْاِسْتِحْصَالِ لَمْ إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا عَنْ
نُزُولِهَا، وَمَا فِي الْاِقْتِصَارِ بِهِمْ عَلَى مَا أُوتُوا مِنَ الْآيَاتِ مِنْ
الْمَصْلَحَةِ لَهُمْ.

وَيَبِينُ فِي آيَةِ أُخْرَى أَنَّهُ لَوْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ
لَمْ يُؤْمِنُوا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ السِّلْجُكَةَ﴾
إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانُوا يَؤْمِنُونَهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...﴾ الْأَنْهَامُ:
١١١، أَنْ يَكْرَهُهُمْ. وَقَالَ: ﴿وَمَا مَتَّعْنَاهُ أَنْ نُزِيلَ بِالْآيَاتِ
إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ الْإِسْرَاءُ: ٥٩، بِعِنَى الْآيَاتِ
الَّتِي اقْتَرَحُواهَا لَهَا لَمْ نَأْتِهِمْ بِهَا، لِأَنَّا لَوْ أَتَيْنَاهُمْ بِهَا
وَلَمْ يُؤْمِنُوا وَجِبَ اسْتِحْصَالُهَا، كَمَا وَجِبَ اسْتِحْصَالُ مَنْ

تَقَدَّمَ مِنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ. وَقَالَ فِي سُورَةِ الْمَنْكِبُوتِ:
٥٠، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا
الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ فَيَبِينُ أَنَّ الْآيَاتِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا
اللَّهُ، وَقَدْ أَتَاهُمْ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَإِزَاحَةٌ لَطَمَتِهِمْ وَهُوَ الْقُرْآنُ،
وْغَيْرُهُ بِمَا شَهِدُوهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَالْآيَاتِ، وَلَا يَلْزَمُ
إِظْهَارُ الْمُعْجَزَاتِ بِحَسَبِ اقْتِرَاحِ الْمُفَرِّحِينَ، لِأَنَّهُ لَوْ لَزِمَ
ذَلِكَ لَوْجِبَ إِظْهَارُهَا فِي كُلِّ حَالٍ وَلِكُلِّ مَكْلُفٍ وَذَلِكَ
فَاسِدٌ.

وَقَدْ طَعَنَ قَوْمٌ مِنَ الْمُطَّاعِينَ، فَقَالُوا: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ
أَتَى بِآيَةٍ لَمَا قَالُوا لَهُ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ...﴾ وَلَمَّا قَالَ:
﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً...﴾.

قِيلَ: قَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا آيَةَ غَضُوبِهِ وَتِلْكَ
لَمْ يُؤْتَوْهَا، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَادِرًا عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا لَمْ يُؤْتَوْهَا
لِأَنَّ الْمَصْلَحَةَ نَمَتَ مِنْ إِنْزَالِهَا، وَإِنَّمَا لَقِيَ بِالْآيَاتِ الْأُخْرَى

الوجه الأول: لعل القوم طعنوا في كون القرآن معجزاً على سبيل اللجاج واللعناد، وقالوا: إنه من جنس الكتب، والكتاب لا يكون من جنس المعجزات، كما في التوراة والزبور والإنجيل، ولأجل هذه الشبهة طلبوا المعجزة. والوجه الثاني: أنهم طلبوا معجزات قاهرة من جنس معجزات سائر الأنبياء، مثل خلق البحر، وإظلال الجبل، وإحياء الموتى.

والوجه الثالث: أنهم طلبوا مزيد الآيات والمعجزات على سبيل التفتت واللجاج، مثل إنزال الملائكة، وإسقاط السماء كسفًا، وسائر ما حكاه عن الكافرين.

والوجه الرابع: أن يكون المراد ما حكاه الله تعالى عن بعضهم في قوله: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَنْظِرْ عَلَيْنَا جِزَاءَ مَنْ انْتَحَمَ أَوْ اثْبِتْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الأفعال: ٢٢، فكل هذه الوجوه مما يحتملها لفظ الآية.

ثم إنه تعالى أجاب عن سؤالهم، فقوله: ﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ يعني أنه تعالى قادر على إيجاد ما طلبتموه، وتحصيل ما اقترحتهم [ثم ذكر وجوهاً لبيان طلبهم الآية، فلاحظ] (١٢: ٢١٠).

الطُّبَّاءُ عِبَانِيُّ: تحضيض منهم على تنزيل الآية بداعي تعجيز النبي ﷺ، ولما صدر هذا القول منهم وبين أيديهم أفضل الآيات - أعني القرآن الكريم الذي كان يزل عليهم سورة سورة وآية آية، ويقل عليهم حيناً بعد حين - تبيّن أن الآية التي كانوا يقترحونها بقولهم: ﴿لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ هي آية غير القرآن، وأنهم كانوا لا يمدّونه آية تفهم وترتضيه قلوبهم بماها

من المجازفات والتّهوّسات.

وقد حملهم التصبّب لأهنتهم أن ينظّموا عن الله سبحانه، كأنه ليس برّبهم، فقالوا: ﴿لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ولم يقولوا: من ربنا أو من الله ونحوهما، إزداءً بأمره وتأكيداً في تعجيزه، أي لو كان ما يدّعيه ويدعو إليه حقاً فليُبرهن له ربّه الذي يدعو إليه ولينصره، وليُنزل عليه آية تدلّ على حقيقة دعواه.

والذي يمتنع به إلى هذا الاقتراح جهلهم بأمرين: أحدهما: أن الوتيرة يرون لأهنتهم استقلالاً في الأمور المرجوعة إليهم في الكون، مع ما يدعون لهم من مقام الشفاعة، فإله الحرب أو السلم له ما يدبره من الأمر، من غير أن يحتلّ تدبيره من ناحية غيره، وكذلك إله البرّ وإله البحر، وإله الحبّة وإله البعوض وسائر الألهة.

فلا يبق لله سبحانه شأن يتصرف فيه فقد قسم لأمر بين أعضاده، وإن كان هؤلاء تنفعاه وهوربّ الأرباب، فليس يسعه تعالى أن يطل أمر أهنتهم، وإنزال آية تدلّ على نبي ألوهيتها.

وكان يحضهم على هذه المزعة، ويؤيد هذا الاعتقاد في قلوبهم ما كانوا يتلقونه من يهود المجاز: أن يداه مفلولة لا سبيل له إلى تغيير شيء من النظام الجاري، وخرق العادة المألوفة في عالم الأسباب.

وثانيهما: أن الآيات النازلة من عند الله سبحانه إذا كانت ممّا خصّ الله به رسولاً من رسله من غير أن يفترعه الناس، فإنما هي بينات تدلّ على صحة دعوى الرّسول، من غير أن يستج محذوراً للناس المدّعون، كالنص، واليد البيضاء لموسى، وإحياء الموتى، وإسراء

الأكمة والأبرص، وخلق الطير لميسى، والقرآن الكريم
للمتقين عليهم.

لكن الآية لو كانت مما اقترحها الناس فإن سنه الله
جرت على القضاء بينهم بنزولها، فإن آمنوا بها، وإلا نزل
عليهم العذاب، ولم يظفروا بعد ذلك، كآيات نوح وهود
وصالح وغير ذلك. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدل
على ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ خُلُقٌ
وَلَوْ أُنزِلَ عَلَيْكَ الْقُضِيُّ الْأَمْرُ لَمْ لَا تُنْظَرُونَ...﴾ الأنعام: ٨
وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا
الْأَوَّلُونَ...﴾ الإسراء: ٥٩، وقد أشير في الآية الكريمة
أعني قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

الأنعام: ٣٧، إلى الجهتين جميعاً. فذكر أن الله قادر على أن
ينزل أي آية شاء، وكيف يمكن أن يفرض من جهته
باسم «الله» ولا تكون له القدرة المطلقة، وقد بينا في
الجواب لفظة «الرب» إلى اسم «الله» للدلالة على برهان
الحكم، فإن الأكوهية المطلقة تجمع كل كمال من غير أن
تحد بعد أو تفيد قيد لها القدرة المطلقة، والجهل بالمقام
الأكوهي هو الذي يمتهم إلى اقتراح الآية بذاهي التصديق
على أنهم جهلوا أن نزول ما اقترحوه من الآية
لا يوافق مصلحتهم، وأن اجترأهم على اقتراحها
تعرض منهم لهلاك جميعهم وقطع دابرهم، والدليل على
أن هذا المعنى منظور إليه بوجه في الكلام، قوله تعالى في
ذيل هذه الاستعجابات: ﴿قُلْ لَوْ أَنِّي جُنْدِي
مَاتَسْتَخْلِفُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّنِي وَاتِّبَعْتُكُمْ وَأَنَّهُ أَتَعْلَمُ
بِالْغَافِلِينَ﴾ الأنعام: ٥٨.

١٣ - وَلَقَسْتُمْوَا بِأَفْوَاهِكُمْ هَٰؤُلَاءِ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ
لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ... الأنعام: ١٠٩
الطوسي: والآية التي سألوها النبي ﷺ إظهارها
قيل: فيها قولان:

أحدهما: أن سألوها تحول الصفا ذهباً.

الثاني: ما ذكره في موضع آخر من قوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ
لَكَ حَتَّى تَقْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ إلى قوله: ﴿يَكُنَّا
تَقْوَةً...﴾ الإسراء: ٩٠ - ٩٣، والمعنى أن هؤلاء الكفار
أقسموا متحدين على النبي ﷺ وبالغوا في أيمانهم، أنهم
إذا جاءتهم الآية لفتي اقترحوها ليؤمنن بها - أي عندها -
فأمر الله نبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ

عِنْدَ اللَّهِ قُلْ: كيف قال: ﴿الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وذلك
معلوم؟ قيل: معناه من أجل أن الآيات عند الله ليس لكم
القدرة المطلقة عليها، لأنه لا يجوز أن يتخلف عنكم
ولا من غيركم ما فيه المصلحة في الدين، لأنه تعالى
لا يخل بذلك.

الفخر الرازي: اختلفوا في المراد بهذه الآية، فقيل:
ما روي من جعل الصفا ذهباً، وقيل: هي الأشياء
المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَقْجُرَ
لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ الإسراء: ٩٠، وقيل: إن
النبي ﷺ كان يخبرهم بأن عذاب الاستصال كان ينزل
بالأسم المقدسين الذين كذبوا أنبياءهم فما لم يكون
طلبوا مثلها.

أبو حيان: أي آية من اقتراحهم، نحو قولهم: حتى
تنزل ﴿إِنْ نَشَأْ نُذِلْ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَمْتَ

أَتَنَاقَلْتُمْ هَٰذَا حَاضِرِينَ ﴿١٤﴾ الثمراء: ثمرتها أنزلها علينا حتى
نؤمن بها، فقال المسلمون: يا رسول الله أنزلها عليهم.
فزلت هذه الآية، قاله ابن عباس، أو نحو قولهم: يجعل
الصفا ذهباً، حتى ذكروا معجزة موسى في الحجرة،
وعيسى في إحياء الموتى، وصالح في الناقة، فقام الرسول
يدعو فبجاء جبريل عليه السلام فقال له: إن شئت أصبح الصفا
ذهباً، فإن لم يؤمنوا هلكتوا عن آخرهم معاجلة، كما قيل
بالأمم الماضية لاذم يؤمنوا بالآيات المقترحة، وإن شئت
تركتم حتى يتوب تائبهم، فقال: بل حتى يتوب تائبهم.
وإنما اقترحوا آية معينة، لأنهم شكوا في القرآن،
ولهذا قالوا: فارست أي العلماء، وباحت أهل الثوراة
والإنجيل، وكأبر أكثرهم وعائده. (٤: ١٤)

الآلوسي: من مقترحاتهم لأمم جنس الآيات
وربما بعض المفسرين بأنه الأنسب بما لهم في المكابرة
والعناد، وتراخي أمرهم في التوبة والفساد، حيث كانوا
لا يصدقون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من جنس
الآيات، فاقترحوا غيرها. (٧: ٢٥٣)

١٤ - ... قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذَا نَاقَةُ اللَّهِ
لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوْهَا تَأْكُلْ... الأعراف: ٧٣

الحسن: هي ناقة اعترضها من إبلهم ولم تكن
تحلب. (أبو حيان ٤: ٣٢٨)

الزجاج: قيل، إنه أخذ ناقة من سائر الثور، وجعل
الله لها شرباً يومئذ وهم شرب يوم، وكانت الآية في
شربها وحليبها. (أبو حيان ٤: ٣٢٨)

الطوسي: ونصب (آية) على الحال. والآية هي

البينة المحيية بظهور الشهادة ولطف المخرقة والآية
والعبرة والدلالة والعلامة فظائر.

والآية التي كانت في الناقة: خروجها من صخرة
تلاءم تخضت بها كما تخض المرأة، ثم انفلقت عنها
على الصفة التي طلبوها، وكان لها شرب يوم، تشرب
فيه ماء الوادي كله وتطعم اللبن بدله، ولم تشرب
يوم ينضمهم لا تقرب فيه ماؤهم. (٤: ١٤٨٠)

نحو الطبرسي. (٢: ٤٤٠)

الفخر الرازي: اختلف العلماء في وجه كون الناقة
آية، فقال بعضهم: إنها كانت آية بسبب خروجها بكما لها
من الصخرة.

قال القاضي: هذا إن صح فهو معجز من جهات:

الأمم: خروجها من الجبل.

والثانية: كونها لأمم ذكر وأُنثى.

والثالثة: كمال خلقها من غير تدريج.

والقول الثاني: أنها إنما كانت آية لأجل أن لها شرب
يوم، ولجميع غود شرب يوم، واستيفاء ناقة شرب أمة
من الأمم عجيب، وكانت مع ذلك تأتي بما يليق بذلك
الماء من الكلال والحشيش.

والقول الثالث: أن وجه الإعجاز فيها أنهم كانوا في
يوم شربها يحلبون منها اللبن الذي يقوم لهم مقام الماء في
يوم شربهم.

وقال الحسن: بالعكس من ذلك، فقال: إنها لم تحلب
قطرة لبن قط، وهذا الكلام متناف لما تقدم.

والقول الرابع: أن وجه الإعجاز فيها أن يوم يجيها
إلى الماء كان جميع الحيوانات تمتنع من الورد على الماء،

وفي يوم امتاعها كانت الحيوانات تأتي.

واعلم أن القرآن قد دلّ على أن فيها آية، فأتينا ذكر أنها كانت (آية) من أي الوجوه، فهو غير مذكور، والعلم حاصل بأنها كانت معجزة من وجه لا محالة، والله أعلم. قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ فقوله: (آية) نصب على الحال، أي أشير إليها في حال كونها آية، ونظفنا (هذه) بتضمن معنى الإشارة و(آية) في معنى «الله»، فلها جاز أن تكون حالاً.

لأن قيل: تلك الناقة كانت آية لكل أحد، فليأنا خص أولئك الأقوام بها فقال: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أنهم عاينوها وغيرهم أخبروا عنها، وليس الخبر كالمعاينة.

وثانيها: لعله يثبت سائر المعجزات، إلا أن القديم التسمات هذه المعجزة نفسها على سبيل الاقتراح، لما ظهر ما الله تعالى لهم، فلها المعنى حسن هذا التخصيص.

نحوه: النيسابوري.

أبو حيان: والنصب (آية) على الحال، والعامل فيها (ها) بما فيها من معنى التنبيه، أو اسم الإشارة بما فيه من معنى الإشارة، أو فعل مضمر تدلّ عليه الجملة، كأنه قيل: انظر إليها في حال كونها آية، أقوال ثلاثة ذكرت في علم النحو.

وقال الحسن: هي ناقة اعترضها من إلهام ولم تكن محلب، قيل: وجاءها من تلقاء نفسه.

وقال الجمهور: هي آية مقترحة، لما حذرهم

وأندبرهم سائر آية، فقال: آية آية تريدون؟ قالوا: نخرج معنا إلى عيدنا - في يوم معلوم لهم من السنة - فتدعو إلهك وتدعو آلهتنا، فإن استجيب لك أثبتناك وإن استجيب لنا أثبتنا، قال صالح: ضم... إلخ. (٤: ٣٢٨) الشرييني: أي علامة على صدق. و(آية) نصب على الحال، عاملها مدلّ عليه اسم الإشارة من معنى القمل، كأنه قال: أشير إليها آية. و(لكم) بيان لمن هي له آية موجهة عليه الإيمان، خاصة وهم قوم، لأنهم عاينوها. وسائر الناس من أخبروا، وليس الخبر كالمعاينة، كأنه قال: لكم خصوصاً. وإنما أضيفت إلى الله تعالى نظيها لها وتغنياً لثابتها، كما يقال: بيت الله: الآية جاءت من عند الله تعالى بلا وسائط وأسباب. (١: ٤٨٨)

نحوه: البروسوي.

وهناك مباحث أخرى راجع «ن وق»

١٥ - وَقَالُوا خَلَقْنَا نَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ يَتَّبِعُونَهَا قُلْ

لَكُمْ يَوْمَئِذٍ مَوْجِبٌ. الأعرابي: ١٢٢

الطوسي: في هذه الآية إخبار عن الله تعالى، وحكاية ما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام، بأنهم قالوا له: أي شيء تأتينا به من المعجزات وتحرنا بها، فإنا لا نصدقك عليه، ولا نؤمن بك.

والآية هي المعجزة الثالثة على نبوته، وهو كل ما يعجز الخلق عن ممارسته ومقاومته كما لا يمكن مقاومة الشبهة للحجة، وكما لا يمكن أن يقاوم الجاهل العلم، والمترقب للباء، وإن توهم ذلك قبل النظر والاعتبار.

وَيُحِيلُ قَبْلَ الِاسْتِدْلَالِ الَّذِي يَزُولُ مَعَهُ الِاتِّبَاعُ.

(١: ٥٥٢)

الرَّقْمُ خُشْرِيٌّ: فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ سَمَّوْهَا آيَةً، ثُمَّ قَالُوا:

﴿تَشْخَرُنَا بِهَا؟﴾

قُلْتَ: مَا سَمَّوْهَا آيَةً لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهَا آيَةٌ، وَإِنَّمَا سَمَّوْهَا

اعْتِبَارًا لِلتَّسْمِيَةِ مَوْسُومٍ، وَقَصَدُوا بِذَلِكَ الِاسْتِهْزَاءَ

وَالْتَهْلِيَّ.

مثله الرَّازِيّ (مسائل الرّازي: ٩٨)، ونحو ما يَتَّبَعُ

(١: ٣٦٥)، والنَّسَبِيّ (٢: ٧٢)، والنَّبَاطِيُّ (٩: ٣٥)

وَأَبُو حَيَّانَ (٤: ٣٧١)، وَالْأَكْوَسيّ (٩: ٣٣).

الطَّبَّاءُ طَبَائِيٌّ: وَلِي قَوْلِهِمْ: ﴿مِنْ آيَةٍ تَشْخَرُنَا بِهَا؟﴾

اسْتِهْزَاءٌ بِهِ، حَيْثُ سَمَّوْهَا آيَةً وَجَعَلُوا غَرَضَهُ مِنْهَا أَنْ

يَسْخَرُوا مِنْهَا، أَيْ إِنَّكَ تَأْتِينَا بِالسَّحَرِ، وَتَسْمِيهَا آيَةً

مِنْ آيَاتِهِ

مَرْكَزُ تَحْقِيقِ كَلِمَاتِ عِلْمِ

١٦ - بُنِيََتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالزَّيْتُونُ وَالشَّجَرُ

وَالْأَفْخَاتُ وَمِنْ كُلِّ الْفَخْرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

يَتَذَكَّرُونَ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ... لَيْسَ فِي ذَلِكَ

لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ.

الْإِسْكَافِيّ: لِلسَّائِلِ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ تَوْحِيدِ الْآيَةِ لَوْلَا

وَأَخْرَاجُ عَنْ جَمْعِهَا فِي الْمُنْتَوَسِطَةِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْإِخْتِيَارَ

وَفِي كُلِّ ذَلِكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ؟ وَلَمْ يَجِبْ عَنْهَا بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ

لِدَلَالَتِهَا بِمَجْمُوعِهَا عَلَى وَاحِدٍ؟

وَالْجَوَابُ أَنْ يَقَالَ: إِنَّمَا وَحَّدَ فِي الْأَوَّلِ لِأَنَّ جَمِيعَ

مَا أَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ خَلَقَهُ، إِنَّمَا هُوَ فِي جِنْسٍ مِنْ صِنْفِهِ وَنَوْعٍ

مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ كُلُّ مَا نَجِمَ مِنَ الْأَرْضِ مِمَّا فِيهِ قُوَّةٌ

لِلخَلْقِ، وَالَّذِي ذَكَرَ فِيهِ الْآيَاتُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَهُوَ إِظْلَامُ

الْجَوْ لِنُزُولِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْقَبْرِ، وَيَهْدُو النَّضِيَاءَ

مَقْدَمَةَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

التَّيَرَانُ اللَّذَانِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا آيَاتٌ كَثِيرَةٌ، ثُمَّ النُّجُومُ

السَّيَّارَةُ وَغَيْرُهَا، عَلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا

مِنْ سَبِيلٍ فِي خَلْقِهِ، ثُمَّ مَا أَجْرَى الْعَادَةَ بِهِ مِنْ إِحْدَاثِ رِيحٍ

أَوْ مَطَرٍ، عِنْدَ انْتِهَاءِ أَحَدِهَا إِلَى بَعْضِ الْبَاقِي، فَكَانَ ذِكْرُ

الْآيَاتِ هُنَا أَوَّلًا، وَذَكَرَ «الْآيَةَ» فِي الْأَوَّلِ أَحْصَى، لِأَنَّ

الْأَوَّلَ فِيهَا يَطْلُعُ مِنَ الْأَرْضِ بِالمَاءِ وَكَأَنَّهُ جَمْعٌ، وَجَمِيعُهَا

شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَالثَّانِيَةُ بِخَلْقِهَا، وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ.

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَهِيَ: ﴿وَمَا ذَرَأَّا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا

أَلْوَانُهُ﴾ التَّحْلُ: ١٢، لِلْمَعْنَى - وَافَقَ أَهْلَهُمْ - جَمِيعُ جَوَاهِرِ

الْأَرْضِ كَالذَّهَبِ وَالنَّعْضَةِ وَالْحَدِيدِ، وَغَيْرِهَا مِنْ الْفُكْرِ

وَالنَّبِيَةِ عَلَى مَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ لِلْخَلَائِقِ، وَهِيَ كُلُّهَا

مُخْتَلِفَةٌ فِي شَيْءٍ، وَفِيهَا حُرُوقٌ جَارِيَةٌ، مُخْتَلِفَةٌ فِي شَيْءٍ

وَاحِدٍ هُوَ أَهْمُهَا وَهِيَ الْأَرْضُ، وَلِذَلِكَ قَدَّمَ الْأَصْنَافَ بِالزَّرْعِ

وَالنَّهَارِ، لِمَعْنَى الْمَخَاصِصِ وَالْعَامَّةِ بِمَا فِيهَا مِنْ قُرْبِ النِّفْعِ

وَلِمَتَسَاكِ الْخَلْقِ.

ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِمَا هُوَ أَصْلُهُ مِنَ الْمَوْءِ وَمَاءِ السَّمَاءِ

وَالْكَوَاكِبِ الَّتِي جَعَلَهَا قَوَائِمًا لِقَرِيَةِ مَا بِهِ ثَبَاتُ الْبَرِّيَّةِ.

فَلَمَّا صَرَفَ الْحَقُولَ إِلَى مَا نَصَبَ مِنَ الْأَمَارَاتِ فِي أَصْنَافِ

مَا بَيْنَهُ فِي الْبَرِّ، أَتْبَعَهُ بِمَا سَخَّرَهُ مِنَ الْبَحْرِ. (٢٥٧)

الْكُرْمَانِيّ: قَوْلُهُ فِيهَا: [فِي سُورَةِ التَّحْلِ] فِي

مَوْضِعَيْنِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ...﴾ التَّحْلُ: ١٢، ٧٩.

بِالْجَمْعِ، وَفِي خَمْسِ مَوَاضِعَ: [١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦] ﴿إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَآيَةً...﴾ عَلَى الْوَحْدَةِ. أَمَّا الْجَمْعُ فَلَمَّا فُتِحَ قَوْلُهُ:

﴿مُسْتَكْرَآتٍ﴾ في الآيتين، لتضع المرافقة في اللفظ والمعنى، وأما التوحيد فلتوحيد المدلول عليه. (١٠٩)

١٧- إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ. النحل: ٦٥
الإسكافي: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ﴾ وَإِنَّ كُفْرَكُمْ فِي الْأَنْقَامِ لَعِزَّةٌ تُنْفِكُكُمْ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿وَأَوْخَىٰ وَرَأَيْكَ إِلَىٰ التَّخْلِيقِ أَنْ الْفَيْدَىٰ مِنَ الْجِبَالِ يَهُرَّ قَدًّا... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٦٥-٦٩.

للسائل أن يسأل في هذه الآي من توحيد «الآية» في جميعها، ومنها ما فيه آيات.

يُجاب عنها فيقال: لما كان المذكور في كل آية صفاً واحداً، جعل ما دلّ منه على الصانع آية واحداً.

فإن قال: فإن في الأنعام وثمرات التخليل والأصنام قد جمعت وليس جميعها صفاً واحداً، وكان على نظر فضيلتك يجب في الاختيار أن يقال هنا: إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيات...

قيل له: إِنَّ قوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ) إشارة إلى ثمرات التخليل والأصنام دون الأنعام، وذلك صنف واحد، فلذلك قال: (آية)، ولما (الأنعام) فقد أسند بذكر الآية فيها قوله في ابتداء آيتها: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ فكانت، قال لكم فيها آية، إذا اعتبار مؤدّي إليها، فخلصت لئلا في ذلك للصنف الواحد من ثمر الشجر، ولما الثالثة لمقصود بها التخليل خاصة فلهذا قال: ﴿وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً...﴾ (٢٦٦)

١٨- فَأَيُّهَا قُتُولَا إِنَّا رُسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَحْزَنْهُمْ قَدْرُ جُنَّتِكَ بِأَيَّةٍ مِنْ رَبِّكَ... طه: ٤٧
ابن عباس: يريد المصا واليد.

(القرطبي: ١١: ٢٠٣)
المطوسي: أي بمعجزة ظاهرة، ودلالة واضحة، من عند ربك. (٧: ١٧٧)

مثله الطبرسي: (٤: ١٢)

الأصفهري: جملة جارية من الجملة الأولى، وهي ﴿إِنَّا رُسُولَا رَبِّكَ﴾ بمرى البيان والتفسير، لأن دعوى الرسالة انتهت لإبانتها التي هي الهيء بالآية. إنما وحد قوله: ﴿بِأَيَّةٍ﴾ ولم يثن معه آيات، لأن المراد في هذا

المرجع تبين الدعوى برهانها، فكانت قال: قد جئتكم بمعجزة وهران وحجة على مالدعينا من الرسالة، وكذلك: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الأعرابي:

٢٠٥: ﴿قَالَتْ بِأَيَّةٍ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ الشعراء: ١٥٤: ﴿قَالَ لَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ الشعراء: ٣٠.

(٢: ٥٣٩)

مثله البهزاوي (٢: ٥١)، ونحوه البروسوي (٥: ٣٩٢) والاكوسي (١٦: ١٩٨).

الفخر الرازي: فإن قيل: أليس كان من الواجب أن يقولوا: إِنَّا رُسُولَا رَبِّكَ قَدْ جِئْتُكَ بِأَيَّةٍ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَحْزَنْهُمْ، لأن ذكر المعجز مقروناً بإدعاء الرسالة أولى من تأخير عنه؟

قلنا: بل هذا أولى من تأخير عنه، لأنهم ذكروا بمجموع الدعاوي ثم استدلوا على ذلك المجموع بالمعجزة. أما قوله: ﴿قَدْ جِئْتُكَ بِأَيَّةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ ففيه سؤال

وهو أنه تعالى أعطاه آيتين وهما العصا واليد، ثم قال: ﴿إِذْ هَبْ أَنتَ وَالْحَوَکُ بِأَيَّتِي﴾ طه: ٤٢، وذلك يدل على ثلاث آيات، وقال هاهنا: ﴿جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ وهذا يدل على أنها كانت واحدة، فكيف الجمع؟

أجاب القائل: بأن معنى «الآية» الإشارة إلى جنس الآيات، كأنه قال: قد جئتكم ببيان من عنده، ثم يجوز أن يكون ذلك حجة واحدة، لوحدة كثيرة (٢٢: ٦١) القرطبي: قيل: إن فرعون قال له: وما هي؟ فأدخل يده في جيب قميصه، ثم أخرجها بيضاء، ها شعاع مثل شعاع الشمس، غلب نورها على نور الشمس، فوجب منها، ولم يره العصا إلا يوم الزينة، (١١: ٢٠٣)

الطبرسي: وإنا وجدناه قوله: (بآية) ومعه آيات بل آيات، لقوله: ﴿إِذْ هَبْ أَنتَ وَالْحَوَکُ بِأَيَّتِي﴾ طه: ٤٢، لأنه أراد الجنس كأنه قيل: قد جئتكم ببيان من عند الله وبرهان.

قال في «الكناف»: قلت: وفيه أيضا مرع من الأدب، كما لو قلت: أنا رجل قد حصلت شيئا من العلم، ولعل عندك علوما جمة، على أن تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد عليه.

وأيتنا الأصل في معجزات موسى كان هي العصا، ولهذا وقعت في معرض المعارضة، كما أن الأصل في معجزات نبي الله ﷺ كان هو القرآن، فوقع لذلك في حيز التعدي. (١٦: ١٣٠)

أبو حيان: قد ذكر في غير هذه الآية دعاؤه إلى الإيمان، فجعله مادعي إليه فرعون الإيمان وإرسال بني إسرائيل، ثم ذكر ما يدل على صدقها في إرسالها إليه.

قلا: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ وتكرر أيضا قولها: (مِنْ رَبِّكَ) على سبيل التوكيد بآية مريب متهور، والآية التي لحالا عليها هي العصا واليد، ولما كانا مشتركين في الرسالة صح نسبة النجى بالآية إليهما، وإن كانت صادرة من أحدهما، [ثم ذكر قول الزمخشري وقال:]

وقيل: الآية: اليد وقيل: العصا، والمعنى: بآية تشهد لنا بأننا رسولا ربك. (٦: ٢٤٦)

الطبرسي: قوله: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ استناد إلى حجة ثبتت رسالتها، وفي تكثير «الآية» سكوت عن العدد، وإشارة إلى فخامة أمرها وكبر شأنها ووضوح دلالتها. (١٤: ١٥٧)

١٦ - ... وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ. الأنبياء: ٩١
القراء: وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً﴾ ولم يقل: آيتين، لأن شأنها واحد ولو قيل: آيتين لكان صوابا، لأنها ولدت وهي بكر، وتكلم عيسى في المهد، فتكون آيتين، إذ اختلفتا. (٢: ٢١٠)

نحو الطوسي (٧: ٢٧٦)، والطبرسي (٤: ٦٧).
الطبرسي: وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانها، يعتبرون بهما، ويذكرون في أمرهما، فيعلمون عظيم سلطتنا وقدرتنا على ما نشاء.

وقيل: (آية)، ولم يقل: آيتين، وقد ذكر آيتين، لأن معنى الكلام: جعلناهما حجة لنا وحجة، فكل واحدة منهما في معنى الدلالة على الله، وعلى عظيم قدرته، يقوم مقام الآخر، إذا كان أمرها في الدلالة على الله واحدا.

(١٧: ٨٤)

نحوه التثني (٣: ٨٨ والثريي (٢: ٥٢٨)،
والبروسوي (٥: ٥٢٠).

القرطبي: قال: «وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً» ولم يقل:
آيتين، لأن معنى الكلام: وجعلنا شأنها وأمرها
وقصتها آية للعالمين، وعلى مذهب بيتوته التقدير:
وجعلناها آية للعالمين، وجعلنا لبنها آية للعالمين، ثم
حذفه وعلى مذهب الفراء: وجعلناها آية للعالمين
وابنها، مثل قوله جل ثناؤه: «وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ
يُزْوَءَ» الآية: ٦٢.

وقيل: إن من آياتها أنها أول امرأة قبلت في النذر في
المتجد ومنها أن الله عز وجل غذاها برزق من عنده،
وهو على يد عبد من عبده. وقيل: إنها لم تلقم ندياً
وإنما: لأن رزقها كان يأتيها به الملائكة من الجنة.

وهو قوله تعالى: «أَنِّي لَكِ هَذَا فَالْتِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»
آل عمران: ٢٧.

والأوسمي: المراد بالآية: ما حصل بها من الآية
القائمة، مع تكرار آيات كل واحد منها، وقيل: أريد
بالآية: الجنس الشامل مالم كل واحد منها من الآيات
المستقلة، وقيل: المعنى وجعلناها آية ولبنها آية
فحدثت الأولى دلالة الثانية عليها. (٨٨: ١٧)

العلباءني: أفرد الآية فحدثها، أصح مريم
وعيسى عليهما السلام معاً آية واحدة للعالمين، لأن الآية هي
الولادة، كذلك وهي قائمة بهما معاً، ومريم تسبق عيسى في
إقامة هذه الآية ولذا قال تعالى: «وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا
آيَةً..» ولم يقل: وجعلنا ابنها وولدها آية.

وكل ما ففراً أن يدخل ذكرها في ذكر الأنبياء عليهم السلام

الزجاج: إن الآية فيها واحدة: لأنها ولدت من غير
فحل. (القرطبي: ١١: ٣٢٨)

المتبدي: أي دلالة على قدرتنا على خلق ولد من
غير لب، ولم يقل: آيتين وهما اثنان، لأن معنى الكلام:
وجعلنا شأنها وأمرها آية، ولأن الآية كانت فيها
واحدة، وهي أنها أتت به من غير أب. (٢١: ٣٠٤)
نحوه الزمخشري. (٢: ٥٨٣)

الفخر الرازي: بين تعالى بأخصر الكلام ما خص به
مريم وعيسى عليهما السلام من الآيات، فقال: «وَجَعَلْنَاهَا
وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ» أما مريم فأياتها كثيرة:
أحدها: ظهور الحمل فيها لا من ذكر، فصار ذلك آية
ومعجزة خارجة عن العادة.

وثانيها: لأن رزقها كان يأتيها به الملائكة من الجنة.
وهو قوله تعالى: «أَنِّي لَكِ هَذَا فَالْتِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»
آل عمران: ٢٧.

وثالثها ورابعها: قال الحسن: إنها لم تلضم ندياً برقا
فقط، وتكلمت هي أيضاً في صباها كما تكلم عيسى عليه السلام.
وأما آيات عيسى عليه السلام فقد تقدم بيانها، فبين
سبحانه أنه جعلها آية للناس يتدبرون فيها خصابه من
الآيات، ويستدلون به على قدرته وحكمته سبحانه
وتعالى.

فإن قيل: هلا قيل: آيتين كما قال: «وَجَعَلْنَا النُّزُلَ
وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ...» الإسراء: ١٢؟

قلنا: لأن حالها بمجموعها آية واحدة وهي
ولادتها إياه من غير فحل، وهما آخر القصص.

(٢٢: ٢١٨)

في كلامه وليست منهم.

(١٤: ٣١٧)

وأما آية، ثم حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها.

(٣: ٣٣)

الفطو الرأزي: اعلم أن ابن مريم هو عيسى عليه السلام جعله الله تعالى آية بأن خلقه من غير ذكر، وأطلقه في المهد في الصفر، وأجرى على يديه إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى. وأما مريم فقد جعلها الله تعالى آية، لأنها حملته من غير ذكر.

وقال الحسن: تكلمت مريم في صفرها كما تكلم عيسى عليه السلام. وهو قولها: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ آل عمران: ٣٧، ولم تلقم ندياً قط.

قال القاضي: إن ثبت ذلك فهو معجزة لذكرها عليه السلام، لأنها لم تكن نبيّة.

قلنا: القاضي إنما قال ذلك، لأنّ عنده الإيهام غير جائز، وهو غير جائز، وعندنا ما جائز، فالحاجة إلى ما قال. والأقرب أنّه جعلها آية بغض الولادة، لأنّه ولد من غير ذكر، وولده من دون ذكر، فاشتركا جميعاً في هذا الأمر العجيب المصادق للعادة، والذي يدلّ على أنّ هذا التفسير أولى وجهان: أحدهما: أنّه تعالى قال: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ لأنّ نفس الإعجاز ظهر فيها، لا أنّه ظهر على يدها. وهذا أولى من أن يحمل على الآيات التي ظهرت على يده نحو إحياء الموتى، وذلك لأنّ الولادة فيه وفيها آية فيها، وكذلك أن نطقاً في المهد، ومساعد ذلك من الآيات، ظهر على يده لا أنّه آية فيه.

الثاني: أنّه تعالى قال: (آية) ولم يقل: آيتين، وشمل

٢٠ - وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَلَوَيْنَا مَا نَكُنِي زُيُوتَ ذَاتِ قُرَارٍ وَمَعِينٍ. المؤمنون: ٥٠

فقد أضاف ولدته من غير أب هو له، ولذلك وُحِدَتْ الآية، وقد ذكر مريم وابنها. (الطبري: ١٨: ٢٥)

الطبري: وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم، وعلى قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل، كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب. (١٨: ٢٥) الطوسي: والآية هنا في عيسى عليه السلام أنّه ولد من غير فعل، وعطى في المهد. وفي أنّه أنّها حملته من غير ذكر، وبرأها كلامه في المهد من القاحشة. (٧: ٣٧٢)

نحو الطبري: (١٨: ٢٥)

السيدي: أي دلالة على قدرتنا، ولم يقل: آيتين، لأنّ المعنى وجعلنا كلّ واحد منها آية، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّنَا الْهَشِيِّ أَنتَ أَكَلْنَا﴾ الكهف: ٣٣، أي أنت كلّ واحدة منها أكلها.

وقيل: وجعلنا شأنها آية، لأنّ عيسى ولد من غير أب، وأمه ولدت من غير ميسر ذكر، فكانت الأعجوبة فيها واحدة. (٦: ٤٣٨)

الزمخشري: فإن قلت: لو قيل: آيتين، هل كان يكون له وجه؟

قلت: نعم، لأنّ مريم ولدت من غير ميسر، وعيسى روح من الله ألقي إليها، وقد تكلم في المهد، وكان يحيي الموتى مع معجزات أخرى، فكان آية من غير وجه، واللفظ محتمل للتثنية، على تقدير: وجعلنا ابن مريم آية.

والفتح (٨٦: ٦)

نحوه القاسمي (١٢: ١٤٠١)

الألوسي: آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها، من غير ميس بشر، فالآية أمر واحد مشترك بينها فلنا أفردت.

وجوز أن يكون الكلام على تقدير مضاف، أي جعلنا حال ابن مريم وأنه آية، لو جعلنا ابن مريم وأنه ذوي آية.

وأن يكون على حذف «آية» من الأول، لدلالة الثاني عليه أوبالعكس، أي جعلنا ابن مريم آية لما ظهر فيه من الخوارق، كتكلمه في المهد بتكلم صغيراً، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، «غير ذلك كبير» وجعلنا آية بأن ولدت من غير ميس.

وقال الحسن: إنها تكلمت في صغرها أيضاً حيث قالت: «هو من جنده الله إن الله يزرئ من يشاء بغير حساب» آل عمران: ٣٧، ولم تلزم ندباً.

وقال المفاجي: لك أن تقول: إنما يحتاج إلى توجيه إفراد الآية بما ذكر، إذا أريد أنها آية على قدرة الله تعالى، أما إذا كانت بمعنى المسجزة لأولادها من فلان، لأنها إنما هي لميس طه لنبوته دون مريم، انتهى.

ولا يخفى ما فيه، والوجه ما تقدم، والتشهير عن عيسى طه بابن مريم «عن مريم بأنه للابن من أول الأمر بحبيته كونها آية، فإن نسبته طه إليها مع أن النسب إلى الآباء دالة على أن لا أب له، أي جعلنا ابن مريم وحدها من غير أن يكون له أب، وأنه آية ولدته

هذا اللفظ على الأمر الذي لا يتم إلا بمجموعها أول، وذلك هو أمر الولادة لا المعجزات التي كان عيسى طه مستقلاً بها. (٢٣: ١٠٢)

النيسابوري: [ذكر قول الزمخشري وأضاف:] والأقرب حمل اللفظ على الوجه الذي لا يتم إلا بمجموعها، وهو الولادة على الوجه السجيب الناقض للمادة. (١٨: ٢٢)

أبو حيان: «وجعلنا ابن مريم وآية» أي قصتها. وهي آية عظمى بمجموعها، وهي آيات مع التفصيل، ويحتمل أن يكون حذف من الأول «آية» لدلالة الثاني، أي وجعلنا ابن مريم آية، وأنه آية. (٦: ٤٠٨)

الطبري: قوله: «وجعلنا ابن مريم وآية» لم يقل: آيتين، لأن قصتها واحدة. وقيل: لأن الآية فيها مئة، وهي الولادة بغير حمل. (١٤: ٤٠٨)

البرزوقي: «وآية» دالة على عظم قدرتنا بولادته منها، من غير ميس بشر، فالآية أمر واحد مضاف إليها، أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد، فظهرت منه معجزات جمة، وأنه آية بأنها ولدته من غير ميس، فحذف الأولى لدلالة الثانية عليها.

قال في «التيون»: (آية) أي خيرة بني إسرائيل بعد موسى، لأن عيسى تكلم في المهد وأعيا الموتى، ومريم ولدته من غير ميس، وهما آيتان قطعا، فيكون هذا من قبيل الاكتفاء بذكر إحداهما، انتهى.

وتقدم طه لإصاحته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديم أنه في قوله: «وجعلناها وآيتها آية لآلناين» الأنبياء: ٨١، لإصاحتها فيما نسب إليها من الإحصان

- خاصة من غير مشاركة الأب آية.
- وتقديمه ^{١٢٨} لإصالة فيما ذكر من كونه آية، كما قيل:
- إِنْ تَقْدِيمُ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابِئْتَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ لإصالتها فيما نسب إليها من الإحصان والتفخ.
- ثم اعلم أن الذي أجمع عليه الإسلاميون أنه ليس لمريم ابن سوى عيسى ^{١٢٩}.
- ٢١ - أَتَتْهُمْ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةٌ فَكَفَرُوا. الشعراء: ١٢٨
- ابن عباس، الآية، عُلِمَ. (الطبري ١٩: ٩٤)
- مثله الرَّمَحُشَرِيُّ. (١٢٩: ٣)
- شجاعه: بيان الحمام. (الطبري ١٩: ٩٤)
- الضُّعَالَة: بهاء، عُلِمَا. (الطبري ١٩: ٩٤)
- الْمُنْقَاشُ: القصور الطُّوَال. (أبو حيان ١٩: ٩٤)
- الْمَيْبُودِي: يعني بناء متميزاً عن سائر الآيات، وقيل
- (آية) أي علامة يجتمعون إليها للبحث عن رمز في القرآن ^{١٣٠}
- وقيل: هو بُرْجُ الْحَمَام. (١٣٠: ٧)
- نحوه التَّنْفِي (١٣: ١٩١)، والْزُّوسِيُّ (٦: ٢٩٥).
- الْفَخْرُ الزَّارِي: الآية: التَّكْم، ثم فيه وجوه:
- أحدها: عن ابن عباس أنهم كانوا ينون بكل ريع
- علماً يبنون فيه من رمز في الطريق إلى هود ^{١٣١}.
- والثاني: أنهم كانوا ينون في الأماكن المرتفعة لحرف
- بذلك غنائم تفاخروا فتهاونوا عنه ونُسبوا إلى البحث.
- والثالث: أنهم كانوا سجن يهتدون بالنجوم في
- أسفارهم، فأتخذوا في طريقهم أعلاماً طَوَالاً فكان ذلك
- عبارة، لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم.
- الرَّابِع: بنوا بكل ريع بروج الحمام. (١٥٧: ٢٤)
- أَبُو حَيَّان: قيل: يت عشار، وقيل: نادياً للتصانف.
- وقيل: أعلاماً طَوَالاً يهتدون بها في أسفارهم عبثوا بها.
- لأنهم كانوا يهتدون بالنجوم، وقيل: علامة يجتمع إليها
- من يبعث بالمار في الطريق. وفي قوله إنكار للبناء على
- صورة البحث كما يفعل المتشككون في الدنيا. (٣٢: ٧)
- الكاشاني: أي علماً للمارة، أوبناء لا يحتاجون
- إليه. (٤٥: ٤)
- عِزَّةٌ دَوْرَةٌ: هذه الكلمة بمعنى بناء، ولعلها بمعنى
- جيش أو قلعة أو برج. (١٢٨: ٣)
- المخاض: أي قصرًا مشيدًا عاليًا. (٨٥: ١٩)
- ٢٢ - فَأَتَتْهُمْ وَأَضْغَابُ الشَّيْئَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً
- لِلْعَالَمِينَ. (الأنبياء: ١٥)
- الطُّوسِي: وجعل السفينة آية، أي علامة للخلاق
- (آية) أي علامة يجتمعون إليها للبحث عن رمز في القرآن ^{١٣٢}
- والكفار والماعين والأخيار، فهي دلالة للخلق على
- صدق نوح وكفر قومه. (١٩٢: ٨)
- مثله الطُّوسِي. (٢٧٦: ٤)
- الْمَيْبُودِي: «آية للعالمين» سفينة نوح، كانت أول
- سفينة في الدنيا، فأبقيت السفن آيةً وعبرةً للخلق
- وعلامةً من سفينة نوح، وهو قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ
- تَرَكْنَاهَا آيَةً...﴾ (الأنبياء: ٢٥). وقيل: معناه جعلنا
- نجات من في السفينة من الترقى دلالة يستدل بها على
- صدق نوح.
- وقيل: جعلنا العقوبة آيةً أي عظة للعالمين يتعلمون
- بها. (٣٧٣: ٧)

الطبري: يقول: عبرة بيته وعظمة واعظته، لقوم
يعتقون عن الله حجبهم، ويغفرون في مراعاة، وتلك
آية البيته هي عدي حَقُّ آثارهم، وكروس معانهم.
(١٤٩: ٢٠)

المبيدي: «بين ماها للثمين لا للثمين، فليس
يعني لله بقي بعضهم آية، وإنما للمنى تركنا القرية بما
لمناها آية وعظمة أن تنكر وعقل.

ثم اختلفوا في الآية البيته المترككة، فقال بعضهم:
ترك الله بعض الأعباء التي أمطرت عليهم، على كل
حجر اسم من أهللك به. فن ذهب إلى الشام وأتى على
قرية لوط رأى من تلك الحجارة. وقيل: إنها بقتية
الحجارة التي كانت بأرضهم، وصار ماؤها أسوداً (سبي)
بناقي الناس برائته من مسافة بعيدة.

وقيل: ترك بعض ديارهم منكوسة عبرة وعظمة
(٣٩١: ٧)

نحو البروشوي: (٤٦٧: ٦)
الزمخشري: هي آثار منازلهم الخربة. وقيل: بقية
الحجارة. وقيل: الماء الأسود على وجه الأرض، وقيل:
الخبر مما صنع بهم. (٢٠٥: ٣)

نحو البضاوي (٢٠٩: ٢)، والشامي (٢٥٧: ٣)،
والنيسابوري (٩٢: ٢٠).

الفخر الرازي: أي من القرية، فإن القرية معلومة
وفيها الماء الأسود، وهي بين القدس والكرك^(١)، وفيها
مسائل:

بجدها: جعل الله الآية في نوح وإبراهيم بالتجاء

نحو البروشوي: (١٥٦: ٦)
أبو حيان: والضمير في «وَجَعَلْنَاهَا» يستعمل أن
يعود على السببة، وأن يعود على الحادثة والقصة. وألفرد
(أمة) وجاء بالفاصلة (اللقائين)، لأن إجماع السفن أمر
مجهود فالآية: إجماع، تعالى أصحاب السفينة وقت
المحاجة، ولأنها بقيت أعواماً حتى مرَّ عليها الناس
ورأوها، فحصل العلم بها لهم، فناسب ذلك قوله:
(اللقائين). (١٤٥: ٧)

الأوسي: عبرة وعظمة لهم لبقائها زمناً طويلاً على
الجهدي يشاهدها المارء ولاشتهارها فيها بين الناس،
ويبرز كون الضمير للحادثة والقصة المفهومة مما قبل،
وهي عبرة للعالمين، لاشتهارها فيها بينهم. (١٤١: ٢٠)

٢٣. وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
المنكوسات: ٢٣

ابن عباس: هي آثار ديارها الخربة. (الأوسي ٢٠: ١٥٦)
مجاهد: هي الماء الأسود على وجه الأرض.
(الأوسي ٢٠: ١٥٦)

قتادة: هي الحجارة التي أمطرت عليهم، وقد
أدركتها أوائل هذه الأمة. (الأوسي ٢٠: ١٤٩)
القرطبي: المعنى تركناها آية، يقول: إن في السماء آية،
يريد أنها آية. (أبو حيان ٧: ١٥٦)
أبوسليمان الدمشقي: إن الآية في قريتهم إلا أن
أساسها أعلاها وسفوفها أسفلها إلى الآن.

(أبو حيان ٧: ١٥١)

حيث قال: ﴿فَالْقَاهِلَةُ وَالْمُتَكَلِّمَةُ وَالْمُتَكَلِّمَةُ وَالْمُتَكَلِّمَةُ﴾
المنكوت: ١٥. وقال: ﴿فَالْقَاهِلَةُ وَالْمُتَكَلِّمَةُ وَالْمُتَكَلِّمَةُ وَالْمُتَكَلِّمَةُ﴾
المنكوت: ٢٤. وجعل هاهنا الهلاك آية فعل
عندك فيه شيء؟

نقول: نعم، أمّا إبراهيم فلأن الآية كانت في النجاة،
لأن في ذلك الوقت لم يكن إهلاك.

وأما في نوح فلأن الإجماع من الطوفان الذي علا
الجبال بأسرها أمر عجيب إلهي، وما به النجاة وهو
السفينة كان باقياً، وانفرد لم يبق لمن بعده أثره، فجعل
البقي آية.

وأما هاهنا لنجاة لوط لم يكن بمأمر يسهل أمره
للحسن، والهلاك أثره محسوس في البلاد فجعل الآية
الأمر الباقي، وهو هاهنا البلاد، وهناك السفينة.

وهاهنا لطيفة: وهي أن الله تعالى آية قدرته
موجودة في الإجماع والإهلاك، فذكر من كل باب آية
وقدم آيات الإجماع، لأنها أئمة الرحمة، وأخر آيات
الإهلاك، لأنها أئمة الغضب، ورحمته سابقة.

المسألة الثانية: قال في السفينة: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾
ولم يقل: بَيِّنَةً، وقال هاهنا: ﴿آيَةً تَبَيِّنُ﴾.

نقول: لأن الإجماع بالسفينة أمر يتسع له كل عقل،
وقد يقع في وهم جاهل أن الإجماع بالسفينة لا يختص إلى
أمر آخر. وأمّا الآية هاهنا الخسف، وجعل ديار معسرة
عاليها سافلها، وهو ليس بمعاد، وإنما ذلك بإرادة قادر
يختصه بمكان دون مكان، وفي زمان دون زمان، فهي
بَيِّنَةٌ لا يمكن لجاهل أن يقول: هذا أمر يكون كذلك، وكان
له أن يقول في السفينة: النجاة بها أمر يكون كذلك، إلى أن

يقال له: فن أين علم أنه يحتاج إليها، ولو دام الماء حتى
ينفزاذهب كيف كان يحصل لهم النجاة؟ ولو سخط الله
عليهم ألغى الرجع العاصفة كيف يكون أحوالهم؟
للمسألة الثالثة: قال هنالك: (لِلْمُتَكَلِّمِينَ) وقال هاهنا:
﴿لَقَوْمٍ يُفْقِلُونَ﴾.

قلنا: لأن السفينة موجودة في جميع أقطار العالم،
لهذا كل قوم مثال لسفينة نوح يتذكرون بها حاله، وإذا
ركبها يطلبون من الله النجاة. ولا يثق أحد بمجرّد
السفينة، بل يكون دائماً مرتجف القلب متضرعاً إلى الله
تعالى، طلباً للنجاة.

وأما أثر الهلاك في بلاد لوط ففي موضع مخصوص
لا يطلع عليه إلا من يربها ويصل إليها، ويكون له عقل
على أن ذلك من الله المرید، بسبب اختصاصه بمكان دون
مكان، ووجوده في زمان بعد زمان. (٢٥: ٦٣)

أبو حنيفة: [قال بعد نقل قول القراء:]
وهذا لا يشبه إلا على زيادة من في الواجب، نحو
قوله: «أظهرت منهاجيتي وتيسّاء يريد أمهرتها، وكذلك:
﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِثْقَالَ أُتَمَّةٍ﴾ المنكوت: ٣٥.

وقيل: الهاء في (منها) هائلة على الفعلة التي فعلت
بهم، ففعل الآية: المجارة التي أدركتها أوائل هذه الأمة.
(١٥١: ١٧)

الطباطبائي: أي أبقينا من القرية علامة واضحة
لنقوم بفعلها، ليشتروا بها فيفتقروا الله، وهي الآثار الباقية
منها بعد خرابها بزلزل العذاب، وهي اليوم مجهولة المثل
لأثر منها، وربما يقال: إن الماء غمرها بعد، وهي بحر
لوط، لكن الآية ظاهرة كها تری، أنها كانت ظاهرة

جئته كانت آية، أي علامة على توحيد الله تعالى؟

قلنا: لما تماثلنا في الدلالة واتحدت جهتها فيها جعلها آية واحدة، وظهير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةً مِّنْ آيَاتِهِ أَتَى الْمُؤْمِنُونَ: ٥٠﴾. مسائل الرازي (٢٨٦) القُرطبي: (آية) اسم (كان)، أي علامة ماثلة على قدرة الله تعالى على أن لهم خالقاً خلقهم، وأن كل الخلائق لو اجتمعوا على أن يخرجوا من الخشب شجرة لم يمكنهم ذلك، ولم يستدوا إلى اختلاف أجناس النصارى وأكوانها وطوبىها وروائعها وأزهارها، وفي ذلك ما يدل على أنها لا تكون إلا من عالم قادر. (١٤: ٢٨٣) نحوه التيساري.

البروتوني: علامة ظاهرة دالة بملاحظة الأحوال السابقة واللاحقة لتلك القبيلة، من الإعطاء والقرابة يقتضى اللطف، ثم من المنع والتخريب بحسب التهر على وجود الصانع الخالق، وقدرته على كل ما يشاء من الأمور البديعة، ومجازاته للمحسن والمسيء وما يحلها إلا العالمون، وما يستبرها إلا العاقلون. (٢٨١: ٢٧)

الألوسي: ولعل وجه توحيد الآية هنا مثله في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةً مِّنْ آيَاتِهِ أَتَى الْمُؤْمِنُونَ: ٥٠﴾. ولا حاجة إلى اعتبار مضاف مفرد محذوف هو البدل أو الخبر في الحقيقة، أي قصة جنتين. (١٢٥: ٢٢)

٢٦ - وَإِذْ لَّمْ يَأْتِ جَمَلُنَا دُرُوسُهُمْ فِي الْغُلِيِّ الْعَشَقُونَ.

الطبرسي: أي حجة وعلامة لهم على اقتدارنا.

(٤٢٦: ٤)

مثله البروتوني.

القرطبي: يشمل ثلاثة معان:

أولها: عبرة لهم؛ لأن في الآيات اعتباراً

الثاني: نعمة عليهم؛ لأن في الآيات إنعاماً.

الثالث: إنذارهم؛ لأن في الآيات إنذاراً. (١٥: ٣٤)

٢٧ - وَتَوَكَّنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخْلُقُونَ الْغُذَابَ الْآلِيمَ.

الذاريات: ٢٧

ابن جزي: هي صخر مغطى طيها.

(الزحشري: ٤: ١٩)

الطبرسي: وتركناها آية، لأنها التي انتفكت بأهلها.

أي الآية، وذلك كقول القائل: ترى في هذا الشيء عبرة

آية. وسماها: هذا الشيء آية وعبرة كما قال جيل

تناوه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ آيَاتٌ لِلنَّاسِينَ...﴾

يوسف: ٧. وهم كانوا الآيات وعظمهم، ويعني به الآية

الطلة والمبرة، الذين يخالفون عذاب الله الأليم في الآخرة.

(٢: ٢٧)

الطوسي: قيل: إن الآية لقتلاع البلدان، لا يغير

عليه إلا الله تعالى. (٣٩١: ٩)

السيدي: أي علامة للخائفين، تعلم على أن الله

أهلكهم، فيخافون مثل عذابهم، كقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى...﴾ التازعات: ٢٦. وكقوله: ﴿ذَلِكَ لِمَن

خَافَ مَقَامِي﴾ إبراهيم: ١٤.

الزحشري: علامة يستبر بها المسافرون دون

القاسية قلوبهم، وقيل: ماء أسود متنجس. (٤: ١٩)

(١٨٦: ٤)

مثله التسي.

القنطرة الزاوي، وفي الآية خلافاً قيل: هو ماء أسود متين انتشقت أرضهم، وخرج منها ذلك.

وقيل: حجارة مرمية في ديارهم، وهي بين الشام والحجاز، وقوله: ﴿أَيُّهُ يَلْبِذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ...﴾ الذاريات: ٣٧، أي المتطع بها هو الخائف، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ يَتَقَالُونَ﴾ في سورة النكبات: ٢٥.

وبينها في اللفظ فرق، قال هاهنا: (أَيُّهُ)، وقال هناك: ﴿أَيُّهُ يَهْتَهُ...﴾ النكبات: ٢٥، وقال هناك: ﴿يَقُولُونَ يَتَقَالُونَ﴾ وقال هاهنا: ﴿يَلْبِذِينَ يَخَافُونَ﴾ لعل في المعنى فرقاً.

نقول: هناك مذكور بأبلغ وجه، يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَيُّهُ يَهْتَهُ﴾ حيث وصفها بالظهور، وكذلك (منها) و(فيها) فإن «بن» للتبعض فكانت تعالى قال من نفسها لكم آية باقية، وكذلك قال: ﴿يَقُولُونَ يَتَقَالُونَ﴾ فإن الماقل أعظم من الخائف، فكانت الآية هناك أظهر، وسببه ما ذكرنا أن القصد هناك تحريف القوم، وهاهنا تسلية القلب الأتري إلى قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا قَوْمًا هَتَّاهُ مِنَ الْمُتَشَلِّينَ. الذاريات: ٣٥، ٣٦، وقال هناك: ﴿إِنَّا مَنجُوهُمْ وَأَهْلَكَ﴾ النكبات: ٣٢، من غير بيان واف بنجاة المسلمين والمؤمنين بأسرهم. (٢٨: ٢١٩)

القرطبي، أي عبرة وعلامة لأهل ذلك الزمان ومن يهدم، نظيره: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا يَثْبُتًا أَيُّهُ يَهْتَهُ يَقُولُونَ يَتَقَالُونَ﴾ النكبات: ٣٥، ثم قيل: الآية المتروكة نفس القرية المحرقة. وقيل: الحجارة المنصوبة التي رجوا بها هي الآية. (١٧: ٤٩)

القرطبي، أي علامة عبرة على هلاكهم، كالحجارة أو الماء المتين، فإننا قلنا قراهم كلها وصعدت في البحر كالتيام إلى عنان السماء ولم يضر أحد من أهلها بشيء من ذلك، ثم قلبت وانتهت بالحجارة، ثم خسف بها وغمرت بالماء الذي لا يشبه شيء من مياه الأرض، كما أن جناتهم لم تكن تشبه جنات أحد ممن تقدمهم من أهل الأرض. (١٠٣: ١)

القرطبي، علامة دالة على ما أصابهم من العذاب هي تلك الحجارة، أو ماء أسود متين خرج من أرضهم. (١٦٥: ٨)

نحوه القرطبي. (٢٧: ١٤)

الآية

قارئة الآية الكبرى. التازعات: ٢٠
القرطبي، قلب المصاحفة. (القرطبي: ٣٠: ٢٩)
السا. (القرطبي: ١٩: ٢٠٢)
منه طاء. (القنطرة الزاوي: ٣١: ٤١)
مجاهد: صاء ويد. (الطبري: ٣٠: ٤٠)
منه الحسن، وقناة. (الطبري: ٣٠: ٤٠)
الحسن: اليد البيضاء. (الطبري: ١٠: ٢٥٩)
منه الكلبي، ومقابل. (الشريني: ٤: ٤٧٩)
ابن زيد: الصا والحية. (الطبري: ٣٠: ٤٠)
الطبري، غاري موسى فرعون الآية الكبرى، يعني الدلالة الكبرى على أنه الله رسول أرسله إليه، فكانت تلك الآية يد موسى، إذ أخرجهما بيضاء للتأخرين، وعصاه إذ تحولت، ثمناً مبيتاً. (٣٠: ٣٩)

الرُّجْحَاجُ: يعني أنه اليد التي أخرجها تلالاً من غير
سوء. (٥: ٢٨٠)

الْمَيْبُذِي: وهي العصا، وقيل: اليد البيضاء، وقيل:
جميع الآيات التي يمت بها.

ويحتمل أن فاعل (فَارَبَهُ) هو الله. لا تقطاع الكلام
الأول. (١٠: ٣٧٠)

الرُّمَحَشَرِي: قلب العصا، لأنها كانت المقامة
والأصل، والأخرى كالشعير لها، لأنه كان يثقبها بيده،
فقيل له: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ السُّلَم: ١٢، أو
لأرادها جميعاً إلا أنه جعلها واحدة، لأن الثانية كانت من
جملته الأول، لكونها تابعة لها. (٤: ٢١٤)

نحوه البَيْضَاوِي.

الفخر الزاوي: اختلفوا في ﴿الآيَةُ الْكُبْرَى﴾ على
ثلاثة أقوال.

الأول: قال مقاتل، والكلمة هي اليد، لقوله
﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾
آيَةُ أُخْرَى • لِتُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ طه: ٢٢، ٢٣.

القول الثاني: قال عطاء: هي العصا، لأنه ليس في
اليد إلا انقلاب لونه إلى لون آخر، وهذا المعنى كان
حاصلاً في العصا، لأنها لما انقلبت حية فلابد وأن يكون
قد تغير اللون الأول، فإذا كل ما في اليد فهو حاصل في
العصا.

ثم حصل في العصا أمور أخرى أزيد من ذلك، منها
حصول الحياة في الجرم الجهادي، ومنها تزايد أجزائه
وأجسامه، ومنها حصول القدرة الكبيرة والقوة
الشديدة، ومنها أنها كانت ابتلعت أشياء كثيرة وكانت

فنيته، ومنها زوال الحياة والقدرة عنها، وفناء تلك
الأجزاء التي حصل عظمها، وزوال ذلك اللون والشكل
الَّذِينَ يَبْهًا صَارَتِ الْعَصَا حَيَّةً.

وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزاً مستقلاً في
نفسه، فقلنا أن ﴿الآيَةَ الْكُبْرَى﴾ هي العصا.

والقول الثالث في هذه المسألة: قول مجاهد: وهو أن
المراد من ﴿الآيَةَ الْكُبْرَى﴾ بمسوح اليد والعصا، وذلك
لأن سائر الآيات دلت على أن أول ما أظهر موسى ﷺ
للمرحون هو العصا، ثم أتت باليد فوجب أن يكون المراد
من ﴿الآيَةَ الْكُبْرَى﴾ بمسوحها. (٣١: ٤٦)

نحوه الشَّرِيفِي.

الزاوي: فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿فَارَبَهُ
الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ مع أن موسى عليه الصلاة والسلام
أراه الآيات كلها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَوَقَدْ آتَيْنَا آيَاتِنَا

الْأُولَى: قَالَ مُقَاتِلٌ، وَالْكَلِمَةُ هِيَ الْيَدُ، لِقَوْلِهِ

قلنا: الإخبار في هذه الآية عن أول ملاقاته إياه،
وأما أراه في أول ملاقاته العصا واليد، فمأطوق عليها
﴿الآيَةَ الْكُبْرَى﴾ لاتحاد معناهما. وقيل: أراد به ﴿الآيَةَ
الْكُبْرَى﴾ العصا، لأنها كانت المقامة والأصل،
والأخرى كالشعير لها، لأنه كان يثقبها بيده، فقيل له:
﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ...﴾ السُّلَم: ١٢.

(مسائل الزاوي: ٣٦٥)

الْقُرْطُبِيُّ: أي العلامة العظمى وهي المعجزة. وقيل:
العصا. وقيل: اليد البيضاء تبرز كالشمس. وقيل: فُلُق
البحر. وقيل: الآية، إشارة إلى جميع آياته ومعجزاته.

(١٩: ٢٠٢)

دينياً في الدلالة على وجود الله وعظمته ووحدانيته وقهرته، وهي في «التأزعات» العلامة الدالة على أن موسى بعث برسالة من الله جلّ جلاله، لمجابهة المفتريين: المعجزة الدالة على صدقه، ووصفت الآية) بالكبرى) نظيماً وتقريراً لقوة دلالتها وسلطانها في تأييد رسالة موسى أقصى درجة، وإذا كانت هناك ضرورة لتعديد هذه الآية الكبرى، فلنا أن نستأنس بحديث موسى في سورة «طه»، إذ ناداه ربّه بالوادي المقدس طوى. وقال: ﴿وَمَا تَطَّلَعُ بِمِثْلِكَ بِأَنفُسٍ • قَالَ مِنْ غَضَائِ أَتَوَكُّؤًا عَلَيْهَا﴾ طه: ١٧، ١٨ [إلى قوله]: ﴿لَقَدْ يَرْجُوكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى • اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ

قَالَ يَلْعَنُ﴾ طه: ٢٣، ٢٤. وحاول مفسرون تأويل درجة كل آية، وقيل لها قيل: إن اليد أعظم في الإيجاز من النص، لأنه عقب على ذكر اليد بقوله: ﴿لَقَدْ يَرْجُوكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى •﴾ طه: ٢٣، وقيل: بل النص أعظم، لأنه ليس في اليد إلا تيسير اللون، وأما النص ففيها تيسير اللون، وخلق الحياة والقدرة في الجهاد.

وانجاءت «الآية الكبرى» في التأزعات مطلقه بغير تحديد، فقد ترددوا ما بين النص واليد، ثم رأى بعضهم حسم الموقف باعتبارها آية واحدة، فقال أبو حنبلان: «الآية الكبرى» هي النص واليد معاً، جعلها آية واحدة، لأن اليد كأنها من جملة النص، لكونها تابعة لها.

وقبله قال الزمخشري: «الآية الكبرى» قلب الصاحبة، لأنها كانت المقدمة والأصل، والأخرى يعني

أبو حنبلان، وهي النص واليد جعلها واحدة، لأن اليد كأنها من جملة النص لكونها تابعة لها، أو النص وحدها، لأنها كانت المقدمة والأصل، واليد تبع لها، لأنه كان يتبعها يده. (٨: ٤٢١)

الألوسي: المراد بـ «الآية الكبرى» على ما روي عن ابن عباس: قلب الصاحبة، فإنها كانت المقدمة والأصل، والأخرى كالتبع لها. وعلى ما روي عن مجاهد ذلك واليد البيضاء، فإنها باعتبار الدلالة كـ الآية الواحدة.

وقد عبر عنها بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿اِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِنَا...﴾ طه: ٤٢ باعتبار ما في تضاعيفها من بدائع الأمور التي كل منها آية بمحة لفرع يعقلون، ويُسَوِّدُ أن يراد بها مجموع معجزاته من الآية الواحدة باعتبار ما ذكر. والفاء لتعقيب أولها أو يجمعها باعتبار أولها، وكونها «كبرى» باعتبار معجزات من جهة من الرسل (أو هو للزيادة المطلقة، ولا يخلو بعد).

وزيده بعد ترتيب حشر الشجرة بعد، فإنه لم يكن إلا على إرادة تيسير الآيتين وإيجازهما عن العمل بمتضاهاها. ولما ما عداها من (التسع) فإنما ظهر على يده (أو بعد ما غلب الشجرة على سهل، في نحو من عشرين سنة. (٢٩: ٣٠)

الطباطبائي: والمراد بـ «الآية الكبرى» على ما يظهر من تفصيل القصة: آية النص، وقيل: المراد بها مجموع معجزاته التي أراها فرعون وملاؤه، وهو جيد. (٢٠: ١٨٨)

بنت الشاطبي: الآية: العلامة، ويكثر استعمالها

آيَاتُ بَيِّنَاتٍ

١ - وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَخَافَتْكُمْ بَيِّنَاتُهَا إِلَّا

الْقَاسِيُونَ. البقرة: ٩٩

ابن عباس: فأنت تتلوهم عليهم وتخبرهم به غدوة وعشية، وبين ذلك وأنت عندهم أمي لم تقرأ كتابها، وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه يقول الله في ذلك لهم عبرة وبيان، وعليهم حجة لو كانوا يعلمون.

(الطبري: ١: ٤٤٠)

أبو بكر الأعمش: هي علم التوراة والإنجيل، والإخبار بما غمض عما في كتب السالفة.

(الطبري: ١: ١٦٨)

الطبري: أي أنزلنا إليك يا محمد علامات وحجج وآيات على نبوتك، وتلك الآيات هي ما حواه كتاب الله الذي أنزله إلى محمد ﷺ من خفايا علوم الجود، ومكنون سرائر أخبارهم وأخبار أولادهم من بني إسرائيل، والنبا عما تضمنته كتبه التي لم يكن يعلمها إلا أخبارهم وعلمانهم، وما حرفة أولادهم وأولادهم ويذكرو من أحكامهم، التي كانت في التوراة، فأطلع الله في كتابه الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف نفسه ولم يصدقه إلى إهلاكها المحمد والنبي، إذ كان في خيرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمنزل الذي أتى به محمد ﷺ من الآيات البينات التي وصفت من غير تعلم تعلمه من بشر، ولا أخذ شيء منه عن آدمي. (١: ٤٤٠)

الطبري: يعني سائر المعجزات التي أعطيا النبي ﷺ.

(الطبري: ١: ١٦٨)

الهد كالقبح هذا، لأن موسى كان يتقيا يده، أو أرادها تعالى جميعا، وجعلها واحدة، لأن الثانية أي اليد كانتا من جملة الأولى، لكونها تابعة لها.

ونوثر ألا نحدد الآية هنا، مادام القرآن نفسه لم ير تبيينها في هذا الموضع، مكتنفا بوصفها بالـ (الكبرى)، وهي صيغة تشهد ببلغ دلالة الآية على صدق موسى، وعلى قدرة ربه، رب فرعون والناس جميعا. (١: ١٢٩)

أَيَّتَيْنِ

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوُومَاتٌ آيَةُ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا

آيَةَ النَّهَارِ مُبْهِرَةً... الإسراء: ١٢

القرطبي: بيان قيل: كيف قال الله تعالى هذا «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ...» وقال في قصة موسى عليه السلام: «وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِبَنِي إِسْرَءِيلَ...» الآية ٩١. «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَآلَهُ آيَةً...» المؤمنون: ٥٠. مع أن موسى ﷺ كان وحده آيات شتى حيث كلم الناس في المهدي، وكان يحيي الموتى، ويبرئ الأكف، والأبرص، ويخلق الطير، وغير ذلك، ولله وحدها كانت آية، حيث حملت من غير فعل؟

قلنا: إنما أراد به الآية التي كانت مشتركة بينهما ولم تتم إلا بهما، وهي ولادة ولد من غير فعل، بخلاف الليل والنهار والشمس والقمر.

الثاني: أن فيه «آية» مذكوفة إجمارا واختصارا تقديره: وجعلناها آية وابنها آية، وجعلنا ابن مريم آية وآله آية. (مسائل القرطبي: ١٨٤)

وفيه مباحث أخرى لاحظ دل ي ل ه و ن ه د.

أبو مسلم الأصم هاتين: هي القرآن وما فيها من الدلالات. لم يكن ذلك الاعتقاد جلياً، وإن لم يحصل استحالة أن يكون شيء آخر أكدته؟ (الطبري ١: ١٦٨)

القاسم الرازي: الأظهر أن المراد من الآيات البينات: آيات القرآن الذي لا يأتي بمثله الجن والإنس، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وقال بعضهم: لا يتبع أن يكون المراد من الآيات البينات: القرآن مع سائر الدلائل - نحو استماعهم من المأهولة ومن تمقي الموت - وسائر المعجزات، نحو إشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، ونهرج الماء من بين أصابعه، ولنشفاق القمر.

قال القاضي: الأولى تخصيص ذلك بالقرآن، لأن الآيات إذا قرئت إلى التزويل كانت أخص بالقرآن، والله أعلم.

والوجه في تسمية القرآن بالآيات وجوه: أحدها: أن الآية هي الدالة، وإذا كانت الدالة هي القرآن دالة على صدق المذهبي كانت آيات.

وثانيها: أن منها ما يدل على الإخبار عن النبوة فهي دالة على تلك النبوة.

وثالثها: أنها دالة على دلائل التوحيد والنبوة والقرآن، فهي آيات من هذه الجهد.

فإن قيل: الدليل لا يكون إلا شيئاً فما معنى وصف الآيات بكونها بيّنة؟ وليس لأحد أن يقول: المراد كون بعضها أبين من بعض، لأن هذا إما يصح أو أمكن في العلوم أن يكون بعضها أقوى من بعض، وذلك محال؛ وذلك لأن العالم بالشيء إما أن يحصل منه تجويز نفيض ما اعتقده أو لا يحصل، فإن حصل منه ذلك التجويز

قلنا: التفاوت لا يقع في نفس العلم بل في طريقه؛ فإن العلوم تنقسم إلى ما يكون طريق تحصيله والدليل الدال عليه أكثر مقدمات، فيكون الوصول إليه أصعب، وإلى ما يكون أقل مقدمات، فيكون الوصول إليه أقرب، وهذا هو «الآية البيّنة».

نحوه الشهابي (١: ٣٨٣)

أبو حنيفة: والآيات البينات، أي القرآن أو المعجزات المقرونة بالتحدي، أو الإخبار عما عني وأخرى في الكتب السالفة، أو الشرائع أو الفرائض أو كل ما تقدم، أو الفهم، والفهم مطلق ما يدل عليه (آيات بيّنة) غير معين شيء منها. (١: ٣٢٣)

مثله الأكمسي.

٢ - فهو آيات بيّنة مقام إلهية ومن ذلك كان أمثالاً...

ابن عباس: مقام إبراهيم، والمشر.

الحسن: مقام إبراهيم.

مثله السدي.

مجاهد: أثره فيه في المقام آية بيّنة.

الإمام الصادق عليه السلام: ... «عن ابن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيِّنَةٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ...﴾ فهو آيات بيّنة...» آل عمران: ٩٦.

٨٧. ماهذه الآيات البيّنات؟ قال: مقام إبراهيم؛ حيث قام على الحجّير فأثرت فيه قدماء، والحجّير الأسود، ومنزل إسماعيل عليه السلام. (التروسي: ١: ٣٦٧)

القرّاء: يقال: الآيات: المقام والحجّير والمطيم، وقرأ ابن عباس (فيه آية بيّنة) جعل المقام هو الآية لا غير.

(٢٢٧: ١)

الطبري: اختلفت القرّاء في قراءة ذلك فقرأه قرّاء الأمصار ﴿فيه آيات بيّنات﴾ على جماع آية، بمعنى فيه علامات بيّنات، وقرأ ذلك ابن عباس (فيه آية بيّنة) يعني بها مقام إبراهيم، يراد بها علامة واحدة.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فيه آيات بيّنات﴾ وماتلك الآيات، فقال بعضهم: مقام إبراهيم والمشرع المحرام، ونحو ذلك.

وقال آخرون: الآيات البيّنات: مقام إبراهيم.

وأول الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول سفيان الثوري ومجاهد الذي رواه معمر عنها، ليكون الكلام مراداً فمنّ منهنّ، فترك ذكره اكتفاءً بدلالة الكلام عليها.

لأن قال قائل: فهذا المقام من الآيات البيّنات، لما سائر الآيات التي من أجلها قيل: ﴿آيات بيّنات﴾؟ قيل: منهنّ المقام، ومنهنّ الحجّير، ومنهنّ المطيم، وأصحّ القرّاء تبين في ذلك، قراءة من قرأ ﴿فيه آيات بيّنات﴾ على الجماع، لإجماع قرّاء أمصار المسلمين على أنّ ذلك هو القراءة الصحيحة، دون غيرها. (٤: ١٠)

الزجاج: المني: فيه آيات بيّنات تلك الآيات مقام إبراهيم، ومن الآيات أيضاً: أمّن من دخله لأن معنى

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ آل عمران: ٩٧، يدلّ على أنّ الأمّن فيه.

الطوسي: الآيات التي بيّنة أشياء منها ما قال مجاهد في مقام إبراهيم، وهو أثر قدميه داخلته في حجّير صلّه بقدرة الله تعالى، ليكون ذلك علامة يُهتدى بها، ودلالة يرجع إليها، مع غير ذلك من الآيات التي فيه، من

لنّ الخائف، وإحقاق الجهار على كثرة الزامي، واستنّاع الخبير من العلوّ عليه، واستشفاء المريض من ما به، ومن تعجيل العقوبة لمن انتهك فيه حرمة على عادة كانت جارية، ومن إهلاك أصحاب القليل لما قصدوا لتخريبه.

وروي عن ابن عباس: أنّه قرأ (آية بيّنة مقام إبراهيم).

فجعل مقام إبراهيم هو الآية، والأول عليه القرّاء المفسرون.

ابن عطية: قرأ جمهور الناس: ﴿آيات بيّنات﴾

على الإفراد قال الطبري: يريد علامة واحدة: المقام

وحدّه، وحكي ذلك عن مجاهد.

ومحمّل أن يراد بالآية: اسم الجنس فيقرب من معنى القراءة الأولى.

والخلف عبارة المفسرين عن «الآيات البيّنات»

فقال ابن عباس: من الآيات المقام، يريد الحجّير

المعروف والمشرع وغير ذلك. وهذا يدلّ على أنّ قرّاءه

«آية» بالإفراد إنّما يراد بها اسم الجنس.

وقال الحسن بن أبي الحسن: «الآيات البيّنات» مقام

إبراهيم، وإنّ من دخله كان آمناً. وقال مجاهد: المقام:

الآية وقوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ كلام آخر، إلّا أن

[قال:]

والمترجع عندي أن المقام وأمن الداخل جُعلا مثلاً
كما في حرم الله من الآيات، وخُصاً بالذكر لظنهما، وأنها
تقوم بها الحجّة على الكفار، إذ هم مُدركون لمُنايين
الآيتين بمواضعهم.

ومن آيات الحرم والبيت التي تقوم بها الحجّة على
الكفار أمر الفيل، ورمي طير الله عنه بمجارة التجل،
وذلك لم لم تختلف كافة العرب في نقله وصحته إلى أن
لنزه الله في كتابه.

ومن آياته كفت المجاورة عنه على وجه الدهر.

ومن آياته الحجر الأسود، وما روي فيه أنه من
الجنة، وما أشرمت قلوب العالم من تعظيمه قبل الإسلام
من آياته حَجَر المقام، وذلك أنه مقام

إبراهيم عليه السلام، وقت رُفد القواعد من البيت، لما طُلِل له
البناء، فكلما علا الجدار، ارتفع المتجره في الهواء، فما زال
يبني وهو قائم عليه، وإسماهيل يناوله الحجارة والطين،
حتى أكمل الجدار، ثم إن الله تعالى، لما أراد إبقاء ذلك آية
للعالمين لئن الحجر، فترقت فيه قدما إبراهيم عليه السلام كأنها
في طين، فذلك الأثر العظيم باقٍ في الحجر إلى اليوم، وقد
نقلت كافة العرب ذلك في الجاهلية على مرور الأعصار.
[ثم استشهد بشعر]

فما حُظ أن أحداً من الناس نازع في هذا القول.

ومن آياته البيتات «زمزم» في نبعها هاجر بهمز
جبريل عليه السلام الأرض بقبه، وفي حفر عبد المطلب لها
آخرها بعد دورها بتلك الرؤيا المشهورة، وبما نبع من الماء
تحت حف ناقة في سفره، إلى منافرة قريش ومخاصمتها

في زمزم، ذكر ذلك ابن اسحاق مستوعباً.

ومن آيات البيت نفع ماء زمزم لما شرب له، وأنه
يظم ماؤها في الموسم، ويكثر كثرة غارقة للعادة في
الآبار.

ومن آياته الأمانة القائمة فيه على قديم الدهر، وأن
العرب كانت تغير بعضها على بعض، ويتخلف الناس
بالقتل، وأخذ الأموال وأنواع الظلم إلا في الحرم، وتركب
على هذا أمن الميول فيه، وسلامة الشجر، وذلك كله
للبركة التي خصه الله بها، والدعوة من المسيل في
قوله: «وَبِالْبَيْتِ يُحْلَلُ هَذَا بَيْتُ آبَائِكَ الْبَقَرَة: ١٢٦، وإذعان
نفس العرب، وغيرهم قاطبة لتوفير هذه الثقة دون
غيره ولا زاجر، آية عظيمة تقوم بها الحجّة، وهي التي
يُحْلَلُ بِهَا بَيْتُكَ تَمَالَى: «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا».

ومن آياته كونه بواب غير ذي زرع، والأرزاق من
كل قطر يجيء إليه من قرب وعن بُعد.

ومن آياته ما ذكر ابن القاسم التتلي رحمه الله، قال
في «التواضع» وغيرها: سمعت أن الحرم يعرف بأن لا يجيء
سبل من الملئ فيدخل الحرم، [إلى أن قال:]

ومن آياته فيما ذكر مكّي وغيره أن الطير لا تعلوه،
وإن علا طائر فإما ذلك لمرض به فهو يستشفي بالبيت،
وهذا كله عندي ضعيف، والطيور تهاين تعلوه، وقد علته
العقاب التي أخذت الحية المشرفة على جندره، وتلك
كانت من آياته.

ومن آياته غيا ذكر الناس قديماً وحديثاً أنه إذا عته
الخطر من جوانبه الأربعة في المقام الواحد، أخصبت آفاق
الأرض، وإن لم يصب جاثياً منه لم ينصب ذلك الأفق

الذي يليه ذلك للعام

(١٧٥: ٤٧٥)

الطبرسي: أي دلالات واضحات، والهاء في (فيه)

عائد إلى البيت.

وروي عن ابن عباس أنه قرأ (فيه) آية بيته مقام إبراهيم فجعل مقام إبراهيم وحده هو الآية. وقال: أثر قدميه في المقام آية بيته. والأول عليه القراء والمفسرون، أرادوا مقام إبراهيم، والمبجر الأسود، والمطيم، وزمزم، والمشاهر كلها، وأركان البيت وأزدهام الناس عليها وتعظيمهم لها. [إلى أن قال:]

قال المفسرون: ومن تلك الآيات مقام إبراهيم عليه السلام، وأثنى الداخل فيه، وأثنى الواسع من السباع الضارية، وأنه ماعلا عبد على الكعبة إلا عجل وإذا كان البيت من ناحية الركن اليماني كان المصطفى باليمن، وإذا كان من ناحية الركن الشمالي كان المصطفى بالشام، وإذا عم البيت كان في جميع البلدان. وما ذكرناه قبل من الآيات.

(١٧٨: ٤٧٨)

(١٣٩: ٤)

نحوه القرطبي.

ابن الجوزي: الجمهور يقرؤون: (آيات)، وروي خطأ عن ابن عباس أنه قرأ (فيه) آية بيته مقام إبراهيم) وبها قرأ مجاهد، والآية: مقام إبراهيم.

فأما من قرأ (آيات) فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الآيات: مقام إبراهيم، وأثنى من دخله فعل هذا يكون الجمع معبراً عن التثنية، وذلك جاز في اللغة، كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ شَهِيدِينَ﴾ الأسماء: ٧٨. وقال أبو رجاء: كان الحسن يدهن ولنا لنظر إلى أصابعه: ﴿عَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى

الناس حج البيت﴾ آل عمران: ٩٧. (١١: ٤٢٦)

أبو حنبل: أي علامات واضحات؛ منها مقام إبراهيم، والمبجر الذي قام عليه، والمبجر الأسود، وهو من حجارة الكعبة، وهو بين الله في الأرض يشهد لمن منه، والمطيم، وزمزم، وأثنى الحائفة وهيبته وتعظيمه في قلوب الناس، وأمر القيل، ورمي طير الله بمحارة السجيل، وكف الجبارة عنه على وجه الدهر، وإذعان نفوس العرب لتوقير هذه البقعة دون ناء ولا زاجر، وجباية الأرواق إليه، وهو يواد خير ذي زرع، وحايته عن السيول، ودلالة عموم المطر إتياء من جميع جهاته على غصب آفاق الأرض، فإن كان المطر من جانب الغصب الأفق الذي يليه.

وذكر مكّي وغيره: أن من آياته كون الطير لا يعلو عليه.

وقد علته العقاب التي أخذت الحية المشرفة على جداره، وتلك كانت من آياته، انتهى.

وأبي عبد علا عليه عتيق، وتعجيل الصقوة لمن هتافه، وإجابة دعاء من دعا تحت الميزاب، ومضاعفة أجر المصلي، وغير ذلك من الآيات.

وقوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ التفسير في (فيه) عائد على البيت، فينبغي أن لا يذكر من الآيات إلا ما كان في البيت، لكنهم توسعوا في الظرفية، إذ لا يمكن حملها على الحقيقة، لأنه كان يلزم أن الآيات تكون داخل الجدران، ووجه التوسع أن البيت وضع بحرمه وجميع فضائله، فهي فيه على سبيل الجاز، ولذلك عد المفسرون آيات في

إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ...

الإسراء: ١٠١

النَّبِيِّ ﷺ: من صفون بن عَسَالٍ أَنَّ يَهُودِيًّا قَالَ لِمُصَاحِبِهِ: تَعَالَى حَتَّى تَسْأَلَ هَذَا النَّبِيَّ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ هَذِهِ آيَةٍ، فَقَالَ: «هُوَ لَنْ لَا تَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَمْسُوا بِالْإِيمَانِ إِلَى سُلْطَانٍ لِيَمْلِكَنَّ، وَلَا تَسْجُرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةٌ يَا يَهُودُ لَنْ لَا تَعْتَدُوا فِي التَّيْبَةِ فَقِيلَ بِيَدِهِ وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ».

(الطبري ١: ٤٤٤)

ابن هُبَيْرٍ: اتَّخَذَ آيَاتُ الْبَيِّنَاتِ بِيَدِهِ وَعَصَاهُ، وَلِسَانَهُ، وَالْبَحْرَ، وَالطُّوفَانَ، وَالْجُرَادَ، وَالْقُمَّلَ، وَالضَّفَادِعَ، وَالْدَّمَ، آيَاتٍ مُنْفَعِلَاتٍ.

(الطبري ١: ١٧١)

بِيَدِ مُوسَى، وَعَصَاهُ، وَالطُّوفَانَ، وَالْجُرَادَ، وَالْقُمَّلَ، وَالضَّفَادِعَ، وَالْدَّمَ، وَالسُّنَيْنَ، وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ.

(الطبري ١: ١٧٢)

مثلُه الشُّعْبِيُّ، وَجُكْرِمَةُ (الطبري ١: ١٧١)، وَتُجَاهِدُ، وَتُدَادَةُ (الأكوسي ١: ١٨٢).

الْحَسَنُ: فِي قَوْلِهِ: «يَسَّعَ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ»، «وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسُّبُنِ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ..»

(الطبري ١: ١٧٢)

الإمام الباقر ﷺ: الطُّوفَانُ، وَالْجُرَادُ، وَالْقُمَّلُ،

وَالضَّفَادِعُ، وَالْدَّمَ، وَالْبَحْرُ، وَالْعَصَا، وَيَدُهُ.

مثلُه الإمام الصادق ﷺ. (التروسي ٣: ٢٢٩)

مثلُه الجياني. (الطبري ١: ٤٤٤)

ابن كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ: سَأَلَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ قَوْلِهِ: «وَلَقَدْ أَخَذْنَا مُوسَى بِسَبْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» فَقُلْتُ لَهُ: هِيَ الطُّوفَانُ، وَالْجُرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالْدَّمَ، وَالْبَحْرَ، وَعَصَاهُ، وَالْقَمَّةَ، وَالْحَجَرَ. فَقَالَ: وَمَا الْقَمَّةُ؟ فَقُلْتُ: دَعَا مُوسَى وَأَمَّنْ هَارُونَ، فَقَالَ: «لَقَدْ أَجْمَعْتُمْ دَعْوَتَكُمْ» يُونُسَ: ٨٩.

(الطبري ١: ١٧١)

الإمام الكاظم ﷺ: سَأَلَنِي ثَمَرٌ مِنَ الْيَهُودِ عَنِ الْآيَاتِ السَّبْعِ الَّتِي أُوتِيَهَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ﷺ فَقُلْتُ: الْعَصَا، وَإِخْرَاجُهُ يَدَهُ مِنْ جَنَّتِهِ بِيَضَاءٍ، وَالْجُرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالْدَّمَ، وَرَفْعُ الْقُودِ، وَالْمَنْ وَالسَّلْوَى آيَةٌ وَاحِدَةٌ، وَقُلْتُ لِلْبَحْرِ. قَالُوا: صَدَقْتَ.

(التروسي ٣: ٢٢٩)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: أَعْلَمَ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ مَعْجَزَاتِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أُحَدِّثُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أزال الْعُقْدَةَ مِنْ لِسَانِهِ، قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: ذَهَبَتِ الْعُجْدَةُ وَصَارَتْ صَبِيحًا.

وثانيها: انْقِلَابُ الْعَصَا حَيَّةً.

وثالثها: تَلَقُّفُ الْحَيَّةِ حَبْلَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ مَعَ كَثْرَتِهَا.

ورابعها: الْيَدُ الْبَيْضَاءُ، وَخَمْسَةُ آخَرٍ وَهِيَ: الطُّوفَانُ،

وَالْجُرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالْدَّمَ.

والعاشِرُ: شَقُّ الْبَحْرِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «وَإِذْ قَسَمْنَا بِكَمُ

الْبَحْرِ...» الْبَقَرَةُ: ٥٠.

والحادي عشر: الْحَجَرُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «فَقُلْنَا اضْرِبْ

بعضه المحيّر... البقرة: ٦٠.

الثاني عشر: إظلال الجبل، وهو قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا تَكُونُ الْجِبَالُ فُودًا﴾ الأعراف: ١٧٦.

والثالث عشر: إزال المن والسلوى عليه وعلى قومه.

والرابع عشر والخامس عشر: قوله تعالى: ﴿وَوَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسَّيْنِ وَنَقَصْنَا مِنَ الْقُرْآنِ﴾ الأعراف: ١٣٠.

والسادس عشر: الشمس على أممهم من التحمل والدقيق والأطعمة والدرهم والدنانير. روى أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب عن قوله: ﴿يُشْعِ أَيْتَاتِ بِئِتَاتِ﴾ فذكر محمد بن كعب في مائة «التسع» حلّ صفة اللسان والشمس، فقال عمر بن عبد العزيز: هكذا يجب أن يكون التقية، ثم قال: يا غلام أخبرني ذلك المهراب فأخرجه غلطه، فلما فيه بعض مكسور نصين، وجوز مكسور، وقول^(١) ويخص^(٢) وحده، كلها حجارة.

إذا عرفت هذا، فنقول: إنه تعالى ذكر في القرآن هذه المعجزات الشدة عشر لموسى عليه الصلاة والسلام وقال في هذه الآية: ﴿وَوَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى بِشُعْ أَيْتَاتِ بِئِتَاتِ﴾ وتخصيص «التسع» بالذكر لا يقدح فيه ثبوت الزائد عليه، لأننا أتينا في أصول الفقه أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد، بل نقول: إنما يتملك في هذه المسألة بهذه الآية.

ثم نقول: أما هذه التسعة فقد اتفقوا على صحة منها. وهي: المصا، واليد، والظوفان، والجرد، والقمل.

والضفادع، والدم، وبقي الاثنان، ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيها، ولما لم تكن تلك الأحوال مستندة إلى حجة ظنية فضلاً عن حجة يقينية، لاجرم تركت تلك الروايات.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يُشْعِ أَيْتَاتِ بِئِتَاتِ﴾ أقوال أجودها ما روى صفوان بن عسال أنه قال: إن يهودياً قال لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله عن تسع آيات إلخ. لقد تقدم في قول رسول الله ﷺ

(٢١: ٦٤) نحوه القرطبي (١٠: ٢٣٦)، والنيسابوري (١٥: ٨٩)، والمراغي (١٥: ١٠٣).

الآلوسي: [فيه مباحث مستوفى للاعتماد] (١٥: ١٨٢)

الطباطبائي: الذي لوقى موسى ﷺ من الآيات على ما يفسر القرآن أكثر من تسع، غير أن الآيات التي أتى بها لدعوة فرعون فيها يذكره القرآن تسع، وهي: المصا، واليد، والظوفان، والجرد، والقمل والضفادع، والدم، والسنون، ونقص من قشرات، فالظاهر أنها هي المرفعة بالآيات التسع المذكورة في الآية، وخاصة مع ما فيها من محكي قول موسى لفرعون: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِضَائِرٍ﴾ الإسراء: ١٠٢.

وأما غير هذه الآيات كالبحر والحجر، وإحياء المقتول بالفرقة، وإحياء من أخذته الصاعقة من قومه،

(١) باتلا

(٢) حبه معروف

وتش الجبل فوقهم، وغير ذلك، فهي خارجة عن هذه التسع المذكورة في الآية.

ولابتنافي ذلك كون الآيات إنما ظهرت تدريجاً، فإن هذه المعجزة مستخرجة عن مجموع ما تخصم به موسى وفرعون، طول دهوره.

فلا مبررة بما ذكره بعض المفسرين، مخالفًا لما عدته، لعدم شاهد عليه.

ولي التوراة أن «التسع» هي العصا، والدم، والضفادع، والقمل، وموت البهائم، وقرّة كنار أنزل مع نار مضطربة، أهلكت ما مرت به من نبات وحيران، والجراد، والظلة، وموت هم كهار الآسمين، وجميع الحيوانات.

ولعل مخالفة التوراة للظاهر القرآن في الآيات التسع هي الموجبة لترك تفصيل الآيات التسع في

الآية، ليستقيم الأمر بالتواتر من اليهود، لا يتم صريح المخالفة لم يكونوا ليصدقوا القرآن، بل كانوا يبادرون إلى التكذيب قبل التصديق. (١٣: ٢١٨)

مكارم الشيرازي: حوت المعجزات التسع التي وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة لموسى عليه السلام، منها:

١ - تدبيل العصا عذبة، بلغت مدتهم «فإنّا من حيث تشق» طه: ٢٠.

٢ - ياحي يد موسى لم تلتزمها كملأوا الشور «وأضمت يده إلى جناحه فتخرج فضاء من غير سوء» آية أخرى طه: ٢٢.

٣ - إرسال الطوفان العظيم «فأرسلنا عليهم الطوفان» الأعراف: ١٣٢.

٤ - تسليط الجراد على الزرع والشجر، واستفعال الآفات الزراعية «وَأَجْرَدْنَا...» الأعراف: ١٣٣.

٥ - انتشار القمل، وهي نوع من الآفات الزراعية التي تتلف النباتات والحاصل «وَالْقُمَّل...» الأعراف: ١٣٣.

٦ - هجوم الضفادع التي خرجت من نهر النيل، وتكاثرت بسرعة مذهلة، فكثرت عيشهم، وأوجدت مشاكل لهم «وَالضَّفَادِعُ...» الأعراف: ١٣٣.

٧ - إرسال الدم، أو ابتلاؤهم قاطبة بالزحاف، أو تلويين ماء النيل باللون الأحمر، فكان لا يصلح للشرب والزراعة «وَالدَّمُ أَتَابَ مَضَلَاتٍ...» الأعراف: ١٣٣.

٨ - إهلاك البحر بحيت استطاع بنو إسرائيل المرور خلاله «وَأَفْرَقْنَا بَيْنَ الْبَحْرِ وَالْبَرِّ...» البقرة: ٥٠.

٩ - نزول المن والسوى، وقد تقدم شرحها في الصفحة «١٧٨» من الجزء الأول «وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسُّلَى» البقرة: ٥٧.

١٠ - إلقاء الصيوان من الحجر «فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا...» البقرة: ٦٠.

١١ - رفع قسم من الجبل وجعله كالظلة فوق رؤوسهم «وَأَذَلَّلْنَا الْجَبَلَ فَوَقَّعْنَا كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ...» الأعراف: ١٧١.

١٢ - الإمابة بالقسط والمجدب ونقص الثمار «وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ الثَّمَرِ...» الأعراف: ١٣٢.

الشمس... الأعراف: ١٣٠.

١٣ - إحياء المقتول الذي سب قتله وقوع الخلاف بين بني إسرائيل ﴿قَتَلْنَا اضْرِبُوهُ بِتَضْبِعٍ كَذَلِكَ يُخَيِّلُ لِقَةِ الْخَوَافِ﴾ البقرة: ٧٢.

١٤ - تسخير السحاب وظليلهم به عن الحرارة الشديدة في الصحراء بما يشبه المعجزة ﴿وَعَسَلْنَا عَلَيْكُمْ الْقَصَامَ﴾ البقرة: ٥٧.

ولكن، ما هو المراد من «المعجز التسع» التي أشير إليها في الآيات المذكورة؟

تدل الألفاظ والمبارات التي استعملت في هذه الآيات على أن المراد من المعجزات المصطفة بفرعون وأتباع الضلال غير مختصة ببني إسرائيل بالذات، مثل نزول المن والسلوى، وانفجار الميرون من الحجر، وأمثالها.

وهل هذا يمكن القول بأن الموارد الخمسة التي وردت في الآية «١٣٣» من سورة الأعراف وهي: الطوفان، والآفات الزراعية، والجراد، وتكاثر الضفادع، ونزف الدم، هي جزء من «المعجز التسع»، كما أن معجزتي موسى عليه السلام المعروفتين، وهما قضيبا العصا واليد البيضاء من هذه «المعجز التسع» بلا شك، لاسيما قد جاء ذكر هذه العبارة في ﴿تَسْعَ آيَاتٍ﴾ في سورة النمل: ١٠ - ١٢، بعد بيان المعجزتين العظيمتين.

وبمجموع هذه المعجز هوسبة أمور خارقة للمادة، فإها المعجزتان الأخريان؟

لا شك أن غرق أتباع فرعون ومن شاكلهم لا يمكن أن يكون من هذه المعجز، لأن الفرض من إتيان المعجز

هو هدايتهم لا إهلاكهم. ولو أُنعتا النظر في آيات سورة الأعراف التي ورد فيها كثير من هذه الآيات، لوجدنا أن المراد من هاتين المعجزتين هما: القحط ونقص الثمار إذ قد جاء فيها بعد ذكر معجزتي العصا واليد البيضاء، وقبل سرد سائر المعجز الخمس: الطوفان، والجراد... ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسُّبْحِ وَنَقِصَ مِنَ الشَّمْسِ لَقْلُهُمْ يَذْكُرُونَ﴾.

ويظهر من أن القحط ليس منفصلاً عن نقص الثمرات، فيحتمل أنها ظاهرة واحدة. بيد أن الجذب القصير الأجل يفرقه أثرًا طفيفاً في الأشجار، أما الطويل الأجل فإنه يؤدي إلى القضاء على الأشجار، فالجذب وهذه لا يكون دائماً سبباً في القضاء على الثمار، وقد تقدم تفسير ذلك في الآية «١٣٠» من سورة الأعراف.

ويظهر مما تقدم أن «نقص الثمرات» يمكن أنه قد حدث بعمل آفات أخرى وليس بعمل الجذب، فنتج من ذلك أن «المعجز التسع» الخارقة للمادة، المشار إليها في الآيات المذكورة، هي: العصا، واليد البيضاء، والطوفان، والجراد، ومن الآفات الزراعية يدمى القمل، وتكاثر الضفادع، والزعاف، والجذب والقحط.

وقد ورد في نفس سورة الأعراف: ١٣٦، بعد ذكر الآيات التسع ﴿فَاتَّخَذْنَا مِنْهُمْ غُلُوفًا فِي الَيْمِ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

ومن الجدير بالذكر أنه وردت في كتب الحديث روايات في تفسير هذه الآية، إلا أنها متضاربة،

فلانستطيع أن نحتكم إليها ونعلمن بها. (١٢: ٣٠٩)
وهذا المعنى جاء تفسير آية (١٢) من سورة النمل.

٤ - سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات
بينات لعلكم تذكرون. التور: ١

أبومسلم الأصفيهاني: يجوز أن تكون الآيات
البيّنات ما ذكر فيها من الحدود والشرائع، كقوله:
﴿وَرَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ إِنَّكَ قَالَ لَكَ الْقُلُوبُ ثَلَاثُ
لُغَاتٍ سَوِيًّا﴾ مريم: ١٠، سأل ربه أن يفرض عليه صلاة.
(الفخر الرازي: ٢٣: ١٣٠)

عبد الباق: إن السورة كما اشتملت على أصل
الواجبات فقد اشتملت على كثير من المباحثات، منها:
بينها الله تعالى. ولما كان بيانه سبحانه لها مفصلاً، وصف
الآيات بأنها «بينات». (الفخر الرازي: ٢٣: ١٣٠)
الطوسي: فمعنى الآيات: الدلالات على ما يحتاج
إلى حله، مما قد يسهل الله في هذه السورة، وبه على ذلك
من شأنها لينظر فيه طالب العلم، ويفوز بيمينه منه.

(٤: ٤-٧)

المبيّدي: دلالات واضحات على وحدانيته
وحجته، وعلى ما بينا فيها من الأحكام. (٦: ٤٨٢)
نحوه الطبرسي: (٤: ١٢٤)

الفخر الرازي: أما قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ
بَيِّنَاتٍ﴾ ففيه وجوه:

أحدها: أنه سبحانه ذكر في أول السورة أنزلنا من
الأحكام والحدود، وفي آخرها دلائل التوحيد، فقوله:
﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ إشارة إلى الأحكام التي بينها أولاً ثم

قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ إشارة إلى ما بين
من دلائل التوحيد.

والذي يؤكد هذا التأويل قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
فإن الأحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمنوا
بتذكيرها. وأما دلائل التوحيد فقد كانت كالمعلومة لهم
تظهرونها، فأمرُوا بتذكيرها. [وثانيها وثالثها قول
أبي مسلم وعبد الباق وقد تقدم] (٢٣: ١٣٠)
أبو حنيفة: ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أمثالا
وسواعظ وأحكاما ليس فيها مشكل يحتاج إلى
تأويل. (٦: ٤٢٧)

البيروني: هي الآيات التي نيطت بها الأحكام
المفروضة، كما هو الظاهر، لا مجموع الآيات. (٦: ١١٤)
الطوسي: يحتمل أن يراد بها الآيات التي نيطت بها
الأحكام المفروضة، وأمر القرطبي عليه ظاهراً، وممن
كونها بينات وضوح دلالتها على أحكامها، لا على
معانيها مطلقاً، لأنها أسوة لأكثر الآيات في ذلك.

ويحتمل أن يراد بها جميع آيات السورة، والقرطبي
حيث يباين اعتبار الكل على كل واحد من أجزائه،
ومعنى كونها بينات) أنها لا إشكال فيها يحوج إلى
تأويل، كبعض الآيات. (١٨: ٧٥)

الطباطبائي: المراد بها شهادة التثاني: آية النور
وما ينزلها من الآيات المسيئة لحقيقة الإيمان والكفر
والتوحيد والشرع المذمومة لهذه المعارف الإلهية.

(١٥: ٧٨)

الصابوني: الآيات: جمع آية، وهي قد ترد بمعنى
الآية القرآنية، وقد ترد بمعنى العلامة، أو الشاهد على

الذي مَرَى سائر الظلام والكفر والضلال والجهل عن
الإنسان، وأسطع في قلبه شمس الإيمان والمعرفة.

(٢٣: ٣١٨)

آيات

٦- الزينة آيات الكتاب الحكيم. يونس: ٦

أبو عبيدة: ومجاز (آيات) مجاز أصلام الكتاب
ومعانيه، وآياته أيضاً: خواصه والعرب يناطون بلفظ

الفائب، وهم يعنون الشاهد (١: ٢٧٢)

الطوسي: وإنما أضيفت الآيات إلى (الكتاب) لأنها

ليماض الكتاب، كما أن السورة أهاضه، وكذلك تحكه

وحشاه، وأسماؤه وصفاته، ووعدته ووحيده، وأمره
ومنهجه وحلاله وحرامه.

الطوسي: الآية العلامة التي تنبئ من مقطع الكلام من جهة

مقصودة، والقرآن مفضل بالآيات، مضمن بالمحكم

النافية للشبهات. (٥: ٢٨٢)

الطباطبائي: الآية، ومعناها العلامة، وإن كان من

المجاز أن يسمى بها ما هو من قبيل المعاني أو الأعيان

الخارجية، كما في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَبْعَثُ

مُسْمُوهُمْ نَحْنُ إِبْرَاهِيمَ﴾ الشعراء: ١٩٧، وفي قوله:

﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ٩١، وكذا

ما هو من قبيل القول كما في قوله ظاهره: ﴿وَلَا يَدْرِكُنَا آيَةٌ

مَكَانَ آيَةٍ﴾ النحل: ١٠١، ونحو ذلك، لكن المراد

بـ (الآيات) ما هنا هي أجزاء الكلام الإلهي قطعاً، فإن

الكلام في الوحي النازل على النبي ﷺ وهو كلام متلو

مفروء بأي معنى من المعاني صوّرنا نزول الوحي

القدرة الإلهية، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُمْ أَتَيْلُ تَسْلَخُ

مِنْهُ النَّهَارُ﴾ يس: ٣٧، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي

الْبُحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ الشورى: ٣٢، [تم استشهد بشعر]

وسمي (آيات) أي واضحات، فإن أريد بالآيات:

الآيات القرآنية، كان المعنى أنها واضحات الدلالة على

أحكامها، مثل الآيات التي فيها أحكام الزنى، والقتل،

واللعان، وغيرها.

وإن أريد بالآيات: الآيات الكونية، كان المعنى أنها

واضحات الدلالة على وحدانية الله، وكمال قدرته، مثل

التأليف بين السحاب، ووميض البرق ولعانه، وتقلب

الليل والنهار، واختلاف المخلوقات في أشكالها، وحياتها،

وطبائنها، مع اتحاد المادة التي خلقت منها، إلى غير

ما هنالك من أدلة التوحيد وشواهد القدرة. (١: ١٨)

٥- هو الذي يُتَرَكُّ على عبده آيات بَيِّنَاتٍ

يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ... الحديد: ٩

الطوسي: أي حجباً وأدلة واضحة وبراهين نيرة.

(٩: ٥٢٢)

الطوسي: والظاهر أن المراد بها آيات القرآن،

وقيل: المعجزات. (٢٧: ١٧١)

نحوه الطباطبائي: (١٩: ١٥٢)

مكارم الشيرازي: بعض المفسرين فسروا

﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ بأنها «جميع المعجزات» والبعض

الآخر بأنها «القرآن». ولكن مفهوم الآية فضلاً عن أنه

يشمل كل ما ذكرناه فهو أوسع من ذلك.

وقد عبر سبحانه بـ (الإنزال) وهو مناسب للقرآن

فالمراد بالآيات: أجزاء الكتاب الإلهي، وتسمين في الجملة من جهة المقاطع التي تفصل الآيات بعضها من بعض، مع إعانة ما من ذوق التفاهم، ولذلك ربما وقع الاختلاف في عدد آيات بعض التوريين علماء الإحصاء، كالكويتيين والبصريين وغيرهم. (٧: ١٠)

٧ - لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَلَكِّينَ.

يوسف: ٧

الطَّبْرِي: يعني غير وذكر. [إلى أن قال:]

واختلفت القراء في قراءة قوله: (آيَاتٌ لِلْمُتَلَكِّينَ...)

فقرأته عامة قراء الأحبار (آيات) على الجماع، وروي

عن مجاهد وابن كثير: أنها مرما ذلك على التوحيد

والذي هو أولى القراءتين بالصواب، قراءة من قرأ

ذلك على الجماع، لإجماع المجتهدين من القراء عليه.

أَبُو زُرْعَةَ: قرأ ابن كثير: (آيَةٌ لِلْمُتَلَكِّينَ) أي عبادة،

وحجته قوله: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ». يوسف:

١١١. ولم يقل: غير، كآته جل شأنه كله آية، كما قال

جل وعز: «وَنَجِّنَا إِنَّ قَوْمَكَ آيَةٌ» المؤمنون:

٥٠. فأفرد كل واحد منها آية.

وقرأ الباقر: «آيَاتٌ لِلْمُتَلَكِّينَ» على الجمع، أي

غير، جعلوا كل حال من أحوال يوسف آية وعبرة.

وحجته في ذلك أنها كتبت في المصحف بالقاء. (٣٥٥)

منه الطَّبْرِي: (٣: ٢١٠)

الطُّوسِي: [قال مثل أَيْوَزْغَةَ وأضاف:]

ومن جمع جعل كل واحد من أحواله آية، ومن جمع

على ذلك، على أن المفرد المنكر في الإيجاب يقع دالاً على

الكثرة كما يكون ذلك في غير الإيجاب. [إلى أن قال:]

ووجه الآية في يوسف وإخوته أنهم نالوه للحد

بالأذى، مع أنهم أولاد الأنبياء يعقوب وإسحاق

وإبراهيم، فصفح وعفا، وأحسن ورجع إلى الأول، وكان

ذلك خروجاً عن العادات. (٦: ٩٩)

التَّبَيْدِي: أي علامات ودلالات تدل على صنع

الله، ولطائف أفعاله، وحجائب حكته.

وقرأ أهل مكة (آيَةً) أي عبادة وعظيمة وعجب، وذلك

أن اليهود سألت رسول الله ﷺ عن قصة يوسف،

فأخبرهم بها كما في التوراة، فحجروا منه، وقالوا: من أين

لك هذا بمحمد؟ فقال: علمته ربِّي للمتلكِّين ولغيرهم.

(٥: ٩)

نحوه التَّبْرُوسِي: (٤: ٢١٧)، والتَّبْسِي: (٢: ٢١٢).

الزَّمْخَشَرِي: علامات ودلائل على قدرة الله

وحكته في كل شيء.

وقيل: آيات على نبوة محمد ﷺ للذين سألوه من

اليهود عنها، فأخبرهم بالصحة من غير شجاع من أحد،

ولا قراءة كتاب، وقرئ (آيَةً)، وفي بعض المصاحف

(عِبْرَةً). (٢: ٣٠٤)

نحوه أَبُو حَتَّان (٥: ٢٨٢)، والبَيْضاوِي (١: ٤٨٨)،

والقاسمي (٩: ٣٥١٣).

الفَخْرُ الرَّاغِزِي: قرأ ابن كثير (آيَةً) بغير ألف، حملة

على شأن يوسف، والباقر (آيَات) على الجمع، لأن أمور

يوسف كانت كثيرة، وكل واحد منها آية بنفسه.

ذكروا في تفسير قوله تعالى: «آيَاتٌ لِلْمُتَلَكِّينَ»

وجوهًا:

الأول: قال ابن عباس: دخل جبر من اليهود على النبي ﷺ فسمع منه قراءة يوسف. فعاد إلى اليهود فأعلمهم أنه سمعها منه كما هي في التوراة. فاضطرب نفر منهم فسمعوا كما سمع، فقالوا له: من علمك هذه القصة؟ فقال: الله علمني. فزول فوَلَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلنَّاسِ لِيُنْظُرُوا...»

وهذا الوجه عندي بعيد، لأن المفهوم من الآية أن في واقعة يوسف آيات للتائبين وعلى هذا الوجه الذي نقلناه ما كانت الآيات في قصة يوسف، بل كانت الآيات في إخبار محمد ﷺ عنها من غير سبق تعلم، ولا سلطانة. وبين الكلامين فرق ظاهر.

والثاني: أن أهل مكة أكثرهم كانوا أقارب الرسول عليه الصلاة والسلام، وكانوا ينكرون نبوته، ويظهرون العداوة الشديدة به بسبب الحسد، فذكر الله تعالى هذه القصة، ويبيّن أن إخوة يوسف بالنوا في إيذائه لأجل الحسد، وبالأخرة فإن الله تعالى نصره وقراءه، وجعلهم تحت يده ورايته. ومثل هذه الواقعة إذا صحها الماثل كانت زجرًا له عن الإقدام على الحسد.

والثالث: أن يعقوب لما صبر رؤيا يوسف وقع ذلك التعبير، ودخل في الوجود بعد ثمانين سنة، فكذلك أن الله تعالى لما وعد محمدًا عليه الصلاة والسلام بالنصر والظفر على الأعداء، فإذا تأخر ذلك الموعود مدة من الزمان لم يدل ذلك على كون محمد عليه الصلاة والسلام كاذبًا فيه، فذكر هذه القصة نافع من هذا الوجه.

الرابع: أن إخوة يوسف بالنوا في إبطال أمره، وتكون

الله تعالى، لما وعده بالنصر والظفر كان الأمر كما قدره الله تعالى لا كما سعى فيه الأعداء، فكذلك واقعة محمد ﷺ فإن الله لما ضمن له إعلاء الدرجة لم يضربه سعي الكفار في إبطال أمره. (١٢: ١٨)

القرطبي: قرأ أهل مكة (أي) على التوحيد، واختار أبو عبيد (أي) على الجمع، قال: لأنها خير كثير.

قال النحاس: (أي) هنا قراءة حسنة، أي لقد كان للذين سألوا عن خبر يوسف آية فيها خبروا به، لأنهم سألوا النبي ﷺ وهو بمكة، فقالوا: أخبرنا عن رجل من الأنبياء كان بالشام أخرج لفته إلى مصر، فهكى عليه عيسى؟ ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب، ولأن يرف أخبر الأنبياء، ولما وجه اليهود إليه من المدينة بألونه من هذا، فانزل الله عز وجل سورة «يوسف» بمكة واحدة، فيها كل ما في التوراة من خير وزيادة، فكان ذلك آية للنبي ﷺ بمنزلة إحياء عيسى بن مريم ﷺ الميت. (آيات): موحظة، وقيل: حيرة. وروي أنها في بعض المصاحف حيرة.

وقيل: حيرة، وقيل: حجب، تقول: فلان آية في السلم والحسن، أي حجب. (٩: ١٢٩)

الآلوسي: [ذكر مثل الزمخشري وأضاف] وجمع الآيات حيث قيل: للإعجاز بأن اقتصاص كل طائفة من القصة آية بيّنة، كساقية في الدلالة على نبوته. وقيل: لصند جهة الإعجاز لفظًا ومعنى.

وزعم بعض المكيّة أن الآية من باب الاكتفاء، والمراد آيات للذين يسألون والذين لا يسألون، ونظير ذلك

قوله سبحانه: ﴿تَوَّاهُ لِلشَّائِلِينَ﴾ فصلت: ١٠، وحسن ذلك لقوة دلالة الكلام على المحذوف. (١٢: ١٨٩)

٨- إن في ذلك لآياتٍ لِلْمُتَوَشِّهِينَ. الحجر: ٧٥
الإسكافي: للشائل أن يسأل فيقول: لأي معنى جمع الآية في القصة التي وحدها فيها بعد فقال: ﴿لآياتٍ لِلْمُتَوَشِّهِينَ﴾ ثم قال: ﴿لآيةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؟ الحجر: ٧٧، وهل كانت «الآيات» لو ذكرت في الثانية، و«الآية» لو ذكرت في الأولى مما يكون في اختيار الكلام؟

الجواب أن يقال في ذلك قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِلْمُتَوَشِّهِينَ﴾ إشارة إلى ما قص من حديث لوط وضيف لإبراهيم، وتعرض قوم لوط لهم طمعاً فيهم، وما كان من أمرهم آخرًا من إهلاك الكفار، وقلب المدينة على من فيها، وإطوار المعجزة على من غاب عنها هذه أنباء كثيرة في كل واحد منها آية، وفي جميعها آيات كن بتوسم، أي لمن يتدبر التهمة، وهي ماوسم الله تعالى به العاصين من عباده، ليستدلوا بها على حال من عتد من عبادته فتجنتها. وكان ذكر الآيات هاهنا أول وأنبه بالمعنى.

وأما قوله: ﴿وَإِنَّمَا لِبَسْبِيلٍ مَّكِينٍ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر: ٧٦، ٧٧، أي تلك المدينة المسقرية نابتة الآثار، مقيمة للظفار، فكانها يرى الميرون لبفاء آثارها، وهذه واحدة من تلك الآيات، فلذلك جاء عقبها: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. (٢٥٢)
الكرماني: قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِلْمُتَوَشِّهِينَ﴾ الحجر: ٧٥، بالجمع وعندها: ﴿لآيةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر:

٧٧، على التوحيد [ثم ذكر قول الإسكافي وقال:]
ما جاء من «الآيات» فلجمع الدلائل، وما جاء من «الآية» فلوحدانية المدلول عليه، فلما ذكر عقيقه «المؤمنون» وهم المؤمنون بوحدة الله تعالى وحده الآية، وليس لما ظهير في القرآن إلّا في «المنكوبات»، وهو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المنكوبات: ٤٤، فوحده بعد ذكر الجمع، لما ذكرت.

الطباطبائي: الآية: العلامة، والمراد بالآيات أولًا: العلامات الدالة على وقوع الحادثة من بقايا الآثار، وبالآية ثانيًا: السلامة الدالة للمؤمنين على حقيقة الجزاء، والدعوى الإلهية. (١٢: ١٨٥)

٩- وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكُونُوا لِرَبِّكَ عِزًّا وَأُولَئِكَ هُمُ عُذَابُ أَلِيمٍ. المنكوبات: ٢٣
التيثدي: الآية: كلمات من كتاب الله، والجمع آيات، والأدلة على الله من خلقه آيات، وإذا لم تضاف إلى «الكتاب» تناولت الأدلة دون آيات القرآن.

والكفر بآيات الله: ألا يستدل بها عليه، وتنسب إلى غير الله، ويحدد موضع التهمة فيها، والكفر بلفاء الله: جحود الوجود عليه، وقيام الشبهة، وإنكار الحساب والجنة والنار. (٧: ٢٨٦)

الزمخشري: بدلائله على وحدانيته، وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث. (٣: ٢٠٣)

القرطبي: أي بالقرآن لوبما تُصوب من الأدلة والأعلام. (١٣: ٣٣٧)

الألومني؛ أي بدلائله التكوينية والتشريعية،
الدالة على ذاته وحفاته وأفعاله، فيدخل فيها التشاء
الأولي الدالة على صحة البعث، والآيات الناطقة به
دخولاً أوخلاً، وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى،
لا يناسب المقام. (١٤٩: ٢٠)

الطَّبَائِبَاتِي: والمراد بآيات الله على ما يفيد
إطلاق اللفظ: جميع الأدلة الدالة على الوحدانية والنبوة
والمعاد من الآيات الكونية والمعجزات النبوية ومنها
القرآن. فالكفر بآيات الله يشمل بمجموع الكفر بالمعاد،
فذكر الكفر بالآلاء وهو المعاد بعد الكفر بالآيات، من
ذكر الخاص بعد العام، والوجه فيه الإشارة إلى أهمية
الإيمان بالمعاد إذ مع إنكار المعاد يلقوا أمر الدين الحق من
أصله، وهو ظاهر. (١١٩: ١٦)

النار.

والجواب: أن يقال: إذا أخبر الله تعالى عن المؤمنين
في كتابه، فهو متناول من كان في عصر النبي ﷺ وهم
محدودون، وإذا قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
فهو لأقوام لم يتأهوا، فكل من يؤمن إلى يوم القيامة
سهم وداخل فيهم، ولكل دلالة وأشارة بيّنة، فجمعت
لعدتهم التي لم تتأه.

ولما قال في خلق السماوات والأرض: ﴿آيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم جماعة واحدة محصور عددهم، والآية
الواحدة تجمعهم، بآية الخير عنهم الخير عمن وجد
وعمن لم يوجد أكثرهم. فاختلقت بهم الدلالات
ووجهت لهم الآيات لا تشتت أعدادهم وتباين إمدادهم
فاختلف الموضعان لذلك. (٣٥٣)

الكرمان: قوله: ﴿فَأَنبِئْهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ العنكبوت: ٢٤، وقال بعد: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ العنكبوت:
٤٤، فجمع الأولى ووحد الثانية، لأن الأولى إشارة إلى
إثبات النبوة وفي التبيين صلوات الله عليهم كثرة، والثاني
إشارة إلى التوحيد، وهو سبحانه واحد لا شريك له.

(١٥٣)

الفقر الرازي: يعني في إنجائه من النار آيات، وهنا
مسائل:

المسألة الأولى: قال في إنباء نوح وأصحاب السليمة:
﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾ العنكبوت: ١٥، وقال هاهنا: (الآيات)
بالجمع، لأن الإنباء بالسليمة شيء تشع له العقول فلم
يكن فيه من الآيات إلا بسبب إعلام الله إياه بالاتخاذ

١٠ - فَمَا كَانَ بِجَوَابِ قَرْيَبِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا
مُرْثُومًا فَأَنبِئْهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ. العنكبوت: ٢٤

الإسكافي: قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ بِجَوَابِ قَرْيَبِهِ إِلَّا
أَنْ قَالُوا... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وقال بعد:
﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ العنكبوت: ٤٤.

للسائل أن يسأل فيقول: قال في إنباء إبراهيم عليه
من النار: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وقال في
خلق السماوات والأرض: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾
فوجد الآية هنا وجمعها هناك، والآيات في خلق
السماوات والأرض أكثر منها في تخلص إبراهيم عليه من

وقت الحاجة، فإنه لولاه لما انقضى لعدم حصول علمه بما في الغيب، وبسبب أن الله صان التفتية عن المهلكات كالرياح العاصفة، وأما الإجماع من النار فمجيبه فقال فيه: (آيات).

المسألة الثانية: قال هناك: ﴿آيَةُ لِلْعَالَمِينَ﴾ وقال هاهنا: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خص الآيات بالمؤمنين لأن التفتية بقيت أحوالاً حتى مر عليها الناس ورؤوها، فحصل العلم بها لكل أحد، وأما تبريد النار فإنه لم يبق فلم يظهر لمن بعده إلا بطريق الإيمان به والتصديق، وفيه لطيفة.

وهي لأن الله لما برّد النار على إبراهيم بسبب اعتقاده في نفسه وهدايته لأبناء جنسه - ولقد قال الله للمؤمنين بأن لهم أسوة حسنة في إبراهيم - فحصل للمؤمنين بقاءه بأن الله يبرّد عليهم النار يوم القيامة فقال: إن في ذلك لتبريد لآيات لقوم يؤمنون.

المسألة الثالثة: قال هناك: ﴿جَعَلْنَاهَا﴾ وقال هاهنا: ﴿فَالْأَنْهَارُ﴾ لأن التفتية ما صارت آية في نفسها، ولولا خلق الله الطوفان لبقى فعل نوح مستقراً، فأنشأ الله التفتية بعد وجودها آية، وأما تبريد النار فهو في نفسه آية، إذا وجدت لاحتياج إلى أمر آخر، كخلق الطوفان حتى يصير آية. (٥٣: ٢٥)

التهنؤاوي: هي حفظه من أذى النار، وإحداها مع عظمها في زمان يسير، وإنشاء روض مكانها. (٢٠٧: ٢) مثله الأكوامي. (١٥٠: ٢٠)

التيسابوري: جمع الآية لعظم تلك الحالة، كقوله: ﴿وَلَنْ إِذْجِبَ كَانَ لَكُنْ...﴾ النحل: ١٢٠، أولاتها مشتملة

على أحوال عجيبة كالزمني من المنجنيق، من غير أن لحق به ضرر، وكما يروى أن النار صارت عليه روحاً وريحاً إلى غير ذلك.

وإنما قال في قصة نوح عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾ ولم يذكر «الجعل» هاهنا، لأن الخلاص من مثل تلك النار آية في نفسه، وأما التفتية فقد جعلها لله آية بأن أحدث الطوفان وصانها عن الفرق، ويمكن أن يقال: إن قصص من النار أعجب من الضون عن الماء، ولذلك وُعد الآية هناك وجمعها هاهنا.

وإنما قال هناك: ﴿آيَةُ لِلْعَالَمِينَ﴾ وهاهنا: ﴿لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأن تلك التفتية بقيت أحوالاً حتى مر عليها الناس ورؤوها، فحصل العلم بها لكل أحد، أو يقول: جنس التفتية حصلت بعد ذلك فيها بين الناس فكانت آية للعالمين. ولما تبريد النار فلم يبق من ذلك إلا بطريق الإيمان به. (٨٩: ٢٠)

أبو حيان: وجمع هنا فقال: «الآيات» لأن الإجماع من النار وجعلها برداً وسلافاً، وأنها في المبدأ الذي كانوا أوتقوه به دون الجسم، وإن صح ما نقل من أن مكانها حالة الزمي صار يستأنساً بأنما هو مجموع آيات، لمناسب الجمع، بخلاف الإجماع من التفتية، فإنه آية واحدة.

(١٤٧: ٧)

الآيات

١- لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مِنْ بَعْدِ خَارِقُوا الْآيَاتِ تَشْبِيْهُهُ حَتَّى

يوسف: ٣٥

جيز.

ابن عباس: التقيس من الآيات، وشهادة الشاهد

من الآيات، وقطع الأيدي من الآيات، وإعظام النساء إتياء من الآيات.

كان من الآيات قد في القميص، وخش في الوجه. منظره جكرته، ونحوه مجاهد. (الطبري ١٢: ٢١٢)

الإمام الباقر عليه السلام: الآيات: شهادة الصبي والقميص المنخرق من دبره واستباحها الباب حتى سمع بها ذبتها إتياء على الباب، فلما عصاه، لم تزل مولدة بزوجه حتى حبسه. (الطوسي ٢: ٤٢٤)

فتاة: الآيات: حرهن أيدين، وقد القميص نحوه الشدي. (الطبري ١٢: ٢١٢)

ابن إسحاق: براءته مما اتهم به من شئ قبضه من دبر. (الطبري ١٢: ٢١٣)

الطبري: براءته مما قد خفي به امرأة العزيز، وذلك الآيات كانت: قد القميص من دبر، وخش في الوجه وقطع أيدين.

الماوردي: جماله وعفته. (ابن الجوزي ٤: ٢٢١) الطوسي: هو قطع الأيدي والاستعظام، وقد القميص. (١: ١٣٧)

الطبرسي: أراد بالآيات: العلامات الدالة على براءة يوسف. وقيل: يريد بالآيات: العلامات الدالة على الإياس. (٣: ٢٣٢)

الفخر الرازي: والمراد من الآيات: براءته بقد القميص من دبر، وخش الوجه، وإلزام الحكم إتياءها بقوله: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ لِئَ تَكِيدَكُنَّ عِظِيمٌ» يوسف ٢٨، وذكرنا أنه ظهرت هناك أنواع أخر من الآيات بلغت مبلغ القطع، ولكن القوم سكوا عنها سعيًا في إخفاء.

القميص. (١٨: ١٢٣)

الطبري: أي علامات براءة يوسف من قد القميص من دبر وشهادة الشاهد، وحر الأيدي، وقلة صبرهن من لقاء يوسف.

وقيل: هي البركات التي كانت تفتح عليهم ما دام يوسف فيهم، والأول أصح. (٩: ١٨٦)

نحوه الشدي (٢: ٢٢١)، والبروسي (٤: ٢٥٢).

النسابة: «من يهدى نارا أو الآيات» الدالة على براءة يوسف، من شهادة الصبي، واعتراف المرأة، وشهادة النسوة له بالسيرة للكتابة والحق. (١٢: ١٠٤) أبو حيان: «الآيات» هي الشواهد الدالة على براءة

يوسف. قال مجاهد وغيره: قد القميص فإن كان الشاهد على أيدي عظمته، وإن كان رجلاً لم يكون استدلالاً بالآيات.

الطبري: براءته مما قد خفي به امرأة العزيز، وذلك الآيات كانت: قد القميص من دبر، وخش في الوجه وقطع أيدين. (١٢: ٢١٣) الماوردي: جماله وعفته. (ابن الجوزي ٤: ٢٢١) الطوسي: هو قطع الأيدي والاستعظام، وقد القميص. (١: ١٣٧) الطبرسي: أراد بالآيات: العلامات الدالة على براءة يوسف. وقيل: يريد بالآيات: العلامات الدالة على الإياس. (٣: ٢٣٢) الفخر الرازي: والمراد من الآيات: براءته بقد القميص من دبر، وخش الوجه، وإلزام الحكم إتياءها بقوله: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ لِئَ تَكِيدَكُنَّ عِظِيمٌ» يوسف ٢٨، وذكرنا أنه ظهرت هناك أنواع أخر من الآيات بلغت مبلغ القطع، ولكن القوم سكوا عنها سعيًا في إخفاء.

الطوسي: وهي الشواهد الدالة على براءته بقد القميص من دبر، وخش الوجه، وإلزام الحكم إتياءها بقوله: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ لِئَ تَكِيدَكُنَّ عِظِيمٌ» يوسف ٢٨، وذكرنا أنه ظهرت هناك أنواع أخر من الآيات بلغت مبلغ القطع، ولكن القوم سكوا عنها سعيًا في إخفاء.

الطوسي: وهي الشواهد الدالة على براءته بقد القميص من دبر، وخش الوجه، وإلزام الحكم إتياءها بقوله: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ لِئَ تَكِيدَكُنَّ عِظِيمٌ» يوسف ٢٨، وذكرنا أنه ظهرت هناك أنواع أخر من الآيات بلغت مبلغ القطع، ولكن القوم سكوا عنها سعيًا في إخفاء.

الطوسي: وهي الشواهد الدالة على براءته بقد القميص من دبر، وخش الوجه، وإلزام الحكم إتياءها بقوله: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ لِئَ تَكِيدَكُنَّ عِظِيمٌ» يوسف ٢٨، وذكرنا أنه ظهرت هناك أنواع أخر من الآيات بلغت مبلغ القطع، ولكن القوم سكوا عنها سعيًا في إخفاء.

ليس من التواهد الدالة على البراءة في شيء حيث
للتعظيم^(١)، ويحمل الجمع حيث على التعظيم أو دلالة
على الجنسية، وهي تبطل معنى الجمعية، كذا قيل، وهو
كما ترى.

ووجه بعضهم عند القطع من التواهد، بأن حسنه
عليه الصلاة والسلام القاتن للنساء في مجلس واحد، وفي
أول نظرة يدل على فتنتها بالطريق الأول، وأن الطلب
منها لأمته.

ومذهبهم استعصامهم^(٢) عن النسوة، إذ دونه
إلى أنفسهم، فإن العزيز وأصحابه قد سموا، وتيقنوا به
حتى صار كالمشاهد لهم، ودلالة ذلك على البراءة
ظاهرة.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن جكرمة قال:
سألت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن الآيات،
فقال: ما سألتني عنها أحد قبلك، من الآيات فقط
القصاص، وأثرها في جسده، وأثر التكين، فمد رضي الله
تعالى عنه الأثر من الآيات، ولم يذكر فيها سبق. ومن هنا
قيل: يجوز أن يكون هناك آيات غير ما ذكر، وترك
ذكرها كما ترك ذكر كثير من معجزات الأنبياء^(٣).

(١٢: ٢٣٦)

وكشيد وضاء والمراد بالآيات: ما شهدوه واختبروه
من الدلائل على أن يوسف إنسان غير الأناسي التي
صرحوا، في عقيدته وإيمانه وأخلاقه، من عفة ونزاهة
واحتقار للشهوات والزينة والإعتراف المتبع في قصور
هذه الحضارة، ومن عناية ربه الواحد الأحد به كما يؤمن
ويعتقد.

فمن هذه الآيات أن تفنن سيده في سراوده
لم يحدث أدنى تأثير في جذب خلسات نظره، ولا في
خفقات قلبه، بل ظل مريضاً عنها متجاهلاً لها، حتى إذا
ما صارحته بكلمة «فَهَيْتَ لَكَ» يوسف: ٢٣، اقتصر
جلده، واستعاذ بربه رب آياته الذين يلتفتون باتباع
ملتهم، وعيها بالخيانة لزوجها.

ومنها: أنها لما غضبت وهمت بالبطش به، هم
مقاومتها والبطش بها وهي سيده، وما منع من ذلك إلا
مارأى من البرهان في دخيلة نفسه، مؤيداً لما يعتقده من
حرف ربه السوء والفحشاء عنه.

ومنها: أنها لما اتهمت بالتعدي عليها وأرادوا
التحقيق في المسألة، شهد شاهد من أهلها هو جدير
بالإفحام عنها، بما تضمن الحكم عليها بأنها كاذبة في
اتهامها إياه بإرادة السوء بها، وأنه صادق لها ادعاء من
أدعاء^(٤).

ومنها: مسألة إلتثار خبرها معه، في غرض لساء
المدينة في اغتاتها به، وإذلال نفسها بهذا له، مع
إعراضه عنها.

ومنها: مسألة أمكر هؤلاء النسوة وأهملهن كيداً
معه إذ حاولن رؤيته، وتواطأن عن سراوده، ودهشتن
مما شاهدن من جماله، حتى قطعن أيديهن بدلاً مما في
أيديهن ومن لا يشعرون.

فجميع هذه الآيات تبين أن بقاءه في هذه الدكرين
رَبَّتْها وحديقاتها من هؤلاء النسوة مثار فتنة للنساء

(١) كذا في المتن. والظاهر أن جملة «جهنم للتعظيم»
رائدة.

لم يكن تبيين الأوقات من الأفعال التي تستخصص بقدرته.

ولما كان بلوغ الحكم مما يستحق به عمله ولم يقدر فاعل على مثله، أضافه إلى نفسه، فقال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ..﴾ ويبين ذلك قوله في العشر الأخيرة بعد قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْغَنِيِّ حَرْجٌ..﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ﴾ بعد القرابات التي أجاز تناول طعامها ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ التور: ٦١. فلم يخلصها إلى نفسه، لأنها آيات مثل الأول التي تقدمت في أنها لاستخصص بقدرته، أي يبين لكم العلامات التي ينصها على ما يبيع وما يحظر، وما يضيّق

في كتابه بوسع.

وعلم قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَكُونُوا يُلَافِيهِ﴾ التور: ١٧. ﴿وَيُؤَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ التور: ١٨. لما أشار إلى حد الزاني والقاذف، والفرق بين المكائين واضح. (٣٢٢) نحوه الكرمانى (١٤١)، والنيسابوري (١٨: ١٢٨).

آيَاتِهِ

ثُمَّ أَضْرِبُوا بِخَطِّهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَرُبَّكُمْ أَنَّهُ يُفْهِمُكُمُ تَقُولُونَ. البقرة: ٧٣
أبو عبيدة: أي عجائبه، ويقال: فلان آية من الآيات، أي عجب من العجب، ويقال: اجعل بيني وبينك آية، أي علامة. وآيات يسات، أي علامات وحجج. والآية من القرآن: كلام متصل إلى انتطاعه. (١: ٤٥) النيسابوري: دلالة على أنه قادر على كل شيء.

لا تترك لهايتها، وأن الحكمة والعتاب في أمرها هو تنفيذ راجع الأول في سجنه، وإن كانت سيرة النية مأكرة فيه، لإخفاء ذكره، وكف الستة للناس عنها في أمره.

(١٢: ٣٠٠)

الطُّبَّاءُ طِبَّائِي، والمراد بالآيات: الشواهد والأدلة الدالة على برامة يوسف ^{عليه السلام}، وطهارة ذيله عما اتهموه به كشهادة الصبي وقد القيص من خلقه، واستباحها الباب معاً، وعمل منها شطيط النسوة أيدين برؤيته، واستصامه من مرادتهن إياه من نفسه، واعتراف امرأ العزيز لمن أنها راودته عن نفسه، فاستصم.

(١١: ١٦٦)

٢ - يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُتَلَذِّثُوا بِالَّذِينَ آمَنُوا... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. التور: ١٨.

الإسكافي: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ...﴾ ﴿وَأَنَا بَلِّغُ الْآطْفَالِ... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ التور: ٥٩.

للسائل أن يسأل فيقول: لم قال في الأول: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ وقال في الثانية: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾؟

الجواب: أن في الأول إشارة إلى ما تقدم ذكره فيها لوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ تَعُودُونَ...﴾ وجعل الأوقات القليلة آيات لهم وعلامات، لمنع من دخول المسالك والأطفال على النساء، وجولاه فيما سواها، وعبر عنها به الآيات، لما

لَا تَشْفَعُونَ. الأبياء: ٣٧

الطُّبْرِيُّ: الدَّالَّةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِي، وَعَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمَا يُوْعِدُكُمْ بِهِ مِنَ الْمَذَابِ. (٤٨: ٤)

الْفَخْرُ الرَّازِي: اختلفوا في المراد به «الآيات» على أقوال:

أحدها: أنها الحلال المعجل في الدنيا والمذاب في الآخرة، ولذلك قال: «لَا تَشْفَعُونَ» أي أنها ستأتي لاحالة في وقتها.

وثانيها: أنها أدلة التوحيد وصدق الرسول. وثالثها: أنها آثار القرون الماضية بالسَّامِ واليمن، والأوّل أقرب إلى الظن. (١٧٢: ٢٢)

نحوه القُرطُبي (١١: ٢٨٩)، ومثله أبو حنيفة (٦: ٣٣٣).

الرَّوَاهِي: «الآيات»: هي آيات النعم التي هدّتهم بوقوعها، وإراءتهم إياها: إصابتهم بها.

(٣٢: ١٧)

آيَاتِنَا

١ - وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ٣٩

الطُّبْرِيُّ: وآيات الله: حُجُجُهُ وَأُدُلُّهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَمَاجَمَاتُ الرُّسُلِ مِنَ الْأَعْلَامِ وَالشَّوَاهِدِ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلَى صِدْقِهَا فَمَا أَنْبَأَتْ عَنْ رَبِّهَا. (٢٤٨: ١) مثله التَّيْبِيُّ. (١٥٨: ١)

الطُّوسِي: وآيات الله: دلائله وكتبه التي أنزلها على أنبيائه. والآية: الحجّة، والدلالة، والبيان، والبرهان.

لدلالة هذه القصة على وجود الصانع القادر على كلِّ المقدورات، العالم بكلِّ المعلومات، المختار في الإيجاد والإعدام، آية، ودلائلها على صدق موسى عليه السلام. ودلائلها على براءة ساحرة من سوى القاتل آية، ودلائلها على حشر الأموات آية، فهي وإن كانت واحدة إلا أنها في الحقيقة آيات عديدة.

ويمكن أن يراد بـ«الآيات» غير هذه، أي مثل هذه الإراءة يريكم سائر الإراءات، كما أن مثل هذا الإحياء يحیی سائر الآيات. (٣٤٥: ١)

أَبُو حَنِيفَةَ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ «الآيَات» جَمْعٌ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَهِيَ مَا أُرَاهُمْ مِنْ إَحْيَاءِ الْمَيِّتِ وَالْمَوْتِ وَالْمَحْضَرِّ وَالنَّهْمِ وَالْمَنْ وَالسَّلْوَى وَالشَّحْرَ وَالْبَحْرَ وَالطُّورَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ أَعْيَى لِلنَّاسِ قُلُوبًا، وَأَعْدَى قَسْرَةً

وَتَكْذِيبًا لِنَجَسٍ فِي تِلْكَ الْأَوْقَاتِ الَّتِي شَاهَدُوا فِيهَا تِلْكَ الْعَجَائِبَ وَالْمُعْجَزَاتِ، [تَمَّ ذِكْرُ مِثْلِ التَّيْسَابُورِيِّ] (٢٦٠: ١)

الطُّوسِي: وَالظَّاهِرُ أَنَّ «الآيَات» جَمْعٌ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَالْمُرَادُ بِهَا الدَّلَائِلُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهَا هَذَا الْإِحْيَاءُ، وَالشَّمِيرُ عَنْهُ بِالْجَمْعِ لِاسْتِحَالَةِ عَلَى أُمُورٍ بِدِيَّةٍ مِنْ تَرْتِيبِ الْحَيَاةِ عَلَى الْمَقَرَّبِ بِضُمُومِيَّةٍ، وَإِخْبَارِ الْمَيِّتِ بِمَقَاتِلِهِ، وَمَا يَلْبِسُهُ مِنَ الْأُمُورِ الْخَافَةِ لِلْعَادَاتِ. [تَمَّ ذِكْرُ مِثْلِ التَّيْسَابُورِيِّ] (٢٩٤: ١)

آيَاتِي

لَخَلِقِ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي

واحد في أكثر المواضع، وإن كان بينها فرق في الأصل
لأنك تقول: دلالة هذا الكلام كذا، ولا تقول: آيته،
ولا علامته، وكذلك تقول: دلالة هذا الاسم، ولا تقول:
برهانه. (١٧٨: ١)

مثله الطبرسي: (٩٢: ١)
ابن الجوزي: وفي المراد بهذه الآيات أربعة أقوال:
أخذها: آيات الكتب التي تُسَلَّى والثاني: معجزات
الأنبياء، والثالث: القرآن، والرابع: دلائل الله في
مصنوعاته. (٩٢: ١)

مثله أبو حنيفة: (١٧٠: ١)
البيضاوي: والآية في الأصل: العلامة الظاهرة
ويقال للمصنوعات، من حيث إنها تدل على وجود
القانع وعلمه وقدرته، ولكل طائفة من كلمات القرآن
المتبعة من غيرها بقول.

واشتقاقها من «أي» لأنها تبين أيًا من أي، ثم
أوي إليه، وأصلها: أيّة أو أوية، كتمرة، فأبدلت حينها
ألفًا على غير قياس، أو أيّة أو أوية كرمكة فأحلت، أو
آنية كقائلة، فحذفت الهزة تخفيفًا.

والمراد بـ (آياتنا) الآيات المنزلة، أو ما يحتملها،
والمعقولة. (٥١: ١)

الكلوسي: والمراد بالآيات هنا: الكتب المنزلة،
أو الأنبياء، أو القرآن، أو الدلائل عليه سبحانه من كتبه
ومصنوعاته، ويغزل المحول مغزلة السلف ليشاء
التكذيب، وأتى سبحانه بنون العظمة لتربية المهابة
وإدخال الروعة، وأضاف تعالى الآيات إليها لإظهار
كمال قبح التكذيب بها. (٢٤٠: ١)

وشهد رضا: الآيات: جمع آية، وهي كما قال
المجتهدون: العلامة الظاهرة. [ثم ذكر قول الزاوي
وأضاف:]

أقول: بل أصله قصد آية الشيء، أي شخصه. [ثم
استشهد بشعر]

وأطلقت «الآية» على كل قسم من الأقسام التي
تتألف منها سور القرآن العظيم، وتغيبه من غيره
فاصلة ينفق القارئ عندها في تلاوته، ويميزها الكاتب له
ببياض أو بنقطة دائرية، أو ذات نقش، أو بالعدد. والعمدة
في معرفة الآيات بفواصلها التوقيف المأثور عن النبي ﷺ.
وإن كان أكثرها يُدْرِك من النظم، والآيات تُطلق في
القرآن على هذه، وهي الآيات المنزلة من عند الله تعالى،
والآيات التي هي لآله لا لغيره، ولا لغيره من الملوك والسيوف
والأدب التي شرعها لبياد، كما تدل في جملتها على
وحيه إعجاز البشر من مثله.

وتُطلق أيضًا على كل ما يدل على وجود الخالق
تعالى وقدرته ووحدانيته وصفاته كماله من هذه
الخلوقات، ومن نتائج العقول وبراهينها، أو على غير
ذلك من الشئ والغير. (٢٨٦: ١)

٢ - وَقَدْ لَزَيْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى. طه: ٥٦
الطوسي: قوله: «وَقَدْ لَزَيْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا»
تقديره: أريناه آياتنا التي أعطيناها موسى وأظهرناها
عليه كلها لما يقتضيه حال موسى ﷺ معه. ولم يرد جميع
آيات الله التي يقدر عليها، ولا كل آية خلقها الله، لأن

الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿ طه: ٥٠، وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ طه: ٥٣، وما ذكر في سورة الشعراء ﴿قَالَ يَزْعُورُونَ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... الشعراء: ٢٣، ٢٤.

وأما النبوة فهي الآيات التسع التي خص الله بها موسى ﷺ، وهي العصا، واليد، وقلق البحر، والحجر، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ونثق الجبل، وعلى هذا التقرر معنى أريناه عرّفناه صحتها وأوضحنا له وجه الدلالة فيها، ومنهم من حمل ذلك على ما يتصل بالنبوة، وهي هذه المعجزات، وإنما أضاف «الآيات» إلى نفسه سبحانه وتعالى مع أن المظهر لها موسى ﷺ، لأنه أجراها على يديه، كما أضاف نفع الروح إلى نفسه، فقال: ﴿فَسَنفَعُنَا آلَ هَارُونَ مِنْ دُونِنَا...﴾ الأنبياء: ٩١، مع أن «النفع» كان من جبريل ﷺ.

فإن قيل: قوله: (كلها) يفيد العموم والله تعالى ما أراه جميع الآيات، لأن من جملة الآيات: ما أظهرها على الأنبياء ﷺ الذين كانوا قبل موسى ﷺ، والذين كانوا بعده.

قلنا: لفظ «الكل» وإن كان للعموم لكن قد يستعمل في المخصوص عند القرينة، كما يقال: دخلت السوق فاشتريت كل شيء، أو يقال: إن موسى ﷺ أراه آياته وعدده عليه آيات غيره من الأنبياء ﷺ فكذب فرعون بالكل، أو يقال: تكذيب بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل، فحكى الله تعالى ذلك على الوجه الذي يلزم.

(٢٣: ٧٠)

(١٦: ١٣٥)

نحوه التبايوري.

المعلوم أنه لم يرد به جميعها. (٧: ١٨٠)
المتبدي: أي أرينا فرعون الآيات التسع التي أصحبناها موسى؛ وهي اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنون، ونقص الثمرات.

وقيل: هي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، واليد، والعصا، والبحر زهوا، والتاسعة هي المحبة التي ألقيت على موسى حتى أمسك فرعون من قبله.

(٦: ١٤١)

الزّمتخشري: وفي قوله: ﴿أَبَاتِنَا كُلُّهَا﴾ وجهان أحدهما: أن يُحْدَى بهذا التعريف الإضافي حدو التعريف بالآلام لوقيل الآيات كلها، أعني أنها كانت لا تنطلي إلا تعريف المهد، والإشارة إلى الآيات المعلوم التي هي تسع الآيات المختصة بموسى ﷺ: العصا، واليد، وقلق البحر، والحجر، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ونثق الجبل.

والثاني: أن يكون موسى قد أراه آياته، وعدده عليه ما أوتيته غيره من الأنبياء من آياتهم ومعجزاتهم، وهو نبي صادق لا فرق بين ما يجبر عنه وبين ما يشاهد به، فكذبها جميعا.

(٢: ٥٤٦)

الطّبرسي: يعني الآيات التسع، أي معجزاتنا العاكّة على نبوة موسى.

(٤: ١٤)

الفخر الرازي: اختلفوا في المراد بـ«الآيات» فقال بعضهم: أراد كل الأدلة ما يتصل بالتحديد وما يتصل بالنبوة.

أما التوحيد فذكر في هذه السورة من قوله: ﴿وَرَبُّنَا

الْقُرْطُبِيُّ: أي المعجزات الدالة على نبوة موسى،
وقيل: حجج الله الدالة على توحيدِهِ. (١١: ٢١١)
أَبُو حَيَّان: و(آيَاتُنَا) ليس عامًا؛ إذ لم يره تعالى جميع
الآيات، وإنما المعنى آياتنا التي رآها، فكانت الإضافة
تفيد ما تلبد الألف واللام من العهد وإثارة رأي العصا
واليد والظلمة وغير ذلك مما رآه، فجاء التوكيد
بالتسبة لهذه الآيات المعهودة.

وقيل: المعنى آيات بكتالها، وأضاف الآيات إليه
على حسب التشريف، كما أنه قال: آيات لنا.

وقيل: يكون موسى قد رآه آياته، وعدّه عليه ما
أوتي غيره من الأنبياء من آياتهم ومعجزاتهم، وهو نبي
صديق لا فرق بين ما يظفره وبين ما يشاهد به، فكأنها
بها جميعًا، وأبى أن يقبل شيئًا منها انتهى. وقاله
الرُّمَيْسَرِيُّ، وفيه بُعد لأن الإخبار بالشئ لا يستلزم
رؤية إلا بمجرد بعيد.

وقيل: (أَرِئَاءُ) هنا من رؤية القلب لامن رؤية
العين، لأنه ما كان أراه في ذلك الوقت إلا العصا واليد
البيضاء، أي ولقد أعلنناه آياتنا كلها، وهي الآيات
التسع.

قيل: ويجوز أن يكون أراد بالآيات، آيات توحيدِهِ
التي أظهرها لنا في ملكوت السماوات والأرض، فيكون
من رؤية العين. (٦: ٢٥٦)

الْبَرُوسِيُّ: إضافة الآيات عهدية، و(كلّها) تأكيد
لشمول الأنواع، أي وبالله لقد بصرنا فرعون على يدي
موسى آياتنا كلها، من العصا واليد وغيرهما على منهل
من الزمان، أو عرفناه صحتها، وأوضحنا وجه الدلالة

فيها.

(٥: ٢٦٨)
الْأَلُوسِيُّ: أي بالله لقد بصرنا فرعون أو عرفناه
(آيَاتُنَا) حين قال لموسى عليه السلام: ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ
فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ * فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا
هِيَ ثَلَاثُونَ مِجَنًّا * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِیْنَ *
الأعراف: ١٠٦ - ١٠٨، وصيغة الجمع مع كونها اثنتين
إثنا لأن إطلاق الجمع على الاثنين شائع على ما قيل، أو
باعتبار ما في تضاعفها من بدائع الأمور التي كل منها
آية بيّنة لقوم يعقلون، وقد ظهر عند فرعون أمور أخر
كل منها داهية دهياء. [إلى أن قال:]

والإضافة على ما قرّر للعهد، وأدرج بعضهم فيها
جمل المقدمة، كما أدرجه فيها في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَبِلْتُ أَنَّكَ
وَأَكْمُرُكَ بِآيَاتِي﴾ طه: ٤٢.

وقيل: المراد بها آيات موسى عليه السلام التسع كما روي
عن ابن عباس فيها تقدم، والإضافة للعهد أيضًا. وفيه أن
أكثرها إنما ظهر على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على
منهل، في نحو من عشرين سنة. ولا ريب في أن أمر
السحرة مترقب بعد.

وعدّ بعضهم منها: ما جعل لإهلاكهم لا لإرشادهم
إلى الإيمان، من قُلِّي البحر، وما ظهر من بعد مهلكه من
الآيات الظاهرة لبني إسرائيل، من نثق الجبل، والمجبر
الذي انفجرت منه العيون.

وعدّ آخرون منها: الآيات الظاهرة على أيدي
الأنبياء عليهم السلام وحملوا الإضافة على استغراق الأفراد،
وبني الفريقان ذلك على أنه عليه السلام قد حكى جميع ما ذكر
لفرعون، وتلك الحكاية في حكم الإظهار والإراءة

والوجه الثالث: الآيات، يعني الحجرات، قوله تعالى: ﴿قُلْنَا جَاءَ هُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا..﴾ القصص: ٢٦. كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا..﴾ القمر: ٢. وظاهرها كثيرة.

والوجه الرابع: آية، يعني عبرة، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ..﴾ المؤمنون: ٥٠. يعني عبرة، وقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ آيَةً..﴾ مريم: ٢١. يعني عبرة (للتأني).

والوجه الخامس: الآية، يعني للكتاب قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي..﴾ يعني كتابي، ﴿تُثَلِّ غَلِيكُمْ..﴾ المؤمنون: ٦٦. كقوله: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُثَلِّ عَلَيْهِ..﴾ الجاثية: ٨. يعني القرآن ينزل عليه.

والوجه السادس: الآية، يعني الأمر والتهبي. كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَسْمَعُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ..﴾ البقرة: ١٨٧. يعني أمره ونهيته، ونحوه كثير.

الفيروزآبادي، [ذكر مثل الذكمانى وأضاف:]
وحيث يصير جملة الآيات في القرآن من طريق الفائدة والبيان على اثني عشر نوعاً:

الأول: آية البيان والحكمة ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا..﴾ البقرة: ١٥١.

الثاني: آية القرون، والنصرة ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَيْتَيْنِ..﴾ آل عمران: ١٢.

الثالث: آية القيامة ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا..﴾ القمر: ٢.

الرابع: آية الاجلاء والتجربة ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَاطِ فِي فَتَنَكُم آيَةً..﴾ سبأ: ١٥.

الخامس: آية العذاب والمهلكة ﴿هَذَا نَذِيرٌ لَّكُمْ آيَةً..﴾ الأعراف: ٧٣.

السادس: آية المضيئة والزينة ﴿بِهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ..﴾ آل عمران: ٩٧.

السابع: آية المعجزة والكرامة ﴿تَكُونُ لَنَا بَيِّنَةً لِأُولِنَا وَآيَةً مِّنْهُ..﴾ المائدة: ١١٤.

الثامن: آية اللطمة واللمعة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ..﴾ يوسف: ٧.

التاسع: آية التشريف والتكريم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ آيَةً لِلنَّاسِ..﴾ البقرة: ٢٥٩.

العاشر: آية السلامة ﴿وَرَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً..﴾ آل عمران: ١١.

الحادي عشر: آية الإعراض والكره: ﴿وَعَاثِبِينَ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ..﴾

الثاني عشر: آية الذليل والمجته ﴿تُدْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فصلت: ٥٣.

(بصائر ذوي التمييز ٢: ٦٥)

الأصول اللغوية

١ - هذه المادة - أي ي - ثلاثة أصول:

الأول: التعمد، يقال: تأميت الرجل وتآيته: عمدت آيته، أي قصدت شخصه، وتآيت السلاح: عمد به.

والثاني: التثبث، يقال: تأيت الرجل: توقف وتثبت. وتآيت الأمر: تثبت وانظر إمكانه، وليست هذه

بدارثية، أي دار مقام وثبت.

والثالث: التجمع، يقال: خرج القوم بأيّهم، أي بجماعتهم. واجعل بيني وبينك آية، أي علامة والآية في القرآن: علامة لكلام بمجموع.

٢ - وهناك قول يرجح الأصل الواحد فيها، وهو القصد والتعمد، بناء على كونها من «أوي» وهذا اختيار المصطفوي. أو التثبت، بناء على أنها مشتقة من الثاني، من «أوي» وهو اختيار الزاغبي، وهو كذلك - أي من «أوي» - عندنا، كما يأتي.

لكن ينظر بالبال أن الأصل في هذه المادة هو «الآية» نفسها، بمعنى العلامة الظاهرة والشخصية، ومنها اشتقت الأفعال. ولكل منها معنى زائد على معنى العلامة، فتأنيت الرجل، أي تعمدت آيته، أي شخصه، كما يقال: تكوّفت، أي دخلت الكوفة. وتأني السلاج، أي قصد سلاحاً معيناً، وتأني الرجل، أي مكث في مكان معين. وخرج القوم بأيّهم، أي بجماعتهم الشخصية، لكنهم، وسميت «الآية» من القرآن آية، لأنها شخصية الأول والآخر، مقطوعة من غيرها. وقريب من ذلك قول الزاغبي في أول كلامه: واشتقاق الآية من «أوي»، فإنها هي التي تبين أيّاً من أي.

والصحيح أن «أوي» هي المأخوذة من الآية أيضاً دون العكس، لأنها سؤال عن الشيء الشخص. ولهذا - أي لاشتقاق الأفعال من الاسم - نظائر كثيرة في اللغات، وقد أومأنا إليها في مواضعها، ومنها «الأذن» فلاحظ.

٣ - وفي عين «الآية» قولان: الأول: هوياء، فهي من

«أوي»، وهو قول الخليل، وعقلها بالزاية والفاية.

والثاني: هوواو، فهي من «أوي»، وهو قول بيتونه، واحتج بكثرة ما عينه واو ولامه ياء، وقلة ما عينه ولامه ياء في اللغة.

وقول الخليل - كما يبدو - أرجح في القياس من قول بيتونه؛ إذ لو كانت عينها واو، لقليل في جمعها: آوا، مثل: أهواء وأجواء، جمع «هوى» و«جوى»، وتقليل في تصغيرها: أويّة، وفي لفظها: أويّة، على «فاجلة»، مثل: راوية وزاوية.

يبد أنه ورد جمعها على «آياء»، مثل: أزياء، وتصغيرها على «أبيّة»، مثل: مبيّة، تصغير ضبيعة. وعلى هذا القول فأصلها ثلاثي، وقع عينه ولامه حرفي «ياء» وهو جذر ينضم إلى جذور شبيهة به ومماثلة له، غير أنها قليلة نوعاً ما، مثل «عوي» وما إليه.

غير أن هذه المادة تختلف حتى عن مثيلاتها المعتلات، من حيث أننا لم ننع في كل الاستعمالات اللغوية إلا على استعمال نادر لهذا الجذر، اللهم إلا لفظ «الآية»، وهذا يؤكد ما احتملنا من كون «الآية» أصلاً هذه المادة.

١ - وفي وزن الآية أربعة أقوال:

الأول: (فاجلة)، اسم فاعل مؤنث، فأصلها «آيية» فسكنت الياء الأولى، لتقل الكسرة مع الياء، وأدغمت في الثانية، فصارت «آيية»، ثم حذفت الياء الأولى الساكنة للخفة، كما حذفت ياء «كيتوت»، وأصلها «كيتوت»، أو حذفت الياء الأولى، لتلا تدغم في الثانية، فصير مثل «دابة»، أو حذفت الياء الثانية، فأصبحت

ناقصة الياء.

٥ - سيد أن هذه الأقوال لا تخلو من شذوذ، إذ لو كان

أصل الآية «آية»، فالقياس أن تدغم الياء الأولى في الثانية، مثل: «آية». ولو كانت «آية» أو «آية»، لقلبت الياء الثانية فيها ألفا على القياس، كما في «حياة». والقياس في «آية» أن تدغم الياء الأولى في الثانية، مثل رئة.

ومن ذهب إلى القول بأنها «آية»، فقد وافق القياس، فتدغم الثانية بعد قلبها ألفا في الأول، ثم تدان. إلا أنه لا يوافق الاشتقاق، لعدم ورود ما فاؤه وعينه همزة في السماع.

٦ - ولا شك أن قول من قال: أصلها «آية» أقيس على قول الأقوال، وأرجح نوجيها لانقلابها «آية» على ما قبل. قلبت الياء الأولى، لتقل الكسرة مع الياء، وأدغمت في الثانية، فصارت «آية»، مثل: شابة، ثم حذف الياء الأولى الساكنة للفتحة، فأصبحت «آية». وهذا يدعم قول الخليل: يكون عين «الآية» ياء، وكلذا جمعها على «آية»، مثل: أزياء.

٧ - وقد يحظر بالبال أن هذا اللفظ من الألفاظ القرآنية الصرفة التي أجكرها القرآن الكريم، لأن معنى القداسة الملازم للفظ غير مناسب لغير المعجزات الإلهية، تلك المعجزات التي تمثلت في نصوص القرآن، باعتبار القرآن معجزة، فلا أسمى منه بحيث يلتزم وصف أجزائه بقاء التضمين والتضخيم.

فأما ما رواه القومون من شاهد شعري حل استعمال لفظ آية في الشعر الجاهلي، فشيء لا تكاد النفس تظمن إلى صحته، وإنما هو شاهد يختلق لتوضيح معنى من معاني

ولكن في كون لفظ «آية» اسم فاعل مشكلة، من حيث إن اسم الفاعل هو «آي» فيصبح «آي»، ولم يرد بهذا اللفظ في أي من النصوص النصيحة، فصار من اللازم أن ينقل إلى لفظ قريب منه، على ما نقل «عائ» إلى «عوي» مثلا غير أن هذا النقل بهذه الصورة لم يتم أيضا، وإنما نجد لفظ «آية» فقط.

ولاربع في أن التاء الأخيرة هذه تاء تضخيم وتضخيم وزيادة في المعنى، كما تقول: فلان سلامة وفهام، وما إليهما، وكان الحق أن يقال: علام وفهام. فلا يبقى عندنا من أصل اللفظ بعد حذف تاء التضخيم إلا «آي»، وهذا ما لم يرد في أي كلام فصيح، اللهم إلا باعتباره صيغة من المجموع، فكما تقول: آيات، لك أن تقول: آي، ولم يرد هذا الجمع الأخير في القرآن.

ونستج من هذا أن اسم الفاعل من «آي» ملازم للتاء دائما، فكان معنى التضخيم والتجليل ملحوظ في الاشتقاق، ويؤيده ما يأتي من اتخاذ معنى المعجزة والعجيب فيها.

الثاني: «فَعَلَّة»، فأصلها «فأية»، فأبدلت الياء الأولى الساكنة ألفا، لتقل التضخيم ولافتتاح ما قبلها، ثم أدغمت في همزة. أو أصلها «فأية»، فقلبت الهمزة الثانية ألفا، فذت مع الهمزة الأولى.

الثالث: «فَعَلَّة»، فأصلها «فأية»، فقلبت الياء الأولى ألفا، لتحركها والفتاح ما قبلها، ثم أدغمت في الهمزة. الرابع: «فَعَلَّة»، فأصلها «فأية»، فقلبت الياء الأولى ألفا، لانكسارها وتحرك ما قبلها، ثم أدغمت في الهمزة.

«الآية»، وذلك ما روي عن برج بن مسهر الطائفي:

خرجنا من الثقيين لآخي بثلثنا

بآيتنا نزجي السباح المطافلا

وعدوه دالاً على أنهم خرجوا بجماعتهم، لم يدعوه وراءهم شيئاً، على ما يقرره صاحب «الصحاح» في «أيي».

وذلك أن معنى «الجماعة» في لفظ «الآية» شيء مختل، وليس حقيقياً في هذا اللفظ، وهله هذا التخييل أن بعض أهل التفسير واللغة قد ظنوا أن المعنى المراد بـ«الآية» هو جماعة الحروف، وكان لابد لهم من شاهد يستدعواهم، فكان هذا الشاهد وما مائله، وسرى أنه لا علاقة بين «الآية» ومعنى الجمع، وذلك في هذه الفقرة اللاحقة.

٨- إن معنى لفظ «آية» - بملاحظة فريدة الاحتقان،

وقداسة ما يوحى به وهو كلام الله سبحانه وتعالى، والالتزام للفظ للقاء الدالة على التسلية والاحترام والتقدير - يتوضح أن الآية في بعض مصاديقها بمعنى المعجزة والعلامة، والعلامة في حقيقتها آية لمن يقوم بها، أي أنها بمعنى المعجزة في تصور من يظنها، فإذا أطلقت على ما في القرآن الكريم دلّت على المعجزة بكمالها من قبل منشئها، وهو الله سبحانه وتعالى، ومن قبل قارئها وتالها.

فإننا ما حدنا ذلك فإن «الآية» ستكون لها محدوديات وخصوصيات، فهي معجزة من حيث ملاحظة إمكانية فاعلها ومنفذها والقائم عليها، وكذا قدرته هو، من حيث إن الأعمال العظيمة الراسخة أو الأعمال الهائلة الكبيرة، معجزة يقوم بها الإنسان، معجزة بموجب محدوديات

طاقاته، لا بموجب القوة الإلهية المطلقة.

ولانستبين في هذه المادة شيئاً من معنى الجمع على ما أراد بعض المتقدماء أن يجعلوا مؤمنين به ولو صح معنى الجمع والجماعة في هذا اللفظ، لا يمكن أن نحذف اصطلاح «سورة» من القرآن العزيز، ونسبها «آية»، فنقول: آية البقرة، وآية آل عمران، وآية النساء، وهكذا، على أساس أن «الآية» معناها جماعة الحروف وجماعة الكلمات.

ثم لا يمكن أن يطلق على أي جملة من الجمل التي يكتبها الإنسان اصطلاح آية، لأن ما يكتبه الإنسان لا يمدو أن يكون جماعة حروف وكلمات، باعتبار أن الجملة تتكون من مجموع حروف وكلمات، وأن الآية معناها مجموع الحروف والكلمات. فلتنا لم يصح هذا. لم يصح معنى «الجمع» في لفظ «الآية».

وعلى القول إنها جاءت بمعنى «الجماعة»، فهي أيضاً معنى «المعجب» لكثرة عددها، فهو الحق ما قلنا: إن «الآية» هي العلامة المعجزة.

٩- وبناء على هذا، يستقيم لنا أن المعنى يقترب من «المعجزة»، والفرق ما بين الآية والمعجزة، أن الأولى خاصة بالأعمال الإلهية، كالآيات القرآنية، وخلق الإنسان، والكون، وغير ذلك مما هو معروف ومشهور. فأنما المعجزة، فهي تلك الآية الإلهية التي يجريها الله سبحانه وتعالى على أيدي عباده المخلصين من أنبياء ومرسلين وأئمة هداة، كمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام، مما ذكره القرآن. فلكل معجزات باعتبارها قد صدرت بواسطة الإنسان، فتكون «الآية» مصطنعة بمعنى المعجزة

الإلهية المباشرة ومعنى المعجزة التي يجرها الله، ولكن على يد بعض عباده.

على أن في كل من اللفظين: الآية والمعجزة معنى حدوث الشيء الخارج للطبيعة، الخارج عن قوانينها ونواميسها، مع أن تلك الطبيعة بقوانينها ونواميسها آية إلهية في حد ذاتها. فالآية على هذا أعم من المعجزة، والمعجزة آية بموجب وضعية خاصة، والقول بأنها بمعنى العلامة العجيبة - كما قلنا - لا يفتري كثيراً عن كونها بمعنى المعجزة.

١٠ - ويبدو أن «الآية» رغم دلالتها على البيان والإعلام، فإن جذرها في غاية الغموض مثل ما قلنا في «الإنسان» تماماً.

الاستعمال القرآني

١ - الآية - بهذا المعنى الأخرى الذي استعملها القرآن - لفظة قرآنية، لم يهدا العرب من قبل، وحق إن صح ذلك الشاهد الشرعي التيم دليلاً على معرفة العرب للفظ الآية واستعمالهم لها قبل القرآن، غاب ذلك الاستعمال الواحد من استعمال القرآن لها؟ وهو كتاب واحد، وردت فيه لفظة الآية (٣٨٢) مرة.

٢ - ودل هذا اللفظ أننا وقع في القرآن على معنى المعجزة الإلهية في معظم الأحيان، وعلى معنى المعجزة التي يجرها الله سبحانه وتعالى على يد بعض أوليائه أحياناً، وعلى معنى المعجزة البشرية التي هي الأعمال الكبيرة والعجيبة التي يصنعها الناس حيناً آخر، فتكون بمثابة معجزة، نظراً إلى محدودية القدرة البشرية.

وتجعل هذه المعاني في ستة أقسام، وهي كالآتي:
أ - آيات كويتية من عجائب خلق الله، وهي كثيرة جداً في القرآن، مثل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٦٢.

ب - معجزات ظهرت على أيدي الأنبياء وهي كثيرة أيضاً، مثل: ﴿قَارِئُ آيَةِ الْكُفْرِى﴾ النازعات: ٢٠.

ج - خواص الصفات والعلامات الإلهية، مثل: ﴿وَجَعَلْنَا لِنِمْزَمٍ وَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٠.

د - الآيات القرآنية، وهي أكثر ما جاء عدده، مثل: ﴿بَلِّغْ أَمْرًا لِّلَّهِ تَنَزَّلَتْ عَلَيْكَ بِالنَّجْمِ﴾ البقرة: ٢٥٢.

هـ - عجائب أفعال البشر، مثل: ﴿أَتَتَّبِعُونَ بِكُلِّ دِينٍ آيَةً﴾ الشعراء: ١٢٨.

و - حوادث كويتية نشأت عن غضب الرب، مثل: ﴿وَلَمَّا كَانَتْ آيَةُ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْقَتْلَ الْأَبْسَمِ﴾ الذاريات: ٣٧.

وكل الأقسام تشترك في كونها علامة ظاهرة صريحة، فأيات الكون ومعجزات الأنبياء وآيات القرآن وآيات القدر والهلاك، عجائب دالة على قدرة الله تعالى وعلمه وعلو ذاته وصفاته والمعجزات إنما هي تدل على صدق الأنبياء، لكونها أفعال الله الخارقة للعادة، تظهر على أيدي الأنبياء تصديقاً لنبوتهم، وهي قبل ذلك آيات ألوهيته وديوبيته تعالى.

وأما العبرة والنجوة وسائر ما جاء في كتب المفردات والتفسير، فهي إما من مصاديق العلامة أو من آثارها، فإن العبرة - وكذا النجوة - من جملة ما يترتب على تلك

العلامات المعيرة للقول، وعليك بالتأمل في القرآن، حتى تخطق الآيات على هذه المصاديق الستة، وستف على قائمة الآيات حسب هذه الأقسام، في آخر هذا البحث.

١- وقد ورد من هذه المادة في القرآن بصيغة المفرد (٨٦) مرة، وبصيغة المثنى مرة واحدة، وبصيغة الجمع (٢٩٥) مرة. ولم تتصل بها «أله» التعريف إلا في مواضع قليلة جداً، وإنما عُرِفَتْ - حين تعرّف - بالإضافة إلى:

أ- الظهائر: أمثلك، آياتك، آياتنا، آياته، آياتها، آياتي. وكل هذه الظهائر دالة على الله سبحانه وتعالى بشكل مباشر في الغالب الأعم من الموارد، وعليه - جلّ وعلا - بشكل غير مباشر. وإنما للدلالة على إظهار ذلك

في بعض مناسباته في مثل: ﴿قَالَ أَمْثَلُكُمْ إِلَّا تُكْفِرُوا النَّاسَ...﴾ آل عمران: ٤١، ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سُدًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ﴾ الأنبياء: ٢٢.

ب- الاسم الظاهر: من قبيل: ﴿آيَةُ مُلْكِهِ﴾ البقرة: ٢٤٨، ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٦١، ﴿آيَاتِ الْكِتَابِ﴾ المجمل: ١، ﴿آيَاتِ رَبِّهِ﴾ الكهف: ٥٧، ﴿آيَاتِ الرَّحْمَنِ﴾ مريم: ٥٨.

وأما ما ورد منها معرفاً بالآلف واللام، فكانت عدده أقل مما كان نكرة، ومما كان مضافاً إلى الظهائر، ونسب أن من معلمات ذلك ما نص عليه المحققون من أن التذكير قدياني دالاً على التفخيم والتعظيم، فيكون إطلاق لفظ «آية» من غير تفيد أبلغ في تصوير المعجزات الإلهية، كما أن هذا التذكير ليس له مُصَرَّف إلا إلى الله سبحانه وتعالى، أي أن هذه الآيات هي من عنده جلّ وعزّ، وليست بحاجة إلى تعريف.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن لفظ «آية» يدل على كثرة الآيات في هذا الكون، حتى لتظهر «آية» و«آيات» في كل شيء.

والملاحظ أن القرآن الكريم إذا أراد أن يسمّر عن مجموع آيات الله سبحانه وتعالى في كل ما خلق وكون، استعمل أداة التعريف، فكان الخلق كله - على ما ينص منه من آيات - هو آية واحدة تضم آيات كثيرة، وذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ البقرة: ٢١٩، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ آل عمران: ١١٨، فعرف الجمع لأنه يضم ما بينه سبحانه وتعالى للناس من آياته التي هي جميعاً لاتمدو أن تكون آية واحدة، وما الأمر عنده إلا «كن فيكون» ولذلك لم ترد مرة معرفة إلا في حالة واحدة تتجمع فيها كل الآيات، وذلك قوله تعالى: ﴿فَآيَةُ الْكِبَرِ﴾ التازعات: ٢٦، وليس بعد الآية الكبرى من مطلب، على أن التعريف هنا يمكن أن يكون للعهد، والمعهود من معجزة موسى هي العصا، فهي الآية الكبرى.

٢- جاءت كلمة «سورة» و«سُور» في القرآن (١٠٠)

مرات، وكلمة «الآية» و«الآيات» (٢٨٢) مرة، فالتسبة بينها ١: ٢٨ تقريباً. ولو قيست هذه النسبة بما يوجد من التسبة بين رقم السور القرآنية وهي (١١٤) ورقم الآيات، وهي (٦٢٠٠) إلى (٦٢٣٦) على اختلاف الأحوال والنسبة بينها ١: ٥٢ تقريباً، لظهر أن الاختلاف بين التسبين لم يكن كثيراً، إلا بقدر التسبة بين عدد الآيات وعدد السور تقريباً.

وبالترك قائمة الآيات حسب الأقسام الستة المتقدمة:

أ - الآيات الكونية حسب المواضيع:

١ - السماوات والأرض:

﴿وَكُنَّا مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ يوسف: ١٠٥

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ النكبات: ٤٤

﴿أَعْلَمَ بِزُورِ الْإِنْسَانِ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأَافِيَتْ يَوْمَ الْأَرْضِ أَوْ تُسْفِطُ عَلَيْهِمْ كَيْسَافًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَسِيدٍ مُنْذِبٍ﴾ سبأ: ٩

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران: ١٩٠

﴿إِنَّ فِي الْخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يونس: ٦

﴿فَلْيَنْظُرُوا عَادًا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِي الْأَنْهَاءِ وَالتَّنْذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس: ١٠١

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ الزم: ٢٢

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الباقية: ٣

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ الشورى: ٢٩

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ الزم: ٢٥

٢ - الليل والنهار والشمس:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَةً فَتَوَكَّلْ عَلَى آيَةِ اللَّيْلِ

وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ الإسراء: ١٢

﴿وَأَيُّهُمُ اللَّيْلُ تَسْفَعُ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ يس: ٢٧

﴿هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ لَكُمْ اللَّيْلَ تَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يونس: ٦٧

﴿يُعْطِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الزم: ٣

﴿أَلَمْ يَزِدْنَا آيَاتِنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ تَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ النمل: ٨٦

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَاسِكُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ نَافِثِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الزم: ٢٢

﴿وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي صَافِحَةٍ مِنْهُ الْقِيَامُ قَدْ جَاءَ فِي الْغَيْثِ تَنْزِيلُ الْغَمَامِ وَالْزُّجُرْجُورِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الزم: ٤٢

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فصلت: ٣٧

٢ - إزال الماء من السماء وإحياء الأرض بهاتين والقمرة:

﴿يُسْقِيتُ لَكُمْ بِهِ الْآرِزَ وَالزُّيْتُونَ وَالشَّجَرِ وَالْأَعْنَابِ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فصلت: ٣٧

٣ - إزال الماء من السماء وإحياء الأرض بهاتين والقمرة:

﴿يُسْقِيتُ لَكُمْ بِهِ الْآرِزَ وَالزُّيْتُونَ وَالشَّجَرِ وَالْأَعْنَابِ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فصلت: ٣٧

٤ - إزال الماء من السماء وإحياء الأرض بهاتين والقمرة:

﴿يُسْقِيتُ لَكُمْ بِهِ الْآرِزَ وَالزُّيْتُونَ وَالشَّجَرِ وَالْأَعْنَابِ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فصلت: ٣٧

٥ - إزال الماء من السماء وإحياء الأرض بهاتين والقمرة:

﴿يُسْقِيتُ لَكُمْ بِهِ الْآرِزَ وَالزُّيْتُونَ وَالشَّجَرِ وَالْأَعْنَابِ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فصلت: ٣٧

﴿وَمِنْ آيَاتِ الشَّجَرِ وَالْأَنْجَابِ تُسْمِدُونَ مِنْهُ
شَجَرًا وَرِزْقًا خَيْرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَتَّقُونَ﴾
التحل: ٦٧

﴿أَوَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ مَجْرٍ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
الشعراء: ٨، ٧

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا •
فَإَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَرَيْبِ لَكُمْ فِي ذَلِكَ لَكُمْ
آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
الأنعام: ٩٩

﴿وَفِي الْأَرْضِ حَبَاطٌ مِثْلُ حَبِّ الرَّيْثِ وَنَبَاتٌ مُنْتَظَرٌ
وَأَنْجَابٌ مُنْتَوِنٌ وَغَيْرُ مِثْوَانٍ يُشْبِي سَاءَ مَا وَجَدَ
وَنَقَطٌ مُنْقَطًا فَهِيَ تَلْقَى فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
الزمر: ٥

﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
الَّذِينَ

﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَأَنْبَسَ بِهِ الْأَرْضُ بِقَدْرٍ
مَوْجِبًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
الزوم: ٢٤
﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَا بِهِ
الْأَرْضَ بِقَدْرٍ مَوْجِبًا وَتَضَعُ بِفِئِ الْبَرِّ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ﴾
البجائية: ٥

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾
الفاربات: ٢٠
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْهَا الْغُيَاةَ أَفَلَا تُؤْمِنُ﴾
المصلى: ٣٩

١- الملك والبحار والرياح والبرق:
﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْغُلُقِ الْعَشَقُونَ﴾
يس: ٤١

﴿وَتَضَعُ بِفِئِ الْبَرِّ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
البقرة: ١٦٤
﴿إِنَّ يَتَأْتِيَكُمُ الرِّيحُ قَتِيلًا زَوَاكِدَ عَلَى ظُهُورِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ حَسِيرٍ شَكُورٍ﴾
الشورى: ٢٣
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ يَمْرُؤًا فِي الْبَحْرِ يَنْصَرِفُ أَفَلَا
يُؤْتِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ حَسِيرٍ شَكُورٍ﴾
لقمان: ٣١

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ﴾
الشورى: ٣٢

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾
الزوم: ٢٤

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُزِيلَ الْزَّيْبَ مُبَلَّرَاتٍ﴾
الزوم: ٤٦

٥- الأنعام في الأرض:
﴿وَلِيَّ حَقِّكُمْ وَمَا يَهْتَدِي مِنْ دَابَّةٍ أَبَاتٍ لِّقَوْمٍ
يُوقِنُونَ﴾
البجائية: ٤

٦- الطير في جوف السماء:
﴿أَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الطُّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ
مَا يَسْكُنُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
التحل: ٧٩

٧- التحل:
﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا كَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ بِسَبْعِ
سَفَاءٍ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ﴾
التحل: ٦٩

٨- اللباس والأوبار والأشعار:
١- الملك والبحار والرياح والبرق:
﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْغُلُقِ الْعَشَقُونَ﴾
يس: ٤١

ب - المعجزات

للمعجزات العامة:

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا

مُعْرِضِينَ﴾ الأنعام: ٤

﴿وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُؤْتِيَنَا

مِثْلَ مَا تُؤْتِي رَبَّهُ﴾ الأنعام: ١٢٤

﴿وَأَنْ يَرْزُقَ كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ الأعراف: ١٤٦

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرْزُقُوا الْعَذَابَ الْآخِرَ﴾

يونس: ٩٧

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

الزهد: ٣٨، والمؤمن: ٧٨

﴿إِنْ نَشَاءُ نُزَلِّ عَلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ الشعراء: ٤

﴿وَلَا رَازِقًا يُدْرِكُهَا﴾ الشعراء: ١٤

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا مِنْ كِبَرٍ مِنْ عُتْيَاهَا﴾

الزخرف: ٤٨

﴿وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا

الأنبياء: ٥٩

٢ - المعجزات الخاصة بالأنبياء والأولياء:

إبراهيم: ﴿فَاتَّخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِبْرَاهِيمَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ المائدة: ٢٤

صالح: ﴿فَبَدَّلَ اللَّهُ إِلَهُكَ كَيْفَ هَآؤُنَا﴾ الأعراف: ٧٣

﴿وَنَارِقَوْمٍ هَآؤُنَا كَيْفَ هَآؤُنَا﴾ هود: ٦٤

﴿فَاتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ آيَةً لِلَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ﴾

الشعراء: ١٥٤

﴿وَأَكْبَرَكُمْ آيَاتِي فَأَكْثَرُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾

الحجر: ٨١

﴿يَأْتِيهِمْ لَئِنْ كُنَّا مِنْكُمْ لَنُؤْتِيَنَّكُمْ آيَاتٍ مِنْ رَبِّكَ

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا

الأعراف: ٢٦

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الزمر: ٢٧

﴿أَوَلَمْ يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ يَسْبُطْ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الزمر: ٥٢

١ - خلق الإنسان والأزواج:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَخْلُقَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ لَكُمُوسًا

وَمُسَوِّدَةً قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

الأنعام: ٩٨

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ

تُنشِئُونَ﴾ الزمر: ٢٠

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

الزمر: ٢١

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

﴿وَلِيُزَكِّيَ الْإِنْسَانَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ سَاءَ مَا يَكْتُمُونَ آيَاتٍ

فَلَا تَسْتَفْهِجُوا بِهَا﴾ الأنبياء: ٣٧

١٠ - التجموع واللقاء:

﴿وَالْتَجَمُوا عَشِيرَاتُ الْإِنْسَانِ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ﴾ النمل: ١٢

﴿سَتَجِدُنَا آيَاتِي فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

فصلت: ٥٣

﴿وَكُلِّمْنَا مِسْكِيْنًا يَلُو سَمِيْعًا بِكُمُ آيَاتِي فَتَكْرَهُونَهَا﴾

النمل: ٩٣

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْجُوفًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا

الأنبياء: ٣٢

مُعْرِضُونَ﴾

- موسى و هارون: ﴿سَلِّ بِنِي إِسْرَآئِيلَ كَمَا أَمَرْتَهُمْ
مِنَ آيَةِ بِحُجَّتِهِ﴾ البقرة: ٢١١
- ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا﴾
الأعراف: ١٠٦
- ﴿وَقَالُوا هَلْ عَلَّمْنَا نَبِيًّا مِنْ آيَةٍ إِسْحَرَنَا بِهَا فَمَا
لَهُنَّ لَكَ مُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ١٣٢
- ﴿وَأَضْمُكُمْ يَذَكِّ إِلَيْنَا جَنَاحَكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ
سُودٍ آيَةٍ أُخْرَى﴾ طه: ٢٢
- ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ طه: ٤٧
- ﴿فَازِيَةُ الْآيَةِ الْكُبْرَى﴾ التازعات: ٢٠
- ﴿وَبَارِئُ يَحْضَبُ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢١
- ﴿وَمَا نَكُنْ بِمَكَائِلَ إِلَّا أَنْ أَمَّا بِآيَاتٍ وَبَيْنَا نَسِ
جَاءَتْهَا﴾ الأعراف: ١٣٦
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى بَشْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ الإسراء: ١٠١
- ﴿وَأَدْخَلْ يَذَكِّ فِي جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُودٍ
فِي بَشْعِ آيَاتٍ إِلَيْنَا فِرْعَوْنَ وَقَوْمُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرُوعًا
قَابِضِينَ﴾ النمل: ١٢
- ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾
الدخان: ٣٣
- ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا﴾ آل عمران: ١١
- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَيْنَا فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِكَةٍ﴾ الأعراف: ١٠٣
- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَيْنَا فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِكَةٍ﴾ الأعراف: ١٠٣
- ﴿وَمَلَائِكَةٍ بِآيَاتِنَا﴾ يونس: ١٠١
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾
يونس: ٩٦، والمؤمن: ٢٣
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ إبراهيم: ٥
- ﴿لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ طه: ٢٣
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ طه: ٥٦
- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ
مُبِينٍ﴾ المؤمنون: ٤٥
- ﴿قَالَ كَلَّا فَادْعُهَا بِآيَاتِنَا﴾ الشعراء: ١٥
- ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا بِسِحْرِ
مُبِينٍ﴾ النمل: ١٣
- ﴿وَنَحْمِلُ لَكُمْ سُلْطَانًا فَلَا يَسْأَلُونَ إِلَهُكَ بِآيَاتِنَا﴾
النقص: ٢٥
- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا
بِسِحْرِ مُفَرَّقٍ﴾ القصص: ٣٦
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَيْنَا فِرْعَوْنَ وَمَلَائِكَةٍ﴾
الرَّحُف: ٤٦
- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَحْضَكُونَ﴾
الرَّحُف: ٤٧
- ﴿وَذَهَبَ أُنْتُ وَأَخَوُكَ بِآيَاتِي وَلَآتِيْنَا فِي ذِكْرِي﴾
طه: ٤٢
- ﴿عِيسَى: ﴿وَرَسُولًا إِلَيْنَا بِنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ
بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ آل عمران: ٤٩
- ﴿وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ آل عمران: ٤٩

﴿ثُمَّ يَتْلُوهُمْ مِنْ حَيْثُ رَآوا الْآيَاتِ لَيَحْضُرُنَّهُ حَتَّىٰ

جِنَ

يوسف: ٢٥

﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ حَسْبَارٍ

شُكُورٍ

إبراهيم: ٥

﴿وَإِذَا هَرَبْتُمْ تَقْرَهُنَّ ذَاتَ الشَّعَالِ وَهُمْ فِي مُخْرَجٍ

مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

الكهف: ١٧

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرُّؤَسِ كَانُوا مِنْ

آيَاتِنَا عَجَبًا

الكهف: ٩

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَآلِئِهِ لِقَوْمٍ يُفَكِّهُونَ

تَتَّبِعُونَ

البقرة: ١٢٣

د- الآيات القرآنية وسائر الكتب السماوية:

﴿مَنْ أَمْسَحَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُسِيتَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا لَا

يُفْلِحُ

البقرة: ١٧٥

﴿وَمَنْ تَابَ مِنْ آيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ إِلَّا يَكُنْوا عَنْهَا

مُعْرِضِينَ

الأنعام: ١٥١

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِيهِمْ آيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا

الأعراف: ٢٠٢

﴿وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَكْبَرُ بِمَا يُغْزَلُونَ قَالُوا

لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ

النحل: ١٠١

﴿وَمَنْ تَابَ مِنْ آيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ إِلَّا يَكُنْوا عَنْهَا

مُعْرِضِينَ

يونس: ٤٦

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بِبَيِّنَاتٍ

البقرة: ٩٩

﴿فَلَمْ يَهَيِّئْ لَكُمُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُدْعُونَ

البقرة: ١١٨

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّهُونَ

تَتَذَكَّرُونَ

البقرة: ٢١٩

﴿وَلَا تَسْتَعْجِلُوا آيَاتِ اللَّهِ فَهُوَ سَرِيعٌ

البقرة: ٢٢١

﴿بَلِّغْ آيَاتِ اللَّهِ تَحْقُوقًا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

البقرة: ٢٥٢، و آل عمران: ١٠٨

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

آل عمران: ٤

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هُوَ أَكْبَرُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَكْبَرُ

الأنبياء: ٢٠٨

آل عمران: ٧

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ الْحِسَابِ

آل عمران: ١٩

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ

يُغْفِرُ اللَّهُ

آل عمران: ٢١

﴿ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

آل عمران: ٥٨

﴿يَتْلُوهُ الْكِتَابَ لَمْ يَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ

آل عمران: ٧٠

﴿وَلَنْ يَأْمُرَ الْكِتَابَ لَمْ يَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ

آل عمران: ٩٨

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ

آل عمران: ١٠١

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

آل عمران: ١١٢

﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْتُمْ أَكْبَرُ

آل عمران: ١١٣

﴿فَلَمْ يَهَيِّئْ لَكُمُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّهُونَ

آل عمران: ١١٨

﴿لَا يَسْتَعْجِلُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ فَهُوَ سَرِيعٌ

آل عمران: ١١٩

﴿أَنْ إِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ جُنْدٌ وَلَا

- فَلَا تَقْعُدُوا عَنْهُمْ ﴿١٤٠﴾ النساء: ١٤٠
﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾
﴿كَذَّابٍ لِّى فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ
الأنفال: ٥٤ ﴿وَبِهِمْ﴾
﴿وَلِشَرِّدُوا بِآيَاتِ اللَّهِ عَمَّا قَلِيلًا﴾ التوبة: ٩
﴿وَنُقْضِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ التوبة: ١١
﴿الرَّ بَلَّغَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يونس: ١
﴿يُقْضِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يونس: ٥
﴿كَذَلِكَ نُقْضِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾
يونس: ٢٤
﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا كُنْتُ عَلَيْكُمْ نَذِيرًا وَتَذَكِيرًا بِآيَاتِ
يونس: ٧١ ﴿يونس: ٧١﴾
﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾
يونس: ٩٥
﴿وَبَلَّغَ عَمَّا جَعَلُوا بِآيَاتِ وَبِهِمْ﴾ هود: ٥٩
﴿الرَّ بَلَّغَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يوسف: ١
﴿وَلِشَرِّدُوا بِآيَاتِ الْكِتَابِ﴾ الزمر: ١
﴿يَذْكُرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَلْقَاءُ رِجَالَهُمْ
الزمر: ٢ ﴿وَلَوْ لَوْ﴾
﴿الرَّ بَلَّغَ آيَاتِ الْكِتَابِ وَفُرَاقِ مُبِينِ﴾ الحج: ١
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَنْ يَعْلَمُ﴾ الحج: ٧٥
﴿لِى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يُهْدِيهِمْ اللَّهُ﴾
التحل: ١٠٤
﴿إِنَّمَا يَنْفَرُ الْكَذِبِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ
التحل: ١٠٥ ﴿التحل: ١٠٥﴾
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾
الكهف: ٥٧
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَيُقَاتِلُ﴾
- النساء: ١٤٠
النساء: ١٥٥
المائدة: ٧٥
الأنعام: ٢٧
الأنعام: ٣٣
الأنعام: ١٦
الأنعام: ٥٥
الأنعام: ١٢٦
الأنعام: ١٥٧
الأعراف: ٣٢
الأعراف: ٥٨
الأعراف: ١٧٤
الأنفال: ٥٢
الحج: ١٠٥

الكهف: ١٠٥

﴿وَإِذَا تَلَّسَىٰ غُلَيْبُ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا

وَبُكْيًا﴾

مريم: ٥٨

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾

طه: ١٢٧

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ المؤمنون: ٥٨

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ

بَيِّنَاتٍ﴾

التور: ١

﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

التور: ١٨

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

التور: ٥٨

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

التور: ٦١

﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا

سُجَّدًا وَعُقْبَتَانًا﴾

﴿يَتْلُو آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

الشعراء: ٢، والقصاص: ٢

﴿مَنْ تِلْكَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ النمل: ١

﴿وَلَا يَهْدِيكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بِهَذَا إِذَا أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ﴾

القصاص: ٨٧

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَاسُوءُوا

المنكوت: ٢٣

مِنْ رَحْمَتِي﴾

﴿يَلْهُوْا أَهْلَ الْبُيُوتِ فِي صُورِ الَّذِينَ أَوْسُوا

المنكوت: ٤٩﴾

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوَىٰ أَنْ كَذَّبُوا

بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الزوم: ١٠

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَمْثَالَ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الزوم: ٢٨

﴿يَتْلُو آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ لقمان: ٢

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾

السجدة: ٢٢

﴿وَإِذْ كُفِّرَتْ كَائِشَاتُ فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

وَالْحِكْمَةِ﴾ الأحزاب: ٣٤

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

الزمر: ٦٣

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾

الزمر: ٧١

﴿عَلَّمَهُمْ كَلِمَ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

المؤمن: ٤

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ

أَتَيْنَهُمْ﴾ المؤمن: ٢٥

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ

أَتَيْنَهُمْ﴾ المؤمن: ٥٦

﴿كَذَلِكَ يُؤْذِنُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَتَخَذُونَ﴾

المؤمن: ٦٣

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى

يُضْرَبُونَ﴾ المؤمن: ٦٩

﴿يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ المجاثية: ٦

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تَلْسَىٰ عَلَيْهِ﴾ المجاثية: ٨

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ﴾
 الجاثية: ١١
 ﴿ذُكِّرْتُمْ بَآئِكُمْ فَأَنْذَرْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُودًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾
 الجاثية: ٢٥
 ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ تَتَفُهُمْ وَلَا أَنْصَارُهُمْ وَلَا أَفْتِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْعَلُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ أَفْتِدَاءً﴾
 الأحقاف: ٢٦
 ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
 الأحقاف: ٢٧
 ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ﴾
 الحديد: ٩
 ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
 الحديد: ١٧
 ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِ بَيِّنَاتٍ﴾
 الحديد: ٥
 ﴿يُنَسِّئُ مَثَلُ الْفَرَسِ الَّذِي كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾
 الحديد: ٥
 ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾
 الطلاق: ١١
 ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾
 البقرة: ١٢٩
 ﴿رَبَّنَا أُولَٰئِكَ لَازِلَتِ إِلَيْنَا رَسُولًا فَوَلِّصْنَاهُمْ آيَاتِكَ﴾
 طه: ١٣٤، القصص: ٤٧
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾
 البقرة: ٣٩
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾
 البقرة: ١٥١

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾
 النساء: ٥٦
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّجِيمِ﴾
 المائدة: ١٠ و ٨٦
 ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ فِي النَّارِ﴾
 الأنعام: ٣٩
 ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ النَّارَ﴾
 الأنعام: ٤٩
 ﴿وَإِذَا جَاءَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا لَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾
 الأنعام: ٥٤
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ النَّارَ﴾
 الأنعام: ٦٨
 ﴿وَلَا تَسْمِعْ أَقْوَامًا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾
 الأنعام: ١٥٠
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾
 الأنعام: ١٥٧
 ﴿وَمَنْ حَقَّ مَوَازِينُهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾
 الأعراف: ٩
 ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾
 الأعراف: ٣٦
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَأَنفَعُكُمْ اللَّهُمَّ أَزْوَاجُ الشَّعَافِ﴾
 الأعراف: ٤٠
 ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾
 الأعراف: ٥١
 ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَأَنفَعُكُمْ اللَّهُمَّ أَزْوَاجُ الشَّعَافِ﴾
 الأعراف: ١٤٦
 ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَأَنفَعُكُمْ اللَّهُمَّ أَزْوَاجُ الشَّعَافِ﴾
 الأعراف: ١٥١

الأحقاف: ٧

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

القمر: ٤٢

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

الحدديد: ١٩

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

التنابؤ: ١٠

﴿إِذَا تَنَسَّيْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا قَالَ أَأَتَاكُمْ الْآلَاءُ الْبَرِّ﴾

القصص: ١٥ والمطففين: ١٣

﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيتًا﴾

المدثر: ١٦

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابًا﴾

النبا: ٢٨

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَاهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَةِ﴾

البلد: ١٩

﴿كَذَٰلِكَ يُسَيِّرُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

البقرة: ١٨٧

﴿وَيُسَيِّرُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

البقرة: ٢٢١

﴿كَذَٰلِكَ يُسَيِّرُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

البقرة: ٢٤٢

﴿كَذَٰلِكَ يُسَيِّرُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

آل عمران: ١٠٣

﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

والمائدة: ١٦٤

﴿كَذَٰلِكَ يُسَيِّرُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

المائدة: ٨٩

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ

﴿وَإِذَا تَنَسَّيْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا وَلَسِي مُشْعَبِينَ﴾ لقمان: ٧

﴿وَمَا يَخْبِتُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَطَّارٍ كَفُورٍ﴾ لقمان: ٣٢

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا

السجدة: ١٥

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُلَوِّشُونَ﴾ السجدة: ٢٤

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَمْ يَخْلُ

سبأ: ٥

﴿وَالَّذِينَ يَشْعُرُونَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي

سبأ: ٢٨

﴿وَإِذَا تَنَسَّيْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا

سبأ: ٤٣

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصلت: ١٥

﴿لَهُمْ فِيهَا ذُرَاهُ الْمُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا

فصلت: ٢٨

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْلُقُونَ عَلَيْهَا

فصلت: ٤٠

﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا ظَاهَرًا مِنْ حَيْثُ﴾

الشورى: ٣٥

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ الزمر: ٦٩

الزمر: ٦٩

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾

الباقية: ٩

﴿وَإِذَا تَنَسَّيْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا

الباقية: ٢٥

﴿وَإِذَا تَنَسَّيْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا مِثْلُ مَا كُنَّا فِيهِ

ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾

الشعراء: ١٠٢، ١٠٣

﴿ثُمَّ أَخْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ الشعراء: ١٢٠، ١٢١

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ الشعراء: ١٣٩

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾ الشعراء: ١٥٨

﴿وَأَنْظَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا مُبَارَكًا فَسَاءَ لِمُكَذِّبِينَ ﴿١٠٦﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٧﴾

الشعراء: ١٧٣، ١٧٤

﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٨﴾ الشعراء: ١٨٩، ١٩٠

﴿فَبَلَغْتَ فِئَتَهُمُ الْخَاوِيَةَ وَمَا عَالَمُوا بِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٩﴾ الشعراء: ٢٠٩، ٢١٠

﴿فَالْحَيَاءُ وَأَصْحَابُ الْمَيْمَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً

لِلْعَالَمِينَ ﴿١١٠﴾ المنكورات: ١٥

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِثْلَهَا آيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١١﴾

المنكورات: ٣٥

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١١٢﴾

الذاريات: ٣٧

﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي

بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ الأنعام: ١٥٨

﴿فَلَا رُسُلًا عَلَيْهِمُ السُّوفُوفُ وَالْجُرَادُ وَالْقُمَّلُ

وَالضَّفَادِعُ وَالذَّمُّ آيَاتٌ مُّقْتَضَاتٌ﴾ الأعراف: ١٣٣

﴿وَمَا تَرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا قَوْمًا يَفْقَهُوا﴾ الإسراء: ٥٩

﴿وَأَنْظَرْنَا عَلَيْهِمْ حَبَازَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّينَ ﴿١٠٨﴾ الحجر: ٧٤، ٧٥

﴿أَلَمْ يَحْدِثْ لَهُمْ كَيْفَ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ فَتَحَنُّونَ

فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٠٩﴾

طه: ١٢٨

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَلِنُكَلِّمَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١١٠﴾

المؤمنون: ٣٠

﴿أَوَلَمْ يَحْصِبْهُمْ كَيْفَ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ

فَتَحَنُّونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١١١﴾

الشجدة: ٢٦

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَصْحَابَ آيَاتٍ وَجَعَلْنَاهُمْ كُلَّ مَصْرِفٍ إِنْ فِي

سَبَأ: ١٩

﴿وَأَخْرَقْنَا الْبَاقِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

الأنعام: ٦٤

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَصْحَابَ آيَاتٍ وَجَعَلْنَاهُمْ كُلَّ مَصْرِفٍ إِنْ فِي

الأنعام: ٧٢

﴿فَأَخْرَقْنَا فِي الْيَمِّ يَأْتِيهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا

غَافِلِينَ ﴿١١٢﴾ الأنعام: ١٣٦

﴿وَأَخْرَقْنَا الْبَاقِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١١٣﴾ يونس: ٧٣

وملاحظ في الآيات الكونية من هذه الأقسام

الك:

١- أطلع القرآن الإنسان فيها هل كثير من هجائب

صنع الله وآثاره وقدرته ورحمته من خلق العالم وما فيه،

والإنسان وخصاله وغرائزه وما يسمده أو يشقيه،

ونبيده أو يضره وكذلك مصيره في هذه الدار والآخر

الأخرى، بدءاً بالآيات الآفاقية والأرضية عامة، ثم بما يختص بعضها.

٢- أطبقت جميعها - رغم تنوعها وكثرتها وعظمتها - على أنها خلقت للإنسان، وسخرت له، ولأن الإنسان من وجهة نظر القرآن هو محور العالم وغاية الخلقة، كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾

البقرة: ٢٩

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ﴾

٢- يجعل الهدف من ذلك بأمرين:

الأول: معرفة الرب بصفاته العليا، وأسمائه الحسنى من خلال آثاره العظيمة، وخلقه القوية.

والثاني: إشراك الإنسان على مبادئ العلوم الطبيعية، وسبر كنونها، ليتفكر فيها، وينق على أسرارها

وتوابعها، وليستكشف الأصول والقواعد العلمية عليها من طريق الحس. وقد بدأ المسلمون - قبل وفهمهم

على علوم اليونان - استلهاماً لهذه الآيات، بدراسة أسرار الوجود بطريقة حسية وتجريبية، ثم صعدوا

عنها، وعكسوا على طريقة عقلية فلسفية محضة، ثانياً مع ما أخذوه من الفلسفة اليونانية وغيرها. واستمرزوا

عليها طول ما يزيد على ألف سنة، زعماً منهم أنها أصول ثابتة وعلوم قطعية، لا تخضع للجدل والنقاش، ولا تتغير

على مدى العصور، ولا تتعدا الآراء على مرّ القرون، فأتخذوها ذريعة لتفسير كثير من الآيات والروايات

وتأويلها على ضوئها، وتطبيقها بتكلف عليها، رغم وجود بون شاسع بينها.

والمحال على هذا المنوال، إلى أن ظهرت النهضة

العلمية المبينة على الحس والتجربة، بعد افتراضها كمبدأ للفكر والتجربة، وبعد التشكيك في ما وُثرت عن

الأسلاف وتخطئته فتبدلت الأرض غير الأرض، والسماء غير السماء. وحدثت آراء جديدة في سير العلم،

في الطب والفلك والزجاج والبحار والنبات والثمار وغيرها، وتغيرت بذلك أطوار الحياة، وتعلمت من

أوهام هيمنت على الأفكار، ونشبت في القلوب، وتجددت كأصنام عبودها ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ يوسف: ٤٠. فقد طلعت الشمس من قبل

المغرب، وفتحت أمام الإنسان أبواب السماء وأقطار الأرض، ولا تزال الحقائق تنكشف واحدة تلو الأخرى.

وتجلى في جميع المجالات الآيات الآفاقية والأرضية، تعديلاً لقوله عز من قائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَنتَلَّوْنَ﴾ فصلت: ٥٢، وإشعاراً بأن أسرار الكون آيات مرتبة ومحسوسة، وليست خيالية ووهيية.

تستشف من وراء ستار، كما أن هذه الآية تعلن بأنها ليست من الآيات المثلوة النازلة من السماء، بعد أن ختم

الله الكتب السماوية بالقرآن، بل هي آيات مرئية.

وعند ذلك طفق المفسرون وشراح الحديث شيئاً فشيئاً - حسب تقدم العلوم، ومدى اطلاعهم عليها -

يطبقون تلك النصوص المقدسة على هذه النظريات والآراء الحديثة مبتهجين ناشطين، فعاملوها معاملة

مع تلك الآراء القديمة، رغم أن كثيراً منها أيضاً لا بد وأن يكون إلهاء رأى لعالم أو فرضية لاخر، فهي - على حد

تصير أصحابها - «فرضية»، ولكن المقلدة لا يفرقون بين

ما هو ثابت وما هو فرضية. فاستمرّوا على سنوالمهم ولا يزالون.

ومن خلال ذلك أضيف إلى وجوه إعجاز القرآن وجه آخر، عبّروا عنه بـ «الإعجاز العلمي» وآثروا فيه كتبًا، وحرّروا مقالات، تاهيك من تفسير «الجواهر» للمرحوم الشيخ الطنطاوي (١٣٥٨ هـ)، الذي غلب الصبغة العلمية عليه، مصرّحًا في مقدّمته بأنّ حوالي سبعمائة وخمسين آية في القرآن تحوم حول العلوم، ليطلع المسلمين من خلال دراسة هذه الآيات على تلك العلوم التي تتوقى الغرب بها على الشرقيين عامة والمسلمين خاصة، فاستمروا بها بلادهم، واستغنوا شعوبهم.

ولا شك أنّ الرجل المتيقظ النصف، المبدع الخلاق العلوم يقتنع بصحة كثير منها بعد دراسة تلك الأبحاث ويردّد فيها، أو يرجع جانب الإتيان في قدر أكثر من القنع به، والحكم الفصل في ذلك موكل إلى من حدث في القرآن وتصلّع فيه، وفي علم من تلك العلوم التي ترتبط بأية منه.

وهذا بحث مهمّ اختلفت فيه آراء العلماء، فهم بين باتّ فيه و مصرّ عليه إطلاقًا، وبين رفض له بتاتًا، ومنهم من اتخذ من ذلك موقفًا وسطًا، فبحث ويعترف أحيانًا، وينكر ويرفض أحيانًا أخرى حسب الموارد، ولا يصدر مع ذلك حكمًا قاطعًا في شيء منها.

ومن جملة هؤلاء، شيخ الإسلام المنصور له الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر الأسبق، لقد أدنى بحديث حول ذلك في مقدّمة تفسيره القيم للقرآن الكريم - وقد نشر بصورة متوالية في مجلة «رسالة الإسلام»

الصادرة عن «دائرة التريب بين المذاهب الإسلامية» بالقاهرة، ثمّ جمع في مجلّد واحد، ولم يتجاوز - حسبما هي ذاكرتي - سورة النساء - فقد طرح هذه المسألة، وأهدى رأيه فيها، وقال بأنّه يكفي في إعجاز القرآن من هذه الناحية أن القرآن خاض في زوايا آثار الخلقة، مشيرًا إلى أسرارها وأطوارها، ومع ذلك، فإنّه لا يخالف شيئًا من العلوم الثابتة المعترف بها.

وستناول - بإذن الله تعالى - بحثًا وتفصيلًا وجوه إعجاز القرآن عامة، والإعجاز العلمي خاصة في مجلّد «المدخل» من هذا المعجم، إن وفقنا الله لإكماله وستبت هناك أنّ طريقة القرآن في مجال الاستدلال والبرهان - التي هي إلى سلوك الحسن من الاتكالي على التعلّل المعطى، كما كان دأب الفلاسفة من ذي قبل.

٤ - من معالم الآيات الكونية (إيجابًا):

١ - إنها مرتبة محسوسة قابلة للنظر إليها:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ بَدَأْنَاهَا بِمِثْلِ هَذَا

ذَرْجٍ تَبِينٍ﴾ الشعراء: ٧

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ

سُجُودٍ وَالْأَرْضِ أَنْ تَحُفَّ بِهَمِّ الْإِنْسَانِ أَنْ تَسْقُطَ

عَلَيْهِمْ جَبَلًا مِنْ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَابِدٍ

حَسِيبٍ﴾

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ المؤمن: ١٣

﴿سَرَّيْنِ آيَاتِنَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

فصلت: ٥٢

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

يونس: ١٠١

﴿انظُرُوا إِلَى آيَاتِ الْآلِهَةِ وَإِلَى آيَاتِ الْآلِهَةِ﴾ الأنعام: ٩٩

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾

العنكبوت: ٢٠

ب - قابلية للتفكير والتأمل فيها، وللتدبر والتأمل
والإيمان والتفقه والتسليم والإجابة ونحوها، وهذا
هو الهدف من ذكرها في القرآن:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الزمر: ٨

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

آل عمران: ١٩١

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٦٩

﴿يُسْمِعُ الْغُلَامَ الْقُرْآنَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿وَالنَّجِيلِ وَالْأَغْنَابِ وَمِنْ كُلِّ الْأَشْيَاءِ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ١١

﴿وَمَا ذَرَأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

لَآيَةٍ لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ النحل: ١٣

﴿وَتَضْرِبُ الرِّيحُ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٥

﴿قُلِ الْأَرْضُ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ النازعات: ٢٠

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَائِمَةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يُوقِنُونَ﴾ البقرة: ٤

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ النحل: ٧٩

﴿قَدْ فَطَرْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّهُونَ﴾ الأنعام: ٩٨

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ﴾ يونس: ٦٧

﴿فَلَاخِيَاءَ فِي الْأَرْضِ فَقَدْ أَوْرَثْنَا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ﴾

النحل: ٦٥

﴿أَوْ تُسَبِّحُ عَلَيْهِمْ كَيْفَ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ سبأ: ٩

٥ - ومن معالمها سبأ،

أ - النحلة عنها:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ يونس: ٧

﴿وَلَنْ نُكَلِّمَهُمُ الْيَوْمَ عَنْ آيَاتِنَا لَعَّا فُلُونُ﴾

يونس: ٩٢

ب - الإعراض عنها وعدم الإيمان بها، وإنكارها:

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا

﴿مُغْرَضُونَ﴾ الأنبياء: ٣٢

﴿وَكَايُنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَكُونُ

عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُغْرَضُونَ﴾ يوسف: ١٠٥

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

الشعراء: ٨

﴿وَيُزَيِّنُكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾

الزمر: ٨١

٦ - أنه تعالى قد يجعل شيئاً من خلقه آية،

وقد يجعله آيات، نحو:

في السماوات والأرض: ﴿خَسِبَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمُؤْمِنِينَ﴾

العنكبوت: ٤٤

﴿وَأَنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾

البقرة: ٣

في السموات: ﴿وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ١١

﴿وَنُفِثَ لَهَا غُلًى غُلًى فِي الْآكَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾
الزَّحَد: ٤

في الليل والنهار: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾

يَس: ٢٧

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾
الإِسْرَاء: ١٢

﴿يُخَشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَذَكَّرُونَ﴾
الزَّحَد: ٢

في الليل: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ أَنَّا جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْغُلُقِ

الْمَشْحُونِ﴾
يَس: ٤١

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْغُلُقَ قَبْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْفُثُ اللَّهُ

لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾
لقمان: ٢١

والستر في ذلك أن كل واحد من مخلوقات الله

تتمثل على آيات، خاليل في عه آية، وكذلك القرآن

لكنها من حيث اختلافها وتبدل أحد من المخلوقات

وكونها سكتا ومعاشا وغير ذلك من أطولها آيات

ومثل ذلك الشفاء والأرض، والفلك والأنعام وغيرها،

ففي كل شيء له آية وآيات.

ومن ناحية أخرى، فإن العالم بأجمه آية لله، لو نظرنا

إليه نظرة جملة واحدة، ولو نظرنا إليه بإمعان، فسوف

ينقلب إلى آيات لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَرَوَّ أَنْ مَا فِي

الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ تَحْتِهِ سِنِينَ

الْبَحْرُ مَائِدَتٌ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

لقمان: ٢٧

٧ - تدل الآيات التكوينية بنفسها على وجود

خالقها وعلى علمه وقدرته، ولها دلالة أخرى عليه

أيضا بما يوجد فيها من الاختلاف والتطور:

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِسَمْعٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾
المعنكوت: ٤٤

﴿وَأَنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَابِ السَّيْلِ

وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾
آل عمران: ١٩٠

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَتَنَكَّسُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ

نَهِيْرًا﴾
النحل: ٨٦، ومثلها كثير.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَابِ

أَلْبَابِكُمْ وَتَوَارِكُمْ﴾
الزَّحَد: ٢٢

﴿وَعَاذُوا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ تُخَلِّفُوا آلُوَانَهُ﴾

النحل: ١٣

﴿وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بِغَدَاةٍ

النحل: ٦٥

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْيَسْبَغَةُ أَخْبَتَاقًا﴾
يَس: ٢٣

٨ - ومن معالم المعجزات،

أ - إنبها مرتبة أيضا:

﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا مِنْ أَكْبَرٍ مِنْ أُخْتِهَا﴾

الزَّخْرَف: ٤٨

ب - إنبها مرتبة وموصومة بالتحس:

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ

مُبِينٌ﴾
النحل: ١٣، ومثله كثير.

ج - إنبهم يستسخرون بها:

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾
الصافات: ١٤

د - إنبهم لا يقبلون منها إلا ما يقترحون:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ نُوْنِي بِمَثَلِ مَا

أَوْحَى رُسُلُ اللَّهِ﴾
الأنعام: ١٢٤

■ - إلهم لو أوتوا بما اقترحوه فكذبوه لزم عليهم

العذاب:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَائِكَةً لَمَكَّنَّاكُمْ وَلَا لَهَا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ٨

و- إله تعالى لا يأتي بها لتكذيب الناس بها:

﴿وَمَا مَنَعَنَا لَوْ نَزَّلْنَاهُ بِآيَاتٍ إِلَّا أَنْ تَقُولَ سِحْرٌ مُّزْمَنٌ﴾ الإسراء: ٥٩

ز- إن الآيات تأتي بإذن الله ومن عنده:

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ النكوت: ٥٠
﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

الرعد: ٣٨

ح - إنها يتحدى بها الأنبياء، بخلاف خصال

المعادن التي ظهرت للأنبياء، ويحتمل أنها خارجة عن طور البشر طراً.

٩- من معالم الآيات النازلة - وهي أكثر من

جميع الأقسام الستة - أنها إيجابية وسلبية أيضاً كالتركيبية:

أما الإيجابية، فهي التلاوة والترتيل والنسخ، والقص، والتفصيل والتعريف، والنزول، والتزليل، والإزالة، والتذكير، والإذكار، والقوسم، والإيمان بها، والمناذرة بواسطتها، والحكمة، والاشباع، والسبح، والإيمان، والتسليم، والبيئات، والبيان، والتبيين.

والثبوت والتفكير فيها، والثقل، وازدياد الإيمان بها، والتسجود والخضوع أمامها، والإحكام، والتشابه، والإنذار، والتبشير، ونحوها مما وصفت به الآيات، أولئك الذين نزلت إليهم الآيات.

وأما السلبية، فهي ما وصف بها الناس بشأن الآيات من الكفر بها، والتكذيب، والجحد، والإفك، والإعراض عنها وعدم الإيمان بها والاشتراك بها لنا قليلاً، والإسراف، والعند والعرف عنها، والخسران، والجندال، والفسق، والخوض، والتظلم، والاستكبار، والتمسلاخ، والفسطة، والمكر، والنسيان، والتحي، والإنكار وظهوره في وجوههم، والسطو، والإلحاد،

والغناء، والخرق بها، ووضعها بالسحر، ونسبتها إلى الخاطي الأولين، والافتراء على الله، ونحو ذلك.

١٠- وأما هجائب أفعال البشر، وهي

٩- من معالم الآيات النازلة - وهي أكثر من

﴿أَتَتُونَكُمْ بِكُلِّ دِينٍ أَيْتُهُ تَقْبَلُونَ﴾ الشعراء: ١٢٨

١١- معالم مانها من الآيات عن غضب

الرب: وهي عذاب الدنيا من الحسف، والفرق، والقطط، والمطر، والزمي بحجارة من سجيل، وتطوفان، والجرام، والقفل، والطفادح، والذم وترك القصور والجينات، والبيوت الخاوية ونحوها.

أَيَّ

١٠ الفاظ، ٢١٥ مرة؛ ٥٩ مكيّة، ١٥٦ مدنيّة
في ٥٧ سورة؛ ٢٢ مكيّة، ٣٥ مدنيّة

أَيَّ ١٤: ٢٢-٣٢	أَيَّهَا ٢: ٢	اسم غير ظهور، قلت: إِيَّاكَ ضربت، فتكون «إِيَّا» مباداً
أَيَّاهُ ١: ١	أَيُّهُمْ ٢: ٣	للكاف، لا تأتي لا مفرد من الفعل.
أَيَّاهُ ١: ١	أَيُّكُمْ ١: ٣	ولا تكون «إِيَّا» مع كافٍ ولا هاء ولا ياء في موضع الرفع والجر، ولكن تكون كقول المحذّر: إِيَّاكَ وزيداً.
أَيَّاهُ ١٥٠: ٣٢-١١٨	أَيُّكُمْ ١: ١	لنهم من يجعل التحذير وغير التحذير مكسوراً، ومنهم من ينصبه في التحذير ويكسر ماسوى ذلك، للفرقة.
أَيَّاهُ ٢: ١	أَيَّاهُ ١: ١	

(٨ - ٤٤٠)

النصوص اللغوية

الخليل: أَيُّ - مَنطلة - قَاتِيَا بِمَزَلَةٍ «مَرْءٌ» و«مَاءٌ»، تقول: أَيْهُمْ أَخَوُكَ وَأَيُّهُمْ أَخْتُكَ؟ وَأَيُّهُمَا الْأَخَوَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ. وَأَيُّهُمَا مَا تُحِبُّ مِنْهُم. تجعل «مَاء» صلة، وكذلك في: أَيُّهُمَا الْأَخَوَيْنِ «مَاء» صلة.	ويأتي لأَتُونَ، لأنَّ أَيَّ مضاف.
وقوله تعالى: «وَأَيُّهَا مَا تَدْعُوهُ» (الإسراء: ١١٠)، (ما) صلة (أَيُّهَا) يجعل مكان اسم منصوب، كقولك: ضربتكَ، فالكاف: اسم المضروب، فإذا أردت تقديم	وإذا ناديت اسماً فيه الألف واللام أدخلت بينه وبين حرف النداء «أَيُّهَا»، فتقول: يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ وَيا أَيُّهَا المرأة، فعني اسم مبهم مفرد معرفة بالنداء مبني على الضم، و«ها» حرف تنبيه، وهي عوض عما كانت «أَيَّ»

تضاف إليه، وترفع الرجل، لأنه صفة «أي».

(ابن منظور ١: ٥٩)

الفرّاء: «أي» إذا أوقعت الفعل المتقدم عليها خرجت من معنى الاستفهام، وذلك إن أردته جازم، يقولون: لأضربن أيهم.

يقول ذلك لأن الضرب لا يقع على اسم يأتي بعد ذلك استفهام، وذلك أن الضرب لا يقع على اثنين.

وقول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَنَزِيقَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَهْلَهُمْ أَكْثَرًا عَلَى الَّذِينَ عَصَوْا﴾ مريم: ٦٩.

من نصب «أيًا» أوقع عليها النزع، وليس باستفهام، كأنه قال: لنستخرجن الماني الذي هو أشد.

و«أي» إذا كانت جزاء فهي على مذهب الذي قال وإذا كانت «أي» تسميًا لم يجاز بها، لأن التسمي لا يجازى به، وهو كقولك: أي رجل زيد؟ وأي جارية زينة؟

والعرب تقول: أي، وأيان، وأيرون.

إذا أفردوا «أيًا» ثنوها وجمعوها وأنشدها، فقالوا: أية، وأيتان، وأيات.

وإذا أضافوها إلى ظاهر أفردوها وذكروها، فقالوا: أي الرجلين؟ وأي المرأتين؟ وأي الرجال؟ وأي النساء؟ وإذا أضافوها إلى المكسبي المؤنث ذكرها وأنشدها، فقالوا: أيها، وأيتها، للمرأتين. وقال تعالى: ﴿أَيُّهَا مَنَّاذِرُهَا﴾ الإسراء: ١١٠.

ويقول لك قائل: رأيت ظبيًا فتجيبه: أيًا؟

ويقول: رأيت ظبيتين، فتقول: أيين؟

ويقول: رأيت ظباء، فتقول: أيات؟

ويقول: رأيت ظبية، فتقول: أبة؟

وإذا سألت الرجل عن قبيلته، قلت: ألسي.

وإذا سألته عن كورته، قلت: الأثري.

وتقول: سبي أنت؟ وأي أنت؟ بياضين شديدين.

وحكى [أي القراء] عن العرب في تسمية لهم: أيهم ما

أدرك يركب على أيهم يريد (الأزهرى ١٥: ٦٥٤)

أبو زيد: صحبه الله أيًا ما توجه، يريد أيًا توجه.

(الأزهرى ١٥: ٦٥٦)

الشبوة: دعاء، ثلاثة أصول: تكون استفهامًا،

وتكون تسميًا، وتكون شرطًا. [ثم استشهد بشعر]

وإذا كانت «أي» استفهامًا لم يعمل فيها الفعل الذي

قبلها، وأما يرخصا أو نصبها ما بعدها، ومنه قوله تعالى:

﴿يَتَكَلَّمُ أَيُّ الْمَرْءَيْنِ أَخْفَىٰ بِمَا لَيْفُوا أَتْدَابًا﴾ الكهف: ١٢.

فدعاء «أي» رفع، و(أخفى) رفع بنجر الابتداء. وعمل الفعل

في الثاني لا في الأول. كأنه قال: لنعلم أيًا من أي، ولنعلم

أحد هذين.

وأما المنصوية بما بعدها، فقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ

الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُ مُتَّقَلِّبٌ يَتَّخِذُونَ﴾ الشعراء: ٢٢٧، نصب

«أيًا» (يَتَّخِذُونَ).

مطه تطلب (الأزهرى ١٥: ٦٥٢، ٦٥٤)

الرجاج: «أي» اسم مبهم مبني على القسم، من: أيها

الرجل، لأنه منادى مفرد، و«الرجل» صفة له «أي»

لازمة. تقول: يا أيها الرجل أقبل، ولا يجوز: يا الرجل،

لأن «يا» تبيه بمنزلة التعريف في «الرجل»، فلا يجمع

بين «يا» وبين «الآلف واللام»، فتصل إلى «الآلف

واللام» بداعي، و«ها» لازمة لداعي» للتبويه، وهي

عوض من الإضافة في «أَيُّ»، لأنَّ أصل «أَيُّ» أن تكون مضافة إلى الاستخام والحسب، والمُنَادَى في الحقيقة «الرَّجُل»، و«أَيُّ» وصلت إليه. (الأزهرى ١٥: ٦٥٦) ابن دُرَيْد: «أَيُّ» كلمة تستعمل في الاستخام ولم تجب إلا في الاستخام. (١: ٢٢) الأزهرى، قال الكوفيين: إذا قلت: يا أَيُّها الرَّجُل، فـ«يا» نداء، و«أَيُّ» اسم منادى، و«ها» تنبيه و«الرَّجُل» صفة، فـ«الواو» وصلت «أَيُّ» بالتثنية، فصار اسماً تاماً، لأنَّ «أَيُّ» ما ومن والذي له اسم ناقصة لانتم إلا بالصلات.

ويقال: «الرَّجُل» تفسير لمن يُؤدِّي. (١٥: ٦٥٦) الجوهري، «أَيُّ» اسمٌ مُعَرَّبٌ يُسْتَعْمَلُ بِهِ وَجْهَانِ، فَمِنْ يَمُتِلُ وَفِيهَا لَا يَمُتِلُ.

تقول: أَيُّهم أخوك؟ وأَيُّهم يُكرِّمُنِي أَكْثَرُ مِنْ عَمِيدٍ كَمَا يَكُونُ فِي حَالِ التَّسْوِيءِ. معرفة الإضافة، وقد تُفْرَدُ الإضافة عليه معناها. وقد يكون بمنزلة «الذي» فيحتاج إلى صلة، تقول: أَيُّهم في الذَّكَرِ أَخُوكَ.

وقد يكون نصّاً للفكرة، تقول: مردت بهرجل أَيُّ رجل وأَيُّ رجل، ومردت بأمرأة أَيُّ امرأة وبأمرأتين أَيُّهما، امرأتين، وهذه امرأة أَيُّ امرأة، وأمرأتان أَيُّهما امرأتين، و«ما» زائدة.

وتقول في المعرفة: هذا زيدٌ أَيُّ رجل، فتصّب «أَيُّ» على الحال. وهذه أمة الله أَيُّها جارئة.

وتقول: أَيُّ امرأة جاءتك وجاءك، وأَيُّ امرأة جاءتك، ومردت بجارية أَيُّ جارية، وجئتك بملاة أَيُّ ملاة، وأَيُّ ملاة، كلُّ جائز. قال الله تعالى: ﴿وَصَا

تُدْرِي نَفْسِي بِأَيِّ لَوْحٍ تَشُوتُ﴾ فهاهنا: ٢٤.

و«أَيُّ» قد يُصْغَبُ بِهَا، [ثم استشهد بشعر]

وَعَدَ تُحْكِي بِـ«أَيُّ» التَّنَكُّرَاتِ مَا يَمُتِلُ وَمَا لَا يَمُتِلُ، وَيُكْتَبُ بِهَا، وَإِذَا اسْتَخْتِمَتْ بِهَا مِنْ تَكْرَرٍ، أُعْرِبَتْ بِأَعْرَابِ الْأَسْمِ الَّذِي هُوَ اسْتِثْنَاءٌ عَنْهُ.

فإذا قيل لله: مَرَّبِي رَجُلٌ، قلت: أَيُّ يافق، تُعْرِبُهَا فِي الْوَصْلِ، وَتُشِيرُ إِلَى الْإِعْرَابِ فِي الْوَقْفِ.

فإن قال: رَأَيْتُ رَجُلًا، قلت: أَيُّ يافق، تُعْرِبُ وَتَنْوُنُ إِذَا وَصَلْتَ، وَتَقِفُ عَلَى الْأَلْفِ فَتَقُولُ: أَيُّ.

وإذا قال: مَرَدْتُ بِرَجُلٍ، قلت: أَيُّ يافق، تُحْكِي كَلَامَهُ فِي الرَّفْعِ وَالنَّصَبِ وَالْجَمْرِ، فِي حَالِ الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ.

وتقول في التثنية والجمع والتأنيث كما قلناه في التنوين.

أنا قاله جاني رجلي، قلت: أَيُّون، ساكنة التنوين، وأَيُّين في النصب والجر، وأَيُّة للمؤنث. فإن وصلت قلت: أَيُّة يا هذا وأَيُّات يا هذا، تَوْنُتْ.

فإن كان الاستثناء عن معرفة، رفعت «أَيُّ» لاغير، على كلِّ حال.

ولا تُحْكِي في المعرفة، فليس في «أَيُّ» مع المعرفة إلا الرفع.

وقد تدخل على «أَيُّ» الكاف، فيُنْقَلُ إِلَى تَكْسِيرِ الْعَدَدِ بِمَعْنَى «كَمْ» فِي الْخَبَرِ، وَيَكْتُبُ تَوْنُهُ نُونًا، وَغَيْبُهُ لُغَةً: كَأَيُّنُ مِثَالُ كَامِنٍ، وَكَأَيُّنُ مِثَالُ كَتِينٍ، تقول: كَأَيُّنُ رَجُلًا لَقِيتُ، تصب ما بعد كَأَيُّنُ عَلَى التَّسْمِيَةِ، وتقول: أَيْضًا: كَأَيُّنُ مِنْ رَجُلٍ لَقِيتُ، وَإِدْخَالُ «مِنْ» بَعْدَ كَأَيُّنُ أَكْثَرُ مِنَ النَّصَبِ بِهَا وَأَجُودُ.

وتقول: بكأن تبيع هذا القوب؟ أي، بكم تبيع؟ [تم]

استشهد بشر: (٢٢٧٦: ٦)

ابن فارس: «أي» كلمة تعجب واستفهام، يقال: تأييت على «تفعلت» أي تمكثت [تم استشهد بشر]

(٣٢: ١)

الزَّمَخْشَرِيُّ: «أي» وَحْلةٌ إلى نداء ما فيه الألف واللام، كما أن «ن» والذي وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس، ووصف المعارف بالجمل، وهو اسم مُبهم مفترق إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه، يتصف به حتى يوضح المقصود بالنداء، لما ندي يعمل فيه حرف النداء هو «أي» والاسم التابع له صفته، كقولك: يا زيد الطَّيِّيف. إلا أن «أي» لا يستقل بنفسه استقلال زيد، فلم ينفك من الصفات

ولي هذا التدرج من الإيجام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد. وكلمة التنبيه للقصة بين العبد وموصوفها ثنائيتين: معاضدة حرف النداء، ومكافئة بتأكيد معناه، ووقرها صوحاً مما يستحقه، أي من الإضافة. (١: ٢٢٥)

ابن هشام: «أي» بفتح الحزرة وتشديد الياء، اسم يأتي على خمسة أوجه:

حرفاً، نحو: «إِنَّمَا تَذْكُرُوا فَلَهُ السَّمَاءُ الْمُنْتَهَى» الإسراء: ١١٠. «وَأَمَّا الْآخِلِيُّ فَنَصْنِيتُ فَلَا عُدُولَ عَلَيْهِ» القصص: ٢٨.

واستهماً، نحو: «أَيُّكُمْ زَكَتُهُ هَذِهِ إِنَّمَا هِيَ الثَّوْبَةُ» ١٢٤. «لَبَّائِي حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» الأعراف: ١٨٥. وقد تحققت كقوله:

تَنْظَرْتُ نَصْرًا وَالسَّامِكِينَ أَتَيْتُ

صَلَّى مِنَ اللَّيْلِ اسْتَهْلَتْ مَوَاطِرَهُ

وموصولاً، نحو: «لَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ بَشِيرَةٍ آيَةً» أشد: مريم: ٦٩، التقدير: لنزعنّ الذي هو أشد، قاله سيوطه.

وخالفه الكوفيون وجماعة من البصريين، لأنهم يرون أن «أياء» الموصولة معرفة دائماً كالشرطية والاستفهامية.

قال الزجاج: ساتبين لي أن سيوطه غلط إلا في موضعين، هذا أحدهما، فإنه يُسَلَّم أنها تُعرب إذا أُفْرِدَتْ، فكيف يقول بيناتها إذا أُضِرِفَتْ؟ وقال الجزمي: فرجعت من البصر فلم أسمع من فارقت المندى إلى كذا أمداً يقول: «لأخبرنّ أئيم قائم» بالضم اهـ.

وزعم هؤلاء أنها في الآية استفهامية، وأنها مبتدأ، (أشد) خبر، ثم اختلفوا في مفعول «نزع» فقال الخليل: هذوف، والتقدير: لنزعنّ الفريق الذي يقال فيهم أئيم أشد، وقال يونس: هو الجملة، وحلقت «نزع» عن السمل، كما في «لِنَقْلَمَ أَيُّ الْمُزَيَّنِينَ أَخْصَى» الكهف: ١٢. وقال الكياني والأخفش: (كل شيمة) (ومن) زائدة، وجملة الاستفهام مستأنفة، وذلك على قولها في جواز زيادة (من) في الإيجاب.

ومرد أقوالهم أن «الخليل» علقص بأفعال القلوب. وأنه لا يجوز «لأخبرنّ القاسق» بالرفع، بتقدير الذي يقال فيه هو للقاسق، وأنه لم يثبت زيادة (ومن) في الإيجاب، وقول الشاعر:

إِنَّمَا مَا لَقِيتُ بَنِي مَالِكٍ فَسَلَّمْتُ عَلَى أَيْمٍ أَفْضَلُ

يُروى بضم «أَي» وحروف الجر لا تعلق. ولا يجوز حذف الجرور ودخول الجار على معمول صلته، ولا يستأنف ما بعد الجار.

وجوز الزمخشري وجماعة كونها موصولة مع أن الضمة إعراب، فتقروا متعلق النزع: (بين كل شيعة) وكأنه قيل: لنزع بعض كل شيعة. ثم قدر أنه مثل: من هذا البعض؟ فقيل: هو الذي هو أشد. ثم حذف المبتدأ المكيّفان للموصول. وفيه حذف ظاهر، ولا أعلمهم استعمالوا «أَيًا» الموصولة مبتدأ، وسيأتي ذلك من ثعلب.

وزعم ابن الطراوة أن «أَيًا» مقطوعة من الإضافة، فلذلك بُنيت، وأن (هُم أَشَدُّ) مبتدأ وخبر. وهذا باطل برسم الضمير متصلًا بأي. والإجماع على أنها إذا لم تُحذف كانت مربية.

وزعم ثعلب أن «أَيًا» لا تكون موصولة أصلاً، وقال: لم يسمع «أَيُّهم» هو فاضل جاءني، بخلاف الذي هو فاضل جاءني.

والزابع: أن تكون دالة على معنى الكمال، فتقع صفة للثكرة نحو «زَيْدٌ رَجُلٌ أَيُّ رَجُلٍ» كمال في صفات الرجال، وحالاً للمعرفة كمررت بعد الله أي رجل.

والخامس: أن تكون وُضِّلَتْ إلى نداء ما فيه أل. نحو «يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ». وزعم الأخفش أن «أَيًا» لا تكون وُضِّلَتْ، وأن «أَيًا» هذه هي الموصولة، حُذِفَ صدر صلتها وهو العائد، والمعنى يأتني هو الرجل. ورَدَّ بأنه ليس لنا عائد يجب حذفه، ولا موصول التزم كون صلته جملة اسمية، وله أن يجيب عنها بأن «مَا» في قرعهم:

«لَا سِيَّارَةً» بالرفع كذلك.

وزاد قسماً، وهو: أن تكون ثكرة موصوفة نحو «مَرَزْتُ بِأَيِّ مَجْجَبٍ لَكَ» كما يقال: بمن مُجْجَبٍ لَكَ، وهذا غير مسموع.

ولا تكون «أَيُّ» غير مذكور معها مضاف إليه لئلا في النداء والحكاية، يقال: «جاءني رجل» فتقول: أي ياهذا، وجاءني رجلان، فتقول: أيان، وجاءني رجال، فتقول: أيون.

ابن منظور: تكون «أَيُّ» جزلة، وتكون بمعنى «الذي»، والأثنى من كل ذلك «أَيُّ» وربما قيل: أَيْمَنَ مطلقاً، يريد أَيْمَنَ.

و«أَيُّ» استفهام فيه معنى التسجب، فيكون حيث شئ من الثكرة، وحالاً للمعرفة، [ثم استشهد بشعر]

و«أَيُّ» اسم صيغ ليتوصل به إلى نداء ما دخلته اللفظ واللام: كقولك: يا أَيُّهَا الرَّجُلُ، ويا أَيُّهَا الرَّجُلان، ويا أَيُّهَا الرَّجُلان، ويا أَيُّهَا المَرءان، ويا أَيُّهَا النِّسوة، ويا أَيُّهَا المَرءة، ويا أَيُّهَا المَرءان، ويا أَيُّهَا النِّسوة.

وأما قوله عز وجل: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا مَنَازِلَكُمْ لَا يَغْلِبْكُمْ شَيْئٌ وَلَا يَغْلِبْكُمْ شَيْئٌ» النسل: ١٨، فقد يكون على قولك: يا أَيُّهَا المَرءة، ويا أَيُّهَا النِّسوة.

وأما قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» البقرة: ١٠٤، فلذا (يَا أَيُّ) نداء مفرد مبهم، و(الَّذِينَ) في موضع رفع صفة ل«يَا أَيُّ»، هذا مذهب الخليل وسيبويه.

وأما مذهب الأخفش فـ(الَّذِينَ) صلة ل«يَا أَيُّ»، وموضع (الَّذِينَ) رفع بإظهار الذم العائد على (أَيُّ) كأنه

على مذهب الأخفش بمنزلة قولك: يامن الذين، أي يامن هم الذين. و«ها» لازمة لأي حرفٍ مما حذف منها للإضافة وزيادة في التشبيه.

وأجاز المازني نصب صفة «أي» في قولك: يا أيها الرجل أقبل، وهذا غير معروف.

و«أي» في غير النداء لا يكون فيها «ها»، ويحذف منها الذكر العائد عليها، تقول: اضرب أيهم أفضل وأيهم أفضل، تريد اضرب أيهم هو أفضل. (١٤: ٥٨) أبو حنيفة: [أيها] «أي» استفهام وشرط وصفة. وموصلة لنداء ما فيه الألف واللام، وموصولة. خلافاً لأحمد بن يحيى [أي تطلب] إذ أنكر بمبيها موصولة، ولا تكون موصولة خلافاً للأخفش.

«ها» حرف تشبيه، أكثر استعمالها مع ضمير وفتح منفصل مبتدئ، خبر عنه باسم إشارة غالباً. أو مع اسم إشارة لاتبع، ويصل به «ها» بين «أي» في التثنية وفي المرفوع بعده. وضمتها فيه ثمة بنى مالك من بني أسد، يقولون: يا أيها الرجل ويا أيها المرأة. (١١: ٩٣) الفيومي: «أي» تكون شرطاً واستفهاماً وموصولة، وهي بعض ما تضاف إليه، وذلك البعض منهم مجسول. فإذا استفهمت بها، وقلت: أي رجل جاء؟ وأي امرأة قامت؟ فقد طلبت تعيين ذلك البعض المجهول. ولا يجوز الجواب بذلك البعض إلا مبيهاً.

وإذا قلت في الشرط: أيهم تضرب أضرب، فالمعنى إن تضرب رجلاً أضربه، ولا يقتضي المصوم، فإذا قلت: أي رجل جاء فأكريمه، تميّن الأول دون ما بعده. وقد يقتضيه لقريئة نحو: أي صلاة وقّعت بخير

طهارة وجب قضاؤها، وأي امرأة خرجت فهي طالق. وتزاد «ها» عليها، نحو: أيما إهاب دُيغ فقد طهر.

والإضافة لازمة لها لفظاً أو معنًى، وهي مفعول إن أضيفت إليه، وظرف زمان إن أضيفت إليه، وظرف مكان إن أضيفت إليه.

والأفصح استعمالها في الشرط والاستفهام بلفظ واحد للمذكر والمؤنث، لأنها اسم، والاسم لا تلحقه «ها» التانيث الفارقة بين المذكر والمؤنث، نحو: أي رجل جاء، وأي امرأة قامت، وعليه قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ إِنْسَابٍ أَفْرَ تَكْرِمُونَ﴾ المؤمن: ٨١. وقال تعالى: ﴿يَأَيُّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ لقمان: ٢٤. [ثم استشهد بشعر]

وقد تطابق في التذكير والتأنيث نحو: أي رجل، وأي امرأة، وفي الشاذ (أي امرأة أرض تَمُوتُ)، [ثم استشهد بشعر]

وإذا كانت موصولة فالأحسن استعمالها بلفظ واحد، وبعضهم يقول: هو الأفصح.

وتجوز المطابقة نحو: مررت بأيهم قدام، وبأيتهن قامت.

وتقع صلة تابعة لموصوف، وتطابق في التذكير والتأنيث تنسباً لها بالصفات المشتقات، نحو: برجل أي رجلي، وبامرأة أي امرأة.

وحكى الجوهري التذكير فيها أيضاً، فيقال: مررت بجارية أي جارية. (١١: ٣٤)

الفيروز أبادي: «أي» حرف استفهام عما يعقل وما لا يعقل مبنية، وقد تحققت كقوله:

• تَنْظَرْتُ نَشْرًا وَالْمُتَاكِثِينَ أَهْمًا •

أَبُو حَتَّانَ: أَيُّ إِنِّهَا كَثِيرَةٌ، فَأَيُّهَا يَنْكُرُ، أَيُّ لَا يَسْكُنُ
إِنْكَارُ شَيْءٍ مِنْهَا فِي الْعُقُولِ، ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ﴾ مَنْصُوبٌ
بِ(تَشْكُرُونَ)، [ويُبدل نقل قول الزَّمَخْشَرِيِّ قَالَ:]

وقوله: «وَهِيَ فِي أَيِّ أَغْرَبَ، إِنْ عَنِ «أَيَّاءَ» عَلَى
الِإِطْلَاقِ، فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، لِأَنَّ الْمُسْتَطِيزَ فِي النَّدَاءِ أَنْ
يُؤْتَى نَدَاءً لِلْمَوْتِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ
الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الْفَجَرُ: ٢٧، وَلَا يَحِلُّ مَنْ يَذْكُرُهَا فِيهِ،
لِهَيْتُولَ: يَا أَيُّهَا الْمَرْأَةُ، إِلَّا صَاحِبُ كِتَابِ «الْبَدِيعِ فِي
النَّمُوهِ»، وَإِنْ مَعْنَى غَيْرِ الْمُنَادَاةِ فَكَلَامُهُ صَحِيحٌ، فَهَلْ
تَأْتِيهَا فِي الْإِسْتِغْثَامِ وَمَوْصُولَةٍ. (٤٧٨: ٧)

الزَّمَخْشَرِيُّ: يَكُونُ فِي (أَيِّ) مَعْنَى التَّعَجُّبِ، أَيُّ
فَعْدَلُكَ فِي صُورَةٍ عَجِيبَةٍ. (٢٢٨: ٤)

أَبُو حَتَّانَ: وَكَوْنُ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ﴾ مُصَلِّقًا (بِرَبِّكَ)،
هُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

وَقِيلَ: يَتَلَقَّى بِمَحْدُودِهِ، أَيُّ رَكْبِكَ حَاصِلًا فِي بَعْضِ
الصُّورِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَوَّلِينَ: إِنَّهُ يَتَلَقَّى بِقَوْلِهِ: (فَعْدَلُكَ)، أَيُّ
فَعْدَلُكَ فِي صُورَةٍ أَيْ صُورَةٍ.

وَأَيُّ (أَيُّ) تَقْضِي التَّعْجِيبَ وَالتَّعْظِيمَ. (٤٢٧: ٨)
الْأَلُوسِيُّ: (أَيُّ) لِلصَّفَةِ، شَتَاهَا فِي قَوْلِهِ:

لَرَأَيْتُ أَيُّ شَسَوَاتٍ وَخُدُودِ

بَرَزَتْ لَنَا بَيْنَ اللَّوَى وَزُرُودِ
وَأَيُّ أَيْدٍ التَّعْجِيبِ لَمْ يَذْكُرْ مَوْصُولَهَا. وَجُمْلَةُ (شَاءَ)
سَمِعَهَا، وَتَمَاتَتْ مَحْذُوفَةً، وَأَيُّ (مَزِيدَةً، وَأَيُّ لَمْ تُخْطَفِ
لِلْجَمْعِ عَلَى مَا قَبْلَهَا، لِأَنَّهَا بَيَانٌ عَدْلُكَ، وَجَوُزٌ أَنْ
يَكُونُ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ الْعَالِ، أَيُّ رَكْبِكَ كَأَنَّهَا فِي
أَيُّ صُورَةٍ شَاءَهَا.

وَقِيلَ: (أَيُّ) مَوْصُولَةٌ، صَلَاحُهَا جُمْلَةً (شَاءَهَا)، كَأَنَّهُ
قِيلَ: رَكْبَكَ فِي الصُّورَةِ الَّتِي شَاءَهَا.

وَفِيهِ أَنَّهُ صَرَحَ أَبُو عَلِيٍّ فِي «التَّذَكُّرَةِ» بِأَنَّ «أَيَّاءَ»
الْمَوْصُولَةَ لَا تُضَافُ إِلَى نَكْرَةٍ، وَقَالَ ابْنُ مَالِكٍ فِي
«الْأَلْفِيدَةِ»: «وَإِخْصَانٌ بِالْمَعْرِفَةِ مَوْصُولَةٌ أَيْيَاءَ»، وَفِي
شَرْحِهَا لِلشُّبُوطِيِّ مَعَ اشْتِرَاطِ مَا سَبَقَ، يَعْنِي كَوْنُ الْمَعْرِفَةِ
غَيْرَ مُفْرَدَةٍ، فَلَا تُضَفُّهَا إِلَى مُنْكَرَةٍ، خِلَافًا لِابْنِ عُصْفُورٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَجْعَلَ (أَيُّ) شَرْطِيَّةً، وَالْمَاخِي فِي جَوَابِهَا
فِي مَعْنَى الْمُسْتَقْبَلِ، إِذَا ظَهَرَ إِلَى تَعَلُّقِ الْمَشَبَةِ، وَتَرْتَبِ

٤- مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ تُطْفَةِ خَلْقِهِ فَعْدَرَهُ.

عَبَسَ: ١٨، ١٨
الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: هُوَ اسْتِغْثَامٌ وَفَرْضُهُ زِيَادَةُ التَّعْظِيمِ
فِي التَّحْقِيرِ. (٤٩٠: ١١)

مِثْلُهُ الْيَتَاوِيُّ. (٥٤١: ٢)

الْأَلُوسِيُّ: الْإِسْتِغْثَامُ - قِيلَ - لِلتَّحْقِيرِ، وَذِكْرُ
الْجَوَابِ، أَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ تُطْفَةِ خَلْقِهِ﴾ لَا يَقْضِي
أَنَّهُ حَقِيقِي، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجَوَابٍ فِي الْحَقِيقَةِ بَلْ عَلَى صُورَتِهِ،
وَهُوَ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ وَجَوُزٌ
أَنْ يَكُونَ لِلتَّحْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ مُسْتَفَادٌ مِنَ الشَّيْءِ الْمُنْكَرِ.

وَقِيلَ: التَّحْقِيرُ يَنْهَمُ أَيْضًا مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: (مِنْ
تُطْفَةٍ) إلخ، أَيُّ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ وَحَقِيرٌ مِثْلُ خَلْقِهِ؟ مِنْ تُطْفَةٍ
مُتْلِيزَةٍ خَلْقَهُ. (٤٤٤: ٣٠)

٥- فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ الْإِنْخِطَارُ: ٨

التركيب عليه، فجاء به (مُورَّوًا) إلى الماضي نظرًا إلى المشيئة، وأداة الشرط نظرًا إلى المتعلق والترتب.

ويجوز أن يكون الجار متعلقًا به (عند ذلك)، وحينئذ يعميّن في (أي) الصفة، كأنه قيل: فذلك في صورة أي صورة، أي في صورة عجيبة، ثم حذف الموصوف زيادة للتدخيم والتعجيب.

و(أيًا) هذه منقولة من الاستهامية، لكنها لا تليخ معناها عنها بالكلاسة عمل فيها ما قبلها، ويكون «مأشاة ركبك» كلامًا مستأنفًا. (٣٠: ٦٤)

وذلك لاختلاف اللفظ، وقوله: (فَلَهُ) هو جواب الشرط، قيل: ومن وقف على (أيًا) جعل معناه أي اللفظين دعوتوه به جاز، ثم استأنف فقال: ماتدعوه فله الأشياء الحسنى، وهذا لا يصح، لأن (ما) لا تطلق على أسماء أولي العلم، ولأن الشرط يقتضي عمومًا، ولا يصح هنا.

(٦: ٩٠)

نحوه الآلوسي. (١٥: ١٩٢)

أَيًّا

أَيَّا

...أَيُّهَا الْآجِلَيْنِ قَضَيْتُ قَبْلَ عُدْوَانِ عَلَى وَاهٍ

عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلُ الْقَصَصِ: ٢٨

الطبري: (ما) في قوله: (أَيُّهَا الْآجِلَيْنِ) صلة يوصل بها أي على الدوام، وزعم أهل العربية أن هذا أكثر في

قُلْ اذْعُوا إِلَهُ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّهَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْآخِرَةُ الْآخِرَةُ... الإبراهيم: ٢٦

الْمَغْشَرِيِّ: التثوين في (أَيًّا) عوض عن المضاف إليه، و(ما) صلة للإيهام المؤكدة لما في أي، أي أي هذين الاسمين سميت وذكرتم. (٢: ٤٧٠)

مثله القنر الرازي. (٢١: ٧٠)

أبو عثمان: «أي» هنا شرطية، والتثوين قيل: عوض عن المضاف و(ما) زائدة مؤكدة.

وقيل: (ما) شرطية ودخل شرط على شرط. وقرأ طلحة بن مصرف (أَيُّهَا مَنْ تَدْعُوا) فاحتمل أن تكون (من) زائدة على مذهب الكسائي، إذ قد ادعى زيادتها، [ثم استشهد بشر]

واحتمل أن يكون جمع بين ألتاي شرط هل وجه الشذوذ كما جمع بين حرفي جر، [ثم استشهد بشر]

كلام العرب من «أي»، [ثم استشهد بشر] (٢٠: ٦٥)

الْمَغْشَرِيِّ: في قراءة ابن مسعود (أَيُّ الْآجِلَيْنِ مَا قَضَيْتُ) وقرأ (أَيُّهَا) بكون الهاء، [ثم استشهد بشر]

فإن قلت: ما الفرق بين موقعي (ما) المزمدة في القراءتين؟

قلت: وقعت في المستضيضة مؤكدة لإيهام «أي» زائدة في ضياعها، وفي الشاذة تأكيد القضاء، كأنه قال: أي الأجلين صحت على قضائه وجزدت عزيمتي له.

(٥: ١٧٤)

نحوه أبو حنيفة.

(١١٥: ٧)

الأنوسي: قرأ عباده (أي الأجلين ماضيتين).

فـ(ما) مزيدة لتأكيد القضاء، أي أي الأجلين صحت على قضاؤه وجردت عزيمتي له، كما أنها في القراءة الأولى مزيدة لتأكيد إيهام (أي) وشياها، وجعلها نافية لا يعني ما فيه، وقرأ الحسن والعباس عن أبي عمرو (أيما) بسكين الياء من غير تشديد، [ثم استشهد بشر]

وأصلها المشددة، وحذفت الياء تخفيفاً، وهي مما عينه واو ولامه ياء، ونص ابن جني على أنها من باب «أويت» قياساً واشتقاقاً. (٢٠: ٦٨)

أيها

يأيتها الناس احييوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون.

الأنوسي: أفصح اللغات فتح الماء هذا أيها، ونص بني مالك من بني أسد وهط شقيق بن سلمة يقولون: يا أيه الناس ويا أيه المرأة ويا أيه الرجل، ولا يقرأ بها، ومن رخصها توهبها آخر المروءة وقد حذفت الألف في الكتابة من ثلاثة مواضع: «آية المؤمنون» التور: ٣١، و«آية الشايع» الزخرف: ١٩، و«آية الثقلان» الزمر: ٢٨.

واعلم أن «أيها» اسم مبهم ناقص، جعل صلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، ويلزمه هاء التثنية لإيهامه ونقصه.

وأجاز المازني «يا أي الطريف» قياساً على «يا زيد

الطريف». ولم يحزه غيره، لأن «أيها» ناقص، والنقص عطفاً على الموضع بالعمل على المعنى، ولا يحمل على التأويل إلا بعد التماس، وهذا هو الصحيح عندهم. (٩٧: ١١)

الزمخشري: إن قلت: لم يكثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟

قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة، لأن كل ما نادى الله له عباده من أولمه ونواهي وعظاته وزواجره ووعدته ووعدته، واختصاص أخبار الأمم النكرجة عليهم، وغير ذلك مما أطلق به كتابه، أمور عظام وخطوب جسام ومسان، عليهم أن يتفعلوا بها يتفعلوا بطلوعهم ويصاترهم إليها وهم عنها غافلون، فاحضرت الحال أن ينادوا بالأكند الأبلغ. (١: ٢٢٦)

الأنوسي: «أي» لها معاني شديدة، والواقعة في النداء تكراراً موضوعة لبعض من كل، ثم تفرقت بالنداء وتوصل بها لنداء ما فيه ثل، لأن «يا» لا يدخل عليها في غير الله إلا تذوداً، لتعذر الجمع بين حرفي التعريف، فإنها كعطين، وهما لا يجتمعان إلا فيما تشد [ثم استشهد بشر]

وأعطيت حكم المنادى، وجعل المقصود بالنداء وصفاً لها، والتزم فيه هذه الحركة الخاصة بالمسماة بالصفة، خلافاً للمازني فإنه أجاز نصبه، وليس له في ذلك سلف ولا خلف لفاته للمسموع، وإنما التزم ذلك إشعاراً بأنه المقصود بالنداء، ولا ينافي هذا كون الوصف نائماً غير مقصود بالنسبة لمبتوعه، لأن ذلك بحسب الوضع الأصلي، حيث لم يطرأ عليه ما يجعله مقصوداً في

حذف ذاته، ككوله مفتراً لهم. ومن هنالم يشترطوا في هذا الوصف الاشتقاق مع أنَّ التحوين - إلاَّ التَّزْر - كائن الحاجب اشترطوا ذلك في التحوث على ماثين في عمله. ودهاء التَّجْبِيَّة زائدة لازمة للتأكيد، والتحريرض هما تستحق من المضاف إليه أو ما في حكمه من التثوين، كما في: ﴿أَلَمْ تَأْتِدْعُوا﴾ الإسراء: ١١٠، وإن لم يستعمل هنا مضافاً أصلاً.

وكثر النداء في الكتاب الجيد هل هذه الطريقة لما غلبا من التأكيد الذي كثيراً ما يختفيه المقام بشكره الذكروالإيضاح بعد الإيهام، والتأكيد بحرف التنبيه واجتماع التثنيين. هذا مذهب إليه الجمهور.

وقطع الأخفش لضف نظره بأنَّ «أَيَّاه» الواقعة في النداء موصولة حذف صدر صلتها وجوباً لمساواة في التثنية للمنادي، وأبد بكثرة وقوعها في كلامهم موصولة، ونذرة وقوعها موصولة، واعتذر عن حذف نصبها حيثل مع أنَّها مضارعة للمضاف، بأنه إذا حذف صدر صلتها كان الأغلب فيها البناء على الضم، فعرف النداء على هذا يكون داخلاً على مبنى على الضم ولم يتغيره، وإن كان مضارعاً للمضاف، ويؤيد الأول عدم الاحتياج إلى الحذف وصلح تعريف الثبت والمواقة مع هذه وأنها لو كانت موصولة لجاز أن توصل بجملة فعلية أو ظرفية، إلى غير ذلك ٣ يقطع المنصف معه بأوجعية مذهب الجمهور، نعم أورد عليه إشكال استصحه بعض من سلف من علماء العربية، وقال: إنه لا جواب له - وهو أنَّ ما لدعوا كونه تابها - معرب بالرفع، وكلَّ حركة إعرابية إنما تحدث بعامل، ولا عامل يقتضي

الرفع هنالك، لأنَّ متبوعه مبنى لفظاً ومنسوب محلاً، فلا وجه لرفع.

وأقول: إنَّ هذا من الأبحاث الواقعة بين أبي نزار وابن السجري، وذلك أنه وقع سؤال عن ضمة هذا التتابع، فكتب أبو نزار أنها ضمة بناء وليست ضمة إعراب، لأنَّ ضمة الإعراب لا بد لها من عامل يوجبها، ولا عامل هنا يوجب هذه الضمة. وكتب الشيخ^(١) موهوب بن أحمد أنها ضمة إعراب، ولا يجوز أن تكون ضمة بناء، ومن قال ذلك فقد غفل عن الصواب، وذلك لأنَّ الواقع عليه النداء «أَيَّ» المبني على الضم لوقوعه موقع الحرف، والاسم الواقع بعد وإن كان مقصوداً ببناء، إلاَّ أنه صفة «أَيَّ» فحال أن يُبنى أيضاً، لأنه موقع مخرجاً صحيحاً، ولهذا أجاز فيه المازني النصب على الموضع كما يجوز في: يا زيد الطريف. وعلة الرفع أنه لما استعمل الضم في كل منادى معرفة أشبه ما أسند إليه الفعل، فأجريت صلتها على اللفظ فرفعت.

وأجاب ابن السجري بما أجاب به الشيخ، وكتب أنها ضمة إعراب، لأنَّ ضمة المتنادي المفرد لها - بأطرادها - منزلة بين منزلتين فلبست كضمة «حيث» لأنها غير مطردة لعدم أطراد العلة التي أوجبها. ولا كضمة «زيد» في نحو: خرج زيد، لأنها حدثت بعامل لفظي. ولما أطردت الضمة في نحو: يا زيد يا عمرو، وكذلك أطردت في نحو: يا رجل يا غلام، إل ما لا يحصى، نزل الاطراد فيها منزلة العامل المعنوي الواقع للمبتدأ، من حيث أطردت الرضة في كل اسم ابتدئ به مجرداً عن

(١) الظاهر أنه لم ينص موهوب بن أحمد الجواليقي.

صاحل لفظي، وجيء له بخبر كعمرو مطلق، وزيد ذاهب، إلى غير ذلك. فلما استمرت ضمة المُنَادَى في معظم الأسماء كما استمرت في الأسماء المعربة الضمة الحادثة عن الابتداء شَبَّهَتْهَا العرب بِضَمَّةِ الْبِتْدَاءِ فَأَتَجَّهَا ضَمَّةُ الْإِعْرَابِ فِي صِلَةِ الْمُنَادَى فِي نَحْوِ: يَزِيدُ الطَّوِيلُ. وَجَمَعَ بَيْنَهَا أَيْضًا أَنَّ الْإِطْرَادَ مَسْنَى كَمَا أَنَّ الْإِبْتِدَاءَ كَذَلِكَ، وَمِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ أَنْ تَحْمِلَ الشَّيْءَ عَلَى الشَّيْءِ مَعَ حَصُولِ أَدْنَى مَنَاسِبَةٍ بَيْنَهُمَا، حَتَّى أَتَاهُمْ قَدْ جَمَلُوا أَشْيَاءَ عَلَى نِقَائِضِهَا، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ أَتَجَّوْا حَرَكَةَ الْإِعْرَابِ حَرَكَةَ الْبِنَاءِ فِي قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ (أَلْحَمْدُ لِلَّهِ) بِضَمِّ اللَّامِ، وَكَذَلِكَ أَتَجَّوْا حَرَكَةَ الْبِنَاءِ حَرَكَةَ الْإِعْرَابِ فِي نَحْوِ: يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو، فِي قَوْلِ مَنْ لَمَّحَ الدَّالَّ مِنْ زَيْدٍ، أَنْتَهَى مَلْعَطًا.

وقد ذكر ذلك ابن السَّجَرِيُّ فِي «أَمَالِيهِ» وَالْأَقْرَبِيُّ فِي «الْمَطَّ عَلَى ابْنِ نَزَارٍ» وَبَيْنَ مَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِثْلُهَا، وَلَوْلَا زَيْدُ الْإِطْلَالَةِ لِذِكْرِهِ بِحُبْرِهِ، وَبِحُبْرِهِ، وَأَلَسْنَا نَحْكُمُ مَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْوَهْنِ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْمُتَفَقِّهِينَ: إِنَّ الْحَقَّ أَنَّهَا حَرَكَةُ إِتْبَاعٍ وَمَنَاسِبَةٌ لَضَمَّةِ الْمُنَادَى كَكَسْرِ الْمِيمِ مِنْ «عَلَامِي»، وَحَيْثُ يَنْدَفِعُ الْإِشْكَالُ، كَمَا لَا يَنْفَعُ عَلَى ذَوِي الْكَمَالِ.

بقي الكلام في اللام الداخلة على هذا التثنية هل هي للتعريف أم لا؟ والذي عليه المشهور وهو المشهور أنها للتعريف، كما تقدمت الإشارة إليه.

ولما سئل عن ذلك أبو نزار قال: إنها هناك ليست للتعريف لأنَّ التعريف لا يكون إلا بين اثنين في ثالث، واللام فيها نحن فيه داخلة في اسم المخاطب، ثم قال: والصحيح إنها دخلت بدلًا من «يا، وأي» وإن كان

مُنَادَى إِلَّا أَنَّ نَدَاءَهُ لَفْظِي، وَالْمُنَادَى عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ الْمَقْرُونُ بِـ«أَلِ» وَلَمَّا قَصَدُوا تَأْكِيدَ التَّشْبِيهِ وَقَدَّرُوا تَكْرِيرَ حَرْفِ النَّدَاءِ كَرِهُوا التَّكْرِيرَ، فَمَوْضُوا عَنْ حَرْفِ النَّدَاءِ تَابِثًا «هَاءَ» وَتَابِثًا «أَلِ».

وتعنه ابن السَّجَرِيُّ قَائِلًا: إِنَّ هَذَا قَوْلٌ فَاسِدٌ بَلِ اللَّامُ هُنَاكَ لِتَعْرِيفِ الْحَاضِرِ، كَالْتَعْرِيفِ فِي قَوْلِكَ: جَاءَ هَذَا الرَّجُلُ مَثَلًا، وَلَكِنَّهَا لَمَّا دَخَلَتْ عَلَى اسْمِ الْمَخَاطَبِ صَارَ الْحُكْمُ لِلْمَخَاطَبِ مِنْ حَيْثُ كَانَ قَوْلُنَا: يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ، مَعْنَاهُ يَا رَجُلًا، وَلَمَّا كَانَ «الرَّجُلُ» هُوَ الْمَخَاطَبُ فِي الْمَعْنَى، غَلَبَ حُكْمُ الْمَخَاطَبِ فَانْكَسَرَ بَاتَيْنِ، لِأَنَّ أَسْمَاءَ الْمَخَاطَبِ لَا تَنْفَرُ فِي تَعْرِيفِهَا إِلَى حَاضِرٍ ثَالِثٍ، أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَكَ: مَرَجْتُ يَا هَذَا وَلَمَّا لَقِيتُ وَأَكْرَمْتُكَ، لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى ثَالِثٍ؟ وَلَيْسَ كُلُّ وَجْهِ التَّعْرِيفِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي ثَالِثٍ، فَإِنَّ ضَمِيرَ الْمُتَكَلِّمِ فِي «أَنَا» مَرَجَّتْ حَرَكَةُ إِجْمَاعًا وَلَا يَتَوَقَّفُ تَعْرِيفُهُ عَلَى حَاضِرٍ ثَالِثٍ، وَأَيْضًا مَا قَصَّ مِنْ حَدِيثِ التَّعْوِضِ يَسْتَدْعِي بِلَظَاهِرِهِ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ مَثَلًا، يَا أَيُّ يَا رَجُلًا، وَأَنَّهُمْ مَوْضُوا مِنْ «يَا» الثَّانِيَةِ «هَاءَ» وَمِنْ الثَّالِثَةِ «الْأَلِفُ» وَاللَّامُ، وَأَتَتْ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا مَعَ عِلَالَتِهِ لِقَوْلِ الْجَمَاعَةِ خُلْفَ مِنَ الْقَوْلِ، يَجِبُ السَّمْعُ وَيَنْكَرُ الطَّبْعُ، فَلْيَنْفَعِهِمْ.

(١: ١٨١ - ١٨٣)

أهمهم

١... وَمَا كُنْتُ لَتَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَهْمُهُمْ يَكْتُمُونَ
مَزِيمَ وَمَا كُنْتُ لَتَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» آل عمران، ٤٤

الطُّبْرِي، إِنَّمَا قِيلَ: ﴿أَنَّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾، لَأَنَّ إِقَاءَ
الْمُسْتَهْتَمِينَ أَقْلَامَهُمْ عَلَى مَرْيَمَ إِنَّمَا كَانَ لِيَنْظُرُوا أَنَّهُمْ أُولَى
بِكِفَالَتِهَا وَأَسَقَى؟ فَهِيَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ يُسَلِّتُونَ
أَقْلَامَهُمْ﴾ دلالة على محذوف من الكلام، وهو لِيَنْظُرُوا
أَنَّهُمْ يَكْفُلُ؟ وَلِيَتَّبِعُوا ذَلِكَ وَمَعْلُومٌ.

فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ الْوَاجِبَ فِي (أَنَّهُمْ) النَّصْبُ، إِذَا كَانَ
ذَلِكَ مَعْنَاهُ، فَقَدْ ظَنَّ خَطَأً، وَذَلِكَ أَنَّ النَّظَرَ وَالْتِمِينَ وَالْعِلْمَ
مَعَ «أَنِّي» يَفْتَضِي اسْتِغْنَاءً وَاسْتِخْبَارًا، وَحِطٌّ «أَنِّي» فِي
الاسْتِخْبَارِ الْاجْتِنَاءَ، وَطَوَّلَ عَمَلُ الْمَسْأَلَةِ وَالاسْتِخْبَارِ
عِنْدَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ الْفَائِلِ: لَأَنْظُرَنَّ أَنَّهُمْ قَامَ،
لَأَسْتَخْبِرَنَّ النَّاسَ أَنَّهُمْ قَامَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: لَأَعْلَمَنَّ.

(٢٦٨: ٣)

الْقُرْطُبِيُّ، ﴿أَنَّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ ابْتِدَاءٌ وَخَيْرٌ فِي
مَوْضِعِ نَصْبٍ بِالنَّصْلِ الْمُضْمَرِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ،
التَّغْدِيرُ: يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ.

وَلَا يَسْمَلُ الْفَعْلُ فِي لَفْظِ «أَنِّي» لِأَنَّهَا اسْتِغْنَاءٌ.

(٨٦: ٤)

الْأَلُوسِيُّ: جَعَلَهُ ابْتِدَاءً اسْتِغْنَاءً مَقْدُودًا لِلْمَعْنَى، وَلَمَّا
لَمْ يَصْلَحْ (يُسَلِّتُونَ) لِلْمَعْلُوقِ بِالاسْتِغْنَاءِ، لَزِمَ أَنْ يَفْتَدَرَ
مَا يَرْتَبُطُ بِهِ النَّظَامُ، فَذَكَرَ الْجَلُّ لَهُ ثَلَاثَةَ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَقْدَرَ: يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ يَكْفُلُ؛ وَحَيْثُ كَانَ
النَّظَرُ نَتَاجَا يُوْدِّي إِلَى الْإِدْرَاكِ، جَازَ أَنْ يَسْتَعْلَقَ بِاسْمِ
الاسْتِغْنَاءِ كَالْأَفْصَالِ الْقَلْبِيَّةِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ ابْنُ الْحَاجِبِ،
وَابْنُ مَالِكٍ فِي «التَّسْهِيلِ».

وَنَانِيَا: أَنْ يَقْدَرَ: لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ يَكْفُلُ، وَعَلَى الْأَوَّلِ
الْجُمْلَةُ حَالٌ مِمَّا قَبْلَهَا، وَعَلَى الثَّانِي فِي مَوْضِعِ الْمَقْصُولِ لَهُ.

وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ الْإِقَاءُ سَبَبٌ لِنَفْسِ الْعِلْمِ لَكُنْهُ سَبَبٌ بَعِيدٌ،
وَالْقَرِيبُ هُوَ النَّظَرُ إِلَى مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَقْلَامِ.

وَنَالِيَا: أَنْ يَقْدَرَ: يَقُولُونَ، أَوْ لِيَقُولُوا أَنَّهُمْ، وَاعْتَرَضَ
بِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ يَتَدَبَّرُهَا فِي تَقْدِيرِ «يَقُولُونَ»، وَلَا يَسْتَأْجِزُ
الْمَعْنَى إِلَيْهِ بَلْ هُوَ بِمَرْدِ إِصْلَاحِ لَفْظِيٍّ لِمَوْضِعِ (أَنَّهُمْ).

وَلُجِبَ بِأَنَّهُ حَفِيدٌ وَنَسَقَ الْمَعْنَى إِلَيْهِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ
الْمُرَادَ بِالْقَوْلِ، الْقَوْلَ لِلْيَاقِ وَالْتِمِينَ.

وَاعْتَرَضَ أَيْضًا تَقْدِيرُ الْقَوْلِ مَقْرُونًا بِلَامِ التَّحْمِيلِ،
بِأَنَّ هَذَا التَّحْمِيلَ هُنَا لَا مَعْنَى لَهُ.

وَأُجِيبَ بِأَوَّلِهِ كَمَا أَوَّلَ فِي سَابِقِهِ، وَقِيلَ: يُوَوَّلُ
بِالْحُكْمِ، أَيْ لِيَقُولُوا وَلِيَحْكُمُوا أَنَّهُمْ الْحُكْمَ.

وَالسَّكَاتِيُّ يَقْدَرُ هَاهُنَا: يَنْظُرُونَ لِيَعْلَمُوا، وَلَعَلَّ ذَلِكَ
لِمُرَادَاتِ الْمَعْنَى وَاللَّفْظِ، وَإِلَّا فَتَقْدِيرُ «النَّظَرُ» أَوْ «الْعِلْمُ»
يَنْبَغِي مِنَ الْآخِرِ.

وَعَسَى الْمُعْتَمِدِينَ لَمْ يَقْدَرَ شَيْئًا أَصْلًا، وَجَعَلَ (أَنَّهُمْ)
بَدَلًا عَنْ ضَمِيرِ الْجَمْعِ - أَيْ يُلْقِي كُلٌّ مِنْ يَقْبِضُ الْكِفَالَةَ -
وَتَنَاقَى مِنْهُ، وَلَا يَحْتَاجُ أَنَّهُ مِنَ التَّكْلُفِ بِكَانَ. (١٥٩: ٣)

٢ - أُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْفُقُونَ يَسْتَقْنُونَ إِلَى رَبِّهِمْ
الْوَسِيلَةَ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ ... الإِسْرَاءُ: ٥٧

الْمُخَوِّفِيُّ: ﴿أَنَّهُمْ أَقْرَبُ﴾ ابْتِدَاءٌ وَخَيْرٌ، وَالْمَعْنَى
يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ فَيَنْتَوِلُونَ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
﴿أَنَّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بَدَلًا مِنْ «الْوَاوِ» فِي (يَسْتَقْنُونَ).

(أَبُو حَيَّانَ ٦: ٥٢)

الرَّمْضَخَشَرِيُّ: (أَنَّهُمْ) بَدَلٌ مِنْ وَاوٍ (يَسْتَقْنُونَ)، وَأَيُّ
مَوْصُولَةٍ، أَيْ يَسْتَقْنِي مَنْ هُوَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ وَأَزَلَّ الْوَسِيلَةَ

إلى الله فكيف ينير الألف، أوضحن «يَتَقَرَّبُونَ» الوسيلة
معنى يحرصون، فكأنه قيل: يحرصون أنهم يكون أقرب
إلى الله، وذلك بالطاعة وازدياد الخير والملاح.

(٢: ٤٥٤)

أين عطية: (أَتَيْتُمْ) ابتداء و(أَقْرَبْتُمْ) خبره
والتقدير: قَرَّبَهُمْ وَوَكَّدَهُمْ أَتَيْتُمْ أَقْرَبَ. (٣: ٤٦٦)
المُكْتَبَرِيُّ: (أَتَيْتُمْ) مبتدأ و(أَقْرَبْتُمْ) خبره، وهو
استفهام في موضع نصب، (يَذْقُونَ)، ويجوز أن يكون
(أَتَيْتُمْ) بمعنى الذي، وهو بدل من التفسير في (يَذْقُونَ)،
والتقدير: الذي هو أقرب. (أبو حنبلان: ٦: ٥٢)

أبو حنبلان: اختفوا في إعراب «أَتَيْتُمْ أَقْرَبْتُمْ»
وتقديره: [بعد نقل قول المصنف قال:]

في الوجه الأول أضمر فعل التحليق، و«أَتَيْتُمْ»
أَقْرَبْتُمْ في موضع نصب على إسقاط حرف الجر لأن
«نظراً» إن كان بمعنى الفكر تحدى به «في»، وإن كانت
بصرية تعدت به «إلى» فالجملة المعلق عنها الفعل هل
كلا التقديرين تكون في موضع نصب على إسقاط حرف
الجر، كقوله: «فَلْيَنْظُرْ أَتَيْتُمْ أَزْكَى طَعَامًا». الكهف: ١٩،
وفي إضمار الفعل المعلق نظر.

[وبعد نقل قول الزمخشري قال:]

فعل الوجه يكون (أَقْرَبْتُمْ) خبر مبتدأ محذوف،
واحتمل (أَتَيْتُمْ) أن يكون مُتَرَبِّيًا وهو الوجه، وأن يكون
مَبْنِيًا لوجود مُسَوِّغ البناء. [وبعد نقله القول الثاني
للزمخشري قال:]

فيكون قد ضمنت (يَتَقَرَّبُونَ) معنى يفعل قلبه
وهو «يحرصون» حتى يصح التحليق، وتكون الجملة

الابتدائية في موضع نصب على إسقاط حرف الجر، لأن
«مَرَّضَ» يتعدى به «عل» كقوله: «وَإِنْ تَحْرِضْ عُثْمَانُ
فَذِهِمْ» القمل: ٣٧. [وبعد نقل قول ابن عطية قال:]

وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «فبات الناس
يدعون أنهم يُطاهوا» أي يتبارون في طلب القرب،
فجعل المحذوف «ظَرَّهم» و«وَكَّدَهم» وهذا مبتدأ، فإن
جعلت «أَتَيْتُمْ أَقْرَبْتُمْ» في موضع نصب به «نظَرهم»
المحذوف في المبتدأ الذي هو «ظَرهم» بنير خبر محتاج
إلى إضمار الخبر. وإن جعلت «أَتَيْتُمْ أَقْرَبْتُمْ» هو الخبر
فلا يصح، لأن «ظَرهم» ليس هو «أَتَيْتُمْ أَقْرَبْتُمْ». وإن
جعلت التقدير: نظرهم في أنهم أقرب، أي كائن
أن يحصل، فلا يصح ذلك، لأن كائناً وحاصلاً ليس مما

تعلق [وبعد نقل قول الزمخشري قال:]

في الوجه الأول علق (يَذْقُونَ) وهو ليس فعلاً
للمبتدأ، وفي الثاني فصل بين الفصلة وسموها بالجملة
الحالية، ولا يضر ذلك، لأنها موصولة للصلة. (٦: ٥٢)
نحوه الأتوسي. (١٥: ٩٩)

الأصول اللغوية

١ - تستعمل «أَيَّ» أداة استفهام بصورة رئيسية،
يقال: أَيْتُمْ أَخوك؟ مما حدا ببعض العلماء أن يقول:
لم تكن إلا في الاستفهام. وقال آخرون: لا تكون موصولة
أصلاً، وقالوا: لا تكون وصلة إلى ما فيه «أل».
ولكن الاستفهام يثبت أنها تستعمل اسم شرط
أيضاً، فنجزم ضلين، يقال: أَيْتُمْ يُكْرِمُنِي أَكْرَمَهُ، واسم
موصول: أَيْتُمْ في الذكر أخوك، واسم ينادى به ما كان

فيه «أله» يا أيها الرجل أقبل واسم يدن على معنى الكمال: رأيت رجلاً أي رجل. وتستعمل في الحكاية أيضاً تقول: أي، لمن يقول لك: مربي رجل، وأياً للقاتل: رأيت رجلاً، وأياً للقاتل: مررت برجل، وكذا في التأنيث والتثنية والجمع، فتكتسب إعراب المحكي عنه رفعاً ونصباً وجراً.

٢ - وبين «أي» و«أي» و«إي» شبه لفظي؛ إذ أنها جميعاً تتكون من الهمزة والياء، وهما حرفان هوائيان كما ذكرنا في «إي». إلا أن التشديد في ياء «أي» قد شدد لفظها وقوّاه، فأخرجها من عداد «أي» و«إي» - وكلاهما حرفان - ونقلها إلى عداد الأسماء المعربة. ولكن إعرابها واسميتها لا يحوّلان دون حذف معناها فهي لا تضاف إلا إضافة دائمة ولا تقطع عنها، وإن طغت قدرت كما في الحكاية والثناء. ففي الثناء تُقوى «يام» الثناء و«ها» التثنية، لكي تُوضّح عن استار المضاف إليه وتبيّن الحكاية تقتصر حالة المحكي عنه من تذكير وتأنيث وإفراد وتثنية وجمع وإعراب زدها. وهذه الملازمة حُتِفَ وليست بقوة، لأنها لا تقوم بنفسها، بل تقتصر إلى ما يُلحِقها وتحتد عليه لفظاً أو معنى، وهو المضاف إليه.

الاستعمال القرآني

تعتبر (أي) من أكثر الأسماء وروداً في القرآن، إذ وردت فيه (٢١٥) مرة في المعاني الآتية:
الأول: الثناء، وهو أكثر معانيها استعمالاً في القرآن. فقد جاء (١٥٤) مرة، منها (٣٤) مرة في (٢١) سورة مكية، و(١٢٠) مرة في (٢٢) سورة مدنية.

١ - يَضَعُ الثناء في القرآن لِمَا لِمَا كَانَ خُصُوعاً
يُشَارُ إِذْ لَوْ نَمَقْنَا فِي الْفَاطِ الْمَنَادِي فِي الْآيَاتِ الْمَكِّيَّةِ
لَوْ جَدْنَاهَا تَخْتَلِفُ عَنِ الْمَنَادِي فِي الْآيَاتِ الْمَدِينَةِ، بِاسْتِنَادِ
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ) فَإِنَّهُ اسْتَعْمَلَ فِي الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ مِمَّا
وَبَعْدَ مَا لِكُلِّهِمَا تَقْرِيحًا، حَسَبًا بِأَنِّي.

ألف - الْآيَاتِ الْمَكِّيَّةِ، لَمْ يَنَادِ الْقُرْآنُ النَّبِيَّ ﷺ
فِي مَكَّةَ بِالنَّبَوَّةِ وَالرَّسَالَةِ كَمَا نَادَاهُ فِي الْمَدِينَةِ، بَلْ
اقتصر على نداءه بألقاب أخرى:

١ - «يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ» قُمْ الْيَلِ إِلَّا قَلِيلًا

المزمل: ٢، ١

٢ - «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» قُمْ فَأَنْذِرْ المدثر: ٢، ١

خطاباً إلى النبي في أول البعثة.

٣ - «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ

الحجر: ٦

لَسَجُونٌ»

حكاية عن قريش استهزاء وسخرية بالنبي.

ولم يأت على نداء المؤمن في المكيات إلا كناية في

قوله: «يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ» إِنْ جِئِ إِلَى رَبِّكَ

التجور: ٢٧، ٢٨

رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً»

ونادى غير المسلمين أو الناس عمومًا بألقاب، هي:

بأيها الإنسان:

١ - «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَاذُوا بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» الَّذِي

الانططار: ٦، ٧

خَلَقَكَ فَسُوِّدَكَ فَقَدَّرَكَ»

٢ - «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ ذَٰلِكَ كَدَّكَ»

الانشقاق: ٦

فَسَلَّحْهِ»

وبأيها المجرمون:

- ﴿وَأَشَارُوا إِلَيْكُمُ الْيَهُودُ﴾ يس: ٥٩
وَأَيُّهَا الْجَاهِلُونَ:
- ٨- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فاطر: ٣
- ﴿قُلْ أَقْنِيهِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبِدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ الزمر: ٦٤
- وَأَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ:
- ٩- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّوكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فاطر: ٥
- ١٠- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ الْمُهَيَّبُ﴾ فاطر: ١٥
- وَجَاءَ فِيهَا نَدَاءُ الرَّسُولِ:
- ١- ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ المؤمنون: ٥١
- ٢- ﴿قُلْ لَسَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ الحجرات: ٥٧، وَالذَّارِيَات: ٣١
- وَنَدَاءُ الْأَخْصَاصِ:
- ١- ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّبِيُّ أَفَلَيْتَا فِي تَسْبِيحِ تَعْقُرَاتِ الْأَعْرَافِ: ١٥٨ يَسَّانِ﴾ يوسف: ٤٦
- ٢- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَثْنَاكُمْ خَلْقًا أَنفُسِكُمْ﴾ يونس: ٢٣
- ٣- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِدَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِقَاءٌ﴾ يونس: ٥٧
- ٤- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ﴾ يونس: ١-٤
- ٥- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يونس: ١٠٨
- ٦- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا سُلُوكَ الطَّيْرِ وَأَوْبَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ النمل: ١٦
- ٧- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمِعُوا دُعَاءَكُمْ وَاعْبَسُوا بِمَوَاقِلِكُمْ لَا يَجْزِي وَالِدُ عَنْ وَلَدِهِ﴾ لقمان: ٢٣
- ١- ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّبِيُّ أَفَلَيْتَا فِي تَسْبِيحِ تَعْقُرَاتِ الْأَعْرَافِ: ١٥٨ يَسَّانِ﴾ يوسف: ٤٦
- ٢- ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْغَرِبُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَخَذْنَا مَكَانَهُ﴾ يوسف: ٧٨
- ١- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْغَرِبُ قَسَمْنَا وَأَفْلَحَ الصُّرُفُ﴾ يوسف: ٨٨
- ٥- ﴿يَا أَيُّهَا الشَّامِيُّ اذْكُرْ لَنَا تِلْكَ يَمَّا عَمِدْتَ عِنْدَكَ﴾ الزخرف: ٤٩
- حِكَايَةُ عَنْ قَوْمِ لُحْيُونَ اسْتَهْرَأَ يَهُوسُفَ:
- وَنَدَاءُ النَّعْلِ:
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّعْلُ ادْخُلُوا مَسَاجِدَكُمْ لَا يَخْطِئُكُمْ سُلَيْمَنُ وَالْجُرُودَةُ﴾ النمل: ١٨

ونساء الملائكة

وَنَذِيرًا • وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذِينِهِ وَسِرَاجًا مُبِينًا •

١ - ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنَّ إِلَٰهِي إِلَٰهٌ مُّجْتَبَىٰ

تحریم

النمل: ٢٩

٢ - ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَتُوتُونِي فِي أَمْرٍ

النمل: ٣٢

٣ - ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشٍهَا قَبْلَ

أَنْ يَأْتِيَنِي مَسْلُوبِينَ •

٤ - ﴿وَقَالَ يَزْعُونُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا مَا غُلِبْتُمْ لَكُمْ مِنْ

إِلَٰهٍ غَيْرِي •

٥ - ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَتُوتُونِي فِي رُءُوسِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءُوسِ

تَعْبُدُونَ •

ب - الآيات المدنية: أما في المدنية فقد نزلت

النبي يوسف النبوة (١٣) مرة:

١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ •

٢ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ خُذْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ خُلَٰلًا

الأهال: ٦٥

٣ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي آيْدِيكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ

يَتْلُمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا يَكُمُ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ

وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ •

٤ و ٥ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ

وَاعْلِظْ عَلَيْهِمْ وَمَا يَحْتُمِرُ بِهِمْ فِيهِمْ الْفِتْنَةُ •

الثوبة: ٧٣، التحريم: ٩

٦ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ

وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا •

٧ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا

الأحزاب: ٤٥، ٤٦

٨ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ مُتَابِعَاتُكَ

عَلَىٰ أَنْ لَا يُنْفِرَنَّ مِنْكُمْ خِصْمٌ وَلَا مُنَافِقٌ وَلَا يَمُوتَنَّ

وَلَا يَسْتَفْتِنَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ •

٩ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ

لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ •

١٠ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَرِيتَهُنَّ فَمَتَّكِلِينَ قَسْرَ حُكْمٍ وَأَسْرَ حُكْمٍ •

سَرَّاحًا مَّجْلًا •

١١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَعْلَمَنَّكَ أَنَّ زَوْجَكَ الْوَلَّى

١٢ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ

الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِبْنَ عَلَىٰ نَفْسِهِنَّ مِنْ خَلَاءِ بِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ

يَكُونَنَّ مَلَائِكَةً لَا يَكُونُ لَكُنَّ عَيْنٌ •

الأحزاب: ٥٩

١٣ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي

مَرْضَاتَ لِّزَوَّاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ •

ونودي بـ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ) مرتين في سورة واحدة:

١ - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي

الْكُفْرِ •

٢ - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ •

المائدة: ٦٧

ونودي المسلمون (٩٠) مرة، منها (٨٩) مرة بلفظ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا • ومرة واحدة بلفظ «أَيُّهَا

الْمُؤْمِنُونَ • وذلك قوله تعالى:

﴿وَأَسْمُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
التور: ٣١

(لاحظ أمين)

ونودي غير المسلمين من يهود المدينة بقوله:

١ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابُ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا تَعْلَمُونَ﴾
النساء: ٤٧

٢ - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زُغْنُمْ أَنكُم مَّؤْتِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَقَبَّلُوا الْعَذَابَ﴾ الجمعة: ٦
ومن عامة الكافرين بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا بِنِسَائِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَفْعَلُونَ﴾
التحریم: ٧

وجاء النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ في (١١) آية مدنية
إذا اعتبرنا سورة الحج مدنية، وإلا فهي (٧) آيات:

١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَأَوَّلَئِكَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ البقرة: ٢١

٢ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَكُونُوا لِلْأَرْضِ خَلَائِفَ﴾ البقرة: ١٦٨

٣ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ النساء: ١

٤ - ﴿إِنْ يَشَاءِ يُخَذِّبْكُمْ أَيْنَ يَشَاءُ وَيُنَازِلْ بِأَخْرَجَ﴾ النساء: ١٣٣

٥ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ النساء: ١٧٠

٦ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ تُورًا مَبِينًا﴾ النساء: ١٧٤

٧ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زُجُورَةَ السَّاعَةِ

ثِقَةٌ عَظِيمٌ﴾

الحج: ١
٨ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَيْتِ فَإِنَّا

خَلَقْنَاهُ مِنْ تَرَابٍ﴾ الحج: ٥
٩ - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ

أَلَمْ يَخْلُقْنَا مِنْ تَرَابٍ﴾ الحج: ٤٩
١٠ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ لِمَا تَسْتَعِجُونَ

لَهُ﴾ الحج: ٧٣
١١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الحجرات: ١٣
ونادي عامة الجن والإنس بقوله:

﴿سَخَّرْنَاكُمْ لَكُمُ آيَةَ الْقُلُوبِ﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

الرحمن: ٣١، ٣٢
٢ - ﴿وَالْقَائِلُ فِي الْآيَاتِ يَلَاظُ أَوَّلًا: أَنْ يَدَّاهِ النَّبِيُّ

فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ جَاءَ بِالتَّعَاظِ وَمِزِيَّةٍ مِثْلَ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْكُومُ﴾
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدْتَرِكُ﴾ نمرضا له بأن الرسالة - وهي

قول تنبيل عليه - لا تلازم مع ما هو عليه من الكسل
والثوم والترمل والتدثر، وإلها هي قيام وإنذار ﴿قُمْ

فَاتَّقِ اللَّهَ﴾، ومنه دائم للصلاة والعبادة ﴿قُمْ السَّجْدَ إِلَّا

قَلِيلًا﴾
وثانيًا: يحسن للناس أن ينادوه في المدينة بتداء

(النبوة والرسالة) حيث نشت نبوته وقامت حجته، إلا أن

التداء بوصف (الرسول) لم يقع إلا متأخرًا مرتين في آخر
سورة مدنية، وهي سورة المائدة على أصح الأقوال. ولما

التداء بوصف (النبي) فقد جاء في (١٣) آية من (٦) سور
مدنية نزلت قبل المائدة، وهي الأنفال (٣) مرات،
والأحزاب (٤) مرات، والتحریم مرتين، والمحتحنة

الجهاد لزولاً، حيث تحمل الإذن بالقتال فقط دون الأمر به، كما جاء في آيات مدنية، نعم، جاء في ذيلها: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ الحج: ٧٨، وهي عامة للقتال وغيره.

كما أن فيها الحث على الهجرة والفتنة في سبيل الله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ الحج: ٥٨.

وفيها النداء به (يا أيها الذين آمنوا): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَئِنْ جَاءَكُمْ تُؤْتُواهُمُ الْغُلَامَ الْفَرَسَ﴾ الحج: ٧٧. ويقال: إنه خاص بالمدينة، وسأتي على ذكره.

ومثل هذا السياق شاهد على أنها نزلت عقب الهجرة مباشرة في المدينة، أو قبلها تهديداً للهجرة، ولما سيكابد المسلمون من جراء الجهاد والشهادة.

وكيف كان فقد هدوا الخطاب بـ (يا أيها الناس) من خصائص التور المكينة، واستنتوا منها (٧) آيات مدنية زعماً منهم أن الخطابات في مكة كانت موجهة إلى عامة الناس، وفي المدينة إلى المؤمنين.

ونرى أن الخطاب بـ (يا أيها الناس) مع ما يحاط به من المفاهيم أكثر من الناس المخاطبين، فإنما يخاطب الناس به باهم أناس لا باهم مؤمنون.

فقد جاء في سورة الحجرات - وهي مدنية قطعاً - قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ الحجرات: ١٣. تنبيهاً إلى أن الناس كلهم - مؤمنهم وكافرهم - سواسية في النسب، فكلهم من آدم وزوجه. ومثل هذا الخطاب لا يهتم بالمؤمنين، وقد أخطأ من

والخطابي والثوية مرة واحدة لكل منها، فما هو السر في ذلك؟ ربما يخطر بالبال أن النبوة هي تنبؤ النبي بالوحي، وهي تسبق الرسالة التي هي إيلاخ الدعوة إلى الناس بعد ما أوحى إليه.

وثالثاً: أن خطاب الكفار للأسياء كان تحقيراً واستهزاء وإفترافاً على الدوام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنْ جَاءَكُمْ تُؤْتُواهُمُ الْغُلَامَ الْفَرَسَ﴾ الحج: ٦.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَدْعُكُمْ إِلَى اللَّهِ...﴾ الزخرف: ٤٩. ورابعاً: النداء بـ (يا أيها الإنسان) في آيتين مكتبتين تأديب له أمام الله، وإثارة للمحافظة الإنسانية التي جعلت على الأنس بالله والطاعة له، والأنس بالناس وحسن المعاشرة معهم، وإن الإنسانية لا تلام سوى ذلك وتأتي للفرور وعصيان الله والبني والإساءة إلى الناس وخامساً: خطاب الله موجه إلى الكفار بمعصيات تحاكي موقفهم أمام الله:

﴿يَا أَيُّهَا الْمَجْرُؤُونَ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الْبَاجِلُونَ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الضَّالُّونَ الضَّالُّونَ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وسادساً: جاء النداء بـ (يا أيها الناس) في (٢١) آية، منها (١٠) آيات مكتبة و(٧) آيات مدنية و(٤) آيات في سورة الحج، وهي مختلف فيها، وسياقها لا يتعاضد عن شيء منها، ففيها من خصائص التور المكينة والمدنية معاً، ولا يبعد زولها أثناء الهجرة أو قبلها بقليل، لأن فيها الإذن بالجهاد، وهو من الأحكام المدنية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَلَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِهِمْ لَحْظٌ مِنْ رَبِّكَ لَسَوْفَ أَكُنَّا كَالْخِلَافِ﴾ الحج: ٣٩. وهي أول آيات

جعلها مكية، واستثناهما من آيات سورة الحجرات.

والشعر في الآيات الواحدة والعشرين كلها يدل على أنها تدعوا الناس بهذا اللفظ وهو من الإنس مثل الإنسان - كما قيل - إلى ما يقتضي معناه من الأحكام وهي العبادة وتوحيد الله والثوقي منه، والإيمان بالرسول وتلقي البرهان والكتاب والإيمان بالمبعث والاعتراف بموقفهم أمام الله وهو المقر وموقفهم أمام الناس، والاعتراف بأنهم سواسية وأكفاء بالنسب.

ولم يرد فيها ما يختص من الأحكام بالمؤمنين كالحج والجهاد والصلاة والصوم ونحوها. وهذا بخلاف الخطاب والثناء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. فإنه ملائم لحمل تلك التكاليف التي يتوقع من المؤمنين القيام بها كما سيق.

نعم، لا نكر أن مثل هذه التكاليف بحملها مدنية والقسم الأول مكية، لأنها بمنزلة الأساس للإيمان، حيث

تعالج القلوب وتنزّي الأفكار، وعليها تُبنى الكليات التي تصليح لكن هذا الأمر لا يمنع من توجيه الخطاب بها إلى

مكة أحياناً، وبالقسم الأول في المدينة إذا اقتضى الحال. وسأبنا: التأمل في التداينات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

وعددتها (٨٩) - وكلها مدنية سوى واحدة في سورة الحج وقدمر الكلام حولها - يدل على أنها تهيد لبيان

الأحكام والتكاليف التي شرعت في فترة ما بعد الهجرة التي شكلت الأمة، كأمة لها خصائصها السياسية. وإن

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب إلى الأمة برصنها أمة، لها كيانها السياسي، وهي أحكام ثابتة قل فيها

النسخ والتبدل إلا ما استثنى. وإن من أظهر خصال هذه الأمة استسلامها للنهي كقائد إلهي وأنها تعد من الأمة

الإسلامية لا أنها مؤمنة حقيقة، ولهذا يحسن أمرهم بالإيمان في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. وأما قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. فلهذا يحسن أمرهم بالإيمان في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

والثناء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب للمسلمين في قبال الأمم الأخرى، مثل اليهود والنصارى والمجوس والمشركون. ويشهد بذلك أن المؤمنين جاءوا رديفاً لهمؤلاء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالشَّكَاكِبَ وَالصَّابِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٦٢. ومثلها الآية (٦٩) من المائدة والآية (١٧) من سورة الحج.

ثالثاً: الظاهر أن اختصاص بعض الأحكام بهذا الخطاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ - جلباً لاهتمام المؤمنين بها والتأنيب إليها - دليل على عظمتها وأهميتها عند الله تعالى. وتكون كفيها أسرار ومصالح تستدعي مزيداً من النظر والتدبر.

وهذا يفرس ماخطوب به الناس في القرآن بهذا الخطاب من الأحكام إيجاباً ونهيًا، مرة أو مرات: ألف -

١ - الأكل من الطيبات وعدم تحريرها.

٢ - الأكل بما في الأرض.

٣ - أكل الزبا.

٤ - الاجتناب من قول (راهن).

٥ - الاستماتة بالصبر والصلاة.

٦ - الإنفاق.

٧ - إبطال الصدقة بالبن والأذى.

- ٨- إطاعة الله والرسول وأولي الأمر.
- ٩- إطاعة الكفار.
- ١٠- اتخاذ البطانة من غير المؤمنين.
- ١١- الأصف على استشهاد المجاهدين.
- ١٢- اتخاذ الحذر في الحرب.
- ١٣- إرث النساء كرهاً.
- ١٤- الإيمان بالله والرسول.
- ١٥- الإيمان بالحق.
- ١٦- الاستجابة لله والرسول.
- ١٧- اتباع خطوات الشيطان.
- ١٨- إذاء النبي.
- ١٩- الإذن عند الدخول.
- ٢٠- الاجتناب عن كثير من السؤال.
- ٢١- الاجتناب عن كثير من الظن.
- ٢٢- الاهتمام بالنفس والأهل.
- ٢٣- أداء الشهادة ومقتلها.
- ٢٤- الاجتناب عن البيع عند الإذاء للجسم.
- ت-
- ١- التقوى، وهو أكثرها.
- ٢- التوبة.
- ٣- التبين لخبر الناسق.
- ٤- التبين لحال العدو.
- ٥- تقديم الصدقة قبل التجري.
- ٦- التقدّم بين يدي الله والرسول.
- ٧- تذكر نعمة الله.
- ٨- تحريم الخمر والميسر.
- ٩- تحليل شعائر الله.
- ث- الثبات عند لقاء العدو.
- ج- الجهاد في سبيل الله وقتال الكفار.
- خ- خيانة الله والرسول.
- د- الدخول في السلم كافة.
- الذين وأحكامه، وهي أطول آية في القرآن.
- ذ- ذكر الله.
- ر- الركوع والتجود لله.
- رفع الصوت عند النبي.
- س- التخيرية بالناس.
- ص- الصلاة والسلام على النبي.
- الصلاة مع الشكر.
- القيام.
- الصيد في الحرم.
- في القيام بالقسط.
- القول بما لا يفعل.
- القصاص.
- م- مباينة النساء.
- للمصاهرة والمراطة.
- ن- النفير للجهاد وطلب العلم.
- نصرة الله.
- النكاح بعد العقد.
- نجاسة المشركين.
- و- الوفاء بالعقود.
- الوضوء والطهارة للصلاة.
- كما وقد جاء النداء في القرآن على وجوده.

أولاً: الأمر: وهو كثير، وورد بصيغ عديدة، منها:

١- الأمر المضارع: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ البقرة: ٢١

٢- الأمر المشروط: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾

المائدة: ٦

٣- الأمر بصيغة المخبر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾

البقرة: ١٨٣

ثانياً: النهي: وهو كثير أيضاً، وورد بصيغ عديدة:

١- النهي المضارع: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الدَّيَّانَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ بِالْقَنَاقِظِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا مَا يَلْفَظُونَ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَابُونَ﴾ البقرة: ٢٦٤

٢- النهي بصيغة المخبر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الدَّيَّانَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ بِالْقَنَاقِظِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوا مَا يَلْفَظُونَ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتَابُونَ﴾ النساء: ١٩

٣- النهي بصيغة الاستفهام توبيخاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف: ٢

٤- النهي خلال الشرط: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بِغَدِيبِكُمْ كَافِرِينَ﴾ آل عمران: ١٠٠، أي لا تطيعوهم. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المائدة: ٥٤، أي لا تترددوا.

ثالثاً: الاستعلام: ولم تأت منه إلا آيتان بلفظ واحد، حكاية عن إبراهيم وسليمان: ﴿قَالَ لَمَّا خَلَّطْتُمْ

أَيُّهَا الْمُتَزَلِّونَ﴾ الحجر: ٥٧، ولذاريات: ٣٦ رابطاً والخبر: ومنه:

١- ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى إِيَّيَ الْكَتَابِ كَرِيمٌ﴾ النمل: ٢٩

٢- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ النساء: ١٧٤

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْوَقَائِدِ لَيَأْكُلُونَ أَهْوَالَ النَّاسِ بِأَفْجَاطِهِمْ﴾ التوبة: ٢٤ طامعاً، التحذير: ومنه:

١- ﴿سَتَجِدُنَا لَكُمْ آيَةً الْفُلَانِ﴾ الرحمن: ٣١

٢- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهْلُ السَّالُونَ الْمُكَذِّبُونَ لَا يَكُونُ خَيْرٌ مِنْ رُءُوسِهِمْ﴾ الواقعة: ٥١، ٥٢

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خَالِفُوا إِذَا بَلَغَ لَكُمْ اثْنَانِ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا نَقُلُّكُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ التوبة: ٢٨

٤- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾

الانفطار: ٦

سابعاً: التثنية: جاء منه:

١- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ خَالِقِيكُمْ﴾ الكافرون: ٢، ١

٢- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يونس: ١٠٤

ثامناً: المدح: جاءت منه آية واحدة أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الْعَلِيمَ الَّذِي عَلَّمَ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ القصص: ٢٧، ٢٨

تاسماً - الذم: جاءت منه ثلاث آيات فقط:

﴿ثُمَّ أَذِّنْ مُّؤَذِّنٌ آيَاتِهَا الْغَيْرُ إِنكُمْ لَتَاسِرُونَ﴾

يوسف: ٢٠

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ

لَمُجْنُونٌ﴾

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهُ الشَّاحِرِاذِقُ لَنَا وَبِكَ يَمْسُ عَيْدُ

عِزِّكَ﴾

الثاني من معاني «أي» الاستفهام، وقد ورد

مرّة (٥٨) منها (٢٤) مرّة في (١٩) سورة مكية، و(٣٤)

مرّة في أربع سور مدنية. وكلّها استعملت لغير معناها، إلا

ثلاث آيات وردت على أصلها بمعناها الحقيقي، وهو

الاستفهام:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ فَلْيَايُنْكُرْ يَوْمَ يَأْتِيهِ

الْكُفْرُ﴾

﴿أَيُّكُمْ يَأْتِيهِ بِمِزْوَانٍ يَوْمَ يُؤْتَى السَّعِيرُ﴾

النمل: ٣٨

﴿وَمَا تَذَكَّرِ يَوْمَ يَأْتِي أَرْضُ رَعْدٍ وَقَعَانِ﴾ لقمان: ٢٤

أما وجوه «أي» في الاستفهام فهي:

أولاً - التقرير: وهو أكثرها استعمالاً، ومنه قوله

تعالى:

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ

بَيْنَكُمْ﴾

ثانياً - التهديد والوعيد: ومنه قوله تعالى:

﴿وَسَيُعَذِّبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنِّي مُنْتَظَرٌ يُنْقَلُونَ﴾

الشعراء: ٢٢٧

ثالثاً - التوبيخ: ومنه قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا جَنَّةَ

الْجَنَّةِ﴾

في آية التجم وأيات الرحمن:

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا جَنَّةَ

الْجَنَّةِ﴾

ثلاثين آية أخرى.

خامساً - التهكم والاستهزاء: ورد في آيتين:

١- ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ سَأَلْتَهُنَّ خِيَارًا

التوبة: ١٢٤

٢- ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ

مريم: ٧٣

خَيْرٌ مَقَامًا﴾

سادساً - التعجب: وردت منه آيتان:

١- ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾

عبس: ١٨، ١٧

٢- ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِيهِ بِمِزْوَانٍ يَوْمَ يُؤْتَى السَّعِيرُ﴾

الأنعام: ١١

فأشياء ومقامات

سابعاً - التظيم: جاءت فيه آية واحدة:

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾

المرسلات: ١١، ١٢

ثامناً - التنبيه: فيه آية واحدة:

﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَلَيْسَ لَكُم مِّنْ شَيْءٍ

النساء: ١١

نكاحاً

تاسعاً - التحضيض: جاءت منه آية واحدة:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ

الأنعام: ٥٧

ألهم أقرب

الثلث: الشرط: وردت منه آيتان:

١- ﴿إِنَّمَا تَدْعُوا لَكُمُ الْإِلَهَاءَ الْغُثَاءَ﴾

الإسراء: ١١٠

الْوَهِيلَةَ أَتَيْتُمْ أَقْرَبَ

الإسراء: ٥٧

٢- ﴿إِنَّمَا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يَتْلُوهُمْ أَتَيْتُمْ

الكهف: ٧

أَخْسَنَ مَثَلًا

٣- ﴿لَمَّا يَنْتَظِرُ أَتَيْنَاهُم بِالنَّارِ أَيْ الْمُرَاتِبِينَ أَخْضَى لَمَّا لَبِقُوا

الكهف: ١٢

أَتَيْنَاهُمْ

٢- ﴿إِنَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُمْ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ

التقصص: ٢٨

الزَّالِمِينَ: الموصول: وردت فيه آية واحدة:

﴿لَمَّا يَنْتَظِرُ أَتَيْنَاهُم بِالنَّارِ أَيْ الْمُرَاتِبِينَ أَخْضَى لَمَّا لَبِقُوا

جِيئًا﴾

قيل: ومنه الآيات الآتية:

١- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ

الكهف: ١٩

ولكن سناها إلى الاستطعام أقرب، كما يفهم من

البيان.





سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

أَيَّان

لفظ واحد، ٦ مَرَّات مَكِّيَّة، في ٦ سور مَكِّيَّة

النصوص اللغوية

- الخليل : «أَيَّان» بمنزلة «مَنْ» يُخْتَلَفُ فِي نَوْبِهَا، فَالْحَرْفُ لَا تَصَرَّفُ فِيهِ أَصْلًا.
- فيقال : هي أَصْلِيَّة، وَيُقَالُ : هي زَائِدَةٌ. (٨ : ١) **سورة النجم** : أَيَّانُ أَيُّ أَوَّلَانِ، فَخَوَّلَهَا كَوْنُهَا، إِذَا كَانَ التَّهْيِيزُ شَامِلًا لِذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنْ سَمَّيْتُ بِهِ أَيَّانَ سَقَطَ الْكَلَامُ فِي حُسْنِ تَصْرِيفِهَا لِلْعَاقِلِ بِالنَّمِيَّةِ، بِحَيْثُ الْأَسْمَاءُ الْمُتَصَرِّفَةُ. (الزَّيْدِيُّ : ١٣٣٩)
- من «أَيَّ»، وَتَرَكَوْا هَمْزَةَ «أَوَّلَانِ» فَانْقَضَتْ يَاءٌ مَا كُنَتْ يَدْعَاهَا وَآوُ، فَأُدْخِلَتْ الْوَآوُ فِي «الْيَاءِ». (الْأَزْهَرِيُّ : ١٥ : ٦٥٦)
- الْفَرَّاءُ : «أَيَّان» بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، لَفْظٌ سَلِيمٌ.
- ابن جَنِّي : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ «أَيَّان» مِنْ لَفْظِ «أَيَّ» لَا مِنْ لَفْظِ «أَيْنَ» لِأَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّ «أَيْنَ» مَكَانٌ وَ«أَيَّان» زَمَانٌ، وَالْآخَرُ : قَلَّةُ «مَقَالَةٍ» فِي الْأَسْمَاءِ، مَعَ كَثَرَةِ «مَقَالَانِ».
- (الْجَوْهَرِيُّ : ٥ : ٢٠٧٦)
- فَلَوْ سَمَّيْتُ رَجُلًا بِهِ «أَيَّانَ» لَمْ تَصْرَفْهُ، لِأَنَّهُ كَمُعْدَلَانِ، وَلَيْسَ نَدْعِي أَنْ «أَيَّانَ» يُحَسَّنَ اسْتِفَاقُهَا أَوْ اسْتِثْقَاقُهَا، لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ كَالْحَرْفِ، أَوْ أَنَّهَا مَعَ هَذَا السَّمِ، وَهِيَ أُنْثَى «أَيَّانَ».
- وَقَدْ جَازَتْ فِيهَا الْإِمَالَةُ الَّتِي لَاحِظٌ لِلْحُرُوفِ فِيهَا،
- زَمَانٌ، مِثْلُ مَنْى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «وَأَيَّانَ تُرْثِيهَا» الْأَهْرَافُ : ١٨٧.
- و«أَيَّان» بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، لَفْظٌ سَلِيمٌ. (٢٠٧٦ : ٥)
- ابن سَيِّدَةَ : «أَيَّان» بِمَعْنَى مَنْى، فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ شَرْطًا، وَلَمْ يَذْكُرْهَا أَصْحَابُنَا فِي الظَّرُوفِ الْمَشْرُوطِ بِهَا، نَحْوِ مَنْى وَأَيْنَ وَأَيَّ وَحِينَ، هَذَا هُوَ الْوَجْهُ، وَقَدْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَعْنَى الشَّرْطِ، وَلَمْ يَكُنْ شَرْطًا صَحِيحًا كَمَا إِذَا» فِي غَالِبِ الْأَمْرِ. (ابن مَطْلُوب : ١٣ : ٤٥)
- الطُّوسِيُّ : «أَيَّان» مَعْنَى مَنْى، وَهِيَ سُؤَالٌ عَنِ

- الزَّمان، على وجه الظرف. (٥٥: ٥)
- منه الطُّبرستي. (٥٠٥: ٢)
- ومعنى «أَيَّان» متى، ومتى أوضح، لأنه أغلب في الاتصال، فلذلك قُسر به، وهو سؤال عن الزَّمان، كما لَن «أَيْن» سؤال عن المكان. (٣٢١: ٦)
- الزَّائِب: «أَيَّان» عبارة عن وقت الشيء، ويقارب معنى متى. قال تعالى: «أَيَّانُ تُرْسِبُ» الأعراف: ١٨٧، من قولهم أيّ- وقيل: أصله: أيّ أوَّانٍ، أي أيّ وقتٍ، فحذف الألف، ثم جعل الواو ياءً فأدغم، فصار «أَيَّان». (٣٤١)
- التَّيَّيْدِي: «أَيَّان» كلمة معناها متى، وأصلها: أيّ أوَّانٍ، فحذفت الهمزة والواو. (٣٤١: ٩)
- أخذ أَيَّان من «أَيْن» فإذا شُدَّت وزيد غير الحرف وضعت موضع متى. (٣٠٢: ٣)
- أبو الهركات: «أَيَّان» استفهام عن الزَّمان بمعنى متى، و«أَيَّان» مبني لثبوت معنى الحرف، وهو همزة الاستفهام، وبني على حركة لالتقاء الساكنين، وكانت الحركة فتحةً، لأنها أخف الحركات. (٣٢٦: ٢)
- الشُّكَاكِي: جاء «أَيَّان» بفتح الهمزة وكسرها وكسر همزتها يمنع من أن يكون أصلها: أيّ أوَّانٍ، كما قال بعضهم: حذفت الهمزة من «أوَّانٍ» والياء الثانية من «أيّ» فجد قلب الواو واللام ياءً أدغمت الياء الساكنة فيها، وجعلت الكلمتان واحدة، وهي في الأزمان بمنزلة «متى» إلَّا أنَّ متى أشهر منها.
- وفي «أَيَّان» تنظيم، ولا تستعمل إلَّا في موضع التنظيم، بخلاف «متى» قال تعالى: «أَيَّانُ تُرْسِبُ» الأعراف: ١٨٧،
- الأعراف: ١٨٧، «أَيَّانُ يُنْقَضُونَ» التَّحِل: ٢١، «أَيَّانُ يَوْمُ الْقِيَمَةِ» القِيَمَةُ: ٦، (الزَّركشي: ٤: ٢٥٦)
- القَهر الرَّايزي: «أَيَّان» معناه الاستفهام عن الوقت الذي يجيء، وهو سؤال عن الزَّمان، وحاصل الكلام أنَّ «أَيَّان» بمعنى متى.
- وفي اشتقاقه قولان: المشهور أنَّه مأخوذ من «الأيْن»، وأنكره ابن جنِّي، وقال: «أَيَّان» سؤال عن الزَّمان و«أَيْن» سؤال عن المكان، فكيف يكون أحدهما مأخوذاً من الآخر.
- والثاني: وهو الذي اختاره ابن جنِّي، أنَّ اشتقاقه من «أَيّ»، «فَتَلَان» منه، لأنَّ معناه أيّ وقت، وأيّ فعلٍ، من أَيْت إليه، لأنَّ البعض آو إلى مكان الكلِّ، متسانداً إليه هكذا. (١٥٥: ٨٠)
- «أَيَّان» من المركبات التي رُكِب من «أيّ» التي يقع بها الاستفهام، و«آن» التي هي الزَّمان، أو من «أيّ» و«أوَّانٍ».
- فكأنه قال: أيّ أوَّانٍ، فلتسا رُكِب بُني.
- القُرطبي: ظرف مبني على الفتح، بُني لأنَّ فيه معنى الاستفهام. (٣٣٥: ٧)
- أبو حنَّان: «أَيَّان» ظرف زمان مبني لا يصرف، وأكثر استعماله في الاستفهام، ويليه الاسم مرفوعاً بالابتداء، وأفضل المضارع للأعاضي، بخلاف «متى» فإنَّهما يليانه. قال تعالى: «أَيَّانُ يُنْقَضُونَ» التَّحِل: ٢١، و«أَيَّانُ تُرْسِبُ» الأعراف: ١٨٧.

وتتصل في الجزاء فتجزم المضارعين. وذلك قليل
لها. ولم يحفظ سيويه لكن حفظه غيره. وأنشدوا قول
الشاعر:

«أَيَّانُ مَا تَعْدِلُ بِهَا الرِّجْ تَنْزِلُ»

وكسر فتحة همزتها لغة سليم. وهي هندي حرف
بسيط لا مركب، وجامد لا مشتق.

وذكر صاحب كتاب «اللوامع»: «أَنَّ «أَيَّانَ» فِي
الْأَصْلِ كَانَ أَيُّ أَوَانٍ، فَلَمَّا كَثُرَ دَوْرُهُ حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ عَلَى
غَيْرِ قِيَّاسٍ وَلَا عَوْضٍ، وَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً، فَاجْتَمَعَتْ
ثَلَاثُ يَاءَاتٍ، فَحُذِفَتْ إِحْدَاهَا فَصَارَتْ عَلَى مَا رَأَيْتَ،
انتهى. [ثم نقل كلام ابن جني وقال:]

فأوجب ذلك أن يكون من لفظ «أَيَّ» لزيادة التثنية
ولأن «أَيَّانَ» استغناء كما أن «أَيَّاهُ» كذلك. والأصل عدم
التركيب. وفي أسباه الاستغناء والشرط الجسود كمتى
وحيناً وأنى وإذا.

الفقيومي: «أَيَّانَ» فِي تَقْدِيرِ «فَعَالٍ» وَجَازُ أَنْ
يَكُونَ فِي تَقْدِيرِ «فَعْلَانٍ». وَهُوَ سَوَالٌ مِنَ الزَّمَانِ، وَهُوَ
بِمَعْنَى مَتَى، وَأَيَّ حِينٍ.

وفي «أَيْنَ» و«أَيَّانَ» عموم البدل، وهو نسبة إلى
جميع مدلولاته. لا عموم الجميع إلا بقرينة. فقوله: أين
تجلس أجلس، يلزم الجلوس في مكان واحد. (٣٣: ١١)
الزركشي: قال صاحب «البيضة»: «إِنَّهَا تُصْعَلُ
فِي الْإِسْتِغْنَاءِ مِنَ الشَّيْءِ الْمُظْمَأَمَرِّ، وَسَكَتَ الْجُمْهُورُ
عَنْ كَوْنِهَا شَرْطًا. وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ بِجَمْعِهَا لِدَلَالَتِهَا
بِمَنْزِلَةِ «مَتَى» وَلَكِنْ لَمْ يُسَمَّحْ ذَلِكَ. (٢٥١: ٤)

الفيروز آبادي: «أَيَّانَ» وَيَكْسَرُ، وَمَعْنَاهُ أَيُّ

حين. (٢٠٢: ٤)
السيوطي: اسم استغناء، وإنما يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنْ
الزَّمَانِ، كَمَا جَزَمَ بِهِ ابْنُ مَالِكٍ وَأَبُو حَيَّانٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ
خِلَافًا.

وذكر صاحب «إيضاح المعاني» مجيها للباضي.
وقال الشكائي: لا تتصل إلا في مواضع التخصيص، نحو:
«أَيَّانَ مُزْنِجًا» الأعراف: ١٨٧، «أَيَّانَ يَوْمُ
الْبَيْتِ» الذريات: ١٢.

والمنهور عند النجاة أنها كمتى تتصل في
التخصيص وغيره.

وقال بالأوّل من النجاة: علي بن عيسى الرّسمي،
صاحب «البيضة»، فقال: «إِنَّا نَتَصَلُّ فِي
الْإِسْتِغْنَاءِ مِنَ الشَّيْءِ الْمُظْمَأَمَرِّ»
وقيل: إنها مشتقة من أَيَّ، «فَعْلَانٍ» مِنْهُ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ
«مَتَى» وَ«أَيَّانَ» مِنْ أَوْتٍ إِلَيْهِ، لِأَنَّ الْبَعْضَ آوَى إِلَى
الْكُلِّ وَمُتَسَانِدٌ، وَهُوَ بَعِيدٌ.

وقيل: أصله: أَيُّ آوٍ، وقيل: أَيُّ أَوَانٍ، حذفت
الهمزة من «أَوَانٍ» والياء الثانية من «أَيَّ» وقُلِبَتِ الْوَاوُ
يَاءً، وَأُدْخِلَتِ السَّاكِنَةُ لَهَا. (٢١٤: ٢)
الطّريحي: «أَيَّانَ» هُوَ سَوَالٌ عَنْ زَمَانٍ مِثْلِ
«مَتَى»، فَحَايِنَ لِلْأَمْكَةِ شَرْطًا وَإِسْتِغْنَاءًا، وَ«مَتَى»
و«أَيَّانَ» لِلزَّمَنِ.

ولا يستغنى بها إلا عن المستقبل، كقوله تعالى:
«وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُسْعَفُونَ» الشع: ٢١. (٢١١: ٦)
البُزْوَني: «أَيَّانَ» مَرْكَبٌ مِنْ «أَيَّ» الَّتِي
لِلْإِسْتِغْنَاءِ وَ«أَنَّ» بِمَعْنَى الزَّمَانِ، فَلِذَلِكَ كَانَ يَمْنَى

«مقي»، أي سؤالاً عن الزمان. كما كان «أين» سؤالاً عن المكان، فلما رُكِّبَا وجُعلَا اسمًا واحدًا بُنِيَ على الفتح كـمِبلَكَة.

الآلوسي: [قال مثل أبو حنبل وتقل قول ابن جني وأُضاف:]

وتعقب في «الكشف» حديث الاشتقاق من «أي» بأنه مخالف لما ذكره الزمخشري في سورة النمل «ولو سمي به لكان فاعلاً من آن يئبن. ولا تصرف». ثم قال: والوجه ما ذكره هناك، لأن الاعتقال في غير المتصرف لا وجه له.

ثم إنه ليس اشتقاقه من «أي» أول من اشتقاقه من «الأي» بمعنى الميونة، لأن «أَيَّان» زمان. وكأنه مرة الاستفهام وليس بشيء، لأنه بالتضمين، كما في «مقي» ونحوه، وكذلك اشتقاق «أي» من أويت لا وجه له. إلا أن الأظهر أنه يجوز الصرف وعدمه، كما في سائر أفعال انتهى.

وأجيب بأن ما ذكر أمر قدروه للاعتحان، وليعلم حكمها إذا سمي بها، فلا ينافي ما ذكره الزمخشري، وكذا لا ينافي التحقيق، فتأمل.

مَجْمَعُ اللَّغَةِ: «أَيَّان» اسم استفهام عن الزمان المستقبل. (١: ٢٢٢)

النصوص التفسيرية

١- يَشْكُرُونَكَ عَنِ الشَّاعَةِ أَيَّانَ مُوْسَى...

الأعراف: ١٨٧

السَّعْدِي: متى قيامها؟

مثله فتادة. (الطبري: ٩: ١٣٨)

أبو عبيدة: متى خروجها؟ (١١: ٢٢٤)

مثله ابن قتيبة. (١٧٥)

الطبري: متى قيامها؟ ومعنى «أَيَّان» متى، في كلام

العرب. (٩: ١٣٨)

الزجاج: متى وقوعها؟ (الطبري: ٢: ١٥٠٦)

مثله الميبدي. (٣: ٨٠٥)

أبو حنبل: قرأ الجمهور (أَيَّان) بفتح الميم،

والسلي بكسرها حيث وقعت. [أي في جميع القرآن]

(٤: ٤٣٤)

البزوصوي: «أَيَّان» ظرف زمان متضمن لمعنى

الاستفهام. ومحلّه الرفع على أنه خبر مقدم. (ومرسيها)

هند مؤخر، أي متى إرساؤها؟ (٣: ٢٩١)

نحوه رشيد رضا. (٩: ٤٦٤)

المصنفون: في هذه الآية الشريفة يُسأل عن

الساعة، بعد أن طال انتظارهم، واستدّ تحيرهم

وضلالهم، واشتدّ جهلهم وإنكارهم، فالتسؤال واقع عنها

في هذه الموارد.

ولما كانت كلمة (أَيَّان) مشددة وزائدة فيها الألف،

فتكون فيها زيادة معنى، فيسأل بها عما يكبر ويشتد في

أظفارهم. فإن القيامة ليست تحت اختيارهم حتى

يختاروها لأنفسهم، كالشركاء والمفترّ. (١: ١٨٤)

٢- أَمْشَوْاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ

يَخْتَفُونَ.

القراء: قرأ أبو عبد الرحمن السلمي (إَيَّانَ يُعْتُونَ)

التعل: ٢١

بكر ألف (أَيَّان) وهي ثقة يُسَلِّم، وقد سمعتُ بعض العرب يقول: متى إيوان ذاك؟ والكلام أولن ذلك.

(٩٩: ٢)

الْقُرْطُبِيُّ: قرأ السُّلَمِيُّ (أَيَّان) بكسر الهمزة، وهما لُتْسان، وموضعه نصب بـ(يُتَشَرُّونَ) وهي في معنى الاستنهام، والمعنى لا يندرون متى يُتَشَرُّونَ. (٩٤: ١٠) أبو حَيَّان: والظاهر أن قوله: (أَيَّان) مفعول لـ(يُتَشَرُّونَ) والجملة في موضع نصب بـ(يُتَشَرُّونَ)، لأنّه مُعلّق؛ إذ معناه العلم، والمعنى أنّه نفي عنهم علم ما يظرونه يعلمه الحي القيوم، وهو وقت البعث إذا أُريد بالبعث: الحشر إلى الآخرة.

وقيل: تمّ الكلام عند قوله: «وَعَايَشَرُّونَ» و«أَيَّانَ يَتَكُونُ» ظرف لقوله: «إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» الثعل: ٢٢، أخبر عن يوم القيامة أن الإله فيه واحد. ولا يصحّ هذا القول، لأنّ (أَيَّان) إذ ذاك متحرّكة متعلّقة بـ(يَتَكُونُ) واستقرّ فيها من كونها ظرفاً إمّا استنهاماً وإمّا شرطاً، ولي هذا التقدير تكون ظرفاً بمعنى وقت، مضاعفاً للجملة بعدها، معمولاً لقوله: (وَاحِدٌ)، كقولك: يوم يقوم زيد قائم، وفي قوله: «أَيَّانَ يَتَكُونُ» دلالة على أنّه لا بدّ من البعث، وأنّه من لوازم التكليف. (٤٨٢: ٥)

الآلُوسِيُّ: (أَيَّان) عبارة عن وقت الشيء، ويقارب معنى «متى»، وأصله عند بعضهم: أَيُّ أولن، أَيُّ أَيُّ وقت، فحذف الألف، ثمّ جعل الواو ياءً وأدغم، وهو كما ترى.

والظاهر أنّه معمول (يُتَشَرُّونَ) والجملة في موضع نصب بـ(يُتَشَرُّونَ)، لأنّه مُعلّق عن العمل، أي وما يشعر

أُولئك الألفة متى يبحث عديتهم، وهذا من باب التشكيك بهم بناء على إرادة الأصنام، لأنّ شعور الجهاد بالأمر القاطرة بديهي الاستحالة عند كلّ أحد، فكيف بما لا يملكه إلاّ العليم الخبير. (١٤: ١٢٠)

٢- وَعَايَشَرُّونَ أَيَّانَ يَتَكُونُ. الثعل: ٦٥ أبو عبيدة: مجاز «متى». وفي آية أخرى: «أَيَّانَ تُولَدُ» الأعراف: ١٨٧، أي متى. (٩٥: ٢) الطُّبَرِيُّ: متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة. (٥: ٢٠)

القُفَرُ الرَّازِيُّ: (أَيَّان) بمعنى متى، وهي كلمة مركبة من أيّ والآن، وهو الوقت. (٢١١: ٢٤) وكثر (أَيَّان) بكسر الهمزة. (١٨١: ٢)

ولا يصحّ هذا القول، لأنّ (أَيَّان) إذ ذاك متحرّكة متعلّقة بـ(يَتَكُونُ) وهي معمول لـ(يَتَشَرُّونَ)، و«متى» التي فيها استنهام في موضع نصب به. (٩١: ٧) الآلُوسِيُّ: (أَيَّان) اسم استنهام عن الزمان، ولذا قيل: إن أصلها: أَيُّ آن، أي أيّ زمان، وإن كان المعروف خلافه، وهي معمول لـ(يَتَشَرُّونَ) والجملة في موضع نصب بـ(يَتَشَرُّونَ)، وعلفت (يَتَشَرُّونَ) لمكان الاستنهام. (١٢: ٢٠)

٣- يَتَشَرُّونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ. الذَّارِيَات: ١٢ الطُّوسِيُّ: يألون متى يوم الجزاء؟ على وجه الإنكار لذلك، لأجل وجه الاستفادة لعرفته. (٣٨٢: ٩١)

الزَّمَخْشَرِيُّ: أي متى يوم الجزاء؟ وقرئ بكسر
الهمزة، وهي لغة.

فإن قلت: كيف وقع (أَيَّانَ) ظرفًا لليوم، وإنما تقع
الأَيَّانَ ظرفًا للحدثان؟

قلت: معناه أَيَّانَ وقوع يوم الدين. (١٥: ٤)

القَافُورُ الرَّازِيُّ: فإن قيل: الزَّمان يجعل ظرف
الأفعال، ولا يمكن أن يكون الزَّمان ظرفًا لآخر،
وها هنا جعل (أَيَّانَ) ظرف اليوم، فقال: «أَيَّانَ يَوْمُ
الْجَنَّةِ» ويقال: متى يقدم زيد؟ فيقال: يوم الجمعة.

ولا يقال: متى يوم الجمعة؟ فالجواب: التقدير متى يكون
يوم الجمعة؟ وأَيَّانَ يكون يوم الدين؟

و(أَيَّانَ) من المركبات، ركب من «أَيَّ» التي يقع بها
الاستفهام و«آن» التي هي الزَّمان، أو من «أَيَّ» و«الْوَقْتُ»
فكأنه قال: أَيَّ لَوْنٍ، فلما ركب بُني. وهذا منهم جواب
لقله: «وَرَأَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا» الذَّارِبَاتِ: ٨٩ فَعَلَّيْتُمْ كَيْفَ
قَالُوا: أَيَّانَ يَفْعُ؟ استهزاء. (١٩٩: ٢٨)

الْقُرْطُوبِيُّ: متى يوم الحساب؟ يقولون ذلك استهزاء
وشكًا في القيامة. (٣٤: ١٧)

نحو: أبو حنيفة. (١٢٥: ٨)

الأَلُوسِيُّ: موصول (يَسْأَلُونَ) هل أنه جازٍ مَرَى
«يقولون» لما فيه من معنى القول، أو لقول مقدّر، أي
فيقولون: متى وقوع يوم الجزاء؟ وقدّر الوقوع ليكون
السؤال عن الحدث كما هو المعروف في «أَيَّانَ».

ولا خير في جعل الزَّمان زمانًا، فإن اليوم لما جعل
موجودًا ومستقرًا في نحو قوله تعالى: «فَلَا تَحِثُّ يَوْمَ تَأْتِي
السَّيِّئَةُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ» الذَّخَان: ١٠، صار ملحًا

بالزَّمَانِيَّاتِ، وكذلك كلُّ يوم له شأن، مثل يوم العيد
والتيروز، وهذا جازٍ في عربي العرب والمعجم، على أنه
يجوز عند الأشاعرة أن يكون للزَّمان زمان، على ما فصل
في مكانه. (٦: ٢٧)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ: السَّوَالُ بِ(أَيَّانَ) الموضوعة للسؤال
عن زمان مدخولها عن يوم الدين، وهو ظاهر في الزَّمان،
إنما هو بمثابة أن يوم الدين لكونه موعودًا ملحق
بالزَّمَانِيَّاتِ، فيسأل عنه كما يسأل عن الزَّمَانِيَّاتِ بِأَيَّانَ
وسئ، كما يقال: متى يوم العيد؟ لكونه ذا شأن، ملحًا
لذلك بالزَّمَانِيَّاتِ، كذا قيل.

ويمكن أن يكون من التوسّع في معنى الظرفية بأن
يعد أوصاف الظرف الخاصة به ظرفًا توسعًا، فيكون
السؤال من زمان الزَّمان سؤالًا عن أنه بعد أي زمان
أو قبل أي زمان، كما يقال: متى يوم العيد؟ فيجاب بأنه
بعد يوم كذا، وهو توسّع جازٍ في
الحرف غير مخصص بكلام العرب، وفي القرآن منه شيء
كثير. (٣٦٨: ١٨)

٥ - يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. القيمة: ٦

فتادة: متى يوم القيامة؟

مثله ابن زيد. (الطَّبَّارِيُّ: ٢٩: ١٧٨)

الطَّبَّارِيُّ: متى يوم القيامة؟ تسويًا منه.

(١٧٨: ٢٩)

الطُّوسِيُّ: يسأل متى يكون يوم القيامة؟ فمعنى
(أَيَّانَ) متى، إلا أن السؤال به معنى أكثر من السؤال
به «أَيَّانَ» فلذلك حسن أن يفسر بها، لما دخلها من

الإيهام الذي يحتاج فيه إلى بيان ما يتصل بها من الكلام
والسؤال على ضربين: سؤال تمجيز، وسؤال طلب
التبيين. (١٠: ١٩١)

الفخر الرازي: يسأل سؤال مستعمل مستعمل لقيام
الساعة في قوله: «أَيَّانُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ» ونظيره:
«يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» يونس: ٤٨. (٣٠: ٢١٨)
البرزوسوي: أصله: أيّ آني، وهو غير مُقَدَّم لقوله:
(يَوْمُ الْقِيَامَةِ)، أي متى يكون؟ والجملة استئناف تعليلي،
كأنه قيل: ما يفعل حين يريد أن يفجر ويحل عن الحق؟
فقيل: يستهزئ، ومقول: أَيَّانُ يوم القيامة؟

أو حال من الإنسان في قوله: (يَلْ يَمُرُّ الْإِنْسَانُ) أي
ليس إنكاره للبعث لاقتناء الأمر وعدم قيام الدليل على
صحة البعث، بل يريد أن يستمر على فجوره. في حال
كونه سائلاً متى تكون القيامة؟ (١٠: ٢٤٥)

الطوسي: أي متى يكون؟ والجملة قيلت لبيان
وقيل: تفسير لما يَجْرُ، وقيل: بدل منه.
واختار المحققون أنه استئناف يائي، به تعليلاً
لإرادة الدوام على الفجور، إذ هو في معنى، لأنه أنكر
البعث، واستهزأ به. (٢٩: ١٣٨)

٦- يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا.

النازعات: ٤٢

الطوسي: متى يكون قيامها؟
(١٠: ٢٦٥)
البرزوسوي: يريدون متى يُفْطِمُهَا اللهُ ويُسَبِّحُهَا
ويَكُونُهَا؟ (أَيَّانَ) ظرف بمعنى متى، وأصله: أيّ آني
ووقت، و«المرسى» مصدر بمعنى الإرساء، وهو الإتيان،
وهو مبتدأ، و(أَيَّانَ) خبره بتقدير المضاف، إذ لا يفجر

بالزمان عن الحدث، والتقدير متى وقت إرسائها،
كان المشركون يسعون أخبار القيامة وأوصافها
للحائلة مثل أنها طامة كبرى وصاعقة وقارعة، فيقولون
على سبيل الاستهزاء: «أَيَّانَ مُرْسِيهَا». (١٠: ٢٦٨)

الأصول اللغوية

١- اختلف العلماء في «أَيَّان» على ثلاثة أقوال:
الأول: مشتقة، ثم قيل: مشتقة من «أي»، فهي
«فُتْلَان» منه، والقول زائدة.
وقيل: مشتقة من «أَيْن» فهي «فُتَال» منه، ونونها
أصلية.

والثاني: جامدة، غير مشتقة من معنى كمنى وأين.
والثالث: مركبة، فقيل: تركيبها من «أي» و«أَوَان»
أي «أَوَان» فحذفت إحدى يائي «أي» تخفيفاً، وحسرة
«أَوَان» صلي غير قياس، وحينما اجتمعت الياء
والواو وسبقت إحداهما بالسكون، أدغمت الواو في الياء
وشدّدتا قياساً، فصار التركيب «أَيَّان».
وقيل: مركبة من «أي» و«آن»، فلم يحذف - على
هذا القول - سوى أحد آلي «آن».

٢- وما قالوه في اشتقاق «أَيَّان» وجودها وتركيبها
لا صحة له، لعدم وجود دليل يُعْتَدُّ به، فهم حينما ظنوا إلى
قربها من «أي» فقطاً ومعنى أخذوا يجمعون في تخريج
حجبتهم تحلاً ملحوظاً.

ونرى أنها أداة مفردة غير مركبة، مبنية على الفتح
مثل أين.

٣- وأَيَّان، و«مَتَى» بمعنى واحد، إذ كلاهما
يستعملان في السؤال عن الزمان وفي الشرط أيضاً.

فيجزمان فعلين، إلا أن «آيان» يلحق الفعل المستقبل في الاستفهام دون الماضي، كقوله تعالى: «آيَانْ يُنْقِظُونَ» النحل: ٢١، ولكن «مقي» يلحق المستقبل والماضي كلاهما، يقال: متى تقبل؟ ومتى ضلت؟ كما أن آيان لها ربط بأماها بما يدل على الزمان، [لاحظ أن و]

الاستعمال القرآني

جاءت كلمة «آيان» في القرآن ست مرات وكلها مكثية،

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا»

الأعراف: ١٨٧، والتأوهات: ١٢

«وَمَا يَسْأَرُونَ أَيَّانَ يَنْفَكُونَ»

النحل: ٢١، والنمل: ٢٥

«يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ»

الذاريات: ٢٢

«يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

القيامة: ١

يلاحظ أولاً: أنه قد استعملت «آيان» في الجمع

بشأن القيامة، وفي أربع منها للسؤال عن القيامة، ولعل حلة السؤال عنها بآيان لا بأس، أن «آيان» تحصل في مواضع التثنية والجمع، وأمر القيامة عند المشركين كان عظيماً مبهمًا جدًّا فجيء بآيان.

ويحظر بالبال أنها في حرف القرآن للسؤال عن الأمر البعيد زمانًا ومكانًا كالقيامة.

فصلًا عن أن الألف والتون زائدة في «آيان» على قول، وزيادة اللفظ يدل على زيادة المعنى.

وثانيًا: أن «آيان» جاءت في المكثيات فقط، لأن القيامة - كما قلنا - كانت عظيمة عند المشركين وعبيدة في أذهانهم، ولا سيما في ابتداء البعث، وبعد انتشار الإسلام

في المدينة لم تكن القيامة كذلك في ظهريهم، فلمعها شيء المسئلة في اختصارها على الآيات المكثية، أو كانت هي لغة شائعة لأهل مكة ومن حولها فقط.

وثالثًا: المعروف في «آيان» كونها سؤالًا عن زمان الحدث، كما في «آيَانْ يُنْقِظُونَ» ولعل حلة وقوعها ظرفًا وسؤالًا عن نفس الزمان - وهو يوم الدين ويوم القيامة - في سورة الذاريات والقيامة تعود إلى أحد الأمرين المتضمنين في كلام الطباطبائي وغيره:

أحدهما: اعتبار يوم القيامة ملحقًا بالأزمنة، فيسأل عن زمان وقوعه، كما جاء في الآية الأولى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا».

وثانيهما: التوسع في الظرفية، بأن يسعد أوصاف الظرف الخاصة به ظرف توسع، مثل: متى يوم السيد؟

ورابعًا: جاءت «آيان» في القرآن دائمًا استنهامًا كثرًا، ومن هذا يخبر أن وقوعها شرطًا لم يكن شائعًا في لغة العرب، ولم تعد لغة فصحي.

وخامسًا: جاءت كلمة «مقي» في القرآن للسؤال عن الزمان أيضًا، ولكنها لا تختص بالقيامة وإن كان ورودها فيها أكثر، مثل: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ هَذَا قُلْ هَذَا الْقَوْلُ» النمل: ٧١، أو «مقي هو» أو «مقي هذا المفتح» في سبع آيات، ومرة واحدة في غيرها، مثل: «وَزَيَّلُوا مَقِي يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْعَدْوِ» البقرة: ٢١٤.

مع أن «آيان» - كما قلنا - لم تأتي إلا بشأن القيامة في المكثيات فقط، كما أن «مقي» أيضًا جاءت سؤالًا عن القيامة دائمًا في المكثيات، ومرة في غيرها في سورة مدنية، وهي «مقي نصر الله»، لاحظ «مقي».

أَيُّوب

لفظ واحد، ٤ مرّات، ٣ مكّية، ١ مدنيّة

في ٤ سور، ٣ مكّية، ١ مدنيّة

(٦٠) وصالح وشيب ومعدّ

القميروز الهادي، أيّوب: اسم أجنبي غير

منحرف كسائر ظائر.

وقيل: عربيّ معناه الرجّاع إلى الحقّ في جميع أحواله

من المحنة والبلاء، والمحنة والرّخاء، من آب يزوب أنا

ولابنا، فهو آيب وأزاب.

وقيل: هو في اللغة العبريّة معناه أيضًا الرجّاع إلى

الله في كلّ حال. (بصائر ذوي التمييز: ٦: ٥٩)

المضطّغونيّ: لم أجد مادة هذه الكلمة في اللّغات

العبريّة، ويحدّ أن تكون عربيّة لعدم جريان اللّغة العبريّة

بذلك العهد في تلك المدن، وقد ضبطت هذه الكلمة في

السّفر العبريّ بهذه الصّورة: **אִיּוֹב** = أيّوب، ولا يحدّ

أن تكون مأخوذة من مادة **אָב** = أب، بمعنى

حنّ ورغب واشتاق، أو من مادة **אָיַב** = أيّوب، بمعنى

بمعنى البكاء والمويل، و **אָיַב** = أيّوب، بمعنى فاح

ونذّب، كما في قاموس عربيّ.

التّصوُّص اللّغويّة

الفارسيّ: قياس همزة «أَيُّوب»، أن تكون أصلًا

غير زائدة، لأنّه لا يخلو أن يكون «فَيُّولًا» أو «فَيُّولًا».

لأن جعلته «فَيُّولًا» كان قياسه - لو كان عربيًّا - أن

يكون من «الأؤب» مثل قُيُوم، ويسكن أن يكون «فَيُّولًا»

مثل سَفُود وكُلُوب، وإن لم يعلم في الأمثلة هذا، لأنّه

لا يتكرّر أن يجيء العجميّ على مثال لا يكون في العربيّ

ولا يكون من الأؤب، وقد قلبت الواو فيه إلى الياء، لأنّ

من يقول: ضَيِّم في صُوم، لا يقلب إذا تباعدت من

الطّرف، فلا يقول إلّا صُومًا. وكذلك هذه السين إذا

تباعدت من الطّرف وحجز الواو بينه وبين الآخر، ثم يجر

فيه القلب. (البحر البقيّ: ٦٢)

البحر البقيّ: أسماء الأنبياء صلوات الله عليهم كلّها

أعجميّة، نحو إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وإلياس

وإدريس وإسرائيل وأَيُّوب، إلّا لرمّة أسماء، وهي: آدم

ولا يخفى أن المعنى الأخير أشد مناسبة بحاله، ولعل «قاموس مقدس» قد أخذها من مادة «أوب» العربية، وهو باطل.

فقد اتضح أصل هذه المادة لفظاً ومعنى، وأما مسكنه فالمقطوع المتيقن أنه كان ساكناً في بلاد حوران من جنوب سورية، وكان رسولاً إليهم وناظراً فيهم.

(١: ١٨٧)

العَدْنَانِيّ: يقولون: جاء أيوب، ورأيت أيوباً، وصبرت كأَيُوب، اعتماداً على:

١- تسمية عرب الجاهلية أحد أبنائهم به، وهو أيوب من بني امرئ القيس بن زيد مائة بن تميم، كما جاء في «الألحاني» وفي «مستدرك الثاج».

٢- وكثرة عند مؤرخي العرب من بني إبراهيم الخليل، بينهما خمسة آباء.

٣- ولأن فكتور هو لقبه بطريق الوجهية.

٤- ولأن الأب لويس شيخو قال في كتاب «التصرّاتية وأدبها»: «ولنا شاهد في سفر أيوب على معرفة العرب لأسماء النجوم وحركاتها في الفلك، إذ كان أيوب النبي حربي الأصل، عاش في غرب الجزيرة، حيث امتحن الله صبره».

٥- ولقول الدكتور جواد علي في «تاريخ العرب قبل الإسلام»: «من القائلين بأن أسفار أيوب عربية الأصل، وللمتحمسين في الدفاع عن هذا الرأي، المستشرق «مارجوليو» وقد عالج هذا الموضوع بطريقة المقابلات اللغوية، ودراسة الأسماء الواردة في تلك الأسفار».

٦- ولأن المؤرخين الأمريكيين F.H.Foster

و pleiffer يريان رأي مارجوليو.

٧- ولقول جرمانوس فرحات في معجمه «إحكام باب الإعراب»: «أيوب الصديق من الأنبياء، من بلاد حوران، من نسل عيسو بن إسحاق، لا يمتد من الإسرائيليين، لأنه كان قبل موسى، ولكن:

١- عومل اسم أيوب معاملة الأسماء الأعجمية في القرآن الكريم، إذ جاء في الآية: ٤١، من سورة «ص» «وَأَذْكُرْ عَهْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ» وورد اسم أيوب غير مُنَوَّن ثلاث مرات أخرى في القرآن الكريم، ولو كان اسماً عربياً يجب منه من الصرف كأحمد ويزيد، لأيدنا القائلين بأن أيوب من الأسماء العربية.

٢- جاء في «مستدرك الثاج»: «قيل: إن أيوب هو «قيلولة» من «الأوب» كقبو، وقيل: هو «فمُول» كقبو، وقال التتاي: كان أيوب رومياً من أولاد عيس بن إسحاق عليه الصلاة والسلام.

٣- قال ابن الكلبي: «لا يعرف في الجاهلية من العرب أيوب وإبراهيم غير هذين». ولم يقل: أيوباً.

٤- وجاء في أعلام الزركلي: «كانوا يتناقلون أن أيوب من سكانها»، ولم يقل: أيوباً. وجاء في الأعلام أيضاً: «إن أيوب كان أدياً، وهو أول من ابتدع أسلوب الفواجع» ولم يقل: أيوباً.

٥- ويقول ابن الأثير في كتاب «الأضداد»: «يكون أيوب أصحياً مجهول الاشتقاق»، «ويكون عربياً من قنصل آب يؤوب إذا رجح». وفي المعالفة الثانية أُلْتمِي يسجوز فيها تنوين أيوب، لا يكون اسماً

أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في
أندر الصمير الورقي^(١) حتى فاض.

(الطبري ٢٣: ١٦٧)

وَهَبَ بَنُ سُنْبَهَ : إِنَّ لَيْلَى لَمَنَّهُ اللهُ سَمْعَ تَجَاوَبِ
الْمَلَائِكَةِ بِالصَّلَاةِ عَلَى أَيُّوبَ ، وَذَلِكَ حِينَ ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى
وَأَتَى عَلَيْهِ فَأَذْرَكَ الْبُخِيَّ وَالْحَسَدَ ، فَسَأَلَ اللهُ أَنْ يَسْلُطَهُ
عَلَيْهِ لِيَفْتَنَهُ مِنْ دِينِهِ ، فَسَلَّطَهُ اللهُ عَلَى مَالِهِ دُونَ جَسَدِهِ
وَعَقْلِهِ .

وجمع ليلس عفاريت الشياطين وعظماهم، وكان
لأيوب البتية من الشام كلها بما فيها بين شرقها
وغربها، وكان له بها ألف شاة برعاتها، وخمسمائة فئان
وعشرون غنمًا، وكلّ عهد امرأة وولد ومال، ويحصل
ألف^(٢) من ثمنها، لكلّ أتان ولد بين اثنين وثلاثة
وأربعة وخمسة وفوق ذلك، فلما جمعهم ليلس قال: ماذا
صنعتكم من القوة والمعرفة فإني قد سلطت على مال أيوب
لهي المنية الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال،
فقال كل من عنده قوة على إهلاك شيء ماعنده،
فأرسلهم فأهلكوا ماله كله وأيوب في كل ذلك يحمد الله،
ولا ينجيه شيء، أصيب به من ماله عن الجدة في عبادة الله
تعالى، والشكر له على ما أعطاه، والصبر على ما ابتلاه به،
فلما رأى ذلك من أمره ليلس لسته الله، سأل الله
تعالى أن يسقطه من ولده، فسقطه عليهم ولم يجعل له
سلطانًا على جسده، وقلبه وعقله، فأهلك ولده كلهم، ثم
جاء متعلاً يعلمهم الذي كان يعلمهم المسكنة جريحًا

النصوص التفسيرية والتاريخية

١- وَاذْكُرْ عَهْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي
الْشَّيْطَانُ يَتَّخِظُ وَعَذَابٌ .
رسول الله ﷺ : إِنَّ نَبِيَّ اللهِ أَيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بِلَاوَةٍ
ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، فَرَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَانِ مِنْ
إِخْوَانِهِ ، كَانَا مِنْ أَهْلِ إِخْوَانِهِ بِهِ ، كَانَا يَسْتَدِينَانِ إِلَيْهِ
وَيُرَوِّحَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِمُصَاحِبِهِ : تَعَلَّمْ ، وَاللهُ لَقَدْ أَذْنَبَ
أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ :
وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : مِنْ نِمَاقِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْجِعْهُ اللهُ ،
فَيَكْشِفُ مَا بِهِ ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ
ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ أَيُّوبُ : لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ ، غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَسْلَمُ
أَنِّي كُنْتُ أُمِرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ ، فَيَقْدِرُ اللهُ أَنْ يَكُونَ
فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي ، فَأَقْتَرُ مِنْهَا ، كَرَاهِيَةٍ أَنْ يَذْكُرَ اللهُ إِلَيَّ
حَقِّي .

وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضاها أُنسكت امرأته
بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم ليلًا عليها، وأوتى
إلى أيوب في مكانه «أَزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ
وَشَرَابٌ» ص: ٤٢، فاستبطأته، فخلقه تنظر، فأقبل
عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن
ما كان، فلما رآته قالت: إني بارئك الله فيك، هل رأيت نبي
الله هذا الجبل، فوالله على ذلك ما رأيت أحدًا أشبه به
منك إذ كان صحيحًا، قال: فإني أنا هو.

وكان له أندران^(١): أَعْدَرُ لِلنَّمْعِ، وَلَأَنْدَرُ لِلشَّعِيرِ،
فهت لله سبحانه، فلما كانت إحداها على أندر النعم

(١) الأندر: الكدس من النعم خاصة.

(٢) القولم: الضريرة الورقية.

مشدوخاً برقيقته حتى رقق أيوب فيكي، فقبض قبضة من تراب فوضها على رأسه، فسُرَّ بذلك إبليس واغتمته من أيوب عليه السلام، ثم إنَّ أيوب تباب واستغفر فصعدت قرناؤه من الملائكة بتوحيته فهدرو إبليس إلى الله عز وجل، فلما لم يثن أيوب عليه السلام ما حلَّ به من المصيبة في ماله وولده عن عبادة ربه والجد في طاعته والصبر على ما ناله، سأل الله عز وجل إبليس أن يسقطه على جسده فسقطه على جسده خلا لسانه وقلبه وعقله، فإنه لم يحمل له على ذلك منه سلطاناً، فجاء وهو ساجد فطخ في متغيره نفخة اشتعل منها جسده، فسار من جملة أمره إلى أن أنثن جسده، فأخرجه أهل القرية من القرية إلى كناسة خارج القرية، لا يقربه أحد إلا زوجته. [البيهقي قال:]

وكانت زوجته تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه. وكان قد أتته ثلاثة نفر على دينه، فلما رأوا ما نزل به من البلاء رفضوه وأتهموه من غير أن يتركوا دينه، يقال لأحدهم: بلِّد وللآخر الهجر وإقالت صافر، فاعطلقوا إليه وهو لي ببلاته فيكتوه، فلما سمع أيوب كلامهم أقبل على ربه يستغيثه ويتضرع إليه، فرحمه ربه وورع عنه البلاء وردَّ عليه أهله وماله ومثلهم معهم، وقال له: ﴿أَرْكَضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فاغتسل به، فساد كهيئته قبل البلاء في الحسن والجمال.

(تاريخ الأمم والملوك ١: ٢٢٦)

الحسن: لقد مكث أيوب عليه السلام مطروحاً على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهر ما يسأل الله عز وجل أن يكشف ما به، فلما على وجه الأرض أكرم على الله من

أيوب ا فراعمون أن بعض الناس قال: لو كان لرب هذا فيه حاجة ما صنع به هذا، فسد ذلك دعا.

(تاريخ الأمم والملوك ١: ٢٢٦)

الإمام الباقر عليه السلام: إنَّ أيوب ابتلي سبع سنين من غير ذنب، وإنَّ الأنبياء لا يذنبون لأنهم معصومون مطهرون، لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً.

وإنَّ أيوب مع جميع ما لبس به لم يستثن له راحة ولا تقيح له صورة ولا خرجت منه مدة من دم ولا قبح ولا استفزده أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا تدود شيء من جسده، وهكذا يصنع الله عز وجل مع من يتلوه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه.

فإنَّ اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره، لجهلهم بما له عند ربِّه تعالى من التأيد والفرج، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: أعظم الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأهل. وإنما ابتلاه الله عز وجل بالبلاء العظيم الذي تهون معه على جميع الناس لئلا يذهبوا عنه الربوبية إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصله إليه من عظام نعمه حتى شاهدوه، وليستدلوا بذلك على أنَّ الثواب من الله تعالى ذكره على ضربين: استحقاق واختصاص، ولئلا يحقروا ضميماً لضفه ولا فقيراً لفقره ولا مريضاً لمرضه. ولعلهم أنَّهُ يسقم من شاء ويشفي من شاء متى شاء وبأي سبب شاء، ويعمل ذلك عبدة لمن شاء وشقاوة لمن شاء وسعادة لمن شاء، وهو عز وجل في جميع ذلك عدل في قضائه وحكيم في أماله، لا يفضل عباده إلا بالأصلح لهم، ولا يقره لهم إلا به. (البحراني ٤: ٥٣)

الإمام الصادق عليه السلام : قال أبو بصير : سألته عن

بليّة أيوب التي ابتلي بها في الدنيا لأيّ علة كانت ؟

قال : لنعمة أنعم الله عز وجلّ عليه بها في الدنيا

وأدّى شكرها ، وكان في ذلك الزمان لا يعجب إبليس من

دون المرش ، فلما صعد ورأى شكر أيوب نعمة ربّه .

حسده لإبليس ، وقال : ياربّ إنّ أيوب لم يردّ إليك شكر

هذه النعمة إلّا بما أعطيته من الدنيا ، ولو حرمته دنياه

مأدّى إليك شكر نعمة أبدك ، فسلّطني على دنياه حتّى

تعلم أنّه لا يؤدّي إليك شكر نعمة أبدك . فقيل له : قد

سلّطتك على ماله وولده . قال : فاعمد إبليس فلم يُبقي له

مالاً وولداً ، فازداد أيوب فيه لله شكراً وحمداً .

قال : وسلّطني على زرعه ، قال : قد فعلت ، فعلم

مع شياطينه فتفخ فيه فاحترق ، فازداد أيوب لله شكراً

وحمداً .

فقال : ياربّ سلّطني على غنمه ، فسلّطه على غنمه

فأهلكها ، فازداد أيوب لله شكراً وحمداً .

قال : ياربّ سلّطني على بدنه ، فسلّطه على بدنه

ما خلا عقله وعينه ، فتفخ فيه إبليس فصار قرحة

واحدة من قرنه إلى قدمه ، فبقي على ذلك عمراً طويلاً

يحمد الله ويشكر حتّى وقع في بدنه الدود ، فكان يخرج

من بدنه ، ويقول لها : ارجعي إلى موضعك الذي خلّقتك

الله منه .

وننّ حتّى أخرجوه أهل القرية من القرية ، وألقوه

في المزبلة خارج القرية . وكانت امرأته رحمة بنت يوسف

ابن يعقوب بن إبراهيم صلوات الله عليهم وعليها .

تصدّق من الناس وتأتيه بما تجده .

قال : فلما طال عليه البلاء ورأى إبليس صبره ، أتى

أصحابها له كانوا رهباناً في الجبال ، فقال : مرّوا بنا إلى هذا

العبد المتبلى نسأله عن بليّته ، فركبوا بغلاً شبيهاً وجاءوا

فلما دنوا منه غرت بغالهم من تنّ ريحه ، ففروا بعضاً إلى

بعض ثمّ مشوا إليه ، وكان عليهم شاة حدث السنّ

فقدوا إليه ، فقالوا : يا أيوب لو أخبرتنا بذلك لعلّ الله

يحبّبنا إذا سألنا وما نرى ابتلاء له بهذا البلاء الذي لم يزل

به أحد إلّا من أمر كنت تسره .

قال أيوب : وعزة ربّي إنّني ليعلم أنّي ما أكلت طعاماً

إلّا وشميت لو ضعيف يأكل معي . وما عرض لي أمران

كلّهما طاعة لله إلّا أخذت بأشدّها على بدني . فقال

الشيخ : سوء لكم ، ولي نسخة شؤّه لكم ، عمدتم إلى نبيّ

الله فخطبتموه حتّى أظهر من عبادة ربّه ما كان بسره ،

فقال أيوب : ياربّ لو جلست مجلس الحكم منك

لأدليت بحجّتي .

فبعث الله إليه غمامة ، فقال : يا أيوب أدلي بحجّتك

فقد أقدمتكم مقدم الحكم وهأنذا قربت ولم أزل ، فقال :

ياربّ إنّك لتعلم أنّه لم يُعرض لي أمران قطّ كلاهما طاعة

له إلّا أخذت بأشدّها على نفسي ، ألم أحمده ؟ ألم

أشكرك ؟ ألم أسبحك ؟

قال : فتودي من النسيئة بحشرة آلاف لسان .

يا أيوب من صبرك تسجد الله والناس عنه غافلون ،

وتحمده وتسبحه وتكبره والناس عنه غافلون ، أمتنّ

على الله بما لله فيه ، من الملك عليك ؟

قال : فأخذ أيوب الأقرب فوضعه في فيه ، ثمّ قال :

للك العني ياربّ أنت فعلت ذلك بي .

فأنزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء، فغسله بذلك الماء، فعاد أحسن ما كان وأطراً، وأبنت الله عليه روضة خضراء، ورد عليه أهله وماله وولده وزرعه. وقد = الملك يحذثه ويؤنسه، فأقبلت امرأته ومعها الكسر، فلما انتهت إلى الموضع إذا الموضع مضيق وإذا رجلان جالسان، فبكت وصاحت وقالت: يا أيوب ماذا هذا؟ فتأداهما أيوب، فأقبلت فلما رأته وقد ردة الله عليه بدنه ونسبه، سجدت له شكرًا.

فرأى ذواتها مقطوعة وذلك أنها سألت فرسًا أن يطوها ما تحمله إلى أيوب من الطعام، وكانت حسنة الذوائب، فقالوا لها: تبيينا فوائبك حتى نطهرك فطعنتها ودلمتها إليهم فأخذت منهم طعامًا لأبيوب = وأنها مقطوعة للشر غضب وحلف عليها أن لا يضرها مائة، فأخبرته بأنه كان سيده كيت وكيت، فظنم أيوب من ذلك، فأوصى الله عز وجل إليه: ﴿وَأَخَذَ بِذُنُوبِهِمْ﴾ فَأَضْرِبْ بِهٖ وَلَا تَحْسَبْهُ حَتَّى، ٤٤، فأخذ مائة شراخ، فضر بها ضربة واحدة فخرج من بينه، ثم قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَكَفَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ ٤٣.

قال: فرد الله عليه أهله الذين ماتوا قبل البلاء ورد الله عليه أهله الذين ماتوا بعد ما أصابه البلاء، كلهم أحياهم الله جميعًا فعاشوا معه.

وسئل أيوب بعد ما عافاه الله تعالى: أي شيء كان أشد عليك مما مر عليك؟ فقال: عيابة الأهل. قال: فأحضر الله عليه في داره فراش الذهب، وكان يجمعه فإذا ذهب التزع منه شيئًا عدا خلقه فردّه، فقال له جبريل:

سأشبع يا أيوب؟ قال: ومن يشبع من رزق ربه. (البخاري ٤: ٥١)

الطبري: ابن إسحاق عن من لا يشبع عن وخب بن منبه: أن أيوب كان رجلًا من المزوم، وهو أيوب بن موسى بن داود بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم.

وأما غير ابن إسحاق فإنه يقول: هو أيوب بن موسى ابن دغويل بن عيص بن إسحاق.

وكان بعضهم يقول: هو أيوب بن موسى بن دغويل، ويقول: كان أبوه ممن آمن بإبراهيم عليه السلام بحرقه لمروء، وكانت زوجته التي أضر بها بالفتنة ابنة ليعقوب بن إسحاق يقال لها: «ليثا» كان يعقوب زوجها منه. [وبعد نقل أقوال وخب والحسن قال:]

فهذه جملة من خبر أيوب عليه السلام. وإنا قد ذكرنا ذكر خبره، وقصته قبل خبر يوسف وقصته لما ذكر من أمره، وأنه كان نبيا في عهد يعقوب أبي يوسف عليه السلام.

ذكر أن عمر أيوب كان ثلاثًا وتسعين سنة، وأنه أوصى عند موته إلى ابنه حومل، وأن الله عز وجل بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبيا وصفا ذالك قبل، وأمره بالذهاب إلى توحيدة، وأنه كان مقيمًا بالشام عقره حتى مات، وكان عقره خمسًا وسبعين سنة، وأن بشرًا أوصى إلى ابنه هيدان، وأن الله عز وجل بعث بعده شعيب بن صهيون بن عثا بن ثابت بن عدين بن إبراهيم إلى أهل مدين. (تاريخ الأمم والملوك ١: ٢٢٦)

المسعودي: إن يوسف أوصى أن يحمل فيدفن عند قبر أبيه يعقوب في مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكان في عصره أيوب النبي عليه السلام وهو أيوب

فخلف، إلى أن انقضت السنة أثناء جبريل فقال له: (أَرْكُضْ بِرَجُلِكَ) فركض فندا ماء فاغتمل فيه وشرب فبرأ.

وعرضه الله من ولده الثلاثة عشرة ستة وعشرين ولداً.

وذلك قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا﴾ من: ٤٣، وأمره أن يضرب امرأته بضفث فيه مائة عود ليبر قسمه، وأثنى عليه بحسن الصبر، فلا يزال يحل ما قامت الدنيا.

وروى جوير عن الضحاك: أنه أيوب بن موسى بن الميمس، فلم يزلوا متمسكين بالحنيفية إلى أن اختلفوا فبعضهم إلى الميمس، فبعضهم إلى أبيهم عيسى.

١١: (١) ذكر اختلافهم في هذه القصة: زعم وهب ومأراه كما زعم: أن يليس كان يصعد حتى يطفئ من السماء ما أعطيت ووسعت عليه ولم يهلكه ببلاء فبيظ كيف صبره وتكبره قال: فسقط عليه غصاء وهو في سجنه، ففتح في وجهه فصار كذا وكذا، وتناطعت جنات بيته ففككت أولاده وموتت وانتفش الذود في جسده، فجعل يخطف فيه سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات، وتأذى أهل القرية فطرحوه على كناعة وولدت لمرأته حورته بالتراب، فحصر في ذلك أحسن الصبر، ولم يشق بشئ إلى أحد إلا إليه يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ ضَالِّاً يُقِمُّ الصَّلَاةَ إِنَّهُ آتَابٌ﴾ من: ٤٤.

وقال بعضهم: إن رجلاً مظلوماً لطف إليه واستغاث

بن موسى بن ذراح بن رحويل بن الميمس بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وذلك في بلاد الشام من أرض حوران، والبشيئة من بلاد الأردن من بين دمشق والجبالية.

وكان كثير المال والولد، فابتلاه الله في نفسه وماله وولده فصر، ورد الله عليه ذلك وأقاله عارته، واقتصر ما اقتصر من أخباره في كتابه على لسان نبيكم ﷺ.

ومسجده والبعين التي اغتمل منها في وقتنا هذا، وهو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة، مشهوران ببلاد نوى والجلولان فيها بين دمشق وطبرية من بلاد الأردن، وهذا المسجد والبعين على ثلاثة أميال من مدينة نوى، أو نحو ذلك، والحجر الذي كان يأوي إليه في حال بلاءه هو وزوجته، واسمها رحمة - في ذلك المسجد إلى هذا الوقت.

القدسي: قصة أيوب عليه السلام: زعم وهب أنه هو أيوب بن موسى بن رحويل، وكان أبوه ممن آمن بكبراهيم يوم خلق في النار، وكان أيوب صهر يثوب، وكان تحت ابنة يعقوب اسمها «ليثا» وهي التي ضربها بالضفث.

وأم أيوب ابنة لوط، وكانت له «حورلان والبشيئة» مدينتان، ومال عظيم ونعم وهاء وثلاثة عشر ولداً وألف غلام في زوجه وضرعه وخدمته، فابتلاه الله بالبلاء وضربه بالضر، وهلكت أمواله وماشيته ومات ولده وكانت امرأته «ليثا» تسعى عليه وتكتسب قوته، فباعته خضلة من شعرها بطعام وأنته به، فأنجمها أيوب فعلف ليضربها مائة ضرب إن هو يرا من علفه، وقيل: بل الشيطان أنامها فقال لها: لو أن أيوب شرب شربة ماء لا يذكر اسم الله عليها لتوفي، فأخبرت أيوب بذلك

به وكان في الصلاة، فلم يقطع صلاته حتى خاضه ذلك
وقُتل الزجل ونُصب، فلم يرض الله ذلك منه وابتلاء
كفارة لما كان منه.

وقيل في بليّة يعقوب: إنه ذبح شاة وشواها وأصاب
رائحتها بعض الجيران فلم يطعمه، فعوقب بنبيه يوسف،
وزعم بعضهم: أن أيوب لما آمن الله عليه بالعافية
أحيا له ولده كلهم ومواسيه وغلّياته، وقد روينا عن
سميد بن جبّير أنه قال: من زعم أن الله أحيا له ولده
كلهم ومواسيه وغلّياته فقد كذب.

قالوا: وأغلّ الله عليه خيامه ونودي أن ابسط
كساءك، فأطرد الله عليهم جراداً من ذهب من لدن العصر
إلى أن توارت بالحجاب، فجعل كل ما سقط من الكساء
ناحية يمتدّه ويضمّه إليه، فتودي ما هنا الميرس فقال
لاخفاء عن بركاتك ومن يشيع من الخير، هكذا الرواية،
والله أعلم.

ابن الأثير: [بعد قول وهب قال:]

وقيل: كان سبب بلاته أن أرض الشام أجدت
فأرسل فرعون إلى أيوب أن علم إلينا فإن لك صدقة
سنة، فأقبل بأهله وخيله ومائنته، فأعطاهم فرعون
القطائع، ثم إن شعيباً النبي دخل إلى فرعون، فقال:
يا فرعون أما تعلم أن يغضب الله غضبة فيغضب لنفسه
أهل السماء وأهل الأرض والبحار والجبال؟ وأيوب
ساكت لا يتكلم، فلما خرجوا أوحى الله إلى أيوب،
يا أيوب سكّت عن فرعون لذهابك إلى أرضه، استمدّ
للبلية. فقال أيوب: لما كنت أكلل اللثيم وأؤوي الغريب
وأشبع الجائع وأكفّ الأرملة؟

فترت سحابة يسمع فيها عشرة آلاف صوت من
الصواعق يقولون: من فعل ذلك يا أيوب؟ فأخذ تراباً
فوضعه على رأسه، وقال: أنت يارب، فأوحى الله إليه:
استمدّ للبلية، قال: قد بيني آ قال: أسلمه لك، قال: فما
لها.

وقيل: كان السبب غير ذلك، وهو نحو ما ذكرنا.
فلما ابتلاه الله واشتدّ عليه البلاء قالت له امرأته:
إنك رجل محاب الدعوة فادع الله أن يشفيك، فقال: كنّا
في التعماء سبعين سنة فلتصبر في البلاء سبعين سنة، والله
لئن شفاني الله لأجلدتك مائة جلدة.

وقيل: إنما أقسم ليجلدها لأن إبليس ظهر لها،
وقال: بيم أصابكم ما أصابكم؟ قالت: بقدر الله، قال:
وهذا أيضاً بقدر الله فاستجبت، فأراها جميع
ما ذهب منهم في ولد، وقال: اسجدي لي وأردّه عليك
فالتفت: إن لي زوجاً أستمره.

فلما أخبرت أيوب قال: ألم تعلمي أن ذلك
الشيطان أثنى ثغيفاً لأجلدتك مائة جلدة، وأبعدها،
وقال لها: طعامك وشربك عليّ حرام لأذوق مما تأنيبي
به شيئاً فأهديني حتى فلا أراك، فذهبت عنه.

فلما رأى أيوب أن امرأته قد طردها وليس عنده
طعام ولا شراب ولا صديق غرّ ساجداً، وقال: ربّ
﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ وَأَنْتَ أَزْكَى الرَّاحِبِينَ ﴿الأنبياء: ٨٣﴾،
كرّر ذلك، فقيل له: ارفع رأسك لقد استجيب لك،
﴿وَأَنْزَلْنَا كُفْرًا يَرِيحُكَ هَذَا فَتُغْشَى بِهَارِدٍ وَشَرَابٍ﴾ ﴿ح: ٤٢﴾،
وردّ الله إليه جسده وصورته.

ولما امرأته فقالت: كيف أنزركه وليس عنده أحد،

يوت جوعاً وتأكله السباع؟ فرجعت إليه فرأت أيوب وقد عوي فلم تعرفه، فصببت حيث لم تره على حاله. فقالت له: يا عبد الله هل رأيت ذلك الرجل المبلى الذي كان هاهنا؟ قال: وهل تعرفينه إننا رأيت؟ قالت: نعم. قال: هو أنا. فعرفته.

وقيل: إنما قال: ﴿مُسْنِيَ الضُّرِّ﴾ لما وصل الدود إلى لسانه وقلبه خاف أن يطل من ذكر الله تعالى والفكر. وردة الله إليه أهله ومثلهم معهم. قيل: هم بأعيانهم. وقيل: ردة الله إليه امرأته وردة إليها شباها. فولدت له ستة وعشرين ذكراً. وأنزل الله إليه ملكاً. فقال: يا أيوب إن الله بقرؤك السلام لصبرك على البلاء أخرج إلى أندرك. فخرج إليه فبحث الله سحابة فألقت جراراً من ذهب، وكانت المجرادة تذهب فيتبعها حتى يردعها في أندره. فقال الملك: أما تشبع من المال حتى تشبع الخارج؟ فقال: إن هذه البركة من بركات ربي كنت أشبع منها.

وعاش أيوب بعد أن رفع عنه البلاء سبعين سنة، ولما عوي أمره الله أن يأخذ عرجوناً من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب زوجته ليبر من بينه، ففعل ذلك.

وقول أيوب: رب ﴿أَنِّي مُسْنِيَ الضُّرِّ﴾ دعاء ليس بشكوى، ودليله قوله تعالى: ﴿فَاَنْشَجْنَاهُ﴾.

وكان من دعاء أيوب: أعوذ بالله من جوار حينه تراني، إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة ذكرها.

وقيل: كان سبب دعائه أنه كان قد أتبعه ثلاثة نفر.

[ثم ذكر تحاورهم بينهم واستماع أيوب لكلامهم، وجوابه

لهم إلى أن قال:]

ثم أعرض عنهم وأقبل على ربه مستنياً به متضرعاً إليه، فقال: رب لأني شيء خلقتني ليعني إن كرهني لم تخلقني، باليتني كنت حيضة ملقاة، وباليتني عرفت الذنب الذي أذنبت فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فأموت أجمل بي، ألم أكن للغريب دليلاً وللمسكين قرازاً ولليسيم وثيقاً وللأرملة قيساً؟ [إن قال:]

فلما قال أيوب ذلك أغلظتهم شهامة ونسودي منها: يا أيوب إن الله يقول: قد دنوت منك ولم أزل منك قريباً فقم فأدرك بحجتك وتكلم بهراءك. وقم مقام جبار، فإنه لا ينبغي أن يخافني إلا جبار. تجعل الزيار^(١) في قم الأسد واللعجاء في قم الثنين^(٢)، وتكيل مكبلاً من الثور وترز سقلاً من الزج وتصر صرة من الشمس ونرة نفس. لقد متتك نفسك لمرأ لا تلهه بمثل قوتك، أردت أن يكاري بسخطك أم تخافني ببيتك أم تخافني بمظلك؟ أين أنت مني يوم خلقت الأرض؟ هل علمت بأي مقدار قدرتها؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقلاً في الهواء لا يلاق ولا بدعائم تحملها؟ هل تبلغ حكمتك أن تجري نورها أو تسير نهومها أو يختلف بأمر قد ليلها ونهارها؟ وذكر أشياء من مصنوعات الله.

فقال أيوب: قصرت عن هذا الأمر ليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء بسخطك، وإني اجتمع على البلاء ولنا أعلم أن كل الذي ذكرت صنع

(١) الزيار، خستان يضط بها الطيار جفلة الفرس أي

شفتة بهذا، فيتمكن من يطرده.

(٢) الثور أو العمدة النطيفة.

يدريك. [إلى أن قال:]

فقال الله: يا أيوب قد فيك حكيم وسبقت رحمتي غصبي، قد غفرت لك ورددت عليك أهللك ومالك ومثلهم معهم، لتكون لمن خلقت آية وعبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين، فهاؤك كفى بربك هذا مقتل باردة وشراب في شفاء، وقرب عن أصحابك غريبا واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فبك.

فركض برجله فانجمرت له عين ماء فاغسل فيها، فرفع الله عنه البلاء، ثم خرج فجلس وأقبلت امرأته لهأته عنه، فقال: هل تعرفينه؟ قالت: نعم، مالي لأعرفه! فجلس. فرفته بضحك فاعتقته، فلم تفرقه من عنقه حتى مر بها كل مال لها وولد. (١٢٨: ١)

القلم الرازي: للناس في هذا الموضع قولان الأول: أن الآلام والأسقام الحاصلة في جسمه إنما حصلت بفعل الشيطان.

الثاني: أنها حصلت بفعل الله، والعذاب المضاف في هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة، وإلقاء الخواطر الفاسدة. [واستدل على صحة القول الأول بحديث وهب، ورد القول الثاني بوجهه نقلية وعقلية، وقال في كيفية الوسوسة الشيطانية:]

ثم الغائلون بهذا القول اختلفوا في أن تلك الوسوسة كيف كانت؟ وذكروا فيه وجوها:

الأول: أن حلة كانت عديدة الأمم، ثم طالت مدة تلك الملة واستغفروا الناس ونفروا عن مجاورته، ولم يبق له شيء من الأموال البتة، وامرأته كانت تخدم الناس وتحصل له قدر القوت، ثم بلغت نفرة الناس عنه إلى أن

منعوا امرأته من الدخول عليهم ومن الاشتغال بخدمتهم، والشيطان كان يذكره النعم التي كانت والآفات التي حصلت، وكان يحتال في دفع تلك الوسوسة، فلما قويت تلك الوسوسة في قلبه خاف وتضرع إلى الله، وقال: ﴿إِنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِضَبِّ وَعَذَابٍ﴾ ص: ٤١، لأنه كلما كانت تلك الخواطر أكثر كان ألم قلبه منها أشد.

الثاني: أنها لما طالت مدة المرض جساء الشيطان وكان يقطعه من ربه، ويؤثر له أن يخرج، فغاف من تأكد خاطر القنوط في قلبه، فتضرع إلى الله تعالى، وقال: ﴿إِنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ﴾.

الثالث: قيل: إن الشيطان لما قال لامرأته، لو أطاعني زوجك أزلت عنه هذه الآفات، فذكرت المرأة له ذلك، فطلب على ظنه أن الشيطان طمع في ربه، فسق ذلك عليه فتضرع إلى الله، وقال: ﴿إِنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِضَبِّ وَعَذَابٍ﴾.

الرابع: روي عن النبي ﷺ: أنه بقي أيوب في البلاء ثمان عشرة سنة حتى رفضه القريب والبعيد إلا رجلين، ثم قال أحدهما لصاحبه: لقد أذنب أيوب ذنبا ما أتى به أحد من العالمين، ولولا ما وقع في مثل هذا البلاء، فذكروا ذلك لأبيوب عليه السلام فقال: لأدري ما تقولان، غير أن الله يعلم أنني كنت أصر على الرجلين يتنازعان فيذكرني الله تعالى، فأرجع إلى بيتي فأفتر عنها كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في الحق.

الخامس: قيل: إن امرأته كانت تخدم الناس فتأخذ منهم قدر القوت، وتجيء به إلى أيوب، فاتفق أنهم

ما استخدموها ألبكة، وطلب بعض النساء منها قطع إحدى ذواتها على أن تعطى قدر القوت ففعلت، ثم في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك، فلم يبق لها ذؤابة. وكان أيوب عليه السلام إذا أراد أن يصعرك على فراشه تعلق بملك الذؤابة، فلما لم يجد الذؤابة وقعت الحواطر المؤذبة في قلبه واشتد غمته، فعند ذلك قال: ﴿أَيُّ شَيْءٍ الشَّيْطَانُ يَنْزُبُ وَعَذَابُ﴾.

السادس: قال في بعض الأيام: يارب لقد حلت ما اجتمع عليّ أمران إلا آثرت طاعتك، ولما أعطيتني المال كنت للأرامل قتيماً، ولابن السبل معيماً، وللبيتام أبناً، فنودي من غمامة: يا أيوب ممن كان ذلك التوفيق؟ فأخذ أيوب الثراب ووضع على رأسه، وقال: يارب، ثم خاف من الغياط الأول فقال: ﴿مَنْ شَيْءٍ الشَّيْطَانُ يَنْزُبُ وَعَذَابُ﴾ وقد ذكروا أقوالاً أخرى. والله أعلم بحقيقة الحال.

[وبعد نقل قول وهب والحسن قال:]

اعلم أن المعتزلة قد طعنوا في هذه القصة من وجوه: أحدها: قال الجبائي: ذهب بعض الجهال إلى أن ما كان به من المرض كان فعلاً للشيطان سلطه الله عليه، لقوله تعالى حكاية عنه: ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ يَنْزُبُ وَعَذَابُ﴾ وهذا جهل، أما أولاً: فلا أنه لو قدر على إحداث الأمراض والأسقام وضدها من العافية لتهيأ له فعل الأجسام، ومن هذا حاله، يكون إلهاً. وأما ثانياً: فلا أن الله تعالى أخبر عنه وعن جنوده بأنه قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ إبراهيم: ٢٢. والواجب تصديق خبر الله تعالى، دون

الرجوع إلى ما يروى عن وهب بن منبه.

واعلم أن هذا الاعتراض ضعيف، لأن المذكور في الحكاية أن الشيطان فتح في منخره فوقعت الحكمة فيه، فلم قلتم إن القادر على النخعة التي تولد مثل هذه الحكمة لابد وأن يكون قادراً على خلق الأجسام؟ وهل هذا إلا محض التحكم.

وأما التمسك بالنقص لضعف، لأنه إنما يقدم على هذا القمل متى علم أنه لو أقدم عليه لما منعه الله تعالى عنه، وهذه الحالة لم تحصل إلا في حق أيوب عليه السلام على ما دللت الحكاية عليه من أنه استأذن الله تعالى فأذن له فيه، ومتى كان كذلك لم يبق بين ذلك النص وبين هذه الحكاية مناقضة.

ثانيها: قالوا: ما يروى أنه عليه السلام لم يسأل إلا عند أمور مخصوصة فيجيد، لأن الثابت في العقل أنه يحسن من المرء ما يسأل في ذلك ربه ويخرج إليه كما يحسن منه المداواة، وإذا جاز أن يسأل ربه عند القمل مما يراه من إخوانه وأهله جاز أيضاً أن يسأل ربه من قبل نفسه.

فإن قيل: أفلا يجوز أنه تعالى تعبده بأن لا يسأل الكشف إلا في آخر أمره؟

قلنا: يجوز ذلك بأن يعلمه بأن إنزال ذلك به مدة مخصوصة من مصالحه ومصلح غيره لا محالة، فسلم عليه أنه لا وجه للمسألة في هذا الأمر الخاص، فإذا قرب الوقت جاز أن يسأل ذلك، من حيث يجوز أن يدوم ويجوز أن ينتطح.

ثالثها: قالوا: انتهاء ذلك المرض إلى حد التغيير عنه غير جائز، لأن الأمراض المنفرة من القبول غير جائزة

على الأنبياء ﷺ. فهذا جملة ما قيل في هذه الحكاية. (٢٠٨: ٢٢)

ابن كثير: قال ابن إسحاق: كان رجلاً من الروم وهو أيوب بن موسى بن ذراح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وقال غيره: هو أيوب ﷺ بن موسى بن دعويل بن العيص بن إسحاق بن يعقوب، وقيل غير ذلك في نسبه.

وحكى ابن عساکر أن أمه بنت لوط ﷺ، وقيل: كان أبوه من آمن بإبراهيم ﷺ يوم ألقى في النار فلم تحرقه. والمشهور الأول، لأنه من ذرية إبراهيم كما قررنا عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ الأنعام: ٨٤، من أن الصحيح أن الضمير عائد على إبراهيم دود نوح ﷺ، وهو من الأنبياء المنصوص على الإيماء إليهم في سورة النساء، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخَذْنَا آلِهَتَكَ خُفَاً ثُمَّ أَذِيقُنَا مِنْهُنَّ ذُكُوذاً﴾ النساء: ١٦٣، فالصحيح أنه من سلاله العيص بن إسحاق.

وامرأته، قيل: اسمها ليا بنت يعقوب، وقيل: رحمة بنت أفرائيم، وقيل: منشا بن يوسف بن يعقوب وهذا أشهر، فلهذا ذكرناه هاهنا. ثم نطف بذكر أنبياء بني إسرائيل بعد ذكر قصته، قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى...﴾ الأنبياء: ٨٢، وقال تعالى في سورة ص: ٤١، ﴿وَلَذِكْرُ عَذَابِ أَيُّوبَ﴾.

وروى ابن عساکر من طريق الكلبي أنه قال: أول نبي بعث إدريس، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم إسماعيل، ثم إسحاق، ثم يعقوب، ثم يوسف، ثم لوط، ثم هود، ثم

صالح، ثم شعيب، ثم موسى وهارون، ثم إلياس، ثم اليسع، ثم عرقى بن سولخ بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب، ثم يونس بن حقي من بني يعقوب، ثم أيوب بن ذراح بن آموص بن ليغز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم.

وفي بعض هذا الترتيب ظر، فإن هوداً وصالحاً المشهور أنهما بعد نوح، وقبل إبراهيم، والله أعلم. [ثم ذكر ابتلاء، وهلاك أولاده وأهله ومواسيه، وذكر صبره إلى أن قال:]

وقد روي عن وهب بن منبه وغيره من علماء بني إسرائيل في قصة أيوب خبر طويل في كيفية ذهاب ماله وأولاده وبلائه في جسده، والله أعلم بصحته.

ومن مجاهد أنه قال: كان أيوب ﷺ أول من أصابه الجدري. وقد اختلفوا في مدة بلواه على أقوال:

فزعهم وهب، أنه ابتلي ثلاث سنين وأشهر، وألقي على منزلة لبني إسرائيل تختلف الذوات في جسده حتى فرج الله عنه، وعظم له الأجر وأحسن الثناء عليه.

وقال حميد: مكث في بلواه ثمان عشرة سنة.

وقال الشاذلي: تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والنصب، فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته، فلما طالت عليها قالت: يا أيوب لو دموت ربك لفرج عندك.

فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحاً، فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة، فجزعت من هذا الكلام، وكانت

تخدم الناس بالأجر، وعظم أيوب ﷺ. [ثم ذكر عدم استخدام الناس امرأته، وبيع صغيرتها لجلب الطعام إليه، وذكر قول النبي ﷺ في مدة ابتلائه للفتنم ذكره في

[قول الطبري]

(البيان والنهاية ١: ٢٢٠)

في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: بينا أيوب يشغل امرئانا، خثر عليه رجل جراد من ذهب، فجعل يغمي في نومه، فناداه ربه: يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى؟ قال: بل يارب، ولكن لا الهي بي من مكرتك.

ويروى أن أيوب ناجى ربه، وقال: إلهي مارأيت امرئانا إلا ألبسته، ولا جائعاً إلا أشبعه، فلم ابتليني؟ فتودي صدقت، ولكنك لو أصبحت أسيراً في يد هجر من عبيدي يحكم عليك ما يريد، لأصبحت في بلاء أشد من هذا، ولكنك أصبحت في يدي وأنا أرحم الراحمين.

وقيل: لما اشتد البلاء بأيوب قيل له: لو دعوت الله حق يشفيك، فقال: قد أتى علي في الرخاء سبعون لأصبرن إلى أن يأتي علي في البلاء سبعون، فإن زاد علي البلاء على الرخاء، فحيث أدعوه ربي.

وقيل: لما قدم أيوب في البلاء جسمه قدّم الله في كسبه عليه، إشارة إلى أن أسماء جميع الأنبياء في أسماء قصصهم، واسم أيوب في صدر قصته.

وقد دعاه الله في القرآن بأسماء: صابر ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْفَتَى﴾ ص: ٤٤، أواب ﴿إِنَّهُ أَوَابٌ﴾ ص: ٤٤، منادى ﴿إِذْ نَادَى رَبُّهُ﴾ الأنبياء: ٨٣، ص: ٤١، وهو أول من دعا الله بأرغم الراسخين.

وذكره الله تعالى باسمه في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿كَلَّا هَذَا بَشَرًا فَنَزَّلْنَاهُ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿وَأَيُّوبَ﴾ الْأَنْعَامُ: ٨٤، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبُّهُ﴾ الأنبياء: ٨٣، ﴿وَلَذِكْرُ رَبِّنَا أَيُّوبَ﴾ ص: ٤١.

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى أيوب بأن هذا البلاء

قد اختاره سبحانه سبحانه ليلاً قبلك، لما اخترته إلا لك، فلما أراد الله كشفه قال: ﴿أَنِّي مُنِّي الضُّرُّ﴾ الأنبياء: ٨٣، حتى زال عنه ما اختاره الله له.

وكان أيوب ببلاد حوران من الشام، وقبره في قرية طرب نوى، عليه مشهد ومسجد وغربة موقوفة على مصالحه، وعين جارية فيها قدم في حنجر، يقولون إنه أثر قلبه، والتاس يستلون من اللين ويشربون مشربكين، ويقولون: إنها المذكورة في القرآن، وهناك صخرة عليها مشهد يقولون: إنه كان يستند إليها.

(بصائر ذوي التمييز ٦: ٥٩)

هاكس: أيوب، أي الرجوع إلى الله، وأول من أكل عليه هذا الاسم هو حزقيا، وكان يسكن في أرض موحي الواقعة شرقي فلسطين، قرب مكان قمر، وقد حاصر الكلدانيون الذين كانوا في حالة حرب مع قومه.

وقيل: لما قدم أيوب في البلاء جسمه قدّم الله في كسبه عليه، إشارة إلى أن أسماء جميع الأنبياء في أسماء قصصهم، واسم أيوب في صدر قصته. وقد دعاه الله في القرآن بأسماء: صابر ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْفَتَى﴾ ص: ٤٤، أواب ﴿إِنَّهُ أَوَابٌ﴾ ص: ٤٤، منادى ﴿إِذْ نَادَى رَبُّهُ﴾ الأنبياء: ٨٣، ص: ٤١، وهو أول من دعا الله بأرغم الراسخين. وذكره الله تعالى باسمه في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿كَلَّا هَذَا بَشَرًا فَنَزَّلْنَاهُ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿وَأَيُّوبَ﴾ الْأَنْعَامُ: ٨٤، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبُّهُ﴾ الأنبياء: ٨٣، ﴿وَلَذِكْرُ رَبِّنَا أَيُّوبَ﴾ ص: ٤١.

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى أيوب بأن هذا البلاء

والشفاء بصورة متساوية بين بني البشر، فلم تكن الأمور للمادلين والمُتادلين متساوية دائماً فحسب، بل الأشرار يرفلون بمنعم الدنيا والأخيار يَتَجَلَّثُونَ بِجَلَابِ الشقاء، واتهموا أيوب بارتكاب المعاصي والأثام، فحينئذ ما كسبت يده. فاندبرى أيوب لدفع هذه الأباطيل والشبهات، وقدم لهم الدليل تلو الدليل حتى أفصحهم بعون الله تعالى.

وتحتوي صحيفة أيوب على الأمور التالية:

أولاً: إن العذاب والعقاب والبؤس والشفاء ليس كلها جزاء للإثم كما يزعم رفقاء أيوب، وقد وعدهم الله تعالى على إطلاقهم لهذا القول، وأمرهم أن يتوبوا من عقائدهم الفاسدة. وثمنا لاشك فيه أن العمل والجهاد ملازمان في كل زمان ومكان، ولكن لا يمكن القول في ذلك قاعدة كلية وغانون هام، يستوجب منه أن تكن كل مصيبة ناشئة من مصيبة، وإن لم تكن مصيبة كالمصيبة هناك جزاء، لا بل إن الله يعمل لحكمة بالغة الطائفة والمصيبة بمثابة تهذيب لبني البشر، كما يعمل الذهب في بوتقة الاختبار لتخليصه من الشوائب المعلقة به.

ثانياً: إن شقاء الصالحين وبلاءهم مرده إلى حب الله لهم ولطفه بهم، ولم يكن جزاء لهم فحسب، بل تطهير لهم وتهذيب، كما ورد هذا المعنى في أمثال سليمان: من أحبته الله كذبه.

ثالثاً: إن الابتلاء والامتحان الإلهي هو من الأمور اللازمة، لأنه يبين التفضيلة ويرجع الصبر.

رابعاً: إن ابتلاء وامتحان الأبرار والتضييق عليهم لا يدوم طويلاً، إذ سوف يجزون أجراً عظيماً ونولها

كبيراً في الدنيا أو في الآخرة.

خامساً: إن من أسوء الأمور في الدنيا هو عدم الرضا بقضاء الله تعالى والتذمر منه دائماً.

سادساً: إن الإحاطة بالأسرار الإلهية موكولة إلى العالم الآخر، كما ورد في الباب ١٩: ٢٣-٢٧.

فنتستج من ذلك أن نفس الإنسان أيدية لامتوت. {ثم ذكر مطالب صحيفة أيوب فراجع} (١٤٦)

البُستاقاني: [أيوب] رجل مشهور بالاستقامة والتكوى والصبر، ولذلك لقب بالصدّيق، وشُرب به المثل بالصبر. ويقال: إنه عوص بكر ناحور، أخو إبراهيم. وقيل: هو يوباب بن حفيد عيسو. كان موطنه أرض عوص، ووطن أنها جزء من جبل سعيّر أو بلاد

قيل: إنه كان قبل موسى، وقيل: قيل لإبراهيم بأكثر قيل: وهو ترجح. ومن أراد الوقوف على تفاصيل قصته فليطالعها من السفر المنسوب إليه، من «السند القديم». (٨٠٤: ٤)

الزركلي: أيوب النبي الصابر من أنبياء العرب قبل موسى. كان يسكن أرض عوص في شرقي فلسطين، أو في حوران، وهو عند مؤذني العرب من بني إبراهيم الخليل، بينهما خمسة آباء، وعند بعض شراح التوراة قبل إبراهيم.

وسفر أيوب في التوراة عربي الأصل بما فيه من أسماء للأشخاص والأماكن، ومن وصف لبادية الشام وحيواناتها ونباتاتها، تُرجم من العربية إلى العبرية في زمن موسى أو بعده، وقد يكون في أصله العربي «شعراء

ومما يحسن ذكره اسطراراً لاكتفير حقيقة تأريخية أن أهل «نوى» بفتح النون والواو - وهي قرية بين دمشق وطبرية - كانوا يتناقلون أن أيوب من سكانها، [ثم ذكر قول المسعودي في مسجده وعينه وأخاف]

وذكر النووي أنه كان في عصره «القرن السابع للهجرة» قبر في نوى يعتقد أهلها أنه قبر أيوب، وبنوا عليه مشهداً ومسجداً.

الطباطبائي: كلام في قصة أيوب عليه السلام في فصول: ١- قصته في القرآن: لم يذكر من قصته في القرآن إلا ابتلاؤه بالضر في نفسه وأولاده، ثم تفرجه تعالى بمغافاته وإيتائه أهله ومثلهم معهم، ورحمة منه وذكرى للعالمين.

٢- جميل ثابته: ذكره تعالى في سورة الأنبياء من سورة إبراهيم عليه السلام، وأثنى عليهم بكل ذرة (الأنبياء: ٨٤ - ٩٠) وذكره في سورة (ص) قصته، صابراً ونعم العبد وأتوفاً (ص: ٤٤).

٣- قصته في الروايات: [وسند نقل روايتي الصادقين عليه السلام قال:]

أقول: وروي عن ابن عباس ما يقرب منه، وعن وهب أن لمرأته كانت بنت ميثا بن يوسف، والرواية - كما ترى - تذكر ابتلاءه بما تنتظر عنه الطابع. وهناك من الروايات ما يؤيد ذلك، لكن بعض الأخبار المروية عن أنه أهل البيت عليه السلام ينفي ذلك وينكره أشد الإنكار. [وهي رواية الإمام الباقر عليه السلام للمتقدمة] (٢١٢: ١٧) محمد إسماعيل إبراهيم: أيوب رسول من ذرية إسحاق بن إبراهيم كان يعيش ببلاد الروم، وفي

كما يدل عليه أسلوبه، ولنا رأي في اسمين غير معروفين عند العرب وردا في الشرق، لعل مترجمه عن العبرية زلدهما لجعله عبرياً، وأدباء الغرب شديد العناية بسفر أيوب، واسمه عندهم «Job» وقد لقبه فيكتور هور «ببطريك العرب» حين لقب إبراهيم ببطريك العبريين. وقال في كتابه عن شكبير وهو يتحدث من العباقرة: إن أيوب كان أديباً وهو أول من ابتدع أسلوب الفواجع، وقد ضاع شعره العبري، ولم يبق منه غير الترجمة العبرية المنسوبة إلى موسى. وقال: إن قصته صبره على المذاب أتمت بمحادث القضاء بعد ألي عام.

ويقول الأب لويس شيخو في كتاب «التصانيف وآدابها»، وهو يذكر علم النجوم: ولنا شاهد في سفر أيوب على معرفة العرب لأسماء النجوم وحركاتها في الفلك، إذ كان أيوب النبي عربي الأصل عاش في غربي الجزيرة، حيث امتحن الله صبره.

ويقول الدكتور جواد علي في «تاريخ العرب قبل الإسلام»: من القائلين بأن أسفار أيوب عربية الأصل، والمنحتمين في الذخاع من هذا الرأي للمستشرق «مارجوليوث» وقد عالج هذا الموضوع بطريقة المقابلات اللغوية ودراسة الأسماء الواردة في تلك الأسفار، وكذلك يرى هذا الرأي: F.H.Foster و Pfeiffer من العلماء الأمريكيين.

ويقول جرمانوس فرحات في معجمه «إحكام باب الإعراب»: أيوب الصديق من الأنبياء، من بلاد حوران، من نسل عيسو بن إسحاق، لا يحد من الإسرائيليين، كان قبل موسى، وقيل: كان معاصراً له.

رواية أخرى أنه كان يقيم في بلاد دلدوب الواقعة في شمال خليج العقبة ببلاد الشام، ويصور لنا القرآن الكريم ابتلاء أيوب بالضَّرَّ الذي أصابه بالأذى في جسده وماله وأهله، وأن الشيطان وسوس له كثيراً ليفتنه، ويحال من إيمانه بعد أن فقد أولاده وذات نعمته وتناكرت له زوجته، ولكنه كان مثال الصبر الجميل والإيمان الراسخ المكين، حتى قال الله تبارك وتعالى في حقه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَقِمَ الْجَهَنَّمَ إِنَّهُ أَُوَاقٍ﴾ من: ٤٤.

وكان أيوب قد حلف أن يضرب زوجته بعد ليلته من مرضه لموجدة وجدها في همة منها، فلما أذن الله بشئائه، قال له تعالى: ﴿أَزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَابِ دُفْرَتِكَ﴾، فلما ضرب الأرض برجله تضرعت العين والحصل بما بها وشرب منها فبرئ من سقامه وقال له تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِسَبِيلِكَ يُسُفِّكُ فَضْطَرًّا﴾ من: ٤٤، أي غدا حُرمة من الحشرية فاضرب بها عيذابها مائة عود، واضرب بها زوجتك حتى تبرأ بقتلك.

ثم إن الله تبارك وتعالى أحاد إليه ما كان ذهب عنه من مال وولد، فقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ وهذا هو جزاء الإيمان الخالص والصبر الجميل الذي يأتي معه الفرج دائماً. (٥٤)

٢- إِنَّا أَوْعَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْعَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ وَأَوْعَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ وَالْأَنْبِيَاءِ وَجِبْرِيلَ وَآيُوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَشُعَيْبًا وَأَوَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا. النساء: ١٦٣

الفخر الرازي: ثم خصَّ بعض النبيين بالذكر لكونهم أفضل من غيرهم، كقوله: ﴿وَوَعَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ﴾ الآية: ١٦٣.

واعلم أن الأنبياء المذكورين في هذه الآية - سوى موسى عليه السلام - اثناعشر، ولم يذكر موسى معهم، وذلك لأن اليهود قالوا: إن كنت يا محمد نبياً فأتنا بكتاب من السماء دفعة واحدة كما أتى موسى عليه السلام بالتوراة دفعة واحدة، فله تعالى أجاب عن هذه الشبهة بأن هؤلاء الأنبياء الاثني عشر كلهم كانوا أنبياء ورسلاً، مع أن واحداً منهم مأتى بكتاب مثل التوراة دفعة واحدة، وإذا كان المنصود من تعديد هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هذا المعنى لم يبرز ذكر موسى معهم.

(١٠٨: ١١)

ابو حنيفة: تقدم ذكر نسب نوح وإبراهيم وهارون عليهما السلام في سورة القصص، وأما أيوب فذكر الحسين بن أحمد ابن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي النيسابوري نسبة، فقال: أيوب بن أموص بن بارح بن تورم بن الميص بن إسحاق بن إبراهيم، وأمه من ولد لوط بن هارون. (٣: ٣٩٧)

البروتوني: خصهم بالذكر مع اشتغال النبيين عليهم تشريراً لهم وإظهاراً لفضلهم، فإن إبراهيم أول أولي المزم منهم وعيسى آخرهم، والباقيين أشراف الأنبياء ومشاهيرهم. (٢: ٣٢٢)

الآلوسي: ذكروا مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريراً لهم وإظهاراً لفضلهم على ما هو المعروف في ذكر الخاص بعد العام، في مثل هذا المقام. (٦: ١٦٦)

روي أن الله استبأ أيوب وأرسله إلى أهل حران، وهي قرية بنوطة دمشق وكثر أهله وماله، وكان له سبعة بنين وسبع بنات، ومن أصناف البهائم مالا يحصى. (٥١٢: ٥)

الأتوسي: كان **علي** مألجج الحاكم من طريق سمرة من كتب - طويلاً جعد الشعر واسع العينين حسن الخلق قصير القنق عريض الصدر غليظ الثاقين والتاحدين، وكان قد اصطفاه الله تعالى وبسط عليه الدنيا، وكثر أهله وماله، فكان له سبعة بنين وسبع بنات، وله أصناف البهائم. (٨٠: ١٧)

محمد هادي معرفة: الإسرائيليات في قصة

أيوب عليه السلام. **أيوب** من النصوص التي تزيد فيها المتريدون، واستعملها المتعاصرون. وأطلقوا فيها لحياتهم النان: قصة سيدنا أيوب عليه السلام، فقد روي فيها ما عصى الله أنبياءه عنه. وصورة بصورة لا يرضاها الله لرسول من رسله.

فقد ذكر بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَذَابًا يُؤْتَى إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُحْبٍ وَعَذَابٍ﴾ لُزُكُشِي بِرَجُلٍ هَذَا مُخْتَلَسٌ بِأَوْدَةٍ وَفَرَّابٍ وَوَقَعْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِطْلَهُمْ مَفْهُمٌ وَخَسَةٌ جِنَا وَوَكُزِي لِأَوَّلِ الْآثَابِ وَخَذَ بِتَدْلِكَ جِنَا فَاخْرُوبَ بِهِ وَلَا تُخْشَفُ إِنَّا وَجَدْنَاهُ ضَالًّا بِغَمِّ الْعَهْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (ص: ٤١ - ٤٢) ذكر الشيطاني في الدر المنثور وغيره. عن قتادة **عليه السلام** في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَذَابًا يُؤْتَى﴾ أي: ذهاب الأهل والمال، والعصر الذي أصابه في جسده، قال: لبثت سبع سنين وأعمى، فأبى

٣... وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ ذَكَوْدٌ وَسُلَيْمٌ وَأَيُّوبُ وَيُوسُفُ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْمُنشِئِينَ. الأنعام: ٨٤
الطبري: هو أيوب بن موسى بن روح بن عيص ابن إسحاق بن إبراهيم. (٢٦: ٧)

الطبري: هو أيوب بن موسى بن رازج بن روم ابن عيص بن إسحاق بن إبراهيم. (٣٣٠: ٢)
مثله البروسوي. (٦١: ٣)

الفخر الرازي: والمرتبة الثانية [من المراتب المتبعة عند جمهور المفسرين] البلاء الشديد والمحنة العظيمة، وقد خص الله أيوب بهذه المرتبة والخاصية. (٦٥: ١٣)

أبو عتيان، قرنها [أيوب ويوسف] لاعتراكها في الامتحان، أيوب بالبلاء في جسده، وثبت قومه. ويوسف بالبلاء بالتجن ولزمت من أهله، وفي مآلهي بالسلامة والخاصية. وقدّم أيوب لأنه أحق في الامتحان. (١٧٣: ٤)

٤- وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ...
الأنبياء: ٨٢
ابن عباس: سمي أيوب لأنه آت إلى الله تعالى في كل حال. (القرطبي: ١١: ٣٢٣)
القرطبي: واختلف في قول أيوب: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ خمسة عشر قولاً. [راجع] (٣٢٣: ١١)
البروسوي: أي واذكر خبر أيوب، واختلفوا في أسماء نبيه بعد الالتحاق على الانتهاء إلى روم بن عيص ابن إبراهيم **عليه السلام**.

على كناسة بني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده،
فخرج الله عنه، وأعظم له الأجر، وأحسن.
قال: وأخرج أحمد في الزهد، وابن أبي حاتم، وابن
صاكر عن ابن عباس رهما الله، قال: إن الشيطان
خرج إلى السماء فقال: يا رب سلطني على أيوب عليه السلام،
قال الله: قد سلطتك على ماله، وولده، ولم أسطك على
جسده، فنزل، فجمع جنوده، فقال لهم: قد سلطت على
أيوب عليه السلام فأروني سلطانكم، فصاروا نيراناً، ثم صاروا
ماء، فبينا هم بالشرق إذا هم بالمغرب، وبينا هم
بالمغرب إذا هم بالشرق، فأرسل طائفة منهم إلى زوجه،
وطائفة إلى أهله، وطائفة إلى بقره، وطائفة إلى غنمه،
وقال: إنه لا يحتصم منكم إلا بالمعروف، بالأجر
بالمصائب، بعضها على بعض، فجاء صاحب الإبل،
فقال: يا أيوب، ألم تر إلى ربك، أرسل عيلي زرعك
عدواً، فذهب به وجاء صاحب الإبل، وقال: لم تر إلى
ربك، أرسل على إبلك عدواً، فذهب بها، ثم جاء
صاحب البقر، فقال: ألم تر إلى ربك أرسل على بقرك
عدواً، فذهب بها، وتفرّد هو بينيه، جمعهم في بيت
أكبرهم، فبينا هم يأكلون ويشربون، إذ هبت ريح،
فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فجاء الشيطان إلى
أيوب بصورة غلام، فقال: يا أيوب، ألم تر إلى ربك جمع
بنك في بيت أكبرهم، فبينا هم يأكلون ويشربون، إذ
هبت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فلو
رأيتهم حين اختلطت مساوهم ولحومهم بطعامهم
وشرايهم، فقال له أيوب: أنت الشيطان، ثم قال له: أنا
اليوم كيوم ولدني أمي، فقام فخلق رأسه، وقام يصلي،

فردّ إبليس رثته مع بها أهل السماء، وأهل الأرض،
خرج إلى السماء، فقال: أي رب، إنه قد اعتصم، فسلطني
عليه، فإني لأستطيعه إلا بسلطانك، قال: قد سلطتك
على جسده، ولم أسطك على قلبه، فنزل، فنفخ تحت
قدمه نفخة، قرح ما بين قدميه إلى قرنه، فصار قرحه
واحدة، وألقي على الرّماح، حتى بدا حجاب قلبه، فكانت
امراته تسمى إليه، حتى قالت له: أما ترى يا أيوب قد نزل
بي والله من المجهود والفاقة ما إن بحث قروني بهرغيف،
فأطعمك، فادع الله أن يشفيك، ويرريك، قال: ويحك، كنا
في التسم سبعين عامًا، فأصبري حتى نكون في الضّر
سبعين عامًا، فكان في البلاء سبع سنين، ودعا، فجاء
موسى عليه السلام يوماً فأخذ بيده، ثم قال: قم، فقام، فتعاه
مكانه، وقال: «أزكض برجلك هذا فتشعل ناراً»
«وشراب» فركض برجله، فبنت عين، فقال: اغسل،
فأغسل منها، ثم جاء أيضاً، فقال: أركض برجلك
فبنت عين أخرى، فقال له: اشرب منها، وهو قوله:
«أزكض برجلك هذا فتشعل ناراً وشراب»، وأبى
الله حلة من الجنة.

فتحنى أيوب، فجلس في ناحية، وجاءت امرأته،
فلم تعرفه، فقالت: يا عبداً لله، أين المبتلى الذي كان هنا؟
لملّ الكلاب ذهبت به، أو الذئاب، وجعلت تكلمه
ساعة، فقال: ويحك، أنا أيوب، قد ردّ الله عليّ جسدي،
وردّ الله عليه ماله، وولده هيئاً ومثلهم معهم ^(١).

قال: وأخرج أحمد في الزهد، عن عبد الرحمن بن
جبير رضي الله عنه، قال: ابتلى أيوب بماله وولده، وجسده،

على مصدره، ومن أين دخل في الرواية الإسلامية،
ولأنّ أنّه يرى في هذا أنّه مما تباح روايته.

فقد ذكر أنّه يقال: إنّه أصيب بالجذام في سائر بدنه،
ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر بهما الله
عز وجلّ حتّى عافه الجلبس، وصار منبوقاً في ناحية من
البلد، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه غير زوجته،
وتحتلّت في بلاءه مائمتلّت، حتّى صارت تخدم الناس،
بل قد باعت شعرها بسبب ذلك، ثمّ قال: وقد روي، أنّه
مكث في البلاء مدّة طويلة، ثمّ اختطفوا في السبب المهيّج
له على هذا الدّعاء، فقال الحسن - يعني البصري -
وقد أذهلني أيوب عليه السلام سبع سنين وأسمهراً، ملق على
كعبة بني إسرائيل، تختلف الثّواب في جسده، ففرج الله
عنه وأظلم له الأجر، وأحسن عليه الثّناء، وقال وهب
بن منبه: مكث في البلاء ثلاث سنين، لا يزهد ولا ينقص.
وقد روي قصة أيوب وبلاءه عن وهب بن منبه في كثير من
الطّوائف، وقد التبس فيها الحقّ بالباطل، والصدق
بالكذب (١).

وقال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: «وقد
روي عن وهب بن منبه في خبره - يعني أيوب - قصة
طويلة، ساقها ابن جرير، وابن أبي حاتم بالسند عنه،
وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، وفيها غرابة
تركناها لحال الطّول»
ومن السّجّيب أنّ الحافظ ابن كثير وقع فيها وقع فيه
غيره في قصة أيوب، من ذكر الكثير من الإسرائيليات،
ولم يعقب عليه (٢).

وقد ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم الكثير من هذه
الروايات في تفسيرهما، منها: ما هو موقوف، وبعضها
مرفوع إلى النبي ﷺ، وكذلك ذكر ابن جرير، والتهوي،
 وغيرهما، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتُ يَوْمَ إِذْ تُنَادَى زُجَّةٌ
أَنِّي مَسْنِي الْعَصَا وَأَنشَأْزَحَمُ الرَّاجِعِينَ﴾ فَأَشْتَبَهَا لِي
لَكُشْفَتَا مَائِدَةٍ مِنْ ضَرٍّ وَأَنْتَاهَا أَهْلَةٌ وَيَقْلَهُمْ مَقْعُهُمْ وَزَحَمَةٌ
مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣، ٨٤) الكثير من
الإسرائيليات.

وقد روي قصة أيوب وبلاءه عن وهب بن منبه في كثير من
الطّوائف، وقد التبس فيها الحقّ بالباطل، والصدق
بالكذب (١).

وقال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: «وقد
روي عن وهب بن منبه في خبره - يعني أيوب - قصة
طويلة، ساقها ابن جرير، وابن أبي حاتم بالسند عنه،
وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، وفيها غرابة
تركناها لحال الطّول»
ومن السّجّيب أنّ الحافظ ابن كثير وقع فيها وقع فيه
غيره في قصة أيوب، من ذكر الكثير من الإسرائيليات،
ولم يعقب عليه (٢).

ومن السّجّيب أنّ الحافظ ابن كثير وقع فيها وقع فيه
غيره في قصة أيوب، من ذكر الكثير من الإسرائيليات،
ولم يعقب عليه (٢).

مع أنّ عهدنا به أنّه لا يذكر شيئاً من ذلك إلاّ ويثبه

(١) التهوي ٣، ٢٤٦.

(٢) ابن كثير ٣، ١٨٨.

راحاً إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال
أيوب عليه السلام: ما أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم
أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله،
فأرجع إلى بيتي، فأكفر عنها كراهية أن يذكر الله إلا في
حق، قال: وكان يخرج في حاجته، فإذا فاضها أمسكت
امرأته بيده، حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم لبطأت عليه،
فأوحى الله إلى أيوب في مكانه: أن «أزكك بربك هذا
مغليل بارد وشراب»،

وقال ابن كثير: رفع هذا الحديث غريب جداً (١).

وقال الحافظ ابن حجر: وأصح ما ورد في قصته
ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير، وصححه ابن حبان
والحاكم، بسند عن أنس: أن أيوب - ثم ذكر مثل ذلك.

والمستفوتون من العلماء على أن نسبة هذا الحديث
المعصوم عليه السلام إنا من أصل بعض الرضاعين المنسوبين
يركعون الأسانيد للعترون، أو من غلط بعض الرواة،

ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل وافترافاتهم على
الأنبياء. على أن صحة السند في مصطلحهم لا تنافي لأن
أصله من الإسرائيليات، وابن حجر على مكانته في
الحديث ربما يوافق على تصحيح ما يخالف الأدلة العقلية
والنقلية، كما فعل في قصة الثرائيق، وهاروت وهاروت،
وكل ما روي موقوفاً أو مرفوعاً لا يخرج مما ذكره ذهب
ابن ماجة في قصة أيوب، فلتناظرنا إليها آهنا، وماروي
عن ابن إسحاق أيضاً، فهو مما أخذ عن ذهب وغيره.

وهذا يدل أعظم الدلالة على أن معظم ما روي في
قصة أيوب مما أخذ من أهل الكتاب الذين أسلموا،
وجاء القصاصون المولعون بالثرائب، فزادوا في القصة

أيوب، وأضاعوها، حتى اتخذ منها الشاذلون،
والتسوتون وسيلة لاسترقاق قلوب الناس، واستندار
الطف عليهم.

الحق في هذه القصة،

وقد دل كتاب الله الصادق، على لسان يث عبيد
الصادق، على أن الله تبارك وتعالى ابتلى نبيه أيوب عليه السلام
في جسده، وأهله، وماله، وأنه صبر حتى صار مضرب
الأمثال في ذلك، وقد أثبت الله عليه هذا الثناء المستطاب،
قال عز شأنه: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَقِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ
لَوَاقٍ»، فالبلاء بما لا يجوز أن يشك فيه أبدًا، والواجب
على المسلم أن يقف عند كتاب الله، ولا يزيد في القصة
مما نزيد زنادقة أهل الكتاب، وألصقوا بالأنبياء،
ملا يبق بهم، وليس هذا صحيح من بني إسرائيل
الذين لم يتجروا على أنبياء الله ورسله فحسب، بل
هو ما فعل أهل الله تبارك وتعالى ونالوا منه، وفعلوا عليه،
ونسوا إليه ما قامت الأدلة العقلية والنقلية المتواترة على
استحائه عليه سبحانه وتعالى من قولهم: «إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ
وَلَحْنُ أَغْنِيَاءَ» آل عمران: ١٨١، وقولهم: «يَدُ اللَّهِ
مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِقُوا يَمَّا قَالُوا» المائدة: ٦٤،
عليهم لعنة الله.

والذي يجب أن نعتقد أنه ابتلي، ولكن بلاء
لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام،
وأن جسده أصبح قرحة، وأنه أُلقي على كنانة بني
إسرائيل، يرعى في جسده الدود، وتعبت به دولاب بني

إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض الجذري.

وأيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وأن يصاب بمرض يضر الناس من دعوته، ويقززهم منه، وأي فائدة تحصل من الرسالة، وهو على هذه الحال المزمنة، التي لا يرضاه الله لأتبيائه ورسله؟

والأنبياء إنما يبحون من أوساط قومهم^(١)، فأين كانت عشيرته فتواريه، وتطعمه؟ بدل أن تخدم امرأته الناس، بل وتبيع صغيرتها في سبيل إعطائه.

بل أين كان أتباعه، والمؤمنون منه، فهل تخلّوا عنه في بلاته؟ وكيف والإيمان ينافي ذلك؟

الحق أن نرج الفضة مهلهل، لا يثبت أمام الشك ولا يلدّه عقل سليم، ولا نقل صحيح، وأن ما أصيب به أيوب من المرض إنما كان من النوع غير المتقر، والمفتر. وأنه من الأمراض التي لا يظهر أثرها على البشرية، كالزوماتيزم، وأمراض المفاصل، والعظام ونحوها. وذلك أن الله لما أمره أن يطرب الأرض بقدمه، فطرب فنبعت عين، فاغتسل منها وشرب، فبرأ بإذن الله.

قال العلامة الطبرسي: قال أهل التحقيق: إنه لا يجوز أن يكون صفة يستقدره الناس عليها، لأن في ذلك تشهيراً. فأما المرض والقر وذهاب الأهل، فيجوز أن يتحنه بذلك. (التفسير والمفسرون ٢: ٢٧٩-٢٨٦) مكارم الشيرازي: حياة أيوب المليئة بالحوادث والويل.

الآيات السابقة تحدت عن سليمان عليه السلام وعن القدرة التي منحها إياه البارئ عز وجل، والتي كانت بمثابة البشرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم والذين كانوا

يعيشون تحت ضغوط صعبة.

آيات بحثنا هذه تتحدث عن أيوب الذي كان أفوضاً حياً للتعب والاستقامة، وذلك لتحطّي درسا لمسلمي ذلك اليوم ويومنا الحاضر وغداً، درسا في مقاومة مشاكل وصعاب الحياة، وتدعوهم إلى الاتحاد والتعاون، كما وثّقت المائدة المسودة للتعب والصّابرين.

وأيوب هو ثالث نبي من أنبياء الله، تستعرض هذه السورة (سورة ص) جوانب من حياته، وهي بذلك تدهو رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم إلى التضرّع في هذه القصة، وتكرار سرها على المسلمين، كي يصبروا على المشاكل الصعبة التي كانت تواجههم، لكي لا يأسوا من عطف الله ورحمته.

اسم أيوب أو قصته ورد في عدة سور من سور القرآن الكريم، منها الآية: ٦٦ في سورة النساء، والآية: ٨٤ في سورة الأنعام، التي ذكرت اسمه في قائمة أنبياء الله الآخرين، ويثبت وأثبتت مقام نبوته، بخلاف كتاب التوراة الحالي الذي لم يحتجّه من الأنبياء، وإنما اعتبره أحد جبابرة المستنيرين والأكرام وذو عيال كثيرين.

كما أن الآيات ٨٢ و ٨٤، في سورة الأنبياء استعرضت بصورة مختصرة جوانب من حياة أيوب عليه السلام. أما آيات بحثنا هذه فإنها تستعرض حياته بصورة مفصلة أكثر من أي سورة أخرى، من خلال أربع آيات:

فالأول تقول: ﴿وَلَمَّا كَثُرَ غَيِّبْنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ

(١) من غيرهم وأكرمهم نسباً وعشيرة.

أَيُّ مَسِيٍّ الشَّيْطَانُ بِمُضْطَبٍّ وَغَذَابٍ» ص: ٤١، (نُصِبَ) حل وزن «مُسَر» و(نُصِبَ) حل وزن «خَسَد» وكلاهما بمعنى البلاء والشر.

هذه الآية تُبَيِّنُ لَوَّلًا: علو مقام أيوب عند الباري عز وجل، وذلك من خلال كلمة (عَبْدَنَا)، وثانيًا: فإنها تشير بصورة خفية إلى الإهلامات الشديدة التي لا يمكن تحملها، وإلى الألم والمذاب الذي من أيوب عليه السلام.

وبالطبع فالقرآن الكريم لا يعطين شرحًا مفصلاً لما جرى على أيوب عليه السلام، وإنما نقرأ في كتب الحديث المروفة والتفاسير تفاصيل هذه القصة.

في تفسير «نور الثقلين» نقرأ أن أبا بصير سأل الإمام الصادق عن بليّة أيوب التي ابتلي بها في الدنيا لا في الآخرة؟ - لعل السائل كان يظن أن أيوب عليه السلام لم يبتل به لصحة ارتكابه - فأجاب عليه السلام بقوله: «لنعم الله عز وجل عليه بما في الدنيا وأدى شكره» وفي ذلك الزمان لا يحبب إليّس دون العرش، فلما صد ورأى شكر نعمة أيوب عليه السلام حسده إليّس، فقال: يا رب، إن أيوب لم يؤدّ إليك شكر هذه النعمة إلا بما أعطيته من الدنيا، ولو حرمته دنياه ما أدى إليك شكر نعمة أبدًا، فسألتني على دنياه حتى تعلم أنه لم يؤدّ إليك شكر نعمة أبدًا.

ولكي يوضح الباري عز وجل إخلاص أيوب للجميع، ويعلمه نموذجًا حيًا للعالمين، حتى يشكروه حين النعمة ويصبروا حين البلاء، سمح الباري عز وجل للشيطان في أن يسأله على دنيا أيوب.

فقال له الباري عز وجل: قد سألتك على ماله

وولده، قال: فأتهدر إليّس فلم يبق له مالا ولا ولداً إلا أعطيه - أي أهلكه - فآزاده أيوب لله شكراً وحمداً. قال: فسألتني على زرعه يا رب، قال: قد فعلت، فجاء مع شياطينه ففزع فيه قاحرق، فآزاده أيوب لله شكراً وحمداً، فقال: يا رب سألتني على غنمه، فسأله على غنمه فأهلكها، فآزاده أيوب لله شكراً وحمداً، فقال: يا رب سألتني على بدنه، فسأله على بدنه ما خلا عقله وعينه، ففزع فيه إليّس، فصار قرحة واحدة من قرنه إلى قدمه، فبقي في ذلك دهرًا طويلاً يحمد الله ويشكره.

ولكن وقعت حادثة كسرت قلبه وجرحته روحه جرحًا عميقًا، وذلك عندما زلته مجموعة من رهبان بني إسرائيل وقالوا له: يا أيوب لو أخبرتنا بذلك لصلّ الله لك، كل حملكنا إذا سألناه، وما نرى ابتلاك بهذا الابتلاء الذي لم يبتل به أحد إلا من أمر كنت تستره؟ فقال أيوب عليه السلام: لو ضيف يأكل معي.

حقًا إن شجاعة أصحابه كانت أكثر ألقا عليه من أية مصيبة أخرى حلت به، ورغم هذا لم يفقد أيوب صبره، ولم يلهو شكره الصادق - كالماء الزلال - بالكفر، وإنما توجه إلى الباري عز وجل، وذكر الصبابة التي ذكرناها آنفاً، أي قوله تعالى: «أَيُّ مَسِيٍّ الشَّيْطَانُ بِمُضْطَبٍّ وَغَذَابٍ» ص: ٤١.

ولكونه خرج من الامتحان الإلهي بنتيجة جيّدة، فتح الباري عز وجل مرة أخرى أبواب رحمته على عبده الصابر المتحمل أيوب، وأعاد عليه النعم التي افترقها الوحيدة تلو الأخرى، لابل أكثر مما كان يمتلك من المال

والزروع والغنم والأولاد، وذلك كي يفهم الجميع ماهي العاقبة الحسنة للصبر والتحمل والشكر^(١).

بعض كبار المفتنين احتملوا أن الوسواس الشقي وسوس بها الشيطان في قلب أيوب، هي المقصودة من أذى وعذاب الشيطان لأيوب؛ إذ كان يقول له أحياناً، لقد طالت فترة مرضك، ويبدو أن ربك قد نسيتك وأحياناً كان يقول له: مازلت تشكر الله، رغم أنه أخذ منك النعم العظيمة والسلامة والقوة والقدرة

يحتمل أنهم ذكروا هذا التفسير لكونهم يستبعدون إمكانية تسلط الشيطان على الأنبياء كأيوب، ولكن مع الانتهاء إلى أن هذه السلطة أولاً: كانت بأمر من الله، وثانياً: محدودة ومؤقتة، وثالثاً: لامتحان هذا النبي الكبير ورفع شأنه، فلا إشكال في ذلك.

على أية حال، قيل: إن فترة ألمه وعذابه ومرضه كانت سبع سنين، وفي رواية أخرى قيل: إنها كانت (١٨) سنة، وحالته وصلت إلى حد بحيث تركه أصحابه وحتى أقرب المقرين إليه، عدا زوجته التي صمدت معه وأظهرت وفاءها له. وهذا شاهد على وفاء بعض الزوجات.

وأشد ما أذى وآلم روح أيوب عليه السلام من بين ذلك الأذى والعذاب الذي مر به، هو: شماتة أعدائه، لذا فقد جاء في إحدى الروايات أن أيوب عليه السلام سئل بعدما عافاه الله: أي شيء كان أشد عليك مراً فقال: شماتة الأعداء.

في النهاية خرج أيوب عليه السلام سالماً من بؤسة الامتحان الإلهي، ولما نزل الرحمة الإلهية عليه بدأ من

هنا، إذ صدر إليه الأمر: ﴿لِرُكُوعٍ بِرُجُلِكَ هَذَا مُنْكَسِلٌ بَلْوَةٌ وَقَرَابَةٌ﴾ ص: ٤٢، (الرُّكُوعُ) مشتق من «رَكَعَ» التي هي على وزن «كَتَبَ» وتعني ذلك الأرض بالرجل، وأحياناً تأتي بمعنى الركض، وهنا تعطي المعنى الأول، قاله الذي لجأ حين رَمَزَ في صحراء يابسة وحارقة، تحت أقدام الطفل الرضيع إسماعيل، هو الذي يمنح الحركة والسكون والنعمة والخير، والذي أصدر أمراً بضجر عين باردة لأيوب ليشرّب منها ويغتسل بها، لتغسل من كافة الأمراض التي أصابته.

والبحسب يعتقد أن تلك العين تبع منها ماء معدني صالح للشرب، وفيه شفاء لكل الأمراض، ومهما كان ذلك، لحظ الله ورحمته التنازل على نبيه الصابر المقاوم

(مغتسل) يعني الماء الذي يغسل به، والبحسب الآخر (مغتسل) يعني غسله، لكن المعنى الأول أصح. وعلى أية حال فإن وصف ذلك الماء بالبارد، يمكن أن يكون إشارة إلى التأثيرات الخاصة التي يتركها الماء البارد على سلامة الجسم؛ وذلك ما أثبتته الطب الحديث اليوم، إضافة إلى أنه إشارة لطيفة إلى أن كمال ماء النسل يتم إن كان طاهراً وظيفاً كماء الشرب، والشاهد على هذا الحديث، ما جاء في القوله الإسلامية: إذ تقول: بشرب جرعة من الماء قبل الاستحمام به^(٢).

(١) هذه الرواية وردت في تفسير «نور الثقلين» نقلًا عن «تفسير علي بن إبراهيم»، ونفس المضمون ورد في «تفسير الشريفي» و«مفهر الزلزي» و«السنائي» وغيرها، مع اختلاف بسيط.

(٢) وسائل الشفاء المسجلة الأول الباب الثالث عشر من أبواب آداب الحمام الحديث ١٣.

القصة المهمة الأولى التي أُعيدت على أيوب، هي للمغفرة والشفاء والسلامة. أمّا بقية النعم التي أُعيدت عليه، فاستمرها القرآن المجيد: «وَوَفَّيْنَا لَهُ نَهْلَهُ وَمِثْلَهُنَّ مِثْلَهُنَّ زُجْجًا وَنَا وَذِكْرَى لِلْأُولَى الْآتَابِ» ص: ١٣.

وعن كيفية عودة حالته إليه؛ وردت تفسيرات متعددة، أشهرها يقول: إنهم كانوا أمواتاً فأحياهم الله مرة أخرى. ولكن البعض قال: إنهم كانوا قد تفرقوا عنه أيام ابتلاكه بالمرض، فجمعهم الله إليه بعد برئه.

ويحتمل أن جميعهم أو بعضهم ابتلي بمختلف أنواع الأمراض، وقد شملهم الرحمة الإلهية وعادت إليهم صحتهم وعافيتهم، ليجتمعوا مرة أخرى حول أبيهم ويكونوا كالشمة التي يحيط بها نودها. أمّا قوله تعالى: «وَمِثْلَهُنَّ مِثْلَهُنَّ» فإثباتاً إشارة إلى تناسلهم وزيادة عددهم إلى الضعف، وهذا هو المعنى الذي أتاه أيوب إلى الضعف.

رغم أن الآيات لا تستطرق إلى إعادة أموال أيوب إليه، ولكن الدلائل كلها تُبين أن البارئ عز وجل أعاد إليه أمواله أكثر من السابق.

الذي يلفت النظر في آخر الآية - المذكورة أعلاه - أن هدف إعادة النعم الإلهية على أيوب تسند بأمرين الأول: (رَحْمَةً مِنَّا) والتي كان لها صبغة طردية، وفي الحقيقة إنها مكافأة وجائزة من البارئ عز وجل لجهده الصابر المقاوم أيوب.

والثاني: إعطاء درس لكل أصحاب القول والفكر على طول التاريخ، لأخذ الينب من أيوب، كي لا يفتقدوا

صبرهم وتحملهم عند تعرضهم للمشاكل والعصاوت الصعبة، وأن لا يياسوا من رحمة الله، وإنما يزدوا من أمثلهم ونملتهم به.

المشكلة الوحيدة التي بقيت لأيوب عليه السلام هي: قسوته ضرب زوجته؛ إذ كان قد أقسم أيام مرضه، لكن برئ من مرضه ليجلدن امرأته مائة جلدة، لأمر أنكره عليها. ولكن بعدما برئ من مرضه رغب أيوب في العفو عنها، احتراماً وتقديراً لوفائها، ولخدماتها التي قدمتها إليه أيام مرضه، ولكن مسألة القسم بالله كانت تعمل دون ذلك.

وهنا شمل البارئ عز وجل أيوب عليه السلام مرة أخرى بالطفاه ورحمته، وذلك عندما أوجد حلاً لهذه المشكلة لصحة على أيوب: «وَوَفَّيْنَا لَهُ نَهْلَهُ وَمِثْلَهُنَّ مِثْلَهُنَّ زُجْجًا وَنَا وَذِكْرَى لِلْأُولَى الْآتَابِ» ص: ١٣. (يُنْفَت) تعني مل الكف من الحوادث المرفقة، كسحقان الحسنة والتشهير أو الورد وما شابهها.

وهن الأمر الذي أنكرته زوجة أيوب على زوجها والتي تُدعى (ليا) بنت يعقوب، فقد اختلف المفسرون في تفسيره:

فقد نُقل عن ابن عباس: إن الشيطان ظهر بصورته الطبيعية لزوجة أيوب، وقال لها: إني أعاليج زوجك بشرط أن تقولي حينما يتعافى: إني الوحيد الذي كنت التسبب في معافاته، ولأأريد أي أجرة على معاليجته... الزوجة التي كانت متألّمة ومتأثرة بشدة لاستمرار مرض زوجها وافقت على الاقتراح، وعرضته على زوجها أيوب فيما بعد، فتأقر أيوب كثيراً

لوقوع زوجته في شرك الشيطان، وحلف أن يعاقب زوجته.

أولاً: مقام صبره.

ثانياً: صبره وتحمله ونباهه.

ثالثاً: إنباته المتكررة إلى الله.

وقال البعض: إن أيوب بث زوجته لمتابعة عمل ماء فتأخرت في العودة إليه، فتأثر أيوب الذي كان يعاني من آلام المرض، وحلف أن يعاقب زوجته.

على أية حال فإن زوجته كانت تستحق الجزاء من هذا الجانب، أما من جانب وفائها وخدمتها أيوب طويلاً فحرة مرطه، فإنه يجعلها تستحق العفو أيضاً.

هذا إن ضربها بمجموعة من سيقان الحسطة أو الشمير لأتخطي مصداقاً واقعياً لعقابه، ولكنه قد هذا الأمر لحفظ احترام اسم الله، والحيلولة دون إتساع

مسألة انتهاك القوانين، وهذا الأمر ينقد فقط بشأن الطرف الذي يستحق العفو، وفي الموارد الأخرى التي لا تستحق العفو لا يجوز لأحد القيام بمثل هذا العمل (١).

الآية الأخيرة في بحثنا هذا - التي هي بمثابة حكاية القصة من أولها حتى آخرها - تقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ ضَالًّا﴾. نعم انقذ الله إكراماً ص: ٤٤.

ومن الواضح أن دعاء أيوب اليارئ عزوجل، وطلبه دفع الوسواس الشيطانية عنه، ورفع البلاء والمرض عنه، كل هذه لا تتنافى مع مقام صبره وتحمله، ذلك الصبر والتحمل - الذي استمر لعقبة سبع سنين، وفي روايات أخرى لمدة ثمانية عشر عاماً - للأوجاع والأمراض، والفقر والعسر، واستمرار الشكر.

الذي يلفت النظر في هذه الآية أنها أعطت ثلاثة أوصاف لأيوب، كل واحد منها إن توفّر في أي إنسان فهو إنسان كامل.

ملاحظات:

١- دروس مهمة في قصة أيوب

رغم أن قصة هذا النبي الصابر أدرجت في أربع آيات في هذه السورة، إلا أنها وضعت حقائق مهمة، منها:

١- الامتحان الإلهي واسع وكبير جداً، ويشمل حتى الأنبياء الكبار، إذ يكون امتحانهم أشد وأصعب من الآخرين، لأن طبيعة الحياة في هذه الدنيا تهيئ على هذا الامتحان، ومن دون هذا الامتحان، فإن الإمكانيات والطاقات الكامنة في الإنسان لا تنفجر.

ب- المخرج بعد الشدة نقطة أخرى تكمن في مجربات هذه النفقة، فعندما نشد أمواج الحوادث والبلاء على الإنسان وتعيط به من كل جانب، عليه أن لا ييأس ويفقد الأمل، وإنما عليه أن يدرك أنها بداية تفتح أبواب الرحمة الإلهية عليه، كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «عند تنامي الشدة تكون الفرجة، وعند تضيق خلق البلاء يكون الرخاء» (٢).

ج- مجربات هذه القصة توضح بصورة جيدة بعض

(١) نظير هذا المعنى ورد في باب العبادة الإسلامية

وتنفيذها بحق المرضى المذنبين (كتاب الحدود أبواب

حد الزنا).

(٢) نوح البلاء، فصل الكلمات، الكلمة ٣٤٦.

فلسفات البلاء والمخاوف الصعبة في الحياة، وتجييب على أولئك الذين يعتبرون وجود الآفات والبلايا مادة متناقضة ضد برهان النظم في بحوث التوحيد، وإن وجود مثل هذه المخاوف الصعبة والشديدة في حياة الإنسان - من أنبياء الله الكبار وحتى عموم الناس - يعدّ أمراً ضرورياً، لأن الامتحان - كما ذكرنا - يُفجّر طاقات الإنسان الكامنة، ويوصله في آخر الأمر إلى التكامل في وجوده.

لذا فقد ورد في الروايات الإسلامية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، الْأُمْلُ هَالِكٌ مِثْلُهُ»^(١)، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ فِي الْمَسْئَةِ مِثْلَةَ لَا يَهْلِكُهَا إِلَّا بِالْإِبْلَاءِ»^(٢).

د - أحداث هذه القصة تطي درسا في الصبر لكل المؤمنين الوافقين الرساليين، الصبر والتحمل عند يتعبه الظلم والانتصار في كل المجالات، ونيل المقام المصود، والمغزلة الرقيقة عند الباري عز وجل.

هـ - أحياناً يكون امتحان شخص ما، هو امتحان في نفس الوقت لأصدقائه وللمحيطين به، كما عرف حجم صداقتهم ومحبتهم إياه، ومقدار وفائهم له، فعندما فقد أيوب أمواله وثوراته وصعته تفرق عنه أصحابه، ولم يكتفوا بالانتماء عنه، وإنما اتحدت ألسنتهم مع ألسنة أعدائه في الضمائم به وإلقاء اللآمة عليه، وكشفوا بفسادهم هذه من حقيقة أنفسهم. وكما لاحظنا فإن أيوب كان يتألم من جراح ألسنتهم أكثر من تألمه من بقية الآلام، لأنّ لكل المعروف يقول مامعناه: جراح الكلام ليس لها

التمام

و - أحبّاء الله ليسوا أولئك الذين يذكرون الله إن أنعم عليهم، وإنما أحبّاء الله الواقعيون هم أولئك الذين يذكرون الله دائماً في السراء والضراء، وفي البلاء والنعمة، وفي المرض والعافية، وفي الفقر والغنى، وإن تأثيرات الحياة المادية لا تترك حلل إيمانهم وأفكارهم أدنى أثر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الخاصة بوصف المتقين التي بينها لصاحبه المخلص همام، واستعرض فيها أكثر من (١٠٠) صفة للمتقين، قال في إحدى تلك الصفات: «نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتّي نزلت في الغناء».

ز - هذه القصة أكدت مرة أخرى حقيقة أنّ فقدان الإمكانيات المادية، ونزول المصائب، وحلول المشاكل لا تعني عدم شمول الإنسان بلطف الباري عز وجل، كما أنّ امتلاك الإمكانيات المادية ليس دليلاً على بُعد الإنسان عن الله سبحانه وتعالى، وإنما يمكن أن يكون الإنسان عبداً مقرباً لله مع امتلاكه للكثير من الإمكانيات المادية، بشرط أن لا يكون عبداً لأسواله وأولاده، ومقامه الدنيوي، وإن فقدتها لا يفقد الصبر معها.

٢- أيوب عليه السلام في القرآن والتوراة

رغم أنّ الباري عز وجل أعاد بالوجه الظاهر لهذا النبي الكبير، الذي هو مظهر الصبر والتحمل، في قرآنه الجيد، في أول القصة الخاصة به وفي آخرها، فإنّ قصة

(١) سنن البزار مادة (بلاء) المسجل الأول الصفحة ١٠٥.

(٢) سنن البزار مادة (بلاء) المسجل الأول الصفحة ١٠٥.

ثلاثة أنبياء كبار أطلقت عليهم صفة (أواب) في هذه السورة، وهم: داود وسليمان وأيوب، وفي سورة (ق) في الآية: ٣٢، أطلق هذا الوصف على كل أهل الجنة، قوله تعالى: ﴿هَذَا ضَرْبٌ مِّنْ ثَوَابٍ كَثِيرٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

هذه المবারات تُبين أن مقامه في المقام الأصل، وعندما نرجع إلى مصادر اللغة نشاهد أن كلمة (أواب) مستقاة من كلمة «أوب» وتعني الرجوع والعودة.

ولن هذا الرجوع والعودة - خاصة وأن كلمة (أواب) هي اسم مبالغة تعني كثرة الرجوع وتكراره - يشير إلى أن الأوابين حساسون جداً تجاه الأسباب والمولم التي تُبعدهم عن الله، كالزرق ويريق الزخارف المادية في أعينهم، ووساوس النفس والشيطان، وإن لم يلاحظوا لحظة واحدة عن الله هادوا إليه بسرعة، وإن غفلوا عنه لحظة تذكروه إلى إصلاح تلك اللحظة من

هذه العودة يمكن أن تكون بمعنى العودة إلى طاعة أوامر الله واجتناب نواهيه، أي أن أوامره هي مرجعهم وسندهم أينما كانوا.

وكلمة (أواب) التي جاءت في الآية العاشرة من سورة سبأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ﴾. وهو ترديد الصوت، إذ إن الأوامر صدرت إلى الجبال والطيور أن ترددي الصوت مع داود، ولهذا فإن (أواب) تعني كل من يُردد الأوامر الإلهية والتسبيح والحمد الذي تُردده كل موجودات للكون، حسب قوانين الخلقة، ومما يذكر أن أحد ساني كلمة (أيوب) هي (أواب). (المثل ١٤: ٤٦٩)

هذا النبي الكبير - بما يؤسف له - لم تُحفظ من أيدي الجهلة والأعداء، حيث دُشوا فيها خرافات تأفهة لاتليق بمقامه المسمود المنزه عنها والمطهر منها، ومن تلك الخرافات القول: بأن النود خطي بدته أثناء فترة مرضه، وتمنن جسده بحيث أن أهل قريته ضاقوا به ذرعاً، وأخرجوه من قريتهم.

ودون أدنى شك، فإن مثل هذه الروايات مزيفة رغم ورودها في طيات كتب الحديث، لأن رسالة الأنبياء تفرض أن يكون النبي المرسل - في أي زمان - بعيداً عن مثل تلك التقلبات، كي يجذب إليه الناس برغبة وشوق، وأن لا تتوثر فيه أُمُشياء تكون سبباً لتفرهم فيه وابتمادهم عنه، كالأمراض والمعيوب الجسدية والأخلاق السيئة، لأنها تتناقض مع طهارة الرسالة. فالقرآن الجيد يقول بشأن رسول الله ﷺ في الآية: ١٥٦، من سورة آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَخَلِئَ فِي رُءُوسِهِمْ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَخُمِضُوا بَلَدًا بَعِيدًا﴾.

وهذه الآية دليل على أن النبي يجب أن لا يكون بمهالة تجعل المحيطين به يتفرقون عنه. ولكن ورد في السورة جزء خاص بأيوب وقبل موضوع «مزاليم داود» وهذا الجزء يشتمل على (٤٢) فصلاً، كل فصل يشرح مواضع مختلفة. وقد وردت في بعض النصوص مواضع سيئة وقيحة، ومنها ماورد في الفصل الثالث، والذي يقول: إن أيوب كان كثير الشكوى في حين أن القرآن الكريم كان يعظم ويشيد بمقام صبره وتحمله.

٢- إطلاق صفة (أواب) على الأنبياء الكبار

الأصول اللغوية

١- قال علماء العربية فيه: هو عبري مشتق من الأوب، أي الرجوع، لأنه كان يزوب إلى الله في كل أعماله، فهو أوب ورجاع. وأصله: «أيووب» على وزن «فعلول» فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون، فأدغمت الواو في الياء فصار «أيووب».

وقالوا أيضًا: هو اسم أعجمي. وقال علماء العبرية: هو عبري، ومعناه الرجوع^(١)، أو القائب^(٢).

٢- وإن سلمنا بأنه عربي - كما قيل - فلماذا منع من التصرف؟

ولم يمنع من التصرف سوى العجمة والتصريف، فهو اسم عبري. أصله «أيووب»^(٣) بكسر الهمزة ثم فتح هزته، لإخفائه بوزن الألفاظ العربية التي جاءت على وزن «فعلول» مثل: كَيْسوم وخَيْطوب ويَتَوَرَّع ويَتَوَرَّع. وهي أسماء مواضع^(٤).

٣- واختلف في العصر الذي عاش فيه أيوب، فيرى بعض أنه كان قبل إبراهيم عليه السلام، وبعض يرى كونه بعده. وهذا الاختلاف ناشئ عن جهلهم بأيوب نفسه، فذهب معظمهم إلى أنه من أحفاد إبراهيم، فقالوا: هو أيوب بن زارح ■ دعويل بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم.

واختلفوا في أبيه، فقالوا: هو موسى بن زارح، أو موسى بن دعويل، أو زارح بن موسى.

ثم دوماً يؤيد صحة الرأي الأخير ما جاء في العهد القديم حول ذهاب ماله: «الكلدانيون عثوا ثلاث فرس فجهموا على الجمال وأخذوها وخرّبوا السلمان بمعدّ

الشيء^(٥)، إذ يستفاد من ذلك أن أيوب كان يعيش في عصر الكلدانيين الذين حكموا بابل خلال الألف الأول قبل الميلاد، أي بعد عصر إبراهيم بما يقرب من ألف عام. وإن أخذنا بسلسلة النسب المذكورة، فإن مجموع أعمار آباء أيوب المذكورين فيها تقدّر بالفاصلة الزمنية بين عصر إبراهيم وعصر أيوب.

ولكن هذه السلسلة لا تعود إلى أيوب، وإنما تعود إلى شخص آخر مذكور في التوراة يدعى «يوباب» وهو ابن زارح حفيد العيص^(٦)، إلا أن يكون «يوباب» هو أيوب نفسه، كما قال اليعاقبي^(٧). وسنعلم أن السياق القرآني يوافق الرأي الأخير، حيث يذكره في عداد أنبياء بني إسرائيل.

الاستعمال القرآني

١- جاء أيوب في أربع آيات، منها واحدة فقط مدنية، وهي ما جاءت في سورة النساء:

١- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ - أي لإبراهيم - إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُشْكِينِينَ ﴿٢٠٠﴾ وَذَكَرْنَا فِي عِيسَى وَإِسْمَاعِيلَ

(١) قاموس الكتاب المقدس - هاكس (١٩٩٦).

(٢) تاريخ اللغات السامية - إسرائيل ولفسون (١٩٠٠).

(٣) الكثر - محمد بدر (١٣٠٠).

(٤) جمهرة اللغة - أمين دؤيد (٢٣٨٨).

(٥) أيوب (١٧٠).

(٦) التكوين (٣٦: ٣٣).

(٧) تاريخ اليهودية (١: ٢٠٦).

كُلِّ مِنَ الْعَالَمِينَ ۖ وَاسْمِعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَنُوحًا
وَكُلًّا قَدْ جَعَلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ۚ (الأحزاب: ٨٤-٨٦)

٢- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ
وَالْيُسُفَ بْنِ بَدِيعٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْإِسْهَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجِبْرِيلَ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ
وَشَلْتِينَ وَأَيُّوبَ دَاوُدَ وَزَكَرِيَّا ۚ (النساء: ١٦٣)

٣- ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۚ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ
وَأَعْتَدْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ
لِلْعَالَمِينَ ۚ (الأنبياء: ٨٣، ٨٤)

٤- ﴿وَلَذِكْرُ عَبْدِنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ
الشَّيْطَانُ بَطْشًا وَجَذَابًا ۚ أَرْكَسَ بِرَجُلَيْهِ هَذَا مُفْتَلًا
بَارِدًا وَشَرَابًا ۚ وَوَعَيْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا
وَذِكْرَىٰ لِلْأُولَىٰ الْأَلْبَابِ ۚ وَخَذَّ بَيْتَهُ جَنًّا فَاضْرِبْ بِهِ
وَلَا تَخَفْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْقَبُولُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۚ (ص: ٤١-٤٤)

وبلاحظ أولاً: أَنَّ أَيُّوبَ ذَكَرَ فِي «الْأَنْبِيَاءِ»
و«النساء» فِي عِدَادِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَجَمَلَةٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ ذَكَرُوا
فِي «الْأَنْبِيَاءِ» وَ«ص» أَيْضًا فِي آيَاتٍ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ. وَهَذَا
السياق الواحد يشهد بِأَنَّ أَيُّوبَ كَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
وَلَيْنَ كَانَتْ لَا تَقْصَحُ عَنْ طَبَقَتِهِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَ«ص»
عَصَرِهِ.

على أَنَّهُ جَاءَ فِي «الْأَنْبِيَاءِ» بَعْدَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَشُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ...﴾ أَيُّ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ أَوْ يَعْقُوبَ. وَهَذَا

صريحٌ فِي أَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَظَاهِرٌ فِي كَوْنِهِ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّهُ كَانَ بَعْدَ سُلَيْمَانَ وَقَبْلَ يُوسُفَ إِنْ افْتَرَضْنَا
أَنَّهُمْ ذَكَرُوا فِي الْقُرْآنِ بِحَسَبِ تَوَالِي زَمَانِهِمْ. وَلَكِنَّهُ
مَرْفُوضٌ لِأَنَّهُ ذَكَرَ فِي «النساء» بَعْدَ عِيسَى وَقَبْلَ يُونُسَ
وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي التَّصْوِصِ عَنْ أَبِي حَيَّانَ وَجْهٌ لَطِيفٌ
لِذِكْرِهِ مَعَ يُوسُفَ وَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ، فَلَا حَظَّ. كَمَا أَنَّهُ ذَكَرَ
لُوطَ فِي «الْأَنْبِيَاءِ» بَعْدَ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ، وَهُوَ مُعَاصِرٌ لِإِبْرَاهِيمَ
لَطْفًا، وَلَيْنَ أُخِذَ، كَمَا قِيلَ.

وَنَائِيًا: أَنَّهُ جَاءَ ذِكْرُهُ فِي «الْأَنْبِيَاءِ» وَ«ص» الْمَكْتَبِينَ
فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ هُوَ شِدَّةُ اهْتِلَافِهِ وَالتَّجَاهُ إِلَى اللَّهِ، وَرَفَعَهُ
عَنْهُ وَلِجَعَادَةِ أَهْلِهِ وَنَعْمَةِ عَلَيْهِ، وَفِي «ص» لِلْعَمَلِ
لِغَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِ، لَيْسَ فِي غَيْرِهَا، وَهُوَ رَكُوعُ الرَّجُلِ
وَالْمُتَمَسِّكِ. وَالشَّرَابُ، وَأَخَذَ الْفَتْنَةَ وَغَيْرِهَا. وَفِي آخِرِ
الآيَةِ: ﴿وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْقَبُولُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۚ وَهَذَا
مُاجِعُهُ لَمْ يُوْجَدَ لِلصَّبْرِ وَالتَّصَبُّرِ فِي الْبَاسَاءِ وَالْفِتَرَاءِ،
يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ.

وَحَالُ أَيُّوبَ هَذِهِ تَنَاسَبَ حَالِ النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ بِمَكَّةَ
فِي كُرَّةِ الْبَلَاءِ وَشِدَّتِهِ، وَأَنَّهُ يَنْهِي لَهُمُ الْاِقْتِدَاءَ بِأَيُّوبَ،
وَهَذَا جَاءَتْ الْقِصَّةُ فِي الْمَكْتَبَاتِ، «لَا حَظَّ لِإِسْحَاقَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ».

وَكَلِمَةُ «أَيُّوبَ» تَصْلُحُ لِتَسْمِيَةِ أَيُّوبَ وَإِنْ كَانَتْ
جَعْرِيةً، فَالْجَعْرِيةُ وَالْعَرَبِيَّةُ مُتَقَارِبَتَانِ فِي مَادَّةِ الْأَلْفَاظِ
وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا - كَمَا قِيلَ - هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ غَسِّ الْكَلِمَتَيْنِ:
الْجَعْرِيةُ وَالْعَرَبِيَّةُ. إِلَّا أَنَّهُ أَيْضًا مَرْفُوضٌ، لِأَنَّ اسْمَهُ كَانَ
أَيُّوبَ قَبْلَ هَذَا الْاِجْلَاءِ، وَالْمُنَاسَبَةُ إِنَّمَا تَصَحُّ إِذَا سَمِيَ بِهِ

بعد الابتلاء والعصيان.

وثالثاً: جاء في «الأنبياء» أنه نادى ربه: ﴿أَنِّي مَسْنُونٌ
الضُّرُّ﴾. وفي «مريم»: ﴿أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِغُطْبٍ
وَعَذَابٍ﴾ وقد بحث العلامة القطباني في أن الضُّر هل

نفس الضُّر والعذاب أم غيره؟ وأنه كيف سلط الله
الشيطان عليه؟ وهل الضُّر من مس الشيطان أو من
تقدير الله؟ إلى غير ذلك من الأبحاث. فلاحظ
«الميزان». (١٧: ٢٠٨)



حرف الباء

وفيه ٨٨ لفظاً:

بابل	بدع	برم	بطش	بقل	بهت
بئر	بدل	برهن	بطل	بقي	بهج
بئس	بدن	بزغ	بطن	بكر	بهل
بتر	بدو	بسر	بعث	بكة	بهم
بتك	بذر	بسيس	بعثر	بكم	بوا
بقل	برأ	بسط	بعد	بكي	بوب
بثث	برج	بسق	بعر	بلد	بور
بجس	برح	بسل	بعض	بلس	بول
بحت	برد	بسم	بعل	بلع	بيت
بحر	برر	بشر	بغت	بلغ	بيد
بخس	برز	بصر	بغض	بلو	بيض
بخع	برزخ	بصل	بغل	بلي	بيع
بخل	برص	بضع	بغى	بتن	بين
بدأ	برق	بطأ	بقر	بنو	
بدر	برك	بطر	بقع	بني	



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

باب ل

بابل

لفظ واحد، مرة واحدة مذكورة في سورة مدنية

النصوص اللغوية

(١١: ٣٢٧)

لا ينصرف ما دام اسمًا للمؤنث.

الخليل، البليل: طائر يكون في أرض الحرم. حيث

(الأزهرى ١٥: ٣٤٢)

الصوت، يألف الحرم

أبوزند، بئلت ما هناك بلالاً خديداً - الباء كسر -
ولي صدري ببال، وهو الهم الذي عُثت به نفسك.

والبليلة: عُرْبٌ من الكيزان في جنبه بئيل، ينصب
منه الماء.

(١٩٧)

والبليلة: وسواس الموم في الصدر، وهو البلبال.

والجميع: البلبال.

ابن الأعرابي: البليلة: الشجرة، وهي الخودج

للحرائر، والبليل: العنديل، (الأزهرى ١٥: ٣٤٠)

والبليلة: بليلة الألسن المختلفة، يقال - والله أعلم -:

بئيل متاعه، إنا فرقه وبدده. والبليل:
الكثيبت.

إن الله عز وجل لما أراد أن يخالف بين السنة بني آدم بين
ريحا فعشرتهم من كل أفي إلى بابل فبئيل الله بها
ألسنتهم، ثم فرقتهم تلك الترج في البلاد. (٨: ٣٢٠)

تغلبه غلام بئيل: خفيف في السفر.

الأخفش: «بابل» لم ينصرف لتأنيته، وذلك أن اسم

(ابن منظور ١١: ٦٩)

ابن فرند: البليلة: الحسرة والاضطراب، تبئيل
القوم بئيلة، ولبالاً ولبالاً.

كل مؤنث على حرفين أو ثلاثة أحرف أو عليها ساكن
فهو ينصرف، وما كان سوى ذلك من المؤنث فهو

والْبَيْتَةُ أيضًا: ما يحده الإنسان في قلبه من حركة حزن، وهو البَيْتَال أيضًا.	البَيْتَال: وهو البَيْتَال.
والْبَيْتَال: الرجل الخفيف فيما أخذ فيه من عمل أو غيره.	البَيْتَال: سمك قدر الكف. (الإفصاح ٢: ٩٧٥)
والْبَيْتَال: لحم صدقة - لغة يمانية - وهو القَيْطَب واللقاع أيضًا، وهذا الطائر الذي يسمى البَيْتَال نسبة بالرجل الخفيف، والعرب نسبة الكَثِيت. (١: ١٢٩)	ابن الأثير: في حديث علي عليه السلام قال: «إِنَّ جِيءَ نَهْأَي أَنْ أَصْلَى فِي أَرْضِ بَابِلَ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ». بَابِلُ هَذَا الصُّغْعُ الْمُرُوفُ بِالرَّاقِ، وَاللَّهُ غَيْرُ مَهْمُوزَةٍ. (١: ٩٠)
الْأَزْهَرِيُّ: رَجُلٌ بِلَالٌ: خفيف اليدين، لا يعلى عليه شيء. (١٥: ٣٤٢)	القُرْطُبِيُّ: «بَابِل» لا ينصرف للتأنيث والتعريف والشجعة، وهي قطر من الأرض.
الْجَوْهَرِيُّ: الْبَيْتَةُ وَالْبَيْتَال: الهم، ووسواس الصدر. والبَيْتَال: طائر. والبَيْتَال من الرجال: الخفيف. [ثم استشهد بـ]	قيل: سمي [بَابِل] لِتَبَيُّنِ الْأَكْثَرِ بِهَا حِينَ سَلَطَ صَرْحُ نَمُود. (٢: ٥٣)
وَتَبَيَّنَتِ الْأَكْثَرُ: أي اختلطت. وَتَبَيَّنَتِ الْإِبِلُ الْكَلَأُ، إِذَا تَبَيَّنَتْ فَلَمْ تَدْعَ مِنْ شَيْءٍ.	الفيرول ابادي: بَابِلُ كصاحب موضع بالعراق، وإليه ينسب الشعر والحمر، والبَابِلُ: السَّمُ كالبابلية. (٣: ٣٤٢)
ابن فارس: يقال: بَيْتَالُ الْقَوْمِ، وتلك ضجعتهم. والبَيْتَال من الرجال: الخفيف، وهو المشبه بالطائر الذي يسمى البَيْتَال، والأصل فيه الضنوت. والجمع: بِلَال. [ثم استشهد بـ]	المصطفوي: هذه الكلمة مركبة من ب = باب، بمعنى المشب واللوح الممتد بين السفين والبر أو البحر المضيق، و = بِل، بمعنى الله، أو من كلمة ب = بابا، بمعنى الباب. (١: ١٩٠)

النصوص التفسيرية والتاريخية

بَابِل

...وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ خَارُوتَ وَقَارُوتَ...	البقرة: ١٠٢
ابن مسعود: (بَابِل) هي بَابِلُ الرَّاقي، لأنَّه تَبَيَّنَتِ بِهَا الْأَكْثَرُ.	(الطبرسي ١: ١٧٥)
نحوه عائدة.	(الطبرسي ١: ٣٧٤)

البَيْتَالُ وَالْبَيْتَالِي: الخفيف في السفر المجرى.	(الإفصاح ١: ٢٧٣)
البَيْتَالِي: كَوْزٌ فِيهِ بَيْتَالٌ إِلَى جَنْبِ رَأْسِهِ. وَالْبَيْتَالُ مِنَ الْكَوْزِ: قَنَاقَةُ الَّتِي تَصَبُّ الْمَاءَ.	(الإفصاح ١: ٥٨٨)
البَيْتَالُ وَالْبَيْتَالِي: شدة الهم والوساوس، الجمع:	

(إثنا الكوفة وسوادها. (ابن الجوزي ١: ١٢٥)

ابن عثان: بلد في سواد الكوفة.

(الأكوسي ١: ٣٤٢)

ابن نوح رحمته الله هبط إلى أسفل الجودي لجنى قرية ومقاهها ثمانين، فأصبح ذات يوم وقد تجملت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداهما اللسان العربي، وكان لا يفهم بعضهم عن بعض. (القرطبي ٢: ٥٣)

أنس بن مالك: ■ حشر الله الخلائق إلى بابل بمثل إليهم ريحا شرقية وغربية وقلبية وبحرية فجمعتهم إلى بابل، فاجتمعوا يومئذ ينظرون لما حشروا له، إذ نادى مناد: من جبل المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره واقصد إلى البيت المحرم بوجهه، فله كلام أهل السماء. فقام يقرب بن قحطان فقيل له: يا يقرب يسر قحطان بن هود أنت هو، فكان أول من تكلم بالعربية. فلم يزل المتادي ينادي من قتل كذا وكذا فله كما

وكذا، حتى افرقوا على اثنين وسبعين لسانا، وانقطع الصوت وتكلمت الألسن، فسُميت «بابل» وكان اللسان يومئذ بابليا. (القرآني ١: ٩٦)

الحسن: بابل: الكوفة. (الزبيدي ٧: ٢١٩)
قتادة: (بابل) هي من نصيبين إلى رأس العين. (الأكوسي ١: ٣٤٢)

السدي: (إثنا بابل دنباوند. (الطبري ١: ٤٥٩)
(إثنا جبل في وهدة من الأرض.

(ابن الجوزي ١: ١٢٥)

الكليبي: إن مدينة بابل كانت اثني عشر فرسخا في مثل ذلك، وكان بابيا مما يلي الكوفة، وكانت الفرات

تجري ببابل حتى صارها بخت نضمر إلى موضعها الآن، عفاة أن تُهدم عليه سور المدينة، لأنها كانت تجري معه ومدينة بابل بناها بيوراسف النبطي، واشتق اسمها من اسم للشرقي، لأن بابل باللسان البابلي: الأول، اسم للشرقي. (الزبيدي ٧: ٢١٩)

أبو معشر: الكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون ببابل في الزمن الأول، ويقال: أول من سكن ببابل نوح عليه السلام وهو أول من صرّها، وكان نزلها بمقرب الطوفان، فار هو ومن خرج معه من السبئية إليها لطلب الذهب فأقاموا بها وتاسلوا فيها، وكفروا من بعد نوح عليه السلام.

ملوكها عليهم ملوكا وابتوا بها مدائن، فصارت ملوكهم تتصل بدجلة والفرات إلى أن بلغوا من دجلة إلى أسفل كشكر. ومن الفرات إلى ساوراء الكوفة، وهو الذي يقال له: السواد.

وكانت ملوكهم تزل ببابل، وكان الكلدانيون جنودهم فلم تزل ملكتهم قافلة إلى أن قتل «دارا» آخر ملوكهم، ثم قتل منهم خلق كثير، فذلوا وانقطع ملكهم، كذا في «معجم البلدان». (الزبيدي ٧: ٢١٩)

الطبري: (بابل) قرية أو موضع من مواضع الأرض. (٤٥٩: ١)

الكوفي: بابل: قرية صغيرة إلا أنها أقدم أبنية العراق، ونسب ذلك الإقليم إليها لقدمها، وكانت ملوك الكنعانيين وغيرهم يقيمون بها، وبها آثار أبنية تشبه أن تكون في قديم الأيام مصرا عظيما. ويقال: إن الفخاخ أول من بنى ببابل. (مسالك لمالك: ٨٦)

المعجم في قته لغة القرآن ... ٤

(١٦٣٠: ٤)

(٥١)

ابن عَطِيَّة: (بابل) لا يتصرف للتأنيث والتعريف، وهي قطر من الأرض، واختلف أين هي؟

فقال قوم: هي في العراق وما والا، وقال ابن مسعود لأهل الكوفة: أنتم بين الحيرة وبابل، وقال قتادة: هي من نصيبين إلى رأس العين، وقال قوم: هي بالمغرب، وهذا ضعيف، وقال قوم: هي جبل معاوند (١٨٦٦)

الحقوقي: بابل: اسم ناحية، منها الكوفة والحلة، يُنسب إليها الشعر والخمر.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ قال أبو المجدل: (بابل) الكوفة، وقال يزجريد بن مهندل: يقول المعجم: إن الضحالة الملك - الذي كان له برصهم كالكوفة -

وسمى أعين - بنى مدينة بابل العظيمة، وكان ملكه ألف سنة إلا يوماً واحداً ونصفاً، وهو الذي أسره أفريدون الملك وصيره في جبل دُبابوث، واليوم الذي أسره فيه يسمونه الهوس عيداً، وهو للمهرجان.

قال: فأما الملوك الأوائل، أممي ملوك الأنبط وفرعون إبراهيم فإنيهم كانوا نزلاً ببابل، وكذلك بحث نصر، الذي يزعم أهل السيرة أنه من ملك الأرض بأسرها، انصرف - بعدما أحدث بني إسرائيل ما أحدث - إلى بابل فسكنها. [ثم ذكر مثل الكلي وأضاف]

ولما استتم بناؤها جمع إليها كل من قدر عليه من العلماء، وبني لهم اثني عشر قصراً، على صدد الزواج،

ومعها بأسياتهم، فلم تزل عامرة حتى كان الإسكندر، وهو الذي خربها.

[ثم نقل قول مالك بن أنس إلى أن قال:]

وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل دهقان القلوجة عن عجائب بلادهم، فقال: كانت بابل سبع مئذنين، في كل مدينة أصعوبة لست في الأخرى، فكان في المدينة التي نزلها الملك بيت فيه صورة الأرض كلها برساتها وقربانها وأنهاها، فسق القوي أحد يحمل الخراج من جميع البلدان، خرق أنهارهم فخرقهم وأتلف ذروعهم وجميع ما في بلادهم، حتى يرجعوا عما هم به، فبسط بأصعد تلك الأنهار فيستد في بلادهم.

وفي المدينة الثانية حوض عظيم، فإذا جمعهم الملك للصور ما نذته حمل كل رجل ممن يحضره من منزله شراً ما يختاره، ثم صبه في ذلك الحوض، فإذا جلسوا للشراب شرب كل واحد شرايه الذي حمله من منزله. وفي المدينة الثالثة طبل مطلق على بابها، فإذا غاب من أهلها إنسان وخفي أمره على أهله وأحبوا أن يعلموا أحوال صاحبهم لم يمت، ضربوا ذلك الطبل، فإن سمعوا له صوتاً فإن الرجل حي، وإن لم يسمعوا له صوتاً فإن الرجل قد مات.

وفي المدينة الرابعة امرأة من حديد، فإذا غاب الرجل عن أهله وأحبوا أن يعرفوا خبره على صحتته، أتوا تلك المرأة فنظروا فيها فرأوه على الحال التي هو فيها.

وفي المدينة الخامسة لوزة من نحاس على عمود من نحاس، منصوب على باب المدينة، فإذا دخلها جاسوس

صوتت الأوزة بصوت سمعه جميع أهل المدينة، فيعلمون أنه قد دخلها جاسوس.

وفي المدينة السادسة قاضيان جالسان على الماء، فإذا تقدّم إليهما الحصان وجلسا بين أيديهما خاص المبطل منها في الماء.

وفي المدينة السابعة شجرة من نخاس ضخمة كثيرة الفصوص لا تكلّل ساقها، فإن جلس تحتها واحد أظلمت إلى ألف نس، فإن زادوا على الألف ولو بواحد صاروا كلهم في الشمس.

قلت: وهذه الحكاية كما ترى خارقة للعادات، بعيدة من المهورات، ولم أجد لها في كتاب العلماء لما ذكرتها، وجميع أعيان الأمم القديمة مثله، والله أعلم. (١: ٢٠٩، ٢١٠)
البيضاوي، غرر أو حال من (السلكين) أو الضمير في (أنزل)، والمشهور أنه بلد من بلاد الكوفة.

نحوه الشريفي (١: ٨٢)، وأبو السود (١: ١٠٨).
الأوسي: [بعد ذكر قولين في تسمية بابل قال:]
وعندي في القولين تردد بل عدم قبول، والذي أميل إليه أن (بابل) اسم أصعبي كما نص عليه أبو حيان، لا عربي كما يشير إليه كلام الأحنف، وأنه في الأصل اسم للنهر الكبير في بعض اللغات الأعجمية القديمة، وقد أطلق على تلك الأرض لقرب الفرات منها، ولعل ذلك من قبيل تسمية «بغداد» دار السلام بناء على أن «السلام» اسم لرجلة، وقد رأيت لذلك تفصيلاً لأدريه اليوم في أي كتاب، وأظنه قريباً مما ذكرته، فليحفظ.

(١: ٣٤٢)

وشيد رضا؛ إن (بابل) بلدة قديمة كانت في سواد الكوفة، قبل الكوفة. في أشهر أقوال المفسرين - ويؤخذ من بعض كتب التاريخ أنها كانت في الجانب الشرقي من نهر الفرات بعيدة عنه. ويقال: إن أصل اشتقاقها في المبرانية يدل على «المخاطة» إشارة إلى ما يرويه الفيرانيون من اختلاط الأكنة هناك. (١: ٤٠٨)

هو تسماء: بابل، هي مدينة بابلون القديمة على شاطئ الفرات، وهي على خط عرض ٤١ ٣٠ ٣٢ شمالاً وخط طول ٣٠ ٢٢ ٤٤ شرقاً جرينوتش.

كان لمدينة بابلون القديمة عند المسلمين - وعندنا أيضاً - شأن أعظم من شأن المدينة التي كانت لا تزال موجودة في صدر الإسلام.

وكل ما يعرفه المسلمون عن (بابل) مأخوذ من ثلاثة مصادر: يهودية أو فارسية أو مسيحية.

ولكننا نعرف في وضح حال إذا كانت معلوماتهم التي يمكن ردّها إلى الكتاب المقدس قد وصلت إليهم هل يد اليهود أو النصارى.

وقد قيل: إن آدم نفسه بعد خروجه من الجنة وكذلك قابيل وهابيل كان مقامهم في بابل، وقيل: إنهم كانوا في المدينة الموزعانية ببابلون أو بابليون في القسطنطينية (باقوت، ج ١، ص: ٤٥). ودوي فن نوحا بن كوش بن حام وأبنائه استقروا في بابل بعد الطوفان (ابن خردادبه، ص ٧٧، الطبري، ج ١، ص ٢١٧، باقوت، ج ١، ص: ٤٤٢، ٤٤٧).

ويقول ابن الفقيه، ص: ١٩٦: إن أول مدينة بنيت في العالم هي حرّان والقانية بابل، وينسب سرج بابل إلى

الشمرود، ويسمى «المجدل» (البكري ص: ١٣٦). وقيل: إن الله فرّق لبناء نوح في الأرض من بابل وفيها تلبلت الألسن، وصلة اسم بابل بهذه القصة من الناحية اللغوية أمر معروف (انظر سفر التكوين: الإصحاح ١١، لفرة ٩، ابن رسته، ص: ١٠٨، المسعودي، كتاب التبيين، ص: ١٩٧، البكري، المصدر المذكور أعلاه).

ويقال: إن بابل كانت مقام الشمرود بن كنعان وهو أول من ملك الأرض واستشار المنجمين وشق القنوات (انظر ابن خردادبه ص: ٧٧، ابن الفقيه ص: ١٩٩، الإصطخري، ص: ١٠١، ٨٦٠ للمسعودي، كتاب التبيين، ص: ٩٤ نقلًا عن التوراة و ص: ١٠٥، ١٠٦، صروج المذهب في مواضع مفرقة).

وكان إبراهيم في عهد الشمرود، ولد في حران وعاش به أبوه وهو صفيّر إلى أرض بابل. وكان يسكنها لا يأنّ فاش فيها ثم رحل عنها بعد أن تزوج فيها (انظر الطبري، ج ١، ص: ٢٥٢ وما بعدها، وما لزم من اختلاف هذه القصة عن رواية التوراة ينبغي أن ننسها من أصل يهودي، شأنها في ذلك شأن الروايات التي تتحدث عن تاريخ بابل في مهدها المتأخر).

وكانت بابل مقرّ «بخت نضر» الذي دمر بيت المقدس وقاد اليهود أسارى إلى مدينته (انظر ابن الفقيه، ١٢١٨، الطبري، ج ١، ص: ١٩٢، المسعودي، التبيين، ص: ١٠٥، ١٠٦، ياقوت، ج ١، ص: ٤٤٨، وماروي عن مقتل بلشزر أو الشمرود بن بخت نضر على يد الحواريين الذي يمكن أن يرد كذلك إلى مصادر سريانية (الطبري، ج ١، ص: ٢١٦) وكثيراً ما يرد أسماء:

الشمرود، وبخت نضر وسنحاريب، وهي أسماء بابلية في الكتب والزيجات في النجوم (المسعودي، كتاب التبيين، ص: ١٠٥). وكان المسلمون يطلقون على أهل بابل القدماء تارة اسم الكلدانيين، وتارة اسم الكنعانيين أو النبطيين (الإصطخري، ص: ١٠١، ياقوت، ج ١، ص: ٤٤٧).

وكانت الأساطير الإبرانية أيضًا قبل الإسلام تربط بابل بتاريخ الأبطال الذين وردوا في تلك الأساطير. ومنذ أن جاء الإسلام عمل على التوفيق بين الأساطير الإبرانية والقصص الواردة في الكتاب المقدس، وكان جيومرت وهو من دنيابند أول من بسط سلطانه على بابل. وقالوا جيومرت هو آدم (الطبري، ج ١، ص: ١٤٧).

ويقول الطبري، ج ٢، ص: ١٧١: «إن أو شهنج بن مدينة بابل ومدينة التوس، وهو أول من قطع النجر وبني البناء. وقيل: إن الذي بناها هو طهمورت^(١) (ابن الفقيه، ص: ٣١٩، الطبري، ج ١، ص: ١٧٥ عن ابن هشام الكلبي، حمزة، ص: ٢٩، ٣٠). وزوي أن جمشيد كان ينتقل من دنيابند إلى بابل في يوم واحد، كما كان ينتقل سليمان من بيت المقدس إلى تحت جمشيد في برسوليس (الإصطخري) (انظر الطبري، ج ١، ص: ١٨٠). ويقول الأفتا: إن الضحّاك عدو جمشيد كان يحكم بابل (الإصطخري، ص: ٨٦٠، ياقوت، ج ١، ص: ٤٤٨ نقلًا

(١) عبارة الطبري، ص: ١٧١، وقال هشام بن محمد الكلبي فيها: «حدثت هذه ذكر أهل النبط لأن أول ملوك بابل طهمورت» طبعة الشامي، ج ١، ص: ٨٦.

وسط العالم الإسلامي.

ويطلق العرب اسم «بابل» على المدينة والإقليم. وقد سماها الفرس والتبط «بابيل» (المسعودي، كتاب التنبيه ص: ٣٥) أو «بابيل» أو «بابيلون»، كما ذكر ياقوت (ج ٣، ص: ٦٢٠). ويقول المسعودي في المصدر المذكور: إن الكلدانيين كانوا يُسمونها «خُنِيرَتْ» وذكر البكري هذا أيضًا. أما الحمداي فقال: إنهم كانوا يُسمونها «خُنِيرَتْ». ويظهر أن الفرس كانوا قد أطلقوا اسم «بابل» على الإقليم الزابع مرادًا لاسم إيرانسهر. وقلب العالم (الطبري، ج ١، ص: ٢٢٩، الإصطخري، ص: ١٠). وإقليم بابل أوسط الأقاليم ولهذا كان أشهرها (ابن خلدون، ج ١، ص: ٦٠). ابن رسته، ص: ١٥٢. المسعودي، كتاب التنبيه، ص: ٦١.

ويصف المسعودي في كتاب التنبيه (ص: ٣٢) وحدها القري في نهر بابل، فيقول: إن حدها الغربي يمتد إلى القلعية وهي أول محطة في الطريق الواصل من الكوفة إلى مكة، وحدها الشرقي نهر بابل، أما الشمالي فبين نصيب وسنجار، والجنوبي وراء الذيل من ساحل المتصورة من بلاد السند.

ويطلق العرب عادة «أرض بابل» على إقليم بابل (ابن حوقل، ص: ١٦٧)، وأرض بابل إنما يقصد بها العراق. ويصف ياقوت في كتابه (ج ١، ص: ٤٤٧) أرض بابل فيجعلها أضيق شئ من وصف المسعودي لها، فيقول: إنها بين دجلة والفرات، بلغت من دجلة إلى أسفل كَشْكُر (ووسط) ومن الفرات إلى ما وراء الكوفة، وموضعها هو الذي يقال له: السواد. يقول ياقوت في

عن يزدجرد بن مهتار) وكان أفريدون يقيم في بابل كذلك. ويمن ملك بابل من الدولة الكيانية: كيكاوس ولهراسب وشتاسب (الطبري، ج ١، ص: ٥٩٧، ٦٤٢-٦٧٤). وذكر حمزة في كتاب «سير الملوك»، ص: ٣٥: أن كيكاوس هو الذي بنى برج بابل. وروى أن رستم البطل المعروف كان يقيم في بابل.

وقد عرف العرب شيئًا عن ذهاب الإسكندر إلى بابل، وماروه، عن هذا الأمر أقرب إلى الحقائق التاريخية وإن كان مستق من قصة الإسكندر، كما نقلت إلى اللغة السريانية. ويذكر الطبري (ج ١، ص: ٨١٣) أنه أخذ في هذا عن روايات التمازي، وما روي عن قتل الإسكندر لدارا بن دارا وعن إقامة الإسكندر ببابل يمكن أن نرده كذلك إلى مصدر ساساني، أي إلى قصة الإسكندر في اللغة الفهلوية المنقولة عن السريانية. ونجد هذه الرواية أيضًا في كتاب «سير الملوك» (ص: ١٤٥). وفي كتاب الإصطخري، ص: ١٤٥. والأخبار الخاصة بذهاب بني أرسك إلى بابل، وماروي عن قيام القديس «قوما» بالذهوة فيها، أصلها سرياني أيضًا (الطبري، ج ١، ص: ٧٠٢، وما بعدها، ص: ٧٣٨) أما الأخبار التي ذكرت أن بابل كانت ملكًا للساسانيين فإنما نجد أصلها في «غداي نامه» (الطبري، ج ١، ص: ٨١٣) الإصطخري، ص: ١٤٥. المسعودي، كتاب التنبيه، ص: ١٤٥، ١٥٠. مروج الذهب، ج ١، ص: ٧. ونجد في الإصطخري (ص: ١٤٥) الملاحظة التاريخية الوحيدة عندما يذكر أن الساسانيين ومن بعدهم العرب اتخذوا بابل مقرًا لهم، لوقتها بالنسبة للإمبراطورية الرومانية. ولأنها في

فقرة أخرى: إن الأنبار - وهي مدينة على الفرات - حدة بابل من ناحية الشمال.

قلنا: إن اسم «بابل» يُطلق على المدينة وعلى الإقليم، وفوق هذا فإنه يُطلق أيضاً على الطسوج السادس من آستان بهقاز العليا في التقسيم الإداري للمراق، الذي أخذ عن العرب (ابن خردادبه، ص: ٨ - ١٠، قدامة، ص: ١٢٦، ياقوت، ج ١، ص: ٧٧٠). ويروي هذا الإقليم نهر سوري أحد فروع الفرات الذي يجري في وسط مدينة بابل (ابن سراجيون ج ١، نقل عنه ابن الغداء). وكانت بابل حاضرة للإقليم إلى عهد ابن سراجيون حوالي سنة ٩٠٠، وحدث في مدينة بابل «يوم

العرب» عندما ذبح المثنى قبل الفرس في سنة ١٢٣

٦٣٤م (الطبري ج ١، ص: ٢١١٧، ٢١٧٧، ٢١٨٢). أما المكان المسمى «عقر بابل» وهو الذي

يزيد بن المهلب بعد ثورة البصرة سنة ١٢٣ هـ (٧٤٠ م) فهو مكان آخر موضعه بالقرب من كربلاء، على الطريق الواصل إليها من الكوفة. والكتاب المتأخرون أمثال الإصطخري وابن حوقل عرّفوا «بابل» على أنها قرية صغيرة لا غير، وهي تقع على الطريق الواصل من بغداد إلى الكوفة الذي يعبر الفرات عند جسر بابل (المقدسّي، ص: ١٢٦).

ويسرد ياقوت أسماء عدة مدن يقول: إنها في أرض بابل، نذكر منها: الأميرية ورس وبرملاحة والجامعين - وهي جبلّة - وشالها والفامرية ومديتان باسم كوثا. ولم يذكر لليقوي أنه كان في عهده من مدن بابل إلا الصّرح التي كان فيها قصر له «بُحْتُ نَصْر» وكورة سنوار

التي ذكرها نقلاً عن نصر الإسكندري المتوفى سنة ٦٥٠ هـ. وعندما تكلم اليعقوبي عن «خَطَرَنِيَّة وَاقِف» ذكر ناحية بابل وسماها «طسوج».

ولم يكتب لهذا التقسيم البقاء طويلاً فإنه عندما تولى المباسيون الخلافة أنشأوا في أول عهدهم مدينة بغداد، وأوجدوا تقسيماً جديداً هو أرض العراق، أما بابل والأماكن المتصلة بها فأصبحت من كورة بغداد.

وعندما يتحدث ياقوت والقزويني عن بابل ويقصان حكايات عجيبة عن المدن السبعة التي كانت بابل تتألف منها والمجانب السبع التي كانت توجد فيها، فإنها يقصان ما يظهر أنه كان من الأساطير المخلّعة التي انتشرت بأثار المدينة.

ونجد أن ماورد من القصص في القرآن وفي الكتاب المقدس عن «بابل» قد أدخل أيضاً في أساطير تلك القارة. وعندما يذهب المسافر إلى بابل كان يؤخذ لمشاهدة جبّ دنيال أو الجبّ الذي سجن فيه الملكان هاروت وماروت إلى يوم القيامة (سورة البقرة، الآية: ١٠٢). وصلى عليّ في بابل ولسنها (المقدسّي، ص: ١١٦).

وبين الأطلال الموجودة قصر «بُحْتُ نَصْر» الشمالي الذي لا يزال يُسمى باسم «بابل» وقد وُجد منقوشاً على آثاره فاذج عديدة من الشعر العربي في القرون الوسطى. ولما أنشأ العرب مدينة بابل أقاموها في موضع المدينة القديمة ومن ثم استمر الاسم القديم خلال العصور، ونسخت الأطلال الأخرى الموجودة في المعر الماخز بالقصر، وهي أطلال قصر بيبلون، وأطلال

عمران بن علي، وفيها ضريح لولي من الأولياء، أقسم مكان معبد المدينة القديم، وأطلال حميرة التي اكتشف فيها مسرح يوناني، وقد استعملت أنقاض الآثار منذ قرون في بناء المساكن، وكان أول من ذكر ذلك القزويني، ولهذا سميت بابل باسم الجبلية أو المقلوبة، كما ذكر بوشان Beauchamp.

ومع أن موقع مدينة بابل كان يعرفه الشرقيون منذ القدم إلا أن علماء الغرب أخذوا يستعيدون كشفه منذ القرن الثامن عشر. (٣١: ٢٤٧ - ٢٥١)

فريد وجدي: مملكة قديمة كانت بالعراق. (٢٠) طه الدرة: المشهور أنه بلد من سواد الكوفة، سمي بذلك لتبديل الأكنسة به، وذلك أن الله أمر ربحا فعشرت الخلائق لهذه الأرض، فلم يدر أحد ما يقول الآخر فرزقهم الرزج في البلاد، يتكلم كل واحد بلفظ، والبلد القرفة.

هاكس: تقع «بابل» بين نهري دجلة والفرات، ويقدر طولها بمسافة (٤٠٠) ميل و عرضها (١٠٠) ميل تقريباً. وكانت أراضيها منذ ازدهارها متوية، تتكون من مراتع واسعة، وتتخللها جداول كثيرة، ومنها يجري الماء ليشق جميع أراضيها. وكانت تشتهر بالخصوبة وبزراعة أنواع الفواكه والمحبوب، وخصوصاً الحنطة التي كانت تصل غلتها أحياناً إلى متقي ضعف، وتكثر فيها أشجار النخيل أيضاً.

وحينما بادت حضارته وحلت الولايات بأهلها جفت جداولها وسواقيها، فأقترت معظم أراضيها وأجبدت، وبذلك تحققت نبوءة النبي إرميا، حيث قال: «سجف

النس مياهها وأنهارها، لأن غضب الله قد حاق بها فلا تسكن أبداه إرميا (٥٠: ٥٠ و ٦٢).

وقال النبي أيضاً: «أجعلها ميراثاً للثغف، وأصيرها آجاثاً، وأكنسها بكنسة الهلاك، يقول رب الجنود لشعبا (١٤: ٢٣). وكل من يشد الرحال إلى تلك البلاد فيجد آثارها مطابقة لنبوءة هذين النبيين. فحينما امتلأت الجداول بجرى الماء بأنهارها، وبعد فكوت مستنقعات ذات ماء آسن، ولما سائر الأراضي غلبتها أنفكت، وجفت زرعتها.

وكانت تعرف هذه البلاد قديماً باسم «شمار» كما جاء في سفر التكوين (١٠: ١٠) و (١١: ٢) وأطلق عليها السمرانيون اسم بلاد ما بين النهرين، وذكرت في بعض النصوص القديمة باسم أرض الكلدانيين، وكان السمرود من حكامها في بابل خلال العصور القديمة، إلا أنه لم يترك أثراً في التاريخ بناء هذه البلاد ومن العلوم التي تهر بها البابليون مهارة فائقة علم النجوم، كما يبدو ذلك من خلال هندسة مهاراتهم. وكانت آلاتهم وأسلحتهم الحربية تتكون من الصخور الصماء، بيد أنه عُثر في الآونة الأخيرة بين أنقاضها على هراوات وأوبئة من النحاس الأصفر وبعض الآلات الذهبية، ولم تشاهد أية فضة في صناعاتهم.

وكانوا يبتين بعبود الأصنام والكواكب، فصنعوا لها تماثيل متعددة ذكورا وإناثاً.

وحكم الكوشيون بابل سبعين سنة، ثم أطاحت بحكمهم أمم مختلفة، منها العرب الذين سيطروا سيطرتهم على تلك البلاد مدة قرنين ونصف، وانسحب العرب منها

إثر غارة شتتها عليهم الآشوريون وانتهت بسقوط بابل بأيديهم. وعقد «نبولسار» أحد ملوك الآشوريين معاهدة مع «سيكارس» وفتح نينوى واختار بابل مقراً له، ونصب ابنه نبوخذنصر ولياً للعهد.

لقد وصف كثير من المؤرخين هذه البلاد بأنها أعظم مدينة في الدنيا؛ إذ قال هيرودس المؤرخ الشهير: شُيّدت مدينة بابل على أرض مستوية مربعة الشكل، يبلغ طول كل ضلع من أضلاعها «١٢٠» فرسخاً، وطول محيطها «٤٨٠» فرسخاً، ويحيط بهذه المساحة العظيمة خليج عميق يضره الماء دائماً، وشيّد سور لها يقع بعد الخليج يبلغ ارتفاعه «٣٣٥» قدماً وقطره «١٠٠» قدم. وله «٢٥٠» برجاً و«١٠٠» بواباً من النحاس الأصفر. ويبلغ أغلب بناء هذا الحصن من الطابوق.

وقد سطر نهر الفرات بابل إلى شطرين، وشيّد على شاطئيه حصن يُحرق تقدم العدو، وله أبواب من النحاس الأصفر، يمر من خلالها ماء النهر إلى الأسفل.

ومن العمارات الفخمة لهذه المدينة قصر الملوك الذي بُني بشكل دائري، ويحيطه حصن حصين، وكذلك هيكل «بيل» العظيم، وتماثيل وآلات ذهبية جميلة وأنيقة جداً.

وإن حملنا قول «هيرودس» على الإفراط في الوصف فلا يعد أن يكون طول كل ضلع من سور المدينة «١٤» ميلاً ومساحتها «٢٠٠» ميل مربع، بيد أنها تبقى أكبر مدينة في الدنيا. ولقد اختلف سائر المؤرخين في هذا المضمار، فذكر بعضهم أن محيطها يبلغ «٤٠» ميلاً، وقال آخرون: «٨٠» ميلاً، وقيل: إن ارتفاع سورها يبلغ

«٧٥٠» قدماً.

لهذه البلاد - منها قيل حولها - واسعة الأرجاء مترامية الأطراف، ولكن هذا لا يعني أن جميع هذه المساحة تشغلها العمارات، بل كان أغلب أراضيها تكسوها الأشجار والبراري.

وخلاصة القول: فإن مدينة «بابل» كانت تُعدّ أعظم مدن الدنيا وأضاهاء بحيث يمكن القول بأنها كانت مستظمة القرنين والتطير، واعتبرها المؤرخون من عجائب الدنيا السبع. وكان لبابل حدائق معلقة، وهي طبق قول «هيرودس» مربعة الشكل، يقدر ارتفاعها بواسطة طيقانها بـ «٧٥» قدماً، وطول كل ضلع من أضلاعها «٤٠٠» قدم، وغرست على سطحها أشجار متنوعة ونباتات جميلة، وقد بلغت بعض الأشجار حجماً بحيث أصبح قطرها يناهز «١٢» قدماً.

ولم تكن لبابل جدار بابل العظيم - حسبما قال «هيرودس» - هو «٣٣٥» قدماً وعرضه «٨٤» قدماً، وبني كل قصورها من الآجر والطابوق، إلا أنه لم يبق من زيتها وجلالها وجمالها إلا أنقاض وتلال، كما تنبأ بذلك النبي «إرميا» حيث قال في سفره (٥١: ٣): «فلو صعدت بابل إلى السماوات وحضنت عليها هزها فن عندي يأتي عليها الناهيون، يقول الرب».

وقال أيضاً في نفس السفر (٥١: ٥٨): «هكذا قال رب الجنود: إن أسوار بابل العريضة تُدمر تدميراً، وإن أبوابها الشائعة تُحرق بالنار، فتبذل الشعوب جهودها للباطل، وتبني القبائل لحرقها بالنار».

وإن مظهرها اليوم ليمتد على التمجيب والحيرة؛ إذ

مفر يوشع (٢١: ٧)، وهو دليل واضح على تأييد هذا الأمر.

واشتهرت الأكفشة والألبسة البابلية بجودتها ومساتنها لدى الرّوم، حتى كانوا يتفاخرون بها ويشترونها بأسعار غالية. وقيل: عرضت قطعة لباس بابلية في قصر الإمبراطور «تيرون» وهي تزدان بحُور مختلفة، وقُدِّر ثمنها بـ ٣٢٣٠٠ ليرة إنجليزية. وكان عند حفيد يدهن «كاتومثاير» قطعة من لباس بابلي أيضاً، يقدر ثمنها بـ ٦٤٠٠ ليرة إنجليزية. وقد مُنحت هذه الأكفشة بألوان جذابة مختلفة علاوة على جودتها، ورسم عليها حُور لأصداق وحيوانات أليفة ومفترسة.

فكان القماش البابلي غاية في الحسن والجمال، ويقتل على شرائه المعاصرون برغبة وشغف كبيرين. ويشتري السَّجَّاد الإيراني في هذا العصر ولاخبر في ذلك فإنَّ الإيرانيين يحذون حذو سلفهم البابلين في صناعة السَّجَّاد اليدوي الفاخر.

وكان الثَّياب البابلية يلبسون رداءً طويلاً من الكتان، ويرتدون فوخة رداء صوفياً فاخراً، ويلبسون حذاءً ذا ساق طويلة، ويسلمون قُبَّعاتاً، ويمدهنون شعورهم بزيت مطهرة، ويمتصون بعمامة، ولما زَيَّ عاتمة الناس فكان الرِّداء فقط.

ومن العلوم التي اشتهر بها البابلية أيضاً هو علم النجوم، فقد كانوا يبتاعون بالخسوف والكسوف قبل وقوعها، ووصف «هيرخوس» خمس حوادث لكسوف الشمس. ومما يدل على حذقهم في هذا العلم هو تشخيصهم للكواكب السيارة الخمسة وتعيين جدول

للكواكب الثابتة، وكشف الأبراج، وابتكار حساب السنة الشمسية، واختراع درجات الشمس، وكان علماءهم منجِّمين وسَحرة وخُبراء.

إنَّ التجارة في هذه البلاد رائجة، إذ يجلب التجار إليها الذهب والفضة والدُّرّ والساج والحجر الأحمر «الياقوت» من البلدان الجاورة، فيؤدِّي ذلك إلى توطيد دعائم الدولة وازدياد قدرتها، وكانت نساء بابل تتجمل بجميع وسائل الزينة والقياب الفاخرة، وتنهش في رَغَد ورفاه.

ولكنَّ الإفراط في الترف والرَّخاء جرَّهم إلى الهاوية، فقد أصبحت فتياتهم ضالرات، وأخذوا يلقون الحمر، فاجترأوا على اقتراف المآثم دون وجل، وأصبحوا يبالِزو والمُفطَّرة، فساع الفسق والتمجُّر في أوساط البابلين، حتى دبت في بناتهم، حيث عرَّضوهن في شوق النخاسين، واقترفت عذراتهم الزَّنى والبغاء، وظلَّفت تنصب شباكها وفخاخها لاصطياد الرِّجال بشقَّ الحبل.

وكان نظام الحكم في هذه البلاد مطلقاً، ودينها يختلف من دين الحكومة السابقة اختلافاً جذرياً، ولكنَّ هؤلاء كانوا يبدون نفس الآلهة، أي «همل» و«نيو» و«مردوخ»، وصنوا لها تماثيل متعقدة، وبنوا لها هيكل «زيبا» وهيكل «أبي قولرة». فسخط الله عليهم، وسلَّط عليهم سائر الأمم، فدمروا بلادهم، وتسبوا نساءهم وذريتهم. وأضحت اليوم مصداقاً لقول الرِّبِّ على لسان نبيِّه: «حُرَّ على مياهها فتشفت، وسيُدَّهم المدو على حين غرة». إرميا (٥٠: ٣٨).

الطوفان، بل بُني الخوفان آخر، يحفظهم من الترقى حين وقوعه.

بيد أن هذا القول مردود إذ لو كان غرضهم من بناء الهرج ما ذكر، فينبغي عليهم أن يُشيدوه على قبضة جبل شاهق، وليس على أرض مستوية ومنخفضة.

وجلة القول، فإن هذا الأمر كان مخالفاً لمشيئة الله، فلذا اختلفت ألسنتهم، بحيث لم يستطع أحدهم أن يفهم لغة الآخر، ففترقوا في الأرض أيادي سبأ، حتى قيل: ذهب رطل منهم إلى أمريكا، وشاء الله أن يمسر الأرض بهذه الوسيلة. (١٥٠ - ١٥٥)

محمّد إسماعيل إبراهيم: بابل: بلد قديم يقع على الجانب الأيسر من نهر الفرات قرب الكوفة. كان لما تاريخ حافل في الصور الخالدة، وقد برع أهلها في الإلحاح بالتحمر واستخدامه، وإلى ذلك تُشير القصة القرآنية الواردة بشأنها في سورة البقرة.

(٥٧: ١) لويس معلوف: مدينة قديمة في أواسط ما بين النهرين تقع أنقاضها على الفرات، قرب الحلة، على مسافة (٨٠) كيلو متراً جنوب شرقى بغداد، تعتبر من أكبر وأشهر مدن الشرق القديم. أنشئت حولها - في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد - دولة كبرى ازدهرت على مرحلتين:

أولاً: الدولة البابلية الأولى، حلت محل سومر وأكد، وبلغت عصرها الذهبي مع حمورابي المشرع الكبير (١٧٩٢ - ١٧٥٠) قبل الميلاد. فبسطت سيادتها على سائر بلاد ما بين النهرين، وازدهرت فيها العلوم الفلكية

وقال «هيرودوتس»: اقتسم العدو البلاد بشتى، وغنم متاع أهلها وأموالهم، وبذا تحققت نبوءة النبي إرميا، قال: «سيف على غزائنها فتتهب» إرميا (٥٠: ٣٧).
أما معنى «بابل» فهو كل جماعة تلك تائيل وأصناما كثيرة في كل عصر من العصور.

ولكن للفظ بابل» سان كثيرة:
الأول: يعني مدينة بابل، انظر أشعيا (١٣: ١٩ - ٢١) و (٤٨: ٢٠).

الثاني: سكان المدينة، لكي يُميزوا عن الكلدانيين. حزقيال (٢٣: ١٥ و ١٧).

الثالث: بلاد البابليين كلها، الملوك الثاني (٢٤: ١) و (٢٥: ٢٧) والمزامير (١٣٧: ١).

الرابع: ملوك بابل، وجاءت هذه التسمية بعد أن انتصر الفرس على البابليين، فغسوا ملوكهم بذلك، عزرا (٥: ١٢) ونحميا (١٣: ٦).

وقد ذكرت بابل أخرى في رسالة بطرس الأولى (٥: ١٣)، ويحتمل أنها نفس بابل، وذلك حينما سكنها اليهود، وقال بعض: كان في مصر محل يدعونه بابل، لاحظ «كلدان» و «نبو» «نبوخذ نصر».

وورد في سفر التكوين (١١) وصفاً كما حدث لأولاد نوح حين الطوفان: «وحدث في ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شتار، وسكنوا هناك. وقال بعضهم لبعض: هلمّ نصنع لئلاً ونشويه شيئاً، وقالوا: هلمّ نبني لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسما، ونصنع لأنفسنا اسماً، لئلا تبدد على وجه كل الأرض».

ولكن بعضهم يقول: إن هذا الهرج لم يُبنَ لذلك

والرياضية والآداب، ثم أقل نجمها خفضت للحقنيين
والقستيين والآشوريين.

ثانيًا: القولة البابلية الحديثة (٦٢٢ - ٥٣٩) قبل
الميلاد، من أشهر ملوكها «نبوخذ نصر»^٢ (٦٠٥ - ٥٦٢)
قبل الميلاد، دمر مدينة بابل سنحاريب الآشوري (٦٨٩)
قبل الميلاد، ثم أعاد بناءها أسرحدون، فتحها قورش
(٥٣٩) قبل الميلاد.

فأصبحت قاعدة ولاية أحمينية حتى احتلها
الإسكندر (٣٣١) قبل الميلاد، وجعلها عاصمة القسم
الشرقي من إمبراطوريته، وفيها توفي.

من آثارها: باب عشار، وسلاط «نبوخذ نصر»^٢،
والطريق الملوكي. وقد أطلق اسم بلاد بابل على القسم
الجنوبي من بلاد ما بين النهرين، لتمييزه عن بلاد آشور.
(المنجد في الأعلام: ٩٠٦)

المصطفوي، بابل: المراد «بابل» بكسر الباء
اسم ناحية، منها الكوفة والعتلة، والمشهور بهذا الاسم:
المدينة الخراب بقرب العتلة وإلى جانبها قرية تُسمى
بابل، عامرة.

سفر إرميا ٥١/٢٤. واكافئ بابل وكل سكان
أرض الكلدانيين على كل شرهم الذي فعلوه في صهيون
أمام عيونكم... يقول الرب المهلك كل الأرض: فأمد
يدي عليك، وأدخرك عن الصخور، وأجعلك جبلاً
مُعزَّقا، فلا يأخذون منك حجراً زاوية ولا حجراً لأسس،
بل تكون خراباً... انتهى.

ثم إن هذه البلدة كانت متعة غاية الاتساع، وباتنة
في العتلة والمدينة غايتها، ثم خربت بمطاول الدول

والحكومات، وموضعها قريبة من ثلاثة وتسعين كيلو
متراً من الجنوب الشرقي من بغداد، قريبة من العتلة.

(١٨٩: ١)

الأصول اللغوية

١- في بابل قولان:

الأول: لاسم عسري مشتق من التبتلة، وهو
الاختلاط، إذ قيل: إن الله بعث ريحاً حشرت الناس إلى
بابل، فتبطل بها ألسنتهم، ثم فرقهم الريح في البلاد على
ثمانين أو اثنين وسبعين لغة. وقيل: تبطلت الألسنة ببابل
عند سقوط صرح نمرود.

والثاني: لاسم أعجمي، قيل: آشوري مشتق من اسم
المكشري، أو من اسم النهر الكبير. وقيل: آرامي. مركب
من لفظي «باب» و«إل»، أي باب الإله.

ثاني القول الأول أشبه بقصص الأساطير، ومصادقه
ما جاء في سفر التكوين (١١: ٩): «دعي اسمها بابل لأن
الرب هناك بطل لسان كل الأرض، ومن ثم بددهم على
وجهاً».

وقد انتقلت هذه الأسطورة إلى العرب والمسلمين
بواسطة أهل الكتاب، وانقاد جُلُّ اللغويين لها، فأقرروا
اشتقاق «بابل» من (ب ل ب ل) رغم علمه بأن لها لائماً
واحدة، وينبغي على قياسهم أن تكون من (ب ب ل)،
كما فعل بعضهم، اللهم إلا إذا ثبت حديث صحيح عن
المصوم يؤيده وأني ذلك؟

وأما القول الثاني فلا شاهد له في اللغة الآشورية،
إضافة إلى ذلك فإن الآشوريين كانوا في شمال العراق،

الزئج قبل الميلاد (وقبله دخلها كورش وغنم متاع أهلها وأموالهم كما سبق من حيرودوتس)، فخرق شمل أهلها، وماقامت لها قاعة إلى يومنا هذا، وأطبق الله المذاب على مدين وأهلها معاً، فما أبقي لهم من باقية.

كما ذكرت في القرآن أيضاً مواضع أخرى كبدن والأحفاف وطور سيناء وغيرها، إلا أنها لم تكن بلاداً أو مدناً.

٢- ولم يرد ذكر بابل وهاروت وماروت في القرآن إلا في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَلَا تَمْسُوا السَّابِغِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُم مِّنْهُ حَتَّى تَتَذَكَّرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا عَصَايَ﴾ البقرة: ١٠٢، وهذه الآية تنهي المسلمين عن ارتداء ملابس الكفار، كما تركوا الرسول والكتاب، وانعازوا إلى تلقي الشعر من الشياطين.

هذه الآية: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ قَضَوْا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ البقرة: ١٠١، وهو النبي محمد ﷺ أم أحد أنبياء بني إسرائيل؟ يظهر أن القول الأول أرجح، ومؤيده أن ما قبلها ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ قَضَوْا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ البقرة: ١٠١، فإنها تتحدث عن نزول القرآن على النبي وكفرهم به، ودأبهم على تكذيب الأنبياء قبله دائماً.

وكان موطنهم «آشور» دون «بابل» التي تقع في وسط العراق. كما أن حضارة البابليين قامت قبل ظهور الآشوريين كدولة كبيرة في التاريخ، وبقيت بعد انقراض دولتهم.

٣- ونرى «بابل» اسماً عبرياً منحوتاً من اللفظ الآرامي «باب إلي»، أي باب الله. وقلب اللفظ العبري على الأصل حتى شاع بين سائر اللغات السامية واليونانية والفارسية وغيرها، سوى اللغة الأكديّة التي حذت حذو أختها الآرامية. مع بعض التغيير في اللغات الأخرى، ومع ذلك فالقول الفصل فيه يحتاج إلى دراسة وإلمام.

٤- واختلف المتقدمون في موقعها، فقيل: تقع في العراق بأرض الكوفة، أو بين دجلة والفرات. وقيل: تقع في المغرب. وقيل: في إيران بجبل هاروند. وقيل: بجبل نصيبين إلى رأس العين.

ولكن الاكتشافات الأثرية الحديثة أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن موضعها قرب مدينة البصرة الحالية في العراق.

ويستبر الإمام علي عليه السلام أول من دل على موقعها عند مروره بها بعد اندارس أثرها^(١).

الاستعمال القرآني

١- ورد في القرآن ذكر لخمس بلدان، هي: بابل ومدين ومصر ومكة ويثرب، ولم يبق منها إلا الثلاث الأخيرة.

وأما بابل فقد غرّبها الإسكندر المقدوني في القرن

(١) لاحظ هوفتة سنين للمصريين (١٣٥، ١٣٦).

فَطْلًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا السَّيِّئَ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُ قَوْلِهِ
 ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ البقرة: ١٠٦، أَوْ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
 يَدَيْهِ﴾ البقرة: ٩٧، أَوْ ﴿تُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾
 يوسف: ١١١، وَتَحْصِيهَا، خَاصًّا بِالْقُرْآنِ وَالنَّبِيِّ ﷺ.
 لَاحِظُ «ص د ق» فِي هَذَا الْمَجْمَعِ وَفِي الْمَجْمَعِ الْمُمَرَّسِ.
 وَقَدْ تَكَثَّرَتِ الْآيَةُ بِنَسَبِهَا فِي الْبَقَرَةِ: ٨٩، وَظَهَرَهَا
 فِي آلِ عِمْرَانَ: ٢ ﴿نُزِّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا
 بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

ويؤيد الثاني أن طاهر السياف كونهم نبضوا في الماضي كتاب الله - وهو التوراة - ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ للبقرة: ١-٢، فالرسول يوم ذاك كان من أنبياء بني إسرائيل.

٢- وقد ورد لفظ (شَيْطَان) مع (الشَّيَاطِينِ) مراراً
في هذه الآية فقط، وحسباً على طرفي نقيض، فليقل ذلك
يرمز إلى أن دولة سليمان هي دولة الرحمن، ودولة بابل
هي دولة الشَّيَاطِين. كما جاءت الألفاظ «الْمَلَكَيْنِ»،
«هَارُوتَ وَمَارُوتَ»، و «الْحَزْمَ وَذُؤَجِبَ»، و
«عَابِضُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ» البقرة: ١٠٢، متانة كلِّها ملائكة
للسَّيِّئِ، وكذلك تصديق الكتاب، ونبذ وراء ظهورهم،
والإيمان به والمكفر به، في الآيات التي سبقتها، فهي
كالمتانة أيضاً.

هذا ما يرتبط بهلالة السياق في هذه الآيات بالذات،
ولنا بالنسبة إلى غيرها مما سبقها أو لحقتها من الآيات
في سورة البقرة، فالتنية فيها موجودة بنحو من الأسماء،
مثل: ﴿لَا تَقْرَءْ وَلَا تَكْتُبْ﴾ ٦٨، ﴿صَفَرًا فَالْمَعِ لَوْثُهَا﴾
٦٩، ﴿لَا تَلْوِيْ تَبِيْرُ الْأَرْضِ وَلَا تَنْسِي الْحَرْثَ﴾ ٧١،

﴿مُسَلَّمَةً لَّيْسَ فِيهَا﴾ ٧١. ﴿فَإِنْ كَانَتْ خِجَارَةً أَوْ أُشْدَّ قَسْوَةً﴾ ٧٢. ﴿وَأَنْ مِنْ الْخِجَارَةِ مَا يَنْفَجِّرُ مِنْهُ الْآبَارُ وَإِنْ مِنْهَا مَا يَخْرِقُ وَيَخْرُجُ مِنْهُ الْغَاءُ وَإِنْ مِنْهَا مَا يُخَيِّطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ٧٣. وهذا تليث يسهل التنبية، وهو بدوره فيه لطف. ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحْرَفُونَهُ﴾ ٧٥. ﴿وَإِذَا قَالُوا الَّذِينَ لَفُسُوا عَلَمُوا أَفْنًا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُم إِلَى بَعْضٍ...﴾ ٧٦. ﴿يَقْلَمُ مَا يَشِيرُونَ وَمَيَاتِلُونَ﴾ ٧٧. ﴿لَوْ نَزَّلْنَاهُمْ بِمَا تُكْتَبُ أَيْدِيهِمْ وَزَوَّلْنَاهُمْ عَمَّا يَكْفُرُونَ﴾ ٧٨. ﴿اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا... أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ تَالَا تَعْلَمُونَ﴾ ٨٠. ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئًا وَأَغَاطَتْ بِهِ خَبِيثَتُهُ﴾ ٨١. ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٨١. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ٨٢. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٨٢. ﴿لَا يَخْشَوْنَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالُوا الَّذِينَ إِحْسَانًا﴾ ٨٣. ﴿وَأَيُّوا السُّلُوكَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ ٨٣. ﴿عُمْ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَالْأَعْمُرُ مُتَفَرِّشُونَ﴾ ٨٣. ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُفْرِجُونَ أُنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ ٨٤. ﴿عُمْ أَقْرَبْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٨٤. ﴿عُمْ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ ٨٥. ﴿تَقُولُونَ أُنْفُسَكُمْ وَفَرَجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ٨٥. ﴿تَنظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِآلِهَتِهِمْ وَالْعُدُولِ﴾ ٨٥. ﴿تُقَادُّوهُمْ وَهُمْ مُخْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِحْرَاجُهُمْ﴾ ٨٥. ﴿الْمُتَوَلِّينَ يَبْغِضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾ ٨٥. ﴿يُجَازِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْجَوْنَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ ٨٥. ﴿اشْرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ ٨٦. ﴿فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ٨٦. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفُتِنَا مِنْ تَعْبِهِ بِالرُّسُلِ﴾

٨٧ ﴿وَأَنبَأْنَا جِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ابْنِيَّاتٍ وَأَعْدَانَا بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ ٨٧ ﴿فَقَرِيبًا كَذَّبَتْهُمُ وَقَرِيبًا تَفْكُتُونَ﴾ ٨٧ ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ٨٨ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ... قُلُوبًا جَاءَهُمْ حَافِرُوتًا فَكُفَرُوا بِهِ﴾ ٨٩ ﴿وَمَا أَنزَلْنَا إِلَهُهُ إِلَّا أَنْ يَخُولُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ٩٠ ﴿فَنَبَأُوا بِفُتْيٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ ٩٠ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اخْتَلَفْتُمْ إِلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ٩٢ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ ٩٣ ﴿خُذُوا خَاتَمَاتِكُمْ فِي يَمِينِكُمْ وَاسْمَعُوا﴾ ٩٣ ﴿مِيثَاقَنَا وَفَضْلَنَا﴾ ٩٣ ﴿فَتَقَبَّلُوا الْقَوْلَ... وَلَكِنْ يَخْتَرُونَ﴾ ٩٤ ٩٥ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنْ أَذْيَبِ الْمَرْتَكِبِ﴾ ٩٦ ﴿لَوْ يَخْتَرُونَ لَفَتَنَّا... أَنْ يَخْتَرُوا﴾ ٩٦ ﴿وَعَدَى وَيُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٩٧ ﴿أَوْسُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ ١٠١ ﴿وَمَا كَفَرُ سُلَيْمٌ وَلَكِنْ الشَّيْطَانُ كَفَرُوا﴾ ١٠٢ ﴿يَقْتُلُونَ النَّاسَ النَّحْسَ وَالْعَاقِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ﴾ ١٠٢ ﴿خَارُوتَ وَمَاوُوتَ﴾ ١٠٢ ﴿وَمَا يَقْلُسَانِ مِنْ أَخِي حَتَّى يَقُولَا﴾ ١٠٢ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ١٠٢ ﴿فَلْيَقْتُلُوا مِنْهَا مَا يَخْتَرُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَزَوْجِهِ﴾ ١٠٢ ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَخِي﴾ ١٠٢ ﴿وَيَقْتُلُونَ مَا بَشَّرَهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ ١٠٢ ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَالٍ وَلَيْفَتِ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ ١٠٢ ﴿أَعْمُوا وَاتَّقُوا﴾ ١٠٣ ﴿لَا تَتَّبِعُوا أَصْحَابَنَا وَلَكِنَّا نَنْظُرُكُمْ وَاسْمَعُوا﴾ ١٠٤ ﴿عَذَابِ الْبَاسِ﴾ ١٠٤ ﴿مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ وَلَا الْخَاطِرِينَ﴾ ١٠٥ ﴿وَاللَّهُ يَخْتَلِفُ بِرَحْمَتِهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ١٠٥ ﴿مَا تَسْتَعِجُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَذِيرٍ﴾ ١٠٦ ﴿تَأْتِي بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ يُلْهِمَا﴾ ١٠٦ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٠٦ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ١٠٦ ١٠٧ ﴿مِنْ وَرَى وَلَا تَعْبِرُ﴾ ١٠٧ ﴿أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ ١٠٨ ﴿مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كَفَارًا﴾ ١٠٩ ﴿فَقَاغِلُوا وَاصْغَبُوا﴾ ١٠٩ ﴿وَأَقْبِسُوا الطَّلُوتَ وَأَتُوا الزَّمَانَةَ﴾ ١١٠ ﴿مَنْ كَانَ مُؤَدًّا أَوْ تَحَارَى﴾ ١١١ ﴿بَنِي مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ١١٢ ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ١١٢ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لِمَنْ تَحَارَى عَلَيَّ قَوْمِي﴾ ١١٣ ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ ١١٣ ﴿مَتَّعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يَكْرَهُوا فِيهَا اسْمَهُ وَشَعْرَ فِي حُلِيِّهَا﴾ ١١٤ ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا جَزَاءٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١١٤ ﴿وَلِلَّهِ الْخَشْرِيُّ وَالْغَرِبِيُّ﴾ ١١٥ ﴿وَأَبِغْ عَلَيْهِمْ﴾ ١١٥ ﴿بَبِغِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ١١٧ ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ بِمِثْلِ قَوْلِهِمْ﴾ ١١٨ ﴿بَبِشِيرٍ وَنَذِيرٍ﴾ ١١٩ ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾ ١٢٠ ﴿إِنَّ هَذَا اللَّهُ هُوَ الْهَدَى﴾ ١٢٠ إلى غيرها من آيات سورة البقرة.

وهذا باب واسع من بلاغة وإعجاز القرآن الكريم، لم يحسن أحد إلى الآن، حسب ما نعلم، وهو يدخل في إعجاز أسلوب القرآن وتناسب آياته لفظاً ومعنى.



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

ب أر

بئر

لفظ واحد، مزة واحدة مدنية، في سورة مدنية

(٢٧٧: ٣)

نحوه أي مزين

أبو القاسم: في «الابتداء» لسان، يقال: ابتارت.

(الأزهري: ١٥: ٢٦٣)

والصريح: ابتارت في ابتداء.

ابن السكيت: وهي البئر، والجمع القليل أبؤر

ولبار، الحمرة بعد الماء ومن العرب من يقلب الحمرة

فيقول: أبار، فإذا كثرت فهي البئار. ويقال: بأرت

(إصلاح المطلق: ١٤٧)

بئر.

ويقال: قد ابتأر فلان خيراً، إذا انتخه، وقد ابتأر

انفصل الماء وبارها، إذا ظر الأتق هي أم غير لا تقح.

وقد بار فلان بئر، إذا حفرها، وقد بار فلان ماعند فلان.

وتقول: لم لي مافي نفس فلان، أي اعلم مافي هـ.

(إصلاح المطلق: ١٥٧)

الأصوي: في الحديث: «إن رجلاً أتاه الله مالاً فسلم

النصوص اللغوية

الغليل: بأرت الشيء وابتأرت، وانتبرته انتأرت.

أي خبأته سوي الحديث: «إن عبداً لى الله ولم ينتبر خيراً».

وبأرت بؤرة، أي حفيرة، فأنا ابتأرها بأراً. وهي

حفيرة صغيرة للنار توقد فيها. والبتار أيضاً: حمار

البئر.

الكسائي: في الحديث: «إن رجلاً أتاه الله مالاً فلم

ينتبر خيراً» معناه، لم يقدم خيراً. (الأزهري: ١٥: ٢٦٣)

الفراء: يقال: ثلاث أبر: في جمع قلة «البئر» مثل

(الصفاي: ٢: ٤٠٨)

أبؤر.

أبو زيد: بأرت أبأر بأرة حفرت بؤرة يطبخ فيها،

(الجهوي: ٢: ٥٨٣)

وهي الإبرة^(١).

(١) الإبرة: الحفرة، يوقد فيها النار.

يَتَّبِعُ خَيْرًا» هو من الشيء يُتَّبَعُ، كأنه لم يُقَدِّم نفسه
غيرًا خيًّا لها. (الأزهري: ١٥: ٢٦٢)

الزَّجَّاج: وبار الرجل الشيء، إذا اختبره، وأباره،
إذا أهلكه. (فعلت وأفعلت: ٥)

أَبَارَتْ الرجل: جعلت له بئرًا. (الصفاحي: ٢: ٤٠٧)
ابن دُرَيْد: ابْتَارَتْ خَيْرًا، إذا ضلته مستورًا والبئر

مهموز، والجمع: أَبُور، وِبَار، وآبار. (٢٠٢: ٥)
القالي: كَانَ رَمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بئر

بغير بين جائئها جرود
والبئر حافتا الهواء الذي من الجبال إلى الجبال.

(١٣٤: ٢)
الأزهري: البئر معروفه، وجمعها: بئار، وآبار،
وحافرها: بئار، ويقال: آبار.

وبَارَتْ بئرًا، إذا حفرتها. (١٥: ٢٦٤)
الصاحب: بَارَتْ الشيء، وابتَارَتْه، أي حَفَرَتْه.

وبَارَتْ المِنَاحَ آبارًا، إذا دَخَرَتْه، وهي البئر،
وكذلك إذا دَخَرَتْ حِمْلًا صَاحِبًا نقول: بَارَتْ بئرًا، وفي

الحديث: «أَنَا اللَّهُ مَا لَا ظِلُّهُ يَتَّبِعُ خَيْرًا».

وبَارَتْ بئرًا: وهي حفرة صغيرة يوجد فيها آبارها
بَارًا. وقول الكسيت:

«إِنَّمَا ابْتِهَارًا وَإِنَّمَا ابْتِهَارًا»

وهو أن يقول: قد فعلت، وقد فعل، والابتِهَار: خَدَعُ.
والْبُورَة: المكان المَطْمَن.

والْبئر: معروفه، وحافرها بئار، وهي الآبار
والْبَار.

وبَارَتْ بئرًا: حفرتها. (١٠: ٢٦٩)

الْبُورِي: [قال مثل قول ابن السكيت في إصلاح
المطلق (١٤٧) وأضاف:]

والْبُورَة: الحفرة.
والْبيرة: على «قبيلة»: الدَّخيرة. وقد بَارَتْ الشيء

وَبَتَارَتْه، إذا دَخَرَتْه. (٢: ٥٨٢)
نحو الرَّايزي.

الْبُورِي: في الحديث: «أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ اللَّهُ مَا لَا
فَلَم يَتَّبِعْ خَيْرًا» أي لم يُقَدِّم خَيْرًا لنفسه ولم

يَدَخِرْهَا. يقال: بَارَتْ الشيء، وابتَارَتْه، إذا دَخَرَتْه
وَحَبَّأَتْه. ومنه قيل للْمَعْرَة: الْبُورَة. يقال: انتبرت أيضًا

بمعنى. (١١٨: ١)
نحو الرَّمْثَرِي.

الرَّاعِب: أصله الممر. يقال: بَارَتْ بئرًا وبَارَتْ
بُورَة، أي حَفَرَتْ. ومنه اشتق «الْبَيْر» وهو في الأصل

حفرة يُسَرُّ رأسها ليقع فيها من مر عليها، ويقال لها:
الْبُورَة، وعبر بها عن التَّحْبِيَة المَوْقُعة في الْبَيْتَة، والجمع:

لِلْبُور.

الرَّمْثَرِي: الفاسق من البئار، والقَوْنِيقي من
البئر. يقال: لَبَتَارَتْ المَارية، إذا قال: فعلت بها، وهو

صَديق، وابتَهَرَتْها، إذا قال ذلك وهو كاذب، [ثم استشهد
بشعر]

ابن الأثير: وفي حديث عائشة رضي الله عنها:
«اغْتَسَلِي مِنْ ثَلَاثَةِ^(١) أَبُورٍ، يَسُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا أَبُورٌ:

جَمْع قَلَّةٍ لِلْبُورِ، وَتُجْمَعُ عَلَى آهَارٍ، وَبئار، ومدُّ بعضها بعضًا
هو أن مياهها تجتمع في واحدة كماء القناة.

(١) الصحيح: ثلاث أبور، لأن لفظ البئر مؤنث.

الشَّصْطَفَوِيَّةُ البئر: حفرة تُحفر للاستسقاء.
ومناسبة هذا المعنى تُستعمل هذه المادة بمعنى «الذخيرة»
لأنَّ الماء يُدخَر في البئر. ثم إنَّ البئر كانت من أهم ما يُعتمد
في حياة الإنسان، ولا سيما في البوادي والأراضي البعيدة
عن الماء الجاري والبلاد الغالية عن الأنهار، كأكثر بلاد
العرب، وكانت حفر البئر في تلك الأراضي والأمكنة تعدّ
من الباقيات الصالحات. (١٩١: ١)

النصوص التفسيرية

بئر

لَمَّا بَيْنَ مِنْ لَدُنْهِ أَمْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِنَهْمٍ
عَاقِبَةٍ قَبْلُنَا عَرُوبَهَا وَيَتَرُ مُتْعَلَةً وَنَضْرِبُ
الْحَبْشَ: ١٥
ابن عباس: «وَيَتَرُ مُتْعَلَةً»: التي قد رُكبت.

(الطبري ١٧: ١٨٠)

لَمَّا البئر المُتْعَلَةُ فإنها كانت لأهل عدن من اليمن،
وهي «الرَّش» الذي قال الله عز وجل: «وَأَضْحَابُ
الرَّش» الفرقان: ٣٨. (المبيدي ٦: ٣٨٢)
الضَّحَاك: لأهل لها. (الطبري ١٧: ١٨٠)

هذه البئر كانت بحضرموت، في بلدة يقال لها:
حاضورا، نزل بها أربعة آلاف متن آمن صالح ومعهم
صالح، فلما حضروا مات صالح، فسُقي المكان
حضرموت، ثم إنهم كثروا فكفروا وعبدوا الأصنام،
فبعث الله إليهم نبيًا يقال له: حنظلة، فقتلوه في السوق،
فأهلكهم الله، فماتوا عن آخرهم، وعُطِلَت بئرهم،

وله «البئر جُبَار» قيل: هي العاديّة القديمة لا يعلم
لها حافر ولا مالك، فيقع فيها الإنسان أو غيره فهو جُبَار،
أي هَدَر. وقيل: هو الأجير الذي ينزل إلى البئر فيسقيها
ويُخرج شيئًا وقع فيها فبموت. (١٩: ١٨٩)
ابن منظور: البُؤرة كالزُبّة من الأرض، وقيل:
هي موقد النار، والفعل كالفعل.

وبَارَ الشيء، يَبَارُهُ بَارًا وَابْتَارَهُ، كلاهما: خَبَأَ
وَأَدْخَرَهُ، ومنه قيل للحنفرة: البُؤرة. والبُؤرة والبُؤرة
والبُؤرة، على «المبيلة»: ما خُيِّرَ وَأَدْخِرَ. (٤: ٣٧)
أبو حيان: البئر من بَارَتْ، أي حُفرت، وهي مؤنثة
على وزن «فَيْل» بمعنى مفعول، وقد تُذكر على معنى
القلب. (٦: ٣٧١)

الفيروز آبادي: «البئر» أُنْثَى، جمعها: أَبَارٌ وَأَبَارٌ
وَأَبُورٌ وَأَبَرٌ وَبَارٌ، وَابْتَارًا حَافِرًا، وَلَبَارٌ فَلَانًا: جبل له
بئر.

وبَارَ كمنع وَابْتَارَ: حفر، والشيء خَبَأَ أو أَدْخَرَهُ،
والخير قَدَمَهُ أو عمله مستورًا.

والْبُؤرة: الحنفرة، وموقد النار، والذخيرة كالْبُؤرة
والْبُؤرة. (١: ٣٨٠)

البُؤوسوي: البئر في الأصل: حفرة يُستر رأسها
لئلا يقع فيها من مر عليها. (٦: ٤٣)

مَجْمَعُ اللُّغَةِ البئر: حفرة في الأرض يُستقى منها
الماء. (١: ٧٧)

محمد إسماعيل إبراهيم: البئر: حفرة عميقة في
الأرض يُستخرج منها الماء أو النفط، وهي مؤنثة.
(١: ٥٧)

وغرب قصر ملكهم. (الطبرسي ٤: ٨٨)

إنَّ القصر على قلة جبل بحضرموت، والبئر بنفحة.

(الأكوسي ١٧: ١٦٧)

قتادة: عطّلها أهلها، تركوها. (الطبرسي ١٧: ١٨٠)

الإمام الصادق عليه السلام: أمير المؤمنين عليه السلام هو القصر المشيد، والبئر المطلّة: فاطمة وولدها، مطّلين من الملك.

(الطبرسي ٣: ٥٠٧)

البئر المطلّة: الإمام الصامت، والقصر المشيد:

الإمام الناطق.

مثله الإمام الكاظم عليه السلام (الطبرسي ٣: ٥٠٦)، [وكلّ

هذا تأويل]

الفرّاء: البئر والقصر يُخفّضان على السطح على

«العروش»، وإذا نظرت في معناها وجدت أنها ليست بحسن

لها (علني) لأنَّ العروش أعالي البيوت، والبئر في

الأرض وكذلك القصر، لأنَّ القرية لم تخلو على القصر.

ولكنه أتبع بعضه بعضاً، كما قال: «وَحُورٌ عَيْنٌ» كأنقال

الطبرسي الواقعة: ٢٣، ٢٢. ولو خفّضت البئر والقصر إذا

نويت أُنْتها ليا من القرية بمن «كأنك قلت: كم من

قرية أهلك، وكم من بئر ومن قصر، والأول أحب إليّ.

(٢٢٨: ٢)

نحو: أبو البركات. (١٧٨: ٢)

الطبرسي: «وَبِئْرٌ مُّطَّلَّةٌ»، يقول تعالى:

«فَكَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا» الحج: ٥٥. ومن بئر

عطّلناها بإفناء أهلها، وهلاك ولدها، فاندفعت

وتعطّلت، فلا ولادة لها، ولا شارية منها. [إلى أن قال:]

والبئر والقصر مخفوضان بالطف على «القرية»

وكان بعض نحوّي الكوفة يقول: هما مطوفان على

«العروش» بالطف عليها خفّضاً، وإن لم يحسن فيها،

على أنَّ العروش أعالي البيوت، والبئر في الأرض

وكذلك القصر، لأنَّ القرية لم تخلو على القصر، ولكنه

أتبع بعضه بعضاً، كما قال: «وَحُورٌ عَيْنٌ» كأنقال

الطبرسي الواقعة: ٢٢، ٢٣.

فمضى الكلام على ما قال: هذا الذي ذكرنا قوله في

ذلك: فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة، فهي خاوية

على عروشها، ولها بئر مطّلة، وقصر مشيد. ولكن لما

لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها، أتبعها في الإعراب

«العروش». (١٧: ١٨٠)

القصي: هي التي لا يستسقى منها، وهو الإمام الذي

له غاب فلا يتيسر منه العلم. [وهذا تأويل] (٢١: ٨٥)

الطبرسي: قيل: إنَّ البئر والقصر معروفان باليمن.

وفي تفسير أهل البيت إن سني «وَبِئْرٌ مُّطَّلَّةٌ» أي وكن

من عالم لا يرجع إليه، ولا ينفع بعلمه، ولا يلتفت إليه.

ومعنى الآية: أفلم يسبّروا في الأرض فيظنّوا إلى

آثار قوم أهلكهم الله بكفرهم وأيادهم بمعصيتهم، ليروا

من تلك الآثار بيوتاً خاوية، قد سقطت على عروشها،

وبئر الشرب قد باد أهلها وعطّل رشائها^(١) وغار

معينها، وقصر مشيداً مزيناً بالحصن قد خلا من السكان،

وتداسى بالخراب، فيتخلّطوا بذلك، ويخافوا من عقوبة الله

وبأسه الذي نزل بهم. (٧: ٣٢٥)

السيدي: وكن من بئر متروكة تخلّاة عن أهلها.

(ويبر) غير مهموزة قرأها وّذش عن نافع وأبو

عمرو - وإذا أدرج - والوجه أنه على تخفيف الهجزة،
وتخفيفها جاعنا يفتأ ياء لسكونها وانكسار ما قبلها
كـ «ذيب» ونحوه.

وقرأ الباقون (وَقَرَأَ) بالهمز، والوجه أنه هو الأصل.
لأن الأصل في الهجزة التحقيق. [إلى أن قال:]

اختلف العلماء في البحر والقصر هنا؛ أما يمان كل
قوم أم يختصان بقوم دون غيرهم.

قال أصحاب القول الأول: إن هذا الشباق عام.
والمراد منه هو أن سكان الأرض قاطبة قسمان: أهل
المضر، وأهل الوتر، فمن الموت تحفل آبار أهل الوتر
وتحفل قصور أهل المضر.

وقال أنصار القول الثاني: إن البحر والقصر مطلقان
ومخصوصان، وموضحهما معلوم، فقد شيد هذا القصر على
قلعة جبل يقع في اليمن، وكان هناك قوم من سكان اليمن
والهواضي يعيشون في عصر عاد، ثم استحوذ عليهم

الشيطان وأغواهم، فكذبوا نبيهم، وعبدوا الأصنام بإيهام
من الشيطان، وبنا قصرًا شاهقًا متني ذراع، من الصخر
والجص على قبة ذلك الجبل، وأقاموا فيه مائة دار في
خمس طوابق، وجعلوا طابقًا للرجال وطابقًا للنساء
للزواني وطابقًا للطعام والشراب وطابقًا لاستقرارهم.
وحفروا في سفح الجبل بئرًا، وجعلوها منهلًا لهم
ولذواتهم. وأخيرًا بلغ كفرهم وطغيانهم يومًا أقصى
غايته، فصرخوا على قبول الحق، وأذوا نبيهم، حتى دعا
عليهم قائلاً: اللهم أهلكهم بما شئت، ففار ساء بئره
فتبت مطلة، وبقيت أغنامهم عفاشي ثلاثة أيام ثم
ماتت، فلما كان اليوم الرابع بعث الله على إيلهم وجنا

ثلاث من آخرها، وبعث الله عليهم في اليوم السابع
جبرئيل فصاح فيهم فصاروا كلهم خامدين، فبقيت
البئر مطلة من الماء والقصر مطلة عن السكان، لم
يسكنه أحد إلى يومنا هذا. (٦: ٣٨١)

الزُّمَّخَرِيُّ: المعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطَّلنا
من سُقَاتِهَا، وقصر شيد لأهلينا عن ساكنيه، فترك
ذلك لدلالة (مُطَلَّة) عليه. [وبعد نقل قول الفخَّاك
قال:]

يُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ لَمْ يَسَافَرُوا فَحَفَّتُوا عَلَى السَّرِّ لِيَرَوْا
مَصَارِعَ مَنْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِكَفَرِهِمْ، وَيَسَاعِدُوا آثَارَهُمْ
فَيَحْتَبِرُوا، وَلَنْ يَكُونُوا لَدَى سَافَرُوا وَرَأَوْا ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمْ
يَسَافَرُوا لِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسَافَرُوا وَلَمْ يَرَوْا. (٣: ١٧)

الزُّمَّخَرِيُّ: كم من بئر بارأ^(١) أهلها وغار ساوفا
وتحلت من دلائها. فلا تستقي منها ولا وارد لها. [إلى أن
قال:]

وأصحاب الآبار: ملوك البئر، وأصحاب القصور:
ملوك المضر، ولي تفسير أهل البيت^(٢) في قوله:
«وَبِئْرٍ مُّطَّلَاةٍ» أن المعنى وكم من عالم لا يرجع إليه
ولا يستغنى بطلعه. (٤: ٨٨)

النيسابوري: هي القلب الفارغ عن أعمال القوى
الزَّوْجَانِيَّةِ، في طلب المعارف والحقائق. (١٧: ١١٦)
ابن كثير: أي لا يستقي منها، ولا يردُّها أحدٌ بعد
كثرة واردتها والازدحام عليها. (٤: ٦٥٢)

نحوه القاسمي.
الطُّرَيْحِيُّ: «البئر» بكسر الباء معروفة، وهي التي

يُحْتَقِ مِنْهَا الْمَاءُ بِالذَّلْوِ وَالزَّيْتَانِ. وَمَعْنَى الْبَيْرِ الْمَسْطَلَّةُ عَلَى مَاقِيلٍ - هِيَ الرُّسُ، وَكَانَتْ يُنْذَرُ لِأُمَّةٍ مِنْ بَقَايَا نَمُودَ. (٣: ٢١٢)

الكاشاني: إِنَّمَا كُنِيَ عَنِ الْإِمَامِ الصَّامِتِ بِالْبَيْرِ، لِأَنَّهُ مَنِعُ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْأَرْوَاحِ مَعَ خِفَاتِهِ إِلَّا عَلَى مَنْ أُنَامَ، كَمَا أَنَّ الْبَيْرَ مَنِعُ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْأَهْدَانِ مَعَ خِفَاتِهَا إِلَّا عَلَى مَنْ أُنَامَهَا. وَكُنِيَ عَنْ صَمْتِهِ بِالتَّعْطِيلِ لِعَدَمِ الِاتِّفَاعِ بِعِلْمِهِ. وَكُنِيَ عَنِ الْإِمَامِ الْقَاطِقِ بِالْقَمَرِ الْمُشِيدِ لظهوره وعلو منصبه وإشادة ذكره. (٢: ٢٨٢)

الشریف العاملي: قد مرَّ تأويلها بحلي ^{عليه السلام} وبولايته وبالإمام الصَّامِتِ وبالإمام القاتِبِ، وبمقاطعة وولدها المظللين من الملك، وكلَّ عالمٍ لا يُسَمَّعُ قَوْلُهُ - كَمَا سَيَأْتِي دَلِيلُهُ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ وَفِي تَرْجُمَةِ «الْقَصْرِ» - وَالْمَلَّةُ فِي الْمَجْمِيعِ تَعْطِيلُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالِاتِّفَاعِ الْمَجْلِيَّةُ، مَعَ اتِّصَافِ كُلِّ مِنْهُمْ بِكَامِلِ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَغَزَاةِ عِلْمِهِمْ، فَتَأَمَّلْ. (٩٤)

الطُّبَّاءُ طَبَّائِيٌّ: وَالْمَعْنَى فَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلُكُنَا أَهْلُهَا حَالِ كَوْنِهِمْ ظَالِمِينَ، فَهِيَ خَرِبَةٌ جُدْرَانُهَا عَلَى مَقْرُوعِهَا، وَكَمْ مِنْ بَيْرٍ مَسْطَلَّةٍ بِأَدِ النَّازِلِينَ عَلَيْهَا فَلَا وَلَدَ لَهَا وَلَا مُسْتَنِيٍّ مِنْهَا، وَكَمْ مِنْ قَصْرِ مُجْتَمِعٍ هَلِكُ سُكَّانِهَا لَا يَبْرَى لَمْ أَصْبَاحَ وَلَا يُسَمِعُ مِنْهُمْ حَسِيسٌ وَأَصْحَابُ الْأَهَارِ أَهْلُ الْبَدْوِ، وَأَصْحَابُ الْقُصُورِ أَهْلُ الْمَضَرِّ. (١٤: ٢٨٨)

المُصْطَفَوِيُّ: «الْبَيْرُ» عَطَلَتْ عَلَى «الْقَرْيَةِ» أَيْ وَمِنْ بَيْرٍ قَدْ عَطَلَتْ وَلَا تَسْتَفَادُ مِنْهَا وَلَا تُسْتَسْقَى، وَمِنْ

قَصْرِ جَالِبٍ قَدْ أُخْلِيَ وَلَيْسَ لَهُ أَهْلٌ، هَلَاكُ تِلْكَ الْقَرْيَةِ. وَذَكَرَ الْبَيْرَ وَالْقَصْرَ، فَإِنَّ الْمَسْكَنَ وَالْمَاءَ مِنْ ضَرُورَاتِ الْحَيَاةِ الْأَوَّلِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ وَالْاجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ. وَمِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ. (١: ١٩١)

الأصول اللُّغَوِيَّةُ

١- الْأَصْلُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ هُوَ الْخَبَاءُ وَالسُّتْرُ، يُقَالُ: بَازَتْ الشَّيْءُ وَابْتَارَتْهُ وَابْتَهَرَتْهُ ابْتِهَارًا وَابْتِهَارًا، أَيْ خَبَأَتْهُ. وَمِنْهُ: الْبَهْرُ، وَهِيَ حَفْرَةٌ يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا مَاخِيٌّ فِيهَا كَالْمَاءِ وَغَيْرِهِ. وَمِنْهُ أَيْضًا: الْبُؤْرَةُ، وَهِيَ حَفْرَةٌ تُحْفَرُ لِإِقْبَادِ النَّارِ وَطَبِخِ الطَّعَامِ فِيهَا، أَوْ لِاصْطِيَادِ الْأَسْوَدِ.

٢- أَمَّا قَوْلُهُمْ: ابْتَارَ فُلَانٌ خَيْرًا، بِمَعْنَى أَذْخَرَهُ، فَهُوَ بِهَازِيٍّ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «إِنَّ رَجُلًا آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَلَهِمْ يَبْتَهَرُ خَيْرًا» أَيْ لَمْ يَذْخَرْ.

وَقَدْ جُمِلَ بَعْضُ الْمَتَأَخِّرِينَ الْإِدْخَارِ أَصْلًا وَالسُّتْرَ فَرْعًا، خِلَافًا لِمَا قَالَ بِهِ الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ مِنَ اللَّغَوِيِّينَ، وَمِنْ الْغَرِيبِ أَنْ إِبْنِ فَارِسٍ - وَهُوَ رَأْسُ الْأَصُولِ اللَّغَوِيَّةِ - لَمْ يَتَرَضَّ لِي مَقَايِسِهِ لِهَذَا الْأَصْلِ أَبَدًا.

٣- وَهَنَاطُكَ دَوِيَّةٌ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ هُوَ «الْبَيْرُ» وَالْمُسْتَقَاتُ نَاشِئَةٌ عَنْهُ - كَمَا قُلْنَا فِي «الْأَدْنِ» وَنَحْوِهَا - وَهَذَا لَيْسَ بِعَيْنًا عَنِ الصَّوَابِ، فَإِنَّ أَلْفَاظَ الْمَحْسُوسَاتِ فِي تَلَفَّاتِ الْبَدَوِيَّةِ مَسَابِقَةٌ لِأَلْفَاظِ الْمَعْنَايِ، وَالْمَعْنَايِ نَاشِئَةٌ عَنِ الْمَحْسُوسَاتِ، حَتَّى أَنَّ الْمَعْنَايَ عِنْدَ الْأَنْوَاعِ الْبَدَوِيَّةِ - كَمَا عِنْدَ الْأَطْفَالِ - يَحْبَرُ صَنِهَا ابْتِدَاءً بِالْمَحْسُوسَاتِ وَبِالْإِشَارَةِ إِلَيْهَا.

وَيَبَيِّنُهُ أَنْ يُقَالُ: الْأَصْلُ فِي «الْبَيْرِ» هُوَ الْحَفْرَةُ الَّتِي

وخبأ واختبأ، والخبؤة والخبأة، والخبيرة والخبيرة،
إلا أن بينها فرقاً، إذ «البئر» لا يغيد السر والادخار
كالخبء فحسب، بل يعني أيضاً إيراز المستور وإظهاره
بالحفر كالبئر، ولذا قيل: البئر، على وزن «يقبل» بمعنى
«مفول».

الاستعمال القرآني

١- ورد لفظ «البئر» في القرآن مرة واحدة،
وما يمتناه أربع مرات:

١- ﴿فَكَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِنْ
خَارِبَةٍ غُلِي غُرُوبُهَا وَيَبْرُ مَقَطَّةٍ وَفُصِّرَ شَبِيدٌ﴾

الحج: ١٥

٢- ﴿وَعَادًا وَقَوْمًا وَأَصْحَابَ الرُّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ
الْفُرْقَانِ: ٣٨﴾

٣- ﴿وَقَوْمًا﴾

٤- ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي
غِيَابَتِ الْجُبِّ﴾

٥- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَآخَرُوا أَنَّهُ يَهْلِكُ فِي غِيَابَتِ
الْجُبِّ﴾

يوسف: ١٠
يوسف: ١٥
بلاحظ أولاً: أن لفظ (بئر) جاء نكرةً خلافاً للفظ
(الجُب) و (الرُّس)، ومرةً هذا التكرار إلى كونه عطفاً
على (قَرْيَةٍ)، على أحد قولين. و (قَرْيَةٍ) عيّر (فَكَأَيُّ)،
وهي أداة تبيد الإيهام والتكثير، أي كثير؟ ما أهلكنا أهل
الرُّس، وعطلنا آبارهم، ودمرنا قصورهم، فهـ البئر
المطلقة هنا تبيد الجنس والعموم، لا الخصوص كالجُبِّ

يدخر فيها الماء لأثام أخر، كما كانت في المجاز وغيرها
من الجزيرة العربية، وتوصف «البئر» بأنها حفرة صيقة
في الأرض، يُستشق منها الماء، وتُغطى فوهتها حذر
الوقوع فيها. وقد شُبِّهت بها الآن الحفر التي يُستخرج
منها النفط، فسُيِّت الواحدة منها بئراً أيضاً.

ثم تطورت الكلمة مع التطور الحضاري للناس،
حتى أصبحت «البئر» تدل على المكان الذي تُدخر فيه
الأشياء، وسرى هذا المعنى إلى سائر مشتقاتها أيضاً،
فُسِّمَت ما يدخر للأثام الثالية «بئيرة» على وزن
«خزينة»، أو «البئرة» على وزن «خيمة» و «جدة».

وسرعان ما أضحيت الكلمة تدل على العمل المستور
المنفي، كصدقة السر، أو العمل الصالح الذي يُعتمه المرء
في حياته، ويدخره إلى يوم الحساب.

فالبر على كل حال احتفظت بمعنيين أساسيين:
أ- معنى الخير والذخيرة المطلوبة في أيام الحاجة
ب- معنى السر والخلاء تحت الأرض أو طي
الكتمان أو ما يحسب عند الله.

٤- ولو ألقينا نظرة على تقاليد هذه المادة لوجدنا
أن (أرب) تعني الحاجة والعقل والنصيب والعقد،
و (أبر) تعني نخس شيء بشيء محدد، يُسمى «الإبرة»،
و (برأ) تعني التباعد من الشيء، و (رأب) تعني الجمع
والضم، و (ربأ) تعني الزيادة والنمو. فكلها قريبة من
(بأر)، إلا أن (أبر) أكثرها قرباً، إذ نخس الشيء
يحدث ما يشبه البئر.

٥- ورغم أن «البارة» و «الخبء» بمعنى واحد، وأن
بعض مشتقاتها متحد وزنًا ومعنىً، مثل: «بَارَ الشيء»

والرَّسَّ.

والحق أن هذا السَّاقِي في الآية يشمل ألفاظاً كلّها نكرة، مطوّقة على بعضها لبعض، على هذا القول: قرية وظلمة وخاوية وبئر مطّلة وقصر مشيد، وكما يفيد الكثرة من حيث العدد يفيد الإيهام والانسجام في الأعمار والأزمنة الفاسدة، وفي الصَّحاري والأمكنة المبعثرة، أي بجمولة زماناً ومكاناً وعدداً، وهذا السَّاقِي أبلغ في إفادة المراد من أي ساقٍ آخر.

وأما القول الآخر فيخيد أن (بئر) مطوّقة على (عُرُوسِهَا)، فيصبح المعنى: كثيراً ما ملعلنا أهل القرى، فحُطِّل آبارهم، وتُدْمِر قصورهم.

والقول الأول أوفق معنًى، والثاني أوفق لفظاً. وثانياً: قد بُسِّر أئمتة أهل البيت عليهم السلام بالبئر المطّلة، تأويلاً بالإمام العصاة الذي لا ينهل الناس من غير علمه، وهو تأويل من باب التشبيه بالمقصود إلى المراد بالبئر - كما ذكرنا آنفاً - عموم الآبار وجنسها، دون بئر معينة.

وثالثاً: شاكلت سورة «الحج» سورتي «الفرقان» و«ق» فيما يلي:

أ- الإشارة إلى النبي صلى الله عليه وآله وقومه.

ب- ذكر قوم نوح.

ج- ذكر قوم لوط.

د- ذكر عاد.

هـ- ذكر ثمود.

ولكن سورة الحج أتت على ذكر «أَصْحَابِ مَدْيَنَ» الحج: ٤٤، وفيها وقفت حكاية البئر، وتلكا السورتان أتتا على ذكر «أَصْحَابِ الرُّسَّ» دون

«أَصْحَابِ مَدْيَنَ»، فهل هذا يعني أن أصحاب مَدْيَنَ هم أصحاب الرُّسَّ؟ وأن أصحاب البئر المطّلة هم أصحاب الرُّسَّ أيضاً؟

ولكن يبدو أن ذكر «أَصْحَابِ الأَيْكَةِ» جاء بعد «أَصْحَابِ الرُّسَّ» في سورة ق: ١٢ و١٤، «وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَأَخُوَانُ لُوطٍ» وَأَصْحَابِ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُسُوعٍ ق: ١٣، ١٤. وقد تقدّم في «أيك» رجحان وحدة أصحاب الأيكة وأهل مَدْيَنَ، فإذا كان كذلك، فليس أهل مدين هم أصحاب الرُّسَّ، وإلا لما تكرّر. إضافة إلى أن (الرُّسَّ) معرّف باللام، وهو خاص. «وَبِئْرٍ مُّقَطَّنَةٍ» نكرة وعام كما سبق، لاحظ «أيك» ورباباً: لعلك تقول: ما الفرق بين البئر والجُبِّ؟

والجواب لإضافة (نَحَابِتُ) إلى (الجُبِّ)؟

الجواب: الفرق بين البئر والجُبِّ - كما يأتي في «نَحَابِتُ» - أن الجُبَّ: البئر التي لم تُطَوَّ، أي لم يُبْنِ داخلها بالحجارة، بل تُطَلَّع من الأرض قطعاً، فإن الجُبَّ: التُّطَلَّع، والبئر مأثبت بالحجارة، فإذا طُوِّت فهي بئر، أو هي مطلق، والجُبُّ خاصٌّ ببئر المطوَّية، فبئر يوسف كانت غير مطوَّية موحنة.

أما «نَحَابِتُ الجُبِّ» فهي موضع مُنْهَبَط مُظْلَم من البئر، غائب عن الأنظار، وعزَم إخوة يوسف على إلقائه وإخفائه في مثل هذا الموضع الخفي، ثم لا يُطَلَّع عليه أحد. وبذلك ظهر أن «بِئْرٍ مُّقَطَّنَةٍ» هي ما كانت يؤخذ منها الماء، وقد حُطِّلَتْ، والجُبُّ هو بئر عميقة قائمة، ملائمة لإلقاء يوسف وإخفائه فيها، لاحظ «غيب» و«ج ب ب».

وخامساً: أن (بئر) جاءت مرة واحدة في سورة

مرقمة بين كونها مكّية أو مدنية. وهي سورة الحجّ، والجمال أنّ كلّاً من ﴿غِيَاثِ الْجَبِّ﴾ و﴿أَصْحَابِ الرَّسِّ﴾ كُتِبَا مرتين في سور مكّية، فالأوّل كُتِر في سورة يوسف بشأن يوسف، تركيزاً على محنته الكبيرة التي ابتلي بها من قبل إخوته، فصرّ عليها، فنجّاه الله تعالى، ويؤام منصب عزيز مصر. وكُتِر الثاني في سورتين مكّيتين في رديف الأسم المتضوب عليهم، مثل: عاد ولؤد وفوم لوط وفوم نوح وفرعون، تركيزاً على بعدهم عن رحمة الله تعالى، فالبرّ ولعت موقع الغضب واللّعن، والجُبّ وقع موقع الرضا والتّشرب، رغم إرادة إخوة يوسف إبعاده من الأنظار وإذلاله بين الأنعام، وإخفاء ذكره، وإخفاء موضعه.

وسادساً: لكون آيات الرّسّ والجنّة مكّية، فكأنّ هذه النّسبة كانت بينهما. فكلّتا الكلمتان مفهومين لأهل مكّة، فهل يجي. (بئر) بدلهما في سورة يحتمل أن تكون مدنية دليل على أنّ هذه الآية كانت في سورة مكّية أكثر من مكّة لكثرة الآثار بها، بل جاز أخذها شاهداً على أنّ سورة الحجّ مدنية؟ أو يقال: إنّها مكّية، وأنّ جميعها دليل على قلّة الآثار بها، حتّى كادت تنحصر في بئر زمزم، وتذكيرها يحض هذه الرّؤية، وأنها كانت مجهولة عندهم، لا يلمسها إلا من ضرب في الأرض، وطوى المراحل، بخلاف أهل المدينة، حيث إنّ الآثار حُفرت عندهم بكثرة في البساتين والحدائق والمزارع والقرى المحيطة بها، وهذا وجه آخر لتذكيرها إضافة إلى ما تقدّم، والبحث بعد مفتوح للباحثين.

٢- ولعلّ ورود «البئر» يشير إلى أنّ معنى الحياة الأبدية الطّيبة هو واحد، ومورده واحد، وكلّ من ضلّ

عن تارة في صحراء الضلال والهلاك، كما أنّ ورود هذه الكلمة في سورة الحجّ ربما يشير إلى أنّ الحجّ هو المعين والمذخر الذي يجب ألا يترك دون استنار، أو إلى وجود معجزة في مرصّات الحرم الإلهي، وهي بئر زمزم التي انبجرت لإسحاق عليه السلام.

٣- وقد جاءت كلمة (بئر) مخفوضة، والبئر هي مخفوضة أيضاً عن سطح الأرض، والتخفيض إنّما جاء بالخطف على (قرينة)، وهذا هو التّراجع الذي يستقيم به المعنى إذا كان التّقدير: وكمن من بئر مطّلة ومن قصر مشيد، فغيا بمرورات كثيرة ومخفوضات لفظية ومعنوية.

٤- إنّ كلمة (بئر) وصفت بأنّها (مطّلة)، وتطليلها، وإطال الاستفاد من منافعه. وتطالها (بئر) برك العمل به، وإطال الاستفاد من منافعه. وتطالها (بئر) برك العمل به، وإطال الاستفاد من منافعه. وتطالها (بئر) برك العمل به، وإطال الاستفاد من منافعه.

أما القصر فهو (مشيد)، وجاء الوصف حاكياً حالته، وهي المخلوّ بهد الرّيح، فكأنّه تخفّض وهبط بخفض سكّانه وهبوطهم في الحفر، ولم يوصف باللفظ «مشيد»، إذ فيه الرّضة والحياة، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ النساء: ٧٨.

٥- إنّ سورة البئر المطّلة وما يحيط بها من صور أخرى تشير إلى عبيرة يفتل الإنسان عنها، رغم تكرارها كلّ يوم، وهي الموت الذي يحترقه فجأة. وسياق الآية يرسم صورة رهبة موحشة، حيث القرية خاوية هامدة، لا تسع فيها ولا حركة، بعد أن كانت تسمج بالتنادي والزّاح.



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

ب أس

١٣ لفظاً، ٧٣ مرة، ٢٤ مكتبة، ٣٩ مدنية

في ٣٢ سورة، ١٤ مكتبة، ١٨ مدنية

بَشَرٌ ٣٧: ١١-٢٦	بَاسَهُ ١: ١	بَحَرِيٌّ «بِهِمْ» في المصادر، إِلَّا أَنَّهُمْ إِذَا صَرَفُوهُ قَالُوا:
بَشَرًا ٣: ١-٢	بِأَسْمِهِمْ ١: ١	يَكُونُوا وَيَصْعُقُوا، وَإِذَا جَعَلُوهُ نَعْمًا قَالُوا: نَعِيمٌ وَبَشَرٌ، كَمَا
الْبَاشِرُ ١: ١	بِأَسْكُمُ ٢: ٢	يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: «يَقْضَىٰ بِبَشِيرٍ» الْأَعْرَافُ: ١٦٥.
بَشِيرٌ ١: ١	بِأَمْنًا ١٠: ١٠	عَلَى «الْقَبِيلِ».
بَاسٌ ٧: ٤-٣	الْبَاسَاءُ ٤: ٢-٢	وَلَمَّا لُفِلَ مُضَرٌّ نَعِيمٌ وَبَشِيرٌ، يَكْبِرُونَ اللَّاءَ فِي
الْبَاسُ ٢: ٢	تَبَشِيرٌ ٢: ٢	«فَعِيلٌ» إِذَا كَانَ الْحَرْفُ الثَّانِي مِنْهُ مِنْ حُرُوفِ الْمَخْلَقِ
بَاسًا ٢: ١-١		الَّتِي، وَيَلْتَمِثُ كُيْرُ: الضَّيْنِ وَدُرَيْسٌ وَدُهَيْنٌ. وَأَمَّا مَنْ
		كَسَرَ «يَكْبِرُ» وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ حُرُوفِ الْمَخْلَقِ فَلَيْتَهُمْ
		نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ.

التَّصَوُّصُ اللَّغَوِيُّ

الْعَلِيلُ، الْبَاسُ: الْحَرْبُ، وَرَجُلٌ بَشِيرٌ قَدْ بَوَّسَ	وَأَعْلَى الثُّعْرَ ^(١) ، يَكْبِرُونَ كُلَّ «فَعِيلٍ» وَهُوَ قَبِيحٌ
بَاسَةً، أَيْ شَجَاعًا، وَالْبَاسَاءُ: اسْمٌ لِلْحَرْبِ، وَالْمَشَقَّةِ،	إِلَّا فِي الْحُرُوفِ الَّتِي، وَلَهَا أَيْضًا يَكْبِرُونَ حَذَرَ كُلِّ
وَالضَّرَرِ.	فَعْلٍ يَمِيءُ عَلَى بِنَاءِ «فَعِيلٍ» نَحْوُ قَوْلِكَ: شَهِدَ وَبَشِيرٌ
وَالْبَاسُ: الرَّجُلُ النَّازِلُ بِهِ بَلِيَّةٌ، أَوْ عُدُوٌّ يُرْحَمُ لَمَّا	وَيُفَرِّقُونَ (وَمَا يَشْهَدُنَا إِلَّا بِمَا عَلَيْنَا) يُوسُفُ: ٨١
بِهِ، قَدْ بَوَّسَ يَبُوسُ يَوْسَا وَيُوسَى.	وَالْبَاسَةُ: اسْمٌ لِلْفَقْرِ، وَهِيَ الَّتِي حَتَّى عَدِيٍّ بْنِ زَيْدٍ

وَمِنْهُ اسْتِثْقَانُ «بَشِيرٍ» وَهُوَ تَقْيِضُ صَلَاحٍ، يَحْصُرِي

(١) ساحل البحرين وعمان وعدن، (القاموس المحيط).

حين قال: «في غير متباعدة».

يسميّونه: وأصل نعم ونعم ونعم ونعم. وهذا الأصلان اللذان وضعنا في الرّداءة والصلاح، ولا يكون منها فضل لغير هذا المعنى.

قالوا: يؤسأ له، في حدّ الدعاء، وهو مما انتصب على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره.

البائس من الألفاظ المترحم بها كالمسكين، وليس كلّ صفة يترحم بها وإن كان فيها معنى البائس والمسكين، وقد يؤس تأتة وشيا، والاسم الجؤسى.

(ابن منظور ٦: ٢١)

الفرّاء: «نم» لا يليها مرفوع موقّت، ولا منصوب موقّت، ولها وجهان:

فإذا وصلت بها نكرة - قد تكون معرفة بمحدث للشيء ولا م فيها - نصبت تلك النكرة، كقولك: نم رجلاً عمرو، ونم رجلاً عمرو.

وإذا أوليتها معرفة فليكن غير موقّت، في سبيل النكرة، ألا ترى أنك ترفع فتقول: نم الرجل عمرو، ونم الرجل عمرو.

فإن أضفت النكرة إلى نكرة رفعت ونصبت كقولك: نم غلام سفر زيد، وغلام سفر زيد.

وإن أضفت إلى المعرفة شيئاً رفعت، فقلت: نم سائس الخيل زيد، ولا يجوز التصب إلا أن يضطر إليه شاعر، لأنهم حين أضافوا إلى النكرة رفعوا، فلهم إذا أضافوا إلى المعرفة أخرى ألا ينصبوا.

وإذا أوليت «نم ونم» من التكرات ما لا يكون معرفة مثل «مثل» و«أي» كان الكلام فاسداً، خطأ أن

تقول: نعم مثلك زيد، ونم أي رجل زيد، لأنّ هذين لا يكونان مفسرين، ألا ترى أنك لا تقول: «نم» من أي رجل، كما تقول: «نم» من رجل.

ولا يصلح أن تولي نعم ونم «الذي» ولا «من» ولا «ما» إلا أن تأتي بهما الاكتفاء دون أن يأتي بعد ذلك اسم مرفوع، من ذلك قولك: نسما صمت، فلهذه مكثفة، وساء ما صمت، ولا يجوز ساء ما صمتك.

وقد أجازوه الكسائي في كتابه على هذا المذهب، ولا نعرف ما جهته. وقال: أرادت العرب أن تجعل «ما» بمنزلة «الرجل» حرفاً تاماً، ثم أضروا لصحت «ما» كأنه قال: نسما ما صمت، فهذا قوله وأنا لا أجزيه.

فإذا جعلت «نم» صلة «ما» بمنزلة قولك «كُلها» و«نما» كانت بمنزلة «حبذا» فرضت بها الأسماء، من ذلك قول الله عز وجل: «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنَنْصِفُهَا مِنْ» البقرة: ٢٧١، رفعت (هي) (بزيها).

ولأنّيت في «نم» ولأنّية إذا جعلت «ما» صلة لها، فتصير «ما» مع «نم» بمنزلة «ذا» من «حبذا» ألا ترى أن «حبذا» لا يدخلها أنّيت ولا جمع.

ولو جعلت «ما» على جهة المشو كما تقول: عسا قليل آتيك، جاز فيه لأنّيت والجمع، فقلت: نسما رجلين أنتا، ونسما ما جارية جاريتك، وسمعت العرب تقول: في «نم» المكثفة ب«ما»: نسما تزويج ولا مهر، فيرضون التزويج ب«نسما».

أبو زيد: يقال في مثل: «نم كُلب في يؤس أهله». ونسب أهله ونسب أهله لعتان. يقال هذا للإيمان إذا أكل من مال غيره، وأصله أن كُلباً سمين وأهزل الناس.

فَأَكَلَ الْبَيْتَ حَتَّى سَوَّى وَتَمَّ، وَأَهْلَهُ بَائِسُونَ. (٢٤٧)

بُؤْسَ الرَّجُلِ يَبُؤُسُ بَأْسًا، إِذَا كَانَ شَدِيدَ الْبَأْسِ

شَجَاعًا، وَيُقَالُ مِنَ «الْبُؤْسِ» وَهُوَ الْقُفْرُ: يَبُؤِسُ الرَّجُلُ

يَبُؤُسُ بُؤْسًا وَيَبُؤُسُ وَيَبُؤُسًا، إِذَا افْتَرَّ، فَهُوَ بَائِسٌ، أَيْ

فَقِيرٌ، وَالشَّجَاعُ يُقَالُ مِنْهُ: يَبُؤُسُ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٣: ١٠٧)

يُقَالُ: ابْتَأَسَ الرَّجُلُ، إِذَا بَلَغَهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، [نَم]

اسْتَشْهَدْ بِشَرِّ] (الْأَزْهَرِيُّ ١٣: ١٠٨)

الْأَصْحَمِيُّ: «عَصَى الْعَوْنُ أَنْوَسًا» هُوَ مِثْلُ لِكَلٍّ

شَيْءٍ يَخَافُ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُ شَرٌّ، وَأَصْلُ هَذَا الْمَثَلِ: أَنَّهُ كَانَ

غَارَ فِيهِ نَاسٌ فَانْهَارَ عَلَيْهِمْ أَوْ أَنْهَارَ فِيهِ فَقُتِلُوا.

(ابن منظور ٦: ٢٣)

الْأَخْفَشُ: الْبَأْسَاءُ: يُفَى عَلَى «فُعْلَاءَ» وَلَيْسَ لَهُ

أَفْعَلٌ، لِأَنَّهُ اسْمٌ كَمَا قَدْ عَجِبَ «أَفْعَلٌ» فِي الْأَسْمَاءِ لَيْسَ

بِهِ فُعْلَاءٌ، نَحْوُ أَحَدٍ. (الْأَزْهَرِيُّ ٢: ٩٠٧)

ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: بُؤْسًا لَهُ وَسُوسًا وَجُوسًا، بِجَمْعِ

وَاحِدٍ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٣: ١٠٧)

الْبَيْسُ وَالْبَيْسُ عَلَى «فُعْلٍ»: الْعَذَابُ الشَّدِيدُ.

وَبَائِسَ الرَّجُلِ يَبُؤُسُ يَبُؤُسًا، إِذَا تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ

وَأَذَاهُمْ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٣: ١٠٨)

وَأَبَاسَ الرَّجُلِ: حَلَّتْ بِهِ الْبَأْسَاءُ.

(ابن منظور ٦: ٢١)

شَوْرَ: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِعَدُوِّهِ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، فَقَدْ

أَمَّنَهُ، لِأَنَّهُ نَقِيَ الْبَأْسَ عَنْهُ، وَهُوَ فِي ثِقَةٍ جَيِّدَةٍ، نَبَاتٌ، أَيْ

لَا بَأْسَ. [نَمَّ اسْتَشْهَدْ بِشَرِّ] (الْأَزْهَرِيُّ ١٣: ١٠٩)

الرَّجَاجُ: «بَيْسٌ» إِذَا وَقَعَتْ عَلَى «مَاءٍ» جُعِلَتْ مِنْهَا

يَمْرُزَةٌ اسْمٌ مَكْنُودٌ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي يَمْعٍ وَبَيْسٍ، لِأَنَّهُمَا

لَا يَعْمَلَانِ فِي اسْمٍ عَلَمٍ، إِنَّمَا يَعْمَلَانِ فِي اسْمٍ مَكْنُودٍ وَاقٍ

عَلَى جِنْسٍ، أَوْ اسْمٍ فِيهِ أَلِفٌ وَلَا مَ يَدُلُّ عَلَى جِنْسٍ.

وَإِنَّمَا كَانَتْ كَذَلِكَ لِأَنَّ «يَمْعَ» مُتَوَفِيَةٌ لِجَمِيعِ الْمَدَحِ.

و«بَيْسٌ» مُتَوَفِيَةٌ لِجَمِيعِ الذَّمِّ، فَإِذَا قُلْتُ: نَعَمْ الرَّجُلُ

زَيْدٌ، فَقَدْ اسْتَحَقَّ زَيْدَ الْمَدَحِ الَّذِي يَكُونُ فِي سَائِرِ جِنْسِهِ.

وَفِي «يَمْعِ الرَّجُلِ زَيْدٌ» أَرْبَعُ لُغَاتٍ: نَعَمْ الرَّجُلُ زَيْدٌ.

وَنَعَمْ الرَّجُلُ زَيْدٌ، وَنَعَمْ الرَّجُلُ زَيْدٌ، وَنَعَمْ الرَّجُلُ زَيْدٌ.

وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْتُ: بَيْسَ الرَّجُلِ، دَلَلْتُ عَلَى أَنَّهُ اسْتَوْفَى

الذَّمَّ الَّذِي يَكُونُ فِي سَائِرِ جِنْسِهِ.

فَلَمْ يَجَزْ إِذَا كَانَ يَسْتَوْفِي مَدَحَ الْأَجْنَاسِ أَنْ يَعْمَلَ فِي

غَيْرِ لَفْظٍ جِنْسٍ، فَإِنَّمَا كَانَ مَعَهَا اسْمُ جِنْسٍ بِغَيْرِ أَلِفٍ

وَلَا مَ هُوَ نَصْبٌ أَبَدًا، وَإِذَا كَانَتْ فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ فَهُوَ

رَفْعٌ أَبَدًا، وَكَذَلِكَ كَقَوْلِكَ: نَعَمْ رَجُلًا زَيْدٌ، وَنَعَمْ الرَّجُلُ

زَيْدٌ، فَلَمَّا نَصَبَ «رَجُلًا» فَعَمِلَ التَّمْيِيزَ.

وَفِي «يَمْعِ» كَلِمَةٌ مَضْمُرَةٌ عَلَى شَرِيطَةِ التَّكْسِيرِ، وَزَيْدٌ

مَبْنِيٌّ مِنْ هَذَا الْمَدْحِ، لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: نَعَمْ الرَّجُلُ

لَمْ يَطْلَمْ مَنْ تَعْنِي، فَقَوْلُكَ: زَيْدٌ، تَرِيدُ بِهِ هَذَا الْمَدْحَ هُوَ

زَيْدٌ. (١١: ١٧٢)

يُقَالُ: قَدْ بَأَسَ الرَّجُلُ يَبُؤُسُ بَأْسًا وَبُؤْسًا وَبُؤُسًا

بَاهُذَا، إِذَا افْتَرَّ، وَقَدْ بُؤَسَ الرَّجُلُ يَبُؤُسُ فَهُوَ بَيْسٌ، إِذَا

اسْتَشَدَّتْ شَجَاعَتُهُ. (١١: ٢٤٧)

ابْنُ دُرَيْدٍ: الْبُؤْسُ: خُذَّ التَّعْيِمَ، وَالْبَأْسَاءُ: خُذَّ

التَّعْمَاءَ، وَالْبَأْسُ: الْحَرْبُ، نَمَّ كَثُرَ حَتَّى قِيلَ: لَا بَأْسَ

عَلَيْكَ، أَيْ لَا خَوْفَ عَلَيْكَ.

وَرَجُلٌ بَكِيْسٌ: شَجَاعٌ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْبَأْسِ، وَرَجُلٌ

يقول: نسبتُ آية كُتِبَتْ وَكُتِبَتْ، أمّا إنّه مانسي ولكنّه أنسي.

والعرب تقول: بسما لك أن تعمل كذا وكذا، إذا أدخلت «ما» في بَسَّ أدخلت بعدها «أن» مع الفعل: بسما لك أن تهجر أخاك، وبسما لك أن تشتم الناس.

وردى جميع الصحويين: بسما تزويج ولا تهر. والمعنى فيه: بَسَّ شيئاً تزويج ولا تهر. (١٠٩: ١٣) الصاحب: البأس: الحرب، رجل بئس قد بؤس بآس: وهو الشجاع.

والبأساء: للعرب، والمشقة، والفقر.

والبائس: الرجل النازل به بئس أو عَدَمَ. بؤس

بؤس بؤسا وبؤسى.

وبئس: ضد نعم.

ونعم وبئس.

واغتيم هذا الأمر وابئس: بمعنى واحد. (١٠٨: ٨)

البجوهري: بَسَّ: كلمة ذم، ونعم: كلمة مدح.

تقول: بَسَّ الرجل زيد، وبسَّت المرأة هند.

وهما فلان ماضيان لا يتصرفان، لأنها أزيلا عن

موضعها، فنعم منقول من قولك: نيم فلان، إذا أصاب

نعمة، وبَسَّ منقول من: بَسَّ فلان، إذا أصاب بؤسا.

فتنقل إلى المدح والذم، فتشابه الحروف فلم يتصرفا.

«البؤس: جمع بؤس، من قولهم: يوم بؤس ويوم

نعم».

والبؤس أيضا: الداهية، وفي المثل: «عسى النور

أبوءا».

وقد أبأس إبأسا. [نعم استشهد بشعر]

بؤس: ظاهر البؤس، وعذاب بئس: شديد.

(٢٠٦: ٣)

وبؤس الرجل يبؤس بآسا، إذا كان شديد البأس،

ومن البؤس قد بَسَّ بؤس بآسا وبئسا. والبأساء

اشتقاقها من البأس، والبؤسى مثل الطوى اشتقاقها من

البؤس. (٢٧٧: ٢)

عبد الرحمن الهمذاني: أجناس الشجاعة:

البسالة، والتجندة، والبأس.

لبي: ومن أمثال العرب: «نعم كذب في بؤس

أهله». ويقال: بئس أهله، ويقال: بَسَّ أهله

لنسان، يضرب مثلا للرجل يأكل مال غيره فيبؤس

ويبؤس. وأصله أن كلبا سمين وأهزل الناس لأكل الجيفة.

فأهله بانسون. (٣١: ٢)

السيرافي: نيم وبَسَّ فلان ماضيان، ويضربان

للمدح والذم، فينعم للمدح العام، وبَسَّ للذم العام.

ومبتناها على «فعل» في الأصل، وفي كل واحد منها

أربع لغات: فَعِل، وفَعِل، وفَعِل، وفَعِل.

ويلزم باب نعم وبَسَّ ذكر شيئين: أحدهما الاسم

الذي يستحق به المدح أو الذم، والآخر المعدوح

والمذموم، وذلك قولك: نيم الرجل زيد وبَسَّ الخادم

غلامك، فالاسم الذي يستحق به المدح هو الاسم الذي

تعمل فيه نعم أو بَسَّ. (حاشية كتاب سيرة: ٢: ١٧٥)

الأزهري: ومن العرب من يصل بَسَّ به ماء، قال

الله جل وعز: «لَبِئْسَ مَا كَرَّوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» البقرة:

١٠٢

وردى عن النبي ﷺ أنه قال: «بَسَّنا لأحدكم أن

ولا يبتئس، أي لا يحزن ولا تشتك.

والبتئس: الكاره والحزين. [تم استشهاد بشعر]

والبأساء: الشدة.

والبؤس: خلاف التمس. (٩٠٧: ٣)

ابن فارس: الباء والمزة والتين أصل واحد: الشدة وما صار عنها، قال بأس: الشدة في الحرب، ورجل ذو بأس وبئس، أي شجاع، وقد بأس بأساً.

فإن نطقه بالبؤس قلت: بؤس، والبؤس: الشدة في التيسر، والمبتئس: المقتل من الكراهة والحزن، [تم استشهاد بشعر] (٣٢٨: ١)

نحوه ابن سيدة، (الإيضاح ١: ١٤٢)

أبو هلال: الفرق بين الفقير والبأس، قال مجاهد وغيره: البأس: الذي يسأل يده، قلنا: وإنما سمي من هذه حاله لأنه يظهر أثر البؤس عليه يده للسألة: وهو على جهة المبالغة في الوصف له بالفقر.

وقال بعضهم: هو بمعنى المسكين، لأن المسكين هو الذي يكون في نهاية الفقر قد ظهر عليه السكون للحاجة وسوء الحال، وهو الذي لا يجد شيئاً. (١٤٧)

الفرق بين الضلالة والبأساء، أن البأساء ضراء بها خوف، وأصلها: اليأس وهو الخوف، يقال: لا بأس عليك، أي لا خوف عليك، وسميت الحرب بأساً لما فيها من الخوف.

والبأس: الرجل إذا تحفه بأس، وإذا تحفه بؤس أيضاً، قال تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ هود: ٣٦، أي لا يلحقك بؤس، ويجوز أن يكون من البأس، أي لا يلحقك خوف، بما فعلوا.

وجاء البأس بمعنى الإثم في قولهم: لا بأس بكذا، أي

لا إثم فيه، ويقال أيضاً: لا بأس فيه، أي هو جائز شائع.

(١٦٣)

الفرق بين الخوف والبأس والبؤس، أن البأس

يجري على الشدة من السلاح وغيرها، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ الحديد: ٢٥.

ويحصل في موضع الخوف مجازاً، فيقال: لا بأس

عليك ولا بأس في هذا الفعل، أي لا كراهة فيه. (٢٠٢)

المعزوي: «بتس» حرف مستوف لجميع الأسماء، كما

أن «نعم» مستوف لجميع المدح، فإذا وليا اسمًا جنسًا

فيه ألف ولام ارتفع، تقول: بتس الرجل أنت، فإذا لم

يكن فيه ألف ولام انتصب، تقول: بتس رجلاً أنت،

وقال ابن سيدة: «بتس» على التخيير. (١١٩: ١)

ابن سيدة: البأس: الحرب، ثم كثر حتى قيل:

بأس عليك، ولا بأس، أي لا خوف. [تم استشهاد

بشعر] (ابن منظور ٦: ٢٠)

الطوسي: أصل بتس: بئس من «البؤس»

فأسكت المزة ونقلت حركتها إلى الباء، كما قالوا في

ظلمت: ظلمت، وكما قيل للكبد: كبد، فنقلت حركة الباء

إلى الكاف لما سكنت الباء.

ويحصل أن تكون «بتس» وإن كان أصلها: بئس،

من لغة من ينقل حركة العين من قيل إلى الغاء إذا كانت

حين ينقل أحد حروف الملق الشدة، كما قالوا في لبس:

لبس، وفي سليم رشم، وهي لغة تميم. (٣٤٦: ١)

اليأس: العذاب، والبؤس: الفقر، والأصل: الشدة.

ورجل بئس: شديد في القتال، ومنه قولهم: بتس الرجل

زيد، معناه شديد الفساد. (٤: ٥١٠)

الرَّايِبُ، اليُّوسُ والبأسُ والبأساء: الشدة والمكروه، **إِلَّا أَنَّ اليُّوسَ فِي الْفَقْرِ وَالْحَرْبِ أَكْثَرُ**، والبأسُ والبأساء فِي التَّكَايَةِ نَحْوُ: «وَلَقَدْ أَقْذُ بِنَاثَا وَأَقْذُ تَكْبِيلًا» النساء: ٨٤، «فَأَخَذْنَاهُم بِالْيَأْسَاءِ وَالضَّرْعِ» الأنعام: ٤٢، «وَالضَّالِّينَ فِي الْيَأْسَاءِ وَالضَّرْعِ وَجِنِّ الْيَأْسِ» البقرة: ١٧٧، وَقَالَ تَعَالَى: «بِمَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدًا» الحشر: ١٤، وَقَدْ يُؤْمَسُ يَبُوسٌ، بِفَتْحِ الْبَاءِ، بِشَيْبٍ الْأَصْرَافُ: ١٦٥، فَمِيلُ مِنَ الْبَاسِ أَوْ مِنَ الْيُّوسِ، «فَلَا تَبْتَئِسْ» هود: ٣٦، أَي لَا تَلْتَزِمِ الْيُّوسَ وَلَا تَحْزَنْ.

وَالْيَابِسُ أَنَّهُ يَلْبَسُ كَانَ يَكْسِرُ الْيُّوسَ وَالْيَابِسُ وَالْيَبُوسُ، أَي الضَّرْعَةُ لِلْفَقْرِ، أَوْ أَنَّ يَجْمَعُ حَتَّى ذَلِيلًا وَيَتَكَفَّفُ ذَلِكَ جَمِيعًا.

و«يَبُسُ» كَلِمَةٌ تَسْمَعُ فِي جَمِيعِ الْمَذَامِ، كَمَا أَنَّ «يَنْبَسُ» تَسْمَعُ فِي جَمِيعِ الْمَصَادِحِ، وَبِرْهَانِ مَا فِيهِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ أَوْ مَضَافًا إِلَى مَا فِيهِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ، نَحْوُ: يَبُسُ الرَّجُلُ زَيْدٌ وَيَبُسُ غُلَامُ الرَّجُلِ زَيْدٌ، وَيَنْبَسُ التَّكْرَةُ نَحْوُ: يَبُسُ رَجُلًا، وَيَبُسُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، أَي شَيْئًا يَفْعَلُونَهُ، قَالَ تَعَالَى: «وَيَبُسُ الْقُرْآنُ» إِبْرَاهِيمَ: ٢٩، «فَلْيَبُسْ مَقْوَى السَّكْبَرَيْنِ» التَّحَلُّ: ٢٩، «يَبُسُ الْإِسْقَالِيْنَ بِدَلَالَةٍ» الْكَهْفُ: ٥٠، «تَبْتَئِسْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» الْمَائِدَةُ: ٦٣.

وَأَصْلُ بَيْسٍ: يَبِسَ، وَهُوَ مِنْ «الْيُّوسِ». (٦٦) الزُّمَّخَشَرِيُّ: فَلَانٌ ذُو بَاسٍ، وَشَجَاعٌ بَيْسٍ، وَقَدْ يُؤْمَسُ.

وَيُؤْسُ بَعْدَ غِنَاءٍ: اخْتَقَرَّ، فَهُوَ بِأَيْسٍ.

وَوَقَعَ فِي الْيُّوسِ وَالْبَاسِ، وَفِي أَمْرِ بَيْسٍ: شَدِيدٌ.

وَالْيَبُوسُ بِذَلِكَ، إِذَا اكْتَابَ وَاسْتَكْتَبَ مِنَ الْكُتَّابَةِ

«فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» يوسف: ٦٩، [ثم]

استشهد بشر]

الْفَقْرُ الرَّازِي: اعْلَمْ أَنَّ الْبَحْثَ عَنْ حَقِيقَةِ «بَسَاءِ»

لَا يَحْصِلُ إِلَّا فِي مَسَائِلَ:

المَسْأَلَةُ الْأُولَى: أَصْلُ يَنْبَسُ وَيَبُسُ: يَنْبَسُ، بِفَتْحِ

الْأَوَّلِ وَكسْرِ الثَّانِي، كَقَوْلِنَا: «عَلِمَ» إِلَّا أَنَّ مَا كَانَ ثَانِيَهُ

حَرْفَ حَلَقٍ وَهُوَ مَكْسُورٌ، يَجُوزُ فِيهِ أَرْبَعُ لَفَاتٍ:

الْأَوَّلُ: عَلَى الْأَصْلِ، أَعْنَى بِفَتْحِ الْأَوَّلِ وَكسْرِ الثَّانِي.

وَالثَّانِي: إِتْبَاعُ الْأَوَّلِ لِلثَّانِي، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بِكسْرِ

الْثَوْنِ وَالْمَعِينِ، وَكَذَا يُقَالُ: يَنْبَسُ بِكسْرِ الْقَاءِ وَالْهَاءِ، وَهَمْ

وَأَنَّهُ كَانُوا يَفْرَوْنَ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْكسْرِ تَيْنِ إِلَّا أَنَّهُمْ

جَوَّزُوهُ هَاهُنَا، لَكُونَ الْحَرْفُ الْحَلَقِيُّ مُسْتَتَبِعًا لَمَّا يَجَاوِرُهُ.

الثَّالِثُ: إِسْكَانُ الْحَرْفِ الْحَلَقِيِّ الْمَكْسُورِ وَتَرْكُ مَا قَبْلَهُ

عَلَى مَا كَانَ، فَيُقَالُ: يَنْبَسُ وَيَبُسُ بِفَتْحِ الْأَوَّلِ وَإِسْكَانِ

الثَّانِي، كَمَا يُقَالُ: يَنْبَسُ بِفَتْحِ الْقَاءِ وَإِسْكَانِ الْهَاءِ.

الرَّابِعُ: أَنْ يَكُونَ الْحَرْفُ الْحَلَقِيُّ، وَتُنْقَلُ كسْرَتُهُ إِلَى

مَا قَبْلَهُ، فَيُقَالُ: يَنْبَسُ بِكسْرِ الثَوْنِ وَإِسْكَانِ الْمَعِينِ، كَمَا

يُقَالُ: يَنْبَسُ بِكسْرِ الْقَاءِ وَإِسْكَانِ الْهَاءِ.

وَعَلِمَ أَنَّ هَذَا التَّنْصِيرَ الْأَخِيرَ وَإِنْ كَانَ فِي الْجَوَازِ حَيْثُ

إِطْلَاقُ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ إِلَّا أَنَّهُمْ جَعَلُوهُ لَازِمًا لَهَا،

لِخُرُوجِهَا عَنَّا وَضَعَتْ لَهُ الْأَفْعَالُ الْمَاضِيَّةُ، مِنَ الْإِخْبَارِ

عَنْ وَجُودِ الْمَصْدَرِ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي، وَحَصِيرِ وَرْتِهَا

كَلِمَتِي مَدَحٍ وَذَمٍّ، وَرَادَ بِهَا الْمَجَالَّةُ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ.

لهذا التعبير اللازم في اللفظ على التعبير عن الأصل في المعنى، فيقولون: نعم الرجل زيد، ولا يذكرونه على الأصل إلا في ضرورة الشعر. [ثم استشهد بشعر]

المسألة الثانية: أنها فعلان من نعم ينعم وينسى يتأس، والدليل عليه دخول التاء التي هي علامة التانيث فيها، فيقال: نُسِئتَ ونُسِئتَ، والقراء يحفظونها بمنزلة الأسماء، ويحتاج بقول حسان بن ثابت ~~عليه~~:

ألسنا بنعم الجار يؤلف بيته

من الناس ذمال كثير ومعدما
وبما روي أن أعرابياً بشر بمولودة، ف قيل له: نعم المولود مولودك، فقال: والله ما هي بنعم المولودة، والبصريون يجهلون عنه بأن ذلك طريق الحكاية.

المسألة الثالثة: اعلم أن «نعم ونسى» أصلان للصلاح والزكاة، ويكون فاعلهما اسماً يستحق الجنس إما مظهراً وإما مضمراً.

والظاهر على وجهين: الأول: نحو قولك نعم الرجل زيد، لا تريد رجلاً دون الرجل وإنما قصد الرجل على الإطلاق، والثاني: نحو قولك: نعم غلام الرجل زيد. [ثم استشهد بشعر]

وأما المضمر فكقولك: نعم رجلاً زيد، الأصل: نعم الرجل رجلاً زيد، ثم ترك ذكر الأول، لأن التكرار المنصوب تدل عليه «رجلاً» نصب على التمييز، مثله في قولك: عشرون رجلاً، والتمييز لا يكون إلا لتكرار، ألا ترى أن أحداً لا يقول: عشرون قدرهم.

ولو أدخلوا الألف واللام على هذا فقالوا: نعم الرجل بهاتصب، لكان سقطاً للبرص، إذ لو كانوا

يريدون الإتيان بالألف واللام لرفعوا، وقالوا: نعم الرجل، وكفوا أنفسهم مؤولة الإضمار، وإنما أضمرنا التفاعل قصداً للاختصار، إذ كان «نعم رجلاً» يدل على الجنس الذي فُعل عليه.

المسألة الرابعة: إذا قلت: نعم الرجل زيد، فهو على وجهين:

أحدهما: أن يكون مهتماً مؤخرًا، كأنه قيل: زيد نعم الرجل، أخرت زيدا والتبته به التقديم، كما تقول: مررت به المسكين تريد المسكين مررت به، فأتينا الزايع إلى المبتدأ، فإن الرجل لما كان شائعاً ينظم فيه الجنس، كان زيداً داخلًا تحته، فصار بمنزلة الذكر الذي يعود إليه، والوجه الآخر زيد خبر مبدل محذوف، كأنه لما قيل: نعم الرجل، قيل: من هذا الذي أنني عليه؟ فقيل:

هذا المسكين، المخصوص بالمدح والذم لا يكون إلا من جنس المذكور بعد «نعم ونسى» كزيد من الرجال، وإذا كان كذلك كان المضاف إلى القوم في قوله تعالى: «نساء غفلاً لقوم الذين كذبوا بآياتنا» الأعراف: ١٧٧، محذوفًا، وتقديره: ساء مثلاً مثل لقوم الذين كذبوا بآياتنا. (٣: ١٨٢)

المديني: في الحديث عقيب الصلاة: تُفَنِّج يديك وتبأس، وتتشكَّن.

وهروى: تبأس وتشكَّن على الأمر، وهروى: تبأس، أي أظهر البؤس والشكينة والافتقار إلى الله عز وجل.

ومنه الحديث الآخر: «أنت عليه الصلاة والسلام،

مدح أو ذم، فمنها: نعم ويمن، وشرطهما أن يكون
الفاعل معرفًا باللام أو مضافًا إلى المرفوع بها أو مضمرة
مميزًا بنكرة منصوبة، أو [مميزًا] بهما، مثل: فنعما هي،
وبعد ذلك المخصوص وهو مبتدأ، ما قبله خبره، أو خبر
مبتدئ مذكور، مثل: نعم الرجل زيد، وشرطه مطابقة
الفاعل ﴿يُؤْسُ ثَقُلَ الْقَوْمُ الَّذِينَ﴾ للجمعة: ٥، وشبهه
متأول، وقد يحذف المخصوص إذا علم مثل ﴿يُؤْسُ الْقَوْمُ﴾
ص: ٤٤، و﴿يُؤْسُ الْمَاهِدُونَ﴾ الذاريات: ٤٨.

(الكافية ٢: ٣١١)

الضخاني: والبأس، مثال يئس: الأسد.
والبأس أيضًا: الشديد، وقرئ قوله تعالى: ﴿يُؤْسُ﴾
ببأس، و﴿يُؤْسُ﴾ ببأس، مثال جنس.
وبنات يئس أيضًا: الدواهي.

البئس، على مثال «فجلى»: البؤس. ثم استشهد
بشعر [وروى بيئًا بالتونين]. ثم استشهد
بشعر [

ابن هشام هذا الأمر، أي اغتمه. (٣: ٣٢١)
الزاري: البأس: العذاب، وهو أيضًا الشدة في
الحرب، تقول منه: يؤس الرجل بالظم، فهو يئس
كفعل، أي شجاع. وعذاب يئس أيضًا، أي شديد.
ويئس الرجل بالكسر يؤسًا ويئسًا اشتدت
حاجته فهو يائس، ويئس اسم وضع المصدر.
[ثم قال مثل كلام الجوهري المتقدم] (٥١)
القيومي: البؤس بالضم وسكون الحمة: الضم،
ويجوز التخفيف. ويقال: يئس بالكسر، إذا نزل به
الضم، فهو يائس.

ويؤس مثل حرب يأسًا: شجع، فهو يئس على
«فجلى» وهو قوتًا، أي شدة وقوة. [ثم استشهد
بشعر]

وجع اليأس: البؤس، مثل قلّس وأقلّس. (١: ٦٥)
الفيروز ابادي: اليأس: العذاب، والشدة في
الحرب.

يؤس ككرم يأسًا فهو يئس: شجاع. ويئس كسمع
يؤسًا ويؤسًا ويأسًا ويؤسًا ويؤسًا: اشتدت حاجته.
والبأساء: والبؤس: الداهية، ومنه: «عسى التؤير
لئؤساء» أي داهية. والبؤس ك«فجلى»: الشديد والأسد.
وعذاب يئس بالكسر ويئس كأمير ويأس كجئال:
شديد.

ويئس رجلًا زيدًا، فعل ماضٍ لا يتصرف، لأنه
أقل من ماضٍ ماضٍ. ولقد لغت تذكر في «يئس».

ويئس يئسًا: الدواهي، والبؤس: الكاره الحزين،
والنباؤس: التغافر وأن يئري تخضع الفقراء إغنيًا
وتضرعًا. (٢: ٢٠٦)

معتمد إسماعيل إبراهيم: يئس يؤسًا: افتقر
واشتدت حاجته. والبؤس: من اشتد فقره أو المثل.
ويؤس يأسًا: اشتد وقوي. البأس: الشدة في
الحرب، أو للعذاب الشديد، أو الخوف.

وبأس: حزن.
وبأساء: الفقر والحرب والشدة، وهي ضد الثماء.
وبأساء: كل ما يصيب الإنسان في غير نفسه، كفقده مال
أو ولد، ويئس: شديد.

ويئس: كلمة ذم ضد نعم في المدح، وينسب: يئس

النصوص التفسيرية

يش

١...وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ

النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. البقرة: ١٢٦

التَّطْبِيعِي: (يش) أصله: يش من اليأس. سُكِّنَ

ثانيه ونُقل حركة ثانيه إلى أوله. كما قيل: للكبد كبد،
ومائشبه ذلك.

ومعنى الكلام: وساء المصير عذاب النار. بعد الذي

كانوا فيه من متاع الدنيا الذي مَتَّعَهُمْ فيها. (١: ١٥٤٦)

التَّبْيِضَاوِي: المخصوص بالذم محذوف وحسب

العذاب. (١: ٨٢)

نحوه الشَّرِيفِي (١: ٩٢)، والكَوْسِي (١: ٣٨٣).

الغَارَن: أي يس المكان الذي يصير إليه الكافر،

وهو العذاب. (١: ٩٣)

نحوه الحَافِرِي. (١: ٣٠٩)

أَبُو حَيْثَانَ: المخصوص بالذم محذوف، أي صيرورته

إلى العذاب أو النار. (١: ٣٨٥)

نحوه شَبْر (١: ١٤٤)، وأَبُو السُّعُود (١: ١٢٤).

الهُزُوسِي: المخصوص بالذم محذوف، أي يش

المرجع الذي يرجع إليه للإقامة فيه النار أو عذابها.

فللمجد في هذه الدنيا الفانية الإهمال أيا ما دون الإهمال،

إذ كل نفس تُجَزَى بما كسبت ولا تفرِّق الرِّغْبَانِ

الدُّنْيَوِيَّة، فَإِنَّ لِلطَّيِّعِ وَالْعَاصِي نَصِيبًا مِنْهَا. وليس

ذلك من موجبات الرِّفْعَةِ فِي الْآخِرَةِ. (١: ٢٢٨)

طه الدُّرَّة: جملة «يش التَّصْبِير» مستأففة

لا محل لها من الإعراب، والمخصوص بالذم محذوف،

القي.

(١: ٥٧)

نحوه يَجْتَمِعُ اللُّغَةُ.

(١: ٧٧)

محمود شبيت: اليأس: العذاب، والمشقة،

والحرب، والشدة فيها، والخوف؛ يقال: لا يأس به،

ولا يأس عليه، جمعه: أيؤس.

اليأساء: المشقة، والفقر، والحرب، والدأحية.

الأيؤس: المشقة، والفقر، الأيؤسي: الأيؤس.

اليأس: يوم اليأس: يوم الحرب.

اليأساء: يصبر الجُنْدِي فِي اليأساء: المشقة والقرب

والفقر والجوع. (١: ٦٦)

المُصْطَلَفَوِي: إنَّ الأصل الواحد في هذه المادة هو

«الشدة» وهذا المعنى يختلف باختلاف الصيغ والموارد.

فالْيَاسُ باعتبار حركة الفتحة يدل على محقق

الانتساب المحض، وهذا المعنى يناسب الظهور والاختيار

كالهرب والعذاب.

والْيُؤْسُ باعتبار حركة الضمة الظاهرة بالانقباض

يدل على الثبوت في الذات وال لزوم، كما في الحاجة

الشديدة والفقر الشديد والابتلاء.

ومن هذا يعلم أنَّ اللزوم والثبوت في «يؤس» أشدَّ

من صيغة «يؤس» فإنَّ ضمَّ الصَّين أنسب وأقرب إلى

أفعال الطَّبَائِعِ والأوصاف التَّنْصِيبِيَّة، كما في: شَرَفٌ

وَحَسَنٌ وَشَجُوعٌ وَكِبَرٌ وَفُجُحٌ، كما أنَّ الثبوت في صيغة

«الْيُؤْسِ، اليأساء»، يقتضي وزنها «فعليل، فعلاء» أشدَّ

من اليأس.

(١: ١٩٢)

التقدير: هو العذاب أو النار، ونحو ذلك. (٢٠٨: ١)

٢... خَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَايَ وَلَيْسَ شَاثِرًا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ... البقرة: ١٠٢

أَبُو الْفُتُوح: (ما) نكرة موصوفة، والتقدير:
وليس شيئاً شروا به أنفسهم.

ونس: فعل ذم، والفاعل مضمَر فيها، كما ذكرنا
ألفاً، ونس الشيء شيئاً شروا به أنفسهم، أي باعوا
حظ أنفسهم. (١٧٣: ١)

الآلوسي: اللام فيه لام ابتداء أيضاً، والمشهور إتيانها
جواب القسم، والجملة معطوفة على القسم الأول.

و(ما) نكرة مميزة للضمير المبهم في (نس) والخصوص
بالذم محذوف، و(شروا) محتمل المعنيين، والظاهر هو
الظاهر، أي والله ليس شيئاً شروا به حظوظ أنفسهم
أي باعوها أو شروها في زعمهم ذلك الشراء محتمل
«الحر» بنسبا باعوا أنفسهم للشعر أو الكفر.

(٣٤٦: ١)

٣... وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّبِعِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَبَّبَهُ
جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَيْهَادُ. البقرة: ٢٠٦

البيضاوي: «وَلَيْسَ الْمَيْهَادُ» جواب قسم
مقدّر، والخصوص بالذم محذوف للعلم به. (١١٦: ١)

نحوه الشريفي (١٣٥: ١)، وأبو السمر (١٦٢: ١)،
وشبّر (٢٠٩: ١)، والآلوسي (٩٦: ٢)، وطه النّزة (١):
(٣٢١)

أَبُو حَيَّان: إِنَّ نَسْ وَنَعَمْ فعلان جامدان، وإن
المرحوم بعدها فاعل بهما، وإنَّالخصوص بالذم إن تقدّم

فهو مبتدأ، وإن تأخر فكذلك، هذا مذهب بسيّويه.
وحذف هنا الخصوص بالذم للعلم به، إذ هو مستقّد،
والتقدير: وليس الميهاد جهنّم أو هي.

وهذا الحذف يطل مذهب من زعم أنّ الخصوص
بالمذم لو بالذم إذا تأخر كان خبر مبتدأ محذوف، أو
مبتدأ محذوف الخبر، لأنّه يلزم من حذفه حذف الجملة
بأسرها من غير أن ينوب عنها شيء، لأنّها تبقى جملة
مُفكّكة من الجملة الثابتة قبلها، إذ ليس لها موضع من
الإعراب، ولا هي اعتراضية ولا تفسيرية، لأنّها
مُستغنى عنها، وهذه لا يستغنى عنها، فصارت غير
مرتبة، وذلك لا يجوز.

فإنّما جعلنا المحذوف من قبل المفرد كان فيها قبيل
لا بدل قبل حذفه، وتكون جملة واحدة كماله إذا تقدّم.
وانت لا ترى فرقاً بين قولك: زيد يتمّ الزجل، ونسّم
الزجل زيد، كما لا تجد فرقاً بين زيد قام أبوه، وبين قام
أبوه زيد.

وحين حذف النصوص بالذم هنا ككون (الميهاد)
وقع فاصلة، وكثيراً ما حذف في القرآن لهذا المعنى، نحو
قوله: «يَتِمُّ الْقَوْلَى وَيَتِمُّ الشَّجَرُ» الأنفال: ٤٠،
و«لَيْسَ مَقُولَى الْمُتَكَبِّرِينَ» النحل: ٢٩.

(١١٨: ٢)

عَلَى قُلِّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا اسْتَعْجِلُونَ وَتُحْتَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ
وَلَيْسَ الْمَيْهَادُ. آل عمران: ١٦

البجائي: «وَلَيْسَ الْمَيْهَادُ» مجاز، كما قيل
للمرض: شرّ، وإن كان خيراً من جهة أنّه يسكّن
وصواب، فقيل لجهنّم: «وَلَيْسَ الْمَيْهَادُ» نظير الآلام.

لأن أصل نعم ونس: الحمد والذم، إلا أنه كثر استعماله في المنافع والمضار حتى سقط عن اسم مجاز، وإن كان مغيراً عن أصله.

مثله الجَلْبَخِيّ: (الطوسي ٢: ٤٠٦)

الفَخْرُ الرَّازِيّ: فلما ذكر الله تعالى مصير الكافرين إلى جهنم أخبر عنها بالشر، لأن ينس مأخوذ من البأساء، والبأساء هو الشر والشدّة، قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ رَبِّبٍ إِنَّمَا كَانُوا يَقْسِفُونَ﴾ الأعراف: ١٦٥.

أبو السُّعُود: النصوص بالذم محذوف، أي ينس المهاد جهنم، أو مأمهذوه لأنفسهم.

نحوه الشَّرِيبِيّ (١: ١٩٩)، والأكوسي (٣: ٩٥)

طه الذُّرِّيّ: (ينس) فعل ماضٍ جامد، (بال) فاعله، (المهاد) فاعله، والنصوص بالذم محذوف.

التقدير: هي. وهذا النصوص إنا خير منكم في الدنيا والآخرة. وهذا المعنى هو مبتدأ مؤخر خبره الجملة الفعلية.

هذا والجملة ﴿يُنْسُ الْمَهَادُ﴾ المذمومة هي: إنا من تمام القول، فتكون في محل نصب مقول القول. وإما مستأنفة، أو معترضة في آخر الكلام، لتحويل جهنم وتطهير حال أهلها.

٥...عَالَمٌ يُنْزَلُ بِهِ سُلْطَانًا وَمَنْزُومٌ النَّارُ وَيُنْسُ مَتَوَى الظَّالِمِينَ. آل عمران: ١٥١

الطُّوسِيّ: ينس للذم، كما أن نعم للحمد، لأمرين: أحدهما: أن الضرر تنفر منه النفس كما ينفر للعقل من القبح، فجرى التشبيه على وجه الجواز، هذا قول أبي عليّ.

وقال الجَلْبَخِيّ: لأن الذم يجري على النقص كما يجري على القبح حقيقة فحبها، نحو قولهم: الأخلاق المذمومة والأخلاق المذمومة. وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ». (١٧: ٣)

أبو الفَتْحُوح: في هذه الآية النصوص بالذم محذوف، لدلالة الكلام عليه. (١: ٦٦٧)

مثله النَّبِيُّ (١: ١٨٧)، ونحوه أبو حَيَّان (٣: ٧٨).

وأبو السُّعُود (١: ٢٨٢)، والمُحَاسِنِيّ (٢: ٢٨٦)، والبرُّوسِيّ (٢: ١٠٩)، والأكوسي (٤: ٨٨).

الخازن: كلمة (ينس) تستعمل في جميع المذام. والمعنى ونس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتساب ما أوجب لهم عذاب النار والإقامة فيها.

(١: ٢٦٣)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ يَرْجِعُهُمْ إِلَى الْعَذَابِ أَلْوَنًا﴾ آل عمران: ١٩٧.

٦...فَتَبَذُوهُ وَزَاةً ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ نَسْنًا قَلِيلًا قَلِيلًا مَا يَشْتَرُونَ. آل عمران: ١٨٧

أبو السُّعُود: (ما) تكرة منصوبة مفتحة لفاعل (ينس) و(يشترون) صفة، والنصوص بالذم محذوف، أي ينس شيئاً يشترونه ذلك الثمن.

الأكوسي: [قال مثل أبو السُّعُود وأضاف:]

فهل: (ما) مصدرية فاعل (ينس) والنصوص محذوف، أي ينس شراؤهم هذا الثمن، لاستحقاقهم به العذاب الأليم. (٤: ١٥٠)

المُحَاسِنِيّ: أي إن ما يشترونه ذمهم قبيح، لأنهم جعلوا الثاني بدلاً من التميم الدائم، الذي يحصل للأمة من

العمل عملاً كانوا يعملونه، وأعلمها موصولة، والتقدير:
لبس العمل العمل الذي كانوا يعملونه.

وعلى كلا التقديرين فإن اسم (بئس) الذي أسيد
إليه هذا الفعل محذوف، كما في: بئس ما صنعت، وبئس
ما قلت، وبئس رجلاً زيدٌ. والآية دليل على أن الجزاء
يتملّق بالعمل، لأنّ الذمّ قد تعلّق بالفعل. (٢: ١٨٥)
نحو: الأكوسي.

٨- كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ عَنْ مَنَاسِكِهِمْ لِبَيْسٍ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ. المائدة: ٧٩

الطوسي: فُتحت اللّام. لام القسم، وتقديره:
لقسم لبس ما كانوا يفعلون، كما فُتحت لام الابتداء،
لأنّها لام تكملة تكون عاملة كعلام الإضافة اختير لها أخت
المركبات. ولا يجوز أن تكون لام الابتداء، لأنّها
لا تدخل على الفعل إلّا في باب «أن» ولا تدخل على
الماضي.

و(ما) في قوله: (لبس ما) قيل: فيها قولان:
أحدهما: أن تكون (ما) كافة لـ(لبس) كما تكفّ في
«إنما، بعدما، وربّما»، والآخر: أن تكون اسماً نكرة،
كأنّه قال: بئس شيئاً فعلوه، كما تقول: بئس رجلاً كان
عندك.

وفي الآية دلالة على وجوب إنكار المنكر، لأنّ كلّ
شيء ذمّ الله عليه فواجب تركه إلّا أن يتيقّد بوقت يعلّمه،
لأنّ ظاهر ذلك يقتضي قبحه، والتحذير منه.

(٣: ٦١٠)

نحو: محمّد جواد مغنّيّة.

إتيانها لكتابها وهدايا بإرشاده، وتهذيب أخلاقها
بآدابه، وجمع كلمتها حول تماثيله، وبذا تحول بينها وبين
المستبدّين فيها، وتصبح عزيزة الجانب، متكافئة
متضامنة، أمر أهلها بينها شوري. (٤: ١٥٧)

٧- وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْفُدُورِ
وَأَكْثَرُهُمُ الشُّعْثُ لِبَيْسٍ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. المائدة: ٦٢
الطوسي: قوله: «لبس ما كانوا يفعلون» يدلّ
على أن الحمد والذمّ يكونان للأفعال، لأنّه بمنزلة: بئس
العمل عملهم، وهذا ذمّ لذلك العمل إلّا أنّه جرى على
طريقة الحقيقة أو طريقة الجواز، بدليل آخر يعلم. وقد
كثر استعماله حتّى قيل: الأخلاق الممودة والأخلاق
المذمومة، ونعم ما صنعت وبئس ما صنعت.

وأصل الذمّ واللوم واحد إلّا أنّ الذمّ كثر في تسمية
العمل دون اللوم، لأنّه لا يقال: لُمت عمله، كما يقال:
ذممت عمله.

و(ما) في قوله: (لبس ما) يحتمل أمرين:
أحدهما: أن تكون كافة كما تكون في: إنما زيد
منطلق، ولينا عمرو قائم، فلا يكون لها على هذا موضع.
الثاني: أن تكون نكرة موصوفة، كأنّه قيل: لبس
شيئاً كانوا يعملون. (٣: ٥٧٧)

الطبرسي: (لبس) اللّام فيه لام القسم، ولا يجوز
أن يكون لام الابتداء، لأنّها لا تدخل على الفعل إلّا في
باب «أن» خاصّة، لأنّها أُخِرت إلى الخبر كلّاً مجتمع
سرفان متفقان في المعنى، [ثمّ قال مثل ما نقلناه عن
الطوسي] (٢: ٢١٧)

أبو الفتوح: (ما) نكرة موصوفة، والتقدير: لبس

٩- قرى كثير منهم يتوَلَّون الذين كفروا ليس
عاقبت لهم أنفسهم أن تخط الله عليهم وفي العذاب
هم خالدون. المائدة: ٨٠

الزَّمَخْشَرِيُّ: «أَنَّ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ» هو
الخصوص بالذَّمِّ ومحلُّه الرِّفْع، كأنه قيل: ليس زادهم
إلى الآخرة سخط الله عليهم، والمعنى موجب سخط الله.
(١: ٦٣٧)

نحوه الطَّبْرَسِيُّ (٢: ٢٣٦)، وأبو الفُتُوح (٢: ٢٠٦)،
والفخر الرازي (١٢: ٦٥)، والنيسابوري (٧: ١٠).

أبو حنبلان: [بعد نقل قول الزَّمَخْشَرِيِّ قال:]

لا يصح هذا الإعراب إلا على مذهب القراء
والفارسي في أن (ما) موصولة، أو على مذهب من جعل
في (يس) ضميراً، وجعل (ما) تمهيداً، بمعنى شيئاً،
و(قدمت) صفة التمييز.

وأما على مذهب بيوتيه فلا يتوي ذلك، لأن (ما)
عنده اسم تام معرفة، بمعنى الشيء، والجملة بعده صفة
لخصوص المذوف، والتقدير: ليس الشيء شيء قدمت
لهم أنفسهم، فيكون على هذا «أَنَّ سَخِطَ اللهُ» في
موضع رفع بدل من (ما)، انتهى.

ولا يصح هذا سواء كانت موصولة أم شائعة، لأن
البديل محل محل المبتدأ منه، و(أَنَّ سَخِطَ) لا يجوز أن يكون
فاعلاً لـ(يس) لأن فاعل نعم ويس لا يكون «أن
والفعل».

وقيل: (أَنَّ سَخِطَ) في موضع نصب بدلاً من الضمير
المذوف في (قدمت) أي قدمت، كما تقول: الذي خربت
زيداً أخوك، تريد خربت زيدا.

وقيل: على إسقاط اللام، أي لأن سخط.

(٣: ٥٤١)

أبو الشعثود: «لَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ» هو
الخصوص بالذَّمِّ على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه
مقامه. تنبيهاً على كمال التعلّق والارتباط بينها، كأنها
شيء واحد ومبالغة في الذَّمِّ، أي موجب سخطه تعالى.
ومحلُّه الرِّفْع على الابتداء، والجملة قبله خبره،
والرابط عند من يشترطه هو العموم أو لاجابة إليه،
لأن الجملة عين المبتدأ، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف
يبيّن عنه الجملة المتقدمة، كأنه قيل: ما هو، أو أي شيء
هو، فقيل: هو أن سخط الله عليهم.

وقيل: الخصوص بالذَّمِّ محذوف، و(ما) اسم تام
معرفة في محل رفع بالناحية لفعل الذَّمِّ، و«قدمت لهم
أنفسهم» جملة في محل رفع على أنها صفة
للمخصوص بالذَّمِّ قائمة مقامه، والتقدير: ليس الشيء
شيء قدمت لهم أنفسهم، فقوله تعالى: «أَنَّ سَخِطَ اللهُ
عَلَيْهِمْ» بدل من شيء المذوف، وهذا مذهب
بيوتيه. (٢: ٥٢)

نحوه الأكرسي (٦: ٢١٣)، والقاسمي (٦: ٢١١٥)،
ورشيد رضا (٦: ٤٩١).

البُزْجَوِيُّ: «أَنَّ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ
هُمْ خَالِدُونَ» هو الخصوص بالذَّمِّ بتقدير المضاف، أي
موجب سخط الله والتخلود في العذاب، لأن نفس
«السخط» المضاف إلى «البارئ» تعالى لا يقال له: إنه
الخصوص بالذَّمِّ، إنما الخصوص بالذَّمِّ هو الأسباب
الموجبة له. (٢: ٤٢٥)

ذلك ذنبا للوردين. لاذنما لموضع الورد. (٢٥٩: ٥)

نحوه الألويسي. (١٣٤: ١٢)

١١- أَفْتَحُوا بَابَكُمْ وَذَرُّوا أَرْبَابَكُمْ مِنْ دُونِي وَهُمْ

لَكُمْ غَدُوٌّ وَبَشٌ لِلْغَالِيينَ يَدُلُّ. الكهف: ٥٠

الفرقاء: لم يقل: بشوا. وقد يكون (بش) لابليس وحده أيضا. والعرب توحد نعم وبش وإن كانتا بعد الأسماء. فيقولون: أنا قومك فبشتموها قوما، ونعم قوما، وكذلك بش.

وإنما جاز توحيدها لأنها ليستا بفعل بلتتمس معناه. إنما أدخلوها لتدلا على المدح والذم، ألا ترى أن (بش) تطلق على كل شيء وليس معناها كذلك، وأنه لا يقال (بش) إلا للرجل زيد. ولا ينعم الرجل أخوك، فذلك استجازوا الجمع والتوحيد في الفعل. (١٤٧: ٢)

بشتم

١- بَشْتَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ

اللَّهُ بِهَا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ تَحْتِ غُطَّتِ مِنْ يَشَاءُ...

البقرة: ٩٠

الطبري: معنى قوله جل ثناؤه «بَشْتَمُوا أَنْفُسَهُمْ»

بشتموا أنفسهم: ساء ما اشتموا به أنفسهم. وأصل بشتم

بشتم من «البش» شكنت امرتها، ثم نقلت حركتها إلى

الباء. كما قيل في ظليئت: ظليئت، وكما قيل للكيد: كيد.

فنقلت حركة الباء إلى اللكاف لما شكنت الباء.

وقد يحتمل أن تكون (بشتم) وإن كان أصلها بشتم

من لغة الذين ينقلون حركة تصح من فعل إلى الفاء إذا

١٠- بَشْتَمُوا قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبَشٌ

الرَّجُلُ زَيْدٌ. هود: ٩٨

أبو الفتح: المخصوص بالذم محذوف، كأنه قال:

بشتم الموضع المورود النار، بمنزلة قولك: بشتم غلام

الرجل زيد. (٩٥: ٣)

أبو حيان: فاعل (بشتم) المخصوص بالذم،

فالتقدير: وبشتم مكان الورد المورود، ويعني به النار،

لهذا الورد فاعل (بشتم) والمخصوص بالذم (المورود)

وهي النار.

ويجوز في إعراب (المورود) ما يجوز في «زيد» من

قولك: بشتم الرجل زيد. ويجوز أن عطية وأبو البقاء أن

يكون (المورود) حصة لـ (الورد) أي بشتم مكان الورد

المورود النار. ويكون المخصوص محذوفا عنهم المعنى.

حذف في قوله: «بشتم ألقاد» الأحمران: ١٤٤

التخريج يعني على جواز وصف فاعل نعم وبشتم، وقيل

خلاف، ذهب ابن السراج والساوسي إلى أن ذلك

لا يجوز.

وقوله: «الورد المورود» إطلاق الورد على

المورود مجازا، إذ نقلوا أنه يكون مصدرا بمعنى الورد أو

بمعنى الواردة من الإبل، وتقديره: بشتم الورد الذي

يردونه النار، بدل على أنه (المورود) حصة لـ (الورد) وأن

المخصوص بالذم محذوف ولذلك قدره «النار» وقد ذكرنا

أن ذلك يعني على جواز وصف فاعل بشتم ونعم.

وقيل: التقدير بشتم القوم المورود بهم هم، فيكون

(الورد) عني به الجمع الوارد، و(المورود) حصة لهم،

والمخصوص بالذم الضمير المحذوف، وهو «هم» فيكون

كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة، كما قالوا: من نصب نصب، ومن سب سب، وذلك فيما يقال: لغة فاشية في نعيم، ثم جعلت دالة على الذم والتوبيخ، ووصلت بـ(ما).

واختلف أهل العربية في معنى (ما) التي مع (بشما) فقال بعض نحويي البصرة: هي وحدها اسم وأن (أن يكفروا) تفسير له، نحو: يتم رجلاً زيداً، و(أن ينزل الله) بدل من (أنزل الله).

وقال بعض نحويي الكوفة: معنى ذلك بش الشيء اشتروا به أنفسهم أن يكفروا، فـ(ما) اسم يشي وأن (أن يكفروا) الاسم الثاني.

وزعم أن (أن ينزل الله من فضله) إن شئت جعلت (أن) في موضع رفع، وإن شئت في موضع خفض. أما الرفع: فبش الشيء هذا أن يضلوه، وأما الخفض فبش الشيء اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بها أنزل الله بنياً.

قال: وقوله: (لَيْسَ عَاقِلَةٌ لَّهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ يَخِطُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) المائدة: ٨٠، كمثل ذلك، والعرب تجعل «ما» وحدها في هذا الباب بمنزلة الاسم التام، كقوله: (فَيَمُوتُنَّ مِنْ) البقرة: ٢٧١، وبشما أنت، [ثم استشهد بشعر]

والعرب تقول: (بشما تزويج ولا تهره) فيجعلون «ما» وحدها اسماً بغير صلة.

وقائل هذه المقالة لا يميز أن يكون الذي يلي يش معرفة موقفة، خبره معرفة موقفة، وقد زعم أن (بشما) بمنزلة بش الشيء اشتروا به أنفسهم.

فقد صارت (ما) بصلتها اسماً موقفاً، لأن (اشترؤا) فعل ماضٍ من صلة (ما) في قول قائل هذه المقالة، وإذا وصلت بـ(ما) من الفعل كانت معرفة موقفة معلومة؛ فيصير تأويل الكلام حينئذ: بش شرائهم كفرهم، وذلك عنه غير جائز، فقد تبين فساد هذا القول.

وكان آخر منهم يزعم أن (أن) في موضع خفض إن شئت، ورفع إن شئت.

فأما الخفض فإن ترده على الهاء التي في (به) على التكرير على كلامين، كأنك قلت: اشتروا أنفسهم بالكفر.

وأما الرفع فإن يكون مكرراً على موضع (ما) التي يلي بش، قال: ولا يجوز أن يكون رفعا على قولك: بش الرجل عبد الله.

وقال بعضهم: بشما شيء واحد يعرفه ما بعدد، كما حكى عن العرب: (بشما تزويج ولا تهره) فرفع تزويج بشما، كما يقال: بشما زيد، وبشما عمرو، فيكون (بشما) رفعا بما عاد عليها من الهاء، كأنك قلت: بش شيء الشيء اشتروا به أنفسهم، وتكون (أن) مترجمة عن بشما.

وأول هذه الأقوال بالصواب قول من جعل (بشما) مرفوعاً بالزاجع من الهاء في قوله: (اشترؤا به) كما رضوا ذلك بعد الله إذ قالوا: بشما عبد الله، وجعل (أن يكفروا) مترجمة عن (بشما) فيكون معنى الكلام حينئذ: بش الشيء باع اليهود به أنفسهم كفرهم بما أنزل الله بنياً وحسباً أن ينزل الله من فضله، وتكون (أن) التي في قوله: (أن ينزل الله) في موضع نصب،

لأنه يعني به أن يكفروا بما أنزل الله من أجل أن يُنزل الله من فضله على من يشاء من عباده، وموضع (أَنْ) جرّ.

وكان بعض أهل العربية من الكوفيّين يزعم أن (أَنْ) في موضع خفض بنّية الباء، وإنما اخترنا فيها النصب تمام الخبر قبلها، ولا نحذف معها يلفظها، والحرف المانح لا يمتنع مضمراً.

وأما قوله: «اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» فإنه يعني به باعوا أنفسهم.

الطوسي: [قال مثل كلام الطبري وأضاف:]
وبش ونعم لا يلقاها اسم علم كزيد وعمر وأخيك وأبيك، فإنما يلقاها الحرف بالالف واللام كقولك: الرجل والمرأة، وما أشبه ذلك.

فإن نزعتهما نصبت، كقوله: «بِشِّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا» الكهف: ٥٠، و«مَاءَ مَقَالٍ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» الأعراف: ١٧٧، فإن كانت نكرة مضادة إلى نكرة جاز الرفع والنصب، كقولك: نعم غلام سفر غلامك، بالرفع والنصب حكاه الفراء.

نحو القُرطبي:
الرَّمَحُشَرِيُّ: (ما) نكرة منصوبة مفتحة لفاعل يشن، يعني بش شيئاً اشتروا به أنفسهم، والقصص بالذمّ (أَنْ يَكْفُرُوا).

نحو البَيْضاوي (٦٩: ١)، وأبو الشعثاء (١٠١: ١)، والبروسوي (١٨٠: ١)، والقاسمي (١٨٨: ٢)، وشبر (١٢٣: ١).

ابن عطية: يشن: أصلها يشن، سهلت الحزمة وتقلبت إلى الباء حركتها، ويقال في بش: يس ألباعاً

للكفرة، وهي مستوفية للذمّ كما [أَنْ] يمم مستوفية للمدح.

واختلف التعويّن في (بِشِّمًا) في هذا الموضع، فذهب بيّزيه أن (ما) فاعلة يشن، ودخلت عليها بش كما تدخل على أسماء الأجناس والتكررات لما أشبهتها «ماء» في الإيهام، فالتقدير على هذا القول: بش الذي اشتروا به أنفسهم أن يكفروا، كقولك: بش الرجل زيد، و(ما) في هذا القول موصولة.

وقال الأخفش: (ما) في موضع نصب على التمييز، كقولك: بش رجلاً زيد، فالتقدير: بش شيئاً أن يكفروا، و«اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» في هذا القول صفة

وقال الفراء: (بِشِّمًا) بحسبته شيء واحد ركب كعباً. وفي هذا القول اعتراض، لأنه لم يبق بلا فاعل، و(ما) إنما تكفّ أهدأ حروفاً.

وقال الكسائي: (ما) و«اشْتَرَوْا» بمنزلة اسم واحد قائم بنفسه، فالتقدير: بشن اشتراؤهم أنفسهم أن يكفروا. وهذا أيضاً معترض، لأن «بِشِّ» لا تدخل على اسم معيّن مشرف بالإضافة إلى التضمير.

وقال الكسائي أيضاً: إن (ما) في موضع نصب على التضمير، وثمّ «ماء» أخرى مضمرة، فالتقدير: بشن شيئاً ما اشتروا به أنفسهم، و«أَنْ يَكْفُرُوا» في هذا القول بدل من «ماء» المضمرة.

وصحّ في بعض الأقوال المتقدمة أن يكون (أَنْ يَكْفُرُوا) في موضع خفض بدلاً من التضمير في (به)، وأما في القولين الآخرين (لأن يَكْفُرُوا) ابتداءً، وخبره لها

قبله .

(١٧٨: ١)

أوجه:

الطَّبْرَسِيُّ: [قال بعد نقل قول الزَّجَّاجِ للمُضَمِّ في النُّصُوصِ اللَّتَوِيَّةِ:]

قال أبو علي: وقوله: [الزَّجَّاجِ:] «ولذلك كانت (ما) في نِعَمٍ بدير صلة بدلًا على أَنْ (ما) إذا كانت موصولة لم يميز عنده أَنْ تكون فاعلة نعم وشئ. وذلك عندنا لا يمتنع وجهة جوازهِ أَنْ (ما) اسم مبهم يقع على الكثرة، ولا ينقص واحدًا مِنه، كما أَنْ أسماء الأجناس تكون للكثرة، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْصَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ صُفَّاؤُنَا يَنْصُرُ اللَّهُ﴾ يونس: ١٨. فالتصديق هنا «للكثرة» وإن كان في اللفظ مرادًا بدلالة قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ﴾ وتكون معرفة ونكرة كما أَنْ أسماء الأجناس تكون معرفة ونكرة.

وقد أجاز أبو العباس المبرِّد في «الذي» أَنْ يُلحقَ بـ «نعم» وبشئ إذا كان عامًا غير مخصوصٍ كما في قوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالسُّحُفِ﴾ الزمر: ٣٣، وإذا جاز في «الذي» كان في «ما» أجوز، فقوله: ﴿يَنْصَعُوا شَرًّا بِهِمْ﴾ يجوز عندي أَنْ تكون (ما) موصولة وموضعا رفع بكونها فاعلة ليس، ويجوز أَنْ تكون منكورة فتكون «اشترؤا» صفة غير صلة، [ثم استشهد بشئ] وأما قوله: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فوضعه رفع وهو المخصوص بالذم، فإن شئت رفعت على أَنه مبتدأ مؤخر وإن شئت على أَنه خبر مبتدأ محذوف، أي هذا الشيء المذموم كفرهم بما أنزل الله. (١٥٩: ١)

الشَّكْبَرِيُّ: قوله تعالى: ﴿يَنْصَعُوا شَرًّا﴾ فيه

أحدها: أَنْ تكون (ما) نكرة غير موصوفة منصوبة على التمييز، قاله الأخفش، و«اشترؤا» على هذا صفة محذوف، تقديره: شيء أو كفر، وهذا المحذوف هو المخصوص، وفاعل (بشئ) مضمَر فيها. [ثم استشهد بشئ]

وقوله: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي هو أَنْ يكفروا.

وقيل: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ في موضع جر بدلًا من الهاء في (يه).

وقيل: هو مبتدأ، وبشئ وما بعدها خبر عنه. والوجه الثاني: أَنْ تكون (ما) نكرة موصوفة، و«اشترؤا» صفتها، و﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ على الوجوه المذكورة، ويزيدها هنا أَنْ يكون هو المخصوص بالذم.

والوجه الثالث: أَنْ تكون (ما) بمنزلة «الذي»، وهو اسم بشئ، و﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ المخصوص بالذم. وقيل: اسم بشئ مضمَر فيها، والذي وصلته المخصوص بالذم.

والوجه الرابع: أَنْ تكون (ما) مصدرية، أي بشئ شراؤهم، وفاعل بشئ على هذا مضمَر، لأن المصدر هنا مخصص ليس بمبني. (٩١: ١)

أبو حيان: ذهب القراء إلى أَنه بمجملته شيء واحد، وَكَبَّ «كحبنا» هذا نقل ابن عطية عنه. وقال المهدوي: قال القراء: يجوز أَنْ تكون (ما) مع بشئ بمنزلة «كلها» فظاهر هذين القولين أَنَّ (ما) لا موضع لها من الإعراب. وذهب النجاشي إلى أَنَّ لها موضعًا من الأعراب، واختلف أموضعها نصب أم رفع؟

فذهب الأخفش إلى أن موضعها نصب على التمييز، والجملة بعدها في موضع نصب على الصفة، وفاعل (بش) مضمرة مفسرة بـ (ما)، التقدير: بش هو شيئاً اشتروا به أنفسهم و(أَنْ يَكْفُرُوا) هو المخصوص بالذم، وبه قال الفارسي في أحد قوليه، واختاره الزمخشري.

ويحتمل على هذا الوجه أن يكون المخصوص بالذم محذوفاً و(اشترُوا) صفة له، والتقدير: بش شيئاً شيءً لاشتروا به أنفسهم، و(أَنْ يَكْفُرُوا) بدل من ذلك المحذوف، فهو في موضع رفع أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو أن يكفروا.

وذهب الكسائي في أحد قوليه إلى ما ذهب إليه هؤلاء من أن (ما) موضعها نصب على التمييز، و(ما) أخرى محذوفة موصولة هي المخصوص بالذم، التقدير: بش شيئاً الذي اشتروا به أنفسهم، فالحقيقة بعد «ما» المحذوفة صلة لها، فلاموضع لها من الإعراب، و(أَنْ يَكْفُرُوا) على هذا القول بدل، ويجوز على هذا القول أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي هو كلهم.

فلنخلص في قول النصب في الجملة بعد «ما» أقوال ثلاثة: أن يكون صفة لـ (ما) هذه التي هي تمييز، لموضعها نصب، أو صلة لـ «ما» المحذوفة الموصولة فلاموضع لها، أو صفة لشيء المحذوف المخصوص بالذم لموضعها رفع، وذهب سيوطه إلى أن موضعها رفع على أنها فاعل بش، فقال سيوطه: هي معرفة تامة، التقدير: بش الشيء، والمخصوص بالذم على هذا محذوف، أي شيء اشتروا به أنفسهم، وعزى هذا القول أعني أن (ما)

معرفة تامة لاموصولة إلى الكسائي.

وقال القراء والكسائي، فيما نقل عنه: إن (ما) موصولة، بمنى الذي و(اشترُوا) صلة، وبذلك قال الفارسي في أحد قوليه.

وعزى ابن عطية هذا القول إلى سيوطه، فقال: فالتقدير على هذا القول: بش الذي اشتروا به أنفسهم أن يكفروا، كقولك: بش الرجل زيد، و(ما) في هذا القول موصولة، انتهى كلامه، وهو وهم على سيوطه.

وذهب الكسائي على ما نقل عنه المهدوي وابن عطية: إلى أن (ما) وما بعدها في موضع رفع على أن تكون مصدرية، التقدير: بش اشتروهم، قال ابن

عزى: وهذا محترض، لأن «بش» لا تدخل على اسم

وما قاله لا يلزم، إلا إذا نص على أنه مرفوع

و(اشترُوا) صلة لـ (ما) المشتراة، وجعل فاعل

بش مضمراً والتمييز محذوفاً، نعم المعنى، التقدير:

بش اشتراء اشتراؤهم، فلا يلزم الاعتراض.

لكن يُطل هذا القول الثاني حود الضمير في (بش)

على (ما) وما المصدرية لا يعود عليها ضمير، لأنها

حرف على مذهب الجمهور إذ الأخفش يزعم أنها

نسم، والكلام على هذه المذاهب تصحيحاً وإطلاً يذكر

في علم النحو.

نحو الأوسي.

(١: ٣٢٢)

(١: ٣٢٢)

٢- وَأَشْرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ يَكْفُرُهُمْ قُلْ يَسْمَا

يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِبْرَاهِيمُ إِنَّكُمْ مُؤْمِنِينَ. البقرة: ٩٣

أَبْنِ عَقِيَّةً: أَمْرٌ لِحَدِّثَةٍ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ بِأَنَّهُ بِشَىْءٍ
هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي ضَلَمْتُمْ وَأَمَرَكُم بِهَا لِإِيَانِكُمْ الَّذِي زَعَمْتُمْ
فِي قَوْلِكُمْ: ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ البقرة: ٩١، و(ما)
فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، وَالتَّقْدِيرُ: بِشَىْءٍ قَتَلَ وَأَعْلَازَ جَعَلَ
وَقَوْلُ: ﴿وَتَحِلُّنَا وَتَحْشِنَا﴾ البقرة: ٩٣، وَيُجُوزُ أَنْ تَكُونَ
(مَا) فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ، وَ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
شَرْطٌ. (١: ١٨٠)

الْبَرِيضَاوِيُّ: الْفُضُولُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ، نَحْوُ هَذَا
الْأَمْرِ أَوْ مَا يَمَعُهُ، وَغَيْرُهُ مِنْ قَبَائِحِهِ الْمَحْذُوفَةِ فِي الْآيَاتِ
الثَّلَاثِ إِلَّا زِلْمًا عَلَيْهِمْ. (١: ٧٠)

نَحْوُهُ النَّبِيسَاوِيُّ (١: ٣٧٤)، وَأَبُو السُّمُودِ (١: ١)
(١٠٢)، وَالْبَرِيضَاوِيُّ (١: ١٨٣)، وَشَيْءٌ (١: ١١٢)
وَالْأَكُوسِيُّ (١: ٣٢٦)، وَطُهُ الدُّرَّةُ (١: ١٦٦)

أَبُو حَيَّانٍ: الْفُضُولُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ بِهِ (مَا) فَإِنْ
كَانَتْ مَنْصُوبَةً، فَالتَّقْدِيرُ: بِشَىْءٍ شَيْئًا بِأَمْرِكُمْ بِإِيَانِكُمْ
قَتَلَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُصَيَّانَ وَعِبَادَةَ الْجِبَلِ، فَيَكُونُ (يَأْمُرُكُمْ)
صِفَةً لِلشَّيْءِ.

أَوْ يَكُونُ التَّقْدِيرُ: بِشَىْءٍ شَيْئًا بِأَمْرِكُمْ بِهِ
لِإِيَانِكُمْ، فَيَكُونُ (يَأْمُرُكُمْ) صِفَةً لِلْمَحْصُوفِ بِالذَّمِّ
الْمَحْذُوفِ.

أَوْ يَكُونُ التَّقْدِيرُ: بِشَىْءٍ شَيْئًا بِأَمْرِكُمْ، أَيْ الَّذِي
يَأْمُرُكُمْ، فَيَكُونُ ﴿يَأْمُرُكُمْ بِإِيَانِكُمْ﴾ وَالْمَحْصُوفُ
مَقْدَرٌ بَعْدَ ذَلِكَ، أَيْ قَتَلَ الْأَنْبِيَاءَ وَكَذَّبَهُمْ وَكَذَّبَهُمْ (مَا)
مَوْصُولَةٌ.

أَوْ يَكُونُ التَّقْدِيرُ: بِشَىْءٍ شَيْئًا بِأَمْرِكُمْ بِهِ
لِإِيَانِكُمْ، فَيَكُونُ (مَا) تَامَّةً، وَهَذَا كُلُّهُ تَرْجِيحٌ عَلَى قَوْلِ مَنْ

جَعَلَ لَهَا) وَحَدَّثَهَا مَوْضِعًا مِنَ الْإِعْرَابِ. (١: ٣٠٩)

٣- قَالَ بِشَيْئًا خَلَقْتُونِي مِنْ تَقْدِيرِي أَفَجَلْتُمْ أَشْرَ
رُكُمْ... الأعراف: ١٥٠

الرُّمُحَقَرِيُّ، لَنْ قُلْتُ: أَيْنَ مَا تَقْتَضِيهِ (بَشَرًا) مِنْ
الْفَاعِلِ وَالْمَحْصُوفِ بِالذَّمِّ؟ قُلْتُ: الْفَاعِلُ مَضْمُونٌ يَفْتَرُهُ
(مَا خَلَقْتُونِي) وَالْمَحْصُوفُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: بِشَىْءٍ
خِلَافَةَ خَلَقْتُونِيهَا مِنْ بَعْدِ خِلَافَتِكُمْ. (٢: ١١٨)
مِثْلُهُ الْفَخْرُ الرَّزَايِيُّ (١٥: ١٠)، وَالنَّسَبِيُّ (٢: ٧٨).
وَالنَّبِيسَاوِيُّ (١: ٥٢).

نَحْوُهُ النَّبِيسَاوِيُّ (١: ٣٧٠)، وَالشَّرِيبِيُّ (١: ٥١٨).
وَأَبُو السُّمُودِ (٣: ١٩٨)، وَالْبَرِيضَاوِيُّ (٣: ٢٤٥).
وَالْأَكُوسِيُّ (١: ٣٦٦).

طُهُ الدُّرَّةُ: [قَالَ نَحْوُ الرَّمُحَقَرِيِّ وَأَضَافَ:]
وَيُجُوزُ اعْتِبَارُ (مَا) اسْمًا مَوْصُولًا مَبْنًى عَلَى السَّكُونِ
فِي هَلٍّ رَفَعَ فَاعِلٌ (بَشَرًا)، (خَلَقْتُونِي): مَا ضَرَفَ مَبْنًى عَلَى
السَّكُونِ، وَالتَّاءُ فَاعِلُهُ، وَالْمِيمُ عَلَامَةُ جَمْعِ الذَّكَورِ،
وَحُرُوكَتُهَا بِالنَّصْبِ، فَتَوَلَّدَتْ وَلَوْ الْإِشْبَاعُ، وَالتَّوْنُ لِلْوَقَايَةِ،
وَبَاءُ الْمُتَكَلِّمِ مَنْصُولٌ بِهِ، وَالْجُمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ صِلَةٌ (مَا) أَوْ
صِلَتُهَا، وَالزَّائِدُ أَوْ الْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، وَالْمَحْصُوفُ بِالذَّمِّ
مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: بِشَىْءٍ خِلَافَةَ خَلَقْتُونِيهَا
خِلَافَتَكُمْ هَذِهِ، حَيْثُ أَمَرَكُم. (٥: ٨٧)

الْبَائِسُ

...عَلَى عَازِرَتِهِمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْإِنْتِقَامِ فَكَلَّوْا مِنْهَا
وَأَطَاعُوا الْبَائِسَ الْقَبِيرَ...
الحج: ٢٨

ابن عباس : الزمن الفقير . (الطبري ١٧ : ١٤٨)
الذي لا يجد شيئاً من شدة الحال .

(السيوطي ٢ : ٧٧)
(البائس) : الذي ظهر يؤسه في ثيابه وفي وجهه ،
(والفقير) : الذي لا يكون كذلك ، فتكون ثيابه نظيفة
ووجهه وجه غني . (الفخر الرازي ٢٣ : ٢٩)
مجاهد : الذي يمد إليك يديه .

(الطبري ١٧ : ١٤٩)
الذي يسأل يديه إذا سأل . (الخصائص ٣ : ٢٣٧)
مكرمة : المضطر الذي عليه الجؤس .

(الطبري ١٧ : ١٤٩)
الإمام الباقر عليه السلام : الذي أصابه يؤس وشدة .
(الكاشاني ٣ : ٣٧٥)
عطاء : من سأل . (الخصائص ٣ : ٢٣٧)

الإمام الصادق عليه السلام : هو الزمن الذي لا يستطيع
أن يخرج لزماته . (البائس) : الفقير .

(الكاشاني ٣ : ٣٧٥)
ابن زيد : هو القانع . (الطبري ١٧ : ١٤٩)
الطبري : هو الذي به خطر الجوع والزمانة
والحاجة . (١٧ : ١٤٨)

الزجاج : الذي قد ناله يؤس ، والبؤس : شدة الفقر .
يقال : قد يؤس ، وبأس ، إذا صار ذا بؤس . (٣ : ٤٢٣)
نوره الزمخشري (٣ : ١١) ، والفخر الرازي (٢٣ : ٢٩) .

الخصائص : قال مجاهد : (البائس) : الذي يسأل
بيديه إذا سأل ، وإنما سمي من كانت هذه حاله بائساً

تظهر أثر الجؤس عليه ، بأن يمد يديه للمسألة .

وهذا على جهة اللباقة في الوصف له بالفقر وهو في
معنى المسكين ، لأن للمسكين من هو في نهاية الحاجة
والفقر ، وهو الذي قد ظهر عليه السكون للحاجة وسوء
الحال ، وهو الذي لا يجد شيئاً .

وقيل : هو الذي يسأل . (٤ : ٢٣٧)
البغوي : يعني الزمن الفقير الذي لا شيء له .
والبائس : الذي اشتد يؤسه ، والبؤس : شدة الفقر .

(٥ : ١٢)
مثل الفخر الرازي (٢٣ : ٢٩) ، والبغوي (٢ : ٢) .

٩٠ . والثني (٣ : ١٠٠) ، والسيابري (١٧ : ٩٤) .
وأبو جيان (٦ : ٣٦٥) ، والشربيني (٢ : ٥٥٠) .
وأبو السحر (٤ : ١١) ، والآمسي (١٧ : ١٤٦) ، والقاسمي
(١٢ : ١٢٣٧) ، وطه الدرة (٩ : ١٩٢) ، وعبد المنعم (٣ : ١٢ : ٥) .

الطبرسي : الذي ظهر عليه أثر الجؤس من الجوع
والثري . وقيل : (البائس) : الذي يمد يده بالسؤال
ويتكلف للطلب . (٤ : ٨١)

الطبرسي : وهو الذي ناله الجؤس وشدة الفقر ،
يقال : يس يس بأساً ، إذا افتقر ، فهو بائس .

وقد يستعمل فيمن نزلت به نازلة دهر وإن لم يكن
فقيراً ، ومنه قوله عليه السلام : «لكن البائس سعد بن مخلد» .
(١٢ : ٤٩)

البروسوي : (البائس) : الذي أصابه يؤس وشدة ،
فالبايس : الشدائد الفقر ، والفقير : المحتاج الذي أضغفه
الإعصار ليس له غنى ، أو (البائس) : الذي ظهر يؤسه في

ثيابه ولي وجهه، و(الفقير) الذي لا يكون كذلك، بأن تكون ثيابه نقيّة ووجهه وجه غنيّ.

ولي «مختصر الكرخي» أوصى بثلاث ماله للبائس الفقير والمسكين، قال: فهو يُقسم إلى ثلاثة أجزاء: جزء للبائس، وهو الذي به الزّمانة إذا كان محتاجاً، والفقير المحتاج: الذي لا يطوف بالأبواب، والمسكين: الذي يسأل ويخطف، (٢٦: ٦١).

شُبر: من به يؤس، أي خسر. (٢٢٩: ٤).
الطباطبائي: (البائس) من يؤس، وهو شدّة الفقر والحاجة. (٣٧١: ١٤).

يُنْتِ الشّاطين: الكلمة [البائس] من آية «الحجّ» خطايا إبراهيم عليه السلام:

﴿وَلَذُنَّ لِي النَّاسُ يَأْتِيهِ يَأْتُوهُ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ • لِيَلْقِيَهُمْ تَتَابَعًا مِمَّنْ تَبَعُوا وَتَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَقْلُوبَاتٍ عَلَى مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَوَّلَ النَّاسِ الْأَنْبِيَاءَ﴾
الحج: ٢٧، ٢٨.

وحيدة الصّيفة في القرآن.

وسها «يغذّب تبشيس» في آية الأعراف: ١٦٥.
ومن المادّة، جاءت (البائس) مع الضّرارة في آياتها الأربع: البقرة: ١٧٧، ٢١٤، والأنعام: ٤٢، والأعراف: ٩٤.

وآيتا هود: ٣٦، ويوسف: ٦٩، ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ «يَفْعَلُونَ».

وجاء الفعل الجامد (بشّ) تسبّاً وثلاثين مرّة، و(بأس) نكرة ومعركة، خمساً وعشرين مرّة.

وتفسير البائس بالذي لا يجد شيئاً من شدّة الحال، هو من قبيل التّشرح. وقد احترز فيه شدّة الحال، من احتمال أن يكون العوز من غير يؤس وشدّة.

وفي البائس صريح الدّلالة على البؤس، وكذلك البأساء، والشدّة أصل في المعنى، وتقرق الرّيبة بين صيغ المادّة ملاحظ من فروق الدّلالات، فتجعل البأس للقرّة والسّطوة والشدّة في الحرب، وفعله يؤس، حين تجعل البؤس والبؤسى، من: يئس، لشدّة الكرب والحاجة، وتجعل البأساء للمكاره، ولهاوا للشّجاع القويّ: يئس، وللأسد: يئأس، على وزن يئيم، وللمحتاج المكروب: يئس، وليس كلّ يئس فقيراً، ولا كلّ فقير يئساً، لمع الرّشد والتّصفّ لا يكون يؤس. ومن هنا جمعت الآية بين الضّفتين (البائس الفقير) ولو لم يلحظ البائس سوى العوز، لأغنى الفقير عن ذكره، كما في آيات: البقرة: ٢٦٨، ٢٧١، وآل عمران: ١٨١، والنساء: ١٣٥، والثّوبة: ٦٠، وفاطر: ١٥، ومحمد: ٣٨.

وقول الرّاضب في «المفردات»: «البؤس والبأس والبأساء، الشّدّة والمكروه إلّا أنّ البؤس في الفقر والحرب أكثر، والبأس والبأساء في التّكايّة».

يرد عليه أنّ البأساء جاءت في آياتها الأربع مقترنة بالضّرارة، فهي إلى المكاره أقرب منها إلى التّكايّة.

كما يرد على قوله: البؤس في الفقر والحرب أكثر، أنّ القرآن يستعمل الفقر مقابل المعنى بصريح آيات:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ آل عمران: ١٨١.

﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ التّور: ٣٢.

وروي عن بعض البصريين أنه قرأ (بئس) بفتح
الباء وكسر الهمزة على مثال «قيل». [ثم استشهد
بشعر]

وروي عن آخر منهم أنه قرأ (بئس) بكسر الباء
وفتح السين على معنى بئس العذاب.

وأولى هذه القراءات عندى بالصواب قراءة من
قرأه (بئس) بفتح الباء، وكسر الهمزة ومدّها، على مثال
«قيل». [ثم استشهد بشعر]

لأن أهل التأويل أجمعوا على أن معناه: شديد، فدلّ
ذلك على صحة ما اخترنا.

نحوه القيسي.

الطوسي، قرأ أبو بكر (بئس) بكسر الباء
وبعدّها ياء ساكنة وبعدّها همزة مفتوحة. [ثم استشهد
بشعر]، وروي عنه بكسرة الهمزة.

وقرأ أهل المدينة والداكوني عن هشام بن عمار
وبعدّها ياء ساكنة من غير همز.

وقرأ مثل ذلك ابن عمار إلا الداكوني عن هشام إلا
أنه همز، والباكون بفتح الباء وبعدّها همزة مكسورة
بعدّها ياء ساكنة، على وزن «قيل».

وروي خارجة عن نافع بفتح الباء بعدّها ياء
بلا همز، على وزن «قيل».

قال أبو علي: من قرأ على وزن «قيل» يحتمل
أمرين:

أحدهما: أن يكون «قيلًا» من يؤس يؤس، إذا
كان شديد اليأس، مثل «ومن عذاب شديد» [إبراهيم: ٢].

[ثم استشهد بشعر]

والثاني: أن يكون من عذاب ذي بئس، فوصفه
بالمصدر، وللمصدر قد يبيى على «قيل» مثل نكير
ونذير وشحيح وعذير الحي^(١)، والتقدير: من عذاب
ذي بئس، أي عذاب ذي يؤس.

ومن قرأ بكسر الباء من غير همز، فإِنَّه جعلها
اسمًا، فوصفه به، مثل قوله تعالى: «إن الله نهي عن قيل
وقال، ومثله: منذُ شُبَّ إلى دُبٍّ، ونظيره من الصفة
نقض وصق، ومن فتح الباء من غير همز فهو أيضًا فعل
في الأصل وُصف به، وأبدلت الهمزة ياء.

وحكى سيّويه أنه سمع بعض العرب يقول: بئس
فلا يمتق الهمزة. ويدع الحرف على الأصل الذي هو
«قيل» كأنه يُسكن العين كما يُسكن عن «علم» ويقلب
الهمزة ياء، إلا أنه لما لم يكن لها يجوز أن يجعلها بين يين
فأخلصها ياء.

وقرأ ابن عمار مثل قراءة نافع إلا أن ابن عمار
حقّق الهمزة.

وقرأه أبي بكر على وزن «قيل» فإنه جعله وصفًا
كقِيَّتُمْ وحيدَر. وهذا البناء كثير في الصفة.

ولا يجوز كسر العين من «بئس» لأن «قيل» بناء
اختصّ به ما كان عينه ياءً أو واوًا، مثل سيد وطيب، ولم
يبيى مثل ضيقت، وجاء في المعتل، حكى سيّويه عَيْنٌ
وأُشدُّ لرؤيته:

• ما بال عيني كالشعب العين •

فينبغي أن يجعل بئس على اللوهم عَيْنٌ رواء عن
عاصم والأعمش بالكسر، وقد أُنشد بعضهم:

(١) بئس من بيت ذكره الطوسي (٢٤٩، ٢٥٠).

كلاهما كان رئيساً

بضرب في يوم الهياج القوسا

أهل كل شيء قوسه بكسر العين، فن كسر العين
حملة على هذه اللغة. (١٧: ٥)

نحوه الطبرسي (٤٩٢: ٢)، وأبو الفتح (٤٨٠: ٢).
وأبو البركات (٣٧٧: ١).

الزَّمَخْشَرِيُّ: قُرِئَ (بَيْس) بوزن حَنْدَرٍ. و(بَيْس)
على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء، كما يقال: كَيْدٌ
في كَيْدٍ. و(بَيْس) على قلب الهمزة ياء كذِيب في ذئب،
و(بَيْس) على «قَيْل» بكسر الهمزة وفتحها. و(بَيْس)
بوزن «رَيْس» على قلب همزة (بَيْس) ياء وإدغام الياء
فيها. و(بَيْس) هل تخفيف (بَيْس) كَهَيْن في هَيْن،
و(بَيْس) على فاعل. (٢٧: ٢)

مثله الفخر الرازي (٣٩: ١٥)، والبيضاوي (٦):
(٣٧٤)، وأبو العورد (٢: ٦-٢).

أبو البقاء: يُقْرَأُ بفتح الياء، وكسر الهمزة وياء
ساكنة بعدها، وفيه وجهان:

أحدهما: هو نعت للظاب، مثل شديد.
والثاني: هو مصدر، مثل التذير، والتقدير: بظاب
ذي بأس، أي ذي شدة.

ويُقْرَأُ كذلك إلا أنه بتخفيف الهمزة وتقرئها من
الياء.

ويُقْرَأُ بفتح الياء وهمزة مكسورة لا ياء بعدها، وفيه
وجهان:

أحدهما: هو صفة، مثل قَلِيْقٌ وخَيْقٌ. والثاني: هو
منقول من «بَيْس» الموضوعة للذم إلى الوصف.

ويُقْرَأُ كذلك إلا أنه بكسر الياء إتياعاً.

ويُقْرَأُ بكسر الياء وسكون الهمزة، وأصلها فتح
الياء وكسر الهمزة، فكسر الياء، وسكن الهمزة تخفيفاً.
ويُقْرَأُ كذلك إلا أن مكان الهمزة ياء ساكنة، وذلك
تخفيف، كما تقول: في ذئب ذئب.

ويُقْرَأُ بفتح الياء وكسر الياء، وأصلها همزة
مكسورة أبدلت ياء.

ويُقْرَأُ ياءين على «فِعال».
ويُقْرَأُ «بَيْس» بفتح الياء والياء من غير هُزْز،
وأصله ياء ساكنة وهمزة مفتوحة إلا أن حركة الهمزة
أُلْقِيَتْ على الياء، ولم تُثَلَبِ الياء ألفاً، لأن حركتها
علافة.

ويُقْرَأُ (بَيْس) مثل ضَيْقٍ.
ويُقْرَأُ بفتح الياء وكسر الياء وتشديدها، مثل سَيْدٍ

و(بَيْس) وهو بفتح الياء، إذ ليس في الكلام مثله من الهمز.
ويُقْرَأُ (بَيْس) بفتح الياء وسكون الهمزة وفتح

الياء، وهو بعيد إذ ليس في الكلام «قَيْل».
ويُقْرَأُ كذلك إلا أنه بكسر الياء مثل جَيْشٍ

وجذيم. (٦٠٠: ١)
نحوه الطبرسي. (٣٠٨: ٧)

أبو حيان: قال مجاهد: (بَيْس): شديد مُوجِعٌ،
وقال الأخفش: مهلك.

وقرأ أهل المدينة نافع وأبو جطر وشيبة وغيرهم
(بَيْس) على وزن «جيد» وابن عامر كذلك إلا أنه همز
كَبُرَ، ووَجَّهْنَا على أنه فعل سَمَّى به، كما جاء: «أنتهاكم
عن قيل وقال». ويحتمل أن يكون وضع وصفاً على

وزن «فَيْقِل» كجَيْلَف، فلا يكون أصله فعلاً.

وخرجه الكسائي على وجه آخر وهو أن الأصل: بَيَّاس، فحُذِفَت الهمزة فالتقت ياءان، فحُذِفَت إحداهما وكُسِرَ أوله، كما يقال: رغيف وشييد.

وخرجه غيره على أن يكون على وزن «فَيْقِل» فكُسِرَ أوله إبتاعاً ثم حذفت الكسرة، كما قالوا: فَيْقِدْ، ثم خَفَفُوا الهمزة.

وقرأ الحسن (بئس) بهمز، وبغير همز عن شافع، وأبي بكر مثله إلا أنه بغير همز عن شافع، كما تقول: بئس الرجل. وضعتها أبو حاتم، وقال: لا وجه لها. قال: لأنه لا يقال: مررت برجل بئس حتى يقال: بئس الرجل أو بئس رجلاً.

قال النحاس: هذا مردود من كلام أبي حاتم، حكى النحويون إن فعلت كذا وكذا فيها ويثبت، ويريدون ونعت المفعلة، والتقدير: بئس العذاب.

وقرئ (بئس) على وزن «شَيْد» حكاه يعقوب القارئ، وعزاها أبو الفضل الرازي إلى عيسى بن صمر وزيد بن علي.

وقرأ جرير بن عائد في رواية (بأس) على وزن ضَرْبٍ، فعلاً ماضياً. وعن الأعمش ومالك بن دينار (بأس) أصله بئس، فسكن الهمزة فجعله فعلاً لا يتصرف.

وقرأت فرقة (بئس) بفتح الباء والياء والسين، وحكى الزهرلوي عن ابن كثير وأهل مكة (بئس) بكسر الباء والهمز همزاً خفيفاً، ولم يبين هل الهمزة مكسورة أم ساكنة.

وقرأت فرقة (بأس) بفتح الباء وسكون الألف.

وقرأ خارجة عن نافع وطلحة (بئس) على وزن كَيْلَ لفظاً، وكان أصله «فَيْقِل» مهموزاً إلا أنه خَفَفَ الهمزة بإبدالها ياءً وأدغم، ثم حذف كميث.

وقرأ نصر في رواية مالك بن دينار عنه (بأس) على وزن جَيْل، وأبو عبد الله ابن مصرف (بئس) على وزن كَيْدٍ وخُذِر. [ثم استشهد بشعر]

وقرأ ابن عباس وأبو بكر عن عاصم والأعمش (بئس) على وزن ضَيْقَم. [ثم استشهد بشعر]

وقرأ عيسى بن عمر والأعمش بخلاف عنه (بئس) على وزن «ضَيْقِل» اسم امرأة. بكسر الهمزة وبكسر القاف، وهما شاذان لأنه بناء مختص بالمعتل كسيد ومييت.

وقرأ نصر بن عاصم في رواية (بئس) على وزن «بَيْت» وخرج حل أنه من «البؤس» ولا أصل له في الهمز، وخرج أيضاً على أنه خَلَفَت الهمزة بإبدالها ياءً ثم أدغمت، وعنه أيضاً «بئس» بقلب الياء همزة وإدغامها في الهمزة، ورويت هذه عن الأعمش.

وقرأت لفرقة (بأس) بفتح الثلاثة، والهمزة مضددة. وقرأ باقي السبعة ونافع في رواية أبي فرقة وعاصم في رواية حفص وأبو عبد الرحمن ومجاهد والأعرج والأعمش في رواية وأهل الهجاز (بئس) على وزن «فَيْقِل» للمبالغة من بئس على وزن «فاعِل» وهي قراءة أبي رجاء عن علي، أي على أنه مصدر وُصف به كالتكثير والتقدير. [ثم استشهد بشعر]

وقرأ أهل مكة كذلك إلا أنهم كسروا الباء، وهي

لغة تميم في «فيل» حلفي العين يكسرون أوله. وسوله
كان اسماً لم صفة.

وقرأ الحسن والأعمش فيما زعم عصمة (بئس)
على وزن طريم وحزيم. وهذه اثنتان وعشرون قراءة.
وخطها بالثلاثين أنها قرئت ثلاثية اللفظ وبها هيته.
فالثلاثي اسماً: بئس وبئس وبئس وبئس وبئس
وبئس. وفعلاً: بئس وبئس وبئس وبئس وبئس وبئس
والزاهية اسماً: بئس وبئس وبئس وبئس وبئس
وبئس وبئس وبئس وبئس وبئس. وفعلاً: بئس.

(٤: ١١٢)

(٩: ١٣)

نحوه الأوسى.

بئس

١... عسى الله أن يكف بئس الذين كفروا...
أفد بئساً وأفد تشبهاً.

النساء: ٨٤

الفخر الرازي: «بئس أصله: المكروه. يقال:
ما عليك من هذا الأمر بئس، أي مكروه. ويقال: بئس
الشيء هذا، إذا وصف بالزداء، وقوله: «بئس عذاب
بئس» الأعراف: ١٦٥، أي مكروه.

والعذاب قد يُسَمَّى «بئساً» لكونه مكروهاً. قال
تعالى: «فَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ يَتَّبِعْهُ اللَّهُ فَيُؤْثِرْهُ عَلَىٰ مَنْ حَبْلَ الْوَحْدِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُؤْتِي»
«فَلَمَّا أَهْلُوا بِأَنْتَابِ الْأَنْبِيَاءِ: ١٢، «فَلَمَّا زَلَّوْا
بِأَنْتَابِ» المؤمن: ٨٤، قال المفسرون: «عسى الله أن
يكف بئس الذين كفروا» وقد كف بأسهم. فقد بدا لشي
سفيان. وقال: هذا عامٌ مُجَدَّبٌ. وما كان معهم زاد إلا
التوبيخ، فخره الذهاب إلى محاربة رسول الله ﷺ.

(١٠: ٢٠٥)

الشر بيني، أي حرب الذين كفروا. (١: ١٣١٩)
البر وسوي: البأس في الأصل: المكروه، ثم وضع
موضع الحرب والقتال. (٢: ٢٤٨)
رشيد رضاء البأس: القوة. (٥: ٣٠٤)
القاسمي: أي شدة وقوة. (٥: ١٤١٨)

٢... وَيَذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ
تَصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. الأنعام: ٦٥
النبي ﷺ: سألت ربي أن لا يظهر على أمتي أهل
دين غيرهم فأعطاني، وسأله أن لا يهلكهم جوعاً
فأعطاني، وسأله أن لا يجمعهم على ضلالة فأعطاني.
وسأله أن لا يلبسهم شيئاً فمتني. (البقرة: ٢: ٣١٥)
أخي من كعب: سيكون في هذه الأمة بين يدي
السابعة خفي وقذف وتسبح. (البقرة: ٢: ٣١٥)
مجاهد: أي بالحرب والقتل في الفتنة.

(الترغيب: ٧: ٩)

الحسن: التهديد بإزالة العذاب والخسف يتناول
الكفار. وقوله: «أَوْ يُلَاقِيَكُمْ سَبْتًا» الأنعام: ٦٥.
يتناول أهل الصلاة. (البقرة: ٢: ٣١٥)

الإمام الصادق عليه السلام: هو سوء الجوار.

(البقرة: ٢: ٣١٥)

الطبرسي: أي قتال بعض وحرب بعض، ومعناه
يقتل بعضهم بعضاً حتى يفتني بعضهم بعضاً.

وفي تفسير الكليني: أنه لما نزلت هذه الآية قام
النبي ﷺ فتوحاً وأسلع وضوءه، ثم قام وصلى فأحسن
صلاته، ثم سأل الله سبحانه أن لا يمت على أمة عذاباً

من فوهمهم ولا من تحت أرجلهم ولا يلبسهم شيئاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض.

فنزّل جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد إنّ الله تعالى سمع مقالتك، وإنّه قد أجارهم من خصتين ولم يُجرهم من خصتين: أجارهم من أن يمت عليهم هذا من فوهمهم أو من تحت أرجلهم، ولم يُجرهم من الخصتين الآخرين.

فقال عليه السلام: يا جبرائيل ما بقا أمتي مع قتل بعضهم بعضاً، فقام وعاد إلى الدعاء، فنزل ﴿الْم أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ العنكبوت: ١، ٢.

فقال: لا بد من فتنة تُبلى بها الأمة بعد نبينا محمد، الصادق من الكاذب، لأنّ الوحي انتزع وبقى الشك والافتراق الكلمة إلى يوم القيامة. وفي الخبر أنّه عليه السلام قال: إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع محمد بن حنفية القيامة.

التسفي: الرأس: السيف. أبو حنيفة: الرأس: الفتنة من قتل وغيره.

الشريبي: أي بالقتال، قال رسول الله ﷺ: هذا أهون أو أيسر، وفي رواية أنّه ﷺ قال: سألت ربي طويلاً أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها، وسأله أن لا يهلك أمتي بالسنين فأعطانيها، وسأله أن لا يعمل بأسهم بينهم فتعنيها.

وفي رواية أنّه ﷺ سأل الله تعالى ثلاثاً فأعطاه اثنتين ومنعه واحدة: سأله أن لا يسلط على أمة عدواً

من غيرهم يظهر عليهم فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يهلكهم بالسنين فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يعمل بأس بعضهم على بعض فتعني ذلك.

البروسوي: بالقتل والصلب وقطع الأعراف، كما فعل بابين منصور.

فإذا جاء وعد أولئك منا نجدة، أي سلفنا عليكم عباداً لنا أولي شريك، أي سلفنا عليكم عباداً لنا أولي شريك، أي سلفنا عليكم عباداً لنا أولي شريك، أي سلفنا عليكم عباداً لنا أولي شريك.

الطبرسي: أي سلفنا عليكم عباداً لنا أولي شريك، أي سلفنا عليكم عباداً لنا أولي شريك، أي سلفنا عليكم عباداً لنا أولي شريك، أي سلفنا عليكم عباداً لنا أولي شريك.

الفخر الرازي: أولي بأس شديد ونجدة وسفدة. البأس: القتال. القوة: النبوة.

النبطسوي: ذوي قوة وطش في الحرب شديد.

مثل الفارز (١٦٨: ٤)، وأبو الشعود (٢٠٥: ٣).

أبو حنيفة: أي قتال وحرب شديد لقوتهم ونجدهم، وكثرة عددهم وعددهم.

ابن كثير: أي قوة وعدة وسلطنة شديدة.

أبو الشعود: ذوي قوة وطش في الحرب.

مثل المرغني.

- الْبَرْزَوِيُّ: «أول تأيس شديد» كقولهم: ظِلٌّ ظليل، لأنَّ «البأس» يستعني الشدة، أي ذوي قوة ويطش في الحروب. (١٣٣: ٥)
- بِالْقِتَالِ. نحو: عبد المنعم الجتال. (٣: ٢٣٢٤)
- الْأَلُوسِيُّ: أي نجدة وشجاعة مفرطة، وبلاء في الحرب. (١٩٧: ١٩٩)
- إِنَّ وَصَفَ «البأس» بالشديد مبالغة، كأنه قيل: ذوي شدة شديدة كظِلٍّ ظليل، ولا بأس فيه. وقيل: إنه تهجيد، وهو صحيح أيضًا. (١٧: ١٥)
- الْمُرَافِيُّ: نحن ذَوُو بَأْسٍ ونجدة في القتال، إلى مالكا بن وافر النخعة وهظيم البتاد، وكثير الكُراع والسلاح. (١٣٧: ١٩٩)

- ٥... قَنَ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالُ
يَزْعَوْنَ تَأْبِئُكُمْ إِلَّا تَنْزِي... المؤمن: ٢٩
- الطُّبْرِيُّ: يقول: فمن يدفع عنا بأس الله ونخطوته
١٥٩: ٢٤٤)
- الطُّبْرِيُّ: أي أصحاب قُدرة وأصحاب بأس، أي شجاعة شديدة. (٨: ١٩٣)
- نَحْوُ الطُّبْرِيِّ. (٤: ٢٣٠)
- الزُّمَخْشَرِيُّ: البأس: النجدة والبلاء في الحرب. (٣: ١٤٦)
- مثله التَّسْفِيُّ. (٣: ٢٦٠)
- الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: المراد بالبأس النجدة، والقباب في الحرب. (٢٤: ١٩٥)
- الْقُرْطُبِيُّ: «نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً» في القتال «وَأَوْلُوا بَأْسَ شَدِيدٍ» في الحرب واللقاء. (١٣: ١٩٥)
- الْبَيْضَاوِيُّ: البأس: نجدة وشجاعة. (٢: ١٧٥)
- نحو: أبو حيان (٧: ٧٣)، وأبو السُّعُود (٤: ١٣٠)، والكاشاني (٤: ٦٥)، وشيبر (٤: ٤٢٣)، والبرزوسوي (٦: ٣٤٣).
- الخَاوِزَن: أي عند الحرب، وقيل: أرادوا بالقوة كثرة العدد، والبأس والشجاعة، وهذا تعريض منهم

- ٦... قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ شُدُوعُونَ إِلَى قَوْمِ
أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ لِكَيْ يَكُونَتْهُمْ أَوْ يُضِلُّوهُمْ... الفتح: ١٦

الطُّبْرِيّ: أولي بأس في القتال، ونجدة في الحروب.

(٨٣: ٢٦)

الطُّبْرِيّ: ذوي نجدة وشدة مثل أهل حنين والحنائف ومؤنة إلى نبوله وغيرها، فلامني لحمل ذلك على ما بعد وفاته.

(١٥٥: ٥)

الْقُحْرُ الرَّازِيّ: يعني أولي سلاح من آلة الحديد.

(٩٢: ٢٨)

فيه بأس شديد.

الشَّرْبِيّ: أي شدة في الحرب وهجاعة.

(٤٥: ٤)

نحوه البروسويّ (٩: ٣٠)، والآلوسي (٢٦: ١٠٢).

٧... وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ

الحديد: ٢٥

للناس...

الإمام عليّ عليه السلام: يعني السلاح وغير ذلك.

(البروسويّ: ١٥: ٢٥)

ابن زيد: البأس الشديد: السيوف والسلاح الذي

(الطُّبْرِيّ: ٢٧: ٢٣٧)

يقاتل الناس بها.

مُجَاهِد: جُنَّةٌ وسلاح، وأنزله ليعلم الله من

(الطُّبْرِيّ: ٢٧: ٢٣٧)

ينصره.

الطُّبْرِيّ: يقول: فيه قوة شديدة ومنافع للناس،

وذلك ما ينتفعون به منه عند لقاءهم العدو، وغير ذلك من

(٢٣٧: ٢٧)

منافعه.

الْقَرَاء: قوله: (بأس) يريد السلاح للقتال.

(وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) مثل السكين والقماس والمزج^(١)، وما أشبه

(١٣٦: ٣)

ذلك.

نحوه ابن كثير.

(٥٦٦: ٦)

الزُّجَّاج: أي يستنع ويحارب. (الطُّبْرِيّ: ٥: ٢٤١)

الطُّبْرِيّ: المعنى أنّه يتخذ منه آلتان: آلة للدفع،

وآلة للضرب، كما قال مُجَاهِد: فيه جُنَّةٌ وسلاح.

(٢٤١: ٥)

الْقُرْطَبِيّ: أي لإهراق الدماء، ولذلك نهى عن

القصد والحجامة في يوم الثلاثاء، لأنه يوم جزى فيه

(١٧: ٢٦٦)

الدم.

النَّسْفِيّ: هو القتال به في مصالحهم ومعاشهم

ومصائبهم، فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها، أو

ما يعمل بالحديد باستعمال السيوف والرماح وسائر

(٤: ٢٢٩)

السلاح، في مجاهدة أعداء الدين.

(٨: ٢٢٦)

نحوه أبو حيان.

الحازن: أي قوة شديدة، منه جُنَّةٌ وهي آلة

الدفع، ومنه سلاح وهي آلة الضرب.

(٧: ٣٢)

البروسويّ: «بأس شديد» وهو القتال به، أو

قوة شديدة، يعني السلاح للحرب، لأن آلات الحرب

إنما تتخذ منه، وبالفارسية قتال شديد، يعني الآلات التي

تستعمل في الحرب لصد العدو كالسنان والسهم والسيف

والحرية والخنجر وأمثالها، وتدرء الأخطار عن النفس

(٩: ٣٨٠)

كالدرع والخوذة والزرذ، وغير ذلك.

(١١: ٦٠)

نحوه العارفي.

الآلوسي: (فيه بأس) أي عذاب، (شديد) لأن

آلات الحرب تتخذ منه، وهنا إشارة إلى احتياج

الكتاب والميزان إلى القائم بالسيوف ليحصل القيام

بالقسط، فإن الظلم من شيم الثنوس.

(٢٧: ١٨٨)

الْقَرَاغِيّ: خلقنا الحديد لتكون منه السيوف

(١) كذا في الأصل ونسبها، البسن.

(١٤ : ٧٨٨)

يوسف : ١٠٣ .

البأس

١... وَالضَّالِّينَ فِي السَّبِيلِ وَالضَّالِّينَ وَجِبْنَ

البقرة : ١٧٧

البأس ...

أبْنُ مَسْعُودٍ : حِينَ الْقِتَالِ .

مِثْلُهُ مُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ . (الطَّبْرِيُّ ٢ : ١٠١)

ومثله الطُّوسِيُّ . (٢ : ٩٨)

الإمام الشَّجَادَةُ ، عِنْدَ شِدَّةِ الْقِتَالِ يَذْكُرُ اللَّهَ

وَيُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى عَلِيٍّ وَلِيِّ اللَّهِ ،

يُرْوَى بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، وَيُضَادِّي كَذَلِكَ أَعْدَاءَ

اللَّهِ . (التَّحْقِيقُ الْمُنْتَوَبُ إِلَى إِمَامِ الْمُسْكِرِيِّ : ٥٩٤)

قِتَالُهُ ، أَيْ عِنْدَ مُوَاطِنِ الْقِتَالِ . (الطَّبْرِيُّ ٢ : ١٠١)

الرَّبِيعُ ، عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ . (الطَّبْرِيُّ ٢ : ١٠١)

نَحْوُهُ التَّنَاضُؤِيُّ . (١ : ٩٨)

الطَّبْرِيُّ : وَالضَّالِّينَ فِي وَفْتِ الْبَاسِ ، وَذَلِكَ وَقْتُ

شِدَّةِ الْقِتَالِ فِي الْحَرْبِ . (٢ : ١٠١)

نَحْوُهُ ابْنُ خَلْفَةَ (١ : ٢٤٤) ، وَالْقُرْطُبِيُّ (٢ : ٢٤٣) ،

وَالْقَاسِمِيُّ (٣ : ٣٩٣) .

الرَّجَّاجُ : أَيْ شِدَّةُ الْحَرْبِ . (١ : ٢٤٧)

الْقُصِيُّ : عِنْدَ الْقَتْلِ . (١ : ٦٤)

الطَّبْرِيُّ : يَسْرِدُ وَقْتُ الْقِتَالِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ .

وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَاسُ اتَّقَيْنَا

بِرَسُولِ اللَّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ ، يَرِيدُ

إِذَا لَشِدَّةُ الْحَرْبِ . (١ : ٢٦٤)

نَحْوُهُ شُجْرٌ . (١ : ١٨٠)

وَالزَّمَاجَ وَالذَّرُوعَ وَالسِّفْنَ الْبَحْرِيَّةَ وَمِثْلَهُ ذَلِكَ ،

وَفِيهَا الْقُوَّةُ الَّتِي تَرْغِمُ أَفْظَ الظَّالِمِ ، وَتُعْصِي الْمَظْلُومَ ، وَفِيهِ

مَنَافِعُ لِلنَّاسِ فِي حَاجَاتِهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ كَأَدْوَاتِ

الصَّنَاعَاتِ وَحَاجَاتِ الْحَيَوَاتِ ، وَقَطْرُ السَّكَنِ الْمَدِيدَةِ

وَنَحْوِهَا . (٢٧ : ١٨٣)

نَحْوُهُ عِبْدُ الْمَنَعِمِ الْجَمَالُ . (٤ : ٣٠٥٤)

الطَّبَّاطِبَانِيُّ : الْبَاسُ هُوَ الشَّدَّةُ فِي التَّأْنِيرِ ، وَيُغْلَبُ

اسْتِمَالُهُ فِي الشَّدَّةِ فِي الدَّفَاعِ وَالْقِتَالِ ، وَلَا تَزَالُ الْحُرُوبُ

وَالْمَقَاتِلَاتُ وَأَنْوَاعُ الدَّفَاعِ ذَاتُ حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَى الْحَدِيدِ

وَأَقْسَامِ الْأَسْلِحَةِ الْمُعَمَّوَةِ مِنْهُ ، مِنْذُ تَنَبَّهَ الْبَشَرُ لَهُ ،

وَلَمَّا خَرَجَهُ . (١٩ : ١٧٢)

عَبْدُ الْكَرِيمِ الْخَطِيبُ : (الْمَدِيدُ) هُنَا هُوَ الْبَاسُ

الَّذِي يُتْرَكُ مَعَ آيَاتِ اللَّهِ ، وَهُوَ الزَّوْجَرُ الَّتِي تَحُلُّ

بِالْمَكْتَبِينَ الْحَارِبِينَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ ... (الْمَدِيدُ) أَيْ جَاءَ هُوَ

هَذَا الْمَقِيرُ الْكَثِيرُ الَّذِي تَنْقُضُ النَّفْسُ النِّهَايَةَ لِلْإِيمَانِ عَنْ

آيَاتِ اللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الرُّسُلِ .

وَهَذَا لَا يَنْبَغُ مِنْ أَنْ تَبْقَى لِلْمَدِيدِ حِفْظَةُ الْمَادِيَّةِ الَّتِي

يُحْرَفُ بِهَا ، فَيَتَّخِذُ مِنْهَا لِيَتَّخِذَ أَدْوَاتِ الْحَرْبِ لِلْجِهَادِ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ كَمَا يُجَاهِدُ الرُّسُلُ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ أَعْدَاءَ

اللَّهِ بِالسِّتْمِ فَإِنَّهُمْ يُجَاهِدُونَ بِأَيْدِيهِمْ ، وَيُدْفَعُونَ بِسُيُوفِهِمْ

وَعُدْوَاتِهِمْ بِسُيُوفِهِمْ ، وَقَدْ مَالِيَ الْحَدِيدُ مِنْ «بَاسٍ

شَدِيدٍ» عَلَى مَا فِيهِ مِنْ مَنَافِعٍ ، لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا تَجْلِي مِنْهُ

دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ هُوَ هَلَاكُ الْأَكْثَرِينَ ، وَنَجَاةُ الْقَلِيلِينَ ، كَمَا

يَقُولُ سُبْحَانَهُ عَنْ دَعْوَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «وَمَا أَمِنَ مَنَعَةً إِلَّا

قَلِيلٌ» هُود : ٤٠ . وَكَمَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ عَنْ طَلَبِ النَّبِيِّ

الْكَرِيمِ ﷺ : «وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ خَرَجْتَ بِمُؤْمِنِينَ»

الشَّريين: أي وقت شدة القتال في سبيل الله تعالى، نصب على المدح ولم يحذف لفضل الصبر على الشدائد، ومواطن القتال على سائر الأعمال، وروى عن علي عليه السلام أنه قال: كنا إذا حمى البأس، أي اشتد الحرب، ولقى القوم القوم أثقينا برسول الله ﷺ، فلا يكون أحد أقرب إلى العدو منه. (١١٥: ١)

نحوه البرؤوسوي: أبو الشعود: أي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب، وزيادة «الحسين» للإشعار بموقعه أحياناً، وسرعة انتصاته. (١٥٠: ١)

الآلوسي: أي وقت القتال وجهاد العدو، وهذا من باب التقرّي في الصبر من الشدّيد إلى الأشدّ، لأن الصبر على المرض فوق الصبر على الفقر، والصبر على القتال فوق الصبر على المرض.

وعُدّي الصبر على الأولين بذلي لا غير لا يخلو عن حقيقة وعُدّي الإنسان من الممدوحين إذا صبر على شيء من ذلك، إلا إذا صار الفقر والمرض كالظرف له، ولنا إذا أصابه وقتنا وما وصير فليس فيه مدح كثير، إذ أكثر الناس كذلك.

وأنى بلاجين في الأخير، لأن القتال حالة لا تكاد تدوم في أغلب الأوقات. (٤٨: ٢)

٢- قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُتَوَكِّلِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا. الأحزاب: ١٨
الطبري: يقول: ولا يشهدون الحرب والقتال، إن

شهدوا إلا تذكيراً، ودفعاً عن أنفسهم المؤمنين.

(١٣٩: ٢١)

الزُّجَّاج: لا يأتون الحرب مع أصحاب النبي ﷺ إلا تذكيراً يؤمّنونهم بأنهم معهم. (٢٢٠: ٤)

الطُّوسِي: (البأس) أي الحرب. (٣٢٥: ٨١)
مثله التُّسِّي.

الطُّوسِي: أي لا يضرّون القتال في سبيل الله. (٣٤٨: ٤)

نحوه الطُّوسِي (١٥٢: ١٤)، والكاشاني (١٧٠: ٤).
وَصَبْرٌ (١٣٧: ٥).

القَصْرُ الزَّازِي: «لَا يَسْأَلُونَ الْبَاسَ» بمعنى لا يقاتلون معكم، ويصلّون عن الاشتغال بالقتال وقت المضور معكم. (٢٠١: ٢٥)

الشَّريين: أي الحرب أو مكانها. (٢٢١: ٣)
البرؤوسوي: أي الحرب والقتال، وهو في الأصل

(١٥٥: ٧)
مثله أبو الشعود (٢٠٦: ٤)، والآلوسي (١٦٤: ٢١).

بَاسًا

١- ...عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بِنَاسٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنَّهُ أَقْدَرُ نَاسًا وَأَقْدَرُ تَكْيِيلًا. النساء: ٨٤

الطبري: يقول: والله أشد نكايًا في عدوّه من أهل الكفر به، منهم فيك يا محمد، وفي أصحابك، فلا تتكلّن من قتالهم، فإنّي راصدهم بالبأس والنكاية والتشكيل والقوبة، لأوهن كيدهم وأضعف بأسهم وأعلي الحق عليهم. (١٨٥: ٥)

الطُّوسِي: الشدّة في كل شيء. (٢٧٦: ٣)

- الطُّبْرِيّ : أي أشد نكايّة في الأعداء منكم .
(٨٣ : ٣)
- أبو الفُتُوح : قوة وشدة .
(١٦ : ٢)
- الطُّبْرِيّ : أي حوثة وأعظم سلطاناً وأقدر بأساً
هل ما يريد .
(٢٩٤ : ٥)
- نحوه الخازن .
(٤٧١ : ١)
- أبو حَتّان : هذه تقوية لقلوب المؤمنين ، وأنّ بأس
الله أشد من بأس الكفار ، وقد جيء كلف بأسهم . ثم ذكر
ما أعد لهم من النكال وأنّ الله تعالى هو أشد عقوبة ، فذكر
قوته وقدرته عليهم ، وما يؤول إليه أمرهم من التعذيب .
(٣٠٩ : ٣)
- أبو السُّعُود : أي من قريش .
(٣٦٦ : ١)
- القاسميّ : أي شدة وقوة من قريش .
(١٤١٨ : ٥)
- عبد الكريم الخطيب : أن هؤلاء الأعداء إنّ
كانوا أولى قوة وأولي بأس شديد فالتحقوا والمسلمون
يشدون رجاءهم إلى قوة فوق هذه القوة ، وإلى بأس
أعظم من هذا البأس ، قوة الله وبأس الله ﴿وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا
وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ .
(٨٤٩ : ٣)
- ٢- قَمِيصًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُنَفِّثَ
الْمُؤْمِنِينَ...
الكهف : ٢
- ابن أبي إسحاق : عاجل عقوبة في الدنيا وعذاباً
في الآخرة .
(الطُّبْرِيّ ١٥ : ١٩٢)
- الإمام الصادق عليه السلام : البأس الشديد : عليّ ، وهو
لدى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله حدّه .
- ابن قُتَيْبَة : أي لينذر بأس شديد ، أي عذاب .
(٢٤٢ : ٣)
- الطُّبْرِيّ : أي بالبأس العذاب العاجل ، والنكال
المأخر والسُّطوة .
(١٩٢ : ١٥)
- مثله الطُّوسيّ .
(٦ : ٧)
- الرُّمَيْسِيُّ : البأس من قوله : ﴿يُعَذِّبُ يَهُودَ﴾
الأعراف : ١٦٥ ، وقد يؤس العذاب ويؤس للرجل بأساً
وبأساً .
(٤٧٢ : ٣)
- مثله التَّمَرُ الرّازي .
(٧٦ : ٢١)
- الطُّبْرِيّ : معناه ليخوف العبد الذي أنزل عليه
اللعنات الناس طائفاً شديداً ، ونكالاً وسُّطوة من عند الله
﴿يُنَفِّثُ﴾ ، إن لم يؤمنوا به .
(٤٤٩ : ٣)
- البيضاويّ : أي لينذر الذين كفروا عذاباً شديداً .
(١٤١٨ : ٥)
- هل الغرض الموق إلى .
(٤ : ٢)
- نحوه التَّنْصِي .
(٢ : ٣)
- الخازن : معناه لينذر الذين كفروا بأساً شديداً ،
وهو قوله سبحانه وتعالى : ﴿يُعَذِّبُ يَهُودَ﴾ الأعراف :
١٦٥ .
(١٥٥ : ٤)
- أبو حَتّان : [بعد نقل قول الرُّمَيْسِيِّ قال :]
وكانه راعى في تعيين المحذوف مقابله وهو
﴿يُنَفِّثُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ﴾ والبأس الشديد : عذاب
الآخرة ، ويحتمل أن يتدرج فيه ما ينعقهم من عذاب
الدنيا .
(٩٦ : ٦)
- ابن كثير : ينذره بأساً شديداً ، عقوبة عاجلة في

الدنيا، وآجلة في الأخرى.

(٣٦٥ : ٤)

ولتها.

(١٦٢ : ٢)

نحوه المرائي.

(١١٥ : ١٥)

نحوه الشريفي (١ : ٤٥٦)، والمرائي (٨ : ٥٧).

الآلوسي : المراد من البأس الشديد : عذاب الآخرة

لاخير، وقيل : يحتمل أن يندرج فيه عذاب الدنيا، (من

لذته) أي صادرًا من عنده تعالى، نازلًا من قبله بمقابلة

كفرهم، فالجاء والجور متعلق بمحذوف، وقع صفة ثانية

للْبأس. (١٥ : ٢٠٢)

القاسمي : البأس : القهر والمذاب، وخصصه

بقوله : (من لذته) إشارة إلى زيادة حوله، ولذلك عظمه

بالتكثير. (١١ : ١٠٢٢)

عبد الكريم الخطيب : هو العذاب الاليم الذي

توعد الله سبحانه وتعالى به الذين لا يؤمنون بالله

ولا يعملون الصالحات، على خلاف للذين آمنوا بالله

وعملوا الصالحات. (٨ : ٥٨٢)

بَأْسُهُمْ

لَا يَفْقَهُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَوْمٍ مُسْتَضَلَّةٍ أَوْ مِنْ

وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ... الحشر : ١٤

أين عُبَّاس : معناه بعضهم عدو للبعض.

(الفخر الرازي ٢٩ : ٢٩٠)

مجاهد : المعنى أنهم إذا اجتمعوا يقولون : لنفعلن

كذا وكذا، فهم يمددون المؤمنين ببأس شديد، من وراء

المبطلان والمحصون، ثم يستترزون عن الخروج

(الفخر الرازي ٢٩ : ٢٩٠)

الطبري : عداوة بعض هؤلاء الكفار من اليهود

بعضًا شديد. (٢٨ : ٤٧)

مثل الطوسي. (٩ : ٥٦٩)

التيبدي : أي هم متعادون مختلقون عداوة بعضهم

بعضًا شديدًا، وقيل : نكايتهم فيما بينهم شديد.

(١٠ : ٥١)

الزمخشري : يعني أن البأس الشديد الذي

يرصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا، ولو قاتلوكم لم يكن

هم ذلك البأس والشدة، لأن الشجاع يجين والعزيز يذل

عند محاربة الله ورسوله. (٤ : ٨٥)

مثل البيضاوي (٢ : ٤٦٧)، والنسفي (٤ : ٣٤٣)،

وأبو حيان (٨ : ٢٤٩)، والكاشاني (٥ : ١٥٨)، وشبر

(٦ : ١٩١).

الطبري : أي عداوة بعضهم لبعض شديدة، يعني

بَأْسُهُ

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُهْرَدُ

بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ. الأنعام : ١٤٧

الطوسي : معناه لا يمكن أحد أن يرد عنهم، وهو

لمبلغ من قوله : بأسه نازل بالجرم، لأنه دل على هذا

المعنى وعلى أن أحدًا لا يمكنه رده. (٤ : ٣٣٣)

الطبري : أي لا يدفع عنه إذا جاء وقته.

(٢ : ٣٧٩)

مثل الشيبوري (٨ : ٤٩)، وشبر (٢ : ٣٣٠).

والأكوسي (٨ : ٤٩)، ونحوه للنسفي (٢ : ٣٩).

الخازن : يعني ولا يرد عنه ونقته إذا جاء

رحمتهم ليس لضيقهم وجبنهم في أنفسهم، فإن بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد، وإنما لضيقهم وجبنهم بالنسبة إليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب.

(١٥٢: ٥)

مثله الاكوسي.

البروسوي: [قال مثل أبو السعد وأضاف:]

إن قيل: إن البأس شدة الحرب فما الحاجة إلى الحكم

عليه بشديد؟

أجيب: بأنه لو لم يكن من «البأس» هنا مطلق الحرب،

فأخبر بشدته لتصريح الشدة، لو أريد المبالغة في إثبات

الشدة لبأسهم مبالغة في شدة بأس المؤمنين، لعلته على

بأسهم بتأييد الله ونصرته لهم عليهم. والظرف متعلق

بأنهم يتأيدونهم.

ويجوز أن يكون متعلقاً بمقتضى صفة أو حالاً، أي

الواقع بعد المعرفة يكون حالاً البتة، ليس برضوي، فإن

الأمرين جائزان، بل قد ترجح الصفة.

(٤٤١: ٩)

الطباطبائي: أي هم فيما بينهم شديدو البطش،

غير أنهم إذا برزوا لمركب وشاهدوكم يهينون، بما ألقى

الله في قلوبهم من الرعب.

(٢١٣: ١٩)

عبد الكريم الخطيب: إشارة إلى حال اليهود فيما

بينهم، وأنهم أشد الناس شراسة، وأقساهم قلباً،

ولقد رهم على القتلك، حيث يقاتل بعضهم بعضاً، ويفتك

بعضهم بعضي، إنهم حينئذ يكونون أشبه بالحيتات ينهش

بعضها بعضاً، ويفتك بعضها بعضي، فهي أعلم بمواطن

الضعف في أبنائها، جنسها، وهي لذا أشد جسارة، وأكثر

أنهم ليسوا يمتلئ القلوب. وقيل: معناه قوتهم فيما بينهم شديدة، فإذا لاقوكم جبنوا، يفرعون منكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب.

(٢٦٤: ٥)

أبو الفتوح: شجاعتهم وعتولتهم شديدة بينهم،

أي أنهم ماداموا مجتمعين يمازفون في كلامهم يتجفعون

في شجاعتهم، ولكنهم حينما يتفرقون يبدو عليهم

الضعف، ويحل بهم الخوف.

(٢٩٢: ٥)

الفخر الرازي: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أن البأس الشديد الذي يوصفون به

إنما يكون إذا كان بعضهم مع بعضي، فأنما إذا قاتلوكم

لم يبق لهم ذلك البأس والشدة، لأن الشجاع يمين

والعزيم يذل عند محاربة الله ورسوله.

وثانيها: قال مجاهد: المعنى أنهم إذا اجتمعوا

يقولون: لنفعلن كذا وكذا، فهم يمددون المؤمنين بأس

شديد من وراء الميقات والمحصن، ثم يحترزون عند

المخرج للقتال، لبأسهم فيما بينهم شديد، لا فيما بينهم

وبين المؤمنين.

وثالثها: قال ابن عباس: معناه بعضهم حدود

للبيض، والذكيل على صفة هذا التأويل قوله تعالى:

﴿فَحَسِبْتُمْ بِبَيْعَتِكُمْ قُلُوبُكُمْ فَتَقَى﴾ الحشر: ١٤، يعني:

تحسبهم في صورتهم مجتمعين على الألفة والمحبة، أما

قلوبهم فتق، لأن كل أحد منهم على مذهب آخر،

وبينهم عداوة شديدة، وهذا تشجيع للمؤمنين على

قتالهم.

(٢٩٠: ٢٩)

أبو السعد: استئناف سبق لبيان أن ما ذكر من

إقدامًا من غيرها على ثقت التمس الكامن فيها.

(٨٧٢: ١٤)

بَأْسَكُمْ

١-... وَجَعَلَ لَكُمْ مِرَاجِيلَ تَكْبِيَكُمْ الْحَرَّ وَشَرَابِيلَ
تَكْبِيَكُمْ بَأْسَكُمْ...
التعليل: ٨١

الطَّبْرِي: البأس هو الحرب. والمعنى تكيكم في
بأسكم السلاح أن يصل إليكم. (١٥٥: ١٤)

أبو حنبل: البأس في أصل اللغة: الشدة. وهنا
الحرب. وفي الحديث: «كنا إذا اشتد البأس اثنتين برمول

الله ﷻ والمعنى تكيكم أذى الحرب. وهو ما يرضى فيها
من المراح الناشئة من ضرب السيف والدُّبُرُس (١)

والرمح والسهم. وغير ذلك. (٥٢٤: ٥)

الشَّريبي: أي حرككم. أي في الطعن والضرب
فيها. (٢٥٤: ٢)

مثله أبو السعود (٣: ١٨٨)، ونحوه البروسوي (٥)

٦٧. والآلوسي (١٤: ٢٠٥).

٢- وَغُلْمَاءَ ضَلَفَةِ لَهْمٍ لَكُمْ لِشَحِيحَتِكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ
فَقُلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ.
الأنبياء: ٨٠

ابن عباس: أي من سلاحكم.

(القرطبي: ١١: ٣٢٠)

الضَّحَّاك: أي من حرب أعدائكم.

(القرطبي: ١١: ٣٢٠)

مثله الشَّدي (الطَّبْرسي: ٤: ٥٨). وابن قتبية

(٢٨٧)، والشَّي (٣: ٨٦)، وأبو السعود (٣: ٣٥٠).

وشَّير (٤: ٢١٠).

الطَّبْرسي: البأس: القتال. وعلَّنا داود شئمة

سلاح لكم، ليعرزكم إذا لستموه. ولقيتم فيه أعداءكم
من القتل. (١٧: ٥٥)

الطَّبْرسي: شدة القتال. (٧: ٢٦٩)

مثله الطَّبْرسي. (٤: ٥٨)

الفخر الرازي: البأس هاهنا: الحرب. وإن وقع
على السوء كله، والمعنى ليعتكم ويمرركم من بَأْسِكُمْ.

أي من المرح والقتل والسيف والسهم والرمح.

(٢٢: ٢٠٠)

نحوه القرطبي. (١١: ٣٢٠)

البروسوي: البأس هنا: الحرب وإن وقع على

السوء كله، أي من حرب عدوكم. (٥: ٥٠٨)

الآلوسي: قيل: أي من حرب عدوكم، والمراد بما

يطلع عليه: وقيل: الكلام على تقدير مضاف. أي من آلة

بأسكم كالسيف. (١٧: ١٧٧)

بِأَسَنًا

١-... كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا

فَلَنْ يَنْدَكُمْ مِنْ عَذَابٍ مُتَخَرِّجٍ قَدْ... الأنعام: ١٤٨

الطَّبْرسي: أي حتى نالوا عذابنا، وقيل: معناه حتى

أصابوا العذاب الممَّتل، ودلَّ بذلك على أنَّ لهم عذابًا

مَدَّخِرًا عند الله تعالى. (٢: ٣٨٠)

مثله الشَّي (٢: ٣٩)، والشَّريبي (١: ٤٥٦).

(١) البثنة، أي عصا من خشب أو حديد هي رأسها نسيه
بثنة.

والأوسى (٨: ٥١).

شدة الكفر، والقيس: الشجاع، شدة بأسه، ورس:

من شدة الفساد الذي يوجب الذم. (٤: ٣٧٣)

نحوه الطبرسي. (٢: ٣٩٧)

٢- وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَ مَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ

قَائِلُونَ. الأعراف: ٤

الطبرسي: يقول: فباءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلاجل

أن يُصبروا، أو جاءتهم قاتلين، يعني نهارًا في وقت

القتال.

الطبرسي: أي عذابنا. (٢: ٣٩٧)

مثله النسي (٢: ٤٤)، والحازن (٢: ١٧٣)،

وأبو السعود (٢: ١٥٥)، والكشاف (٢: ١٨٠)،

والبروسري (٣: ١٣٥)، والقاسمي (٧: ٢٦١١)،

والهجازي (٨: ٣٧).

النيسابوري: أي إزاحة غلوجهم بأصبح القهارية.

(٨: ٧٦)

٣- حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَىٰ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا

جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَأْيٍ وَلَا يَزِدُّ بُأْسَنَا عَنِ الْقَوْمِ

الْمُجْرِمِينَ. يوسف: ١١٠

الطبرسي: يقول: ولا تزد عقوبتنا وظننا بمن ظننا

به من أهل الكفر بنا من القوم الذين أجرموا، فكفروا

بالح، وخالفوا رسله، وما أتوهم به من عنده. (١٣: ٨٩)

الطوسي: البأس: شدة الأمر على النفس، يقال

بأس في الحرب، والقيس: الشجاع شدة أمره، ومنه

(٦: ٢٠٩)

(٩: ٣٧٧)

أبو حيان: خَصَّ بجمي، البأس يهذين الوقوع

لأنها وقتان للسكون والدعة والاستراحة، فجمي

العذاب فيها أقطع وأشق، ولأنه يكون الجيء فيه على

غفلة من المهلكين، فهو كالجمي بهتة. (٤: ٢٦٨)

عبد الكريم الخطيب: البأس هو البلاء المسلط

من قوة غادرة لا تدفع. (٤: ٣٦٧)

شبر: عذاب الاستئصال. (٢: ٣٤٥)

أبو حيان: البأس هنا: الهلاك. وقرأ الحسن (بأسه)

بضمير الغائب، أي بأس الله، وهذه الجملة فيها وعيد

وتهديد لحاصري الرسول ﷺ. (٥: ٣٥٥)

المرامي: أي لا يمنع عقابنا ويطشنا عن القوم

الذين أجرموا فكفروا بالله وكذبوا رسله، وما أتوهم به

من عند ربهم.

وقد جرت سنة الله أن يبلغ الرسل أقوامهم، ويقبوا

عليهم الحجة وينذروهم سوء عاقبة الكفر والتكذيب،

فيؤمن المهتدون وصبر للعائدون، فيجيئ الله الرسل

٣- قَسَا كَانَ دَغْوُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا

بِنَا كُنَّا ظَالِمِينَ. الأعراف: ٥

الطوسي: أخبر الله تعالى أنه لم يكن دعاء هؤلاء

الذين أهلكتهم عقوبة على معاصيهم وكفرهم في الوقت

الذي جاءهم بأس الله، وهو شدة عذابه، ومنه البؤس:

ومن آمن من أقوامهم، وهلك المكذِبين.

ولا يخفى ما في الآية من التهديد والوعيد لكفار قريش، ومن على شاكلتهم من المعاصرين للنبي ﷺ. (٥٦: ١٣)

٥- فَلَمَّا أَحْسَوْا بُأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَكْضُونَ.

الأنبياء: ١٢

الطُّوسِيّ: قال قوم: أراد عذاب الدنيا، وقال آخرون: أراد عذاب الآخرة. (٢٣٤: ٧)

الغازِن: أي عذابنا. (٢٣٤: ٤)

مثله الشَّريبي (٤٩٨: ٢)، وأبو السُّعود (٣٣٥: ٣).

والكاشاني (٣٣٢: ٣)، والقاسمي (١١: ١٢٥٣).

أبو حَتَّان: الضمير في (مِنْهَا) عائد على القرية ويحتمل أن يعود على (بُأْسَنَا) لأنه في معنى الشدة، جاءت على المعنى. (وَمِنْ) على هذا السبب، والظاهر أنهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ركضوا دوابهم يركضونها هارين منهزمين. (٣٠٠: ٦)

البُزْوسِيّ: الضمير للأهل المحذوف، والبأس، الشدة والمكروه والنكابة، أي أدركوا عذابنا الشديد إدراكاً تاماً، كما أنه إدراك المشاهد المحسوس. (٤٥٨٥: ٤) المِراغيّ: أي فلما أيقنوا أَنَّ العذاب واقع بهم لا محالة كما أوعدهم أنبياءهم. إذا هم يهربون سراعاً عَجَلِينَ، يحدون منهزمين.

والغلاصة: أنهم لما علموا شدة بأسنا وطشنا علم جسّ ومشاهدة، ركضوا في ديارهم هارين. (١٣: ١٧)

٦- فَلَمَّا رَأَوْا بُأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا

كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ.

المؤمن: ٨٤

الشَّدْي: التَّيَمَات التي نزلت بهم.

(الطُّبري: ٢٤: ٨٩)

الطُّبري: يعني عقاب الله الذي وعدهم به رسوله

قد حل بهم. (٢٤: ٨٩)

الرَّمْخُشَرِيّ: شدة العذاب، ومنه قوله: ﴿يُعَذِّبُ

بِشَيْءٍ﴾ الأعراف: ١٦٥. (٣: ٤٤٠)

مثله الفخر الرازي (٢٧: ٩١)، والشَّريبي (٣: ٥٠٠).

وأبو السُّعود (٥: ١٦)، وجزء دَرَوَزَة (٥: ١٣٢).

والطُّبَّاطَنِيّ (١٧: ٣٥٧).

٧- فَلَمَّ يَلَهُ يَنْقَلِبُهُمْ إِلَيْنَا وَآذَا بُأْسَنَا كُنْتُ

إِلَهُ الْبَرِّ لَمَّا خَلَّتْ فِي هَيَادٍ...

المؤمن: ٨٥

الطُّبري: أي عند رؤيتهم بأس الله وعذابه،

لأنهم يصيرون عند ذلك مُلْجَأِينَ، وفعل السُّجَا

لا يستحق به المدح. (٤: ٥٣٥)

أبو السُّعود: أي عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله

حيث. (٥: ١٦)

البُزْوسِيّ: أصل البأس: الشدة والمضرة، وحال

البأس هو وقت معاينة العذاب، وانكشاف ما جاء

الأخبار الإلهية، من الوعد والوعيد، وحال اليأس هو

وقت الفراغة التي تظهر عندها أحكام الدار الآخرة

عليه، بعد تعطيل قواء الحسنة. (٨: ٢٢٢)

نحوه الألويسي. (٢٤: ٩٢)

البُأْسَاء

١-... وَالشَّاهِدِينَ فِي النَّاسِ وَالْعَمَلِ وَجِنِّ النَّاسِ

أُولَئِكَ الَّذِينَ عَدُّوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَكَبِّرُونَ.

البقرة: ١٧٧

ابن مسعود: (البأساء): القفر. (الطُّبْرَي: ٢: ٩٨)

(البأساء): الجرع، (البأساء): الحاجة.

(الطُّبْرَي: ٢: ٩٩)

الإمام السَّجَّاد عليه السلام: يعني في محاربة الأعداء، ولا عدوَّ يحاربه أهدى من إبليس ومَرَدَّتْهُ، يستف به ويستدفعه ولا يساهم بالفتنة على عهد وآله الطَّيِّبِينَ عليه السلام.

(التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ٥٩٤)

الضمالة: «البأساء والضَّراء»: المرض.

(الطُّبْرَي: ٢: ٩٩)

قَتَادَةَ: كُنَّا نَحْدُثُ أَنَّ (البأساء): البؤس والفقر.

مثله ابن جرير.

(الطُّبْرَي: ٢: ٩٩)

الزبيح: البؤس، القاعة والفقر. (الطُّبْرَي: ٢: ٩٩)

الطُّبْرَي: أُنَا أَهْلُ الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُم: الْبَاسُ وَالضَّرَاءُ: مَصْدَرُ جَاءَ عَلَى «فُعْلَاء» لَيْسَ لَهُ أَفْعَلٌ، لِأَنَّهُ اسْمٌ، كَمَا قَدْ جَاءَ «أَفْعَلٌ» فِي الْأَسْمَاءِ لَيْسَ لَهُ فُعْلَاءٌ نَحْوُ أَحْمَدَ، وَقَدْ قَالُوا فِي الصَّنْةِ: أَفْعَلٌ، وَلَمْ يَجِئْ لَهُ فُعْلَاءٌ، فَقَالُوا: أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ أَوْجَلٌ، وَلَمْ يَقُولُوا: وَجَلَاءٌ.

وقال بعضهم: هو اسم للفعل فَإِنَّ الْبَاسَ: الْبُؤْسَ، وَالضَّرَاءَ: الضَّرَّ، وَهُوَ اسْمٌ يَقَعُ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُؤْنِثْ وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تُذَكَّرْ. [ثم استشهد بشعر]

وقال بعضهم: لو كان ذلك اسماً يجوز صرفه إلى مذكر ومؤنث، لحاز إجراء «أفعل» في التكرار، ولكنه

اسم قام مقام المصدر، والذَّكِيلُ على ذلك قولهم: لئن

طلبت نُصْرَتَهُمْ لَجِدْتَهُمْ خَيْرَ أَمَدٍ، بغير إجراء.

وقال: إنما كان اسماً للمصدر، لأنه إذا ذُكِرَ علم أنه

يراد به المصدر.

وقال غيره: لو كان ذلك مصدراً فوقع بتأنيث لم يقع بتذكير، ولو وقع بتذكير لم يقع بتأنيث، لِأَنَّ مَنْ سَمِيَ بِأَفْعَلٍ لَمْ يَصْرَفْ إِلَى أَفْعَلٍ، وَمَنْ سَمِيَ بِفَعْلٍ لَمْ يَصْرَفْ إِلَى أَفْعَلٍ، لِأَنَّ كُلَّ اسْمٍ يَبْقَى بِبَيْتِهِ لَا يَصْرَفُ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَكِنَّمَا لَفْظَانِ.

فإذا وقع بالتذكير كان بأمر أسام، وإذا وقع بالبأساء

والضَّراء وقع المفعلة البأساء والمفعلة الضَّراء، وإن كان

لم يجر على الضَّراء الأضر ولا على الأسام النساء،

لأنَّه لم يرد من تأنيث التذكير، ولأن تذكيره التأنيث.

كما قالوا: امرأة حسناء، ولم يقولوا: رجلاً أحسن،

لأنَّه لم يرد من تأنيث التذكير، ولم يقولوا: امرأة مرداء.

فإذا قيل: المفعلة الضَّراء، والأمر الأسام، دلَّ على

المصدر، ولم يحتاج إلى أن يكون اسماً، وإن كان قد كفي

من المصدر، وهذا قول مخالف تأويل من ذكرنا تأويله

من أهل العلم في تأويل «البأساء والضَّراء» وإن كان

صحيحاً على مذهب الربيعة.

وذلك أَنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ تَأَوَّلُوا (البأساء) بمعنى

البؤس، (والضَّراء) بمعنى الضَّرَّ في الجسد، وذلك من

تأويلهم مبيحاً على أنهم وجهوا البأساء والضَّراء إلى

أسماء الأفعال دون صفات الأسماء ونحوها.

فألذي هو أولى بـ«البأساء والضَّراء» على قول

أهل التأويل، أن تكون البأساء والضَّراء أسماء لأفعال،

فَتَكُونُ الْبِئْسَاءُ اسْمًا لِلْيُوسِ ، وَالضَّرَاءُ اسْمًا لِلضَّرِّ .

(٩٩: ٢)

الْقُسْيُ : (الْبِئْسَاءُ) : الْمَرْعُ وَالْمَطَشُ وَالْمُحْصَفُ

(٩٤: ١)

الطُّوسِي : إِنَّمَا قِيلَ : الْبِئْسَاءُ فِي الْمَصْدَرِ وَلَمْ يُقَلَّ مِنْهُ

«أَفْضَلُ» لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي ضَلَاءٍ أَفْضَلَ لِلصِّفَاتِ الَّتِي لِلْأَكْرَانِ

وَالْعُيُوبِ . كَقَوْلِكَ : أَحْمَرُ وَحُمْرَاءُ ، وَأَعْوَدُ وَعُورَاءُ . فَكُنَّا

الْأَسْمَاءُ الَّتِي لَيْسَتْ بِصِفَاتٍ ، فَلَا يَجِبُ ذَلِكَ فِيهَا . وَعَلَى

ذَلِكَ تَأَوَّلُوا قَوْلَ زُهَيْرٍ :

فَتَسْجِجْ لَكُمْ فِيلَانِ لَشَامَ كَلَهْمِ

كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْمِجُ فَتُظَلِمُ

وَأَنْكَرَ ذَلِكَ قَوْمٌ . لِأَنَّهُ لَمْ يَصْرَفْ «أَشَامَ» وَقَالُوا : إِنَّمَا

هُوَ صِفَةٌ وَفَعَلَتْ مَوْضِعَ الْمَوْصُوفِ . كَأَنَّهُ قَالَ : عَلَيَّ لَحْمٌ

لَشَامٌ . فَلِذَلِكَ قَالُوا : إِنَّمَا الْمَعْنَى الْخَلْقُ الْبِئْسَاءُ . وَالْخَلْقُ

الضَّرَاءُ .

الرُّمُوحُفَرِيُّ : الْفَقْرُ وَالشَّدَّةُ . (٣٣١: ١)

مِثْلُهُ الطُّبْرُسِيُّ (٢٦١: ١) . وَالتَّنْسِيُّ (٩٠: ١) .

وَالثَّيَابُورِيُّ (٨٢: ٢) . وَالْحَانُزِيُّ (١٢٣: ١) . وَابْنُ كَثِيرٍ

(٣٦٧: ١) . وَالشَّرِيفِيُّ (١١٥: ١) . وَالْقَاسِمِيُّ (٣: ٣)

(٣٩٣) . وَرَشِيدُ رِضَا (١٢١: ٢) . وَالْمُجَازِيُّ (٢٠: ٢) .

أَبُو حَتِيَّانَ : (الْبِئْسَاءُ) : اسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الْيُوسِ إِلَّا أَنَّهُ

مَوْثَقٌ . وَلَيْسَ بِصِفَةٍ . وَقِيلَ : هُوَ صِفَةٌ أَقْبَمَتْ مَقَامَ

الْمَوْصُوفِ .

وَالْيُوسُ وَالْبِئْسَاءُ : الْفَقْرُ . يُقَالُ مِنْهُ : بَيْسَ الرَّجُلُ .

إِذَا افْتَقَرَ . [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرْحِ]

وَالْبِئْسَاءُ : شِدَّةُ الْقِتَالِ . وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيٍّ : «كُنَّا إِذَا

اِسْتُدِيَ الْبِئْسَاءُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ» . وَيُقَالُ : بَيْسُ

الرَّجُلِ . أَيْ شَجِعَ . (٤٩٧: ١)

الْأَكُوسِيُّ : (الْبِئْسَاءُ) : الْيُوسُ وَالْفَقْرُ . وَ(الضَّرَاءُ) :

السَّعْمُ وَالرَّجْعُ . وَهِيَ مَصْدَرَانِ بَيْنَهُمَا عَلَى ضَلَاءٍ وَلَيْسَ لَهَا

لُفْظٌ . لِأَنَّ أَفْضَلَ وَضَلَاءً فِي الصِّفَاتِ وَالنُّحُوتِ وَلَمْ يَأْتِ فِي

الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَيْسَتْ بِنُحُوتٍ . (٢٦٧: ٢)

عِوَّةٌ دَرَوْرَةٌ : أَوْقَاتُ الشَّدَّةِ وَالْمَصَائِبِ وَالْحَزَنِ .

(٢٦٧: ٧)

بَنَتْ الشَّاطِئُ : الْكَلِمَتَانِ [الْبِئْسَاءُ وَالضَّرَاءُ] مِنْ

أَبْنَى «وَوَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَا مِنْهُمُ

بِالْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ» الْأَسْمَاءُ : ٤٢ .

«وَعَاذَ شَرُّنَا بِقِتْنَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا آخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبِئْسَاءِ

وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ» الْأَحْرَافُ : ٩٤ . وَمِنْهَا آيَةُ

الْبَقَرَةِ :

«وَالضَّالِّينَ فِي الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَجِبْنَ الْبِئْسَاءِ»

الْبَقَرَةُ : ١٧٧ . «وَأَمَّ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَنَلَسَا

بِأَيْدِيكُمْ مَعَالِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ فَسَبِّحْهُمْ الْبِئْسَاءُ

وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ نَسُوا مَعَهُ

مَعَى تَضَرَّعُوا أَلَّا يَنْصُرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» الْبَقَرَةُ : ٢١٤ .

وَقَدْ نَفَحَ وَجْهَ التَّقْرِيبِ فِي تَفْسِيرِ (الضَّرَاءِ)

بِالْجَدْبِ . عَلَى أَنْ يَكُونَ تَخْصِيصًا مِنْ عُمُومِ . فَالْجَدْبُ

ضَرَاءٌ . وَالضَّرَاءُ تَكُونُ مِنْ جَدْبٍ . وَتَكُونُ مِنْ غَيْرِهِ .

أَذَى أَوْ مَنَّةٍ وَهَلَاءٍ .

أَمَّا تَفْسِيرُ (الْبِئْسَاءِ) بِالْمُحْصَبِ - كَمَا فِي «الْإِتْقَانِ» مِنْ

قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ - فَلَا تَدْرِي مَا وَجْهُهُ . فَإِنْ يَكُنْ ظَنُّرٌ فِيهِ

إِلَى فَتَنَةِ الْمُحْصَبِ . كَمَا فِي آيَاتٍ : «وَوَيْلٌ لَكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ

يُنْتَهَى: الأنبياء: ٢٥، «إِسْمَاءُ أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَتَنُوا»
التتالين: ١٥، فَإِنَّ سِيَاق آيَاتِ (الْبَأْسَاءِ) الْأَرْبَعِ لَا يُعِينُ
عليه، مع الأخذ والتضرع في آياتي الأتمام والأعراف،
ومع الصبر والمشي في آياتي البقرة.

كما لأجد فيها بين يدي من كتب اللغة ما يؤنس إلى
معنى «الغصب» في (البأساء) من قريب أو بعيد، على
الحقيقة أو المجاز، بل تدور في الاستعمال على الشدة
والعذاب والذميمة والحزن.

ومن مادتها: البؤس والبأس والبؤس والابتناس.
وفي «الأساس»: وقع في البؤس والبأساء، وفي أمر
بئس: شديد، وابتأس بذلك، إذا اكتأب واستكان من
الكآبة «لَلْأَكْثَرِ نَاسًا كَانُوا يَفْتَخِرُونَ» يوسف: ٦٩.

وفرق «أبو حلال» بين البأساء والضراء، فقال
«الضراء هي المضرة الظاهرة، والفرق بينها أن البأساء
ضراء معها خوف، وأصلها البأس وهو الخوف، يقال:
لا بأس عليك، أي لا خوف عليك، ومثيت الحرب بأشأ
لما فيها من الخوف». وصريح كلامه أن البأساء أشد من
الضراء.

وقد عظمنا إلى أن «الشدة» أصل في معنى الكلمة،
ثم تخالف العربية بين صيغها لملاحظ من فروق
الدلالات، فتجعل «البأس» للقوة وشدة السطوة،
و«البؤس» لشدة الكرب والشماسة، و«البأساء» لوطأة
الحنه، على ما سبقت الإشارة إليه في المسألة رقم: ٢٨^١
«وَأَطِيعُوا أَمْرًا كَبِيرًا» الحج: ٢٨، ولله أعلم.

(الإعجاز البياني: ٣٣٩)

حتنين مخلوف: (البأساء): ما يهيب الناس في

الأسواق كالتقفر، (والضراء): ما يهيبهم في الأنفس
كالمرض، مشتقان من البؤس والضراء، وألفهما للتأنيث؛
يقال: بئس يتأس يؤسا وبأساء؛ اشتدت حاجته، وضراء
وأضره وضارته ضراء وضراء، ضد نفع. (٥٨: ١)

٢... غَسَّتُهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولُوا
الرَّسُولُ...

الطبري: (البأساء): شدة الحاجة والفاقة.

(٢: ٣٤١)

الزجاج: القتل والتفقر.

الطوسي: ضد النماء.

الطبري: قيل: الغصب.

الطبري: (البأساء): تقويض النماء، (والضراء):

تفويض النماء. وقيل: (البأساء): القتل، (والضراء):

التفويض، وقيل: هو ما يهلك بمضار الذين من حرب

ومخرج من الأهل والمال وإخراج، قدحوا بذلك إذا

نوقحوا الفرج بالصبر.

الفخر الرازي: (البأساء) هو اسم من البؤس، بمعنى

الشدة، وهو الفقر والسكنة، ومنه يقال: فلان في بؤس

وشدة.

منه الخازن.

السندي: (البأساء): البؤس.

السيبوري: (البأساء): عبارة عن تضيق

جهات الخير والمنفعة عليه.

ابن كثير: هي الأسراخ والأسقام والآلام

- والمصائب والثواب. (٤٤٥: ١)
- ٣- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ لِيَتَّخِذُوا
بِالْبَنَاءِ وَالضَّرَآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ. الأنعام: ٤٢
- ابن عباس: يريد به الفقر والبؤس والاستقام
والأوجاع. (١٣٩: ١)
- مثل السجود: أي الشدة من الخوف والافتقار. (١٦٤: ١)
- مثل الخس. (الطبرسي ٢: ٣٠١)
- سعيد بن جبيرة: خوف السلطان، وغلاء
التمر. (الأكوسي ٧: ١٥١)
- الطبرسي: يقول: فأمرناهم ونهيهم، فكذبوا
رسلنا وخالفوا أمرنا ونهيهم، فاستحقوا بالابتلاء
بالأساء، وهي شدة الفقر والضيق، إلى أن أخذوا
بالشدة في أنفسهم وأموالهم، ليخضعوا ويذنبوا لأمر الله.
لأن القلوب تنزع، والكوس تنزع عندما يكون من
أمر الله في البأساء والضراء. فلم تنزع ولم تنزع.
- مثل الخس. (٢١٨: ٢)
- مثل الطوسي. (١٤٥: ٤)
- الزفسفري: «البأساء والضراء»: البؤس
والضراء. وقيل: (البأساء): القحط والجوع. (والضراء):
المرض ونقصان الأموال والأنفس. (١٨: ٢)
- نحو التنقي. (١٢: ٢)
- القرطبي: (بالبأساء) بالمصائب في الأموال
(والضراء) في الأبدان، هذا قول الأكثر. وقد يوضع كل
واحد منهما موضع الآخر، ويؤدب الله عباده بالبأساء
والضراء. (٤٢٤: ٦)
- الخازن: يعني بالفقر الشديد، وأصله من البؤس
وهو الشدة والمكروه. وقيل: (البأساء): شدة
الجوع. (١١٠: ٢)
- الشيوطي: شدة الفقر. (الجلالين ١: ١١٣)
- مثل الثريبي. (١٣٩: ١)
- أبو السجود: أي الشدة من الخوف والافتقار. (١٦٤: ١)
- مثل البروسوي. (٣٢٠: ١)
- شجر: (البأساء): القتل، والمخرج عن الأهل
والمال. (٢١٤: ١)
- القاسمي: الشدائد والآلام. (٥٣: ٣)
- رشيد رضا: (البأساء): الشدة تصيب الإنسان في
غير نفسه وبدنه، كأخذ المال والإخراج من الديار
وتهديد الأمن، ومقاومة الدعوة، وفتره «الجلال»
بالفقر، وهو من أثره.
- (والضراء): ما يصيب الإنسان في نفسه كما يمرض
والقتل، وفتره «الجلال» بالمرض، وهو بصفة.
- نحو المرغني. (١٢٦: ٢)
- الطباطبائي: (البأساء) هو الشدة المستوجبة إلى
الإنسان في خارج نفسه، كاللحاح والجهاد والأهل والأمن
الذي يحتاج إليه في حياته. (١٥٩: ٢)
- العجازي: الفقر وكل ما يصيب الإنسان في غير
ذاته، مستهم الشدة والخوف والفقر والكم والأمراض
وأزعموا إزعاجاً شديداً. (٤٠: ٢)
- عبد الكريم الخطيب: أي اضطربت مشاعرهم
وتلبست خواطرهم، واستأسوا وظنوا أنهم أحيط بهم.
- (٢٣٧: ١)

أبوه حِزَّةٌ ذُرْوَةٌ. (٤: ١٦٥)
 أبو الشعثود: أي بالشدة والفقْر. (٢: ٩٩)
 مثله الكاشاني (٢: ١٢٠)، والبروسوي (٣: ٣٠)،
 ونحوه القاسمي (٦: ٢٣١١)، وحسّين مخلوف (١: ٢٢٢).
 الألوسي: «البأساء والضَّراء» أي البؤس
 والضَّر.

وليل: (البأساء): القحط والجوع، (والضَّراء):
 المرض ونقصان الأنفس والأموال، وهما صيغتا تأنيث
 لا مذكر لها على «أفعل» كأمر حمراء، كما هو القياس،
 فإنه لم يقل: أضرت وأبأس صفة، بل للتفضيل.

(٧: ١٥٦)
 رشيد رضا: (البأساء): اسم يطلق على الحرب
 والمشة، والبأس: الشدة في الحرب، والخوف في الشدة،
 والبذاب الشديد، والقوة والشجاعة. والبؤس: الخسوع
 والافتقار. [ويعد نقل قول الزايجب والطبري وسعيد بن
 جبّير قال:]

والأقوال في الكلمتين متقاربة، والفرق بينهما - كما
 أفهم - أن (البأساء) ما يقع في الخارج من الأمور الشديدة
 الموضع على من يمتد تأثيرها، كالحرب الماحضة الآن،
 فإن وقعها أليم شديد على من أصيبوا بفقد أولادهم أو
 تخريب بلادهم أو ضيق معاشهم.

ولما (الضَّراء) فهي كل ما يؤلم النفس ألماً شديداً
 سواه كان سببه نفسياً أو بدنياً أو خارجياً، فعلى
 هذا تكون البأساء من أسباب الضَّراء.

وقالوا: إنها جاءت على وزن «حراء» ولم يرد في

مذكرها وزن «أحمر» صفة بل ورد اسم تفضيل.

(٧: ١١٢)
 الطَّبَّاطِبَائِي: البأساء والبأس والبؤس هو الشدة
 والمكره إلا أن البؤس يكثر استعماله في الحرب ونحوه،
 والبأس والبأساء في غيره، كال فقر والمجدب والقحط
 ونحوها. (٧: ٨٩)

فَلَا تَبْتَئِسْ

١- وَأَوْحَى إِلَيْنِ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا
 مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. هود: ٣٦
 ابن عباس: لا تحزن، بلغة سدوس.

(اللفات: ٣٠)
 (الطبري ١٢: ٣٢)
 (الطبري ١٢: ٣٢) (الطبري ١٢: ٣٢). والمجازين (٣: ١٨٧)،
 والشريبي (٢: ٥٥).

فتادة: لا تبأس ولا تحزن. (الطبري ١٢: ٣٢)
 الفراء: يقول: لا تستكين ولا تحزن. (٢: ١٣)
 مثله الزجاج. (٣: ٥٠)

الطبري: يقول: فلا تستكين ولا تحزن بما كانوا
 يفعلون، فإنني مهلكهم ومستفذك منهم ومن أتبعك.
 وأوحى الله ذلك إليه بعدما دعا عليهم نوح بالهلاك.
 فقال: «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا»
 نوح: ٢٦، وهو «تتعل» من البؤس، يقال: ابتأس
 فلان بالأمريش ابتأساً، [ثم استشهد بشعر]

(١٢: ٣٢)
 الطوسي: (فَلَا تَبْتَئِسْ) أي لا تنغم ولا يلهكك

- حزن لأجلهم، يقال: ابتأس ابتأساً فهو مبئس، وقد يكون اليأس: القنر، والابتأس: حزن في الاستكانة. [ثم استشهد بشر]
- نحوه الطبرسي، (١٥٩: ٣)
- المسيئدي: أي لا تفتن ولا تحزن، والابتأس «افتعال» من اليأس، واليأس: الحزن، وقيل: الابتأس: حزن معه استكانة.
- قيل: هذا خطاب له بعد الدعام، لأنه لما دعا عليهم حزن وافتن.
- وقيل: هو متصل بالأول، أي لا تحزن ولا تستكن بما كانوا يفعلون، فإني مهلكهم ومقتلك منهم، فحيث دعا عليهم، فقال: «وَرَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِكْرًا» نوح: ٢٦.
- الرافضوي: فلا تحزن حزن بانهم مستكنين. [ثم استشهد بشر]
- الفرغ الرازي: أي لا تحزن من ذلك ولا تفتن، ولا تظن أن في ذلك مذلة، فإن الذين عزيز وإن قل عدد من يمتك به، والباطل ذليل وإن كثر عدد من يقول به. (٢٢٢: ١٧)
- القوطبي: أي فلا تفتن بهلاكهم حتى تكون بانساً، أي حزناً، واليأس: الحزن، [ثم استشهد بشر]
- (٣٠: ٩)
- التنسلبي: فلا تحزن حزن بانس مستكين، والابتأس «افتعال» من اليأس، وهو الحزن والافتن، والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك. (١٨٧: ٢)
- نحوه النيسابوري (١٢: ٢٤)، وأبو السجود (٣: ١٩)، والبرزوي (٤: ١٢٢)، وشبر (٣: ١٦٤)، والأوسي (١٢: ٤٩)، والمجاذبي (٢: ٢٣).
- أبو حيان: نهى تعالى عن ابتأسه بما كانوا يفعلون، وهو حزنه عليهم في استكانة. وابتأس «افتعل» من اليأس، ويقال: لبأس الرجل، إذا بلغه شيء يكرهه. [ثم استشهد بشر]
- (٢٢٠: ٥)
- نحوه الطباطبائي، (١٠: ١٢٢)
- القاسمي: أي لا تحزن «وبما كانوا يفعلون» أي من التكذيب والإيذاء، فقد انتهى أمرهم وحان وقت الانتقام منهم.
- وقيل: المعنى لا تبئس، أي لإهلاكهم شفقة عليهم، لأنهم إنما يحلكون بما كانوا يفعلون من معاندتهم منك، فليسوا عملاً لتفتنك ولا لرحمتنا. (٩: ٣٤٣٤)
- رشيده رضا: أي فلا تشتتن عليك اليأس والحزن واحتمال المكاره بعد اليوم، بما كانوا يفعلون في التسنين القول من تكذيبهم وعنادهم وإيذائهم لك وللمؤمن لك، إذ كنت تعرض له وتستهدف لسيماهم رجاء في إيمانهم واعتدائهم، فأرجح نفسك بعد الآن من جسداهم وسباع أقوالهم، ومن إغراضهم واحتقارهم، فقد آن زمن الانتقام منهم. (١٢: ٧٣)
- نحوه المراهضي (١٢: ٧٣)، وحسنين مخلوف (١: ٣٦٤)
- ٢- وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ لَوْى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. يوسف ٦٩
- فتادة: يقول: فلا تحزن ولا تبأس، (الطبرسي ١٣: ١٦)

الأصول اللغوية

يبد أنه يجوز قياساً أن يجمع «بئس» بمعنى شجاع على «بؤساء». لأن لفظ «فعل» هنا بمعنى «فاعل». كما أنه صفة للمذكر الماقل.

٢- قال لرباب اللغة: أصل «بئس» «بئس» فعل ماضٍ على وزن «فعل» وخرّجوا قولهم هذا بلغه من يسكن عين الكلمة إذا كان أحد حروف الملق. وهو مكسور. وينقل حركته إلى الفاء، كما قيل للفخذ: فيخذ. فصار فضلاً جامداً، لأنه أزيل عن موضعه.

ولكن ماذكروه يشمل الأسماء دون الأفعال. و«بئس» فعل بقولهم: كما أن إسكان العين المكسورة ونقل حركتها إلى الفاء لا يقتصر على الاسم الذي عينه حرف حلق فصعب، بل يشمل كل اسم على وزن «فعل» كما يقال: للكبد: كبد.

أما الأفعال فيكسر فاعوها ولا يسكن حينها إذا كانت على وزن «فعل» مثل: شهيد وشهيد. وشهيد وشهيد. وهي لغة ذكرها الخليل لطائفة من أهل اليمن وأهل الشعر في كل فعل عينه حرف حلق.

ولعل «بئس» وضع هكذا دون أن يطرأ عليه تغيير. وقد ورد في السريانية بلفظ «بئس» بالشين، وفي الآرامية «بئس» بباء وشين.

الاستعمال القرآني

١- لا يفرق معنى الحرب وما نشأ منها، من الشدة وغيرها عن هذه المادة في القرآن أيضاً، كما نلاحظ ذلك في الآيات التالية:

البأس:

١- الأصل في هذه المادة «البأس» وهو الشدة في الحرب، أو الحرب نفسها، كما قال ابن دُرَيْد: البأس الحرب، ثم كثر حتى قيل: لا بأس عليك، أي لا خوف عليك. يقال: بئس يتوأس تأشاً وتأساً: اشتد وشجع، فهو بئس وبئس.

والشدة في الجيش أيضاً، وهو الفقر، يقال: بئس بئس تأشاً وبؤساً وبئساً: افتقر واشتدت حاجته، فهو بئس.

والبأس للرجل: حلت به البأساء، وهي الشدة. وكذا البؤس والبؤس، وكذا الحزن، ومنه: ابتأس: حزن.

والتوء والذم. ومنه: «بئس» وهو فعل ماضٍ جامداً يفيد الذم، تبيض «بئس». فيترامى أن تسليط المسائل هذه المادة هكذا: الحرب، والشدة، والخوف، والحزن، والكراهة، والتوء، والذم.

٢- والأبؤس ليس جمع بؤس، كما قال الجوهري. وإنما هو جمع بئس، لأن وزن «فعل» جمع لوزن «فعل» في القلة. والأبؤس: التواهي، ومنه المثل: «حتى التفرق أبؤساً». والتوير مصدر غار.

وقد جمع بعض المتأخرين لفظ «بئس» على «بؤساء» يعنون به من نزلت به بليّة. وهذا مخالف للشاع والقياس، لأن جمع «بئس» هو «أبؤس» كما تقدم، ولا يجمع «فاعل» على «فعل» إلا إذا كان دالاً على ما يشبه التريزة، مثله: مائل وعقلاء، وحال وحلحاء، وشاعر وشعراء، وحام وحلحاء.

٢٨- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ

بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾

الأنعام: ٤٢

٢٩- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا

بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾

الأعراف: ٩٤

٣٠- ﴿فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾

الحج: ٢٨

٣١- ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ يَتَوَسَّلُونَ

بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾

الأعراف: ١٦٥

٣٢- ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ

إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ قَدْ آمَنَ فَلَا تَحْشِسْ يٰ نُوْحُ إِنَّكَ أَنْتَ الْمُرْسَلُونَ﴾

هود: ٣٦

٣٣- ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَحْشِسْ يٰ كَافِرُ﴾

يَتَحَقَّلُونَ﴾

يوسف: ٩٣

يلاحظ أولاً: أن البأس في الآيات (١) إلى (٥) عنه

المفسرين هو الحرب، وقد انعقد الإجماع على ذلك.

الثلاث الأول، وكذا في الزهراء، لولا قول ابن عباس

وحده بمعنى السلاح، أما الخامسة ففيها أقوال، أشهرها

العداوة والحرب، ورجح الفخر الرازي المعنى الأول،

مستدلاً بقوله بعده في نفس الآية: ﴿فَتَحْشِسُهُمْ جَمِيعًا

وَقُلُوبُهُمْ شَقِيٌّ﴾ المحشر: ١٤، وعليه معظم المفسرين،

ولعل غرضهم عن اختيار المعنى الثاني يرجع إلى وصف

«البأس» بالشدة، أي إذا كان معناه شدة الحرب، فكيف

يسوع وصفه بلفظ (شديد)؟ أجاب البروسوي بأن

«البأس» هنا مطلق الحرب، وبه يستقيم المعنى.

وثانياً: رغم أن معنى الشدة والقوة ملحوظ في هذه

الآيات جميعاً، إلا أن هذا المعنى يمتد إجمالاً إضافة إلى

بعد السلب، فالجهد الإيجابي مائز إلى البر والشواب

كالآية (٢٦)، أو ينسب إلى الله ويستدل به كالآية (١٤)،

أو مائز إلى فائدة كالآية (٩).

أما الجهد السلبي فهو ما يتضمن سطوة الكافرين

كالآية (٢١)، أو شدة نكايته الله وقوته كالآية (١٣)، أو

شدة العباد وظلمهم كالآية (٨). ويدخل تحت هذا الجهد

سائر آيات «البأس» و«البأساء» وكل ما ذم بلفظ

«بأس».

ومثالاً: شملت «البأساء والضراء» المؤمنين

والكافرين على السواء في الآيات (٢٦) إلى (٢٩)، إلا

أن الله تعالى جعل صبر المؤمنين عليها إشارة من أمارات

البر في (٢٦)، فختها بدحهم، ومسبها لئاهم تسلية بما

نزل بالمؤمنين من الأسم السالفة في (٢٧)، فختها

بشارتهم، وجعل أخذ الكافرين من الأسم السالفة

بالتوبيخ خاصة في (٢٨) و(٢٩)، فختها

بالتعجب لخضوع الكافرين.

ورابياً: ما نسب إلى الله من البأس فهو بمعنى العذاب

الشديد، والنسبة إليه تعالى بهذا المعنى على ثلاثة أنواع:

١- الإضافة:

أ- إضافة إلى لفظ الجلالة، وهي الآية (١٢) فقط.

ب- إضافة إلى ضمير يعود إلى الله، وهو الضمير

(تأ) في الآية (١٥) إلى (٢٤)، والضمير (حاء) في الآية

(٢٥) فقط.

٢- الإخبار: في الآية (١٣).

٣- اللدنية: في الآية (١٤).

وعنى بالبأس عذاب الدنيا كما في الآية (١٢)

و(٢٢)، وعذاب الآخرة كما في (٢٣) و(٢٤)، وقد نزل على الأمم الماضية وهو كثير، إلا ما جاء تحذيرًا للأمم الحاضرة، كما في الآية (١٩) إلى (٢١)، أو خطابًا للنبي والمسلمين، كما في (١٣) و(١٤) و(٢٩).

وخامسًا: أجمع المفسرون قاطبة على أن قوله: ﴿فَلَا تَهْتَبِيسَ﴾ في (٢٢) و(٢٣) يعني الحزن، وهذا المعنى لا يخرج منه من باب الشدة، لأنَّ الحزين من اكتنفه أمر يشتد عليه.

ويلحظ ذلك بوضوح في جميع ما جاء في القرآن بمعنى الحزن، ولاسيما تلك الآيات التي ضارعت هاتين الآيتين في التوبيخ والخطاب، مثل: ﴿وَلَا تُحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ للفرج: ٨٨، و﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٨، و﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة: ٢٦.

٢- مرَّض الله أعمال السباد ومآلهم في القرآن للبلع في الدنيا والآخرة بلفظ «هَس» في صور شتى: أ- ذمَّ الأعمال:

١- بيع النفس: ﴿وَلَيْسَ بِمَا اقْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسُهُمْ أَنْ كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ البقرة: ١٠٢.

٢- يشتتوا الحذر به أنفسهم أن يكتفوا بما أزل الله: ﴿بَشِّرْهُمْ بِقِسْطِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٩٠.

٣- بيع العلم: ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ قِسْمًا قَلِيلًا فَبُشِّرْ مَا يَشْتَرُونَ﴾ آل عمران: ١٨٧.

٤- العمل: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة: ٦٢.

٥- الصنع: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ المائدة: ٦٣.

٦- الفصل: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة: ٢٩.

٧- ما قدمت لهم أنفسهم: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ

أَنْفُسُهُمْ﴾ المائدة: ٨٠.

٨- ذمَّ التنازع بالانقلاب: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا بِاللِّقَابِ

بِشْنِ الْأَسْمَاءِ الْقِسْقِ بِغَدِ الْإِيمَانِ﴾ الحجرات: ١١.

٩- ما يأمره بجانهم: ﴿قُلْ يَسْمَعُوا يَأْمُرُكُمْ بِهِ

إِيمَانُكُمْ﴾ البقرة: ٩٣.

١٠- الخلافة: ﴿يَسْمَعُوا خَلَفْتُونِي مِنْ تَعْبُدِي﴾

الأعراف: ١٥٠.

ب- ذمَّ العاقبة باللفظ:

١- التصير: ١- ﴿ثُمَّ أَصْطَفَاهُ إِلَيْنَا غَدَابِ النَّارِ

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: ١٢٦.

٢- ﴿وَعَاوَيْهِمْ جَهَنَّمَ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

آل عمران: ١٦٢، والأخلاق: ١٦.

٣- ﴿وَعَاوَيْهِمْ جَهَنَّمَ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

التوبة: ٧٣، والتحریم: ٩.

٤- ﴿وَعَاوَيْهِمْ جَهَنَّمَ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

الحج: ٧٢.

٥- ﴿وَعَاوَيْهِمْ النَّارَ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ النور: ٥٧.

٦- ﴿وَعَاوَيْهِمْ النَّارَ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

المعجزة: ١٥.

٧- ﴿وَعَاوَيْهِمْ جَهَنَّمَ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

المجادلة: ٨.

٨- ﴿وَعَاوَيْهِمْ جَهَنَّمَ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

التحسين: ١٠.

٩- ﴿وَعَاوَيْهِمْ جَهَنَّمَ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

الملك: ٦.

١٠- ﴿وَعَاوَيْهِمْ جَهَنَّمَ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

المجادلة: ١٠.

ز - ذم القرين:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَجْهَكَ يُغْنِيكَ اللَّهُ عَنْكَ اللَّهُ جَمِيلٌ﴾

القرين: ٢٨

ح - ذم المثل المضروب:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ كَذَّبُوا بِآيَاتِكَ﴾

الجمعة: ٥

يلاحظ أولاً: أن الأفعال التي ذمها الله تعالى في القرآن بلفظ (يش) هي في كثير منها أفعال وسيئات اجتريها بنو إسرائيل - وهبانهم وعواقهم - على مدى تاريخهم الزاهر بالعصيان والتمرد، على أناس السوء ولواحيها، كما ذمهم الله حين ضرب بهم مثلاً في من يعمل

عليماً ولا يعمل به: ﴿عَقَلُ الَّذِينَ هَمَلُوا الْتُورَةَ ثُمَّ كَفَرُوا﴾

الذين كذبوا بآيات الله: ﴿الجمعة: ٥﴾ وهو أعمى مثل

قاله الله في القرآن، وظاهره قوله في أحد أخبارهم:

﴿فَمَنْ لَّهُ كَفَلٌ أَنْ يَكْفُرَ إِنْ كُنْ يَكْفُرُ عَلَيْهِ يَلْفُتْ أَوْ تَرَكُهُ﴾

يَلْفُتْ ذَلِكَ عَقْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الأعراف:

١٧٦

أما سائر الآيات فجاء فيها لفظ (يش) ذمماً

للكافرين، إلا آيتين، فإتيا تحضن المسلمين، ففي

الأولى ذم لمصير من يفر من الزحف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا إِذَا قُيِّرَتْ الْقُلُوبُ كَفَرُوا زُخْفاً فَلَا تَوَلُّوهُمْ الْاَذْيَارَ﴾

وَمَنْ يُؤَلِّمْ يُوَفِّقْهُ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَعَدِّلاً يَنْتَظِرُ أَوْ مُتَعَفِّفاً

إِلَى يَوْمٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِيقَاتٌ يَنْصَبُ مِنْ اللَّهِ وَعَازِيَةٌ جَهَنَّمُ وَيَسْتَبِي

الْمُصِيرُ﴾ الأنفال: ١٥، ١٦، وفي الثانية ذم لمن يستبي

المؤمن اسماً يتدح في إيصاله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ

البقرة: ٢٠٦

٢- ﴿تَسْتَغْفِرُونَ وَتُنْحَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسْتَبِي

المهاد: ١٢

٣- ﴿ثُمَّ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

آل عمران: ١٩٧

٤- ﴿وَمَا ذَرَجْتُمْ جَهَنَّمَ وَيَسْتَبِي الْمَهَاد﴾ الزمر: ١٨

٥- ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَسْتَبِي الْمَهَاد﴾ ص: ٥٦

٣- المعنوي ١- ﴿وَمَا ذَرَجْتُمْ النَّارَ وَيَسْتَبِي مَعْنَى

الظالمين﴾ آل عمران: ١٥١

٢- ﴿وَمَا ذَرَجْتُمْ النَّارَ فِيهَا فَيَسْتَبِي

مَعْنَى الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ النحل: ٢٩

٣- ﴿وَمَا ذَرَجْتُمْ النَّارَ فِيهَا فَيَسْتَبِي مَعْنَى

الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ الزمر: ٧٢، والميزان: ١٢١

٤- الورد المورود: ﴿يَتَذَكَّرُ قَوْمَهُ يَتَذَكَّرُ لِلْبَيْتَةِ

فَأَوْدَعَهُمُ النَّارَ وَيَسْتَبِي الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ هود: ٤٣

٥- القرار: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَسْتَبِي

القرآن: ٢٩

﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَمْتُمْ لَنَا فَيَسْتَبِي الْقُرْآنُ﴾ ص: ٦٠

ج - ذم شراب جهنم:

﴿يَسْتَبِي الشَّرَابِ وَسَامَتْ مَوْتُهُمَا﴾ الكهف: ٢٩

د - ذم تولي إبليس بدل الله:

﴿يَسْتَبِي الظَّالِمِينَ يَتَذَكَّرُ﴾ الكهف: ٥٠

هـ - ذم الصاحب عند المتأخر:

﴿يَسْتَبِي الْقَوْنِي﴾ الحج: ١٣

و - ذم المتأخر:

﴿وَلَيْسَ الْقَبِيرُ﴾ الحج: ١٣

الإيمان الحجرات: ١١.

وثانياً: جميع ما جاء في المال والماقبة يرجع إلى جهنم وما فيها من العذاب، إلا أن تغيير المخصوص بالذم في هذه الآيات من أجل مراعاة الزوي، فإنه في آيات «يُنشئ المتصير» على «فعل» في الأغلب، فعنّا في سورة المملك قبله «وَهُوَ خَبِيرٌ» - ٤، «عَذَابٌ

المتصير» - ٥، وبعد (تدبير) - ٨، (كبير) - ٩، ونحوها، وفي آيات «يُنشئ المهاد» و «يُنشئ القزاز» على «فعل» غالباً، كما في (ص) مثلاً: (المخراب) - ٢١، و(المرابط) - ٢٢، و(الخطاب) - ٢٣، فلاحظ، وكذلك في سائر الألفاظ التي ختمت بها الآيات.





سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران

ب ت ر

الابتداء

لفظ واحد، مرة واحدة مكثية، في سورة مكثية

النصوص اللغوية

(١١٧: ٨) ﴿لَنْ نَنْقُذَكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ الكوثر: ٢.

بيبيوته: قالوا: رجل أباير، وهو القاطع لرجله.

(٢٤٦: ٤) وَلَا تَطْعَمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ بِهَا الْبَرَّةُ.

أبو عمرو والشيباني: في حديث علي عليه السلام:

«وَسُئِلَ عَنْ صَلَاةِ الْأُضْحَىٰ، فَقَالَ: حِينَ تَبْرُ الْبُشَيْرَ

الْأَرْضَ، الْبُشَيْرَ: الشَّمْسُ، وَابْتَدَأَ الرَّجُلُ، إِذَا صَلَّى

الْفُضْحَى، أَرَادَ: حِينَ تَبْطَأُ الشَّمْسُ.

(المزوي: ١: ١٢٤)

سيف باتر وبتار: قطاع. (الأزهرى: ١٤: ٢٧٧)

ابن الأهرابي: ابتدأ الرجل، إذا أعطى ومنع.

وابتدأ، إذا صلى الفصحى حين تَقُضُّ الشَّمْسُ، ويقال:

تَقُضُّ، أي يَخْرُجُ شِعَارُهَا كَالْفُضْيَانِ.

والهجرة: تصغير الهجرة، وهي الأتان.

(الأزهرى: ١٤: ٢٧٧)

النبي ﷺ: «لَا تُصَلُّوا عَلَى الصَّلَاةِ الْبُتْرَاءِ» قالوا:

وما الصَّلَاةُ الْبُتْرَاءُ يارسول الله؟ قال: تقولون: اللَّهُمَّ صَلِّ

عَلَى مُحَمَّدٍ، وَتُحْسِنُونَ، بَلْ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ

وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ. السخاوي (القول البدیع: ٣٥)

وكذا نقله السهودي (شرف العلم الجليل والتب

العلي: ٣٧)، واللكهثوني (مرآة المؤمنين: ١٥).

والفتدوزي مع تفاوت يسير (يتابع الموقد: ٢٩٥).

والقاضي نورا الشوشترى (إحقاق الحق: ١٨: ٣٠٧).

ومحمد أشرف العلوي (فضائل السادات: ٣٧).

الخليل: الْبُتْرَاءُ: قَطْعُ الذَّنْبِ وَنَحْوُهُ، إِذَا اسْتَأْصَلَتْ.

وَابْتَدَأَ الْكَاتِبُ قَبِضَتَهُ، وَابْتَدَأَ الذَّنْبُ وَبَتْرَتُهُ.

وَبَتْرَتُ الشَّيْءِ خَاتَمَتُهُ.

والابتداء: الَّذِي لَا عَقِبَ لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

- ابن السكيت: والأبتران: القير والعبد، مئيا
أبترين لغة خيرهما. (إصلاح المطلق: ٢٩٨)
- ابن أبي اليمان: والأبتر: الذي لا ولد له. (٤٢٧)
ثعلب: والمهجة البتراء: النافذة.
- (ابن منظور ٤: ٢٩)
- الزجاج: بترت الشيء، قطعت من أصله.
(أصل وأصل: ٥٤)
- ابن دُرَيْد: بتر الشيء يَبْتر، بترًا، إذا قطعه، وكلَّ
قطع بتر.
- ومنه سيف باير وبشار وبثور، أي قاطع، والجمع:
بواتر وبشار.
- وجمار أبتر، والجمع: بتر، إذا كان مقطوع الذنب،
وكذلك ما سواه من الهائم، وكلَّ ما يَبتر عن شيء فهو
أبتر. (١: ٢٩٢)
- القالي: الابتر، الشدة في التدور، لأنه منقطع عن
التقريب والإرخاء. (١: ٤٦)
- سيف باير وبثور وباضك ونظولا، أي قاطع.
- (٢: ١٨٣)
- ابن خالويه: والأبتر: الحقير، والأبتر: الذليل،
والأبتر من الحيات: المقطوع الذنب، والأبتر: ذنب
الغزل. (٢١١)
- المصاحب: البتر: قطع الذنب ونحوه إذا استأصلته،
بترته فالبتر، وأبترته فبتر، وصاحبه أبتر.
- وسيف باير: يَبْتر للضريبة.
- وحلف له بتراء: أي ليس بعدها شيء.
- والأبتر: الذي لا عقب له، والخاسر أيضًا.
- وربيل أبائر: يَبْتر وجهه، وأبتر: بطله.
- والبثرة: القطعة من القوب والزمان.
- والبتراء: الشمس: في الحديث.
- والابترار: التدور.
- وهو مُبْتَر: أي تقبل بطيء.
- والأبتران: العبد والقير، ثقله خيرهما. (٩: ٤٢٠)
- البحراني: بترت الشيء بترًا، قطعت قبل الإتمام،
والابترار: الانقطاع.
- والباير: السيف القاطع.
- والأبتر: المقطوع الذنب، تقول منه: بتر بالكسر
يَبْتر بترًا، وفي الحديث: «ما هذه البتراء».
- والأبتر: الذي لا عقب له.
- وكلَّ أمر انتزع من الخير أمره، فهو أبتر.
- وخطب زيادُ خطبته البتراء، لأنه لم يعتمد الله فيها.
- ولم يصل على النبي ﷺ
- وقد أبتره الله، أي صيره أبتر.
- ويقال: رجل أبتر، بضم الهزرة، للذي يقطع وجهه.
- [تم استشهاد بغير]
- والبترية: طرقة من الزيدية، نُسبوا إلى المغيرة بن
سعد، ولقبه الأبتر. (٢: ٥٨٤)
- ابن فارس: الباء والثاء والزاء أصل واحد، وهو
القطع قبل أن تتمه، والسيف البائر: المقطوع.
- وكلَّ من انتزع من الخير أمره فهو أبتر، والأبتر من
الدواب: ما لا ذنب له، وفي الحديث: «اقتلوا ذالطُفَيْتَيْنِ
والأبتر».
- وخطب زيادُ خطبته للبتراء، لأنه لم يفتتحها بمحمد

الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ.

ورجل أباتر: يقطع رجمه بيترها. [تم استشهد

(١٩٤: ١)

بشر]

الهرزي: وفي الحديث: «كل أمر في بال لا يبدأ

فيه بحمد الله فهو أبتريه أي المقطع.

وفي حديث الضحايا: «نهى عن الميتورة» قال

أبو محمد^(١): هي التي يتردّد فيها.

الغالبين: الأبتري: القصير الذنب من الحيات.

(١٨٠)

ابن بييدة: الأبترياء [من المصافير]: التي تطير من

تحت قدم الإنسان وهو لا يشعر. تطير قريباً من الأرض

ثم تقع في الحشيش، قصيرة الذنب.

[الإصحاح ٢: ٨٩٣]

الأبتري: اتصال الشيء. تخطمه، يتره، يبتريه، يبتري

غائتر وتبتري.

الواجب: الأبتري: يستعمل في قطع الذنب، ثم أجري

قطع العقب بجراه، فليل: فلان أبتري، إن لم يكن له عقب

يلتفه.

ورجل أبتري وأباتري: لنقطع ذكره من الخصر، ورجل

أباتر: يقطع رجمه.

وقيل على طريق التشبيه: خطبة بتراء، لما لم يذكر

فيها اسم الله تعالى، وذلك لقوله ﷺ: «كل أمر لا يبدأ

فيه بذكر الله فهو أبتريه».

الزمتخصري: «علي ﷺ»، قال عبد خير: قلت له:

أأصلي الضحى إذا برغت الشمس؟ قال: لا، حتى تبتير

الجباه الأرض.

هي اسم للشمس في أول النهار قبل أن يتقوى

ضوؤها وخطب، كأنها سحبت بالجباه مصفرة، تنقاص

شعاعها من بلوغ تمام الإضاءة والإسراق وقتها.

ومن سجد أنه أوتى بركة فأنكر عليه ليس

تسجد ﷺ. وقال: ما هذه البتراء التي لم تكن نعرفها

على عهد رسول الله ﷺ؟ (الفاقي ١: ٧٢)

بأهم إلا كالمكر الأبتري وليته أعارنا أبتريته، وهما

متهمة وخيرة، لذلك خيرهما.

وطلمت البتراء، وهي الشمس في أول النهار.

وخطب زياد خطبته البتراء، وهي التي ما عهد فيها

ولا صل. ورجل أباتر: قاطع رجم. [تم استشهد بشر]

(أساس البلاغة: ١٤)

الفتريسي: الأبتري: أصله من المهار الأبتري، وهو

(١٠: ٥٤٨)

الفتريسي: الأبتري: أصله من المهار الأبتري، وهو

هو أن يوتر بركة واحدة، وقيل: هو الذي شرع في

ركعتين فأنتم أولها ونقص آخرها. (١: ١٢٦)

ابن بترقي: أباتر: يستريح في بتر ما بينه وبين

صديقه. (ابن منظور ٤: ٣٩)

ابن الأثير: وفي حديث ابن عباس رضي الله

عنهما: «أن قريشاً قالت: الذي نحن عليه أحق بما هو

عليه هذا الضبور المنتهر، يحنون النبي ﷺ، فأنزل الله

تعالى سورة الكونر وفي آخرها «وإن شأينك هو الأبتري»

الكونر: ٣.

للبتير: الذي لا ولد له، قيل: لم يكن يوماً وُلد له.

وفيه نظر لأنه وُجد له قبل البعث والوحي، إلا أن يكون
أراد لم يَبْشُرْ له ذكر.

وفيه: «أن العاص بن وائل دخل على النبي ﷺ وهو
جالس، فقال: هذا الأبر» أي الذي لا عيب له.

وفيه: «كان لرسول الله ﷺ درع يقال لها: البراء»
سميت بذلك لقصرها. (٩٣: ١)

ابن منظور: الأبر: المظهر للذنب من أي موضع
كان، من جميع الدواب.

والأبر من الحيات: الذي يقال له: الشيطان، قصر
الذنب لا يراه أحد إلا فرسه، ولا تبصره حامل إلا
أسفلت، وإنما سمي بذلك لقصر ذنبه، كأنه يتر منه.

والأبر من عروض المتقارب: الزايع من المتن
كقوله:

خليلي! هرجا على رسم دبر

خلت من سلقين ومن قبة

والثاني من المسدس، كقوله:

تعف ولا تبتحن لما يقض يأنبك

فقوله «يه» من «يه» وقوله «كا» من «بأنبك»
كلاهما «فع» وإنما حكمها «فعلان»، فحذفت «ن» فبقي
«هو» ثم حذفت الواو وأسكنت الميم، فبقي «فع».
وسمى قُطْرِب البيت الزايع من المديد، وهو قوله:
إنما الذلّاء يا قوتة أخرجت من كيم يهقان
سماء أبر.

قال أبو إسحاق: [أي الزجاج] وغلط قُطْرِب إنما
الأبر في «المتقارب» فأما هنا الذي سماه قُطْرِب الأبر
فإنما هو «المقطوع» وهو المذكور في موضعه.

والأبر: المَعْدوم، والأبر: الخامس، والأبر: الذي
لا عروة له من المزد والدلاء.

وثبر لحمه: إنمار.

وقيل: الأبر: القصير، كأنه يتر من السهام.

وقيل: الأبر: الذي لا نسل له. (٣٧: ٤)

الفيومي: بتر بترًا من باب «قتل»: قطعه على
غير تمام، ونهي عن المتهورة في الضحايا، وهي التي يتر
ذنبها، أي تُطع. ويقال في لازمه: بتر يتر من باب
«تب» فهو أبر، والأنى: بتره، والجمع: بتر، مثل أسمر
وعمره وخمر. (٣٥: ١)

البرجاني: البر: [في العروض] حذف سبب
خفيف وقطع ما يبي. مثل «فاعلاتن» حذف منه «نن»
فبقي «فاعلا» ثم أسقط منه الألف وسكنت اللام. فبقي
«فاعل» فينقل إلى «هلن» ويسمى متوزًا وأبر.

«البرية» هم أصحاب بئر التومي، وانلقوا
السلامة، إلا أنهم تولفوا في عمان ﷺ. (١٩)

الفيروز ابادي: البر: القطع أو مستأصلاً.
وسيف باتر: فاطح، وبتر وبتر كقرب.

والأبر: المقطوع الذنب بتره فبتر كقرب، وحية
خبيثة، والبيت الزايع من المتن في «المتقارب» [في
العروض] والثاني من المسدس، والمعدوم، والذي لا عيب
له، والخامس، ولا عروة له من المزد والدلاء، وكل أمر
منقطع من الخير، والبر والقبر هما الأبران، ولقب
الغيرة بن سعد.

والبرية من الزيدية بالصم تُسب إليه.

وأبر: أعطى ومنع يبد، وصلى الضحى حين

تُخَطَّبُ الشَّمْسُ، أَي يُتَقَدَّ شِعَاعُهَا، وَاللَّهُ الرَّجُلُ: جَمْعُهُ
بُئْتَرٌ.

وَالْأَبَاتِرُ كُمَلَايَطُ: الْقَصِيرُ، وَمَنْ لَا نَسْلَ لَهُ، وَمَنْ
يَبُئْتَرُ رَجُلًا.

وَالْبُئْرَاءُ: الْمَاضِيَةُ الْتَاغِذَةُ، وَمَوْضِعٌ بِقَرْيَةِ مَسْجِدِ
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِطَرِيقِ ثَبُوكَ، وَمَنْ الْخُطْبُ مَا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ
اللَّهِ فِيهِ، وَلَمْ يَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
وَالْبُئْرَاءُ: الشَّمْسُ.

وَالْإِبْتَارُ: الْإِنْخِطَاعُ وَالْمَذْنُوعُ، وَالْبُئْرَةُ: الْإِثْمَانُ،
تَصْغِيرُهَا: بُئِيرَةٌ. (١: ٣٨٠)

الْبُئْرُ بِمَعْنَى: فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ سَلَ طَرِيقًا بُئْرًا لَمْ
حَسَرَهُ» أَي قَصَرَ عَلَيْهِ أَجَلُهُ وَقَطَعَهُ.

وَالْبُئْرِيَّةُ، بِضَمِّ الْمُرْقُوعَةِ فَالْمُسْكُونُ: فُسْرَقٌ مِمَّنْ
الزُّبَيْدِيَّةُ. قِيلَ: نُسِبُوا إِلَى الْمَغِيرَةِ بْنِ سَعْدٍ، وَلَقَبَهُ الْإِبْتَارُ.

وقيل: الْبُئْرِيَّةُ هُمُ أَصْحَابُ كَثِيرِ الْقَوَا، الْحَسَنُ بْنُ
أَبِي صَالِحٍ وَسَالِمُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ وَالْحَكَمُ بْنُ هَيْبَةَ وَسُلَيْمَةُ

ابْنُ كَهْمَلٍ وَأَبُو الْقَدَامِ ثَابِتُ الْحَدَادِ، وَهُمُ الَّذِينَ دَعَوْا إِلَى
وَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَخَلَطُوا بِهَا بَوْلَايَةَ أَبِي بَكْرٍ وَخَضِرَ، وَكُنْتُمْ

لَهُمُ الْإِمَامَةُ، وَيَبْتَغُونَ عَمَّانَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَهَانَةَ،
وَيُرُونَ الْخُرُوجَ مَعَ وَالدِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. (٣: ٢١٣)

الْقَدَنَانِي: بئتر للتصير الأحمور ويضطون من يقول:
بئتر الجمرأج مصيره الأحمور - زائدته الذودية - ويقولون:

إِنَّ الصَّوَابَ هُوَ اسْتَأْصِلَ الْمَصِيرَ، أَوْ قَطَعَهُ، لِأَنَّ الْأَطْرَافَ
- الْأَيْدِيَ وَالْأَرْجُلَ - هِيَ الَّتِي يُبْتَرُ.

وَلَكِنَّ الْبُئْرَ يَعْنِي قِطْعَ الْأَطْرَافِ وَغَيْرِهَا مِنْ
الْأَعْضَاءِ وَالْأَشْيَاءِ، كَمَا يَقُولُ التَّهْذِيبُ، وَالصَّحَّاحُ،

وَمِمَّنْ مَقَابِيسُ الْفَنَاءِ، وَالْحَكَمُ، وَالنَّهْيَةُ، وَالْمُغْرِبُ،
وَالْمُتَارُ، وَاللَّيْلَانُ، وَالْمَصْبَاحُ، وَالْقَامُوسُ، وَالنَّجَاحُ،

وَالْمَذْنُوعُ، وَمَحِيطُ الْخَبِيرِ، وَأَقْرَبُ الْمَوَارِدِ، وَالْمَتْنُ، وَالْوَسِيطُ.
وَالْبُئْرُ قَدْ يَكُونُ اسْتِثْصَالًا أَوْ قَطْعًا لِلْعَمَلِ قَبْلَ إِقَامِهِ،

كَقَوْلِنَا: بُئْرَ فُلَانٍ حَدِيثَهُ أَوْ مَخَاضِرَتَهُ.
وَجَاءَ فِي الْمَتْنِ: بُئْرَ رَجُلَةٍ: قَطَعَهَا، بِجَارِ. ثُمَّ لَعَلَّهُ هُوَ

بُئْرُ الشَّيْءِ. يَبُئْرُ بُئْرًا. (٤٤)
مَحْمُودٌ خَبِيرٌ: ١- أَبْهَرُهُ بُئْرًا: قَطَعَهُ مَسْتَأْصِلًا،

وَبُئْرَ الْعَمَلِ أَوْ نَحْوَهُ: قَطَعَهُ قَبْلَ أَنْ يَشْتَعَلَ، هُوَ بَاتِرٌ.
ب - بُئْرَ بُئْرًا: لَمَّطَحَ هُوَ الْبُئْرَ، وَهِيَ بُئْرَاءٌ، جَمْعُ:

بُئْرٌ. وَأَبْهَرُ اللَّهِ فَلَانًا: أَحْمَرَهُ.

ب - أَبْهَرُ: لَمَّطَحَ.
ب - أَبْهَرُ: لَمَّطَحَ.

و - أَبْهَرُ: لَمَّطَحَ الْقَتَبَ، وَمِنْ الْحَيَاتِ، التَّصْغِيرُ
لِلْقَتَبِ الْخَبِيرِ، وَمِنْ النَّاسِ: مَنْ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَمِنْ لَاحِظِ

فِيهِ.
وَالْأَبْهَرُ: لِلْعَقِيرِ التَّلِيلُ.

وَالْأَبْهَرُ فِي عِلْمِ الْعُرُوضِ: الْقُتْرُبُ، اجْتَمَعَ فِيهِ
الْحَذَفُ وَالنَّطْعُ، جَمْعُ: بُئْرٌ.

ز - الْأَبْهَرَانُ: الصِّبْرُ وَالْمَهْدُ.
ح - الْبَاتِرُ مِنَ السُّيُوفِ: الْقَطَّاعُ، جَمْعُ: بَوَاتِرٌ.

ط - الْبُئْرُ: وَصْفٌ لِلْمِبَاقَةِ، وَالْبُئْرُ: السِّيفُ الْقَاطِعُ.
٢- الْبُئْرُ: السِّيفُ الْقَاطِعُ، وَيُقَالُ: سِلَاحٌ بُئْرٌ:

سِلَاحٌ مَاضٍ. (١: ٦٦)
الْمُضْطَقُّونَ: إِيْمَدُ قُلُوبِ نَحْوِ مِثْلِ السُّنُوفِ

لمادة: أَيْتَر، بَيْتَكَ، بَيْتُكَ، قَالَ:]

وانقطع هنا، فأخبر الله تعالى رسوله ﷺ أنهم هم
الميتورون.مثله شهر بن حوشب. (الطبري ٢٠: ٢٢٣)
الحسن: هنا يَكُونُ أَيْتَرُ أَنَّهُ يَنْقَطِعُ عَنِ الْمَقْصُودِ
قَبْلَ بُلُوغِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَبَيِّنُ أَنَّ خَصْمَهُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ
كَذَلِكَ. (الفخر الرازي ٣٢: ١٣٣)

فتاوة: الأيتَر: الحقيق، الدقيق، الذليل.

(الطبري ٣٠: ٣٢٩)

معناه الأهل الأذل بانقطاعه عن الخير.

(الطوسي ١٠: ٤١٨)

الفرقاء: كانوا يقولون: الرجل إذا لم يكن له ولد
ذكر: أَيْتَرُ، أَي مَيُوتُ فَلَا يَكُونُ لَهُ ذَكَرٌ، فَهَذَا بِمَعْنَى
مُرُوتِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ شَاءَ رَبُّكَ﴾
مِنْخُذٌ وَحَدُوكَ ﴿هُوَ الْإَيْتَرُ﴾ الَّذِي لَا ذَكَرَ لَهُ بِمَعْنَى
مَيْتَةٍ وَهِيَ أَنَّكَ فَقَدْ جَعَلْتَ ذَكَرَكَ مَعَ ذَكَرِي، فَذَلِكَ
قَوْلُهُ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الانصراف: ٤، ٢٩٦)
فَصِيرَ: كَانَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُسَيْطٍ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَسْبِقُ
لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلَدٌ وَهُوَ الْإَيْتَرُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ هَذِهِ الْآيَاتِ
﴿إِنْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُسَيْطٍ ﴿هُوَ
الْإَيْتَرُ﴾. (الطبري ٣٠: ٣٢٩)الزَّجَّاجُ: هَذَا هُوَ الْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ
وَهُوَ جَالِسٌ فَقَالَ: هَذَا الْإَيْتَرُ، أَي هَذَا الَّذِي لَا عَقِبَ لَهُ،
فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ بِإِسْمِهِ ﴿هُوَ الْإَيْتَرُ﴾.

فجائز أن يكون هو المنقطع العقب، وجائز أن يكون

ظاهر أن الأيتَر هو قطع العضو الآخر من جهة
القسمية، فالأيتَر: ما لا يكون ثامًا، والبَيْتَكَ: قطع أحد
الأعضاء، ولاسيما إذا كان بطريق القبض والأخذ من
أصله، والبَيْتُ: الإيالة والصل بين الشَّيْئَيْنِ، كَمَا أَنَّ الْإَيْتَ
هُوَ الْقَطْعُ الْمَطْلُوقُ فِي مُقَابِلِ الْوَصْلِ. (١: ١٩٥)

النصوص التفسيرية

الْإَيْتَرُ

إِنْ شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْإَيْتَرُ. الكون: ٢

ابن عباس: هو العاصم بن وائل.

مثله سعيد بن جبير. (الطبري ٣٠: ٣٢٩)

لما قدم كعب بن الأشرف مكة أمروه، فقالوا له: أيتَر؟

أهل السَّيَاةِ وَالسُّدَّةِ وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَجَبَّحَ
غَيْرَ لَمْ هَذَا الصُّبُورُ الْمُتَهَيِّزُ مِنْ قَوْمِهِ، يَرَعُمُ أَنَّ غَيْرَ مَا؟
قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ غَيْرُ مَنْ، فَزَلَّتْ عَلَيْهِ ﴿إِنْ شَاءَ رَبُّكَ هُوَ
الْإَيْتَرُ﴾ وَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿لَمْ تَزَلِ الْبُذِينَ لَوْ تَوَلَّوْا نَجَبًا مِنْ
الْكِتَابِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿نَجَسًا﴾ (النساء: ٤٤، ٤٥).

نحوه جكرمة. (الطبري ٣٠: ٣٣٠)

كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا مَاتَ ابْنُ الرَّجُلِ قَالُوا: يُتَرُ
فَلَانٌ، فَلَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ النَّبِيِّ ﷺ خَرَجَ أَبُو جَهْلٍ إِلَى
أَصْحَابِهِ فَقَالَ: يُتَرُ مُحَمَّدٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ جَلَّالُهُ ﴿إِنْ
شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْإَيْتَرُ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ (١).

نحوه السدي وابن زيد. (الطوسي ١٠: ٤١٨)

جكرمة: لأن الله عز وجل لما أوحى إلى رسوله ودعا
قريبًا إلى الإيمان قَالُوا: أَيْتَرُ مُحَمَّدٌ، أَي خَالِقُنَا(١) لا يخفى أن إبراهيم مات في المدينة ولم يكن بها
أبو جهل.

هو المنتطح منه كل خير. (۱۵: ۳۷۰)

العلیّیّ: تختلف اهل التأویل في المعنی بذلك، فقال بعضهم: عنی به العاص بن وائل التّسعمیّ.

وقال آخرون: بل عنی بذلك عقیبة ابن أبی تمیم.

وقال آخرون: بل عنی بذلك جماعة من قریش.

وأولی الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن یقال: إنّ

الله تعالی ذكره أخیر أن یمضی رسول الله ﷺ هو الأهل

الأذل المنتطح عنیه، فذلك صفة كل من أفضه من

الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعینه.

(۳۰: ۲۲۸-۲۳۰)

القمیّ: دخل رسول الله ﷺ المسجد ولیه عمرو

بن العاص والحکم بن أبی العاص، قال عمرو: یا

لہلال الجمر - وكان الرجل في الجاهلیة إذا لم یکن له

سمی أبتر - ثم قال عمرو: إني لأستأحسک، أي أفضه.

فأرسل الله علی رسوله ﷺ: «إِنَّا أَنْطَقْنَا الْكُفْرَ»

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» إل قوله: «إِن شَاءَ رَبُّكَ» أي

مبنيك عمرو بن العاص «هُوَ الْآبَرُ» الكوثر: ۱-۳.

يعني لادين له ولا نسب، [وقد جاء في شأن القُرُول كما

يأتي «عاص بن وائل» بدل «عمرو بن العاص» والظاهر

وقوع خلط فيا حكاة القمّي | (۲: ۱۴۵)

ابن خالوئیه: كانت قریش والنّسّاتون لرسول

الله ﷺ يقولون: إنّ محمداً صنوبر، أي فرد لا ولد له، فإذا

مات انتطح ذكره، فأكذبهم الله تعالی وأعلمهم أن ذكر

محمّد مقرون بذكره إلى يوم القيامة، فإذا قال المؤمنون

أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن محمداً رسول

الله. (۲۱۱)

الطوسی: قيل قوله: «إِن شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْآبَرُ»

جواب لقول قریش: إنه أبتر لا ولد له ذكر - إذا مات قام

مقامه بدهو إليه - وقد انتطح أمره.

ف قيل: إنّ شئتک هو الأبتر الذي ينتطح ما هو عليه

من كفره بموته، فكان الأمر كما أخیر به.

وقيل: في التوراة تشاكل المقاطع للفواصل،

ومسهولة مخارج الحروف بحسن التأليف، وتقابل المعاني

بما هو أوّل، لأن قوله: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ» أحسن من «صَلِّ

لنائه» لأنه يجب أن يذكر في الصلاة بصفة الزبويّة، (والنحر)

هاهنا أحسن من قوله: «وانسكه» لأنه على يتر يتم بعد

بم يمتنع، (والآبَر) أحسن من «الأخت» لأنه أدل على

الكتابة على النفس

في الحروف القليلة قد جمعت الحسن والكثرة،

وما لها في النفس من المنزلة أكثر بالتحفة والجزالة ويظلم

الخالقة التي جعل عليها وشي إليها. (۱۰: ۱۱۸)

لمره الطوسی. (۱۵: ۵۵۰)

الزاهب: قوله تعالی: «إِن شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْآبَرُ» أي

لانتطح المذكور، وذلك أنهم زعموا أن محمداً ﷺ ينتطح

ذكره، إنا انتطح عمره لشقدان نسله، فثبت تعالی أن الذي

ينتطح ذكره هو الذي يشترؤه، فإنا هو فكما وصفه الله

تعالی بقوله: «وَوَضَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» الانشراح: ۴، وذلك

لمسه أبا للمؤمنين، وتقيض من يراهيه ويراعي دينه

الحق.

وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«العلماء باقون ما بقي الدهر، أحيائهم مفقودة وآثارهم في

القلوب موجودة، هذا في العلماء الذين هم شجاع النبي

عليه الصلاة والسلام، فكيف هو وقد رفع الله عز وجل ذكره وجعله خاتم الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام. (٣٦)

الرَّسُولُ قَرِيبٌ: إِنَّ مَنْ أَبْذَكَ مِنْ قَوْمِكَ فَتَأْتِكَ لَهُمُ (هُوَ الْأَبْتَرُ) لِأَنْتَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يُولَدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُمْ أَوْلَادُكَ وَلِعَقَابِكَ، وَذِكْرُكَ مَرْفُوعٌ عَلَى الْمَنَابِرِ وَالْمَنَارِ، وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ صَالِحٍ وَذَاكَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، يَبْدَأُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَيُخَيِّ بِذِكْرِكَ، وَلَكَ فِي الْآخِرَةِ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْوَصْفِ. فَتُكَلِّمُكَ لَا يَقَالُ لَهُ: أَبْتَرُ، وَقَدْ أَبْتَرُ هُوَ شَأْنُكَ الْخَصِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ ذُكِرَ ذُكِرَ بِالْعَيْنِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَشْهُورٌ، إِذَا مَاتَ مَاتَ ذِكْرُهُ.

نحوه أبو السعود.

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَأْنَكَ كَثِيرٌ﴾ (٣٧) فِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

المسألة الأولى: ذَكَرُوا فِي سَبَبِ النُّزُولِ وَجُوهًا:

أحدها: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَالْعَاصِ ابْنُ وَائِلٍ السَّحْمِيُّ يَدْخُلُ فَاتَّقِيَا لِمُتَعَدِّتَا، وَصَنَادِيدُ قُرَيْشٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالُوا: مَنْ لَدَيْكَ كُنْتَ تَتَعَدَّدُ مَعَهُ؟ فَقَالَ: ذَلِكَ الْأَبْتَرُ، وَأَقُولُ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ إِسْرَارِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَظْهَرُ، فَحَيْثُ كَانَ يَكُونُ ذَلِكَ مَسْجَرًا، وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ الْعَاصِ بْنَ وَائِلٍ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا أَبْتَرُ، لِأَنَّ ابْنَ لَهُ يَقُومُ مَقَامَهُ بَعْدَهُ، لِإِذَا مَاتَ انْطَلَعَ ذِكْرُهُ وَاسْتَرْحَمَ مِنْهُ، وَكَانَ قَدْ مَاتَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ خَدِيجَةَ، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُقَاتِلٍ، وَالكَلْبِيِّ وَحَمَّادِ أَهْلِ التَّخْصِيرِ.

القول الثاني: روي عن ابن عباس لما قدم كسب بن الأشرف مكة أتاه جماعة قريش، فقالوا: نحن أهل الشفاية والسندانة وأنت سيد أهل المدينة، فمن خير أم هذا الأبتَر من قومه، يزعم أنه خير منك؟ فقال: بل أنتم خير منه، فلول: ﴿إِنَّ شَأْنَكَ كَثِيرٌ﴾ وَنَزَلَ أَيْضًا: ﴿لَمْ تَزَلْ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُوا نَفْسِنَا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّالُوتِ﴾ النساء: ٥١.

والقول الثالث: قال عكرمة، وشهر بن حوشب: لما أوحى الله إلى رسوله ودعا قريشًا إلى الإسلام، قالوا: بتر محمد أي خالفنا وانقطع عنا، فأخبر تعالى أنهم هم المبترون.

القول الرابع: نزلت في أبي جهل فإنه لما مات ابن رسول الله قال أبو جهل: إِنِّي أَبْذُهُ لِأَنَّهُ أَبْتَرُ، وَهَذَا مِنْ حَقَائِقِ حَيْثُ أَبْذُهُ بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارِهِ فَإِنَّ مَوْتَ الْإِبْنِ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَرَادِهِ.

القول الخامس: نزلت في عمة أبي لهب فإنه لما شافهه بقوله: تَبًّا لَكَ، كَانَ يَقُولُ فِي غَيْبَتِهِ: إِنَّهُ أَبْتَرُ.

والقول السادس: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَقْبَةِ بَنِي أَبِي مُطَيْط، وَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَبْدُ فِي كُلِّ أُولَئِكَ الْكُفْرَةِ أَنْ يَقُولُوا مِثْلَ ذَلِكَ لِإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ فِيهِ مَا هُوَ أَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَعَلَّ الْعَاصِ بْنَ وَائِلٍ كَانَ أَكْثَرَهُمْ مَوَاطِفَةً عَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَلِلَّذَلِكَ ائْتِشَهَرَتْ لِلزَّوَايِدِ بِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ.

المسألة الثانية: الشَّيْءَانُ هُوَ الْبُغْضُ، وَالشَّيْءَانُ هُوَ الْبُغْضُ، وَلَمَّا الْبُتْرُ هُوَ فِي الثَّلَاثَةِ اسْتِثْصَالَ الْقَطْعِ يَقَالُ: بَقَرْتَهُ أَبْتَرَهُ بَتْرًا، وَبَتْرُ أَيِّ صَارَ لَبْتَرُ وَهُوَ مَقْطُوعُ الذَّنْبِ،

ويقال للذي لا عتب له: أبت. ومنه المنيار الأبت الذي لا ذنب له. وكذلك لمن انتطح عنه الخير.

ثم إن الكفار لما وصفوه بذلك بين تعالى أن الموصوف بهذه الصفة هو ذلك المهنض على سبيل المحصر فيه، فإنك إذا قلت: زيد هو العالم، يفيد أنه لا عالم غيره، إذا عرفت هنا فقول الكفار فيه عليه الصلاة والسلام إنه أبت لا شك أنهم - لمنهم الله - أرادوا به أنه انتطح الخير عنه. ثم ذلك إما أن يعمل على خير معين، أو على جميع المديرات.

أما الأول فيحتمل وجوهاً:

أحدها: قال الشدي: كانت قریش يقولون لن مات المذكور من أولاده: بتر. فلما مات ابنه القاسم وهداه بككة وإبراهيم بالمدينة قالوا: بتر. فليس له من بطون مقامه. ثم إنه تعالى بين أن هدوه هو الموصوف بهذه الصفة. فلما نرى أن نسل أولئك الكفرة قد انتطح، وكنته عليه الصلاة والسلام كل يوم يزداد ويمتد، وهكذا يكون إلى قيام القيامة.

ثانيها: [ما تقدم عن الحسن]

ثالثها: وصموا أنه «أبت» لأنه ليس له ناصر ومعين. وقد كذبوا، لأن الله تعالى هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين. وأما الكفرة فلم يبق لهم ناصر ولا حبيب.

رابعها: (الأبت) هو الحقير الذليل. روي أن أباهل اتخذ ضيافة لقوم، ثم إنه وصف رسول الله بهذا الوصف، ثم قال: قوموا حتى نذهب إلى محمّد وأصارعه وأجعله ذليلاً حقيراً، فلما وصلوا إلى دار خديجة وتولّفوا على ذلك، أخرجت خديجة بساطاً، فلما تصارعوا جعل

أبو جهل يجتهد في أن يصمره، وبقي النبي عليه الصلاة والسلام ونطقاً كالجبل، ثم بعد ذلك رماه النبي ﷺ على أنفج وجهه، فلما رجع أخذه باليد اليسرى، لأن اليسرى للاستجاء فكان نجساً، فصمره صلى الأرض مرة أخرى، ووضع قدمه على صدره. فذكر بعض الفقهاء أن المراد من قوله: «إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» هذه الواقعة. خاصها: أن الكفرة لما وصفوه بهذا الوصف قيل: «إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» أي الذي قالوه فيك كلام فاسد يضمحل ويغنى، ولما المدح الذي ذكرناه فيك، فإنه باق على وجه الدهر.

وسامها: أن رجلاً قام إلى الحسن بن علي عليه السلام وقال: سؤدت وجوه المؤمنين بأن تركت الإمامة لغيرك. فقال: لا تؤذي يرحمك الله، فإن رسول الله رأى بني أمية في المنام يصعدون منبره رجلاً فرجلاً فساد ذلك. فأقول الله تعالى: «إِنَّا أَطَقْنَا الْكَذِبَ» الكون: ١، «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» القدر: ١، فكان ملك بني أمية كذلك، ثم انقطعوا وصاروا مبتورين.

المسألة الثالثة: للكفار لما شتموه، فهو تعالى أجاب عنه من غير واسطة، فقال: «إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» وهكذا شتم الأحياب، فإن الحبيب إذا سمع من يشتم حبيبه تولى بنفسه جوابه.

فها هنا تولى الحق سبحانه جوابهم، وذكر مثل ذلك في مواضع حين قالوا: «هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُهْلِكُكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ كُلُّ شَيْءٍ خَشِيَ إِلَهُكُمُ أَنْ تَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جُنَّةٌ سَبَّأَ: ٧، ٨، فقال سبحانه: «يَبْلُغُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ

السَّجْدِ: سبأ: ٨، وحين قالوا: هو مجنون أقسم ثلاثاً، ثم قال: ﴿عَاثَتْ يَنْهَضُوا إِلَيْكَ يَهْتَوُونَ﴾ القلم: ٢، ولما قالوا: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الرعد: ٤٢، أجاب فقال: ﴿يَسْ﴾ و﴿اِقْرَأِ الْحَكِيمِ﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يس: ١-٢، وحين قالوا: ﴿إِنَّا لَنَكْرَهُ الْوِثَاقَ بِمَا نَحْنُ فِيهِ﴾ الصافات: ٢٦، رد عليهم وقال: ﴿يَسْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الصافات: ٢٧، صدقه، ثم ذكر وعيد خصائمه، وقال: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ الصافات: ٣٨، وحين قال حاكياً: ﴿أَمْ يَسْأَلُونَ شَاعِرًا﴾ الطور: ٣٠، قال: ﴿وَعَاظَمْتَ الْفَرَجَ﴾ يس: ٦٩، ولما حكى عنهم قولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِلَهٌ مِثْلُ الْفَرَجِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ الفرقان: ٤، سحاهم كلامهم بقوله: ﴿فَقَدْ جَاءَ ظَلَمٌ وَزُورٌ﴾ الفرقان: ٤، ولما قالوا: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَاكِئٌ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشَرُ فِي الْأَشْوَاقِ﴾ الفرقان: ٧، أجابهم فقال: ﴿وَمَا لَوْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا الْفَرَجَ لَكُنَّا عَنِ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنْتُمْ لَسَاءَ مَا تَكُونُونَ الطَّعَامَ وَمَتَكُونُونَ فِي الْأَشْوَاقِ﴾ الفرقان: ٢٠، فما أجمل هذه الكرامة.

المسألة الرابعة: اعلم أنه تعالى لما بشره بالتميم العظيم، وعلم تعالى أن التهمة لانتها إلا إذا صار العدو متهوراً، لا جرم وعنه بقر العدو، فقال: ﴿إِنْ شِئْنَاكَ مَوْتٌ أَلْبَنُ﴾.

وفيه لطائف: إحداها: كأنه تعالى يقول: لأفعله لكي يرى بعض أسباب دولتك، وبعض أسباب عنة غسه فيقتله المنيظ.

وثانيها: وصفه بكونه شائناً، كأنه تعالى يقول: هنا الذي يهضك لا يقدر على شيء آخر سوى أنه يهضك.

والمنفض إذا هجز عن الإيذاء، فحينئذ يهترق قلبه غوطاً وحسناً، فتصير تلك العداوة من أعظم أسباب حصول الهبة لذلك العدو.

وثالثها: أن هذا الترتيب يدل على أنه إنما صار أهنر، لأنه كان شائناً له ومنفضاً، والأمر بالحقيقة كذلك، فإن من عادى محسوداً فقد عادى الله تعالى، لا سيما من تكفل الله بإعلان شأنه وتضخيم مرتبته.

ورابعها: أن العدو وصف محسوداً عليه الصلاة والسلام بالقلّة والذلة، ونفسه بالكثرة والدولة، فقلب الله الأمر عليه، وقال: العزيز من أمره الله، والذليل من أذله الله، فالكثرة والكونر لهند عليه الصلاة والسلام، والأبرية والدناءة والذلة للعدو، فحصل بين أول السورة وآخرها نوع من المطابقة لطيف.

المسألة الخامسة: اعلم أن من تأمل في مطالع هذه السورة ومقاطعها، عرف أن القوائد التي ذكرناها بالنسبة إلى ما استأثر الله بعلمه من فوائد هذه السورة كالقطرة في البحر. روي عن مسلمة أنه عارضها، فقال: «إنا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وجاهر، إن منفضك رجل كافر». ولم يعرف القذول أنه محروم من المطلوب، لوجوه:

أحدها: أن الألفاظ والترتيب مأخوذان من هذه السورة، وهذا لا يكون معارضة.

وثانيها: أننا ذكرنا أن هذا السورة كالشمة لما قبلها، وكالأصل لما بعدها، فذكر هذه الكلمات وحدها يكون إجمالاً لأكثر لطائف هذه السورة.

وثالثها: التفاوت العظيم الذي يقره من له ذوق

سليم بين قوله: ﴿إِنَّ قَاتِلَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ وبين قوله: «إِنَّ مُبْغِضَكَ رَجُلٌ كَافِرٌ».

ومن لطائف هذه السورة أَنْ كُلَّ أَحَدٍ مِنَ الْكُفَّارِ وَصَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بوصف آخر، فوصفه بأنه لا ولد له، وآخر بأنه لا معين له ولا ناصر له، وآخر بأنه لا يبيح منه ذكره، فالحمد سبحانه مدحه مدحاً أدخل فيه كل الفضائل، وهو قوله: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرُ﴾ الكوثر: ١. لأنه لما لم يفتح ذلك الكوثر بشيء دون شيء، لا جرم تناول جميع خيرات الدنيا والآخرة.

ثم أمره بحال حياته بمجموع الطاعات، لأنَّ الطاعات: إما أن تكون طاعة البدن، أو طاعة القلب. أما طاعة البدن فأفضلها شيطان، لأنَّ طاعة البدن هي الصلاة، وطاعة المال هي الزكاة.

وأما طاعة القلب فهو أن لا يأتي بشيء إلا لأجل الله، واللام في قوله: (لِرَبِّكَ) يدل على هذا المعنى. ثم كأنه يبه على أن طاعة القلب لا تحصل إلا بعد حصول طاعة البدن، فقدم طاعة البدن في الذكر، وهو قوله: (فَعَلَّ) وآخر اللام الدالة على طاعة القلب تنبيهاً على فساد مذهب أهل الإباحة، في أن المبدأ قد يستغني بطاعة قلبه عن طاعة جوارحه. فهذه اللام تدل على بطلان مذهب الإباحة، وعلى أنه لابد من الإخلاص. ثم يبه بلفظ الرب على علو حاله في المعاد، كأنه يقول: كنتُ ربُّيتك قبل وجودك، أفأترك تربيتك بعد مواظبتك على هذه الطاعات.

ثم كما تكمل أولاً بإفاضة النعم عليه، تكمل في آخر السورة بالذِّب عنه، وإبطال قول أعدائه. وفيه إشارة إلى

أنه سبحانه هو الأول بإفاضة النعم، والآخر بتشكيل النعم في الدنيا والآخرة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٣٢: ١٣٢)

ابن أبي الحديد: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا ابن المؤمن الأبر، والشجرة التي لأصلها ولا فرع». إنما قال له: «يا ابن الأبر» لأن من كان عليه ضاللاً خيئاً فهو كمن لا عقب له، بل من لا عقب له خير منه.

(٨: ٣٠١)

الطبري: (هو الأبر) أي المنقطع عن كل خير. وأما أنت فقد أعطيت ما لا غاية لكثرة من خير المذابين الذي لم يحط أحد غيرك، فحط ذلك كله هو الله رب العالمين، فاجتمعت لك الطيبان الشيطان وإصابة أشرف طاعة وأوفر، من أكرم محط وأعظم منعم. [ثم قال نحو (٤: ٥٩٧)]

الطبري: (هو الأبر) الذي لا عقب له: حيث لا يول منه نسل ولا حسن ذكر. وأما أنت فخلق ذريتك وحسن صيتك وأثار فضلك إلى يوم القيامة، ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان.

وأصل البر: القطع، وشاع في قطع الذنب، وقيل من لا عقب له: أبر على الاستعارة، شبه الولد والأثر الباقي بالذنب لكونه خلفه، فكأنه يمد، وعدمه بعدمه. وفسره قتادة بالحقير الذليل، وليس بذلك كما ينصح عنه سبب التزول، وفيها جلية دلالة على أن أولاد البنات من الذرية، كما قال غير واحد. [ونقل أقوال المفسرين في بيان مصداق الأبر ثم قال:]

وأيما ما كان فلا ريب في ظهور عموم الحكم، والجملة

كالتلليل لما يفهمه الكلام، فكأنه قيل: إنا أعطيناك ما لا يدخل تحت المحصر من الثم، فصل وأمر غائباً لوجه ربه، ولا تكثر بقول الثاني الكربة، فإنه هو الأبر لا أنت.

وتأكيداً قيل: للاعتناء بشأن مضمونها، وقيل: هو مثله في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْطَبْنِي فِي الْبَيْتِ فَكَفَرُوا إِنَّهُمْ مُشْفِقُونَ﴾ المؤمنون: ٢٧، وذلك لمكان «فلا تكثر الخ» المفهوم من الثاني.

وفي التعبير بالأبر دون المبرر على ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: ما لا يخفى من المبالغة، وعظم هنا الشيخ عليه الرحمة كلاً من جزأي الجملة فقال: إنه سبحانه يتر شاني رسول الله ﷺ من كل خير.

فبتر أهله وماله فيفسد ذلك في الآخرة، ويحذر حياته فلا يرضع بها ولا يترود فيها حالاً لمعاد، ويحذر قلبه فلا يسي الخير ولا يؤوله لمسرته تعالى، ويتر أهله فلا يستعمله سبحانه في طاعته، ويتر من الانتصار فلا يجد له ناصرًا ولا عوناً، ويتر من جميع القرب فلا يوفق لها طمعاً ولا يجد لها حلاوة، وإن باشرها بظاهرها لقلبته شارد عنها.

وهذا جزاء كل من شأ ما جاء به الرسول ﷺ لأجل هواه، كمن تأول آيات الصفات أو أحاديثها على غير مراد الله تعالى ومراد رسوله عليه الصلاة والسلام، أو فني أن لا تكون نزلت أو قبلت.

ومن أقوى اللامات على شأنه تفرقه عنها إذا سمعها، حين يستل بها الثاني على مادّة عليه من

الحق، وأي شأن للرسول عليه الصلاة والسلام أعظم من ذلك، وكذلك أهل الشيع الذين يرقصون على سماع الفناء والذخوف والتجارات، فإذا سمعوا القرآن يتلى أقرأ في مجلسهم استمالوه واستقلوه، وكذلك من أثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة إلى غير ذلك، ولكل نصيب من الانتار على قدر شأنه، انتهى. وفي بعضه نظر لا يخفى. (٢٤٧: ٣٠١)

سيد قطب: في الآية الأولى قرّر أنه ليس أبر بل هو صاحب الكور. وفي هذه الآية يرد الكيد على كائده، ويؤكد سبحانه أن (الأبر) ليس هو محمد إنما هم شائوه وكارهوه.

ولقد صدق فيهم وعيد الله، فقد انقطع ذكرهم وانكوى، بينما امتد ذكر محمد وعلا، ونحن نشهد اليوم صدق هذا القول الكريم في صورة باهرة واسعة المدى، على ما علم به، ساءوه الأولون.

إن الإيمان والحق والخير لا يمكن أن يكون «أبر» فهو بمنزلة الفروع صيق الجذور، وإنما الكفر والباطل والشر هو الأبر منها ترعرع وزها وتجبّر.

إن مقاييس الله غير مقاييس البشر، ولكن البشر يتخذون ويتقنون فيحسبون مقاييسهم هي التي تقرّر حقائق الأمور، وأما هنا المثل المتعلق الخالد، فأين الذين كانوا يقولون عن محمد ﷺ قولاتهم اللئيمة، وينالون بها من طوب المصاهير، ويحسبون حيث أتهم قد قصوا على محمد وقطعوا عليه الطريق؟ أين هم؟ وأين ذكراهم، وأين آثارهم؟ إلى جوار الكور من كل شيء.

خيرها، ولكننا نرى وجه تسميتها هو انقطاعها إلى
النسل، إذ ليس على الأرض أكدر منها.

٢- والبتراء: مؤنث الأبر، وهي الحبة النافذة، أي
تقطع الخصم وتسكته، وهو استعمال مجازي.

والبتراء: مصدر البتراء، وهي الشمس، وسميت
بذلك - كما نرى - لانقطاعها عن سائر النجوم شرقاً
وعظم.

الاستعمال القرآني

١- ورد لفظ (الأبر) في القرآن مشاكلاً لمعنى
(الكوتر) و(والأبر) في الجنس والزوي، وهذه المشاكلة
تجاءل بها، إذ فسوى الآية الأولى نوال وطاء، والثانية
تاء وطلب، والفتحة تطيب ومواساة، والفتحة
مركزية كشمس، والفتحة كشمس.

وهذه التورية وحيدة الألفاظ أيضاً، فلم يرد لفظ
(أضيتاك) و(الكوتر) و(فصل) و(أبر) و(شابتك)
و(الأبر) إلا في هذه التورية. فجاز التثاق واللفظ،
وتماثلت المعاني بالتثاق وانظام، وتواترت الألفاظ
بأطراف والتام.

٢- ذكر المفسرون معاني متعددة للفظ (الأبر)، منها
من قطع خفيه، ومن لا ناصر له ولا معين، وهما أشهر
الأنوال. وكأنيها بمعنى واحد، لأن أصل الأبر - كما
ذكرنا - المقطوع الذنب من الذواب، فكأنه قطع ذنبه من
الأخلاق والأشباع، سبب أن الصرب استعاروا الذنب
للأشباع، فقالوا: جاء فلان بذنبه، أي بأثياه. ومنه قول

ذلك الذي أوتيه من كانوا يقولون منه الأبر!

(٣٩٨٩: ٦)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة هو القطع، يقال: بترت
الذنب والشئ بترًا فابتر، وأبترته أيضاً.

ومنه المجعرة من الميتات، أي ما بتر ذنبها، وابتار
الفرس، أي شدته في العدو، لأنه ينقطع عن البعد
والإسراع، لمن يطلبه حينذاك لا يشق لهبار، لشدة
عدوه.

ومنه أيضاً: سيف بانر وبتار وبتور، أي شديد
القطع، ورجل أبتر: قاطع لرحمه، وهو من باب المجاز
ثم تجاوز إلى كل ما نقص، مثل الخطبة البتراء، أو من
نقص قدره بين الناس، وأصبح لا وزن له عندهم،
كالحقير والذليل.

٢- والأبر: المقطوع الذنب من الذواب، يقال:
حمار أبر، وأطلق توسعاً على حية ذات ذنب قصير،
وكذا على ذنب الفيل. وسميت الذكو أو المزادة التي
لا هرة لها بالأبر، تشبيهاً لها بالذواب الأبر.

ثم أطلق على آدميين مجازاً، يقال: رجل أبر، أي
لا عقب له، أو لا ناصر له ولا معين، إلحاقاً له بظائره
المستعملة حقيقة في هذا المعنى - أي القطع - مثل:
الأجدع: المقطوع الأنف، والأقطع: المقطوع اليد،
والأجذم: المقطوع الأصابع، والأصلم: المقطوع الأذن،
والأسلت، وهو الأجدع، وغيرها.

والأبران: الحمار والعبد، قيل: سُميا بذلك لقلة

الإمام علي عليه السلام في فتنة آخر الزمان: «وَضُرِبَ بِحُجُوبِ الَّذِينَ بَدَّيْنَهُ» أي يسير في الأرض ذاهباً باتباعه.

٢- نزلت هذه السورة تطبيقاً لمخاطر النجاشي؛ إذ كانت قريش تلاحيه بقلة الناصر وانقطاع القرب، وتباهيه بكثرة حدها، فسأله الله بهذه السورة، وهذا الطابع من التساهل بين الطرفين يظهر جلياً في السور المكية، ولا سيما السور التي أنزلت في الحقبة الأولى من الدعوة.

وقد ذكر المفسرون أن رجلاً من قريش عاب النبي بانقطاع حقيقه، فرد الله عليه بأنه أعطاه فاطمة عليها السلام، فهي للكونثره إذ روي أنه كان له ابنان قبل البعثة، وهما القاسم وعبد الله، لما تابعت البعثة.

لم يبدو بوضوح أن (النجاشي) يقصد (الكونثر)، فانه

بشره وسأله بأنه أعطاه (الكونثر) وهو كثرة الأولاد والأتباع، وعدد بشائته بأنه لا ولد له ولا أتباع.

فالتصديق والمجز متآخيان متأسفان. قال الفخر الرازي في معاني الكونثر: «الثالث: الكونثر: أولاده، قالوا: لأن هذه السورة إنما نزلت ردّاً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد. فالمعنى أنه يعطيه نسلًا يعقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، ثم العالم بمقتلهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يمهأ به، ثم انظر كم كان من الأكابر من العلماء كالباهر والصابغ والكافظم والزخامة عليهم السلام، والنفس الزكية وأمثالهم. لاحظ سائر أقواله في «كونثره».

ب ت ك

قَلَيْسُكُنْ

لفظ واحد، مرة واحدة مدنية، هي سورة مدنية



التصريح اللغوي

[استشهد بشر]

(١٩٦: ١)

العليل: البتة: البتة على الشيء - على شئ لو

ريش أو نحو ذلك - ثم تَجِدُهُ إِلَيْكَ، فَيُشَكُّكَ مِنْ أَصْلِهِ، أَيْ

يَنْطَلِعُ وَيَنْتَفِصُ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْ ذَلِكَ لِي كَفْلُكَ: يَنْتَكُ. [تم]

[استشهد بشر]

والبتة: قطع الأذن من أصلها، قال الله تعالى:

﴿قَلَيْسُكُنْ أَذَانُ الْإِنَّمَامِ﴾ النساء: ١١٩. (٣٤٢: ٥)

مثل الصاحب.

(٢٢٩: ٦)

أبو هُبَيْرَةَ: يَنْتَكُ: قَطَعَهُ.

مثل الأصمعي.

ابن كُرَيْدٍ: يَنْتَكُ الشيء يَنْتَكُهُ يَنْتَكَا، إِذَا قَطَعَهُ.

وسيف بايتك ويخولك، إذا كان ساركا.

والبتة: الإطعة من كل شيء، والجمع: يَنْتَكُ. [تم]

[تم استشهد بشر]

والبتة أيضا: جهنمة من الليل.

ويَنْتَكُ أَذَانُ الْإِنَّمَامِ، أَيْ قَطَعَهَا، شِدَّةً لِلْكَثَرَةِ.

(١٥٧٤: ٤)

ابن فارس: الباء والكاف أصل واحد، وهو

القطع. [تم ذكر مثل قول الخليل] (١٩٥: ١)

الفيروز آبادي: بَنَكَه يَبْنِكُهُ وَيَبْنِكُهُ: قَطَعَهُ.
كَبَنَكَه فَانْبَنَكَه وَتَبْنَكَه. وَالبَنَكَةُ بِالكسر والقَطْع:
الْقِطْعَةُ مِنْهُ - جَمْعُهُ: كَبَنِبٌ - وَجَهَةٌ مِنَ اللَّيْلِ.

والبَائِلُ: سَيْفٌ مَالِكٌ بِنِ كَعْبِ الْمُتَدَانِي، وَالْقَاطِعُ
كَالْبَتُولِ. (٣: ٣٠٣)

مَجْمَعُ اللُّغَةِ: بَنَكَه يَبْنِكُهُ كَضَرْبٍ وَنَضْرٍ. بَنَكًا:
قَطَعَهُ. وَبَنَكَه تَبْنِكًا: شَقَّهُ أَوْ قَطَعَهُ. (١: ٧٩)

مُحَمَّدٌ إِسْمَاعِيلُ إِبْرَاهِيمَ: بَنَكَه: شَقَّ وَقَطَعَ.
وَمِنْهُمُ: سَيْفٌ بَائِلٌ أَيْ قَاطِعٌ. وَبَنَكَه: قَطَعَهُ.

(١: ٥٨)

التصريح التفسيري

فَلْيَبْنِكُنَّ

وَلَا تُخْلِسْنَهُنَّ وَلَا تُنْقِصْنَهُنَّ وَلَا تُزَيِّنَنَّ لَهُنَّ فَلَْيَبْنِكُنَّ أَذَانُ
النِّسَاءِ: ١١٩

مُخَرَّجَةٌ: دِينٌ شَرَعَهُ لَهُمُ إِبْلِيسُ، كَهَيْئَةِ الْبَحَائِرِ
وَالشَّوَابِ. (الطَّبْرِيُّ ٥: ٢٨٢)

كَانُوا يَشْفَوْنَهَا.

مِثْلُهُ السُّدِّيُّ. (الطَّبْرِيُّ ٣: ٣٢٤)

هُوَ ضَلَمٌ بِالْبَحَائِرِ، كَانُوا يَشْفَوْنَ أَذَانَ النَّاسِ إِذَا
وَلَدَتْ خَمْسَةَ أَهْلٍ وَجَاءَ الْخَامِسُ ذَكَرًا، وَحَرَّمُوا عَلَى
أَهْلِهَا الْإِسْطِخَاعَ بِهَا.

مِثْلُهُ قَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ. (أَبُو حَيَّانٍ ٣: ٣٥٣)

قَتَادَةُ: الْبَنَكُ فِي الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ، كَانُوا يُبْنِكُونُ
أَذَانَهَا لِلْوَأْدِئِ بِهَا. (الطَّبْرِيُّ ٥: ٢٨٢)

الْهَزَوِيُّ: يُقَالُ: بَنَكَه، وَبَنَكَه، وَفِي يَدِهِ بَنَكَةٌ، أَيْ
قِطْعَةٌ، وَالْجَمْعُ: بَنَكَ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]

وَسَيْفٌ بَائِلٌ: أَيْ قَاطِعٌ. (١: ١٢٥)

ابْنُ سَيِّدَةَ: الْبَنَكَةُ: بَنَكَه الشَّيْءُ يَبْنِكُهُ بَنَكًا وَبَنَكَه:
قَطَعَهُ. وَالشَّعْرُ وَغَوْرُهُ: الْقِطْعَةُ مِنْ أَسْلَمِهِ.
وَالْبَنَكَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ الْمَبْتُوكِ.

(الْإِسْطِخَاعُ ١: ٢٨٦)

الرَّازِيُّ: الْبَنَكُ: يُقَارِبُ الْبَتَّ، لَكِنْ الْبَنَكُ يُسْمَلُ
فِي قِطْعِ الْأَعْضَاءِ وَالشَّعْرِ، يُقَالُ: بَنَكَه شَعْرًا وَأَذَنًا. قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَبْنِكُنَّ أَذَانَ الْأَنْفَامِ﴾ النِّسَاءُ: ١١٩.
وَمِنْهُ سَيْفٌ بَائِلٌ: قَاطِعٌ لِلْأَعْضَاءِ. وَبَنَكَتُ الشَّعْرَ:
تَنَاوَلْتُ قِطْعَةً مِنْهُ.

وَالْبَنَكَةُ: الْقِطْعَةُ الْمُنْجَذِيَّةُ، جَمْعُهَا: بَنَكَ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]

وَأَمَّا الْبَتُّ فَيُقَالُ فِي قِطْعِ الْمَرْبَلِ وَالْوَحْلِ: تَحْمِيْتُ كُتْمٍ أَوْ غَوْرٍ
وَيُقَالُ: طَلَقْتُ الْمَرْأَةَ بَنَكًا وَبَنَكَةً، وَبَنَكَتُ الْحَكَمَ بَيْنَهُمَا.

وَرُوِيَ: لَا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يَبْنِكُ الصَّوْمَ مِنَ اللَّيْلِ.

وَالْبَنَكُ مِثْلُهُ يُقَالُ فِي قِطْعِ الثَّوْبِ، وَتُسْمَلُ فِي
النَّاقَةِ التَّرْبِيعَةُ: نَاقَةٌ بَنَكِيٌّ، وَذَلِكَ لِتَشْبِيهِهَا بِهَا فِي
الشَّرْعَةِ بِكَ النَّاسِجَةِ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ] (٣٦)

الرَّازِيُّ: بَنَكَه: بَنَكَه الْمَرْبَلُ، وَسَيْفٌ بَائِلٌ وَبَنَكَةٌ:
وُخْرِجَ إِلَى ثَبُوكٍ وَمَعَهُ سَيْفٌ جَوْدٌ، وَاضْلَمَتْ مِنْهُ الْخَاطِرُ
وَفِي يَدِهِ بَنَكَةٌ مِنْ رِيْشِهِ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]

(الْمَسَاسُ الْبَلَاغَةُ: ١٤)

الرَّازِيُّ: الْبَنَكُ: الْقِطْعُ، وَبَابُهُ ضَرْبٌ وَنَضْرٌ.
وَبَنَكَ أَذَانَ الْأَنْفَامِ: قَطَعَهَا، مُدَدٌ لِلْكُفْرَةِ. (٥٢)

أَنَّهُ فِي عَمَلِهِ كَفَرٌ وَفَسَقٌ. (٤٨: ١١)

أَبُو حَتَّانَ : قِيلَ : فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى كَمَلِ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ
كَامِلًا بِطَرَفِهِ ، فَيَجْعَلُ الْإِنْسَانَ نَاقِصًا بِسوءِ تَدْبِيرِهِ .

(٣٥٣ : ٢)

الْقُرْطُبِيُّ : الْبَتُّكَ : التَّطْعُ ، وَمِنْهُ سَيْفٌ بِأَيْتِكَ .

أَيُّ أَحْلَمَ عَلَى قَطْعِ آذَانِ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَنَحْوِهِ .

(٣٨٩ : ٥)

[تَمَّ اسْتِشْهَادُ بَشَرٍ]

الْبَرْوَصِيُّ : أَيُّ فَلْيُطْعَمَتْ بِمَوْجِبِ أَمْرِي ،

وَيُسْقَتْ مِنْ خَيْرِ تَلْقُفٍ^(١) فِي ذَلِكَ وَلَا تَأْخِيرَ . يُقَالُ :

بَتُّكَ ، أَيُّ قَطَعَهُ . وَنُقِلَ إِلَى بِنَاءِ التَّخْفِيلِ ، أَيُّ التَّبْيِيقِ

لِلتَّكْبِيرِ .

وَالْجَمْعُ الْمَفْرُودُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ هَاهُنَا قَطْعُ آذَانِ

الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْأُتَمَامِ : الْإِزِيلُ وَالْبَسْرُ وَالنَّسَمُ . أَيُّ

لَا يَنْصَرِفُ عَلَيْهِمْ عَلَى أَنَّ يَتَقَطَّعُوا آذَانَهُ هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَيُخْرَسُوا

وَيُحْمَلُونَ بِهَا إِلَى الْأُتَمَامِ وَتُسَمَّى بِهَا بَحِيرَةٌ وَسَائِبَةٌ

وَرَوْصِلَةٌ وَحَامِيَةٌ .

وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا اسْتَجَبَتْ نَاقَةُ أَحَدِهِمْ لِحَسَةِ

أُطْنٍ وَكَانَ آخِرُهَا ذِكْرًا يَحْمِلُ أُذُنَهَا ، وَلَمْ يَسْتِرْ مِنْ رُكُوبِهَا

وَحَلْبِهَا وَذَيْبِهَا ، وَلَا يَحْمِلُ مِنْ مَاءٍ وَلَا يَنْجُو عَنْ مَرَمِيٍّ ،

وَإِذَا لَقِيَ الْمَرْءُ لَمْ يَرْكَبْهَا ، وَقِيلَ : كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِهَا

إِذَا وَلَدَتْ سَبْعَةَ أَطْنٍ . (٢٨٧ : ٢)

رَشِيدٌ رَضَا : الْبَتُّكَ : يُقَارِبُ الْبَتُّ فِي مَنَاءِ الْعَامَةِ .

الَّذِي هُوَ التَّطْعُ وَاللَّصْلُ ، فَابْتَدَأَ يُقَالُ فِي قَطْعِ الْحَسَلِ

وَالْوَضَلِ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، وَفِي الْفُلَاقِ يُقَالُ : طَلَّقَهَا بَتَّةً .

أَيُّ طَلَّاقًا بِأَنَّهَا .

السَّائِبُ : لِيُسْقَتْ بِهَا ، فَيَجْعَلُونَهَا بِحِيرَةً .

(الطَّبْرِيُّ ٥ : ٢٨٢)

نَحْوُهُ الزَّجَّاجُ . (الطَّبْرِيُّ ٢ : ١١٣)

الْإِسْمَامُ الْقَصَادِقُ : لِيُطْعَمَ الْآذَانُ مِنْ

أَصْلِهَا . (الطَّبْرِيُّ ٢ : ١١٣)

الْمُبَيَّرُ : أَيُّ فَلْيُطْعَمَ . (الْأَزْهَرِيُّ ١٠ : ١٥٤)

الطَّبْرِيُّ : الْبَتُّكَ : التَّطْعُ ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ قَطْعُ

أُذُنِ الْبَحِيرَةِ ، لِيَحْمَلَ أَنَّهَا بِحِيرَةٌ . وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ الْحَبِيثَ ،

أَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْبَحِيرَةِ ، فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، وَيَحْمِلُونَ بِهَا

طَاعَةً لَهُ . (٢٨١ : ٥)

مِثْلُهُ الطُّوسِيُّ . (٣٦٤ : ٣)

الْمَاوِزِيُّ : أَيُّ لِيُطْعَمَتْ نُسْكًا لِأَوْتَانِهِمْ كَالْبَحِيرَةِ

وَالسَّائِبَةِ . (٥٣٠ : ١١)

الْوَاهِدِيُّ : الْبَتُّكَ : التَّطْعُ ، وَالتَّبْيِيقُ : التَّطْعُ .

وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : قَطْعُ آذَانِ الْبَحِيرَةِ مِنْ جَمِيعِ أَطْرَفِهَا

التَّخْفِيرِ . (١١٨ : ٢)

ابْنُ عَصِيَّةٍ : الْبَتُّكَ : التَّطْعُ ، وَكَثُرَ الْقَطْعُ ، إِذَا قَطَعَ

كَثِيرٌ عَلَى أَنْعَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ . وَإِنَّمَا كَثُرَ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْبَحِيرَةِ

وَالسَّائِبَةِ وَنَحْوِهِمَا كَانُوا يَحْمِلُونَ فِيهِ حِكْمًا ، بِسَبَبِ أَلْمَتِهِمْ

وَيَنْبِرُ ذَلِكَ . (١١٤ : ٢)

الطَّبْرِيُّ : قِيلَ : لِيُطْعَمَ الْآذَانُ مِنْ أَسْلَافِهَا . وَهَذَا

شَيْءٌ قَدْ كَانَ مُشْرَكُو الْعَرَبِ يَفْعَلُونَهُ ، يَمْدَحُونَ آذَانَ

الْأُتَمَامِ ، وَيُقَالُ : كَانُوا يَفْعَلُونَهُ بِالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ .

(١١٣ : ٢)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ : الْمُرَادُ أَنََّّهُمْ يَطْعَمُونَ آذَانَ الْأُتَمَامِ

نُسْكًا فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، فَهُمْ يَحْمِلُونَ أَنَّ ذَلِكَ عِبَادَةٌ ، مَعَ

والهتك يقال في قطع الأعضاء، والشعر، ونقص
للریش، وبسكت الشعر: تناولت بتكأ منه وهي
بالكسر، القطعة المستجذبة، جمعها: يتك، [ثم استشهد
بشعر]

والمراد به ما كانوا يفعلونه من قطع آذان بعض الأتباع لأصنامهم، كالحائز التي كانوا يقطعون أو يشقون آذانها شقاً واسعاً، ويتركون الحمل عليها.

وكان هذا من أسخف أصحاب الرئاسة وصفه
عقولهم، قال الأستاذ الإمام: ولهذا خصه بالذكر، وإن
كان داخلًا فيها قبله. (٥: ٤٢٧)

الطَّبَائِقُ: التَّبَيُّعُ هُوَ التَّقْ. وَيُسَمَّى عَلَى
مِثْلِ: أَنَّ عَرَبَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ تَقْ أَفْأَنَ الْجَاهِلِيَّةِ
وَالْتَوَائِبُ لِتَحْرِيمِ لِحْوَمِهَا.

المُصْطَفَوِي: نَصَرَفْ هَدَوَانِي فِي ذَوِي الْحِسَابِ
وَعَلَامَةُ تَنْبِيْهِ حَكَمٍ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ، مِنْ تَحْلِيلِ حَرَامٍ
وَتَحْرِيمِ حَلَالٍ. (١: ١٩٥)

نَبِيَّكَ. وَمِنْهُ: سَيْفُ بَاتِكِ وَتَوَكُّ، أَيُّ قَاطِعٍ. وَيُقَالُ فِي
الْجَمْعِ: سَيْفٌ بَوَاتِكِ.

٢- والبَتْرُك والبَتْرُ واحد، فكلاهما يستعمل في قطع الأعضاء، إلا أن البَتْرُك اختص بقطع الأذن، والبَتْرُ يقطع الذنب، يقال: حمار أبتَر. وليس للبَتْرُك (أفتل)، وكان حقه أن يقال مثلاً: «كش أبتكر»، مثل ما يقال لمن قطع أذنه: رجل أصلم.

ويستعمل البثك - خاصة - في قطع الشيء، وأذن
المخبرون استصلاً، وما جرى منه بجرى الجاز إلا إطلاقهم
«البثكة» على جبهة الليل، وهو من هذا الباب أيضاً،
لأن الجبهة - كما قيل - بنية سواد من آخر الليل،
وكأنها استخرجت منه، وليس «البثر» كذلك، فهو
يستعمل في قطع الأشياء والأعضاء، سواء كانت تذي
عقل أم لغيره، وإن بحال استعماله الجازي لواسع.

الاستعداد للقرآن

جاءت هذه الآية في قوله تعالى: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَجِيبًا مَفْرُوضًا﴾ وَأَضَلَّتْهُمْ وَلا مَسْبِغَهُمْ وَأَمَرُهُمْ فَلَهُمْ سِتْرٌ لَدُنَّ الْإِنْتِقَامِ وَلَا مَرْثَهُمْ فَلْيَغْيِرُوا خَلْقَ اللَّهِ وَعَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٨، ١١٩.

ويلاحظ أولاً: أن هذه الآية أعني ما تعدي به الشيطان البارئ تعالى، فقد جاءت لهجة بالصور الالية: لم نأكيد الفعل باللام والنون مرة بعد أخرى: لَا تَسْخَرُونَ - لَا تَخْلِفُونَهُمْ - لَا تُخَيِّبُونَهُمْ - لَا تَمُرُّوهُمْ - فَلْيَسْكُرُوا - فَلْيَتَبَرَّنُوا - وظاهر قوله: (الْأَعْمَدَيْنِ) و (الْأَيْمَنِينِ) في

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الاستصحاب والاجتهاد، قال الخليل: «الهنك: قبضك على الشيء» - على شعر أو ريش أو نحو ذلك - ثم تجذبه إليك فيثبت من أصله، أي ينقطع ويتوقف، وكل طاقة من ذلك في كفك بـ «هنكة» وزاد غيره «هنكة» بالفتح، وأجمع هنك.

وَالْبَيْتُكُمُ أَيْضًا: جَهَنَّمُ الدَّلِيلُ، أَيِ آخِرِهِ.
وَالْبَيْتُكُمُ أَيْضًا: قَطْعُ الْأُذُنِ مِنْ أَصْلِهَا، وَضَعُهُ بِتَنَكُّ
الشَّيْءِ، يَتَنَكُّهُ وَيَتَنَكُّهُ فَانْتَبَهَ وَتَنَكُّهُ تَنَكًُّا، وَكَذَا بَيْتُكُمُ

الأعراف: ١٦، ١٧. و (لَا تُغْوِيَهُمْ) في
المعبر: ٣٩. و (لَا تُخَنِّتُكُمْ) في الإسراء: ٦٢.

ب - مشاطرة الله الكبرياء: «وَقَالَ لَا تُخَنِّتُ مِنْ
عِبَادِي نَجِيًّا مَعْرِضًا».

ج - إحلال لعباده (وَلَا تُخَلِّتُهُمْ) ومثله قوله:
«وَلَقَدْ أَخْلَ مِنْكُمْ جِيلًا كَبِيرًا» يس: ٦٢.

د - تثنيهم ووعدهم: (وَلَا تُخَلِّتُهُمْ) ومثله قوله
بعده: «يُؤَيِّدُهُمْ وَيُكَيِّمُهُمْ وَخَاتَمُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا» النساء: ١٢٠.

هـ - أمرهم بجهنك آذان الأنعام وتغيير خلق الله:
«وَلَا تُزَيِّنْهُمْ فَلْيُشَكِّكُنَّ أَذْكَانَ الْإِنْعَامِ وَلَا تُزَيِّنْهُمْ فَيَلْمِيزُوا
خَلْقَ اللَّهِ» وليس لها نظير في القرآن.

وثنائياً: حكى الله قول الشيطان في القرآن ضمن
الموارد التالية:

أ - لمرء بالتعبود لأدم عليه السلام، فاختال وتطرس:
«قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ
طِينٍ» الأعراف: ١٢، و ص: ٧٦.

ب - «قَالَ أَتَجِدُ مَنْ خَلَقْتُ طِينًا» الإسراء: ٦١
«قَالَ لَمْ أَكُنْ بِأَشْجَدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ
مَاءٍ مَسْنُونٍ» المعبر: ٣٢.

فطرد الله من السماء، وأجده من رحمة، فطلب منه
أن يمهله إلى يوم القيامة:

«قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» الأعراف: ١٤
«قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» المعبر:
٣٦. و ص: ٧٩.

خطأ أجابه الله إلى ما أراد، فادعى في النفي والتعدي:

«قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ
الْمُسْتَقِيمَ» ثم لَا يُبَيِّنُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ
أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ»

الأعراف: ١٦، ١٧.

«قَالَ رَبِّ إِنِّي أَغْوَيْتَنِي لَأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» إِلَّا عِبَادَكَ بِسْمِهِمْ
الْمُخْلِصِينَ»

المعبر: ٣٩، ٤٠.

«قَالَ نِيرِبْكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
الْمُخْلِصِينَ»

ص: ٨٢، ٨٣.

«قَالَ لَوَإِنِ اتَّخَذَ الْإِنْسَانُ لَكُمْ دُونِي
إِلَهِ يَدْعُونَ لَأَبْلُغَنَّ دُورَهُ إِلَّا قَلِيلًا»

الإسراء: ٦٢.

ب - إغواء آدم وحواء:

«وَقَالَ مَثْنِيكِمَا نُنْكِحَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ
تَكُونَا خَالِدِينَ فِيهَا أَوْ لَكُمَا عَذَابٌ مُهِينٌ» وقاسمتها إني
لنكث من الثامنين» الأعراف: ٢٠، ٢١.

«قَالَ يَتْلُمُ هَلْ أَذْكَانَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلِيِّ وَتُلْمُ
لَهَيْلِي» طه: ١٢٠.

ج - التبرير بحرب الماحلية:

«وَقَالَ لَا تُخَنِّتُ مِنْ عِبَادِي نَجِيًّا مَعْرِضًا
وَلَا يُخَلِّتُهُمْ وَلَا تُخَلِّتُهُمْ وَلَا تُخَلِّتُهُمْ أَذْكَانَ الْإِنْعَامِ
وَلَا تُزَيِّنْهُمْ فَلْيُشَكِّكُنَّ خَلْقَ اللَّهِ» النساء: ١١٨، ١١٩.

«وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ
فَلْيَا تَرَاهُ الْبَنَاتِ نَكُحْنَ عَلَى عَقَبَتِهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِنْكُمْ إِنِّي لَأَمْلَأُ رُؤُوسَ إِبْنِي أَخَافُ أَنََّّهُمْ مُبْهَكُونَ»
الأنفال: ٤٨.

د - إضلال راهب بني إسرائيل:

﴿كَتَمَلَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ المحشر: ١٦

ونالنا: يظهر من خلال ما ذكر من محاكاة إبليس ربه، وتأكيده على إغواء الناس وإضلالهم مقروناً بالمخلف والقسم مرة بعد أخرى، أن الله أراد بذلك إعلام الناس بشدة عدوة إبليس لهم، ليتقائما من أبيهم آدم، حيث طرد من أجله، ولكي يجتنبوا مساكنه ومكائده، وأن فخاخه وشباكه متنوعة، وربما متضادة، ﴿يَجِدُهُمْ وَيُخَيِّبُهُمْ﴾، أي يضلهم برغبة ورهبة معا، حسب ألسنت الناس وأطباعهم.

ورابعا: ويظهر أيضا أن كبرياء الشيطان بلغ إلى حد مشاطرة الله في عباده، فيجعل شطر منهم نصيبه، حيث قال: ﴿لَا تَخِذْنِي مِنْ عِبَادِي نَجِيًّا هَؤُلَاءِ ضَلُّوا سَبِيلَ إِبْلِيسَ﴾ «إبليس» و«شيطان».

وخامسا: إن الفصل (قُلَيْبُكُنْ) وحيد المذر في القرآن، ووحيد بين أحزله الوحيدة المذر فيه أيضا، فإن أغلب الألفاظ التي استعملت في القرآن مرة واحدة جاءت مسيطرة للزوي القرآن، كضرورة يدعو إليها السياق، أما هذه اللفظة فذكرت في وسط الآية بأسلوب مؤكد، فقد اتصلت به الفاء واللام ونون التوكيد الثقيلة وواو الجمع والتون، إذ كان أصله «يتكون»، فلما جزم باللام حذفت التون، لأنه من الأفعال الخمسة، ثم

حذفت منه الواو عند اتصاله بنون التوكيد، لالتقاء الساكنين.

ونظائره (لَيْبُكُنْ) النساء: ٧٢، و(لَاخْبِيكُنْ) الإسراء: ٦٢، و(لَسْفُكُنْ) العلق: ١٥، إلا أنها مفردة ومجرمة من الفاء، ويصل الأخير بنون التوكيد الخفيفة، كما أنه ليس مضطحا.

وسادسا: ولكن لماذا يشقي الشيطان غليله بتبتيك العباد لأذان الأكماء؟

قيل: إن ذلك امتثال لأمر إبليس حين يدعوهم، دون أن يأثموا الله تعالى، وقيل: لسك في عبادة الأوثان، فيشركون في عبادته تعالى، وقيل: يتقصون خلق الله بعد أن أنه، وهذا عيب يثقله.

ولاربع أن ما ذكره حسن، إلا أننا نرى ذلك يتعلق بأهم دعامه يركز عليها النظام الإداري للحكومة الإسلامية في كل آن وزمان، ألا وهي الاقتصاد؛ إذ أن الشركين - كما أجمع المسلمون - كانوا يطمون آذان الأكماء إذا ولدت طسة أبطن، وكان الخامس ذكرا، فيحرمون على أنفسهم الانتفاع بها، فكانوا يمتنعون من ذكورها وحليها وذبحها، وكل ذلك هدر ل طاقة عظيمة، تسبب إلى إيجاد أزمة في مجال المواصلات - لاسيما قديما - والخدمات والمواد الغذائية والصناعات اليدوية والتجارية، إضافة إلى ما تستهلكه من مواد غذائية، وما تلحقه من أضرار جسيمة بالمزارع والمحرق، إذا كانت لاخترد عن ماء، ولا تمتنع عن مرعى.

ب ت ل

لفظان مَرَّتَانِ، في سورة مَكِّيَّة

وفاقة مُبْتَلَة.

بُتْلَ ١:١ بُتْلًا ١:١

والبُتْلُ: أسفل الجبل، الواحد: بُتْل.

(١٢٤: ٨) وَابْتَلَى الْفِرْعَوْنَ فَقَسَاهُ مِنَ الشَّيْءِ.

الهُذَلِيُّ: البهيمة من النخل: الودية.

(ابن السكيت إصلاح المنطق: ٣٤٩)

الأصمعي: هي القبيلة التي قد بانّت عن أمها.

ويقال للأُم: مُبْتَل. (ابن السكيت إصلاح المنطق: ٣٤٩)

المُبْتَل: النخلة تكون لها فسيلة قد انهدت واستغنت

عن أمتها، فيقال لذلك الفسيلة: البُتُول. [ثم استشهد

بشر]. (الأزهري ١٤: ٢٩١)

المُبْتَلَة من النساء: التي لم يركب لحملها بعضه بعضًا.

(الأزهري ١٤: ٢٩٢)

ابن الأعرابي: المُبْتَلَة من النساء: اللعنة الخلق.

لا يفصر شيء عن شيء، ألا تكون حسنة العين سمجة

الأنف، ولا حسنة الأنف سمجة اللحم، ولكن تكون

التصوُّص اللغويّة

الخليل، البُتْل: كلمة توصل بالثبّ، تقول: أعطيه

بُتْلًا بُتْلًا. وأصله: الطع، وبثّله: طعّمته.

«وَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» المرتّل: ٨. طاب البتل:

الانقطاع إلى الله تعالى، أي أغلص إليه إغلاصًا.

والبتُول: كلّ امرأة تنقبض عن الرجال، فلا حاجة

لها فيهم ولا شهوة، ومنه «التَّبْتِيل» وهو ترك النكاح.

[ثم استشهد بشر]

ونخل مُبْتَل: قد تدبّت جذوؤه، والبتيل: خيل

النخل يُبْتَل عنه، أي يُقطع عنه ويُزَل.

والبتيلة: كلّ عضو يلحمه مُكْتَبِر من أعضاء اللحم

على جباله. [ثم استشهد بشر]

وامرأة مُبْتَلَة: تامة الأعضاء والخلق، وجمل مُبْتَل،

- ثالثة. (الأزهرى ١٤: ٢٩٢) الأزهري: الثبلة: الثامة الخلق. [ثم استشهد بشر]
- أبو سعيد البغدادي: امرأة ثبلة الخلق عن النساء: لها عليهن فضل. [ثم استشهد بشر]
- (الأزهرى ١٤: ٢٩٣) ضمير: الثبيل: القطع، ومنه: صدقة ثبلة، أي قطعها من ماله. ويقال للمرأة إذا تزوجت وتحتت: إنها تثبيل. وإذا تركت للزواج فقد تثبلت. وهذا ضد الأول. والأول مأخوذ من الثبيلة: التي تم حسن كل عضو منها. (الأزهرى ١٤: ٢٩٣) ثعلب: وثبئت الرجل سري وأبتلته، إذا أطلعت عليه. (فصلت وأصلت: ٥)
- سئل ثعلب عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ: قال: لا تخطأها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة، حنافاً وفضلاً ودينياً وحسناً. (الأزهرى ١٤: ٢٩٣) ابن دؤيد: تثبئت الشيء أبتله وأبتله بثبلة، إذا قطعته. [ثم استشهد بشر]
- وحلف على يمين بثبة بثبلة، أي قطعها. وسميت مريم ﷺ الثبول، لانقطاعها عن الناس. والراغب الثبيل: المنقطع عن الناس. وانثبئت النفسيلة عن أمها، إذا انقطعت عنها، فالنحلة مبيلة والنفسيلة بثيلة. [ثم استشهد بشر]
- ويقال: الهمامة: جبل منقطع عن الجبال. (١: ١٩٧) ابن الأثير: الثبول: المرأة التي لا تريد الزواج. ويقال ذلك للمنفقة، والأصل فيه ترك الزواج. (غريب اللغة: ١٣٧)
- الأزهري: الثبلة: الثامة الخلق. [ثم استشهد بشر]
- وقال بعضهم: تثبيل خلقها: انفراد كل شيء منها بحسنه، لا يتكلم بحضه على بعض.
- [الثبلة] هي التي تفرده كل شيء منها بالحسن على جدته.
- ورجل أثيل، إذا كان بعيداً ما بين المنكبتين، وقد يثيل يثيلاً. (الأزهرى ١٤: ٢٩٣)
- القاصب: الثبيل: تيير الشيء من الشيء. وأعطيه ثبلاً بثلاً، وأصله: القطع. وفي الصدقة: بثبة بثلة.
- وعمرة بثلاء، والثبلة: الواجبة. ورثل يثل ويثل: منقطع من الرمال، وكثيب يثل. والثبول: كل امرأة تنفض عن الرجال ولا شهوة لها لهم. ومنه الثبيل وهو ترك الزواج، ومنه قيل لمريم ﷺ: الثبول.
- فأما قوله عز وجل: «وَتَبَيَّنَ إِلَيْهِ تَبَيُّلاً» المزمل: ٨، أي أخلص له إخلاصاً.
- والاثبتال: الانقطاع والانفراد. ومز على بثيلة وبثلاء من رأيه، أي على عزيمته لا ترد، ومثيلة من رأيه: يثله.
- والبيلة: كل عضو يلحمه من أعضاء اللحم، تكتنزه على جياها، وجمعها: بثائل.
- وامرأة مبيلة: ثامة الأعضاء والخلق، ويجمع مبيل. والمبيل في النساء: انفراد كل شيء منها بحسنه.
- ورجل أثيل: بعيد ما بين الوركين، وخضر يثيل:

شُغِرَ.

وَالْجَبَلُ: الْجَبَلُ فِي الشَّرِّ وَالْمَذَلِّ.

وَالْجَبَلُ فِي السَّيْرِ: مَضَى وَجَدَّ.

وَالْجَبَلُ: أَسْفَلَ الْجَبَلِ كَهَيْئَاتِ الْمَائِلِ، الْوَاحِدُ:

جَبَلٌ.

وَالْجَبَلُ: الْقِيَّةُ مِنَ التَّخَلُّ.

وَالْجَبَلُ: الْمُخْتَلَى كِبَائِهِ، وَكَذَلِكَ الْجَبَلَةُ.

(١٣٩: ٩)

الْخَطَّابِيُّ: فِي حَدِيثٍ حَذِيفَةٌ أَنَّهُ قَالَ: دَأْبَتِ

الْعَلَاةُ فَنَدَاغَمَرَا، فَصَلَ بِهِمْ ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ بِنَا إِمَامًا

غَيْرِي أَوْ تُصَلِّى وَخَدَانَا.

«لَيْسَ بِنَا» سَاءَ لَتَصِيبَ لَهَا إِمَامًا وَتَقْطَعُونَ الْأَمْرَ

وَأَمَاتِهِ. وَأَصْلُ الْجَبَلِ: التَّقَطُّعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الْقُدَّةِ:

بُتَّةٌ بَتَّةً، أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا.

وَالِ السَّلَاقِ ثَلَاثُ بَتَّةٍ، أَيْ مَقْطَعَةٌ لِأَعْرَافِهِمْ كَقَبْ

وَلَا رَجْعَةَ لِلزَّوْجِ عَلَيْهَا.

وَقِيلَ لِمَرْيَمَ الْبَكْرُ: الْبَتُولُ، لَا تَقْطَاعُهَا مِنَ الْقَاسِ

وَاتَّبَاعُهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا، كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَيُقَالُ:

بَلْ سَمَّيْتُ الْبَتُولَ لَا تَقْطَاعُهَا مِنْ مُقَارَفَةِ الْبَشَرِ.

فَأَمَّا فَاطِمَةُ فَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا: الْبَتُولُ، لِأَنَّهَا مَقْطَعَةٌ

الْقَرْنِ بَيْتًا وَمَعْرَقًا.

وَمَعْمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ «لَيْسَ بِنَا» بِمَعْنَى تَقْطَاعُهَا أَوْ

لَتَقْطَعَنَّ أَوْ نَحْوَهَا، مِنْ بَقَاثُ وَأَهْلِيئَتُ.

فَأَمَّا مَا يَرَوْنَ مِنْ قَوْلِ التَّضَرُّعِ بِنَ كَلْدَةٍ فِي قِصَّةِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ قَرِيضٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «يَا مَعْشَرَ قَرِيضٍ،

وَاللَّهُ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ مَا لَيْسَ بِنَا بَتَّةً، غِيَابُهُ غِلَاطٌ،

وَالصَّوَابُ مَا لَيْسَ بِنَا بَتَّةً، وَمَعْنَاهُ مَا لَيْسَ بِنَا بَتَّةً، وَلَمْ تَعْلَمُوا

عِلْمَهُ، فَقَوْلُ الرَّبِّ: أَتَذَرُونَنِي بِالْأَمْرِ غَلَمٌ تَقِيلُ بَتَّةً، أَيْ

مَا لَيْسَ بِنَا بَتَّةً.

وَالْبَقْوَةُ: بَتَّةُ الشَّيْءِ أَيْ بَتَّةً بِالْكَسْرِ بَتَّةً، إِذَا

أَبْتَهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: طَلَّقَهَا بَتَّةً بَتَّةً.

وَالْبَتُولُ مِنَ النِّسَاءِ: التَّذَوُّةُ الْمُقْطَعَةُ مِنَ الْأَزْوَاجِ.

وَيُقَالُ: هِيَ الْمُقْطَعَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الدُّنْيَا.

وَالْبَتُولُ وَالْبَتِيَّةُ: فَبِتَّةٌ تَكُونُ لِلْبَتَّةِ قَدْ اسْتَنْتَبَتْ

مِنْ أُنْثَاهَا، وَتِلْكَ الْخَلَّةُ مُبَيَّلٌ، يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ

وَالْجَمْعُ، [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

وَالْبِتَّةُ: كُلُّ عَضْوٍ بِلَحْمِهِ، وَالْجَمْعُ بَتَائِلٌ. يُقَالُ:

بَتَّةٌ بَتَّةً، بِتَشْدِيدِ التَّاءِ مَفْتُوحَةً، أَيْ ثَلَاثَةُ الْخَلْقِ

وَالْبَتَّةُ: كُلُّهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا يُوَصَفُ بِهِ الرَّجُلُ.

وَالْبَتَّةُ: الْإِسْقَاطُ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

وَالْبَتَّةُ: أَيْ مَقْطَعَةٌ مِنْ وَلَدِ الْمُحَصَّنِ بِهَا، وَكَذَلِكَ

يقال: بَتَلْتُ الشيء أبتله بالكسر، إذا غطته وأبتته من غيره، ومنه قوله: «وَلَقَدْ بَتَلْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ».

ومنه حديث رسول الله ﷺ في خبر النخس: «فَأَتَنِي عَزِيزَةٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِتَلَّةٍ، أَوْعَدَنِي إِنْ لَمْ أَهْلُغْ أَنْ يُعَذِّبَنِي» [إلى أن قال:]

وفي الرواية: «وَقَدْ سُلِّيَ لِي بَتَلَةٌ إِنْ سَمِعْنَاكَ يَارَسُولَ اللَّهِ تَقُولُ: إِنْ مَرِمَ بَتُولٌ وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَتُولٌ، مَا الْبَتُولُ؟ فَقَالَ: الْبَتُولُ: الَّتِي لَمْ تَرْحَمْهُ قَطُّ».

والتَّكَلُّ في الدَّعَاءِ هو الدَّعَاءُ بِأَصْبَحَ وَاحِدَةً، يَشِيرُ بِهَا، أَوْ يَرْفَعُ أَصَابِعَهُ مَرَّةً وَيَضَعُهَا مَرَّةً، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ رَمَلًا وَيَضَعُهَا تَأْتِيًا.

والتَّكَلُّ أَيْضًا هُوَ أَنْ يَحْرَكَ السَّبَابَةَ السَّرِيَّةَ. وَبِمَجْمُوعِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَرَدَتْ الرِّوَايَةُ عَنْهُمْ ﷺ. وَالْمَبْتُولُ: الْمَقْطُوعُ. وَمِنْهُ: الْحَدِيثُ: «الْأَشْمَةُ الْمَبْتُولَةُ عَلَى صَاحِبِهَا طَوَافُ السَّاءِ».

[المصطفوي، لاحظ «ب ت ث»]

النصوص التفسيرية

تَبَتَّلٌ - تَبَتَّلًا

وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَتَبَّلًا. (المزمل: ٨)

ابن عباس: أَخْلَصَ لَهُ إِخْلَاصًا.

مثله مجاهد.

نحوه الضحاك.

مجاهد: أَخْلَصَ إِلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ وَالْدَّعَاءَ.

(الطبري: ٢٩: ١٣٣)

الحسن: بَتَّلَ نَفْسَكَ وَاجْتَهَدَ.

(الطبري: ٢٩: ١٣٣)

الإمام الباقر عليه السلام: أَخْلَصَ إِلَيْهِ إِخْلَاصًا.

(القمي: ٢: ٣٩٢)

إِنَّ التَّكَلُّ هُنَا رَفْعُ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ.

وفي رواية أبي بصير: هُوَ رَفْعُ يَدِكَ إِلَى اللَّهِ وَتَضَعُكَ إِلَيْهِ.

مثله الإمام الصادق عليه السلام. (الطبرسي: ٥: ٣٧٩)

عطاء: انْطَلَعَ إِلَيْهِ لِنَطَاقًا. (الطبرسي: ٥: ٣٧٩)

قَتَادَةُ: أَخْلَصَ لَهُ الْعِبَادَةَ وَالذَّمَّةَ.

(الطبري: ٢٩: ١٣٣)

زيد بن أسلم: التَّكَلُّ: رَفْعُ الْأَيْمَانِ وَمُصَافِيَا.

والصحيح ما عند الله تعالى. (التهوي: ٧: ١٤٠)

ابن زيد: أَي تَتَرَفَّعُ لِعِبَادَتِهِ. (الطبري: ٢٩: ١٣٣)

تَعَبَّدَ لَهُ تَعَبُّدًا. (الماوردي: ٦: ١٢٨)

الإمام الصادق عليه السلام: الدَّعَاءُ بِأَصْبَحَ وَاحِدَةً تَشِيرُ بِهَا.

وفي حديث آخر: هَكَذَا التَّكَلُّ وَيَرْفَعُ أَصَابِعَهُ مَرَّةً وَيَضَعُهَا مَرَّةً.

وفي حديث آخر: تَحْرَكَ السَّبَابَةُ، تَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَتَضَعُهَا.

وفي حديث آخر: وَلَمَّا انْتَبَهَلَ فَمَاجَاءَ بِأَصْبَعِهِ السَّبَابَةَ.

الثوري: تَوَكَّلْ إِلَيْهِ تَوَكَّلًا. (التهوي: ٧: ١٤٠)

مثله الشقيق.

الإمام الكاظم عليه السلام: التَّكَلُّ: أَنْ تُقَلِّبَ كَتِفَكَ فِي الدَّعَاءِ إِذَا دَعَوْتَ.

(الكاظمي: ٥: ٢٤٦)

الْقَوَاءُ : أَخْلَصَ لَهُ إِخْلَاصًا ، وَيُقَالُ لِلْعَابِدِ إِذَا تَرَكَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَلَقَبِلَ عَلَى الْعِبَادَةِ : قَدْ تَبَيَّلَ ، أَيِ غَطِمَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ . (١٩٨ : ٣)

الْأَخْفَشُ : فُلَمَ يَمِينُ بِمَصْدَرِهِ ، وَمَصْدَرُهُ «التَّبَيَّلُ» كَمَا قَالَ : «وَاللَّهُ أَنْتَبِثَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نِثَاثًا» نوح : ١٧ ، [ثم استشهد بشعر]

ابن قُتَيْبَةَ : أَيِ انْطَلَعَ إِلَيْهِ ، مِنْ قَوْلِكَ : بَتَلْتُ الشَّيْءَ ، إِذَا قَطَعْتَهُ . (١٩٤)

الطَّبْرِيُّ : وَانْطَلَعَ إِلَيْهِ انْطِطَاعًا لِحَوَائِجِكَ وَعِبَادَتِكَ ، دُونَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ غَيْرِهِ . (١٣٢ : ٢٩)

الزَّجْجَاجُ : سَمِعِي (تَبَيَّلَ إِلَيْهِ) انْطَلَعَ إِلَيْهِ فِي الْعِبَادَةِ . (٢٤١ : ٥)

يَقْطَعُونَهُ : أَيِ لِنَفْسِهِ لَهُ فِي طَاعَتِهِ ، وَأَمَّا هَذَا فَالزَّجْجَاجُ عِنْدَ الْعَرَبِ : التَّفَرُّدُ . (الْمَرْوِيُّ ١ : ١٢٥)

الْقُتَيِّ : رَفَعَ الْبَدِينُ وَتَحَرَّيَكَ السَّبَابِيحِينَ . (٣٩٢ : ٢)

الطُّوسِيُّ : أَيِ انْطَلَعَ إِلَيْهِ لِنِطَاطًا ، فَالتَّبَيَّلُ : الانْطِطَاعُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَمِنْهُ مَرِيَمُ الْبَتُولُ وَلِطَاطَةُ الْبَتُولِ ، لَانْطِطَاعِ مَرِيَمَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَانْطِطَاعِ طَاطَمَةَ عَنِ الْقَرِينِ ، [ثم استشهد بشعر]

وقيل : الانْطِطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَأْمِيلُ الْخَيْرِ مِنْ جِهَتِهِ دُونَ غَيْرِهِ ، وَجَاءَ الْمَصْدَرُ عَلَى غَيْرِ الْفِعْلِ ، كَمَا قَالَ : «وَاللَّهُ أَنْتَبِثَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نِثَاثًا» نوح : ١٧ ، وقيل : تَحْدِيرُهُ : تَسَبُّلُ نَفْسِكَ إِلَيْهِ تَبَيَّلًا ، فَوْقَ الْمَصْدَرِ مَوْضِعَ مَقَارِبِهِ . (١٦٤ : ١٠)

الْمَاوُزِيُّ : تَضَرَّعَ إِلَيْهِ تَضَرُّعًا . (١٢٨ : ٦)

الرَّاضِبُ : أَيِ انْطَلَعَ فِي الْعِبَادَةِ وَإِخْلَاصِ النِّيَّةِ انْطِطَاعًا يَخْتَصِرُ بِهِ ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ بِقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ : «قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ» الأنعام : ٩١ .

وليس هذا منافيًا لقوله عليه الصلاة والسلام : «لَا رَهَابَ وَلَا تَبَيَّلَ فِي الْإِسْلَامِ» فَإِنَّ «التَّبَيَّلَ» هَاهُنَا هُوَ الانْطِطَاعُ عَنِ النِّكَاحِ ، وَمِنْهُ قَبِلَ لِمَرِيَمَ الْقُدْرَاءُ : الْبَتُولُ ، أَيِ الْمُنْتَظَمَةُ عَنِ الرِّجَالِ .

والانْطِطَاعُ عَنِ النِّكَاحِ وَالرَّغْبَةِ عَنْهُ مَحْظُورٌ لِقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ : «وَأَنْتَبِهُوا الْإِنْسَانِي مِنْكُمْ» النور : ٣٢ ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «تَاكُحُوا تَكْشُرُوا فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْأُمَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

ونحلة تَبَيَّلَ إِذَا تَفَرَّدَ عَنْهَا صَغِيرَةٌ سَعَاءً . (٣٦١ : ١) الزَّمْخَشَرِيُّ : انْطَلَعَ إِلَيْهِ ، فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ قَبِلَ ؟ (تَبَيَّلًا) ؟

قلت : لِأَنِّي سَمِعْتُ (تَبَيَّلَ) يُقَالُ تَفَلَّدَ فَجِيءَ بِهِ عَلَى مَعْنَاءِ ، مَرَاهَا لِحَقِّ التَّوَاصُلِ . (١٧٧ : ٤)

ابن حَطَّيَّةٌ : انْطَلَعَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْهُ ، وَأَمْرَعُ إِلَيْهِ . (وَتَبَيَّلًا) مَصْدَرٌ عَلَى غَيْرِ الْمَصْدَرِ . (٣٨٨ : ٥) الطَّبْرِيُّ : كَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ : «تَبَيَّلًا» لِأَنَّ الْمُرَادَ : بِقُلْتُكَ اللَّهُ مِنَ الْخَلْقِ وَاحْطِفَاكَ لِنَفْسِهِ تَبَيَّلًا ، فَتَبَيَّلَ أَنْتَ أَيْضًا إِلَيْهِ . وَقِيلَ : إِنَّمَا قَالَ : (تَبَيَّلًا) لِطَبَاقِ أَوَاخِرِ آيَاتِ السُّورَةِ . (٣٧٩ : ٥)

أَبُو الْبَرَكَاتِ : (تَبَيَّلًا) مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ ، وَهَذَا الْمَصْدَرُ غَيْرُ جَارٍ عَلَى فِعْلِهِ ، لِأَنَّ (تَبَيَّلًا) تَفْعِيلٌ ، وَتَفْعِيلُ إِنَّمَا يَجِيءُ فِي مَصْدَرٍ «فَعَّلَ» كَقَوْلِهِمْ : رَوَّيْتُ تَرْتِيلًا ،

(٤٦٩ : ٢)

الفخر الرازي : فيه مسألتان :

المسألة الأولى : اعلم أن جميع المفسرين فسروا «التَّبَتُّلَ» بالإخلاص ، وأصل التَّبَتُّل في اللغة : القطع . [وقد نقل كلام الخليل وزيد بن أسلم والقراء ثم قال :] واعلم أن معنى الآية فوق ما قاله هؤلاء الظاهريون ، لأن قوله : (وَتَبَتَّلْ) أي انقطع عن كل ما سواه إليه . فالمشغول بطلب الآخرة غير مُتَبَتِّل إلى الله تعالى ، بل المُتَبَتِّل إلى الآخرة ، والمشغول بعبادة الله مُتَبَتِّل إلى العبادة لإلإله . والطالب لمعرفة الله مُتَبَتِّل إلى معرفة الله لإلإله .

فن أثر العبادة لنفس العبادة أو لطلب الثواب أو لصير متبعًا كاملاً بتلك اليهودية ، فهو مُتَبَتِّل إلى غير الله ، ومن أثر العرفان للعرفان فهو مُتَبَتِّل إلى العرفان ومن أثر اليهودية لليهودية بل للمعبود ، وأثر العرفان للعرفان بل للمعروف ، فقد خاضر تحت رحمة الوصول .

وهذا مقام لا يشرحه المقال ولا يعبر عنه الخيال ، ومن أراد فليكن من الواصلين إلى الصين دون السامعين للأثر .

ولا يجيد الإنسان لهذا مثالاً إلا عند المشق الشديد ، إذا مرض البدن بسببه وانحبست القوى وطمعت العيان وزالت الأغراض بالكآبة وانقطعت النفس عما سوى المشوق بالكآبة ، فهناك يظهر الفرق بين التَّبَتُّل إلى المشوق وبين التَّبَتُّل إلى رؤية المشوق .

المسألة الثانية : الواجب أن يقال : وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَتُّلاً ، أو يقال : تَبَتَّلْ نفسك إليه تَبَتُّلاً ، لكنه تعالى لم

يذكرها .

واختار هذه العبارة للذكينة ، وهي أن المقصود بالتَّبَتُّل إنما هو «التَّبَتُّل» فأتينا «التَّبَتُّل» فهو تصرف ، والمشتغل بالتصرف لا يكون مُتَبَتِّلاً إلى الله ، لأن المشتغل بغير الله لا يكون منقطعاً إلى الله .

إلا أنه لا بد أولاً من التَّبَتُّل حتى يحصل التَّبَتُّل ، كما قال تعالى : (وَالَّذِينَ جَاءَهُدُوا قِبَلَنَا فَكَبَّرْتَهُمْ سُيُوفَنَا وَالْكَفُورَ : ٦٩) ، فذكر «التَّبَتُّل» أولاً إشعاراً بأنه المقصود بالذات ، وذكر «التَّبَتُّل» ثانياً إشعاراً بأنه لا بد منه ، ولكنه مقصود بالعرض .

واعلم أنه تعالى لما أمر بالذكر أولاً ثم بالتَّبَتُّل ثانياً ذكر السبب فيه ، فقال تعالى : (وَرَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ الْغُورِ) ، لأنَّ الغور لا يله إلا هو فالتَّوَكُّلُ وَجِبَالُ الْمَزْتَل : ٩ ، وفيه

حصول المحبة ، والمحبة لا تلحق إلا بالله تعالى ، وذلك لأن سبب المحبة إتقان الكمال وإتقان التكامل .

أما الكمال فلأن الكمال محبوب لذاته ، إذ من المعلوم أنه يمتنع أن يكون كل شيء إنما كان محبوباً لأجل شيء آخر وإلا لزم التَّسْلُسل ، فإذا لا بد من الانتهاء إلى ما يكون محبوباً لذاته ، والكمال محبوب لذاته .

فإن من اعتقد أن فلاناً الذي كان قبل هذا بألف سنة كان موصوفاً بعلم أزيد من علم سائر الناس ، عال طبعه إليه وأحبه ، شاء ، أم أبى ، ومن اعتقد في رُسم أنه كان موصوفاً بشجاعة زائدة على شجاعة سائر الناس أحبه ، شاء ، أم أبى ، فسلمنا أن الكمال محبوب لذاته ، وكما

الكمال لله تعالى، فإله تعالى محبوب لذاته، فن لم يحصل في قلبه محبة كان ذلك لعدم علمه بكماله.

وأما التكميل فهو أن الجواد محبوب، والجواد المطلق هو الله تعالى، فالمحبوب المطلق هو الله تعالى. والتبطل المطلق لا يمكن أن يحصل إلا إلى الله تعالى، لأن الكمال المطلق له، والتكميل المطلق منه، فوجب أن لا يكون التبطل المطلق إلا إليه.

وإعلم أن التبطل الحاصل إليه بسبب كونه مبدأ للتكميل مقدم على التبطل الحاصل إليه بسبب كونه كاملاً في ذاته، لأن الإنسان في مبدأ التبر يكون طائفاً للمحبة، فيكون تبطله إلى الله تعالى بسبب كونه مبدأ للتكميل والإحسان، ثم في آخر التبر يترقى من طلب المحبة كما يتبين من أنه يصير طائفاً للمعروف لا للمرفوض، فيتبطله في هذه الحالة بسبب كونه كاملاً.

فأوله: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ﴾، فالتبطل في هذه الحالة الأولى التي هي أول درجات المتبطلين، وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إشارة إلى الحالة الثانية التي هي منتهى درجات المتبطلين ومنتهى إقدام الصديقين، فسيحان من له تحت كل كلمة سرٌ عني.

ثم وراء هاتين الحالتين مقام آخر، وهو مقام التكميل، وهو أن يرفع الاختيار من البين، ويخوض الأمر بالكلية إليه، فإن أراد الحق به أن يجعله مستتبلاً رضي بالتبطل لامن حيث إنه هو، بل من حيث إنه مراد الحق، وإن أراد به عدم التبطل رضي بعدم التبطل لامن حيث إنه عدم التبطل، بل من حيث إنه مراد الحق، وهاتين آخر الدرجات، وقوله: ﴿فَسَاخِذٌ وَكَبِيلٌ﴾

المزمل: ٩، إشارة إلى هذه الحالة.

فهذا ما جرى به القلم في تفسير هذه الآية، وفي الزوايا خبايا، ومن أسرار هذه الآية بقايا ﴿وَلَوْ أَنَّ مَنَافِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَلْحُرِّ مَا نَكِدْتَ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ لقمان: ٢٧. (٣٠: ١٧٨) النَّسْفِي، (وَتَبْطُلُ إِلَيْهِ) انقطع إلى عبادته عن كل شيء، والتبطل: الانقطاع إلى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره.

وقيل: رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله (تبتلاً) في اختلاف المصدر زيادة تأكيد، أي بتلك الله تبطل تبتلاً، أو جيء به مراعاة لحق الفواصل.

(٤: ٣٠٤) التيسابوتي: التبطل إليه، وهو الانقطاع إلى الله بالكلية - والتبطل: القطع - الأول مقام السالك، والثاني مقام الصالح، فالأول كالآخر والثاني كالسالكين.

وأما لم يقل: وتبطل نفسك إليه تبتلاً، لأن المقصود بالذات هو التبطل، فيبين أولاً ما هو المقصود، ثم أشار أخيراً إلى سببه تأكيداً، مع رعاية الفاضلة. (٢٩: ٧٨) البُرُوسوي: التبطل: الانقطاع، والتبطل: الإعراض عن الدنيا، والمضي وانقطع إلى ربك انقطاعاً تاماً بالمعبادة وإخلاص النية والتوجه الكلي، كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ الأنعام: ٩١، [ثم نقل قول للراغب إلى أن قال:]

وأما إطلاقي «التبطل» على فاطمة الزهراء رضي الله عنها فلكونها شبيهة بمسيحة نساء بني إسرائيل في الانقطاع عما سوى الله، لاعن التكاح.

وقيل: «تَبَيَّنَ» مكان (تَبَيَّنَ) لأنَّ معنى تَبَيَّنَ: بَيَّنَّ، تَبَيَّنَ، تَبَيَّنَ، فُجِّيءَ به على معناه مراعاةً لحقِّ الفواصل، لأنَّ حفظ القرآن من حسن النظم والرِّصف فوق كلِّ حفظ.

وقال بعضهم: لما لم يكن الانقطاع الكليُّ إلى تجريد الشيء **من** نفسه عن العوائق الصَّادئة عن مراقبة الله وقطع العلائق بما سواه. قيل: (تَبَيَّنَ) مكان «تَبَيَّنَ» فيكون النظم من قبيل الاحتمال^(١)، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ غَافِلِينَ﴾ نوح: ١٧، على وجه، وهو أنَّ التقدير: أنبئكم منها إنباءً فَبَيَّنَ نَبَأًا.

وكذا التقدير هاهنا: أي تَبَيَّنَ إليه تَبَيَّنًا يُشَلِّكُهَا سِوَاهُ تَبَيَّنًا، والأنسب يُشَلِّكُهَا رَبُّكَ تَبَيَّنًا فَإِنَّ «التَّبَيَّنَ» فعل الله فلا يحصل للمبدِّ إلا بما ورثه.

وفي «التَّأْوِيلَاتِ التَّجْمِيَّةِ»: وأذكر اسم ربك، بختك، صفاتك وأعمالك، وتَبَيَّنَ، إليه تَبَيَّنًا بِنَاءً فَاتَكَ وَبَقَاءَ ذَاتِهِ.

ثمَّ إِنَّ التَّبَيَّنَ يكون من «الدُّنْيَا» إنباءً ظاهرًا فقط، فهو مذموم كبعض المُنَافَةِ السُّرَّةِ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الضُّعْفَ فِي ظَوَاهِرِهِمْ، وَأَبْطَنُوا الْفُرْصَ فِي ضَمَائِهِمْ.

وإنَّما بَاطِنًا فقط، وهو مدح كالأغنياء من الأنبياء والأولياء **عليهم السلام**، فَإِنَّهُمْ انْقَطَعُوا عَنِ الدُّنْيَا بَاطِنًا، إِذْ لَيْسَ فِيهِمْ حَبٌّ الدُّنْيَا أَصْلًا. وَإِنَّمَا لَمْ يَسْتَظْعِمُوا ظَاهِرًا، لِأَنَّ إِرَادَتِهِمْ نَاجِمَةٌ لِإِرَادَةِ اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَرَادَ مُلْكَهُمْ وَدَوْلَتَهُمْ، كَسَلِيَّانَ وَيُوسُفَ وَدُلُودَ وَأَيُّوبَ وَالْإِسْكَانْدَرَ وَغَيْرَهُمْ **عليهم السلام**.

وإنَّما ظَاهِرًا وَبَاطِنًا كَأَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ. وَقَدْ يَكُونُ التَّبَيَّنُ مِنَ «الْمَخْلُوقِ» إِنَّمَا ظَاهِرًا فَقَطْ.

كَبَيَّنَ بَعْضَ الْمَصْنُوعَةِ فِي كُلِّ الْجِبَالِ وَأَجْوَافِ الْمَغَارَاتِ، لِيَجْذِبَ الْقُلُوبَ وَجَلِبَ الْهَدَايَا.

وإنَّما بَاطِنًا لَظَاهِرًا، كَأَهْلِ الْإِرْشَادِ وَهُمْ عَائِدَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَبَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ، إِذْ لَا يَدَّ فِي إِرْشَادِ الْمَخْلُوقِ مِنْ هَاطِلَتِهِمْ.

وإنَّما ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، كِبَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ اخْتَارُوا الْفِرْلَةَ وَسَكَنُوا فِي الْمَوَاضِعِ الْخَالِيَةِ عَنِ النَّاسِ.

قال بعضهم: السُّلُوكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَكُونُ بِالتَّبَيَّنِ، وَمَعْنَاهُ الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ بِمِلَازِمَةِ الذِّكْرِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ غَيْرِهِ، بِمُخَالَفَةِ الْهَوَى. وَهَذَا هُوَ السُّلُوكُ بِالْمَعْرُكَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ مِنْ جَانِبِ الْمَسَافِرِ إِلَى جَانِبِ الْمَسَافِرِ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ **عزَّ وجلَّ** مُرْتَبِعًا إِلَى الْعَبْدِ مِنْ حَيْثُ التَّوَرُّدِ.

فَإِنَّ سَالِ الْغَالِبِ وَالْمَطْلُوبِ مِثَالِ صُورَةِ حَاضِرَةٍ مَعَ مَرَّةٍ، لَكِنْ لَا تَجْعَلِي فِيهَا لَصْدًا فِي وَجْهِهَا، فَتَقِي صِفَتَهَا **عزَّ وجلَّ** لَهَا تَحَالُ الصُّورَةِ، لَا يَارْتَحَالُ الصُّورَةُ إِلَيْهَا وَلَا يَجْرِكُهَا إِلَى جَانِبِ الصُّورَةِ، وَلَكِنْ يَزُولُ الْمُجَابِبُ، فَالْمُجَابِبُ فِي عَيْنِ الْعَبْدِ وَالْأَفَالَهُ مُتَجَلٍّ بِنُورِهِ خَيْرٌ غَنِيٍّ عَلَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ، وَإِنْ كَانَ فَرْقٌ بَيْنَ تَجَلٍّ وَتَجَلٍّ بِحَسَبِ الْخَلِّ.

فَتَجَلِّيُ الْعَائِدَةِ كَتَجَلِّيِ صُورَةٍ وَاحِدَةٍ فِي مَرَايَا كَثِيرَةٍ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، وَتَجَلِّيُ الْخَاصَّةِ كَتَجَلِّيِ صُورَةٍ وَاحِدَةٍ فِي مَرَاةٍ وَاحِدَةٍ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ **عزَّ وجلَّ**: «إِلَى مَعَ اللَّهِ وَقْتُ» إِذْ لَا يَحْتَجُّ أَنْ التَّجَلِّيُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عِلَاصُومٌ بِهِ **عزَّ وجلَّ** لَا يَزِيدُهُ غَيْرُهُ فِيهِ.

يَقُولُ الْفَقِيرُ: إِنَّ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِشْكَالًا، وَهُوَ أَنَّ **عزَّ وجلَّ** إِذَا كَانَ مُسْتَعْرِقُ الْأَوْقَاتِ فِي الذِّكْرِ، فَاتَمَّ الْانْقِطَاعُ إِلَى

الله - على ما أفاده الآيتان - فكيف يتأتى له السُّج في
النَّهَار، على ما ألصَّح عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ
تَبَاتًا طَوِيلًا﴾ المزمِّل: ٧، وأعلَّ جوابه من وجوه:

الأول: إن الأمر بالذكر الدائم والانتطاع الكلي من باب الترقى من الرخصة إلى العزيمة. كما يقتضيه شأن الأكمال.

والثاني: إن الشَّيْخَ فِي النَّهَارِ لَيْسَ مِنْ قِبَلِ الْوَاجِبِ،
فَلَهُ أَنْ يَخْتَارَ التَّوَكُّلَ عَلَى النَّعْلِ، وَهُوَ مَشْرُوعٌ
الْأَوْقَاتِ بِالدَّكْرِ.

والثالث: إن الشغل الظاهر لا يقطع الكسل عن مراقبته تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَرِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ مِيقَاتِ الصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ﴾ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الماعز: ٢٣.

والزجاج : إن ذلك بحسب اختلاف الأحوال
والأشخاص ، لمن مشتق ومن فاعل ، وفي الخبر
بالمرام . (١٠ : ٢١١)

الْعُصَاطِبَانِيَّ، فَسَرَّ «التَّبَتُّلُ» بِالْإِنْطِطَاعِ، أَيْ
وَانْطِطَعَ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَمِّهِ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
«التَّبَتُّلُ» رَفَعَ الْيَدَ إِلَى اللَّهِ وَالتَّضَرَّعَ إِلَيْهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى
أَنْسَبَ بِنَاءً عَلَى حَمْلِ الذِّكْرِ عَلَى الذِّكْرِ الْفُطُوحِيِّ، كَمَا تَقَدَّمَ.
(وَتَبَيُّلاً) مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ ظَاهِرًا، وَكَانَ مُقْتَضًى
الظَّاهِرُ أَنْ يَقَالَ: وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبَتُّلاً، فَالْمَدْرُورُ إِلَى التَّبَتُّلِ
قَوْلٌ: لِتَضْمِينِ تَبَتَّلَ مَعْنَى «هَبَّتَلَ» وَالْمَعْنَى وَقَطَعَ نَفْسَكَ مِنْ
غَيْرِهِ إِلَيْهِ تَطْطِيعًا، أَوْ أَحْمَلَ نَفْسَكَ عَلَى رَفْعِ الْيَدِ إِلَيْهِ
وَالْتَضَرَّعَ حَمَلًا، وَقِيلَ: لِمُرَاعَاةِ التَّوَاضُعِ. (٢٠: ٢٦٥)
عَبْدُ الْكَرِيمِ الْخَطِيبُ: التَّبَتُّلُ: الْإِنْطِطَاعُ،

وَالْبَيْتُ: الْقَطْعُ. وَمِنْهُ الْبُتُولُ، وَهِيَ الَّتِي انْقَطَعَتْ عَنِ الدُّنْيَا وَشَوَاعِلِهَا بِعِبَادَةِ اللَّهِ.

ومنى التَّهَلُّ إلى الله: الانقطاع إليه، وتوجيهه العقل
والقلب إليه جميعاً، دون الصفات إلى غيره.

وهذا هو شأنه صلوات الله وسلامه عليه، فكل
وجوده لله: كلامه وخطوه، وقيامه، وقعوده، ونومه،
وبقائه.

وليس «التبخل» هنا معناه الزهيدة، والامتناع عن الحياة، وإنما هو العمل لله وحده في مُتَرَك الحياة، بمعنى أن تكون أعمال النبي وجهاده بالقول وبالسيف، مراد بها وجه الله وحده، مَرُوءاً عن كلِّ مطلب من مطالب الحياة الدنيا، ومجاهداً لكلِّ حظٍّ من حظوظ النفس، إلا ما يمسك الأئود، ويحفظ الحياة.

(١٢٥٦: ١٥)

المُصْطَفَوِيَّ، جاء المصدر من «التفصيل» فإِنَّ
 الْمُنَى فِي الْمُنَى تَفْصِيلٌ، أي الانتطاع عن خير الله
 تعالى والتوجه خالصاً إليه، وهذا معنى إِبَالَةِ الثَّرَى عن
 الثمر إلى الله تعالى.

فالتَّجْمِيرُ في مرحلة الابتداء بالتَّجَلُّلِ ، وهو الانقطاع
 الصَّرف وحصوله من جانب السَّائِلِ ، وتحقيق هذا المعنى
 فيه في التَّوَاتُعِ تُوكَّدُ وأُظْفِرُ من كلمة «التَّجْمِيلِ» الدَّالَّةُ على
 تحصيل معنى الانقطاع ، كما أنَّ التَّجْمِيرَ بِ«التَّجْمِيلِ» في
 المرحلة الثَّانِيَةِ وبعد تحقيق الانقطاع أظْفِرُ ونَسَبُ ،
 من جهة دلالة على السَّيْرِ والتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ تَعَالَى .

فأَجْبَلَ مَنْبُوبٌ إِلَى الشَّخْصِ الْمَالِكِ، وَالتَّجَبَّلَ
بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْتَهَى السُّلُوكِ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى. أَيْ تَجَبَّلًا
إِلَيْهِ. (١٩٥:١)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: القطع، يقال: بَطَّطَ الشيء، أَبْطَلَهُ وَأَبْطَلَهُ بَطْلًا، فانبطل: قطعت، وكذا بَطَّلَهُ تَهْلِيلًا فَبَطَّلَ.

وانشق من القبيلة تُطْعَم من الأم، ففُتِرَس في الأرض، وحيث تستنهي منها، وهي البثول والبثيل والبهيلة، وقد انبثلت من أمها وتبثلت واستبثت، والأم مُبْثِل ومُبْثِلَة.

ثم استعير هذا المعنى في المصو المكسر اللحم، وهو البهيلة، وفي المرأة الهسيلة الثامنة الأعضاء والمخلق، وهي المُبْثِل والمُبْثِلَة، ويقال أيضًا: جل مُبْثِل، وثاقه مُبْثِلَة ومن الهزاز قولهم للمرأة الطهفة التي تحزف من التكاخ: البثول، ويقال ذلك أيضًا للقدراء، وللحظوظ إلى الله من الدنيا، وهو التَبْثِل، ومنه: الزلعب التَبْثِل. ولذا أطلق ذلك على مريم، لانقطاعها إلى العبادة، وكذا فاطمة عليها السلام، لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة، عفاً وفضلاً ودينًا وحسناً، كما قال قطب.

ومن هنا الباب أيضًا قولهم: أعطيته بَطًّا بَطْلًا، أي طاء منقطع الظير، وطلق المرأة بَتَّة بَتْلَة، أي طلاقاً لا رجعة فيه، وسلف على يمين بكة بطة، أي يمين صادقة قاطعة، ومرّ على بتيلة ومنبتلة من رأيه، أي عزيمه قاطعة لا ترد، وانبتل في السير، أي مضى وجنّ.

٢- وتبثّل مطاوع بَثْل، مثل: كسرتَه فتكسّر، وهو التضمرع إلى الله، أخذ من قولهم: نخل مبثّل، أي نخل قد تدبّت عذوقه. وقيل: التَبْثِل: ترك التكاح، وهو مشتق من تبثّل القبيلة، أي انقطاعها عن أمها واستغناؤها

عنها، ثم استعمل في الانقطاع إلى الله تعالى.

إلا أن المعنى الأول أرجح، لأن المبثّل حينما يضمرع إلى الله ويظلمن، وينقطع إليه ويتفرّد به، إذ كلّ خاضع لله منقطع إليه، وليس العكس كذلك، فشبه المبثّل إلى الله بالثغلة التي تدبّت حلوقها، فهو يدبّي رأسه وطأطئه تضمرعاً إليه، ولذا قيل لمن يفصل ذلك: حقر خذّه، وليس ثمت تخيير إذ ذاك.

الاستعمال القرآني

١- جاء من هذه المادة لفظان في آية واحدة: ﴿وَالذِّكْرُ لَكُمْ وَالتَّبَثُّلُ إِلَيْهِ تَبْثِيلًا﴾، ولفظ (تَبْثِيلًا) فيها مصدر مغاير للفعل «تبثّل»؛ إذ الأصل فيه «تبثّل» أو «بثّل إليه تَبْثِيلًا» وقد وجّه المفسرون هذا التفسير بوجهين، الأول: لأنه روي هذه السورة لام تعقبها ألف غالباً، مثل: قليلاً، تربيلاً، نقيلاً، طويلاً، وكيلاً، جيلاً، وغيرها.

والثاني: أن اختلاف المصدر يدلّ على زيادة تأكيد معنى، والتقدير: بتلك الله هما سواء، فبثّل إليه تَبْثِيلًا، والحق أن لكلا القولين وجهها وجيبها، إلا أن القول الثاني - كما يبدو - أوجه من الأول، لأن (تبثّل) مطاوع «بثّل» كما ذكرنا آنفاً، فكأن الله تعالى حين بَثَّلَ النبي صلى الله عليه وسلم عما سواه من الخلق، طأطأه في ذلك بَبْثِلَة إليه، ونصب المصدر (تَبْثِيلًا) على المفعولية المطلقة بالقول المقدر «بثّل».

٢- كما اختلفوا أيضًا في حالة فالتبكل على أقوال،

منها: الإشارة بإصبع واحدة في الدعاء، وخص بعضهم
الستابة اليسرى، أو رفع اليد أو قلبها، أو رفع كلتا
اليدين في الصلاة خاصة.

ولاشك أن ما ذكر ليس بتبطل، وإنما حالات تتاب

من يتبكل إلى الله، فتصدر عنه دون عزم، ودون احتاد
حالة واحدة فيلزمها، وهذا شأن من ابتلي بمحدث
النفس عندما يحتلي.

٣- في الآية منهج تربوي للتأثر إلى الله. يعرض

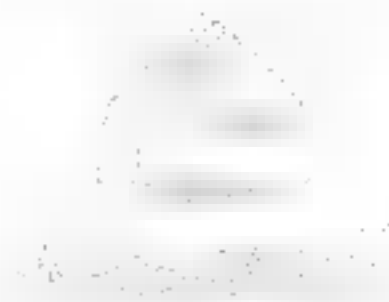
ثلاث مراحل:

أ- ذكر الله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، وهو كالمرساة

للتفتة، حينما تكتسبها الأعمى، فترسو بها وتثبت، إذ
الذكر يطمئن قلب السائر، عندما تتوره زوابع الضلال،
كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ
أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨.

ب- التبكل عما سوى الله: وهذا يحتاج إلى توفيق
من الله، فهو كراكب التفتة حينما يتوسط لجة البحر،
حيث لا مفر إلا إليه: ﴿وَلِذَا ضَلَلْتُمْ فِي الضُّلَّةِ فَاتَّبِعُوا
مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ الإسراء: ٦٧.

ج- التهنك إليه: ﴿وَتَبْتَكَ إِلَى اللَّهِ تَتَّبِعُ﴾، يحللي
القياد له حلقًا، يتقاد حينما قاده، كالفتنة حينما تقاد
بالقد.



ب ث ث

٦ ألفاظ . ٩ مرات : ٧ مكتبة ، ٢ مدنية

في ٩ سور : ٧ مكتبة ، ٢ مدنية

الأصمعي : قرأ بث ، إذا كان متورداً متفرقاً بعضه

(المجهرى ١ : ٢٧٢)

أبو حنيفة ، وفي حديث أم زرع : لا يبول الكفت

(يعلم البث).

بث ٢ : ٢-٢ : ١ : ١ : ١

بث ١ : ١ : ١ : ١ : ١

السبوت ١ : ١ : ١ : ١ : ١

أرى أنه كان يجدها صيب ، أي لا يدخل يده فيص

ذلك الصيب ، تصفه بالكرم . (الأزهرى ١٥ : ٦٨)

ابن الأعرابي : [في حديث أم زرع : لا يبول ...]

هذا ذم لزوجها ، إنما أرادته إذا رقد الثقب في ناحية ولم

يحتاجني ، فبئس ما عتدي من محبتي ، لقربه ، ولا بث

حناك إلا محبتها الدنوة من زوجها . فسمت ذلك بكاء . لأن

البث من جهته يكون . (الأزهرى ١٥ : ٦٨)

قرأ بث ، أي متفرق لم يجمعه كثر ، وبثت الطعام

والسفر ، إذا قلبته وألقيت بعضه على بعض . وبثت

الحديث ، أي نشرته . (ابن فارس ١ : ١٧٢)

النصوص اللغوية

الحليل : بث الشيء : تفرقه . وبثت الشيء

والفقر : نشرته ، وبثت شئيه أيضاً .

يقال : بث الخيل في النار ، وبث الكلاب كلابه على

الصيد . (٨ : ٢١٧)

الليث : [نحو الخيل وأضاف:]

وعلق الله الملقى فيهم في الأرض .

وبثت البسط ، إذا بسطت ، قال الله تعالى : ﴿وَوَرَايَ

مَبْثُوثَةٍ﴾ الفاشية : ١٦ . (الأزهرى ١٥ : ٦٧)

أبو زيد : يقال : أثبت فلان شقوره^(١) وفشوره إلى

فلان : أثبت إبنائنا . (ابن فارس ١ : ١٧٢)

ابن قتيبة: البت: أشد الحزن، محي بذلك، لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يمته، أي يشكو. (٢٢٢) مثله أبو حيان. (تحفة الأريب: ٤٣)
ابن أبي اليمان، والبت: الحزن، والبت: إشاعة السر، والبت: كذلك. (٢٢٦)
ابن دريد: بت الخيل يمتها بئاً، إذا فرغها، وكل شيء فرقه فقد بتمته، وفي التثزيل: «كألفراش السهوي» القارة: ٤.

وانبت الجراد في الأرض، أي ترقى.

ويقال: تمز بت، إذا لم يجد كثره حتى يترق.

وتقول: بتمته سرى وأبتمته، إذا أطلعت عليه.

والبت: ما يجده الرجل في نفسه من كرم أو غم.

وسه قول الله عز وجل: «أئنسا لشكوا بئى وعزنى إلى الله» يوسف: ٨٦.

نحوه الطوسي. (٥٨: ٢)

القالي: البت: أشد الحزن، قال الله تعالى: «أئنسا

أشكوا بئى وعزنى إلى الله» يوسف: ٨٦.

(ذيل الأمالي: ١٤٢)

الأزهري: البت: الحزن الذي يفضي به إلى

صاحبه.

يقال: أبتمت فلاناً سرى، بالالف، إماتاً، أي أطلعت

عليه.

وبتم الشيء أبتمه، إذا فرقه.

وبتمت الأمر، إذا قسنت عنه، وتخرته.

وفي بعض الحديث: فلما حضر اليهودي الموت قال:

بتموه، أي كتموه. وهو من: بتمت الأمر، إذا أظهرته.

والأصل فيه «بتموه» فأبدلوا من التاء اللوسطى باءاً، استقلالاً لاجتماع ثلاث تاءات، كما قالوا في «حتمت»: حتمت.

وفي حديث أم ذرع: «لا يبرح الكف ليعلم البت». قال أحمد بن حنبل، أرادت أنه لا يصفد أموري ومعالج أسابي، وهو كقولهم: ما أدخل يدي في هذا الأمر، أي لا أتقده. (٦٨: ١٥)

الصاحب: بت الشيء، بتمت بئاً، إذا فرقه، وبتموا الخيل والقارة.

وتمز بت.

والبت: الشكوى للحزن.

وأبتمته سرى: أطلعت له.

وبتمت المستاع: إذا قبلته وبتمته، والرجل: إذا كشفته وخبرته ما حده.

وحبرته فوق بتمتاً، تمسكاً عليه. (١٣٢: ١٠)

الجوهري: بت الخبر وأبتمه بتمت، أي نشره. يقال:

أبتمت سرى، أي أظهرته لك، وبتمت الخبر، شدد

للبالغة، فأنبت، أي انتشر.

وتمز بت، إذا لم يجد كثره.

وهو كقولهم: ماء غور.

والبت: الحال والحزن.

يقال: أبتمت، أي أظهرت لك بئى.

وبتمت الخبر بتمتاً: نشرته، وكذلك القهار،

إذا حجبته. (٢٧٣: ١)

ابن فارس: الباء والتاء أصل واحد، وهو تفرق

للفي وإظهاره، يقال: بتموا الخيل في العارة، وبتمت

الصِّيَاد كِلَاهِهِ حُلِيَ الصَّيْدُ. [ثم استشهد بشعر]

وَاللهُ تَعَالَى خَلَقَ لِلْمَلَأَى وَيَتَمُّ فِي الْأَرْضِ لِمَا تَسْمِعُ.

وَإِذَا بَسَطَ الْمَتَاعَ يَنَاحِي الْبَيْتَ وَالذِّكْرَ فَهُوَ مَبْنُوثٌ.

[وقال بعد قول ابن الأعرابي:]

وَأَمَّا الْبَيْتُ مِنَ الْحُزْنِ فَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا، لِأَنَّهُ حَيْثُ

يُسْتَكَى وَيُبَيَّن وَيُظْهَرُ. [ثم قال بعد قول أبي زيد:]

وَالْإِبْتِاتُ أَنْ يَشْكُو إِلَيْهِ فَقَرُّهُ وَضَيْعَتُهُ. [ثم استشهد

بشعر]

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ لِرِجُلِهَا: «وَاللهُ لَقَدْ أَطْعَمَكَ مَا دُمِي.

وَأَبْتَنَكَ مَكْتُومِي، بِأَهْلًا خَيْرَ ذَاتِ حِرَارَةٍ». (١: ١٧٢)

أَبُو هِلَالٍ: الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِكَ: فَرْقَهُ وَبَيْنَ قَوْلِكَ: بَيْتَهُ.

لَنْ تَقُولَ: «فَرْقِي» يَغِيدُ أَنَّهُ بَيْنَ بَيْنَ مَجْتَمِعَيْنِ لِمَا عَدَا،

وَقَوْلِكَ: «بَيْتٌ» يَغِيدُ تَفْرِيقَ أَتْيَاءٍ كَثِيرَةٍ فِي مَوَاضِعٍ

مُتَنَفِّةٍ مُتَبَايِنَةٍ. وَإِذَا فُرِّقَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ لَمْ يَقُلْ: [ثم يفتي]

وَبِالْقُرْآنِ: «وَبَيَّنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ صَافِيَةٍ لِلْبَقَرَةِ: ١٢٩٤

(١٢٩٤)

الْفَرْقُ بَيْنَ الْحُزْنِ وَالْبَيْتِ، أَنْ قَوْلَنَا: الْحُزْنُ يَغِيدُ غِلَظَ

الْهَمِّ. وَقَوْلَنَا: الْبَيْتُ يَغِيدُ أَنَّهُ يَبَيَّنُ وَلَا يَنْكُتُ، مِنْ قَوْلِكَ:

لِيُفَقِّهَ مَا عَدَى وَيُفَقِّهَتْ، إِذَا أَهْلَكَتَهُ إِيَّاهُ.

وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ: كَثْرَةُ التَّفْرِيقِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

«كَأَنَّ الْقُرْآنَ أَلْسِنٌ مُتَكَلِّمَاتٌ» الْقِسَارَةُ: ٤، وَقَالَ تَعَالَى:

«إِنَّمَا أَلْهَكُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَى الْغِي» يَوْسُفُ: ٨٦،

فَعَلَفَ الْبَيْتُ عَلَى الْحُزْنِ لَمَّا بَيَّنَّهَا مِنَ الْفَرْقِ فِي الْمَعْنَى،

وَهُوَ مَا ذَكَرْتَاهُ. (٢٢١)

الْهَزَوِيُّ: الْبَيْتُ: أَشَدُّ الْحُزْنِ، يُجَانُّ النَّاسَ.

وَيَقَالُ لِلشَّيْءِ الْمَضْرُوبِ: بَيْتٌ.

وَيَقَالُ: بَيْتُكَ سَرِيٌّ وَلِبْتُكَ، أَيُّ نَصْرَتِهِ لَكَ.

وَبِالْحَدِيثِ أَمْ دَرَجُ: «زَوْجِي لَا يَبْتَ خَبْرَهُ» أَيُّ

لَا تُنْشِرُهُ، لَقِيحَ آثَارِهِ. [إلى أَنْ قَالَ:]

وَبِالْحَدِيثِ: «وَلَا تُبَيِّنْ حَدِيثَنَا تَبْيِينًا» مَعْنَاهُ

لَا تُبَيِّنْهُ. وَيُرْوَى: «لَا تُنْشِرْ» بِالتَّوْنِ، مَعْنَاهُ قَرِيبٌ مِنَ

الْأَوَّلِ. (١: ١٢٧)

الْمُتَعَالِي: الْبَيْتُ: شِدَّةُ الْحُزْنِ. (٦٨)

الْبَيْتُ: أَشَدُّ الْحُزْنِ. (١٩٠)

ابْنُ سِيدَةَ: بَيْتُ الْحَدِيثِ يُشْفَى بِتَأْوِيلِهِ: أَذَاهُ

وَنَشْرُهُ.

وَأَبَتْ فَلَانَا الْخَبْرَ: أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ.

وَبَيَّنْتُ فَلَانَا الْخَبْرَ: طَلَبْتُ أَنْ يُبَيِّنَهُ لِي.

(الإفصاح ١: ٢٣٧)

الْبَيْتُ: أَشَدُّ الْحُزْنِ الَّذِي لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ فَيَبَيِّنُهُ

(الإفصاح ١: ٦٥٦)

قَرَّبْتُ: مَضْرُوبٌ مَشْرُوعٌ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُكْتَفَرْ لِحَبِي

مَضْرُوبًا، لَا يَلْتَرِقُ بَعْضُهُ بَعْضًا. (الإفصاح ٢: ١١٤٨)

الْبَيْتُ: التَّفْرِيقُ، بَيْتُ الْخَبْرِ يُشْفَى بِتَأْوِيلِهِ وَبَيْتُهُ

وَنَفْسُهُ: نَشْرُهُ وَفَرْقُهُ. وَالتَّوْنُ: حَيْجُهُ، فَانْبَتْ.

(الإفصاح ٢: ١٣٥١)

الطُّوسِيُّ: الْإِبْتِاتُ: افْتِرَاقُ الْأَجْزَاءِ الْكَثِيرَةِ فِي

الْمَجَاهَاتِ الْمُتَنَفِّةِ. (٩: ٤٨٩)

وَالْمَبْنُوثُ: الْمَضْرُوبُ فِي الْمَجَاهَاتِ كَأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى

الَّذِي هَابَ فِيهَا. يَقَالُ: بَيْتُهُ يَبْتُهُ، إِذَا فَرَّقَهُ. وَابْتَنَتْهُ

الْحَدِيثُ، إِذَا أَلْقَيْتَهُ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ فَرْقَتُهُ بِأَنْ جَعَلْتَهُ عِنْدَ

الْبَيْتِ. (١٠: ٣٩٩)

منه الطُّبْرَسِيّ.

(٥: ٥٣٦)

الرَّوَاغِبُ: أصل البَيْتُ: التفرُّيق وإثارة الشيء. كَيْثُ
الريِّح التَّرابُ. وَبَيْتُ النَّفْسِ: ما غلوت عليه من القَسَمِ
والسَّوْرِ، يقال: بَيْتَهُ فَبَاتَتْ، ومنه قوله عز وجل:
﴿فَكَانَتْ حَبَاءً مَنْفُوشًا﴾ [الواقعة: ٦]. (٣٧)

الرَّوَاغِبِيُّ: بجاء الخيل في الغارة، وَبَيْتُ كِلَابِهِ عَلَى
الصَّيْدِ، وخلق الله المخلوق فيهم في الأرض، وَبَيْتُ الْمَتَاعِ
في نواحي البيت، إذا بَطَطَ.

وَبَيْتُ الْبُطْطِ، ﴿وَدَّ زَاوِيًا مَخْفُوفًا﴾ [الناحية: ١٦].
وَبَيْتُ وَبَيْتُ: مفرَّق غير مكنوز، وابتُهِتَ الجسر في
الأرض.

ومن الجواز: بَيْتُهُ مَالِي نَفْسِي أَهْنَهُ، وَأَبَيْتُهُ بَيْتًا
وَبَايْتُهُ سَرِي وَيَاطُنْ أَمْرِي، إِنَّا أَطْلَعْتُهُ عَلَى...
[استشهد بشر]

وكانت بيننا مُبَايَّةٌ وَمُتَابَعَةٌ. وَبَيْتُ الْخَبَرِ فِي الْقَبْرِ: حَبْرٌ
وَبَيْتُهُ وَبَيْتُهُ، وقد ابْتُهِتَ هذا الخبر.

وسمعت من يقول: الزَّوْجُ في القلب على سبيل
الرُّكُزِ، وفي غيره على سبيل الابتات.

(أساس البلاغة: ١٤)

ابن الأثير: ابْتُهِتَ في الأصل: أَشَدُّ الْحُزْنِ، والمرض
الشديد، كأنه من شدته يَبْئُثُهُ صاحبه.

ومن حديث كعب بن مالك رضي الله عنه: «ظلمنا توجته قاطلاً
من توبك حضرتي بتي» أي أَشَدَّ حُزْنِي. (١: ٩٥)

الضَّغَانِي: بَيْتُهُ السَّرُّ مِثْلُ أَبَيْتُهُ، وَبَيْتُهُ
النَّهَارُ، إذا هَبَّتْ، مِثْلُ بَيْتُهُ.

ضربته فوق مَبْشُتًا، أي مَعْشُيًا عليه. (١: ٣٤٩)

الزَّائِي: بَيْتُ الْخَبَرِ مِنْ بَابِ «زَدَ» وَأَبَيْتُهُ بِمَعْنَى
نَشَرَهُ، وَأَبَيْتُهُ سَرَّهُ، أي أَظْهَرَهُ لَهُ، وَابْتُهِتَ: الْحَالُ وَالْحُزْنُ.
(٥٣)

الْقُرْطُبِيُّ: حَقِيقَةُ الْبَيْتِ فِي اللَّغَةِ: مَا يَرُدُّ عَلَى
الْإِنْسَانِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُهْلِكَةِ الَّتِي لَا يَتَبَيَّنُ لَهُ أَنْ يَنْقُصَهَا،
وهو من: بَيْتُهُ، أي فُرْقَتُهُ، فَتَمَّتِ الْمَصِيبَةُ بِنَا بَجَارًا.
[ثم استشهد بشر]

الْقَبُورِيُّ: بَيْتُ اللَّهِ تَعَالَى الْمَخْلُوقُ بِنَا مِنْ بَابِ «قَتَلَ»:
خَلَقَهُمْ، وَبَيْتُ الرَّجُلِ الْحَدِيثُ: إِذَا عَمِدَ وَنَشَرَهُ، وَبَيْتُ
السُّلْطَانِ الْجُنْدُ فِي الْبِلَادِ: نَشَرَهُمْ. (١: ٣٦)

الْفَيَرُوزُ الْهَادِي: بَيْتُ الْخَبَرِ يَبْئُثُهُ وَيَبْئُثُهُ وَأَبَيْتُهُ
وَبَيْتُهُ وَبَيْتُهُ، نَشَرَهُ وَفُرْقَهُ فَابْتُهِتَ. وَبَيْتُهُ السَّرُّ
وَبَيْتُهُ: أَظْهَرَتْهُ لَكَ.

وَبَيْتُ بَيْتُ: مَفْرُقٌ مَشُورٌ.
وَبَيْتُ الْفَارِ وَبَيْتُهُ: هَبَّتْ.

وَبَيْتُ: الْخَبَرُ عَلَيْهِ.
وَبَيْتُ: الْحَالُ، وَأَشَدُّ الْحُزْنِ.

وَابْتُهِتَ إِيَّاهُ: طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَبْئُثَ إِيَّاهُ. (١: ١٦٧)

الطَّرِيعِيُّ: الْمُنْبَتُّ: مَا يَبْئُثُ الْحَبْلَ بِمَنَابِقِهَا مِنْ
النَّجَارِ.

وَالْمَبْتُ: الْمَفْرُقُ، ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَلْفَرَاشٍ
الْمَبْتُوتِ﴾ [القارعة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَزَزَانٍ
مَبْتُوتَةٍ﴾ [الناحية: ١٦].

وفي الحديث: «يَلِيسُ يَبْئُثُ جُنُودَهُ أَي يَفْرَقُهُمْ
وَيُنْشَرُهُمْ، مِنْ بَيْتِ الْحَدِيثِ: إِذَا عَمِدَ وَأَنْشَرَهُ...»

وَبَيْتُ حَاجَتِكَ: أَذْكَرُهَا. (٢: ٣٣٤)

البحراني: قيل: البت: ما أيداه الإنسان،
والخزن: ما غفاه، لأن الخزن مستكن في القلب،
والبت: ما بُت وأظهر.

وكل شيء فرقه فقد بتمقه، ومنه قوله تعالى:
﴿وَبُتُّ بَيْنَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ البقرة: ١٦٤، فالبت: حير
الخزن.

وقيل: ما جُمع، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَفْكُوا بَقِيَّ
وَحَلَّاهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يوسف: ٨٦، من صلف الشيء حل
ورديقه. (٦٥)

مَجْمُوعُ اللَّفْظَةِ: ١- بُتَّ الشَّيْءُ يَبُتُّ - كضرب
ونصر - بُتًا: نشره وفرقه، واسم المفعول مبثوث،
ومؤنثه مبثوثة.

٢- ابْتَثَ: انتشر وتفرق، واسم الفاعل منه: مُبْتَثٌ.

٣- البت: الحال أو النعم أو لئد الخزن. (٦٦: ٥٨)
محمد إسماعيل إبراهيم: بُت الخبر: أذاعه
ونشره، وَبُتَّ الشَّيْءُ: فرقه ونشره، وَبُتَّ الرِّجْعُ النَّهَارُ:
هَيَّجَهُ، وَبُتَّ اللَّهُ الْخَلْقُ: نشرهم وفرقهم في الأرض.
والبِتُّ: النعم الكثير الذي لا يصبر عليه صاحبه.

والمبثوث والمبثث: المنتشر والمترق. (٦٦: ٥٨)
محمود شيت: ١- لَبُتَّ بُتًا: فرقه ونشره، وَبُتَّ
الرَّابِ وَغَيْرُهُ: أثاره وهيجه، وَبُتَّ الْمُتَاعُ فِي نَوَاحِي
الْبَيْتِ: فرقه وبسطه، وَبُتَّ اللَّهُ الْخَلْقَ: نشرهم في
الأرض وأكثرهم، وَبُتَّ الْخَبْرُ: أذاعه، وَبُتَّ السَّرُّ:
أفشاء وأظهره، وَبُتَّ حَاجَتُهُ: ذكرها وأظهرها.

ب- أَبُتُّ: بَقِيَ.

ج- بَأْتُه مَافِي نَفْسِهِ: أَبُتُّه لِنَاء.

د- ابْتَثَ: تفرق وانتشر، فهو مُبْتَثٌ.

ه- ابْتَثَهُ السَّرُّ وَغَيْرُهُ: طلب إليه أن يَكْتُمَهُ.

و- والبِتُّ: الحال، وأشدُّ الخزن الذي لا يصبر عليه

صاحبه فيقه، والمرض الشديد لا يصبر عليه صاحبه.

٢- لَبُتَّ الْبُتُّ فِي الْبِلَادِ: فرقهم ونشرهم لمخط

الأمم أو للسيطرة، وَبُتَّ الْخَبْرُ: نشره وأذاعه.

ب- البِتُّ: الإذاعة، يقال: بُتَّ المرسلات رسائلها:

تذيعها.

وموجات البت: الموجة التي يذيع عليها.

ويُتُّ الجهاز اللاسلكي: يذيع.

والبِتُّ اللاسلكي: الإذاعة. (٦٨: ١١)

الْعَلْفَانِي: هَبَّتْ مَافِي نَفْسِهِ، بَقِيَ مَافِي نَفْسِهِ، أَبُتُّه

الْمَدِينَةِ.

وَيُحْطَنُونَ مِنْ يَحْدَى الْفَعْلِ «بُتَّ» إِلَى مَفْعُولِينَ.

ويقولون: إنه يحدى إلى مفعول واحد، اعتمادًا على قوله

تعالى في الآية الأولى من سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.

واعتمادًا على اكتفاء المصادر الآتية بذكر مفعول به

واحد: معجم ألفاظ القرآن الكريم، والنهاية الذي جاء

فيه: «وفي حديث أم زرع: زوجي لأبُتَّ خبره. أي

لأنشره للبح آثاره والصباح، ومعجم مقاييس اللغة،

ومفردات الرانجيب الأصمغاني، والمختار، والألسان،

والصباح، ومحيط لفظي، والمثن، والوسيط.

ولكن: حدى الفعل «بُتَّ» إلى مفعول به واحد «بُتَّ

مَافِي نَفْسِهِ»، وإلى مفعولين «بُتَّ مَافِي نَفْسِهِ» كمل من

النصوص التفسيرية

بَثَّ

١- فَأَخْبَا بِهَ الْأَرْضَ بِفَقْدِ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ...
البقرة: ١٦٤

أبو عبيد: أي فرّق وبسط.
الطبري: وفرّق فيها، من قول القائل: بَثَّ الأمير سراياه، يعني فرّق.
(٦٢: ١) (٦٤: ٢)

الزاوي: قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا...﴾ إشارة إلى إحياءه تعالى ما لم يكن موجوداً، وإظهاره إياه.
الزمخشري: فإن قلت: قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا...﴾ عطف على (أَنْزَلَ) أم (أَخْبَا)؟
قلت: الظاهر أنه عطف على (أَنْزَلَ) داخل تحت حكم العلة. لأن قوله: ﴿فَأَخْبَا بِهَ الْأَرْضَ﴾ عطف على (أَنْزَلَ) فاقترن به وصاراً جيباً كالشيء الواحد، فكأنه قيل: وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها من كل دابة.

ويجوز عطفه على (أَخْبَا) على معنى: فأخبا بالمطر الأرض وبث فيها من كل دابة. لأنهم يسمون بالملعب ويمسّون بالحياء^(١).
مثله النيسابوري (٥٥: ٢)، وأبو السعود (١٤٢: ١).
الطبرسي: أي فرّق في الأرض من كل حيوان يدب، وأراد بذلك خلقها في مواضع متفرقة.

(٣٢٥: ١)

(٢٤٦: ١)

القرطبي: أي فرّق ونشر. ومثله ﴿كَأَفْقَارٍ

الأساس (بجان)، والقاموس، والقاج، والمذ، وأقرب الموارد.

أما الحريري فقد ورد قوله: «وسأبثكم ماحاك في صدري» في المقامة الخرابية، محدثاً الفعل «بَثَّ» إلى مفعولين.

وهناك الفصل: بَثَّ الحديث، الذي يعني أطلقه عليه. وقد ورد ذكره في معجم مقاييس اللغة، والأساس، والمختار، واللسان، والقاموس، والقاج، والمذ، وأقرب الموارد، والمقن (بجان)، والوسيط، (٤٤) المصطفوي: الأصل الواحد في هذه المادة هو «النشر»، وخصوصيات هذا المعنى تختلف باختلاف الموارد والمصاديق:

بَثَّ الجند: تفرق مجتمع في الأمكنة المختلفة.
وبَثَّ الحديث: نشره بين الناس كتشويروا.
وبَثَّ المزن: إفساؤه وإظهاره من صدره.
وبَثَّ العلم: نشر ما في صدره من العلم بالبيان والتبليغ والتأليف.

وبَثَّ الفكر والخيال: في مقابل العلمانية والتكون، وعبرة عن الاضطراب وتفرق الحواس وعروض الأفكار المختلفة. [إلى أن قال:]

الفرق بين النشر والبث: أن النشر هو البسط بعد القبض، والتشويروا بعد أن لم يكن متجلباً. والبث هو التفرق، فيقال: نُشِرَت الرجمة والصُّحف والموق، ولا يقال: بَثَّت هؤلاء.
(١٩٦: ١)

المتشبهون في القارة: ٤. (١٩٦: ٢)

نحوه الطريحي (٢: ٢٢٤)، والقاسمي (٣: ٣٥٦)،
والهجازي (٢: ١٢).

أبو حيان: «وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ». إن قدرت
هذه الجملة مطولة على ما قبلها من الصلتين لاحتاجت
إلى ضمير يعود على الموصول، لأن الضمير في (فِيهَا)
عائد على الأرض، وتقديره: وبّت فيها من كل دابة.
لكن حذف هذا الضمير إذا كان مجروراً بالحرف، له
شرط، وهو:

أن يدخل على الموصول أو الموصوف بالموصول أو
المضاف إلى الموصول حرف جرّ مثل ما دخل على
الضمير تظاً ومضى.

وأن يتحد ما تعلق به الحرفان تظاً ومضى.

وأن لا يكون ذلك الجسرور السائد على الموصول
وجازاً في موضع رفع.

وأن لا يكون محصوراً ولا في معنى المحصور.

وأن يكون متصلاً للزبط. وهذا الشرط مفقود هنا.
[وقال بعد نقل قول الزمخشري:]

ولا طائل تحتها، وكيفما قدرت من تقديره لزم أن
يكون في قوله: «وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» ضمير يعود
على الموصول، سواء أعطفته على (أُنْزِلَ) أو على
(فَأَحْيَا)، لأن كلتا الجملتين في صلة الموصول.

والذي يتخرج على الآية أنها على حذف موصول
لهم المعنى، معطوف على (مَا) من قوله: «وَمَا أُنْزِلَ»
التقدير: وما بّت فيها من كل دابة، فيكون ذلك أعظم
في الآيات، لأن ما بّت تعالى في الأرض من كل دابة فيه

آيات عظيمة، في أشكالها وصفاتها وأحوالها وانتقالاتها
ومضارها ومنافعها وعجائبها، وما أودع في كل شكل
شكل منها من الأسرار العجيبة، وفوائده العظيمة
الغريبة، وذلك من القيل إلى الذرة. وما أوجد تعالى في
البحر من عجائب المخلوقات ثلهاينة لأشكال البر، فكل
هذا ينبغي إرفاده بالذكر لأنه يحيل منسوقاً في ضمن
شيء آخر.

وحذف الموصول الاسمي غير دالّ عند من يذهب
إلى اسميتها لهم المعنى جاز، شائع في كلام العرب. وإن
كان الصمغون لا يقيسونه، لمقد قاسه غيرهم. [ثم
يشهد بشر، وقال:]

وَمَنْ حَمَلَ عَلَى حَذْفِ الْمَوْصُولِ قَوْلَهُ تَعَالَى:
﴿وَقُلْنَا إِنَّا بِلَاقِي أَنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾
المنكوت: ٤٦، أي والذي أنزل إليكم، ليطابق قوله
تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْنَا رَسُولَهُ وَالْكِتَابِ
الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ النساء: ١٣٦.

وقد يتمنى التقدير الأول على تركاب حذف
الضمير لهم المعنى وإن لم يوجد شرط جواز حذفه،
وقد جاء ذلك في أعمارهم...

فعل هذا القول يكون «مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» في موضع
المفعول (وبن) تبيضية. وعلى منذهب الأخفش يجوز أن
تكون زائدة، و(كُلُّ دَابَّةٍ) هو نفس للمفعول، وعلى حذف
للموصول يكون مفعول (بّت) محذوفاً، أي وبّت، وتكون
(وبن) حالية، أي كانت من كل دابة، فهي تبيضية، أو
ليبان الجنس عند من يرى ذلك.

الشَّريبي، أي فُرق ونشر بالماء. [ثمّ أدام الكلام نحو الزُّنُقَرِيّ] (١٠٩:١)

البُرُوسِيّ: «وَبَثَّ فِيهَا...» محطوف على (فَأَحْيَا) والمناسبة أن يَثَّ الدَّوَابُّ يكون بعد حياة الأرض بالمطر، لأنهم ينمون بالغصب ويعيشون بالمطر. (٢٦٨:١)

الألُوسِيّ: «وَبَثَّ فِيهَا...» عطف إنا على (أَنْزَلَ)، والجامع كون كلٍّ منها آية مستقلة لوحدها تعالى، وهو للفرض المسوق له الكلام، مع الاشتراك في الفاعل، و(أَحْيَا) من تشقة الأول، كان الاستدلال بالإنزال المسبب عنه الإحياء، فلا يكون الفصل به مانعاً للطف. [و] إنا على (أَحْيَا) فندخل تحت فاء التَّجْيِة وسببته إنزال الماء لَبَثَّ، باعتبار أن الماء سبب حياة الموائس والدواب، و«لَبَثَّ» فرع الحياة، ولا يحتاج إلى تقدير الضمير للزبط، لإغناء فاء التَّجْيِة عنه على المشهور.

وقيل: يحتاج إلى تقدير «به»، أي بالماء، ليشير بارتباطه بـ(أَنْزَلَ) استقلالاً، كـ(أَحْيَا) وفاء السببية لا تكفي في ذلك، إذ يجوز أن يكون السبب مسووماً، وحديث أن المهرود إنما يُحذف إن جرّ للموصول بمنطه، أكثرني لا كليّ.

(وإن) بيانية على التقدير الأول على الصحيح، والمراد «مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» كل نوع من الدواب، وسعى «بِهَا» تكثيرها بالتوالد والتولد، فالاستدلال بتكثير كل نوع مما يدب على الأرض وعدم انحصاره في البعض.

وقيل: تهييئة لأن الله تعالى لم يَبَثَّ إلّا بعض

الأفراد بالنسبة إلى ما في قدرته، صلى أنّه أثبت الزُّنُقَرِيّ دوابّ في السماء أيضاً في سورة (حمس). وفيه أن يَثَّ كل نوع مما يدب على الأرض لا يثاني كون بعض أفرادها مستقراً ولا وجوده له في السماء، على أن مدلول التَّجْيِة كون الشيء جزءاً من مدخولها لا فرداً منه.

وزائدة على التقدير الثاني، لعدم تقدّم الميّن، وعدم صحة التقيض، وهي زيادة في الإكبات، لم يجوزها سوى الأخفش. (٢٢:٢)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: «...وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» لقمان: ١٠. وقوله تعالى: «وَمِنْ أُنْثَاهِ خَلَقَ السَّحَابَ وَالْأَرْضَ وَشَاءَتْ فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ...» النورى: ٢٩.

«...وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...»

(النساء: ١)

السُّدِّيّ: خلق.

الطُّبَرِيّ: ونشر منها، يعني من آدم وحواء.

(٢٢٥: ٤)

الطُّبَرِيّ: أي نشر وفرّق من هاتين النفسين على

وجه الثناسل. (٢: ٢)

نحوه أبو السعود (١: ٣١٢)، وأكثر المفسرين.

الفسر الرازي، الذين يقولون: إن جميع

الأشخاص البشرية كانوا كالنر، وكانوا مجتمعين في

حلب آدم عليه السلام، حملوا قوله: «وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً» على ظاهره.

والذين أنكروا ذلك قالوا: المراد بث منها أولادها، ومن أولادها جمعا آخرين، فكان الكل مضاعفا إليها على سبيل الجواز. (١٦٢: ٩)

نحوه الثيسابوري. (١٦٥: ٤)
أبو حنيفة: أي من تلك النفس وزوجها، أي نشر وقرق في الوجود. ويقال: أثبت الله الخلق رباعيا، وبث ثلاثيا، وهو الوارد في القرآن. (١٥٥: ٣)

ابن كثير: أي وذرا منها، أي من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء. ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم، ثم إليه بعد ذلك المعاد والمحرر. (١٦٦: ٢)

التراهني: أي ونشر من آدم وحواء نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث، فجعل النسل من الزوجين كليهما. فجميع سلالة البشر متوالدة من زوجين ذكر وأنثى. (١٦٧: ٤)

الطبيباني: البث هو التفرق بالإثارة ونحوها. قال تعالى: ﴿فَكَانَتْ نِسَاءً مُنْفَقَاتٍ﴾ الواقعة: ٦، ومنه بث النعم، ولذلك ربما يطلق البث ويراد به النعم، لأنه مبرور يؤتمه الإنسان بالطبع. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّسَاءً أُنْشَكُوا بَيْنِي وَبَيْنَ إِثْمِي﴾ يوسف: ٨٦، أي غمي وحزني.

وظاهر الآية أن النسل الموجود من الإنسان ينتهي إلى آدم وزوجته، من غير أن يشاركها فيه غيرها، حيث قال: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾. ولم يقل: منها ومن غيرها، ويترفع عليه أمران:

أحدهما: أن المراد بقوله: ﴿وَرِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ أفراد البشر من ذريتهما بلا واسطة أو مع واسطة، فكانت

قيل: وبثكم منها أيها الناس.

وثانيها: أن الأزواج في الطبقة الأولى بعد آدم وزوجته، أعني في أولادها بلا واسطة، إنما وقع بين الإخوة والأخوات - لأزواج البنين بالبنات - إذ الذكور والإناث كانوا منعصرين فيهم يومئذ، ولا خير فيه، فإنه حكم تشريعي راجع إلى الله سبحانه، فله أن يبيحه يوما ويحرمه آخر، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعْتَدِلَ عَلَيْهِ﴾ الزهد: ٤١، وقال: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَهِ يَسُفُ﴾ يوسف: ٤٠، وقال: ﴿لَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدٌ﴾ الكهف: ٢٦، وقال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخُشُوعُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

القصص: ٧٠. [إل أن قال:]

الطبقة الأولى من الإنسان وهي آدم وزوجته تسلمت بالأزواج. فأولدت بنين وبنات - إخوة وأخوات - فهل نسل هؤلاء بالأزواج بينهم وهم إخوة وأخوات أو طريق غير ذلك؟

ظاهر إطلاق قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ الآية، على ما تقدم من التقريب، أن النسل الموجود من الإنسان إنما ينتهي إلى آدم وزوجته، من غير أن يشاركها في ذلك غيرها من ذكر أو أنثى، ولم يذكر القرآن للبث إلا إناثها، ولو كان لغيرها شركة في ذلك لقال: وبث منها ومن غيرها، أو ذكر ذلك بما يناسبه من اللفظ. ومن المعلوم أن انحصار مبدأ النسل في آدم وزوجته يقتضي بازدياد نسلها من بناتها.

وأما الحكم بحرمته في الإسلام وكذا في الشرائع التابعة عليه - على ما يحكي - فإنما هو حكم تشريعي

يجمع المصالح والمفاسد، لا تكويشي غير قابل للتغيير، وزمائه يد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فن الجائر أن يسيحه يومًا لاستدعاء الضرورة ذلك، ثم يحرّمه بعد ذلك لارتفاع الحاجة واستيجابه انتشار الفحشاء في المجتمع.

والقول: بأنه على خلاف الفطرة ومباشره الله لأتباعه دين فطري، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَرِيمُ﴾ الروم: ٣٠، فاسد، فإن الفطرة لا تنفيه، ولا تدعو إلى خلافه من جهة تنفرها عن هذا النوع من المباشرة - مباشرة الأخ - وإنما تنفذه، وتنفيه من جهة تأديته إلى شيرع الفحشاء والمحرّم وطلان غريزة المسفة بذلك وارتفاعها عن المجتمع الإنساني.

ومن المعلوم أن هذا النوع من التماس ولها فطرته لا يطبق عليه عنوان القبح والفحشاء في المجتمع العالمي اليوم، وأما المجتمع يوم ليس هناك بحسب ما خلق الله سبحانه إلا الإخوة والأخوات، والمشيئة الإلهية متعلقة بشكرهم ولبناتهم، فلا يطبق عليه هذا العنوان.

والدليل على أن الفطرة لا تنفيه من جهة التنفرة الفريزية تداوله بين الجوس أعصارًا طويلة - على ما يقصّه التاريخ - وشيوعه قانونيًا في روسيا - على ما يحكي - وكلما شيوعه سفاهاً من غير طريق الازدواج القانوني في أوروبا^(١).

وربما يقال: إنه مخالف للقوانين الطبيعية، وهي التي تجري في الإنسان قبل عقده المجتمع الصالح لإساده، فإن

الاختلاط والاستئناس في المجتمع المنزلي يطل غريزة التمسك والميل الفريزي بين الإخوة والأخوات، كما ذكره بعض علماء الحقوق^(٢).

وليه أنه ممنوع كما تقدم أولاً، ومقصود في صورة عدم الحاجة الضرورية ثانياً، ومخصوص بما لا تكون القوانين الوضعية غير الطبيعية حافظة للصالح الواجب المفظ في المجتمع، ومتكفلة لسعادة المتضمن، وإلا فعظم القوانين المعمولة والأصول الدائرة في الحياة اليوم غير طبيعية. [إلى أن قال في بحث روائي:]

ولي «الاحتجاج» عن التجاذب في حديث له مع قرشي يصف فيه تزويج هايل بلوزا أخت هايل، وتزويج هايل بإقلمها أخت هايل، قال: فقال له القرشي: فأولداها؟ قال: نعم، فقال له القرشي: فهذا فعل الجوس اليوم، قال: فقال: إن الجوس فعلوا ذلك بعد التحريم من الله، ثم قال له: لا تشكر هذا إنما هي شرائع الله جرت، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها له؟ فكان ذلك شريعة من شرائعهم، ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك.

أقول: وهذا الذي ورد في الحديث هو الموافق لظاهر الكتاب والاعتبار، وهناك روايات أخر تعارضها، وهي تدل على أنهم تزوجوا بمن نزل إليهم من الجن والجان، وقد عرفت الحق في ذلك. (٤: ١٣٧ - ١٤٧)

(١) من العادات الزائفة في هذه الأزمنة في الملل المتعددة من أوروبا وأمريكا، أن الفتيات يزلن بكسرتهم قبل الازدواج القانوني والبلوغ إلى سنّه، وقد أنتج الإحصاء في بعضها أنما هو من ناسية آباءهم أو إخوانهم.

(٢) مستفيد في كتابه «روح القوانين».

(١٢٣: ٤)

أبو حنّان: ﴿وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَائِمَةٍ﴾ أي في غير جنسكم، وهو مطوف على (وفي خلقكم).

ومن أجاز اللطف على الضمير المخفوض من غير إعادة اللفظ، أجاز في (وَمَا يَبُتُّ) أن يكون مطوفاً على الضمير في (خَلَقَكُمْ) وهو مذهب الكوفيين ويونس والأخفش، وهو الصحيح، واختاره الأستاذ أبو علي السلووي.

وقال الزمخشري: «يتفتح اللطف عليه» وهذا تفرج على مذهب سيّويه وجهود البصريين.

قال: «وكذلك إن أكثروه كرهوا أن يقولوا: مررت

بك أنت وزيد فتس.

وهذا يميز الجرمي والزمخاري في الكلام.

(٤٢: ٨)

(٤٢٥: ٨)

الشريبي: أي ينشر ويترق بالحركة الاختيارية

على سبيل التجدد والاستمرار.

الآلومي: عطف على «خلق» وجوز في (ما كونها

مصدرية وكونها موصولة. إنا بتقدير مضاف، أي وفي

خلق ما ينشره ويفرقه من داية، أو بدونه. [ثم قال نحو

أبو حنّان وأضاف:]

وذكر ابن الحاجب في «شرح المفصل» في باب

الوقف منه بأن بعض التحوين يجوزون العطف في المجرور

بالإضافة دون المجرور بالحرف، لأن اتصال المجرور

بالمضاف ليس كاتصاله بالجار، لاستقلال كل واحد

منهما بمضاه، فلم يستد اتصاله فيه اشتداده مع

مكارم الشيرازي: [نحو الطّائِبانِي وأضاف:]

وهناك احتمال آخر، فقد قيل: إن أولاد آدم

تزاوجوا مع الجيل المتأخر للإنسان الذي عاش قبل آدم؛

إذ لَن آدم - طبق بعض الروايات - لم يكن أول إنسان

عاش على وجه البسيطة. والأبحاث العلمية في هذا

المصر تبين أيضاً أنه كان يعيش على سطح الأرض قبل

ملايين من السنين. نوع من بني البشر، في حين أن تاريخ

وجود آدم عليها أقل من ذلك بكثير.

وبناء على هذا ينهي القول بأنه كان يعيش على

الأرض خلق آخر قبل آدم، وكان على وشك الانقراض

عند وجود آدم؛ فما يعول إفا بين تزاوج أولاد آدم مع

الجيل المنقرض، إلا أن هذا الاحتمال لا يلائم ظاهر الآية.

كما قلنا.

وهذا البحث يحتاج إلى تفصيل أكثر، وهو ليس من

(٢٤٦: ٣)

مهمة علم التفسير.

يَبُتُّ

وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَائِمَةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ.

الجبالية: ٤

الزمخشري: فإن قلت: علام عطف (وَمَا يَبُتُّ)،

أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف إليه؟

قلت: بل على المضاف، لأن المضاف إليه ضمير

متصل بمجرور يتفتح اللطف عليه، استغفروا أن يقال:

مررت بك وزيد، وهذا أبوك وعمرو. وكذلك إن أكثروه

كرهوا أن يقولوا: مررت بك أنت وزيد. (٥٠٨: ٣)

نحوه الفخر الرازي (٢٧: ٢٥٨)، والثغفي

الحرف .

(١٣٩ : ٢٥)

نحوه البتوي (٧ : ١٩٩) ، والبتاوي (٢ : ٥٥٥) .

الفرء : كثيرة . (٣ : ٢٥٨)

ابن قتيبة : كثيرة متفرقة في المجالس . (٥٢٥)

نحوه السجستاني . (٢١٧)

الطبري : مروضة . (٣٠ : ١٦٤)

مثله المقامي . (١٧ : ٦١٣٩)

الزنجشيري : مبسطة أو متفرقة في المجالس .

(٤ : ٢٤٧)

نحوه الطبرسي (٥ : ٤٨٠) ، والفخر الرازي (٣١ : ١٥٦) .

والنسبي (٤ : ٣٥٢) ، والسيبوري (٣٠ : ٨٣) ،

وأبو حيان (٨ : ٤٦٣) ، والاكوسي (٢٠ : ١١٥) .

القرطبي : [قال بعد نقل قول ابن قتيبة :

هذا أصوب فهي كثيرة متفرقة . ومنه : «وَبُتَّ فِيهَا

مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» البقرة : ١٦٤ . (٢٠ : ٣٤)

البرلاسوي : أي مبسطة على الشرر رينة وتمتعا .

وفيه إشارة إلى البساط أرواحهم وانسراح صدورهم

وافتاح قلوبهم في بساط القدس والأنس . وإلى مقامات

تجليات الأضال التي تحت مقامات العنغات كالتوكل

تحت الرضى ، مهوثة ، أي مبسطة تحتهم . وأصل البث :

إثارة الشيء وتفرقه كبث الزيج التراب . (١٠ : ٤١٦)

الغراغي : أي متفرقة في المجالس . بحيث يرى في كل

مجلس شيء منها كما يرى في بيوت ذوي الفراء .

(٣٠ : ١٣٣)

المصطفوي : أي مبسط متفرقة ومنشورة كثيرة في

بجالسها للجلوس والاستراحة . (١ : ١٩٧)

المشتبوث

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . القارعة : ٤

الطبري : المنفوق . (٣٠ : ٢٨١)

ابن خالويه : (المبثوث) نعت لـ (الفرائض) ،

والمبثوث المنفوق . يقال : قد بثط فلان غيره . وبثته

وبثقه . إذا وسعه . [ثم استشهد بشر] (١٦١)

الطوسي : و (المبثوث) المنفوق في الجهات . كأنه

معمول على الذهاب فيها . (١٠ : ٣٩٩)

مثله الطبرسي . (٥ : ٥٣١)

الزاجب : أي المهيج بعد سكوته وخفائه . (٣٧)

القرطبي : المنفوق المتشر .

وإنما ذكر على اللفظ . كقوله تعالى : «فَتَجِدَارٌ يُعَلِّقُ

مِنْهُ قَرَارٌ» القمر : ٢٠ . ولو قال : المبهثرة . فهو كقوله تعالى :

«أَلَمْ جَاءَ قَوْمًا عَلَى حَاوِيَةٍ» الحاقة : ٧ . (٢٠ : ١٦٥)

المصطفوي : «كالفرائض المنبثوث» في

الاضطراب والتحير وفقدان النظم والطمأنينة . حيث

يتهاافت على السراج . (١١ : ١٩٧)

مبثوثة

وَنَسَارٍ فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مَبْثُوثَةٌ وَذُرَّابٌ مَبْثُوثَةٌ .

الناحية : ١٦ ، ١٥

حكومة : بعضها فوق بعض . (القرطبي : ٢٠ : ٣٤)

قتادة : المبسطة . (الطبري : ٣٠ : ١٦٥)

يَتَى

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ... يوسف: ٨٦
ابن عَبَّاس: هَتِي. (الطَّبْرِيُّ ١٣: ٤٥)
الْحَسَن: حاجتي. (الطَّبْرِيُّ ١٣: ٤٥)
أَبُو عُبَيْدَةَ: الْبَثُّ: أَشَدُّ الْحُزْنِ، وَيُقَالُ: حُزِنَ،
مَتَحَرَّكَ الْحُرُوفُ بِالْفَتْحَةِ، أَيْ فِي كِتَابٍ، وَالْحُزْنُ: أَشَدُّ
الْهَمِّ. (١١: ٣١٧)

الطَّبْرِيُّ: هَتِي. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَقِيلَ: إِنَّ الْبَثَّ أَشَدُّ الْحُزْنِ، وَهُوَ عِنْدِي مِنْ بَثِّ
الْحَدِيثِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ مِنْهُ: إِنَّمَا أَشْكُو خَيْرِي الَّذِي أَنَا فِيهِ
مِنْ الْهَمِّ، وَأَهْتُ حَدِيثِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ. (١٣: ٤٥)
الْهَزَوِيُّ: قَوْلُهُ حَزُونًا: «إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي»
الْبَثُّ: أَشَدُّ الْحُزْنِ، ثَبَاتُهُ النَّاسُ. (١١: ١٢٧)

الرَّاغِب: أَيْ هَتِي الَّذِي يَتَى عَنْ كَيْفَانٍ، فَهُوَ مَحْذُورٌ
فِي تَقْدِيرِ مَفْعُولٍ، أَوْ بِمَعْنَى هَتِي الَّذِي يَتَى فِكْرِي، نَحْوُ:
تَوَزَّعَتِ الْفِكْرُ، لِيَكُونَ فِي مَعْنَى الْفَاعِلِ. (٣٧)

الطَّبْرِيُّ: الْمَعْنَى إِنَّمَا أَشْكُو حُزْنِي وَحَاجَتِي
وَإِخْتِلَالَ حَالِي وَانْتِشَارَهَا إِلَى اللَّهِ فِي ظُلْمِ اللَّيَالِي،
وَأَوْقَاتِ حُلُولَاتِي لَا إِلَيْكُمْ.

وَقِيلَ: الْبَثُّ: مَا أَبْدَاهُ، وَالْحُزْنُ: مَا أَخْفَاهُ.

(٣: ٢٥٨)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: وَالْبَثُّ هُوَ التَّضَرُّيقُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَبَثُّ فِيهَا مِنْ كُلِّ قَذَابٍ﴾ الْبَقَرَةُ: ١٦٤، فَالْحُزْنُ إِذَا
سَقَرَهُ الْإِنْسَانُ كَانَ هَمًّا، وَإِذَا ذَكَرَهُ لغيره كَانَ بَثًّا.

وَقَالُوا: الْبَثُّ: أَشَدُّ الْحُزْنِ، وَالْحُزْنُ: أَشَدُّ الْهَمِّ،
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَتَى أَكُنْتَ أَنْ يُسَلِّكَ لِسَانُهُ عَنْ ذِكْرِهِ لَمْ يَكُنْ

ذَلِكَ الْحُزْنُ مَصُولًا عَلَيْهِ، وَأَمَّا إِذَا عَظِمَ وَعَجَزَ الْإِنْسَانُ
عَنْ خَبْطِهِ وَاطْلَقَ لَلْأَسَانِ بِذِكْرِهِ - شَاءَ أَمْ أَيْ - كَانَ ذَلِكَ
بَثًّا، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ صَارَ عَاجِزًا عَنْهُ، وَهُوَ
قَدْ لَسْتَوْلَى عَلَى الْإِنْسَانِ، فَقَوْلُهُ: «بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ»
لِي لَا أَذْكَرَ الْحُزْنَ الْمُسْطَهِمَ وَلَا الْحُزْنَ الْبَقِيلَ إِلَّا مَعَ
اللَّهِ. (١٨: ١٩٧)

الْأَلُوسِيُّ: [نَحْوُ الرَّاغِبِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ:] هُوَ مَصْدَرٌ
بِمَعْنَى «الْمَفْعُولِ» وَفِيهِ اسْتِمَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ، وَجَوَازُ أَنْ
يَكُونَ بِمَعْنَى «الْفَاعِلِ» أَيْ الْهَمِّ الَّذِي يَتَى الْفِكْرُ وَفَرْقُهُ.

وَأَمَّا مَا كَانَ ظَاهِرًا أَنَّ الْقَوْمَ قَالُوا مَا قَالُوا بِطَرِيقِ
التَّسْلِيَةِ وَالْإِشْكَاءِ، فَقَالَ فِي جَوَابِهِمْ: إِنِّي لَا أَشْكُو مَا يِي
إِلَيْكُمْ لَوْ إِلَى هَيْرِكُمْ حَتَّى تَصْعَدُوا تَسْلِيَتِي. وَإِنَّمَا أَشْكُو
بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. (١٣: ٤٣)

الرَّاغِبِيُّ: أَيْ لَا تَسْلُومُونِي، وَأَنَا لَمْ أَشْكُ إِلَيْكُمْ
لِأَنِّي لَا أَشْكُو إِلَّا إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ حُزْنِي الَّذِي أَمْعَنْتَنِي كِتَابَتَهُ،
فَأَمْنِي بِهِ. الْكَلِمَةُ «يَأْتِي عَلَى عَقْلِي يُوسُفُ» يَوْسُفُ:
٨٤، بَلْ شَكُوتُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ. (١٣: ٢٩)

هَذِهِ فَرْوَزَةٌ، هَتِي وَحُزْنِي أَوْ شَكُوَايَ.
(٤: ١١٦)

المُصْطَفَوِيُّ: أَيْ تَمَرَّقَ خِيَالِي وَاضْطَرَابَ فِكْرِي
وَسَلَبَ الطَّمَانِينَةَ وَالشُّكُونَ عَنْ نَفْسِي، فَكَأَنَّ نَفْسِي
مِهْشُوتَةٌ. (١١: ١٩٧)

مُنْبَغَا

فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَغَا. الواقعة: ٦

ابن قُتَيْبَةَ: أَيْ تَرَابًا مَسْتَرًّا. (٤٤٥)

منه السَّجُنَاتِي (١٨٥)، والتَّيَضَاوِي (٤٤٦: ٢).

الطُّهْرِي: متفرقا. (١٦٩: ٢٧)

الطُّوسِي: والابتثاث افتراق الأجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة؛ فكل أجزاء انفرشت بالتفريق في الجهات، فهي منهكة. وفي تفرق الجهال على هذه الصفة

عبارة ومعجزة، لا يقدر عليها إلا الله تعالى. (٤٨٩: ٩)

الزَّمَحْشَرِي: متفرقا، وغري بالقاء، أي متقطعا.

(٥٢: ٤)

القُرْطَبِي: وقراءة الساقة (مُنْبَثًا) بالقاء المنثثة،

أي متفرقا. من قوله تعالى: «وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ»

البقرة: ١٦٤، أي فرق ونشر.

وقرأ مسروق والتخمي وأبو حنيفة (مُنْبَثًا) بالقلبة

المنثثة، أي متقطعا، من قولهم: بَثَّ الله، أي قطعناه

(١٧: ١٧٧)

البنات.

التَّشْرِيهِي: متشرا متفرقا بغيره من التشريح

إلى هواء بخرقه، فهو كالذي يرى في شعاع الشمس إذا

(١٧٩: ٤)

دخل من كوة.

التَّراخِي، أي خضارت كالحباء المنبت الذي ذرته

(١٣٣: ٢٧)

الريج وفرقته.

المُصْطَفَوِي، فتصير الجبال مبهكة إلى الغباء

(١٩٧: ١)

المنثور.

وراجع أيضا «دب أه»

الأصول اللغوية

١- إن ما يحكم به الدوي اللغوي في هذه المادة بعد

ملاحظة النصوص أن أصل البَثَّ وما اشتق منه هو نشر

الأجسام وتفرقها، مثل: بَثَّ الخلق في الأرض، وبَثَّ

الحبل في القارة، وتَمَرَّ بَثَّ، أي متفرق غير مخزون.

ومنه: بَثَّتْ الطَّام، إذا قلبته، وألقت بعضه على

بعض، فأضيف إلى التفريق معنى القلب، وإلقاء البعض

على البعض.

ومنه: بَثَّ النِّبَار، إذا حيَّجه، فأضيف إلى التفريق

معنى الميخان.

ومنه: بَثَّ الكلاب على الفئيد، أي أرسلها،

فأضيف إليه معنى الإرسال والبث.

ومنه: بَثَّ القرائش، أي بسطه، فتبدل التفريق إلى

معنى البسط.

وهذا كله من أجل الملازمة بين هذه المعاني وبين

التفريق الذي هو أصل للمعنى، وهذا ما يبرر عنه باقتضاء

الحوال ومناسبة التيات.

وكذلك يؤيد قول ابن دريد: «كل شيء فرقت فقد

بَثَّته»، وقول ابن فارس: «الباء والقاء أصل واحد،

وهو تفرق الشيء وإظهاره».

٢- ثم سرى المعنى مجازا في ما يشبه الأجسام

كالأخبار، يقال: بَثَّ الخبر، أي نشره، ثم إلى ما يمكن في

النفس من الشَّر، يقال: بَثَّ سره، أي أظهره وأفشاء،

وكذلك بَثَّ الحزن والمرض والمصيبة، إذا أظهرها،

فأضيف إلى التفريق معنى «الإظهار». حتى أن البَثَّ

أطلق مبالغة على الحزن الشديد وعلى المرض الشديد

والمصيبة التي لا يتحملها صاحبها فيظهرها ويشكوها.

وبذلك افترق «البَثَّ» عن مطلق الحزن الذي يمكن في

نفس الإنسان ويصبر عليه.

٥ - وانشقوا من بث «بثث»، وهو إنا للمبالغة وإنا لإفادة التكرار، وهو الأقرب، وهذه المسألة تتطلب بحثاً مستوفى.

الاستعمال القرآني

جاء البث تسع مرات في القرآن بالصيغ التالية:

بث: ١ - «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاحِ وَالْغَرَجِ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَشْجَارَ أَشْجَارًا ثَوِّاتًا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضَعُ بِذِهِ الرِّيحُ السَّحَابَ الْمُسَوِّجَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَأْتِي الْقَوْمَ

البقرة: ١٦٤

يُظْهِرُونَ

٢ - «يَذَرُهَا النَّاسُ أَكْثَرًا زَيْنًا الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا تَقِيًّا وَاحِدَةً»

٣ - «خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ فَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَوَائِي أَنْ تَجِدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ»

٤ - «وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَغْدٍ مَا تَنْطَلِقُوا وَيَنْشُرُ مِنْهُ حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً

٥ - «وَلَا يَأْتِي الْقَوْمَ إِلَّا بِغَيْثٍ مُبَارَكٍ وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً

٦ - «وَلَا يَأْتِي الْقَوْمَ إِلَّا بِغَيْثٍ مُبَارَكٍ وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً

٧ - «وَلَا يَأْتِي الْقَوْمَ إِلَّا بِغَيْثٍ مُبَارَكٍ وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً

٨ - «وَلَا يَأْتِي الْقَوْمَ إِلَّا بِغَيْثٍ مُبَارَكٍ وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً

٩ - «وَلَا يَأْتِي الْقَوْمَ إِلَّا بِغَيْثٍ مُبَارَكٍ وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً

١٠ - «وَلَا يَأْتِي الْقَوْمَ إِلَّا بِغَيْثٍ مُبَارَكٍ وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً

١١ - «وَلَا يَأْتِي الْقَوْمَ إِلَّا بِغَيْثٍ مُبَارَكٍ وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً

١٢ - «وَلَا يَأْتِي الْقَوْمَ إِلَّا بِغَيْثٍ مُبَارَكٍ وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً

١٣ - «وَلَا يَأْتِي الْقَوْمَ إِلَّا بِغَيْثٍ مُبَارَكٍ وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً وَهُوَ الَّذِي يُجْعِلُ فِيهَا حَيَاةً

ومن هنا قيل للمنشئ عليه: البث، لأنه قد تفرقت حوائثه ومشاعره، وكذلك قالوا مجازاً: أثبت فلان شقوره وفقره إلى فلان، إذا شكوا إليه هوميه وغوميه، فأضيف إلى التفرق معنى «الشكاية» اقتباساً من قوله تعالى: «وَقَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ» يوسف: ٨٦، إذ الشكوى - كما يأتي إن شاء الله تعالى في (شرح) - أخذ من «الشكوة»، وهو وعاء صغير من الجلد، يوضع فيه الماء واللبن، فكان من يث حزنه وجهه إلى غيره، يفرغ مائي قلبه، والقلب وعاء، لقول الإمام علي عليه السلام: «لن يزيد: «لن هذه القلوب لرعية، فخيرها أوعاها» (١).

٢ - ويبدو أن اللغويين لم يفرقوا هنا - كما في كثير من

الموارد - بين المعاني الأصلية والفرعية، أو قل: بين المعاني

الحقيقية والمجازية، سوى اللغوي الساهر والبلاغي

المتك، الإمام الزمخشري، حيث قال: «ومن المصنفين من

بثثه مائي لشيء أثبت، وأثبتته لآء، وبأثته سري

وباطن أري، إذا أطلقته عليه - حيث الخبر في البلد».

وكان عذر اللغويين في ذلك أن المجاز إذا شاع يلحق

بالحقيقة، وهو قول فصل، إلا أن التفرق بين المعاني

الأصلية والمجازية، ثم سرابها في تلك المعاني المجازية،

فرغض على اللغوي. ومن هنا ظهر أن من جعل أصل

«البث» مطلق التفرق ليس على صواب.

٤ - ويظهر من النصوص أن باب (التضليل) للمبالغة،

و(الإفصال) في «بث» للتعدية، وجاءت سائر الأبواب

بمعانيها كذلك، ومن هنا قالوا: الإثبات أن يشكو إليه

فقره وضعته.

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دُونِهِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ وَخِلَافَ الثَّلَاجِ وَالنُّجُومِ وَمَا أُنْزِلَ لَكَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْتَارَ بِهِنَّ الْأَرْضَ بِمَنْعَةِ مَوْنِهَا وَتَضَرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ المجانب: ٣-٥
بَيْ: ٦- ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَكْمُرُ بَسْمًا وَحَرُّهُ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يوسف: ٨٦

المثبت: ٧- ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُورِ ﴾ القارعة: ٤

مبهمة: ٨- ﴿ وَنَسِيتُ قَهْلُوقَةَ وَرَدَّاهُ

مُتَوَقِّعَةً ﴿ الفاحية: ١٥، ١٦

مُتَبَا: ٩- ﴿ وَنَسِيتُ الْمَجِيَالَ بِمَا فَكَانَتْ حَبَابَةً مُتَبَا ﴾ الواقعة: ٥

يلاحظ أولاً: أن «البت» في الآيات الخمس الأولى

قد سبق بالخلق، ففي (١) و(٤) و(٥) تعدد خلق السماوات والأرض، وفي (٢) خلق التسلسل، وفي (٣) خلق السماوات فقط، كما قارن بت السماوات خاصة إزال المطر فيها، سوى (٢)، فإنها تختص بيت الناس، ولكنه اقترن بما قبل (٤)، وبما بعد (٥)، أما الآية (٢) فقد اقترن «البت» فيها بالناس خاصة، ولم يقارن بإزال المطر، بل تقرأ الله.

وثانياً: يعني هذا أن الله تعالى خلق السماوات والأرض قبل خلق الملائكة، وشاهده قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ جِجَارًا ثُمَّ لِنَسْخِ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ البقرة: ٢٩، وخلق الإنسان بعد خلق الملائكة، إذ أعقب الله قوله ذلك مباشرة بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

البقرة: ٣٠، ويريد به آدم عليه السلام بالتحاق المفسرين قاطبة، ثم خلق سائر الدواب بعد خلق الإنسان، كما يدل ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ النحل: ٨

وثالثاً: يعني هذا أيضاً أن الماء عصب حياة الدواب عامة، لقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ الأنبياء: ٣٠، وإن التقوى هبادة الإنسان خاصة قديماً وحديثاً، لقوله تعالى: ﴿ وَتَسْأَلُونَ عَنْ خَيْرِ الزَّادِ الْقَوَى ﴾ البقرة: ١٩٧، ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ النساء: ١٣٦.

ورابعاً: فسر جل المفسرين (بقي) في الآية (٦) بشدة الحزن، و(حزني) بالهم والحزن، ولكن يؤخذ على هذا الزاوي أن (بقي) يصدق على كلا المعنيين، إذ من ابتلي بشدة الحزن لا يكثر بيته، فلامعنى - على هذا القول - (بقي) الحزن، لا أن (بقي) الحزن، اللهم إلا أن يقال: إن كلام يعقوب هذا يكشف عن امتلاء قلبه بالحزن، حتى ما قدر على تحمل شيء منه، فتنكا إلى ربه حزنه الشديد أولاً، ثم شكاً جميع أحزانه.

وقد عدهما الشيوخي في «الإيقان»^(١) مترادفين، ووجه عطف أحدهما على الآخر بالتأكيد، أي أنه فسر (بقي) بحزني، لأن للمؤكد المعنوي إما أن يكون أقوى من للمؤكد، مثل: ﴿ فَتَشَبَّهَ مَاجِكَا ﴾ النمل: ١٩، وإما ساوياً له، كهذه الآية على أحد القولين.

ولا يجوز أن يكون المؤكد أضحف من للمؤكد، فلا يقال مثلاً: أسرع هياً، بل يقال: هياً أسرع، والمؤكد

اللفظي مساو للمؤكد دائما، مثل: «وَالشَّابِقُونَ
الشَّابِقُونَ» الواقعة: ١٠.

وخامسا: إننا نقول بما قاله الجسم الغفير من اللغوتين
والمشترين، وهو الفرق بين اللفظين المترادفين. قال
أبو هلال العسكري في مقدمة «الغروقي اللغوية»:
«الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء بوجوب
اختلاف المعاني، أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة
الإشارة، وإذا أُشير إلى الشيء مرة واحدة فحرف،
فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضح اللفظ
حكيم، لا يأتي فيها بما لا يفيد».

ثم قال: «والإلى هذا ذهب المحققون من العلماء، وإليه
أشار المبرّد في تفسير قوله تعالى: «لِكُلِّ جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ
شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» المائدة: ٤٨، قال: فطف (شِرْعَةً)
هل (مِنْهَاجًا)، لأن الشريعة لأوّل الشيء، والمِنْهَاج

لخطمه ومنحه، واستشهد على ذلك بقوله: «شرع
فلان في كذا، إذا أجداه، وأنهج البلي في التوب، إذا اتسع
فيه».

وسادسا: يعني (هَيَّيْ) - كما تقدّم في الأصول
اللغوية - شكواي، لأن صاحب البيت لا يقوم له به
فيته، أي يشكوه إلى غيره، و(حَزَنِي) يعني حسي، وهو
ما يكدر الإنسان، فإذا أبداه فهو بهت.

وسابعا: وردت الألفاظ: (الْمَجْثُوث) في الآية (٧)
و(مَجْثُوثَة) في (٨) و(مُنْبَتًا) في (٩) صفات للألفاظ:
(كَاتِرَاتِي) و(زَرَايِي) و(مُنْبَتًا) على التوالي. وهي
تصف جميعا القيامة وأحوالها، فالأولى منها تحكي حال
الناس في ذلك اليوم، وظلها قوله: «يَخْرُجُونَ مِنْ
الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ خِرَاطٌ عُتَرٌ» القمر: ٧، والثانية تحكي
حسرة أهل الجنة، والثالثة تصف حال الجبال عند نفثتها.

والله أعلم بالصواب



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

ب ج س

اَنْبَجَتْ

لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مكية

النصوص اللغوية

الانجس، ويجهش فنجس، وماء نجس، مائل.

(لبن منظور ٦: ٢٤)

أرض ينسج منه الماء، فإن لم ينسج فليس بالنجاس، قال
الله تعالى: ﴿فَإِنْ يَنْسَجْ مِنْهُ أَسْفِلًا فَهُوَ كَرِهٌُّ لِّمَنِ اسْتَبَدَّ﴾
التنزيل: ﴿فَإِنْ يَنْسَجْ مِنْهُ﴾ وكأن النجاس: الانقطار.

وماء نجس، أي كثير. [ثم استشهد بشر] وماء
باجس [ثم استشهد بشر] (١: ٢١٠)

الصاحب: النجس: انشقاق في قزقة أو حجر أو
أرض ينسج منه الماء، نجس القرب والمين والصحاب.
ويجش الجرح: بطقته. (٧: ١٧)

القالبي: منجس: منجر، (١: ١٧٤)
البحريري: يجش الماء فالتنجس، أي غمرته
فأهجر. ويجس الماء بنفسه يتجس، يحدى ولا يحدى.
وسحاب نجس.

الغليل: النجس: انشقاق في قزقة أو حجر أو
أرض ينسج منه الماء، فإن لم ينسج فليس بالنجاس، قال
الله تعالى: ﴿فَإِنْ يَنْسَجْ مِنْهُ أَسْفِلًا فَهُوَ كَرِهٌُّ لِّمَنِ اسْتَبَدَّ﴾
الأعراف: ١٦٠.

والصحاب يتنجس بالمطر.
والانجاس عام، والتبوع للعين خاصة.
ورجل منجس: كثير خيره. (٦: ٥٨)
ابن السكيت: وسقال: مر يتنجس، أي
يقتال. (٢٨٢)

وأنا بفريدة تنجس. (٦٤٥)
ابن أبي اليمان: والنجس: مصدر يجش للاء،
أي غمرته. (٤٥٢)
كرام الشمل: ويجهش أجهش وأجهش جهشا

الزَّاهِب: يقال بَجَسَ الماء وانْبَجَسَ: انْقَبَر، لكن الانْبِجَاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق.

والانفجار يستعمل فيه وليما يخرج من شيء واسع، ولذلك قال عز وجل: ﴿فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَجِيًّا﴾ الأعراف: ١٦٠، وقال في موضع آخر: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَجِيًّا﴾ البقرة: ٦٠، فاستعمل حيث ضاق المخرج اللفظان، قال تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا﴾ الكهف: ٢٢، وقال: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ القمر: ١٢، ولم يقل: بَجَسْنَا.

الزَّاهِبُ: انْبَجَسَ الماء من السحاب والينابيع، انْقَبَر، وتَجَسَّس: تنجَّس، [ثم استشهد بشر]

وسحابٌ بَجَسَ، وبَجَسَتْها الله، [ثم استشهد بشر] وأتانا بَرِيدٌ يَنْبَجَسُ ويَنْضَاضُ، وذلك من كثرة الصدبة، فإن أراد مُرِيدٌ أَنْ يَجْبُرَهَا بَطْفَرًا مَرَدَّةً يَنْبَجَسُ بَطْفَرًا لا تَلَاكُهَا، ولم يمتنع إلى حديدة يَنْبَجَسُ بها، وأراد: ليس منا رجلٌ إلَّا وفيه شيء، والأكمة: الشجيرة تبلغ أم الرأس، (١: ١٣٠)

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى مَسَاوِيهَ وَكَأَنَّهُ قَرَعَ تَنْبَجَسَ» أي تنجَّس، (١: ٩٧)

ابن منظور، وَبَجَسَ النَّمْعُ: دَخَلَ فِي السَّلَامِي وَالْمِينِ فَذَهَبَ، وَهُوَ آخِرُ مَا يَبْقَى: وَالْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ: يَنْبَسُ، (٦: ٢٤)

أبو حيان: الانْبِجَاس: الرمي، (٤: ٤٠٣)

الفَيَّومِي: يَبْجَسُ الماء بَجَسًا من باب «قتل» فانْبَجَسَ، بمعنى فَتَحَتْهُ فَانْفَتَحَ، (١: ٣٦)

وانْبَجَسَ الماء وَتَجَسَّسَ، أي تَغَيَّرَ، (٣: ٩٠٧) ابن فارس: الباء والجيم والتين: تَفْخَعُ الشَّيْءُ، بالماء خاصة.

ويقول العرب: تَبَجَسَ الثَّرْبُ، وهذه أرض تَبَجَسَ عُيُونًا، والسحاب يَبْجَسُ مطرًا.

قال يعقوب: جاءنا بَشْرِيَّةٌ تَبْجَسُ، وذلك من كثرة النَّسَمِ.

وذكر عن رجل يقال له: أبو تراب، ولا تعرفه نحن: يَبْجَسُ الجُرْحُ، مثل بَطَطْتُهُ، (١: ١٩٩)

الهُزَوِيُّ: يقال: انْبَجَسَ وَتَبَجَسَ وَتَغَيَّرَ وَتَفَتَّقَ بمعنى واحد.

وفي حديث حذيفة: «جاءنا إلَّا رجلٌ له أُنْتُهُ يَنْبَجَسُ» الظفر خير الزجلتين، يعني عمر وعليًا رضي الله عنهما، قوله: «يَبْجَسُ الظفر» يريد أنها ينبت بَطْفَرًا لا تَلَاكُهَا، ولم يمتنع إلى حديدة يَنْبَجَسُ بها، وأراد: ليس منا رجلٌ إلَّا وفيه شيء، والأكمة: الشجيرة تبلغ أم الرأس، (١: ١٣٠)

والأكمة: الشجيرة تبلغ أم الرأس، (١: ١٣٠)

الْتِمَالِي: «خروج الماء وسيلانه من أماكنه» [أو] من المعبر: انْبَجَسَ، (٢٧٩)

ابن سيدة: البَجَسُ: انشقاق في قرنة أو بر أو أرض يتشعب منه الماء، فإن لم يتشعب فليس بجَسَ.

بَجَسَ الشيء يَبْجَسُهُ بَجَسًا، شَكَّهُ، فانْبَجَسَ هو، (الإصاح ٢: ١٣٥٨)

الواحدِي: الانْبِجَاس: الانفجار، يقال: بَجَسَ وَلَنْبَجَسَ، (أبو حيان ٤: ٤٠٣)

والانفجار خروجه بكثرة، فكان يندى بقلته ثم يتسح
حق يصير إلى الكثرة، فلذلك ذكره هاهنا بالانفجار.
وفي البقرة بالانفجار. (٩: ٥)

مثله الطبرسي (٢: ٤٩٠)، ونحوه المبروسوي (٣: ٢٦٢).

الزئفري: فانفجرت. والمحنى واحد، وهو
الاحتاج بسعة وكثرة. [ثم استشهد بشعر]

فإن قلت: فهلا قيل: فاضرب فانفجرت. قلت:
لعدم الإلحاح، ولجعل الانفجار مستهيناً عن الإحصاء
بضرب الحجر، للدلالة على أن الموتى إليه لم يتوقف
من اتباع الأمر، وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث
لا يحتاج إلى الإلصاح به. (١٢٤: ٢)

الزئفري: قال الواحدي: فانفجس الماء.
وانفجاسه: انفجاره. يقال: بجس الماء ينجس وانفجس
وتنجس، إذا انفجر. هذا قول أهل اللغة.

ثم قال: والانفجاس والانفجار سواء، وعلى هذا
التقدير فلا تناقض بين الانفجاس المذكور هاهنا وبين
الانفجار المذكور في سورة البقرة.

وقال آخرون: الانفجاس: خروج الماء بقلته،
والانفجار: خروجه بكثرة، وطريق الجمع: أن الماء
ابتدأ بالخروج قليلاً، ثم صار كثيراً. وهذا الترق مروي
عن أبي عمرو ابن السلاء. (٣٣: ١٥)

نحوه ملخصاً أبو حيان. (٤: ٤٠٧)
أبو الأسود: (فانفجست) عطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام، قد حذف تعويلاً على كمال
الظهور، وإنشأنا بهاية سارعتنا إلى الاستال،

الفيروز ابادي: بجس الماء والجرح ينجسه
ويجسه: شقه، وفلاتاً ينجوساً: شقته. وماء ينجس:
مُنْجَس.

وبجسته تنجيساً: فجره، فانجس وتنجس.
والتنجيس: الفرية.

والانفجاس: النبوع في التين خاصة، أو عام.
(٢: ٢٠٦)

الطبرسي: [نحو الموهري ثم قال]:
وفي دعاء الفيت: «مُنْجَسَةٌ بِرُوقَةٍ» أي منفجرة
بالماء. (٤: ٥٢)

محمد إسماعيل إبراهيم: بجس: فجر،
والبجس: الشقاق ينشأ منه الماء. والتنجس الماء: انفجر.
وقيل بجس: كثرة الماء.

متفتح اللغاة: بجس الماء: كضرب وتصهر.
وانفجس وتنجس: انفجر وتنفجر. (١: ٨٠)

التنصوص التفسيرية

...وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَىٰ قَوْمَهُ أَنْ
اضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَشَتْ مِنْهُ الْأَنْثَاءُ غَنَرَةً
عَيْنًا....
الأعراف: ١٦٠

ابن عباس: انفجرت.
[ونحوه أكثر المفسرين].

أبو عمرو ابن السلاء: انفجست: عرقت،
وانفجرت: سالت.
(أبو حيان ٤: ٤٠٣)

الطبرسي: فانفجست وانفجرت من الحجر. (٩: ٨٩)
الطوسي: والانفجاس: خروج الماء الجاري بقلته

قُرْعَةُ يَشْبَجْنِي، أَي سَحَابَةٌ تَنْجِي.

٢- والانبجاس والانتفجار واحد، إلا أن الثاني كثير الاستعمال وسيجد، وليس كما قالوا: الانبجاس: خروج الماء بقلّة، والانتفجار: خروجه بكثرة، فإن ذلك من بدع المفسرين، ولنا شاهد لهم بذلك إذ الانبجاس يدلّ على الكثرة أيضاً، كقولهم: ماء بجيس، أي كثير، والبجيس: العين المنيرة.

الاستعمال القرآني

١- ورد الفعل (فَأَنبَسَتْ) مرة واحدة في القرآن، وهو وحيد الجذر فيه أيضاً، مثل (انكَدَرَتْ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الشُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ التكوين: ٢. وهذه الصيغة - أي انكدر - قليلة في القرآن، لما ورد منها مرة واحدة: (انكدرت) في قوله: ﴿إِذَا انْشَقَّتْ أَسْفُهُنَّ﴾ الشمس: ١٢، و(انصروا): ﴿هَلْ يَرْجِعُكُم مِّنْ أَعْيُنٍ لَّمْ يَنْصُرُوا﴾ التوبة: ١٢٧، و(فانصبرت): ﴿لَمَّا نَفَعْنَا رَبَّنَا وَتَوَلَّى وَرُفُوهُنَّ﴾ البقرة: ٦٠، و(انظرت): ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْظُرَتْ﴾ الانطار: ١، و(انلق): ﴿فَاتَّقِلُّوْا كُنَّانَ كُلِّ فِرْعَوْنَ كَمَا ظَلَمُوا الْعَظِيمَ﴾ الشعراء: ٦٣، و(فانهار): ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾ التوبة: ١٠٩. وكل هذه الأفعال ماضية، أما الأفعال المتكررة من هذه الصيغة فيها ماضي، مثل: ﴿انْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّتْ السَّمَاءُ﴾ القمر: ١، ومنها مضارع، مثل: ﴿وَقَايَسْتَبْغِي﴾ المؤمنون: ١٠، ومنها أمر، مثل: ﴿انْظُرُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ المرسلات: ٢٩.

٢. يلاحظ أنَّ الأفعال التي جاءت مرة واحدة من

وإشعارًا بعدم تأثير الضرب حقيقة، وتنبهًا على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار. كأنه حمل أثر الأثر قبل تحقق الضرب، كما في قوله تعالى: ﴿اضْرِبْ بِضَافِكِ الْهَرَجَ فَانْفَلْتِ﴾ الشراء: ٦٣، أي فضرِب فانجست ﴿مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَشْرًا﴾ بعدد الأسباط.

وَأَمَّا مَا قِيلَ مِنْ لَدُنِ الْقَدِيرِ: فَإِنْ خُفِيتَ فَقَدْ
 انْجَسَتْ، فَمِنْ حَقِيقِ بِيْزَالَةِ الْقَطْمِ التَّخْزِيلِيَّ: (٢: ٢٠٤)
 نَحْوَهُ الْكُوسَى. (٩: ٨٨)

مكارم التيرازي: [ذكر نحو قول الطوسي

وأضاف:

ولمّا هذا المصاوت بين اللّفظين يشير إلى أن الماء
يخرج من العين الكامنة في الصخرة الطليعة ثمّ تكسب
لا يكون مدعاة إلى الخوف. ويستعصى كبح جماحه أن
يخرج مُندفعًا. فخرج أول الأمر ضعيفًا غامضًا، ثمّ قوي
شيئًا فشيئًا حتّى يكون غزيرًا.

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة انشقاق الشيء بالماء،
كانشقاق سقاء ينضح من الماء، أو لرض ينبع منها الماء،
يقال: بَيَّسَ الماءَ وَبَجَّسَهُ أَيْبَسَهُ وَأَبْجَسَهُ فَاَبْجَسَ،
وَبَجَّسَهُ فَتَبْجَسَ، أي غيَّره فاعطَّر.

وَأثرُ منهم: ماءٌ يَجِسُّ ويَجَسُّ، أي سائلٌ كثيرٌ،
وسحابٌ يَجِسُّ ويَجَسُّ، وسحابٌ يَتَجَسَّسُ مَطَرًا، وهذه
أرضٌ تَتَجَسَّسُ عِبُونًا. وقالوا أيضًا: جاءنا بثريرةٌ
تَتَجَسَّسُ، أي يسيل دُمعها لكثرة.

ومن الهاز: رجل منهجس، أى كثير الخمر، ومثاله

«فانقل» تدل على وقوعها مرة واحدة خلال حقب تاريخية معينة دون أن تتكرر، كانبجاس الماء وانفجاره وانطلاق البحر وانشقاقه في عصر موسى عليه السلام. وانبجاس صافر الناقة واندفاعه في حقها في عصر النبي صالح عليه السلام. وانصراف المنافقين وتركهم الإيمان دون رجعة في عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وانكسار النجوم وتناثرها، وانفطار السماء وتلاشيها عند قيام الساعة. وانهيار الجرف وانهدمه بالكاهن في نار جهنم، لم يخلد فيها.

أما الأفعال المتكررة لهذه الصيغة فهي تدل على تكرارها على مر العصور، كالفضل (يُجْزَى)، فقد جاء ست مرات بهذه الصورة دلالة على الاستمرار، كقوله تعالى: «لَا تَشْسُ بِشَيْءٍ مَا آتَى تَذْوِدَ الْقَمَرِ وَلَا تَلْجُلْ شَائِقُ النَّهَارِ» يس: ١٠.

وجاء الفعل (انْشَقَّتْ) ثلاث مرات حديثاً للسماء حين قيام الساعة، فلفظه ماضي ومعناه حال واستقبال، مثل: «إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ» الانشقاق: ١، ومن الانشقاق أيضاً جاء فعلان آخران، الأول في قوله: «إِذْ كَرِهَ السَّاعَةُ وَالشَّمْسُ الْقَمَرُ» القمر: ١، وهو ماضي، لأن القمر - حسب ما جاء في أخبار السيرة - انشقق مرتين في عهد رسول الله ﷺ كعجزة من معجزاته حين طلب منه مشركو مكة ذلك، وهو يعني الحال أيضاً، لأن القمر سوف ينشق عند القيامة. والثاني في قوله: «تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ» مريم: ٩٠.

ومل غرار ذلك جاءت سائر الأفعال من «انقل» فن لعمال الاطلاق - الذي ورد سبع مرات - قوله

تعالى: «وَنُجِيقُ صُدْرِي وَلَا يُطْلِقُ إِنْسَانِي» الشعراء: ١٣. ومن الانقراض - الذي جاء ثلاث مرات - قوله: «لَا تَتَّبِعُوا غُلِي مَنْ عِنْدَ رَسُولِي اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا» المنافقون: ٧. ومن الانقلاب - الذي جاء ست عشرة مرة - قوله: «وَمَنْ يَنْقَلِبْ غُلِي عَلَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ لَهْفَةً قَبِيلاً» آل عمران: ١٤٤.

٣- اختلف المفسرون في الفرق بين الانفجار في قوله تعالى: «وَإِذَا انْشَقَّتْ سُورِي يُقْرِيهِ فَكَانَ اخْرَابٌ يَفْسَاكُ الْحَبَرُ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَبْأَةً» البقرة: ٦٠، وبين الانبجاس في قوله: «وَلَوْ حِينَا إِنْشَى سُورِي إِذْ انْشَقَّتْ قُوَّةُ أَنْ اخْرِبَتْ يَفْسَاكُ الْحَبَرُ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَبْأَةً» الأعراف: ١٦٠.

والانبجاس: خروج الماء بكثرة، وقال بعض: الانفجار: خروج الماء من شيء واسع، والانبجاس: لخروجه من شيء ضيق.

وقال آخرون: الانفجار: خروج الماء من اللين، والانبجاس: خروجه من الصلب.

ولاحق أن هذه الأحوال تنظر إلى التحقيق، إذ لا تساعد يدورها، ولا دليل يستدعها، والأول أن هذين اللفظين بمعنى واحد ماداماً مفترقين، ومعنيين مختلفين ماداماً مجتمعين، كما في المسكين والمفقير.

٤- ونرى أن هذا التباين في هاتين الآيتين هو ضرب من التناقض البلاغي، وهذا ما يلاحظ بوضوح في آيات أخرى من سورتي البقرة والأعراف، حول موضوع بني إسرائيل، وغيا يلي نماذج لذلك:

١- طابق اللفظ والمعنى تماما: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا عَلَيْهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

وَأَنْتُمْ قَاطِبُونَ ﴿٤٩﴾

﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا يَوْمَ تَمُوتُكَمْ بُرُوءَ

الَّذِينَ يُقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَعِينُونَ زَوْجَاءَهُمْ وَلِي

ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

وَفِيهَا (أَتَمُّنَاكُمْ) مَكَان (تَحِينَاكُمْ) وَ(يَقْتُلُونَ) مَكَان

«يَذِبحون» في الأولى.

﴿وَوَعَّلْنَا غَيِّظَكُمْ الْقَعَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ السَّمَاءَ

وَالسُّلَىٰ كُلُّوهُم مِّنْ طُغْيَانٍ عَازِفَاتٍ وَغَالِقَاتٍ فَاوِكُوهُنَّ لِيَكُنَّ رِجَالًا مَّوْكُوتِينَ

كَانُوا أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ ﴿٥٧﴾

﴿وَقُلْنَا عَلَيْهِ النَّهَامِ﴾

الشَّلْوَى كَثُرَ مِنْ مَلِكَاتِ مَاؤَ قَنَاجِكُمْ وَمَا ظَلَمْتُمْ فِيهِ

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أُولِي بُرْهَانٍ

١٠٠٠

الحقرة: ٦٣ والأعراف: ١٧١

٢- حذف حرف من أحد المصطلحين: ﴿قُلْنَا لَهُمْ

كُونُوا قِرْدًا خَائِبِينَ ﴿٦٥﴾
الْقِرْدُ: ٦٥

﴿فَلَنَّاْتُمْ كُنُوتًا يُزْجَدُ عَلَيْهَا سَاجِدِينَ﴾ الأعراف: ١٦٦

٢٠ إضافة لفظ إلى أحد المصطلحين: ﴿فَيُتَدَلُّ اَلَّذِينَ

ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۖ

(وَمَنْ يُدْرِكْ أَالَّذِينَ هَلَكَُوا مِنْهُمُ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ هَلَكُوا)

الأنعام: ١٦٦

١- وضع لفظ مكان لفظ في أحد المعطابقين : ﴿وَلِذِ

لَهُمَا كُفْرٌ كَبِيرٌ

يَذْكُرُونَ أَنَاءَ كُذِّبُوا وَتَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُذِّبُوا وَذُكِّرُوا

مركز تحقيق "كوتور" (Kotour Center)

ب ح ث

يَتَعَثُّ

لفظ واحد، مرّة واحدة مدنيّة، في سورة مدنيّة



باجتاثات.

وسورة برآة كان يقال لها: التّهو، لأنّها تَحْتَثُّ

عن المتألفين وأسرارهم.

النُّصُوصُ اللُّغَوِيَّةُ

الخليل: البحث: طلبك شيئاً في التراب، ومثالك
مستخبراً، تقول: استبحث عنه وأبحث، وهو يبحث
بحثاً.

والتهو من الإبل: ألقى إذا سارت بحث التراب
بأيديها آخرّاً، ترمي به إلى خلفها. (٣: ٢٠٧)

نصوه الضّاجب. (٣: ٧٧)

اللسيث: يقال: بحثت أبحث بحثاً، واستبحثت
وابتبحثت وتبحثت، بمعنى واحد. (الأزهرى ٤: ٤٨٣)

ابن شميل: الباجثاء من حجرة اليرابيع: تراب
يعلّيل إليك أنّه القاصصاء وليس بها، والجميع:

مثله أبو زيد. (الأزهرى ٤: ٤٨٣)

البثيثي نال خليطى: أكنة يلعبون بها بالتراب.

والبحث: المكين، يُبحث فيه عن الذهب والنقطة.

والبحاة: التراب الذي يُبحث صلاً يُطلب

فيه. (الأزهرى ٤: ٤٨٣)

أبو زيد: الباجثاء: تراب يجمعه اليربوع، ويُجمع:

باجتاثات. (الضّاجب ٣: ٧٧)

شبر: «البحث» جاء في الحديث: «أن غلامين كانا

يلعبان البحث» وهو لبيّ بالتراب. (الأزهرى ٤: ٤٨٣)

ابن دريد: بحث عن الشيء أبحث بحثاً، إذا كشفت

عنه، وكأنَّ أصل ذلك اجتثاثك التراب من الشيء المدفون فيه، وفي مثل من أمثالهم «كباحث عن حسنها بظلفها» وذلك أنَّ شاة بحثت عن سكّين مدفون بظلفها، فظُرِ بحث به.

وكل شيء بحث عنه فقد كُشِفَ عنه، ثم كُفِرَ ذلك حتى قالوا: بحثت عن الكلام والسرّ، وما أشبه ذلك.

ويقال: تركته بباحث البقر، أي بحث لا يدرى أين هو. (١٩٩: ١)

الْمُتَحَدِّثُ: تقول: لمحضت من الأمر لمحضاً، وبحثت بحثاً، ونفرت عنه تنفيراً. ويقال: أخفى فلان في المسألة، وأمن في الفحص، وتعتق في البحث. (٧)

الْبُحُورِيُّ: بحث عن الشيء ولتمعت عنه. أي فحّشت عنه، وفي المثل «كالباحث عن الشفرة».

وقولهم: «تركته بباحث البقر» أي بالمكان القفر، يعني يبحث لا يدرى أين هو.

ابن فارس، الباء والحاء والقاء أصل واحد يدل على إثارة الشيء. [ويعد نقل كلام اللّليل قال:]

والعرب تقول: «كالباحث من مذبة» يضرب لمن يكون حنقه بيده، وأصله في الثور تُدْفَنُ له المذبة في التراب فيستثيرها وهو لا يعلم فتدبجه، (ثم استشهد بشعر)

والبحث لا يكون إلا باليد، وهو بالرجل الفحص. ويقال: بحث عن الخمر، أي طلب علمه.

(٢٠٤: ١)

أَبُوهِلَال: الفرق بين الطلب والبحث: أنَّ البحث هو طلب الشيء مما يخالطه، فأصله أن يبحث للتراب

عن شيء يطلبه، فالطلب يكون لذلك ولغيره، وقيل: فلان يبحث عن الأمور، تشبيهاً بمن يبحث التراب لاستخراج الشيء. (٢٣٩)

الْمُتَحَدِّثُ: البحث: طلب الشيء تحت التراب وغيره.

التَّمْيِشُ: طلب في بحث، وكذلك الفحص. (١٩١) ابن سيده: [قال نحو كلام ابن دُرَيْد وأضاف:] بحث عن الخبر وبخفه يبحث بحثاً، سأل، وكذلك استبحته واستبحته عنه.

والبحث: الحية الظيمة، لأنها تبحث التراب. (٢٢٤: ٣)

بحث عن الأمر يبحث بحثاً واستبحث عنه: فحّش واستقصى. (الإفصاح ١: ٢٣٥)

البحوث من الدواب: التي تبحث التراب بأخفافها لتمر في سبيلها. بحث الأرض ولها يبحثها بحثاً: حفرها.

(الإفصاح ٢: ٧٥٦)

الرَّاهِبُ: البحث: الكشف والطلب، يقال: يبحث عن الأمر ويبحث كذا، قال الله تعالى: «وَفَبَحَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ» المائدة: ٣١.

وقيل: بحثت أئمة الأرض برجلها في السير، إذا شدّت الوطء، تشبيهاً بذلك. (٣٧)

الرَّمَحُورِيُّ: سورة البحوث: هي سورة التوبة لما فيها من البحث عن المنافقين، وكشف أسرارهم، وتسمى المُنْمَرَةُ. (الفائق ٢: ٤٠٧)

ابن الأثير: في حديث المقداد «قال أبت علينا

والبَحُوت: سورة التوبة، ومن الإبل التي نهبت
القَرَاب بأيدٍ أُخْرَا.

والباحثاء: تراب يشبه القاصياء. (١٦٧: ١)

الطَّرِيحِي: ويحْت بهقه، أي حفر طرف رجله.

ولي الحديث: «ليس على الناس أن يبعثوا» أي

يتشعروا عن الأحوال ويتشعروا من قولهم: بحث عن

الأمر بحثاً، من باب «نفع»: استقصى. (٢٣٥: ٢)

الزَّابِدِي: البحث: طلبك الشيء في القَرَاب، منه

يبحثه بحثاً وتبحثه. فهو يفتد يفتد.

وكثيراً ما يستعمله المصنفون مثلاً «في» فيقولون:

بحث فيه، والمشهور القديمة «عن» كما للمصنف

«في» [تجاء للبحوثي وأرباب الأفعال.

«ما يتركك عليه» «البحوث»: السَّر، ومنه المثل

«ما يتركهم» كذا في مجمع الأمثال. (١٠١: ١)

النصوص التفسيرية

يَبْحَثُ

لَبِثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارَى

نُزُوءَ أَهْلِهِ... المائدة: ٢١

ابن مسعود: لما مات الفلام تركه بالمرأه ولا يعلم

كيف يدفن، فبحث الله غرابين أخوين فافتتلا، فقتل

أحدهما صاحبه، فحفر له، ثم حنأ عليه، فلما رآه قال:

«يَا وَيْلَتَى أَعْبَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارَى

نُزُوءَ أَهْلِي» المائدة: ٢١.

سورة البَحُوت «إِنِّي أُرِيَهُمْ جُنُودًا وَمِثْلَ نَارٍ

الْتَوَى، سَمِعْتُ بِهَا مَا تَضَمَّنَتْ مِنَ الْبَحْثِ عَنْ أَسْرَارِ

الْمُنَاقِقِينَ، وَهُوَ إِتَارَتُهَا وَالتَّحْشِيشُ عَنْهَا، وَالبَحُوت: جمع

بَحْث.

ورأيت في «الفاقي» سورة البَحُوت يفتح الباء، فإن

صَحَّتْ فهي «قوله» من أبنية اللبائنة، ويقع على الذكر

والأنثى كأمراء متبور، ويكون من باب إضافة الموصوف

إلى الصلة. (٩٩: ١)

الضَّغَانِي: وابحث الضَّغِي: أَيْب به، فهو مُبْتَحَث.

[ثم استشهد بشعر] (٣٥٠: ١)

الزَّابِي: بحث عنه من باب «قطع» وتبحث عنه.

أي فتش. (٥٣)

أَبْرَحِيَّان: للبحث في الأرض: نيش القَرَاب

وإتارته، ومنه سميت «مرأة» بَحُوت. ولي المثل «لا تترك

كالباحث عن الشره». (٢٥٩: ٣)

الْفَيُومِي: بحث عن الأمر بحثاً من باب «نفع»:

استقصى، ويبحث في الأرض: حفرها، ولي التذييل:

«لَبِثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ» المائدة: ٢١.

(٣٦: ١)

الفَيُومِي أَيْبَادِي: بحث عنه كمنع، واستبحث

وانبحث وتبحث: فتش.

ومباحث البقر: القفر، أو المكان المجهول.

والبَحْث: المَعِين، والمَحْية الضَّيْقة.

والبَحْثَة والبَحْثِي كَسَيْبِي: أَيْب بالبحاث، أي

القَرَاب.

وانبحث: أَيْب به.

نحوه ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة.

(الطبري ٦: ١٩٧)

الأصم: معناه يميت الله غراباً يميت القرب على القتل، فلما رأى قابيل ما أكرم الله به هابيل، وأنه يميت طيراً ليواريه، وتعلل قربه، قال: (الطبرسي ٢: ١٨٥)

نحوه الزجاج.

الطبري، تأويل الكلام: لما نذر الله للقاتل، إذ لم يدرك ما يصنع بأخيه المقتول، غراباً يميت في الأرض، يقول: يحفر في الأرض، فينير غرابها، ليؤريه كيف يوارى سوء أخيه.

(١٩٩: ٦)

أبو مسلم الأصفهاني، حادة القرب يميت الأنبياء، فجاء غراب فدفن شيئا، فميت ذلك منه. (القنبر الزاوي ١١: ٢٠٩)

الطوسي، قيل: إنه كان أول ميت من الناس.

فلذلك لم يدرك كيف يواريه وكيف يدفنه، حتى يميت الله غرابين: أحدهما حي والآخر ميت، وقيل: كانا حيين، فقتل أحدهما صاحبه، ثم يميت الحي الأرض فدفن فيه القرب الميت، فعمل به مثل ذلك قابيل، وهو قول ابن عباس، وابن مسعود، وابن مالك، ومجاهد، والضحاك، وقتادة.

وفي ذلك دلالة على فساد ما قال الحسن، وأبو علي، ولهم مسلم: إنها كانا من بني إسرائيل، لأنه لم يكن الناس إلى زمان بني إسرائيل لا يدرون كيف يدفنون ميتهم.

(الطبرسي ٣: ٤٩٩)

الطبرسي، [بعد نقل كلام الطوسي والأصم قال:]

وقيل: كان ملكاً في صورة القرب. وفي هذا دلالة على أن القرب من القرب، وإن كان المعنى بذلك الطير كان مقصوداً، وكذلك أضاف سبحانه يمته إلى نفسه ولم يقع اثماً، كما قاله أبو مسلم، ولكنه تعالى ألقمه.

وقال المصنف: كان ذلك معجزاً، مثل حديث أخذ وحمله الكتاب، ورفقه الجواب إلى سليمان. ويجوز أن يزيد الله في فهم القرب حتى يعرف هذا القدر، كما نأمر صبياننا فيهمون هنا. (١٨٥: ٢)

القنبر الزاوي: ﴿لَمَيِّتَ اللَّهُ غَرَابًا﴾ وفيه وجوه: الأول: يميت الله غرابين فاقبلا فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ويرجليه، ثم ألقاه في الحفرة؛

فعمل قابيل ذلك من القرب.

الثاني: [قول الأصم وقد تقدم] (١١: ٢٠٩)

الثالث: [قول أبي مسلم وقد تقدم] (٦: ٨٥)

أبو عبيان، روي أنه أول فليل قتل على وجه الأرض، ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به، فخاف السباع، فعمله في جراب على ظهره سنة حتى لزوج وهكفت عليه السباع، لميت الله غرابين فاقبلا، فقتل أحدهما الآخر، فحفره بمنقاره ويرجليه ثم ألقاه في الحفرة، فقال: ﴿يَا وَيْلَتَى أَعْمَزْتُ﴾.

وقيل: يميت الله غراباً إلى غراب يميت، فجعل يميت في الأرض، ويملئ القرب على القرب الميت. وقيل: يميت الله غراباً واحداً، فجعل يميت ويملئ القرب على هابيل.

وروي أنه أول ميت مات على وجه الأرض.

وكذلك جهل سعة الموارد.

والظاهر أنه غراب بعث الله، يبعث في الأرض
ليري قاييل كيف يوارى سوء هابيل، فاستغاد قاييل
يبحث في الأرض أن يبعث هو في الأرض، فيستر فيه
أخاه. (٣: ٤٦٥)

الثاسمي: (يَبْحَثُ) أي يحفر بمنقاره ويرجله.
متعمقًا في الأرض. (٦: ١٩٤٧)

رهيد رضا: إن الله تعالى بعث غرابًا إلى المكان
الذي هو فيه، فبحث في الأرض، أي حفر برجليه فيها.
يفتش عن شيء. والمعهود أن الطير تصل ذلك لطلب
الطعام. والمتبادر من العبارة أن الغراب أطلال البحث في
الأرض، لأنه قال: (يَبْحَثُ) ولم يقل: «يَحْتَفِر» والمضارع
يفيد الاستمرار.

فلما أطلال البحث أحدث حفرة في الأرض، فبما
رأى القاتل الحفرة وهو متحير في أمر مولودة سوره
أخيه، زالت الحيرة واعتدى إلى ما يطلب، وهو دفن
أخيه في حفرة من الأرض، هذا هو المتبادر من الآية.
وقال أبو مسلم: إن من عادة الغراب دفن الأشياء،
فجاء غراب لدفن شيئًا، فسلم منه ذلك. وهذا قريب
أيضًا، ولكن جمهور المفسرين قالوا: إن الله بعث غرابين
لا واحدًا، وإتباعًا لقتل أحدهما الآخر، فحفر
بمنقاره ويرجله حفرة لدفن أخيه.

وماجاء هذا إلا من الروايات التي مصدرها
«الإسرائيليات» على أن مسألة الغراب والدفن لا ذكر
لها في التوراة، وفي هذه الروايات زيادات كثيرة،
لا فائدة لها ولا صحة. (٦: ٣٤٦)

الطباطبائي: والآية بسياقها تدل على أن القاتل
قد كان يتي زمانًا على تحير من أمره، وكان يحذر أن يعلم
به غيره، ولا يدري كيف الحيلة - بل أن لا يظفروا بحسده.
- حتى بعث الله الغراب.

ولو كان بعث الغراب ونحوه وفككه أخاه متقاربين، لم
يكن وجه لقوله: ﴿يَا وَيْلَتَى أَنَعَبْرْتَ لِأَنَّا أَكُونُ بِمِثْلِ هَذَا
الْغُرَابِ﴾ للمائدة: ٣٦.

وكذا المستغاد من التبراق: أن الغراب دفن شيئًا في
الأرض بعد البحث، فإن ظاهر الكلام أن الغراب أراد
إبراء كيفية المولودة لا كيفية البحث، ويجوز البحث ما كان
يعلمه كيفية المولودة، وهو في سذاجة الفهم، بحيث
انتقل ذهنه بعد إلى معنى البحث، فكيف كان ينتقل
من البحث إلى المولودة ولا تلازم بينهما بوجه، فلما انتقل
إلى معنى المولودة بما رآه لأن الغراب بحث في الأرض ثم

والغراب من بين الطيور من عادته أنه يدفن بعض
ما استطاع لنفسه بدفنه في الأرض، وبعض ما يقتات
بالحب ونحوه من الطير، وإن كان ربما بحث في الأرض
لكنه للحصول على مثل الحبوب والذبدان، لا للدفن
والادخار. (٥: ٣٠٦)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المائدة إثارة الغراب بحثًا عن شيء.
فيه، ومنه البحث، بمعنى المعلن، يُبحث فيه عن الذهب
«الفضة ونحوها»، والجماعة: الغراب الذي يُبحث فيه
عن شيء فيه.

ثم توسع المعنى إلى إثارة التراب دون البحث عن شيء فيه، ومنه البحوث من الإبل: التي تبحث التراب بأخفافها في سيرها.

ثم توسع إلى الدراسة والبحث في العلوم، ومن هنا قيل لسورة برقة: البحوث، لأنها بحثت عن المناقير وأسرارهم.

ثم توسع إلى مطلق الكشف، فكل شيء بحثت عنه فقد كشفته، فهذه المعاني نشأ بعضها من بعض بترتيب. وقد التفت ابن دُرَيْد إلى ذلك، حيث قال: «وكان أصل ذلك ابتداءك في التراب من الشيء للدفون فيه». ثم قال: «وكل شيء بحثت عنه فقد كشفت عنه، ثم كثر ذلك حتى قالوا: بحثت عن الكلام والسر، ومثل ذلك».

وأما الحكيل فلم يوف حق البحث، حيث قال: «البحث: طلبك شيئاً في التراب ومزاولك مستحولاته وظليره غيره من اللغوئين، ومنهم الزاغب المشهور بالدقة، حيث قال: «البحث: الكشف والطلب...» إذ فسر اللفظ بأوسع معانيه وآخرها احتيازاً.

٢- والبحث والفحص واحد، يقال: بحثت ببحث عن الشيء وفيه بحثاً، وتبحث وابحثت عنه: طلبه، وكذا فحص يفحص عنه وفيه فحصاً، وتفحص وافحص عنه: طلبه أيضاً.

إلا أن «الفحص» بحث فيه إيمان وإغراق، لذا قال الحكيل: «الفحص: شدة الطلب خلال كل شيء»، تقول: فحصت عنه وعن أمره لأعلم كنه حاله.

وقد أخذ ذلك من «الأصوص»، وهو بحث القطة

والدجاجة وشبهها، لأنها تفحص برجليها وجناحيها في التراب، ثم تبيض فيه وتفرخ.

لنا «البحث» فقد أخذ من «الباحثاء»، وهو تراب عند جحر اليربوع، يخيل إلى من يراه أنه جحره، وليس به، بل يورّي به اليربوع عن جحرته، وهي: النافقاء والقاصماء والنكماء والزاهطاء، وإنما يفعل ذلك احترازاً من أن تدهه حية أو دابة.

٣- وقد استعملت أفعال هذه المادة لازمة ومصدية، يقال: بحث الشيء والأمر وعنه يبحث بحثاً، وابحثت وتبحث واستبحثت عنه، وابحثته، واستبحثت أيضاً: طلبه وفحص عنه، وكذا بحث الأرض والأمر وفيه.

ويبدو أن التعدية بدون حرف في هذه الأفعال جاءت حين استعملت بمعنى مطلق البحث والكشف، كما يستشف ذلك من النصوص.

«البحث: طلبك شيئاً في التراب ومزاولك مستحولاته وظليره غيره من اللغوئين، ومنهم الزاغب المشهور بالدقة، حيث قال: «البحث: الكشف والطلب...» إذ فسر اللفظ بأوسع معانيه وآخرها احتيازاً.

٣١- استعمالاً غير مشهور، وهذا عجب عجاب! والفريب أن أرباب المعاجم لم يستشهدوا بالآية المذكورة في هذه المادة، رغم ورودها مرة واحدة في القرآن، إلا صاحب «المصباح المنير»، فقد استشهد بها، ولكنه فسر «البحث» بالحفر، وهو ليس كذلك، بل كان التراب يثير للتراب بحثاً عن شيء فيه، بترم وليس عتاً.

٥- ونكاد نلاحظ الحرف «في» عند استعمال «بحث» اللازم في قول النعمان: بحث بالتراب، فهم يقلبونه بناءً

لا يقوم مقامه ■ آخر بتاء، إذ معناه - أي الإثارة -
يتمكس على ما يلي:

أ- إثارة القرباب بمغالاب القرباب ومتقاره: ﴿قَبَّعَتْ
لَهُ غُرَابًا يَحْكُمُ فِي الْأَرْضِ﴾.

ب - إثارة مالم يحظر ببال قابيل: ﴿لِيُخْبِرَهُ كَيْفَ
يُؤَادِرُ سُوَّةَ أَخِيهِ﴾.

ج - إثارة حزن قابيل وأسفه: ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَى
أَعْمَلْتُ أَنْ أَكُونَ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرَابِ فَأُوَادِرُ سُوَّةَ أَخِي
فَأُضْحِكُ مِنَ النَّاسِ بَعِيدِينَ﴾.

٢- تم إن «المفر» لا يست إلى القرباب وسائر الطير،
بل يست إلى الإنسان وإلى كل حيوان يستخرج قراب

الأنفاس، ويمكن في بياضها كاليربوع. وربما يست
الأنفاس إلى الطير، إلا أنه يعني استخراج شيء بعد

٢- تم إن «المفر» لا يست إلى القرباب وسائر الطير،
بل يست إلى الإنسان وإلى كل حيوان يستخرج قراب

الأنفاس، ويمكن في بياضها كاليربوع. وربما يست
الأنفاس إلى الطير، إلا أنه يعني استخراج شيء بعد

٢- تم إن «المفر» لا يست إلى القرباب وسائر الطير،
بل يست إلى الإنسان وإلى كل حيوان يستخرج قراب

الأنفاس، ويمكن في بياضها كاليربوع. وربما يست
الأنفاس إلى الطير، إلا أنه يعني استخراج شيء بعد

٢- تم إن «المفر» لا يست إلى القرباب وسائر الطير،
بل يست إلى الإنسان وإلى كل حيوان يستخرج قراب

الأنفاس، ويمكن في بياضها كاليربوع. وربما يست
الأنفاس إلى الطير، إلا أنه يعني استخراج شيء بعد

دائماً، أمّا «بَحَثَ» للمتدني فهم يظنون الثاء فيه شيئاً،
وهي لغة سريانية^(١)، لعدم وجود الثاء فيها، فيقولون:

بَحَثَ الحفر، وقد يقولون: بَحَثَ عنه، كما يقال: بَحَثَ
جويوه ويَحْوَشُها أيضاً.

٦- ومما ابتدعه أدباء هذا العصر، وجرى على
لُغَتِهِمْ، وشاع في كتبهم، قولهم: باحث في الأمر، أي

بحث معه فيه، وأنشأوا صيغة مبالغة لاسم التفاعل
«باحث»، فقالوا: بحثت وبحاته، كما جمعوا لفظ «بحث»

على «أبحاث»، والمعروف فيه - كما في «لسان العرب» -
«بحوث»، وبه سميت المؤسسة التي تدرّس هذه أقسام

تحقيقية - منها قسمنا، قسم القرآن - باسم «مجمع
البحوث الإسلامية»، وهي أكبر مؤسسة للبحوث في

إيران، وقد أسستها سادة الأساتذة^(٢) الرضوية للفتنة
في مدينة مشهد، مركز محافظة خراسان

ولا يزال «البحث» يحتاج إلى بحث، وتمتته في كتابنا
(ح ق ي) إن شاء الله.

الاستعمال القرآني

١- لا يملك أن «البحث» في قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُ أَنَّ
غُرَابًا يَحْكُمُ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني الحفر في الأرض وإثارة

ترايبها، كما ذهب إلى ذلك المفسرون قاطبة. ولكن ألم
يكن لفظ «مفر» أو «ينش» أقرب من لفظ «بحث»

مادام المضي يدور حول حفر الأرض؟ هكذا يبدو ظاهر
اللفظ، إلا أن يحمل «المفر» على إثارة القرباب للكشف

عن شيء فيه، يستدرك القرباب،
يد أن من يتتبع في الآية يرى أن لفظ «يبحث»

(١) أنظر قاموس سرياني عربي.
(٢) مشهد.

والاستباط فهو يعني الاستخراج بجهد: ﴿لَقِيلَتْهُمُ الَّذِينَ يَسْتَرْشِدُونَ عَنْهُمُ الْمَسَاءَ ۚ ٨٣﴾



مركزية النشر والدراسات

بحر

٧ ألفاظ، ٤٢ مرة: ٢١ مكية، ١١ مدنية

في ٢٦ سورة: ٢١ مكية، ٥ مدنية

البحرين ٤: ٣-١	بحر ١: ١
البحار ٢: ٢	البحر ٢٥: ٧-٣٢
أبهر ١: ١	البحران ١: ١
	بحيرة ١: ١

والبحيرة: كانت الثالثة تُحمر بحرًا، وهو شقُّ أُنْها،
يُعمل بها ذلك إذا تجمعت عشرة أطنان فلا تُركب ولا يُفتح
ظهرها، فنهاهم الله من ذلك، قال الله تعالى: ﴿مَتَجَلَّ

١٠٣

النصوص اللغوية

الخليل: البحر سُمي به لاستبحاره، وهو انبساطه
وسنّه، ونقول: استبحر في العلم.
وتبحر الزراعي: وقع في رِغِي كثير. [ثم استشهد
بشعر]

وتبحر في المال.

وإذا كان البحر صغيرًا، قيل له: بُحَيْرَة،
وأما البحيرة في طبرية فإنها بحر عظيم، وهو نحو من
عشرة أميال في سكة أميال، يقال: هي علامة لخروج
الدجال، فيسحق حتى لا يبقى فيها قطرة ماء.

وبنات بحر: ضرب من السحاب.

والبحار: الأحمق الذي إذا كَلِمَ يجر ويقي كالسهوت.
ورجل بَحْرَانِي: منسوب إلى البحرين، وهو موضع
بين البصرة وحمّان. يقال: استهينا إلى البحرين، وهذه
البحران شريتا. (٢١٩: ٣)

يسبيؤيه: زعم الخليل أنهم بنوا «البحر» على
قَتْلان، وإنما كان القياس أن يقولوا: بَحْرِي. (٣٣٦: ٣)
الضبي: البحر في النعم يستزله الشّام في الإبل،
ولا يكون في الإبل بَحْرًا، ولا في النعم شام.

(ابن فارس ١: ٢٠٢)

البريدي، سألني المهدي وسأل الكسائي عن
النسبة إلى البحرين وإلى الحصنين: لم قالوا حصني
وبحراني؟ فقال الكسائي: كرهوا أن يقولوا: حصناتي
لاجتماع التوتين. قلت أنا: كرهوا أن يقولوا: بحري،
فتشبه النسبة إلى البحر. (الأزهري ٥: ٤٠)
أبو عبيد: يقال للفرس: إنه كبحر ولله تحت. أي
واسع السير. (الفروي ١: ١٣٥)
أبو عمرو القبياني: البحر والبيهر: الذي به
للش، والشير: الذي قد انتظمت رثته، وقال: شجر
وناجر بحري، أي حضري. [تم استشهد بشعر]
يقال للعظيم البطن: بحري. [تم استشهد بشعر]
والهجرة: منبت النعام من الأودية.

(الأزهري ٥: ٤١)

بحرت الإبل، إذا أكلت القشر، فتخرج من طونها
دولبة كأنها حبات. (ابن فارس ١: ٢٠٢)
الفرأ: البحيرة: هي ابنة السابة.

(الأزهري ٥: ٣٩)

والبحر: أن يلقى البحر بالماء فيكثر منه حتى يصيبه
منه داء، يقال: يبحر يبحر ببحراً فهو: ببحر. [تم استشهد
بشعر] وإذا أصابه الداء كسوي في مواضع
فبحراً. (الأزهري ٥: ٤٢)

البحرة: الروضة. (ابن فارس ١: ٢٠١)

أبو عبيدة: يقال للفرس الجواد: إنه كبحر لا يمتكن
حضره. (الأزهري ٥: ٤١)

أبو زيد: يبحر الإبل: أكلت شجر البحر، ويبحر
الرجل سبيح في البحر فانظمت سباحته. ويقال للماء إذا

غلظ بعد عذوبة: استبحر. وماء بحر، أي ملح. [تم
استشهد بشعر] والأشهار كلها بحار.

(ابن فارس ١: ٢٠١)

الأصمعي: يقال: فرس بحر وفير وسكب
وحث، إذا كان جواداً كثير التدو. (الأزهري ٥: ٤٢)
بحر الرجل بالكسر يبحر ببحراً، إذا تحير من الفزع،
مثل بجر.

ويقال أيضاً: بحر، إذا اشتد عطشه فلم يزد من الماء.

(البيهقي ٢: ٥٨٦)

أبونصر الباهلي: البحار: الواسعة من الأرض،
الواحدة: بحرة. [تم استشهد بشعر]

البحرة: الوادي الصغير يكسوت في الأرض

(ابن سيده ٣: ٢٤٠)

ابن الأعرابي: أبحر الرجل، إذا أخذ الشئ. وأبحر
الرجل، إذا اشتدت حمة أنه. أبحر، إذا صادف إنساناً
على غير اعتاد ونصب لرؤيته، وهو من قولهم: لقيته
صخرة بكرة. (الأزهري ٥: ٣٧)

البحرة: المنخفض من الأرض، والبحر: اليزار،
والأخترج: المرباع المكاء. (الأزهري ٥: ٣٩)
الباجر: الفضولي، والباجر: الكذاب، والباجر:
الأحمر الشديد الحمرة.

يقال: أحمر باحري وبحراني.

أحمر قاني وأحمر باحري وذريحسي، بمعنى
واحد. (الأزهري ٥: ٤١)

البحير المسلول: الجسم الغائب اللحم. [تم
استشهد بشعر] (الأزهري ٥: ٤٢)

ورجل يجر: ملول ذاهب اللحم.

(ابن سيدة ٣: ٢٤١)

الأموي: البقرة: الأرض والبلدة، ويقال: هذه

بقرتها.

والماء البحر، هو الملح، وقد أبحر الماء، إذا صار

ملحاً. (الأزهري ٥: ٣٨)

ابن السكيت: يقال: أبحر فلان، إذا ركب البحر

والماء. وقد أبحر، إذا ركب البحر. (إصلاح المطلق: ٣٠٩)

الزيادي: البحر: اصله اللون. والتحير الذي

يشكي تحيره. (ابن فارس ١: ٢٠٢)

شعر: يقال: بحر الرجل، إذا رأى البحر، فغرف

حتى دُش، إذا رأى ما اليرق فتحير. ويحير، إذا رأى

البحر الكثير، وسله غرق وغرق وفري.

(الأزهري ٥: ٤١)

البقرة: الأوقه يستفتح فيها الماء.

(الأزهري ٥: ٣٩)

ابن دُرَيْد: البحر معروف، والحرب تُسمى الماء

الملح والتذب بمرًا إذا كثُر. وفي التنزيل: «مَرَجَ الْفُجْرَيْنِ

يَلْتَقِيَانِ» الرحمن: ١٩، يعني للملح والتذب، والله أعلم.

وتبحر الرجل في المال والطمع، إذا اتسع فيها.

والثاقة البعيرة: التي تُشَقُّ أذنُها بصفين، وهذا

تفسير بعض أهل اللغة.

وقال آخرون: بل البعيرة: أن تشق الثاقة عشرة

أُظُن، فإذا استكملت ذلك شقوا أذنُها وتركوها ترمي

وترد الماء. وحرّموا لحومها إذا ماتت على نساءهم، وأكلها

الرجال دون النساء.

وفي البعيرة: كلام كثير يؤتى عليه في كتاب

«الاشتقاق» إن شاء الله.

وقد سُمّت الحرب بحرباً وبحيرةً وبحراً، وهو بحري

بطن منهم، وأحسب موضعاً يتجدد يُسمى بحاراً، ويقال:

بحاري، وقد سُمّت الحرب ببحيرة، الياء زائدة، وهو

مأخوذ من التبخر والتسعة.

ودمٌ باحري وبحراني، إذا كان خالص الحيرة من دم

الجنوف. (١: ٢١٧)

يقال: أبحرته بالبحر صخرةً بحرةً وصخرةً بحيرةً.

(٣: ٤٦٠)

أي كفاحاً لم يستقر منه شيء.

ينفطويه: كل ماءٍ يسلح فهو بحرٌ، وقد أبحر

(المفرد ١: ١٣٤)

يقال: فرس بحرٌ إذا شبه الفرس بالبحر، لأنه أراد

أن يجره كجري ماء البحر. أو لأنه يسبح في جريه

(الزبيدي ٣: ٢٨)

الأزهري: سمي البحر بحرًا لأنه شق في الأرض

شقاً، وجعل ذلك الشق لمانه قرازا. والبحر في كلام

الحرب: الشق، ومنه قيل للثاقة التي كانوا يشقون في

(٥: ٣٧)

أذنُها شقاً بحيرةً.

[ويجد قول الزجاج في معنى البعيرة قال:]

وقيل: البعيرة: الثاقة إذا ولدت خمسة أبطن فكان

آخرها ذكراً بحراً وأذنُها، أي شقوها، وتركوا غلامها

أحد.

قلت: والقول هو الأول، لما جاء في حديث أبي

الأحوص الميموني عن أبيه أن النبي ﷺ قال له: «أزب

إِلَى أَنْتِ أَمْ رَبِّ غَيْرُ؟ فَقَالَ: مِنْ كُلِّ عَدَاةٍ آتَانِي اللَّهُ فَأَكْثُرُ،

[بشر]

فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَنْتَجِ بِإِلَهِكَ وَافِيَةً لُذُنْهَا فَتَشَقَّ فِيهَا وَتَقُولُ:

وَسَلِّ لِمَنْ عَشَّاسٌ عَنِ الْمَرْأَةِ تُسْتَعَاذُ وَيَسْتَمَرُّ بِهَا

الدَّمُ فَقَالَ: تُصَلِّي وَتَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ، فَإِذَا رَأَتْ الدَّمَ

يَجْرِي، يَرِيدُ جَمْعَ الْبَحِيرَةِ، [وَبَعْدَ نَقْلِ قَوْلِ الْخَلِيلِ فِي

الْبَحْرَانِي قَعْدَتْ عَنِ الصَّلَاةِ.

مَعْنَى الْبَحْرِ قَالَ:]

وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ قَرْيَةٍ: هَذِهِ بَحْرُنَا، (٢٨: ٥)

وَقِيلَ: الدَّمُ الْبَحْرَانِي مَسْنُوبٌ إِلَى قَسْرِ الرَّجَمِ

وَعُقَّتْهَا، [نَحْوُ اسْتَشْهَدَ بِشَرٍّ]

قَالَ الرَّبَّاجُ: وَكُلُّ نَهْرٍ ذِي مَاءٍ وَهُوَ يَجْرِي.

قُلْتُ: كُلُّ نَهْرٍ لَا يَنْقَطِعُ مَآؤُهُ مِثْلَ وَجْثَةٍ وَالتَّيْلِ

يَقَالُ: دَمٌّ بِأَجْرِي أَيْضًا، إِذَا كَانَ شَدِيدَ الْحُمْرَةِ.

وَمَا أَشْبَهَهَا مِنَ الْأَنْهَارِ الْعَذْبَةِ الْكِبَارِ فَهِيَ بِحَارٌ.

(٤١: ٥٠)

وَأَمَّا الْبَحْرُ الْكَبِيرُ الَّذِي هُوَ مَلِيحٌ هَذِهِ الْأَنْهَارِ

[بَعْدَ نَقْلِ قَوْلِ الْفَرَّاءِ قَالَ:]

لِلْكَبَارِ فَلَا يَكُونُ مَآؤُهُ إِلَّا يَلْحًا أَجَاجًا، وَلَا يَكُونُ مَآؤُهُ إِلَّا

قُلْتُ: الدَّمُ الَّذِي يُصِيبُ الْبَحِيرَ فَلَا يَزُولُ مِنَ الْمَاءِ

هُوَ التَّجَرُّ بِالنُّونِ وَالْجِيمِ، وَالتَّجَرُّ بِالنُّونِ وَالْجِيمِ، وَكَذَلِكَ

رَأَيْتُكَ.

وَأَمَّا هَذِهِ الْأَنْهَارُ الْعَذْبَةُ لَمَّا وَهِيَ جَارِيَةٌ وَصَحَّتْ هَذِهِ

الْبَحْرُ، وَأَمَّا التَّجَرُّ فَهُوَ دَاءٌ يُوْرَثُ الْكُلُّ.

الْأَنْهَارُ بِحَارًا مُشْقُوْقَةً فِي الْأَرْضِ عَقًّا.

يَقَالُ: اسْتَبَحَرَ الشَّاعِرُ، إِذَا اتَّسَعَ لَهُ الْقَوْلُ، [نَحْوُ]

وَيَقَالُ لِلزَّوْجَةِ: بَحْرَةٌ، وَقَدْ أَجْرَتْ الْأَرْضُ، [بَنَاتُ]

اسْتَشْهَدَ بِشَرٍّ]

مَنَاقِعِ الْمَاءِ فِيهَا.

وَكُنَّ لَهَا بَنَاتٌ عَشْرٌ يُقَالُ لَهَا: الْبَحْرِيَّةُ، لِأَنَّهَا

كَانَتْ هَاجِرَةً إِلَى بِلَادِ النَّجَاشِيِّ فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ، وَكُلُّ

[بَعْدَ نَقْلِ قَوْلِ الْيَزِيدِيِّ قَالَ:]

مَآئِيبٌ إِلَى الْبَحْرِ فَهُوَ بَحْرِيٌّ.

قُلْتُ أُنَا، وَأَمَّا تَنَوَّرَ الْبَحْرَيْنِ، لِأَنَّ فِي نَاحِيَةِ قُرَاهَا

الْفَارَسِيِّ: الْبَاحُورُ: الْقَصْرُ، (ابن سيدي ٣: ٢٤٦)

بَحِيرَةٍ عَلَى بَابِ الْأَحْسَاءِ، وَفَرَى حَجَرٍ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ

الصَّاحِبِ: يَجْرِي سَحْبِي الْبَحْرِ بِحَرٍّ لَا اسْتِغْنَاءَ.

الْأَخْطَرُ حَشْرَةٌ فَرَاغٌ، وَفَقَدَتْ الْبَحِيرَةُ ثَلَاثَةَ أَسْبَالٍ

وَاتِّسَاطُهُ وَسَعَتُهُ، وَكَذَلِكَ التَّجَرُّ فِي الْعِلْمِ وَالْمَالِ، وَالتَّجَرُّ

فِي مِثْلِهَا، وَلَا يَلِيْضُ مَآؤُهَا، وَمَآؤُهَا رَاكِدٌ رُصَاقٌ، [نَحْوُ]

الْقَوْمِ: رَكِبُوا الْبَحْرَ.

اسْتَشْهَدَ بِشَرٍّ]

وَقَالَ اللَّيْثُ: بَنَاتُ بَحْرٍ: ضَرْبٌ مِنَ السَّحَابِ.

وَالْبَحْرَانُ: الْمَلْحُ وَالْعَذْبُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: مِزْجُ

قُلْتُ: وَهَذَا تَصْغِيرٌ مُنْكَرٌ، وَالصُّوَابُ بَنَاتُ بَحْرٍ.

وَالْبَحْرَانُ: الْمَلْحُ وَالْعَذْبُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: مِزْجُ

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ مِنَ الْأَحْسَنِ: يُقَالُ لِسَحَابٍ يَأْتِيَانِ

الْبَحْرَيْنِ يَنْتَقِيَانِ: الرَّحْمَنُ: ١٦.

قَبْلَ الصَّيْفِ مُتَّصِبَاتٌ: بَنَاتُ بَحْرٍ وَبَنَاتُ عَجْرٍ بِالنُّونِ

وَالْجِيمِ، وَهُوَ ذَلِكَ قَالَ اللَّحْيَانِيُّ وَغَيْرُهُ، [نَحْوُ اسْتَشْهَدَ

وَالْبَحْرَانُ: الْمَلْحُ وَالْعَذْبُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: مِزْجُ

وَالْبَحْرَانُ: الْمَلْحُ وَالْعَذْبُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: مِزْجُ

وَالْبَحْرَانُ: الْمَلْحُ وَالْعَذْبُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: مِزْجُ

أبحرث الرؤضة

والبحر: الزبد.

والبحر: الكثير الماء.

وفي المثل: «لأنه لعل ما بل بحر حوفة».

وبحرت ثلاثة بحرا: وهو شق أدنها، وهي البحيرة.

وبنات بحر: ضرب من السحاب.

والبحر: الأحمق الذي إذا كلم بقي وعبر كالمجهول.

والبحر: الذي أصابه انقطاع في حدو أو فرغ من

بحار.

ودجل بحراني: منسوب إلى البحرين بين البصرة

وهمان. ودجل منجر: يسكن البحرين.

والدم البحراني: الخالص، وباحري مثله.

وناقة باخرة من نوى بحر: وهي الصفايا النزار.

وبحر البير بحر: إذا أوقع بالماء فأصابه منه ماء.

وهو بالجمع أحرف.

والبحر من الخيل: الذي به بحر وهو خسر يعيه

فيأخذه منه الرئ.

والباخرة: شجرة من شجر الجبال شاككة

والبحور من الخيل: الذي يجري فلا يترك ولا يزيد

على طول المجري إلا جوده، وجمه: بحر.

وتقته صخرة بحرة: أي جيانا ومولجة، وقد

ينزلان ويحسان حتى أولها.

والبحر: انقطاع الرجل في عدوه طائبا كان أو

مطلوبا. (٣: ٩٦)

ابن جني: الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل

وضعه في اللغة، والجاز ما كان بضد ذلك، وإنما يقع الجاز

ويصل إليه من الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي: الاتساع،

والتوكيد، والتشبيه، فإن هدمت الثلاثة تمنت الحقيقة.

فن ذلك قوله **كذلك**: «هو بحر» فالمعاني الثلاثة موجودة فيه.

أما الاتساع فلا أنه زاد في أسماء الفرس التي هي:

فرس، وطرف، وجولد، ونحوها البحر، حتى أنه إن

احتيج إليه في شعر أو سجع أو أنشاع استعمل استعمال

بقية تلك الأسماء، لكن لا يفضى إلى ذلك إلا بتقريبه

نقط التشبيه، [ثم استشهد بنهر]

وكان يقول الساجع: فرسك هنا إذا ساء بفرته كان

فحرا. وإذا جرى إلى غايته كان بحرا، فإن جرى عن

فحرا، فلا، فلا يكون إلهاما وإقنازا.

وأما التشبيه فلأن جريه يجري في الكثرة مثل مائه.

وأما التوكيد فلا أنه شبه المرض بالجوهر، وهو أنه

(الزبد في ٣: ٢٧)

الجوهر في البحر: خلاف البحر، يقال: سمي بحرا

شعبه واتساعه، والجمع: بحر وبحار وبحور، وكل نهر

عظيم بحر. [ثم استشهد بنهر]

وسمى الفرس الواحد الجري بحرا، ومنه قول

النبي **كذلك** في مندوب فرس أي طلحة: «إن وجدناه

لبحر».

وماء بحر، أي يلح.

والبحر الماء: نلح. [ثم استشهد بنهر]

والبحر: غنى الزعيم، ومنه قيل للدم الخالص

المحرة: باجر وبحراني.

والبحرين: بلد، والتسبة إليه بحراني.

إذا أكلت عشباً عليه ندى فبحرّت عنه، وذلك لأنّ شخصاً
يَطْوِيها ويَهْلَس أجسامها. [ثمّ نقل قول الصيّ والزمادي
وقال:]

فإن قال قائل: فأين هذا من الأصل الذي ذكرناه
في الاتساع والانبساط؟

قيل له: كلّه محمول على البحر، لأنّ ماء البحر
لا يشرب. فإن شرب أوذت داء، كذلك كلّ ماء يُلح
وإن لم يكن ماء بحر.

ومن هذا الباب: الرجل الباهر وهو الأحمق، وذلك
أنّه يتسع بجهله فيا لا يتسع فيه للعقل.

ومن هذا الباب: بحرّت الناقة بحرّاً، وهو شقّ أذنها،
وهي البحيرة. وكانت العرب تفعل ذلك بها إذا تبيّحت
مصرة لبطن، فلا تركب ولا يتسع ظهرها، فنهاهم الله
تعالى من ذلك. وقال: ﴿مَسَاجِلُ اللَّهِ وَسِنِّ بُحَيْرٍ﴾
المائدة: ١٠٣.

ولنا الدّم الباهر والبحرانيّ فقال قوم: هو الشّديد
المحترق. والأصحّ في ذلك قول عبد الله بن مسلم^(١): إنّ
الدّم البحرانيّ منسوب إلى البحر. قال: والبحر ضيق
الرّجيم، فقد هاد الأمر إلى الباب الأوّل. وقال الخليل:
رجل بحرانيّ منسوب إلى البحرين وقالوا: بحرانيّ، فرقاً
بينه وبين المنسوب إلى البحر.

ومن هذا الباب قولهم: «لَقِيْتُهُ حَصْرَةً بِحْرَةً» أي
مشافهة. [ثمّ استشهد بشعر]

والبحر هو الرّيف. (٢٠١: ١)

الفرّوقيّ: والعرب تُسمّي الثّرى البحار. وفي بعض

وحدات بحر: سحابٌ يجئن قبيل الصّيف مصاباتٍ
يرقاها، بالماء والماء جميعاً.

والبحرة: البلدة، يقال: هذه بحرتنا، أي بلدتنا
وأرضنا.

ولقيته حَصْرَةً بِحْرَةً، أي بارداً ليس بينك وبينه
شيء.

وبحرّت أذن الناقة بحرّاً: شققها وغرقتها. ومنه
البحيرة.

ولبحر في العلم وغيره: أي تستق عليه وتوسع.
يقال: بحر، إذا امتدّ عطشه فلم يَزوَ من الماء.

والبحر أيضاً: داء في الإبل، وقد بحرّت.
والأحباء يُستون الضّيق الذي يحدث للخليل.

الأمراض الحادة بحرّاً، ويقولون: هذا يوم بحرانيّ
بالإضافة، ويوم باخوريّ على غير قياس. فكانت
منسوب إلى باخور وباحوراء، مثل حاشور وهاشوراء
وهو شدة الحرّ في شّور. وجميع ذلك مؤلّف.

(٢: ٥٨٥)

(٥٤)

نحو الرّازقيّ.

ابن فارس: الباء والماء والراء قال الخليل: سمي
البحر بحرّاً، لاستيعاده، وهو انبساطه وسعته. [إلى أن
قال:]

ورجل بحر، إذا كان سخياً، سمّوه لضيّع كفه
بالطاء، كما يطيض البحر.

قال بعضهم: البحرة: القبضة من الأرض تشع. [ثمّ
استشهد بشعر]

والأصل الثاني داء، يقال: بحرّت النّمل وأبحروها،

الحديث: «هذه البحيرة» يعني مدينة الرسول ﷺ، ومنه قول سعد رسول الله ﷺ حين شكاه إليه عبدالله بن أبي، قال: «يا رسول الله، فقلد كاذب، اصطاح لعل هذه البحيرة على أن يحضره قبل مئديك إن شاء». [تم استشهد بشعر]

يقال: أحمر باحري وبخراقي. (١: ١٣٥)
البحري: فإذا كان [الفرس] لا ينطع جريه فهو بحر، شبه بالبحر الذي لا ينطع ماؤه، ولؤل من تكلم بذلك النبي ﷺ في وصف فرس وكتبه. (١٧٢)
ابن سيدة: البحر: الماء الكثير يلحًا كان أو عذبًا، وقد غلب على الملح حتى قل في الغناب، وجمه: البحر وبخور وبخار.

وحاء بحر: يلح، قل أو كثر. [تم استشهد بشعر]
وأبحر الماء: سار يلحًا، والنسب إلى البحر وبخراقي على غير قياس. قال بيوتيه: قال الحكيل، كأنهم يروا الاسم على كحلان.

والبحر والاستبحار: الانبساط والسعة. واستبحر الرجل في العلم والمال، وتبحر: اتسع. وتبحر الزاهي في رغب كثير: اتسع. وكله من «البحر» لسنه وبحر الرجل: فزع من البحر وأبحر القوم: ركبوا البحر.

وقوله: «يا هادي الليل جرت» إنما هو البحر أو النجر. فسر: ثلث فقال: إنما هو الهلال، أو ترى النجر، شبه الليل بالبحر.

والبحر: الرجل الكريم، الكثير المعروف وفرس بحر: جواد كثير القذو، على التشبيه بالبحر.

والبحر: الزيف، وبه فسر أبو علي قوله تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» الروم: ٤١، لأن البحر الذي هو الماء لا يظهر فيه فساد ولا صلاح. [تم استشهد بشعر]

والبحرة: القفوة من الأرض تشح، والبحرة: الروضة الطيبة من سعة، وجمها: بحر وبحار. [تم استشهد بشعر]

وبحر الرجل والبحر بحرًا فهو بحر، إذا اجتهد في القذو طالبا أو مطلقا، فاضطع وضط، ولم يزل بشر حتى اسود وجهه وتغير.

وبحر الرجل: بُعث، والباحر: الأحمق الذي إذا كلمه في الملوك. وقيل: هو الذي لا يملك حنفاً. وبخرا البحر: غلبه.

ودم باحري وبخراقي: خالص المسترة من دم الجوف، وهم يطمع به فقال: أحمر باحري وبخراقي، ولم يطمع به دم الجوف ولا غيره.

وبحر الناقة والشاة يبحرها بحرًا: شق أذنها بنصفين، وقيل: بنصفين طولًا، وهي التبجيرة. وكانت العرب تعمل بها ذلك إذا تبيقتا عشرة أبطن، فلا ينطع منها بلين ولا ظهر، وتترك «البحيرة» تزعى وتبرد الماء، وتحرّم لحنها حل النساء وتعمل للرجال، فهي الله تعالى عن ذلك، فقال: «خافق الله بين بحيرة ولا سانية ولا جيلة ولا حام» المائة: ١٠٣.

وقيل: التبجيرة من الإبل: التي جُمِرت أذنها، أي شُقَّت طولًا. ويقال: هي التي خلّيت بلا راع، وهي أيضًا النقرة، وجمها: بحر، كأنه توهم حذف الهاء.

والبخرة: الأرض والبلدة.

ولقيته سخرة^(١) بخرّة، إذا لم يكن بينك وبينه شيء.

والبخران: موضع بين البصرة وعتمان، النسب إليه

بحري وبحراني.

وقد سمّت: بخرّا، وبخيرا وبخيرا وبخيرا وبخيرة.

وينو بحري بطن. وبخرة وبخرا، موضعان. [تم استشهد

بشرا]

(٢٢٩: ٣)

الطوسي: [مثل الخليل وأضاف:]

وبخراني منسوب إلى البحرين، ودم بخراني وباحر

إذا كان خالص الحرة من دم الجوف.

والعرب سمي المالح والتذب بخرّا، إذا كفر، ومنه

قوله: «ترجّ الهلزيين يئسّان» الرحمن: ١٩

المالح والتذب.

وأصل الباب الاتساع، والبحر: هو المجرى الواسع

الكثير الماء، وأما المالح: فهو الذي لا يرى حاله من في

وسطه لظلمه وكثرة مائه، فيجئله بحرّا بالإضافة إلى

الساقية، وليست بحرّا بالإضافة إلى جدة وساجرى

بمراها. (٢٢٦: ١)

والبحر: هو المجرى الواسع الماء الذي يزيد على ستة

النهر. (٥٨: ٢)

مثله الطبرسي.

والبحر: الواسع الطير السعة من مستقر الماء، وما

هو أعظم من كلّ نهر، وأصله: السعة، ومنه البحيرة التي

يُبحر أُنْها، أي توسع شتتها.

وتبحر في العلم، إذا اتسع فيه، وقوي تصرفه

به. (٥٦٠: ٤)

والبخر: مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه

حافاته، وجمعه: أبخر وبخور. ويشبه به الجواد، فيقال:

إنما هو بخر، لاتساع عطائه. (٤١٣: ٥)

الواجب: أصل البخر: كلّ مكان واسع جامع للماء

الكثير، هذا هو الأصل، ثم اعتُبر تارة سعة المساكن،

فيقال: بخرت كذا، لم سعة سعة البحر تشبيها به، ومنه

بخرت البئر، شققت أدنّه شقّا واسعا، ومنه سُميت

البحيرة.

قال تعالى: «فاجعل الله من بخر» المائدة: ١٠٢،

وذلك ما كانوا يحملونه بالقاقة، إذا ولدت عشرة أبطن

شقا لأنها فُسّيوها، فلا تُركب ولا يُحمل عليها.

وسقوا كلّ متوسّع في حي وبخرّا حتى قالوا: فرس بحرّ،

باعتبار سعة جريه. وقال عليه الصلاة والسلام في فرس

ركبه: «وجدته بخرّا».

وللمتوسّع في حلمه بخرّ، وقد تبحر، أي توسّع في

كلّا، والتبحر في العلم: التوسّع.

واعُتبر من البحر تارة مُلوّحته، فقليل: ماء بخراني.

أي ملّح، وقد أبحر الماء. [تم استشهد بشرا]

وقال بعضهم: البحر يقال في الأصل للماء المِلح دون

الطّب. وقوله تعالى: «وما يشقّى البخران هذا عَذْبٌ

فَوَلّتْ سَائِغٌ ذَرَابَةُ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ» فاطر: ١٢، إنّا

سمي التذب بحرّا لكونه مع الملح، كما يقال للنّمس

والقصر: قمران.

وقيل للسحاب الذي كثر ماؤه: بنات بخر.

وقوله تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»

(١) روت: «مخرة» بالقاد عند الصحيح.

الزوم : ١١.

قيل : أراد في البوادي والأرياف لاقيا بين الماء.

وقولهم : «لَقِيَتْهُ صَحْرَةٌ بِحَرَّةٍ» أي ظاهراً حيث

لا بناء يستره. (٣٧)

نحو : الليروز ابادي.

(بصائر ذوي التمييز ٢ : ٢٢٥)

الزَمْخَرِيُّ : النبي ﷺ. شكاه عباده بن أبي إلى

سعد بن عباد، فقال : «يا رسول الله، اصف عنه، فوالذي

أرسل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق، ولقد اصطلح

أهل البصرة على أن يمشوه بالصفا، فلما رده الله ذلك

بالحق الذي أعطاك شرفك بذلك».

أراد بالبصرة : المدينة. يقولون : هذه بَحْرَتنا، أي

أرضنا وتلدتنا.

وأصل البصرة : فجوة من الأرض تسبح بها أي

تسبط وتفتح. [ثم استشهد بشعر] (القائى ١ : ١٠٠)

هو من البحارة، وهم الذين يسبحون في البحر.

وبحر أذن الناقة، شقها طولاً، وهي البحيرة.

ومن الجاز : استبحر المكان : اتسع وصار كالبحر في

سعته، وتبحر في العلم واستبحر فيه.

واستبحر الخطيب : اتسع له القول. وفي مديحك :

يتبحر الشاعر. [ثم استشهد بشعر]

«وإن وجدناه كبحراً» وُصف بالبحر لسهة جريه.

[ثم استشهد بشعر]

وماء بحر، وُصف به للوحته، وقد بُحِر المشرب

القذب. [ثم استشهد بشعر]

ودمٌ بحرافي : أسود، نسب إلى بحر الرجم وهو

صُفقه، ولمرأة بحريّة : عظيمة البطن، تُسبّت بأهل

البحرين، وهم مطاحيل، عظام البطن. [ثم استشهد

بشعر] (أساس البلاغة : ١٦)

الطُفْرَسِيّ : البحر : الشق. وبحرث أذن الناقة

أبحرها، إذا شققها شقاً واسعاً، والناقة بحيرة، وهي

«فيلة» بمعنى المنقول، مثل النطيحة والذبيحة.

وأصل الباب الشمة، وسُمي البحر بحراً لسعته.

وفرس بحر : واسع الجري، وفي الحديث أَنَّهُ ﷺ قَالَ

قرس له : «وجدته بحراً».

حق بالبحر جميع للماء والعرب تستوي النهر بحراً.

ومنه قوله تعالى : «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» الزوم :

والأصل على «البحر» أن يكون مأثراً، ولكن

إذا أطلق دخل فيه الأثارة.

(٢٤٥ : ٢)

والبحر : مستبحر الماء الواسع، حتى لا يرى من وسطه

حافته. (١٠٠ : ٣)

الشَّهِيلِيّ : زعم ابن سيدة في كتاب «المحكم» أن

العرب تنسب إلى البحر بحرافي، على غير قياس، وأنه

من شواذ النسب. ونسب هذا القول إلى سيّويه والتحليل

رحمها الله تعالى.

وماقاله سيّويه خطأ، وإنما قال في شواذ النسب :

تقول في بهراء : بهرافي، وفي صنعاء : صنعائي، كما تقول :

بهرافي في النسب إلى البحرين التي هي مدينة، وعلى هذا

تلقاه جميع النحاة وتأولوه من كلام سيّويه.

وإنما اشتبه على ابن سيدة لقول التحليل في هذه

المسألة، أعني مسألة النسب إلى «البحرين» كأنهم بنوا

البحر على «مهران» وإنما أراد لفظ «البحرين» ألا تراه يقول في كتاب «المعين»: تقول: بخراني، في النسب إلى البحرين، ولم يذكر النسب إلى «البحر» أصلاً، للعلم به، وأنه على قياس جاز.

ولي «الغريب» المصنف عن الزبيدي أنه قال: إنما قالوا: بخراني، في النسب إلى البحرين، ولم يقولوا: بخرني، ليتمتقوا بينه وبين النسب إلى «البحر».

وما زال ابن سيدة يماثر في هذا الكتاب وغيره عثرات يندمى منها الأطل، ويتحضر دحضات تُخرجه إلى سبيل من ضل.

ألا تراه قال في هذا الكتاب، وذكر بحيرة طبرية فقال: هي من أعلام خروج القذال، وأنه ينسبها لها عند غروبها. والمحدث إنما جاء في «غور زهر» وإنما ذكرت «طبرية» في حديث يأجوج ومأجوج رواههم يشرحون ماها.

وقال في «المسار» في غير هذا الكتاب: إنما هي التي تُرمى برفة، وهذه حقوة لا تقال، وعثرة لا تُلَمَّ لها، وكم له من هذا إذا تكلم في النسب وغيره.

(ابن منظور ٤: ٤٢)

ابن الجوزي: البحر: الماء النزر. (١: ١٦٨)
الفخر الرازي: ذكر الجبائي وغيره من العلماء بمواضع البحور: أن البحور المعروفة خمسة:

أحدها: بحر الهند، وهو الذي يقال له أيضاً: بحر الصين.

والثاني: بحر المغرب.

والثالث: بحر الشام والروم ومصر.

والرابع: بحر نبطس.

والخامس: بحر جرجان.

فإنما بحر الهند قبالة يمتد طوله من المغرب إلى المشرق، من أقصى أرض الحبشة، إلى أقصى أرض الهند والصين، يكون مقدار ذلك ثمانمائة ألف ميل، وعرضه ألفي وسبعمائة ميل. ويمارز خط الاستواء ألفاً وسبعمائة ميل.

وخلجان هذا البحر:

الأول: خليج عند أرض الحبشة، ويمتد إلى ناحية البربر، ويسمى الخليج البربري. طوله مقدار خمسمائة ميل، وعرضه مائة ميل.

والثاني: خليج بحر أيلة، وهو بحر القلزم. طوله ألف وأربعمائة ميل، وعرضه سبعمائة ميل، ومنتهاه إلى البحر الذي يسمى البحر الأخضر، وعلى طرفه القلزم؛ فذلك الذي به. وعلى شرقيه أرض اليمن وعدن، وعلى غربيه أرض الحبشة.

الثالث: خليج بحر أرض فارس، ويسمى: الخليج الفارسي. وهو بحر البصرة وفارس، الذي على شرقيه نهر ومكران، وعلى غربيه عُمان. طوله ألف وأربعمائة ميل، وعرضه خمسمائة ميل. وبين هذين الخليجين، أعني خليج أيلة وخليج فارس أرض المسبحاز واليمن وسائر بلاد العرب، فيما بين مسافة ألف وخمسمائة ميل. والرابع: يخرج منه خليج آخر إلى أقصى بلاد الهند، ويسمى الخليج الأخضر، طوله ألف وخمسمائة ميل.

قالوا: ولي جزيرة بحر الهند - من الجزائر العاصمة

وغير العامرة - ألف وثلثائة وسبعون جزيرة، منها: جزيرة ضخمة في أقصى البحر، مقابل أرض الهند، في ناحية المشرق عند بلاد الصين، وهي سرنديب، يحيط بها ثلاثة آلاف ميل، فيها جبال عظيمة وأنهار كثيرة، ومنها يخرج اليافوت الأحمر. وحول هذه الجزيرة تسع عشرة جزيرة عامرة، فيها مدائن عامرة وكُرى كثيرة. ومن جزائر هذا البحر: جزيرة كَلَّة، التي يجلب منها الزمصاص القلبي، وجزيرة سريرة، التي يجلب منها الكافور.

وأما بحر المغرب فهو الذي يُسمى بالبحيط، وتسميه اليونانيون: أوقيانوس، ويتصل به بحر الهند. ولا يعرف طرفه إلا في ناحية المغرب والشمال، عند مسافة أرض الزموس والصفالة، فيأخذ من أقصى المنى في الجنوب، محاذياً لأرض السودان، ماراً على حدود التيمور الأقصى وطنجة، وتاهرت، ثم الأندلس، والجلالة، والصفالة، ثم يمتد من هنالك وراء الجبال غير المسلوكة والأراضي غير المسكونة نحو بحر المشرق.

وهذا البحر لا تجري فيه السفن وإنما تسلك بالقرب من سواحه. وفيه ست جزائر مقابل أرض الحبشة تسمى: جزائر الخالدات. ويخرج من هذا البحر خليج عظيم في شمال الصفالة، ويمتد هذا الخليج إلى أرض بغار المسلمين، طوله من المشرق إلى المغرب ثلثائة ميل، وعرضه مائة ميل.

وأما بحر الزموس وأفريقية ومصر والشام، فطوله مقدار خمسة آلاف ميل، وعرضه سبائة ميل. ويخرج منه خليج إلى ناحية الشمال قريب من الزموية، طوله

خمسة مائة ميل، وعرضه سبائة، ويخرج منه خليج آخر، إلى أرض سرين، طوله مائتا ميل. وفي هذا البحر مائة واثنتان وستون جزيرة عامرة، منها خمسون جزيرة عظام.

وأما بحر نبطش، فإنه يمتد من القلاعية إلى خلف قسطنطينية في أرض الزموس والصفالة، طوله ألف وثلثائة ميل، وعرضه ثلثائة ميل.

وأما بحر جرجان، فطوله من المغرب إلى المشرق ثلثائة ميل، وعرضه سبائة ميل، وفيه جزيرتان كائتا عامرتين فيما مضى من الزمان. ويصرف هذا البحر يبحر أسكون، لأنها على فرضته، ثم يمتد إلى طبرستان، والكلاب، والتهرون، وباب الأبواب، وناحية أران. وليس يوصل يبحر آخر، فهذه هي البحور النظام.

وأما غيرها فبحيرات ويطائع، كبحيرة خوارزم، وبقية البحيرات.

وحكي عن أرسطاطاليس: أن بحر «أوقيانوس» يحيط بالأرض بمنزلة المنطقة لها، فهذا هو الكلام المتصم في أمر البحور. (٤: ٢٢٠)

التدنيقي: في حديث القسامة: «قتل رجلاً ببحرة الرخاء» وقيل: «ببحرة الرخاء على شط كبة» البحرة: البلدة، تقول العرب: هذه ببحرتنا، أي بلدتنا. [ثم استشهد بشعر]

وفي حديث: «ثم ببحرها» يعني البحر حتى لا تنزف، أي شقها ووسعها. ومنه ببحر الرجل في العلم، أي توسع فيه، وسمي البحر ببحراً لبعثته.

وقوله تعالى: «مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ» قرأه: ١٩، قيل:

العرب تسمي العذوب والمالح جميعاً بحرًا.

البحيرة.

وفي الحديث: «أنه بحث العلاء إلى البحرين» وهو بلد يقال له: البحرين بضم الثون، وعلى ذلك يقال في النسبة إليه: بحراني.

وفي حديث مازن: «كان لهم صنم يقال له: باحر بفتح الحاء، ويروى بالجيم، وقد تقدم. (١: ١٣٢) ابن الأثير: فيه: «أنه ركب فرسًا لأبي طلحة، فقال: إن وجدناه بحرًا، أي واسع الجري، وسمي البحر بحرًا، لسمته، وتبحر في العلم، أي اتسع.

ومنه الحديث: «أبى ذلك البحر ابن عباس رضي الله عنهما» سمي بحرًا، لسمته علمه وكثرته.

ومنه حديث عبد المطلب وحضر بمنزله من بحرهما أي شقها ووسمها حتى لا تنزف.

ومنه حديث ابن عباس: «حسبي ترى الدم البحراني»، دم بحراني: شديد الحسرة، كأنه قد حزن على شيء. وهو اسم قمر الزعيم، وزادوه في النسب ألفًا ونونًا للمبالغة، يريد الدم النليط الواسع. وقيل: نسب إلى البحر لكثرته وسعته.

وفيه: «ذكر بحران» وهو بفتح الهاء وضمتها وسكون الحاء: موضع بناحية الفرس من الحجاز، له ذكر في سيرة عبد الله بن جحش.

ومنه الحديث: «وكتب لهم ببحرهم» أي ببلدهم ولوطنهم.

وفيه ذكر «البحيرة» في غير موضع، كانوا إذا ولدت إيلهم سقبًا بحرًا أدنه، أي عسوها، وقالوا: اللهم إن عاش فقي، وإن مات فذكي، فإذا مات أكلوه، وسموه.

وقيل: البحيرة هي بنت السائب، كانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها، ولم يميز وبرزها، ولم يشرب لبنها إلا ولدها لو ضيف، وتركوها مسية سيلها، وسموها السائب، فما ولدت بعد ذلك من أنثى شقوا أنها وخلوا سيلها، وحرم منها ما حرم من أمها، وسموها البحيرة.

ومنه حديث أبي الأحوص عن أبيه: «لأن النبي ﷺ قال له: هل تخرج إبطك وافية أدلتها، فشق فيها وتقول: بحرًا».

هي جمع «بحيرة» وهو جمع غريب في المؤنث. (لأن أن يكون قد حمل على المذكر، نحو فذر وئذو، هل أن بحيرة فبيلة، بمعنى مفعولة، نحو فبيلة، ولم يسمع في جمع مثله «فبيل»، وحكسي الزمخشري: «بحيرة» ويحسر جمع مثله «فبيل»، وهي التي صرمت أذننها، أي قطعت. (١: ٩٩)

أبوحيان: البحر: مكان مطمئن من الأرض، يجمع المياه، ويجمع في القلة على: أبحر، وفي الكثرة على: بحور وبحار، وأصله قيل: الشق، وقيل: السعة.

لن الأول: البحيرة، وهي التي شقت أذننها، ومن الثاني: البحيرة: المدينة المشبعة. وفرس بحر: واسع القذو، وتبحر في العلم، أي اتسع. [ثم استشهد بشعر] وجاء استعماله في الماء المثلو والماء المالح، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا يَمَلْحٌ أجاج﴾ فاطر: ١٢.

وجاء استعماله للملح، ويقال: هو الأصل فيه، إن

العظيم، أو الماء الكثير القذّب بحرًا، ويقولون: إن كلمة «البحر» لا تطلق إلا على «البحر الملح»، اعتمادًا على:

معجم مقاييس اللغة، ومفردات الرّاغب الأصفياني.

ولكن قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الْبَهِيمُ مُرَجُّ

الْبُحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ الفرقان:

٥٣، وجاء في تفسير ابن كثير أن الماء الكثير القذّب

يسمى بحرًا أيضًا، وقد فرق الله تعالى بين خلقه.

لاحتياجهم إليه أنهارًا، أو عيونًا في كل أرض.

ومن قال أيضًا: إن «البحر» يطلق على الماء الكثير

يلتحا كان أو عذبًا: معجم ألفاظ القرآن الكريم: غلب

على الملح حتى قلّ في القذّب، ومحمد بن الحسن الزبيدي

في كتابه «ما تلحن فيه اللام»، والصّاح: كلّ نهر عظيم

بحر، وابن مكّي الصّقليّ في كتابه «تنقيح اللسان»،

واللسان، والقاموس: الماء الكثير أو الملح فقط، والنتاج

كمعجم ألفاظ القرآن الكريم، والمدّ، ومحيط المحيط

كالقاموس، وأقرب الموارد: الماء الملح، كلّ نهر عظيم،

والمتن، ومحمد عليّ التّجّار في كتابه «محاضرات عن

الأخطاء اللّغويّة الشّائعة»، والوسيط: يطلب في الملح.

واتفرد الرّاغب الأصفياني بقوله في تفسير الآية

الكرمية: سمّي القذّب بحرًا لكونه مع الملح، كما يقال

للشمس والقمر: قران.

لنا إذا قلنا: ماءً بحر، فهذا يعني أنّه يُلح.

ويُجمع البحر على: أبجر، وبُحور، وبحار، وتصغيره:

أبيجر لا يُجبر، على غير قياس.

في أثناء العام أو عُصُونه لافي بحره. ويقولون:

سأسأله إلى المدينة المنورة في بحر هذا العام، والصواب:

بلا قصد، واشتدّت حمرة الله، والأرض كثرت مناقها،

والماء ملّح، والماء وجده بحرًا، أي ملّحًا لم يَسُغ.

واستبحر: انبسط، والشاعر: اتسع له القول.

وتبحر في المال: كثر ماله، وفي العلم: تعمق وتوسّع.

وبحرّاته: بلدة باليمن. وبحران ويضم: موضع بناحية

الفرع، والبحريّة: موضع باليمامة، ويحير إهاد: بلدة

بمصر.

والبحار: الملاح، وهم بحارة.

وبحر بحري: جبل. وذو بحار ككتاب: جبل، أو أرض

سهلة تحفها جبال وبحار ويضم: موضع، وكثرت آخر.

أو لغة في الكسر. وبحرة: موضع بالبحرين. وبلدة

بالطائف.

والباحر والباحوراء: شدة الحر في شتاء.

كجهينة: خمسة عشر موضعًا.

الطّريحيّ: البحر الأخضر: هو البحر الأصفر.

الخير: «لا تركب البحر إلا حاجًا ومستمّرًا، فإنّ تحت

البحر نارًا يريد أنّه لا ينهي للمافل أن يلقى فيه إلى

المهلك، إلّا لأمر ديني يحسن بذل النفس فيه.

وقوله: «فإنّ تحت البحر نارًا هو تهويل شأن البحر

لآفات متراكمة، إن أخطأته مرّة جذبه أخرى.

(٣: ٢١٤)

الزبيدي: [بعد نقل كلام ابن جني قال:]

قال شيخنا: وهو كلام ظاهر، إلّا أنّ كلامه في

التوكيد، وأنّه شبه المرض بالجوهر، لا يخلو عن نظر

ظاهر، وتناقض في الكلام غير خفي. (٣: ٢٨)

القدناني: «البحر» ويخطئون كلّ من سمى النهر

النصوص التفسيرية

البحر

١- وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ
فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. البقرة: ٥٠

قتادة: بحر من وراء مصر يقال له: أساف، وذلك
برأى من بني إسرائيل. (البغوي: ١: ٥٠)

البغوي: وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ، وهو
على طرف بحر من بحر فارس. (١: ٥٠)

نحوه الخازن. (١: ٥٠)

أبو حيان: (البحر) قيل: هو بحر القلزم من بحار
فارس، وكان بين طرفيه أربعة فراسخ. وقيل: بحر من
بحار مصر يقال له: أساف، ويُعرف الآن ببحر القلزم.
قيل: وهو الصحيح. (١: ١٣٨)

نحوه البروسوي. (١: ١٣٨)

الألوسي: واختلفوا في هذا (البحر) فقيل: القلزم
وكان بين طرفيه أربعة فراسخ، وقيل: النيل، والرب
تسبي الماء الملح والتذب بمرء إذا كثر. ومنه «مخرج
البحرين يلتقيان» الزحني: ١٩. (١: ٢٥٥)

المصطفوي: هذا من المعجزات المصروفة في
كتاب الله العزيز، وهو تفريق البحر لهم وإلحاقهم، ثم
إغراق آل فرعون وإهلاكهم «فَأَوْخَتْهُمَا إِلَى غَدِيٍّ لَمَّا
اضْرَبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ» الشعراء: ٦٣. (١: ٢٠٠)

٢- وَجَعَلْنَا مَتَاعَ الْقَبْرِ لَا يَلْبَسُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْبَيْتِ وَالْخَيْرِ. الأنعام: ٥٩

راجع «ب» ر. ٥.

٣- وَجَاوِزًا يَبِيتُ إِسْرَاءَ بَنِي الْهَنْزِ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ
يَمْكُثُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا... الأعراف: ١٣٨

الطبرسي: (البحر) يعني النيل نهر مصر، بأن
جعلنا لهم فيه طرقاً يابسة حتى عبروا، ثم أغرقنا فرعون
وقومه فيه. (٢: ٤٧١)

أبو حيان: (والبحر): بحر قلزم، وأخطأ من قال:
إنه نيل مصر. (٤: ٣٧٧)

نحوه الألوسي. (٩: ٤٠)

القاسمي: أي الذي أغرق فيه أعداءهم، وهم بحر
القلزم كقوله: بلد كان في شرقي مصر، قرب جبل القلزم،
أضيف إليه، لأنه على طرفه، ويُعرف البلد الآن
ب«السويس». ومن زعم أن (البحر) هو نيل مصر، فقد
أخطأ، كما في «المنهاية». (٧: ٢٨٤٦)

المصطفوي: هو منتهى خليج السويس من البحر

البحر الأحمر، الفاصل بين مصر وصحراء سيناء. (١: ٢٠٠)

٤- وَهُوَ الَّذِي تَحْرِزُ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا... النحل: ١٤

الطبرسي: وهو كل نهر ينلخا كان ماؤه أو
حذياً. (١٤: ٨٨)

نحوه أبو حيان. (٥: ٤٧٩)

الشربيني: أي ذلك وهو ماء لميش صافيه من
المحيط، وتكون الجواهر، وغير ذلك.

قال علماء الهيئة: ثلاثة أرباع كرة الأرض غائصة في
الماء، فذلك هو البحر المحيط، وجعل في هذا الزمزم
المسكون سبعة أبحر، قال تعالى: «وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ تَحْتِهِ

وبين مصر نحو ثلاثة أيام، وقد خربت، ويعرف اليوم موضعها بهالتويس، تجاه عبرود، منزل ينزل الحاج للتوجه من مصر إلى مكة، وبالترب منها غرق فرعون. وبحر القلزم بحر مظلم وحش لاخير فيه، ظاهراً وباطناً، وعلى ساحل هذا البحر مدينة مدين، وهي غراب وبها البحر قتي سقى موسى عليه السلام منها غنم شبيب، وهي مطلة الآن. (٢٧٩: ٦)

٦- ظهر القنادي في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس... (الزوم: ٤١)

ابن عباس، إن (البر): ما كان من المدن والقرى على وجه البحر، (والبحر): ما كان على سطحه.

(الفرطحي: ١٤: ٤١) (السيابوري: ٢١: ٤١)

والقرى... (٢٨: ٨)

منه عكرمة، والضحالة، والشدى. (لبن كثير: ٥: ٣٦٤)

أبو الصالية: (البر): ظهر الأرض، (والبحر): المروف. (الطبرسي: ٤: ٣٠٧)

مجاهد: أما والله ما هو بحر كم هذا، ولكن كل قرية على ماء جاري فهي بحر. (الفرطحي: ١٤: ٤١)

نحو، عكرمة. (الطبرسي: ٢١: ٤٩)

عكرمة: إن العرب تسمي الأمصار بحراً. (الطبرسي: ٢١: ٤٩)

سبعة أبحر لقمان: ٢٧، والبحر الذي صخره الله للناس هو هذه البحار. (٢: ٢٢١)

الألوسي: [بعد نقل فوائد البحر قال:] ظاهر كلام الأكثرين حمل (البحر) في الآية على البحر الملح، وهو مملوء من السمك بل قيل: إن السمك يخلق على كل ما فيه من الحيوانات، ولا يكون التوليد إلا في مواضع مخصوصة منه. (١٤: ١١٤)

٥- فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ. الشعراء: ٦٣

الطوسي: قيل: هو بحر قلزم الذي يسلك الناس فيه من اليمن ومكة إلى مصر. وفيه حذف، لأن تقديره:

فضررب البحر فانفلق. وقيل: إنه صار فيه اثنا عشر طريقاً لكل صبط. (٢٨: ٨)

الزمخشري: يقال: هذا البحر هو بحر القلزم، وقيل: هو بحر من وراء مصر يقال له: آساف. (١١٥: ٣)

نحو الطبرسي (٤: ١٩١)، والبيضاوي (٢: ١٥٩)، والنسفي (٣: ١٨٥)، والسيابوري (١٩: ٥٢)، والشريبي (٢: ١٥)، وأبو السعود (٤: ١٠٨).

البزوصوي: هو بحر القلزم، وسمي البحر بحراً لاستبحاره، أي اتساعه وانساعه. وبحر قلزم طرف من بحر فارس.

والقلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي بليدة كانت على ساحل البحر من جهة مصر، وبينها

- خطاء، المراد به (البر)؛ ما فيه من المدائن والقري،
وبه (التبحر)؛ جزائره. (ابن كثير ٥: ٣٦٤)
- قناة: (البر)؛ أهل العمود (والتبحر)؛ أهل القري
والزيف. (القرطبي ١٤: ٤١)
- الطبري: واختلف أهل التأويل في المراد من قوله:
﴿ظَهَرَ أَفْسَادُ فِي الْبَرِّ وَالتَّبَحُّرِ﴾ فقال بعضهم: عني
به (البر) القلوات، وبه (التبحر) الأمصار والقري التي على
المياه والأنهار.
وقال آخرون: بل عني به (البر) ظهر الأرض:
الأمصار وغيرها، وبه (التبحر) البحر المعروف. [إلى أن
قال:]
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الله تعالى
ذكره، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر عند الحرب
في الأرض القلوات.
- والبحر بمران: بحر بلخ، وبحر عذب، فهما جديتان
عندهم بحر، ولم يخص جلت تناؤه الخبر عن ظهور ذلك
في بحر دون بحر، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر، عذبا
كان أو ملحا، وإذا كان كذلك دخل القري التي على
الأنهار والبحار. (٢١: ٤٩)
- الزجاج: أي في المن التي على الأنهار، وكل ذي
ماء فهو بحر. (٤: ١٨٨)
- البيهقي: أراد به (البر) البوادي والمخاوير،
وبه (التبحر) المدائن والقري التي على المياه الجارية.
(٥: ١٧٤)
- السيدي: قيل: المراد به (البر) والتبحر جميع
الأرض، كقول القائل: هو معروف في البر والبحر، يعني
- هو معروف في الدنيا. (٧: ٤٦٥)
- الطبرسي: (البر)؛ حيث لا يجري النهر، وهو
البوادي، و(التبحر)؛ وهو كل قرية على شاطئ نهر
عظيم.
وقيل: (البر)؛ البرية، و(التبحر)؛ الزيف، والمواقع
الحصبة.
وأصل البر من «البر» لأنه يبر بصلاح المقام فيه،
وكذلك «البر» لأنه يبر بصلاحه في الغذاء أتم صلاح.
وأصل البحر: الشق، لأنه شق في الأرض، ثم كثر
فشي الماء الملح: بحرا. (٤: ٣٠٧)
- القسرطبي: و(البر) والتبحر: هما المعروفان
المشهوران في اللغة وعند الناس، لاما قاله بعض القناد:
في (البر)؛ اللسان، و(التبحر)؛ القلب، لظهور ساحل
اللسان، وخفاء باقي القلب. (١٤: ٤٠)
- البيضاوي: قيل: المراد به (التبحر)؛ قري
التواحل، وقري البحور. (٢: ٢٢٣)
- ابن كثير: قال خطاء الخراساني: المراد به (البر)؛
ما فيه من المدائن والقري، وبه (التبحر)؛ جزائره.
والقول الأول: [قول ابن عباس المتقدم] أظهر،
وعليه الأكثرون، ويؤيده ما قاله محمد بن إسحاق في
«السيرة»: إن رسول الله ﷺ صالح ملك أيلة، وكتب إليه
بخره، يعني يبلده. (٥: ٣٦٤)
- السيوطي: كل ما فيه ذكر (البر) والتبحر فالمراد
به (التبحر) الماء وبه (البر) التراب اليابس، إلا ﴿ظَهَرَ
أَفْسَادُ فِي الْبَرِّ وَالتَّبَحُّرِ﴾ فالمراد به: البرية والعمران.
(٢: ١٥٦)

الْبُيُوتُوسِيُّ، قَالَ فِي «تَأْوِيلَاتِ التَّجْمِيدِ»: يَشِيرُ إِلَى مَرِّ النَّفْسِ وَبَحْرِ الْقَلْبِ، وَفَسَادِ النَّفْسِ بِأَكْلِ الْحَرَامِ، وَارْتِكَابِ الْمَغْطُورَاتِ، وَتَتَّبِعُ الشَّهَوَاتِ، وَفَسَادِ الْقَلْبِ بِعَقَائِدِ التَّوَهُدِ وَلُزُومِ الْقِسِيَّاتِ، وَالتَّسَمُّكِ بِالْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ، وَالْإِصْطِفَاءِ بِالْأَوْصَافِ الذَّمِيمَةِ، وَحُبِّ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَطَلَبِ شَهَوَاتِهَا وَمَنَافِعِهَا، وَمِنْ أَعْظَمِ فُسَادِ الْقَلْبِ عَقْدُ الْإِسْرَارِ عَلَى الْخَالَاتِ، كَمَا أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْخَلِيعَاتِ صَحَّةُ الْعَزْمِ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى الْحَقِّ، وَالْإِمْرَاضِ مِنَ الْبَاطِلِ، انْتَهَى.

وَأَيْضًا (الْبَرْ): لِسَانُ عِلْمَاءِ الْقَاهِرِ، وَفُسَادُهُ بِالتَّأْوِيلَاتِ الْفَاسِدَةِ، (وَالْبَحْرُ): لِسَانُ عِلْمَاءِ الْبَاطِنِ، وَفُسَادُهُ بِالذَّعَاوِي الْبَاطِلَةِ. (٤٥: ٧)

الطَّبَاطِبَانِي: الْآيَةُ بظَاهِرِ لَفْظِهَا عَامَّةٌ، لَا تَحْتَمِلُ بَرَمَانَ دُونَ زَمَانٍ، أَوْ يَمْكَانٍ، أَوْ بَوَاقِيَةٍ خَاصَّةٍ، فَبِالْمَرَادِ بِ(الْبَرْ وَالْبَحْرِ) مَعْنَاهَا الْمَشْرُوفُ وَيَسْتَوْجِبَانِ مَطْلَحَ الْكُرَّةِ الْأَرْضِيَّةِ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَلَمْ يَفِي الْآيَةُ تَفَاسِيرَ مُخْتَلِفَةً عَجَبِيَّةً، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: الْمَرَادُ بِ(الْبَرْ): الْقَفَارَ الَّذِي لَا يَجْرِي فِيهَا نَهْرٌ وَبِ(الْبَحْرِ): كُلُّ لَمْرِيَةٍ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ عَظِيمٍ. وَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: (الْبَرْ): الْفَيَافِي وَمَوَاضِعُ الْقَبَائِلِ، (وَالْبَحْرُ): التَّوَسُّعُ وَالْمُدُنُ الَّتِي حَتَّى الْبَحْرِ وَالنَّهْرِ. وَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: (الْبَرْ): الْبَرِّيَّةُ، (وَالْبَحْرُ): الْمَوَاضِعُ الْخَفِيَّةُ.

وَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: إِنَّ هُنَاكَ مَضَافًا مَعْنُوفًا، وَالتَّعْدِيرُ: فِي الْبَرِّ وَمُدُنِ الْبَحْرِ. وَلَمَّا لَاقَى دَعَاهُمْ إِلَى هَذِهِ الْإِسْوَاعِ مَا وَرَدَ أَنَّ

الْآيَةُ نَاطِقَةٌ إِلَى التَّصْحِطِ الَّذِي وَقَعَ بِمَكَّةَ إِتْرَ دَعَا، الَّتِي تَحْتَكَ عَلَى قَرِيشٍ، لَمْ يَجُتُوا فِي كَفَرِهِمْ، وَدَامُوا عَلَى مَنَادِهِمْ، فَأَرَادُوا تَطْبِيقَ الْآيَةِ عَلَى سَبَبِ التَّزَوُّلِ، فَوَقَعُوا فِيهَا وَقَعُوا مِنَ التَّكَلُّفِ. (١٦: ١٩٥)

٧- وَلَوْ أَنَّ مَاتَى الْأَرْضُ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُءُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أُمُجُرٍّ... قَفَّان: ٢٧

أَبُو عُبَيْدَةَ: بِمَازٍ (الْبَحْرُ) هَاهُنَا الْمَاءُ الْمَذْبُوبُ، يُقَالُ: رَكِبْنَا هَذَا الْبَحْرَ، وَكُنَّا فِي نَاحِيَةِ هَذَا الْبَحْرِ، أَيْ فِي الرِّيفِ، لِأَنَّ الْمَلْحَ فِي الْبَحْرِ لَا يَجِبُ الْأَقْلَامُ. (٢: ١٢٨) الْفَخْرُ الرَّازِي: (وَالْبَحْرُ يَمْدُءُ) تَعْرِيفُ الْبَحْرِ بِاللَّامِ لِأَنَّهَا تَكُونُ الْجَنَسَ، وَكُلُّ بَحْرٍ يَمْدُءُ. (٢٥: ١٥٧)

الطَّبَاطِبَانِي: وَالْمَرَادُ بِ(الْبَحْرِ) مُطْلَقُ الْبَحْرِ. (١٦: ٢٣٢)

٨- وَالْبَحْرُ الْمَتَجَوِّرُ. الطُّور: ٦

الْبُيُوتُوسِيُّ، أَيْ الْمَلُوءُ، وَهُوَ الْبَحْرُ الْمَبِطُ الْأَعْظَمُ الَّذِي مِنْهُ مَادَّةُ جَمِيعِ الْبَحَارِ الْمُتَّصِلَةِ وَالْمَنْقَطَعَةِ، وَهُوَ يَعْرِفُ لَهُ سَاحِلٌ وَلَا يَطْلُمُ حَتَّى إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَالْبَحَارُ الَّتِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ غُلْجَانٌ مِنْهُ.

وَلِي هَذَا الْبَحْرُ عَرْشٌ يُلْبَسُ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَفِيهِ مِدَائِنٌ تَطْلُو عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَهِيَ أَهْلَةٌ مِنَ الْجَنِّ فِي مُقَابَلَةِ الرِّيحِ الْخَرَابِ مِنَ الْأَرْضِ، وَفِيهِ تَصَوُّرٌ تَطْلُو عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ طَافِيَةٌ ثُمَّ تَتَّيِبُ، وَتَطْلُو فِيهَا الصُّورُ الْعَجَبِيَّةُ وَالْأَشْكَالُ الْفَرِيَّةُ، ثُمَّ تَتَّيِبُ فِي الْمَاءِ، وَلِي هَذَا الْبَحْرُ يَنْبُتُ شَجَرُ الْمَرْجَانِ كَأَنَّ الْأَشْجَارَ فِي الْأَرْضِ، وَفِيهِ مِنَ الْجَزَائِرِ

المسكونة والخالية مالا يعلمه إلا الله تعالى. [إل أن قال:]
قال بعض المفسرين: (وَالْبَحْرُ الْمَشْجُورُ) أي الموقد،
من قوله تعالى: ﴿وَلِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ التكمور: ٦،
والمراد به الجنس، وعدد البحار العظيمة سبعة، كما أن
عدد الأنهار العظيمة كذلك، وكل ماء كثير بحر.
دُوي لأن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا
يُسَجَّرُ بها نار جهنم.

ولي الحديث: «لا يركب رجل بحرا إلا غاربا أو
ممشيا أو حاجا» فإن تحت البحر نارا، أو تحت النصار
بحرا، والبحر نار في نار، وهذا على أن يكون البحر بحر
الدنيا وبحر الأرض. (١٨٦: ٩)

[وفيه أبحاث أخرى، راجع «س ج و»]

البَحْرَانِ

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبَ لِرَأْسِ شَرَاتِهِ
وَهَذَا وَلَهُ أُنْجَاوٍ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ تَحْتَهُ طَرِيقًا
وَتَسْتَفْرِجُونَ جَلِيَّةً تَقْشُرُونَهَا... طاهر: ١٢

النَّبِيُّ ﷺ: كَلَّمَ الله الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ لِلْبَحْرِ الَّذِي
بِالشَّامِ: يَا بَحْرُ، إِنِّي قَدْ خَلَقْتُكَ وَأَكْثَرْتُ لِيكَ مِنَ الْمَاءِ،
وَإِنِّي حَامِلٌ فِيكَ عِبَادًا لِي يُسَبِّحُونَنِي، وَيَعْبُدُونَنِي،
وَيُحَمِّلُونَنِي، وَيُكَبِّرُونَنِي، فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ بِهِمْ؟ قَالَ:
أَغْرَقَهُمْ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: فَإِنِّي أَحْمِلُهُمْ عَلَى ظَهْرِي
وَأَجْعَلُ بِأَسْكَ فِي نَوَاحِيكَ.

وقال للبحر الذي باليمن: إِنِّي قَدْ خَلَقْتُكَ، وَأَكْثَرْتُ
فِيكَ الْمَاءَ، وَإِنِّي حَامِلٌ فِيكَ عِبَادًا لِي يُسَبِّحُونَنِي،
وَيُحَمِّلُونَنِي، وَيُكَبِّرُونَنِي، فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ بِهِمْ؟ قَالَ:

أَسْبَحَكَ وَأَعْمَدَكَ وَأَهْلَكَ وَأَكْبَرَكَ بِهِمْ، وَأَحْمِلُهُمْ عَلَى
ظَهْرِي، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: فَإِنِّي أَطْلُكُكَ عَلَى الْبَحْرِ الْآخِرِ
بِالْحُلَّةِ وَالطَّرِيِّ. (الْمَيْمُونِي: ٨: ١٧٣)

الْمَيْمُونِي: قَالَ بعض أهل المعرفة: ﴿وَمَا يَسْتَوِي
الْبَحْرَانِ﴾ يعني ما يستوي الموقتان، هذا يَسْتَوِي وصاحبه
في رَوْح، وهذا قَبْض وصاحبه في نَوْح، هذا فَرَق
وصاحبه بوصف اليهودية، وهذا جَمْع وصاحبه في
شهود الزبونية.

والبحران إشارة على رأي العرفاء إلى حالتي قبض
وبسط السالكين، وهما قبض وبسط للمتهين، كما أن
الخوف والزجاء للمبتدئين.

ولا بد للسريد في ابتداء الإرادة في وقت الخدمة من
الخوف والزجاء، كما هو في النهاية لا يخلو من القبض
والبسط بكمال المعرفة، والذي في الخوف والزجاء يشغل
فكره في الأبد، ماذا سيفعلون بي هذا؟ والذي في القبض
والبسط يشغل فكره في الأزل، ماذا فعلوا بي؟ وماذا
حكوا علي في الأزل؟ (١٧٩: ٨)

الْمُطَهَّرِي: خَرَّبَ الْبَحْرَيْنِ - الْمَذْبُوحَ وَالْمَالِحَ -
مُكَلِّينَ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ. (٣٠٣: ٣)

نحو: الْبَيْضَاوِي (٢: ٢٦٩)، وَالنَّيْسَابُورِي (٢٢: ٢٢)،
وَأَبُو السُّعُود (٤: ٢٤١).

الطَّبَّاطِبَائِي: وفي الآية تمثيل للمؤمن والكافر
بالبحر المذبذب والمالح، يتبين به عدم تساوي المؤمن
والكافر في الكمال القسطري، وإن تشاركهما في غالب
الخواص الإنسانية وآثارها، فالمؤمن باقي على فطرته
الأصلية، ينال بها سعادة الحياة القدسية، والكافر منحرف

فيها متلبس بما لا تعطيه الفطرة الإنسانية، ويُعذب بأعماله.

فكلها مثل البحرين المختلفين عذوبة وملوحة، فيها عطفان من حيث البقاء على فطرة الماء الأصلية، وهي الطوية والمروج عنها بالملوحة، وإن اشتركا في بعض الآثار التي يتنفع بها، فن كل منهما تأكلون لحماً طرياً، وهو لحم السمك والطيء المصطاد من البحر، وتستخرجون حلياً تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان والأصداف.

فظاهر الآية أن الحلية المستخرجة مشتركة بين البحر القذب والبحر المالح، لكن جمعا من المفسرين استشكلوا ذلك بأن اللؤلؤ والمرجان إنما يُستخرجان من البحر المالح دون القذب، وقد أجابوا عنه بأجوبة مختلفة: منها: أن الآية مسوقة لبيان اشتراك البحرين على مطلق الفائدة وإن اختلفت بعضها، كما أنه قيل: ومن كل تنظفون وتستفيدون كما تأكلون منها لحماً طرياً، وتستخرجون من البحر المالح حلية تلبسونها، وترى الفلك فيه مواخر.

ومنها: أنه شبه المؤمن والكافر، بالقذب والأجاج، ثم فضل «الأجاج» على الكافر بأن في «الأجاج» بعض النفع، والكافر لا نفع في وجوده. فالآية على طريقة قوله تعالى: «وَمَنْ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً» ثم قال: «وَأَنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَخِفُّ مِنْهُ الْآتِهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَى فَيُخْرِجُ مِنْهُ السَّيَّءَ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» البقرة: ٧٤.

ومنها: أن قوله: «وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَةً تَلْبَسُونَهَا»

من تسمية التمثيل على معنى أن البحرين وإن اشتركا في بعض المنافع تفاوتتا فيما هو المقصود بالذات، لأن أحدهما خالطه ما خرج به عن صفاء فطرته، والمؤمن والكافر وإن اتفقا أحياناً في بعض المكارم كالسجادة والسجادة متفاوتان فيما هو الأصل لبقاء أحدهما، على صفاء الفطرة الأصلية دون الآخر.

ومنها: أنه لا مانع من أن يخرج اللؤلؤ من المياه العذبة وإن لم تزه، فالإشكال باعصاص الحلية بالماء المالح ممنوع.

ومنها: منع أصل القسوى، وهو كون الآية «وَمَا تَشْتَوِي أُنْقَرَانِ» إلخ تمثيلاً للمؤمن والكافر بل هي واقعة في سياق تعداد التسم لآيات الزبوة، كقوله قبلها: «وَالَّذِي أَنْزَلَ الْإِنشَارَ» طاهر: ٩. وقوله بعده: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتَقَرَّبُونَ» طاهر: ١٣. إلخ. فالآية مسوقة لبيان تسمية البحر واختلافه بالطوية والملوحة، وما فيها من المنافع المشتركة والخاصة.

ويؤيد هذا الوجه أن ظهير الآية في سورة التعل وتلح في سياق الآيات المادية لنسب الله سبحانه، وهو قوله: «وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ الْهَبْرَ فَيَتَّكَلُونَ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حُلِيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فَوَاجِرَ فِيهِ وَتَجْتَنُّوا مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْلَكُكُمْ تُشْكِرُونَ» التعل: ١٤. والحق أن أصل الاستنكال في غير محله، وأن البحرين يشتركان في وجود الحلية فيها، كما هو مذكور في الكتب اللاحقة عن هذه الشؤون، مشروح فيها.

الْبَحْرَيْنِ

ومن الثَّاسِ مِثْلُ: البَحْرَانِ: موسى

والمُضَرَّجُ، لَأَنَّهَا كَانَا بِحْرِيَّيْنِ الْعِلْمِ. (٢١: ١٤٥)

النَّيْسَابُورِيّ، يَعْنِي مَلْتَقَ بَحْرِ فَارَسَ وَالزُّومِ، وَفِي
شَرْحِنَا وَضَعَ الْبَحَارَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ١٦٤، وَقِيلَ: أَرَادَ
طَبْعَةَ، وَقِيلَ: إِفْرِيقَتَهُ.

ومن غرائب التفسير لُنَّ (الْبَحْرَيْنِ) موسى

والمُضَرَّجُ، لَأَنَّهَا بِحْرُ الْعِلْمِ. وَهَذَا مَعَ غَرَابَتِهِ مُسْتَبْشَعٌ
بِجَدٍّ، لِأَنَّ أَحَدَ الْبَحْرَيْنِ إِذَا كَانَ هُوَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَيْفَ
يَصِحُّ أَنْ يَقُولَ: «حَتَّى أَتَلْعَ الْجَمْعَ الْبَحْرَيْنِ»، إِذْ يُؤَدِلُ
حَاصِلُ الْمَعْنَى إِلَى قَوْلِنَا: حَتَّى أَتَلْعَ مَكَانًا يَجْمَعُ فِيهِ بَحْرَانِ
مِنَ الْعِلْمِ أَحَدُهُمَا أَنَا. (١٦: ٧)

أَبُو حَتِيَّانَ، قِيلَ: هُوَ بَحْرُ الْأَنْدَلُسِ، وَالْقُرْبَةُ الَّتِي أَتَتْ
أَنَّ تَحْتِهَا هِيَ الْجَزِيرَةُ الْمَضْرَاءُ. وَقِيلَ: (جَمْعُ
الْبَحْرَيْنِ) بِحْرٌ يَلْعُ وَبَحْرٌ حَذَبٌ، فَيَكُونُ الْمَضَرُّ عَلَى هَذَا
مَوْجِعَ نَهْرٍ عَظِيمٍ فِي الْبَحْرِ.

وَقَالَتْ فَرَقَةُ الْبَحْرَانِ: كُنَايَةٌ عَنْ مُوسَى وَالْمَضَرِّ،
لَأَنَّهَا بِحْرًا عِلْمٌ. وَهَذَا شَبِيهُ بِتَفْسِيرِ الْبَاطِنِيَّةِ وَغُلَاةِ
الصُّوْفِيَّةِ، وَالْأَحَادِيثُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا بَحْرُ مَاءٍ.

قِيلَ: بَحْرُ الظُّلُمِ، وَقِيلَ: بَحْرُ الْأَزْدَقِ. (٦: ١٤٤)

نَحْوُ الْآكُوسِيِّ. (١٥: ٣١٢)

أَبُو الشَّوَدِ: هُوَ مَلْتَقُ بَحْرِ فَارَسَ وَالزُّومِ مِمَّا يَلِي
الْمَشْرِقَ. وَقِيلَ: طَبْعَةٌ، وَقِيلَ: هَا الْكَزَّ وَالزَّمْسَ
بِأَرْمِينِيَّةٍ، وَقِيلَ: إِفْرِيقَتَهُ. (٣: ٢٥٨)

حَتَمَتَيْنِ مَخْلُوفٍ: هَا عَلَى مَا يَظْهَرُ: الْبَحْرُ
الْأَحْمَرُ، وَالْبَحْرُ الْأَبْيَضُ. (١: ٤٨٠)

الْمُصْطَفَوِيُّ: قَدْ اخْتَلَفَتْ الْأَقْوَالُ وَالنَّاسِيبُ فِي

١- وَإِذَا قَالَ مُوسَى لِقَتِيلِهِ لَا تُبْرِحْ حَتَّى أَتَلْعَ جَمْعَ

الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَتَلْعَ حَقْبًا. الْكَهْفُ: ٦٠.

مُجَاهِدٌ: بَحْرُ رُومٍ وَبَحْرُ فَارَسَ، أَحَدُهُمَا يَلِي

الْمَشْرِقَ، وَالْآخَرُ قِبَلَ الْمَغْرِبِ. (الطَّبْرِيُّ ١٥: ٢٧١)

نَحْوُ الْقَرَاءِ (٢: ١٥٢)، وَالطَّبْرِيُّ (١٥: ٢٧١).

قَتَادَةُ: وَالْبَحْرَانِ: بَحْرُ فَارَسَ وَبَحْرُ رُومٍ، وَبَحْرُ

الزُّومِ مِمَّا يَلِي الْمَغْرِبَ، وَبَحْرُ فَارَسَ مِمَّا يَلِي

الْمَشْرِقَ. (الطَّبْرِيُّ ١٥: ٢٧١)

الشَّيْثِيُّ: الْبَحْرَانِ: الْكَزَّ وَالزَّمْسَ بِأَرْمِينِيَّةٍ.

(الآكُوسِيُّ ١٥: ٣١٢)

الْمُتَيْبِدِيُّ: قِيلَ: هَا بَحْرُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ الْمَذَانِ

يُحِيطَانِ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ.

وَقِيلَ: التَّدْبُ وَالْمَلْحُ. وَقِيلَ: الْبَحْرَيْنِ هُمَا الْعِلْمُ

وَهَا مُوسَى وَالْمَضَرُّ. (٥: ٧١٥)

نَحْوُ الْيَتْفَاوِيِّ. (٢: ١٨)

الزُّمَخْشَرِيُّ: مَلْتَقُ بَحْرِيَّيْنِ فَارَسَ وَالزُّومِ مِمَّا يَلِي

الْمَشْرِقَ.

وَمِنْ يَدَعِ التَّجَاسِيرَ لُنَّ الْبَحْرَيْنِ: مُوسَى وَالْمَضَرُّ،

لَأَنَّهَا كَانَا بِحْرَيْنِ فِي الْعِلْمِ. (٢: ٤٩)

الْفَخْرُ الزَّازِيُّ: أَنَا (جَمْعُ الْبَحْرَيْنِ) هُوَ الْمَكَانُ

الَّذِي وَعَدَ فِيهِ مُوسَى بِلِقَاءِ الْمَضَرِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ مَلْتَقُ

بَحْرِيَّيْنِ فَارَسَ وَالزُّومِ مِمَّا يَلِي الْمَشْرِقَ.

وَقِيلَ: غَيْرُهُ، وَلَيْسَ فِي اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَحْيِينِ

هَذَيْنِ الْبَحْرَيْنِ، فَإِنْ صَحَّ بِالْخَبَرِ الصَّحِيحِ شَيْءٌ ظَالِمٌ،

وَالْأَوَّلُ السَّكُوتُ عَنْهُ.

ويؤيد هذا المعنى تفسير «الغربة» في الآية الكريمة

ببلدة أيلة، وحسي في منتهى خليج العقبة، راجع «المخرطة».

وسنزيد التوضيح إنشاء الله في سائر كلمات الآية

الشرخية. (٢٠٤: ١)

الضحاك: البحرين: القذّب والملح.

(أبو حيان ٧: ٨٩)

نحوه الطبري (٢٠: ٣)، والزجاج (٤: ١٢٧)،

والجسقي (٥: ١٢٧)، والطبرسي (٤: ٢٢٩)، وابن

المؤزّي (٦: ١٨٦)، والفارسي (١٣: ٢٢٢).

الحسن: بحر فارس والروم. (أبو حيان ٧: ٩٠)

الشدي: بحر العراق والشام. (أبو حيان ٧: ٩٠)

الميثدي: قيل: القذّب، جيعان وسبحان ووجلة

والقراة والثيل، والأجاج: سائر البحار. (٧: ٢٤٠)

الفخر الرازي: فالقصد منه أن لا يفسد للقذّب

بالاختلاط، وأيضا فليستع بذلك الحاجز. وأيضا المؤمن

في قلبه بحران: بحر الإيمان والحسنة، وبحر الطغيان

والشهوة، وهو بتوفيقه جعل بينهما حاجزا، لكي

لا يفسد أحدهما بالآخر. [إل أن قال:]

والقلم أن اختصاص البحر بجانب من الأرض دون

جانب أمر غير واجب، بل الحق أن البحر ينتقل في مدد

لاتطبخها التواريخ المنقولة من قرن إلى قرن، لأن

استعداد البحر في الأكثر من الأنهار، والأنهار تستمد في

الأكثر من العيون.

وأما مياه السماء فإن حدودها في فصل بعينه دون

فصل، ثم لا العيون ولا مياه السماء يجب أن تتشابه

أحولها في بقاع واحدة بأعيانها تشابها مستمرّا، فإن

كثيرا من العيون يور، وكثيرا ما تقطع السماء، فلابد

حيث من ضروب الأودية والأنهار، فيعرض بسبب ذلك

ضروب البحار، وإن حدثت العيون من جانب آخر

٢- وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا غَذَبَ قُرَاتٌ وَهَذَا

ملح أجاج. الفرقان: ٥٣

ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان في

كل عام. (أبو حيان ٦: ٥٠٦)

مجاهد: مياه الأنهار الواقعة في البحر

الأجاج. (أبو حيان ٦: ٥٠٦)

الزمخشري: وسمى الماءين الكثيرين الواسعين

(ببحرين). (٣: ٢٩٦)

أبو حيان: والظاهر أنه يراد به (البحرين) الماء

الكثير القذّب، والماء الكثير الملح.

وقيل: بحران مميّان، قليل: بحر فارس، وبحر

الروم. (٦: ٥٠٦)

الألوسي: والمراد به (البحرين) الماء الكثير القذّب،

والماء الكثير الملح، من غير تخصيص ببحرين

معيّن. (١٩: ٣٢)

٣- أَكُنْ يَجْعَلِ الْأَرْضُ قُرَاتًا وَيَجْعَلِ جِلْهَا أَنْهَارًا

وَيَجْعَلِ لَهَا زَوَالِيًّا وَيَجْعَلِ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا...

النمل: ٦١

مجاهد: بحر السماء والأرض. (أبو حيان ٧: ٨٩)

حدثت الأنهار هناك، فحصلت البحار من ذلك
الجانب. (٢٤: ٢٠٨)

النيسابوري: بحر الزوج و بحر النفس.

(٢٠: ١٢)

أبو الشعثه: أي التذبذبات والمالح. أو خليجي فارس
والزوم. (٤: ١٢٨)

مثلته البروسوي. (٦: ٣٦٢)

٤. مَزَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. المرحض: ١٩

سلمان الفارسي: إن (البحرين) علي
وفاطمة (عليهما السلام)، بينهما برزخ (محمّد ﷺ)، «يَخْرُجُ مِنْهُمَا
الْكَلْبُ وَالْمَرْجَانُ»: الحسن والحسين (عليهما السلام).

مثلته سعيد بن جبّير. وسفيان الثوري. ونحوه.

(الطبرسي ٥: ٢٠١)

مثلته أبو ذر. (البحراني ٤: ٢١٥)

ابن عباس: بحر في السماء والأرض يلتقيان في كل

عام. (الطبري ٢٧: ١٢٨)

نحوه سعيد بن جبّير. وابن أبيزي (الطبري ٢٧:

١٢٨)، ومجاهد (الطبري ١٧، ١٦٢).

إن فاطمة (عليها السلام) بكت للسجود والمري، فقال

النبي (ﷺ): «اقتني يا فاطمة بزوجك، فوالله إنه سيد في

الدنيا وسيد في الآخرة». وأصلح بينهما، فأُنزل الله

تعالى: «مَزَجَ الْبَحْرَيْنِ...».

يقول: إنا أرسلنا (البحرين): علي بن أبي طالب بحر

العلم، وفاطمة بحر النبوة (يلتقيان)، يتصلان، لذا الله

لوَصَّ الوصلة بينهما، ثم قال: «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ» مانع.

رسول الله يمنع علي بن أبي طالب أن يحزن لأجل الدنيا،

ويمنع فاطمة أن تُخاصم عليها لأجل الدنيا، «فَبَإَيِّ آلَاءِ

رَبِّكَ» يامسح اللبن والإس (تُكَذَّبَانِ) بولاية أمير

المؤمنين، وحب فاطمة الزهراء.

فَالْأَلْوُكُ: الحسن (والمَرْجَانُ): الحسين، لأن

الألوك: الكبار، والمرجان: الصغار. ولا غرو أن يكونا

بحرين لسمعة فضلهما، وكثرة خيرهما، فإن البحر إنما سمي

بحراً لسمته، وأجزى النبي فرساً، فقال: «وجدته بهراً».

(البحراني ٤: ٢٦٦)

الحسن: بحر الزوم و بحر فارس واليمن.

(الطبري ٢٧: ١٢٨)

تتأذى: بحر فارس و بحر الزوم.

(الطبري ٢٧: ١٢٨)

الإمام الصادق (عليه السلام): علي وفاطمة (عليهما السلام) بحران

من العلم حيطان. لا يني أحدهما على صاحبه «يَخْرُجُ

مِنْهُمَا الْكَلْبُ وَالْمَرْجَانُ»: الحسن والحسين (عليهما السلام).

(البحراني ٤: ٢٦٥)

ابن جرّيج: إنه البحر السالح، والأنهار القذبة.

(الطبري ١٧، ١٦٢)

الطبري: اختلف أهل العلم في البحرين اللذين

ذكرهما الله جلّ ثناؤه في هذه الآية، أي البحرين هما:

فقال بعضهم: هما بحران: أحدهما في السماء، والآخر في

الأرض.

وقال آخرون: عني بذلك بحر فارس و بحر الزوم.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من

قال: عني به بحر السماء و بحر الأرض، وذلك أن الله قال:

﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُكُورُ وَالْعُرْجَانُ﴾ الرَّحْن: ٢٢، الْوُكُورُ والمرجان إنما يخرج من أصلاب بحر الأرض عن قطر ماء السماء، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض، وبحر السماء.

(٢٧: ٣٢٨)

الطُّبْرَسِيّ: [بعد نقل قول سلمان الفارسيّ قال:] ولاغرو أن يكونا بحرين لسعة فضلها وكثرة خيرها، فإن البحر إنما يستى بحرًا لسنه. وقد قال النبي ﷺ للرس ركه وأجره فأحككه: فوجدته بحرًا أي كثير المغانى الحميدة.

(٥: ٦٠١)

القحُور الرَّايزي: في (البحرَيْن) وجود أحدها: بحر السماء وبحر الأرض.

ثانيها: البحر الحلو والبحر المالح، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَشْتَوِي الْأَمْرَانِ هَذَا غَذَبٌ فَزَأَتْ تَسَانِعُ لِمَا يَصْنَعُونَ﴾ وهو أصح، وأظهر من الأول.

ثالثها: ما ذكرنا في (الْمُقَرَّبَيْنِ) وفي قوله: (تُكَذَّبَانِ) إنه إشارة إلى التوحيين الحاصرين، قد غل فيه بحر السماء وبحر الأرض، والبحر القذّب والبحر المالح.

رابعها: أنه تعالى خلق في الأرض بحارًا تحيط بها الأرض، وبعض جزائرها يحيط الماء، وخلق بحرًا محيطًا بالأرض وعليه الأرض، وأعطاه به الهواء - كما قال به أصحاب علم الهيئة، وورد به أخبار مشهورة - وهذه البحار التي في الأرض لها اتصال بالبحر المحيط، ثم إنها لا يميّان على الأرض ولا يخطيانها بفضل الله تعالى، لتكون الأرض بارزة يتخذها الإنسان مكانًا.

وعند النظر إلى أمر الأرض، يجاز الطيميّ ويتلجلج

في الكلام، فإن عندهم موضع الأرض بطبعه أن يكون في المركز، ويكون الماء محيطًا بجميع جوانبه.

فإذا قيل لهم: فكيف ظهرت الأرض من الماء ولم ترسب؟ يقولون: لا تجذب البحار إلى بعض جوانبها.

فإن قيل: لماذا انجذب؟ فالذي يكون عنده قليل من العقل يرجع إلى الحق، ويجعله بإرادة الله تعالى ومشيبه، والذي يكون عديم العقل يحمل سببه من الكواكب وأوضاعها واختلاف مقابلاتها، وينقطع في كل مقام مرة بعد أخرى.

وفي آخر الأمر إذا قيل له أوضاع الكواكب: إن اختلف على الوجه الذي أوجب البرد في بعض الأرض

فمن بعض آخر صار كما قال تعالى: ﴿فَسُبُّتِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ﴾ الآية: ٢٥٨، ويرجع إلى الخلق، إن هداه الله تعالى.

(٢٩: ١٠٠)

والثاني: قيل: بحر المشرق والمغرب يلتقي طرفهما. وقيل: بحر اللؤلؤ والمرجان. (١٧: ١٦٢) الشريف العاملي: في بعض الزيارات «أشهد أنك بحر العلوم المسجور، وفي بعضها السلام عليك يا بحر العلوم».

ولا يخفى أن المستفاد من ذلك جواز تأويل البحر والبحار الخالية عن القم - لاسيما المشتملة على المدح والنفع - بالإمام والتشي والائمة، بل بغاطمة أيضًا، لكونهم بحر العلوم والتهمة.

وهي هذا يمكن تأويل البحر والبحار المائية والفضارة والمنعومة بأعدائهم، لكونهم بحر الظلم والفسادة والشور.

(٩٥)

بجيرة

فاجتَلِ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَجِيلَةٍ وَلَا خَامٍ
وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ. المائدة: ١٠٣

النبي ﷺ: «قد عرفتُ أولَ من يحترق البحائر،
رجُلٌ من سُجُلٍ، كانت له ناقتان فَبَدَعَ أذَانَهَا وَحَرَّمَ
أَلْبَانَهَا وَظَهَرَهَا، وقال: هاتان هـ. ثم احتاج إليها
فشرب ألبانها، وركب ظهورها، فلقد رأيت في النار،
يؤدي أهل النار رُجُحُكُمُ». (الطبري ٧: ٨٦)

[في حديث خطبها لأبي الأسود قال:]
أرأيتَ لِمَكَ آتَتْ تَتَبَّعَهَا. مُسَلِّمَةُ أذَانَهَا، فتأخذ
المرسى فتجذعها، تقول: هذه بحيرة، وتسق أذنانها
تقول: هذه سُرْمًا قال: نعم.
قال: فلن ساعد الله أُنْدَ، وموسى الله أخذ. كُلُّ
مَالِكَ لَكَ حلال، لا يحرم عليك منه شيء.

(الطبري ٧: ٨٧)
ابن عباس: فالبجيرة: الناقة - كان الرجل - إذا
ولدت خمسة أبطن فتعبد إلى الخامسة، فلم يكن سُقْبًا
فيك أذنته، ولا يجر لها وِزْرًا، ولا يدوق لها لبنًا، فذلك
البجيرة. (الطبري ٧: ٩٠)

لَبَّهَا الناقة إذا بُجِيت خمسة أبطن ظفروا إلى الخامسة.
فإن كان ذكرًا تحروه، فأكله الرجال والنساء. وإن كان
أنثى سُقِّوا أذُنَهَا. وكانت حرثًا على النساء لا ينتفعن بها
ولا يذقن من لبنها، ومنافعها للرجال خاصة. فإذا ماتت
اشترك فيها الرجال والنساء.

مثله ابن قتيبة. (ابن الجوزي ١٢: ٤٣٦)

الطُّبَاهِيَّ: واقتضاه أن المراد بالبحرَيْنِ:
السَّدْبُ الفرات، والمِلْحُ الأجاج، قال تعالى:
﴿وَمَا يَنْتَوَى الْفَخْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ
وَهَذَا بِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ حَسَمًا طَرِيقًا
وَتَشْتَقِرُونَ جُلَّةً تَلْعُوتُنَّ﴾ طاهر: ١٢.

وأمثل ما قيل في الآيتين: إن المراد بالبحرَيْنِ:
جنس البحر المالح الذي يضر قريبًا من ثلاثة أرباع الكرة
الأرضية من البحار المحيطة وغير المحيطة، والبحر العذب
والمذخر في مخازن الأرض التي تنضج الأرض عنها،
فتجري العيون والأنهار الكبيرة. فصعب في البحر المالح،
ولا يزالان يلتقيان، وبينهما حاجز، وهو نفس
المخازن الأرضية والهارية، يحجز البحر المالح أن يصل
على البحر العذب، فيفسده ويؤذنه بحرًا مالحًا، وتصل
بذلك الحياة؛ ويحجز البحر العذب أن يزيد في الانصباب
على البحر المالح، فيؤذنه ماء عذبًا، فتصل بذلك الحياة
ملوحته، من تطهير الهواء وغيره.

ولا يزال البحر المالح يذ البحر العذب بالأمطار التي
تأخذها منه السحب، فتطر على الأرض وتذخرها
المخازن الأرضية، والبحر العذب يمد البحر المالح
بالانصباب.

فمضى الآيتين - والله أعلم - غلط البحرين - العذب
الفرات والمِلْحُ الأجاج - حال كونها مستمرين في
تلاقيهما، بينهما حاجز لا يطمئنان، بأن يضر أحدهما
الآخر، فيذهب بصفته من العذوبة والملوحة، فيختل
نظام الحياة والبقاء. (١٩: ٩٩)

ابن المسيَّب: البحيرة من الإبل التي ينع ذكرها للظواغيت. (الطَّبْرِيّ ٧: ٩١)

الشَّعْبِيّ: البحيرة: المنضمة.

البحيرة: هي التي تُجَدِّع أذنها. (الطَّبْرِيّ ٧: ٨٩) مُجَاهِد: البحيرة من الإبل، يُحَرِّم لعل الجاهلية وتربها وظهرها ولحمها ولبنها، إلا حلى الرجال، فما ولدت من ذكر وأنتى فهو على هيئتها، وإن مانت اشترك الرجال والنساء في أكل لحمها، فإذا ضرب الحمل من ولد البحيرة فهو الحامي. (الطَّبْرِيّ ٧: ٨٩)

عِكْرَمَة: البحيرة: الناقة إذا تُسِجت خمسة أبطن، فإذا كان الخامس ذكراً نحره تأكله الرجال والنساء.

وإن كان الخامس أنثى يحرروا أذننها، أي شقوها وكانت حرماً على النساء ولحمها ولبنها، فإذا مانت سقطت للنساء. (الطَّبْرِيّ ٦: ٢٢٦)

مثله الشَّجْبَانِي (٥٥)، ونُظَوِيه (المَكْرُوبِيّ ٢: ١٢٤)، والصدوق (معاني الأخبار: ١٤٨)، ونحوه فتادة (الطَّبْرِيّ ٧: ٩٠)، والضحَّاك (الطَّبْرِيّ ٧: ٩١)، وأبو عبيدة (١: ١٧٧).

خطاء: إثمها الناقة تلد خمس إناث ليس فيهن ذكر، فيتعبدون إلى الخامسة فيتكون أذننها.

(ابن الجوزي ٢: ٤٣٧)

الشَّدْي: فالبحيرة من الإبل، كانت الناقة إذا تُسِجت خمسة أبطن، إن كان الخامس مئثاً ذبوه فأهدوه إلى آلهتهم، وكانت أمه من حُرَض الإبل، وإن كانت رَيْمَةً لستحيوها، وشفوا أذن أمها وجزوا وتربها، وغلوها في البطحاء، فلم تهرهم في دية، ولم يملوا لها نساء، ولم

يجزوا لها وتراً، ولم يملوا على ظهرها، وهي من الأنعام التي حرمت ظهورها. (الطَّبْرِيّ ٧: ٩٠)

ابن إسحاق: البحيرة هي ابنة السانية.

(الطَّبْرِيّ ٦: ٣٣٦)

نحوه الفراء. (١: ٣٢٢)

ابن زيد: البحيرة: كان الرجل يجدع أذني ناقته ثم يسمتها، كما يسمي جساوته وغلانته، لأحلب، ولا تُرَكَب. (الطَّبْرِيّ ٧: ٩٢)

أبو حنيفة: البحيرة: جعلها قوم من الساة خاصة، إذا ولدت خمسة أبطن يحرروا أذننها وتُرَكَّت، فلا يمسها أحد ولا شياً منها، يُسَمُّون أذننها، أي يحرمونها.

وقال آخرون: بل البحيرة إثمها إذا تُسِجت الناقة خمسة أبطن فكان آخرها شقياً، أي ذكراً، يحرروا أذن الناقة، أي شقوها وغلوا عنها، فلم تُرَكَب ولم يضربها

منها، فتلق الجائع، فلا ينحرها ولا يركبها المني نحرها. (١: ١٨٠)

الطَّبْرِيّ: ما بحر الله بحيرة، ولا سب سانية، ولا وصل وصيلة، ولا حمى حامياً، ولكتكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة، فحرمتهموا افتراء على ربكم. [إلى أن قال:]

والبحيرة: النملة من قول القائل: بحرْتُ أذن هذه الناقة، إذا شقها، أنحرها بصرًا، والناقة مبحورة، ثم تصرّف «المفعولة» إلى «فعليلة» فيقال: هي بحيرة. وأما البحر من الإبل فهو الذي قد أصابه داء من كثرة شرب الماء، يقال منه: بحر البعير يبحر ببحراً، ثم استشهد

بشر

وقد اختلف أهل التأويل في صفات المستيات بهذه
الأسماء والسبب الذي من أجله كانت تُقتل ذلك. [بعد
هل قول النبي ﷺ قال:]

وذلك أن الناقة إذا تابست نسي حسرة إناءا ليس فيها
ذكر سبييت، فلم يركب ظهرها ولم يجزّ وتسرّها، ولم
يشرب لبنها إلا خفيف، فأتيت بعد ذلك من أنتى شقّ
أذنها ثم خلى سبيلها مع أنها في الإبل، فلم يركب ظهرها
ولم يجزّ وبرها، ولم يشرب لبنها إلا خفيف، كما قيل
بأنها، فهي البعيرة: ابنة الساتية. [إلى أن قال:]

فالمعصوب من القول في ذلك أن يقال: أما معاني هذه
الأسماء، فما يؤتا في ابتداء القول، في تأويل هذه الآية،
وأما كيفية حمل القوم في ذلك فما لا علم لنا به.

وقد وردت الأخبار بوضوح معاني ذلك على ما قد
حكينا، وغير ضائر الجهل بذلك، إذا كان المراد من
الاحتاج إليه موصلاً إلى حقيقة، وهو أن القوم كانوا
محرّمين من أتعابهم على أنفسهم عالم يحرمه الله اتباعاً
منهم خطوات الشيطان، فوهمهم الله تعالى بذلك،
وأخبرهم أن كلّ ذلك حلال، فما لحرام من كلّ شيء
عندنا ما حرّم الله تعالى ورسوله ﷺ أو دليل،
والحلال منه ما أحله الله ورسوله كذلك. (٨٦: ٧)

الزّجاج: أثبت ما روينا في تفسير هذه الأسماء من
أهل اللغة ما ذكره هاهنا:

قال أهل اللغة: البعيرة: ناقة كانت إذا تبيحت حصة
أجلّ وكان آخرها ذكراً، عسروا أذنّها، أي شقوها
وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء، ولا تمنع

من فرعي، وإذا لقبها المكبي لم يركبها. (٢١٣: ٢)

لهو، البروسوي.

القسي: فإن البعيرة كانت إذا وضعت الشاة حصة

أجلّ في السادسة قالت العرب: قد بمرت، فجعلوها

للصنم، ولا تمنع ماء ولا مرضى. (١٨٨: ١)

الطوسي: هذه الآية من الأدلة الواضحة على

بطلان مذهب الجبرة من قوهم: من أن الله تعالى هو

المخالف للكفر والمعاصي وعبادة الأصنام وغيرها من

القبايح، لأنه تعالى نهى أن يكون هو الذي جعل للبعيرة

أو الساتية أو الوصيلة أو الحامي. وعندهم إن الله تعالى

هو الجاعل له والمخالف تكليفاً له تعالى وجراً عليه، ثم

يُخالف أن هؤلاء بهذا القول قد كفروا بالله وألقوا

عليه بأن أصاغوا إليه ما ليس بفعل له، وذلك واضح

بالشكل فيه.

ما حرّمها أهل الجاهلية، ولا أمر بها. (٤٠: ٤)

الطوسي: هي «فيلة» بمعنى «مفعولة» من البهر

وهو التقي. والتاء للنقل إلى الاسمية، أو لحذف

الموصوف. [ثم نقل قول الزّجاج ويجزّمة وأضاف:]

وقيل: البعيرة هي الأثني التي تكون خامس بطن،

وكانوا لا يملكون لحماً ولبنها للنساء، فإن ماتت اشترك

الرجال والنساء في أكلها.

وقيل: هي التي ولدت طمّاً أو سبّاً، وقيل:

حسرة أجلّ وتترك هلاً، وإذا ماتت حلّ لحماً للرجال

خاصة. (٤٢: ٧)

الوجوه والنظائر

الدخاني: «البحر» على خمسة أوجه: التيم،

موسى وخضر، ماء القذب والبلح، سبعة أبحر، بحر تحت
العرش.

لوجه منها: البحر: التيم، قوله: «وَأَثَرُهُ الْبَحْرُ

رَحْمًا» الدخان: ٢٤، يعني التيم، كقوله تعالى:

«وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ» الأعراف: ١٣٨.

والوجه الثاني: البحر: موسى وخضر، كقوله

تعالى: «أَتْلَعُ بِحَمْلِ الْفَخْرَيْنِ» الكهف: ٦٠، يعني موسى

وخضر، على قول بعض أهل التفسير.

والوجه الثالث: البحر: ماء القذب والبلح، قوله:

«مَرَجَ الْفَخْرَيْنِ يَتَكَلَّمَانِ» الرحمن: ١٩١، يعني ماء القذب

والقذب، كقوله: «وَمَا يَشْتَوِي الْبَحْرَانِ» طاهر: ١١٢،

يعني المائين «هَذَا عَذَابٌ قَرِيبٌ...».

والوجه الرابع: البحر: سبعة أبحر، قوله: «وَأَثَرُهُ

بِالْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامَ وَالْهَرَمُ مِثْلُهُ» من قوله: «وَأَثَرُهُ

بِالْأَرْضِ...» لقمان: ٢٧، يعني سبعة أبحر، ظيها:

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَهْوِي فِي الْبَحْرِ...» لقمان: ٣١، ونحوه

كثير.

والوجه الخامس: البحر: بحر تحت العرش، قوله:

«وَالْبَحْرِ الْمَشْجُورِ» الطور: ٦، يعني بحر تحت

العرش. (١٧٠)

الفيروز أهادي: بصيرة في «البحر» و«البحيرة»

وقد ورد على أنحاء: بمعنى ضد للتيم: «وَأَثَرُهُ الْبَحْرُ

رَحْمًا» الدخان: ٢٤، «وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ»

يونس: ٩٠، ومعنى بحر طارس والزوم: «وَمَا يَشْتَوِي

الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَابٌ قَرِيبٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا يَلْبَحُ

أَجَاجٌ» طاهر: ١٢.

وبمعنى البحر الذي تحت العرش المجيد، وفيه

عجائب لا يعلمها إلا الله، وبمعناه يُحيي الله السموات

«وَالْبَيْتِ الْمَشْجُورِ» والقذب الشرف، «وَالْبَحْرِ

الْمَشْجُورِ» الطور: ٦-٤.

وبمعنى الأرياف والقرى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ

وَالْبَحْرِ» الزوم: ٤١، أي في البراري والبحار.

(بصائر ذوي التمييز ٢: ٢٢٥)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة الاتساع والانفراج.

والبحر رأسها. ومنه اشتقت سائر المعاني، وسُمي بذلك

لوسعه وإحداثه فروجاً في الأرض.

والتوسيع هو الاتساع، ثم استعملت في

الاتساع والانفراج لكونهما لازمين للبحر لما كان بعيداً،

بل هذا أولى بما اخترناه في كثير من المواد بناءً على أن

الأصل في اللغات المعاني المحسوسة ثم توسعت إلى

لوازمها المادية والمعنوية، والشاهد عليه توأمة المشتقات

مما بمعناها الأصلي أي البحر، وهي أكثر مما تفرع عليه

المعاني كالإتساع والانفراج والانشقاق والكثرة

والمطووعة ونحوها، ومنه يقال في البر: لاحظ «ب ر».

ويطلق البحر على الماء المالح والقذب على السواء،

كما يطلق على النهر ذي الماء التزير أيضاً، يقال: بحر

الرجل: سبح في البحر فانقطعت سياحته، ونسبح

الماء: غلط بعد عذوبة، وأبحر: صار يلحاً، وأبحر فلان:

بسلامه الشمام، إلا للسعودي؛ إذ ذكر أن أحده
«جرجيس»^(١٤)، ولكنه لم يثبت في قنط «بحيري»، أو
يبيّن رأيه فيه.

ثم والصلوات أنه صفة تعني المحرّب والفريد في
الشرايات، ونظفه فيها «بحيرا»، كما ذكرنا ذلك آنفاً.
وحقه أن يلحق بما كان على وزن (فعل) من الصفات.
مثل: عليم، وكبير، إلا أنهم الحقوه بوزن (فُعيل) من
الأسماء، رغم ندرة مجيئه في اللغة، قال الكسوطي: «لم
يأت (من الأسماء) على (فُعيل) إلا حرف واحد، قالوا:
خَلِيب، وهو اسم وادٍ»^(١٥).

الاستعمال القرآني

١- ورد البحر في القرآن في الموارد الآتية:

أ- مطلق البحر:

«وَاللَّهُ الَّذِي يَهْدِي الْبَحْرَ لِمَا يَنْفَعُ

البحر: ١٦٤

الناس»

٢- «وَنَسَخْنَا لَكُمْ الْأَنْفَالَكِ الْبَحْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ»

إبراهيم: ٣٢

٣- «وَنُفِثَ الْبُزْجُ الَّذِي يَزْجِي لَكُمْ الْأَنْفَالَكِ فِي الْبَحْرِ لِيُتَّقُوا

الإسراء: ٦٦

مِنْ قُضَيْهِ»

٤- «وَاللَّهُ الَّذِي يَهْدِي الْبَحْرَ لِمَا يَنْفَعُ

المع: ٦٥

ركب الماء والبحر، وتجرّ الزجل: رأى البحر فدهش،
ولبحرت الأرض: كثرت مناطق الماء فيها.

ومنه حديث عبد المطلب: «حفر زمزم ثم بحرها
بحرله، أي شقها ووسّعها حتى لا تتزف. ومنه اشتقت
للبحيرة، وهي الثقة التي كان أهل الجاهلية يشقون
أذنّها.

وقد استعاروا «البحر» للعلم، فقالوا: تبحر الرجل
في العلم واستبحر، أي اتسع فيه. واستعاروه للسهل،
فقال: تبحر فلان في المال: توسع، وللكلأ أيضاً، يقال:
تبحر الزامي: وقع لي رعي كثير، وللشعر: استبحر
الشاعر، اتسع له القول، وللشقاء: وجعل يبحر، أي
سلك، وللنرس الراسع الشير، يقال: إنه كبحر، وغير
ذلك.

٢- وحسب الجسورّي السحران - أي القزلة في
الأمراض الشديدة - مرلداً، وليس كذلك، بل هو معرب
«بحرونا» السرياني^(١٦)، وكذا قنط «باصوره» أو
«باصوراه»، أي شدة الحر في تموز، فهو ليس مرلداً، بل
معرب لفظ «بحيرا» السرياني، أي المحرّب والفريد^(١٧)،
فكان الأيام التي تشتت فيها الحرارة منتظمة القرون في
ذلك، وهي سبعة أيام من تموز، وقيل: ثمانية.

فأصله على هذا يوناني، إذ هو في اليونانية
«بيزراه»^(١٨)، أو هو معرب «بحرونا» بمعنى النزلة والأزمة
المرضية^(١٩)، فكان اشتداد الحرارة في هذه الأيام أزمة
جوية شديدة.

٣- وأما «بحيري» فقد عدّه المؤرّخون اسمًا
لراهب «بحري» الذي لقيه النبي ﷺ أثناء سفره إلى

(١) قلوس سرياني - عربي.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر المعجم اليوناني - الإنجليزي.

(٤) قلوس سرياني - عربي.

(٥) انظر البداية والنهاية (٢، ٢٦٦).

(٦) المعجم (٢، ٥٥).

الْقَلْبِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ. النكبات: ٦٥.

٦- عمل مساكين في البحر بسفينتهم (١٨)، وينبغي حد هذه الآية في جملة آيات «البحر المحاسن». فإن البحر هنا نفس البحر الذي ركب موسى والخضر، وهو إسماء خليج العقبة، أو البحر الأحمر المتصل به.

ب- بحر خاص: وهو البحر الأحمر على أشهر الأقوال، موافقة لما جاء في التوراة، أو التويل عند بعض:

١- «وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَلْبَيْتَاكُمْ وَأَلْهَمْنَاهُ أَنْ يَرْجِعَ» البقرة: ٥٠

٢- «وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ»

الأعراف: ١٢٨، يونس: ٩٠

٣- «فَاخْرُجْ هُمْ هَرَبًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا» طه: ٧٧

٤- «فَأَوْعَيْنَا إِلَى مَوْصًى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ

الْبَحْرَ» الشعراء: ١٩٧

٥- «وَأَنزَلْنَا الْبَحْرَ وَهَوَّاءُ إِنَّهُمْ جُذُءٌ

مُفْرَقُونَ» الدخان: ٢٤

٦- «وَسَأَلْنَاهُمْ هُنَا الْفَرِيقَ الَّذِي كَانَتْ عَاصِيَةً

الْبَحْرِ» الأعراف: ١٦٣

٧- «نَبِيًّا مَوْجِبًا فَاسْتَلْزَمَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ

سَرَاتًا» الكهف: ٦١

٨- «وَأَعْلَفَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا» الكهف: ٦٢

يلاحظ أولاً: أَنَّ «البحر» الذي فرق الله تعالى لبني

إسرائيل، فاجتازوه مشياً على طريق يابس، هو نفس

البحر الذي ذكره الله باللفظ (اليَمِّ)، إذ ورد لفظ (البحر) في

قصة بني إسرائيل عند جوازهم البحر في الآية (١٣٨)

من سورة الأعراف، وفي الآية (٧٧) من سورة طه أيضاً. وورد لفظ (اليَمِّ) عند إغراق فرعون وأمواله قبل الآية الأولى بقوله: «فَأَنشَقْنَا مِنَ الْبَحْرِ مَوْجَهُمْ فَأَمْحَاهُمْ بِالسَّيْلِ». وبعد الآية الثانية بقوله: «فَأَنكَبْتُمْ فَوَجَّهْتُمْ لِمَنْ يَكُونُ فَنَقَضْتُمْ مِنْ أَيْمَانِهِمْ عَاقِبَتُهُمْ»، قال الطحاوي: اليَمِّ: هو البحر، وهو معظم الماء^(١).

ولم يمنع هذان اللطنان في هذه القصة إلا هنا، بيد

أَنَّهُ جاء ذكر (اليَمِّ) في إغراق فرعون وقومه عند سرد

إهلاك الأمم السابقة ويان عاقبتهم، دون ذكر بني

إسرائيل في قوله تعالى: «فَأَنكَبْتُمْ فَوَجَّهْتُمْ لِمَنْ يَكُونُ فَنَقَضْتُمْ مِنْ أَيْمَانِهِمْ عَاقِبَتُهُمْ»

اليَمِّ: القصص: ٤٠، والذريات: ٤٠، لاحظ «ي م م».

ثانياً: وهذا البحر هو البحر الأحمر، كما قال جسر

من المسلمين وغيرهم. فقد قال الطحاوي في قوله

تعالى: «وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ»: أي قطعاً بيني

وهم البحر الأحمر، وجوزناهم فيه حتى بلغوا الشط

حافظين لهم^(٢)، ونحوه، وقد حكى الطحاوي قصة غرق

فرعون عن التوراة^(٣).

وقال مستر هاجس صاحب «قاموس الكتاب

القدس» في موضوع بحر القلزم أو الأحمر: «بحر يقع بين

آسيا وأفريقيا، وحيث كان العبريون في مصر أطلقوا

عليه اسم البحر، وسموا مصر، وسموا صوفد، وكان

اليونانيون يطلقون اسم البحر الأحمر على خليج

البحر، وسموا المصريين قديماً: البحر الغربي».

(١) الطحاوي (١)، ٢١٣.

(٢) الطحاوي (٦)، ٢٧٨ و (٦)، ٢٧٤.

(٣) الطحاوي (١)، ٥٣.

وأطلق عليه العرب اسم بحر الحجاز.

ثم قال: «ومن المصادف الشهيرة التي وقعت في بحر القلزم عبور بني إسرائيل منه وغرق المصريين فيه».

وجاء في التوراة: «مركبات فرعون وجيشه أقامها في البحر، فغرق أفضل جنوده المركبة في بحر سوف» الخروج (١٥: ٤).

ثالثاً: أما البحر في آي الكهف، فلم ينصح عنه أحد، إلا أنه اقترن بجميع البحرين في قوله: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتِيلِهِ لَا تُزِجْ عَنِّي أَمْثِلْ جَمْعَ الْفَرَسَيْنِ أَوْ أَشْضِ خُفَّيْهِ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا» الكهف: ٦٠، ٦١.

وهذا الاقتران أيضاً لا يزعج السواد من اسم البحر، أو يُزيل الإيهام عنه، إذ أن في (مَجْمَعَ الْفَرَسَيْنِ) خلافاً، إلا أننا توصلنا إلى ما هو أقرب إلى الصواب، وهو ملتقى خليج العقبة والبحر الأحمر، كما سيأتي ذكره.

رابعاً: جاء (البحر) خاصاً في (٨) آيات، خمس منها حول قصة عبور بني إسرائيل البحر وغرق فرعون فيه، واثنان منها - وهما (٧) و(٨) - حول قصة موسى وفاء مع القبط عند (مَجْمَعَ الْفَرَسَيْنِ)، كما سيأتي، وواحدة منها - وهي (٦) - حول القرية التي كانت حاضرة البحر، أي بحر البحر، وهي - كما قال الطحاوي: أبلة، وهي قرية بين مدين والطور، على شاطئ البحر الأحمر.

(٣: ٣٤٠)

وليس على التبل، كما جاء في كتب التفسير، لاحظ «ع ضد»، وبذلك سميبت اللثام عن (مَجْمَعَ الْفَرَسَيْنِ) قصة موسى وفاء، كما سترى.

ج - خلاف البحر:

١- «قُسِّلَ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» الأنعام: ٦٣

٢- «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» الأنعام: ٩٧

٣- «وَأَمَّنْ يَنْجِيكُمُ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»

النمل: ٦٣

٤- «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» الإسراء: ٧٠

٥- «هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»

يونس: ٢٢

٦- «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» الزمزم: ٤١

٧- «وَيَعْلَمُ خَائِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» الأنعام: ٥٩

المعوم، فيها يشملان سطح الكرة الأرضية جمعا، وهذا ما ينصح عنه متملقها أيضاً من الالتقاط التالية:

أ- الظلمات (في الآيات الثلاث الأولى): اقترن بها مثالي كل المواضع، إلا في الآيتين: «أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَيْسٍ» النور: ٤٠، «وَلَا حَيَّةٍ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ» الأنعام: ٥٩.

ب- الحمل (في الآية الرابعة): استعمل في القرآن مع الفلك كثيراً، كقوله: «وَأَنَّهُ لَمَّا آتَا جَمَلًا ذُرِّيَّتُهُمْ فِي الْقَلْبِ السَّخَّيْنِ» يس: ٤١، ومع الميوان قليلاً كقوله: «وَتَحْمِيلُ أَثْقَالِكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِآلِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ» النمل: ٧.

«البحر» يشمل تقريباً ثلاثة أرباع مساحة الأرض.
[لاحظ ب رد]

بيد أن هذا الأمر يختلف في لفظي «السماء»
و«الأرض» في القرآن، إذ ورد اللفظ الأول مقدماً على
الثاني طاملاً لا يوصل بينها فاصل غير ولو العطف أو ■
آخر، فإن اتصل أحدهما من الآخر بلفظين أو أكثر،
قدم الأول على الثاني تارة، كقوله: «وَالَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَخْلَةً» الحج: ٦٢،
والثاني على الأول تارة أخرى، كقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُقُ
شَيْئاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ» آل عمران: ٥،
لاحظ «أرض».

البحر، الماء، القذّب والمالح:

١- «وَمَا تَشْأَى الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ
كِرَامُهُ وَهَذَا يَمْلَحُ أَجَاغٌ»
سورة الفرقان: ١٢

وَهَذَا يَمْلَحُ أَجَاغٌ الفرقان: ٥٣
٢- «وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا» النمل: ٦٦
٣- «خَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَمْتَلِحَانِ» التين: ١٩، ٢٠

يلاحظ أولاً: أن المفسرين - كما تقدم في النصوص -
قد اختلفوا في معنى (البَحْرَيْنِ) على أقوال، منها: بحرا
الزّوم وفارس، وبحرا المشرق والمغرب، وبحرا السماء
والأرض، وبحرا الماء القذّب والمالح.

فن قال: هما بحرا الزّوم وفارس، أو بحرا المشرق
والمغرب، فقد نجد عن الصواب، لأن كلا البحرين
مالح.

ج - التفسير (في الخامسة): يفسر في القرآن
بحر الجبال، كقوله: «وَوُضِعَتِ الْجِبَالُ فَوَاجِغَ
سَرَابِ» التّبا: ٢٠.

د - الفساد (في السادسة): وهو خاص في أي من
القرآن بالأرض، كقوله: «وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ»
التقص: ٧٧، أو السماوات والأرض معاً، كقوله: «وَلَوْ
اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»
المؤمنون: ٧٦، إلا في الآية (٦): «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الثَّوْبِ
وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» الزّوم: ٤١. ويحدثها
ما وقعت من الحروب بين الملوك والأمم قديماً وحديثاً
في البر والبحر معاً.

هـ - العلم المطلق (في السابعة): وهو كثير في القرآن،
وأغلب استعماله في مجال السماوات والأرض، كقوله:
«وَالَمْ تَقْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ خَائِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» الحج:
٧٠.

ثانياً: جلب عمل هذه الآيات - عدا الآيتين
الآخرتين - طابع المنة على بني آدم، إذ ذكرهم الله تعالى
في الآية (١) بإنعامهم من ظلمات البر والبحر، وفي (٢) و
(٣) هدايتهم في ظلمات البر والبحر أيضاً، وفي (٤)
حملهم في البر والبحر، وفي (٥) تسييرها فيها.

لما الآية (٦) فضيها ذمّ لهم، لإفسادهم في البر
والبحر، وفي (٧) بيان لشمول علمه كل شيء فيها،
فليس فيها شيء من المنة بل كفران للنعمة.

ثالثاً: ورد لفظ «البر» مقدماً على لفظ «البحر» في
هذه الآيات، رغم أن «البحر» جاء (٣٣) مرة في القرآن،
و«البر» فيه (١٢) مرة فقط أي قريباً من ثلثه، كما أن

لا يصدق إلا على البحر الأحمر، والبحران هما: خليج العقبة وخليج السويس، كما ذهب إليه المصطلقون. وهناك شواهد تاريخية تعضد هذا الرأي، لاحظ «موسى».

ثالثاً: وهذا «قد أبدت الرخصة عن الصريح»، كما يقول المثل، إذ أن «البحر» في آيتي الكهف المدرجتين تحت عنوان «بحر خاص»، هو خليج العقبة الذي سلكه موسى مع قومه، بدءاً من سيناء «أهيلة» - كما سبق - المشرف على شاطئ الخليج، وانتهاء إلى جنوبه، أي البحر الأحمر لجمع البحرين في هذا الموضع ملحق خليج العقبة والبحر الأحمر. وبذلك يبدو الصنف هنا في قول المصطلقون: «جمع البحرين: ملحق بحر فارس والروم من جهة المشرق، أو بحري العلم: موسى في علم الشريعة، والحضر في علم الحقائق...» (١).

٢- ورد البحر في القرآن مفرداً ومثنىً وجمعاً (٤١) مرة، منها (٣٣) مرة مفرداً معرباً به (أل)، إلا قوله: «أو ظلمات في بحر جحيم» النور: ٤٠، حيث جاء منكرًا إمعاناً في الظلمة، و(٥) مرات مثنى معرباً أيضاً، و(٣) مرات جمعاً معرباً، إلا قوله: «والنهر ههنا من تحته تسبئة أبحر» لقمان: ٢٧، فقد جاء منكرًا إمعاناً في السمة، ولكل وجه لا يخفى على الأديب اللبيب.

٣- اقترن «البحر» مفرداً باسم موسى وقومه (١٠) مرات، كما اقترن به مثنى مرة واحدة، ولم يقرن القرآن اسم نبي أو قوم بالبحر سوى موسى وبني إسرائيل، وهذا الاقتران يفصح عن تلازم تاريخي وثيق بين هذه

ومن قال: بحر السماء والأرض، يردّه قوله بعد الآية الأخيرة: «يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُكُودُ وَالسَّحَابُ» الرحمن: ٢٢، وهما يخرجان من ماء الأرض دون ماء السماء.

ثانياً: لا شك أن أقرب الأقوال من هذا للمعنى هو ما ذهبنا إليه، أي بحر الماء للثوب والماء، كما قال به أغلب المفسرين. والمراد به في هذه الآيات مصب الأنهار في البحر الأجاج، فلا ينبغي للماء الثوب أن يطغى على الماء، ولا الماء يطغى على الثوب، بل كلّ له حدّ لا يتجاوزه إلى مسافة كبيرة في داخل البحر، وقد عبر الله تعالى عن هذا الحدّ في الآيتين (١) و (٢) بالمعذوبة والملوحة، وعبر عنه في (٣) بالمأجزر، وفي (٤) بالبرزخ. - جمع البحرين:

«وَأَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْتَغِي لِرَبِّهِمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ كَلْبًا»

يلاحظ أولاً، أن المفسرين ذكروا قولاً كثيراً يقول (يَبْتَغِي الْبَحْرَيْنِ) إلا أنها لا تلي بتعيين هذين البحرين، كما أن بعضهم قد اعتسف من جادة الصواب حيث قال: هما بحر العلم، موسى والحضر، إذ ما قاله تأويل، وهو يحتاج إلى أثر يستدل به، أو شاهد يستند إليه.

ولكن يمكن أن نقف على حقيقة (الْبَحْرَيْنِ) بواسطة لفظ (يَبْتَغِي)، فن معانيه في اللغة: موضع الاجتماع، وهذا الموضع - كما يفهم من معنى الجمع - يستوعبها معاً، كما يستوعب المصب الزواحف التي تنهي إليه. وما ذهب إليه المفسرون ليس بجمع، وإنما ملحق، وبه غشوه أيضاً. لاحظ «ج مع».

ثانياً: حلام يصدق (يَبْتَغِي الْبَحْرَيْنِ) إذا؟ إن ما ذكرناه

بالمصنفات التالية:

أ - الإخلاق: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ
وَلَفَرَقْنَا أَلْ فِرْعَوْنَ﴾
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْيَمِينَ﴾

البقرة: ٥٠

وكذا البحر بلفظ اليم: ﴿فَأَنْتَقَسْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ

في اليم﴾

ب - جري ظلك وتسير البشر: ﴿وَأَنْفُلِكِ النَّاسِ

قَهْرِي فِي الْبَحْرِ يَمًا تَتْلَحَّ النَّاسِ﴾

﴿هُوَ الَّذِي يَسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يونس: ٢٦

ج - تلاطم الأمواج: ﴿أَوْ كَظَلَمَاتٍ فِي بَحْرِ تَجْشُّ

النور: ٤٠

الصيد: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ حَتَّىٰ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا

المائدة: ٩٦

وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُضوعًا﴾

الأنعام: ٦٣

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي

الأنعام: ٩٧

﴿أَكُنْ يَمِينَكُمْ فِي ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾

النمل: ٦٣

و - من الضَّر: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ

الإسراء: ٦٧

ز - ظهور السَّاد: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ يَمًا

الزَّوْم: ٤١

ح - الاتِّقَاد: ﴿وَالْبَحْرِ الْحَسْبُورِ﴾

الطور: ٦٠

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجُورَتْ﴾

الأمم والبحر، فقد عهد موسى الماء والبحر منذ ولادته
إذ خافت عليه أمه كيد فرعون، فجاءها الأمر الإلهي
﴿أَنْ أَقْذِيبَهُ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْذِيبَهُ فِي النَّاسِ﴾ طه: ٣٩.
فجاء اليم من فرعون وفرعون.

وحينما شَبَّ ولما انتصر من ظالم حين استنصره
ظلموم، فقتله وفر هاربًا صوب مَدْيَنَ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَدْيَنَ
مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُونَ وَوَجَدَ مِنْ
دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ خُاطِبَتُهُمَا قَالَتَا لَأَنْتَ
خَلْقٌ مُضِدٌّ الرَّغَاءُ وَالْأَوْنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ نسف: ٢٣، ٢٤.
القصص: ٢٣، ٢٤. فكان الماء سببًا لإيوانه وزواجه.

وعند رجوعه إلى مصر خلص بني إسرائيل من
جور الأباط، ووطد العزم على مفادرة أرض مصر مع
فرعون، والتوجه نحو فلسطين، فسار بهم تلقاءها، فخرجهم
فرعون على رأس جيش كبير، وأدركه عند البحر
الأحمر، فطرب موسى البحر بحصاء، فاعرجهم،
ومشوا على قاعه، فلحق بهم فرعون وجنوده، فأطبقهم
ماء البحر وأغرقهم ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ
وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ البقرة: ٥٠.

ولما اشتدَّ ببني إسرائيل الطش في صحراء سيناء،
ضرب موسى حصاء البحر ﴿فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ
عَيْنًا﴾ البقرة: ٦٠. فنهلوا منها وارتووا.

كما ابتلى الله بني إسرائيل بنهر في قوله: ﴿فَلَمَّا
فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ
شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ
اعْتَصَمَ عُزَّةَ يَدَيْهِ﴾ الآيات، البقرة: ٢٤٩. فابعدا.

١- وقد ماز القرآن البحر عن سائر مصادر المياه

ط - العذوبة والملاحة: ﴿وَعَالِيَشَ تَوَاتَى الْفُجْرَانِ هَذَا

عَذْبُ فُرَاتٍ سَالٍ كَرِيمٌ وَهَذَا يَلُحُّ أُنْجَاجٌ﴾ طاهر: ١٢

﴿وَهُوَ الَّذِي مَزَجَ الْكُفْرَيْنِ هَذَا عَذْبُ فُرَاتٍ وَهَذَا

يَلُحُّ أُنْجَاجٌ﴾ القرطبي: ٥٣

٥ - وعرك القرآن البحر مع سائر مصادر المياه في

التفجير:

البحر: ﴿وَإِذَا الْبُحَارُ فَجَّرَتْ﴾ الانطار: ٣

النهر: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَاحِيَةٍ فَتُجَرُّ

الْأَنْهَارُ فَلَهَا تَقْجِيرٌ﴾ الاسراء: ٩١

العين: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ نَبِيبًا﴾ البقرة:

٦٠

﴿فَالْجَبَّارُ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ نَبِيبًا﴾

الأحرار: ﴿فَالْجَبَّارُ

﴿عَبَسَ بِشِرْبٍ بِمَا عَصَاهُ اللَّهُ مُبْتَلًى وَكَذَلِكَ

تَقْجِيرٌ﴾

٦ - لم يأت القرآن على ذكر «البحر» في عالم

الآخرة، أما النهر والعين فقد ذكرا في عالمي الدنيا

والآخرة. كما وصفها بالجران فيها، ولم يذكر جريان

البحر أيضًا، بل جريان الفلك فيه. وجملة «جَنَابَاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» قد تكررت أكثر من (٣٠) مرة

حق صارت مثلًا، لاحظ من مره.

٧ - أما «البحيرة» في قوله تعالى: ﴿عَالِيَشَ تَوَاتَى

الْبُحَيْرِ وَلَا نَاصِيَةٌ وَلَا وَجِيَّةٌ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

يَتَقَرَّبُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَآكَرَهُمْ لَا يَتَّقِلُونَ﴾ المائدة:

١٠٣، ففيها خلاف؛ إذ قال بعض: هي الناقة المشقوقة

الأذن، وقال آخرون: هي الشاة المشقوقة الأذن، وقول

القرطبي الأول أشهر.

وهـ «البحيرة» هي «كبيلة» بمعنى «مفعولة»، من

قوله: بَحَرْتُ أُنْزِلَ الشَّافِعُ بَحْرًا، أي شققها، والبحر

مركز التفرقة، والفرج والشعب والبحر والتخا بمعنى واحد.

ب خ س

٥ ألقا، ٧ مزام، ٦ مكية، ١ مدنية

في ٦ سور: ٥ مكية، ١ مدنية

يَبْتَغِي ١: ١ يَبْتَغُونَ ١: ١
يَبْتَغُوا ٣: ٣ يَبْتَغُوا ١: ١
يَبْتَغِي ١: ١

أَبْنَى الْأَعْرَابِيَّ، يَبْتَغِيهَا وَيَحْتَضُّهَا: غَشَّقَهَا،
وَالضَّادُ أَجُودُ. (الْقِيُومِي ١: ٣٧)

أَبْنَى السُّكَيْتِ، يُقَالُ: قَدْ يَبْتَغَتْ هَيْبَةً، وَلَا تَقِلُّ:

يَحْتَضُّهَا، إِنَّمَا الْبَغْسُ الْفُتُوحُ مِنَ الْحَقِّ، تَقُولُ: قَدْ يَبْتَغَتْ

حَقَّهُ، وَيُقَالُ لِلْبَيْعِ إِذَا كَانَ قَصْدًا: لَا يَبْتَغِ

وَلَا يَشْطُطْ. (إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ: ١٨٤)

الْأَمْوِيُّ: يَبْتَغِي الْمُنْعَ تَبْغِيًّا، إِذَا دَخَلَ فِي الثَّلَاثَةِ

وَالْمَيْنِ فَذَهَبَ، وَهُوَ آخِرُ مَا يَبْقَى. (الْأَزْهَرِيُّ ٧: ١٩١)

الْمُبْتَذَرُّ: [قِيلَ]: يَبْتَغِ، هُوَ لَحْمٌ يَحْلِلُطُهُ بِيَاضٌ، مِنْ

فَسَادٍ يَحْكُلُ لَهُ.

وَيُقَالُ: يَبْتَغَتْ عَنْهُ بِالضَّادِ، وَلَا يَجُوزُ إِلَّا ذَلِكَ.

وَيُقَالُ: يَبْتَغَتْ حَقَّهُ بِالسَّيْنِ، إِذَا ظَلَمْتَهُ وَنَقَصْتَهُ، كَمَا قَالَ

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَبْغُوا الثَّانِيَ أَشْيَاءَهُمْ﴾. وَفِي الْمَثَلِ

«تَحْسِبُهَا حَقًّا وَهِيَ بَاغْسٌ».

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اللَّحْمُ الَّذِي قَدْ خَالَطَهُ الْفَسَادُ فَوَلَدَ

النصوص اللغوية

أَبُو عَمْرٍو ابْنُ الْقَلَاءِ: الْأَبَاغْسُ: الْأَصَابِعُ.
وَاحِدُهَا: أَبْغَسٌ. (الْمَكِيلُ ٤: ٢٠٤)

الْمَقْلِيلُ: الْبَغْسُ: أَرْضٌ تُنْبِتُ مِنْ خَيْرِ سَبِي.
وَجَمْعُهُ: بَغُوسٌ.

وَالْبَغْسُ: قَبْلُ الْعَيْنِ بِالإِصْبَعِ وَغَيْرِهَا.

وَالْبَغْسُ: الظُّلُمُ، يَبْتَغِ أَخَاكَ حَقَّهُ فَتَبْغُضْهُ، كَمَا

يَنْقُصُ الْكِتَابُ مِثْلِيَّالَهُ فَيَبْغُضْهُ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَبْغِي

يَبْغِي﴾ يَوْسُفَ: ٢٠، أَيْ تَنْقُصُ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَا تَبْغُوا الثَّانِيَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ الْأَعْرَافُ: ٨٥، أَيْ:

لَا تَنْقُصُوا. (٢٠٣: ٤)

الزاجز:

بالهدي لأرى لي ثعلباً

كما لواء أو تمرداً يثعلباً

(٢٠٧: ١)

ثعلب: وفي المثل «تحمسها حمقاء وهي باخس»

هكذا جرى المثل بغيرها، ولما شنت قلته بالهاء. (٧٨)

الزجاج: البخس: النقص والقلة. يقال: بخت

أبخس بالسنين، وبخست حيتته بالعطاء لاغير. مثل فقأت

عينيه. (٣٥٤: ٢)

بخس: أي ظلم، لأن الإنسان الموجود لا يميل إليه.

وقيل: بخس: نقصان. (ابن سيده ٥: ٥٥)

ابن جرير: تسبخس القوم في البيع، إذا

تفاهروا. (١٢٤: ٦)

الأزهري: [قيل]: البخس: الحبس الذي يخبس

به البائع.

وقوله عز وجل: «فَلَا يَخَافُ يَخْشَى» الجن: ١٣، أي

لا يتقص من ثواب عمله.

إنه لشديد الأباخس: وهي اللحم النجس.

وقيل: الأباخس: ما بين الأصابع وأصوفا. [ثم

استشهد بشعر]

والبخسي من الزرع، ما لم يسق بما جدد^(١)، إنما أسقاء

ماء السماء. (١٩٠: ٧)

الصاحب: [ذكر نحو الخليل وأضاف:]

ورأه لشديد الأباخس: يعني أصابه إذا قبضها.

واحدتها أبخس.

وبخس المخ تبخشا: دخل في السلائم والصين.

والبخيس: ذهاب المخ من المقام. (٢٧٠: ٤)

البحروري: البخس: النقص. يقال: «وَشَرَوْهُ

بِشَمَنِ بَخْسٍ» يوسف: ٢٠. وقد بعثه حقه ببخس

بخشا، إذا نقصه.

يقال للبيع إذا كان قصداً: لا يبخس فيه ولا شطط.

والبخس أيضاً: أرض ثبتت من غير سبي.

(٩٠٧: ٣)

نحوه الزاوي.

ابن فارس: الباء والماء والسين أصل واحد وهو

النقص. قال الله تعالى: «وَشَرَوْهُ بِشَمَنِ بَخْسٍ» يوسف:

٢٠. أي نقصي. ومن هذا الباب قولهم في المخ: بخص

تبخشا، إذا صار في السلائم والصين، وذلك حين

نقصانه وذهابه من سائر البدن. [ثم استشهد بشعر]

(٢٠٥: ١)

أبو حلال: الفرق بين البخس والنقصان: أن

البخس: النقص بالظلم، قال تعالى: «وَلَا تَبْخُسُوا

النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» الأعراف: ٨٥. أي لا تنقصوهم ظلماً.

والنقصان: يكون بالظلم وغيره. (١٤٧)

الهروي: في حديث الأوزاعي: «بأقي على الناس

زمان يستغل فيه الزبا بالبيع، والخمر بالتبذ، والبخس

بالزكاة».

أراد بالبخس: ما يأخذ الزكاة باسم العشر. وتأولون

فيه الزكوات والصدقات. وقيل: أريد به المسكس، وهو

ما فسرناه.

(١) بما جدد لا ينقطع.

والمكاش، أن يشتقص المشتري شيئاً من الثمن .
(١٣٦: ١)

نحوه ابن الأثير . (١٠٢: ١)

أبوسهل الهروي: «وتعسبها حنفاء وهي باخس» هكذا جرى المثل بخيرها، أي أنها ذات بخس، أي نقص في الكيل، كما قالوا: طالق، أي ذلت طلاقي، وإن شئت قلته بالهاء، أي أنها إذا كالت للناس نقصت الكيل وطففت فيه، وتقول هذا لمن تطفه أثله، فإذا خبرته وجدته داهياً غيباً.

(المثلوج في شرح الفصح: ٧٨)

ابن سيده: بخسه حقه، يبخسه بكذا: نقصه، وامرأة باخس وباخسة، وفي المثل: «تعسبها حنفاء» وهي باخس أو باخسة.

وثن بخس: دون ما يجب، [إلى أن قال:] وتباخس القوم: تناهبوا.

وبخس عنه يبخسها بكذا: قضاها، لته في «بخسها» والإضاد أصلي.

والبخس: أرض ثبت بخير سقي، والجمع: بخوس، والأباخس: الأصابع.

والبخيس من ذي الحنف: اللحم الداغل في حنقه، والبخيس: نياط القلب، (٥٥: ٥)

الطوسي: والبخس: نقصان الحق، يقال: بخسه بكذا إذا ظلمه بنقصان الحق، وفي المثل: «تعسبها حنفاء» وهي باخس.

نحوه الطبرسي . (١٤٨: ٣)

والفرق بين البخس والظلم: أن الظلم أصم، لأن

البخس: نقصان الحق اللازم، وقد يكون الظلم: الأعم بغير حق. (٤٨: ٩)

والبخس: النقص عن الحد الذي يوجبه فليسق، تقول: بخس يبخس بكذا فهو باخس، والبخس بالصاد: فقه الدين . (٤٩٢: ٤)

الراغب: البخس: نقص الشيء على سبيل الظلم، قال تعالى: «وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ» هود: ١٥، وقال تعالى: «وَلَا يَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» الأعراف: ٨٥، والبخس والباخس: الشيء الطفيف الناقص.

وقوله تعالى: «وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ» يوسف: ٢٠، قيل: معناه باخس، أي ناقص، وقيل: مبخوس، أي

مبخر من المال: تباخسوا، أي تناقصوا وتناهبوا، فبخس بعضهم بعضاً. (٣٨)

والبخس: بخر، أي تناقصوا وتناهبوا، فبخس بعضهم بعضاً. (٣٨)

ولا يبخس أخاك حقه، وباعه بتمن بخر: أي مبخوس، ومنه بخس المذبح وتبخس: إذا دخل في التلذذ والعين وآخر ما يتيقن . (أساس البلاغة: ١٦) النبي ﷺ: «يأتي على الناس زمان يُستحل فيه الرِّبَا بالبيع، والمخمر بالثبذ، والبخس بالزكاة، والشُّعْت بالهدية، والفنل بالموظلة».

والمراد بالبخر: المكس، لأن معنى كل واحد منها النقصان، يقال: بخسني حقي ومكسنيه. وقد روي في قوله:

❖ وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم ❖

بغض درهم، والمعنى: أنه يؤخذ السكس باسم
العشر، يتأول فيه معنى الزكاة، وهو ظلم.

(الفصل ١ : ٤٢)

أَبُو حَيَّانَ: الْبُهْسُ، الْتَهْصُ، يُقَالُ مِنْهُ: بُهْسٌ
يُبْهَسُ، وَيُقَالُ بِالْمَادِ: وَالْبُهْسُ: [صَابَةُ الْعَيْنِ]، وَمِنْهُ
اسْتَمَرَّ: بُهْسَ حَقُّهُ، كَقَوْلِهِمْ: هُوَ رَجُلٌ ^(١).

وتباخسوا في الحج: تقاضوا. كأن كل واحد ينس
صاحبه عن ما يريد منه، باحتياله. (٣٤٢: ٢)

الفيومي : بغيره بخفا من باب «تفع» : نقصه أو
حاشاه ، ويضمي إلى مفعولين ، ولي التنزيل : «وَلَا تَخْشَوْا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» الأعراف : ٨٥

وَبَخَشْتُ الْكَلِيلَ بَخْشًا: نَقَعْتُهُ، وَثَمَنَ بَخْشًا: بَاعَهُ.
قَالَ السَّرْقَطِيُّ: بَخَشْتُ الصَّبْنَ بَخْشًا: طَافَهُ
وَبَخَشْتُهَا: أَدْخَلْتُ الْإِصْبَعَ فِيهَا.

الفيروز ابادي، الجنس: النقص والتظلم، بضمه
كمنه، وفق: العين بالإصبع وغيرها، ولرضي ثبت من
غير سفي، والمكس.

«وتحبها حنقاء وهي باغس أو باغية».

قيل: خلط رجل ماله بمال امرأة غلاماً فيها طائناً أنها
حَمَقَاء، فلم تَرْضَ عند السَّامَةِ حَتَّى لَخَذَتْ مَالَهَا،
وَشَكَّتْهُ حَتَّى افْتَدَى بِهَا بِمَا أَرَادَتْ، فَوَتِبَ فِي ذَلِكَ
بِأَنَّكَ تَخْدَعُ امْرَأَةً، فَقَالَ: «تَحْبِيهَا... الْمُنْكَرُ أَيُّ وَهْيِ
عَالِمَةٍ»

والأباخس: الأصابع وأصولها والعصب.

وَبَخْسَ الْمُنْعَ تَهْنِئًا وَتَهْنَسَ: تَهْنَسَ وَلَمْ يَنْقُصْ إِلَّا فِي
الْخَلَاتِ وَالْمِينِ.

وتباغسوا: تعاضوا. (٢٠٦:٢١)

مُحَمَّدٌ إِسْمَاعِيلُ إِبْرَاهِيمَ : بَنِيهِ حَقًّا : أَسْرَهُ
بَنِيهِ أَوْ عَشَّ فِيهِ ، وَنَمَنَ بَنِيهِ : نَاقَصَ عَنْ نَمْنٍ مِثْلِهِ ،
وَبَنِيهِ الْكَيْلِ وَالْمِزَانِ : نَقَصَهُ . (٥٩ : ١١)

المُصْطَفَوِيّ: إِنَّ الْأَصْلَ الْوَاحِدَ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ هُوَ
تَقْصَانُ الْحَقِّ لَا مُطْلَقُ النِّعَمِ.

﴿وَكَمْ رَوَّاهُ عَنْهُ يَحْسِبُ﴾ يوسف: ٢٠، أي بمن
ناقص لا يعادله ولا يوافي حقه.

﴿لَنْ يُؤْمِنَ بِهِمْ وَلَا يَغْنَأُ فِتْنَاهُمْ﴾ الجن: ١٣، أي
التصور والكرط في حقه.

وَلَقَدْ أَتَوْا آلَ نِمْرٍ أَغْلَاقَهُمْ فِيهَا وَعُمٌ فِيهَا
يُتَمَثَّلُونَ ۚ هُود: ٦٥. لَا يَرْطُقُ فِي جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ.

وَلَا يَخْشَى بَيْنَهُمَا الْقَوْمَ ۖ الْبَاقِيَ ۖ الْقَوْمَ ۖ ٢٨٢ ۚ أَي لَا يَخْشَى فِي
تَأْدِيبِهِ أَهْلَ مَا يَحِبُّ عَلَيْهِ لَهُ.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ الأعراف: ٨٥. أي
والنوعوم فيها يتعلق بهم وما يشاؤون. (٢٠٨: ٦)

(T.A. 9)

التصريح التفسيري

تعارف

وَلَيْسَ لَكَ رُفْقَةٌ وَلَا يَخْشَىٰ مِنْكَ شَيْئًا. البقرة: ٢٨٢
الزبعم : يقول: لا اعظم منه شيئاً.

وَقَدْ شَدَّ فِي تَكْلِيفِ الْمَلِي، حَيْثُ جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ
الْأَمْرِ بِالْإِثْقَاءِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْبُخْسِ، لِمَا لَيْدَ مِنَ الدَّوَاعِي
إِلَى الْمُنْهْيِ عَنْهُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَى دَفْعِ الضَّرَرِ عَنْ
نَفْسِهِ، وَتَخْفِيفِ مَا فِي ذِمَّتِهِ بِمَا أَمُكِنُ. (١: ٢٠٤)
مِثْلُهُ الْيُرُوسِيُّ (١: ٤٤٠)، وَنَحْوُهُ الْإِكُوسِيُّ (٣: ٥٦).

تَبَخَّصُوا

١... وَلَا تَبَخَّصُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُظْلِمُوا فِي
الْأَرْضِ...

قِتَادَةٌ، لَا تَظْلِمُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ.
مِثْلُ السُّدِّيِّ. (الطَّبْرِيُّ ٨: ٢٢٧)
أَبُو هَيْثَمٌ: بِمَازَةٍ: لَا تَظْلِمُوا النَّاسَ حَقُوقَهُمْ،
بِأَخْصَةِ أَيْ ظَالِمَةٍ.
نَحْوُهُ الطَّبْرِيُّ (٨: ٢٢٧)، وَالْبُخَيْرِيُّ (٢: ٢١٥)،
وَالطَّبْرِيُّ (٢: ٤٤٧).

الْمُهْزَوِيُّ: أَيْ لَا تَظْلِمُوهُمْ أُمُورَهُمْ، وَكُلَّ ظَالِمٍ:
بِالْجِسِّ.
الطُّوسِيُّ: نَهَى مَنْ شَمِيبَ إِتَاهُمْ عَنْ بَعْضِ الْحَقُوقِ
وَتَقْبِصِهَا، فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وَغَيْرِهَا. (٤: ٤٩٢)
الرُّمَّحُورِيُّ: قَبِيلٌ: (أَشْيَاءُهُمْ) لِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَبْخَسُونَ النَّاسَ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَبَايِعَاتِهِمْ، أَوْ كَانُوا
مُكَاسِبِينَ لَا يَدْعُونَ شَيْئًا إِلَّا مَكْشُوهً. كَمَا يَفْعَلُ أَسْرَاءُ
الْحَرَمِيِّينَ. (٢: ٩٤)
نَحْوُهُ الْيَتَاوِيُّ. (١: ٣٥٨)

(الطَّبْرِيُّ ٣: ١٢١)
أَبُو زَيْدٍ: لَا يَنْقُصُ مِنْ حَقِّ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا إِذَا
أَمَّلَ. (الطَّبْرِيُّ ٣: ١٢١)
الطَّبْرِيُّ: فَلْيَحْذَرِ هَذَا فِي بَعْضِ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ مِنْ
حَقِّهِ شَيْئًا، أَنْ يَنْقُصَهُ مِنْ ظِلْمًا، أَوْ يَذْهَبَ بِهِ مِنْهُ تَطْطِيًا،
فَيُؤْخَذَ بِهِ حَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَى قَضَائِهِ إِلَّا مِنْ حَسَنَاتِهِ، أَوْ
لَنْ يَتَحَمَّلَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ. (٣: ١٢١)
الرُّجَّاجُ: أَيْ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْئًا. (١: ٣٦٢)
نَحْوُهُ الْهَرَوِيُّ (١: ١٣٥)، وَالْبُخَيْرِيُّ (١: ٢٥٧)،
وَالسُّيُدِيُّ (١: ٧٦٤)، وَالزُّهْرِيُّ (١: ٤٠٣)،
وَالطَّبْرِيُّ (١: ٣٩٦)، وَالْحَارِثِيُّ (١: ٢٥٧).

الطُّوسِيُّ: أَيْ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْئًا.
وَالْبُخْسُ: النِّقْصُ ظِلْمًا، وَقَدْ بَخَسَهُ حَقُّهُ بِبَعْضِهِ
بِظُلْمٍ، إِذَا نَقَصَهُ ظِلْمًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾
الْأَصْرَافُ: ٨٥، أَيْ لَا تَنْقُصُوهُمْ
ظَالِمِينَ لَهُمْ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَوَكَّرُوهُ بِقَعْنٍ بَخْسٍ﴾ يُونُسُ:
٢٠، أَيْ نَاقِصٍ مِنْ حَقِّهِ.
وَالْبُخْسُ: قَنْءُ الْعَيْنِ، لِأَنَّهُ إِدْخَالُ نَقْصٍ عَلَى
صَاحِبِهَا.

وَتَبَاخَسَ الْقَوْمُ فِي الْبَيْعِ، إِذَا تَقَابَرُوا. (٢: ٣٧٢)
أَبُو حَيَّانٍ: أَيْ لَا يَنْقُصُ بِالْمَادَّةِ أَوْ الْمَدَاغَةِ.
(٢: ٣٤٤)
أَبُو السَّعُودِ: أَيْ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي يُلَبِّهِ عَلَى الْكَاتِبِ
شَيْئًا، فَإِنَّهُ الَّذِي يُتَوَقَّعُ مِنَ الْبُخْسِ خَاصَّةً، وَأَمَّا الْكَاتِبُ
فَيُتَوَقَّعُ مِنْهُ الزِّيَادَةُ كَمَا يُتَوَقَّعُ مِنَ النَّقْصِ، فَلَوْ أُرِيدَ نَهْيُهُ
لنَهْيِهِ عَنْ كُلِّهَا، وَقَدْ فُضِّلَ ذَلِكَ حَيْثُ أَمَرَ بِالْعَدْلِ.

الْفَخْرُ الرَّازِي : واعلم أن عادة الأشياء ^{فيها} إذا رأوا قومهم مقبلين على نوع من أنواع الفساد إقبالاً أكثر من إقبالهم على سائر أنواع الفساد، بدأوا بينهم عن ذلك النوع. وكان قوم شعيب مشغولين بالبخل والتعطيف، فلهذا السبب بدأ يذكر هذه الواقعة، فقال: «فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ» [إلى أن قال:]

والمراد أنه لما منع قومه من البخل في الكيل والوزن، منعهم بعد ذلك من البخل والتنفيس بجميع الوجوه. ويدخل فيه المنع من النصب والشرقة، وأخذ الرشوة وقطع الخسريق، واستزاع الأموال بطريق الخيل.

الْقَرِطَبِيُّ : البخل : النفس، وهو يكون في السبل بالتشبيب والترهيب فيها، أو المساعدة عن التمسك والاحتياط في التزيد في الكيل والتقصان ^{فيها} من أكل المال بالباطل، وذلك منهية عنه في الأمم المتقدمة والثالثة، وحل ألسنة الرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم.

الْبُزْ وَتَوَي : أي لا تنقصوا أشياءهم التي يشترونها بها^(١)، معتمدين على ثمنها، أي شيء كان، وأي مقدار كان، فإنهم كانوا يخسون الجليل والمقيم والليل والكثير، فاتميرهم بالأشياء «دون الحقوق» للتنعيم، فإن مفهوم الشيء أهم بالنسبة إلى مفهوم الحق.

واعلم أن بخل الناس أشياءهم في الكيل والوزن من حساسة النفس ودناءة الهمة وغلبة المحرص ومتابعة الهوى والظلم، وهذه الصفات الذميمة من شيم النفوس. وقد ورد الشرع بتعديل هذه الصفات وتركية

النفس، فإن الله تعالى يحب معالي الأمور، ويُبغض سفافها، وفي الحديث: «مأذبان جائعان لرسلا في غم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف».

وفي الحديث: «الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة».

الْتَرَاهِي : البخل يشمل نقص الكيل والوزن، وغيرها من المبيعات كالمواشي والأشياء المحدودة، ويشمل البخل في المساومة والنش والخيال التي تنقص بها الحقوق، وفي الحقوق المنوية كالعلوم والقضائل.

وقد فتنا كل من هذين النوعين في هذا المصنف، فكثير من التجار باخسون مطفئون فيها يبيعون ولا يشترون، وكثير من المستظلمين بالعلوم والآداب والسياسة يخسون لحقوق بني جلدتهم، مدعون للتفوق عليهم وينكرون لما خص الله به سواهم من المزايا والخصائص، حياء عليهم ونجاً.

وقد روي أن قوم شعيب كانوا إذا دخل عليهم القرب يأخذون دراهمه، ويقولون: هذه زيف فليقطعونها، ثم ينسوتونها منه بالبخل، أي بالتقصان.

٢- وَيَأْقُومُوا أَوْفُوا الْكِتَالَ وَالْمِيزَانَ بِالنَّقِيطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَنْفُسُوا فِي الْأَرْضِ مُضِبِينَ.

فتاوة : يقول : لا تظلموا الناس أشياءهم.

(الطبري ١٢ : ١٠٠)

مطلقاً، أي سواء كانت من جنس المكيل والموزون أو من غيره، وسواء كانت جليئة أو حقيرة. وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئاً، كما يفعل التجار، ويكسبون الناس، وينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء.

(١٧٢: ٤)

المراعي: الخس: النقص في كل الأشياء، يقال: بخره ماله وبخره علمه وفضله، أي لا تظلموا الناس أشياءهم، وذلك يشمل مائلاً فراد ومال الجماعات، من مكيل وموزون ومحدود ومحدود، بمحدود حصة، وحقوقي مادية أو معنوية.

(٧٠: ١٢)

وهنا لمن جاء كلمة (تبخسوا) في سورة الشعراء:

نحو: التبخي: يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم التي يجب عليكم أن توقوهم كيلاً أو وزناً أو غير ذلك.

(٩٩: ١٢)

(٢٤٠: ٣)

نحو: التبخي: أي لا تنقصوهم. مثله التبخي (٢٠٢: ٣)، والتبخي (٤٤٧: ٢)، والتبخي (٨٦: ٩).

التبخي التبخي: [بعد بيان وجه التكرار في قوله: «وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ»] هو: ٨٤، وقوله: «وَأَوْزُقُوا الْمِكْيَالَ» قال:]

وأما قوله ناك: «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» فليس بتكرير، لأنه تعالى خص المنع في الآية التالية بالتقصان في المكيال والميزان، ثم إنه تعالى عم الحكمة في تكرير

جميع الأشياء، فظهر بهذا البيان أنها خير مكررة، بل في كل واحد منها فائدة زائدة.

أبو السعود: وقد صرح بالتهي من الخس بعد ما علم ذلك في ضمن التهي عن نقص المكيال، والأمر بإيقانه احتكاماً بشأته وترقيته في إسقاء المسوق، بعد الترهيب والزجر عن نقصها.

ويجوز أن يكون المراد بالأمر بإيقان المكيال والميزان الأمر بإيقان المكيالات والموزونات، ويكون التهي عن الخس عائداً للنقص في المقدار، وغيره تحميماً بعد التخصيص.

(٣٨: ٣)

نحو: الأكوسي: «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ»

لا يبخسون

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْفَكْرَةَ الدُّنْيَا وَذِيئَتَهَا ثَوْرٌ إِنْسِينِ
أَعْيَانُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ. هود: ١٥

شجاهد: لا يبخسون. (الطبري ١٢: ١٢)

قناة: أي لا يظلمون، يقول: من كانت الدنيا همة وتدمه، وطلبته وتهته جازاه الله بمسأته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حصة يُعطى بها جزاء. وأما المؤمن فيجازى بمسأته في الدنيا، يُثاب بها في الآخرة «وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ» أي في الآخرة لا يظلمون.

(الطبري ١٢: ١٢)

الفراء: يقول: من أراد بعمله من أهل القبلة ثواب الدنيا صُجِّلَ له ثوابه، ولم يُبخس، أي لم يُنقص في الدنيا.

(٦: ٢١)

الطَّيْرِيّ : يقول : لَا يَنْتَصُونَ أَجْرَهَا ، وَلَكِنَّهُمْ يُوقُونَهُ فِيهَا . (١١ : ١٢)

نحوه : التَّيْبَكِيّ (٤ : ٣٦٥) ، وَالتَّيْضَاوِيّ (١ : ٤٦٤) ، وَالْخَازِن (٣ : ١٨٢) .

الْهَزَوِيّ : أَي لَا يَنْتَصُونَ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ وَلَا يَتَذَلُّونَ . (١ : ١٣٥)

التَّبَعَوِيّ : أَي فِي الدُّنْيَا لَا يَنْتَصُ حَقُّهُمْ . (٣ : ١٨٢) نحوه ابن الجوزي . (٤ : ٨٤)

أَبُو السُّعُود : أَي لَا يَنْتَصُونَ . وَإِنَّمَا عُبِّرَ عَنْ ذَلِكَ بِالتَّخُسِّ الَّذِي هُوَ نَقْصُ الْحَقِّ ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ شَائِبَةٌ حَقٌّ فِيهَا أَوْ تَوْءٌ ، كَمَا عُبِّرَ عَنْ إِعْطَائِهِ بِالتَّوْفِيقَةِ الَّتِي هِيَ إِعْطَاءُ الْحَقِّقِ ، مَعَ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ يَمُزَلُ مِنْ كَوْنِهَا مَسْجُوعَةً لِذَلِكَ ، بِنَاءً لِلأَمْرِ عَلَى ظَاهِرِ الْحَالِ ، وَمَحَافِظَةً عَلَى صَوَرِ الْأَعْمَالِ ، وَمِهَالَّةً فِي نَفْيِ النِّقْصِ ، عَلَى ذَلِكَ نَحْنُ لِحَقُوقِهِمْ ، فَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْوُقُوعِ وَالصَّدُورِ عَنِ الْكَرَمِ أَصْلًا .

وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ فِيهَا خَاصَّةٌ لَا يَنْتَصُونَ ثَمَرَاتِ أَعْمَالِهِمْ وَأَجُورَهَا نَقْصًا كُلِّيًّا مَطْرَدًا ، وَلَا يَحْرُمُوهَا جِرْمَانًا كُلِّيًّا . وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَهُمْ فِي الْجِرْمَانِ الْمَطْلُوقِ وَالْيَأْسِ الْمَحْقُوقِ ، كَمَا يَنْطَلِقُ بِهِ قَوْلُهُ : «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ» هُود : ١٦ ، فَإِنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى الْمَذْكُورِينَ بِاعْتِبَارِ إِرَادَتِهِمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، أَوْ بِاعْتِبَارِ تَوْفِيقِهِمْ أَجُورَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَخُسٍّ ، أَوْ بِاعْتِبَارِ هُمَا مَعًا .

وَمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى التَّجِدِّ لِلْإِيْذَانِ بَعْدَ مَرَّتِلِهِمْ فِي سَرِّ الْحَالِ ، أَيْ أَوَّلُكَ لِمُرِيدُونَ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَيْتِهَا ، الْمَوْفُوقُونَ فِيهَا ثَمَرَاتِ أَعْمَالِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَخُسٍّ . (٣ : ١٠)

الْكَاشَانِيّ : لَا يَنْتَصُونَ شَيْئًا مِنْ أَجُورِهِمْ .

(٢ : ٤٣٦)

مِثْلُهُ التَّيْرُوسَوِيّ . (٤ : ١٠٨)

شَجَرٌ : لَا يَنْتَصُونَ شَيْئًا مِنْ أَجُورِهِمْ . وَالْآيَةُ عَامَّةٌ لِمِثْلِ

الْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمِرَائِينَ وَغَيْرِهِمْ .

وَقِيلَ : الْمُرَادُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ لَا يَقْرَءُونَ بِالْبَيْتِ ،

وَيَسْلُونَ أَعْمَالَ الْبِرِّ ، مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ وَإِكْرَامِ الضَّيْفِ وَنَحْوِهَا .

وَقِيلَ : الْمُرَادُ الْمُنَافِقُونَ يَغْزُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

لِلْفَنِيمَةِ ، دُونَ نَصْرَةِ الدِّينِ . (٣ : ٢٠٤)

الْأَلُوسِيّ : أَي لَا يَنْتَصُونَ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ

الْمَجْرُودَ لِلْعَيْنَةِ الدُّنْيَا . وَقِيلَ : الْأَظْهَرُ أَنَّ يَكُونُ لِلْأَعْمَالِ تَلَاً يَكُونُ تَكَرُّراً بِإِلَافَتِهِ .

وَمِمَّا بَانَ فَائِدَتُهُ بِإِفَادَتِهِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ أَنَّ عَدَمَ

التَّخُسِّ لَيْسَ إِلَّا فِي الدُّنْيَا ، فَلَوْ لَمْ يُذَكَّرْ تَوْءُهُمْ أَنَّهُ مَطْلُوقٌ ،

هَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَنْ يَكُونَ لِلتَّأْكِيدِ ، وَلَا ضَرَرٌ فِيهِ ، وَإِنَّمَا

عُبِّرَ عَنْ ذَلِكَ بِالتَّخُسِّ الَّذِي هُوَ نَقْصُ الْحَقِّ ، وَلِذَلِكَ قَالَ

الرَّازِبِيُّ : هُوَ نَقْصُ النَّفْيِ عَلَى سَبِيلِ الظُّلْمِ ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ

لَهُمْ شَائِبَةٌ حَقٌّ فِيهَا أَوْ تَوْءٌ .

كَمَا عُبِّرَ عَنْ إِعْطَائِهِ بِالتَّوْفِيقَةِ الَّتِي هِيَ إِعْطَاءُ

الْحَقِّقِ ، مَعَ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ يَمُزَلُ مِنْ كَوْنِهَا مُسْتَوْجِبَةً لِذَلِكَ ،

كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ ، بِنَاءً لِلأَمْرِ عَلَى ظَاهِرِ الْحَالِ ،

وَمَحَافِظَةً عَلَى صَوَرِ الْأَعْمَالِ ، وَمِهَالَّةً فِي نَفْيِ النِّقْصِ ، كَأَنَّ

ذَلِكَ نَقْصٌ لِحَقُوقِهِمْ ، فَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْوُقُوعِ وَالصَّدُورِ

عَنِ الْكَرَمِ أَصْلًا .

لَكِنْ يَبْغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ ، بَلْ

الأمر فائر على المشيئة الجارية على قضية الحكمة، كما خلق به قوله سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ اتِّجَارَةَ عِبْرَتِنَا لَعَلَّهَا فَبِئْسَ تِجَارَةً لِّمَنْ تُرِيدُ﴾ الإسراء: ١٨. (١٢: ٢٤)

يُخَسُّ

فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْشًا وَلَا رَهَقًا. الجن: ١٢
ابن عباس: يقول: لا يخاف نقصًا من حسنة ولا زيادة في سيئاته. (الطبري ٢٩: ١١٢)
مثله الحسن، وقادة، وابن زيد. (الطوسي ١٠: ١٥٢)

قَتَادَةُ: لَبِي ظَلَمًا، أَنْ يَظْلَمَ مِنْ حَسَنَاتِهِ لِيَنْقُصَ مِنْهَا صِيَةٌ أَوْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ غَيْرُهُ. (الطبري ٢٩: ١٣٣)
نحوه الطبري. (٢٩: ١٣٣)
القراء: لا يُخَسُّ من ثواب عمله. (١٣٣: ١١٣)
الطوسي: أي نقصًا فيما يستحقه من الثواب. (١٠: ١٥٢)
نحوه البقوي (٧: ١٣٣)، والطبرسي (٥: ٣٧١).
والمقازن (٧: ١٣٣).

الزجاجي: أي جزاء بخس ولا رفق، لأنه لم يخس أحدًا حقًا ولا رفق ظلم أحد، فلا يخاف جزاؤه. وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجنب الظالم، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن من أمته الناس على أنفسهم وأموالهم».

ويجوز أن يراد: فلا يخاف أن يخس بل يجزي الجزاء الأوفى. (٤: ١٦٩)
نحوه الفخر الرازي (٣٠: ١٥٩)، والبغوي (٢: ١٦٩).

(٥١٠).

الآلوسي: حاصل المعنى فلا يخاف أن يخس حقًا، ولا أن ترهقه ذلة. فالمصدر أعني (بخسًا) مقدّر باعتبار المفعول، وليس للمعنى على أن غير المؤمن يخس حقًا؛ بل النظر إلى تأكيد ما ثبت له من الجزاء، وتوفيره كتملاً، وأما غيره، فلا نصيب له، فضلاً عن الكمال.

وفي أن ما يجزي به غير المؤمن بخوس في نفسه، وبالنسبة إلى هذا الحق فيه كل البخس، وإن لم يكن هناك بخس حق، كذا في «الكشف». أو فلا يخاف بخسًا ولا رفقًا، لأنه لم يخس أحدًا حقًا ولا رفقًا ظلمًا، فلا يخاف جزاءهما.

ليس من إضمار مضاف، أعني الجزاء، بل ذلك بيان لما حمل على، وأن ما ذكر في نفسه مخوف، فإنه يصح أن يقال: خفت الذنب وخفت جزاءه، لأن ما يتوَلَد منه الخوف محذور.

وفي دلالة على أن المؤمن لاجتنابه الخس والرفق لا يخافها، فإن عدم الخوف من المحذور إنما يكون لانتهاء المحذور.

وجاز أن يحمل على الإضمار، وأصل الكلام: فمن لا يخس أحدًا ولا يرفق ظلمه، فلا يخاف جزاءهما، فوضع ما في الكلام الجليل موضعه، تنبيهاً بالسيب على المسبب، والأول - كما قيل - أظهر وأقرب مأخذًا.
[وقال بعد نقل قول ابن عباس، وقادة، والحسن:]

ولعل المعنى الأول أنسب بالترغيب بالإيمان، وبلفظ الرفق أيضًا، نظرًا إلى ما سمعت من قوله تعالى:

﴿وَتَزَهَّقُهُمْ ذُلُّهُ﴾ يونس: ٢٧.

(٨٩: ٢٩)

فوصفوا به، وقد فعل العرب ذلك. (٣٠٤: ١)

بَيْخُس

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَلْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ. يوسف: ٢٠.

ابن مسعود: أي زوفي.

مثله ابن عباس. (البهري ٣: ٢٢١)

ابن عباس: يقول: لم يسجل لهم أن يأكلوا منه. (الطبري ١٢: ١٧٢)

نحو الضحك. (الطبري ١٢: ١٧١)

يريد حرثا، لأن ثمن الحر حرام. كل بخس في كتاب الله نقصان إلا هذا، فإنه حرام.

(الفخر الرازي ١٨: ٧٩)

الشعبي: بمن قليل.

مثله جكرمة. (البهري ٣: ٢٢١)

الضخالة: كان معه حرثا، وشراؤه حرثا.

(الطبري ١٢: ١٧٢)

حرام، لأن ثمن الحر حرام. وسعي الحر بخصا، لأنه مبطوس البركة. (البهري ٣: ٢٢١)

مثله مقاتل، والسدي، والحسن (الغازي ٣: ٢٢١)، ونحو الطبرسي (٣: ٢٢٠).

قتادة: هو الظلم، وكان مع يوسف ونسبه حرثا عليهم. (الطبري ١٢: ١٧٢)

نحو الهروي (١: ١٣٦)، وابن سيدة (٥: ٥٥).

أبو عبيدة: (بخس) أي نقصان ناقص منقرص، يقال: بخسني حتى أي نقصني، وهو مصدر بخست.

الطبري: أما قوله: (بخس) فإنه يعني: نقص، وهو مصدر من قول القائل: بخست فلانا حقه، إذا ظلمته، يعني ظلمته فنقصه عما يجب له من الوفاء، أبخسه بخسا، ومنه قوله: ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْثِلًا هُمْ﴾ حود: ٨٥، وإنما أريد بمن مبخوس منقوص، فوضع «البخس» وهو مصدر مكان مفعول، كما قيل: ﴿بِئْسَ كَذِيبٌ﴾ يوسف: ١٨، وإنما هو: بدم مكذوب فيه.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: قيل ﴿بِئْسَ بَخْسٌ﴾ لأنه كان حرثا عليهم. وقال آخرون: معنى البخس هنا الظلم. وقال آخرون: عنى بالبخس في هذا الموضع القليل، وقد بينا الصحيح من القول في ذلك.

(١٧١: ١٢)

الطوسي: أي بمن ذي بخس، أي ناقص. وقيل:

بمن ذي ظلم، لأنه كان حرثا لا يسجل بيده. (١١٥: ٦)

الواحد: [بعد نقل قول ابن عباس قال:]

سئوا العرام بخسا، لأنه ناقص البركة. [ثم نقل قول قتادة، وجكرمة، والشعبي وقال:]

وعلى الأقوال كلها فالبخس: مصدر وضع موضع الاسم، والمعنى بمن مبخوس.

(الفخر الرازي ١٨: ١٠٧)

الزحخشري: (بخس) مبخوس ناقص عن القيمة

نقصانا ظاهرا، أو زيف ناقص العيار. (٣٠٩: ٢)

نحو القرطبي (٩: ١٥٥)، والبيضاوي (١: ٤٩٠).

البروسوي: زيف ناقص الميار، وهو بمعنى

المبخوس، لأن القسم لا يوصف بالمعنى المصدرية،
ووصف بكونه مبخوساً إنما لرداءته وغشّه أو لانتهاك
وزنه، من: يخسّه حقّه، أي نقصه، كما في «حوشي ابن
الشيخ».

وقال بعضهم: «يَتَمَنَّى بِخُسٍّ» أي حرام منقوص،
لأنّ لمن المخرّ حرام، انتهى.
تملّ الخُسّ على المعنى لكونه المحرام محروق
للبركات، والقول الأول هو الأصح. (٢٢٩: ٤)

الْوُجُوه وَالنَّظَائِر

الدّامغانِيّ: «البّخس» على وجهين:

المحرام، النقصان

فوجه منها، البّخس: المحرام قوله: «وَشَرْدَةُ يَفْعَلُ
بَخْسٌ» يعني المحرام، يوسف: ٢٠.

والوجه الثاني، البّخس: النقصان لقوله:
«وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» الأعراف: ٨٥، ونحوه
كثير، كقوله: «بَخْسًا وَلَا زَهْقًا» الجن: ١٢. (١٧٥)

الْأَصُولُ اللُّغَوِيَّةُ

١- الأصل في هذه المادة البّخس، أي فقء العين
بالأبخس، وهو الإصبع، يقال: بَخَسَ عَيْنَهُ يَبْخَسُهَا
بَخْسًا، فقأها، ثم سرى إلى كل نقص في شيء،
ومنه البخس، وهي أرض تُبَيّت من غير سقي،
ويقال للزّرع الذي يَسْقَى بالمطر: بخسي، وكأنّه قد بَخَسَ
حقّها من ماء الأرض، فقأها ماء السماء،
والبخيس من ذي الخُفّ: اللحم الدّاخِل في خُفّه.

ويُخَسُّ المَخُّ نَخِيصًا: صار في الثّلاثي والعين.

والأبخس: الإصبع أيضًا: لحم العصب، وما بين
الأصابع وأموها، جمعه: أباخس.

ومن الجاز قولهم: بَخَسَ حَقُّهُ يَبْخَسُهُ بَخْسًا: نقصه
وظلمه، كما يَبْخَسُ الكَيْالُ بِكَيْالِهِ فينقصه. وتباخس
القوم في البيع: تناهوا. ويقولون للبيع إذا كان قبيحاً
ومعتلاً: لَا يَبْخَسُ وَلَا شَطَطٌ، أو لَا يَبْخَسُ وَلَا شَطَرًا. وفي
المثل: «تَحْسِبُهَا حَقًّا» وهي باخس، أي ظالمة، يضرب
لمن يتباه، وفيه دعاء ونكر، وقد يُوَثِّث فيقال: باخسه.

٢- فاعمل مشتقات هذه المادة مسترعة من

«الأبخس»، أي الإصبع، وهو لفظ جامد، وليس
مشتقاً، ولا يولد به التفضيل، مثل «أشأم» في قولهم:
جرى له طائر أشأم، أي منزوم، وتلك أعزّ عزيز،
ورجل أشج بين الشجع، في جيبته أثر شجة، وقول
الفرزكي:

إِنَّ الَّذِي سَكَ السَّهَاءَ بَنَى لَنَا

بَيْتًا دَعَانَهُ أَمَرَ وَأَطْلُوْ

أي عزيزة وطويلة، وله ظائر، وعليه حمل «أحون»

في قوله تعالى: «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا» الزّوم: ٢٧، أي
هين.

٣- وقد قيد بَخَسَ العين - أي فقأها - بالإصبع، ثم
عُتِمَ بغيرها، واستعاروا هذا المعنى في نقص الحق وأخذ
الشيء ظلمًا، فكان الباخس يفقر العين بذلك، ولا يزال
من يتر شيكاً صاحبه يعمّ بَخْسٌ وعينه بساتيه، وبأخذه
منه عنوة.

٤- وقد ظهر من ذلك أن قول ابن فارس: «للهاذة

أصل واحد وهو النقص، ليس سديداً:

أولاً: بناءً على ما اخترنا أن الأصل لها الأبخس وهو الإصح، أو فقه العين بالإصح، ومنه سرى إلى كل نقص.

وثانياً: أنه لو فرض أن الأصل لها النقص فليس مطلقاً، بل «نقص الحق أو نقص الشيء» ظمناً كما عن الرغب، ولذلك يقال: «بخسه حقه»، كما عن الجوهري، أو «هو نقصان الحق» كما عن الطوسي، أو «نقص البخس» «بالظلم» كما عن ابن سيدة والطوسي والفيروز آبادي وغيرهم، حتى أن الطوسي فرق بين البخس والظلم، بأن البخس نقصان الحق، والظلم أعم منه، فقد يكون أئماً من غير حق.

١ - على الرغم من تصريح أكثر اللغويين بأن

البخس - بالسين - بمعنى فقه العين، فقد اختلفوا في التثنية والمجرد أن البخس - بالصاد - فقط بمعنى فقه العين، وأنه بالسين بمعنى النقصان. ونحن لا نرى وجهاً لذلك إلا أن نحمله على اختلاف اللهجة عند بعض العرب، أو نجد قاعدة لتبديل السين صاداً كالسراط والمصراط، وعلى أي حال فنحن مجبته بالسين بمعنى فقه العين لا مبرر له.

الاستعمال القرآني

١ - جاء البخس في القرآن (٧) مرات، منها (٥)

مرات ضلاً مضارحاً، ومرتين مصدرًا:

١ - ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ الأعراف: ٨٥

٢ - ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَخَفُوا فِي

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هود: ٨٥ والشعراء: ١٨٣

٣ - ﴿وَلْيَبْذُلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ

وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ البقرة: ٢٨٢

٤ - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ

أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ﴾ هود: ١٥

٥ - ﴿وَقَرَّوْهُ يَخْنِ يَخْنِسُ قَرَاهِمَ مَقْدُودَةٍ وَكَانُوا

فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ يوسف: ٢٠

٦ - ﴿مَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَمَقًا﴾

البقرة: ١٣

يلاحظ أولاً: أن أفعال الآيات الأربع الأولى

مبسوطة بهـ لاء التامية، وفعل الآية (٤) مسبوق بهـ لاء

التأني، وسبق المصدر في (٦) فعل منفي بهـ لاء التامية

أيضاً، وهو منفي للمصدر أيضاً، فالتقدير: فمن يؤمن بربه

فلا يخشى ولا رهق يخاف منه عليه، كقوله تعالى: ﴿مَنْ

فَرَضَ لِنَفْسِهِ الْفِتْرَةَ فَلَا تَلُوتْ وَلَا تَأْسُوتِ وَلَا جِدَالُ فِي

الْمُتَعَدِّ﴾ البقرة: ١٦٧.

أما الآية (٥) فلفظها موجب وممناعاً مبالغ، إذ

سياق الآية يدل على ذلك، لما فيها من خشية التمسك

الذي يبع به يوسف عليه السلام، كلفظ (يَخْنِسُ) و(دَرَاهِمَ

مَقْدُودَةٍ) و(الزَّاهِدِينَ)، وهو نبي وابن نبي، فينبغي أن

يكون التمسك مناسباً لشأنه، إن صح ذلك، وهذا كقوله

تعالى: ﴿إِشْرَؤُا بِآيَاتِ اللَّهِ لَنَا قَلِيلًا﴾ التوبة: ٩.

ثانياً: تلا البخس في الآيات الثلاث الأولى - (١) و

(٢) - لفظ الإفساد، وتلاه في آخر الآية (٣) لفظ التفسق،

وهو يداني الفساد معنى، وهو قوله: ﴿وَلَنْ تَقْلُوا فَإِنَّهُ

نُشِيقُ بِكُمْ﴾ البقرة: ٢٨٢.

﴿وَقَرَّوْهُ يَسْتَمِنَ بَخْسٍ﴾ ، فقد استعمل موصوفاً
بالبخس، كموض خير عدل ليح إنسان.

٢- وردت في القرآن ألفاظ تعلمي البخس، مع

تفاوت بينها وبينه ، يمكن في كونه خلاف الحق.

أ- النفس: جاء في خصوص الأرض غالباً: ﴿قُلْ لَمْ

يَزِدْكَ اللَّهُ ثَانِي الْأَرْضِ تَنْفُسَهَا مِنْ أُطْرَافِهَا﴾ الزعد: ٤٦.

ب - الحسرة: جاء في النفس غالباً: ﴿الَّذِينَ

غَيَّرُوا أَنْفُسَهُمْ قُلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام: ١٢.

ج - الشطيف: جاء مرة واحدة في خصوص

الاكتيال: ﴿وَنَزَلَ لِلْعُطْبِيِّينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا امْتَسَلُوا عَلَى

النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ المطففين: ٦ ، ٧.

وهذا يعني أنَّ البخس والفساد سيان ، ولذا جاء
الأول منفياً ومنهياً عنه كما تقدم ، وكذلك الفساد في
القرآن.

ثالثاً: فسر قوله: ﴿يَسْتَمِنَ بَخْسٍ﴾ بمن قليل،
والصحيح بمن دون حقه ظلماً، إذ ليس البخس مطلق
القلة بل القلة والنقص عن الحق كما تقدم.

رابعاً: جاء الثمن في القرآن أجراً للارتزاق بالآيات

والكتاب غالباً، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا

قَلِيلًا﴾ البقرة: ٤٦، كما جاء موصوفاً في جميع القرآن إلا

قوله: ﴿لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ المائدة:

١٠٦. وقد وصف بالقلة في كافة المواضع، سوى قوله:





سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

ب خ ع

لفظ واحد، مزان مكشبان، في سورتين مكشبتين

جهدتها أبغع بئوعا. (الأزهرى ١: ١٦٨)

نحوه أبو عبيدة (١: ٣٩٣)، وأبو عبيد (ابن فارس ١: ١)

النصوص اللغوية

٢٠٧

الخليل، بئع نفسه، قتلها غبطا من مدة الوجه.

أبو زيد: بئع له بئع، إذا أقر، وبئع له بإعطائه

[ثم استشهد بنصر]

(الأزهرى ١: ١٦٩)

بئعت به بئوعا، أي أقررت به على نفسي.

ابن فرزد: بئع نفسه ببئعها بئوعا وبئعها وهو

بالطاعة، أي أذن وانقاد ولس.

(١: ١٢٣)

بائع، إذا قتلها غمما، وبئع بالحق، إذا اعترف به.

الطيب: بئعت الذبيحة، إذا قطعت صظم رقبتها

(١: ٢٢٧)

لهي مبئوعة، وغنمتها دون ذلك، لأن التنازع: الخبط

الأزهرى ١: في حديث عائشة، أنها ذكرت عمر،

الأبيض الذي يجري في الرقبة وفقر الظهر، والبئاع

فالت، وبئع الأرض فقوات أكثها، أي استخرج ما فيها

بالهاء، البرق الذي في الصلب. (ابن فارس ١: ٢٠٧)

من الكنوز، وأموال الملوك.

الكسائي: بئعت الأرض بالزراعة، إذا جعلتها

ويقال: بئعت الأرض بالزراعة، إذا نهكتها وقابعت

ضعيفة بسبب مناجاة الحرارة. وبئع الرجل نفسه، إذا

حراثتها، ولم يجهتها حاتا. وبئع الوجد نفسه، إذا نهكتها.

نهكتها. (الفهر الزاوي ٢١: ٧٩)

[ثم استشهد بنصر]

الفرأ: أصل البئع: البئع، يقال: بئعت لك

وفي حديث عتبة بن عامر، أن النبي ﷺ قال: «أناكم

نفسى، أي جهدتها. (الفهر الزاوي ٢١: ٧٩)

أهل اليمن هم لرقى قلوبا وألين أفئدة وأبغع طاعة».

بالذبح البخاع.

والبخاع بالباء: اليرق الذي في العُلب. والشَّخَع دون ذلك، وهو أن يبلغ بالذبح الشَّخاع، وهو الخيط الأبيض الذي يجري في الرقبة.

هذا أصله، ثم كثر حتى استعمل في كل مبالغة. فقيل: بَخَعْتُ له نصحي وجهدي وطاعتي. والفعل هاهنا معمول للطاعة، كأنها هي التي بَخَعَتْ، أي بالذبح. وهذا من باب: نهارك صائم، وقام ليل الهوَجَل (١).

(الفائق: ١: ٨٢)

بَخَعَ الشاة: بلغ بذبحها الضَّفاء. ومن البزاز: بَخَعَهُ الوجد، إذا بلغ منه اليهود. [ثم استشهد بشر]

وبَخَعْتُ له نصي ونصحي: جهدتها له، وأهل اليمن أبلغ طاعة. وبَخَعَ أرضه بالزراعة: تَبَّكَّها، ولم يُحِبَّها. وبَخَعَ لي بحق، إذا أقر إقراراً مُذْهِباً بالغ جهده في الإذعان (أساس البلاغة: ١٦)

ابن الأثير: [ذكر حديث عتبة بن عامر، والمعنى الذي نقلناه من الفائق ثم قال:]

هكذا ذكره في كتاب «الفائق» ولم أجده لغيره. وطالما بحثت عنه في كتب اللغة والطب والتاريخ، فلم أجده «البخاع» بالباء مذكوراً في شيء منها.

ومنه حديث عمر: «فأصبحت يَجْنُبِي النَّاسَ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَبْخَعُ لَنَا طَاعَةً».

ومنه حديث عائشة في صفة عمر رضي الله عنها: «بَخَعَ الْأَرْضَ فَقَامَتْ أَكْلُهَا» أي قهر أهلها وأذلهم، وأخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك. يقال: بَخَعْتُ

ورواه نصر بن علي بإسناد له. قال قلت للأصمعي: ما بَخَعُ طاعة؟ قال: أنصح طاعة. وقال غيره: أبلغ طاعة. (١: ١٦٨)

الصَّاحِب: بَخَعَ نفسه: قتلها غيظاً. وبَخَعَ بالطاعة بخوعاً: أقر. وبَخَعْتُ له نفسي ونصحي: جهدتها له. (١: ١٢٩) البجوهري: يقال: بَخَعَ نفسه بَخْعاً، أي قتلها غيظاً. [ثم استشهد بشر]

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَقْضُوا تَابَعَهُمْ نَفْسَهُ﴾ الكهف: ٦.

وبَخَعَ بالحق بخوعاً: أقر به، وخضع له، وكذلك بَخَعَ بالكسر بخوعاً وبخاعة.

ابن فارس: الباء والخاء والميم أصل واحد وهو الفتل وماداناه من إذلال وتهمير.

وأرض مبخوعة، إذا بلغ بجهودها بالزراعة، وبَخَعَ لي بحق، إذا أقر إقراراً مُذْهِباً بالغ جهده في الإذعان. (١: ٢٠٦)

الهروي: يقال: بَخَعَ بالشاة، إذا بائع في ذبحها. وبَخَعَ الشاة، إذا قطع نخاعها. وبَخَعَ له بالطاعة، إذا بالغ له في ذلك. وبَخَعَ له بَخْعاً، إذا أقر به، وبائع فيه. (١: ١٣٨)

الزَّاهِب: البَخَع: قَتَلَ النَّفْسَ عَمّاً. بَخَعَ ضِلَالاً بالطاعة وبما عليه من الحق. إذا أقر به وأذعن، مع كراهة شديدة. تجري مجرى بَخَعَ نفسه في شدته. (٣٨) الرَّمْثُشَرِي: «أَنَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ لَرَأَى قُلُوبًا وَالْيَمَنِ أَفْعَدُ» وأبْخَعَ طَاعَتَهُ أَي أَبْلَغُ طَاعَةً، من: بَخَعَ الذَّيْبَةَ، إذا بالغ في ذبحها، وهو أن يقطع عظم رقبتها، ويبْلَغُ

(١) من بيت أبي بكر: «سَهَبَ إِذَا مَاتَ لَيْلُ الْهُوَجَلِ»

منه قتادة. (الطبري ١٥ : ١٩٤)

وهو لروى من الإمام الباقر عليه السلام.

(الفتي ٢ : ٣٦)

الفرّاء : أي خرج نفسك، قاتل نفسك. (١٣٤ : ٢)

أبو هيثمة : هلك نفسك، [ثم استشهد بشعر]

(٣٩٣ : ١)

الطبري : فلعلك يا محمد قاتل نفسك وتهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك : «لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا» الإسراء : ٦٠. ثمّ ردّهم على وجههم، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك، فيصدّقوا بأنّه من عند الله حُرّاً وتلقّاه، ووجدوا يادّهم

هناك، وأمرهم بها أنيهم به، وتركهم الإيمان بك، يقال منه [يخرج فلان نفسه يسخها بسخا ويخوعا]. [ثمّ استشهد بشعر]

(١٩٤ : ١٥)

منه الطوسي (٨ : ٧)، ونحوه الطبرسي (٣ : ٤٤٩).

الهرّوي : قاتل نفسك وتهلكها، مبالغة فيها.

وحرّما على إسلامهم. (١٣٧ : ١)

الراغب : حتّ على ترك التأسف، نحو «فَلَا تَذْهَبْ

نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ» فاطر : ٨. (٣٨)

المسيبيدي : قيل : معناه النهي، أي لا تسخّج

نفسك. (٦٤٢ : ٥)

الزمخشري : شبهه وإيّاهم حين تروّوا عنه.

ولم يؤمنوا به، وما تدخله من الوجع والأسف على

توليهم لرجل فارقه أحبّته وأعزّته، فهو يتساقط

حسرات على آثارهم ويبخّج نفسه وجعاً عليهم،

وتلقّاه على فراخهم.

الأرض بالزراعة، إذا تابعت جرائنها ولم تُرَحّها سنّة.

(١٠٢ : ١)

ابن منظور : بَحَمَتِ الرّكبة بَحَمًا، إذا حفرتها حتى

ظهر ماؤها. (٥ : ٨)

الفيروز أبادي : بَحَمَ نفسه كَحَمَ : قتلها غيماً.

وبالحقّ يَنْبُوعًا : أقرّ به، وخضع له، كَبَخَعَ بالكسر بَخَاعَةً

وَبَخُوعًا، والرّكبة بَحَمًا : حفرها حتى ظهر ماؤها، وله

نُصْحَه : أخضعه وبألم، والأرض بالزراعة : تَبَكَّها، وتابَعَ

حسراتها، ولم يُبَحِّثْها عَمَامًا، وفَلَانًا غَبَرَهُ : صدّقَه.

وبالشاة : بَالَعَ في ذبحها حتى بَلَغَ النُّخَاع.

هذا أصله، ثمّ استعمل في كلّ مبالغة «فَلَعَلَّكَ تَاخِجٌ

نَفْسُكَ» الكهف : ٦، أي تهلكها، مبالغة فيها، حرّما

على إسلامهم، وككتاب : يرقى في الصّلب، ويحرق في

كظم الرّكبة، وهو غير «النُّخَاع» بالثّون، فبأوجه

الرّمخشري. (٣ : ٣)

الحجازي : التَّخَجُ : الجهد والإضمار. (٤٧ : ١٥)

المصطفوي : الظاهر أنّ الأصل الواحد فيها هو :

الإذلال والقهر التام المطلق. (٢٠٩ : ١)

النصوص التفسيرية

تَاخِجٌ

فَلَعَلَّكَ تَاخِجٌ نَفْسُكَ غَلَى أَعَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا

الحديث أنّما. الكهف : ٦

ابن عباس : قاتل.

منه ابن جرير، ومجاهد، والثدي.

(الأكوسي ١٥ : ٢٠٤)

عاد: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَارِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾
الشراء: ١٢٩. (٢١٦: ٥)

الطَّبَاطِبَائِي: الآية واللَّتان بعدها في مقام تعزية
النبي ﷺ وتسلية، وتطبيب نفسه، والفاء لتفريع
الكلام على كفرهم، وجمعههم بآيات الله، المفهوم من
الآيات السابقة.

والمعنى يُرجى منك أن تهلك نفسك بعد إعراضهم
عن القرآن، وانصرافهم عنك من شدة الحزن. وقد دل
على إعراضهم وتوَلَّيهم بقوله: ﴿عَلَى أَنَارِهِمْ﴾ وهو
من الاستعارة. (١٣: ٢٤٠)

الشَّطَقَوِي: أي مهلكها ومُذْهِبها.
(١: ٢٠٩)

وهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الشراء: ٣.

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة - كما قال الفراء وغيره -
الجهد والمبالغة، يقال: بَحَّضْتُ الأرض بالزراعة أَبْحَضُها
بَحْلًا وبُحُوعًا: أجهدتها بالزراعة تباحًا، فأضعفتها بذلك.
وبَحَّضْتُ الرُّكْبَةَ: حفرتها حتى ظهر ماؤها.

ويقال أيضًا: بَحَّضْتُ لك نفسي ونُصَحِي، أي
جهدتها، وبَحَّضَ الوجدُ نفسه: أنهكها، وبَحَّضَ له بحقه: أقرَّ
به، وبَحَّضَ له بالطاعة: خضع له؛ أي جهد حتى أقرَّ وأطاع
له فلم ينقل «بَحَّضَ» إلى معنى أقرَّ وأطاع بل هو باقٍ على
معناه اللغوي، كما لم ينقل إلى معنى هلك أو الزراعة بل

وَقُرِّي (بَاخِعٌ نَفْسَكَ) على الأصل وعلى الإضافة،
أي قاتلها ومهلكها، وهو للاستقبال فيمن قرأ (إِنْ لَمْ
يُؤْمِنُوا)، وللمضي فيمن قرأ (إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا^(١)) بمعنى لأن لم
يؤمنوا. (٢: ١٧٢)

نحوه التثني،
ابن عطية: هذه الآية تسلية للنبي ﷺ، وقوله:
(فَلَعَلَّكَ) تقرير وتوقيف بمعنى الإنكار عليه، أي لا تكن
كذلك، والباخع نفسه: هو مهلكها وجدًا وحزنًا على
أمر ما. (٣: ١٩٦)

الفخر الرازي: أي ناهكها وجاهدتها حتى تهلكها.
ولكن أهل التأويل كلهم قالوا: قاتل نفسك ومهلكها،
والأصل ما ذكرناه. (١١: ٧٩)

أبوحيان: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾ لعل: للترجي في
المحذور، والإشفاق في المحذور.

وقال السكري فيها هنا: موضوعة موضع التمني
يعني أن المعنى: لا تبخع نفسك.

وقيل: وضعت موضع الاستهزام، تقديره: هل أنت
باخع نفسك؟ [ثم نقل قول ابن عطية والزمخشري
وأضاف:]

وتكون «لعل» للاستهزام قول كوفي، والذي يظهر
أنها للإشفاق: أنشفق أن يبخع الرسول ﷺ نفسه،
لكونهم لم يؤمنوا. (٦: ٩٧)

البرزوسوي: قال في «التأويلات النجمية»: معناه
نهي، أي لا تبخع نفسك، كما يقال: لعلك تريد أن تعمل
كذا، أي لا تفعل كذا، أو فكأنك كما قال تعالى في شأن

كما روى عنه «صاحب التهذيب» في (ن خ ع): «نَحَعَ
فلانٌ لي بحقي، ونَحَعَ - بالياء والثون - إذا أذعن.»
ومنه يبدو أن معنى الجهد البالغ ملحوظ في المادتين.

الاستعمال القرآني

جاء في هذه المادة لفظ «ناح» مرتين في القرآن:
﴿لَقَدْ لَعَنَّكَ بِأَخِي نَفْسَكَ عَلَى أَثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا
بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾
﴿لَقَدْ نَحَّيْتَ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

الشعراء: ٢

بلاحظ أولاً: أنه قد اجتمعت في هاتين الآيتين
الكلمتين «ناح» منها: الإشتاق بالخطابة والرجاء بلفظ
(نَحَّيْتُ) والمهاجرة في إنهالك النفس واجتهادها بلفظ
﴿ناحيت نفسك﴾ بصيغة اسم الفاعل الدال على الدوام
وجسيء «الكفر» بلفظ (لَمْ يُؤْمِنُوا) و﴿أَلَّا يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ﴾. أي لأن الله تعالى يشق على النبي لإنهاله
نفسه إنهالك مداوماً يشارف الموت، على أثر تولي أهل
مكة وإعراضهم عن الإيمان.

ثانياً: ويلاحظ استفاد النبي وسعيه في هذا السبيل
عن مدى حبه لقومه - وهم مشركو قريش - وتقافيه في
هدايتهم وإخراجهم من الضلال، فرغم تماديهم في النواية
وامتناعهم في أداء، فإنه مادما عليهم كما فعل نوح، حيث
قال: ﴿وَرَبِّ لَا تَذَرُنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا﴾
نوح: ٢٦.

ثالثاً: ذكر الله بحبه لقومه في أول التوريتين، وتعبه
فيها بقضايا أصحاب الكهف وتغانيهم في دينهم في

هذه كلها تدل على نهاية الجهد في موارد ما فلاحظ.
ومنه نجعت الذبيحة وبها، إذا قطعت عظم رقبته
وبالذئ في ذبحها، ونَحَعَ فلان نفسه: قتلها.

٢- وهناك من يقول: بأن الأصل: قطع رأس
الذبيحة حتى يبلغ للذبح الإخاع، فأصلها الإخاع هل
ما اختاره الزمخشري، وهو غير بعيد، إذ الحسوس أقرب
إلى الأصل حسب ما اخترناه في مادة «أذن» بأن أصلها
«الأذن»، ثم توسع في هذه المادة حتى تضمنت كل معنى
فيه جهد ومبالغة في أمر يكاد فاعله أن يموت في سبيله.
فقد روى ابن فارس قول الضبي عن آخرين:
«نجعت الذبيحة، إذا قطعت عظم رقبته، فهي مبسوطة،
ونجعتها دون ذلك، لأن الإخاع: المحيط الأبيض الذي
يمر في الرقبة وفقر الظهر، والإخاع «بالياء»: الرق
الذي في الصلب».

وإن صححت هذه الرواية فإنها تعطف قول
الزمخشري حول هذا المعنى في «الفائق والكشاف»،
وتقدح في قول ابن الأثير: «طاماً نجحت عنه في كتب
اللثة والطب والتشريح، فلم نجد الإخاع «بالياء»
مذكوراً في شيء منها».

وكان الزمخشري قد فسّر قول النبي ﷺ في أهل
الين بأنهم «أبغ طاعة» بأبلغ طاعة؛ إذ أخذه من معنى
«الإخاع»: وحسب ابن الأثير أن الزمخشري قد انغرد
بذكر هذا الحرف.

٣- وبين (ب خ ع) و (ن خ ع) اشتقاق أكبر، يقال:
نجح الذبيحة، أي بالغ في ذبحها، فقطع بخاعها، ونَحَعَ
الذبيحة: بالغ في ذبحها، فقطع نخاعها. وقال ابن الأعرابي

- الأولى، ولضايًا موسى مع فرعون في الثانية.
- رأبثًا: تحكي الآياتان نمطًا من أنماط التولية للنبي ﷺ، وهي كسيرة في القرآن، منها:
- أ- النبي عن الحزن: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُشَارِكُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ المائدة: ٤١
- ب- النبي عن الأسى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٨
- ج- التأسي بمن أودى من الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ الأنعام: ٣٤
- د- الأمر بالصبر: ﴿فَصَابِرِينَ وَغَدَاةَ اللَّهِ
- عَلَى﴾
- هـ- الأمر بالارتقاب والانتظار والإعراض: ﴿فَلَا تَقْبِ إِتْمَمَ مُرْتَبِعُونَ﴾ الدخان: ٥٩
- ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرُوا إِنَّهُمْ مُنْتَقِلُونَ﴾ السجدة: ٣٠
- و- النبي عن التحسر: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ فاطر: ٨
- ز- التصدير بلفظ (فَلَوْلَا) - كما في الآيتين هنا - ﴿فَلَوْلَا نَارُ اللَّهِ بِنُحْسٍ مَا يُوْخَىٰ إِلَيْكَ وَصَائِقُ بِهِ ضِدْرُكَ أَنْ يَنْعَمُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُفْرًا أَوْ جَاءَ مَعَهُ تِلْكَ﴾
- هود: ١٢

ب خ ل

٦ ألفاظ، ١٢ مرة، ١ مكّية، ١١ مدنيّة

في ٦ سور: ١ مكّية، ١١ مدنيّة

القصر الرّازقي ١٠: ١٨،

بختين.

ابن قُرَيْد: البخل والبخل فشان، ورجل باخل

وبخيل.

ببخلون ٣: ٣

بخل ١: ١

ببخلوا ١: ١

ببخلوا ٢: ٢

البخل ٢: ٢

ببخل ٣: ٣

والبخلة: الشيء الذي يملكه على البخل، وفي

حديث النبي ﷺ: «الولد بخلة بخلة».

وجمع ببخل ببخل، وجمع باخل باخل، (١٢٨: ١)

الهمذاني: يقال: فلان ببخل، والجمع ببخل.

وشحيح، والجمع أشحاء، وأشحة، وشنين، والجمع

أشناء، وشم، والجمع شام.

يقال: ببخل بالشيء، وضم به، ونفس به، وشح به.

وليز به، وهو جامد الكفين، وخبيث التطن.

يقال: فلان ضيق، حرج وحرج، وشم للهرة.

النصوص اللغوية

الخليل: ببخل ببخل وبخل هو ببخل، ببخل، ببخل.

والبخلة: ببخل مرة واحدة. [ثم استشهد بشر] (٤)

(٢٧٢)

الفراء: البخل مثقلة^(١)، لأسد، والبخل خفيفة

لقيم، والبخل لأهل المجاز، ويعتقون أيضًا فتصير

لقتهم ولغة تميم واحدة، وبعض بكر بن وائل يقولون:

البخل. [ثم استشهد بشر] (أبو حيان ٣: ٢٤٦)

المبرد: «البخل» فيه أربع لغات: البخل مثل قتل،

والبخل مثل الكرم، والبخل مثل القشر، والبخل

(١) اصطلاح، مثقلة يعني بختين، وخفيفة بضمة واحدة.

لي البخل والبخل.

وصالَتْ الزُّنْد، وشحِيع النَّفْس، ومكفوف عن الخير،
ومفلول اليد عن الخير، وعن الحُسن والإحسان، ولثيم
النفس، وقصير اليد عن كلِّ خير، وقصير الباع، ودقيق
النفس، ودنيء النفس.

ولي الأمثال: رُبُّ حَلَف تحت الزَّاعِدة، وفيها: خذ
من الرِّضفة ما عليها. وقد تحلَّب الصُّجُور المُلبَّة
والمُلبَّتين.

ولي الأمثال أيضاً: ما يَبْضُ حَبْرُهُ، ولا تَدَى
مَنَافَتُهُ، ولا تُبَلِّ إحدى يديه الأخرى.

البخل، والتُّلُوم، والتُّشع، والضُّن، والإمَّاك،
والثَّنَاءة، والدَّقَّة، واحد. وأما الدَّنَاوَة فهي القُرابة،
والمُسْك والمَسِيك والمُسْكَة، كله البخل. (٩٦)

الأزْهَرِي: ويُجمع البخل: بِخَلَاء، ورجل بِاخِل:
ذُو بَخْل، ورجال باخلون.

وأبْخَلَتْ فلاناً: وجدته بخيلاً، وبخَلْتُ فلاناً: نسبته
إلى البخل.

والولد بِخَبَّةٌ بِمَهْلَةٍ مَبْخَلَةٌ. (١٢٣: ٧)

الرُّمَّانِي: البخل: منع التَّعْج الذي هو أولى في
العقل، ومن زعم أن البخل منع الواجب عورض بأنَّ
البخل منع ما يستحق بمنه الذم، لأنَّ البخل مَذْمُوم
بلاخلاف، وقد يَمْنَع الواجب الصغير، فلا يجوز وصفه
بأنَّه بخيل. (الطُّوسِي ٩: ٣١٠)

البخل معناه منع الإحسان لشقَّة الطَّبَاع، ونقيضه
الجود، وهو بذل الإحسان، لا تنفَاء شقَّة الطَّبَاع.

(الطُّوسِي ٣: ١٩٦)

لا يجوز أن يكون البخل منع الواجب بمنقَّة

الإعطاء، قال زهير:

إنَّ البخل ملوم حيث كان ول

كنَّ الجواد على علانة هرم

لأنَّه يلزم على ذلك أن يكون الجود هو بذل الواجب

من غير منقَّة، وأما قال زهير ما قاله، لأنَّ البخل صفة
نقص.

ومن منع ما لا يضره بذله ولا ينفعه منعه مما تدعو

إليه الحكمة فهو بخيل، لأنَّه لا يقع المنع على هذه الصفة
إلا لشدة في النفس، وإن لم يرجع إلى ضرر، إذ الشدة من

غير ضرر معقولة، كما يصفون الجوزة بأنها نيسة، لأجل
الشدة. (الطُّوسِي ٥: ٣٠٦)

الصَّاحِب: البخل والبخل: لفتان، بَخِل يَبْخُلُ بِخَلًا،
وهو بَخِيلٌ مَبْخِلٌ.

والبَخْلَة: بَخِلَ مرَّةً واحدة. (٤: ٣٥٣)

الأزْهَرِي: البخل، والبخل بالتعج، عن الكسائي،
والبخل بالتحريك كله بمعنى.

وقد بَخِلَ الرَّجُل بكذا، فهو باخل وبخيل.

وأبْخَلْتُهُ، أي وجدته بخيلاً، وبخَلْتُهُ، أي نسبته إلى
البخل.

ويقال: الولد مَبْخَلَةٌ بِمَهْلَةٍ.

والبَخَال: الشديد البخل. [ثم استشهد بشر]

(٤: ١٦٣٢)

ابن فارس: الباء والنساء واللام كلمة واحدة،

وهي البخل والبخل، ورجل بخيل وباخل، فإذا كان

ذلك شأنه فهو بَخَالٌ، [ثم استشهد بشر] (١: ٢٠٧)

أبو هلال: الفرق بينه وبين الضن: أنَّ الضنَّ أصله

أن يكون بالعواري، والبخل بالهيات، ولهذا تقول: هو ضنين بعلمه ولا يقال: يخيل بعلمه، لأن العلم أشبه بالعارية منه باطية، وذلك أن الواهب إذا وهب شيئاً خرج من ملكه، فإذا أعار شيئاً لم يخرج أن يكون عالماً به، فأشبه العلم العارية، فاستعمل فيه من اللفظ ما وضع لها. ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَعَاوَزْ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ التكاوير: ٢٤، ولم يقل يخيل.

الفرق بين الشح والبخل: أن الشح الحرص على منع الخير، ويقال: زُئِدَ شحاًح، إذا لم يُورِ ناراً وإن أشح عليه بالقدح، كأنه حرص على منع ذلك. والبخل: منع المحسني، فلا يقال لمن يؤدي حقوق الله تعالى: يخيل. (١٤١)

الضماليبي: في ترتيب أوصاف البخل: رجل يخيل ثم مُسَكَّ، إذا كان شديد الإمساك ماله، من أبي تريرة ثم مُزِرٌّ، إذا كان ضيق النفس، شديد البخل، من أبي عمرو.

ثم شحيح، إذا كان مع شدة بخله حريصاً، من الأصمعي.

ثم فاحش، إذا كان متشددًا في بخله، من أبي عبيدة. ثم جِلْرٌ إذا كان في تهاية البخل، عن ابن الأعرابي. (١٦١)

ابن سيدة: البخل، والبخل، والبخل والبخل: ضد الكرم.

وقد بخل بخلًا وبخلًا، فهو باخل، والجمع: بخلًا وبخيل، والجمع: بخلًا.

ورجل بخل: وصف بالمصدر، عن أبي الصنبل

الأعرابي، وكذلك: بخل وبخل.

وبخله: رماه بالبخل. وأبخله: وجده بخيلًا، ومنه قول عمرو بن معديكرب: «يا بني سليم لقد سألتكم فأبخلناكم». [تم استشهد بشعر]

والبخل: الشيء الذي يملكه على البخل، وفي حديث النبي ﷺ: الولد نجبة بخله بخله. (١٢٩٥) البخل: ضد الكرم، ومنع الواجب، ومنع السائل مما يفضل، بخل كرم وكرم بخلًا وبخلًا وبخلًا وبخلًا.

وبخل: ضن بما عنده ولم يجده، فهو باخل من بخل وبخل، وهو بخيل من بخل.

وبخله وأبخله: جملة بخيلًا واستبخله: عده بخيلًا، وبخله: رماه بالبخل، وأبخله: وجده بخيلًا.

(الإصحاح ١: ١٦٥)

الطوسي: البخل: منع السائل لشدة الإصطاء، ثم صار في أسماء الذي منع الواجب، لأن من منع الزكاة فهو بخل. (٣٠٦: ٥)

الراغب: البخل: إمسالك المشتريات عما لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود يقال: بخل فهو باخل، وأما البخيل فالذي يكثر منه البخل كالزحيم من الزاحم.

والبخل ضربان: بخل بقرينات نفسه، وبخل بقرينات غيره، وهو أكثرها ذمًا، ذلك على ذلك قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَخُلُونِ وَيَتَمُزُونَ النَّاسَ يَابْخُلِينَ...﴾ النساء: ٣٧

الزَّمخشرى: فلان لم يتبخل ولم يبخل، وما كانت منه بخله قط. [تم استشهد بشعر]

وفلان أصيل في اللؤم بخل، ماله عم كريم ولا خال.

الشَّحُّ هو البخل مع حرص، وهو الصحيح. (٤: ٢٩٢)
 الْفَيْسُومِيُّ: يَبْخُلُ بَخْلًا وَبَخْلًا، مِنْ بَابِ تَوَبَّ وَتَرَبَّ.
 والاسم البخل وزان «فلس» فهو بخيل، والجمع بَخْلَاءُ.
 ورجل باخل، أي ذو بخل.

والبخل في الشرع: منع الواجب، وعند العرب: منع
 السائل مما يفضل عنده. وأبخلته بالالف: وجدته بخيلًا.
 (١: ٣٧)

نحوه الطَّرِيبِيُّ، (٥: ٣١٧)
 البُحْرَجَانِيُّ: البخل: هو المنع من مال نفسه.
 والشَّحُّ: هو بخل الرجل من مال غيره، قال عليه الصلاة
 والسلام: اتَّقُوا الشَّحَّ، فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.
 وقيل: البخل ترك الإتيان عند الحاجة.

قال حكيم: البخل نحو صفات الإنسانية وإنبات
 عادات الحيوانية. (١٩)

المَقْبُولُزْ إِيَادِي: البخل والبخل بضمها، وكَجَبَل
 وَتَجَمَّعَ وَتَجَمَّعَ: ضَدَّ الْكُرْمِ.

يَبْخُلُ كَفَرَحٍ وَكُرْمٍ، بَخْلًا بِالضَّمِّ وَالتَّحْرِيكِ، فَهُوَ بَاخِلٌ
 مِنْ بَخْلٍ كُرْكُجٍ، وَبَخِيلٌ مِنْ بَخْلَاءَ.

ورجل بخل مَرَكَّةٌ: وصف بالمصدر، وبخال
 كسحاب وشذاه ومظلم.
 وأبخله: وجدته بخيلًا.
 وبخله تهخيلاً: رماه به.

وكرم سلة: ما يملك عليه ويدعوك إليه.
 (٣: ٣٤٣)

البخل: إساك المفتيات عما لا يحق حبسها عنه.
 ويقابله الجود.

ويقال: لا يكاد يفلح البخيل، إذا أبرها البخيل.
 وقيل لرجل: بفلان خَبِلَ، وبأخيه بَخِلَ، فقال:
 انْخَبِلْ أهون من البخل، والمَبْخَلُ فناء للمخبِل.
 ومن الجاز: قول أبي التيج:
 والظَّامِنِينَ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ

إِذَا السَّمَاءُ بَخِلَتْ بِالْظُّمْرِ
 (أساس البلاغة: ١٦)

الطُّبْرَسِيُّ: البخل أصله: مشقة الإعطاء. وقيل في
 معناه: إنه منع الواجب، لأنه اسم ذم لا يطلق إلا على
 مرتكب الكبيرة.

وقيل: هو منع ما لا ينبغي ولا يضطر به له. ومثله
 الشَّحُّ، وهذه اليهود. (٢: ٢٦)

ابن الأثير: فيه «الْوَلَدُ يَبْخُلُهُ مَحَبَّةٌ» من «تَغْلَقُ»
 من البخل ومُسْطَقَّةٌ له، أي يحمل أبويه على البخل
 ويدعوها إليه فيخلان بالمال لأجله. وفيه «السُّدَّةُ»
 الآخر: «إِنَّكُمْ لَيَبْخُلُونَ وَتَجَبُّنُونَ». (١: ١٠٣)

الْقُرْطُبِيُّ: البخل والبخل في اللغة أن يمنع الإنسان
 الحق الواجب عليه، فأما من منع ما لا يجب عليه فليس
 ببخيل، لأنه لا يذم بذلك.

وأهل الحجاز يقولون: يَبْخُلُونَ وقد بَخَلُوا، وسائر
 العرب يقولون: يَبْخُلُونَ، حكاه النحاس. وبخِلَ
 يَبْخُلُ بَخْلًا وَبَخْلًا، من ابن فارس. [إلى أن قال:]

واختلف في البخل والشح هل هما بمعنى واحد أو
 يعينين؟

فقيل: البخل: الامتناع من إخراج ما حصل عندك.
 والشح: الحرص على تحصيل ما ليس عندك. وقيل: إن

النصوص التفسيرية

بِخْلٍ

وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَنَفَى. الليل : ٨

ابن عباس : بَخِلَ بما عنده واستنفى في نفسه.

من أغناه الله. فَبَخِلَ بالزكاة.

بَخِلَ بالفضل واستنفى من ربه. (الطبري : ٣٠ : ٢٢٦)

قَتَادَةُ : وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ. واستنفى في

نفسه عن ربه. (الطبري : ٣٠ : ٢٢٢)

الطبري : وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِالْفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ومنع

ما وهب الله له من فضله. من صرفه في الوجوه التي أمر

الله بصرفه فيها. (٣٠ : ٢٢٦)

ابن خالويه : (بَخِلَ) فعل ماض ومعناه المضارع.

وفيه لغات. يقال : يَخِلُّ يَخْلُ وَيَخْلُ وَيَخْلُ وَيَخْلُ

ويَخْلُ. (١١٠)

الطوسي : يعني به من منع حق الله الذي أوجب

عليه من الزكاة. والحقوق الواجبة في ماله.

(١٠ : ٣٦٤)

منه الميضي.

الطبرسي : أي من ماله الذي لا يبق له. وبَخِلَ

بحق الله فيه. (٥ : ٥٠٢)

نحو. القُرطبي.

الشربيني : أي أوجد هذه الحقيقة الخفية. فَنَحَ

مَأْمُرُ بِهِ وَتَوْبَتُ إِلَيْهِ. (٤ : ٥٤٥)

الطبرسي : أي ماله فلم يبدله في سبيل الخير.

والْبَخْلُ : إمساك المتعبدات عما لا يحق حبسها عنه.

ويقابله الجود. (١٠ : ٤٤٩)

والْبَخْلُ : ثَمَرَةُ الشُّحِّ. والشُّحُّ يأمر بالبخل. كما قال

النبي ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالشُّحُّ فَإِنَّ الشُّحَّ لَأَمْلَكَ مَنْ كَانَ

قَبْلَكُمْ. أَمَرَهُمُ بِالْبَخْلِ فَبَخِلُوا. وَأَمَرَهُمُ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا»

فالْبَخْلُ : من أجاب داعي الشُّحِّ. والمؤثر : من أجاب

داعي الجود والسخاء والإحسان.

(بصائر ذوي التمييز : ٢ : ٢٢٧)

أبو البقاء الكفوي : الْبَخْلُ : هو نفس المنع.

والشُّحُّ : الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع. وبَخِلَ

يُعَدِّي بَعْدَ «وَعَدَ» أَيْضًا لِمَنْعِهِ مَعْنَى الْإِمْسَاكِ

وَالْتَمَرِ. فَإِنَّهُ إِمْسَاكٌ عَنْ مَسْتَحَقٍّ.

والْبَخْلُ والمسد مشتركان في أَنَّ صاحبهما يريد منع

النعمة عن الغير. ثُمَّ يُمَيِّزُ الْبَخْلُ بِمَدَمُ دَفْعِ ذِي النِّعْمَةِ

شَيْئًا. وَالْمَسَدُ يُمَيِّزُ بِأَنَّهُ يَمْنَعُ أَنْ لَا يُطَى لِأَحَدٍ سِوَاهُ.

شَيْئًا.

والْبَخْلُ شعبة من الجبن. لَأَنَّ الْجَبْنَ تَأَلَّمَ الْقَلْبُ بِوَقْعِ

مُؤْلَمٍ هَاجِلًا. عَلَى وَجْهِ مَنَعِهِ مِنْ إِقَامَةِ الْوَاجِبِ عَقْلًا.

وهو الْبَخْلُ فِي الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ. وَالْبَخْلُ يَأْكُلُ وَلَا يُطِي.

وَالشُّحُّ لَا يَأْكُلُ وَلَا يُطِي. (المصطفوي : ١ : ٢١٠)

مَجْمَعُ اللَّغَةِ : الْبَخْلُ وَالْبَخْلُ : ضدُّ الْجُودِ. وهو

إِمْسَاكُ الْمَالِ عَمَّا لَا يَصِحُّ حَبْسُهُ عَنْهُ. يُقَالُ : بَخِلَ بِكَذَا.

كَفَرَحٍ وَكَزُرْمٍ بَخْلًا وَبَخْلًا. (١ : ٨١)

محمد إسماعيل إبراهيم : بَخِلَ : إمساك ما عنده

وَضَنَ بِهِ عَمَّا لَا يَصِحُّ حَبْسُهُ عَنْهُ. وَالْبَخْلُ : الإِمْسَاكُ

وَالضَّنُّ بِالْمَالِ وَغَيْرِهِ. وهو ضدُّ الْكَرَمِ. (١ : ٦٠)

الآلوسي : (يخل) بماله : فلم يذله في سبيل الخير.
وقيل : أي يخل بفعل ما أمر به ، وفيه ما فيه .

(١٤٩ : ٣٠)

المصطفوي : «وَأَمَّا مَنْ يَخْلٍ وَاسْتَفْتَى» يريد من
إمساكه الاستثناء واليسرى .

«قُلْنَا أَنْتُمْ مِنْ قَضِيهِ يَخْلُوا بِهِ» التوبة : ٧٦ .
يسكون فيما يوجد عندهم من فضل الله .

«سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُوا» آل عمران : ١٨٠ ، فيكون
ما ينسون به نعمة وعذاباً ، لتقصيرهم فيه .

«الَّذِينَ يَخْلُونِ وَيَسْمُرُونَ النَّاسَ بِالْخَلِّ»
النساء : ٣٧ ، فإذا اشتد الخلل في صاحبه لا يرضى بالجلود
والإعطاء في غيره أيضاً ، ويأمر الناس بالخلل فلولاً
وعملًا .

«وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ» محمد : ٣٨ .
ومن يسك عن البذل والإعطاء ، فإنما يسك عن نفسه
ويمنع عن إدامة فضل الله تعالى إليه .

فالخل هو المنع عن بسط فضل الله ورحمته ،
والإمساك عن نشر آثار نعمه وآلائه في عباده . مع
الغفلة عن أن كل نعمة من الله المتعالي . (١ : ٢١٠)

يَخْلُ

«فَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ
يَخْلُ وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ
وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ»

محمد : ٣٨

مقاتل : إنما يخل بالجلود والفضل في الآخرة عن
نفسه . (الطبرسي : ٥ : ١٠٨)

الطبرسي : ومن يخل بالنفقة في سبيل الله ، إنما
يخل عن بخل نفسه ، لأن نفسه لو كانت جواداً لم يخل
بالنفقة في سبيل الله ، ولكن كانت تجود بها . (٢٦ : ١٦٥)
المتنبدي : معناه كيف يأمركم بإخراج جميع
أموالكم وقد دعاكم إلى إنفاق البعض في سبيل الله
«فَمِنْكُمْ مَنْ يَخْلُ» فلا ينفق ، وقيل : «فَمِنْكُمْ مَنْ
يَخْلُ» بما فرض عليه من الزكاة .

«وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ» (حسن)
بمعنى «على» أي يخل على نفسه بالجزاء والتواب .

وقيل : «فَأِنَّمَا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ» يعني عن بخل
نفسه ، لأن نفسه لو كانت جواداً لم يخل بالنفقة في سبيل
الله ، وقيل : يخل عن داعي نفسه لا عن داعي ربه .

(٩١ : ١٩٧)

الزمخشري : «وَمَنْ يَخْلُ» بالصدقة وأداء
الزكاة فلا يتعداه ضرر بخله ، «فَأِنَّمَا يَخْلُ عَنْ
نَفْسِهِ» يقال : بخلت عليه وهنه ، وكذلك ضمنت عليه
وعنه . (٣ : ٥٤٠)

الطبرسي : «فَمِنْكُمْ مَنْ يَخْلُ» بما فرض عليه من
الزكاة «وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ» لأنه
يحررها شوبه جسيمة ، ويلزمها عقوبة عظيمة ، وهذه
إشارة إلى أن حظي المال أخرج إليه من الفقير الآخر ،
فيخله بخل على نفسه ، وذلك أشد البخل .

وقيل : معناه فإنما يخل بدائع عن نفسه يدهوه إلى
البخل . فإن الله تعالى نهى عن البخل ودفنه ، فلا يكون
للبخل بناء من جهته . (٥ : ١٠٨)

النيسابوري : أي وباله على نفسه ، أو عن داعي

خولق الأمثال في البذل والتضحية، عن رضى وعن
فرح بالبذل والطاء. ولكن هذا لم يمنع أن يكون هنالك
من يبخل بالمال، ولعل الجود بالنفس أرخص عند
بعضهم من الجود بالمال!

والقرآن يعالج هذا الشئ في هذه الآية ﴿وَمَنْ
يَبْخُلْ فَإِنَّهُ يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ لما يبذله الناس إن هو
إلا رصيد لهم مذخور، يحدونه يوم يحتاجون إلى رصيد،
يوم يحشرون بمزددين عن كل ما يملكون، فلا يجدون إلا
ذلك الرصيد المذخور، فإذا بخلوا بالبذل فأبما يبخلون
على أنفسهم، وأبما يقتلون من رصيدهم، وأبما
يسبختسرون المال في ذواتهم وأشخاصهم، وأبما
يحمرونها بأيديهم.

أجل. فانه لا يطلب إليهم البذل، إلا وهو يريد لهم
الخير ويريد لهم الوفرة، ويريد لهم الكثرة والذخر.
ونما يبخله شيء كما يبخلون، وما هو في حاجة إلى
ما ينفقون. (٢٣: ٦)

الطباطبائي: أي يمنع الخير عن نفسه، فإن الله
لا يسأل ما لهم ليشع هو به بل ليشع به المنفقون فيما فيه
خير دنياهم وآخرتهم، فامتناعهم من إنفاقه امتناع
منهم من خير أنفسهم، وإليه يشير قوله بعده: ﴿وَإِنَّ
الْفَنِيَّ وَأَنْتُمْ أَفْقَرَاءُ﴾ محمد: ٣٨، والنقصان للقلب، أي
الله هو الفنى دونكم، وأنتم الفقراء دون الله.

(٢٤٩: ١٨)

يَبْخُلُونَ

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

رَبَّهُ. قال في «الكشاف»: يقال: بخلت عليه وعنه، وفيه
ظن، لأن البخل عن النفس لا يصح بهذا التفسير، نعم،
لو قال: عن ماله، كان تفسيره مطابقاً. (٣٦: ٣٤)
أبو حنبلان: [ذكر مثل الزمخشري وأضاف:]

وبخل يمتدى به على «وبه» يقال: بخلت عليه
وعنه، وصليت عليه وعنه، وكأنتها إذا عذبا به عن
ضمتا معنى الإمساك، كأنه قيل: أمسكت عنه بالبخل.
(٨: ٨٦)

نحو البروسري.

الآلوسي: فلا يمتدى ضرر بخله إلى غيرها، يقال:
بخلت عليه وبخلت عنه، لأن البخل فيه معنى المنع ومعنى
التضييق، على من منع عنه المعروف والإضرار، فناسب
أن يمتدى به عن «لثاني»، وظاهر أن من منع المعروف
عن نفسه فإضراره حليها، فلا فرق بين التخطي في
الحاصل.

وقال الطيبي: يمكن أن يقال: يبخل من نفسه، على
معنى يصدر البخل عن نفسه، لأنها مكان البخل ومنبه،
كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ المنذر: ٩، وهو
كما ترى. (٢٦: ٨٢)

سيد قطب: والآية ترسم صورة وصفية لواقع
الجماعة المسلمة يومذاك، ولواقع الناس تجاه الدعوة إلى
البذل في كل بيتة، فهي تقر أن منهم من يبخل، ومعنى
هذا أن هنالك من لا يبخلون بشيء، وقد كان هذا واقعاً،
سجلته الروايات الكثيرة الصادقة، وسجلته القرآن في
مواضع أخرى.

وقد حقق الإسلام في هذا الجبال مثلاً محسب من

هُوَ حَرَمٌ لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخِفُّونَ بِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ...
آل عمران: ١٨٠

ابن مسعود: نزلت في مانع الزكاة المفروضة
مثله ابن عباس، والشَّعْبِي، ومجاهد،
وأبو هريرة. (أبو حيان ٣: ١٢٧)
وهو المروي عن الباقر عليه السلام. (الطوسي ٣: ٦٤)
ومن الصادق عليه السلام. (رشيد رضا ٤: ٢٥٨).

ابن عباس: نزلت في أهل الكتاب وبخلهم، بيان
ما علمهم الله من أمر محمد صلى الله عليه وآله. (أبو حيان ٣: ١٢٧)
السُّدِّي: إن المعنى بخلوا أن يتفقوا في سبيل الله. كما
بخلوا بمنع الزكاة. (الطوسي ٣: ٦٤)

نزلت في البخل بالمال، والإنفاق في سبيل
الله. (أبو حيان ٣: ١٢٧)

الزُّجَّاج: هنا يعني به علماء اليهود الذين بخلوا بما
آتاهم الله من علم نبوة النبي صلى الله عليه وآله. ومثاقه وعدلوه.
وقد قيل: إنهم الذين يبخلون بالمال، فيمنعون
الزكاة.

قال أهل العربية: المني لا يحسن الذين يبخلون
البخل هو خيرا لهم، ودلَّ (يَبْخُلُونَ) على البخل.

(١: ٤٩٢)
الطوسي: [ذكر قول السُّدِّي ولبن عباس وقال:]
والوجه الأول أظهر، لأن أكثر المفسرين على أنها
نزلت في مانع الزكاة، وهو قول أبي جعفر عليه السلام. [إلى أن
قال:]

والبخل هو منع الواجب، لأنه تعالى ذمَّ به وتوعَّد
عليه. وأصله في اللغة: مشقة الإحطاء، وإنما يمنع الواجب

لمشقة الإحطاء. (٣: ١٦٤)

الفخر الرازي: اعلم أن الآية دلالة على ذم البخل
بشيء من الخيرات والمنافع، وذلك الكثير يحتمل أن
يكون مالا، وأن يكون علما.

فالقول الأول: إن هذا الوعيد ورد على البخل
بالمال، والمعنى: لا يتوَعَّن هؤلاء البخلاء أن يبخلهم هو
خير لهم، بل هو شرُّ لهم، وذلك لأنه يبيح عقاب بخلهم
عليهم، وهو المراد من قوله: «سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخِفُّونَ بِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ» مع أنه لا يتفق تلك الأموال عليهم، وهذا هو
المراد بقوله: «وَلَهُ جِيرَاتُ الشَّعْبِ وَالْأَرْضُ»
آل عمران: ١٨٠.

والقول الثاني: إن المراد من هذا البخل: البخل
بالعلم؛ وذلك لأن اليهود كانوا يكتُمون نعت محمد صلى الله عليه وآله

وصفته، فكان ذلك الكتمان بخلا، يقال: فلان يبخل
بشيء. ولا شك أن العلم فضل من الله تعالى، قال الله
تعالى: «وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
عَظِيمًا» النساء: ١١٣، ثم إنه تعالى علَّم اليهود
والتصارى ما في التوراة والإنجيل، فإذا كتُموا ما في هذين
الكتابين من البشارة ببعت محمد صلى الله عليه وآله كان ذلك بخلا.

واعلم أن القول الأول أولى، ويدل عليه وجهان:
الأول: أنه تعالى قال: «سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخِفُّونَ بِهِ»
ولو فسرنا الآية بالعلم احتجنا إلى تحتمل الجازي في تفسير
هذه الآية، ولو فسرناها بالمال لم نحتاج إلى الجازي، فكان
هذا أولى.

الثاني: أننا لو حملنا هذه الآية على المال كان ذلك
تروضا في بذل المال في الجهاد، فحينئذ يحصل لهذه الآية

مع ما قبلها نظم حسن، ولو حملناها على أن اليهود كثروا
ما عرفوه من الثروة انقطع النظم، إلا على سبيل التكلف،
فكان الأول أولى.

وأكثر العلماء على أن البخل عبارة عن منع الواجب،
وأن منع التطوع لا يكون بخلاً، واحتجوا عليه بوجوه:
أحدها: أن الآية دالة على الوعيد الشديد في البخل،
والوعيد لا يليق إلا الواجب.

وثانيها: أنه تعالى ذم البخل وعابه، ومنع التطوع
لا يجوز أن يذم لماعله وأن يعاب به.

وثالثها: وهو أنه تعالى لا ينفك عن ترك الفضل،
لأنه لانهائية لمقدوراته في الفضل، وكل ما يدخل في
الوجود فهو متناهي، فيكون لامحالة تاركاً الفضل، فلو
كان ترك الفضل بخلاً، لزم أن يكون الله تعالى موصولاً
بالبخل لامحالة، تعالى الله عز وجل عنه علواً كبيراً.

ورابعها: قال عليه الصلاة والسلام: «وأي ذم لكوكب
من البخل» ومعلوم أن تارك التطوع لا يليق به هذا
الوصف.

وخامسها: أنه لو كان تارك الفضل بخلاً لوجب
فيمن يملك المال كله العظيم أن لا يتخلص من البخل إلا
بإخراج الكل.

وسادسها: أنه تعالى قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُقْتَفُونَ﴾ البقرة: ٢٠، وكلمة «من» للتجويض، فكان
المراد من هذه الآية: الذين ينفقون بعض ما رزقهم الله،
ثم إنه تعالى قال في صفتهم: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّنْ
رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ السَّافِلُونَ﴾ البقرة: ٥، فوصفهم
بالهدى والفلاح، ولو كان تارك التطوع بخلاً مذموماً لما

صح ذلك؛ فثبت بهذه الآية أن البخل عبارة عن ترك
الواجب.

إلا أن الإتيان بالواجب أقسام كثيرة:
منها إيفاءه على نفسه وعلى أقاربه الذين يلزمه
مؤوتهم.

ومنها ما يتصل بأبواب الزكاة.
ومنها ما إذا احتاج المسلمون إلى دفع عدو يقصد
كلهم وماله، فها هنا يجب عليهم إتيان الأموال على من
يدفعه عنهم، لأن ذلك يجري مجرى دفع الضرر عن
النفس.

ومنها إذا صار أحد من المسلمين مضطراً، فإنه يجب
على من يقدّر إليه مقدار ما يستحق به دفعه، فكل هذه
الأنواع من الواجبات، وتركها من باب البخل، إلى أن

مستند غير بعيد؛ وذلك لأن اليهود والنصارى
موصوفون بالبخل في القرآن، مذمومون به، قال تعالى في
صفتهم: ﴿أَمْ لَمْ يَجِبْ مِنَ أَمْثَلِكُمْ قِيَادًا لَّا يُؤْتُونَ
النَّاسَ بَحِيرَةَ النِّسَاءِ﴾ النساء: ٥٣، وقال أيضاً فيهم: ﴿الَّذِينَ
يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ﴾ النساء: ٣٧، وأيضاً
ذكر عقيب هذه الآية قوله: ﴿لَقَدْ سَوَّغَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَعِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ﴾ آل عمران: ١٨١،
وذلك من أهوال اليهود، ولا يعد أيضاً أن تكون الآية
عامة في البخل بالعلم، وفي البخل بالمال، ويكون الوعيد
حاصلاً عليها مثلاً.

أبو حنيفة: قيل: نزلت في الثقة على العيال وذوي



الأرحام. [إلى أن قال:]

والبخل الشرعي عبارة عن منع بذل الواجب.

(١٢٧: ٢)

البُزْوسُوي: وأعلم أن البخل عبارة عن امتناع

أداء الواجب، والامتناع عن التطوع لا يكون بخلاً، ولذلك قرن به الوعيد والذم.

والواجب كثير كالإتيان على النفس والأقارب الذين يلزمه مسؤولتهم، والصدقة على الغير حال الغصة، وفي حال الجهاد، عند الاحتياج إلى التقوية بالمال.

ثم إن في الآية إشارة إلى أن البخل أكبر التقاوة كما أن التسخا إكسار السادة، وذلك لأن الله تعالى سقى المال فضله، كما قال: ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ والفضل لأهل السادة، فأكبر البخل بصير الفضل قهراً والتسخا شقاوة، كما قال: ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ فأكسار البخل يجعلون خيرية ما آتاهم الله من فضله شراً لهم. ولو أنهم طرحوا على ما هو فضله إكسار السادة لجعلوه خيراً لهم، فصبروه سادة، ولصاروا بها أهل الجنة، وإن يلج الجنة الصحيح.

(١٢٣: ٢)

محمد عبده: أكثر المفسرين على أن المراد ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أنهم الله من فضله، وأن البخل به هو البخل بالصدقة المفروضة فيه.

وعدم التصريح بذلك من ضروب إيجاز القرآن، فكثيراً ما يترك التصريح بالقول، لأنه مفهوم من السياق والقارئ دالة عليه، واللبس مأون.

فلا ينظر بيال أحد أن الوعيد هو على البخل بجميع

ما يملك الإنسان من فضل ربه عليه، فإن الله أباح لنا الطيبات والزينة في نص كتابه، والعقل يحرم أيضاً بأن الله لا يكلف الناس بذل كل ما يكتسبون، وأن يسبقوا جائعين عراة بانسين.

وذهب آخرون إلى أن ذلك هو «العلم» وأن الكلام في اليهود الذين أوتوا صفات النبي ﷺ فكشعوا. والأولى أن تبقى على عمومها، فإن المال من فضل الله، وكذلك العلم والجاه، والناس مطالبون بشكر ذلك، والبخل على الناس به كفر لا شكر.

والحكمة في ترك النص على أن البخل المذموم هنا هو البخل بما يجب بذله، مما يفضل الله به على المكلف، هي أن في الصوم من التأثير في النفس مالمس للتخصيص، وهذه السورة متأخرة في النزول، وكانت أكثر الأحكام إذا أنزلت مقررّة، فإذا طرق سمع المؤمن هذا القول تذكّر فضل الله عليه، وأن عليه فيه حقاً للناس، وأن هذا الخطاب يذكر به سواء منه ما هو معلوم معين وما ليس بمعلوم ولا معين، بل هو موكول إلى اجتهاده الذي يتبع حاطفة الإيمان.

وإنما نفي أو لا كونه خيراً ثم أثبت كونه شراً مع أن الثاني هو الظاهر الذي لا يمازى فيه، لأن المانع للحق إنما يمنع لأنه يحسب أن في منعه خيراً له، لما في بقاء المال في اليد مثلاً من الانتفاع به بالتمتع بالذات، ودفع التواكل والآفات، وتوهم التمكن من قضاء الحاجات.

فإن قيل: إن التحديد كان أوضح وأتقن للإيهام قلنا: إن القرآن كتاب هداية ووعظ، يخاطب الأرواح ليجذبها إلى الخير بالعبارة التي هي أحسن

البخل

الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ وَيَتَأَمَّرُونَ النَّاسَ بِالبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ
مَالَهُمْ اللَّهُ مِنْ قُضِيٍّ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا .

النساء : ٣٧

النَّبِيُّ ﷺ : ليس بالبخل من أدى الزكاة
المفروضة من ماله ويطيئ الثانية في قومه ، إنما البخل
حق البخل من لم يؤد الزكاة المفروضة ولم يطيئ الثانية في
قومه وهو يذر فيها سوى ذلك .

[وفي حديث] البخل من ذكرت عنه فلم يصل

(البحراني ٤ : ٣٤٤)

علي

طاووس : البخل ، أن يبخل الإنسان بما في يده ،
والشَّحُّ أن يشحَّ على ما في أيدي الناس .

البخل في الشريعة هو منع الواجب .

(أبو حنيفة ٣ : ٢٤٦)

الإمام الصادق عليه السلام : إن البخل من كسب ماله
من غير حله ، وأثقله في غير حقه . (البحراني ٤ : ٣٤٤)

الإمام الكاظم عليه السلام : البخل من بخل بما افترض
الله عليه . (البحراني ٤ : ٣٤٤)

الطبري : والبخل في كلام العرب : منع الرجل
سائله ماله فيه وعنده من فضل عنه .

واختلف القراء في قراءة قوله : ﴿ وَيَتَأَمَّرُونَ النَّاسَ
بِالبَخْلِ ﴾ فقرأه عامة قراء أهل الكوفة (بالبخل) بفتح
الباء والمخاء ، وقرأه عامة قراء أهل المدينة وبعض
البحريين بضم الباء (بالبخل) ، وهما لفتان فصيحتان
بمعنى واحد ، وقراءتان معروفتان غير مختلفتي المعنى ،
فأثبتها قرأتا القارئ فهو مصيب في قراءته . (٨٥ : ٥)

تأثيراً ، لا لكتيب التفه وغیره من كتب الفنون التي
تتحرى فيها التشریفات الجامعة المانعة .

وكتاب هذا شأنه لا يجري على السنن ، الذي لا يليق
إلا بضغفاء العقول الذين فسدت فطرهم بالتعاليم
الفاصلة ، يعني تلك التعاليم التي تشغل الأذهان بجاراتها
المضيق وأسايلها المستعدة ، فلا ينفذ إلى القلب شيء مما
يعتصر منها ، ولذلك قال : وإن مثل هذه العبارة المطلقة
التي تُخطر في البال بذل كل مافي البد - وتكاد توجبه لولا
الدلائل الأخرى - تحدث في النفس أوجعية للبخل ،
تدفعها إلى بذل الواجب ، وزيادة عليه .

(رشيد رضا ٤ : ٢٥٨)

رشيد رضا : [وبعد نقل قول محمد عبده قال :]
إن هذه العبارة الأخيرة مبنية على القول بأن المراد
بما يبخل به هو المال . فإذا جرينا على القول الآخر
الافتقار ، وهو أنه يعم المال والسلام والجاه . وكل حصل من
الله على العهد يمكنه أن ينفع به الناس ، يمكن أن يجعلها من
فيل المال .

ونقول : إن التحديد في بيان ما يجب بذله للناس من
الجاه والعلم متعذر إذا فرضنا أن ما يجب تحديد بذله في
المال متيسر ، وبهذا كانت الآية شاملة لما لا يتأتى
تفصيله إلا بصحف كثيرة ، وكان الجواب أظهر ، والإيجاز
أبلغ في الإعجاز وأكبر .

ويؤيد العموم في قوله : ﴿ وَمَا أَنِمْ اللَّهُ ﴾ العموم في
الجزء على ذلك البخل في قوله : ﴿ سَيَكُونُونَ مَنَاجِلًا يَبِ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ . ولم يقل سيطوفون زكاتهم ، أو المال الذي
منعوه . (٢٥٩ : ٤)

نحوه أبوزرعة .

(١٠٣)

الرثماني : معناه منع الإحسان لمثقة الطباع .

ونقيضه «الجوده» وهو بذل الإحسان لاستفاد مثقة الطباع . (الطوسي ٣ : ١٩٦)

الطوسي : قرأ حمزة والكسائي هاهنا ، وفي الحديث

(بالبخل) يفتح الباء والخاء ، الباقون بضم الباء وتسكين الخاء .

فمن نصب قال : لأنه مصدر : يَخْلُ يَخْلُ بِحَالٍ بِحَالٍ

كله هكذا ، ومن اختار الضم وتسكين الخاء فلا تـه
نقيض «الجوده» فحمل على وزنه ، فهما لفتان . وحكي
لغة نائبة (بالبخل) يفتح الباء وسكون الخاء .

وبالبخل أصله : مثقة الإحطاء ، وقالوا في منعه

هاهنا قولان :

أحدهما : أنه منع الواجب ، لأنه اسم بضم لا يطلق إلا

على مرتكب كبيرة .

والثاني : هو منع ما لا يفتح منعه ، ولا يضطر بمذله ،

ومثله الشح ، وضده الجود ، والأول أليق بالآية ، لأنه
تعالى بنى محبة ممن كان بهذه الصفة ، وذلك لا يليق إلا
بمنع الواجب . (٣ : ١٩٦)

نحوه المثبدي . (٢ : ٥٠٢)

الرثماني : وقرئ (بالبخل) بضم الباء وفتحها

وبفتحين وبضتين ، أي يخلون بذات أيديهم وبما في
أيدي غيرهم ، فيأمرونهم بأن يخلوا به مقتاً للسخاء
ممن وجد . وفي أمثال العرب : أبخل من الضنين بماتل
غيره . (تم استشهد بشعر) (١ : ٥٢٦)

القنر الرازي : قرأ حمزة والكسائي (بالبخل) بفتح

الباء والخاء ، وفي الحديث مثله ، وهي لغة الأنصار .

والباقون (بالبخل) بضم الباء والخاء . وهي اللغة العالية .

[إلى أن قال :

وهو في كلام العرب عبارة عن منع الإحسان ، وفي
الشرعية منع الواجب . (١٠ : ١٩٨)القرطبي : البخل المذموم في الشرع : هو الامتناع
عن أدائه ما أوجب الله تعالى عليه ، وهو مثل قوله تعالى :﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنفَعَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾
آل عمران : ١٨٠ . (٥ : ١٩٣)

النسفي : ﴿وَيَأْمُرُونَ الثَّامِيَ بِالْبُخْلِ﴾ (بالبخل)

حمزة ، وعلي ، وهما لفتان كالرشد والرشد ، أي يبخلون
بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم ، فيأمرونهم بأن
يخلوا به مقتاً للسخاء .

قيل : البخل : أن يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره .

والشح : أن لا يأكل ولا يؤكل ، والسخاء : أن يأكل
ويؤكل ، والجود : أن يؤكل ولا يأكل . (١ : ٢٢٥)أبو حيان : البخل في كلام العرب : منع السائل شيئاً
مما في يد المسؤول من المال وعنده فضل . (وبعد نقل قول
طاووس والزاجب قال :ولما أمر تعالى بالإحسان إلى الوالدين ومن ذكر
سها من المحتاجين على سبيل ابتداء أمر الله ، بين أن من
لا يضل ذلك قسبان :أحدهما : البخل الذي لا يقدم على إغناق المال أبنة
حتى أفرط في ذلك ، وأمر بالبخل .والثاني : الذين ينفقون أموالهم رياء الناس لا لمرض
أمر الله وامتناله وطاعته ، وذم تعالى القسمين ، بأن

أعقب القسم الأول ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ النساء: ٢٧.
وأعقب الثاني بقوله: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾
النساء: ٢٨.

والبخل أنواع: بخل بالمال، وبخل بالعلم، وبخل
بالطعام، وبخل بالسلام، وبخل بالكلام، وبخل على
الأقارب دون الأجانب، وبخل بالجاء، وكلها نقائص
ورذائل مذمومة عقلاً وشرعاً.

وقد جاءت أحاديث في مدح التسامح وذم البخل.
منها: «غسلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل وسوء
الخلق».

ولساهر نسوله: (بالبخل) أنه متعلق بقوله:
(وَيَأْمُرُونَ) كما تقول: أمرت زيدا بالصبر، بالبخل
مأمور به.

وقيل: متعلق «الأمر» محذوف، والباء في (بالبخل)
حالية، والمعنى ويأمرون الناس بشكرهم مع الجاسم
بالبخل. (ثم استشهد بشعر)

وقرأ الجمهور (بالبخل) بضم الباء وسكون الخاء،
وعيسى بن عمر والحسن بضمتها، وحزمة والكسائي
بفتحها، وابن الزبير وقتادة وجماعة، بفتح الباء
وسكون الخاء، وهي كلها لغات، [إلى أن قال:]

واختلفوا في إعراب ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ﴾، فقيل: هو
في موضع نصب بدل من قوله: (مَنْ كَانَ).

وقيل: من قوله: ﴿فَتُكْفَلُوا﴾ النساء: ٣٦.
أفرد اسم كان والخير على لفظ (مَنْ)، وجمع (الذين)
جملًا على المعنى.

وقيل: انتصب على الذم، ويجوز عندي أن يكون

صفة (لَمَنْ)، ولم يذكروا هذا الوجه.

وقيل: هو في موضع رفع على إضمار مبتدأ محذوف.
نبي هم الذين

وقال أبو البقاء: يجوز أن يكون بدلًا من التفسير في
(فَقُورًا) وهو قلق.

فهذه ستة أوجه يكون فيها ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ﴾
متعلقًا بما قبله، ويكون الباخلون منفياً عنهم محبة الله
تعالى، وتكون الآية إذن في المؤمنين، والمعنى أحسنرا أيها
المؤمنون إلى من سقى الله، فإن الله لا يحب من فيه الخلال
النافع من الإحسان إليهم وهي: الخيلاء والتفخر والبخل
والأمر به، وكأن ما أعطاهم الله من الرزق والمال.

وقيل: ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ﴾ في موضع رفع على
الاستثناء، واختلفوا في الخبر أهو محذوف أم ملفوظ به؟

فقيل: هو ملفوظ به وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾، وقيل: هو محذوف، وقيل: هو
لا يظلمهم مقال ذرة.

وإلى هذا ذهب الزجاج، وهو بعيد متكلف لكثرة
التواصل بين المبتدأ والخبر، ولأن الخبر لا ينظم مع
المبتدأ معناه انتظامًا واضحًا، لأن سياق المبتدأ وما عطف
عليه ظاهر، من قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ النساء: ٣٨.
لا يناسب أن يخبر عنه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾، وإن تلك حسنة يضاعفها وتؤيد من لدنه أجرًا عظيمًا
النساء: ٤٠، بل مساق ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾ أن يكون
استئناف كلام، إخبارًا عن عدله ومن فضله تعالى

وتقدّم.

فالشَّحْ مشقٌّ من الشَّحاح في قولهم: أرض شحاح. أي

نسيل من أدنى مطرة، كأنها تشحّ على الماء بنفسها.

والضَّنّ: الشيء المضنون به. يقال: فلان ضنّتي من

بين إخواني وضنّتي، أي أختصّ به، وأضنّ بمودّته.

والتفتير أخذ من قولهم: لحم قاتر، أي له قنار

لدممه. والقنار: رائحة اللحم المشوي. أو من «القيتر»

وهو السهم الصغير، أو من «الفترة» أي الكثرة النافذة.

لنا للمسك والمفلول اليد، فيها إطلاقان على البخل

بجاز.

٣- بيد أن البخل - كما ترى - أمر طبيعي، فليقله

استعمل حين الوضع لفظ طبع، مثل: أح عند الشمال،

وأخ عند التوجع، ونح عند الإعجاب. وربما كانت

العرب - وهي أمة قد جيلّت على الكرم - حينئذ تشمّر

من البخل وفاعله. ثمّ برّر عن ذلك بلفظ «بخل»، وهو

على هذا الاحتمال صوت، ثمّ أصبح هذا الصوت يبرور

الزمان اسمًا، واشتقّ منه فعل، ثمّ توسّع فيه وأصبح

أصلًا برأسه، مثل: تأوّه وصخب وغيرهما.

٤- ويدعم هذا الاحتمال احتواء الأصوات على

حروف الملقى فالياء إذ لا يكاد يخلو منها اسم صوت أو

حكايته، كالحاء في الصحيح، وهو صوت الحسية،

والمهملة، أي صوت الفرس، والهاء في الخوار، أي

صوت الثور، والمفتق، صوت النمل، والعين في الرعقة

والسجع، والعين في النّم والتضمّن، والهاء في الهتمة

والهسة، أي الصوت الخفي، والهمزة في التامة، أي

صوت السهم، والزكير: صوت الأسد. والهاء أكثر

دخولًا على حروف الملقى، والهمزة أقلّ دخولًا عليها.

وقيل: هو محذوف، فقدّره الزمخشري: الذين

يخلون ويغفلون ويصنعون أخطاء بكلّ ملامة، وقدّره

ابن عطية: معذّبون أو مجازون ونحوه، وقدّره أبو البقاء:

أولئك فرناؤهم الشيطان، وقدّره أيضًا: مبغضون،

ويحتمل أن يكون التقدير: كافرون وأعدنا للكافرين.

فإن كان ما قبل الخبر متما يقتضي كفرًا حقيقة،

كتفسيرهم (البخل) بأنّه يحمل بصفة رسول الله ﷺ،

ويظهر نبوته، والأمر بالبخل لأتباعهم، أي بكتان

ذلك، وكنتمهم ما تضمنته التوراة من نبوته وشريعته،

كان قوله: «وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ» حقيقة. فإن كان

ما قبل الخبر كفر نعمة، كتفسيرهم أنّها في «المؤمنين»

كان قوله: «وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ» كفر نعمة، ولكلّ من

هذه التقادير مناسب من الآية.

والآية حل هذه التقادير وقول الزجاج في الكثرة:

ويبين ذلك سبب القول المتقدم. (٢٤٦: ٣)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة البخل، وهو الشح، يقال:

بخل فلان يبخل بخلاً وبخلًا، فهو بخيل وبخال وباخل

وبخل أيضًا، وهم بخلاء وبخال وباخلون، وبخل الرجل

بكذا: ضنّ به. ويقال أيضًا: أبخلت فلانًا، أي وجدهته

بخيلًا، وبخلته، إذا نسبه إلى البخل، ومنه: البخلّة، وهو

ما يجعل على البخل، والبخلّة: المرة من البخل.

٢- لم يؤثّر عن العرب أصل يستدّ به هذه المادة مثلما

جاء ذلك في الشح والضن والتفتير وسائر نظائره.

ومما يدعم هذا الاحتمال أيضاً هو انفراد اللفظة العربية بلفظ «البخل» دون سائر أخواتها من اللفظات السامية؛ إذ أن كل لغة بشرية تغرد بألفاظ طيبة تختص بها، وربما تلتقي لسان كائريّة والفارسيّة في لفظ، مثل: به به، عند الإعجاب بالشيء، أو تقتربان في لفظ آخر، مثل: آه وآخ، عند التوجع، أنظر مادة «أوه» من هذا المعجم.

هـ - كل ذلك يرتبط باللفظ، أما المعنى فيبدو من الخصوص أن هناك خلافاً حوله بين اللغويين والمتكلمين، فاللغويون يكتفون بالقول: إنه ضد الكرم والجود، وإنه مشتق الإعطاء، أو منع ما لا ينع منه ولا يضر عطاءه. ويقول المتكلمون: إنه منع الواجب بحيث أنه اسم ذم، لا يطلق إلا على مرتكب الكبيرة ورؤء الزماني بقوله: إنه عورض بأن البخل يمنع ما يستحق منه الذم، لأن البخل مذموم بلا خلاف. وقد يمنع الواجب الصغير، فلا يجوز وصفه بأنه بخيل، وبأنه يلزم على ذلك أن يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة.

ودعم رأيه هذا بقول زهير: بأن البخل ملام حيث كان، وأن البخل منقصة. ثم اختار القول: إن من منع ما لا يضره بذله، ولا ينفعه منه مما تدعو إليه الحكمة، فهو بخيل، لأنه لا يقع المنع على هذه الصفة إلا لشدة في النفس، وإن لم يرجع إلى ضرر.

وقد تبعه الزاغبي - وهو معترلي مثله - فقال: البخل: إمساك المفتريات عما لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود.

ويدعو أن الشيخ الطوسي فض هذا النزاع بقوله: «البخل: منع الثائل لشدة الإعطاء، ثم صار في أسماء الذي منع الواجب، لأن من منع الزكاة فهو بخيل»، فجمع بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي. والحق أن البخل من صفات النفس أولاً، ثم من صفات الفعل، وهو يظهر باقي النفس، وهو داخل في مسائل علم الأخلاق دون الكلام.

٦- كما أن هناك خلافاً آخر في الفرق بين البخل وما يمناه من الألفاظ. فعند الخطائي مثلاً تقدم في الخصوص «البخل» والنوم والشح والفسق والإمساك والذمارة والذقة واحدة.

ولما أبو هلال السكري فقد فرق بينه وبين الفسق والشح فقال: بأن الفسق بالولوي، والبخل بالهين، فلهذا يقال: هو خستين بملحه، ولا يقال: بخيل بملكته... قال الله تعالى: «وَقَاهُ عَنِّي الْفِتْنَةَ بِضَيْنٍ» التكويد: ٢٤، وإن الشح: الحرص على منع الخير، والبخل: منع الحق.

وقد رتب الثمالي أوصاف «البخل» بأنه بخيل ثم تمسك، إذا كان شديد الإمساك لماله، ثم لميز، إذا كان ضيق النفس شديد البخل، ثم شحيح، إذا كان مع شدة بخله حريصاً، ثم فاحش، إذا كان مشدداً في بخله، ثم جلز، إذا كان في نهاية البخل، لاحظ (شرح) و (ضرن) و (وقت) و (مسلك) و (غزل).

الاستعمال القرآني

ورد البخل في القرآن كما يلي:

١- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ

فَسَيُجْزَوْنَ الْعَذَابَ ﴿٨-١٠﴾

٢- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾

فَسَيُجْزَوْنَ الْعَذَابَ ﴿٨-١٠﴾

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٨-١٠﴾

٣- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾

فَسَيُجْزَوْنَ الْعَذَابَ ﴿٨-١٠﴾

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٨-١٠﴾

٤- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾

فَسَيُجْزَوْنَ الْعَذَابَ ﴿٨-١٠﴾

٥- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾

فَسَيُجْزَوْنَ الْعَذَابَ ﴿٨-١٠﴾

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٨-١٠﴾

٦- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾

فَسَيُجْزَوْنَ الْعَذَابَ ﴿٨-١٠﴾

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٨-١٠﴾

٧- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾

فَسَيُجْزَوْنَ الْعَذَابَ ﴿٨-١٠﴾

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٨-١٠﴾

٨- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾

فَسَيُجْزَوْنَ الْعَذَابَ ﴿٨-١٠﴾

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٨-١٠﴾

٩- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾

فَسَيُجْزَوْنَ الْعَذَابَ ﴿٨-١٠﴾

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٨-١٠﴾

١٠- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾

فَسَيُجْزَوْنَ الْعَذَابَ ﴿٨-١٠﴾

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٨-١٠﴾

وتركه الواجب، لا من أجل بخله، أمّا لو عمّ المذنب في

تلك الآيات المسلم والكافر كما لا يعدّ فصعد يد البخل

بترك الواجب وقع في محله.

ولقائل أن يقول: رذيلة البخل وإن كانت لا تنتهي

إلى ترك الواجب، فهي لها سبّة يجب تركها ما دام

الإنسان قادراً على ذلك، فيحاسب عليها إن لم يتركها.

وعليه فصحّ المذنب على نفس البخل من دون ترك

واجب آخر سوى ترك نفسه، وهو ترك واجب، وليس

ترك واجب.

إلا أن كثيراً من المفسرين فسّروا «الآيات» بترك

الحق الواجب، من الزكاة ونحوها، ومن هنا جاء قيد

ترك الواجب في تحديد البخل، وبعضهم عبر عنه بالبخل

الشرعي، ولو تأملت النصوص لوجدت فيها تعليل

ما اخترناه.

نائباً جاء في جملة من الأقوال بدءاً بآية عباس ثم

الزجاج ثم الفخر الرازي (٧٤٨) و(٧٤٩)، ثم محمد عبده

(٧٥٠)، ثم رشيد رضا (٧٥١)، تصيم البخل بمنع العلم.

ولاسيّما في الآيتين (٢) و(٦)، لعموم ﴿عَنَّا أَنَّهُمْ﴾

فُضِّلَهُ ﴿فِيهِمَا لِلْعِلْمِ، ولظهور ﴿وَيُكْفَرُونَ﴾ في (٦) في

العلم، بل ادّعى بعضهم اختصاص هذه الآية بالعلم، فلما

منه أنها نزلت في شأن اليهود الذين كتبوا صفات النبي

التي قرأوها في التوراة.

ولاشاهد له في شيء منها، فإن ظاهر الآيات ذمّ

البخل بدم الإتقاف والإمساك عن أداء الصدقات، بل

البخل حسب وضعه اللغوي منع تقال، كما أن الجود بذل

المال، وليس سياق الآية خاصاً باليهود، بل الآية قبلها

في الإحسان إلى الأقرباء والأيتام وغيرهم، وذيلها ﴿إِنَّ
لِلَّهِ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾. ووصفهم في الآية
(٦) بقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ وَبَاءُورُونَ النَّاسَ يَأْبِغُونَ
وَيَكْتُمُونَ مَا أَنبَأَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وبعدها: ﴿وَالَّذِينَ
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقًا نَّاسٍ...﴾. ﴿وَانْفَقُوا بِمَا رَزَقَهُمُ
اللَّهُ﴾.

وأما الكتمان وإن جاء في اللغة وفي القرآن غالباً في
كتمان العلم والحديث والشهادة والحق، وما أنزل الله من
الكتاب والهدى والبهتان، إلا أنه لا يختص بها، فقد جاء
في قوله: ﴿وَلَا يَحِصِّلُ لَمْنٌ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي
أَرْحَامِهِمْ﴾ البقرة: ٢٢٨. لكتمان الجنين والإمسالك عن
إعلانه.

على أن في حمل ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا أَنبَأَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾
في الآية على المال نكتة لطيفة، وهي أنهم من عبدة
حرمهم على البخل يكتُمون أمر أموالهم التي تنقل الله
بها عليهم، لتلاطمع فيها طامع، ولا يطرُق أبوابهم فقير
أو مسكين. وهذا ما يشاهد فضلاً في البخلاء، حيث
يمشون بزى الفقراء وهم أغنياء، حتى أنهم لا يعرفون
بإدخار المال إلا بعد موتهم، وفي ذلك حكايات طريفة.
وقد حكى القرآن في قصه أصحاب الجنة ﴿فَانظُرُوا
وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾
القلم: ٢٣.

ومع ذلك كله لا تنكر تميم البخل بالعلم والجاء
وسائر الخيرات والمفضائل سوى المال من باب التأويل
والاستمارة تشبيهاً للمعقول بالمحسوس، والمعنويات
بالماديات. فإن التأويل قد يكون بالشمع، مثل تميم

الشمع بمعنى القلب، والحياة بالعلم والإيمان والمعرفة
والرشد والهداية، ومثله في القرآن كثير، وقد تبناه
الصوفية والمعرفاء ويمتدرون عنه بتفسير الإشارة
ويشاهد مثله في أقوال الأئمة من أهل البيت عليهم السلام
والصحابة والتابعين، وقد أوردنا شطراً منها في النصوص
التفسيرية من هذا المعجم كما أن التأويل قد يكون
بتخصيص العام والمطلق، وهو أكثر ما جاء في الروايات
والأقوال التأويلية عند فرق المسلمين، ولا سيما الشيعية
والباطنية وغيرهم.

رابعاً: كما وصف الله المؤمن والكافر بالبخل، فقد
وصفهما بما يؤدي معناه: وقد مضى في النصوص الفرق

وهو غير كاف يحتاج إلى بيان أولي ربما يأتي في
الشرح إن شاء الله فانتظروا.

في الشرح: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُسْلِمُونَ﴾

الحشر: ٩
﴿فَإِذَا دَخَلَ الْخَوْفُ مَلَاقُكُمْ بِأَيْسَرِ جِذَابٍ أَيْسَرَةٍ
عَلَى الْخَيْرِ﴾

ب - الإمساك والقتل: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ
رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَا تُغْنِيَنَّكُمْ حَقِيقَةُ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
قَسُورًا﴾

الإسراء: ١٠٠
ج - غل اليد: ﴿وَلَا تَحْمِلْ يَدُكَ عَقْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ
وَلَا تَهْطِطْهَا كُلُّ الْهَيْطَةِ﴾

الإسراء: ٢٩
﴿وَمَنْ يَفْضَلْ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

آل عمران: ١٦١



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

ب د أ

٦ ألفاظ . ١٥ مرة . ١٤ مكيّة . ١ مدنيّة

في ١١ سورة : ١٠ مكيّة . ١ مدنيّة

بَدَأُ ٣: ٣	بَدَأْنَا ١: ١	بَدَأْتُ أَي قَطَعْتُ . وَيُقَالُ : حَضَوْنَا . [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]
بَدَأَكُمْ ١: ١	بَدَأَ ٦: ٦	وَيُقَالُ : بَدَأَ بَدْءَهُ . أَي بَدَأَ بِأَصْلَابِهِ الْمَكْتَرِي .
بَدَأَكُمْ ١: ١	يُبْدِي ٣: ٣	وَيَقُولُ : قَتَلَ ذَلِكَ عَوْدًا وَبَدَأَهُ . أَوْ فِي عَوْدِهِ وَبَدَأَهُ . أَوْ فِي عَوْدَتِهِ وَبَدَأَهُ .

النصوص اللغوية

أبو عمرو ابن القلاء : الأبداء : المفاصل ، والواحد : بدى ، مقصور ، ويقال : بدء ، وجمعه : بدوء ، مثال بدوع . (الخليل ٨ : ٨٤)	حديثاً . (٨ : ٨٢)
الخليل ، والبداء ، مهموز ، وبدا الشيء بدأ . أي يفعله قبل غيره . والله بدأ الخلق وبدأ ، واحد . والبدى : الشيء المخلوق . وربما استعملوه في أمر عجيب ، قالوا : أمرٌ بدى ، أي عجيب .	الأموي : جاء بأمر بدى وعل «فعل» أي عجيب .
والبدء من الرجال : السيد الذي يُبدى في أول من يُبدى في سادات قومه .	قال : وبدى من بدائته . (الأزهري ١٤ : ٢٠٥)
وأعطيته بدء من اللحم ، وجمعه : أبداء ، يقال :	أبو عبيدة : يقال : للركبة : بدى وبدى . إذا حفرتها أنت ، فإن أصبتها قد حُفرت قبلك فهي خفية ، ورمزم خفية ، لأنها كانت لإسماعيل هانفت . [ثُمَّ استشهد بشعر] (الأزهري ١٤ : ٢٠٦)

أبو زيد: أبدأت من أرض إلى أرض أخرى، إذا خرجت منها إلى غيرها إبداءً. ويُدَى فلان فهو مبدوء. إذا أخذه الجدري أو الخصب، وبدأت بالامر بَدْءً.

(الأزهري ١٤: ٢٠٦)

الأصمعي: يَدَى الرجل فهو مبدوء، إذا جدير فهو مجذور. والبَدْء: خير نصيب في الجزور، وجمعه: إبداء.

[ثم استشهد بشر]

ويقال: أهدأه بَدْءًا الجزور، أي خيرة الأنبياء.

(الأزهري ١٤: ٢٠٥)

اللحياني: كان ذلك في بَدْءَاتنا وبدَأَتنا، بالتصغير والمدة. ولا أدري كيف ذلك. وفي تَبْدَأَتنا، قد أبدأنا وبدَأنا.

(ابن منظور ١: ٢٧)

أنت بادئ الرأي ومبدئه ثريد ظلمنا. أي كنت في أول الرأي ثريد ظلمنا.

(ابن منظور ١: ٢٧)

أما بادئ بَدْءٍ فإني أحمد الله، وبادئ بَدْءًا، وبادئ بَدْءٍ، وبدا بَدْءٍ، وبَدْءًا بَدْءًا، وبادئ بَدْءٍ، وبادئ بَدْءٍ، أي أما بَدْءُ الرأي فإني أحمد الله. (ابن منظور ١: ٢٧) بدئ الرجل يبدأ بَدْءً: خرج به يثر شبه الجدري. قال بعضهم: هو الجدري بعينه.

ورجل مبدوء: خرج به ذلك. (ابن منظور ١: ٣٠) ابن السكيت: قد بدأت بالشيء وقد يموت له، إذا ظهرت له.

فَخَلَبَ: أفعله بَدْءً ولؤل بَدْءٍ. (الزبيدي ١: ٤٢) ابن دريد: أبدأت الشيء، إذا أنشأته أهدأه إبداءً، وبدأته أيضًا، والله المبدئ المعبد. وقد قالوا: بادئ عائد.

(٣: ٢٠٢)

[ثم استشهد بشر]

الأزهري: بدأ الله الخلق وأبداهم.

البَدْء: البئر البديء التي ابتدئ حفرها فسميت حديثاً، وليست بهادياً، وترك فيها الحمز في أكثر كلامهم.

ويقال: فعلت ذلك عوداً وبدءاً.

ويقال: أهدأه بَدْءًا الجزور، أي خيرة الأنبياء.

(١٤: ٢٠٥)

الصاحب: البَدْء - مبدوء - مصدر بدأ يبدأ وهو أن يفعل شيئاً قبل غيره. والله بدأ الخلق وأبداهم - سبحانه وتعالى.

والبديء: الشيء المخلوق. والأمر العجيب.

وبئر بدية: هي التي ابتدئ حفرها في الإسلام، وبئر بَدْءٍ، وماء بَدْءٍ - على قتل - بقاء. وبدئت في الأمر وبدأت.

وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَزْلَلْنَا بِادِي الرأْي﴾ هود: ٢٧، أي لبداه الرأي.

وفي المثل: «أبداهم بالصراخ يفرؤاه».

والبدء من الرجال: السيد الذي يبدئ في أول من يبدئ. والبدء: الكريم، والجمع البدءاء والأبداء. والبدء من اللحم: النخضة. ويقال: عضواً تام. ورجل مبدوء: أي مجذور.

وما يعيد وما يبدئ: إذا لم يكن له حيلة.

وفعل ذلك عوداً وبدءاً، وفي عودته وبدءه، وفي عودته وبدءته.

والبدء من كل شيء: خياره. وجمعه: بَدْءٌ. والنصيب من أنبياء الجزور، وجمعه: بَدْءٌ، وقيل: هو

التَّبَرُّزُ والقَصَصُ والوَرِكَانُ والكَيْفَانُ والْقَهْمَانُ.

والبَدْءُ من القِدَاحِ: القَانِزُ.

ويقال عند المناظلة: لك البَدْءُ والْبَدَاءَةُ - بوزن

كَمَالَةٍ خَفِيفٌ - وَهَذَاهُ - بوزن فَصَالَةٍ - أي لك أن تبدأ

قبل غيرك الزمي.

وكلمته في بَدْءَاتِهِ: أي انْخِلَاقِهِ إلى مَكْتَبَةٍ

واكْثَرُ لِلْبَدْءِ: أي لِلرَّجْعَةِ.

وأبدأ القوم: إذا خرجوا من بلد إلى بلد.

وافعل كذا بَدْءًا مَّا وَبَدْءَ ذِي بَدْءٍ: أي انْثَرَا مَّا، وابتدأ به

أَوَّلَ شَيْءٍ وَبَادِي بَدْءٍ وَبَادِي بَدْءٍ وَبَادِي بَدْءٍ وَبَدْءَ

ذِي بَدْءٍ وَبَادِي بَدْءٍ: أي السَّاعَةَ السَّاعَةَ.

وهاتين من ذِي كِبَرٍ وَمِنْ ذِي كِبَرٍ: أي أَحَدٍ

الكَلِمَةِ مِنْ أَوَّلِهَا.

وبَدْءُ ذِي بَدْءٍ: يُسَمَّى وَلَا يُسَمَّى.

والبَدْءُ: ثَرَابٌ مِنَ الثَّرَى يَجْتَمِعُ كَأَنَّهَا الْكَمَةُ.

(٣٧٤: ٩)

الْجَوْهَرِيُّ: بَدَأْتُ بِالشَّيْءِ بَدْءً: ابْتَدَأْتُ بِهِ، وَبَدَأْتُ

الشَّيْءَ: فَعَلْتَهُ ابْتَدَأً.

وبدأ الله الخلق وأبدأهم، بمعنى.

ويقال: رَجَعَ عَوْدُهُ عَلَى بَدْءِهِ، إِذَا رَجَعَ فِي الطَّرِيقِ

الَّذِي جَاءَ مِنْهُ.

وَهَلَانِ مَا يَبْدُو وَمَا يَسِيدُ، أَيِ مَا يَتَكَلَّمُ بِبَادِيَةٍ

وَلَا عَائِدَةٍ.

والبَدْءُ: السَّيِّدُ الْأَوَّلُ فِي السِّيَادَةِ، وَالشَّيْءَانِ: الَّذِي

يَلِيهِ فِي السُّوْدُدِ. [ثم استشهد بشعر]

والبَيْدِيُّ: الْأَمْرُ الْبَدِيعُ، وَقَدْ أَبْدَأَ الرَّجُلُ، إِذَا جَاءَ

بِهِ. [ثم استشهد بشعر]

والبَدْءُ والبَيْدِيُّ: الْبَرُّ الَّذِي حَفَرَتْ فِي الْإِسْلَامِ.

وليس ببادية.

وفي الحديث: «حَرَّمَ الْبَرُّ الْبَدِيَّ» خمس وعشرون

ذُرْعًا.

والبَدْءُ والبَيْدِيُّ أَيضًا: الْأَوَّلُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَفْعَلُهُ

بَادِي بَدْءٍ عَلَى «فَعْلٍ»، وَبَادِي بَدْءٍ عَلَى «فَعِيلٍ»، أَيِ

أَوَّلِ شَيْءٍ، وَالْبَاءُ مِنْ «بَادِي» مَا كُنْتُ فِي مَوْضِعِ النَّصَبِ،

هَكَذَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ، وَرَبَّمَا تَرَكُوا هِمَزَهُ لِكَثْرَةِ الْإِسْتِمَالِ،

عَلَّ مَا نَذَرَهُ فِي بَابِ الْمُحْتَلِّ.

ويقال أَيضًا: أَفْعَلُهُ بَدْءًا ذِي بَدْءٍ، وَبَدْءًا ذِي بَدْءٍ.

أَيِ أَوَّلِهِ أَوَّلًا.

وقولهم: لك البَدْءُ والْبَدَاءَةُ، وَالبَدْءُ - أَيضًا - بِالْمَدِّ،

أَيِ لَكَ أَنْ تَبْدَأَ قَبْلَ غَيْرِكَ فِي الزَّمَنِ نَوْ غَيْرِهِ. (٣٥: ١١)

أَبْنُ فَارِسٍ: الْبَاءُ وَالذَّالُ وَالْهَمْزَةُ مِنْ اقْتِطَاعِ

الشَّيْءِ، يُقَالُ: بَدَأْتُ بِالْأَمْرِ وَابْتَدَأْتُ، مِنْ الْإِبْتِدَاءِ.

وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُبْدِي وَالْبَادِي. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى هَزَّوَجَلَّ:

«إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُهَيِّئُ» البروج: ١٣، وَقَالَ تَعَالَى:

«كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ» النكبات: ٢٠.

ويقال للسَّيِّدِ: البَدْءُ، لِأَنَّهُ يُبْدَأُ بِذِكْرِهِ. [ثم استشهد

بشعر]

وتقول: أَبْدَأْتُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أُخْرَى أُبْدِي إِبْدَاءً، إِذَا

خَرَجْتَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا، وَابْتَدَأْتُ: التَّصَيَّبُ، وَهُوَ مِنْ هَذَا

أَيضًا، لِأَنَّ كُلَّ ذِي نَصِيبٍ فَهُوَ يُبْدَأُ بِذِكْرِهِ دُونَ غَيْرِهِ،

وَهُوَ أَهْمُهَا إِلَيْهِ. [ثم استشهد بشعر]

والبَدْءُ: مَفَاصِلُ الْأَصَابِعِ، وَاحِدُهَا: بَدْءٌ، مِثْلُ

يُدْعُ، وَأَظَنَّهُ مِمَّا هُوَ وَلَيْسَ أَصْلُهُ الْهَمْزُ. وَإِنَّمَا سَمَّيْتُ
بُدْوَ لِبُرُوزِهَا وَظُهُورِهَا، فَهِيَ إِذَا مِنْ الْبَابِ الْأَوَّلِ.

وَمِمَّا شَدَّ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ، وَلَا أَدْرِي مِمَّ اسْتَقْبَلَهُ
قَوْلُهُمْ: بُدِيٌّ فَهُوَ مَبْدُوءٌ، إِذَا جُدِيرٌ أَوْ حُجِيبٌ. [ثم
استشهد بنصر]

أَبُو هِلَالٍ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُبْدِيِّ وَالْمُبْدِي: أَنَّ الْمُبْدِيَّ
لِلْفِعْلِ هُوَ الْمَحْدُوثُ لَهُ، وَهُوَ مُفْتَنٌّ بِالْإِعَادَةِ، وَهِيَ فِعْلُ
الشَّيْءِ كَرَّةً ثَانِيَةً، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. فَأَمَّا
قَوْلُكَ: أَعَدْتُ الْكِتَابَ، فَحَقِيقَتُهُ أَنَّكَ كَرَّرْتَ مَسْنَدَ
فِكَائِكَ قَدْ أَعَدْتَهُ.

وَالْمُبْدِيُّ بِالْفِعْلِ هُوَ الْفَاعِلُ لِبَعْضِهِ مِنْ غَيْرِ تَشْتِئَةٍ
وَلَا يَكُونُ إِلَّا لِفِعْلِ يَطْوُلُ، كَثَبْتُهُ بِالصَّلَاةِ وَالْمَأْكَلِ
وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ أَوَّلِ أَخْذِهِ فِيهِ. (٢٠٦)

الْفَرَوِيُّ: فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَهُ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «مَنْعَتُ الرَّاغِبِ دَرْعَهَا وَتَقَبَّضَهَا، وَمَنْعَتُ الْقَائِمِ
مُدْبِئَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنْعَتُ مَصْرَ إِزْدِيَّيْهَا، وَخُدْمٌ مِنْ حَيْثُ
بَدَأَتْ».. وَهَذَا كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «نَحْنُ بَدَأْنَاكُمْ
تَحْوِيلًا» قَرِيبًا هَذِي وَقَرِيبًا حَتَّى غَلَبَتْهُمُ الضَّلَالَةُ
الْأَحْرَافُ: ٢٩، ٣٠. [ثم شرح ألفاظ الحديث إلى أن
قال:]

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّهُ نَقَلَ فِي الْبَدْءِ الرَّبِيعَ، وَفِي الرَّجْمَةِ
الْثَلَاثَ». أَرَادَ بِالْبَدْءِ: ابْتِدَاءَ السَّفَرِ، يَحْتَمِلُ فِي الْفُرُوزِ،
وَيُقَالُ: اكْتَبَرُ لِلْبَدْءِ بِكَذَا، وَلِلرَّجْمَةِ بِكَذَا.

وَفِي الْحَدِيثِ: «الْحَبِيلُ مَبْدَأُ يَوْمِ الْوَرْدِ» أَيُّ مَبْدَأُ يَوْمِ
فِي التَّقْيِ قَبْلَ الْإِبِلِ وَالنَّعَمِ. (١٣٨: ١)

الطُّوسِيُّ: الْبَدْءُ: فِعْلُ الشَّيْءِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَالصُّودُ:

فَعْلُهُ ثَانِي مَرَّةً. وَقَدْ يَكُونُ فِعْلُ أَوَّلِ خِصْلَةٍ مِنْهُ بَدْءٌ،
كَبَدْءِ الصَّلَاةِ، وَبَدْءِ الْقِرَاءَةِ. بَدَأَهُمْ وَأَبْدَاهُمْ لَفْتَانِ.

(٤١٤: ٤)
الْبَدْءُ: أَوَّلُ الْفِعْلِ، وَهُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ أَوَّلُ الْفِعْلِ، وَهُوَ جُزْءٌ مِنْهُ مُقَدَّمٌ عَلَى
غَيْرِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَوْجُودٌ قَبْلَ غَيْرِهِ مِنْ طَرِيقِ الْفِعْلِيَّةِ،
يُقَالُ: بَدَأَ يَبْدَأُ بَدْءً، وَابْتَدَأَ يَبْتَدِئُ ابْتِدَاءً، وَالْإِبْتِدَاءُ:
نَقِضُ الْإِنْتِهَاءِ، وَالْبَدْءُ: نَقِضُ الْقَوْدِ. (٢٣٤: ٨)
الْوَاضِعُ: يُقَالُ: بَدَأْتُ بِكَذَا وَأَبْدَأْتُ وَابْتَدَأْتُ، أَيُّ
فَعَمْتُ.

وَالْبَدْءُ وَالْإِبْدَاءُ: تَقْدِيمُ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِهِ ضَرْبًا مِنْ
التَّقْدِيمِ.

وَمَبْدَأُ الشَّيْءِ، هُوَ الَّذِي مِنْهُ يَتَرَكَّبُ أَوْ مِنْهُ يَكُونُ،
فَالْحُرُوفُ مَبْدَأُ الْكَلَامِ، وَالْخَشَبُ مَبْدَأُ الْبَابِ وَالشَّرِيرُ،
وَالنَّوَاءُ مَبْدَأُ النَّخْلِ.

يُقَالُ لِلْمَبْدِئِ الَّذِي يُبْدَأُ بِهِ إِذَا عُدَّ السَّادَاتُ: بَدْءٌ،
فَأَمَّا هُوَ الْمَبْدِئُ الْمَعْدُ: أَيُّ هُوَ السَّبَبُ فِي الْمَبْدِئِ وَالنَّهْيَةِ.
وَيُقَالُ: رَجَعَ عَوْدَةً عَلَى بَدْءِهِ، وَلَطَمْتُ ذَلِكَ عَائِدًا
وَبَادِنًا وَمُحِبًّا وَمُجِبِّئًا، وَأَبْدَأْتُ مِنْ أَرْضٍ كَذَا، أَيُّ
ابْتَدَأْتُ مِنْهَا بِالْخُرُوجِ.

وَالْبَدْءُ: التَّصِيبُ الْمُبْدَأُ بِهِ فِي الْقِسْمَةِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِكُلِّ
قِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ عَظِيمَةٍ: بَدْءٌ. (٤٠)

الْمُتَدِينِيُّ: فِي حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فِي حَرَمِ
الْبَيْتِ: «الْيَدْيُ، خَمْسٌ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا» الْيَدْيُ، الَّتِي
الْبَدْءُ، فَحُفِرَتْ فِي الْإِسْلَامِ، فِي أَرْضِ مَوَاتٍ، وَلَمْ تَكُنْ

هادية.

في ظاهر الرأي والنظر.

(١: ١٠٢)

ابن منظور: في أسماء الله عز وجل المبتدئ: هو الذي أنشأ الأشياء، واختارها ابتداءً، من غير سابق مثال.

والبتدية والبتداء والتبداهة أول ما يتحرك، الخاء فيه بدل من الهاء. [إلى أن قال:]

والابتداء في القروض: اسم لكل جزء يتصل في أول البيت بطلقة، لا يكون في شيء من حشو البيت، كالخزيم في الطويل والوافر والمخرج والمتقارب، فإن هذه كلها يستعمل واحد من أجزائها إذا اعتل «ابتداء».

وذلك لأن «فعلون» تحذف منه القاء في الابتداء، ولا تحذف القاء من «فعلون» في حشو البيت البتة، وكذلك أهل «مفاعلاتن» وأول «مفاعيلن» يحذفان في البيت. ولا يستعمل «مستقبلن» في البسيط وما أنسبه من الألفاظ.

وذهب الأخفش: أن التكامل جعل «مفاعلاتن» في أول المديد «ابتداء».

ولم يدر الأخفش لم جعل «فاعلاتن» ابتداءً، وهي تكون «فعلاتن» و«فاعلاتن»، كما تكون أجزاء المنشوء.

وذهب إلى الأخفش أن التكامل جعل «فاعلاتن» هنا ليست كالمنشوء، لأن ألقها تسقط ألقاً بلا معاقبة، وكل ما جاز في جزئه الأول ما لا يجوز في حشوه، فاسمه «الابتداء»، وإنما سمي ما وقع في الجزء ابتداءً لابتدائك بالإعلاء. [إلى أن قال:]

والبتدء: السيد، وقيل: الشاب المستجد الرأي، المشارة والجمع: بدوء. [إلى أن قال:]

في الحديث: «أن عائشة رضي الله عنها، قالت في اليوم الذي بُدئ فيه رسول الله ﷺ، وأرأساه».

قال الأصمعي: يقال: متى بُدئ فلان؟ أي متى تمريض؟ ويقال ذلك للذي مات: متى بُدئ؟ أي متى مريض؟ (١: ١٣٦)

ابن الأثير: في أسماء الله تعالى، «المبدئ» هو الذي أنشأ الأشياء واختارها ابتداءً، من غير سابق مثال.

وفي الحديث: «أنه نزل في البداة الزرع»، وفي الترجمة الثالثة «أراد بالبداة ابتداء الفزوة، وبالترجمة القول منه».

والمعنى كان إذا نهضت سرية من جملة المسكر المتبل على المدوة فأوقعت بهم قتلها الزرع بما غيبت.

وإذا فعلت ذلك عند هود المسكر قتلها الثلث، لأن الكثرة الثانية أنشأ عليهم، والمنظر فيها أعظم؛ وذلك لفرة الظهر عند دخولهم، وضعفه عند خروجهم، وهم في الكثرة

أنشط وأشهى للسير والإيمان في بلاد العدو، وهم عند القول أضغف وأفقر، ولشهى للرجوع إلى أوطانهم، فزادهم لذلك.

ومنه حديث علي رضي الله عنه: «ولله لقد سمعت يقول: ليضمركم على الذين هوداً كما ضمرتموهم عليه بدئه أي أولاً، يعني: العجم والموافي».

ومنه حديث الحديثية: «يكون لهم بدؤ الفجور وثناء» أي أوله وآخره...

وفي حديث الفلام الذي قتله المنصور: «فاطلق إلى أحدهم بادئ الرأي فقتله» أي في أول رأي رآه وابتدأ به.

ويجوز أن يكون غير مهموز، من البدؤ: الظهور، أي

وأبدأ الرجل: كناية عن الشُّجُو، والاسم البداء.
ممدود.

وَأَبْدَأُ الصَّيِّ: خرجت أسنانه بعد سقوطها.

(57:1)

الفهرز ابادي : بدأ به كمنع : ابتداءً ، والشئ :
ضله ابتداءً كأبداءً وابتداءً ، ومن أرضه : خرج ، وله
الخلق : خلقهم كأبداءً فيها .

ولك الهدى والهداة واليهام، ويؤمنان، والهدية.
 أي لك أن تهدي، والهدية: الهدية كالهدايا.

وأفعله بَدَأَ، وأَوَّلَ بَدَأَ، وبَادِيَ بَدَأَ، وبَادِي بَدَأَ،
وبَادِي بَدَأَ، وَبَدَأَ ذِي بَدَأَ، وَبَدَأَ ذِي بَدَأَ، وَبَدَأَ ذِي
بَدَأَ، وَبَدَأَ ذِي بَدَأَ، وَبَدَأَ ذِي بَدَأَ، وَبَدَأَ ذِي
وَبَدِيءَ بَدَأَ، وَبَادِي بَدَأَ، وَبَادِي بَدَأَ، وَبَادِي بَدَأَ،
وَبَدِيءَ ذِي بَدَأَ، وَبَادِي بَدَأَ، وَبَادِي بَدَأَ، وَبَادِي بَدَأَ،
وَبَدَأَ بَدَأَ، وَبَادِي بَدَأَ، أَي لَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ
وَرَجَعَ حَوْثَهُ إِلَى بَدَأِهِ، وَلِي حَوْثُهُ وَبَدَأُهُ، وَلِي
حَوْثُهُ وَبَدَأُهُ، وَحَوْثُهُ وَبَدَأُهُ، أَي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جَاءَ
نَهْ.

وما يُدِيْ وما يُعِيْدُ: ما يَتَكَلَّمُ بِهَادِيَةٍ وَلَا مَعَايِدَةٍ.

وَالْبَيْتَةُ: الْمَسِيدَ وَالنَّائِبَ الْعَاقِلَ، وَالنَّصِيبَ مِنَ
الْحَزُونِ كَالْبَيْتَةِ، وَالْجَمْعُ: أَيْدَاءُ وَيُدَوِّءُ.

وكالهدى الخلق ، والأمر الخيدع ، والبشر
الإسلامية ، والأول كالبند.

وَيُنَى بِالضَّمِّ بَدْءُ: جَيْرٌ، أَوْ حُصْبٌ بِالْحَصْبَةِ.

وبكاه ككتان: اسم جماعة، والبدنة بالضم: نبت، وكان ذلك في بدانتنا مثلك الباء، وفي بدانتنا حركة، وفي

مُهِدْنَا وَمُهْدَيْنَا وَمُهْدَاتَنَا كَذَا فِي «الْبَاهِر»، لَابَن
عَدُوس.

الفَيُومِيّ: بَدَلْتُ الشَّيْءَ وَبِالشَّيْءِ أَفْدَأُ بَدَلْتُ بِهِمُ
الْكُلَّ. وَلِبَدَأْتُ بِهِ: قَدَّمْتُهُ. وَأَبْدَأْتُ لَفْعًا: أَسَمْتُ مِنْهُ أَيْضًا.
وَالْبَدَايَةُ بِالنِّبَاءِ مَكَانَ الْحُمْزِ، عَامِيٌّ نَصَّ عَلَيْهِ ابْنُ
بَرِّي وَجَمَاعَةٌ.

والبدء مثل ثمرة بعاء، يقال: لك البداء، أي
الابتداء، ومنه يقال: فلان بدء قوم، إذا كان سيدهم
ومقتهم، وكان ذلك في ابتداء الأمر، أي في أوله.
وبدأ الله تعالى الخلق وأبدأهم بالآلاف: خلقهم.
وبدأ البشر: أحضرها، فهي بدية، أي حادثة، وهي
خلاف العادة القديمة.

والبدىء: الأمر العجيب.

وهذا الشيء: حدث، وأهدياته: أحداثه. (١: ٤٠)

يُطْلَقُ ابْنُ سَرِيٍّ وَالتَّوْبِيُّ مِنْ يَقُولِ: الْبِدَايَةُ،
وَيُرْمَنُ أَنَّهَا لَحْنٌ، وَيَقُولُ الْمُطَّرِّزِيُّ وَالْمَصْبَاحُ: إِنَّهَا لُغَةٌ
عَامِيَّةٌ. وَيَرَى هَؤُلَاءِ مَعَ اللِّسَانِ، وَالتَّجَاجِ، وَالْمَدَّ أَنْ
الصَّوَابَ هُوَ: الْهَدَاةُ.

ولكن يميز استعمال البداية كل من زهير بن أبي
سُلَمى، وعبد الله بن رواحة الأنصاري، وابن جني،
وابن التُّغَاف، والنَّسَّاب، والتَّاج، ومحيط المحيط، والمثنى.
قال زهير بن أبي سُلَمى:

جَبْرِيٌّ - مَتَى يُظْلَمُ يُعَاقِبُ ظُلْمُهُ

مَرْجًا وَلَا يَمُتُ بِالْفُلْمِ يَقْلَمُ

وقال ابن جني في «سير الصناعة»: العرب أبدلوا

الهمزة لنير حلة، طلباً للتخفيف، كقولهم: قرئتُ، في قرأتُ، وبدئتُ، في بدأتُ، وتوضيتُ، في توضأتُ. ثم استشهد بيت زهير، وقال: إن الشاعر أراد بكلمة «يبدأ»: يبدأ، غطيت الهمزة ألفاً، ثم حذفت للجواز، فن قال: بداية، بناءً على هذه. وظاهر كلام ابن جني اطراءه، فلاحظنا في قولنا: بداية أو بدءاً.

وقال عبد الله بن ربيعة الأنصاري:

باسم الإله، وبه نبينا

ولو عهدنا غيره، شقينا

وفي إحدى نسخ «الصحاح»: بدئنا.

وقال ابن الططاع: إن البداية لغة أنصارية: بدأت بالثي. وبدئت به: قدمته، ثم استشهد بيت ابن ربيعة.

وحنا لك مصادر أخرى، هي:

بدء: التهذيب، والصحاح، والمحكم، والمصباح، والتاج، والمد.

وبدأ: الأصمعي، والتاج، والمد.

والبداة: الصحاح، والمحكم، والمصباح، والقاموس، والتاج، والمد.

والبداة: الصحاح، والمحكم، والقاموس، والتاج، والمد.

والبداة: اللسان، والمد.

والبداة: المحكم، والقاموس، والتاج، والمد.

والبداة: الصحاح، والمحكم، والقاموس، والتاج، والمد.

والتاج، والمد.

والبداة: المحكم، والمغرب، والتاج، والمد.

والبداة: المحكم، والقاموس، والمد.

والبداة: التهذيب، والتاج، والمد.

وهذا يجعلنا نستعمل هذه المصادر كلها، دون أن نخشى أن ينكر ذلك أحد علينا.

بدأ الله الخلق وابتدأهم.

جاء في «مفردات» الزاغب الأصفهاني، وهو أساس

البلاغة للزمخشري: الفعل بدأ وحده، بمعنى خلق.

والحقيقة هي أن بدأ الله الخلق وأبداهم جملتان وردتا في

القرآن الكريم، في الآية «٢٠» من سورة العنكبوت،

قال تعالى: «وَقُلْ جِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ

الْخَلْقَ». وقال في الآية «١٩» من سورة العنكبوت

أيضاً: «أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ».

وأجاز استعمال جملتي: أبدأ الخلق وأبداهم أيضاً.

كل من معجم الفاظ القرآن الكريم، وأدب الكاتب في

باب أبنية الأفعال، والصحاح، ومعجم مقاييس اللغة،

والمحكم، والمختار، واللسان، والمصباح، والقاموس،

والتاج، والمد، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن،

والوسيط.

وطه: بدأ يبدأ بدءاً، وبداءة.

ومن معاني بدء:

١- حدث ونشأ.

٢- بدأ من مكان إلى آخر: انتقل.

٣- بدأ يفعل كذا: أخذ وشرع.

٤- بدأ في الأمر وعاد: تكلم فيه مرة بعد أخرى.

٥- بدأ البشر: احتضرها، فهي بديءة.

١- بدأ الشيء به : قتله قبل غيره وفضله.

ومن معاني أبدأ:

١- جاء بالبدىء: العجيب.

٢- أبدأ الشيء: نبتت أسنانه بعد سقوطها.

٣- أبدأ من مكان إلى آخر: انتقل. (٤٦)

محمود شيت: ١- أبدأ بدءاً، وبدلاً: حَدَّثَ

وَنَشَأَ. ومن مكان إلى مكان آخر: انتقل. وفضل كذا:

أخذ وشرع، والبر: أحضرها، فهي بدىء.

ب - البدء: أول كل شيء. والتبدؤ الأول في

السيادة، جمعه: أبداء، وبدوء.

ج - البداءة: أول الحال والنشأة.

د - البدائي: المنسوب إلى البداءة، وفي علم

الاجتماع: ما كان في الطور الأول من أطوار علم التشو.

هـ - المبدأ: مبدأ الشيء: أوله ومأخذه التي يتكون

منها، كالتواقة مبدأ النخل، أو يتركب منها، كالحروف

مبدأ الكلام، جمعه: مبادئ. ومبادئ السلم أو الفن أو

الحكمتي أو القانون أو الدستور: قواعده الأساسية التي

يقوم عليها، ولا يخرج عنها.

٢- البدء: أول كل شيء. يقال: بدء السير، و بدء

الطريق، و بدء فتح النار: بدء إطلاقه.

ب - المبدأ: القاعدة الأساسية، يقال: مبادئ

الحرب: قواعدها الأساسية. وتعريف مبادئ الحرب في

الجيش: هي القواعد الأساسية التي يعتمد عليها القتال في

الحرب، وهي عشرة مبادئ. (٧١: ١)

المصطفوي: الأصل الواحد في هذه المادة هو

الابتداء والافتتاح، وهذا اللفظ يطلق على كل مبتدئ

ومفتتح.

فالبدىء: الأمر العجيب الذي لا سابقة له، فهو

مبتدئ في موضوعه، ومثله إذا كانت بمعنى المحدث، إذا

لم يكن مسبقاً بخيره، وكذلك الإنشاء والاختراع من

دون سابقة، ومنه حفر البحر، أي إيجادها وإنشاؤها.

والإبداء: هو البدء بتفاوت الصيغة، فإن صيغة

«إفصال» كما سبق للدلالة على ظهور الفعل مستباً إلى

الفاعل، في فعال صيغة «تفعيل».

وأما معنى الظهور فهو من «البدوء»، والظاهر أن

التصيب والمبدؤ والتبث مأخوذة من هذه المادة.

فراجعها. (٢٦١: ١)

النصوص التفسيرية

بدأ

١- فبدأ بأزواجهم قبل وعاء أخيه ثم أنشأ رجلاً من

وعاء أخيه. يوسف: ٧٦

الطبرسي: أخبر الله تعالى أن يوسف أمر أصحابه

بأن يفتشوا أوعيتهم ورحلاتهم، وأن يتدبوا بأوعية

الجماعة قبل وعاء أخيه، ليكون أبعد من التهم، فلما

لم يجدوا فيها شيئاً أمر حينئذ باستخراجها من وعاء

أخيه. (١٧٤: ٦)

نحوه الميبدئي (١١٢: ٥)، والبهوتي (٢٦٤: ٣)،

والخازن (٢٦٤: ٣).

الزمخشري: فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء

بنيامين، لئلا التهمة حتى بلغ وعاءه. (٣٣٥: ٢)

نحوه الطبرسي (٢٥٣: ٣)، وابن الجوزي (٤: ٤).

مساكن يقصرون الماضية وديارهم وآثارهم كيف
أعطاهم، لتعلموا بذلك كمال قدرة الله. (١٣: ٣٣٧)

أبو حيان: قرأ الزهرى (كيف بدأ الخلق) بتخفيف
الحزبة بإبدالها ألفاً، فذهبت في الوصل، وهو تخفيف غير
لياسي. [ثم استشهد بشعر] (٧: ١٤٦)

الآلوسي: لعل التعبير في الآية الأولى^(١)
بالمضارع، أعني «يُبدئ» دون الماضي كما هنا،
لاستحضار الصورة الماضية لما أن بدء الخلق من مادة
وغيرها لم يرب من بدء الخلق على أطوار مختلفة، على
معنى أن خلق الأنبياء أغرب من جعل أطوارها مختلفة.
وقيل: في وجه التعبير بما ذكر إفادة الاستمرار

التجديدي، وهو بناء على المعنى الثاني في الآية. وقال
بعضهم في تنابر التكليين: إن هذه عيني وذلك علمي، أو
هذا آفاقي والأول أنصبي. (٢٠: ١٤٧)

٢... وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. السجدة: ٧
الطوسي: أي ابتداء خلق الإنسان من طين، يريد
أنه خلق آدم الذي هو أول الخلق من طين، لأن الله
تعالى خلق آدم من تراب فقلبه طيناً، ثم قلب الطين
حيواناً، وكذلك قال: «إِنْ مَثَلْ هَيْشٍ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ
خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» آل عمران: ٥٩.
وقال هاهنا: «وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ» وكل
ذلك لما في التصريحين دليل. (٨: ٢٩٧)
نحوه الطبرسي. (٤: ٣٢٧)

(١) «أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ...»
المنكوت: ١٩.

(٢٦٠)، والفخر للزراي (١٨: ١٨١)، والفخر طي (٩).
٢٣٥. والبيضاوي (١: ٥٠٢)، وأبو حيان (٥: ٣٣٢)،
وأبو الشؤد (٣: ٨٥)، والبروسوي (٤: ٣٠٠).

ابن عطية: بدء من أوعيتهم تمكين للحيلة،
وإعداد لظهور أنها حيلة. (٣: ٢٦٥)

الآلوسي: هذا قيل: للؤذن، ودجج بترب
سبق ذكره، وقيل: يوسف عليه السلام. فقد روي أن إخوته لما
قالوا ما قالوا، قال لهم أصحابه: لابد من تفتيش
رجالكم، فردوهم بعد أن ساروا منزلاً، أو بعد أن
خرجوا من العبارة إليه عليه السلام فبدأ بأوعيتهم، أي بتفتيش
لوعية الإخوة العشرة.

ورجح ذلك بمقابلة يوسف عليه السلام، فإنها تقتضي
ظاهراً وقروح ما ذكر بعد ردهم إليه. ولا يخفى أن الظاهر
أن إسناده التفتيش إليه عليه السلام بمازى. والمنشور حقيقة
أصحابه بأمره بذلك. (١٣: ٢٦٥)

الطباطبائي: فيه تلميح على ما تقدم، أي أخذ
بالتفتيش والفحص بالبناء على ما ذكره من الجزاء، فبدأ
بأوعيتهم وظروفهم قبل وعاء أخيه، للتسوية عليهم
حذراً من أن يتنبهوا، ويتفطنوا أنه هو الذي وضعها في
رُحل أخيه، ثم استخرجها من وعاء أخيه، وعند ذلك
استقر الجزاء عليه، لكونها في رُحله. (١١: ٢٢٥)

٢- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ.
المنكوت: ٢٠

القرطبي: حل كثرتهم وتفاوت هياتهم
واختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم، وانظروا إلى

ابن عطية: وقرأ الزهري (وبدأ خلق الإنسان) بألف دون همزة، وينصب القاف، وذلك على البدل لأعلى التخييف، كأنه أبدل الباء من «يدي» ألقا، و«يدي» لغة الأنصار، [تم استشهد بشعر] (٤١: ٢٥٩) نحوه أبو حيان (٧: ١٩٩)، والأكوسي (٢١: ١٢٢).

بَدَأَكُمْ

قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ بَدَأْتُ بِالنَّاسِ وَأَبْرَأْتُكُمْ مِنْهُمْ يَدْعُونَ كُلَّ مُسْجِدٍ وَآذُنَةٍ غُصَصَتْ لَهُ أَبْوَابُ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعْمَدُونَ. (الأعراف: ٢٩)

النبي ﷺ، شمت كل نفس على ما كانت عليه. (الطبري ٨: ١٥٦)

ابن عباس: إن الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمناً وكافراً، كما قال جل ثناؤه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا﴾ الشهاب: ٢، ثم يبعدهم يوم القيامة، كما بدأ خلقهم مؤمناً وكافراً.

(الطبري ٨: ١٥٦)

مثله مجاهد. (الطبري ٨: ١٥٧)

كما خلقناكم أول مرة، كذلك تعمدون.

قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة، فقال: «يا أيها الناس إنكم تمحشرون إلى الله حفاة غرلاً» ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُعْبِدُوهُ وَعَدْنَا عَنَكُمَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٤.

هو إعلام بالبعث، أي كما أوجدكم واخترعكم كذلك يبيدكم بعد الموت.

مثله مجاهد، والحسن، وقتادة. (أبو حيان ٤: ٢٨٨)

بأنه إعلام بأن من كتب عليه أنه من أهل الشقاوة والكفر في الدنيا هم أهل ذلك في الآخرة، وكذلك من كتب له السعادة والإيمان في الدنيا هم أهل ذلك في الآخرة، لا يتبدل شيء مما أحكمه ودينه تعالى.

مثله جابر بن عبد الله، وأبو العالية، وابن كعب القرظي، وسعيد بن جبيرة، والسدي، ومجاهد، والقرطبي.

(أبو حيان ٤: ٢٨٨)

جابر بن عبد الله: يضمنون على ما كانوا عليه، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه.

(الطبري ٨: ١٥٦)

أبو العالية: عادوا إلى علمه فيهم، ألم تسمع إلى قول الله فيهم: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعْمَدُونَ﴾ ألم تسمع قوله:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ الأعراف: (الطبري ٨: ١٥٦)

سعيد بن جبيرة: كما كتب عليكم تكونون.

(الطبري ٨: ١٥٧)

مجاهد: يحييكم بعد موتكم. (الطبري ٨: ١٥٨)

الحسن: كما بدأكم ولم تكونوا شيئاً فأحياكم.

كذلك يبيدكم ثم يحييكم يوم القيامة.

(الطبري ٨: ١٥٧)

مثله قتادة، وابن زيد. (الطبري ٨: ١٥٨)

الطبري: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله:

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعْمَدُونَ﴾، فقال بعضهم: تأويله كما بدأكم أنشياء وسعداء كذلك تُبعثون يوم القيامة.

وقال آخرون: كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً تعمدون

بعد النقص.

(٢٠ : ٧٥)

المادة .

نحوه أبو السعود (٢ : ١٦٤)، والبروسوي (٣ :

(١٥٢).

الطبرسي : قيل : في وجه اتصاله بما قبله وجوه :

أحدها : أن معناه وأدوره مخلصين فإنكم مبعوثون
وبما زون، وإن يمد ذلك في عقولكم فاعتبروا بالابتداء،
واعلموا أنه كما بدأكم في المخلوق الأول فإنه يبعثكم،
فتعودون إليه في المخلوق الثاني.

وثانيها : أنه يشمل بقوله : ﴿... فَيُنْزِلُ فِيهَا نُفُوسًا وَنُفُوسًا
تَقُولُونَ وَمِنْهَا نَفْسٌ نَقْرَجُونَ﴾ الأعراف : ٢٥، فقال : ﴿كُنَّا
بِذَاكُم نَقْرُدُونَ﴾، أي فليس بكم بأشد من ابتدائكم،
الزجاج قال : وإنما ذكره على وجه المجازع عليهم،
لأنهم كانوا لا يفرون بالبعث.

وثالثها : أنه كلام مستأنف، أي يبيدكم بعد الموت
ويعيدكم، أي يبعثكم، قال أبي مسلم : ﴿كُنَّا نَقْرُدُكُم مِّنَ التُّرَابِ
وإليه تعودون كما قال : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَإِلَيْهَا نُعِيدُكُمْ﴾
طه : ٥٥.

وقيل : معناه كما بدأكم لا تملكون شيئاً، كذلك تُبعثون

(٢ : ١٦١)

يوم القيامة .

الفخر الرازي : فيه قولان :

القول الأول : قال ابن عباس : ﴿كُنَّا بِذَاكُم﴾ :
خلقكم مؤمنين أو كافرين (تسردون)، فبعت المؤمن مؤمناً،
والكافر كافراً، فإن من خلقه الله في أول الأمر للشقاوة،
أعمله بعمل أهل الشقاوة، وكانت عاقبته الشقاوة، وإن
خلقته للنعمة أعمله بعمل أهل النعمة، وكانت عاقبته
النعمة.

وأول الأقوال في تأويل ذلك بالقضاب القول الذي
قاله من قال : كما بدأكم الله خلقاً بعد أن لم تكونوا شيئاً،
تعودون بعد فنائكم خلقاً مثله، يمشركم إلى يوم
القيامة. [إلى أن قال:]

وما يبين صحة القول الذي قلنا في ذلك، من أن
معناه أن المخلوق يعودون إلى الله يوم القيامة خلقاً أحياء،
كما بدأهم في الدنيا خلقاً أحياء، يقال منه : بدأ الله المخلوق
يبدؤهم، وأبدأهم يُبدئهم لبداء، بمعنى خلقهم، لثبات
فصيحته. (٨ : ١٥٨-١٥٦)

الطوسي : قيل : في معناه قولان :

أحدهما : قال ابن عباس، والحسن، وقتادة،
ومجاهد، وابن زيد : كما خلقكم أولاً تعودون بعد الفناء،
وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «يمشرون عثراتكم»
عناء لمرلاً ﴿كُنَّا بِذَاكُم نَقْرُدُكُمْ وَفِيهَا نُفُوسٌ إِنَّا
كُنَّا نَقْرُدُكُمْ﴾.

الثاني : قال ابن عباس وجابر في رواية : إنهم
يُبعثون على ما ماتوا عليه : المؤمن على إيمانه، والكافر
على كفره.

وإنما ذكر هذا القول لأحد أمرين :

أحدهما : قال الزجاج : على وجه المجازع عليهم،
لأنهم كانوا لا يفرون بالبعث.
الثاني : على وجه الأمر بالإقرار به، كأنه قيل :
وأقرؤا أنه كما بدأكم تعودون. (٤ : ١٣)

الزمخشري : كما أنشأكم ابتداءً يُعيدكم. لاحتج
عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء المخلوق، والمعنى أنه
يُعيدكم فيجزيكم في أمثالكم، فأعلموا له

والقول الثاني: قال الحسن ومجاهد: ﴿كَفَا بَدَأَكُمْ﴾: خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون أحياء.

فالقائلون بالقول الأول: استنبجوا على صحته بأنه تعالى ذكر حقيقته قوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا غَلَبَتْ غُلَّتُهُمُ الضَّلَالَةُ﴾. وهذا يجري مجرى التفسير لقوله: ﴿كَفَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ وذلك يوجب ما قلناه.

قال القاضي: هذا القول باطل، لأن أحداً لا يقول: إنه تعالى بدأنا مؤمنين أو كافرين، لأنه لابد في الإيمان والكفر أن يكون طارئاً. وهذا السؤال ضيف، لأن جوابه أن يقال: كما بدأكم بالإيمان والكفر والتسادة والشقاوة، فلكذلك يكون الحال عليه يوم القيامة.

الفرطبي: ظهيره ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَارًا وَكُفْرًا﴾ خلقناكم أول عزى: الأسماء: ٩٤.

الميزوسيوي: أي أنشأكم ابتداءً. (١٥٢: ٣) مثله الآكوسي. (١٠٧: ٨)

الطباطبائي: ظاهر «البدء» في قوله: ﴿بَدَأَكُمْ﴾: أول خلقه الإنسان الدنيوية، لا مجموع الحياة الدنيوية قبل الحياة الأخروية، فيكون «البدء» هو الحياة الدنيا. والمعودة هو الحياة الأخرى، فيكون المعنى كنتم في الدنيا مخلوقين له هدى فريقتا منكم. وحقت الضلالة على فريق آخر، كذلك تعودون، كما يقول إليه قول من قال: إن معنى الآية تُهَيَّجُونَ على ما تم عليه: المؤمن على إيمانه، والكافر على كفره.

وذلك أن ظاهر «البدء» إذا نسب إلى شيء ذي

استعداد واستمرار بوجه، أن يقع على أقدم أجزاء وجوده المعتد المستمر، لأجل الجمع. والخطاب للناس، فتدوهم: أول خلقه النوع الإنساني وبذء ظهوره، على أن الآية من ستة الآيات التي يبين الله سبحانه فيها بدء إيجاد الإنسان، بمثل قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ الأعراف: ١١، إلخ.

فالمراد به كيفية البدء التي قضى في أول كلامه، وقد كان من القصة أن الله قال لإبليس لما رجمه: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لَنْ تَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَفْجَعِينَ﴾ الأعراف: ١٨.

وفيه قضاء أن ينقسم بنو آدم فريقين: فريقاً مستقيماً على الصراط المستقيم، وفريقاً ضالين حثلاً، هذا هو الذي بدأهم به، وكذلك يعودون.

وقد بين ذلك في مواضع أخر من كلامه أوضح من ذلك وأصرح، كقوله: ﴿يَقَالُ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ إِنَّ هَذَا بَدَىٰ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ ارْتَبَكَ مِنْ أَفْقَادِينَ﴾ الحجر: ٤١، ٤٢.

وهذا قضاء حتم وصراط مستقيم أن الناس طائفتان: طائفة ليس لإبليس عليهم سلطان، وهم الذين هداهم الله؛ وطائفة تتبعون لإبليس غاؤون، وهم المقضون ضلالهم، لا تباعهم الشيطان وتوليهم إتياء، قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ الحج: ٤، وإنما قضى ضلالهم إثر اتباعهم وتوليهم، لا بالعكس كما حو ظاهر الآية.

وظهيره في ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ

أَكْرَبُ • لَا مَلَأَ جَهَنَّمَ بِشَاكٍ وَبِمَنْ تَبِعَهُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ •

ص: ٨٤، ٨٥. فإنه يدل على أن هناك قضاء بغيرهم فريقين. وهذا الفريق هو الذي فرغ تعالى عليه قوله: إِذْ قَالَ: «قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا... فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْغَى • وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى •» طه: ١٢٢، ١٢٤. وهو عسى الضلال.

وبعد ذلك كله فمن الممكن أن يكون قوله: «كُنَّا بِذُنُوبِكُمْ نَعُوذُونَ» إلخ. في مقام التعليل لمضمون الكلام السابق، والمعنى أفسطوا في أعمالكم وأخلصوا لله سبحانه، فإن الله سبحانه إذ بدأ خلقكم قضى فيكم أن تلتزموا فريقين: فريقاً يهديهم، وفريقاً يضلون مع الطريق، وسعودون إليه كما بدأكم: فريقاً هدى، وفريقاً ضل حق عليهم الضلالة بتولي الشياطين. فأفسطوا وأخلصوا حق تكونوا من المهتدين بهداية الله. لا الضالين بولاية الشياطين.

فيكون الكلام جارياً بحرى قوله تعالى: «وَلِكُلٍّ وَجْهَةٌ قُوًى مُّوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَنَّتًا» البقرة: ١٤٨.

فإنه في حين أنه بين أولاً: أن لكل وجه خاصة محتومة هو مواليها لا يتخلف عنه، إن سادة فعادة، وإن شقاوة فشقاوة، أمرهم ثانياً: أن استبقوا الخيرات، ولا يستقيم الأمر مع تحتم إحدى المشرقين: السعادة والشقاوة، لكن الكلام في معنى قولنا: إِنَّ كُلاًّ مِنْكُمْ لَاصْبِرٌ لَهُ عَنِ وَجْهَةٍ مُّعَيَّنَةٍ فِي حَقِّهِ لَازِمَةٌ لَهُ إِنَّمَا الْجَنَّةُ وَإِنَّمَا النَّارُ «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» حتى تكونوا من أهل

وجهة السعادة دون غيرها.

وكذلك الأمر فيما نحن فيه، فالكلام في معنى قولنا: إِنَّكُمْ سَعُودُونَ فَرِيقَيْنِ كَمَا بَدَأَكُمْ فَرِيقَيْنِ بَقَضَانِهِ، فأفسطوا في أعمالكم وأخلصوا لله سبحانه حتى تكونوا من الفريق الذي هدى، دون الفريق الذي ضل حق عليهم الضلالة.

ومن الممكن أن يكون قوله: «كُنَّا بِذُنُوبِكُمْ» إلخ، كلاً ما سألنا، وهو مع ذلك لا يخلو عن تلويح بالدعوة إلى الإكساط والإخلاص، على ما يجادر من السياق.

بَذَرْتُمْ

بَذَرْتُمْ قُلُوبَكُمْ لَمَّا تَكُونُوا أَهْلًا بِهَا وَهَمُّوا بِهَا خُرَاجَ

التوبة: ١٢

مُجَاهِدٌ: مَا بَدَأَتْ بِهِ قَرِيشٌ مِنْ مَعُونَةِ بَنِي بَكْرِ حُلَفَاءَهُمْ عَلَى خُرَاجِهِمْ حُلَفَاءَ النَّبِيِّ ﷺ.

(أَبُو حَيَّانَ ٥: ١٦)

ابن إسحاق: يَدُّوا بِحُضْرِ الْعَهْدِ

مثله لِحُسْبَانِي. (الطُّوسِيُّ ٥: ٢١٥)

الفراء: ذلك أن خُرَاجَهُمْ كَانُوا حُلَفَاءَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وكانت الدَّيْلُ ابْنُ بَكْرِ حُلَفَاءَ لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، فَاقْتَتَلَتْ الدَّيْلُ وَخُرَاجَهُ، فَأَعَانَتْ قَرِيشَ الدَّيْلِ عَلَى خُرَاجِهِ، فذلك قوله: «بَذَرْتُمْ» أي قَاتَلُوا حُلَفَاءَهُمْ.

(٤٢٥: ١)

الطُّبَرِيُّ: يَمْنِي فَيُتْلَمُّ ذَلِكَ يَوْمَ يَدْرُ.

الرُّجْبَاقُ: أَنَّهُمْ كَانُوا قَاتِلُوا حُلَفَاءَ رَسُولِ

الله ﷻ

(٤٣٦: ٢)

راجع «ع و د».

الطُّوسِي: الكِدَّة؛ فُلٌّ مَالٌ يَتَكَزَّرُ. (٢١٥: ٥)

الْمَيْبُذِي: يَدُوكُمْ بِالْقِتَالِ. (١٠١: ٤)

مثله الْقَرْطَبِيُّ. (٨٦: ٨)

الرُّمُوحُفَرِيُّ: أَيُّ وَهْمِ الَّذِينَ كَانَتْ مِنْهُمْ الْهِدَاةُ
بِالْمَقَاتِلَةِ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُمْ أَوَّلًا بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ
وَتَحَدَّثَهُمْ بِهِ، فَدَلُّوا عَنِ الْمَارِطَةِ لِسَجَرِهِمْ حَتَّى بَلَغُوا
الْقِتَالَ، فَهَمَّ الْهَادُونَ بِالْقِتَالِ، وَالْهَادِيُّ أَظْلَمُ، فَمَا يَنْصَحُكُمْ
مَنْ أَنْ تَخَاتِلُوهُمْ بِمِثْلِهِ، وَأَنْ تَصْدُمُوهُمْ بِالشَّرِّ كَمَا
صَدُمُوكُمْ. (١٧٧: ٢)

الطُّبْرَسِيُّ: وَقِيلَ: يَدُوكُمْ بِالْقِتَالِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَالُوا
حِينَ سَلِمَ الْبَيْرُ لَا تَصْرَفْ حَتَّى نَسْأَلَكَ مَعْتَدًا وَمِنْ
مَعَهُ.

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: وَإِنَّمَا قَالَ: (يَدُوكُمْ) تَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّ
الْهَادِيَّ أَظْلَمُ.

أَبُو حَتَّانٍ: وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ (يَدُوكُمْ) بِبَيْرِ حِمْزٍ،
وَوَجْهُهُ أَنَّ سَهْلَ الْهَمْزَةِ مِنْ «بَدَأَتْ» بِإِدْغَالِ الْهَاءِ يَاءً،
كَأَنَّ قَالُوا لِي قَرَأْتُ: قَرِيتُ، فَصَارَ كَرَمِيَتْ، فَلَمَّا أُسْدِ
الْفِعْلُ إِلَى وَائِ الطَّمِيرِ مَقْلُتٌ، فَصَارَ: يَدُوكُمْ، كَمَا يَقُولُ:
رَمَوْكُمْ. (١٦: ٥)

أَبُو الشَّعْوَدِ: بِالْمَعَادَةِ وَالْمَقَاتِلَةِ. (٢٥٨: ٢)

مثله الْبِرُّوسِيُّ. (٣٩٥: ٣)

يَدَانَا

يَوْمَ نَطْرُقُ النَّسَاءَ كُلَّتِ السَّجِلُ لِنُكْتِبَ كَسَا
بَدَانَا أَوَّلَ خَلْقِي تُبِيدُهُ. (الأنبياء: ١٠٤)

يَبْدَأُ

١- إِنَّكَ مَرَجَعُكُمْ بَحِيْقًا وَغَدَ اللَّهُ خَلْقًا إِنَّهُ يَبْدُو
الْخَلْقَ ثُمَّ يُبِيدُهُ...

مُجَاهِدٌ: يُحْيِيهِ ثُمَّ يُمَيِّتُهُ، ثُمَّ يَبْدَأُ ثُمَّ يُحْيِيهِ.

(الطُّبْرِيُّ: ١١: ٨٤)

مُقَاتِلٌ: يَبْدَأُ لِلْخَلْقِ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا، ثُمَّ يَمِيدُهُ بِمَدِّ
الْمَوْتِ. (ابن الجوزي: ٤: ٨)

الطُّبْرِيُّ: إِنَّ رَبَّكُمْ يَبْدَأُ إِنْشَاءَ الْخَلْقِ وَإِحْدَاثَهُ
وَلِإِبْجَادِهِ، ثُمَّ يَمِيدُهُ فَيُوجِدُهُ حَيًّا كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ ابْتِدَاءِ بَعْدِ
هَوْنِهِ وَبِلَاكِهِ. (١١: ٨٤)

الطُّوسِيُّ: إِخْبَارٌ مِنْهُ تَعَالَى أَنَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ الْخَلْقَ
لِإِبْدَاءِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَمِيدُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمُ النِّشَاءَ الْآخَرِيَّ،
لِيَدُلَّ بِذَلِكَ خَلْقَهُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَى الْإِبْدَاءِ فَهُوَ
قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ. (٥: ٣٨٨)

الْقُشَيْرِيُّ: مَنْ كَانَ لَهُ فِي جَمِيعِ حَرَمِهِ نَفْسٌ عَلَى
وَحْدٍ مَا ابْتَدَأَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِهِ، فَلِي الْإِنشَاءِ تَكُونُ لِذَلِكَ
إِعَادَةً، وَأَنْشَدُوا:

كُلُّ نَهْرٍ فِيهِ مَاءٌ قَدْ جَرَى

فَالِيهِ الْمَاءُ يَوْمًا سِيرَدٌ

(٣: ٧٩)

الرُّمُوحُفَرِيُّ: اسْتِثْنَاءٌ، مَعْنَاهُ التَّعْلِيلُ لَوْجُوبِ
الْمَرْجِعِ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّ النِّرْضَ وَمَقْتَضَى الْحِكْمَةِ بِإِبْدَاءِ
الْخَلْقِ وَإِعَادَتِهِ هُوَ جَزَاءُ الْمُكَتَفِينَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَقُرِئَ
(أَنَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ) بِمَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أَوْ هُوَ مَنْصُوبٌ بِالْفِعْلِ

الذي نصب وعد الله، أي وعد الله وعداً بدأ الخلق ثم إعادته، والمعنى إعادة الخلق بعد بدءه.

وقرئ (وعد الله) على لفظ الفعل (يُبدئ) من أبدأ. (٢: ٢٢٤)

نحوه البروسوي (٤: ١٠)، والأكوسي (١١: ٦٦). ابن عطية: يريد النشأة الأولى، والإعادة هي البعث من القبور.

وقرأ طلحة (يُبدئ الخلق) بضم الياء وكسر الدال. (٣: ١٠٥)

نحوه الطبرسي. الفرطبي: ينشئه ثم يبعثه ثم يحياه، للبعث أو ينشئه من الماء، ثم يعيده من حال إلى حال. (٨: ٣٠٩)

أبوحيان، والظاهر أن بدء الخلق هو النشأة الأولى، وإعادته هو البعث من القبور، والبعث ما يتعلق بالبعث، أي ليقع الجزاء على الأفعال.

وقيل: البدء من التراب، ثم يعيده إلى التراب، ثم يعيده إلى البعث.

وقيل: البدء نشأته من الماء، ثم يعيده من حال إلى حال.

وقيل: يبدؤه من عدم، ثم يعيده إليه، ثم يوجده. وقيل: يبدؤه في ذمرة الأضياء، ثم يعيده عند الموت إلى ذمرة الأولياء، وبمعنى ذلك.

وقرأ طلحة (يُبدئ) من أبدأ وباصح، وبدأ وأبدأ بمعنى.

رشيد رضا: هذا بيان لمعنى الوعد المؤكد مرتين بدليله، أي إن شأنه تعالى أن يبدأ الخلق وينشئه عند

التكوين، ثم يعيده في نشأة أخرى بعد انحلاله وفناءه. فالصير بمنزلة المستقبل (يبدئ) لتصور الشأن، وهو يشمل الماضي والمستقبل، ولفظ (الخلق) عام يراد به الخاص أولاً وبالمذات، بدليل ما قبله وما بعده من السياق.

وقد أجمع علماء الكون للماتيون منهم والروحانيون على أن الأرض وجميع الأجرام السماوية، ما يرى منها بالأبصار والآلات المقرنة للأبعاد وما لا يرى، كلها قد وجدت بعد أن لم تكن، وإن كانوا لا يزالون يبحثون في نشأة تكوينها. والقوة الأزلية المتصرفه في أصل مادتها، كما أنهم متفقون على توقع خراب هذه الأرض كما أن الكواكب المرتبطة معها، في هذا النظام الشمسي الجامع لها، وعلى أن أقرب الأسباب المرافقة لأصول العلم الثابتة أن تصيب الأرض قارعة من الأجرام السماوية تصيبها، كما تكون هباء منبثاً، كما تنير إليه سورة القارعة والواقعة وغيرها. (١١: ٢٩٨)

وهناك أبحاث أخرى راجع «عوده».

٢- لَكُنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُكَ... العمل: ٦٤

الطبري: يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون أيها القوم خير، أم الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، فينشئه من غير أصل، ويبدعه ثم ينفه إذا شاء. (٢٠: ٥)

الأكوسي: يبدؤهم بأن يخلقهم ابتداء، ثم يعيدهم بعد أن يميتهم. (٨: ١١٠)

نحوه الطبرسي. (٤: ٢٢٩)

السيدي: يقال: بدأ الخلق، ولبدأهم، إذا أوجدتهم

والْبَدءُ : أول الفعل، وهو على وجهين:
أحدهما: أنه أول الفعل، وهو جزء منه مقدم على
غيره.

والثاني: أنه موجود قبل غيره من غير طريق
العملية، يقال: بدأ يبدأ ببدء، وابتدأ يستدئ ابتداءً.
والاجتهاد: تقيض الانتباه، والبدء: تقيض العود.

(٢٣٤: ٨)

الطَّبْرِيّ: أي يخلقهم ابتداءً، ثم يُعيدهم بعد
الموت أحياء كما كانوا.

مثله ابن الجوزي (٦: ٢٩١)، والبروسوي (٧: ١٢).

أبو حيان: قرأ هذا طلبة (يبدئ) بضم الياء
وكسر الدال، والجمهور بفتحها.

(١٦٥: ٧)

٢- اللهُ يَدْوُ الخلق ثم يُعيدُهُ ثم إليه ترجعون.

الطَّبْرِيّ: هو الذي يبدأ الخلق من غير أصل،
فبئس وجوده، بعد أن لم يكن شيئاً، ثم يقنيه بعد ذلك،
ثم يعيده كما بدأ، بعد فاته، وهو أهون عليه.

(٣٥: ٢١)

الساوذهي: أما بدء خلقه: فبعطوفه في الرحم قبل
ولادته، وأما إعادته، فإحياءه بعد الموت بالنفخة الثانية
للبعث، فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلاً على ما خفي
من إعادته، استدلالاً بالشاهد على الغائب. (٤: ٣٠٩)

مثله القرطبي.

ابن عطية: مناء يُنشئ ويُخرجه من الدم.

وجاء الفعل بصيغة الحال، لما كان في هذا المعنى ما قد

أول مرة، وأعادهم: أوجدهم بعد إماتتهم. (٧: ٢٤١)

القشيري: يظهر ما يظهر بقدرته على مقتضى سابق
حكمه، ويخص ما تعلق به منيته، وحق فيه قوله،
وسبق به قضاء وقدره.

(٥: ١٦)

ابن عطية: بدء الخلق: اختراعه، وإيجاده.

(٤: ٢٦٧)

مثله أبو حيان.

ابن عربي: باختلافه بأصنافهم، واحتجابه
بذواتهم.

(٢: ٢١١)

الحازن: خلقاً في الأرحام.

(٥: ١٢٨)

مثله السيوطي.

(٢: ١٨١)

البروسوي: أي يوجد أول مرة.

(٦: ٣٦٣)

مثله الأكرسي (٧: ٢٠)، والطباطبائي (١٥: ٣٨٦).

الزوم: ١١

الطَّبْرِيّ: الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفرداً

بإنشائه، من غير شريك ولا ظهير، فيحدثه من غير
شيء، بل بقدرته عز وجل، ثم يعيده خلقاً جديداً بعد
إفسانه وإعدامه، كما بدأ خلقاً سورياً، ولم يكن
شيئاً.

(٢١: ٣٥)

الطوسي: يقول الله تعالى مخبراً من نفسه: أنه هو

الذي يدو الخلق ثم يعيده، يدوهم ابتداءً فيوجدهم بعد
أن كانوا معدومين، على وجه الاختراع، ثم يعيدهم، أي
يعيدهم ويفضهم بعد وجودهم، ثم يعيدهم ثانياً كما بدأهم
لأولاً.

مضى كأدم وسائر القرون، وفيه ما يأتي في المستقبل، فكانت صيغة الحال تُحلي هذا كله.

و(يُعيدُهُ) معناه يبعثه من القبور، ويُنشئه تارةً أخرى. (٤: ٣٣٥)

الطَّبْرَسِي: أي يخلقهم ابتداءً، ويخترعهم اجداءً، ثم يُعيدهم بعد الإغناء. (٤: ٣٠٢)

المُقرطَبِي: وقرأ ابن مسعود وابن عمر: (يُبدئُ الخلق) من أبدأ يُبدئُ، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُهُ﴾. البروج: ١٣، ودليل قراءة العامة قوله سبحانه: ﴿كَتَبْنَا بِذَلِكَ تَعْرُودُونَ﴾. (١٤: ٢١)

الآلُوسِي: والتكسير لزيادة التقرير، لشدة إنكارهم البعث، والتشديد لما بعده من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. (٢١: ٣٦)

الطَّبَّاطِبَائِي: أي الخلق: إنشاؤه ابتداءً من غير مثال سابق، والإعادة: إنشاء بعد إنشاء. (١٩: ١٠٠)

يُبدئُ

١- لَوْ لَمْ يَزِدْ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ لَمْ يُعِيدَهُ.

المنكروت: ١٩

أَبُو عُبَيْدَةَ: مجازة: كيف استأنف الخلق الأول ثم يعيده بعد، يقال: رجع عوده على بذنه. أي آخره على أوله.

وفيه لغتان: يقال: أبدأ وأعاد، وكان ذلك مُبدئاً ومعيداً، وبدأ، وعاد، وكان ذلك بادئاً وعائناً.

(٢: ١١٥)

(٢٠: ١٣٨)

نحوه الطَّبْرَسِي.

الطَّبْرَسِي: كيف اخترع الله الخلق من العدم.

(٨: ١٩٦)

الْبَيْهَقِيُّ: كيف يخلقهم ابتداءً نطفة. (٥: ١٥٨) مثله ابن الجوزي (٦: ٢٥٦)، والخازن (٥: ١٥٨).

الرُّمَّحَشَرِيُّ: قرئ: يُبدئُ ويبدأ. (٣: ٢٠٢) نحوه أَبُو حَتَّان. (٧: ١٤٦)

الْبَرْهَوَسِيُّ: إنشاء للخلق: إظهارهم من العدم إلى الوجود، ثم من الوجود النهائي إلى الوجود السني، فالالإمام الغزالي رحمه الله: الإيجاد إذا لم يكن مسبقاً بخلقه يستنى إنشاء، وإن كان مسبقاً بخلقه يستنى إعادة.

(٦: ٤٥٨)

٢- إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُهُ. البروج: ١٣

ابن عَبَّاس: عام في جميع الأضياء، أي كل ما يُبدأ. (أَبُو حَتَّان ٨: ٤٥١)

يُبدئُ لهم خطاب المريق في الدنيا، ثم يُعيدهم عليهم في الآخرة. (الْقُرطبي ١٩: ٢٩٦)

ابن أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فخماً، ثم يُعيدهم خلقاً جديداً، فذلك هو المراد من قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُهُ﴾. (الْفَهْر الرَّازِي ٣٦: ١٢٣)

الضَّحَّاك: يُبدئُ الخلق بالإتشاء، ويُعيدهم بالحشر. مثله ابن زَيْد. (أَبُو حَتَّان ٨: ٤٥١)

السَّيِّدِي: بُيِّت ثم يُحيى. (الْمَاوَزْدِي ٦: ٢٤٣) ابن زَيْد: يُحيى ويُبَيِّت. (الْمَاوَزْدِي ٦: ٢٤٣)

يُبدئُ الخلق حين خلقه، ويسعيده يوم القيامة. (الطَّبْرَسِي ٣٠: ١٣٨)

الطَّبْرِي: اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿إِنَّهُ هُوَ يُدِي وَيُعِيدُ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك أن الله أبدى خلقه فهو يبدئ، بمعنى: يحدث خلقه ابتداءً، ثم يُعيدهم، ثم يُعيدهم أحياء بعد مماتهم، كهبيتهم قبل مماتهم. [ويعيد نقل أقوال المفسرين قال:]

وأول التأويلين في ذلك عسدي بالصواب - وأشبهاها بظاهر ما دل عليه التنزيل - القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، وهو أنه يُبدئ العذاب لأهل الكثرة ويُعيد، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البروج: ١٠، في الدنيا، فأبدأ ذلك لهم في الدنيا، وهو يعيده لهم في الآخرة.

وإنما قلت: هذا أول التأويلين بالصواب، لأن الله أشيع ذلك قوله: ﴿إِنْ يَشَأْ رَبُّكَ لَنُصْغِبَنَّكَ﴾ البروج: ١٢، فكان للبيان من معنى شدة جلته الذي قد ذكر قبله، أشبه به بالبيان مما لم يجر له ذكر.

ومما يؤيد ما قلنا من ذلك وضوحاً وصحة، قوله: ﴿وَهُوَ الْقُوَىٰ أَوْدُودٌ﴾ البروج: ١٤، فبين ذلك عن أن الذي قبله من ذكر خبره عن جلته وشدة عقابه.

(١٣٨: ٣٠)

الماوردي: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُدِي وَيُعِيدُ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يحيي ويميت، قاله ابن زيد.

الثاني: يُميت ثم يحيي، قاله الشافعي.

الثالث: يخلق ثم يُميت، قاله يحيى بن سلام.

الرابع: يُبدئ العذاب ويُعيد، قاله ابن عباس.

ويحتمل خامساً: يُبدئ ما كلف من أول أمره ونواحيه،

ويُعيد ما جرى عليه من ثواب وعقاب. (٢٤٣: ٦) الطوسي: قال ابن عباس: معناه إنه يبدأ العذاب ويُعيد، لاقتضاء ما قبله ذلك.

وقال الحسن والضحاك وابن زيد: يبدأ المخلوق ويُعيد، لأن الأظهر في وصفه تعالى بأنه المبدئ المعيد، الموم في كل مخلوق. (٣٢٠: ١٠)

الطَّبْرِي: يُبدئ المخلوق ثم يُعيدهم بعد البعث. ويقال: يُبدئ بالعذاب ثم يُعيد، وبالثواب ثم يُعيد. ويقال: يُبدئ على حكم المعافاة والتقاوة ثم يُعيد عليه، ويُبدئ على الضعف ويُعيدهم إلى الضعف.

ويقال: يُبدئ الأحوال التنبئة، فإذا وقعت حجة يُعيد ثانية.

ويقال: يُبدئ بالمخذلان أموراً قبيحة ثم يتوب عليه، فإذا قصر توبته فلا تله أمان له من مقتضى المخذلان قبله، أشبه به بالبيان مما لم يجر له ذكر.

ويقال: يُبدئ لطائف تعريضة، ثم يُعيد لتبقي تلك الأتولر أبداً لائمة، فلا يزال يُبدئ ويُعيد إلى آخر العمر. (٢٨٠: ٦)

الطَّبْرِي: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُدِي وَيُعِيدُ﴾ هذا كقوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ المزمل: ٢٩، تقول العرب: فلان يُبدئ ويُعيد، إذا كان عوانداً في عمله.

وقيل: إنه يُبدئ المخلوق في الدنيا، ثم يُعيدهم أحياء بعد الموت.

وقيل: يُبتلى من التراب، ثم يُعيد إلى التراب.

وقيل: يبدئكم ضعافاً في حال الطفولية، ثم يُعيدكم

في حال الشيخوخة ضعافاً.

وقيل: يُبدئ العذاب في الدنيا للكفار، ثم يُعيد عليهم العذاب في الآخرة.

وقيل: يُبدئ على حكم السعادة والشقاوة كما يريد، ويُعيد كما بدأ، كقوله: ﴿كُنَّا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الأحرف: ٢٩. (١٠: ٤٤٤)

الْمُعْصِرِي: أي يُبدئ البطش ويعيد، يعني يطش بهم في الدنيا وفي الآخرة. وأدلّ باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه، أو أوعده الكفرة بأنه يُعيدهم كما أبداهم ليطش بهم، إذا لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة. وقرئ (يبدئ). (٤: ٢٣٩) الظُّهْرِي: أي هو يُبدئ الخلق: يخلقهم أولاً في الدنيا، ويميدهم أحياء بعد الموت للحساب والمجازاة. فليس إمهاله لمن يُعصيه لإمهاله إياه. (٥: ٦٨)

الْفُخْرُ الرَّازِي: أي إنه يخلق خلقه ثم يخسبهم، ويميدهم أحياء، ليجازيهم في القيامة؛ فذلك الإمهال كمال السبب، لا لأجل الإمهال. (٣١: ١٢٣)

الْمُعْصِرِي: أي يخلقهم ابتداءً، ثم يعيدهم بعد أن صيرهم ترباً، دلّ باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه، أو أوعده الكفرة بأنه يعيدهم كما أبداهم ليطش بهم، إذا لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة. (٤: ٢٤٦)

أبو السُّعُود: أي هو يُبدئ الخلق وهو يعيده، من غير دخل لأحد في شيء منها، فنه مزيد تقرير لشدة بطشه، أو هو يُبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويميده في الآخرة. (٥: ٢٥٣)

الْمُتَوَسَّوِي: أي يُبدئ الخلق ويخرجهم من عدم

إلى الوجود، ثم يميتهم ويميدهم أحياء للمجازاة على الخير والشر، من غير دخل لأحد في شيء منها، فنه مزيد تقرير لشدة بطشه.

أو هو يُبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويميده في الآخرة، أي يُبدئ البطش أو العذاب في الآخرة ثم يعيده فيها، كقوله تعالى: ﴿كُنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُقَاتِلُهُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الأحرف: ٢٩.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فيها لحمًا، ثم يميدهم خلقاً جديداً، فهو المراد من الآية...

أو يُبدئ من التراب ويميده فيه، أو من التطفة ويميده في الآخرة، يقال: بدأ الله الخلق ولبداهم، فهو يبدئهم ويميدهم بمعنى واحد. والمبدئ: المظهر لابتداء الخلق، فالمعنى بعدما عدم، فالإعادة ابتداء ثان.

وقال الجليلي: المبدئ المهيمن، الموجد، لكن الإيجاد إذا لم يكن مسبوقاً بمثله يستلزم إبداء، وإن كان مسبوقاً بمثله يستلزم إعادة، والله تعالى بدأ خلق الإنسان ثم هو الذي يعيدهم، أي يحشرهم؛ فالأشياء كلها منه بدت وإليه تعود، وبه بدت وبه تعود. وفي «المفردات»: والله هو المبدئ والمعيد، أي هو السبب في المبدأ والنهاية.

وقال بعضهم: الإبداء هو الإظهار على وجه التطوير المهيمن للإعادة وهي الرجوع على مدرج تقرير الإبداء - فهو سبحانه بدأ الخلق على حكم ما يعيدهم عليه، فسبب بذلك المبدئ المعيد.

وقيل قيل فيها: إتيها اسم واحد، لأن معنى الأول

يتمّ بالتالي، وكذا كل اسم لا يتمّ معناه فيما يرجع إلى كمال
أسماء الله إلا باسم يتمّ به معناه.

قال الإمام القشيري رحمه الله: إنّ الله تعالى يُبدئ
فضله وإحسانه لعبده، ثمّ يعيده ويكرّره، فإنّ الكريم
من يَرَبِّ صفاته، وخاصيّة الاسم المبدئ أن يقرأ على
بلن الحامل سحرًا تسعًا وعشرين مرة، فإنّ ما لي عليها
يحيى ولا يزلي، وخاصيّة الاسم المعيد يُذكر مرارًا
للكار المحفوظ إذا نسي، لاسيّما إذا أُضيف له الاسم
المبدئ. (١٠: ٣٩٢)

الألوسي: أي أنّه عزّ وجلّ هو يُبدئ الخلق
بالإنشاء، وهو سبحانه يعيده بالمحشر يوم القيامة... أو
يُبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ثمّ يعيده في الآخرة
وعلى الوجهين المصلة في موضع التعليل...
وجهه حل الثاني ظاهر، وعلى الأول قد أُشرنا إليه
وقيل: وجهه عليه إنّ الإعادة للمجازاة...
للطش وليس بذلك.

وهن ابن عباس: يُبدئ العذاب بالكفّار ويعيده
عليهم، فتأكلهم النار حتّى يصيروا ضغًا، ثمّ يعيدهم
عزّ وجلّ خلقًا جديدًا، وفيه عفاء، وإن كان أمر المصلة
عليه في غاية الظهور.

واستعمال يُبدئ مع يُعيد حسن، وإن لم يُسمع
وأبداه، كما بيّن في محله.

وحكي أبو زيد أنّه قرئ (يبدأ) من «بدأ» ثلاثيًا وهو
المسموع، لكن القراءة بذلك شاذّة. (٣٠: ٩١)

الطّباطبائي: للمقابلة بين المبدئ والمعيد يعطي أنّ
المراء بالإبداء لهذه والافتتاح بالشيء.

قالوا: ولم يُستع من العرب «الإبداء» لكن القراءة
ذلك، وفي بعض القراءات الشاذّة (يبدأ) بفتح الباء
والفتحة.

وعلى أيّ حال فالآية تعليل لشدة بطشه تعالى،
وذلك أنّه تعالى مُبدئ يُوجد ما يريد من شيء إيجابًا
لبدائياته من غير أن يستمدّ على ذلك من شيء غير
نفسه، وهو تعالى يبدئ كلّ ما كان إلى ما كان، وكلّ حال
فأنته إلى ما كانت عليه قبل الموت، فهو تعالى لا يستع
عليه ما أراد، ولا يخرجه فائت زائل.

وإذا كان كذلك فهو القادر على أن يعمل على العبد
المستدي حده، من العذاب ما هو فوق حده ووراء طاقته،
ويحفظه على ما هو عليه ليدوق العذاب، قال تعالى:
«وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا
وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا» فاطر: ٣٦.

وهو القادر على أن يعيد ما أفسده العذاب إلى حاله
الأول، ليدوق الجرم بذلك العذاب من غير انقطاع. قال
تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُضَلِّهِمْ سُبُلًا
كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَقِّهَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا
الْعَذَابَ» النساء: ٥٦.

وبهذا البيان يتضح:

أولاً: أنّ سياق قوله: «إِنَّهُ هُوَ» إلخ يفيد القصر،
أي إنّ إبداع الوجود وإعادته لله سبحانه وحده، إذ الصنع
والإيجاد ينتهي إليه تعالى وحده.

وثانيًا: أنّ حدود الأشياء إليه تعالى، ولو شاء أن
لا يعيد لم يجد، أو بكلّ حدّا من آخر، فهو الذي حدّ
العذاب والمحنة في الدنيا بالموت والزوال، ولو لم يشأ

لم يجد، كما في حذاب الآخرة.

وفاثا: أن المراد من شدة البطش - وهو الأخذ
بمنف - أن لا دافع لأخذه، ولا راد لحكمه كيفما حكم، إلا
أن يحول بين حكمه ومتعلقه حكم آخر منه يعيد الأول.
(٢٥٣: ٢٠)

عبد الكريم الخطيب: أي أنه سبحانه يُبدئ
الخلق ويعيده، فيحيي ويميت ويحيي.

وفي هذا دليل على القدرة القتالة الدالة، القائمة على
تدبير هذا الوجود، وتبدل صورته حالاً بعد حال، كما
يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾
الرحمن: ٢٩. (١٥١٧: ١٦)

ومنه قولهم: إنفعلت بايدي يدي، أي أول
في، ولنت بايدي الزأي ومبتدأ تريد ظلمنا، أي أنت
في أول الزأي تريد ظلمنا، ورجع حوده على بدنه: ورجع
في التحريك الذي جاء منه، وفلان ما يدي وما يعيد:
ما يتكلم ببادة ولا هائدة.

وقد جعل ابن فارس هذا المعنى أصلاً، وعدّ البتة
معنى الإصابة بالجدري مما شذّ عنها قاس به مشتقات
هذه المادة، أي اختار الشيء، وهو خلاف ما ذهبنا إليه.
٢- لقد شاب هذا الأصل - كما يبدو - مادّتان،
الأولى: «بدوء»، والثانية منها: «بدا»، بمعنى المفضل
والتيه والشلح والتصيب في الجوز، والبادي في قولهم:
بأيدي يدي، لاحظ «بدوء».

٣- قل جاء الحق وقا يدي أنيا طلل وخا يدي.
سأ: ١١٠. راجع «ب ط ل ه»

أيضاً، يقال: بدع الزكوة: أحدثها، لاحظ «بدع».
وهذا ليدل شائع عند أهل المساجد، يقال: أداني
السلطان عليه: أهداني، واستأذنه عليه: استبدته، كما
جاء في الصحاح والتعذيب واللسان. وعند أهل الشعر،
يقال: زعته يزعه زعاً، وزاته يرانه زاناً، إذا غنقه،
انظر الجوهرة (٢: ١٥).

ومنه قول بعض العرب أيضاً: أنفعت المحوض
وأفأته، كما في اللسان، ودوى الجوهر في قولهم: لا أفأته
مائل في الشاء نيم، أي ما كان في الشاء نيم، لغة في
«عن».

٤- أتأقول أهل المدينة: بديت بالشئ، وتوالت به.

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة - كما يبدو - البداء، وهو
شيء أسود ينت في الأرض كأنه الكرم، ولا يؤكل، ثم
شبه به البئر الذي ينتشر في الجسم، وهو يشبه
الجدري، أو هو الجدري بعينه، يقال: بدئ الرجل يبدأ
بداءً، إذا خرج به ذلك، فهو بدوء. ثم أطلق على كل
ما ينسل ويتفتح قبل غيره، فقبل: بدأ فلان الشيء، يبدأ
بداءً، وأبدأ به، وأبدأ به، وبدأ الله الخلق وأبدأهم:
أنشأهم، وأبدأ فلان من أرض إلى أخرى: خرج منها إلى
غيرها، وأبدأ الصبي: خرجت أسنانه بعد سقوطها.

أي ابتدأت، فهو ليس من «بدوء» بل من «بداء»، كما صرح بذلك ابن بري في «بدوء»، وهي لغة اقتص بها - حسبها قال أبو زيد - أهل الحجاز وحذيل وأهل مكة والمدينة، فهم يستلون غالباً كل همزة ولو ألباء، فيقولون في: أصدت الباب: أوصدته، ورجل وائل: رجل آيل، وتوحشات: توحشت، لاحظ هـ زف.

ومن هذا الباب أيضاً: البداية والبداعة، وأصلها «البداءة»، فأبدلت همزة الأول بـاء لكثرة الاستعمال، مثل: البرينة والبرينة. وأبدلت همزة الثاني هاء، كما في: أرقت الماء وهرقته، أي صببته.

الاستعمال القرآني

ورد البدء في القرآن في الآيات الآتية:

١- ﴿بَدَأَ يَأْوِيهِمْ لَيْلٌ دُجَاءٌ آجِبٌ قُمْ اسْتَجِرْهُمْ﴾
من دُجَاءٍ آجِبٍ ﴿١﴾

٢- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾
النكبات: ٢٠

٣- ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾
التجدة: ٧

٤- ﴿وَالْيَبُوسُ وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾
الأعراف: ٢٩

٥- ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ لَوْ مَا نَكَّحُوا آبَاءَهُمْ وَأَهْلَهُمْ﴾
التوبة: ١٣

٦- ﴿يَوْمَ نَطْفِئُ السَّمَاءَ كَطَافِ السَّجْلِ تَلَكَسَّ كَمَا بَدَأْنَا لَوْنٌ خَلْقٍ يُعِيدُهُ﴾
الأنبياء: ١٠٤

٧- ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ كَمَا بَدَأْتُمْ بِهِ فُعْلَانِ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾

الخلق ثم يُعِيدُهُ ﴿١﴾
يونس: ٤

٨- ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ يُفَكِّكُونَ﴾

يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ يُفَكِّكُونَ ﴿١﴾
يونس: ٢٤

٩- ﴿أَمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾
النمل: ٦٤

١٠- ﴿اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

الزوم: ١١

١١- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ

عَلَيْهِ﴾
الزوم: ٢٧

١٢- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾
النكبات: ١٩

١٣- ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَغَابَ الْبَاطِلُ وَأَنَا بَشِيرٌ

وَنَذِيرٌ﴾
سبا: ٤٩

١٤- ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾
البروج: ١٣

يلاحظ أولاً: أن البدء اقترن بالخلق في الآيات: (٢)

و(٣) و(٦) و(٧) و(٨) و(٩) و(١٠) و(١١) و(١٢)،

وهو مقدر في (١٤)، وتقديره: إنه هو يُبْدِئُ الخلق

ويُعِيدُهُ، كما في (١٢). ومعنى البدء في هذه الآيات هو

الإنشاء، ولذا عطفه على البدء في (٢).

ثانياً: تلت «الإعادة» البدء في الآيات: (٤) و(٦)

إلى (١٤)، كما تلت «الآخر» و«الآخرين» و«أول مرة»

الإنشاء غالباً، وهنا يعني أن «البدء» هو الشروع،

و«الإنشاء» هو الإيجاد والمحدث.

ثالثاً: غلب على الآيات أعلاه طابع الوعد

الترتيب.

خامساً: هناك فرق بين الآيات الثلاث الأخيرة وما تقدمها. وهو أن «البدء» في الآيات المتقدمة جاء ماضياً ومضارعاً بصيغة المجرّد، وجاء في هذه الثلاث مضارعاً من باب «الإفعال» فهل في ذلك نكتة، أو هو تنمّن في التعبير؟ إن «بدأ» و«أبدأ» بمعنى واحد، كما قيل؟ كما أنّ هذا الأمر في «الإعادة» عكس البدء، فقد جاء جميعاً بصيغة المضارع من باب «الإفعال» نسبة إلى الله إلّا في (٤)، فهو مجرّد نسبة إلى الناس. ولعلّ التضمّن في ذلك يهدي إلى أمر ذي بال، فلاحظ.

والتحذير، ولا تخرو في ذلك، فإنّها مكّبة، إلّا الآية (٥). فإنّها تحضّ المسلمين على القتال، كما هو شأن الآيات المدنية. كما تتضمّن الآية (١) سياقاً قصصياً، وهذا الأسلوب شائع أيضاً في الآيات المكّبة.

رابعاً: نستنتج من ذلك كلّهُ أن «البدء» لم يأت في القرآن إلّا بمعنى الشروع بالعمل؛ إذ المراد بجميع الآيات الابتداء بالخلق، عدا (١) و(٥) و(١٣)، ففي (١) البدء بتفتيش أوعيتهم، وفي (٥) البدء بالقتال، وفي (١٣) البدء بالباطل، فالفاعل في تلك الآيات هو الله، والفاعل في هذه الثلاث يوسف والمشركون وإبليس، حسب

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين



بدر

لفظان، مرقان، في سورتين مدنييتين

بَدْرًا ١: ١ بَدْرٌ ١: ١

بَدْرٌ بعضهم، فتنق وغلّب عليهم

بَدْرٌ الإنسان وغيره: اللّعمة التي بين المنكب

والثقب، [ثم استشهد بشر] (٨: ٣٤)

الشعبي: بَدْرٌ اسم بقر هنالك، وسُميت بَدْرًا لأنّ

أما كان لرجل من جهته اسمه بدر. (القيومي ١: ٣٨)

أبو عمرو والشميان: البادرة من الإنسان وغيره:

اللّعمة التي بين المنكب والثقب. (الأزهري ١٤: ١١٥)

أبو زيد: يقال لمنك الشخلة مادامت ترضع:

الشخوة، فإذا طم كُنْكَ: البُدرة، فإذا أُجذغ كُنْكَ:

البقاء. (الأزهري ١٤: ١١٥)

سنة التّصالي. (١٣٧)

الأصمعي: «عين حَذْرَة بَذْرَة» حَذْرَة: مكتنزة

صلبة، وبَذْرَة: تجمد بالظفر. (الأزهري ١٤: ١١٦)

ابن الأعرابي: البادر: القمّر، والبادرة: الكلمة

الفتوّاء، والبادرة: النّظبة التّرميمة، يقال: احذروا

بادرتكم

النصوص اللغوية

الخليل: البدر: القمّر ليلة البدر، وهي أربع

عشرة، وسُمي بذلك لأنّه يبادر بالظّلع عند غروب

الشمس، لأنّها يترافقان في الأفق معًا.

والبدرة: كبش فيه عشرة آلاف درهم أو ألف،

والجميع: البُدور، وثلاث بدرات.

ويقال لمنك الشخلة مادام يرضع، منك، فإذا طم

كُنْكَ البُدرة.

والبادرة: ما يبدّر من جثة الرّجل عند الضّرب،

يقال: فلان عثشي عند البادرة، وأخاف جدته وبادرتها.

والبادرتان: جانبا الكركرتين، ويقال: جرتان

اكتفاهما، [ثم استشهد بشر]

والبدر: يجمع الطّعام حيث يُداس ويُنق.

وابتدر القوم أمرًا وتبادروا، أي بادر بعضهم بعضًا.

لَيْدَرُ الرَّجُلِ، إِذَا سَرَى فِي لَيْلَةِ الْبَدْرِ، وَلَيْدَرُ الْوَصِيِّ
فِي مَالِ الْيَتِيمِ، بِمَعْنَى بَادِرٍ كَثِيرٍ، وَيَدْرُ مِثْلُهُ.

وَيَقَالُ: لَبَيْدَرُ الْقَوْمِ أَمْرًا وَتَبَادَرَوْهُ، أَيِ بَادِرٍ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا إِلَيْهِ أَيْهِمْ يَتَّبِعُ إِلَيْهِ فَيُخَلِّبُ عَلَيْهِ، وَبَادِرُ فُلَانٍ
فُلَانًا: مُؤَلِّيًا ذَاهِبًا فِي فِرَارِهِ.

وَالْبَدْرُ: الْغَلَامُ الْمُبَادِرُ، «عَيْنٌ حَذْرَةٌ بَدْرَةٌ حَذْرَةٌ:
وَاسِعَةٌ، وَبَدْرَةٌ: تَامَّةٌ، وَقِيلَ: لَيْلَةُ الْبَدْرِ: لَيْلَةُ
الْأَزْهَرِيِّ ١٤: ١١٥»

عَيْنُ بَدْرَةٍ: يَدْرُ ظَرْهَا ظَرْ الْخَيْلِ.

(ابن منظور ٤: ٤٩)

ابْنُ السُّكَيْتِ: يَقَالُ: غَلَامٌ بَدْرٌ، إِذَا كَانَ مِثْلًا
وَقَدْ لَبَيْدَرْنَا، إِذَا طَلَعَ لَنَا الْبَدْرُ، وَبَدْرٌ لَا مِثْلَ لَهُ.

(الأزهري ٧٤: ١١٥)

تَقُولُ: قَدْ لَبَيْدَرْنَا غَنَمَ مُهْدِرُونَ، إِذَا طَلَعَ الْبَدْرُ، وَهَذَا
بَدْرُنَا إِلَى كَذَا وَكَذَا يُبَدِّرُ إِلَيْهِ. (إصلاح المحققين ١١٥: ١١٥)

ابْنُ دُرَيْدٍ: غَلَامٌ بَدْرٌ، إِذَا تَمَّ شَبَابُهُ، وَبَدْرُ الْقَمَرِ
بَدْرٌ لِقَامِهِ، فَأَتَانَا مِنْ قَالٍ: إِنَّهُ يُبَادِرُ الشَّمْسَ هَذَا لَا أُدْرِي
مَا هُوَ؟

وَالْبَدْرَةُ: مِثْلَةُ الشُّفْلَةِ، وَهِيَ سَمِيَّةٌ: بَدْرَةُ الْمَالِ.

وَيَدْرُ: مَاءٌ مَعْرُوفٌ.

وَعَيْنٌ حَذْرَةٌ بَدْرَةٌ: عَادَةُ النَّظَرِ.

وَبَادِرَةُ السَّيْفِ: شَبَابُهُ، وَبَادِرَةُ الرَّجُلِ: إِقْدَامُهُ.

وَمَابَرَتُهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ فَهِيَ بَدْرَةٌ.

وَيَبْدُرُ إِلَى الرَّجُلِ: تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ يَبْدُرُ

إِلَيْهِ.

وَبَادَرْتُ الشَّيْءَ مُبَادَرَةً وَبَدَارًا، أَيِ عَاجِلَتُهُ.

(١: ٢٤٠)

الْفَارِسِيُّ: وَلَا تَطِيرُ لِبَدْرَةٍ وَيَدْرُ إِلَّا بَضْعَةً وَيَضَعُ،
وَعَضِيَّةٌ وَجَضَبٌ، (ابن منظور ٤: ٤٩)

الْمُصَاحِبُ: الْبَدْرُ: الْقَمَرُ، وَبَدْرٌ لَأَنَّهُ يُبَادِرُ بِالْفُرُوبِ
طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَلِبَدْرُ الْقَوْمِ: طُلُعَ لَهْمُ الْبَدْرِ.

وَبَدْرَةُ الدَّرَاهِمِ: مَعْرُوفَةٌ، وَيَدْرُ: جَمْعٌ، وَمِنْكَ
الشُّفْلَةُ إِذَا قَطِعَ: الْبَدْرَةُ، وَجَمْعُهُ: بَدْرُونَ، وَالْأُنْثَى مِنْ
لَوْلَادِ الْمَخْزُومِ.

وَعَيْنُ بَدْرَةٍ: مِثْلَتُهُ.

وَالْبَادِرَةُ: مَا يَبْدُرُ مِنْ جِدَّةِ الرَّجُلِ عِنْدَ الْفُتُوحِ.

وَالْبَادِرَتَانِ: جَانِبَا الْكَيْسِ كَرَتَيْنِ، وَيَقَالُ: جَبْرَقَانِ

الْمُتَغَايَا.

وَبَادِرَةُ الرَّجُلِ: إِقْدَامُهُ، وَالْمَجْمُوعُ: الْبَوَادِرُ، وَهِيَ

مَاحُولُ اللَّيْلِ، وَبَادِرَةُ السَّهْمِ: طَرْفُهُ مِنْ قِبَلِ النَّحْلِ، وَالْبَادِرَةُ:

مَاحُولُ اللَّيْلِ.

وَبَادِرَةُ السَّهْمِ: طَرْفُهُ مِنْ قِبَلِ النَّحْلِ، وَالْبَادِرَةُ:

وَزَقَى الْخُشُولَةِ.

وَالْبَدْرُ: جَمْعُ الطَّامِ.

وَالْمُبَادَرَةُ: طَلَبُ الْقَبِيلَةِ، وَالْمُسَابَقَةُ، وَقَوْلُهُ

مَرْوَجِلٌ: «وَلَا تَأْكُلُوا إِسْرَافًا وَيَذَارًا» النِّسَاءُ: ٦، أَيِ

مُبَادَرَةٍ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ رَجُلًا.

وَلِسَانُ يَبْدُرِي: أَيِ مُبَادَرَةٍ.

وَلِسَانُ يَبْدُرِي: مُسْتَوِيَةٌ.

وَالْبَدْرِيُّ مِنَ الْمَطَرِ: مَا كَانَ قَبْلَ الشَّتَاءِ كَأَنَّهُ يُبَادِرُ

الْوَقْتَ، وَهَيْئَتُهُ بَدْرِيٌّ.

وَقَوِيلٌ يَذَرِي: تَحِينَ،

(٣٠٢: ٩)

الْبُحُورِي: يَذَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ لَهْدُرُ يَذُرُّوْا: أَسْرَعْتُ

إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ يَادَرْتُ إِلَيْهِ.

وَتَسَادَرُ الْقُومُ: تَسَارَعُوا، وَابْتَدَرُوا السَّلَاحَ:

تَسَارَعُوا إِلَى أَخَذِهِ.

وَلَيْلَةُ الْبَذْرِ: لَيْلَةُ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ، وَيُسَمَّى يَذَرُّ

لِبَادَرَتِهِ الشَّمْسِ بِالطَّلُوعِ، كَأَنَّهُ يُعْبِلُهَا الْمَغْرِبَ، وَيَقَالُ:

سَمِي يَذَرُّ لِقَامِهِ.

وَأَبْدَرْنَا فَنَحْنُ مُبْدِرُونَ، إِذَا طَلَعَ لَنَا الْبَذَرُ.

وَيَذَرُ: مَوْضِعٌ، يُذَكَّرُ وَيَكُونُ، وَهُوَ اسْمُ مَاءٍ، قَالَ

الشَّعْبِيُّ: يَذَرُ: مَرَّ كَانَتْ لِرَجُلٍ يَدْعَى يَذَرًا، وَمِنْهُ يَوْمُ

يَذَرُ.

وَالْبَذَرَةُ: مَثَلُ الْمَسْخَلَةِ، لِأَنَّهَا سَادَاتُ شَرِّ نَجَسٍ

لِسُكَّهَا لَلْبَيْنِ شَكْوَةً، وَلِلْمُتَنِّ عَكَّةً، فَإِذَا طَلَمَتْ لِسُكَّهَا

لَلْبَيْنِ يَذَرُ، وَلِلْمُتَنِّ بَسَاقَةً، فَإِذَا أَبْجَدَتْ لِسُكَّهَا لَبْنٌ كَشِيرٌ

وَطَبٌّ، وَلِلْمُتَنِّ يَحْيَى.

وَالْبَذَرَةُ: عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ.

وَعَيْنُ يَذَرَةٍ، أَيْ يَذَرُ بِالظُّلَمِ، وَيَقَالُ: نَاتَتْ كَالْبَذَرِ.

[ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

وَالْبَابُورَةُ: الْحَيْدَةُ، يَقَالُ: أَخْشَى عَلَيْكَ بَابُورَتَهُ، أَيْ

جِدَّتَهُ.

وَيَذَرْتُ = يَوَادَرُ خَضِبُ، أَيْ غَطَا، وَمَسْقَطَاتٌ

عِنْدَمَا احْتَدَتْ.

وَالْبَادَرَةُ: الْبَدِيَّةُ.

وَالْبَوَادِرُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ: اللَّحْمَةُ الَّتِي بَيْنَ

الْمَنْكِبِ وَالْمُتَقِ، [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

وَالْبَذَرَةُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يَدَّاسُ فِيهِ الْقَطَامُ.

(٥٨٧: ٢)

مِثْلُهُ الْبَزَارِيُّ. (٥٦)

ابْنُ خَارِسٍ: الْبَاءُ وَالْقَالَ وَالزَّاءُ أَمْلَانِ، أَحَدُهُمَا:

كِهَالُ الشَّيْءِ، وَامْتِلَازُهُ، وَالْآخَرُ: الْإِسْرَاعُ إِلَى الشَّيْءِ.

لَنَا الْأَوَّلُ فَهُوَ قَوْلُهُمْ لِكُلِّ شَيْءٍ تَمَّ: يَذَرُ، وَسَمِي الْبَذَرُ

يَذَرًا لِقَامِهِ وَامْتِلَازِهِ.

وَقِيلَ لِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ: يَذَرَةُ، لِأَنَّهَا تَمَامُ الْعَدَدِ

وَمُنْتَهَاهُ، وَعَيْنُ يَذَرَةٍ، أَيْ مُتَمَتَّةٌ، [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

وَيَقَالُ لِمَثَلِ الْمَسْخَلَةِ: يَذَرَةُ، وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى

الْبَذَرَةِ^(١)، كَأَنَّهُ سَمِي بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَسُحُ هَذَا الْعَدَدَ،

يَحْمِلُونَ: غَلَامٌ يَذَرُ، إِذَا امْتَلَأَ شَيْئًا.

فَالْبَذَرَةُ: مَثَلُ الْمَسْخَلَةِ، لِأَنَّهَا سَادَاتُ شَرِّ نَجَسٍ

لِسُكَّهَا لَلْبَيْنِ شَكْوَةً، وَلِلْمُتَنِّ عَكَّةً، فَإِذَا طَلَمَتْ لِسُكَّهَا

لَلْبَيْنِ يَذَرُ، وَلِلْمُتَنِّ بَسَاقَةً، فَإِذَا أَبْجَدَتْ لِسُكَّهَا لَبْنٌ كَشِيرٌ

وَالْمُتَنُّ يَحْيَى، وَطَبٌّ، وَلِلْمُتَنِّ يَحْيَى.

مِثْلَتُهُ، [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: قَوْلُهُمْ: يَذَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ، وَبَادَرْتُ.

وَأَمَّا سَمِي الْخَطَا بِبَادَرَةٍ، لِأَنَّهَا تَهْدِي مِنَ الْإِنْسَانِ عِنْدَ جِدَّةٍ

وَلِخَضْبٍ.

يَقَالُ: كَانَتْ مِنْهُ بَوَادِرُ، أَيْ مَسْقَطَاتٌ، وَيَقَالُ: يَذَرْتُ

دَحْمَتَهُ وَيَادَرْتُ، إِذَا سَبَقَتْ، فَهِيَ بَادَرَةُ، وَالْجَمْعُ: بَوَادِرُ.

[ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ] (٢-٨: ١)

ابْنُ سَيِّدَةٍ: غَلَامٌ يَذَرُ: غُلَيْظٌ حَادِرٌ، وَالْأُنْثَى يَذَرَةُ.

(الْإِفْصَاحُ ١: ١١٥)

(١) فِي النُّصْرِ: الْبَذَرُ، وَهُوَ تَصْغِيرُ.

البَذْرَةُ: تشك السخلة إذا قطم، الجمع: بذر وبُدُور.

(الإفصاح ٢: ٨٠٩)

البَذْر: القمر في الليلة الرابعة عشرة، وهو قمر بدر.

والجمع: بُدُور.

بَذَرَ البَذْرَ يَبْذُرُ بَذْرًا وَأَبْذَرَ: اكتمل و صار بَذْرًا.

وَأَبْذَرَ القوم: طلع عليهم البَذْر، وساروا في ليله، ويق

ببذراً حتى يقع في ليالي الشاهور، وهن التسع

البواني. (الإفصاح ٢: ٩١٤)

والبَذْر: القمر إذا امتلأ، وإنما سمي بَذْرًا لأنه يبادر

بالغروب طلوع الشمس، أو لأنه يبادر بطلوعه غروب

الشمس، لأنها يترافقان في الأفق صباحاً.

(ابن منظور ٤: ٢٤٩)

الرَّمْهَقُفْرِي: بَذْر: اسم ماء مابين مكة والمدينة

كان لرجل يسمى بَذْرًا، فسُمي به. (١: ٢٦٦)

مثله التفاضوي (١: ١٨٠)، والحازن (الترغيب والترهيب ٤: ١٠٠)

والشربيني (١: ٢٤٤)، وشبر (١: ٣٧٠)، ومحمد جولد

مفتية (٢: ١٥٠).

بَذَرَ إلى الخير، وباتمه النهاية وإلى الناية. [تم]

استشهد بشر]

وفلان يُبادر في أكل مال اليتيم ببلوغه بذارًا.

وتبادروا الباع ولبتدروها، وهو تمشي البادرة، وأنا

أخاف بادرتي، وهي مايتد من عند جدته.

تقول: فلان حارّ التواد، حادّ البولور، وأصابه

بادرة السهم، وهي طرغ من قبل الثعل.

واحررت بولور الخيل، وهي اللحات بين المناكب

والأعناق. [ثم استشهد بشر]

وفلان يتب البَذْر، ويتب البَذْر، وهي البَذْر.

وَأَبْذَرَ القوم: طلع عليهم البَذْر، كما يقال: أقمروا

وأحرقوا من الشرق، بمعنى الشمس.

(أساس البلاغة: ١٧)

«أبى بَذْرُ غيه خَطِرَات من الثقل» هو الطبق، سمي

بَذْرًا لاستدارته، كما يسمى القمر حين يستدير

بَذْرًا. (الفائق ١: ١٨٧)

البادرة: الكلمة تُبَذَرُ منك في حال الغضب.

(الفائق ٢: ٣٨٢)

ابن بَرْي، [قال الجوهرى: في هذا الموضع التواد

من الإنسان: اللحة التي بين المنكب والفتق]

وهذا القول ليس بصواب، والصواب أن يقول:

البادر: جمع بادرة: اللحة التي بين المنكب

والفتق. (ابن منظور ٤: ٥٠)

مثله التفاضوي (١: ١٨٠)، والحازن (الترغيب والترهيب ٤: ١٠٠)

بَذَرَ أصله الامتلاء، يقال: غلامٌ بَذْرٌ، إذا كان ممتلئًا شامًا

لحمًا، وعينٌ بَذْرَةٌ.

ويقال: قد بَذَرَ فلانٌ إلى الشيء، وبادَرَ إليه، إذا

سبق. وهو غير خارج عن الأصل، لأن معناه: استعمل

غاية قوته وقدرته على السرعة، أي استعمل ميله

طاقته، وسمي يتدر الطعام بَذْرًا، لأنه أعظم الأمكنة التي

يجتمع فيها الطعام.

ويقال: بَذَرْتُ من فلان بادرة، أي سبقت قلعة عند

جدة منه، في غضب بلغت النهاية في الإسراع، وقوله

قال: «وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا إِمْرَأًا وَبَذْرًا أَنْ يَتَخَبَّرُوا»

النساء: ٦، أي سابقة لكبرهم، وسمي القمر ليلة

الأربعة عشر بَدْرًا، لتمامه وعظمه.

وَبَدْرٌ: ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصغراء، بينه وبين الجار - وهو ساحل البحر - ليلة. ويقال: إنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل: بل هو رجل من بني قُشَيرة سكن هذا الموضع فنُسب إليه، ثم غلب اسمه عليه.

وقال الزبير بن بكار: قريش بن الحارث بن يخلد، ويقال: يخلد بن النضر بن كنانة، به سميت قريش فطلب عليها، لأنه كان دليلها وصاحب ميرتها، فكانوا يقولون: جاءت غير قريش، وخرجت غير قريش، قال: وابنه بَدْر بن قريش، به سميت بَدْرُ التي كانت بها الوثقة المباركة، لأنه كان احفرها، وبهذا الماء كانت الوثقة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام. وخرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة. ولما قُتل من قتل من المشركين بدر - وجاء الخبر إلى مكة - ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تقبلوا، فيبلغ محمداً وأصحابه فيشتوا بكم، وكان الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى قد أصيب له ثلاثة من ولده: زُفَرة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زُمنة، وكان يحب أن يهكي على بنيه.

قال: فيينا هو كذلك إذ سمع نائحة بالليل، فقال لنلام له - وقد ذهب يصخره -: انظر هل أجعل التحيب؟ وقد بكت قريش على قتلاهم لعل أبكي على أبي حكيمة، يعني زُمنة، فإن جؤني قد احترق، فلما رجع الغلام إليه قال: إنما هي امرأة تهكي على يعير لما أخذته.

[ثم استشهد بشعر]

وبين بدر والمدينة سبعة بُرَد: يريد بذات الجيش، ويريد حَبود، ويريد المُرُفة، ويريد المنصَرَف، ويريد ذات أجدال، ويريد المقلّة، ويريد الأثيل، ثم بدر وبدر الموضع، وبدر القتال وبدر الأول والثانية، كلّه موضع واحد.

وقد نُسب إلى بدر جميع من شهدا من الصحابة الكرام، ونُسب إلى سُكْنَى الموضع أبو مسعود البَدْرِي، واسمه عُقبَة ابن عمرو بن ثعلبة بن أُتيرة بن عَيرة بن عطية بن جدارة بن هوف بن الحارث بن الخزرج شهد العُقبَة الثانية، وكان أصغر من شهدا، وفي كتاب الفِصل أنه لم يشهد بدراً، وقال ابن الكلبي: شهد

بَدْرٌ: جبل في بلاد بَاهِلَة بن أَصْغر، وهناك أزمابه الجبل المعروف، وأحد جبلين. يقال لها: بَدْرٌ: أي كوكب في كوكب بني المريس، واسم المريس: معاوية بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وبَدْرٌ أيضاً: بخلاف باليمن، وهو غير الأول.

(معجم البلدان ١: ٣٥٧)

ابن منظور، وبأدركه إليه: كَبَرَهُ، وبَدْرِي الأمر وبَدْر إلى: حَجَل إلى واستحق، واستحقنا البَدْرِي، أي مُبَادرين. وبَدْر الوصي في مال اليتيم، بمعنى بادر وبَدْر. ونائحة بَدْرِيّة: بَدْرَتُ أُمّها الإبل في التناج، فجاءت بها في أول الزمان، فهو أخو لها وأكرم.

والبادرة: الحدة، وهو ما يُبَدْر من حدة الرجل عند غضبه من قول أو فعل.

وبأجرة القَر: ما يُبَدْر منه، يقال: أخشى عليك

بأثرته.

الغضبة السريعة، يقال: احذروا بأثرته.

وبدأت منه بواذر غضب، أي خطأ وسقطات عندما

احتد.

وبالبادرة: الهدية، والبادرة من الكلام: التي تسبق

من الإنسان في اللطيف، [ثم استشهد بشعر]

وبادرة السيف: شبائه، وبادرة النبات: رأسه، لؤل

ما ينتظر عنه، وبادرة المنياء: أول ما يبدأ منه، والبادرة:

أجود الوزم وأخذته لياثا.

«وعين حذرة بدرة» وحذرة: مكثرة حلبة،

وبدرة: تدور بالنظر، وقيل: حذرة: واسعة، وبدرة: تامة

كالبدر، [ثم استشهد بشعر]

وقيل: عين بدرة: تدور ظرها ظر الحبل، من ابن

الأعرابي، وقيل: هي الهدية النظر، وقيل: هي المدبرة

الطبيعة، والصحيح في ذلك ما قاله ابن الأعرابي

وقوله في الحديث عن جابر: «إن النبي ﷺ كان يمشي

فيه خطيرات من البقول» قال ابن وهب: يعني بالبدرة:

الطبق، شبه بالبدر لاستعارته.

قال الأزهري: وهو صحيح، قال: وأحبه سمي

«بدرة» لأنه مدور.

وجمع البدور: بدور.

وأبدت القوم: طلع لهم البدور، ونحن مبدرون، وأبدت

الرجل، إذا سرى في ليلة البدور، وسمي بدرا لامتلائه،

وليلة البدر: ليلة أربع عشرة.

وبدور القوم: سيدهم، على التشبيه بالبدر، [ثم

استشهد بشعر]

وبالبادر: القمر، والبادرة: الكلمة القواء، والبادرة:

والبدور: الغلام المبادر، وغلام بدور: مثلي، وفي

حديث جابر: «كنا لا نبيع التمر حتى يدوره أي يبلغ،

يقال: بدور الغلام، إذا تم واستدار، تشبيها بالبدور في تمامه

وكماله، وقيل: إذا اسمر الثمر يقال له: قد أبدر.

والبدرة: جلد السخلة إذا فطيم، والجمع: بدور

وبدور.

والبدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف، سميت

ببدرة السخلة، والجمع: البدور، وثلاث بدورات.

وبالبادرتان من الإنسان: لسان فوق الرغشطين

وأصل التدورة، وقيل: هما جانبا الكزيرة، وقيل: هما

مرفقان يكتفانها، قال الشاعر:

* قمر يواورها منها فوارقها *

يعني فوارق الإبل، وهي التي أخذها القاص ففترقت

عنها، فكأن أخذها وجمع في بطنها سرت، أي ضربت

بطنها بادرة بركرتها، وقد تفعل ذلك عند الطش.

وبالبادرة من الإنسان وغيره: اللحمة التي بين

الحنك والفتق، والجمع: البوادير، [ثم استشهد بشعر]

وفي الحديث: «آله لما أنزلت عليه سورة: ﴿الفرأينهم

ذلك﴾ السلق: ١، جاء بها مكثرا، ترعد بواذره، فقال:

زملوني، زملوني.

والتيذر: الأتذر، وخص كراع به أتذر القمح، يعني

الكف من، وبذلك فسر الجوهري.

التيذر: الموضع الذي يدلس فيه الطعام، (٤٨: ٤)

القيومي: بدور إلى الشيء بدورا وبادرا إليه مبادرة

وبدورا، من باب فعد وقاتل: أسرع، وفي التنزيل:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَالَهُمْ بِمَا نَسُوا﴾ : ٦.

وَيَذَرْتُمْ مِنْهُ بَادِرَةً غَضَبٍ : سبقت ، والبادرة : الخطأ
أيضاً ، وَيَذَرْتُمْ يُوَادُّ الْخَيْلَ ، أي ظهرت أوائلها .
وَالْبَذَرُ : القمح ليلة كماله ، وهو مصدر في الأصل ،
يقال : بَذَرَ القمح يَبْذُرُهُ مِنْ بَابِ «فَعَّلَ» ثُمَّ سَمِيَ الرَّجُلُ بِهِ
وَيَذَرُ : موضع بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة
أقرب ، ويقال : هو منها على ثمانية وعشرين فرسخاً ،
على منتصف الطريق تقريباً .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : كَانَ شَيْخٌ يُقَارِ بِقُلُوبِهِمْ يَبْذُرُ مَاؤُنَا
وَمِزْنَانَا ، وَمَا مِلْكُهُ أَحَدٌ قَبْلَنَا ، وَهُوَ مِنْ دِيَارِ قِفَارِ .
وَالْبَذَرُ : الموضع الذي يُداس فيه الحبوب .

(١١ : ٣٨)

الْفَيْدُورُ ابْنُ أَبِي : بَادِرُهُ مُبَادِرَةٌ وَهَدَارٌ وَابْتَدَرُ .
وَيَذَرُ غَيْرُهُ إِلَيْهِ : هَاجَلُهُ ، وَيَذَرُهُ الْأَمْرُ وَالْبُيُوتُ : يَهْجُلُ إِلَيْهِ .
وَلَسْتُ بِمَنْ وَاسْتَهَنَّا الْبَذَرُ كَجَمْعِهِ ، أي مُبَادِرِينَ .

وَالْبَادِرَةُ : مَا يَبْذُرُ مِنْ جَدَّتِكَ فِي الْغَضَبِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ
فِعْلٍ ، وَشِبَابَةُ السَّيْفِ ، وَالْهَدِيَّةُ ، وَوَرَقُ الْمَوَاطَةِ ، وَأَوَّلُ مَا
يَنْظُرُ مِنَ الثَّيَابِ ، وَأَجُودُ الرُّؤُوسِ ، وَأَحَدُكُمُ ، وَاللَّحْمَةُ
بَيْنَ الْمُتَكَبِّبِ وَالْمُنْتَقِ ، وَمِنْ الْإِنْسَانِ اللَّحْمَتَانِ فَوْقَ
الرُّعْتَانَيْنِ ، وَأَسْفَلَ الْفُتْدَانَةِ ، جَمْعُهُ : الْبَوَادِرُ .

وَالْبَذَرُ : القمح المثلث كالبادر ، وَالشَّيْءُ ، وَالصَّلَامُ
الْبَادِرُ ، وَالطَّبَقُ .

وَيَذَرُ : موضع بين الحرمين ، معرفة ويَذَرُ ، أو اسم
بئر هناك حفرها يَذَرُ بْنُ قُرَيْشٍ وَيَخْلُفُ بِالْيَمَنِ ، وَجَبَلٌ
لِبَاهِلَةَ ، وَآخَرُ قُرْبِ الْوَادَةِ ، وَمَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ ، وَجَبَلٌ
بِلَادِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَكَمٍ ، وَصَحَابَتَانِ .

الْبَذَرِيُّ : مَنْ شَهِدَ يَبْذُرًا ، وَأَبُو مَسْعُودٍ هُفَيْفَةُ بْنُ عَشْرٍ
وَالْبَذَرِيُّ لَمْ يَشْهَدْهَا وَإِنَّمَا نَزَلَ مَا يُقَالُ لَهُ : يَبْذُرُ .
وَالْبَذَرُ وَبَاهِلَاءُ : جِلْدَةُ السَّخْلَةِ ، جَمْعُهُ : يَبْذُورٌ وَيَبْذَرُ .
وَكَيْسٌ فِيهِ أَلْفٌ أَوْ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، أَوْ سَبْعَةُ آلَافٍ
دِينَارٍ ، وَمَوْضِعٌ .

وَهَيْئَةُ يَبْذَرُ : تَبْذُرُ بِالظُّفْرِ ، أَوْ تَلَعَتْ كَالْبَذَرِ . وَالْبَيْذَرُ :
الْكُدْسُ .

وَابْذَرْنَا : طَلَعَ لَنَا الْبَذَرُ ، أَوْ سِرْنَا فِي لَيْلَتِهِ ، وَالْوَصِيُّ
فِي مَالِ الْيَتِيمِ يَبْذُرُ كَيْدَهُ ، وَيَبْذَرُ الطَّعَامَ : كَوْنَهُ .
وَالْبَيْذَرُ : مَوْضِعُهُ الَّذِي يُدَاسُ فِيهِ .
وَلِسَانٌ يَبْذُرِي كَخَوَزَلٍ : مُسْتَوِيَةٌ .

وَالْبَذَرِيُّ مِنَ الْفَيْتِ : مَا كَانَ قَبِيلَ الشَّيْءِ ، وَمِنْ
الْبَذَرِ : التَّحْنُوتُ . (١١ : ٣٨)

تَجَمُّعُ اللَّفْظَةِ : يَذَرُ إِلَى الْأَمْرِ يَبْذُرُ كَخُرُجِ يَبْذُورٍ :
مَرَّحِيَّةٌ كَمَا فِي مَرْحِيَّةِ كَرِيمٍ .

وَبَادِرُهُ مُبَادِرَةٌ وَهَدَارٌ ، هَاجَلُهُ وَأُسْرَعُ إِلَيْهِ .
(١١ : ٨٢)

الْقَدْنَانِي : «جَاءَ بَدْرَانُ» رَأَيْتُ بَدْرَانًا أَوْ يَبْذَرَيْنِ .
مَرَرْتُ بِبَدْرَانٍ أَوْ يَبْذَرَيْنِ .

وَيَحْطُونَ مَنْ يَقُولُ : رَأَيْتُ يَبْذَرَيْنِ «بَدْرَانُ» اسْمُ
شَخْصٍ ، وَمَرَرْتُ بِبَدْرَيْنِ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ الصَّوَابَ هُوَ
رَأَيْتُ بَدْرَانًا وَمَرَرْتُ بِبَدْرَانٍ .

وَالشَّعَاةُ يُجِيرُونَ الْوُجْهَيْنِ ، إِذَا يَصَحَّ أَنْ تَقُولَ : رَأَيْتُ
بَدْرَيْنِ أَوْ يَبْذَرَيْنِ ، وَمَرَرْتُ بِبَدْرَيْنِ أَوْ يَبْذَرَيْنِ :

١- بِحَذْفِ عَلَامَةِ التَّنْبِيهِ مِنْ آخِرِ كَلِمَةِ «بَدْرَانُ»
لِأَنَّهَا مُنْعَقَةٌ بِالنَّقْطِ ، وَلَيْسَتْ مُنْقًى حَقِيقَةً ، وَإِعْرَاجُهَا بَعْدَ

ذلك بالحروف كباقي أنواع المشقّ الحقيقي، فنقول: جاء
بَنَرَان، ورأيتُ بَنَرَيْن، وسَلَمْتُ على بَنَرَيْن.

وهذا قد يوهم أنّه مثقّ، ولا يأمن اللبس فيه إلا
المخبر الذي يعرف أنّه مفرد، ويُدرك أنّ التلّم المشقّ
لا يتجرّد من دالّه إلا عند إضافته، أو ندائه، وهنا غير
مضاف، بل إنّه قد يضاف فيرماد اللبس قوة.

٢- بالزوايا الألف والتون مثل عِشْرَان، وإِصْرَابَا
إِصْرَاب مالا ينصرف بحركات ظاهرة فوق التون، فترفع
بالفتحة من غير تنوين، وتُنصب وتُجرّ بالفتحة من غير
تنوين أيضاً. وهذا أيضاً لا يخلو من اللبس أحياناً.

ويرى صاحب «التحو الوافي»: إبقاء «التلّم» على
حاله من الألف والتون، أو الياء والتون، مع إصْرَابَا
كالاسم المفرد بحركات إعرابية مناسبة على آخره،
وهذا الوجه وحده أولى بالاتباع، إذ لا يؤدي إلى
اللبس، لأنّه الموافق للواقع. وليس في أصول النطق
ما يمنعه، بل إنّ كثيراً من المعاملات التجارية في عصرنا
توجب الاختصار عليه.

فالمصارف مثلاً لا تعترف إلا بهاتلم الحكي، أي
الطابق للمكتوب نصّاً في شهادة الميلاد، وفي الشهادة
الرسمية المحفوظة عندها، والمباينة لما في شهادة الميلاد،
ولا تقضي لصاحبه أمراً مصرفياً إلا إذا تطابق توقيعه،
واسمه المسجل في تلك الشهادة تطابقاً كاملاً، في الحروف
وفي ضبطها، فن اسمه حسنين أو بنران، يجب أن يظّل
على هذه الصورة كاملة في جميع الاستعمالات عندها،
مهما اختلفت اللوازل التي تقتضي رفعه، أو نصبه، أو
جرّه.

فلو قيل: حَسَنَان، أو بَنَرَيْن، تبعاً للحوامل
الإعرابية، لكان كلّ عَلم من هذه الأعلام دالّاً في عَرَف
المصرف على شخص آخر، من غير الشخص الذي يدلّ
عليه العلم الأوّل، ولئن لكلّ منهما ذاتاً وحقوقاً يستفرد
بها، ولا ينافيا الآخر، وإن يرافق المصرف مطلقاً، على
أنّ الاسمين لشخص واحد، ولا على أنّ الخلاف يستجبه
للإصْرَاب وحده دون الاختلاف في الذات. ومثل
المصارف كثير من الجهات الحكومية كالبريد، وأنواع
الرخص، والتجارات الرسمية المختلفة.

ولنا أزيد صاحب «التحو الوافي» في رأيه هذا، لأنّه
متطابق، ويحمّدنا عن اللبس والقوض. (٤٨)

محمود شيت، ١- أ- بَدَرَ القصر بَدَرًا: اكتمل، وإلى
الشيء بَدَرًا: أسرع، والأمر فلاناً وإليه: حُجِل إليه،
وغلّثا بالأمر: عاجله، وغلّثا: سبقه.

ب- بَدَرَ: طلع عليه البدر، وسرى في ليلته،
والوصيّ في مال اليتيم: أكله قبل كيّره.

ج- بَادَرَ إليه مبادرة وبدلًا: أسرع، وغلّثا النهاية
والها: سبقه إليها.

د- ابْتَدَرَتْ منها: سالت دموعها، وغلّثا هكذا:
عاجله به، والقوم الشيء: تسارعوا إليه.

هـ- تبادر القوم: تسارعوا، والقوم الشيء: ابتدروه.

و- المبادرة: مؤنث اليادر، وما يبدو من الرجل عن
خضبه من خطا أو سقط، والمضطبة التريعة، جمعه:

بواجر، والمبادرة من التسمم: طرفه من قبل التصل.

ز- بَدَرَ: وإذ يقع بين مكّة والمدينة على ثمانية
وعشرين فرسخاً من الثانية، وكان به غزوة بدر

المشورة.

النصوص التفسيرية والتاريخية

بدر

ح - البدر: القمر ليلة كماله، جمعه: بدور، وأبدار.

ط - البدر: الموضع الذي يداس فيه الطعام لإخراج

الحب من سناوله.

ي - البدر: الأسد.

٢ - البدر الجيش: سرى في ليلة البدر.

ب - البدر الجيش بالقتال: عاجل بالقتال عدوه.

وتسارع إلى القتال.

ج - المبادرة: مزينة من مزايا القائد الجيد، تحبته

يسبق العدو حسب خطة مرسومة، ويقضي عليه. يقال:

المبادرة بيد القائد، والمبادرة مع الجيش. (١: ٧٢)

المصطفوي، الظاهر أن الأصل الواحد في هذا

المادة هو السرعة، إلا أن «البدر» أعم من السرعة

ظاهراً ومعنى، وأكثر استعمال السرعة في المعركات

والأعمال الظاهرة المحسوسة. ولما كانت صيغة «فاعل»

وهيته تدل على امتداد النسبة زائداً على النسبة

الموجودة في المجرّد «فعل» كما في سافر وطالب، أي امتدّ

السفر وامتدّ الطلب، فتدل صيغة البدر والمبادرة على

امتداد البدر والسرعة.

وأما إطلاق «البدر» على القمر الشام لمبادرته إلى

الظهور، وتجليه التام وإنارته وطلوعه الكامل، ووصوله

في سيره إلى الناية، فكانت من جهة ظهوره التام يسارع

في التجلي والإنارة والقرب. (١: ٢١٣)

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَتْلُكُمُ

تَشْكُرُونَ. آل عمران: ١٢٣

ابن عباس: كان المهاجرون يوم بدر سبعة

وسبعين رجلاً، والأنصار مئتين وستة وثلاثين رجلاً.

الجميع ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان المشركون نحواً

من ألف رجل. (الطوسي ٢: ٥٧٨)

الشعبي: إنما سمى بدرًا، لأنه كان ماء لرجل من

بنيته يقال له: بدر. (الطبري ٤: ٧٥)

الضحاك: بدر: ماء من بين طريق مكة، بين مكة

والمدينة. (الطبري ٤: ٧٥)

قناة: إن بدرًا ماء بين مكة والمدينة، التي عليه

التي هي صلى الله تعالى عليه وسلم والمشركون، وكان أول

قتال قاتله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان ذلك

في السابع عشر من شهر رمضان يوم الجمعة، ستة اثنين

من الهجرة، والباء بمعنى «في» أي نصركم الله في

بدر. (الطوسي ٤: ٤٣)

نحوه الميمني.

ابن إسحاق: لم يلق رسول الله ﷺ بالمدينة حين

قدوم من غزوة المشيرة إلا ليالي قلائل، لا تبلغ العشر،

حتى أغار كُرُزُ بن جابر التمهري على سرح المدينة،

فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، واستعمل على المدينة زيد

ابن حارثة، حتى بلغ واديًا، يقال له: شخولان، من ناحية

بدر، وقاته كُرُزُ بن جابر، فلم يلتزمه، وهي غزوة بدر

الأول، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأقام بها بقية

بجنادي الآخرة وزججا وشعبان. (ابن هشام ٢: ٢٥١)
ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً
من الشام في غير قريش عظيمة، فيها أموال قريش،
وتجارة من تجارتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش لو
أرجمون، منهم عكرمة بن نوفل بن أُمّية بن عبد مناف بن
زُهرة، وعمر بن العاص بن وائل بن هشام.

وحديثي محمد بن مسلم الزُّهري، وعاصم بن عمر
ابن قُشادة، وعبد الله بن أبي بكر، وبلال بن رومان، عن
عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا، عن ابن عباس،
كلّ قد حدثني بعض هذا الحديث، فاجتمع حديثهم فيها
سُتُت من حديث بدر، قالوا:

١- سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام،
ندب المسلمين إليهم وقال: هذه غير قريش، فيها
أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكوها، فاستجاب
الناس، فغف بعضهم وقتل بعضهم، وذلك أنهم لم يعلموا
أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس
الأخبار، ويسأل من لقي من الزكّان تحوّفاً هل أمر
الناس، حتى أصاب خيراً من بعض الزكّان، لأن محمّداً قد
استنفر أصحابه لك ولأميرك، فعذّر عند ذلك، فاستأجر
ضمضم بن عمرو اللخاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن
يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمّداً
قد عرض لما في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو
سرياً إلى مكة. (ابن هشام ٢: ٢٥٧)

الواقدي، إله أبحاث مطوّلة، هنا خلاصته:

١- ندب رسول الله ﷺ، وقال: وهذه غير قريش

فيها أموالهم لعل الله ينفلكوها، فأسرع من أسرع.

٢- أسماء المظلمين من المشركين يدر.

٣- أسماء النفر الذين قدموا من الأسرى.

٤- نزول سورة الأنفال.

٥- أسماء الأسراء من المشركين.

٦- أسماء الشهداء يدر.

٧- أسماء قتل بدر من المشركين.

٨- تسمية من شهد بدرًا من قريش والأَنْصار |

(المغازي ١: ١٩ - ١٥٢)

ابن هشام: [نقل غزوة بدر تفصيلاً فراجع]

(٢: ٢٥٨ - ٣٠٨)

اليقوي، وكانت وفاته بدر يوم الجمعة ثلاث
عشر شهرًا، وكان سببها أن أبا سفيان بن حرب قدم من
الحجاز بغير قريش تحمل قنارات وأموالاً، فخرج رسول
الله يعارضه، وجاء الصّريح إلى قريش بمكة يخبرهم
الخبر، وكان الرسول بذلك ضمضم بن عمرو اللخاري،
فخرجوا نافرين مستعدين، وخالف أبو سفيان الطريق
فجاء بالبير.

وأقبلت قريش مستعدة لقتال رسول الله، وعدّتهم
ألف رجل، وقيل: تسعمائة وخمسون، وكانوا ينحرون
كلّ يوم من الجزور عشرًا وتسعًا، ففزع أبو جهل وأمية
بن خلف المحمسي تسعًا، وسهيل بن عمرو عشرًا وعتبة
بن ربيعة عشرًا، وشيبة بن ربيعة تسعًا، ومنبّه ونبيّه ابنا
المختار التميمي عشرًا، وأبو البخري العاص بن
هشام الأسدي عقرًا، ولخارت بن عامر بن نوفل بن

عبد مناف عثراً، والعبّاس بن عبد المطلب عثراً.

وقيل: إن العبّاس نحر يوم الوقعة فأكفشت القدود.

ولله خرج مستكرحاً كالأسير. وقال عبدالله بن عباس:

لن أبي أطعم أسيراً، وما أطعم أسيراً قبله. ودوى ابن

إسحاق أن حكيم بن حزام كان من المصطفيين. وكان

أبو لهب عليلاً فلم يسكنه الخروج فأعانهم بأربعة آلاف

درهم. وقيل: بل كان أبو لهب قامر العاص بن هشام

المغزومي ففقره نفسه. فدفعه إليهم مكانه.

وخرج رسول الله في ثلاثمائة وقيل: تسعين رجلاً

منهم من المهاجرين واحد وثمانون. ومن الأنصار مائتان

واثنان وثلاثون رجلاً. ومعه فرسان فرس للزبير بن

الخطّام، وفرس للمقداد بن عمرو البهزلي. ويقال: فرس

لعمرو بن أبي مرثد الضنوي. ومعه سبعون راحلة.

فالتقوا يوم الجمعة لئشر خلون من شهر رمضان.

فقتل من المسلمين أربعة عشر رجلاً وقتل من المشركين

من سادات قريش سبعون رجلاً. وأسر منهم سبعون

رجلاً. فأمر رسول الله بمرجلين من الأسارى غطرت

أعناقهما وهما عتبة بن أبي شعث بن أبي عمرو ابن أمية،

والنضر بن الحارث بن كلفة بن عبد مناف بن عبد الدار.

وأخذ الفداء من ثمانية وستين رجلاً. واقتدى العبّاس

نفسه وابني أخيه عتيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث

وحليفاهما من بني فهر.

وقال العبّاس لرسول الله: إله لا مال لي، فدعني

أسأل الناس بكفّي. فقال: أين المال الذي دفعته إلى أمّ

الفضل؟ يعني لهاية بنت الحارث الهلالية امرأته. وقالت

لها: يكون عدّة. فقال: أشهد أنك رسول الله، والله

ما أطعم على ذلك غيري وغيرها. فاقتدى نفسه بسبعين

لوقية وابني أخيه بسبعين أوقية.

وقال رسول الله في الليلة التي بات فيها العبّاس

أسيراً: لقد أسهرني أين العبّاس عني في القعدة منذ أئيلة.

وأسلم العبّاس. وخرج إلى مكة يكرم إسلامه.

(تاريخ الخلفاء ٢: ٤٥)

نحوه ابن خطبة. (١: ٥٠٢)

الطبري: [أورد القعدة مطوّلة وهذه خلاصتها:

لما اختلف في اليوم الذي وقعت فيه معركة بدر.

فقال بعضهم: كانت وقعة بدر يوم تسعة عشر من شهر

رمضان. وقال آخرون: كانت يوم الجمعة صبيحة سبع

عشر من شهر رمضان.

ب- الحمل والأسباب التي أدت إلى نشوب معركة

بدر.

ج- وصف غزوة بدر برواية ابن إسحاق وغيره.

د- الاختلاف في عدد الذين كانوا مع النبي في هذه

الغزوة، أهم ثلاثمائة رجل أم أكثر؟

هـ- دعاء النبي يوم بدر ورمي الحصاة.

و- نزول الملائكة لنصرة المسلمين.

ز- ذكر القتلى والأسرى وعددهم.

ح- أخذ الفدية من الأسارى.

(تاريخ الطبري ٣: ٢٩ - ٨٤)

نحوه ابن الأثير. (الكامل ١: ٥٢٤)

الطبري: [وسد نقل الأقوال في الرجل المستمى

ببدر قال:]

وكان صاحب رواية رسول الله ﷺ يوم بدر أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وصاحب راية الأنصار
سعد بن عباد رضي الله عنه . (٥٧٩ : ٢)

الواحدى : بدر : اسم موضع ، نُصر هناك رسول
الله ﷺ . (١٨٦ : ١)

القرطبي : كانت «بدر» يوم سبعة عشر من
رمضان ، يوم جمعة ثمانية عشر شهراً من الهجرة ، وبدر :
بَاءٌ بِئَالِكَا ، وبه سمي الموضع . (١٩٠ : ٤)

أبو حنبلان : (بدر) في الآية : اسم علم لما بين مكة
والمدينة ، سمي بذلك لصفاته ، لو رؤية البدر فيه لصفاته
أو لاستدارته . قيل : وسمي باسم صاحبه بدر بن كلفة ،

قيل : بدر بن بجيل بن النضر بن كنانة ، وقيل : هو بدر
يلغار ، وقيل : هو اسم وادي الصغراء ، وقيل : اسم قرية

بين المدينة والجار .
مثله أبو السمود . (١٩٧ : ١)

البروسوي : وبدر : بحر ماو بين مكة والمدينة
حافرها رجل اسمه بدر ، فسما ، وكانت وقعة بدر في
السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة .
[لأن أن قال:]

وكان صاحب راية رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام ، وصاحب راية الأنصار
سعد بن عباد رضي الله عنه . (١٩٠ : ٢)

الطراحي : كانت قريش ترى أن محمداً وأصحابه
يخرجون من القوار يجب أن تقتل ، ولا سيما بعد أن صارت
لهم القوة في المدينة ، وهي على طريق التجارة إلى الشام ،
فجده المسلمون في مهاجمة قوافل مكة ، وقالوا أول انتصار
لهم في السنة التالية من الهجرة في غزوة بدر - بدر بين

مكة والمدينة كانت لرجل يسمى بدرًا لسميت باسمه -
وكانت هذه الوقعة نصراً مؤزراً للمسلمين ، وكسارَةً
كبرى على المشركين ، وكان ■ قوي عظيم في أرجاء
البلاد العربية ، من أقصاها إلى أقصاها . (٥٦ : ٤)

فريد وجدي : وقعة بدر بين المسلمين الأولين
ومشركي العرب .

رأينا أن نقل هذا التاريخ عن الأستاذ الفاضل الشيخ
محمد الحضري مدرس التاريخ الإسلامي بالجامعة
توثيقاً بفضل من جهة ، ولجمل هذه الذكارة مجتمعاً
لأبحاث الكثير من كتابنا من جهة أخرى .

قال حضرته كما نقله عنه «المؤيد» في ٢٦ يناير سنة
١٩١١ :

خرجت جبر من مكة بقدماً أبو سفيان بن حرب
ومعه ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش ، فذهبت إلى

الرسول ، فتنب إليها أصحابه ، وقال : هذه جبر قريش
فاخرجوا إليها لعل الله أن يفلحوها ، فانتدب الناس ،
فخفت بعضهم وثقل آخرون ، لم يكونوا يظنون أن
الرسول يلقى حرباً ، وكانت في عدة من خرج معه (٣١٤)
رجالاً : ٨٣ من المهاجرين ، و ٦١ من الأنوس ، و ١٧٠ من
الأنصار .

كان أبو سفيان رضي الله عنه (البحار) يسير محترساً
أمامه السيوف فأخبر - وهو يسير - أن محمداً قد استنفر
أصحابه للمير فعلن ، واستأجر رجلاً ، يذهب إلى مكة
يستنفر قريشاً إلى أمواهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض
لغير في أصحابه ، فخرج ذلك الرجل حتى أتى مكة

وصرح يظن الولدي، يا معشر قريش الطليعة الطليعة،
يا معشر قريش أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها
عمد في أصحابه، لأرى أن تدركوها الفتوة الفتوة.
فتجهز الناس سراعا وكانوا بين رجلين: إنا خارج
وإنا باعث مكاتة رجلا، فكانت عدتهم بين التسماتة
والألف، ولم يزالوا في سيرهم حتى أتوا بالندوة النضرة
من وادي بدر.

أما رسول الله ﷺ فإنه خرج من المدينة يوم الاثنين
لثمان خلون من رمضان أو ٩ منه، حسب تقويم محمد
عنتار باشا المصري - الموافق ٥ مارس سنة ٦٢٤ م -
حتى إذا كان قريبا من الضراء بعث الميرون إلى بدر
لاستطلاع أخبار البير. حتى إذا قارب بدرًا جاءته
الأخبار عن قريش بأنهم سفروا لمساواة عيرهم.
فاستشار الناس بدر أن أخبرهم، فتكلم أبو بكر وعمر
فأحسننا، وقال له المقداد بن عمرو: امض يا رسول الله لما
أمرك الله فمن معك، والله لا نقول لك كذا قالت بدر
إسرائيل لموسى: «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّي فَقَاتِلْ إِنَّا هَهُنَا
قَاهِنُونَ» المائدة: ٢٤. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا
إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى
برك النهد - موضع في أقصى أراضي حبر - لجالدنا معك
من دونه حتى تباعد فقال له الرسول خير.

ثم قال: أشيروا علي أيها الناس، وإنا كان يريد
الانحصار لأن العدد فيهم ولم تكن يبعثهم إلا على أنهم
يموتونه مادام في ديارهم، فكان يخوف أنهم لا يبرون
نصرتهم إلا على من ذهب في المدينة من عدوه، وليس
عليهم أن يسيروا بهم إلى هند خارج ديارهم.

فقال له سعد بن معاذ: والله لكأ أنك تريدنا يا رسول
الله! قال: أجل، فقال له سعد: قد آمنا بك، وصدقناك.
وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك
عهدنا ومواثيقنا على السمع والاطاعة، فامض يا رسول
الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف
من رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا العدو، وغدا إنا
لصبر في الحرب مبدئي عند اللقاء، لعل الله يُمِرَّك منا
ماتفر به عينك، فسير بنا على بركة الله.

فَسَرَّ اللَّهُ بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشَأَ ذَلِكَ، ثم قال: سيروا
وابشروا فإن الله قد وهبني إحدى الطائفتين، والله
لنكونن لهم قوامًا، فسيرنا على بركة الله.
ثم لما عمل رسول الله ﷺ حتى إذا وصل قريشًا من بدر فلقه لأن
أبي سفيان قد نجا بالبير وأن قريشًا وراء وادي بدر، وكان
أبو سفيان قد بلغ ساحل البحر فتجا، وأرسل إلى قريش
يخبرهم ويطلب منهم العودة إلى مكة لنجاة البير، فأبى
ذلك أبو جهل، وقال: والله لا ترجع حتى نرد بدرًا - وكان
بدر موسمًا من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل
عام - فقيم بها ثلاثًا فتعمر الجوزور، وتطعم الطعام،
ونسي الخمر، وتعزف علينا القيان، ونسبح بنا العرب
وسيرنا وبجحنا، فلا يزالون يهاؤننا أبدًا بعدها،
فأمضوا.

ولما رأى منه ذلك الأخنس بن شريق الثقفي حليف
بني زهرة تشدد أبي جهل من غير داعية، أشار إلى
حلفائه من بني زهرة أن يرجعوا، فأتبعوا مشورته
وعادوا، فلم يشهد بدرًا في صفوف المشركين زُهري،

وكذلك لم يشهدا من بني عدي أحد.

مضت قريش حتى نزلت بحدوة الوادي اللثي، ونزل المسلمون على أول ماء من بدر، فجاء الحباب بن المنذر إلى رسول الله وقال له: يا رسول الله أرايت هذا المنزل أمثلاً أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الزأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الزأي والحرب والمكيدة، قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فنزله، ثم تهور ماوراءه من القلب (البحر) ثم نهي عليه حوضاً فتملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال له: لقد أشرت، وغل كما قال.

ثم إن سعداً قال للرسول: يا رسول الله ألا نهي القوم عريشاً تكون فيه، ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحيينا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فماتت، فاستأذنا من قومنا، فقد تخلف عندك أقوام، يأنى الله ما نحن بأشد لك حباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عندك، يمتك الله بهم، يناصحتك ويجاهدون معك، فأثنى عليه الرسول، ودعا له بخير، وأمر ببناء العريش، فبني له.

تراءى الجيشان فلم يكن بدء من الحرب، في صبيحة يوم الثلاثاء ١٧ رمضان - ١٢ مارس سنة ٦٢٤م - ابتدأ الحرب بالهرازة حسب القواعد العسكرية، فخرج من صفوف المشركين ثلاثة: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وابنه الوليد، وأخوه شيبة، فطلبوا أن يخرج إليهم، فبرز لهم ثلاثة من الأنصار، فقال لهم القرشيون: لا حاجة لنا

بكم، فطلب أكفأنا من بني عتاء، فخرج لهم حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وعلي ابن أبي طالب، فكان عبيدة يازله عتبة، وحمزة يازله شيبة، وعلي يازله الوليد، فأما حمزة وعلي فلم يمهلا صاحبهما أن قتلاهما، وأما عبيدة وعتبة فاختلعا خمرتين، كلاهما أثبت صاحبه، فحمل علي وحمزة على عتبة فذقوا^(١) عليه، واحتملا عبيدة وهو جريح إلى صفوف المسلمين، ثم بدأ الهجوم بين الصفوف ولم تصل الحرب في ذلك النهار، فإن الهزيمة حلت بصفوف قريش بعد أن قُتل جمع من صناديدهم، فجمع أبو جهل بن هشام رأس هذه الفتن كلها، وأسير من قريش نحو التسعين، وحرب الباقين.

ولما انتهت الواقعة أمر الله^(٢) بدفن القتلى من قريش ومن المسلمين، وكانت هذه حادثة في حروبه، ثم أمر بفتحهم بالفتح، أحدها وهو عبد الله بن رواحة إلى أهل المدينة، والآخر زيد بن حارثة إلى أهل السافلة.

ثم عاد الله^(٣)، وفي صودته قتل رجلين من الأسرى: أحدهما النضر بن الحارث، لأنه كان غالياً في عداوة المسلمين بكم، يكثر أذاهم، ويُعلم القيان الشر الذي يجرؤون به المسلمون ليقتلوه به، والثاني عتبة ابن أبي سفيان وهو مثله، فكان لقتلها سبب خاص، ولم يقتل غيرها من الأسرى، ولما أُقبل بالأسرى فرزهم بين أصحابه، وقال: استوصوا بهم خيراً.

قال أبو عزيز بن عمير: كنت في رهط من الأنصار

(١) جفا عليه وأنتاقتله

ضد المسلمين بشره. وكان فداء بعض الأسرى الذين يكتبون أن يعلم عشرة من صبيان المدينة الكتابة.

نزل في هذه الفزوة من القرآن سورة الأنفال بأسرها، وقد بدأت بأمر الأنفال، وأنها صارت لله وللرسول، يقضي فيها الله بما شاء، ثم قضى فيها بأن «الغنائم» لله وللرسول ولذي القربى والمسلمين والمساكين وابن السبيل، فالباقي وهو أربعة أخماس للمسلمين، وقد خصص عليه الصلاة والسلام سهم ذي القربى، وبني هاشم والمطلب، وبني عبد مناف، ولم يسط من بني نوفل وعبد شمس.

ثم فُصِّل في السورة خروج المسلمين إلى هذه الغزاة، وأنه تجهز فيها وأيدهم بالملائكة، بشرى لهم من الغنائم، فإن موسى عليه السلام كان يبرئها ولا يبيح لها شيئاً. لذلك كان هذا القرار سبباً لاستجاب الله سبحانه بقوله: «مَا كَانُوا لِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَنْزَلِي عَنْ يَمِينِي فِي الْأَرْضِ يُرِيدُونَ هَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَكِيمٌ» إلى قوله: «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

الأنفال: ٦٧-٦٩.

حين أقبِلُوا من بدر فكانوا إذا قدَّمُوا خيلهم أو عشاءهم غصوني بالخيز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله إياهم بناءً، ما تنفع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا تقمعي^(١) إليها، قال: فاستحي فأردتها على أحدكم فبردها عليّ ما يمشيها. فإن لها عزيز هذا صاحب لواء المشركين بدر، ثم استقر رأي رسول الله ﷺ بعد أن استشار أصحابه هل قبول الفداء من قريش في أصحابه، وكان بعض الصحابة ومنهم عمر وسعد بن معاذ يريدون قتالهم، وكان رأي أبي بكر وأكثر الصحابة لا يريدون ذلك ويريدون قبول الفداء - وذلك كله قبل نزول آية القتال - فرفض^(٢) رأي أبي بكر، ولما كان ذلك من غير أمر من الله - خصوصاً أنه لم يسبق لنبي أن أكل شيئاً من الغنائم، فإن موسى عليه السلام كان يبرئها ولا يبيح لها شيئاً - لذلك كان هذا القرار سبباً لاستجاب الله سبحانه بقوله: «مَا كَانُوا لِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَنْزَلِي عَنْ يَمِينِي فِي الْأَرْضِ يُرِيدُونَ هَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَكِيمٌ» إلى قوله: «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

وقد كان من رأي سعد حين القتال أن المسلمين لا يأبسون، ثم أمره الله أن ينطلق بهؤلاء الأسرى، فقال له: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّإِنِّي فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَنْزَلِي إِنْ يَتْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُوَفِّقْكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيُلْغِمْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ» الأنفال: ٧٠.

علمت قريش بما كان، فأرسلت فداء أسراها، فن حضر فداؤه أرسل، ومنهم من من عليه بخير فداء، ومنهم أبو هريرة الجهني الشاعر بعد أن تعهد أن لا يكون

وبعد أن تكلم مما أودع الله في قلوب المسلمين من القوة والطمأنينة، فإن عددهم كان (٣١٤) رجلاً ليس معهم سوى ثلاثة أفراس و ٧٠ بعيراً، يقتضيونها، وقريش كانت بين التسميات والألف، وذلك أن المسلمين كانوا يرون أنفسهم في موقف يدفعون فيه عن أمر شيء في الوجود، وهو رسول الله الذي بين أظهرهم، فلا يسمي الواحد منهم أن تخين منيته، لأنه واثق بما بعدها، فهو يثبث الشهادة إحدى المؤمنين، كل هذا للمعارب بمثابة

(١) أمطيتي، دقته لي

إعدادات قوية، يراها متولوية الورد.

ويعد أن تكلم عن الشعر الذي قيل في هذه الغزوة، قال: كان الفراغ منها في عقب شهر رمضان. وبعد أن تكلم عن «الكدر» وهو ماء بني سليم، ثم تكلم عن غزوة التريق والفرج، وأمر بني قينقاع، وأمر كعب بن الأشرف تكلم عن غزوة أحد. [إلى أن قال:]

«غزوة بدر الصغرى»: إنما سميت صغرى لأنه لم يحصل قتال فيه، وذلك أن أباسفيان قائد جيش المشركين يوم أحد - أنظر أحد - قال: الموعد بيننا وبينكم بدر في العام القابل، فقال رسول الله ﷺ: نعم، قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد. فخرج رسول الله ﷺ معه ألف وخمسة، وانتظر بدر ثمانية أيام، وخرج أبو سفيان ومعه ألفان فصار يومين، ثم بدا له أن يرجع، فخرج وكان قبل ذلك سمع رجلاً يقولون هبة المسلمين ويذكرون لهم كثرة عدد عدوهم فلم يردوهم ذلك حتى المخرج.

فلما رجع أبو سفيان أخبر المسلمون ببدر فربحوا، وهم ينتظرون الحرب، فأنزل الله فيهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا هُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَاءُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ فانقلبوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَسْتَسْهِمُوا شَيْئًا وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَآلِهِ دُونَ فَضْلِ عَظِيمٍ ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَزْوَاجَهُ فَلَا تُخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٧٣-١٧٥.

(دائرة المعارف القرن العشرين ٢: ٦٧-٧٧)

محمد إسماعيل إبراهيم: غزوة بدر: أول غزوة

كبرى بين المسلمين والمشركين من أهل مكة، حدثت في السابع عشر من رمضان، في العام الثاني للهجرة. ويذكر هذه: بدر تقع في الجنوب الغربي للمدينة، وكانت محطاً للقوافل.

وقد ترصد المسلمون من قوافل قريش آتية من الشام، بقيادة أبي سفيان بن حرب، بقصد مصادرتها مقابل ما استولى عليه مشركو مكة من أموال المهاجرين، واستطاع أبو سفيان أن يفلت من هذا القصد.

ولكن حبّت قريش لدفع الخطر، وجمعت من أبنائها نحو ألف مقاتل، وساروا شمالاً حتى التقوا بجماعة المسلمين - الذين كانوا ثلث عددهم تقريباً - عند ماء بدر حيث طرأت المعركة، وانصر المسلمون رغم قلة عددهم انتصاراً عظيماً، وانتشرت أخبار هذا النصر بين القبائل، فخرج به أعداء قريش، ودخل أفراد منهم

وقد أحسن المسلمون معاملة الأسرى، فأطلق الرسول بعضهم، وقبّل القدية من البعض الآخر، وكلف من لم يستطع دفع القدية أن يُعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة.

ولما النائم فقد تصرف فيها رسول الله ﷺ بحسب ما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ ذِكْرَ لَكُمْ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الأنفال: ٤١. (٦٠: ١) المصطفوي: أما بدر مكاناً، فهي محل فيها قلب،

في جهة الجنوب الغربي من المدينة، قريبة من ميناء جبار بالبحر الأحمر، وعرضها ٢/٢٤، وطولها ٣٦/٣٨

درجة، والمدينة عرطها ٢٤/٥٧، وطولها ٢٩/٥٩ درجة، فتكون المسافة بينهما (٥٠) كيلو مترًا جنوبًا، و(١٣٠) كيلو مترًا غربًا.

ولما كان المسير من مكة إلى الشام من جهة ساحل البحر الأحمر، فتكون «هدرة» واقعة في الطريق ذهابًا وإيابًا، وبها وقعت غزوة بدر ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَنِي قُورَيْظٍ﴾ آل عمران: ١٢٣، كانت عدة من خرج إلى هذه الغزوة خمسة وثلاثمائة رجل، وكانت لإلهم سبعين بعيرًا.

الطُّبْرِيّ: (قُرَيْظًا) ومبادرة، وهو مصدر من قول القتال: بادرت هذا الأمر بمبادرة وبنارًا، وإنما يعني بذلك جلّ نناؤه ولاة أموال قيثامي، يقول لهم: لاتأكلوا أموالهم إسرًا، يعني ما أباح الله لكم أكله، ولا بمبادرة منكم بلوفهم، وإيئاس الرشد منهم، حذرًا أن يبلغوا فيلزمكم تسليمه إليهم.

وموضع (أَن) في قوله: ﴿أَن يَكْبَرُوا﴾ نصب بالمبادرة، لأنّ معنى الكلام: لاتأكلوها بمبادرة كبرهم. (٤: ٢٥٤)

نحوه الطُّوسِيّ. (٣: ١١٩)

الْمَيْبُودِيّ: يقول: لاتبادروا بأكل مالهم كبرهم. وحذرًا أن يبلغوا، فيلزمكم تسليم المال إليهم.

(٢: ٤٢٣)

(٢: ٩)

نحوه الطُّبْرِيّ. (٤: ٢٥٤) معناه مبادرة كبرهم، وهو حال البلوغ، والبدل والمبادرة كالقتال والمقاتلة، وهو مطوف على (إِسْرًا).

النَّصَفِيّ: لاتأكلوها سرّين ومبادرين كبرهم. (إِسْرًا) و(بَدْرًا) مصدران في موضع الحال، ﴿أَن يَكْبَرُوا﴾ في موضع المصدر، منصوب الموضع (بَدْرًا). ويجوز أن يكونا مفعولًا لهما، أي لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم، تفرطون في إنفاقها، وتقولون: تنفق فيما نشتهي قبل أن يكبر قيثامي، فيترعوها من أيدينا.

(١: ٢٠٨)

نحوه أبو السعود. (١: ٣١٧)

أبو حيان: البدل: مصدر بادر، وهو من باب

بَدَا

...وَلَا تَأْكُلُوا إِسْرًا وَإِذَا أُنْذِرْتُمْ أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَكْفِفْ...

ابن عتيق: يعني أكل مال اليتيم مبادرًا أو سرّين. (الطُّبْرِيّ: ٤: ٢٥٤) فيحول بينه وبين ماله.

الحسن: يقول: لاتسرف فيها ولا تبادر. مثله قتادة. (الطُّبْرِيّ: ٤: ٢٥٤)

المشّيّ: تبادر أن يكبروا، فإخذوا أموالهم. (الطُّبْرِيّ: ٤: ٢٥٤)

ابن زيد: هذه لوليّ اليتيم خاصة، جعل له أن يأكل معه، إذا لم يجد شيئًا يضع يده معه، فيذهب بوجهه، يقول: لأدفع إليه ماله، وجعلت تأكله، تشهي أكله، لأنك إن لم تدفعه إليه لك فيه نصيب، وإذا دفعته إليه فليس لك فيه نصيب. (الطُّبْرِيّ: ٤: ٢٥٤)

أبو حنيفة: أي مبادرة قبل أن يدرك فيؤنس منه الرشد فإخذ منك. (١: ١١٧)

(١١: ٢٢٣)

فيطال به .

«المفادلة» التي تكون بين اثنين، لأنّ الشيم مبادر إلى
الكبر، والوليّ مبادر إلى أخذ ماله، فكأنّهما مستبقان،
ويجوز أن يكون من واحد.

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة السرعة والبلوغ، فمن
الأول: ناقة بدرية، أي بدت لها الإبل في الشجاع،
فجاءت بها نول الزمان، فهو أغزر وأكرم.

ومادة الثبات: رأسه أول ما ينظر عنه، ومادة
الحياء: أول ما يبدأ به، والمادة: أهود الوزني وأحدثه
لهاثا، والمادة من الإنسان وغيره: اللحمة التي بين
المنكب والفتق، والمجمع بوادر، وهي من هذا الأصل،
لأنّها تبادر إلى الاضطراب عند الخوف والبرد، وفي
الحديث: «رُحِدَ بواذره»، ومادة التيف: حدة، ومنه
الهم: «عين حذرة بذرة» أي حاذة النظر، أو تبدر
بالنظر.

وكذا الجاز قولهم: أخشى عليك بادرته، وفلان
عشقي عند البادرة، أي حدة الغضب، وأخاف حدته
ومادرت، واحذروا بادرته، وبدت من فلان بواذر
غضب، أي خطأ وسقطات عندما احتدّ، وهو من هذا
الباب أيضاً، لأنّ «الخطأ زاد السهول» كما قيل.

ويقال منه: بدرت أبدر بُدُورًا، ومبادرت بدارًا
ومبادرة إلى الشيء: أسرعته إليه، وبدرت ومبادرت
الشيء: عاجلته، وابتدر القوم السلاح: أسرعوا إلى
أخذها، وتبادر القوم لمرأ: بادر بعضهم بعضًا إليه أنهم
يسبق إليه فيطلب عليه، وبدوت إلى الرجل: تقدّمت
إليه، وتدرني الأمر، وتدرني: هيجل إليّ واستبق، وأبدر
الوحي في مال الهيم: بادر ودرّ، أي أسرع إلى أخذه.

وأجيز أن يتصبا على المفعول من أجله، أي
لإسرافكم ومبادرتكم، (وَأَنْ يَكْبُرُوا) مفعول بالمصدر،
أي كبركم، كقوله: «لو إطعام يتيما»، وفي إحيال
المصدر المتون خلاف.

وقيل: التقدير عفاة أن يكبروا، فيكون «أَنْ
يَكْبُرُوا» مفعولاً من أجله، ومفعول (يَكْبُرُوا) محذوف.

(٣: ١٧٢)

الألوسي: المبادرة: المارعة، وهي لأصل الفصل
هنا، وتصحّ «المفادلة» فيه بأن تبادر الوليّ أخذ حقه
اليتم، واليتم يبادر نزعته منه، وأصلها - كما قيل -
«البدارة» وهو الاستلاء، ومنه البدر لاستلّاقه لشمس

والبدرة لاحتلاتها بالمال، والبيدر لاستلّاقه لشمس
والإسمان المتعاطفان منصوبان على الحال، كما أشرنا إليه.
وقيل: إثنها مفعول لها، والجملة معلقة على
(يَكْبُرُوا) لأهل جواب الشرط تصاد المني، لأنّ الأول
بعد البلوغ، وهذا قوله.

الطباطبائي: البدر هو المبادرة إلى الشيء،
وقوله: «يَدَارُوا أَنْ يَكْبُرُوا» في معنى: حذر أن يكبروا،
فلا يذمّوكم أن تأكلوا.

هذه ذرورة: «يَدَارُوا أَنْ يَكْبُرُوا»، استعجالاً
لأكلها قبل أن يكبروا، وتبقى لهم أموالهم.

الصابوني: (يَدَارُوا): معناه مبادرة، أي ماردة،
والمراد أن يسارع في أكل مال اليتيم خشية أن يكبر

وهجل.

ومن الأصل الثاني: «البدر» وهو القمر ليلة أربع عشرة، لتمامه وامتلاكه، وبه شبه القلام المحتل، فيقال: قلام بدر، أو قيل له ذلك لتمام شهابه، وإذا احمر البحر يقال له: قد أبدر، وفي الحديث: «كنا لا نبيع التمر حتى يبدر»، أي يبلع.

والبدرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم، وسُميت بدرة لتخلط.

وقيل منه: أبدر الرجل: سرى لي ليلة البدر، وأبدرنا فتمن بمديرون، أي طلع لنا البدر.

٢- وأما البدر: أي الموضع الذي يداس فيه الطعام - فهو ليس عربياً؛ إذ أنه مررب لفظي «بَدَر» إثراء للشرعياتين، أي موضع دوس المحصول، وعربته المذابة والمجرى. وكذا لفظ «أندره» بمعنى البدر، فمررب لفظ «إدرة» الشرياني أيضاً.

٣- وبدر: اسم علم مرتبط لموضع، أو علم منقول من اسم صاحب الموضع، أو اسم من سكنه، فشب إليه، ثم غلب اسمه عليه. وقيل: سمي بهذا الاسم لرؤية البدر عليه، لصفاته أو لاستعارته.

واختلف في صاحبه، فقيل: هو بدر بن ينفذ أو علف، أو بجيل بن التضر بن كنانة. وقيل: كان لرجل من بني خضرة اسمه بدر، وقيل: من جهة، وقيل: بدر: ماء لقيلة غفار.

٤- ورغم أن القدماء قد تسالموا على وقوع بدر بين مكة والمدينة، إلا أن عباراتهم جيدة المتناول. فقد قال الطخّالة، وهو أول من أشار إلى موقعها: «عن بين

طريق مكة والمدينة»، فهل يريد - بقوله هذا - المتجه نحو المدينة أو المتجه نحو مكة؟ وظاهر عبارته تصديق على من يخرج من مكة صوب المدينة.

وهنا خلاف ما صرح به ياقوت، قال: «ساء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار - وهو ساحل البحر - ليلة». إذ تقع المدينة شمال مكة، والوادي المذكور غربها، اللهم إلا أن يقال: أراد الطخّالة بلفظ «بين» غرب.

وقد اتيس الأمر على أبي حيان الأندلسي، فخطب خطب هشوة، قال: «بدر: اسم علم لما بين مكة والمدينة... وقيل: هو بئر ليفار، وقيل: هو اسم وادي... وقيل: اسم قرية بين المدينة والجار، حيث أطلق اسم «بدر» على المنطقة الواقعة بين مكة والمدينة، من أرض الحجاز. وظنه اسم الوادي أو القرية.

وطبق اسم «بدر» اليوم على قرية تقع في طريق الحاج بين مكة والمدينة، وعلى ميدان تحربها محاط ببدار. ويخيل إلى بعض الناس أن بئر بدر تنوسط هذا الميدان، ولا أحد يعلم أمي الآن بئر محطلة أم لا تزال هائلة؟

الاستعمال القرآني

جاء من هذه المادة لفظان في القرآن الكريم: بَدَر وبَدَار:

﴿وَلَقَدْ نَعَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ قَاتِلُوا اللَّهَ

تَقْلُكُمُ تَشْكُرُونَ﴾ آل عمران: ١٢٣

﴿وَابْتَغُوا الْيَقِينِ عَنِّي إِذَا تَلَّوْا التَّكْوِيْنَ فَإِنْ أَنْشَأْتُمْ

مِنْهُمْ وَشِدَا غَادِقُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا
وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴿٦﴾

النساء: ٦

يلاحظ أولاً: لَنْ سياق الآية الأولى مَنْ وتذكير،
وسياق الآية الثانية نَهْيٌ وتحذيرٌ، وكذلك في سائر آيات
التوريتين، إذ يطلب المعنى الأول على سورة آل عمران،
ويطلب المعنى الثاني على سورة النساء.

ثانياً: أتى القرآن على ذكر أكل مال اليتيم في الآية
الثانية وفي آيتين أخريين من نفس السورة، إلا أن الله
لم يتوعد هنا من يأكله كما توعد في تلك الآيتين،
وهنا:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حُوشًا
كَبِيرًا﴾

النساء: ٢

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ غُلْفًا إِنَّمَا
يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾

النساء: ١٠

ثالثاً: غزوة بدر هي أولى غزوات النبي ﷺ
للمشركين، وقد نصره الله فيها نصراً عزيزاً إذ أبده
بالملائكة، وقرّر بذلك مصير الإسلام، بعد أن كانت
تتقوض أركانه. وكان لهذا النصر صدى عظيم في جزيرة
العرب وخارجها، حتى بلغ أرض فارس والروم، وقد
تحدثت حول هذه الواقعة المفسرون وأرباب المخازي
قديماً وحديثاً.

رابعاً: لم يذكر اسم غزوة من غزوات النبي ﷺ في
القرآن إلا غزوة بدر، كما في الآية الأولى، وغزوة حُنين
في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَبِيرَةٍ وَتَرَمَّ
حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾

التوبة: ٢٥.

يبد أنه أشير إلى الغزوات التالية في القرآن دون ذكر
أسمائها، ونذكرها هنا حسب سني وقوعها:

١- بدر: وقعت في السنة الثانية بعد الهجرة.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ مِنْكُمْ
بِقَلْبَةٍ أَلَا يَنْبَغِي مِنَ السِّلَاحَةِ مِثْرَتَيْنِ﴾ تلى إن تضربوا
وَتَسْفَحُوا وَيَأْتِوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ
أَلْفٍ مِنَ السِّلَاحَةِ مُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ وَتَاجَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا يَشْرَى
لَكُمْ وَيَضْمُنْ لِقُلُوبِكُمْ بِهِ وَمَا الْبَصَرُ إِلَّا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
الْفَرِيزِ الْمَسْكُورِ ﴿٦﴾ لِيُطْفِعَ ظُلُمًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ
فَيُغْلِبُوا خَائِبِينَ ﴿٧﴾

آل عمران: ١٢٤ - ١٢٧

﴿وَمَا أَتَيْنَا عَلَىٰ عِبْدِنَا يُدْمِ الْفَرْقَانِ يُدْمِ السَّقَى
الْمُتَقَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالنَّفْسِ
الْفُتَيَا وَهُمْ بِالنَّفْسِ الْقُضَىٰ وَالْوَكْبُ أَتَقُلُّ مِنْكُمْ وَلَوْ
تَوَاعَدْتُمْ لِاجْتِمَاعٍ فِي الْمِيَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ
مُتَعَدًّا لَكُمْ لِيَكُونَ مِنَ هَٰؤُلَاءِ عَنِ مَيْمَنَةٍ وَمِنْ يَمِينٍ
بَيْتَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَتَابِعِ
قَلِيلٍ وَلَوْ أَنْ يَرِيكُمْ كَبِيرًا لَسَمِعْتُمْ وَلَسْتُمْ أَغْنَىٰ فِي الْأَمْرِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ
إِذْ أَتَيْتُمْ فِي أَغْيَاسِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَغْيَاسِهِمْ
لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾

الأنفال: ٤٤ - ٤٦

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرَا
وَرِثَاءِ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
حَبِيطٌ ﴿١﴾ وَإِذْ زَيْنُ لَمْ الشَّيْطَانُ أَغْتَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ
لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ
نَكَّضَ عَلَىٰ عِتَابِهِ وَقَالَ إِنَّهُ يَبْرَأُ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَرَىٰ

«ثُمَّ لَا تَرْجِعُونَ إِلَى آلِهَاتِكُمْ إِنَّ خِلَافَ اللَّهِ شَدِيدُ الْعِقَابِ» إِذْ يَقُولُ
الْمُتَنَفِّقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرُّ هَوَاهُمْ دِينُهُمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلَوْ تَرَى إِذْ
يُسْأَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا الِاسْتِغَاثَةَ بِضُرَيْرِهِمْ وَبِجُوهِهِمْ
وَأَذْنَانِهِمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ
أَيْدِيَكُمْ وَلَنْ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ الْأَعْمَالُ: ٤٧-٥١
«مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْجِرَ فِي
الْأَرْضِ فَهُمْ يَدْرُسُونَ غَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ الْهَيْلَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ
الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ
بِكُمْ وَيَتَّخِذَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ يُرِيدُوا
خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ الْأَعْمَالُ: ٦٧-٧٦

وعلى الجملة فسورة الأفعال لعلت عقيب غزوة بدر
وبشأنها، ومن أجل ذلك سميت أيضا سورة بدر، من ابن
عباس.

٢- أحد، «وقعت في السنة الثالثة من الهجرة»

«وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ
لِلْعِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا
وَاللَّهُ وَلِيُّمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ»

آل عمران: ١٢٦، ١٢٧

وقد نزل قسم من آيات هذه السورة إلى الآية
(١٧٥) بعد غزوة أحد وبشأنها.

٣- غزوة حمراء الأسد: «وقعت في السنة الثالثة

عقيب أحد، ولم ينسب فيها قتال»

«الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
الْفَتْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ» الَّذِينَ
قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» فَانْقَلَبُوا
بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ تَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ
اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» إِنَّمَا ذِكُّمُ الشَّيْطَانِ يَخَوْفُ
لُزُمَاتِهِ فَلَا تَقْلُقُوا مِنْهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»

آل عمران: ١٧٢-١٧٥

لغزوة بني النضير: «وقعت في السنة الرابعة»

«هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
بَنِي نَضِيرٍ مِنَ الْأَوَّلِ الْحَمِيرِ فَاظْتَمَنُوا أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
مُتَحَصِّنُونَ» فَجَاءَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ اللَّهِ فَجَاءَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ
يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ
بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَانْتَبَهُوا مِنَ الْأَضْرَارِ»
وَقَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَابُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ» ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» فَانْقَطَعَتْ مِنْ
لَيْلٍ أَوْ تَرَكَتُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَرْسُلِهَا فَبَادَنَ اللَّهُ وَلِيَّيْنِ
الْقَابِضِينَ» وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ لَأَوْ جَفَرُوا
عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» مَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى
رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتِ الْفَاسِقِينَ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ لَا يَكُونُ دَوْلَةً
بَيْنَ الْأَخْيَارِ يَنْتَابُوا بِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا قَلِيلٌ وَمَا نَهَيْتُمْ
عَنْهُ فَانْتَهَوْا وَأَتَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» فَلْيَقْرَأُوا

[illegible]

6- غزوة الأحزاب، أو غزوة الخندق:

«وقعت في السنة الخامسة ، ولم ينشب فيها قتال»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا مَا عَلَيْكُمْ إِذْ
جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَارْتَمَلْتُمْ إِلَيْنَا فَارْتَمَلْنَا عَنْكُمْ رَبَّكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْجِلْ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ﴾

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۖ إِذْ جَاءُوكُم مِّن قُلُوبِكُمْ
وَمِنْ أُنْفُسِكُمْ وَاذْ رَأَيْتِ الْأَبْصَارَ وَهَلَّتِ الْقُلُوبُ
الْمُتَاجِرَ وَتَنظَّرُونَ بِأُفُقِ الْمُنَازِلِ ۚ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ
الْمُؤْمِنُونَ وَذُلُّوا ذُلًّا شَدِيدًا ۖ وَإِذْ يَسْأَلُ
الْمُسْتَغِيثُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَاوِعَتْنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ إِلَّا عُرُورًا ۖ وَإِذْ خَالَتْ ظُلُمَةُ الْمُشْرِكِ
يَنْتَرِبَ لِمَقَامِكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنَ النَّبِيِّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَاقًا ۖ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْئَادِهِمْ سَأَلُوا النَّفِثَةَ
لَاَتَوْهَا وَمَا تَكَلَّمُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۖ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ
مِنْ قَبْلُ لَآ يَكُونُوا الْأَذْيَارَ ۖ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۖ قُلْ لَنَ
يُخْلِقَنَّكَ اللَّهُ ذُرِّيَّةً بَلَدًا ۖ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَوَسَّعُكَم مِّنَ اللَّهِ إِن
أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۖ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ سُلْطَانًا ۖ قَدْ بَخَلَ اللَّهُ الْمُتَوَجِّعِينَ مِنْكُمْ
وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ
أَشِيعَةٌ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ وَآيَاتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ
تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْتِ ۖ إِذَا دَخَلَ
الْخَوْفُ سُلُوكَكُمْ بِالسَّيَةِ جَدَادِ أَشِيعَةٌ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ
يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَفْعَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۖ
يَحْسِبُونَ الْأَعْرَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَعْرَابُ يَوَدُّوا
لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَتَسَلَّلُونَ عَنَ آثِبَائِكُمْ وَلَوْ
كَانُوا بِكُمْ خَالِفَاتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ
اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا ۖ وَلَمَّا زَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَابَ قَالُوا هَذَا
مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَوَرَّاهُمْ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا

إِيمَانًا وَتُسْلِمُوا بِسُنَّةِ اللَّهِ مِنْ الْأَشْرَافِ مِنْ رِجَالٍ صَدَقُوا مَا نَادُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَيَنْهَاهُمْ عَنْ فَتْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنِ انْتَحَلُوا وَنَادُوا تَحْدِيدًا لِيُخْرِجَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ بِصَدَقَتِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْكَافِرِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أُوْىٰى يُؤْتِ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ لَعَنُورًا رَجِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ لَمْ يَأْتُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا

الأحزاب: ٩ - ٢٥

٦- غزوة بني قريظة

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيَتِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ لِمَبَاقٍ وَأَوْثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَأَنْوَاهُمْ وَأَرْسَالًا لَمْ تَأْكُلْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾

الأحزاب: ٢٦ - ٢٧

٧- غزوة بني المصطلق «وقسم في السنة

الخامسة أو السادسة من الهجرة»

﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُبَايِعُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَهُوَ خَزَائِنُ السُّنُوبِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَتَّقُونَ يَقُولُونَ لِنَافِعِنَا إِلَىٰ السَّيِّئَةِ لَسَٰعُفَ بَعْضُ الْأَعْمَىٰ يَسُبُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْكَافِرِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

المنافقون: ٨، ٧

٨- صلح الحديبية «وقع في السنة السادسة من

الهجرة»

﴿إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكُمْ مِمَّنِ ابْتِغَىٰ إِلَٰهًا فَاسْأَلُوا اللَّهَ عَنِ الظَّنِّ إِنَّكُمْ بِعَيْنَيْهِ لَآتُونَ خَبْرًا مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَمَتَّاعًا هَٰذَا وَبِئْسَ نَافِلَةً عَلَيْكُمْ وَعِندَ رَبِّكُمُ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا وَيُضَارِكُ اللَّهُ عُسْرًا غَيْرًا هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ

الْحِكْمَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُذَكِّرُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَهُوَ جُسُودُ السُّنُوبِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا يَدْخُلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبُكَرُوا عَنْهُمْ نِسَائِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا وَيُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ وَالْمُكَافِرَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ ذِكْرُ السُّورَةِ وَغَضَبُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَلَقَدْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ذِكْرُكُمْ وَنَسِيتُمْ مَبْعَدَ مَا كُنْتُمْ تُرْزَوْنَ وَتُؤْتَوْنَ وَتُسَخَّرُونَ بَعْدَ مَا كُنْتُمْ تُكْفَرُونَ إِنْ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ إِيْمَانًا بِمَا يُبَايِعُونَ اللَّهُ يَذَرُ لَمْ يَذَرُوا لَكُمْ لَنْ تَكُونَ فَاكِهًا تَكُنْ عَلَىٰ نَفْسٍ وَتَنْتَهِزُ لَوْ أَنَّهَا عَاقِدَةٌ عَلَى اللَّهِ لَسَوْفَ يَنْصِبُكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا سَيَحُولُ لَكُمْ السُّخْلُونَ مِنَ الْغَنَاءِ كُنْتُمْ أَنْوَالًا وَأَخْلَوْنَا فاستغفر لنا يقولون يا أَيُّهَا النَّبِيُّ مَا لَنَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ لَنْ يَمْلِكَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِتَ الرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرَبَّنَا ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنُّ السُّورَةِ وَكُنْتُمْ لَوَاقِحَ يَوْمًا وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا وَهُوَ مُلْكُ السُّنُوبِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ لَعَنُورًا رَجِيمًا سَيَحُولُ السُّخْلُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَقَائِمِ الْقِتَالِ وَهَٰذَا ذِكْرُنَا نَشِيطُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَسْبَحُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْجُدُوا بَلْ تَحْسُدُونَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَذْعُونٌ إِلَى قَوْمِ آبَائِهِمْ
 شَدِيدٌ يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُطِيعْكُمُ اللَّهُ أَجْرًا
 حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كُنَّا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يُعَذِّبَكُمْ عَذَابًا
 أَلِيمًا ۖ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا
 عَلَى الْمَعْرُوفِ حَرْجٌ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا
 أَلِيمًا ۖ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ
 الشَّجَرَةِ فَقِيلَ تَتَابَعَ الْقَوْمُ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ
 وَأَنَابَهُمْ فَتَحَا قَرِيبًا وَمَتَاعًا كَبِيرًا يَأْخُذُوهَا وَكَانَ اللَّهُ
 غَرِيزًا حَكِيمًا ۖ وَعَذَّبَكُمْ اللَّهُ مَتَاعًا كَبِيرًا تَأْخُذُوهَا
 فَتَجَلَّ لَكُمْ هَيْبُهُ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً
 لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۖ وَأُخْرَى لَمْ
 تَقْرَأُوا عَلَيْهَا قَدْ أَخَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا كُلُّ شَيْءٍ
 قَدِيرًا ۖ وَلَوْ فَاتَنَّكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَارَ ثُمَّ
 لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ سَنَةِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ
 وَلَّى قَوْمًا لِسُنَةِ اللَّهِ تَبَدَّلًا ۖ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
 وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْفِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ
 وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۖ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَصَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ عَنكَوْا أَنْ يَبْلُغَ
 حَيْلُهُ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ
 أَنْ تَعْلَمُوهُمْ فَتُصْبِحَ مِنْهُمْ حَرَمٌ عَفْوٌ يَعْلَمُ يَدْخُلُ اللَّهُ فِي
 رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَوَلَّوْا لَفَدَّيْنَاهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا
 أَلِيمًا ۖ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمِيَّةَ
 الْبَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا
 وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۖ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ

رَسُولَهُ الْوَيْتَا بِالْحَقِّ لَنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 أَمِينٌ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَعْلَمُونَ قَوْلَهُمْ مَا لَمْ
 تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ ذُوْنِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۖ الْفَتْحُ: ١- ٢٧
 ٩- غزوة خيبر:

﴿وَسَيُجَنَّبُوكُمُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ
 لِتَأْخُذُواَهَا ذُرُوءًا تَسْبِيحُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ
 لَنْ تَسْبِيحُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغُوا قَوْلَهُمْ بَلْ
 تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ الْفَتْحُ: ١٥
 ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ
 الشَّجَرَةِ فَقِيلَ تَتَابَعَ الْقَوْمُ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ
 وَأَنَابَهُمْ فَتَحَا قَرِيبًا ۖ وَمَتَاعًا كَبِيرًا يَأْخُذُوهَا وَكَانَ اللَّهُ
 غَرِيزًا حَكِيمًا ۖ وَعَذَّبَكُمْ اللَّهُ مَتَاعًا كَبِيرًا تَأْخُذُوهَا
 فَتَجَلَّ لَكُمْ هَيْبُهُ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً
 لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۖ

الْفَتْحُ: ٢٨ - ٢٠

١٠- فتح مكة: «وقع في السنة الثامنة من الهجرة
 دون قتال»

﴿لَا يَشْعُرُ بِكُمْ مِنْ أَتَقَى مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ
 أُولَئِكَ أَكْثَرُكُمْ ذَرْجَةُ مِنَ الَّذِينَ أَتَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا
 وَكَلَّا وَعَذَّ اللَّهُ الْمُتَسَلِّينَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۖ

الحديد: ١٠

﴿وَأُخْرَى تُحْيِيوْنَهَا نَحْنُ مِنَ اللَّهِ وَقَتَحَ قَرِيبًا ۖ

الصف: ١٢

﴿وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ

التصور: ١

﴿إِنْ تَسْتَفْتِيهِمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ۖ

الأفعال: ١٩

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ

الفتح: ١١

ومما يبدد ذكره، هو أن نزول الأخيرتين بشأن فتح مكة - ولا سيما أولاهما - قول غادر، والبقا لا يساعده، والصواب أن المراد بالأول منها: غزوة بدر، وبالثانية: صلح الحديبية، وكذلك ما تكرر بعدها من لفظ «الفتح» في هذه السورة، وهي نزلت عقيب هذا الصلح.

١١- غزوة حنين: «وقعت في السنة الثامنة من الهجرة عقيب فتح مكة مباشرة»

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ يُدْخِمُ حُنَيْنٌ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُذِيبِينَ • ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ • ثُمَّ يَكُوفُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

١٢- حروب أخرى،

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ غَالِيًا كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾

هذا على اختلاف بينهم في أنها حنين أو هوازن أو

الطائف أو غير ذلك

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَذَعُونَ إِلَى قَوْمِ لُبَى بَأْسٌ شَدِيدٌ مِمَّا تُلَوُّنَهُمْ أَوْ يَسْلُمُونَ فَإِنْ تَطَبَّعُوا يَوْمَئِذٍ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

هذا عند بعض، وعند بعض آخرين أنها حروب الردة أو الحرب مع الروم والفرس.

١٣- غزوة تبوك: «وقعت في السنة التاسعة مع نصارى الشام»

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ ذَاكِرُونَ﴾

٢٩- التوبة: ٢٧- ٢٥

إن سباق هذه الآية والآيات التي تتلوها حتى آخر سورة التوبة يكرر حال الذين شاركوا في غزوة تبوك.

وموقف المخلفين والمناحقين الذين بان نفاقهم في هذه الغزوة.

٢١- الفتح: ٢١



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

ب د ع

٣ الفاظ، ٤ مرّات، ٢ مكّية، ٢ مدنيّة

في ٤ سور: ٢ مكّية، ٢ مدنيّة

بديع ١: ١-١١ ابتدعوها ١: ١-١١ بَدَعًا ١: ١١

وتقرأ (بديع الشّخوات والأرض) البقرة: ١١٧.
بالنصب على جهة التعجب. لما قال المشركون: بَدَعًا
ما قلتم وبديعًا ما اخترقتم، أي عجيبيًا، فنصبه على
التعجب، والله أعلم بالصواب.

النصوص اللغويّة

الخليل: البَدْع: إحداث شيء لم يكن له من قبل
خلق ولا ذكر ولا معرفة.

والله بديع السماوات والأرض ابتدعها ولم يكن
قبل ذلك شيئًا يتوهمها متوهم، وبَدَع الخلق.

والْبَدْع: الشيء الذي يكون أولًا في كل أمر، كما قال
الله عز وجل: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ﴾
الأحزاب: ٩، أي لست بأوّل رُسل. [ثم استشهد
بشعر]

والْبَدْعَة: اسم ما يبدع من الدين وغيره، ونقول:
لقد جئت بأمر بديع، أي مُبتدع عجيبي.

وايحدثت: جئت بأمر مختلف، لم يُعرف ذلك، [ثم
استشهد بشعر]

ويقال: هو اسم من أسماء الله، وهو البديع لأحد
قبله، وقراءة العامة الرفع، وهو أولى بالصواب.

والْبَدْعَة: ما استحدثت بعد رسول الله ﷺ من
أهواء وأعمال، ويُجمع على البَدَع. [ثم استشهد بشعر]
وأبدع البحر فهو مُبدعٌ، وهو من داء ونحوه،
ويقال: هو داء بعينه، وأبدعت الإبل، إذا تُركت في
الطريق من الهزال.

وأبدع بالزجل، إذا حير عليه ظهره. (٢١: ٥٤)
الكيمائي: البَدْع في الشرّ والخير، وقد بَدَع بداعةً
ويُدوَعًا. ورجل بدع وامرأة بدعة، إذا كان غاية في كل
شيء، كان عالمًا أو شريفًا أو شجاعًا، وقد يُبدع الأمر

بَدْعًا وَيَذْعُوهُ، وَابْتَدَعُوهُ، وَرَجُلٌ يَبْدَعُ وَرَجُلَانِ ابْتِدَاعُ
وَنِسَاءٌ يَبْدَعْنَ وَأَبْدَاعُ. (الْأَزْهَرِيُّ ٢: ٢٤٠)

يقال للرجل إذا كلمت ركابه أو عطيت وبقى منقطاً
به : قد أهدم به.

أَبْدَعْتَ الرِّكَابَ ، إِذَا كُنْتُ وَعَلَيْتُ.

نحوه أبو عبيدة. (الأزهري ٢: ٢٤٢)

الأخفش : فلان يذبح في هذا الأمر، أى يهديه، وقوم

أبداع، (البحراني ٢: ١١٨٤)

الأصنام، بلع يذبح فهو بديع، إذا

سین - (الأخري ٢: ٢٤٢)

اللُّعِيَانِي: يقال: أبدع فلان بفلان، إذا قطع به
وخذله، ولم يسم بحاجته، ولم يكسب عند ذلك

(الأخضرى ٥: ٢٤٢)

ابن الأعرابي: البِدْع من الرجال: الثمر.

(الأزمة المالية)

وَأَدْعُ بَيْنًا: أَوْجِبْهَا. (ابن مينا: ٢: ٢٦)

أَبُو سَعِيدٍ الْبَغْدَادِيُّ: أَبْدَعَتْ حِجَّةَ فُلَانٍ، أَيِ
أَبْطَلَتْ، وَأَبْدَعَتْ حِجَّتَهُ، أَيِ بَطَلَتْ.

(الأزهرى: ٢: ٢٤٢)

ابن السَّكَيْتِ : البدعة : كلُّ مُحدثَةٍ .

(الأُخْرَى ٢ : ٢٤٠)

الدَّيْنُورِيُّ : وسقاءٌ بديعٌ : جديدٌ ، وكذلك

المجلد ، (ابن سيرة ٢ : ٢٦)

الزَّجَّاجُ: وأبدع في الأمر إبداعاً: أتى فيه

بيدعة .
(فصلت وأقسلت : ٤٥)

ابن دُرَيْدٍ: بَدَعْتُ الشَّيْءَ، إِذَا أَنْشَأْتَهُ، وَاللَّهُ

عَزَّوَجَلَّ بِدَيْعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَيِ مَنَشِئِهَا، وَهَدَعَتِ
الزَّكَاةَ، إِذَا اسْتَنْطَقَهَا، رَكْبِي بِدَيْعٍ: حَدِيثَةُ الْحَكْرِ.

وقول العرب: لست ببدع في كذا وكذا، أي لست بأول من أصابه هذا، وهو من قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ الأحقاف: ٩، والله أعلم بكتابه.

وكل من أحدث شيئاً فقد ابتدعه، والاسم البدعة،
والجهم: البدع.

ويقال: أَيْدِعْ بِالرَّجُلِ إِذَا كُنْتَ رَاحِلَهُ وَانْقَطِعْ بِهِ.

روى الحديث: «إِنَّ صَاحِبًا لَنَا يُدْعَى» (١: ٢٤٥)

ويقال: جاء الرجل يبدع: إذا جاء بأمر مُنكر. الهاء
ثالث: (٣: ٣: ٣)

الأخوة: قال أبو عبد الله: المصنف الذي مات في سنة ١٢٠٠

فل شہد لم یکن ابتداء اثناء. قلت: وممن قول اللہ تعالیٰ:

أَقْبَلُ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الْأُسْبُلِ، الْأَعْيَافِ، ٩، أَيْ:

ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبله رؤساء كثير.

وفي الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ تِهَامَةَ كَبْدَيْعٍ
مَسْئَلُ حِلْوٍ أَوَّلُهُ، حِلْوٌ آخِرُهُ».

القديم: العقاب الجديد، والزيت الجديد، وشبه شامة

في الحال لا تلاحظه ولا تهازل به، أي:

كذلك المسبل لا تنفع ..

وروی عن الترمذی باسناد صحیح أنه قال: «انتم

مُعدَّات الأمور، فإنَّ كلَّ معدَّة بدعة، وكلَّ بدعة

147

والبدیع من الخبال: الَّذی ابتدئ قتلہ ولم یکن

يَا، فَكُنْتَ تَمَّ غَزْلٌ وَأُعِيدَ فَتْلُهُ، [تَمَّ اسْتَعْدَادُ بَشَرٍ]

ابتداء الشيء وصنعه لأعن مثال، والآخر: الانقطاع والكلال.

فالأول: قولهم: أبدعت الشيء قولاً أو فعلاً، إذا ابتدأه لأعن سابق مثال، والله بديع السماوات والأرض، والأصل الآخر: قولهم: أبدعت الزاحلة، إذا كَلَّت وعطبت، وأبدع بالرجل، إذا كَلَّت رِكابه أو عطبت وبي منقطعاً به، وفي الحديث: «أَنْ رَجُلًا أَنَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَبْدَعُ بِي فَأَحْمِلْنِي»، ويقال: الإبداع لا يكون إلا بطلع، ومن بعض ذلك اشتقت البذعة. (١: ٢٠٩)

أبو هلال: الفرق بين الاختراع والابتداع: أن الابتداع إيجاد مالم يسبق إلى مثله، يقال: أبدع فلان، إذا أتى بالشيء للترتيب، وأبدعه الله فهو مُبدِعٌ وبيدع، ومنه قوله تعالى: ﴿يَبْدِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ البقرة: ١١٢، و«فعل» من «أفعل» معروف في المربة، يقال: يبتدع من البصر، وحليم من أحلم.

والبذعة في الدين مأخوذة من هذا، وهو قول مالم يُعرف قبله، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتُ بِذَقَا مِنَ الرُّسُلِ﴾ الأحقاف: ٩، [ثم استشهد بغيره، وقد ذكر معنى الاختراع سابقاً وهو:]

الاختراع: هو الإيجاد من غير سبب، وأصله في المربة: اللين والسهولة فكان الاختراع قد سهل له الفضل، فأوجده من غير سبب يتوصل به إليه. (١: ١٠٩) ابن سيدة: يَدْعُ الشيء يبدعه يَدْعًا ولبدعته: أنشاء ونشاء.

البذعة: ما يبتدع من الدين، وأبدع وابتدع وبتدع: أتى يبدعه، قال الله تعالى:

والبدع بمعنى الشقاء أو الخبل، فعيل بمعنى مفعول، وروى عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «لَنْ رَجُلًا أَنَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ أَبْدَعُ بِي فَأَحْمِلْنِي»، وقال بعض الأعراب: لا يكون الإبداع إلا بطلع، يقال: أبدعت به راحلته، إذا ظَلَمَتْ.

قيل: أبدع بمر فلان بشكري، وأبدع فضله وإيجابه بوصلي، إذا شكرته على إحسانه إليه، واعترف بأن شكره لا يلي إحسانه. (٢: ٢٤٠ - ٢٤٢)

النصاحب: البذع: الأول في كل أمر، وأمر بديع: مُبتدِع.

والله البديع: أبدع الأشياء، والبديع: الشقاء الجديد، وبيدع: اسم ماء.

والبذعة: ما استحدث من الدين وغيره، وأبدع الحبر: قام فترك في الطريق، وكذلك أبدع بالرجل: حبر عليه ظهره، وفي المثل: «إذا طلعت الباطل أبدع بك».

الجوهري: أبدعت الشيء: اخترعته، لا على مثال، والله تعالى بديع السماوات والأرض، والبديع: المبتدع، والبديع: المبتدع أيضاً، وأبدع الشاعر: جاء بالبديع، وشيء يَدْعُ بالكسر، أي مُبتدِع.

والبذعة: المحدث في الدين بعد الإكمال، واستبدعته: عُدَّ بديعاً، وبدعته: نُسبته إلى البذعة. (٣: ١١٨٢)

ابن فارس: الباء والذال والعين أصلان أحدهما:

﴿وَرَزَقْنَاهُ إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ يَحْيَىٰ﴾ الحديد: ٢٧. [ثم استشهد بشر]	نحوه الطبرسي. (١: ١٩٣)
والبدیع: من أساء الله عز وجل، لإبداعه الأشياء، وإحداثه إياها، ورجل يَدْع: عُثْر، وأبدعت الإبل: بركت في الطريق، من هزال أو ماء أو كلال.	والترغيب: الإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء، ومنه قيل: ركبته بدیع، أي جديدة الخمر. وإذا استعمل في الله تعالى، فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان، وليس ذلك إلا الله.
وأبدع وأبدع به وأبدع: حير عليه ظهرو، أو قام به، أي وقف به، وأبدع به ظهرو. [ثم استشهد بشر]	والبدیع: يقال للبدیع، نحو قوله: «يبدع السموات والأرض» البقرة: ١١٧، ويقال للبدیع، نحو ركبته بدیع، وكذلك البدع، يقال لها جميعاً بمعنى الفاعل والمفعول.
وفي المثل: «إذا طلبت الباطل أبدع بك»، وأبدعوا به: ضربوه، وأبدع بالسفر أو الحج: عزم عليه. (٢: ٢٥)	والبدعة في المذهب: إيراد قول لم يسن فائدها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة، وأمائلها المتقدمة، وأصولها المتأخرة. وروى: «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وكل ضلالة في النار.
وصحيح بمعنى مُسبح، وبينها فرق، لأن في بدیع مبالغة ليس في مُبدع، ويستحق الوصف في غير حال الفعل، صل الحقيقة، بمعنى أن من شأنه الإنشاء، لأنه قادر عليه، فله معنى مُبدع.	والإبداع بالرجل: الانقطاع به بلا ظهر من كلال واحلته وهزالها. (٣٨)
الإبداع والاختراع والإنشاء ظاهراً، وضد الابتداع: الاحتذاء على مثال. يقال: أبدع إبداعاً، وابتدع ابتداعاً، وبتع تديناً.	الزُّمَعَرِيُّ: أبدع الشيء وابتدعه: اخترعه، وابتدع فلان هذه الزكوة، وسقاء بدیع: جديد، ويقال: أبدعت الزكاب، إذا كُتبت، «حقيقته أنها جاءت بأمر حادث بدیع، وأبدع بالزكاب، إذا كُتبت واحلته، كما يقال: انقطع به وانكسر، إذا انكسرت سفينته.
البدعة: ما ابتدع من الدين وغيره، وجمعها: بدع، وفي الحديث: «كل بدعة ضلالة»، وتقول: جئت بأمر بدیع، أي مُبتدع عجيب.	ومن الجاز: أبدعت حُجَّتكَ، إذا ضعفت، وأبدع بي فلان، إن لم يكن عند فلان بد في أمر وثقت به في كفايته وإصلاحه. (أساس البلاغة: ١٧)
وأبدعت الإبل، إن ثركت في الطريق من الهزل، وأصل الباب: الإنشاء. (١: ٢٨٨)	[في حديث] «إن تهاة كبديع العسل حُلُوا أوله وآخره».
	البدیع: الزُّقُّ الجديد، وهي صفة خالية، كالحية

والتعجوز

وللمعنى استطاعة أرض تهامة كلها لؤلؤها وآخرها، كما
يُسْتَحْلَى زَيْقُ السِّل من حيث يُنْتَدَى فيه إلى أن ينتهي.
وقيل: معناه أنها في أول الزمان وآخره على حال
صالحه.

وقيل: لا يتغير طيبها، كما أن السِّل حلواً أول
ما يُشْتَار ويحمل في الزَّيْق، وبعدما تحضي عليه مدة طويلة.
(الفائق ١: ٨٦)

ابن الأثير: وفي حديث عمر رضي الله عنه، في شهر
رمضان: «بُنِيتَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ».

والبِدْعَةُ بدعتان: بدعة هُذْي، وبدعة ضَلَالٍ. لما
كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذَّم
والإنكار، وما كان واقفاً تحت عموم ما نذَّب الله إليه
وحضَّ عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح، وما لم يكن
له مثال موجود كنوع من الجود والتسامح أو غير ذلك
المعروف، فهو من الأعمال المسمومة. ولا يجوز أن يكون
ذلك في خلاف ما ورد الشرع به، لأن النبي ﷺ قد جعل
له في ذلك نوابها، فقال: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ
أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»، وقال في ضده: «وَمَنْ سَنَّ
سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»، وذلك
إذا كان في خلاف ما أمر الله به رسوله ﷺ.

ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه: «بُنِيتَ الْبِدْعَةُ
هَذِهِ لَمَّا كَانَتْ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَدَاخِلَةً فِي حَيْزِ الْمَدْحِ،
سَمَّاهَا بِدْعَةٍ وَمَدَحَهَا، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَسْمَعْهَا، وَإِنَّمَا
صَلَّاهَا لِيَأْتِيَ ثُمَّ تَرَكَهَا، وَلَمْ يَحَافِظْ عَلَيْهَا، وَلَا جَمَعَ النَّاسُ
لَهَا، وَلَا كَانَتْ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنَّمَا عَمَرَ رضي الله عنه جَمَعَ

الناس عليها وتديم إليها، فهذا سمَّاهَا بِدْعَةٍ.

وهي على الحقيقة سنة، لقوله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي
وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي»، وقوله: «اقْتَدُوا
بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ».

وهل هذا التأويل يُحْمَلُ الحديث الآخر «كُلُّ مُحَدَّثَةٍ
بِدْعَةٌ» إنما يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق
السنة، وأكثر ما يستعمل للمبتدع عرفاً في الذَّم.

وفي حديث الهذلي: «فَأَزَحَمْتُ عَلَيْهِ بِالطَّرِيقِ هَتَفِي
بِشَأْنِهَا إِنْ هِيَ أَبْدَعْتُ» يقال: أَبْدَعْتُ النَّاقَةَ، إِذَا انْقَطَعَتْ
عَنِ الشَّيْرِ بِكَلَالٍ أَوْ ظُلْعٍ، كَأَنَّهُ جَمَلَ انْقِطَاعِهَا عَمَّا كَانَتْ
مُسْتَمِرَّةً عَلَيْهِ، مِنْ عَادَةِ الشَّيْرِ إِيدَاعًا، أَيْ إِشْيَاءً أَمَرَ
بِخُرْجِهَا عَنْ أَهْلِهَا.

ومن الحديث: «كَوَيْفَ أَصْبَحَ بِمَا أُبْدِعَ عَلَيَّ مِنْهَا»
وهو ما يرويه أبو ذؤيب: وَأُبْدِعَ عَلَيَّ مَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعْلَمْ
بِقَوْلِهِ ﷺ وَكَذَلِكَ يُسَمَّى.

ومن الحديث: «أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي أَبْدِعُ بِكَ
فَاحْلِي» أي انقطع بي لكلال راحلي. (١٠٦: ١)

الفخر الرازي: البدع والمبدع بمعنى واحد. قال
الغزال: وهو مثل أليم بمعنى مؤلم، وحكيم بمعنى نكيس،
غير أن في بدع مبالغة للعدول فيه، وأنه يدل على
استحقاق الصفة في غير حال الفعل، على تقدير: أن من
شأنه الإبداع، فهو في ذلك بمنزلة سامع وسميع، وقد
يجيء بدع بمعنى مبدع. (٢٧: ٤١)

الفريسي: يُبْدِعُ اللهُ تَعَالَى الْمُتَّقِينَ إِيدَاعًا: خَلَقَهُمْ
لَاعِلَى بِئَالٍ. وَأَبْدَعْتُ الشَّيْءَ: وَابْتَدَعْتُهُ: اسْتَخْرَجْتُهُ
وَأَحْدَثْتُهُ، وَمَنْ قَبِلَ لِلْعَالَةِ الْخَائِفَةِ: بِدْعَةٌ، وَهِيَ اسْمُ

من الابتداع، كالزففة من الارتفاع، ثم غلب استعمالها فيها هو نقص في الدين أو زيادة.

لكن قد يكون بعضها غير مكروه فيستعمل بدعة مباحة، وهو مصلحه يدفع بها مفسدة، كاحتياج الخليفة من أخلاط الناس.

وفلان بدع في هذا الأمر، أي هو أول من فعله، فيكون اسم فاعل بمعنى مبتدع، والبدع «فعليل» من هذا، فكان معناه: هو منفرد بذلك من غير نظائره.

وفيه معنى التعجب، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ الأحقاف: ٩، أي ما أنا أول من جاء بالوحي من عند الله تعالى وتشريع الشرائع، بل أرسل الله تعالى الرسل قبلي مبشرين ومنذرين على هدايتهم.

البدع جاني، الإبداع والابتداع: إيجاد شيء جديد، مسبق بمادة ولازمان كالقول، وهو بطلان التقليد، لكونه مسبوقاً بالمادة، والإحداث لكونه مسبوقاً بالزمان.

والتقابل بينهما تقابل التضاد إن كانا وجوديين، بأن يكون الإبداع عبارة عن الخلو عن المسبوقية بمادة، والتكوين عبارة عن المسبوقية بمادة، ويكون بينهما تقابل الإيجاب والسلب، إن كان أحدهما وجودياً والآخر عديمياً، ويُعرف هذا من تعريف المتقابلين.

الإبداع: إيجاد الشيء من لا شيء، وقيل: الإبداع: تأسيس الشيء عن الشيء، والمخلق: إيجاد شيء من شيء، قال الله تعالى: ﴿يَبْدِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ البقرة: ١١٧، وقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ الملق: ٢.

والإبداع أعم من «المخلق» ولذا قال: ﴿يَبْدِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ولم يقل: بدع الإنسان. (٣)

البدعة: هي الفعل المخالفة للسنة، سميت البدعة لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام.

البدعة: هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي. (١٩)

الفيروز آبادي: البدع، المبتدع والمبتدع، وحبل ابتدأ فعله ولم يكن حبلًا، فكيف ثم غزل ثم أعيد فعله، والزق الجديد، ومنه الحديث: «إن تهامة كبدع العسل»، والزجل السمين، وجمعه: بدع.

والبدع بالكسر: الأمر الذي يكون أولاً، والفكر من الرجال، والتهن المعتل، والغاية في كل شيء، وذلك إذا كان مخالفاً أو شجاعاً أو شريفاً، جمعه: أبداع وبدع كثنى، وهي بدعة، وجمعها كثنى، وقد بدع ككفر بداعة وبدوعاً.

والبدعة بالكسر: المحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال، جمعها: كثنى. وبدع كفرح: تمين، وكسند: إنشاء كابتدعه، والزكية: استنبطها.

وإبداع: أبدأ، والشاعر: أتى بالبدع، والزاحلة كالتعطيت، أو ظلمت، أو لا يكون الإبداع إلا ظلم، وفلان بخلان: قلع به وخذله ولم يقم بحاجته، وحجته بطلت، وبزه بشكري وقصده بوصني، إذا شكره على إحسانه

إليه، معترفاً بأن شكره لا يني بإحسانه.

وأبدع بالضم: أجل، وفلان، عطيت وكنائه وبنى
منطقاً به.

وبدعه تديماً: نسبته إلى البدعة. واستبدعه: عدّه
بديعاً، وتبدّع: تحول مبدعاً.

الطريحي: وبديع الحكمة: غرائبها.
ومنه الحديث: «زوّجوا أنفسكم ببديع الحكمة،
فإنها تكل كما تكل الأبدان».

وفي الدعاء: «ولا يتدع من ولايتك» هو بإسكان
الباء، والمراد أن العلية التي لا يحتاج معها إلى غيرك
ليست أمراً بعيداً غريباً لم يعهد مثله من ولايتك بفتح
لواو، أي من إبدالك وإحسانك «ولا ينكر» أي منك
ومستبعد ذلك.

والبدعة بالكسر خالكون: المحدث في التشريع.
وباليس له أصل في كتاب ولائته، وإنما سميت بدعة،
لأن قائلها ابتدعها هو نفسه.

والبدع بالكسر والفتح: جمع بدعة، ومنه الحديث:
«من توضع ثلاثاً فقد أبدع» أي فعل خلاف السنة، لأن
عالم يكن في زمنه ^{عليه السلام} فهو بدعة. (٢٩٨: ٤)
محمود شيت: ١- أبدعه بدعاً: أنشأ على غير
مثال سابق فهو بديع، للفاعل والمفعول، والبدع
مستعملها وأحدثها.

ب - بدع بداعة وبدوعاً: صار غاية في صفته خيراً
مجان أو شراً، فهو بديع.

ج - أبدع: أتى البديع، وأتى بالبدعة، والتشي:
فعله واستخرجته وأحدثه.

د - ابتدع: أتى بدعة، والتشي: بدعه.

هـ - الابتداعية في الأدب والقرن، هي الخروج على
أساليب المتقدمين، باستحداث أساليب جديدة.

و - البدوع: الأمر البديع.

ز - البدع: الأمر الذي يعمل أولاً، يقال: ما كان فلان
بدعاً في هذا الأمر، والناية في كل شيء، وذلك إذا كان
عالمًا شجاعاً أو غرضاً، جمعه: أبداع وبدع.

ح - البدعة: ما استحدث في الدين وغيره، جمعه:
بدع.

ط - البديع: المبدع والمبدع، جمعه: بدائع. يقال:
هذا من البدائع مما بلغ الغاية في بابه، وعلم يعرف به
وتحقيقه في الكلام.

ي - الإبداع: صفة من صفات القائد المختار،
والخروج على أساليب القتال المعروفة باستحداث
أساليب جديدة ناجحة. (٧٢: ١)

المتطعوني، الفرق بين المخلوق والإبداع والإبداع:
أن «المخلوق» هو إيجاد شيء بالكيفية المخصوصة من دون
توجه إلى خصوصية أخرى، و«الإبداع» كما سبق، هو
الإشياء والإيجاد ابتداءً أو في أول مرة، و«الإبداع» هو
الإيجاد بكيفية مخصوصة لم يسبقها شيء آخر.

ظهر أن الأصل الواحد في هذه المادة هو إيجاد
الشيء وإنشاؤه على خصوصية لم يسبق فيها غيره.
والبدعة: كل أحدثوة ليست لها سابقة، فهي على
كيفية مستحدثة.

والبديع على «فيل» وصيغته تدل على ثبوت
المبدئ للذات، كما أن صيغة «فاعل» تدل على المحدث.

أسماء الله . (الأزهرى ٢: ٢٤٢)
أَبُو عَيْبَةَ : بديع : مُبتدع، وهو البادئ الَّذِي
بداها . (٥٢: ١)

الطَّبْرِي : مُبتدعها . ولما هو «سُفيل» صُرِفَ إلى
«فعل» كما صُرِفَ المولم إلى أليم، والمسمع إلى سميع .
ومعنى المبتدع : المُنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء
مثله وإحداثه أحدٌ، ولذلك سُمي المبتدع في الدين
مبتدعًا، لإحداثه فيه ما لم يسبق إليه غيره . وكذلك كلُّ
محدث لعل أو قولاً لم يتقدمه فيه متقدم . فبان المصرب
تُسَمَّى مبتدعًا .

هو بارئها وخالقها وموجدتها من غير أصل ولا مثال
احتلتها عليه . وهذا إلهام من الله جلّ تناؤه عباده . أن
بما يشهد له بذلك المسيح الَّذِي أضافوا إلى الله جلّ تناؤه
بنوته . وإخبار منه لهم أن الَّذِي ابتدع السماوات
والأرض من غير أصل وعلى غير مثال . هو الَّذِي ابتدع
المسيح من غير والد بقدرته . (٥٠٨: ١)

الزَّجَّاج : أنشأها على غير جذاء ولا مثال . وكلُّ
من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له : أبتدع . ولهذا قيل لكلِّ
من خالف السَّنة والإجماع : مبتدع . لأنَّه يأتي في دين
الإسلام بما لم يسبقه إليه الصَّحابة والتابعون .

(١٩٩: ١)

يعني أَنَّهُ أنشأها على غير جذاء ولا مثال . إلا أن
بديعًا من «بَدَعَ» لامن «أبتدع» . وأبتدع أكثر في الكلام من
بَدَعَ . ولو استعمل بَدَعَ لم يكن خطأ . فبديع «فعل»
يعني «فاعل» مثل : قدير بمعنى قادر . وهو صفة من
صفات الله تعالى . لأنَّه بدأ الخلق على ما أراد . على غير

وقيام المبدئي به . فالبديع هو ذات ثبت لها البدعة
والبدعية . والبصير ذات ثبت لها البصارة . والعليم ذات
ثبت لها العلم .
وتفسيره بالمبتدع أو المبتدع تحريف مخالف . ويقرب
منه لفظ البَدَعَ . وهو صفة كالمليح . والابتداع : أخذ
البدعة وكسبها . (٢١٥: ١)

النصوص التفسيرية

بَدِيعُ

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . (البقرة: ١١٧)
الإمام الباقر عليه السلام : ابتدع الأعيان كلها بجليله . على
غير مثال كان قبله . فابتدع السماوات والأرض ولم يكن
قبلهن سماء ولا أرضون . أما تسمع قوله تعالى :
﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى السَّمَاءِ﴾ هو: ٧ .

(الكشاف ١: ١٦٧)

المُتَدَي : ابتدعها فخلقتها . ولم يخلق مثلها شيئاً
فتمثل به . (الطبري ١: ٥٠٩)

نحوه الطوسي . (١: ٤٢٩)

الزَّبِيع : ابتدعَ خلقتها . ولم يشركه في خلقها
أحد . (الطبري ١: ٥٠٨)

الليث : قرئ : (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالنصب
على وجه التعجب . لما قال المشركون على معنى : بَدَعًا
ما قلتم . وبديعًا اخترقتم . فنصبه على التعجب . والله
أعلم أهو كذلك أم لا ؟

فلما قرأه المائدة فارتفع . ويقولون : هو اسم من

مثال تقدمه.

(لن منظور ٨: ٦)

الأزهرى: [قال بعد قول النيث: ما علمت أحداً من القراء قرأ (بديع) بالنصب، والتعجب فيه غير جائز، وإن جاء مثله في الكلام فنصبه على المدح، كأنه قال: اذكر بديع السماوات. (٢: ٢٤٢)

التبديدي: إن الله خالق السماوات والأرض بنير مثال ولا قالب ولا هيار من قبل، ومن هذه أخذت البذعة. والبذعة: كل قول وفعل جديد في الدين ولم يغل به المتي ولم يملئه من قبل. (١: ٣٣٤)

الزمخشري: يقال: بدع الشيء فهو بديع، كقولك: برع الرجل فهو بريع.

(وبديع السموات) من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، أي بديع سماواته وأرضه.

وفيل: البديع، بمعنى المبرج، كما أن المسيح في قول عمرو^(١) بمعنى المسيح، وفيه ظر.

القرطبي: «فيل» للمبالغة، وارتفع على خبر ابتداء محذوف، واسم الفاعل بديع، كصير من مبصر، أبدعت الشيء لاحت مثال، غافه عز وجل بديع السماوات والأرض، أي منشئها وموجدتها ومبدئها وعترتها على غير حد ولا مثال. (٢: ٨٦)

البيضاوي: مبدئها، وظاهر السميع في قوله: أم ربحانة الداعي السميع

يؤدقني وأصحابي هجوع أو بديع سماواته وأرضه من بدع فهو بديع، وهو حجة رابعة^(٢).

وتقريرها: أن الرائد عنصر الولد المنفصل بالانفصال

مادته عنه، والله سبحانه وتعالى مبدع الأشياء كلها فاعل على الإطلاق منزّه عن الاتصال، فلا يكون والدًا، والإبداع اختراع الشيء لاعتن شيء دفعة، وهو أليق بهذا الموضع من «الصنع» الذي هو تركيب الصورة بالعنصر، والتكوين الذي يكون بتغيير ولي زمان غالبًا. وقرئ (بديع) مجرورًا على البدل من الفسير في (له) ومنصوبًا على المدح. (١: ٧٨)

الطبري: أي مبدئها، وموجد لها، من غير مثال سابق.

ونوقش: بأن «فيل» بمعنى «سميل» لم يثبت في اللغة، وإن ورد فيها فساد لا يقاس عليه.

وأجيب بأن الإضافة فيه إضافة الوصف بحال المشتق، فهي من فيل حسن الفلام، أي أن السماوات والأرض بديعة، أي عديمة الظير.

والله أعلم بالصواب. وهو الذي ظر الخلق مبدعًا، لأهل مثال سبق. (٢: ٢٩٨)

وشيد رضا: قال المنصور: إن البديع بمعنى المبدع، فهو منتق من الرباعي «أبدع» واستشهدوا بيت من كلام عمرو بن مديكرب جاء فيه: «سميع» بمعنى سميع.

وقالوا: قد تعاقب فيل وفيل في حروف كثيرة كحكيم ومحكم وقصيد ومقصد وسخين ومسخن.

(١) عمرو بن مديكرب قوله: أم ربحانة الداعي السميع.
(٢) أي على بطلان قولهم: «أشكف الله ونسأ». والحجج الثلاثة الأخرى أنشأها من قوله: «منشئها بل أنه تعالى السموات والأرض» «كل له فاشترى» البقرة، ١١٦، فلاحظ.

وقالوا: إنَّ «الإبداع» هو إيجاد الشيء بصورة مخترعة على غير مثال سبق، وهو لا يقتضي سبق المادة، وأما «الخلق» فمعناه التقدير، وهو يقتضي شيئاً موجوداً، يقع فيه التقدير.

وإذا كان المبدع للسموات والأرض والمخترع لها، والموجد لجميع ما فيها، فكيف يصح أن ينسب إليه شيء منها على أنه جنس له، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وكان الأصمعي ينكر «لميلاً» بمعنى «مُفَوِّل» لأنَّ القياس بناءً من الثلاثي، ويقول: إنَّ «مبدعاً» صفة مشبهة، بمعنى لا نظير له، و«بديع السموات» معناه البديعة سماواته. وفي هذا ترك للقياس الذي قضى في الصفة المشبهة التي تضاف إلى «الفاعل» أن تكون متضمنة ضميراً يعود على الموصوف.

والحق أن تحكيم القياس فيما ثبت من كلام العرب تحكيم جائز، فما كان للدخيل في القوم أن يستدلوا بالظن من كلامهم، فيضع لها قانوناً يعطل به كلاماً آخر ثبت عنهم، ويعدّه خارجاً عن لغتهم بعد ثبوت قطعهم به. فإذا كان كل واحد من الوجهين صحيح المعنى، حكمتا بصحة كل منهما، والأول أظهر، وشواهد المسموعة أكثر.

(٤٣٧: ١)

المُصْطَفَوِي: (بديع) في جميع مراتب الوجود عالياً وسافلاً، فهو كقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ السورى: ١١، فلا تشبيه له من السموات والأرض، ولا مثيل له في الوجود، ولا عدل له في الخلق، سبحانه الله رب العالمين.

وهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ أُنْشِئُ يَتَكُونُ لَهُ يَدْعُهُ الْإِنَّمَاءُ: ١٠١.

يَدْعَا

قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ... الأحقاف: ٩

ابن عباس: ما كنت أول رسول أرسل.

نحوه مجاهد. (الطبري: ٢٦: ٦)

قتادة: أي إن الرُّسُلَ قد كانت قبلي.

(الطبري: ٢٦: ٦)

الطبري: ما كنت أول رُسُلِ الله التي أرسلها إلى

خلقه، قد كان من قبلي له رُسُل كثيرة، أرسلت إلى أمم

قبلكم. يقال منه: هو يَدْعُ في هذا الأمر ويدع فيه، إذا

كاهم فيه أول.

(٥: ٢٦)

الزَّاجِب: قيل: معناه مُدْعَاً لم يستقدمي رسول.

وقيل: مدعياً فيما أقوله. (٣٩)

الزَّمْشَرِي: الذَّيْع بمعنى البديع كالحيف بمعنى

الحليف. وقرئ (يَدْعَا) بفتح الدال، أي ذا يدع.

ويجوز أن يكون صفة على «فعل» كقولهم: دين قيم

ولهم زيم. كانوا يقترحون عليه الآيات، ويسألونه عما

لم يوح به إليه من الغيوب، فقبل له: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا

مِنَ الرُّسُلِ﴾ فأنبأكم بكل ما تقرحونه، وأخبركم بكل ما

تسألون عنه من الغيبات، فإن الرُّسُلَ لم يكونوا يأتون

إلا بما آتاهم الله من آياته، ولا يخبرون إلا بما أوحى

إليهم. (٥١٧: ٣)

أَبُو حَتَّان: قرأ عكرمة وأبو حنيفة وابن أبي عمير

بفتح الدال جمع يدعة، وهو على حذف مضاف، أي ذا

يدع. وقال الزَّمْشَرِي: ويجوز أن يكون صفة على

يَدْعُ يَدْعُ يَدْعُ يَدْعُ وَيَدْعُوهُ، وشيءٌ يَدْعُ: مهْتَدِعٌ. يقال: فلان يَدْعُ في هذا الأمر، أي هو أول فيه، لم يسبقه أحد، وما هو مقي يَدْعُ ويَدْعِ، وفلان يَدْعُ في هذا الأمر، أي يَدْعِ. ورجل يَدْعُ وامرأة يَدْعُ، إذا كانا غايَةً في كل شيء.

واليدعة: ما استحدث في الذين كما لم يكن فيه، يقال: أبدع وأبدع وتبدع في الأمر لبداعاً: أي يبدعة، ويَدْعُ فلانٌ فلاناً: نسه إلى البدعة.

والبديع: الأمر المحدث العجيب، كأنه شيء ليس له سابقة ولا منيل، يقال: لقد جئت بأمر بديع، أي مهْتَدِعٌ عجيب.

والبديع: من يتدع شيئاً لم يكن قبل ذلك فيرتفع منه، وهو اسم من أسماء الله تعالى، إذ أنشأ المخلوق وأحدثه على غير مثال.

والبديع أيضاً: يعلم بحرف به وجوه تحسن الكلام، يقال: أبدع الشاعر، إذا جاء بالبديع، واستبدعه: هذه بديعاً.

ومن هذا الباب قولهم: أبدعت الإبل: كلفت أو غليت، وكأنتها أنت بأمر بديع ما كان من هادتها. وأبدعت: تركت في الطريق من الهزال، وأبدع الرجل وأبدع به وأبدع: كلفت راحته وبقى منتظماً به. وكذا أبدع به ظهره، أي حسر عليه ظهره ووقف به، وأبدع فلان بفلان، إذا طلع به وغذله ولم يقم بمجاخته، ولم يكن عند ظنه به.

ويقال أيضاً: أبدعت حبة فلان، أي أبطلت. وقد انتقلت المادة في هذا الاستعمال من معناها الأصلي وهو

الإحداث دون سابقة - إلى ملازمة معنى الانقطاع والمخذلان والبطلان، ونحو ذلك.

٢- واختلفوا في الصفة المشبهة «البديع»، فقال بعض: هي «فعل» من «يدع» بمعنى «فاعل» مثل: فدير وقادر. وقال بعض: هي «فعل» من «أبدع» بمعنى «مفعول» مثل: سمع ومسمع. وقال بعض آخر: هي «فعل» من «أبدع» بمعنى «مفعول»، مثل: فقير ومفتقر. ولكن قياس «بديع» في الصفة المشبهة من «يدع» على القول الأول - وعليه أكثر المفسرين أيضاً - وليس من «أبدع» أو «أبدع» على القولين الثاني والثالث. وأما ما جاء من هذا القياس، مثل: أليم من «ألم»، وشديد من «اشتد»، فهو شاذ ونادر.

الاستعمال القرآني

والبديع أيضاً: يعلم بحرف به وجوه تحسن الكلام

١- ﴿وَرَهْمَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِي﴾

الحديد: ٢٧

٢- ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعُلُ بِي وَلَا يَكْتُمُ﴾

الأحقاف: ٩

٣- ﴿يَدْعِ الشُّعُونِ وَالْأَرْحِ﴾

البقرة: ١١٧، الأنعام: ١٠١

يلاحظ أولاً: أن معنى الإحداث من دون سابقة لا يرب من هذه الآيات أيضاً، كإحداث التصاري الزهانية بعد غياب المسيح عليه السلام، دون أن يفرضها الله تعالى عليهم، كما في الآية الأولى. ونفي إحداث التي هي خلافاً لرسالات الأنبياء في الثانية.

وإحداث السماوات والأرض وإيجادها في الثالثة

ثانيًا: أَنَّ الْبَدْعَ فِي الْأَوَّلِينَ تَحْصُ الْبَشَرُ، وَهِيَ مِنْهُنَّ عَنِهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَمَا نَرَى هُنَا. وَأَمَّا الْبَدْعُ فِي الثَّالِثَةِ فَيَحْصُ اللَّهُ، وَهُوَ ثَمَّ عَلَيْهِ تَعَالَى.

ثالثًا: وَبَنَاءٌ عَلَى الْخِلَافِ فِي «بَدِيع» أَنَّهُ مِنْ بَدَعَ أَوْ لَبَدَعَ، اخْتَلَفُوا فِي تَقْسِيمِ «بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، إِذْ قَسَمَهُ الْأَكْثَرُ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَجَعَلُوهُ مِنْ إِضَافَةِ الصِّغَةِ إِلَى الْمَعْمُولِ. وَجَعَلَهُ الزُّنْزُقَرِيُّ مِنْ إِضَافَةِ الصِّغَةِ إِلَى فَاعِلِهَا، وَيَقَالُ: أَيُّ بَدِيعِ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ. وَنَسَبَ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ إِلَى الْقَبِيلِ، وَقَالَ: فِيهِ ظَرْفٌ وَحَكِي ذَلِكَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَوْلًا وَاحِدًا، نَافِيًا غَيْرِهِ. وَاحْتَمَلَهُ الزُّجَاجُ، وَالْيَاقُوتِيُّ، وَالظُّرْبِيُّ، وَرَشِيدُ رَحْمَةِ اللَّهِ مُضْطَلًّا الْقَوْلَ الْأَوَّلَ.

وَبَيِّنَ الْمُصْطَفَوِيُّ أَنَّ «بَدِيعًا» وَصَفَ بِهِ تَعَالَى بِمَعْنَى «الْفَاعِلِ»، وَأَنَّهُ تَعَالَى بِدِيعٍ فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِ الْوُجُودِ عَالِيًّا وَسَافِلًا، فَلَانِسْبِهِ لَهُ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، هُوَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» الشُّرُورِيُّ: ١١. وَيَبْدُو أَنَّهُ جَعَلَهُ مُضَافًا إِلَى الظَّرْفِ، وَأَنَّهُ بِدِيعٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَهَذَا مَعْنَى لَطِيفٍ فِي تَقْسِيمِهِ لَوْ تَبِعَهُ غَيْرُهُ فِيهِ، وَابْتَحَثَ بَعْدَ مُفْتَوِّحٍ.

رابعًا: وَاخْتَلَفَتْ التَّنَابِيرُ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ: «بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، بِنَاءً عَلَى كَوْنِهِ بِمَعْنَى مُبْدِعٍ، فَقَدْ قَالَ الْأَكْثَرُ: خَلَقَهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالِ سَبْقٍ، فَجَعَلُوهُ بِمَعْنَى الْإِبْتِدَاعِ وَالْإِخْتِرَاعِ. وَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ: ابْتَدَعَ خَلَقَهَا وَلَمْ يُشْرِكْ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَضَافَ عَنْصَرَ عَدَمِ مِشَارَكَةِ غَيْرِهِ

إِلَيْهِ، وَلَا يَتَّبِعُهُمْ هَذَا مَنْ نَصَّ الْكَلِمَةَ إِلَّا مَنْ الْحَصَرَ الْمَفْهُومَ مِنَ السِّيَاقِ. وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ خَلَقَهَا مِنْ غَيْرِ مَادَّةٍ، وَجَعَلُوا هَذَا فَارِقًا بَيْنَ الْإِبْتِدَاعِ وَالْحَلْقِ، فَإِنَّ الْحَلْقَ: إِيجَادُ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، وَالْإِبْتِدَاعُ: إِحْدَاثُ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ، وَهَذَا أَيْضًا غَيْرُ مَفْهُومٍ مِنْ نَصِّ الْكَلِمَةِ، لَكِنَّهُ لَا زَمَّ مَرْفُوعًا لِلْإِحْدَاثِ مِنْ غَيْرِ مِثَالِ سَبْقٍ.

خامسًا: قَسَمَ ابْنُ الْأَثِيرِ - وَتَبِعَهُ غَيْرُهُ - الْبَدْعَ إِلَى بَدْعَةٍ هَذِي، وَبَدْعَةٍ ضَلَالَةٍ، أَوْ بَدْعَةٍ مَذْمُومَةٍ وَبَدْعَةٍ مَمْدُوحَةٍ، تَوَجُّهًا لِقَوْلِ الْحَلِيفَةِ عَمْرٍ: «نَعِمْتَ الْبَدْعَةَ»، فِي مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ إِقَامَةِ صَلَاةِ التَّرَاوِجِ جَمَاعَةً، وَلَمْ يَسْنُهَا النَّبِيُّ، وَلَمْ يَفْعَلْ بِهَا أَحَدٌ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ، وَقَدْ أَخَذَهَا مِنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَرَادَ ابْنُ الْأَثِيرِ إِدْخَالَهَا فِي السُّنَّةِ بِدَعْوَى أَنَّهَا دَاخِلَةٌ تَحْتَ عُمُومِ مَا نَدَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَمِنْ مَصَادِقِ قَوْلِهِ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً، كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»، وَأَنَّهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ سُنَّةٌ، اسْتَدَانَ إِلَى حَدِيثِ «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي»، وَحَدِيثِ «اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي...».

وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْوُجُوهُ الثَّلَاثَةُ مَوْضِعَ الْبَحْثِ وَالظَّرِّ، فَإِنَّ الْمَبَادِئَ تَوْقِيفِيَّةً، وَلَا يَدَّ مِنْ التَّنَصُّعِ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ، فَلَا تَعْنِيهَا عُمُومَاتُ الْمَعْرُوفِ وَالسُّنَّةِ الْحَسَنَةِ، وَالْمُحَدِّثَانِ الْمَذْكُورَانِ لَمْ يَسْرِدَا فِي الصَّحَاحِ، وَلَمْ يَنْبُتْ إِسْنَادُهُمَا، وَحَقٌّ لَوْ نَبَتْ فَلَا يَمَانُ مَا كَانَ عَمَلًا لِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْتَفَاعِيلُ مُوَكَّلُونَ إِلَى كِتَابِ «الْخِلَافِ وَالْخِلَافَةِ».



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

ب د ل

٢٦ لفظاً، ٤٢ مرة: ١٩ مكيّة، ٢٤ مدنيّة

في ٢٥ سورة: ١٦ مكيّة، ٩ مدنيّة

التصويع اللغويّة

يُبدِله ١-١	يُبدِلك ٢:٢	التصويع اللغويّة
يُبدِّلُهَا ١-١	يُبدِّلُ ١-١	الطَّهِيلُ : البَدَلُ : خَلَفَ مِنْ الشَّيْءِ ، وَالتَّجْدِيلُ :
يُبدِّلُونَا ١-١	يُبدِّلُ ١-١	التَّخْيِيرُ .
يُبدِّلُ ١-٢:٣	يُبدِّلُهُ ١-١	وَلَسْتَ بَدَلْتُ نَوْبًا مَكَانَ نَوْبٍ ، وَأَخًا مَكَانَ أَخٍ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ الْمُبَادَلَةِ .
يُبدِّلُهُ ١-١	يُبدِّلُ ٢:٢	وَالْأَبْدَالُ : قَوْمٌ يَقِيمُ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ وَيُنْزِلُ الرِّزْقَ :
يُبدِّلُوا ٢:٢	يُبدِّلُوا ٤-١:٥	أَرْبَعُونَ بِالشَّامِ ، وَثَلَاثُونَ فِي سَائِرِ الْإِلْدَانِ ، إِذَا مَاتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِثْلُهُ ، وَلَا يُؤْتِيهِ لَهِم .
يُبدِّلَانَا ١-٢:٣	يُبدِّلُ ٣:٣	وَيَقَالُ : وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِمَقَامِهِ حُلُولَانِ رَبِّي بِهَا ، اسْمُهُ ذُو نَبِ بْنِ بَرْمَلَى ، وَيَقَالُ : قَرَأَ الْقُرْآنَ وَأَبْدَالَ الشَّامِ .
يُبدِّلَانَهُمْ ١-١:٢	يُبدِّلُ ١-١	وَالْبَادِلَةُ : لِحْمَةٌ بَيْنَ الْإِجْلِ وَالْقُنْدُوزَةِ ، وَالرُّغْنَانُ وَ
يُبدِّلُ ٢-١:٣	يُبدِّلُ ١-١	أَهَالِيهَا ، [أَتَمَّ اسْتَشْهَدَ بَشَرًا] (٤٥ : ٨)
يُبدِّلُونَهُمْ ١-١	يُبدِّلُونَا ١-١	وَيَسْبِقُونَهُ : إِنْ بَدَّلَكَ زَيْدٌ ، أَيْ إِنْ بَدَّلَكَ زَيْدٌ . وَيَقُولُ
يُبدِّلُونَا ١-١	يُبدِّلُونَا ١-١	الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ : إِذَا هَبَّ مَعَكَ بَقْلَانِ ، فَيَقُولُ : مَعِيَ رَجُلٌ
أُبدِّلُهُ ١-١	إِسْتَبْدَالَ ١-١	بَدَّلُهُ ، أَيْ رَجُلٌ يُغْنِي غِنَاءَهُ ، وَيَكُونُ فِي

مكانه .

(ابن منظور ١١ : ٤٨)

ابن شُمَيْل : في حديث رواه بإسناد له عن عليّ أنّه قال : «الأبدال يسالّون ، والنّسباء بمصر ، والعصائب بالمراق» .

الأبدال : خيارٌ بَدَل من خيارٍ ، والعصائب : عصبة ، وعصائب يجتمعون فيكون بينهم حربٌ .

(الأزهري ١٤ : ١٣٢)

الفسّاء : بَدَلٌ ومِثْلٌ ومِثْلٌ وشِبةٌ (الأزهري ١٤ : ١٣٢) وشِبةٌ .

يقال : أبدلتُ الغائمَ بالحلقة ، إذا نَحِثْتُ هذا وجعلتُ هذا مكانه . وبَدَلْتُ الحلقةَ بالغائم ، إذا أَدْبَحْتُها وجعلتها خائِثًا .

(الأزهري ١٤ : ١٣٢)

البّادل : واحدتها : بَادَلَةٌ ، وهي ما بين السّوق إلى التّرقوة . [نم استشهد بشعر] (الأزهري ١٤ : ١٣٢) أبو حَبِيْبٌ : قال الرّاء : «بَدَلٌ وبَدَلٌ لثانٍ . ومِثْلٌ ومِثْلٌ ، وشِبةٌ وشِبةٌ ، ونَكَلٌ ونَكَلٌ» .

ولم يُسَمَّع في قَلْبٍ وفِطْلٍ غير هذه الأربعة الأحرف . والبَدِيل : البَدَل ، وبَدَلُ الشَّيْءِ : غيره .

(ابن منظور ١١ : ٤٨)

البّادَلَةُ : اللَّحْمَةُ في باطن الفخذ .

(ابن منظور ١١ : ٥٦)

ابن الأهرابي ، البّادَلَةُ : لحم الصّدر ، وهي البادورة . والبَدَلَةُ ، وهي القَهْدَةُ . (الأزهري ١٤ : ١٣٢)

ابن السّكَيْت : البَدَلُ : رَجَعَ في اليَدَيْنِ والرّجْلَيْنِ ، يقال : بَدَل يَبْدُل بَدَلًا . [نم استشهد بشعر] (١١٥)

جمع بَدَل : بَدَلِي . وهذا يَدَلٌ على كُنْ بَدَلًا بمعنى

بَدَل . (ابن منظور ١١ : ٤٨)

أبو الهيثم : هذا يَدَلُ هذا وَيَدَلُهُ ، وواحد الأبدال : يريد النّسباء أيضًا ، يَدَلُ وَيَدَلُ . (الأزهري ١٤ : ١٣٢)

والعرب تقول للذي يبيع كلَّ شيءٍ من المأكولات بَدَلًا ، والمعامة تقول : يَبْدُل . (ابن منظور ١١ : ٤٨)

الشُّبْرَدُ : البَدَل على أربعة أضربٍ : فواحد منها أن يُبَدَلَ أحدُ الاسمين من الآخر إذا رجعا إلى واحد ولا يُبَدَلُ لِمُتَرَفِّعينَ كانا أم مرفعةً ونكرةً ، وتقول : مررت بأخيك زيد ، لأنّ زيدا هو الأخ ، وكذلك مررت برجل عبادة ، فهذا واحدٌ .

وآخر أن يُبَدَلَ بعضُ الشَّيْءِ منه ، نحو ضربت زيدا راسه لثا قلت : ضربت زيدا ، أردت أن تُبَيِّنَ موضع الضرب منه .

فَبَدَلُ الْأَوَّلِ قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذْ بَدَلْنَا الصَّخْرَةَ الْمُؤَسَّسِينَ﴾ صِراطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ ﴿الْفاتحة : ٦٠ ، ٥٠﴾ وقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ صِراطُ اللَّهِ ﴿التّورى : ٥٢ ، ٥٣﴾ ﴿لَتَسْقُوا بِأَنْهَارٍ كَاتِبَةٍ كَاتِبَةٍ﴾ الحلق : ١٥ ، ١٦ .

ومثل البَدَل الثاني قوله : ﴿وَقَدْ عَلَى النَّاسِ جِجٌّ﴾ الْيَتِ عَنْ اسْتِطَاعِ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، آل عمران : ٩٧ ، (مَنْ) في موضع خفض لأنّها بدل من (النّاس) ومثله ، إلّا أنّه أعيد حرف الغرض : ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَغْنَوْا﴾ سبأ : ٢٢ لمن آمن منهم .

والبدل الثالث : مثل ما ذكرنا في البيت (١) أبدل

(١) لمرك ما أتت بهت وحل في الندي شاعله ولاأباء مجالته .

أخرى، والجمهرة بينهما، والاببدال، تحية الجمهرة
ولستاف جمهرة أخرى. (الأزهرى ١٤: ١٣٢)

كُراع النعل: ورجل يَدُك: كريم.

(ابن منظور ١١: ٤٩)

ابن فوكيد: يدك الشيء: غيره، وكذلك يديله.

والأبدال زعموا واحدهم: بديل، وهو أحد ما جاء

على فاعل وأفعال، وليس في كلامهم فاعل وأفعال من

الناس إلا أحرف: شريف وأشراف، وفنيق وأفانيق،

وبديل وأبدال، وشيم وأيشام، ونصير وأنصار، وشهيد

وأشهاد.

فأما الأبدال فزعموا أنهم سبعون رجلاً في الدنيا،

سبعون منهم الدنيا: أربعون رجلاً في الشام، وثلاثون في

سائر الأقاليم. وأما سموا أبدالاً، لأنه إذا مات الواحد

منهم أبدل الله مكانه آخر.

وأما الرجل مبادلة وبداًلاً، إذا أعطته شئاً

ماتاً أخذ منه.

والأبدال: لحم الصدر، واحدها: بأدة. [ثم استشهد

بشعر]

ومشت المرأة البأدة، إذا مشت فمركت أظفارها،

كمشي الفصاري إذا أشرعن. (٢٤٧: ١)

والبأدة: يشية تحرك فيها بأدنها، أي لحم صدرها.

وهي من مشية الفصاري من النساء. (٧٢: ٣)

الأزهرى: الرب تقول للذي يبيع كل شيء من

المأكولات: بذاك. قال أبو الهيثم: والعامة تقول: بقال.

(١٤: ١٣٣)

الصاحب: البذل: الخلف.

عائلة منه، وهي غيره، لا احتمال الخلف عليها، ونظير

ذلك: أسألك عن زيد أمره، لأن السؤال عن الأمر.

وتقول على هذا: سلب زيد توبه، فالتوب غيره، ولكن

به وقع السلب، كما وقعت المسألة عن خبر زيد. وظاهر

ذلك من القرآن ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ

بِهِ﴾ البقرة: ٢١٧. لأن المسألة إنما كانت عن القتال،

هل يكون في الشهر الحرام. [ثم استشهد بشعر]

وبدل رابع: لا يكون مثله في القرآن ولا في الشعر،

وهو أن يتألف المتكلم فيكون خطفه، أو يئس فيذكر،

فيرجع إلى حقيقة ما يقصد له، وذلك قولك: مررت

بالمسجد دار زيد، أراد أن يقول: مررت بدار زيد، فأما

تبيي وأما غلط فاستدركه، فوضع الذي قصد له في

موضع الذي غلط فيه. (٢: ١١)

قد جعلت الرب «بدلت» بمعنى «أبدلت» وهو يقول

«فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات»

الفرقان: ٧٠. ألا ترى أنه قد أزال السيئات وجعل

مكاتها حسنات.

قال: وأما ما شرط أحمد بن يحيى فهو معنى قول الله:

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدُفَانِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾

النساء: ٥٦، فهذه هي الجمهرة، وتبدلها: تخيير

صورتها إلى غيرها، لأنها كانت ناعمة فأسودت

بالطلب، فزادت صورة جلودهم الأولى لما نضجت تلك

الصورة، فالجمهرة واحدة، والصورة تختلف.

(الأزهرى ١٤: ١٣٢)

تغلب: [بعد نقل قول القرطبي قال:]

حقيقته أن «التبديل» تخيير الصورة إلى صورة

والتبديل: التغيير والعين قائمة.

ويقال: بَدَّلَ وَبَدَّلَ وَبَدَّلَ.

والإبدال: أن تأتي بالكبد.

والإبدال: قوم صالحون، واحد هم بَدَّلَ.

والتأدية: اللحمة بين الإبط والتسؤة.

والتأديك: لحم الصدر.

والبذل: العضد، بَدَّلَ بَدَلًا: استكى عضده، وقيل:

يَدُهُ وَرِجْلَيْهِ، وهو أيضًا ما يصب الثمن من كعادي الوساد.

وينو فلان بَدَلًا: أي مصابون ناقصة عقولهم.

وبَدَّلَانُ: اسم موضع - على وزن قِلْران -.

(٣٩٨: ٩)

الجهوهري: التبديل: البذل. وبَدَّلَ الشيء: غيره.

يقال: بَدَّلَ وَبَدَّلَ لفتان، مثل شَبَّ وَشَبَّ، وَنَكَلَ وَنَكَلَ، وَنَكَلَ وَنَكَلَ.

قال أبو حنيفة: ولم يُسَمَّ في قَلْبٍ وَلِغَلٍ خَيْرَ هَذِهِ

الأربعة الأعراف.

والبذل: وَجَعَ في اليدين والرجلين، وقد بَدَّلَ

بالكسر يَبْدُلُ بَدَلًا.

وأبدلت الشيء بغيره، وتبدله الله من الخوف أمنًا.

وتبدل الشيء أيضًا: تغيره وإن لم يأت ببدل.

واستبدل الشيء بغيره وتبدله به، إذا أخذ مكانه.

والمبادلة: التبادل.

والإبدال: قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، إذا

مات واحد أبدل الله مكانه بآخر. (٤: ١٦٣٢)

(٥٦)

مظه الرازي.

ابن فارس: الباء والذال واللام أصل واحد، وهو

قيام الشيء مقام الشيء الذاهب، يقال: هذا بَدَّلَ الشيء

وبدله، ويقولون: بَدَّلْتُ الشيء، إذا غيرته، وإن لم تأت

له ببدل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ

مَلَأِي نَفْسِي﴾ يونس: ١٥، وأبدلته، إذا أثبت له ببدل.

[ثم استشهد بـ] (١: ٢١٠)

أبو هلال: الفرق بين البوض والبذل: أن البوض:

ما تمسك به الشيء على جهة المشامة، تقول: هذا الدرهم

بوض من خاتمك، وهذا الدينار بوض من ثوبك، وهذا

يسمى ما يطي الله الأطفال على إيلامه إيتاهم إعوامًا.

والبذل: ما يقام مقامه، ويوقع موقعه على جهة

التعاقب دون المشامة، ألا ترى أنك تقول لمن أساء إلى

من أحسن إليه: أنه بَدَّلَ نعمته كفرًا، لأنه أقام الكفر

مقام الشكر، فلا تقول: مؤذنه كفرًا، لأن معنى المشامة

لا يتضح في ذلك.

وهو أن يقال: البوض هو البذل الذي يستمع به،

وإذا لم يُجمل على الوجه الذي يتضح به لم يُسمَّ بوضًا.

والبذل: هو للشيء الموضوع مكان غيره ليستمع به أولًا،

وقد يكون البذل المكلف من الشيء.

والتبديل عند التحويتين مصدر سمّي به الشيء

الموضوع مكان آخر قبله، جاريًا عليه حكم الأول،

وقد يكون من جنسه وغير جنسه، ألا ترى أنك تقول:

مرت رجل زني، فتجعل زيدًا بدلًا من رجل، وزيد

معرفة ورجل نكرة، والمعرفة من غير جنس النكرة.

الفرق بين تبديل الشيء والإتيان بغيره: أن الإتيان

بغيره لا يقتضي دفعه بل يجوز سقاؤه صه، وتبديله

لا يكون إلا برضه ووضع آخر مكانه. ولو كان تبدله
والإتيان بغيره سواء، لم يكن لقوله تعالى: ﴿ثَابِتٌ يُقْرَأُ
غَيْرُ هَذَا أَوْ يَمْلَأُ﴾ يونس: ١٥، فائدة. (١٩٧)

ابن سيدة: البذل: وَجَعُ اليَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ، وَقد
يَبْدُلُ يَبْدُلُ بَدَلًا، فهو يَبْدِلُ. (الإفصاح ١: ٥١٩)

وحروف البذل: الهززة والألف والياء والواو والميم
والنون والكاف والغاء والطاء والدال والجيم، وإذا أضفت
إليها السين واللام وأخرجت منها الفطاء والدال والجيم،
كانت حروف الزيادة، ولستأثر يد البذل الذي يحدث مع
الإدغام، إنما البذل في غير إدغام.

وبادل الرجل مبادلة وبدلاً، أعطاه مثل ما أخذ منه.

[ثم استشهد بشعر] (ابن منظور ١١: ٤٩)

الرَّمَحُشَرِيُّ: أهداه بخوفه أُنثى، وبدلته مثله. وبدل

الشئ: غيره. وتبدلت الذكر بإنسها وحشاً.
واستبدلته وبداكته بالسلمة، إذا أعطيته غمراً
ما أخذته منه، وتبادلا ثوبتهما.

وهذا بَدَلٌ منه ويبدلُ منه، وهم أبدالٌ منهم ويبدلوا،
وهذا يبدلُ ماله حديق.

ورُبَّ بَدَلٍ شَرٌّ من بَدَلٍ: وهو وَجَعُ العظام. [ثم
استشهد بشعر]

وهو من الأبدال، أي الزَّخَاد، (أساس البلاغة: ١٧)
عليه السلام: «الأبدال بالشام، والنسباء بمصر،
والنصائب بال عراق».

هم غيارٌ بَدَلٌ من غيار، جمع بَدَلٍ وبَدَلٍ.
النصائب: جمع حصابة، يريد طوائف يجتمعون،
فيكون بينهم حرب. (الغاني ١: ٨٧)

ابن الأثير: في حديث علي عليه السلام عنه: «الأبدال
بالشام، هم الأولياء والسَّيَّاد، الواحد: بَدَلٌ كجمل
وأحال، وتدل كجمل، سمو بذلك لأنهم كلَّها مات واحد
منهم أبداً بآخر. (١٠٧: ١)

ابن منظور: قال نصير: البادئتان: بطون
الفخذين، والربلتان: لحم باطن الفخذ، والحاذقان: لحم
ظاهرهما حيث يقع شعر الذنب، والجاسيرتان: رؤسا
الفخذين حيث يوشم الحمار بحلقة، والرهشاون
والشَدُونَتان يُسَمَّيان: البادل، والشَدُونَتان: لحمتان فوق
التدين.

وبادؤني وبادؤلي، بالفتح والضم: موضع، [ثم

استشهد بشعر] (ابن منظور ١١: ٤٩)
والرَّمَحُشَرِيُّ: أهداه بخوفه أُنثى، وبدلته مثله. وبدل

الشئ: غيره. وتبدلت الذكر بإنسها وحشاً.
واستبدلته وبداكته بالسلمة، إذا أعطيته غمراً
ما أخذته منه، وتبادلا ثوبتهما.

وهذا بَدَلٌ منه ويبدلُ منه، وهم أبدالٌ منهم ويبدلوا،
وهذا يبدلُ ماله حديق.

ورُبَّ بَدَلٍ شَرٌّ من بَدَلٍ: وهو وَجَعُ العظام. [ثم
استشهد بشعر]

وهو من الأبدال، أي الزَّخَاد، (أساس البلاغة: ١٧)
عليه السلام: «الأبدال بالشام، والنسباء بمصر،
والنصائب بال عراق».

هم غيارٌ بَدَلٌ من غيار، جمع بَدَلٍ وبَدَلٍ.
النصائب: جمع حصابة، يريد طوائف يجتمعون،
فيكون بينهم حرب. (الغاني ١: ٨٧)

وفي السبعة^(١): (عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلِقْتُكَ أَنْ يَبَدِّلَهُ آزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ) التحريم: ٥، من الفعل وقَّلت.

وبدلتُ الشوب بغيره أبدلته، من باب «فعل» واستبدلته بغيره، بمناه، وهي المبادلة أيضاً. (١: ٣٩) الفيروز ابادي: المبادلة: بشيءٍ سريعاً، واللحمة بين الإبط والتدوء، أو لحم الثدي، وقيل: هي ثلاثية. ووهب الجوهري، جمه: بأول. (٣: ٣٤٢)

بذل الشيء، حركة وبالكسر وكأمر: الخلف منه، جمه: أبدال، وتبدلته وبه، واستبدلته وبه، وأبدلته منه، وبذلته منه: اتخذته منه بدلاً. وحروف البذل «أخذته يوم صال رطه»، وحروف البذل الشائع في غير إدغام «عبد» حترف شكري أمين طي ثوب عزته.

وبادله مبادلته وبدلاً: أعطاه مثل ما أخذ منه. والأبدال: قوم بهم يقيم الله عز وجل الأوصياء بهم سبعون، أربعون بالشام، وثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس. وبذله تبدلاً: حرقه، وتبدل: تغير، ورجلٌ بذل بالكسر وبحركة: شريف كريم، جمه: أبدال.

والبذل حركة: وجعُ المفاصل واليدين، بجل كفتح فهو بذل. والمبادلة: لحمة بين الإبط والتدوء، وكفرح شكاه. والبكال: بتياع المأكولات، والعامة تقول: بكال. (٣: ٣٤٣)

الزبيدي: وحروف البذل أربعة عشر حرفاً: حروف الزيادة، ما خلا التين والجسم والذال والطاء.

والضاد والزاي، يجمعها قولك: «أبدلته يوم صال رطه». وحروف البذل الشائع في غير إدغام أحد وعشرون حرفاً، يجمعها قولك: «عبد» حرف شكري أمين طي ثوب عزته.

وأما البذل عند النحويين فهو تابع مقصود بما نسب إلى المتبوع دونه، فخرج بالقصد: التمت والتوكيد وحذف البيان، لأنها غير مقصودة بما نسب إلى المتبوع. قال الفيروز ابادي: «والأبدال: قوم بهم يقيم الله عز وجل الأرض، وهم سبعون، أربعون بالشام، وثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس».

قال شيخنا: «الأولى: إلا قام بدله، لأنهم لذلك سموا الأبدال».

قلت: وصارة «التياب»: إذا مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر، وهي أخضر من عبارة المصنف، واختلف في واحد، فقل: بذل بحركة، صرح به غير واحد، وفي «الجمهرة» واحد: بديل كأمر، وهو أحد ما جاء على غير وأفعال، وهو قليل كما تقدم.

وقيل المثنوي عن أبي البقاء قال: «كانهم أرادوا أبدال الأنبياء وخلفاءهم، وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل بدل إقليم فيه ولايته منهم واحد على قدم الخليل وله الإقليم الأول، والثاني على قدم الكليم، والثالث على قدم هارون، والرابع على قدم إدريس، والخامس على قدم يوسف، والسادس على قدم عيسى، والسابع

على قدم آدم عليه السلام ، على ترتيب الأقاليم ، وهم عارفون بما أودع الله في تلك الكواكب السيارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها ، ولهم من الأسماء أسماء الصفات ، وكل واحد بحسب ما يسطيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي من الشمول والإساطة ، ومنه يكون تلقيده انتهى.

وقال شيخنا: علامتهم أن لا يولد لهم ، قالوا: كان منهم حماد بن سلمة بن دينار، تزوج سبعين امرأة فلم يولد له ، كما في تلك الكواكب الداروي.

قلت: وفي «شرح الدلائل» للفاسي، في ترجمة مؤلفها مائة: وجدت بخط بعضهم أنه لم يترك ولداً ذكراً، انتهى.

وأفاد بعض المفيدين أن هذا إشارة إلى أنه كان من الأبدال.

ثم قال شيخنا: وقد أفردهم بالتصنيف جماعة منهم البخاري والجلال السيوطي وغير واحد.

قلت: وصنف العز بن عبد السلام رسالة في الرد على من يقول بوجودهم ، وأقام التكرير على قولهم: بهم يحفظ الله الأرض ، فليتبه لذلك.

قيل: البأذلة: لجنة بين الشق والقرقوة ، والمجمع: بآدل ، وقد ذكر في أول الفصل على أنه رباحي ، وأعادنا نائياً على أنه ثلاثي.

محمد إسماعيل إبراهيم: بذلك الشيء وأبدله: خيره وأخذ موخاً عنه. وبذلك الله الشيء شيئاً آخر: جعله بذلك ، مثل ذلك الله خوفه أمناً ، والبدل: اليوض.

بذلك الشيء تبديلاً: غيره تغييراً ، واستبدل: طلب أخذ شيء بدل آخر ، والمبدل: المغير.

بذل وتبدل واستبدل بالقديم الجديد ، بإدخال الباء على المتروك.

المعذنان: «البذكة أو الحكة». ويصطنون من يطلق على الحكة التي يلجها الرجل خارج البيت عادة اسم «البذكة».

ولكن جاء في الجلد الثالث عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، التي أقرتها لجنة ألفاظ الحضارة بجميع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر الجمع ، في جلسته الثالثة ، بتاريخ ١٧ شباط ١٩٧١ ، في المادة رقم (١٠): أن المؤتمر وافق على أن يطلق على تلك الحكة اسم: البذكة أو الحكة.

عندما ظهرت الطبعة الثانية من المعجم الوسيط عام (١٩٧٢) ورد فيه ذكر «البذكة» ، وقال: إنها كلمة حكة ، ولم يقل: إنها بمعنى.

الوسيط والمعجمات.

بدلاً منه ، هذا بدله ، هذا بدله ، هذا بدله ، لا بدلاً عنه.

ويخوفون: ضاع قلبي لما شترت بدلاً عنه. والعنواب: بدلاً منه ، كما يقول: معجم ألفاظ القرآن الكريم ، والمحكم ، والأساس ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمذ ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمثنى ، والوسيط.

وجملة: هذا بديل منه ، مثل جملة: هذا بديل منه. ونستطيع أن نحذف حرف الجر ، ونقول: له هذا بديل فاك.

ب - هذا بذكر ذاك.

ج - هذا بتدليل ذاك.

الأبدال: ويجمعون البذل الذي هو الخلف والبوض،

على بدلاتي؛ والصواب: أبدال، كما قال ابن دريد،

والأساس، واللسان، والمصباح، والقاموس، والتاج

والمد، ومحيط المحيط، والمتن، والوسيط.

وكلمة «البديل» تحمل معنى البذل، وجمعها: بدلاء.

وأبدال أيضاً.

أبدال الشيء بآخر: أبدال الشيء شيئاً آخر.

ويحفظون من يقول: أبدال الشيء شيئاً آخر.

ويقولون: إن الصواب هو: أبدال الشيء بآخر، استثناءً

على ثلث، والأساس: أبدله بخوفه أمناً، والتهامة

والختار، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والوسيط.

وبما قاله ثعلب: يقال: أبدلت الخاتم بالحلقة، فجاء

تحت هذا، وجعلت هذا مكانه، وبذلك الحلقة بالخاتم، فجاء

إذا أذنته وسووته حلقة، وبذلك الحلقة بالخاتم، إذا أذنتها

وجعلتها خاتماً.

ولكن:

قال تعالى في الآية الخامسة من سورة التحريم:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾.

وأجاز أيضاً جملة: «أبدال الشيء شيئاً آخر»

المصباح والمد كلاهما. (٤٩)

محمود شيت: ١- أ- بديل بدلاً: وجمته مفاصله أو

عظامه، أو يدها ورجلاه.

ب - أبدله: غيره، والشيء بغيره، ومنه: اتخذته

عوضاً عنه، وخلفاً له.

ج - بادل الشيء بغيره، مُبادلةً وبدلاً: أخذه بذكه.

وفلاناً: أعطاه شيئاً منه بذكه.

د - بذل الشيء: غير صورته، والكلام: حذره.

والشيء شيئاً آخر: بذكه مكان غيره.

هـ - تبادل: بادل كل منهما صاحبه.

و - تبدل: تغير، والشيء وبه: اتخذ منه بدلاً.

والشيء بالشيء: أخذه بذكه.

ز - البذل من الشيء: الخلف والبوض، والشريف

الكرام، وواحد الأبدال عند الصوفية، جمعه: أبدال.

ح - البديل: الخلف والبوض، جمعه: أبدال، وبذلك.

٢- أ- بديل: غير، يقال: عدد واحد بديل: إجاز من

إجازات التدريب، يترك به عدد واحد وراء السراح

بعد آخر يليه.

ب - البذل: البوض، يقال: البذل التقدي: ما يدفع

عن الخلق بدلاً من خدمة الجند في الجيش.

(١: ٧٤)

التخصص التفسيرية

يُبَدِّلُهُ

عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ

مُتَبَدِّلَاتٍ مُّؤَمِّنَاتٍ قَائِمَاتٍ تَتَّبِعْنَ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ

لَّيِّنَاتٍ وَأَبْكَارًا. التحريم: ٥

الطبري: اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿أَن

يُبَدِّلَهُ﴾، فقرأ ذلك بعض قراء مكة والمدينة والبصرة،

بتشديد الدال (يُبَدِّلُهُ أَرْوَاجًا) من التبديل، وقرأ عامة

قراء الكوفة (يُبَدِّلُ) بتخفيف الدال من الإبدال.

والصواب من القول: أنها قراءتان معروفتان
صحيحتا للمعنى، فبايتهما قرأ القارئ فصيح.

(٢٨: ١٦٤)

نحوه: الزُّجَّاج (٥: ١٩٣)، وأهوززعة (٧١٤)،
والنَّشِي (٤: ٢٧٠).

الطُّوسِي: من خَفَّفَ الدَّالَ فَلَا تَهْ يَدُلُّ عَلَى الْقَلِيلِ
وَالكَثِيرِ، وَمِنْ شَدَّدَ أَرَادَ أَنَّ اللَّهَ يُبَدِّلُ أَكْثَرَ
مِنْهُ.

(١٠: ٤٨)

نحوه: الرَّحْمَشَرِي (٤: ١٢٨) وَالْأَكُوسِي (٢٨: ١٥٥)،
الْقُرْطُبِي: وَفَرَى (أَنْ يُبَدِّلَهُ) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ،
وَالْتَبْدِيلِ وَالْإِبْدَالِ بِمَعْنَى: كَالْتَفْزِيلِ وَالْإِزْزَالِ.

(١٨: ١٩٣)

الشَّرْبِينِي: (أَنْ يُبَدِّلَهُ) أَيْ بِجَرْدِ طَلَاكِهِ.

(٤: ٣٢٩)

يُبَدِّلُهَا

وَلَمَّا الْفَلَامُ فَكَانَ أَهْوَاءُ مُؤْمِنِينَ فَغَشِبَنَا لَنْ يُرَاجَعَهَا
طَلُوتًا وَكَفَرًا ۖ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهَا رَبُّهَا خَيْرًا مِنْهُ
رُكُوعًا وَأَقْرَبَ رُحْمًا. الكهف: ٨٠، ٨١

الطُّبَرِّي: اخْطَفَ الْقُرْآنَ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَفَرَّاهُ
جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَّاءِ الْمَكِّيِّينَ وَالْمَدِينِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ (فَأَرَدْنَا أَنْ
يُبَدِّلَهَا رَبُّهَا)، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَحْتَلُّ لَصَحَّةِ ذَلِكَ بِأَنَّهُ
وَجَدَ ذَلِكَ مُشَدَّدًا فِي هَامَةِ الْقُرْآنِ، كَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ:
﴿فَيَذَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ البقرة: ٥٩، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا
بَدَّلْنَا نَبَأًا مَكَانَ آيَةٍ﴾ النحل: ١٠١، فَأُلْحَسِيَ قَوْلُهُ:
﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهَا﴾.

وَقَرَأَ ذَلِكَ هَامَةً قُرَّاءَ الْكُوفَةِ ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهَا﴾
بِتَخْفِيفِ الدَّالِ، وَكَانَ بَعْضُ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ مِنْ أَهْلِ
الرِّيَّةِ، يَقُولُ: أَهَذَا يُبَدِّلُ بِالتَّخْفِيفِ، وَبِهَذَا يُبَدِّلُ
بِالتَّشْدِيدِ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنها قراءتان
متقاربتا للمعنى، قد قرأ بكل واحدٍ منهما جماعة من
القراء، فبايتهما قرأ القارئ فصيح.

وقيل: إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَهْدَى لِيُوسَى الْفَلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ
صَاحِبُ مُوسَى ۖ بِجَارِيَةٍ.

(١٦: ٣)

نحوه: أَبُورُزَّةَ،
الْفَارُوسِي: بِهَذَا وَلِبَدِكِ مُتَقَارِبَانِ، مِثْلُ نَزَلٍ وَأَنْزَلَ

﴿لَا تُبَدِّلُ يَكَلِّمَاتِ اللَّهِ﴾ يونس: ٦٤، وَلَمْ يَحْسَ
الْإِبْدَالُ كَمَا جَاءَ «التَّشْدِيدُ» وَلَمْ يَحْسَ «الْإِبْدَالُ» فِي

﴿وَلَمَّا الْفَلَامُ فَكَانَ أَهْوَاءُ مُؤْمِنِينَ فَغَشِبَنَا لَنْ يُرَاجَعَهَا﴾
فَكَانَ زُوجٌ ۖ النِّسَاءُ: ٢٠، فَهَذَا قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْإِبْدَالِ.

[تَمْ اسْتَشْهَد بِهَذَا]

وَقَالَ قَوْمٌ: أَبَدَلْتُ الشَّيْءَ مِنَ الشَّيْءِ، (إِذَا أُرْزِلَتْ
الْأَوَّلُ، وَجُعِلَتِ الثَّانِي مَكَانَهُ، [تَمْ اسْتَشْهَد بِهَذَا]

وَبَدَلْتُ الشَّيْءَ مِنَ الشَّيْءِ، إِذَا غَيَّرْتَ حَالَهُ وَوَعِيَّتَهُ،
وَالْأَصْلُ بَاتِي، كَقَوْلِهِمْ: بَدَلْتُ قِيَصِي جُبَّةً، وَلِاسْتِدْلَالِ

بِقَوْلِهِ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدُلْفَانُهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾
النساء: ٥٦، فَالْجُلْدُ الثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ،

لَمْ يَجْزِ عَقَابُهُ. (الطُّوسِي ٧: ٧٨)

الطُّوسِي: قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالْبُحَيْرَةِ (أَنْ يُبَدِّلَهَا)
بِفَتْحِ الْهَاءِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِ هُنَا، وَفِي التَّحْرِيمِ (أَنْ يُبَدِّلَهُ).

أحواله، وكان النبي على مكانه. (٣٧٥: ٥)

يَبْدُلُ

١- فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ مَا كَانُوا يَشْعُرُونَ. البقرة: ٥٩

أبو مسلم الأصفهاني: قوله تعالى: (فَبَدَّلَ) بدل على أنهم لم يسلطوا ما أمروا به، لا على أنهم أتوا له بهدٍ. والتكيل عليه: أن تبديل القول قد يستعمل في المخالفة. قال تعالى: «سَيَقُولُ اتَّبَعْتُكُمُ إِذَا أَتَيْتُكُمْ بِذِكْرٍ مِّنَ اللَّهِ فَتَبَدَّلَ الْكَلَامَ» الفصح: ١٥. ولم يكن تبديلهم إلا الخلاف في الفعل لا في القول، فكذا هنا. فيكون المعنى أنهم لما أمروا بدخول الأرض... وما ذكره الله - لم يمتثلوا أمر الله ولم يمتثلوا إليه.

(القاسمي ١٣٥: ٢)

الطوسي: معنى قوله: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا» هَيَّرُوا. وقوله: «الَّذِينَ ظَلَمُوا» معناه الذين فعلوا ما لم يكن لهم ضلعه.

وقوله: «غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ» معنى بذلك: بدّلوا قولاً غير الذي أمروا أن يقولوه، فقالوا بخلافه، فذلك هو التبديل والتغيير.

وكان تبديلهم بالقول، أنهم أمروا أن يقولوا: حطّة. ولأن يدخلوا الباب سجداً، وطوّطى لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه يزحفون على أستانهم، فقالوا: حطّة في شجرة مشهرين. (٢٦٨: ١)

المتنبدي: التبديل والتغيير مستقاران، إلا أن

وفي «نون» (أَنْ يُبَدِّلَنَا) بالتشديد فيجوز، الباقون بالتخفيف.

فأما التي في سورة التور: ٥٥، (وَلْيَبَدِّلْهُمْ ضَعْفًا) ابن كثير وأبو بكر ويعقوب، وشذبه الباقون. (٧٨: ٧) لعمد البهوتي (٤: ١٨٤)، والخازن (٤: ١٨٤).

المتنبدي: قرأ نافع وأبو عمرو (يُبَدِّلُهُمَا) بالتشديد، وكذلك في التور (وَلْيَبَدِّلْهُمْ) وفي التثنية (أَنْ يُبَدِّلَهُ) وفي القلم (أَنْ يُبَدِّلَنَا)، وقرأ الباقون (يُبَدِّلُهُمَا) بالتخفيف، وكذلك في الجمع. إلا ابن عامر وحمة والكسائي وحفص عن عاصم، فإتبعهم فملأوا في «التور» وحده بالتشديد، وفي الباقي بالتخفيف.

والوجه إن يبدل مثل أبدل. وكلاهما قد جاء في القرآن. والتبديل فيه أكثر من الإبدال، والمعنى أن يبدل يبدلها الله. (٢٢٤: ٥)

عمد الطبرسي (٣: ٤٨٥)، والفخر الرازي (٣: ٤٨٥)، وشبر (٤: ٩٥).

يُبَدِّلَنَا

عَنْ رَّبِّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا طَرِيقًا مِنَّا إِلَى رَبِّنَا وَاجْتَنِبُونَ. القلم: ٣٢

أبو الفتوح: قرأ عاصم والمسن والأخفش وابن ميمس (يُبَدِّلَنَا) بالتخفيف من الإبدال، وقرأ الآخرون بالتشديد من التبديل، والمعنى واحد.

وقال بعض أهل اللغة: إن بين الإبدال والتبديل فرقاً، لأن الإبدال هو جعل شيء في مكان شيء أو على سبيل البديلة. وأما التبديل: تغيير شيء أو تغيير بعض

بضاد. (٢١٨:١)

الآلوسي: أي بذلك الذين ظلموا بالقول الذي قيل لهم قولاً غيره، (فبذلك) يتعدى لمفعولين: أحدهما بنفسه، والآخر بالباء، ويدخل على المتروك، فالذم متوجه. ويجوز أبو البقاء أن يكون (هكذا) محمولاً على المعنى، أي لقال: «الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا» إلخ، والقول: بأن (غير) منصوب بترفع المناقض، كأنه قيل: فغيروا قولاً بغيره، غير مرضي من القول.

وصرح سبحانه بالمغايرة مع استحالة تحقق التبديل بدونها، تحقيقاً لمغالفتهم وتنصيحاً على المغايرة من كل وجه.

وظاهر الآية انقسام من هنالك: إلى ظالمين وغير ظالمين. لأن الظالمين هم الذين بدكوا. وإن كان المبذل الكل، كان وضع ذلك من وضع الظاهر موضع الضمير.

(٦٦:١)

واختلف في القول الذي بدكوه، فبي «الصحيحين»: أنهم قالوا: حبة في شعيرة، وروى الحاكم: حنطة بدل حطة. وفي «المعالم» أنهم قالوا بلسانهم: حطاً سمعاً، أي حنطة حمراء، قالوا ذلك استهزاء منهم بما قيل لهم، والروايات في ذلك كثيرة، وإذا صحت يعمل اختلاف اللفظ على اختلاف القائلين.

والقول بأنه لم يكن منهم تبديل، ومعنى فبدكوا: لم يخطوا ما أمروا به، لأنهم أثوا ببطلان له، غير مسلم، وإن قاله أبو مسلم، وظاهر الآية والأحاديث تكذيبه.

(٢٦٦:١)

رشيده رضا: وتبديل القول بغيره عبارة عن

«التغيير» يستعمل غالباً في الأشياء ذات الصفات المتعددة، كالماء يكون بارداً، ويصير حاراً، لذا «التبديل» فإنه يستعمل كثيراً في إحلال شيء محل آخر، ويقال للزخاة: أهدال، لأنهم يرحلون عن الدنيا، ويحل محلهم قوم آخرون، وقيل: لأنهم يبدلون الصفات الالهية بالصفات المملكية. (٢٠٤:١)

الضكري: في الكلام حذف، تقديره: فبذلك الذي ظلموا بالذي قيل لهم قولاً غير الذي قيل لهم، (فبذلك) يتعدى إلى مفعول واحد بنفسه، وإلى آخر بالباء، والذي مع الباء يكون هو المتروك، والذي بغيره هو الموجود، [ثم استشهد بشر]

ويجوز أن يكون (هكذا) محمولاً على المعنى، تقديره: فقال الذين ظلموا غير الذي لأن تبديل القول كان بغير.

مثله النسخة.

أبو حيان: التبديل: تغيير الشيء بأخر، تقول: هذا بدل هذا، أي عوضه، ويتعدى لاتين، الثاني أصله حرف جر: بدلت ديناراً بدرهم، أي جعلت ديناراً عوض الدرهم، وقد يتعدى لثلاثة فتقول: بدلت زيدا ديناراً بدرهم، أي جعلت له ديناراً عوضاً من درهم، وقد يجوز حذف حرف الجر لثمة المعنى، قال تعالى: «فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ مِثْلَهُمْ» الفرقان: ٧٠، أي يجعل لهم حسنات عوض السيئات.

وقد وهم كثير من الناس فجعلوا ما دخلت عليه الباء هو الماحصل، والمنصوب هو المذهب حتى قالوا: ونو أهدل ضادا بظاه لم تصح صلاته، وصوابه لو أهدل ظاه

الخالفة، كأن الذي يؤمر بالشيء فيخالف قد أنكر أنه أمر به، وأدعى أنه أمر بخلافه. يقال: بدلت قولاً غير الذي قيل، أي جئت بذلك القول مكان القول الأول.

(١: ٣٢٤)

٢- فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ. الأعراف: ١٦٢

الطوسي: التبديل: تغيير الشيء برضه إلى بدل.

(٥: ١٢)

ابن عطية: بذلك: معناه غير اللفظ، دون أن يذهب بصيغه، وأبدل، إذا ذهب به، وجاء بلفظ آخر.

(٨: ١٦٢)

أبو حيان: [نقل كلام ابن عطية ثم قال:] وحده الفرقة ليست بشيء، وقد جاء في الترامات بدلت وأبدلت بمعنى واحد، فري «فَأَرْسَلْنَا أَنْ يُبَدِّلَهَا رَبُّنَا حَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً» الكهف: ٨١، و«عَسَىٰ رِئْءُ أَنْ تَطْلُقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا» التمريم: ٥، و«عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا» العلم: ٣٢، بالتخفيف والتشديد والمعنى واحد، وهو إذهاب الشيء، والإتيان بغيره بدلاً منه.

ثم التشديد قد جاء حيث يذهب الشيء كله، قال تعالى: «فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» الفرقان: ٧٠، «وَيَبْدُلُنَا هُمْ جِسْمَيْنِ» سبأ: ١٦، «لَمْ يَبْدُلْنَا مَكَانَ الشَّيْءِ الْحَسَنَةِ» الأعراف: ٩٥، وعلى هذا كلام العرب نثرها ونظمتها.

(٤: ٩-٤)

٣- إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَدَلًا سُوءٍ فَأَتَىٰ غَفُورًا رَجِيمًا. النمل: ١١

التسفي: أي اتبع توبة.

(٣: ٢٠٢)

الآلوسي: التبديل: قد يمتد إلى مفعولين بنفسه، نحو «يُبَدِّلُنَا هُمْ جِسْمَيْنِ» النساء: ٥٦، وقد يمتد إلى أحدهما بنفسه وإلى الآخر بالباء، أو بـ«ين» وهو المذهب به والمبدل منه، نحو بدله يخوفه أو من خوفه أعتا، وقد يمتد إلى واحد نحو بدلت الشيء، أي غيرته، ومنه «لَنْ يَبْدُلَهُ بَدَلًا مَا سَوَّاهُ» البقرة: ١٨١، والمعنى هنا على المتعدي إلى مفعولين.

وقد تعدى إلى أحدهما وهو المبدل منه بـ«الباء» أو بـ«من»، فكأنه قيل: ثم بدلت بطلعه أو من ظلمه حسناً، يشير إليه قوله تعالى: «يُبَدِّلُ سُوءٍ» وحاصله ثم ترك الظلم وأتى بحسن، والمراد به القوة، فيكون المعنى في الأخيرة: إلا من ظلم ثم تاب وعدل عنه إلى ما في النظم الجليل، لأنه أوفق بمقام الإيناس - كذا قيل - والظاهر عليه أن إسناد التبديل إلى (من ظلم) حقيقي.

وقيل: إن المعنى ثم رفع الظلم والسوء، وجاء من صحيفة أعماله، ووضع مكانه الحسن بسبب توبته، فغير ما في قوله تعالى: «يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» الفرقان: ٧٠، وإسناد التبديل إلى (من ظلم) على هذا مجازي، لأنه سبب لتبديل الله تعالى له بتوبته، وكأني بك تختار الأول.

(١٩: ١٦٦)

يَبْدُلُهُ

لَنْ يَبْدُلَهُ بَدَلًا مَا سَوَّاهُ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ عَلَىٰ الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ

بِالْمَقْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُسْتَجِيبِ ﴿البقرة: ١٨٠﴾، فأوصوا
لهم، فمن بدل ما أوصيتم به لهم بعدما سمعكم توصون لهم،
فإنما إثم ما قبل من ذلك عليه دونكم.

وإنما قلنا: إن إثمًا في قوله: ﴿لَنْ يَدْخُلَ﴾ عائدة على
محذوف من الكلام يدل عليه الظاهر، لأن قوله: ﴿وَكُتِبَ
عَلَيْكُمْ إِذَا خَشِيتُمُ الْقَوْتَ أَنْ تُرَكِّبُوا خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾
من قول الله، وإن تبدل المبدل بما يكون لوصية الموصي،
فإنما أمر الله بالوصية فلا يقدر هو ولا غيره أن يُبدله،
فيجوز أن تكون إثمًا في قوله: ﴿لَنْ يَدْخُلَ﴾ عائدة على
الوصية.

وإنما إثمًا في قوله: ﴿يَدْخُلُ عَا مِيعَةً﴾ فمائدة على
إثم الأول في قوله: ﴿لَنْ يَدْخُلَ﴾، وإنما إثمًا التي في قوله:
﴿فَإِنَّمَا إِلَهُ الْفَالِطِينَ﴾، فإثمًا مكتنق للتبديل، فكأنه قال: فبأنما إثم
يُبدل من ذلك على الذين يُبدلونه. (١٢٢: ٢)

والوصية: ﴿الطَّيْرِيَّ﴾ إثمًا في قوله: ﴿لَنْ يَدْخُلَ﴾ عائدة على
الوصية، وإنما ذكر حملًا على المعنى، لأن الإيصاء
والوصية واحد. وإثمًا في قوله: ﴿فَإِنَّمَا إِلَهُ الْفَالِطِينَ﴾ عائدة على
التبديل الذي دل عليه قوله: ﴿لَنْ يَدْخُلَ﴾. [ثم نقل كلام
الطَّيْرِيَّ وأضاف:]

قال الثَّانِي: وهذا باطل، لأن ذكر الله الوصية إنما
هو لوصية الموصي، فكأنه قيل: كُتِبَ عَلَيْكُمْ وصية
مفروضة عليكم، فالإثم تعود إلى الوصية المفروضة التي
يفعلها الموصي.

وقوله تعالى: ﴿لَنْ يَدْخُلَ﴾ فالتبديل: هو تغيير الشيء
من الحق فيه، فأنما التبديل هو وضع شيء مكان آخر.

إِنَّ اللَّهَ تَجَبُّ عَلَيْهِ. البقرة: ١٨١

تجابهذه: الوصية. (الطَّيْرِيَّ ٢: ١٢٢)

الحسن: من بدل وصية بعدما سمعها.

هذا في الوصية من بدلها من بعد ما سمعها، فأنما إثم
على من بدله. (الطَّيْرِيَّ ٢: ١٢٣)

منه فتادة. (الطَّيْرِيَّ ٢: ١٢٢)

الشَّيْءُ: فمن بدل الوصية التي أوصى بها وكانت
بمروفي، فأنما إثمها على من بدلها، أنه قد ظلم.

(الطَّيْرِيَّ ٢: ١٢٢)

الإمام الصادق عليه السلام: (محمد بن مسلم قال: سألت
أبا عبد الله ع من رجل أوصى بآله في سبيل الله، فقال:)

أصطه لمن أوصى به له، وإن كان يهوديًا أو
نصرانيًا. (الترمذي ١٠١: ١٠١٠)

وهذا المعنى روايات أخرى جاء بها الترمذي

فراجع

الطَّيْرِيَّ: يعني تعالى ذكره بذلك لمن خير ما أوصى
به الموصي من وصية بالمعروف، لوالديه أو أقربيه الذين
لا يرثونه بعد ما سمع الوصية، فأنما إثم التبديل على من
بدل وصيته.

فإن قال لنا قائل: وعلام حدث إثمًا التي في قوله:
﴿لَنْ يَدْخُلَ﴾؟

قيل: على محذوف من الكلام يدل عليه الظاهر،
وذلك هو أمر الميت ولصاؤه إلى من أوصى إليه، بما
أوصى به، لمن أوصى له.

ومعنى الكلام: ﴿وَكُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا خَشِيتُمُ الْقَوْتَ أَنْ تُرَكِّبُوا خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾

ومن أوصى بومئة في ضراب قبيلها للوصى، لا يأنم.

(34, 54)

الزَّمْعَشْرِي: فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقا للشرع من الأوصياء والشهود، بعد مامومه وتحققه، فإنما إيمه على الذين يُذَكِّرونه. (٦: ٣٣٤)

منه التَّسْنِي (١: ٩٢)، والتَّسْنِي (١: ١١٢)،
وأبو السُّمُود (١: ١٥٢)، وعبد الخنم الجمال (١: ١٦٦)،
وشُبَيْر (١: ١٨٣)، والقاسمي (٣: ٤١٠).

أَبْنُ عَطِيَّةٍ: الضَّمِيرُ فِي (يَذْكُرُهُ) عَائِدٌ عَلَى الْإِبْرَاءِ.
وَأَمْرُ الْمُتَى.

الخازن: أي غير الوحية من الأولياء والأوصياء.

الشهود، بأن يكتبوا الشهادة أو ينفروها. وإنما كسر
الكناية في (بذلك) مع أن الوصية مؤتمنة، لأن الوصية بمن
الإيصاء كقوله: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ رَبِّهِ فَمَنْ يَتْلُهَا﴾
وعظ، والتقدير: فمن بذلك قول الميت، أو ما أوصى به.

(327:1)

أَبُو حَيَّانَ : الظَّاهِرُ أَنَّ الضَّعِيفَ يَمُودُ عَلَى الرُّسِيَّةِ
بِمَعْنَى الْإِيصَاءِ ، أَيِ لَمَّا بَدَأَ الْإِيصَاءَ عَنْ وَجْهِهِ إِنْ كَانَ
مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ ، مِنْ الْأَوْصِيَاءِ وَالشُّهُودِ ، بِحَسَبِ مَا سَمِعَهُ
سَمَاعٌ تَحْقِيقٌ وَتَنْبِيْهُ .

وعوده على الإيحاء أولى من عوده على الوصية، لأن تأنيث الوصية غير حقيقي، لأن ذلك لا يراعى في الظاهر المتأخرة عن المؤنث الجازي، بل يستوي المؤنث الحقيقي والجازي في ذلك. تقول: هتدُ خرجت والشمس طلعت، ولا يجوز «طلع» إلا في الشعر، والتذكير على

مراجعة الختمى وارد فى لسانهم ، ومنه :

■ كبر عوية اليانة المنظر ■

ذهب إلى معنى القضييب، كأنه قال: كقضييب البانة،
ومنه في العكس؛ جاءته كتابي فاحترقها، على معنى
الصغيرة.

والضمير في (مِنَعَهُ) عائد على الإيصاء كما
 شرحناه، وقيل: يعود على أمر الله تعالى في هذه الآية.

وقيل: الماء في (كُنْ بِحَدِّكَ) عائدة إلى الفرض

والحكم، والتقدير: فمن بدل الأمر المقدم ذكره، (ومن) الظاهر أنها شرطية، والجواب (فإنما أقمه) وتكون

(من) عاتق في كل شئ من رضي بغير الوصية في كتابه ،
 قسمة حقوق ، أو شاهد بغير شهادة ، أو يكتبها ، أو

غير حكومتی بین حصول المال و وصوله إلى متعلقه.

وقيل: المراد به (من): متولي الإيصاء دون الموحي
والمراد من كفايته هو الذي يهتد للعدل والجنف والتدويل
والإمضاء.

وقيل: المراد به (مَنْ) هو الموصي، نهي عن تغيير

ووصيه من المواضع التي نهى الله عن الوصية إليها .
لأنهم كانوا يصرفونها إلى الأجنبي ، فأمرُوا بصرفها إلى
الأقربين .

ويشتمل على هذا القول أن يكون الضمير في قوله :

﴿لَنْ يَدْعَوْهُ﴾ وفي قوله: ﴿يَدْعُوهُ فَاسْتَبِطْ﴾ عائداً على أمر الله تعالى في الآية. وفي قوله: ﴿يَدْعُوهُ فَاسْتَبِطْ﴾ دليل على أن الإسم لا يترتب إلا بشرط أن يكون المبدل قد علم بذلك.

(११ : १)

الْبَرُّ وَسَوَّى : الضَّمِير رَاجِعٌ إِلَى الْوَصِيَّةِ ، تَكُونُ فِي

بَدَّلُوا

١- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نَفَسَهُمْ كُفْرًا وَآخَلُوا قَوْمَهُمْ ذَكَرَ الْتَوَارِ.

إبراهيم: ٢٨

علي بن أبي طالب: إنهم كفار قريش، أما بنو النضير فأبأهم الله يوم بدر، وأما بنو أمية فقد أهلوا إلى يوم ما. مثله ابن عباس، وسعيد بن جبلة، ومجاهد، والضحك.

(الطوسي: ٦: ٢٩٤)

قتادة: هم القادة من كفار قريش.

(الطوسي: ٦: ٢٩٤)

الطبري: يقول: غيروا ما أنتم الله به عليهم من نعمة، فجعلوها كفرًا به. وكان تبدلهم نعمة الله كفرًا في دينهم. أمم الله به على قريش فأخرجهم منهم. وأبأهم الله يوم بدر. ورحمة لهم ونعمة منه عليهم.

(٢١٩: ١٣)

الطوسي: والتبديل: جعل الشيء مكان غيره. هؤلاء القوم لما جعلوا الكفر بالنعمة مكان شكرها، كانوا قد بدّلوا أفصح تبديل.

(٢٩٤: ٦)

٢- مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا كَيْدًا.

الأحزاب: ٣

ابن عباس: (وما بدّلوا) غيروا العهد (التبديل) تنوير المقباس.

(تنوير المقباس: ٣٥٢)

مثله الطبري.

(٣٥٠: ٤)

الطوسي: أي لم يبدّلوا الإيمان بالتفاخي ولا العهد

تأويل الإيحاء، أي غير الإيحاء عن وجهه الشرعي. والمشهور أن من غير إيحاء المستنصر هو الموصي أو الشاهد، فالوصي يتغير الوصية إما في الكتابة أو في قسمة الحقوق، والشاهد يبدّلها إما بتغيير وجه الشهادة أو بكتمتها.

ويمكن أن يكون التبديل من سائر الناس، بأن منحوا من وصول المال الموصى به إلى مستحقه. هؤلاء كلهم داخلون تحت قوله: (لَمَنْ بَدَّلَهُ). (٢٨٧: ١)

الطوسي: أي غير الإيحاء من شاهد ووصي. وتغيير كل منها إما بإنكار الوصية من أصلها، أو بالنقص فيها، أو بتبديل صفاتها، أو غير ذلك، وجعل الشافعية من التبديل عموم وصيته من أوصى إليه شيء خاص، فالوصي شيء خاص لا يكون وصيًا في غيره عندهم. ويكون عندنا. وليس ذلك من التبديل في شيء.

(٥٥: ٢)

القراخي: أي من غير الإيحاء من شاهد ووصي، فإنما إثم التبديل على من بذلك. وقد برئت منه ذمة الموصي. وثبت له الأجر عند ربه.

والتغيير إما بإنكار الوصية، أو بالنقص فيها، بعد أن علمها حق العلم.

(٦٦: ٢)

عبد الكريم الخطيب: الضمير في (بَدَّلَهُ) يعود إلى قوله تعالى: (خيرًا)، أي فمن بذلك في هذا الخبر الموق إلى الموصي إليهم من الموصي، بأن زاد أو نقص فيها سمع من الموصي، فإن إثم ذلك التعريف والتبديل واقع عليه.

(١٩٧: ١)

بالحسن.

(٣٢٩: ٨)

الزَّمْعُ شَرِيٌّ: ولاغيره، لاالمشهد ولامن

(٢٥٧: ٣)

ينتظر للشهادة.

الْبَيْضَاوِيُّ: (مابذّلوا) العهد وماغيره، (تبدلاً)

(٢٤٣: ٢)

شيئاً من التبديل.

(٢٣٤: ٣)

نحوه الشريبي.

أبوالشعور: أي تبدلاً ما، لأصلاً ولاوصفاً بل

تبتوا عليه راضين فيه، مراعين لحقوقه على أحسن

مايكون.

أما الذين قضا ظاهراً، وأما الباقون فيشهد به

انتظارهم أصدق شهادة.

وتعميم عدم التبديل للفريق الأول مع ظهور

حالهم للإيدان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم.

ويجوز أن يكون ضمير (بذّلوا) للمتطرفين خاصة.

(٣٠٨: ٤)

بناءً على أن المحتاج إلى البيان حالهم.

الكاشاني: شيئاً من التبديل، فيه تعرض لأهل

(١٨٠: ٤)

التفاق، ومرض القلب بالتبديل.

الألوسي: عطف على أحدقوا) وفاعله فاعله، أي

ومابذّلوا عهدهم وماغيره، (ثم ذكر قول أبي الشعور

وأضاف:}

وفي الكلام تعرض عن بذل من المتأقين، حيث

وتوا الأدهار وكانوا صاهدوا لايتولون الأدهار، فكأنه

قيل: ومابذّلوا تبدلاً كما بذل المتأقنون، فتأمل جميع

(١٧٢: ٢١)

ذاك، والله تعالى يتولى هداك.

بذّلنا

١- ثُمَّ بَذَلْنَا مَكَانَ الشَّيْءِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا

قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالْأَسْرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ

لَا يَشْعُرُونَ.

الطوسي: التبديل: وضع أحد الشيئين مكان

الآخر، فلما رُفِعت السيئة عنهم ووضعت الحسنة كانت

(٥٠٧: ٤)

تبدلها بها.

التصفي: أي أعطيتهم بدل ماكانوا فيه من البلاء

(١٦: ٢)

والحسنة: الرخاء والسعة والصحة.

منه الثياوري (١٤: ٩)، والشريبي (٤٩٦: ١).

وأبوالشعور (٢: ١٨٤)، والبروسوي (٣: ٢٠٥)،

والكاشاني (٧: ٢٨٢٣)، والمرآغي (٩: ١٢)، والمجازي

(٣٥: ٩)

لبن كوكبي: أي حولنا الحال من شدة إلى رخاء.

ومن مرض وسقم إلى صحة وعافية، ومن فقر إلى غنى.

(١٩٩: ٣)

ليشكروا على ذلك، فافعلوا.

الكاشاني: أي رخصنا ماكانوا فيه من البلاء والحسنة.

(٢٢١: ٢)

ووضعنا مكانه الرخاء والعافية.

رشيد رضا: أي ثم ملوناهم بضد ذلك، فجعلنا

الحالة الحسنة في مكان الحالة السيئة، كالبسر بعد

(١٦: ٩)

الأسر، والنسي في مكان عن الفقر.

٢- وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ

قَالُوا إِنَّمَا آتَتْ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

التعل: ١٠١

ابن عباس: نزلنا جبريل بآية ناسخة.

(تنوير المقياس: ٢٢٠)

مجاهد: رخصناها، فأنزلنا غيرها.

نسخناها، بدلناها، رخصناها، وأثبتنا غيرها.

(الطبري ١٤: ١٧٦)

قتادة: هو كقوله: «ما نُسخت من آية أو نُسيت»

البقرة: ١٠٦. (الطبري ١٤: ١٧٦)

ابن زيد: وهذا التبديل ناسخ، ولأنه آية مكان

آية إلا بنسخ. (الطبري ١٤: ١٧٦)

الشافعي: إن القرآن لا يمتنع بالسنة، لأنه تعالى

أخبر بتبديل الآية مكان الآية.

(القصر الرازي ٢٠: ١١٦)

القرآن: إذا نسخنا آية فيها تشديد، مكان آية فيها

تخفيف. (١١٣: ١١٦)

الطبري: يقول تعالى ذكره: وإذا نسخنا حكم آية،

لما بدلنا مكانه حكم أخرى، والله أعلم بما ينزل.

(١٤: ١٧٦)

الزجاج: أي إذا نسخت آية بآية أخرى صليها،

فيها مشقة. (٢: ٢١٨)

أبو مسلم الأصفهاني: لو اد تبدل آية مكان آية

في الكتب المتقدمة، مثل آية تحويل القبلة من بيت

المقدس إلى الكعبة. (القصر الرازي ٢٠: ١١٦)

القاسمي: كادت إذا نسخت آية قالوا رسول

الله ﷺ: أنت مفتر، فرد الله عليهم. (١١: ٣٩٠)

الطوسي: يقول الله تعالى مخبراً عن أحوال الكفار:

بأننا متى بدلنا آية مكان آية بأن رخصنا آية ونسخناها،

وأثبتنا بأخرى بدلها علم في ذلك من مصلحة الخلق، وقد

يكون تبدلها برفع حكمها مع ثبوت تلاوتها، وقد يكون

برفع تلاوتها دون حكمها، وقد يكون برخصها.

(٦: ٤٢٦)

الزمخشري: تبدل الآية مكان الآية هو النسخ،

والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح،

وما كان مصلحة أسى يجوز أن يكون مفسدة اليوم

وغلافة مصلحة، والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد

فثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بمحكمته. [إلى أن قال:]

فإن قلت: هل في ذكر تبدل الآية بالآية دليل على

أن القرآن إنما ينسخ بمثله، ولا يصح بغيره من السنة

(الإجماع والمقياس؟)

قلت فيه: إن قرأنا نسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه

بغيره، هل لأن السنة المكتوبة المتواترة مثل القرآن في

بإجماع العلم، فنسخه بها كنسخه بمثله. وأما الإجماع

والقياس والسنة غير المنطوق بها، فلا يصح نسخ القرآن

بها، في ينزل ونزله وما فيها من التنزيل شيئاً فثبتاً على

حسب الحوادث والمصالح إشارة إلى أن «التبدل» من

باب المصالح كالتنزيل، وأن ترك النسخ بمنزلة إنزاله

دفعاً واحدة في خروجه عن الحكمة. (٢: ٤٢٨)

ابن عطية: كان كفار مكة إذا نسخ الله لفظ آية

بلفظ أخرى وممتاها وإن بقي لفظها - لأن هذا كله يقع

عليه التبدل - يقولون: لو كان هذا من عند الله لم يتبدل،

وربما هو من الخلق محض، فهو يرجع من خطأ يُدكونه إلى

صواب يراه بعد، فأخبر الله عز وجل أنه أعلم بما يصلح

للعباد برهة من الدهر، ثم ما يصلح لهم بعد ذلك، وأنهم

لا يعلمون هذا. (٤٢٠: ٣)

الطَّبْرَسِيّ: معناه: وإذا نسخنا آية وآتيناه مكانها آية أخرى، إما نسخ الحكم والتلاوة، وإما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة. (٣٨٥: ٣)

الفَخْر الرَازِيّ: ومعنى التبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه، وتبديل الآية رخصها بآية أخرى غيرها، وهو نسخها بآية سولها. (١١٦: ٢٠)

نحوه: التَّابُورِيّ. (١٢١: ٤)

التَّنْطَبِيّ: تبديل الآية مكان الآية هو النسخ، والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع، لمكة وآها. (٢٩٩: ٢)

الخَازِن: وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكمًا آخر «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ» اعتراض دخل في الكلام والمعنى: والله أعلم - بما ينزل من النسخ، وبما هو أصله لحلقه، وبما يغير ويبدل من أحكامه، أي هو الحكم الصحيح ذلك مما هو من مصالح عباده، وهذا نوع توبيخ وترجيح للكتاب. (٩٤: ٤)

ابن كثير: أي ورخصناها وأثبتنا غيرها.

(٢٢٥: ٤)

الشَّرْبِينِيّ: أي بقدرتنا بالنسخ. (٢٦٢: ٢)

أَبُو الشَّعْوَد: أي إذا أنزلنا آية من القرآن مكان آية منه، وجعلناها بدلًا منها بأن نسخناها بها. (١٩٣: ٣)

الْبُزْوَينِيّ: قال سلطان المفسرين ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية فيها شدة، أخذ الناس بها، وعملوا بما شاء الله أن يعملوا، فيشق ذلك عليهم، فليسخ الله

هذه الشدة، ويأتيهم بما هو ألين وأهون عليهم، رحمة من الله تعالى. فيقول لهم كفار قريش: إن محمّدًا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدًا، ويأتيهم بما هو أهون عليهم، وما هو إلا مفتر يقول من تلقاء نفسه.

والمعنى إذا أنزلنا آية من القرآن مكان آية منه، وجعلناها بدلًا منها بأن نسخناها. (٨١: ٥)

التَّارُخِيّ: التبديل: رفع شيء ووضع غيره مكانه، وتبديل الآية: نسخها بآية أخرى، أي وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكم آية أخرى - والله أعلم بالذي هو أصله لحلقه فما يبدل من أحكامه - قال

المشركون المكثرون لرسوله: إنا أنت مقتول على أمر بني. ثم تنهى عنه. وأكثرهم لا يعلمون صافي التبديل من حكم بالغة، وقليل منهم يعلمون ذلك، أكثرهم لا يتفهمون هذا واستكبارًا. (١٤١: ١٤)

عبد الكريم الخطيب: أكثر المفسرين على أن الآية الكريمة نصّ في تقرير النسخ في القرآن، وتبديل آية بآية. ولهم على ذلك كلمة (بَدَلْنَا) التي تدلّ على التبديل، وإحلال آية مكان آية، ثم قوله: «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ» فيه قرينة دالة على أن «التبديل» واقع في المنزل من عند الله، وهو القرآن، ثم ما يظاهر هذا من قوله تعالى: «وَعَاثَنَّا مِنْ آيَةٍ أَوْ نُسُيْتَا ثَانٍ بَعْدَ بَيْنَا أَوْ يُقِيلَا» البقرة: ١٠٦، فهذه الآية جاءت صريحة بلفظ النسخ، على حين جاءت الآية السابقة بلازم النسخ، وهو تبدل آية بآية.

ثم إنهم - جند هذا، أو قبل هذا - يأتون شاهدًا على

ذلك بأكثر من رواية مُحدثت عن سبب نزول هذه الآية، وأنها كانت ردًا على المشركين، الذين كانوا كَلَمًا ورد نسخُ لحكم من الأحكام التي كانت شرعةً للمسلمين زمانًا، قالوا: **إِنْ جِئْنَا بِقَوْلٍ مَا يَشَاءُ، حَسْبَا يَرَى، وَلَوْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَمَا وَقَعَ فِيهِ هَذَا التَّنَاقُضُ فِي الْأَحْكَامِ، وَلِجَاءِ الْحُكْمِ قَوْلًا وَاحِدًا، لَا تَنَاقُضَ لَهُ، وَلَا تَبْدِيلَ فِيهِ.**

هذه بعض مقولات القائلين بالنسخ، وتلك بعض حججهم عليه.

ومن على رأينا الذي اطمأنَّ إليه قلبنا، من أنه لا نسخ في القرآن، وأن هذه الآية الكريمة مع شيء من النظر والتأمل، ومع إخلاء النفس من ذلك الشحور المنسبط على جمهور المسلمين، من أن النسخ في القرآن حقيقة مقررة، تكاد تكون شرعةً يدين بها المسلم، ومُعتقدًا معتقد، فنقول: **إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ لَا تُكْمَدُ بِمَعْلُومِهَا أَوْ مَلْهُومِهَا دَلَالَةً عَلَى النَّسخ، وَذَلِكَ:**

أولًا: **مَعْلُوقُ الْآيَةِ هُوَ «وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ»،** فلو كان معنى التبديل المحو والإزالة، لما جاء النظم القرآني على تلك الصورة، ولكان منطوق بلاغته أن يبيء النظم هكذا **(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً بِآيَةٍ)**، ولما كان لكلمة (مَكَانَ) موضع هنا.

لما هو السرُّ في اختيار القرآن الكريم لكلمة (مَكَانًا) بدلًا من حرف الجرِّ وهو الباء؟ نرجئ الجواب على هذا الآن، إلى أن نخرج من عرض القضية.

وثانيًا: مفهوم كلمة «التبديل» بآته محو وإزالة، أو تحطيل وتفنُّص يتعارض مع ما تنزهت عنه كلمات الله.

من أيِّ عارضٍ يعرض لها، فيُغير وجهها، أو يستغنى حكمها، والله سبحانه وتعالى يقول مخاطبًا نبيه الكريم: **«وَقَدْ كَلَّمْتُ رَبِّيكَ صِدْقًا وَغَدًّا لَا أَقْبِلُ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»** الأنعام: ١١٥.

فكيف تُبدل كلمات الله، وتُسخ بعضها بعضًا، وينقض بعضها ما قضى به بعضها، والله سبحانه وتعالى يقول في وصف كتابه: **«الْحَقْدُرُ الْبَدِي أَنْزَلَ عَلَيْنَا قُرْآنًا مَكْتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا»** الكهف: ٢٨، ويقول فيه سبحانه: **«قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ»** الزمر: ٢٨، ويقول فيه سبحانه وتعالى: **«أَنزَلْنَا الْقُرْآنَ وَالْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَفُتْرًا وَتَنَاقُضًا وَمَا يَذَّكَّرُونَ»** النساء: ٨٢.

وإن لنا تأويل هذه الآية؟ وما المراد بالتبديل لا آية مكان آية؟
الجواب - والله أعلم -: أن المراد بتبديل آية مكان آية هنا، هو ما كان يحدث في ترتيب الآيات في السور، ووضع الآية بمكانها من السورة، كما أمر الله سبحانه وتعالى، وذلك أن آيات كثيرة كانت مما نزل بالمدنية، قد وضعت في سور مكية، كما أن آيات مما كان قد نزل بمكة، ألحقها بالقرآن المدني.

وهذا الذي حدث بين القرآن المكِّي والمدني من تبادل الأمكنة للآيات بينهما، قد حدث في القرآن المكِّي، والمدني - كلٌّ على حدة - فكانت السورة المكِّيَّة مثلًا تنزل على فترات متباعدة، فتتوزع فائحتها، ثم تنزل بعد ذلك آيات آيات، حتى يتم بناؤها.

وعلى هذا، فإن تبديل آية مكان آية، هو وضع آية

نزلت حديثاً بمكانها الذي يأمر الله سبحانه وتعالى أن توضع فيه، بين آيات سبقتها بزمن، قد يكون صعدة سنين.

فقد اتفق علماء القرآن على أن آيات نزلت بمكة، ثم حين نزل من القرآن في المدينة ما يناسبها، أخذت مكانها فيه، وهذا يعني أنها نقلت من مكانها في السورة المكية، إلى مكانها الذي كانت تنظره، أو كان يسترها في السورة المدنية.

ومن أمثلة هذا قوله تعالى: ﴿عَاثَانَ اللَّهُ بِمَعْذِرَتِهِمَا وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ الأفعال: ٢٣، فهذه الآية مكية باتفاق، وقد وضعت في سورة الأفعال، وهي مدنية باتفاق أيضاً.

وهذا يعني أن الآية من هذه الآيات كانت تأخذ مكانها مؤقتاً في السورة المكية، حتى إذا نزلت سورتها المدنية أخذت مكانها الذي لها في تلك السورة.

ومن هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ قَزِيزٌ حَقِيْقٌ...﴾ التوبة: ١٢٨، إلى آخر سورة التوبة، وهاتان الآيتان مكيّتان، وقد وضعتا بمكانها من آخر التوبة، وهي مدنية.

وهكذا كان الشأن في السور المكية، فبإثباتها كانت تستقبل جديداً من الآيات المدنية، تأخذ مكانها المناسب لها بين آيات السورة، حيث يأمر الله، وذلك كثير في القرآن الكريم، وقل أن تخلو سورة مكية من دخول آية أو آيات مدنية على بنائها.

فهذا التفسير السهاوي لبناء القرآن الكريم، وترتيب الآيات في السور، يقتضي أن تأخذ بعض الآيات لمكانة ثابتة دائمة، بدلاً من أمكنتها الموقوتة التي كانت تأخذها

بين آيات أخرى، غير تلك الآيات التي استقرت آخر الأمر معها.

ولاشك أن كثيراً من المشركين والمنافقين ومرضئ القلوب، كانوا ينظرون إلى هذا التبديل والتغيير، الذي كان يؤذن النبي أصحابه وكتاب الوحي به، كانوا ينظرون إليه بظن اتهام للنبي بأنه إنما يعيد بناء قرآنه، ويغير ويدك فيه، ويصلح من أمره ما يراه غير مستقيم عنده، شأنه في هذا شأن الشاعر، يمشق القصيدة ثم يجري عليها من التمديل والتبديل ما يبدو له، حتى تستقيم نظره، وتقع موقع الرضا من نفسه، هكذا ففكروا وقدروا.

والإن، لما محمد والقرآن الذي معه، والذي يجري عليه هذه التسوية بالتبديل والتغيير في بنائه، إلا واحداً من هؤلاء الثغراء الذين يهودون يسرهم ومسؤولون وجوهه، فيكون لهم من ذلك تلك القصائد المعروفة بالحواليات التي يعيش الشاعر معها حولاً كاملاً، يعالج ما فيها من عوج حتى تستقيم له.

وإن، لما دعوى محمد بأن هذا القرآن من عند الله، إلا بعض كذب واغترام.

هكذا كان يقول المنافقون والأذن في قلوبهم مرض، في النبي الكريم، حين كانوا يرونه يصنع هذا الصنيع، في ترتب الآيات القرآنية في سورها، حسب الوحي السهاوي الذي يتلقاه من ربه.

وقد رد الله سبحانه وتعالى على هؤلاء السفهاء بقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل: ١٠٢.

يحمل في كيانه من قوى الحق والإيمان ما لا تتأثر منه الدنيا كلها لو اجتمع أهلها على حربه والكيد له. وفي هذا يقول صلوات الله وسلامه عليه لعنه أبي طالب: «والله يا هم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهليك دونه، ما تركته».

وهذه الظاهرة في القرآن الكريم، من تبادل الآيات أماكنها خلال الفترة التي نزل فيها، تقابلها ظاهرة أخرى وهي نزول القرآن منجماً، خلال ثلاث وعشرين سنة، حيث لم ينزل جملة واحدة، وإنما نزل آية آية، وآيات آيات، حتى كمل وتم بناؤه على الصورة التي أراد عليها سبحانه وتعالى. كما تلقاه النبي الكريم من جبريل، في المُرْصَعة الأخيرة التي كانت بينهما، بعد أن تم غزول القرآن. قيل وفاة النبي بزمان قليل.

فهناك إذن حملتان قام عليهما بناء القرآن الكريم، وهما:

أولاً: نزوله منجماً، أي مفرقاً.

وثانياً: نزوله غير مرتب الآيات في السور.

وقد كشف الله سبحانه وتعالى عن السبب الذي من أجله كان بناء القرآن على هذا الأسلوب.

أما عن نزول القرآن مفرقاً، فالله سبحانه وتعالى يقول رداً على المشركين الذين أنكروا أن ينزل القرآن على هذا الأسلوب: «وَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً» ولا يأتونك بمثل إلا جنتاك بالحق وأحسن تقييماً» الفرقان: ٣٢، ٣٣، تثبيت فؤاد النبي، هو من بعض ما في نزول القرآن على تلك الصورة، من حكمة

ولما عن نزول القرآن غير مرتب الآية، فقد رأينا أن من حكمة تثبيت قلوب المؤمنين، بما تحمل إليهم الآيات التي تسبق سورها، من بشريات، كما يقول الله سبحانه وتعالى: «وَإِذَا بُدئَ آيَةُ مَكَانٍ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُنْجِرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» التحل: ١٠١، ١٠٢.

ففي هذا التدبير من نزول القرآن للكريم غير مرتب الآية، في هذا ما يسمح بنزول بعض الآيات متقدمة زمناً على سورها، التي ستلي بها، وتأخذ مكانها فيها، بعد أن يتم نزول القرآن كله.

وفي هذه الآيات التي كانت تُنزل متقدمة زمناً على سورها تثبيت قلوب المؤمنين، وهدى لهم، وبشري بالمستقبل المسعد الذي ينتظر الإسلام، وينظرهم منه، ولو كان معنى قوله تعالى: «وَإِذَا بُدئَ آيَةُ مَكَانٍ

آيَةٍ»، لو كان معنى ذلك نسخ آية بآية، لما كان من المناسب أن يكون التثبيت على ذلك قوله تعالى: «يُثَبِّتُ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» إذ أن النسخ للآيات القرآنية ليس من شأنه أن يثبت قلوب المؤمنين، بل إنه يكون داعية من دواعي الإزعاج النفسي، بسبب تلك الآيات التي يعيش معها المسلمون زمناً، ثم يخلون عنها.

ثم إنه من جهة أخرى لا يعمل النسخ على إطلاقه بشريات للمسلمين، إذ أن أكثر ما وقع النسخ - كما يقول القائلون به - على أحكام عتقة تُسخت بغيرها، مما هو أثقل منها، كما يقال في الآيات للنسوخة في الخبر وفي

الزباء، وفي حد الزلى.

ثم - قبل هذا كله - إن هذه الآية: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُنْغِي﴾، هي مكتبة النزل، بل من أوائل القرآن للكتي، حيث لم تكن قد شرعت الأحكام بعد في العبادات والمعاملات، وفي القتال، وما يتصل به من غنائم وأسرى، وغير ذلك مما يمكن أن يرد عليه النسخ، إن كان هنالك نسخ. إذ أن النسخ، إنما تناول الأحكام الشرعية وحدها.

هذا، وقد استدلل القائلون بالنسخ في القرآن بآية أخرى، هي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ فَتَشْعَبُ اللَّهُ مَا فِيهِ الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَيِّمُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. لينجس ما ينطق الشيطان بلسنة الذين في قلوبهم مرض، والفتاوية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاقٍ بهيرون. المصحف: ٥٢، ٥٢، وسترخص هذه الآية في موضعها إن شاء الله.

وحسبنا أن نقول هنا: إن النسخ ولورد على ما ينطق الشيطان، لا على آيات الله، وإن الله سبحانه وتعالى يحكم آياته ولا يبدلها، وإذا نزلت في آيات الله. ولعل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلِ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ طه: ١١٤، لعل في هذا ما يشير إلى شيء من هذا التدبير السماوي، في نزول القرآن غير مرتب الأبي، إذ ربما كان صلى الله عليه وسلم تستزك عليه الآية من القرآن، غير منسوبة إلى سورة من السور التي نزلت، فيبادر إلى وصلها بما سبقها أو لحقها، حتى

لا يظن في عزلة، بين سور القرآن التي تنزل في الصلاة، أو تركل في غير الصلاة، فجاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلِ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. ليدفع عن النبي هذا الشعور من القلق على تلك الآيات المفردة، أن يظن إليها غير تلك النظرة التي للقرآن الذي جمعت آياته، وتمت سورة.

فذلك دعوة للنبي ألا يجعل بيناء القرآن قبل أن يتم وحيه إليه به، إذ مازال هنالك قرآن كثير لم ينزل بعد، وفي هذا القرآن الذي سينزل علم كثير، يزداد به النبي علماً إلى علم.

ويؤنسنا في هذا الفهم لتلك الآية الكريمة، ما نجده في قوله تعالى: ﴿لَا تَصْرَفْ بِهِ إِسْأَلَكَ فَتَجْعَلُ بِهِ﴾. إن علينا بحكمة وقراءة. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بحكمة القيمة: ١٦ - ١٩، ففي هذه الآيات ما يكشف مفردة، غير منسوبة إلى سورة من السور، وإشفاقه من أن تظن منه حيث لم ترتبط بخيرها من آيات القرآن وسورة.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْنَا بَعْثَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ فَاعٍ﴾ القيمة: ١٧، مطمئن للنبي بهذا الوعد الكريم من الله سبحانه، بأنه جل شأنه، هو الذي سيتولى جمع هذا القرآن المفرق، وبناءه على الصورة التي أراده الله سبحانه أن يقرأ عليها، وذلك ما كان بعد أن تم نزول القرآن، وانقطع الوحي، فكان القرآن على تلك الصورة التي تلقاها النبي من جبريل، في المرحلة الأخيرة للقرآن، ثم تلقاها من النبي الصحابة وكتاب الوحي، ثم تلقاها المسلمون جميعاً

بعد جيل، إلى يومنا هذا، وإلى يوم الدين. (٣٦١: ٧)

ثم قيل: ﴿بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ﴾ أي في الخلقة، وإن كانوا أعداءهم في العمل، وقيل: أمثالهم في الكفر.

٣- قَتْنُ خَلْقَتَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا

(٣٦١: ٣٠)

أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا. القعر: ٢٨

نحوه المرافى.

التسفي: أي إذا شئنا إهلاكهم أهلكتناهم، وبدلنا

ابن عباس: يقول: لو نشاء لأهلكناهم وجهنا بأطوع لله منهم.

أمثالهم في الخلقة ممن يطيع. (٣٦١: ٤)

لغيرنا محاسنهم إلى أجمع الصور وأقبحها.

ابن كثير: أي وإذا شئنا بحتناهم يوم القيامة

(القرطبي: ١٩: ١٥٢)

وبدلناهم، فأعدناهم خلقًا جديدًا. وهذا استدلال

بالبداة على الرجعة. (١٨٦: ٧)

ابن زيد: أي وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين خيرهم،

الشريين: أي جتنا بأمثالهم بدلًا منهم، إنا بأن

كقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَهْلَ النَّاسِ وَيَتَأْتِ

يهلكهم ونأتي بدلهم ممن يطيع، وإنا بتغيير صفاتهم، كما

بآخرين وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ النساء: ١٣٣.

شاهد في بعض الأوقات من المسخ وغيره. (٤٦١: ٤)

وكقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ

الكاشاني: أهلكتناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة.

وَمَّا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِقَرِيرٍ﴾ فاطر: ١٧، ١٦.

وشدة الأسر: يعني الشاة الآخرة، والمراد: تبدلهم

(ابن كثير: ٧: ٣٣٦)

نحوه الطبري.

القعر الزاوي: أي إذا شئنا أهلكتناهم وآتينا

نحوه شبر. (٣٣٦: ٦)

بأشباحهم، فجعلناهم بدلًا منهم، وهو كقوله: ﴿وَعَلَى

البروسوي: أي بدلناهم بأمثالهم بعد إهلاكهم،

أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ﴾ الواقعة: ٦١.

والتبديل: يتدنى إلى مضمولين غالبًا، كقوله تعالى:

والنرض منه بيان الاستثناء التام عنهم، كآله قبل:

﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ الفرقان: ٧٠، يعني

لا حاجة بنا إلى أحد من المخلوقات البتة. ومتقدير: إن

يذهب بها ويأتي بدلها بحسنات. (تبديلًا) بديلاً لا ريب

تثبت الحاجة فالحاجة إلى هؤلاء الأرواح، فإننا قادرون

فيه، وهو البعث، كما يُنبئ هذه كلمة (إذا).

على إلفنائهم، وعلى إبعاد أمثالهم، وظيره قوله تعالى:

فأئيلة في الشاة الأخرى إنا هي في شدة الأسر،

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَهْلَ النَّاسِ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ

وباعتبار الأجزاء الأصلية، ولا ينافيها الفيرية بحسب

عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ النساء: ١٣٣، وقال: ﴿إِنْ يَشَأْ

العراض كالطاقة والكتافة.

يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وما ذلك على الله بقرير.

والمنى: وإذا شئنا بدلنا خيرهم ممن يطيع، كقوله

فاطر: ١٦.

تعالى: ﴿وَيَسْخِطُونَ لَوْلَا غَيْرُكُمْ﴾ التوبة: ٣٩، ففيه

ترهيب، فالإثبات باعتبار الصورة، ولا يتأفيا للصورة
باعتبار العمل والطاعة. و(إذا) للدلالة على تحقق القدرة
وقوة الداعية، وإلا فالمناسب كلمة «إن» إذ لا تحقق لهذا
التبديل.

قال القاهاني: نحن خلقناهم بصيرين استعداداتهم،
وقوتناهم بالمشاق الأزلي والاتصال الحقيقي «وإذا شئنا
بتدلت أفعالهم بتبدلهم» بأن نسلب أفعالهم بأفعالنا، ونحرم
صفاتهم بصفاتنا، ونفني قوتهم بذاتنا، فيكونوا أبدالاً.

(٢٧٩: ١٠)

الألوسي: أي أهلكناهم وهدكنا أفعالهم في خسة
الخلق (تبدلاً) بديلاً لا ريب فيه، يعني البعث والنشأة
الأخرى. فالتبديل في الصفات، لأن المعاد هو المبدل
ولكون الأمر محققاً كأننا جميعاً به (إذا)، وذكر المصنف
لايهام وعنه، ومثله شائع، كما يقول العظيم لمن يسأله
الإمام: إذا شئت أحسن إليك.

ويجوز أن يكون المعنى: وإذا شئنا أهلكناهم، وهدكنا
غيرهم ممن يطيع، فالتبديل في الدورات، و(إذا) لتحقيق
قدرته تعالى عليه، وتحقيق ما يقتضيه من كفرهم المقتضي
لاستئصالهم، فجعل ذلك المقذور المهدد به كالحقق،
وعبر عنه بما يعبر به عنه.

ولعله الذي أراده الزمخشري بما نقل عنه من قوله:
إنما جاز ذلك، لأنه وعيد جيء به على سبيل المبالغة،
كان له وقتاً معيناً، ولا يعترض عليه بقوله تعالى: «وَلَنُؤَنِّتَنَّهُمْ يَوْمَ أُولَئِكَ تُنَادَى أَفْئِدَةً مِّنْهُم مَّنْ يَّسْتَكْبِرُ» محمد: ٢٨، لأن التكاليف
لا يلزم أطرادها، فافهم.

والوجه الأول أولق بسبب انكسار الجليل.

(٢٩: ١٦٧)

الطباطبائي: أي إذا شئنا بديناهم أفعالهم، فذهبنا
بهم وجبتنا بأفعالهم مكانهم، وهو إماتة قسطن وإحياء
آخرين.

وقيل: المراد به تبديل نشأتهم الدنيا من نشأة
القيامة، وهو بعيد من السياق. (٢٠: ١٤٢)

تبدلناهم

١-... كَلَّمْنَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِتَدْلُنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا
لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا.

النساء: ٥٦

الزجاج: فإن قال قائل: بذلك الجلد الذي عصى
الجلد الذي غير الباطني، فذلك خلط من القول، لأن
الباطني والكم هو الإنسان لا الجلد.

وجائز أن يكون بذلك الجلد النضج، وأعيد كما كان
جلده الأول، كما تقول: قد صلت من خاتمي خاتماً
آخر، فأتت وإن غيرت الصوغ فالتفتة أصل واحد.
وقد كان الجلد بلي بعد البعث، فإنشأه بعد النضج
كإنشائه بعد البعث. (٢: ٦٥)

البخاري: هو أن يخلق الله لهم جلوداً آخر فوق
جلودهم، فإذا احترق السمعان أعاده الله.

(الطوسي: ٣: ٢٣١)

المفريسي: يقولون: بذلك جبهتي لحيها، إذا جعلتها
قيماً. (الطوسي: ٣: ٢٣١)

الطوسي: قال قوم: إن التبديل إنما هو للسرائيل
التي ذكرها الله في قوله: «سَرَّاهُمْ إِلَهُكُمْ مِنْ قَبْلُ»

لإبراهيم: ٥٠، فأما الجلود فلو عُدَّتْ ثم أُوجِدَتْ لكان فيه تفتير منه. وهذا جيد، لأنه ترك الظاهر وحدوث بالجلود إلى التبريل. ولانقول: إن الله تعالى يحرم الجلود، بل على ما قلناه يجزئها ويحرمها، بما يفعل فيها من المعاني التي تعود إلى حالتها.

فأما من قال: إن الإنسان غير هذه الجملة، وأنه هو المذبذب، فقد تخلص من هذا السؤال.

ويقوي ما قلناه: إن أهل اللغة يقولون: أحدثت الشيء بالشيء، إذا أزلت عيناً بين. [تم استشهد بشعر] وبذلك به التشديد. إذا غيرت هيئة، والعين واحدة. (٢: ٢٣٦)

أما خطيئة: واختلف المتأولون في معنى «تبديل الجلود». فقالت فرقة: يُبدل عليهم جلود غير ما كان عليها، فلو سبهم هي المذبذبة. والجلود لا تألم في ذاتها، فأنها تبدل ليدوروا تهديد العذاب.

وقالت فرقة: «تبديل الجلود»: هو إمادة ذلك الجلد بعينه الذي كان في الدنيا، تأكله النار ويحده الله، وأما لتجدد العذاب.

وأما سماء «تبدلاء» لأن أوصافه تتغير ثم يما، كما تقول: يبدل من غاتي هذا خاتماً، وهي فخته بعينها، فالبدل إنما وقع في تغيير الصفات. (٢: ٦٩)

التسقي: أعدنا تلك الجلود غير محترقة، فالتبدل والتغير لتناير الهيئتين لا لتناير الأصلين عند أهل الحق، خلافاً للكرامية. (١: ٢٣٦)

أبو حنيفة: التبدل حل معنيين: تبدل في الصفات مع بقاء المعين، وتبدل في الذوات، بأن تذهب المعين

وتجبه مكانها عين أخرى، يقال: هذا بدل هذا والظاهر في الآية هنا المعنى الثاني، وأنه إذا نضج ذلك الجلد وتجرى وتلاشى، جبه بجلد آخر مكانه، ولهذا قال: (جلوداً غيرَهَا). (٣: ٢٧٤)

أبو السعود: من قيل بذلك يخوفه أمناً، لا من قيل: «يُبدل الله سيئاتهم حسنات» القرطبي: ٧٠، أي أعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه بجلد جديد، مفايزاً للمحترق سوداً وإن كان عينه مادّة، بأن يزال عنه الاحتراق ليعود إحساسه للعذاب.

والجملة في محل التصب على أنها حال من ضمير (أعطيتهم) وقد جُوز كونها صفة له (تأزاً) على حذف

المعاني، أي كلما نضجت فيها جلودهم. [إلى أن قال:] «تبدل السر في تبدل الجلود مع قدرته تعالى على إبقاء إدراك الطاب وذوقه بحاله مع الاحتراق، أو مع تلك البدل على حالها مصونة عن الاحتراق، أن النفس ربما تتوهم زوال الإدراك بالاحتراق، ولا تستبعد كل الاستبعاد أن تكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق. (١: ٣٥٢)

القاسمي: هم في التبدل وجهان: الأول: أنه تبدل حقيقياً مادياً، فيخلق مكانها جلوداً آخر جديدة مفارقة للمحترقة.

الثاني: أنه تبدل وصلي، أي أعدنا الجلود جديدة، مفارقة للمحترقة صورة، وإن كانت عينها مادة، بأن يزال عنها الاحتراق، ليعود إحساسها للطاب، فلم تبدل إلا صفتها، لامادتها الأصلية، وفيه بُعد، إذ يأباه معنى التبدل. (٥: ١٣٢٨)

الطَّبْرِيّ: ومن يُتَيَّر ما هاجد الله في نعمته التي هي الإسلام، من العمل والدخول فيه، فيكفر به، فإنه يعاقبه بما أوعده على الكفر به من العقوبة، والله شديد عقابه، أليم عذابه.

فأويل الآية إذن: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِالتَّوْرَةِ، فَصَدَّقُوا بِهَا، ادخلوا في الإسلام جميعاً، ودعوا الكفر، وما دعاكم إليه الشيطان من ضلالاته، وقد جاءكم التَّيَّيَّات من عندي بحق، وما أظهرت على يديه لكم من الحُجُج والبر، فلا تُبْذَلوا ههنا إليكم فيه، ولما جاءكم به من عندي في كتابكم، بأنّه نبي ورسول، فإنه من يُبْذَل ذلك منكم فيغيره، فأني له معاقبة باللائم من (٢: ٢٢٣)

والمراد من قوله من ضرائع دينه بعد ما عهد إليه، وأمره به من الدخول في الإسلام، والعمل بشرائعه، فيكفر به، فإنه يعاقبه بما أوعده على الكفر به من العقوبة.

الرُّسُلُ خُشِرِي: وتبذلهم إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هُداهم، فجعلوها أسباب ضلالتهم، كقوله: ﴿فَرَاذَلْتُمْ رِجْسًا إِنَّسِي رِجْسِيهِمْ﴾ التوبة: ١٢٥، أو حرفوا آيات الكتب للذات على دين محمد ﷺ.

منه النسبي (١: ١٠٥)، ونحوه أهوال السجود (١: ٢٥٤)، والمراعي (٢: ١١٧).

الطَّبْرِيّ: في الكلام حذف، وتقديره: فهدكوا نصرة الله وكفروا بآياته، وخالفوه، فضلوا وأضلوا، ومن

محمد جواد مُفْتِيّة: وغير بعيد أن يكون تبديل الجلود كناية عن أليم للعذاب وشدة، وفي جميع الأحوال، فإن المطلوب منا أن نؤمن بعدل الله وقدرته. (٢: ٢٥٣)

٢- فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ عَذَابَ النَّعِيمِ وَيَذُنُّنَاهُمْ يَجْتَنِبُونَ حَبَشَيْنَ مَبْنِيَيْنِ فَوَقَّيْ حَتَّى أَكَلُوا مِنْ شَرِّهِ مِنْ يَذُرُ فُكْرًا.

الشَّربيني: أي جعلنا لهم بدلها. (٣: ٢٩١)
أهوال السجود: أي أذهبنا جنتهم، وآتيناهم بدلها. (٤: ٢٢٨)

منه الأكوسي: (٢٢: ٢٢٧)
البروسوي: وآتيناهم بدلها، والتبديل: جعل (٧: ٢٨٣)
الشيء مكان آخر.

يُبَدَّلُ

١- تِلْكَ نَبِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ نَفْعٍ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

ابن عباس: من يغير دين الله وكتابه بالكفر. (تفسير المقياس: ٢٩)

مجاهد: يكفر بها. (الطَّبْرِيّ: ٢: ٣٣٣)
المشدي: يقول: من يُبَدِّلُها كُفْرًا.

(الطَّبْرِيّ: ٢: ٣٣٣)
الزبيح: يقول: ومن يكفر نعمته من بعد ما جاءته. (الطَّبْرِيّ: ٢: ٣٣٣)

يُبدل الشكر عليها بالكفران.

وقيل: من يصرف أدلة الله عن وجوها،

بالتأويلات القاسدة، الخالية من البرهان.

وفي الآية دلالة على فساد قول الجبّة: في أنه ليس

له سبحانه على الكافرين نعمة، لأنه حكم عليهم

بتبديل نعم الله، كما قال في موضع آخر: ﴿يَتَرَفُّونَ بِغَفَتِ

اللَّهُ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ التحل: ٨٣، ونحو

ذلك من وجه آخر وهو أنه أضاف التبديل إليهم

وأوعدهم عليه بالعقوبة، فلو لم يكن فعلهم لما استحقوا

العقوبة.

والتبديل هو أن يحرف أو يكتم أو يتأول على

خلاف جهته، كما فعلوا في التوراة والإنجيل، وكما فعلوا

مبتدعة الأمة في القرآن. (٣٠٤: ١)

القرطبي: لفظ عام لجميع العامة، وإن كان المشار

إليه بني إسرائيل، لكنهم بدلوا ما في كتبهم، وجعلوا

أمر محمد ﷺ، فاللفظ منحسب على كل مُبدل نعمة الله

تعالى. (٢٨: ٣)

النيسابوري: [قال مثل الزمخشري وأضاف:]

وقيل: المراد به (نعمة الله) ما آتاهم من أسباب

الصحة والأمن والكفاية، فتبدلها أنهم لم يعملوها

واسطة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكليف، بل

استعملوها في غير ما أوتيت هي لأجله. (٢٠٩: ٢)

أبو حيان: ولفظ (من يبدل) صام، وهو شرط،

فيندرج فيه مع بني إسرائيل كل مُبدل نعمة ككفار

قريش وغيرهم، فإن بعث محمد ﷺ نعمة عليهم، وقد

بدلوا بالشكر عليها وقبولها الكفر، [إلى أن قال:]

وَقُرئ (ومن يُبدل) بالتخفيف، و(يُبدل) يحتاج

لمفعولين مُبدل ومُبدل له، فالمُبدل هو الذي يتمدى إليه

الفعل بحرف جرّ، والمُبدل هو الذي يتمدى إليه الفعل

بنفسه، ويجوز حذف حرف الجرّ قهراً المعنى، وتقدم

الكلام على هذا في قوله: ﴿فَتَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ البقرة: ٥٩.

وإذا تقرر هذا فالمفعول الواحد هنا محذوف وهو

البدل، والأجود أن يتقدّر مثل ما لفظ به في قوله: ﴿الْمُتَرَدِّ

إِلَى الَّذِينَ يَدْعُوا يَغْفَتِ اللَّهُ كُفْرَهُ﴾ إبراهيم: ٢٨، ذ(كُفْرًا)

هو البدل، و(يَغْفَتِ اللَّهُ) هو المُبدل، وهو الذي أصله أن

يتمدى إليه الفعل بحرف الجرّ، فالتقدير إذن: ومن يُبدل

نعمة الله كُفْرًا.

جاء حذف المفعول الواحد وحرف الجرّ لفهم

المعنى، ولترتيب جواب الشرط على ما قبله، فإنه يدلّ

على ذلك، لأنه لا يترتب على تقدير أن يكون «النعمة»

هي البدل و«الكفر» هو المُبدل، أن يجاب بقوله: ﴿فَإِنَّ

اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ البقرة: ٢١١. (١٢٨: ٢)

البروسوي: التبديل: تصيير الشيء غير ما كان

عليه، أي يُمَيّر.

الآلوسي: أي آياته، فإنها سبب الهدى الذي هو

أجل النعم، وفيه وضع المظهر موضع المضمّر بغير لفظه

السابق، لتعظيم الآيات، وتبديلها: تحريكها وتأويلها

الزائغ، أو جعلها سبباً للضلالة وازدحام الرّجس، وعلى

التقديرين لاحذف في الآية.

وقال أبو حيان: حُذِف حرف الجرّ من (يَغْفَتِ)

والمفعول الثاني (يُبدل)، والتقدير: من يُبدل بنعمة الله

كفرًا، ودلّ على ذلك ترتيب جواب الشرط عليه، وفيه مالا يحل.

وَقُرِئَ (ومن يُكَلِّم) بالتخفيف. (٢: ١٠٠)
القاسمي: وتديلهم إيمانًا؛ استبدلهم بالإيمان بها
الكفر بها، والإعراض عنها. (٣: ٥٢٢)

معتمد جواد مَقْنِيَّة: والمراد بتديلهما: تحريضها
وعصيانها. (١١: ٣١٤)

مكارم الشيرازي: لِنُ المراد من تبديل القصة هو
لَنَ الإنسان استخدم كافة الطاقات والقدرات والمصادر
المادية والمعنوية التي ينتج بها في طريق الفساد
والاعتراف والمخاسي والظلمات. فقد أرسل الله إلى بني
إسرائيل مرشدين، وولى عليهم حُكَّامًا لَعَناء. وهذا
لهم كُلُّ الإمكانيات المادية والمعنوية. إِلَّا أَن هَؤُلَاءِ
جحدوا نعمة الله وبدكوها، كما أدّى بهم ذلك إلى اختلال
أُمُورهم، وتقرُّب دولتهم، ولعذاب الآخرة أشد
وَأَنكِي.

ولا تنحصر ظاهرة تبديل القصة ببني إسرائيل
فحسب، بل أَنَّ العالم الصناعي اليوم مأخوذ من هذه
الطامة الكبرى أيضًا، لأنّه بالرغم من امتلاك إنسان
اليوم للثروة والقدرات التي ما كان لها مثيل على مرّ
التاريخ، فقد أضاعها بما حداك لنعم الله. لا يعتمد من
إرشادات الأنبياء السماوية، فاستخدمها في طريق القناء
بشكلي ضيق. (٢: ٥٣)

٢- إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُجْزَوْنَ
اللَّهُ ثَوَابَهُمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. الفرقان ٢٠

أَبُو قَتْرَةَ: قال رسول الله ﷺ إِنِّي لأُعرف آخر أهل
النار خروجهَا من النار، وآخر أهل النار دخولًا الجنة.

قال: يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فيقال: تَعْمُرُ كِبَارَ
ذُنُوبِهِ، وَسَلُّوهُ عَنْ صَفَارِهَا، قال: فيقال له: عَمِلْتَ كَذَا
وَكَذَا، وَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا.

قال: فيقول: يَا رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ مَالَرَاهَا
هَاهُنَا، قال: فضحك رسول الله ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ،
قال: فيقال له: لَكَ مَكَانٌ كُلُّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةٍ.

(الطبري ١٩: ٤٧)
ابن عباس: يهولم الله من الكفر إلى الإيمان، ومن
المعصية إلى الطاعة، ومن عبادة الأصنام إلى عبادته،
من القفر إلى الخير. (تفسير المقياس: ٥-٣)

هم المؤمنون، كانوا قبل إيمانهم على السيئات،
فرغب الله بهم عن ذلك فحوّتهم إلى الحسنات، وأبدلهم
بالحسنات حسنات. (الطبري ١٩: ٤٦)

هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة، فيبدل الله
سيئاتهم حسنات حين يتوبون. (الطبري ١٩: ٤٦)
بالشرك إيمانًا، وبالقتل إيمانًا، وبالزنى إيمانًا.

(الطبري ١٩: ٤٦)
قيل: يُبدِّلُهم الله بمقاييس أعمالهم في الشرك بحسن
الأعمال في الإسلام، بالشرك إيمانًا، وبقتل المؤمنين قتل
المشركين، وبالزنى عفة وإحصانًا.

منه مجاهد، والسدي. (الطبري ٤: ١٨٠)
ابن المسيب: تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم
القيامة. (الطبري ١٩: ٤٦)

نحوه مكحول (أبو حيان ٦: ٥١٥)، والحسن (ابن

خطبة ٤: ٢٢١).

السَّيِّئَةُ قد كانت مضت على ما كانت عليه من التصحیح، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة إلى خلاف ما كانت عليه، إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى، فيجب إن فعل ذلك كذلك، أن يصير شرك الكافر الذي كان مشركاً في الكفر بعينه، إيماناً يوم القيامة بالإسلام، وسماحه كلها بأعيانها طاعة، وذلك ما لا يقوله ذو حجة.

الزَّجَّاج: ليس أن السيئة بعينها تصير حسنة، ولكن التأويل أن السيئة تُغنى بالثوبة، وتُكتب الحسنة مع الثوبة، والكافر يُخطئ الله صله، ويثبت الله عليه النِّبَات.

الطُّوسِي: أي يعمل مكان عقاب سيئاته ثواب حسناته. [تم استشهد بشر]

ابن خطبة: معناه يعمل لأعمالهم بدل مما سيئهم العمل طاعة، فيكون ذلك سبباً لرحمة الله إياهم، قاله ابن عباس وابن جرير وابن زيد والحسن، ورده هل من قال: هو في يوم القيامة.

وقد ورد حديث في كتاب مسلم من طريق أبي ذر^(١)، يقتضي أن الله تعالى يبدل يوم القيامة، لمن يريد المغفرة من الموحدين بدل سيئاته حسنات، وذكره القرطبي والطبري. وهذا تأويل ابن السَّيِّب في هذه الآية، وهو معنى كرم اللغوي.

وقرأ ابن أبي عملة «يبدل» بكون الباء وتخفيف الدال.

الزَّمْعَشَرِي: (يُبدل) عطف ومثقل، وكذلك

إن معناه أن يحوّل السيئة عن العبد، ويثبت له بدلها الحسنة.

مثله مكحول، وعمر بن ميمون.

(الطُّوسِي ٤: ١٨٠)

الضَّحَّاك: يُبدل الله مكان الشرك والقتل والزُّن: الإيمان بالله، والدخول في الإسلام، وهو التهديد في الدنيا.

قَتْلًا: والتبديل في الدنيا: طاعة الله بعد عصيانه، وذكر الله بعد نسيانه، والمخير بعمله بعد الشر.

(الطُّوسِي ٤: ١٨٠)

ابن زيد: يُبدل الله أعمالهم السيئة التي كانت في الشرك بالأعمال الصالحة، حين دخلوا في الإيمان.

الطُّوسِي: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه فأولئك يُبدل الله بتوابع أعمالهم في الشرك، محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدله بالشرك إيماناً، ويقتل أهل الشرك بالله قتل أهل الإيمان به، وبالزُّن حَقَّة وإحصاءاً.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فأولئك يُبدل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة.

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من تأوله: «فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ» أعمالهم في الشرك (حَسَنَات) في الإسلام، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى.

ونما قلنا ذلك أول تأويل الآية، لأن الأعمال

(سَيِّئَاتِهِمْ).

فإن قلت: مامعنى مضاعفة العذاب وإبدال السيئات

حسنات؟

قلت: إذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك، عَذَّبَ على الشرك وصل المعاصي جميعًا، فمضاعفت للمعقوبة لمضاعفة العقاب عليه. وإبدال السيئات حسنات أنه يعوها بالتوبة، ويثبت مكانها الحسنات: الإيمان والطاعة والتقوى.

وقيل: يُعَذَّبُ بالشرك إيمانًا، يقتل المسلمين قتل المشركين، وبالأذى عفة وإحصانًا. يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح، فإنه بذلك تائب إلى الله.

المتنبي: أي يوفقهم للمعاصي بعد التوباء. أو يسعروها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات بالإيمان والطاعة، ولم يرد به أن السيئة يمينها حسنة.

(٣: ١٧٦)

الآلوسي: بأن يعو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم، كما يشير إلى ذلك كلام كثير من السلف.

وقيل: المراد بالسيئات والحسنات ملكتها لانفسها، أي يبدل عز وجل بملكة السيئات ودواعيها في النفس ملكة الحسنات، بأن يزيل الأولى ويأتي بالثانية. وقيل: هذا التبديل في الآخرة، [ثم ذكر قول أبي ذر عن النبي ﷺ وقال:]

ويستمر هذا التبديل كرم العفو. [ثم استشهد بشعر] ولعل المراد أنه تكفر سيئاته، ويحظى بدل كل سيئة

ما يصلح أن يكون ثواب حسنة، تفضلًا منه عز وجل وتكرامًا، لأنه يكتب له أفعال حسنات لم يفعلها، وخطاب عليها. (١٩: ٥٠)

القاسمي: ولابن القيم رحمه الله تعالى في «طريق المجترئين» في هذا المقام بسط حسن وتناظر مستقن، لا بأس بإبراده، لعظم فائدته.

قال رحمه الله - بعد شرحه لحديث «فرح الله بتوبة عبده» مامتاله -: وهاهنا مسألة، هذا الموضع أخص الموضع بيانها، وهي أن التائب إذا تاب إلى الله توبةً نصوحًا، فهل تسمى تلك السيئات ويذهب، لاله ولا عليه، أو إذا ثبت أثبت له مكان كل سيئة حسنة؟ هذا مما اختلف القس فيهِ، من المفسرين وغيرهم قديمًا وحديثًا.

فقال الزجاج: ليس يجعل مكان السيئة الحسنة، لكن يجعل مكان السيئة التوبة، والحسنة مع التوبة. [ثم شكر قول ابن عطية وقال:]

وقال الثعلبي: قال ابن عباس، وابن جرير، والضحاك وابن زيد: «يبدل الله سيئاتهم حسنات» يُعَذَّبُ الله تقيح أصالحهم في الشرك، محاسن الأعمال في الإسلام. فيُعَذَّبُ بالشرك ويقتل المؤمنون: قتل المشركين. وبالأذى: عفة وإحصانًا.

وقال آخرون: يعني يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في حال إسلامهم حسنات يوم القيامة. وأصل القولين، أن هذا التبديل هل هو في الدنيا أو يوم القيامة؟

فن قال: إنه في الدنيا، قال: هو تبدل الأعمال القبيحة والإرادات الفاسدة بأخداها، وهي حسنات،

وهذا تبديل حقيقة. والأذين نصرروا هذا القول احتجوا بأن السيئة لا تنقلب حسنة، بل غايتها أن تُحمى وتكفر. ويذهب أثرها، فأما أن تنقلب حسنة فلا، فإنها لم تكن طاعة، وإنما كانت بغيضة مكروهة للرب، فكيف تنقلب محبوبية مرضية؟

قالوا: وأيضاً فالذي دلّ عليه القرآن إنما هو تكفير السيئات ومنفرة الذنوب. كقوله: ﴿وَبُنَا طَائِفًا لِّنَا دُونُنَا فَكَلَّمْنَا طَائِفًا﴾ آل عمران: ١٩٣، وقوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ﴾ الشورى: ٢٥، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَنْفِيزُ الذُّنُوبَ بِحَيْثُ يَخَافُ﴾ الزمر: ٥٣، والقرآن مملوء من ذلك.

ولي الصحيح^(١) من حديث قتادة عن صفوان بن عرز قال: قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في التوبة؟

قال سمعته يقول: «يُؤْتِي الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَقٌّ يَضَعُ عَلَيْهِ كَتِفَهُ، فَيَقْرَأُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ! أَعْرِفُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُطَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ».

وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم صلى رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على الله عز وجل.

فهذا الحديث المتفق عليه، الذي تضمن العنايه بهذا العبد، إنما فيه ستر ذنوبه عليه في الدنيا ومنفرتها له يوم القيامة، ولم يقل له: وأعطيتك بكل سيئة منها حسنة، فدلّ على أن غاية السيئات مغفرتها، وتجاوز الله عنها.

وقد قال الله في حق الصادقين: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أَسْوَ الَّذِي عَمِلُوا وَيُجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الزمر: ٢٥، هؤلاء خيار الخلق، وقد أخبر عنهم أنه يكثر عنهم سيئات أصالحهم، ويجزهم بأحسن ما يعملون، وأحسن ما عملوا إنما هو الحسنات لا السيئات، فدلّ على أن الجزاء بالحسنات إنما يكون على الحسنات وحدها. وأما السيئات، أن تلقى ويطل أثرها. قالوا: وأيضاً فلما انقلبت السيئات أنفسها حسنات في حق الثائب، لكان أحسن حالاً من الذي لم يرتكب منها شيئاً، وأكثر حسنات منه، لأنه إذا أساء شاركه في حسنة التي فعلها وامتناز عنه بتلك السيئات، ثم انقلبت له حسنات ترجع عليه.

وكيف يكون صاحب السيئات أرجح ممن لا سيئة له؟

قالوا: وأيضاً فكما أن العبد إذا فعل حسنات ثم أتى بها يخطئها، فإنها لا تنقلب سيئات يعاقب عليها، بل يطل أثرها، ويكون لاله ولا عليه، وتكون عقوبته عدم ترتب نوابه عليها، فهكذا من فعل سيئات ثم تاب منها، فإنها لا تنقلب حسنات.

فإن قلتم: وهكذا الثائب يكون نوابه عدم ترتب العقوبة على سيئاته، لم ننازعكم في هذا، وليس هذا معنى الحسنه، فإن الحسنه تتضمن ثواباً وجودياً.

واحتجّت الطائفة الأخرى التي قالت: هو تبديل

(١) أخرجه البخاري في: ٤٦ - كتاب المظالم والنصب، باب

قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ هود،

١٨، حديث رقم ١٢٠١.

وأخرجه مسلم في: ٤٩ - كتاب التوبة، حديث رقم ٥٢

(طبعاً).

الشبهة بالحسنة حقيقة يوم القيامة، بأن قالت: حقيقة التبديل إثبات الحسنة مكان السيئة، وهذا إنما يكون في السيئة المحققة، وهي التي قد فعلت ووقعت، فإنما بدلت حسنة كان معناها أنها محبت وأثبت مكانها حسنة.

قالوا: ولهذا قال تعالى: ﴿سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فأضاف السيئات إليهم، لكونهم باثروها واكتسبوها. ونكر «الحسنات» ولم يضاف إليهم، لأنها من غير صنهم وكسبهم، بل هي مجرد فضل الله وكرمه.

قالوا: وأيضاً فالتبديل في الآية إنما هو فعل الله لأفعالهم، فإنه أخير أنه هو يبدل سيئاتهم حسنات، ولو كان المراد ما ذكرتم لأضاف التبديل إليهم، فإنهم هم الذين يُبدلون سيئاتهم حسنات، والأعمال إنما تضاف إلى فاعلها وكاسبها، كما قال تعالى: ﴿فَيُبدِلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي بَقِلَ لَهُمْ﴾ البقرة: ٥٩. ولأنما ما كان من غير الفاعل، فإنه يجعله من تبدله هو، كما قال تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَسَنَاتِهِمْ جَهَنَّمَ﴾ سبأ: ١٦.

فلما أخير سبحانه أنه هو الذي يُبدل سيئاتهم حسنات، دل على أنه شيء فعله هو سبحانه بسيئاتهم، لا أنهم فعلوه من تلقاء أنفسهم، وإن كان سببه منهم وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح.

قالوا: ويدل عليه ما رواه «مسلم»^(١) في صحيحه عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: أعرضوا عليه صفار ذنوبه وأعرضوا عنه كبرها، فعرض عليه صفار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكنت، وعملت يوم كذا وكذا

كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشتق من كبر ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة.

قالوا: وهؤلاء هم الأبدال في الحقيقة، فإنهم إنما سموا أبدالاً لأنهم بدّلوا أعمالهم السيئة بالأعمال الحسنة، فبدّل الله سيئاتهم التي عملوا حسنات.

قالوا: وأيضاً فالجزاء من جنس العمل، فكما بدّلوا هم أعمالهم السيئة بالحسنة، بدّلها الله من صفح المحفظة حسنات جزاء وفاً.

قالت الطائفة الأولى: كيف يمكنكم الاحتجاج بحديث أبي ذر على صحة قولكم، وهو صريح في أن هذا التبدل قد بدلت سيئاته حسنات قد حُذِبَ عليها في النار، حتى كان آخر أهلها خروجاً منها، فهذا قد عوِّف على سيئاته فزال أثرها بالقوية، فبدل مكان كل سيئة منها حسنة، وهذا حكم غير ماضٍ فيه. فإن الكلام في التائب من السيئات، لا لمن مات مصراً عليها غير تائب، فإن أحدهما من الآخر.

قالوا: وأما ما ذكرتم من أن التبدل هو إثبات الحسنة مكان السيئة، فعلى، وكذلك قول: إن الحسنة المنفردة صارت في مكان السيئة التي لولا الحسنة لحلت محلها.

قالوا: وأما احتجاجكم بإضافة السيئات إليهم، وذلك يقتضي أن تكون هي السيئات الواقعة، وتنكير الحسنات وهو يقتضي أن تكون حسنات من فضل الله، فهو حق بلا ريب ولكن من أين يبيّن أن يكون فضل الله

(١) أخرجه في ١ - كتاب الإيمان حديث رقم ٢٦٤ (طبعاً).

بها مقارناً لكسبهم إياها بنفسه؟

قالوا: وأما قولكم: إنَّ التَّبدِيلَ مضاف إلى الله لا إليهم، وذلك يقتضي أنَّه هو الَّذي يبدِّلها من الصَّحف، لأنَّهم هم الَّذين يذكِّروا الأفعال بأصلدها، فهذا لادليل لكم، فإنَّ الله خالق أفعال العباد، فهو المبدِّل للسيئات حسنات خلقاً وتكويناً، وهم المبدِّلون لها خلقاً وكتباً.

قالوا: وأما احتجاجكم بأنَّ الجزاء من جنس العمل، فكما يبدِّلون سيئات أعمالهم بحسناتهم، أهدأ الله كذلك في صحف الأعمال، فهذا حقٌّ، وبه نقول، وإنَّه يبدِّل السيئات التي كانت سيئاتاً ومعدَّة أن تحلَّ في الصَّحف، بحسنات جعلت موضعها، فهذا منتهى إقدام الطالفتين، ومخطئ نظر القريقتين.

فالتَّصَوُّب إن شاء الله في هذه المسألة، أن لا يرب أن الذَّنْب نفسه لا ينتقل حسنة، والحسنة إنما هي أمر وجودي يقتضي ثواباً، ولهذا كان تارك المصيبة يفتقر إلى ثواب على كَفِّ نفسه وحسبها عن موافقة المنهي، وذلك الكَفِّ والمُحْسَن أمر وجودي، وهو متعلِّق بالتَّوَاب.

وأما من لم يخطر بباله الذَّنْب أصلاً، ولم يحدث به نفسه، فهذا كيف يثاب على تركه؟ ولو أتى مثل هذا على ترك هذا الذَّنْب، لكان مثاباً على ترك ذنوب العالم التي لا تخطر بباله، وذلك أضغاف حسناته بما لا يحصى، فإنَّ التَّرك مستحب محمٍ، والمُتْرُوك لا ينحصر ولا يضيق، فهل يثاب على ذلك كله؟ وهذا مما لا جرم فيه، وإذا كانت الحسنة لا بد أن تكون أمراً وجودياً، فالتَّكَاثُب من الذُّنُوب التي عملها قد قارن كلَّ فنب منها ندماً عليه، وكَفِّ نفسه عنه، وعزم على ترك معاودته،

وهذه حسنات بلا ريب، وقد عمت التَّوْبَةُ أثر الذَّنْب، وخلفه هذا التَّدَمُّ والعزم، وهو حسنة، قد بدلت تلك السيئة حسنة.

وهنا معنى قول بعض المفسرين: يحمل مكان السيئة التَّوْبَةُ، والحسنة مع التَّوْبَةِ، فإذا كانت كلَّ سيئة من سيئاته قد تاب منها، فتوبته منها حسنة حلت مكانها، فهذا معنى التَّبدِيل، لا أن السيئة نفسها تنقلب حسنة.

وقال بعض المفسرين في هذه الآية: يُعطِيهِم بالتَّدَمُّ على كلَّ سيئة أسأروها حسنة، وعلى هذا فقد زال بحمد الله الإشكال، واتضح الصَّواب، وظهر أن كلَّ واحدة من الطالفتين ما خرجت عن موجب العلم والحجة.

وأما حديث أبي ذرٍّ، وإن كان التَّبدِيل فيه في حق المصير الذي حُدِّب على سيئاته، فهو يدلُّ بطريق الأول على أنَّ التَّبدِيل للتَّكَاثُب المخلع القادم على سيئاته، فإنَّ الذُّنُوب التي حُدِّب عليها المصير، لما أزال أثرها بالعقوبة بقيت كأن لم تكن، فأعطاه الله مكان كلَّ سيئة منها حسنة، لأنَّ ما حصل له يوم القيامة من التَّدَمُّ المفرط عليها مع العقوبة، لا يقتضي زوال أثرها وتبديلها حسنات، فزوال أثرها بالتَّوْبَةِ المنصوح، أعظم من زوال أثرها بالعقوبة.

فإذا بدلت بعد زوالها بالعقوبة حسنات، فلأنَّ تَبَدُّلَ بعد زوالها بالتَّوْبَةِ حسنات أقل وأحرى، وتأثير التَّوْبَةِ في هذا الموضع والتَّبدِيل أقوى من تأثير العقوبة، لأنَّ التَّوْبَةَ فعل اختياري أتى به العبد طوعاً ومهجةً، وفرقاً منه.

وأما العقوبة، فالتَّكْفِير بها من جنس التَّكْفِير

بالمصائب التي تُصيبه بغير اختياره، بل بفعل الله، لا ريب أن تأثير الأفعال الاختيارية التي يجتهد الله ورضاها في نحو الذنوب، أعظم من تأثير المصائب التي تناله بغير اختياره، انتهى كلامه ﷺ. (١٢: ٤٥٩٢)

العجازي: وفي تهديل السيئة بالحسنة ظريقتان، قيل: يُبدل الله إيمانًا بدل الشرك، وإخلاصًا بدل التناق، والثبات، وإحصاءًا بدل الفجور، وحسنات بدل سيئات الأفعال. [ثم ذكر الرواية المتقدمة عن النبي وقال:]

للتظيرية الثانية: أن المراد تغيرت أحوال السيئة إلى أحوال حسنة، فأبداهم الله بالعمل السَّيِّئ العمل الصَّالح، والأمر كله بيد الله. ومن تاب عن أيِّ ذنب عمله فإنه يتوب إلى الله توبةً حقًّا، والله تكفل بمجزائه الجزاء الحسن على ذلك. (١٩: ٣٤)

الطُّبَّاطِبَائِي: وقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ تفريع على التقوية والإيمان والعمل الصَّالح، يصف ما يترتب على ذلك من جميل الأثر، وهو أن الله يُبدل سيئاتهم حسنات.

وقد قيل في معنى ذلك: أن الله يحوِّسوايق معاصيهم بالتَّوْبَة، ويُنْبِت مكانها ثواب طاعاتهم، فيبدل الكفر إيمانًا، والقتل بغير حق جهادًا وقتلًا بالحق، والزَّنى حَقَّة وإحصاءًا.

وقيل: المراد بالسيئات والحسنات ملكاتها لا نفسها، فيبدل ملكة السيئة ملكة الحسنة.

وقيل: المراد بهما العقاب والثواب عليها لانفسها، فيبدل عقاب القتل والزَّنى مثلاً ثواب القتل بالحق والإحصان.

وأنت خير بأن هذه الوجود من صرف الكلام عن ظاهره بغير دليل يدل عليه.

والذي يُفيد ظاهر قوله: ﴿يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ وقد ذيله بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الفرقان: ٧٠، أن كل سيئة منهم نفسها تبدل حسنة، وليست السيئة هي متن الفعل الصادر من فاعله، وهو حركات خاصة مشتركة بين السيئة والحسنة، كعمل المواظبة مثلاً المشترك بين الزَّنى والتكساح، والأكل المشترك بين أكل المال غصبًا وبإذن من مالكه، بل حفة الفعل من حيث موافقته لأمر الله، ومخالفته له مثلاً من حيث إنه يتأثر به الإنسان، ويحفظ عليه دون الفعل الذي هو مجموع حركات متصرفة متفضية فانية، وكذا عنوانه القائم به الثاني بفنائه.

وهذه الآثار السيئة التي يتبها العقاب، أهني السيئات، لا كونه للإيمان حتى يؤخذ بها يوم تُبلى السررات.

ولولا شوب من الشقرة والمساءة في الذات لم يصدر عنها عمل سيء، إذ الذات السعيدة الطاهرة من كل وجه لا يصدر عنها سيئة قذرة، فالأفعال السيئة إنما تلحق ذاتًا شقية غبيشة بذاتها، أو ذاتًا فيها شوب من شقاء وخبائث.

ولازم ذلك إذا تظَّهَرَت بالتَّوْبَة، وطابت بالإيمان والعمل الصَّالح، فتبدلت ذاتًا سعيدة، ما فيها شوب من قنارة الشقاء، أن تبدل آثامها اللازمة التي كانت سيئات قبل ذلك، فتناسب الآثار للذات بمغفرة من الله ورحمة، وكان الله غفورًا رحيمًا.

وإلى مثل هذا يمكن أن تكون الإشارة بقوله:
﴿قُلْ لَكُمْ يُدَلُّ اللَّهُ سُبُلَهُمْ عَمَلَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا﴾ الفرقان: ٧٠. (٢٤٢: ١٥)

دينكم بالتبديل، أو يفسد عليكم أمر دنياكم بالتعطيل،
وهما أمران أحلاهما مر. (٢٤: ٦٦)

لِيُبَدِّلَنَّهُمْ

٣- وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَكْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ نَسْأَهُ إِنِّي
أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ.

المؤمن: ٢٦

الطبري: يقول: إني أخاف أن يغير دينكم الذي
أنتم عليه بسحره. (٢٤: ٥٦)

العلوسي: التبديل: رفع الشيء إلى غيره في ما يقع
موقعه، إلا أنه بالشرف لا يشمل إلا في رفع الجسد
بالزدي. (٩: ٢٩)

الزمخشري: أن يغير ما أنتم عليه، وكانوا يبدلون
ويبدلون الأصنام، بدليل قوله: ﴿وَيَسْفِرُهَا وَيُغْتَابُهَا
الْأَهْرَافُ﴾: ١٢٧.

مثلته التيسوي (٢١: ٢٣٤)، والنسفي (٤: ٢٥)،
والخازن (٦: ٧٨)، وأبو السود (٥: ٨)، والكاشاني (٤: ٣٣٩)،
والبروسوي (٨: ١٧٥).

الطبري: أي إني أخاف أن يبدل موسى دينكم
أمر دينكم الذي أنتم عليه من عبادة غير الله، ويدخلكم
في دينه الذي هو عبادة الله وحده، أو يوقع بين الناس
الخلافا والفتنة، إذ يجمع إليه الحمل الشر، ويكفرون
من الخصومات والمنازعات وإشارة الفساق
والاضطرابات، فتعطّل المزارع والمتاجر وتبدم
المكاسب.

والخلاصة لله يقول: إني أخاف أن يفسد عليكم أمر

... وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حُكْمِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَنِي
لَا يُبْشِرُكُمْ فِي شَيْءٍ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ النور: ٥٥

الفراء: وقوله: (وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ) قرأها حاصم بن أبي
النجود والأعمش (وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ) بالتشديد، وقرأ الناس
(وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ) خفيفة، وهما متقاربان. وإذا قلت للرجل:
قد بدلت، فمناه غيرت وغيرت حاله، ولم يأت مكانك
فكذلك ما غير من حاله فهو مبدل بالتشديد، وقد
كان الشيء قلت: قد أبدته، كقولك: أبدل لي هذا
الدرهم، أي أعطني مكانه، وبدل جازرا.

فن قال: ﴿وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حُكْمِهِمْ أَمَّا﴾ فكأنه
جعل سبيل المنوف أمنا. ومن قال: (وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ)
بالتخفيف، قال: الأمن بخلاف الخوف، فكأنه جعل
مكان الخوف أمنا، أي ذهب بالخوف وجاء بالأمن،
وهذا من سعة العربية. [ثم استشهد بشعر]

هذا يوضح الوجهين جميعا. (٢: ٢٥٩)
نحوه الهروي (٥: ٧٦)، والطبرسي (٤: ١٥٦)، وأبو
السود (٤: ٧٦).

الطبري: واختلفوا في قراءة قوله: (وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ)
فقرأ ذلك جماعة قراء الأمصار، سوى حاصم.
(وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ) بتشديد التال، بمعنى: وليغيرن حالهم عما

هي عليه، من الخوف إلى الأمن، والعرب تقول: قد هُلك فلان، إذا خُيرت حاله، ولم يأت مكانه لفلان غيره، وكذلك كل مغير من حاله، فهو عندهم مُبدل بالتشديد، وربما قيل: بالتخفيف، وليس بالصحيح.

لأنما إذا جعل مكان الشيء المُبدل غيره، فذلك بالتخفيف: المُبدل هو مُبدل، وذلك كقولهم: أُبيل هذا القوب، أي جعل مكانه آخر غيره. وقد يقال: بالتشديد، خير أن الصحيح من الكلام ما وصفت.

وكان حاصم يقرأ: (وَلْيُبَدِّلْهُمْ) بتخفيف الدال، والصواب من القراءة في ذلك التشديد على المعنى الذي وصفت قبل، لإجماع المجتهدين من عُلماء الأمصار عليه، وأن ذلك تغيير حال الخوف إلى الأمن. وأرى حاصمًا ذهب إلى أن الأمن لما كان خلاف الخوف، ومنه المعنى إلى أنه ذهب بحال الخوف، وجاء بحال الأمن، فحُذف ذلك.

ومن الدليل على ما قلنا: من أن التخفيف إنما هو ما كان في إبدال شيء مكان آخر، قول أبي التيجان: عزّل الأمير للأمير المُبدل.

(١٨، ١٥٩) القرطبي: قرأ ابن محيٍين وابن كثير ويحوق وأبو بكر بالتخفيف، من «أُبدل» وهي قراءة الحسن، واختيار أبي حاتم، الباكون بالتشديد، من «بُدِّل» وهي اختيار أبي حنيفة، لأنها أكثر ما في القرآن، قال الله تعالى: «لَا تُبَدِّلْ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ يَمُونِس: ٦٤، وقال: «وَلِأَنَّا بِذَلِكَ أَمِينٌ» النحل: ١٠١، ونحوه، وما فتنان.

قال النحاس: وحكى محمد بن المهدي عن القراء،

قال: قرأ حاصم والأعمش (وَلْيُبَدِّلْهُمْ) مشددة، وهذا غلطٌ عن حاصم، وقد ذكر بعده غلطاً أشد منه، وهو أنه حكى من سائر الناس التخفيف.

قال النحاس: وزعم أحمد بن يحيى: أن بين التشديد والتخفيف فرقاً، وأنه يقال: بَدَّلته، أي خيَّرته، وأبدلته: أزلته وجعلت غيره.

قال النحاس: وهذا القول صحيح، كما تقول: أُبيل لي هذا الدرهم، أي أزلته وأعطيت غيره. ونقول: قد بُدِّلت بعداء، أي خُيرت، غير أنه قد يستعمل أحدهما موضع الآخر، والذي ذكره أكثر، وقد مضى هذا في «النساء» والحمد لله، وذكرنا في سورة إبراهيم الدليل من القرآن على أن «أُبدل» معناه إزالة العين، فتأمله هناك.

وقرئ: «عَسَىٰ ذَلِكُنَا أَنْ يُبَدِّلَكُمْ» القلم: ٣٢ عطفًا ومثلاً.

وهو أهم من البوض، فإن البوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتبديل يقال للتغيير وإن لم تأت بدله.

الغراحي: أي ولا يغيرن حالهم من الخوف إلى الأمن.

الطباطبائي: «وَلْيُبَدِّلْهُمْ مِنْ يَمِينِهِمْ خَوْفِهِمْ أَمْنًا» هو كقوله: «وَلْيُبَدِّلْهُمْ مِنْ يَمِينِهِمْ خَوْفَهُمْ أَمْنًا»، وأصل المعنى: وليبدلن خوفهم أمناً، فنبه التبديل إليهم إنما على الجواز العقلي، أو على حذف مضاف يدل عليه قوله: «مِنْ يَمِينِهِمْ خَوْفُهُمْ» والتقدير: وليبدلن خوفهم، أو كون (لَهُمْ) بمعنى أمين، (١٥، ١٥٣).

أَبْدَلَهُ

والنشور، فأمر الله تعالى نبيه أن يقول لهم في حساب ذلك: ليس لي ﴿أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْكَ نَفْسٍ﴾.

(١٠٢: ٥)

الرَّشَّاشِي، ﴿أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْكَ نَفْسٍ﴾ من قبل نفسي. وقرأ بفتح التاء، من غير أن يأمرني بذلك ديني. ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا عَائِدًا إِلَيَّ﴾ لا آتي ولا أدر شيئاً من نحو ذلك، إِلَّا مَتَّبِعًا لَوْحِي الله ولولمعه، إن نسخت آية نُسِختَ للنسخ، وإن بَدَلْتُ آية مكان آية نُبِعتَ التبديل، وليس لي تبدل ولا نسخ ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ يونس: ١٥، بالتبديل والنسخ من عند نفسي ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يونس: ١٥.

فإن قلت: لما ظهر وتبين لهم المعجز عن الإتيان بمن القرآن حتى قالوا: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا؟﴾

قلت: بلى، ولكنهم كانوا لا يعترفون بالمعجز، وكانوا يقولون: لو نشاء قلنا مثل هذا، ويقولون: ﴿أَفَنُزِّلُ عَلَى اللَّهِ كِتَابًا﴾ يسونس: ١٧، فينسيبونه إلى الرسول، ويزعمونه قادراً عليه وعلى مثله، مع علمهم بأن العرب مع كثرة فصاحتها وتلفاتها إذا عجزوا عنه، كان الواحد منهم أعجز.

فإن قلت: لعلهم أرادوا أنتَ بقرآن غير هذا أو بذكره من جهة الوحي كما أنشيت بالقرآن من جهته، وأراد بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ ما يستعمل لي وما يمكنني أن أبدله؟ قلت: يرده قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾، فإن قلت: لما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح؟

قلت: الكيد والمكر، أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن

...فَلِ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْكَ نَفْسٍ إِنْ أَتَيْتُ

إِلَّا عَائِدًا إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ
يونس: ١٥

الطَّبْرِي: والتبديل الذي سأله - فيها ذكر - أن يحول آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد وعيداً، والمحرمان حلالاً، والحلال حراماً، فأمر الله نبيه ﷺ أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه، وأن ذلك إلى من لا يرد حكمه، ولا يتعقب قضاءه، وإنا هو رسول مبلغ، ومأمور متبع.

الطُّوسِي: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ يونس: ١٥ الذي تناوله علينا، (أو أبدله) فاجعله على خلاف ما قرأنا علينا، وإنا فرق بين قوله: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا؟﴾ بذكره لأن الإتيان بخيره قد يكون مستحيلًا، وإنا لم يرجعوا جواب الله وعذابه، لأنهم كانوا غير مقرين بالله، ولا معترفين بنبوة نبيه ﷺ، ولا يصدقونه فيما يخبرهم به عن الله، ويذكروهم به من البعث والنشور والحساب والجزاء. وكان قولهم هذا له على وجه التعتب والتسبب إلى الكفر به وتكذيبه، واحتجاجاً عليه بما ليس بحجة، لأنه ﷺ كان قد بين لهم أن هذا القرآن ليس من كلامه، وأنه ليس له تغييره وتبديله، فأرادوا أن يوهبوا أن الأمر موقوف على رضاهم به، وليس يرضون بهذا غير بدون غيره.

وقال الزجاج: إنه كان غرضهم إسقاط ما فيه من صيب ألطهم وتسفيه أحلامهم، ومن ذكر البعث

ففيه أنه من عندك، وأنت قادر على مثله، فأبطل مكانه آخر. وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختيار الحال، وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله فينبو منه، أو لا يهلكه فيسخره منه، ويعملوا التبديل حجة عليه، وتصحيحاً لافتراءه على الله. (٢: ٢٢٩)

الطبرسي: «وَأَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا» الذي تملوه علينا. (أو تبدله) فاجعله على خلاف ما تقرؤه.

والفرق بينهما: أن الإتيان بغيره قد يكون سمه، وتبديله لا يكون إلا برهه.

وقيل: معنى قوله: (تبدله): غير أحكامه من الحلال

أو المحرام، أرادوا بذلك زوال الخطر عنهم وسقوط الأمر منهم. وأن يُغَيَّرَ بينهم وبين ما يريدونه. (قُلْ) بما عهد

«مَا يَكُونُ لَكُمْ أَنْ تُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْكَائِي نَفْسٍ» يونس: ١٠.

أي من جهة نفسي وناحية نفسي، ولأنه سبحانه فلا قدر

على الإتيان بمثله «إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا نَارِيخِي إِلَى» يونس: ١٠.

أي ما ألتج إلا الذي أوحى إلي «إِنْ أَلْهَأْتُ إِنْ

عَصَيْتُ رَبِّي» يونس: ١٥، في اتباع غيره «غَذَابٌ يَوْمَ

عَظِيمٍ» يونس: ١٥، أي يوم القيامة.

ومن استدل بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنة

لا يجوز، فقد أبعد، لأنه إذا نسخ القرآن بالسنة،

وما يقوله النبي ﷺ فإما يقوله بالوحي من الله، فلم

ينسخ القرآن ولم يبدله من قبل نفسه، بل يكون تبدله

من قبل الله تعالى، ولكن لا يكون قرآناً، وسؤدد ذلك

قوله: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ» إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»

التجيم: ٤، ٣. (٣: ٩٧)

الغفر الرازي: أعلم أن إقدام الكفار على هذا

الافتقار يشمل وجهين:

أحدهما: أنهم ذكروا ذلك على سبيل التسخيرية

والاستهزاء، مثل أن يقولوا: إنك لو جئتنا بقرآن آخر

غير هذا القرآن، فوعدتكم، لآمتنا بك، وغرضهم من هذا

الكلام التسخيرية والتطهير.

والثاني: أن يكونوا قالوا على سبيل الجسد، وذلك

أيضاً يشمل وجهين:

أحدهما: أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجسيرة

والامتحان، حتى أنه إن فعل ذلك، صلوا أنه كان كذاً

في قوله: إن هذا القرآن نزل عليه من عند الله.

وثانيها: أن يكون المقصود من هذا الافتقار أن هذا

القرآن مشتمل على ذم آلهم والطمع في طرائفهم، وهم

كانوا يتخذون منها، فاتمسوا كتاباً آخر ليس فيه ذلك.

وثالثها: أن يتفكير أن يكونوا قد جوزوا كون هذا

القرآن من عند الله، اتمسوا منه أن يلتبس من الله نسخ

هذا القرآن وتبديله بقرآن آخر، وهذا الوجه أبعد

الوجه.

واعلم أن تقوم ذكر ذلك أمره الله تعالى أن

يقول: إن هذا التبديل غير جائز متى «إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا

نَارِيخِي إِلَى» يونس: ١٥، ثم بين تعالى أنه بمنزلة

غيره، في أنه متوعد بالعذاب العظيم إن عصي.

(١٧: ٥٦)

البيضاوي: (أو تبدله) بأن تجعل مكان الآية

المستحقة على ذلك آية أخرى، ولعلهم سألوا ذلك كي

يسمهم إليه فيلزمه «قُلْ مَا يَكُونُ لِي» ما يصح لي

«لَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْكَائِي نَفْسٍ» من قبل نفسي، وهو

مصدر استعمل ظرفاً، وإنما اكمل بالجواب عن التبديل،
لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر.

(٤٤٢: ١)

أبوحيان: التبديل يكون في الذات بأن يجعل بدل
ذات أخرى، ويكون في الصفة، والتبديل هنا هو في
الصفة، وهو أن يزال بعض ظلمه، بأن يجعل مكان آية
العذاب آية الرحمة. ولا يراد بالتبديل هنا أن يكون في
الذات، لأنه يلزم جعل الشيء مقتضي للتغاير هو
الشيء بعينه، لأن التبديل في الذات هو الإتيان بقرآن
غير هذا، ولما كان الإتيان بقرآن غير هذا غير مقدور
للإنسان، لم يحتج إلى فيه ونفي ما هو مقدور للإنسان.

وإن كان مستحيلًا ذلك في حقه **فَقِيلَ لَهُ: ﴿قُلْ**
مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَدُلُّهُ مِنْ تِلْكَائِي نَفْسِي﴾ يونس: ١٥٥
وانتفاء الكون هنا هو كقوله تعالى: **﴿مَا كُنَّا لَكُمْ أَنْ**
تَتَّبِعُوا فَبَجَزَهَا﴾ التمل: ٦٠، أي يستحيل **فَلَا وَجُودَ** **عَلَيْهِمْ**

ويحتمل أن يكون التبديل في الذات، على أن يلاحظ
في قوله: **﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾** بقاء هذا القرآن ويؤتى
بقرآن غيره، فيكون **﴿أَوْ يَدُلُّهُ﴾** بمعنى أزيله بالكناية وأنت
بيده، فيكون المطلوب أحد أمرين: إما إزالته بالكناية
وهو التبديل في الذات، أو الإتيان بغيره مع بقاءه،
فيحصل التغاير بين المطلوبين. **[إلى أن قال:]**

وَأَمَّا قَالُوا: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ يَدُلُّهُ﴾ لأنهم
كانوا لا يعترفون بأن القرآن معجز، أو إن كانوا عاجزين
عن الإتيان بمثله، ألا ترى إلى قولهم: لو نشاء لقننا مثل
هذا، وقولهم: **﴿أَفَتَرَى عَلَى الْفِ كَذِبًا﴾** يونس: ١٧،
ولا يمكن أن يريدوا **﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ يَدُلُّهُ﴾** من

جهة الوحي، فقوله: **﴿إِنِّي أَخَافُ﴾**. (١٣٢: ٥١)

الْبُرُوسِيَّ: إِنَّ التَّسْبِيلَ داخل تحت قدرة
الإنسان، ولما الإتيان بقرآن آخر خير مقدور عليه
للإنسان، وذلك لأن التبديل ربما يحتاج إلى تغيير سورة
أو مقدارها، وإعجاز القرآن يمنع من ذلك كما لا يخفى،
وهو **الْفَلَّاحُ** بالبال. (٢٣: ٤)

الْأَوْسِي: (يَدُلُّهُ) بأن يجعل مكان الآية المشتملة
على ذلك آية أخرى، واسألهم إنما سألكم ذلك كيداً،
وطمعاً في إجابته عليه الصلاة والسلام. ليسعزلوا إلى
الإلزام والاستهزاء، وليس مرادهم أنه عليه الصلاة
والسلام لو أحاجهم أسنوا. **(قُلْ) أَمَّا الرُّسُولُ** لهم:
﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَدُلُّهُ﴾ يونس: ١٥٥، المصدر فاعل
(يَكُونُ) وهي من كان الثابتة، وتُفسَّر بوجد، ونفي
الوجود قد يراد به نفي الصفة، فإن وجوده ليس
بمستحيل **فَلَا وَجُودَ** **عَلَيْهِمْ** فالحق هنا ما يصح لي أصلاً تهديله.

[إلى أن قال:]

ومن الناس من وهم في ذلك، وقصر الجواب ببيان
امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني، للإيمان بأن
استحالة ما اقترحوه أولاً من الظهور، بحيث لا حاجة إلى
بيانها، ولأن ما يدل على استحالة الثاني يدل على
استحالة الأول بالطريق الأول، فهو بحسب المال
والحقيقة جواب عن الأمرين. **[إلى أن قال:]**

وجوز العلامة **الطَّيْبِيُّ** كون الجواب المذكور جواباً
عن الاقتراحين، من غير حاجة إلى شيء، وذلك يجعل
التبديل فيه على ما يصح تبديل ذات بمذات أخرى،
كذلك **الدَّانِيَرِ** درايم، وهو الذي أشاروا إليه بقولهم:

«أَنْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا»، وتبديل صفة بصفة أخرى، كذلك الخاتم حلقه، وهو الذي أشاروا إليه بقولهم: (أَوْ بَدَلَهُ).

وأورد عليه بأن تقييد التبديل بقوله سبحانه: «مِنْ بَلْقَائِي أَنفُسِي» يمنع حمله على الأهم، لأنه يُشعر بأن ذلك مقدور له صلى الله تعالى عليه وسلم، ولكن لا يفعله بغير إذنه تعالى. والتبديل الذي أشاروا إليه أولاً غير مقدور له عليه الصلاة والسلام، حتى أن المقترحين يعلمون استحالة ذلك، لكن افترضوه لما مر، وقالوا: لو شئنا قلنا مثل هذا مكابرةً وعناداً.

ثم إن الظاهر أنهم اقترحوا التبديل والإتيان بطريق الافتراء، قيل: لا مساع للقول بأنهم اقترحوا ذلك من جهة الوحي، فكأنهم قالوا: أنت بقرآن غير هذا أو ذلك من جهة الوحي، كما أتيت بالقرآن من جهته، ويكون معنى قوله: «فَمَا يَكُونُ لِي...» ما يستحيل لي، ولا يمكنني أن أبدله، لما في «الكشاف» من أن قوله: «إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي» يرد ذلك.

ووجه بأنهم لم يطلبوا ما هو عصيان على هذا التقدير حتى يقول في جوابهم ماذكر، ونظر فيه بأن الطلب من غير إذن عصيان، فإن لم يعمل ما يستحيل لي هل أن ذلك لكونه غير مأذون، كان الجواب غير مطابق لسؤالهم، لأن السؤال من تبديل من الله تعالى، وهو عليه الصلاة والسلام قال: لا يمكنني التبديل من تلقاء نفسي في الجواب، وإن حمل عليه فالعصيان أيضاً منزه عليه.

وأجيب بأن صاحب «الكشاف» حمل (مَا يَكُونُ)

على أنه لا يمكن ولا يستحيل، والعصيان يقع على الممكن المقدور، لا أنهم طلبوا ما هو عصيان أو ليس، والمطالبة حاصلة بل أشدها، لأن الحاصل إما التبديل من تلقاء نفسي غير ممكن، وإما من قبل الوحي فأنا تابع غير متبرع.

نعم لا ينكر أنه يمكن أن يأتي وجه آخر بأن يحمل على أنه لا يعمل لي ذلك دون إذن، وصاحب «الكشاف» لم يغه.

عبد الكريم الخطيب: أولاً: أن مسألة إتيان النبي بقرآن غير هذا القرآن، أمر غير ممكن، بل يستحيل عليه استحالة مطلقة، لأن القرآن كلام الله، لا يجوز عليه وحياً من ربه، فليس له - والأمر كذلك - سلطان ملك به عند الله، أن ينزل عليه قرآناً غير هذا القرآن.

ثانياً: مسألة التبديل، والتخير في القرآن، وإن كانت أمراً ممكنًا في ذاته، إذ لا يتأتى القرآن هل من يجرؤ هل التبديل والتحرير فيه، وإن كان الله سبحانه وتعالى قد حرسه من التبديل وحفظه من التحريف، كما يقول تبارك وتعالى: «إِنَّا نَحْنُ نُحْكِمُ الْقُرْآنَ وَنُحَافِظُهُ لِكَيْ لَا يَكُونَ مِنْكُمْ لَمَحِيدُونَ» الحجر: ٩.

ثالثاً: إن مسألة التبديل في القرآن، وإن كانت ممكنة في ذاتها، فإن محتملاً أن يضم ذلك من تلقاء نفسه، فذلك خيانة لله في الأمانة التي أئتمنت عليها، وعصيان له.

فصل في بيان استحالة التبديل في القرآن، وإن كان الله تعالى قادرًا على كل شيء، فإنه لا يمكنه أن يبدل القرآن، لأن القرآن كلام الله، لا يجوز عليه وحياً من ربه، فليس له - والأمر كذلك - سلطان ملك به عند الله، أن ينزل عليه قرآناً غير هذا القرآن.

في ما مر به في قوله سبحانه: ﴿يَسَاءَ لِمَا الرُّسُولُ يُدْعَى﴾
 مَا نُزِّلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لِمَا بُلِّغَتْ رِسَالَتُهُ
 المائدة: ٦٧، وليس وراء العصيان لله، والحياسة لأمانته
 إلا العقاب الأليم والعذاب العظيم، كما يقول سبحانه:
 ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْبَابِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ
 بِالْيَمِينِ ۖ ثُمَّ لَقَطَفْنَا مِنْهُ الْآلِينَ ۖ فَمَنْ يَكْفُرْ
 عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ المائدة: ٤٤ - ٤٧. (٦: ٩٧٣)

الطَّبَاطِبَائِي: هؤلاء المذكورون في الآية كانوا
 قوماً وثنيين، يقدسون الأصنام ويمدون بها، ومن سُنَنهم
 التَّوَعُّلُ في المظالم والانتقام واقتراف المحاسن، والقرآن
 ينهى عن ذلك كله، ويدعو إلى توحيد الله تعالى ورفض
 الشركاء، وعبادة الله مع الشُّرَكَاء من الظُّلُم والنُّسُوب
 واتِّباع الشهوات.

ومن المعلوم أن كتابها هذا شأنه، إذا نُكِلت آياته على
 قوم ذلك شأنهم، لم يكن ليرافق ما تنهوا أنفسهم عن
 يشتمل عليه من الدعوة الخالفة، لعلوا قالوا: ﴿الَّتِي يُقْرَأُ
 غَيْرُ هَذِهِ﴾ دل على أنهم يقترحون قرآنًا لا يشتمل على
 ما يشتمل عليه هذا القرآن من الدعوة إلى رفض
 الشركاء واتِّقاء اللُّحْشَاء والمنكر، وإن قالوا: هذا
 القرآن كان مردلهم تبديل ما يخالف آراءهم من آياته
 إلى ما يوافقها، حتى يقع منهم موقع القبول، وذلك
 كالشاعر يتشد من شعره، أو القاصص يقتصر القصصه،
 فلا تستحسنه طباع السامعين، فيقولون: اكتب بغيره أو
 بذلك، وفي ذلك تنزيل القرآن أنزل مراتب الكلام، وهو
 هو الحديث الذي إنما يلقى لتلهو به نفس سامعه، وتنشط
 به حوافقه، ثم لا يستطيعه السامع، فيقول: أنت بغير هذا

أو بذلك.

لهذا يظهر أن قولهم: إذا نُكِلت عليهم آيات
 القرآن: ﴿الَّتِي يُقْرَأُ غَيْرُ هَذِهِ﴾ يونس: ٦٥، يريدون
 به قرآنًا لا يشتمل من المعارف على ما يتضمنه هذا
 القرآن، بأن يترك هذا ويؤتى بذلك، وقولهم: ﴿أَوْ بِذَلِكَ﴾
 أن يغير ما فيه من المعارف الخالفة لأهوائهم إلى معان
 يوافقها مع حفظ أصله، فهذا هو الفرق بين الإتيان بغيره
 وبين تبدله.

فأقول: إن الفرق بينهما: أن الإتيان بغيره قد يكون
 معه، وتبدله لا يكون إلا برفضه، غير سديد، فبأنهم
 ما كانوا يريدون أن يأتهم النبي ﷺ بهذا القرآن وغيره
 مما طعنوا به عليه.

وكذا ما ذكره بعضهم أن قولهم: ﴿الَّتِي يُقْرَأُ غَيْرُ
 هَذِهِ أَوْ بِذَلِكَ﴾ إنما أرادوا به أن يتعنوه بذلك، فيخبروه
 عن آيات القرآن التي فيها ما يوافقهم، وذلك كان ذلك نقضاً منه لدعوى
 نفسه أنه كلام الله، وذلك أنهم لما سمعوا ما بلغهم
 النبي ﷺ من آيات القرآن، وتلاه عليهم وتعداهم
 بالإتيان بنبئه، وعجزوا عن الإتيان بنبئه، وكانوا في ريب
 من كونه كلام الله، وفي ريب من كونه من النبي ﷺ
 نفسه، ولم يكن يفوقهم في الفصاحة والبلاغة والعلم، بل
 كانوا يرونه دون كبار فصاحتهم ومصاقع خطباتهم،
 أرادوا أن يتعنوه بهذا القول، حتى إذا أتاهم بما سألوه
 كان ذلك ناقضاً لأصل دعواه أنه كلام الله، وكان
 قصارى أمره أنه امتاز عليهم بهذا النوع من البيان لقوة
 خشيته فيه، كانت خفية عليهم، كأسباب السحر لا يوحى
 هذا.

وليه - مضاعفاً إلى مناقضة آخره لوله - أنه مدفوع بما يلقنه الله سبحانه من المحبة. فإن السؤال الذي لم يحدد إلا يداعي الامتحان والاختبار من غير داعٍ جدِّي، لا معنى للجواب عنه بالإتيان الجدِّي بمحبة جدِّي. وهو ظاهر. (٢٦: ١٠)

تُبدِّل

١- نحنُ قدَّرنا بِنسبِكُمُ التَّوْتُ وَما نحنُ بِمُسَبِّوِينَ •
عَلَى أَنْ تُبدِّلَ أَمْثالَكُمُ وَنُشِيقَكُمُ فِي عِلَالَتِكُلُّوْنَ

الواقعة: ٦٠، ٦١

الزَّجَّاج: معناه إن أردنا أن نحلق خلقاً غيركم لم يسبقنا سابق ولا يلوتنا. (الطَّبْرسي: ٥: ٢٢٣)
الطُّوسِي: فالتبديل: جعل الشيء موضع غيره
فتبديل الحكمة بالحكمة صواب. وتبديل الحكمة بتبديل الحكمة خطأ وسطه. فعل هذا يُنشئ الله قوماً بعد قوم. لأن المصلحة تقتضي ذلك. والحكمة توجب إنشاءهم في وقت وإماتتهم في وقت آخر. وإنشأهم بعد ذلك للحساب والتواب والعقاب.

وقيل: إن معنى «عَلَى أَنْ تُبدِّلَ» التبديل. أي لبديل أمثالكم. وبين «على» و«اللام» فرق. لأنه يجوز أن يقال: صله على قبحه. ولا يجوز صله لقبحه. وتطعيم الاستدلال بإنشاء الأول على إنشاء الثانية فيه تطعيم القياس. (٥: ٩: ٥٠٣)

الطَّبْرسي: أي تأتي بخلق مستطعم بدلاً منكم. وتقديره: يُبدِّلُكم بأمثالكم. فمحذف المفعول الأول. والمجاز من المفعول الثاني.

أبو البركات: أي يُبدِّلُكم بأمثالكم. فمحذف المفعول الأول. وحرف الجز من المفعول الثاني.

(٤١٨: ٢)

الفخر الرازي: «عَلَى أَنْ تُبدِّلَ» يتعلّق بقوله: «وَمَا نحنُ بِمُسَبِّوِينَ» الواقعة: ٦٠. أي على التبديل. ومعناه: وما نحن عاجزين عن التبديل.

والتحقيق في هذا الوجه أَنَّ من سبقه الشيء كأنه غلبه، فصجز عنه. وكلمة (على) في هذا الوجه مأخوذة من استعمال لفظ السابقة، فإنه يكون على شيء. فإن من سبق غيره على أمر فهو الغالب.

وعلى الوجه الآخر يتعلّق بقوله تعالى: «وَمَا نحنُ بِمُسَبِّوِينَ» الواقعة: ٦٠. وتقديره: نحن قدَّرنا بينكم على وجه التبديل. لأجل وجه قطع النسل من أول الأمر. كما يقول القائل: خرج فلان على أن يرجع حاجلاً. أي على هذا الوجه خرج. وتعلّق كلمة «على هذا الوجه» بآخري.

فإن قيل: هل ما ذهب إليه المفسرون لإشكال في تبديل أمثالكم. أي أشكالكم وأوصافكم. ويكون الأمثال جمع مثل. ويكون معناه: وما نحن عاجزين على أن نمسخكم ونجعلكم في صورة فزدة وغنازير، فيكون كقوله تعالى: «وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسُّنَاكُمْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ» يس: ٦٧. وعلى ما قلت في تفسير المسبوقين. وجعلت للمتعلّق قوله: «عَلَى أَنْ تُبدِّلَ أَمْثالَكُمُ» هو قوله: «نحنُ قدَّرنا» فيكون قوله: «تُبدِّلَ أَمْثالَكُمُ» معناه: على أن تبدل أمثالهم لأجل عملهم.

نقول: هذا إيراد وارد على المفسرين بأسرهم. إذا فسرُوا الأمثال بجمع المثل. وهو الظاهر كما في قوله

تعالى: ﴿لَمْ يَكُونُوا أَفْقَاكُمْ﴾ عمدة: ٢٨، فإن قوله إذا دليل الوجه، وتغير أوصافهم بالمسخ، ليس أمراً يقع، والجواب أن يقال: الأمثال إما أن يكون جمع مثل، وإما جمع مثل، فإن كان جمع مثل، فنقول: معناه قدرنا بينكم الموت على هذا الوجه، وهو أن نغير أوصافكم فتكونوا أطفالا، ثم شبانا، ثم كهولا، ثم شيوخا، ثم يدرككم الأجل، وما قدرنا بينكم الموت على أن نهلككم دفعة واحدة، إلا إذا جاء وقت ذلك، فتلكون بمنزلة واحدة.

وإن قلنا: هو جمع مثل، فنقول: معنى ﴿تُهْذِلْ أَفْقَاكُمْ﴾ نجعل أمثالكم بدلا، وبدله: بمعنى جعله بدلا، ولم يحسن أن يقال: بدناكم على هذا الوجه، لأنه يفيد إنا جعلنا بدلا، فلا يدل على وقوع القضاء عليهم، غاية ما في الباب أن قول القائل: جعلت كذا بدلا، لا يتم فائدته إلا إذا قال: جعلته بدلا من كذا، لكنه تعالى ﴿لَا تَهْزِلْ أَفْقَاكُمْ﴾ فالمثل يدل على المثل، فكأنه قال: جعلنا أمثالكم بدلا لكم، ومعناه على ما ذكرنا: أنه لم يقدّر الموت على أن تضي الخلق دفعة، بل قدرناه على أن نجعل مثلهم بدله مدة طويلة، ثم نهلكهم جميعا، ثم ننشئهم.

ابن كثير: أي تغير خلقكم يوم القيامة.

(٥٣٦: ٦)

الشرييني: أي تبديلا عظيما.

الآلوسي: أي على أن نذهبكم، ونأتي مكانكم

أشباهكم من الخلق.

(١٤٧: ٢٧)

٢- فَلَا تَقِمْ يَرْبُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّا نَسْتَكْثِرُونَ هـ تعالى لَنْ تُهْذِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْكُوتِينَ. المعارج: ٤٠، ٤١.

الطوسي: فالتبديل: تغيير الشيء موضع غيره، بدله تبديلا ولبدله إبدالا. والتبدل: الكائن في موضع غيره.

أبو البركات: و﴿تُهْذِلْ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ تقديره: نهضهم بخير منهم، فحذف المفعول الأول، وحرف الجز من الثاني.

الشرييني: أي تبديلا عظيما بما لنا من الجلالة، عوضا عنهم.

اليزوتوي: أي نهضهم، حذف المفعول الأول للعلم به، و(خيرا) مفعول الثاني بمعنى التفضيل على التسليم، إذ لا خير في المشركين، أو نهلكهم بالمرّة، ~~سببنا~~ ونأتي بدلهم بخلق آخرين، ليسوا هم صفتهم.

ولم يقع هذا التبديل، وإنما ذكر الله ذلك تهديدا لهم لكي يؤمنوا.

وقيل: بذلك الله يهزم الأتصار والهاجرين.

(١٧٠: ١٠)

يُهْذِلُ

فَمَا يُهْذِلُ الْقَوْلُ لَدُنِّي وَمَا آتَا بِسَلَامٍ إِلَيْهِ هـ ق: ٢٩ مجاهد: قد قضيت ما أنا قاض.

(الطبري: ٢٦: ١٦٩)

الفراء: أي ما يكذب عندي، تعلمه عز وجل بتب

ذلك.

(٧٩: ٣)

الطَّبْرِي: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيله
للمسركين وقُرَّانهم من الجنِّ يوم القيامة: إذ تبرز
بعضهم من بعض: ما يغيِّر القول الَّذي قلته لكم في الدنيا
وهو قوله: ﴿لَا تَخْلُقَنَّ لَهُمْ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾
السَّجدة: ١٢، ولا قضائي الَّذي قضيت فيه فيها.

(١٦٨: ٢٦)

الطُّوسِي: معناه أَن الَّذي قدَّمته إليكم في الدنيا
من أَنِّي أَصَافُ من جَعَدْتَنِي وكَذَّبَ برسلي وعَاقَبْتَنِي في
أَمْرِي، لا يُبَدِّلُ بغيره، ولا يكون خلافه. (٣٦٨: ٩)
مثله الطَّبْرِي.

(١٤٧: ٥)

ابن عَطِيَّة: ما يكذبُ لديّ، لعلمي به. (١٦٥: ٥)
الأمر.

الفخر الرازِي: [بعد بيان المراد بكلمة القول قال:]
في (ما يُبَدِّلُ) وجوه أيضاً: أحدها: لا يكذبُ قديماً

ولا يفتري بين يديّ، فإنِّي عالمٌ علمتُ مَنْ طعنَ وَمَنْ
أطعنَ، وَمَنْ كان طاعِياً وَمَنْ كان أَطعنَ، فلا يغيِّدُكم
قولكم: أَطعناني شيطانِي، ولا قول الشَّيْطَانِ: ﴿وَرَبَّنَا
مَّا أَظْهَرَكُنَّ﴾ ق: ٢٧.

ثانيها: إشارة إلى معنى قوله تعالى: ﴿أَرْجِعُوا
وَرَاءَكُمْ فَأَلْثَمُوا نُورًا﴾ الحديد: ١٣، كأنه تعالى
قال: لو أردتم أَن لا أقول: ﴿فَأَلْثَمُوا فِي الْغُلَابِ
الشَّيْءَ﴾ ق: ٢٦، كنتم بذكرهم هذا من قبل، بتبدل
الكفر بالإيمان قبل أَن تقفوا بين يديّ، وأما الآن فما يُبَدِّلُ
القول لديّ، كما قلنا في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا
لَدَيَّ﴾ ق: ٢٨، المراد أَن اختصاصكم كان يجب أَن يكون

قبل هذا، حيث قلت: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا﴾ فاطر: ٦.

ثالثها: معناه لا يُبَدِّلُ الكفر بالإيمان لديّ، فإنَّ الإيمان
عند اليأس غير مقبول، فقولكم: رَبَّنَا وإِنَّا، لا يغيِّدُكم.
فإن تكلم بكلمة الكفر لا يغيِّدُ قوله: رَبَّنَا ما أفسرنا
وقوله: رَبَّنَا آمَنَّا.

وقوله تعالى: ﴿مَّا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ﴾ إشارة إلى نفي
الحال، كأنه تعالى يقول: ما يُبَدِّلُ اليوم لديّ القول، لأنَّ
(ما) ينفي بها الحال إذا دخلت على الفعل المضارع، يقول
القاتل: ماذا تفعل هكذا يقال: ما أقبل شيئاً، أي في
الحال.

وإذا قال القاتل: ماذا يفعل هكذا يقال: لا يفعل
شيئاً، أو ن بضم شيئاً، إذا أريد زيادة بيان النفي.
فإن قيل: هل فيه بيان سنويّ يفيد افتراق «ما»
في (ما يُبَدِّلُ)؟

قول: نعم، وذلك لأنَّ كلمة «لا» أدلُّ على النفي،
لكونها موضوعة للنفي، و«ما» في معناه كالتنهي خاصة،
لا يفيد الإيجاب إلا بطريق المنفرد أو الإظهار، وبالمجمل
فبطريق الجاز كما في قوله: (لَا أَقْبِمُ). وأما «ما» فغير
متمحضة للنفي، لأنها ولادة لغيره من المعاني حيث
تكون اسماً، والثني في الحال لا يفيد النفي المطلق، لجواز
أَن يكون مع النفي في الحال الإيجاب في الاستقبال، كما
يقال: ما يفعل الآن شيئاً وسيُفعل إن شاء الله، فاعتصم
بما لم يتمحض نفيّاً، حيث لم تكن متمحضة للنفي،
لا يقال: إنَّ «لا» لثني في الاستقبال والإيجاب في الحال،
فاكتفى في الاستقبال بما لم يتمحض نفيّاً، لأنَّنا نقول: ليس

كذلك، إذ لا يجوز أن يقال: لا يفعل زيد ويفعل الآن.
نعم يجوز أن يقال: لا يفعل غداً ويفعل الآن. لكون
قولك: غداً يجعل الزمان مميزاً، فلم يكن قولك: لا يفعل.
للشيء في الاستقبال، بل كان للشيء في بعض أزمنة
الاستقبال، وفي مثالنا قلنا: ما يفعل وسيفعل. وما قلنا:
سيفعل غداً وبعد غدٍ، بل هاهنا غيبنا في الحال وأثبتنا في
الاستقبال، من غير تمييز زمان من أزمنة الاستقبال عن
زمان. ومثاله في العكس أن يقال: لا يفعل زيد، وهو
يفعل من غير تعيين وتييز، ومعلوم أن ذلك غير جائز.
(٢٨: ١٧٠)

التيهاوي: أي يوقع الخلف فيه، فلا تظن أن
أهلك وعهدي، وهو بعض المذنبين لبعض الأسباب
ليس من التبديل، فإن دلائل العفو تدل على تعليل
الوحيد. (٢: ١٦٦)

مثله الكاشاني.

النسفي: أي لا تظنوا أن أهلك قولي ووعدتي
بإدخال الكفار في النار. (٤: ١٧٩)

الشربيني: أي يغير بوجه من الوجوه. (٤: ٨٧)
البروسوي: أي لا يغير قولي في الوعد والوعد،
فما يظهر في الوقت هو الذي قضيته في الأزل، لا يهدك له.
والعفو عن بعض المذنبين - لأسباب داعية إليه - ليس
بتبديل، فإن دلائل العفو تدل على تخصيص الوعد،
يعني ولا تقتصر في حق الكفار، فالوعد على حرمه في
حقهم.

قال الجلال الدواني في «شرح الضمة»: ذهب بعض
العلماء إلى أن الخلف في الوعد جائز على الله تعالى لاني

الوعد، وهذا وردت السنة حيث قال ﷺ، من وعد
لأحد على عمله ثواباً فهو منجز له، ومن أوعده على
عمله عقاباً فهو بالخيار، والعرب لا تعد عيباً ولا خلفاً أن
يعد شيئاً ثم لا يفعله، بل ترى ذلك كرمًا وفضلًا، وإنما
الخلف أن يعد شيئاً ثم لا يفعله. [ثم استشهد بنصر]

وأحسن يحى بن سعاد رضي الله عنه في هذا المعنى،
حيث قال: الوعد والوعد حق، فالوعد حق العباد على
الله، ضمن لهم إذا فعلوا ذلك أن يُعطيه كذا، ومن أول
بالوفاء من الله والوعد حقه على العباد، قال: لا تغفلوا
كذا فأعطاكم، ففعلوا، فإن شاء عفا وإن شاء أخذ، لأنه
حقه، وأولاهما العفو والكرم، لأنه خفور رحيم، لما
قال لا يظن أن يُشرك به فينجز وعده في حق
المخبرين، وينقر ما دون ذلك لمن يشاء، فيجوز أن
يخلف وعده في حق المؤمنين، ولأهل الحقائق كلام آخر
مستور في حقه، حافظنا الله وإياكم من هلاكه. (٩: ١٢٥)

قُبر: أي لا يقع خلاف وعدي للكفرة. (٦: ٧٣)
عبد الكريم الخطيب: أي أنه لا ينقض هذا
الحكم الذي قضى الله به في أهل الضلال، ولن تنفع
الظالمين سطرهم، ولا هم يستنجون. (١٣: ٤٨٦)
عبد المنعم الجبال: ما يغير لقول الذي وعده
لكم عدي. (٤: ٢٩٣٤)

تبدل

يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا
لِلْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.
إبراهيم: ٤٨
النبي ﷺ: في حديثه قال له اليهودي: أين

يكون الناس ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾؟ فقال: «في الظلمة دون الجسر».

في حديث مثل عنه: أين يكون الناس يومئذ؟ قال: «على المضراط».

كتب الأخبار: تصير السماوات جنائاً، ويصير مكان البحر النار، وتبدل الأرض غيرها.

(الطبرسي ٣: ٣٢٥)

أبو أيوب الأنصاري: أتى النبي ﷺ خبر من اليهود، فقال: أرويت إذ يقول الله تعالى في كتابه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ فأين المخلق عند ذلك؟ فقال: أضياف الله، فسلن يسجزهم مالدیه.

ابن عباس: أي في يوم تغير الأرض حال. سوى هذه الحال، وتبدلها: أن يزداد فيها من بعض منها. ويستوي جهاتها وأوديتها، ويقال: تبدل الأرض غير هذه الأرض، ﴿وَالسَّمَوَاتُ تَطْوِيْنَ بِتَبَعِهِ﴾ الزمر: ٦٧ (تنوير المقياس: ٢١٥)

الطوسي: التبديل: التعبير برفع الشيء إلى بدل. وقيل: إن تبديل الأرض بغيرها برفع الصورة التي كانت عليها إلى صورة غيرها.

وقوله: ﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾ تقديره: تبدل السماوات غير السماوات، وحذف لدلالة الكلام عليه. وقيل: تبديل الأرض بتغيير الجبال وتغيير بحارها، وكونها مستوية ﴿وَلَا تَرَىٰ لَهَا عِزًّا وَلَا أَمَانًا﴾ طه: ١٠٧.

وتبديل السماوات: انتشار كواكبها، وانفطارها، وتكوير شمسها، وخسوف قمرها.

(٣٠٩: ٦)

البقوي: قيل: معنى التبديل: جعل السماوات جنائاً، وجعل الأرض نيراناً. وقيل: تبديل الأرض: تغييرها من هيئة إلى هيئة، وهي تغيير جبالها، وطمر أنهارها، وتسوية أوديتها، وقطع أشجارها، وجعلها قاعاً صافياً. وتبديل السماوات: تغييرها من حالها بتكوير شمسها، وخسوف قمرها، وانتشار نجومها، وكونها مرة كالذهاب ومرة كالحل.

الفخر الرازي: أعلم أن التبديل يحتمل وجهين: أحدهما: أن تكون الذات باقية، وتبدل صفاتها بصفة أخرى.

والثاني: أن تتغير الذات الأول وتحدث ذات أخرى. والذليل على أن ذكر لفظ «التبديل» لإرادة التغيير في اللغة جائز. أنه يقال: بدلت الخلقة خاتماً، إذا أذهبتها وسويتها خاتماً، فنقلتها من شكل إلى شكل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوَّلَتْ يُدَبِّلُ اللَّهُ سَيَاتِيمَ كَسَنَاتٍ﴾ الفرقان: ٧٠، ويقال: بدلت لبيبي حبة، أي نقلت العين من صفة إلى صفة أخرى، ويقال: تبدل زنتي، إذا تغيرت أحواله. ولما ذكر لفظ التبديل عند وقوع التبديل في الآوات فكقولك: بدلت الدراهم دنانير، ومنه قوله: ﴿وَيَبْدُلْنَاهُمْ جُلُودَهُمْ خَيْرَ حُلِيِّهَا﴾ النساء: ٥٦، وقوله: ﴿وَيَبْدُلْنَاهُمْ بِجَسَدٍ غَيْرِهِمْ﴾ سبأ: ١٦، إذا عرفت أن اللفظ محتمل لكل واحد من هذين المفهومين، ففي الآية قولان:

القول الأول: أن المراد تبديل الصفة لا تبديل الذات. [ثم قل قول النبي ﷺ^(١) وابن عباس إلى أن قال:]

(١) تقدم في مادة الأرض.

وقوله: (وَالسَّمَوَاتِ) أي تُبَدَّلُ السماوات غير السماوات، وهو كقوله ﷺ: «لا يمتلئ مؤمن بكافر، ولا ذرعه في عهده». والمعنى: ولا ذو عهد في عهده بكافر.

وتبديل السماوات بانتثار كواكبها وانفطارها، وتكوير شمسها وخوف قمرها، وكونها أبواباً، وأنها تارة تكون كالمهل وتارة تكون كاللحان.

والقول الثاني: أن المراد تبديل الذات، قال ابن مسعود: تُبَدَّلُ بَارِضٌ كالفضة البيضاء النقية، لم يُسَفَكْ عليها دمٌ، ولم تُعْمَلْ عليها خطيئة، فهذا شرح هذين القولين.

ومن الناس من رجَّح القول الأول، قال: لأن قوله ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ﴾ المراد هذه الأرض، والتبديل صفة مضافة إليها، وعند حصول الصفة لا بد وأن يكون الموصوف موجوداً، فلما كان الموصوف بالتبدل هو هذه الأرض، وجب كون هذه الأرض باقية عند حصول ذلك التبدل، ولا يمكن أن تكون هذه الأرض باقية مع صفاتها عند حصول ذلك التبدل، وإلا لامتنع حصول التبدل، فوجب أن يكون الباقي هو الذات، ثبت أن هذه الآية تقتضي كون الذات باقية.

والفائلون بهذا القول هم الذين يقولون: إن عند قيام القيامة لا يدم الله الدَّوَاتِ والأجسام، وإنما يعدم صلتها وأحوالها.

واعلم أنه لا يبعد أن يقال: المراد من تبديل الأرض والسماوات هو أنه تعالى يحل الأرض جهنم، ويجعل السماوات الجنة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ إِنَّ

كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ فِيهِ مِثْلُ الْمَطْفَيْنِ: ١٨، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ لَيْسَ فِيهِ مِثْلُ الْمَطْفَيْنِ: ٧، والله أعلم. (١٤٦: ١٩)

نحوه التفاضل (١: ٥٢٥)، والتسلي (٢: ٢٦٧)، والثبوت (١٣: ١٣٩)، والحال (٤: ٤٥)، وأبوالشعود (٣: ١٣٧).

القرطبي: واختلف في كيفية تبديل الأرض، فقال كثير من الناس: إن تُبَدَّلُ الأرض عبارة عن تغيير صفاتها، وتسمية آكامها، ونسف جبالها، ومد أرضها، [ثم نقل روايات تدل عليه]

وقيل: اختلاف أحوالها، فمرة كالمهل ومرة كاللحان. حكاه ابن الأنباري. وقد ذكرنا هذا الباب مبني على كتاب «التذكرة»، وذكرنا ما للملها في ذلك، وأن التصحيح إزالة هذه الأرض حسب ما أتيت عن النبي ﷺ. [ثم نقل روايات تدل عليه إلى أن قال:]

فهذه الأحاديث تنص على أن السماوات والأرض تُبَدَّلُ وتزال، ويخلق الله أرضاً أخرى، يكون الناس عليها بعد كونهم على الأرض. (٩: ٣٨٢)

أبو حنيفة: وفُسرَى (تُبَدَّلُ) بالثون، (الأرض) بالنصب، (وَالسَّمَوَاتِ) مخطوف على (الأرض)، وتمر محذوف، أي غير السماوات، حذف لدلالة ما قبله عليه، والظاهر استئناف. (٥: ٤٤٠)

الألوسي: قال الإمام: (الفخر الزاري) لا يبعد أن يقال: المراد بتبديل الأرض: جعلها جهنم، وبتبدل السماوات: جعلها الجنة، وتعقب بأنه بعيد، لأنه يلزم أن تكون الجنة والنار غير الموقعين الآن، والناهي في الكلام

والحديث خلافه.

وأجيب بأن الثابت خلقها مطلقاً لا خلق كائنها، فيجوز أن يكون الوجود الآن بعضها، ثم تصير السماوات والأرض بعضاً منها.

وليه أن هذا وإن صححه لا يقر به، والاستدلال على ذلك بقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِنشَارِ لَهِيَ عِلَّيْنِ﴾ للطَّافَيْنِ: ١٨، وقوله سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ لَهِيَ سِتْرَيْنِ﴾ النُّفُوفِ: ٧، في غاية الغرابة من الإمام، فإن في إشعار ذلك بالمقصود نظر، فضلاً عن كونه دالاً عليه.

نعم جاء في بعض الآثار ما يؤيد ما قاله: فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بن كعب أنه قال في الآية: تصير السماوات جناتاً، ويصير مكان البحر أراضاً، ويُبدل الأرض غيرها. [ثم نقل قول ابن مسعود ورواية النبي وابن عباس بل أن قال:]

ولعل المراد من هذا التبديل نحو خاص منه، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال. وتقديم تبدل الأرض لغريها منها، ولكون تبدلها أعظم أمراً بالنسبة إلينا.

(١٣: ٢٥٤)

عبد المنعم البجّال، وفي معنى هذا التبدل قولان:

أحدهما: أنه تبدل صفاتها لاذواتها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي تلك الأرض إلا أنها تغيّرت في صفاتها، فتصير عن الأرض جبالها، وتنبجر بحارها، وتسمى فلا ترى فيها عوج ولا أمث. وروي عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «يبدل الله

الأرض خير الأرض فيسطها، ويمدّها مدّة الأدم المكالفي فلا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً، كما تبدل السماوات فهو انتشار كواكبها، وطعوس شمسها، وانكدار نجومها، وانشقاق السماء، وكونها تارة كالدهان وتارة كاللؤلؤ.

والقول الثاني: هو تبدل ذواتها، وبه قال جماعة من العلماء، وذلك بأن يخلق الله أرضاً وسماوات أخضر، ويُخرج الخلائق من ظهورهم للصحاب والجوزاء، والوفوف بين يدي الواحد القهار، فلا مستغاث لأحد إلى غير، ولا مستجار سواء.

وقد تركنا نصوصاً من المفسرين لتقدمها في مادة

تبدل

تبدل

١- هُم السُّمَرِيُّ فِي الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

يونس: ٦٤

القرآن: أي لاخلف لوحيد الله.

الطبري: فإنّ معناه، أنّ الله لاخلف لوحيد، ولا تبيّر لقوله عا قال، ولكنه يُضيّ لخلق مواعيده، يمجزها لهم.

الطوسي: معناه الخلف لما وعد الله تعالى من الثواب، بوضع كلمة أخرى مكانها بدلاً منها، لا تبا حق، والحق لاخلف له بوجه.

مثله الطبري.

الزمخشري: لا تبيّر لأحواله، ولا لإخلاف

(١: ٤٧١)

(١١: ١٣٨)

(٥: ٤٦٣)

(٣: ١٢٠)

لمواعيده، كقوله تعالى: ﴿عَاجِلْ أَعِزُّ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ ق: ٢٩.

(٢٤٢: ٢)

مثله التيساري (١: ٤٥٢)، والتيساري (١١: ١٠٠).

وأبو حيان (٥: ١٧٥)، والشمس (٢: ٢٨).

والكاشاني (٢: ٤١٠)، وشهر (٣: ١٧١).

ابن عطية: يريد لا تخلف لمواعيده، ولادة في أمره.

وقد أخذ ذلك عبد الله بن عمر عن غير هذا،

وجعل التبدل المنفي في الألفاظ، وذلك أنه روى: أن

الحجاج بن يوسف خطب فأطال خطبته حتى قال: إن

عبد الله بن الزبير قد بذل كتاب الله، فقال له عبد الله بن

عمر: إنك لا تطيق ذلك أنت ولا ابن الزبير، ﴿لا تبدل﴾

ليكن كتاب الله، فقال له الحجاج: لقد أعطيت علياً،

انصرف إليه في حاجته سكت عنه، وقد روي هذا الخبر

عن ابن عباس في غير مقالة الحجاج، فيكون

البخاري، (٣: ١٢٩).

القرطبي: أي لا تخلف لوعده، وقيل: لا تبدل

لأخباره أي لا يسخنها بشيء، ولا تكون إلا كما

قال، (٨: ٣٥٩).

الغازي: يعني: لا تخلف لوعده الذي وعده به

أولياءه وأهل طاعته في كتابه وصل السنة رأسه،

ولا تنير لذلك الوعد، (٣: ١٦٢).

أبو السعود: لا تفسد لأحواله التي من جعلها

مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين، فيدخل فيها

البشارات الواردة هاهنا دخولاً أولياً، وبشئ امتناع

الإخلاف فيها نبوتاً قطعياً، وصل تقدير كونه المراد

به البشري، الرؤيا الصالحة، فالمراد بعدم تبدل كلماته

تعالى ليس عدم الخلف بينها، وبين نتائجها الدنيوية

والآخروية، بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها

ووقوعها فيها سيأتي بطريق الوعد، من قوله تعالى: ﴿وَلَمْ

يُخْلَفْ﴾، القدر، (٢: ٣٢٨).

البروسوي: في «التأويلات التجميعية»: لا يتغير

أحكامه الأزلية، حيث قال للولي: كن ولياً، وللمدو: كن

مدو، وكانوا كما أراد للحكمة البالغة، فلاتغير لكلمة

الولي وكلمة المدو، (٤: ٦٢).

الأكوسي: [بعد نقل كلام أبو السعود قال:]

ولم يظهر لي وجهه بعد التدبر، والمشهور أن الرؤيا

الصالحة لا يتخلف ما دل عليه، (١١: ١٥٢).

محمد جواد مغنيتي: ﴿لا تبدل ليكن كتاب الله﴾

أن الله لا يتخلف وعده، وإذا أراد شيئاً فلا راد لمشيئته:

﴿وَمَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُصْغِرْ فَلَا تَكُنْ فِيهِ أُكُوفٌ﴾، (٤: ١٧٤).

عبد المنعم الجمال: لا تخلف لوعده الله، بل قوله

الحق ووعد الصدق.

﴿لا تبدل ليكن كتاب الله﴾ جملة اعتراضية، أتى الله

بها ليمرس في قلوب المؤمنين أن وعده محقق، وأن

البشارات ستحقق، وما قاله الله في الآية من بشارات في

الذكرين هو الفوز العظيم، وليس بعده فوزاً أهلاً.

(٢: ١٣٦٩).

٢- فَأَيُّمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِصَلَاتِي لَكُمْ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ وَلَكِنَّ

أَكْثَرُ أَثَانٍ لَا يَهْلُسُونَ.

الزوم: ٣٠

الشيء فاطر: ٤٣.

ابن قتيبة: أي لا تتغير لما فطرهم عليه من ذلك.

(٣٤١)

الْبَيْضَاوِيُّ: لا يقدر أحد أن يغيره، أو ما ينبغي أن

(٢٢٩: ٢)

يغيره.

تَبْدِيلًا

١... فَمَنْ يَنْظُرُونَ إِلَّا عِثَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَحْدِثَ

لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَحْدِثَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.

فاطر: ٤٣

الطَّبْرَقِيُّ: يقول: فلن نعيد يا محمد لسنة الله تغييرًا.

(٢٢: ١٦٦)

الْكُرْمَانِيُّ: قوله: ﴿فَلَنْ نَحْدِثَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾

وَلَنْ نَحْدِثَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فاطر: ٤٣، كرر وقال في

الفتح: ٢٣ ﴿وَلَنْ نَحْدِثَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، وقال في

سبحان (١): ٧٧: ﴿وَلَا نَحْدِثُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾.

التبديل: تغيير الشيء مما كان عليه. قيل: مع بقاء

مادة الأصل، كقوله تعالى: ﴿يَبْدُلُ كُنُوزَهُمْ خَيْرًا﴾

النساء: ٥٦، وكذلك: ﴿يُبْدِلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ

وَالسَّمَوَاتِ﴾ إبراهيم: ٤٨.

والتحويل: نقل الشيء من مكان إلى مكان آخر.

وسنة الله سبحانه لا تبدل ولا تحوّل، فخص هذا الموضع

بالجمع بين الوصفين، لما وصف الكفار بوصفين، وذكر

لهم خرضين، وهو قوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ

عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا عَذَابًا وَالْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾

فاطر: ٢٩، وقوله: ﴿إِشْرَاقًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ

وقيل: ما بدلان من (تُفَوَّرًا)، فكما تنق الأول

والثاني تنق الثالث، ليكون الكلام كله على شرط واحد.

وقال في الفتح: ٢٣: ﴿وَلَنْ نَحْدِثَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾

فاقتصر على مرة واحدة لما لم يكن للتكرار موجب.

وخص سبحانه بقوله: (تَحْوِيلًا) لأن قريشًا قالوا

لرسول الله ﷺ: لو كنت نبيا لذهبت إلى الشام، فأتها

أرض المبت والمختار. هم النبي ﷺ بالذهاب إليها، فأتها

أسباب الرحيل والتحويل، فذل جبريل عليه السلام بهذه

الآيات ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجَنَّكَ

بَنَاتُكَ﴾ الإسراء: ٧٦، وختم الآيات بقوله: (تَحْوِيلًا)

(١٦٥)

تحويلا للمعنى.

الطَّبْرَقِيُّ: أي لا يغير الله حادثه من عقوبة من كفر

بسنه وجحد ربه، ولا يبدلها.

فالتبديل: تغيير الشيء مكان غيره، والتحويل:

تغيير الشيء في غير المكان الذي كان فيه، والتغيير:

تغيير الشيء على خلاف ما كان. (٤: ٤١٢)

الفخر الرازي: التبديل: تحويل، فما الحكمة في

التكرار

نقول: بقوله: ﴿فَلَنْ نَحْدِثَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ فاطر:

٤٣، حصل العلم بأن العذاب لا تبدل له بغيره، وقوله:

﴿وَلَنْ نَحْدِثَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ حصل العلم بأن العذاب

مع أنه لا تبدل له بالثواب، لا يتحوّل عن مستحقّه إلى

غيره، فيتم تهديد المسيء. (٢٦: ٣٥)

ابن كثير: أي لا تتغير ولا تبدل، بل هي جارية

على أساس الحكمة التي عليها يدور ظلك التشريع، أو لا يقدر أحد على أن يبدلها، لأن ذلك مفعول له لا محالة.

وفي الآية تهديد للمنافقين عبارة، ومن يصددهم من منافقي أهل الطلب من المصوفة والمعرفة، الذين يلبسون في الظاهر ثيابهم، ويمتسبون في الباطن بما يخالف سيرتهم وسرائرهم، وأنهم لو لم يستعزوا عن أفعالهم ولم يتخفروا عن أحوالهم، لأجرى بهم سته في التبديل والتغيير على من سلف من ظواهرهم، ولكل قوم عقوبة بحسب جنائهم. (٢٤٢: ٧)

الألوسي: لا يبتناها على أساس الحكمة فلا يبدلها هو جل شأنه، وهيات هيات أن يغير غيره سبحانه على تبدلها.

ومن سبر أخبار الماضي وقف على أمر عظيم، في سوء معاملتهم المفسدين فيما بينهم، وكان الطباع موصولة على سوء المعاملة معهم وقهرهم. (٩٢: ٢٢)

٢٣ سُئِلَ اللَّهُ أَيُّ قَدِّ خَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ شَيْئًا يُجَدِّدُهَا
التبديلا. الفتح: ٢٣

ابن عباس: تحويلاً. (تنوير المقياس: ٤٣٣)
الطبري: يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنّها في خلقه تغييراً، بل ذلك دائم، للإحسان جزاؤه من الإحسان، وللإساءة والكفر العقاب والتكال. (٩٢: ٢٦)

الألوسي: والتبديل: رفع أحد الشيئين وجعل الآخر مكانه، في ما حكم أن يستمر على ما هو به، ولو رفع الله حكماً يأتي بخلافه لم يكن تبدلاً لحكمه، لأنه

لا يرفع شيئاً إلا في الوقت الذي تقتضي الحكمة رفعه.

(٣٢١: ٩)

الشريني: أي تغييراً من منير ما يغيرها بما يكون بدلاً. (٤٩: ٤)

البزوصوي: أي تغييراً ينقل القلبية من الأنبياء إلى غيرهم. [ثم استشهد بشعر] (٤٢: ٩)

لَا يُبَدَّلُ

...وَلَا يُبَدَّلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ
السُّرَتَلِينَ. الأنعام: ٣٤

ابن عباس: لا يغير لكلمات الله، بالنصرة لأوليائه (تنوير المقياس: ١٠٨)

(١٨٣: ٧)

الطبري: لا يغير الله وعده، ولا يبدل أوليائه. (٢٤٣: ٢)

الألوسي: مناد: لأحد يقدر على تكذيب خبر

الله على الحقيقة، ولا على إخلاف وعده، فإن ما أخبر الله به أن يخل بالكفار، فلا بد من كونه، لا محالة، وما وعدك به من نصرته، فلا بد من حصوله، لأنه لا يجوز الكذب في أخباره، ولا الخلف في وعده، وقيل: مناد أنه لا يبدل لمحجبه وبراهينه، ولا مفد لأدلته. (١٣٠: ٤)

مثل: الطبري: (٢٩٥: ٢)

البغوي: لا تنقض لما حكم به، وقد حكم في كتابه بنصر أنبياءه، فقال: «وَلَقَدْ مَنَعْتُ كَلِمَتَنَا لِيُعَادِنَا السُّرَتَلِينَ» إِنْهُمْ لَهُمُ الْمُشْكُورُونَ «وَلَنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْخَالِفُونَ» الصادقات: ١٧١ - ١٧٣، وقال: «وَأَنَا

لَتَنْصُرُنَا وَرُسُلَنَا» المؤمن: ٥١، وقال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ
لَأَطْلِقَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ المجادلة: ٢٦.

وقال المحسن بن الفضل: لا خلف ليدته. (١٠٧: ٢)
مثله الخافض.

ابن عطية: أي لارادة الأمر، وكلياته التباينات بما
يكون، ولا مكذب لما أخبر به، فكان المعنى: فاصبر كما
صبروا وانتظر ما يأتي، ونق بهذا الإخبار فإنه لا مبدل
له، فالقصد هنا هذا الخبر، وجاء اللفظ عامًا لجميع
كليات الله التباينات.

وأما كلام الله عز وجل في التوراة والإنجيل، فذهب
ابن عباس أنه لا مبدل لها. وإنما حرّفها اليهود بالتأويل
لا يبدل حروف وألفاظ، وجوز كثير من العلماء
يكونوا بدّلوا الألفاظ، لأنهم لم يحتفظوا، وهذا القول
وأما القرآن فإن الله تعالى تضمن حقيقته فلا يجوز
فيه التبدل. قال الله تعالى: ﴿وَأَنبَأْنَاهُ أَنَّهُ يُكَذِّبُ
الْمُجْرِمِينَ: ٩، وقال في أولئك: ﴿وَمَا اسْتَفْتِيَهُمْ مِنْ كِتَابِ
لَهُ﴾ المائدة: ٤٤.

ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ لِكَلِمَاتِ
اللَّهِ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: لا تخلف لواعيده، قاله ابن عباس.
والثاني: لا مبدل لما أخبر به وما أمر به. قاله الزجاج.
والثالث: لا مبدل لحكماته وأفضيته الشافعية في
عباده، فبهتت الكلمات عن هذا المعنى كقوله: ﴿وَلَكِنْ
حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ المزمر: ٧١، أي
وجب ما أفضي عليهم. فلي هذا القول والذي قبله،
يكون المعنى لا مبدل لحكم كلمات الله، ولا ناقض لما

حكم به، وقد حكم بنصر أنبيائه بقوله: ﴿لَأَطْلِقَنَّ أَنَا
وَرُسُلِي﴾ المجادلة: ٢٦.

والرابع: أن معنى الكلام معنى التهيي، وإن كان
ظاهرة الإخبار، فالمعنى لا يبدل أحد كلمات الله، فهو
كقوله: ﴿لَأَنبِئَنَّ بِيَوْمِ﴾ البقرة: ٢.

والخامس: أن للمعنى لا يقدر أحد على تبدل كلام
الله، وإن زخرف واجتهد، لأن الله تعالى صانه برصين
اللفظ وقهرم الحكم، أن يندلط باللفظ أهل الزيف، ذكر
هذه الأقوال الثلاثة ابن الأنباري. (٣١: ٣)

القرطبي: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ مبين لذلك
التصر، أي ما وعد الله عز وجل به، فلا يقدر أحد أن
يدفعه، لأننا نقض لحكمه ولا تخلف لوعده. (٤١٧: ٦)
الآلوسي: ظاهر الآية أن أحدًا غيره تعالى
لا يستطيع أن يبدل كلمات الله عز وجل، بمعنى أن يفعل
خلاف ما دلت عليه، ويحول بين الله عز اسمه وبين تحقيق
ذلك، وأما أنه تعالى لا يبدل فلا تدل عليه الآية، والذي
دلت عليه النصوص أنه سبحانه ربما يبدل الوعيد
ولا يبدل الوعد. (١٢٧: ٧)

رشيد رضا: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ في وعد،
ووعيد، التي منها وعده للرسول بالتصر، وتوعده
لأعدائهم بالقلب والخذلان، ولا في غير ذلك من
القرائن والسنن التي اقتضتها الحكمة.

والمراد من هذه الكلمات هنا قوله في سورة
الصافات: ١٧١ - ١٧٣: ﴿وَلَقَدْ سَبَّحْتَ كَلِمَتَنَا لِيُعَادِنَا
الْمُزْعِلِينَ﴾ إِيَّاهُمْ هُمْ الْمُتَحَوِّزُونَ ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمْ
الْمُكَافِرُونَ﴾ اقرأ الآيات إلى آخر السورة، فلي جنس

المُبدَّل لكلمات الله، مثبت لكلمته في نصر المرسلين
بالدليل، أي إنَّ ذلك النصر قد سبقت به كلمة الله،
وكلمات الله لا يمكن أن يبدلها مبدِّل، فنصر المرسل حتم
لا بد منه.

وكلمات الله جنس يشمل كلمات الإخبار وإنشاء
الأحكام، كما سيأتي في تفسير ﴿وَقَدْ كَلَّمْنَا زَكَرِيَّا إِذْ
وَعَدْنَا لآلِ هَارُونَ بِكَفَيَّاتِهِ﴾ الأنعام: ١١٥، من هذه
السورة.

وإضافة للكلمات هنا إلى الاسم الأجل الأعظم،
تشمع بعلة القطع بأنه لا مبدِّل لها، لأنَّ المبدِّل لكلمات
غيره لابد أن تكون قدرته فوق قدرته، وسلطانه أعلى
من سلطانه، والتبديل عبارة عن جعل شيء بدلاً من
شيء آخر، وتبديل الأحوال والكلمات نوحان:
تبديل ذاتها، بجعل قول مكان قول، وكلمة مكان
كلمة، ومنه ﴿لَتَبَدِّلَ اللَّهُ بَآئِنَاتِ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: ٥٩.

وتبديل مدلولها ومضمونها، كمنع نغز الوعد
والوعد، أو وقوعه على خلاف القول الذي سبق،
والتكلمون الذين يجوزون إغلاف الوعد بقولون:
إنَّه أن يبدل ما شاء من كلماته، وإلما يستحيل ذلك على
غيره، وتبديله إياها لا يشمل التثني في الآية.

لأن قيل لهم: قد يشمل ما هو أهم منه في هذا المعنى،
كقوله تعالى في سورة ق: ٢٩: ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾
قالوا: إنَّ التصوُّص الولودة في الغر تخلص العام من
تصوُّص الوعد، لو: لا تسلَّم أنَّ الغر عن بعض المنفذين
من قبول التبديل. (٣٧٨: ٧)

التراخي: أي إنَّ ذلك النصر قد سبقت به كلمة
الله، في مثل قوله: ﴿وَلَقَدْ تَبَيَّنَّا قَلِيلًا مِّنَ الْغُلَامِ﴾
المؤمن: ١٧١، ﴿وَلَقَدْ جَاءَنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾
التكوير: ١٧٢.

[ثم ذكر مثل رشيد رضا وأضاف:]

ثم أكد سبحانه عدم التبديل بقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَنَا
مِنْ تَبَائِ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام: ٣٤، أي ولقد جاءك
ذلك الذي أشير إليه، من خبر التكميل والتبديل
من نبي المرسلين، الذي قصصناه عليك من قبل، فقد
دوي: أن سورة الأنعام نزلت بين سور الشعراء والنحل
والقصص وهوو والحجر المشتلة على نبي المرسلين

وكما وعد الله رسوله بالتصريح وعهد المؤمنين به، نحو
قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا
كَانُوا فِيهَا﴾ الروم: ٤٧، (١١٢: ٧).

الطَّبَائِعَاتِي: ووقع المبدِّل في قوله: ﴿وَلَا تَبَدِّلْ
كَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ الأنعام: ٣٤، في سياق التثني، يعني أي
مبدِّل مفروض، سواء كان من ناحية تعالى، بأن يبدِّل
شيءه في خصوص كلمة، بأن يحوها بعد إثباتها، أو
ينقضها بعد إبطالها، وكان من ناحية غيره تعالى، بأن
يظهر عليه ويظهره على خلاف ما شاء، فيبدِّل ما أحكم
وبغيره بوجه من الوجوه.

ومن هنا يظهر أنَّ هذه الكلمات التي أنبأ سبحانه من
كونها لا تقبل التبديل أسرار خارجة عن لوح المسو
والإجابات، فكلمة: الله وقوله وكذا وعده، في حرف

وإن أمكن التغيير والتبديل في اللفظ كما يبدل أهل الكتاب التوراة والإنجيل، فإنه لا يمتنع بذلك.

قال: وقد تطلق الكلمة بمعنى الحكم، قال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ يونس: ٣٣، أي حكم ربك، ويقال: حقوبه ربك، وقال النبي ﷺ في صفة النساء: إتهنَّ حوان عندكم، استعظمتن فزوجهن بكلمة الله تعالى.

وفيل: معناه أن القرآن محروس من الزيادة والنقصان، فلا ملحق لشيء منه، وذلك أن الله تعالى ضمن حفظه في قوله: ﴿وَأَنَا لَهُ نَافِذُونَ﴾ الحجر: ٩.

ولا يجوز أن يعني بالكلمات الشرائع، كما عني بقوله: ﴿وَصَدَقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ للشعرم: ١٢، لأن الشرائع قد يجوز فيها التسخيف والتبديل. (٢: ٣٥٤) الفخر الرازي: وفيه وجوه:

الأول: أنا بيتا لأن المراد من قوله: ﴿وَصَدَقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾، أنها ثابتة في كونها معجزة دالة على صدق محمد ﷺ.

ثم قال: ﴿لَا مَبْدَلُ لِكَلِمَاتِي﴾، والمعنى أن هؤلاء الكفار يلقون الشبهات في كونها دالة على صدق محمد عليه الصلاة والسلام، إلا أن تلك الشبهات لا تأثير لها في هذه الدلائل التي لا تقبل التبديل أبداً، لأن تلك الدلائل ظاهرة باقية جليلة قديمة، لا تزول بسبب زوابع الكفار وشبهات أولئك الجهال.

والوجه الثاني: أن يكون المراد أنها تبقى مصونة عن التحريف والتغيير، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَأَنَا لَهُ نَافِذُونَ﴾ الحجر: ٩.

القرآن هو القضاء، والمعتمد لا مطمع في تغييره وتبديله، قال تعالى: ﴿قُلْ فَأَلْحِقْ بِالْحَقِّ أَقُولُ﴾ ص: ٨٤، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ الأحزاب: ٤، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يونس: ٥٥، وقال تعالى: ﴿لَا يُؤْتِيكَ اللَّهُ الْهَيْدَةَ﴾ الزمر: ٢٠، وقد مر البحث المستوفى في معنى كلمات الله تعالى، وما يرامفها من الألفاظ في حرف القرآن، في ذيل قوله تعالى: ﴿يُسْمِعُ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ البقرة: ٢٥٣. (٧: ٦٣)

عبد الكريم الخطيب: فذلك هي سنة في الذين خلوا، ولن تتخلف آثارها في حاضر أو مستقبل، فإن أحكام الله لا تنقض، وكلماته لن تتبدل. (٤: ١٦١)

٢- وَصَدَقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّي صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلُ لِكَلِمَاتِي وَهُوَ الشَّيْبُ الْقَلْبِيُّ. الأسماء: ١٥٥

ابن عباس: يقال: (وَصَدَقْتُ) وجهت بكلمة صادقة بالنصرة لأوليائه (صدقا) في قوله، (وَعَدْلًا) فيما يكون (لَا مَبْدَلُ): لا مغير (لِكَلِمَاتِي) بالنصرة لأوليائه.

(تنوير المقياس: ١١٧)

فتادة: أي لا مغير لأحكامه، (الطبرسي: ٢، ٣٥٤) الطبرسي: لا مغير لما أخبر عنه من خبر أنه كائن، فيبطل مجبه وكونه ووقوعه على ما أخبر جمل تناؤه، لأنه لا يزيد المفترون في كتب الله، ولا يستقصون منها، وذلك أن اليهود والنصارى لا شك أنهم أهل كتب الله التي أنزلها على أنبيائه، وقد أخبر جمل تناؤه أنهم يمزجون غير الذي أخبر: أنه لا مبدل له. (٨: ٩)

الطبرسي: أي لا مغير لأحكامه، من فتادة، لأنه

والوجه الثالث: أن يكون المراد أنها مصوغة من التناقض، كما قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا﴾ النساء: ٨٢.

والوجه الرابع: أن يكون المراد أن أحكام الله تعالى لا تقبل التبديل والزوال، لأنها لازمة، والأزلي لا يزول. وأعلم أن هذا الوجه أحد الأصول الثابتة في إثبات الجبر، لأنه تعالى لما حكم على زيد بالسعادة وعلى عمرو بالشقاوة، ثم قال: ﴿لَا تُهْدَىٰ إِلَيْكَ إِلَهًا﴾ يلزم امتناع أن ينقلب السعيد شقيًا، وأن ينقلب الشقي سعيدًا، فالسعيد من سجد في جن لئمه، والشقي من شقي في جن لئمه.

مثله التيساري.

القرطبي: لا يبدل لما فيها حكم به، أي إنه لا بد من التغير والتبدل في الألفاظ، كما غير أهل الكتاب التوراة والإنجيل، فإنه لا يمتد بذلك. ودلت الآية على وجوب اتباع دلالات القرآن، لأنه حق لا يمكن تبدله بما يناقضه، لأنه من عند حكيم لا يخفى عليه شيء من الأمور كلها.

التيساري: لأحد يبدل شيئًا منها بما هو أصح وأعدل، أو لأحد يقدر أن يبرئها شائئًا دائمًا كما فعل بالتوراة، على أن المراد بها القرآن فيكون شأنها لما من الله سبحانه وتعالى بالخط، كقوله: ﴿وَأَنَّا لَهُ نَاظِرُونَ﴾ الحجر: ٩، أو لاني ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها.

الخازن: يعني: لا مغير لقضائه، ولا راد لحكمه، ولا خالف لمواهبه.

وقيل: لما وصف كلماته بالقسام في قوله: ﴿وَوَعَدْتُكَ نِعْمَتِي﴾ - والقسم في كلام الله لا يقبل النقص والتغيير والتبدل - قال الله تعالى: ﴿لَا تُهْدَىٰ إِلَيْكَ إِلَهًا﴾ لأنها مصوغة من التعريف والتغيير والتبدل، باقية إلى يوم القيامة.

وفي قوله: ﴿لَا تُهْدَىٰ إِلَيْكَ إِلَهًا﴾ دليل على أن السعيد لا ينقلب شقيًا، ولا الشقي ينقلب سعيدًا، فالتعبد من سجد في الأزل، والشقي من شقي في الأزل. وأورد على هذا أن الكافر يكون شقيًا بكفره، فيسلم، فينقلب سعيدًا وإسلامه.

وأجيب عنه بأن الاعتبار بالمخاتمة، فن حتم له بالنعمة كان قد كتب سعيدًا في الأزل، ومن حتم له بالشقاوة كان شقيًا في الأزل، والله أعلم. (١٤٥: ٢) أبو حنيفة: أي لا مغير لأفضيته، ولا يبدل لكلمات القرآن، فلا يفتقها تغيير، لاني المعنى ولا في اللفظ. وفي حرف أبي: لا يبدل لكلمات الله. (٢٠٩: ٤)

القرطبي: ينقض أو يخلف، بل كل ما أخبرت به فهو كائن لا محالة، رضي من رضي وسخط من سخط. وقيل: المراد بالكلمات: القرآن لا يبدل له، لا يزيد فيه للمغيرون ولا ينقصون. (٤٤٦: ١)

الأوسمي: استئناف مبين لفضلها على غيرها، إثر بيان فضلها في نفسها.

وقال بعض المفسرين: إنه سبحانه لما أخبر بهام كلمته وكان القسم يمتد بالنقص خالفه ذكر هذا احتراشًا وبيانًا، لأن تمامها ليس كتمام غيرها.

وجوز أن يكون حالًا من فاعل (تسب) على أن

الظاهر من عن التفسير الزابط.

في جن أمه.

قال أبو البقاء: ولا يجوز أن يكون حالاً من (نك) ثلثاً يفصل بين الحال وصاحبها بأجنبي، وهو (صدقاً وعدلاً) إلا أن يجملا حالين منه أيضاً.

والمنع لأحد يدل شيئاً من كليته بما هو أصدق وأعدل منه، ولا بما هو مثله، فكيف يتصور ابتداء حكم غيره تعالى، والمراد بالأصدق: الأبهين والأظهر صدقاً، فلا يرد أن الصدق لا يقبل الزيادة والنقص، لأن النسبة إن طابقت الواقع فصدق وإلا فكذب.

وذكر الكرماني في حديث: «أصدق الحديث» إلخ أنه جعل الحديث كمتكلم فوصف به، كما يقال: وثبت أصدق من غيره، والمتكلم يقبل الزيادة والنقص في ذلك.

وقيل: المعنى لا يقدر أحد أن يمرّ بها شائناً، كما قيل بالثبوت، فيكون هذا ضابطاً من سبحانه بالحفظ، كقولهم: «إنا نحن نرثها الذكور وإنا له لحافظون» الحجر: ٩، أو لانهي ولا كتاب بعدها يُبدلها وينسخ أحكامها. وعيسى عليه السلام جعل بعد النزول بها لا ينسخ شيئاً كما حقق في محله.

وقيل: المراد إن أحكام الله تعالى لا تقبل التبدل والزوال، لأنها أزلية والأزلي لا يزول.

وذعم الإمام (القنبر الرازي) [أن الآية على هذا أحد الأصول القوية في إثبات الجبر، لأنه تعالى لما حكم على زيد بالتمادة وعلى عمرو بالشقاوة، ثم قال: «لأنهم يبدلون لكلماتهم» يلزم امتناع أن يغلب التسعيد شيئاً والشيء سيئاً، فالتسعيد: من سيئ في جن أمه، والشيء: من شيء

وأنا أقول: لا يعني أن الشيء في العلم لا يكون سيئاً، والتسعيد فيه لا يكون شيئاً أصلاً، لأن العلم لا يتعلّق إلا بما المعلوم عليه في نفسه، وحكمه سبحانه تابع لذلك العلم، وكذا إيجاد الأشياء على طبق ذلك العلم.

ولا يتصور هناك تغير يوجه من الوجود، لأنه عز شأنه لم يتّمسك على القوابل، إلا ما طلبته من جلّ وصلا بلسان استعداده، كما يشير إليه قوله سبحانه: «أغطي كل شئ خلقه» طه: ٥٠، ثم يتصور الجبر لو طلبت القوابل شيئاً، وأفاض عليها عز شأنه ضده، والله سبحانه أعدل وأعدل من ذلك.

رشيد وضاء، والتعديل: التغيير بالبدل، وهذه الجملة تعليل لما قبلها، والمعنى: أن كلمة الله تعالى في نصرته أنها الرسول، وخذلان أعدائه قد تمت، وأصبح كل واحد من خلقه لا يملك لها، إذ لا يستطيع أحد من خلقه - وكلّ ما عداه فهو من خلقه - أن يزيل كلمة من كلماته بكلمة أخرى تخلّفها، أو يمنع صدقها على من وردت فيهم، كأن يجعل الوعد وعيداً أو الوعيد وعداً، أو يصرفها عن الموعد بالقوابل أو الموعد بالمعقاب إلى غيرهما، أو يحول دون وقوعها أبداً.

فإن قيل: إن بعض المتكلمين جوّز تخلّف الوعيد دون الوعد، لأنه فضل وإحسان.

قلنا: لم يجوز أحد من محققي أهل الحقّ تخلّف الوعيد مطلقاً، بل صرحوا بأن من أصول العقيدة أن نفوذ الوعيد في الكفار وفي طائفة من عصاة المؤمنين حق،

وإنما قيل: يتخلف شمول الوعيد لجميع العصاة، الذي يدل عليه إطلاق بعض النصوص.

ولنا أن نقول: إن هذا ليس بتخلف، فيقال: إنَّه تبديل لكلمات الله سبحانه، وتكذيب لها، فإنه تعالى لم يرد بتلك الإطلاقات الشمول العام لجميع أفراد من وردت فيهم تلك النصوص، لأنه بين في نصوص أخرى أنه يطو عن بعض الذنوب، ويغفر لمن يشاء من مقرر فيها، ويغذّب من يشاء. وهو يعلم من أراد المغفرة لهم، ومن أراد تعذيبهم، ولا يبدل كلامه في أحد منها. وأبهم ذلك علينا لفرجه دائما. ولا يوقنا العمل الصالح في الثرور والأمن من عذابه فننصر، ونغناه دائما. ولا يوقنا ارتكاب الذنوب في اليأس من رحمة فضلك. وقد أحسن أبو الحسن الشافعي في قوله في هذا المقام: وقد أيسرت الأمر علينا لفرجه ونغناه. ولا يوقنا ولا يوقنا رجاءنا.

فإن قيل: أليس الشفاعة يؤثرون في إرادته تعالى، فيصلونه حل العفو عن المشفوع لهم والمغفرة لهم؟ قلنا: كلا، إنَّ الخلق لا يقدر على التأثير في صفات الخالق الأزلية الكاملة. وقد عطلت الآيات بأن الشفاعة لله جيبا، ليس لأحد من دونه ولي ولا شفيع، ولا يستطيع أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه، وهو لا يأذن إلا لمن تعلقت مشيئته وعلمه في الأزل بالأذن لهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ﴾. فيكون ذلك إظهار كرامة وجاء لهم عنده، لإحداث تأثير للحادث في صفات القديم وسلطان له عليها، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا،

وقد تقدم تحقيق هذه المسألة مراراً

فإن قيل: ألا يدل قوله: ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ﴾ على استحالة التعريف أو التبديل في الكتب الإلهية، أي في نظنها وعبارتها، كاستحالة التبديل في صدقها وقرودها؟ قلنا: إنما ورد السياق والنص في صدقها وعدلها لا في نظنها. وقد أثبت الله في كتابه تحريف أهل الكتاب قبلنا لكلامه، ونسبهم خطأ منه، وما كفل تعالى حفظ كتاب من كتبه بنصه إلا هذا القرآن المجيد، الذي قال فيه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ المبر: ٩. وظهر صدق كفايته بشيخ الألف والكثرة في كل عصر لحفظه عن ظهر قلب، ولكتابة النسخ التي لا تحصى منه في كل عصر، من زمن الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - إلى هذا العصر، وناهيك، بما طبع من ألف الألف من نسخته في عهد وجود الطباعة بمنتهى الدقة والصحيح، ولم يمتنع مثل ذلك لكتاب - إلهي ولا غير إلهي - فأهل الكتاب لم يحفظوا كتب رسولهم في الصدور، ولا في التطور. (٨: ١٧)

٣- وَأَنْتَ خَالِدٌ فِيهَا مِنْكُمْ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدٌ ﴿٢٧﴾

(تنوير المقياس: ٢٤٦)

منه الطبري: (١٥: ٢٣٣)

ابن عطية: ولا يفسر قوله: ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ﴾ أمر النصح، لأنَّ المعنى إنما أن يكون لا يبدل سواء، فتبقى الكلمات على الإطلاق، وإنما أن يكون أراد من

«الكلمات» الخبر ونحوه، مما لا يدخله نسخ.

والإجماع أن الذي لا يتبدل هو الكلام القائم بالذات الذي يحسبه يجري القدر. فأما الكتب المنزلة فمذهب ابن عباس أنها لا تبدل إلا بالتأويل. (٢: ٥١١)

أبو حنيفة: (ولا تبدل) عام، و(يكلمنا) عام أيضا. والخصيص إمّا في لا تبدل، أي لا تبدل له سواء، ألا ترى إلى قوله: «وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ» النحل: ١٠١. وإمّا في كلماته، أي لكلماته المتضمنة الخبر، لأن ما تضمن غير الخبر وقع النسخ في بعضه. وفي أمره تعالى أن يتلو ما أوحى إليه.

وأخبره أنه (لَا تُبَدَّلُ الْكَلِمَاتُ) إشارة إلى تبدل المتأخرين في أهل الكهف، وتحريف أخبارهم.

(النهر الماد ١: ١٦٦)

الشريبي: أي لا أحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره.

وقال بعضهم: مقتضى هذا أن لا يطرق النسخ إليه. وأجاب بأن النسخ في الحقيقة ليس تبديلاً، لأن المنسوخ ثابت في وقته إلى وقت طريان النسخ. فالنسخ كالمناير فكيف يكون تبديلاً؟ وهنا لا يحتاج إليه مع التفسير المذكور. (٢: ٣٧١)

القاسمي: أي لا يغير لها ولا يحرف ولا مزيل.

(١١: ٤٠٤٩)

تَبَدَّلَ

لَا يُحِيلُ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْهُنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا. الأحزاب: ٥٢

أبو هريرة: كان التبدل في الجاهلية أن يقول للرجل للرجل: أنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك. (القرطبي ١٤: ٢٢٠)

مجاهد: (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ) بالمسلمات غيرهن من النصارى واليهود والمشركين. (الطبري ٢٢: ٣٦) الضحك: لا يصلح لك أن تطلق شيئاً من أزواجك ليس يجهك، فلم يكن يصلح ذلك له.

(الطبري ٢٢: ٣٦)

ابن زيد: كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم، يعطي هذا امرأته هذا ويأخذ امرأته. فقال:

«لَا يُحِيلُ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْهُنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» لا بأس أن

تبادل بجارياتك ما شئت أن تبادل، فأما العرائر فلا. قال:

«لَا تَبَدَّلْ مِنْهُنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ» الجاهلية. (الطبري ٢٢: ٣٦) هذا شيء كانت العرب تفعله، يقول أحدهم: أخذ زوجتي وأعطيت زوجتك. (القرطبي ١٤: ٢٢٠)

الطبري: قال أبو رزين: لا يحل لك أن تتزوج من المشركات إلا من سببت فملكته يمينك منها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا أن تبدل بأزواجك اللواتي هن في حبالك، أزواجاً غيرهن. بأن تطلقهن، وتنكح غيرهن.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا أن تُبادل من أزواجك غيرك، بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ولا أن تطلق أزواجك، فتستبدل بهن غيرهن.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ولا أن تطلق أزواجك، فتستبدل بهن غيرهن.

لأزواجها.

وأما قلنا ذلك أولى بالصواب، لما قد يتأهل من أن
قول الذي قال: معنى قوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ
بَعْدِهِ﴾ لا يحل لك اليهودية أو النصرانية والكافرة، قول
لا وجه له.

فإذا كان ذلك كذلك، فكذلك قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبْدُلَ
بِهِنَّ﴾ كافرة، لا معنى له، إذ كان من المسلمات من قد
حُرِّمَ عليه بقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ الذي
دللنا عليه قبل.

وأما الذي قاله ابن زيد في ذلك، أيضا، فقول لا معنى
له، لأنه لو كان بمعنى المبادلة لكانت القراءة والتنزيل:
ولأن يُبادِلَ بهنَّ من أزواج، أو ولأن تُبدَلَ بهنَّ، بغير
الثاء. ولكن القراءة الجمع عليها: ﴿وَلَا أَنْ تَبْدُلَ بِهِنَّ﴾
بفتح الثاء، بمعنى: ولأن تستبدل بهنَّ، مع أن الذي ذكر
ابن زيد من فعل المجاهلية غير معروف في لغة العرب، وكيف
الأمم أن يُبادِلَ الرجل آخر بامراته الحرّة، فيقال: كان
ذلك من فعلهم؛ فتُهي رسول الله ﷺ عن فعل مثله.

فإن قال قائل: أعلم يكن لرسول الله ﷺ أن يتزوج
امراة على نسائه اللواتي كن عنده، فيكون موجبها تأويل
قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبْدُلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ إلى ما تأولت؟
أو قال: وأين ذكر أزواجه اللواتي كن عنده في هذا
الموضع، فتكون الهاء من قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبْدُلَ بِهِنَّ﴾
من ذكرهن، وتوهم أن الهاء في ذلك هائجة على النساء،
في قوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِهِ﴾؟

فيل: قد كان لرسول الله ﷺ أن يتزوج من شاء من
النساء اللواتي كان الله أحلّهنَّ له، على نسائه اللاتي كنَّ

عنده يوم نزلت هذه الآية، وأما تُهي هذه الآية أن
يخارق من كان عنده بطلاق، أراد به استبدال غيرها بها،
لإعجاب حسن الاستبدلة له بها إتياء، إذ كان الله قد
جعلهنَّ أئمهات المؤمنين، وغيرهنَّ بين الحياة الدنيا
والنار الآخرة، والرضا بالله ورسوله، فاستقرن الله
ورسوله والنار الآخرة، فحُرِّمَ من على غيره بذلك، ومنع
من فراقهنَّ بطلاق، فأما نكاح غيرهنَّ فلم يُمنع منه، بل
أحلَّ الله له ذلك، على ما بين في كتابه. (٢٢: ٣١)

الطوسي: قيل: معناه تطلق واحدة وتزوج
أخرى بعدها. (٨: ٣٥٦)

الفخر الرازي: قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبْدُلَ بِهِنَّ﴾ يفيد
بمعنى طلاقهنَّ، إلا لو كان جائزا لجاز أن يطلق الكل،
ويعلم من كتابنا أن يتزوج بغيرهنَّ أو لا يتزوج.
فإن لم يتزوج يدخل في ذمة العزّاب، والنكاح
فإن لم يتزوج يدخل في ذمة العزّاب، والنكاح
سني.

وإن تزوج بغيرهنَّ يكون قد تبدّل بهنَّ، وهو ممنوع
من التبدّل. (٢٥: ٢٢٢)

القرطبي: [بعد نقل قول أبي هريرة قال:]
فدخل عبيدة بن جراح القرظي على رسول الله ﷺ
وعنده عائشة، فدخل بغير إذن، فقال له رسول الله ﷺ
«يا عبيدة فأين الاستئذان؟»

فقال: يا رسول الله ما استأذنت على رجل من منكر
منذ أدركت، قال: من هذه الخميراء إلى جنبك؟

قال رسول الله ﷺ: «هذه عائشة أم المؤمنين».
قال: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق؟ فقال: «إن الله

قد حرم ذلك». قال: فلما خرج قالت عائشة: يا رسول الله من هذا؟ قال: «أحق مطاع، وإنه على ما ترين لبيد قومه».

وقد أنكر الطبري والنحاس وغيرهما ما حكاه ابن زيد عن العرب: من أنها كانت تُبادل بأزواجها.

قال الطبري: وما فعلت العرب هذا، وما روي من حديث عيينة بن حصن من أنه دخل على رسول الله ﷺ وعنده عائشة... الحديث، فليس بتعديل، ولا أراد ذلك، وإنما استقر عائشة، لأنها كانت صبيته، فقال هذا القول.

قلت: وما ذكرناه من حديث زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة: من أن البذل كان في الجاهلية يدل على خلاف ما أنكر من ذلك، والله أعلم.

(١٤: ٢٢٠) نحوه أبو حيان. **الطَّبَائِبِيَّ**: أن تطلق بعضهن وتزوج مكانها من غيرهن. (١٦: ٣٣٦)

يَتَبَدَّلُ

أَمْ تُبَيِّدُونَ أَنْ تُشَلُّوا وَتُؤْكَلُمْ كَمَا سُيِّلَ عُوضُ مِنْ قَبْلُ وَتَمَّ يَتَبَدَّلُ الْكُفْرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ الشَّهْلِ. البقرة: ١٠٨

الزَّجَّاج: أي من يسأل عما لا يعنيه النبي ﷺ بعد وضوح الحق فقد ضلَّ سواء السبيل. (١: ١٩٣)

الزَّمَعَقَرِيُّ: ومن ترك الثقة بالآيات المنزل وشك فيها واقترح غيرها «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ

السَّهْلِ». (١: ٣٠٢)

مثله التَّنَسِّي (١: ٦٨)، وَشَبَّرَ (١: ١٣٤).

التَّبْيَضَاوِيُّ: وقُرئ (يَتَبَدَّلُ) من لَبَدَل. (١: ٧٦)

أَبُو حَيَّان: أي من يأخذ الكفر بدل الإيمان، وهذه كناية عن الإعراض عن الإيمان، والإقبال على الكفر.

كما جاء في قوله: «اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى» البقرة: ١٦. (١: ٣٤٧)

ابن كثير: أي ومن يشتري الكفر بالإيمان.

(١: ٢٦٧)

نحوه عبد المنعم الجبال. (١: ٩٦)

الشَّرْبِيئِيُّ: أي يأخذه بدله بترك النظر في الآيات

التي اقترح غيرها. (١: ٨٥)

أبو الشعثه: أي يلقوه ويأخذ نفسه (بالإيمان)

بمقابلة بدلًا منه. وقُرئ (وَمَنْ يُبَدِّلْ) من أَبَدَل، وكان

الذكر أو إرادته. وحاصله: ومن يترك الثقة بالآيات

التي هي خيرٌ محضٌ وحَقٌّ بَحْثٌ، واقترح

غيرها «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ الشَّهْلِ» (١: ١١٣)

نحوه البروسوي. (١: ٢٠٢)

التَّوَضُّعِيُّ: أي ومن يترك الثقة بالآيات البينة

المنزلة بحسب المصالح، ويطلب غيرها تعصيًا وعنادًا

للنبي ﷺ، فقد اختار الكفر على الإيمان، واستعصم العمى

على الهدى، ويشتد عن الحق والخير، ومن حاد عن الحق

وقع في الضلال. (١: ١٨٩)

تَتَبَّدَلُوا

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ
وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُورًا كَبِيرًا .

(النساء: ٢)

الْخَبِيثُ : لَشَيْءٍ رَجَا وَتَأْخُذَ جَدًّا .

نَحْوُهُ الضَّحَاكُ . (الطَّبْرِيُّ ٤ : ٢٢٩)

كَانَ أَوْصِيَاءُ الْيَتَامَىٰ يَأْخُذُونَ الْجَيِّدَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ
وَالرَّفِيعِ مِنْهُ . وَيَحْمِلُونَ مَكَانَهُ الرَّدِيِّ ، الْحَسِيسِ .

مِثْلُهُ الشَّدْيُ ، وَابْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَالزُّهْرِيُّ ، وَالضَّحَّاكُ .

(الطَّبْرِيُّ ٣ : ١٠١)

مُجَاهِدٌ : لَا تَمْتَلِكُ بِالرِّزْقِ الْحَرَامِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ

الْحَلَالُ الَّذِي قُدِّرَ لَكَ .

مِثْلُهُ أَبُو صَالِحٍ . (الطَّبْرِيُّ ٤ : ٢٢٩)

قَطَاءٌ : أَنَّهُ الرِّبْحُ عَلَى الْيَتِيمِ ، وَالْيَتِيمُ لَا يَحْمِلُهُ

(ابْنُ الْجَوْزِيِّ ٢ : ٥)

الزُّهْرِيُّ : قَالُوا : يُطَيِّ مَهْرُؤًا وَيَأْخُذُ سَمِيًّا .

(الطَّبْرِيُّ ٢ : ٢٢٩)

الشَّدْيُ : كَانَ أَحَدُهُمْ يَأْخُذُ الشَّاةَ السَّيْنَةَ مِنْ غَنَمِ

الْيَتِيمِ ، وَيَجْعَلُ مَكَانَهَا الشَّاةَ الْمَهْرُؤَةَ ، وَيَقُولُ : شَاءُ

بِشَاءَةٍ ، وَيَأْخُذُ الدَّرْهَمَ الْجَيِّدَ ، وَيَطْرَحُ مَكَانَهُ الرِّفْفَ ،

وَيَقُولُ : دَرْهَمٌ بِدَرْهَمٍ . (الطَّبْرِيُّ ٤ : ٢٢٩)

مِثْلُهُ الْقُرْطُبِيُّ . (٩ : ٥)

ابْنُ زَيْدٍ : كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُورَثُونَ النِّسَاءَ ،

وَلَا يُورَثُونَ الصِّغَارَ ، يَأْخُذُهُ الْأَكْبَرُ . (الطَّبْرِيُّ ٤ : ٢٢٩)

الرِّجَاجُ : فَلَاتَأْكُلُوا مَالَ الْيَتِيمِ بَدَلًا مِنْ مَالِكُمْ .

وَكَذَلِكَ لَا تَأْكُلُوا أَيْضًا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ .

أَيَّ لَا تُضَيِّفُوا أَمْوَالَهُمْ فِي الْأَكْلِ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ، أَيْ إِنْ
اِحْتَجَجْتُمْ إِلَيْهَا فَلَيْسَ بِنَكْمٍ أَنْ تَأْكُلُوهَا مَعَ أَمْوَالِكُمْ .

(٧ : ٢)

الطَّبْرِيُّ : اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي صِفَةِ تَبْدِيلِهِمْ

الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ الَّذِي يُهَوِّا عَنْهُ ، وَمَعْنَاهُ : فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

كَانَ أَوْصِيَاءُ الْيَتَامَىٰ يَأْخُذُونَ الْجَيِّدَ مِنْ مَالِهِ وَالرَّفِيعَ

مِنْهُ ، وَيَحْمِلُونَ مَكَانَهُ لِلْيَتِيمِ الرَّدِيَّ ، وَالْحَسِيسَ ، فَذَلِكَ

تَبْدِيلُهُمُ الَّذِي تَهَامَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ لَا تَمْتَلِكُ الرِّزْقَ الْحَرَامَ

فَمَا أَكَلَهُ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ الَّذِي قُدِّرَ لَكَ مِنَ الْحَلَالِ .

وَأَوَّلَىٰ هَذِهِ الْأَقْوَالُ بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ ، قَوْلُ مَنْ قَالَ :

تَأْوِيلُ ذَلِكَ : لَا تَتَبَدَّلُوا أَمْوَالَ أَيْتَامِكُمْ بِأَيِّهَا الْأَوْصِيَاءُ ،

الْحَرَامَ حَلِيكُمُ ، الْخَبِيثَ لَكُمْ ، فَتَأْخُذُوا رِقَائَهَا وَغَيْرَهَا

وَجِيَادَهَا ، بِالطَّيِّبِ الْحَلَالِ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ، وَتَحْمِلُوا

الرَّدِيَّ وَالْحَسِيسَ بَدَلًا مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنْ تُبَدِّلَ الشَّيْءَ

بِالنَّعِيِّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ : أَخَذَ شَيْءٌ مَكَانَ آخَرَ خَيْرِهِ ،

يُطَيِّهُ الْمَأْخُوذَ مِنْهُ ، أَوْ يَحْمِلُهُ مَكَانَ الَّذِي أَخَذَ .

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَعْنَى التَّحْدِيدِ وَالِاسْتِدْخَالِ ، فَعُلُومُ أَنْ

الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ مِنْ أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ : هُوَ أَخْذُ أَكْبَرَ وَلَدٍ

الْيَتِيمِ جَمِيعَ مَالِ مِيتَتِهِ وَوَالِدِهِ دُونَ صِغَارِهِمْ ، إِلَىٰ مَالِهِ ،

قَوْلٌ لَا مَعْنَى لَهُ ، لِأَنَّهُ إِذَا أَخَذَ الْأَكْبَرُ مِنْ وَلَدِهِ جَمِيعَ مَالِهِ

دُونَ الْأَصَاغِرِ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَسْتَبْدِلْ مِمَّا أَخَذَ شَيْئًا ، فَمَا

«تَبَدَّلَ» الَّذِي قَالَ جَلَّ تَعَالَى : «وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ

بِالطَّيِّبِ» ، وَلَمْ يَبْدُلِ الْأَخْذَ مَكَانَ الْمَأْخُوذِ بَدَلًا .

وَأَمَّا الَّذِي قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَأَبُو صَالِحٍ : مِنْ لَنْ مَعْنَى ذَلِكَ

«لَا تَمْتَلِكُ الرِّزْقَ الْحَرَامَ قَبْلَ بَيِّهِ الْحَلَالِ» ، فَإِنَّهَا أَيْضًا

الله المهبوث في الأرض، فتأكلوه مكانه. أو لا تستبدلوا
الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى، بالأمر الطيب
وهو حفظها والتوزيع منها. و«التفعل» بمعنى «الاستفعال»
غير عزيز، منه التفعل بمعنى الاستفعال، والتأخر بمعنى
الاستخار. [تم استشهد بشر]

وقيل: هو أن يُعطى رديئاً ويأخذ جيئاً. وعن
السدي: أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينة. وهذا ليس
بتبدل وإنما هو تديل، [لأن أن يكارم حديقاً له، ليأخذ
منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي. (١: ٤٩٤)
نحوه البضاي. (١: ٢٠٢)

القنغر الزاوي: [قال نحو الزمخشري وأضاف:]
الزايح: هو أن هذا التبدل معناه أن يأكلوا مال اليتيم
سلفاً مع التزام بدله بعد ذلك. وفي هذا يكون متبدلاً
الحث بالطيب. (٩: ١٧٠)

النيصا بوري: [بعد نقل كلام الزمخشري قال:]
يريد أن الباء في بدل تدخل على المأخوذ، وفي تبدل
هل المخطى. ولما كان المأخوذ الطيب كان تبديلاً، ثم
وجهه بأنه لعله يكارم حديقاً له، فيأخذ منه عجفاء
مكان سمينة من مال الصبي، فيكون الباء في موضعه.
وقيل: معنى الآية أن يأكل مال اليتيم سلفاً مع
التزام بدله بعد ذلك، فيكون متبدلاً الخبيث بالطيب.

(٤: ١٦٨)
أبوحيان: وقيل: المعنى ولا تأكلوا أموالهم خبيثاً
وتدعوا أموالكم طيباً.

وقيل: المعنى لا تأخذوا مال اليتيم وهو خبيث
ليؤخذ منكم المال الذي لكم وهو طيب.

إن لم يكونا أرادا بذلك نحو القول الذي روي عن ابن
مسعود، أنه قال: «إن الرجل لحرم الرزق بالمعصية
يأتيها» ففساده ظير فساد قول ابن زيد، لأن من
استعمل الحرام فأكله، ثم آتاه الله رزقه الحلال، فلم
يبدل شيئاً مكان شيء.

وإن كانا أرادا بذلك أن الله جل ثناؤه نهي عباده أن
يستعملوا الحرام فبأكلوه، قبل مجيء الحلال، فيكون
أكلهم ذلك سبباً لحرم الطيب منه، فذلك وجه معروف
ومذهب مقول يحتمله التأويل.

غير أن الأشبه في ذلك بتأويل الآية ما قلنا، لأن
ذلك هو الأظهر من معانيه، لأن الله جل ثناؤه إنما ذكر
ذلك في قصة أموال اليتامى وأحكامها، فلا يكون ذلك
من جنس حكم أول الآية، فأخرجها من أن يكون من
غير جنسه.

القصي: يعني: لا تأكلوا مال اليتيم ظلماً ففسدوا،
وتبدلوا الخبيث بالطيب، والطيب ما قال الله: «وَمَنْ
كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» النساء: ٦، «وَلَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَنْوَالِكُمْ» يعني مال اليتيم. (١: ١٢٠)
الطوسي: [وبعد نقل قول التميمي ومجاهد وابن
زيد قال:]

وأخرى الوجوه الوجه الأول، لأنه ذكر عقيب مال
اليتامى، وإن حمل على عموم النهي عن التبدل بكل
مال حرام، كان قوياً.
مثله الطبرسي.

الزمخشري: ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى
بالحلال وهو مالكم، وما ألحق لكم من المكاسب ورزق

وقيل: لا تأكلوا أموالهم في الدنيا، فتكون هي نار تأكلونها، وتتركون الموعود لكم في الآخرة، بسبب إبقاء الخيانت والمكرات.

وقيل: لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى، بالأمر الطيب وهو حفظها والتوزيع منها. و«تفعل» هنا بمعنى «استعمل» كاستعمل وتأخر، بمعنى استعمل واستأخر، وظاهره أن الخبيث والطيب وصفان في الأجرام المعبدلة، والمتبدل به فإما أن يكون ذلك باعتبار اللغة، فيكونان بمعنى الكرم المتناول والمذيد. وإما أن يكون باعتبار الشرع، فيكونان بمعنى المحرم والحلال. وإما أن يكونا وصفين لاختزال الأموال وحفظها، فله بعد ظاهر، وإن كان له تعلق بما قبله: «وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ».

وقرأ ابن محيى (ولا تبدلوا) بإدغام اللام الأولى في الثانية. (١٦٠: ٣)

التفتازاني: [وبعد نقل كلام الزمخشري قال:] لأن معنى تبدلت هذا بذلك إنك أخذت هذا وتركت ذلك، وكذا استبدلت، لأن معنى بدلت هذا بذلك: أخذت ذلك وأعطيت هذا، قال تعالى: «وَمَنْ يُتَدَبَّلْ الْكُفْرُ بِالْإِيمَانِ» البقرة: ١٠٨، فإذا أعطى الزدي، وأخذ الجيد فقد أعطى الخبيث وأخذ الطيب، كما لو أخذ الخبيث وترك الطيب، ليكون تبدل الخبيث بالطيب. فما حاصل أن في «التبدل» ما دخلته الباء: متروك، وما تعدى إليه الفعل بنفسه: مأخوذ، وفي «التبدل» بالمعكس.

أبو السعود: نهي عن أخذ مال اليتيم على الوجه

المقصود، بعد النهي الشفي عن أخذه على الإطلاق. وتبدل الشيء بالشيء، واستبداله به: أخذ الأول بدل الثاني، بعد أن كان حاصلاً له، أو في شرف الحصول: يستعملان أبداً بإفضالهما إلى الحاصل بأنفسهما، وإلى الزائل بالباء، كما في قوله تعالى: «وَمَنْ يُتَدَبَّلْ الْكُفْرُ بِالْإِيمَانِ» البقرة: ١٠٨، وقوله تعالى: «أَتَنْتَبِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ» البقرة: ٦١.

ولما التبدل فيستعمل تارة كذلك، كما في قوله تعالى: «وَتَدَلُّهُمْ بِهِمْ جَنَّاتٍ» سبأ: ١٦، وأخرى بالنكس، كما في قوله: «تَدَلُّوا الْحُلُقَاتِ» إذا أذهبتا وجعلتها خائفاً، نص عليه الأزهرى، وتارة أخرى بالتشديد إلى مفعوليه بنفسه، كما في قوله تعالى: «يَتَدَبَّلُ الْحُلُقَاتِ» الفرقان: ٧٠.

واللزام: «الخبيث والطيب» إن كان هو المحرم والحلال، فالنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال أنفسهم مطلقاً، كما قاله القرطبي والزمخشري.

وقيل معناه: لا تذر أموالكم الحلال وتأكلوا المحرم من أموالهم، فالنهي عنه أكل ماله مكان ما لهم فلهذا هو المقدر.

وقيل: هو اختزال ماله مكان حفظه، وإما ما كان فإنما غير عنها بها تغييراً عما أخذوه وتربطاً فيها أعطوه، وتصويراً لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل.

وإن كان هو الزدي والجيد، فورد النهي ما كانوا عليه من أخذ الجيد من مال اليتيم، وإعطاء الزدي، من مال أنفسهم، وبه قال سعيد بن المسيب والتخمي،

والزهرى، والسدى، وتخصيص هذه المعاملة بالنهي،
لمخرجها عنرج العادة للإباحة ماعداها.

وأما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع أنها
تبديله به، أو تبدل الطيب بالخبيث فلا يذاد، بأن
الأولياء حقهم أن يكونوا في الماوضات حاملين للقيم،
لأنفسهم، مراعين لجمائمه، قاصدين لجلب الملبوب
إليه، مشترضى كان أو ثمنا، لالسلب الملبوب عنه.

(٣١٣: ١)

نحوه الاكوسي (١٨٧: ٤)، ورشيد رضا (٣٣٩: ٤)،
الطباطبائي، أي لا تبدلوا الخبيث من أموالكم
من الطيب من أموالكم، بأن يكون لهم عندكم مال طيب
تستزلوه لأفلسكم، وترفعوا إليهم ما يعادله من رديء
أموالكم.

ويمكن أن يكون المراد: لا تبدلوا أكل الحرام من أكل
الحلال، كما قيل، لكن المعنى الأول أظهر. مركز تحقيق علوم
لأن الظاهر أن كلا من المصلتين، أعني قبوله:
(وَلَا تَبْدُلُوا) وقوله: (لَا تَأْكُلُوا) بيان لنوع خاص من
التصرف غير الجائز. وقوله: (وَأَتُوا الْيَتَامَى) تهديد
ليأتها مآ.

(١٦٥: ٤)

تَسْتَبْدِلُونَ

... قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ
إِضْطَرُّوا مَضْرًا فَإِنَّ لَكُمْ عَاقِبَةً... البقرة: ٦١
الطبري: قال لهم موسى: أناخذون الذي هو
أحسن خطرا وقيمة وقدرا من العيش، بدلا بالذي هو
خير منه خطرا وقيمة وقدرا، وذلك كان استبدالهم،

وأصل الاستبدال: هو ترك شيء لأخر غير مكان
المترك.

أبو حنبلان: والهمزة في (أَتَسْتَبْدِلُونَ) للإتكاف،
والاستبدال: الاعتياض. وقرأ أبي (أَتَبْدِلُونَ) وهو مجاز،
لأن التبدل ليس لهم، إنما ذلك إلى الله تعالى، فكأنهم لما
كانوا يحصل التبدل بسؤالهم جعلوا سيدكين، وكان المعنى
أناخذون تبدال «الذي هو أدنى بالذي هو خير».

(٢٢٢: ١)

أبو السعود: أي أناخذون لأفلسكم وتفتارون.
(٨٤: ١)

الكاشاني: أنستبدون الأدون «بألذي هو
خير» ليكون لكم بدلا من الأفضل.

(١٢٢: ١)

رشيد رضا: أي أعطون هذه الأنواع الخبيثة
بدلا ما هو خير منها، وهو المن والسلوى؛ [إلى أن قال:]
البدل ما هو غير منها، طلب شيء بدلا من آخر، والياء
تدخل المبدل منه المراد تركه.

(٣٣١: ١)

اِسْتَبْدَالَ

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اِسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَاتَّبَعْتُمْ
إِخْذِيكُمْ فَنُطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا بِهِمْ فَهِيَ تُؤْخَذُونَ بِمَنْ تَأْتُوا
وَأَمَّا نُبَيَّا.

النساء: ٢٠

مجاهد، طلاق امرأة مكان أخرى، فلا يصل له من
مال المطلقة شيء، وإن كثر.

(الطبري: ٤: ٣١٤)

الطبري: وإن أردتم أنما المؤمنون نكاح نساء
مكان امرأة لكم تطلقونها.

(٣١٣: ٤)

الطوسي: أخذ مال المرأة وإن كان محرما على كل

حال من غير أمرها. فلأنما خص الله تعالى الاستبدال بالثبوت، لأن مع الاستبدال قد ينوهم جواز الاسترجاع، من حيث إن الثانية تقوم مقام الأولى، فيكون لها ما أعطيته الأولى، فين الله تعالى أن ذلك لا يجوز. والمعنى: إن أردتم تغلية المرأة سواء استبدل مكانها أو لم يستبدل. (١٥١: ٣)

الطَّبْرَسِي: أي إقامة امرأة مقام امرأة. (٢٥: ٢)
الْبَيْهَقَارِي: غلبت امرأة وتزوج أخرى. (٢١١: ١)

مثله شجر. (٢٦: ٢)

أَبُو حَتَّان: والاستبدال: وضع الشيء مكان الشيء. والمعنى: أنه إذا كان الثمران من المختارين فلا تأخذوا مما آتاكموهن شيئاً. [إلى أن قال:] والقي نهى أن تأخذ منها هي المستبدل مكانها لا المستبدلة، إذ تلك هي التي أعطاهما المال لا التي تملكه. استدلالها، بدليل قوله: «وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَلْعُكُمْ إِلَيْنِ بَعْضُ النِّسَاءِ: ٢١». (٢٠٥: ٣)

الْبَيْهَقَارِي: أي تزوج امرأة ترغبون فيها مكان زوج ترغبون عنها، بأن تطلقوها. (١٨٢: ٢)

الْمَرَاهِي: أي وإذا رغبت أيتها الأزواج في استبدال زوج جديدة مكان زوج سابقة كرهتموها، لعدم طافتكم الصبر على معاشرتها، وهي لم تأت بفاحشة مبيتة، وقد كنتم أتعصموها المال الكثير مقبوضاً، أو ملئتم دفعه إليها فصار ديناً في ذمتكم، فلا تأخذوا منه شيئاً. بل عليكم أن تدفعوه لها، لأنكم إنما استبدلتم غيرها بها لأغراضكم ومصالحكم، بدون ذنب

ولا جريرة تُبَح أخذ شيء منها، فبأي حق تستحلون ذلك وهي لم تطلب فراقكم، ولم تُسئ إليكم، فتصلكم على طلاقها؟

ورادة الاستبدال ليست شرطاً في عدم حل أخذ شيء من مالها، إذا هو كره عسرتها وأراد الطلاق، لكنه ذكر لأنه هو الغالب في مثل هذا الحال. ألا ترى أنه لو طلقها وهو لا يريد تزوج غيرها، لأنه اختار الوحدة وعدم التمسك بالنساء وحاجتهم الكثيرة، فإنه لا يحل له أخذ شيء من مالها. (٢١٥: ٤)

محمّد جواد قسطنطيني: وتساءل: لماذا خص الله النبي عن أخذ مال الزوجة في حال استبدالها بأخرى.

مع العلم بأن الأخذ محرّم على كلّ حال؟
الجواب: ليس من شك أن الأخذ محرّم سواء استبدل أو لم يستبدل، وقد تكون الحكمة في ذكر الاستبدال المحصور كأن الزوج ربما نوهم أن له أخذ المهر من الأولى ليدفعه لثانية، لأنها ستقوم مقامها، فيكون لها كلّ ما كان لطلب، ولأنّ الدّلع للثنتين يشغل كاهله، فأزال الله سبحانه هنا قلوبهم بالنعس على الاستبدال بالذات. (٢٨٢: ٢)

الطَّبْرَسَانِي: الاستبدال لاستعمال، بمعنى طلب البدل، وكأنه بمعنى إقامة زوج مقام زوج، أو هو من قبيل التضمين، بمعنى إقامة امرأة مقام أخرى بالاستبدال، ولذلك جمع بين قوله: (أَرَدْتُمْ)، وبين قوله: (استبدل) إلخ، مع كون الاستبدال مشتملاً على معنى الإرادة والطلب، وعلى هذا فالمعنى وإن أردتم أن تغيروا زوجاً مقام أخرى بالاستبدال. (٢٥٧: ٤)

الْوُجُوهُ وَالنَّظَائِرُ

الدَّامِحَانِي: بذلك على ستة أوجه: أهلك، نسخ،

غير، جدد، حول، اختار:

فوجه منها: بذلك، أي أهلك، قوله: ﴿وَإِذَا بَشَّرْنَا

بَذَلْنَا أَمْوَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ الذَّهَر: ٢٨، يقول: أهلكنا

أَمْوَالَهُمْ إِحْلَاقًا.

والوجه الثاني: بذلك، أي نسخ، قوله: ﴿وَإِذَا بَذَلْنَا

أَمْوَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ النحل: ١٠١، أي نسخنا مثلها ﴿أَوْ بَذَلْنَا

قُلُوبَهُمْ لِيُؤْمِنُوا أَنْ بَدَّلْنَاهُ﴾ يونس: ١٥، أي أنسخه ﴿مِنْ

بَلْقَائِي نَفْسِي﴾.

والوجه الثالث: بذلك، بمعنى غير، قوله: ﴿لَنْ

بَدَّلْنَاهُ﴾، يعني غير الوصية ﴿بَتَقْدَ مَا نَحْكُمُ لَكُمْ﴾ النحل: ١٠١، أي نسخنا مثلها ﴿أَوْ بَدَّلْنَاهُ

الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ البقرة: ١٨١، يُغَيِّرُونَهُ، كقوله: ﴿وَمَا يَدَّبَّرُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب: ٢٣، أي ومياغيروا،

ونحوه.

والوجه الرابع: بذلك، أي جدد المطلق، قوله:

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾

النساء: ٥٦، كقوله: ﴿يَوْمَ نَبْدِلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾

إبراهيم: ١٨، تجديد خلقها آخر، ويقال: يغير حالها سوى

هذه الحالة.

والوجه الخامس: بذلك، أي حول من حال إلى حال،

قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيَاتِيمَهُمْ حَسَنَاتٍ﴾

الفرقان: ٧٠، يحولهم الله من الكفر إلى الإيمان، ومن

التقصور إلى الإحسان.

والوجه السادس: بذلك يعني اختار، ﴿وَمَنْ يَبْدُلْ

الْكَفَرَ بِالْإِيمَانِ﴾ البقرة: ١٠٨، يعني من يختار الكفر

على الإيمان، ويشترى الكفران بالشكر، (١٧٢)

الفيروز أبادي: [ذكر مثل كلام النكحاني إلا أنه

خالقه في الوجه السادس فقال:]

السادس: بمعنى ليس في طريق الظلم والضلالة:

﴿يُنْشِ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف: ٥٠.

(بصائر ذوي التمييز: ١: ٢١٧)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الخلف والعرض، يقال:

بدلت الشيء أبدل بدلا: جعلت مكانه شيئا آخر، وكذا

أبدلت الشيء بغيره، وبدلته وتبدلته، واستبدلته به

أيضا. وبأدلت الرجل مبادلة وبدالا: أصطيته مثل

أخذت منه. وبدلت الشيء أيضا: غيرته، وإن لم آت

بخلقه.

٢- ويشتد الضلال «بدل» و«أبدل» في الاستعمال،

ويستقران كبائري، ومثال اتحادهما قوله تعالى:

﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيَاتِيمَهُمْ حَسَنَاتٍ﴾ الفرقان: ٧٠،

ومثال افتراقهما قول نخلب: «يقال: أبدلت الخاتم

بالخلفة، إذا نحتت هذا، وجعلت هذا مكانه، وبدلته

الخاتم بالخلفة، إذا أذهبه وصويته حلقه، وبدلته الخلفة

بالخاتم، إذا أذهبتها، وجعلتها خاتما.

وعقبه المبرد موضحا فقال: «وحقيقته أن التبديل:

تغيير الصورة إلى صورة أخرى، والجمهرة يسمونها

والإبدال تحية الجمهرة واستئناف جمهرة أخرى».

٣- وأما للتبادلة - أي اللعنة بين الإبط والسنة،

والثنية السريعة - فقد هذها الجوهري رباعية من

«ب أدل». وعدّ الفيروز ابادي همزتها زائدة، فجعلها ثلاثية من «ب د ل» ونسب الوهم إلى الجوهرى، كما أنكر ذلك اللطافاني عليه أيضاً، وقال: «وحققها (أي البادئة) أن تُذكر في تركيب (ب د ل) مع أخواتها، كما ذكرها ابن فارس والأزهري».

لكن يؤخذ على الفيروز ابادي أنه ذكر البادئة في «ب د ل» تارة، وفي «ب أد ل» تارة أخرى، وكلما فصل الأزهري والخليل وغيرهما، ولم يتعرض لذكرها ابن فارس في «المقاييس» قط.

ولا يجدرُ بمن يشبه عليه أمر، أو يخط فيه خطأ عسواء أن ينسب الاشتباه والوهم إلى غيره، ويبدو أن الفيروز ابادي كان موثقاً بتصويب الجوهرى؛ إذ ذكر في مواضع كثيرة من كتابه عبارة «وهم الجوهرى» ولا وهم فيه، فالجوهرى يروي في أغلب الأحيان تصويبه، كما هو ديدن من شافه الأعراب.

٥ - ثم إن إرداف الجوهرى هذا الحرف بالزايمة رأي حازم، يحضه ماورد في كثير من كلام العرب بهذا الصدد. قال سيبويه: «إن كانت في كلمة واحدة نحو: سَوَاةٌ ومَوَاةٌ، حذفوا، فقالوا: سَوَةٌ ومَوَةٌ. وقالوا في حَوَابٍ: حَوَبٌ، لأنه بمنزلة ما هو من نفس الحرف^(١)». وحل هذا الترار جاء قولهم: بَدَلٌ يَحْكُمُ بَدَلًا، أي شكاً بأدائه، يحذف الهمزة تخفيفاً، وليس حذفها زائدة، كما حكم بذلك ابن سيده، لأن سيبويه قال في مؤلف هذا الباب، أي باب الهمز: «اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق، والتخفيف، والبدل»، ثم أتى على

ذكر أمثلة هذه العوارض الثلاثة.

وتناول إبدال الهمزة التي تكون أول كلمة بالحرف الأخير لكلمة أخرى تسبقها، فقال: «اعلم أن العرب منها من يقول في «لَوَأْتَتْ»: «لَوَأْتَتْ»، يُبدل، ويقول: «لَوَيَّيْ بالله، وأبو يوب، يُريد أبا أيوب، وحُصَامي بيلي»، ثم أردف هذا القول بالقول للتعقّب.

وقد قال في آخره: «لأنه بمنزلة ما هو من نفس الحرف»، أي أن هذا الضرب من الحذف يكون بمنزلة حذف يحصل في نفس الكلمة لاني كلمتين، كحذف الهمزة من «يَسْؤَلُ» أي يسوءك، كما مثل في موضع آخر من «الكتاب».

الاستعمال القرآني

جاء «البدل» في القرآن بمعنى العوض أيضاً لاسم اللغات والمعنى على السواء، في نفس صيغ، هي:

١- التبديل:

١- القول: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ البقرة: ٥٩

٢- القول: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ الأعراف: ١٦٢

﴿عَائِدَةُ الْقَوْلُ تَدَّى وَعَا أَنَا بِظُلَامٍ أُفٍّ﴾

٢٩، ق

ب - الحسن والحسنة: ﴿ثُمَّ بَدَّلْ خُسًّا بَعْدَ سُوءٍ﴾ النمل: ١١

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ الأعراف: ٩٥

- ص - كلمات الله: ﴿لَا تُبَدِّلْ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾
يونس: ٦٤
- و - لا تبديل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ: ﴿لَا تُبَدِّلْ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾
الأنعام: ٣٤
- ع - سنة الله: ﴿وَلَنْ نَّعْبُدَ إِلَهًا إِلَّا اللَّهَ تَبْدِيلًا﴾
الأحراب: ٦٢ والفتح: ٢٣
- أ - خير من الجنة المترفة: ﴿عَلَى رُفْنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا﴾
القلم: ٢٢
- ب - أزواجًا خيرًا من أزواجه: ﴿عَلَى رُفْنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا طَلَقًا لَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ﴾
التحریم: ٥
- ج - خير من الولد المقبول: ﴿فَارَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا زَوْجًا خَيْرًا مِنْهُ﴾
الكهف: ٨١
- ٢ - التبديل: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَلَدٍ مَآبِلًا لَوْ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
البقرة: ١٨١
- ح - النعمة: ﴿وَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
البقرة: ١٨١
- ط - العهد: ﴿وَعَابَدُوا تَبْدِيلًا﴾
الأحراب: ٢٣
- ي - القرآن: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾
المؤمن: ٢٦
- ك - غير من الكافرين: ﴿عَلَى لَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾
المعارج: ٤١
- ل - الدين: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾
المؤمن: ٢٦
- م - الأمن: ﴿وَلَتُبَدِّلَهُمْ مِنْ بِلَدٍ مُوَدَّعٍ﴾
التور: ٥٥
- ن - الأرض: ﴿يَوْمَ تُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾
إبراهيم: ٤٨
- ١ - الأذى: ﴿قَالَ أَتَشْتَكُونَ إِلَهِي هُوَ الَّذِي بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾
البقرة: ٦١
- ب - القوم: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾
التوبة: ٣٩
- ج - الزوج: ﴿وَلَنْ أَرْدَكُمْ أَسْجِدًا لَزُوجٍ مَكَانَ﴾
إبراهيم: ٤٨

٢٠ : الف

لعل هناك فرق بينه وبين ما إذا أتى بدون (مكان).

مثل: ﴿يُتَدَلُّ اللَّهُ سَمَائَتِهِمْ عَصَنَاتٍ﴾ الفرقان: ٢٧
وما هو هذا الفرق؟

ثامناً: جاءت كلمة (خير) في (أ) من التثنية.

مرتين، وفي (ي) و(ن) منه مرة، وفي (ب) من «الاستبدال» مرتين، وهذه بمنزلة (مكان) في الآيات السابقة جاءت تأكيداً للمقابلة، وظيها كلمة (همد) في ﴿وَلَيْسَ لَكُم مِّنْ عِندِ خَوَافِهِمْ مَخْلَافٌ﴾ التور: ٥٥، وذلك أن ثمين الظن في آيات هذه المادة لتخف على أسرارها خفاياها.

تاسعاً: جاءت في هذه المادة نصوص متعلقة بالنسب:

في القرآن إثباتًا وظنيًا. تفسيرًا لآيات، مثل:

﴿وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مِّمَّا كَانَتْ آيَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ فَاقُولُوا

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْقَرٍ ۖ
الْقَوْمُ ۖ ۱۰۱

التميز: ١٠١

﴿وَإِذَا نَسَلَ عَلَيْهِمْ آبَاؤُنَا بِمِثَابِ قَالَ الْفُجُورِ
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَلَيْسَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ
لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي بِنِ آتِيهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ عِزِّي إِلَى اللَّهِ

یونس : ۱۵

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ يونس: ٦٤

وغيره فضل إرجاء البحث إلى موضعه لأن من غير،

تعليقاً من قوله تعالى: ﴿مَّا نَسْخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا...﴾ البقرة: ١٠٦.

عائلاً: - وتلك عشرة كاملة - وقد جاءت في

التصريح بطلان قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنُصَدِّقَهُ لَئِن مَّا نَكُنتُمْ إِلَّا فِتْنَةٌ أَوْ كَذَابٌ مُّبِينٌ﴾

خاتمة: القرآن: ٧٠، آراء حول ذلك، وقد نقلها

القاسمي وشرعها فُلا عن ابن النمر، فلاحظ.

وهي إحدى المسائل المتعلقة بالوعد والرصد التي

اختلفت فيها الأقوال والأراء بين المعترلة والامامة

وأهل الحديث ترجمها إل ٦٥٠

فهرس الأعلام والمصادر المنقول عنهم بلا واسطة

الألوسي: محمود (١٢٧٠) (١)
روح السمان، ط: دار إحياء
القرآن، بيروت.
ابن أبي الحديد: عبد الحميد (٦٦٥)
شرح نهج البلاغة، ط: إحياء
الكتب، بيروت.
ابن أبي اليمان: يمان (٢٨٤)
التقية، ط: بغداد.
ابن الأثير: مبارك (٦٠٦)
النهاية، ط: إسماعيليان، قم.
ابن الأثير: علي (٦٣٠)
الكامل، ط: دار صادر، بيروت.
ابن الأنباري: محمد (٣٢٨)
غريب اللثة، ط: دار الفرووس،
بيروت.
ابن باديس: عبد الحميد (١٣٥٩)
تفسير القرآن، ط: دار الفكر،
بيروت.
ابن الجوزي: عبد الرحمن (٥٩٧)
زاد المـير، ط: المكتب
الإسلامي، بيروت.
ابن خالويه: حسين (٣٧٠)
إعصار ثلاثين سورة، ط:
حيدوأباد دكن.
ابن خلدون: عبد الرحمن (٨٠٨)
المقدمة، ط: دار القلم، بيروت.

ابن دُرَيْد: محمد (٣٢١)
الجمهرة، ط: حيدوأباد دكن.
ابن التقي: يعلوب (٢٤٤)
١- تهذيب الألفاظ، ط: الأستانة
الرضوية، مشهد.
٢- إصلاح المنطق، ط: دار
المعارف، بيروت.
٣- الإنباه، ط: المكتبة
الأفندية، ط: دار الكتب
العلمية، بيروت.
ابن تيمية: علي (٤٥٨)
المحكم، ط: مصر.
ابن الشجري: مبة الله (٥٤٢)
الأمالي، ط: دار المعرفة،
بيروت.
ابن شهر آشوب: محمد (٥٨٨)
منهاية القرآن، ط: طهران.
ابن العربي: عبدالله (٥٤٣)
أحكام القرآن، ط: دار المعرفة،
بيروت.
ابن عربي: يحيى الدين (٦٢٨)
تفسير القرآن، ط: دار البتلفة،
بيروت.
ابن عسك: عبد الحن (٥٤٦)
المحزور الرجيز، ط: دار الكتب
العلمية، بيروت.

ابن فارس: أحمد (٣٩٥)
١- المفاتيح، ط: طهران.
٢- الضاحين، ط: مكتبة الخفوية.
بيروت.
ابن قتيبة: عبدالله (٢٧٦)
١- غريب القرآن، ط: دار إحياء
الكتب، القاهرة.
٢- تأويل مشكل القرآن، ط:
المكتبة العلمية، القاهرة.
ابن قيم: محمد (٧٤١)
التفسير القيم، ط: لجنة التراث
العربي، لبنان.
ابن كثير: إسماعيل (٧٧٤)
١- تفسير القرآن، ط: دار الفكر،
بيروت.
٢- البداية والنهاية، ط:
المعارف، بيروت.
ابن منظور: محمد (٧١١)
لسان العرب، ط: دار صادر،
بيروت.
ابن فاقية: عبدالله (٤٨٥)
الجمان، ط: المعارف،
الاسكندرية.

- ابن هشام: عبدالله (٧٦١)
مخني النيب، ط: المبدئي،
القاهرة.
- أبو البركات: عبدالرحمان (٥٧٧)
البيان، ط: المهجر، قم.
- أبو حاتم: سهل (٢٤٨)
الأخفاء، ط: دار الكتب، بيروت.
- أبو حيان: محمد (٧٤٥)
البحر المحيط، ط: دار الفكر،
بيروت.
- أبو رزق: (معاصر)
معجم القرآن، ط: المحجزي،
القاهرة.
- أبو زهرة: عبدالرحمان (٤٠٢)
حجّة القراءات، ط: الرسالة،
بيروت.
- أبو زهرة: محمد (١٣٩٥)
المعجزة الكبرى، ط: دار الفكر،
بيروت.
- أبو زيد: سعيد (٢١٥)
التراجم، ط: الكاثوليكية، بيروت.
- أبو السعد: محمد (٩٨٢)
إرشاد العقل السليم، ط: مصر.
- أبو سهل الهروي: محمد (٤٣٣)
التلويح، ط: التوحيد، مصر.
- أبو شهيد: قاسم (٢٤٤)
غريب الحديث، ط: دار الكتب،
بيروت.
- أبو شهيد: مختار (٢٠٩)
معجم القرآن، ط: دار الفكر،
مصر.
- أبو الفتح: حسين (٥٥٤)
روض الجنان، ط: الأستانة
الرضوية، مشهد.
- أبو الفداء: إسماعيل (٧٣٢)
المختصر، ط: دار المعرفة،
بيروت.
- أبو غلال: حسن (٣٩٥)
الغروق الموقوت، ط: بصيرتي،
قم.
- أحمد بدوي: (معاصر)
من بلاغة القرآن، ط: دار
النهضة، مصر.
- الأخفش: سعيد (٢١٥)
معاني القرآن، ط: عالم الكتب،
بيروت.
- الأزهري: محمد (٣٧٠)
تهذيب اللغة، ط: دار مصر.
- الإسكافي: محمد (٤٢٠)
قوة التنزيل، ط: دار الآفاق،
بيروت.
- الأصمعي: عبد الملك (٢١٦)
الأخفاء، ط: دار الكتب، بيروت.
- أيزوتسو: توشيهيكو (١٣٧١)
خسدا وانسان در قرآن، ط:
لنشار، طهران.
- البحراني: هاشم (١١٠٧)
البرهان، ط: آفتاب، طهران.
- البرزنجي: إسماعيل (١١٢٧)
روح البيان، ط: جعفري، طهران.
- البستاني: بطرس (١٣٠٠)
دائرة المعارف، ط: دار المعرفة،
بيروت.
- البلوي: حسين (٥١٦)
معالم التنزيل، ط: التجارية،
مصر.
- بنت الشاطئ: عائشة (١٣٧٨)
١- التفسير البستاني، ط: دار
- المعارف، مصر.
- ٢- الإعجاز البياني، ط: دار
المعارف، مصر.
- بهاء الدين الماعلي: محمد (١٠٣١)
العمدة الوثقى، ط: مهر، قم.
- بيان الحق: محمود (نحو ٥٥٥)
وضوح البرهان، ط: دار النظم،
بيروت.
- البضاوي: عبدالله (٦٨٥)
أنوار التنزيل، ط: مصر.
- التستري: محمد تقي (١٤١٥)
نهج البلاغة في شرح نهج
البلاغة، ط: اسير كبير، طهران.
- التفازاني: مسعود (٧٩٣)
المطلول، ط: مكتبة الداوري،
قم.
- الثعالبي: عبد الملك (٤٢٩)
فقه اللغة، ط: مصر.
- لقب: أحمد (٢٩١)
المنصيح، ط: التوحيد، مصر.
- الجرجاني: علي (٨١٦)
التعريفات، ط: ناصر خسرو،
طهران.
- الجزائري: نور الدين (١١٥٨)
لسرورق اللغات، ط: فرهنگ
اسلامی، طهران.
- الخصايس: أحمد (٣٧٠)
أحكام القرآن، ط: دار الكتاب،
بيروت.
- جمال الدين غياث (معاصر)
بحوث في تفسير القرآن، ط:
المعرفة، القاهرة.
- الجواليقي: موهوب (٥٤٠)
المعرب، ط: دار الكتب، مصر.

<p>(٣٢٠) الشجستاني: محمد غريب القرآن، ط: الفنية المتحدة، مصر.</p>	<p>(٤٧٨) الدامغاني: حسين الوجسره والتطائر، ط: جامعة تبريز.</p>	<p>(٣٩٢) البجهرقي: اسماعيل صحيح اللغة، ط: دار العلم بيروت.</p>
<p>(٦٢٦) الشكاكي: يوسف مفتاح المعلوم، ط: دار الكتب، بيروت.</p>	<p>(٦٦٦) المرازقي: محمد مختار الضحاح، ط: دار الكتاب، بيروت.</p>	<p>(١٣٤٠) العائري: سيد علي مكتبات الذور، ط: الحيدرية، طهران.</p>
<p>(معاصر) سليمان حيم فرهنگ عبري، فارسي، ط: إسرائيل.</p>	<p>(٥٠٢) المزاخبي: حنين المفردات، ط: دار المعرفة، بيروت.</p>	<p>(معاصر) العجايزي: محمد محمود التفسير الواضح، ط: دار الكتاب، مصر.</p>
<p>(٥٨١) الشهابي: عبدالرحمان روض الأنس، ط: الكتبات، القاهرة.</p>	<p>(٥٧٣) المزاوي: سميد قوله القرآن، ط: الخيام، قم. وشيد وضا: محمد (١٣٥٤) المنار، ط: دار المعرفة، بيروت.</p>	<p>(٦٨٥) الخريزي: ابراهيم غريب الحديث، ط: دار المدني، جدة.</p>
<p>سيوتيه: عمرو للكتاب، ط: عالم الكتب، بيروت.</p>	<p>(١٢-٥) الزبيدي: محمد تاج المروم، ط: البصرية، مصر.</p>	<p>(٥٦٦) الحريري: قاسم درة الفرائص، ط: المنشئ، بغداد.</p>
<p>(٦١١) الشيوطي: عبدالرحمان ١. الإلفان، ط: رضى، طهران. ٢. الفز المشور، ط: بيروت-٣. تفسير المجالين، ط: مصطفى البالي، مصر (مع أنوار التنزيل).</p>	<p>(٣٦١) الزجاج: ابراهيم ١. معاني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت. ٢. ومعاني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.</p>	<p>(معاصر) حسنين مخلوف صورة البيان، ط: دار الكتاب، مصر.</p>
<p>سيد قطب فسي ظلال القرآن، ط: دار الشروق، بيروت.</p>	<p>٣. إعراب القرآن، ط: دار الكتاب، بيروت.</p>	<p>جلفي: محمد شرف (معاصر) إعجاز القرآن الباني، ط: الأمرام، مصر.</p>
<p>الشكر: عبدالله الجوهري الثمين، ط: الألفين، الكويت.</p>	<p>(٧٦٤) الزركشي: محمد البرهان، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة.</p>	<p>(٦٣٦) الخفوي: ياغوث معجم البلدان، ط: دار صادر، بيروت.</p>
<p>(٩٧٧) الشريبي: محمد النراج المنير، ط: دار المعرفة، بيروت.</p>	<p>(معاصر) الزركلي: خير الدين الأعلام، ط: بيروت.</p>	<p>(٧٤١) الخازن: علي لباب التأويل، ط: النجارية، مصر.</p>
<p>(٤٠٦) الشريف الرضي: محمد ١. تلخيص البيان، ط: بصيرتي- قم.</p>	<p>(٥٣٨) الزمخشري: محمود ١. الكشاف، ط: دار المعرفة، بيروت.</p>	<p>(٣٨٨) الخطابي: محمد غريب الحديث، ط: دار الفكر، دمشق.</p>
<p>٢. حقائق التأويل، ط: البعثة، طهران.</p>	<p>٢. الفرائد، ط: دار المعرفة، بيروت.</p>	<p>(١٧٥) الخليل بن أحمد المعين، ط: دار الهجرة، قم.</p>
	<p>٣. أساس البلاغة، ط: دار صادر، بيروت.</p>	<p>خليل ياسين (معاصر) الأفواء، ط: الأديب الجديدة، بيروت.</p>

- التفسير المفريد، ط: دار بيان مجمع
البحرث الإسلامي، الأزهر.
- القذافي: محمد (١٣٦٠)
مجمع الأغلاط، ط: مكتبة لبنان،
بيروت.
- العروسي: عبد علي (١٩٩٢)
نور الثقلين، ط: إسماعيليان، قم.
هزة قوزقة: محمد (١٤٠٠)
نفسر الحديث، ط: دار إحياء
الكتب القاهرة.
- التخيري: عبدالله (٦٦٦)
التيان، ط: دار الجبل، بيروت.
علي اصغر حكمت (معاصر)
نه گفتار در تاريخ آديان، ط:
ادبيات، شيوان.
- القياشي: محمد (نحو ٣٢٠)
التفسير، ط: الإسلامية، طهران.
- الفارسي: حسن (٣٧٧)
الحجة، ط: دار المأمون، بيروت.
الفاضل المقداد: بن عبدالله (٨٢٦)
كسر العرفان، ط: المرتضوية،
طهران.
- الفخر الرازي: محمد (٦٠٦)
التفسير الكبير، ط: عبدالرحمان،
القاهرة.
- فوات الكوفي: ابن إبراهيم
تفسير فوات الكوفي، ط: وزارة
الثقافة والإرشاد الإسلامي،
طهران.
- القرناء: يحيى (٢٠٧)
معاني القرآن، ط: ناصر خسرو،
طهران.
- فريد وجددي: محمد (١٣٧٣)
المصحف المبشر، ط: دار
- ١- جامع البيان، ط: المصطفى
البابي، مصر.
- ٢- أخبار الأنس والمثلك، ط:
الاسطاسية، القاهرة.
- الطبري: فخر الدين (١٠٨٥)
١- مجمع البحرين، ط:
المرتضوية، طهران.
- ٢- غريب القرآن، ط: النجف.
- الطنطاوي: جوهري (١٣٥٨)
الجوامع، ط: مصطفى الباني،
مصر.
- الطوسي: محمد (٤٦٠)
التيان، ط: التمسك، النجف.
- عبدالجبار: أحمد (١٦٥)
١- نزبه القرآن، ط: دار النهضة،
بيروت.
- ٢- مستند البيان، ط: دار
الثراث، القاهرة.
- عبدالرحمان طهملاني (١٣٩٩)
الألفاظ الكتابية، ط: دار الكتب،
بيروت.
- عبدالرزاق ثوقل (معاصر)
الإعجاز المدوني، ط: دار
الشعب، القاهرة.
- عبدفتاح طيارة (معاصر)
مع الأنبياء، ط: دار المعلم،
بيروت.
- عبدالكريم الخطيب (معاصر)
التفسير القرآني، ط: دار الفكر،
بيروت.
- عبداللطيف بغدادلي (٦٢٩)
ذيل الفصح، ط: التوحيد،
القاهرة.
- عبدالصنم الجعتال: محمد (معاصر)
- الشريف العاملي: محمد (١١٣٨)
مرآة الآثار، ط: آفتاب، طهران.
- الشريف المرتضى: علي (٤٣٦)
الأمالي، ط: دار الكتب، بيروت.
- شريعتي: محمد تقى (١٤٠٧)
نفسر نسرين، ط: فرهنگ
اسلامى، طهران.
- شوقي خليف (معاصر)
نفسر سورة الزحمان، ط: دار
المعارف بمصر.
- الصابوني: محمد علي (معاصر)
روائع البيان، ط: الفزالي، دمشق.
- المصاحبة: إسماعيل (٣٨٥)
المحيط في اللغة، ط: عالم
الكتب، بيروت.
- الصمغاني: حسن (٦٥٠)
١- التكملة، ط: دار الكتب،
القاهرة.
- ٢- الأعداد، ط: دار الكتب،
بيروت.
- صدر المتألهين: محمد (١٠٥٩)
تفسير القرآن، ط: بيدار، قم.
- الصدوق: محمد (٣٨٩)
التوحيد، ط: النشر الإسلامي،
قم.
- طه الدرة: محمد علي (معاصر)
تفسير القرآن الكريم وإعرايه
وبيانه، ط: دار الحكمة، دمشق.
- الطباطبائي: محمد حسين (١٤٠٣)
الميزان، ط: إسماعيليان، قم.
- الطبرسي: فضل (٥٤٨)
مجمع البيان، ط: الإسلامية،
طهران.
- الطهراني: محمد (٣٦٠)

- الأزهر، مصر.
- ٢- تفسير سورة الحديد، ط: الأزهر، مصر.
- المراغي: أحمد مصطفى (١٣٧١) تفسير القرآن، ط: دار إحياء التراث، بيروت.
- مشكور: محمد جواد (معاصر) فريهنگ تطيبي، ط: كازيان، طهران.
- المصطفوي: حسن (معاصر) التفسير، ط: دار الترجمة، طهران.
- معرفة: محمد هادي (معاصر) التفسير والمفسرون، ط: الجامعة الزهوية، مشهد.
- مقاتل: ابن سليمان (١٥٠٠) الأنبياء والتطائر، ط: المكتبة العربية، مصر.
- المفاتيح: مطهر (٢٥٥) البدء والتاريخ، ط: مكتبة المثنى، بغداد.
- مكارم الشيرازي (معاصر) تفسير نمونه، ط: دار الكتب الإسلامية، تهران.
- المقريزي: أحمد (٥٢٠) كشف الأسرار، ط: أمير كبير، طهران.
- الميلاني: محمد هادي (١٢٨٤) تفسير سورتي الجمعة والتغابن، ط: مشهد.
- النحاس: أحمد (٣٢٨) معاني القرآن، ط: مكتبة المكرمة.
- التحفي: أحمد (٧١٠) مدارك التنزيل، ط: دار الكتاب.
- للخميني: محمد (٣٢٩) الكافي، ط: دار الكتب الإسلامية، طهران.
- لويس كوستاز (معاصر) قاموس سوري، ط: الكاتوليكية، بيروت.
- لويس معلوف (١٣٦٦) المسجد في اللغة، ط: دار الشرق، بيروت.
- الحاقي: علي (٤٥٠) المكت واليون، ط: دار الكتب، بيروت.
- المبرز: محمد (٢٨٦) الكامل، ط: مكتبة المعارف، بيروت.
- المجلسي: محمد باقر (١١١١) بحار الأنوار، ط: دار إحياء التراث، بيروت.
- مجمع اللغة جماعة (معاصر) مجمع الانشا، ط: آرمين، طهران.
- محمد إسماعيل (معاصر) مجمع الأنفا والأعلام، ط: دار الفكر، القاهرة.
- محمد جواد مظنة (١٤٠٠) التفسير الكاشف، ط: دار العلم للملايين، بيروت.
- محمود شيت خطاب (معاصر) المصطلحات المكرمة، ط: دار الفتح، بيروت.
- المثني: علي (١١٢٠) أنوار التبيين، ط: النعمان، نجف.
- المراغي: محمد مصطفى (١٣٦٤) ١- تفسير سورة الحجرات، ط: مطابع الشعب، بيروت.
- الفيروزآبادي: محمد (٨١٧) ١- قاموس المحيط، ط: دار الجيل، بيروت.
- ٢- بصائر ذوي التمييز، ط: دار التحرير، القاهرة.
- القيومي: أحمد (٧٢٠) مصباح المنير، ط: المكتبة العلمية، بيروت.
- القاسمي: جمال الدين (١٣٢٩) معاصر التأويل، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة.
- القزويني: إسماعيل (٢٥٦) الأمالي، ط: دار الكتب، بيروت.
- القرطبي: محمد (١٢٧١) الجامع لأحكام القرآن، ط: دار إحياء التراث، بيروت.
- القسيري: عبد الكريم (٤٦٥) لطائف الإشارات، ط: دار الكتاب، القاهرة.
- القيمي: علي (٣٢٨) تفسير القرآن، ط: دار الكتاب، قم.
- القيمي: مكي (٤٢٧) مشكل إعراب القرآن، ط: مجمع اللغة، دمشق.
- الكاشاني: محمد (١٠٩١) الضافي، ط: الأعلمي، بيروت.
- الكرخي: عبيد الله (٢٠٠) المسالك والممالك، ط: مكتبة المثنى، بغداد.
- الكرماني: محمود (٥٠٥) أسرار التكرار، ط: المحمدية، القاهرة.

بيروت.	هاكس: الأميركي (معاصر)	بيروت.
اليزيدي: يحيى (٢٠٢)	نساموس كتاب مقدس، ط: مطبعة الأميركي، بيروت.	الشهاوندي: محمد (١٣٧٠)
غريب القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.	الهزوي: أحمد (٤٠١)	نفعات الزحمان، ط: منكي، علمي [طهران].
اليعلوي: أحمد (٢٩٢)	الغريبي، ط: دار إحياء التراث.	النسابوري: حسن (٧٢٨)
التاريخ، ط: دار صادر، بيروت.	هوتشا: مارتن يوتز (١٣٦٢)	غرائب القرآن، ط: مصطفى البابي، مصر.
يوسف خياط (١)	دائرة المعارف الإسلامية، ط: جهاد، طهران.	هارون الأهواز: ابن موسى (٢٤٩)
الملحق بلسان العرب، ط: أدب الحوزة، قم.	الواحد: علي (٤٦٨)	الوجوه والنظائر، ط: دار الحرية، بغداد.
	الوسط، ط: دار الكتب العلمية،	



فهرس الأعلام المنقول عنهم بالواسطة

(٢٠٤)	ابن الكلبي: هشام.	(٧٣)	ابن الزبير: عبدالله.	(٢٠٠)	أبان بن عثمان.
(٩٤٠)	ابن كمال باشا: أحمد.	(١٨٢)	ابن زيد: عبدالرحمان.	(٢)	إبراهيم التيمي.
(٦٨٣)	ابن كقوت: سعد.	(٢)	ابن شميل: محمد.	(١٢٩)	ابن أبي إسحاق: عبدالله.
(٢٩٩)	ابن كيسان: محمد.	(١١٠)	ابن سيرين: محمد.	(١٥٣)	ابن أبي هبل: إبراهيم.
(٢٧٣)	ابن ماجه: محمد.	(٤٢٨)	ابن سينا: علي.	(١٣٦)	ابن أبي نجيع: يار.
(٦٧٢)	ابن مالك: محمد.	(٥٤٢)	ابن الشخير: مطرب.	(١٥١)	ابن إسحاق: محمد.
(٣٢٤)	ابن مجاهد: أحمد.	(٢)	ابن شريح:	(٢٣٦)	ابن الأهرابي: محمد.
(١٢٢)	ابن شقيقين: محمد.	(٢٠٣)	ابن شاذل: نضر.	(١٧٩)	ابن أنس: مالك.
(٣٢)	ابن مسعود: عبدالله.	(٢)	ابن الشيخ:	(٥٨٢)	ابن بزي: عبدالله.
(٩٤)	ابن المشيب: سعد.	(٢)	ابن حاد:	(٢)	ابن بروج: عبدالرحمان.
(٨٠١)	ابن ملك: عبداللطيف.	(١١٨)	ابن عامر: عبدالله.	(٧٠٤)	ابن بنت العراقي.
(٧٣٣)	ابن العنبر: عبدالواحد.	(٦٨)	ابن عباس: عبدالله.	(٧٢٨)	ابن تيمية: أحمد.
(٦٩٨)	ابن نخاس: محمد.	(٢٤٤)	ابن عبدالملك: محمد.	(١٥٠)	ابن جعرج: عبدالملك.
(٢)	ابن هاني:	(٢)	ابن صاكر	(٣٩٢)	ابن جني: عثمان.
(١١٧)	ابن حرمز: عبدالرحمان.	(٢٩٦)	ابن منصور: علي.	(٦٤٦)	ابن الحاجب: عثمان.
(٣١٦)	ابن الهيثم: داود.	(١٣١)	ابن عطاء: واصل.	(٢٤٥)	ابن حبيب: محمد.
(٧٤٩)	ابن الوردى: عمر.	(٧٦٩)	ابن عقيل: عبدالله.	(٨٥٢)	ابن حجر: أحمد بن علي.
(١٩٧)	ابن وقب: عبدالله.	(٧٣)	ابن عمر: عبدالله.	(٩٧٤)	ابن حجر: أحمد بن محمد.
(٥٤٢)	ابن يتعون: يوسف.	(١٩٣)	ابن عياش: محمد.	(٤٥٦)	ابن حزم: علي.
(٦٤٣)	ابن يعيش: علي.	(١٩٨)	ابن عيينة: شيبان.	(٢)	ابن جلة:
(٥٢)	أبو أيوب الأنصاري: خالد.	(٤٠٦)	ابن فورك: محمد.	(٦٠٩)	ابن غزوف: علي.
(١٠٥٩)	أبو البقاء الكفوي: أيوب.	(١٢٠)	ابن كثير: عبدالله.	(٢٠٢)	ابن فكيوان: عبدالرحمان.
(٨٠)	أبو بصير: عبدالله.	(١١٧)	ابن كعب القرظي: محمد.	(٧٩٥)	ابن رجب: عبدالرحمان.

(٥٦٥)	العُيَظِيُّ: محمد.	(٥٥)	سعد بن أبي وقاص.	(٥٤٨)	حسين بن فضل.
(١٨٢)	العُيَظِيُّ: يونس.	(٥)	سعد المفتي.	(٢٤٦)	خلفس: بن عمر.
(١٠٥)	القُصَّالُك: بن مزاحم.	(٩٥)	سعيد بن جُحَير.	(١٦٧)	حقاد بن سلمة.
(١٠٦)	طاووس: بن كنانة.	(١٦٧)	سعيد بن عبدالمزيز.	(١٥٦)	حمزة القاري.
(١١١٣)	القُصَّالُك: أحمد.	(٧٤)	السَّعْيُ القاري: عبدالله.	(٥)	حُثَيْد: بن قيس.
(١١٢)	طلحة بن مُصَرِّف.	(٤١٢)	السَّعْيُ: محمد.	(٤٢٠)	الحولقي: علي.
(٧٤٣)	العُيَظِيُّ: حسين.	(١٧٠)	سليمان بن جتاز المدني.	(٥)	عصيف:...
(٥٨)	عائشة بنت أبي بكر.	(١١٩)	سليمان بن موسى.	(٥٠٢)	الخطيب التبريزي: يحيى.
(١٢٨)	عاصم الجعفري.	(١)	سليمان التميمي.	(٤٦٦)	الخطاجي: عبدالله.
(١٢٧)	عاصم القاري.	(٧٥٦)	التميم: أحمد.	(٢٩٩)	علف القاري.
(٥٥)	حامر بن عبدالله.	(٢٨٤)	سهل الشكري.	(٦٩٣)	الحوتني: محمد.
(١٨٦)	عباس بن الفضل.	(٣٦٨)	الشيرازي: حسن.	(٨٦٢)	الغياثي: أحمد.
(٩٦)	عبد الرحمن بن أبي بكر.	(٥)	الشاذلي.	(٥)	الذقاق.
(٦١٢)	عبدالمزيز:...	(٥)	الشاطبي.	(٨٢٧)	الدعاميني: محمد.
(٥)	عبدالله بن أبي ليلى.	(٢٠٤)	الشافعي: محمد.	(٩١٨)	الدواني.
(٨٦)	عبدالله بن الحارث.	(٣٢٤)	الشاذلي: محمد.	(٢٨٢)	الدينوري: أحمد.
(٥)	عبدالله الهبطي.	(١٠٣)	الشافعي: عامر.	(١٢٩)	الزبيح: بن أنس.
(١٣٦٠)	عبد الوهاب النجار.	(٥)	شبيب الجبني.	(٥)	ربيعة بن سعيد.
(٥)	فبيد بن حُجير.	(١٩٤)	الثقفي بن إبراهيم.	(٦٨٦)	الرضي الاسترابادي.
(١٨١)	القنكري: عباد.	(٦٤٥)	القشوريني: عمر.	(٣٨٤)	الزقاني: علي.
(٥)	القنكري:...	(٢٥٥)	شور: بن حمدويه.	(٢٣٨)	رؤيس: محمد.
(١١٩٣)	عصام الدين: عثمان.	(٨٧٢)	الشُّمُني: أحمد.	(٥)	الزقاني.
(٥)	عصمة بن عروة.	(١٠٦٩)	الشهاب: أحمد.	(٢٥٦)	الزقاني: بن بكار.
(١١٤)	الحطاب: بن أسلم.	(٦٨٤)	شهاب الدين العراقي.	(٢٦٧)	الزجاجي: عبد الرحمن.
(١٣٦)	عطاء بن سائب.	(١٠٠)	شهر بن حوشب.	(٤٢٧)	الزهراني: خلف.
(١٣٥)	عطاء الخراساني: ابن عبدالله.	(٥)	شيبان: بن عبد الرحمن.	(١٢٨)	الزهراني: محمد.
(١٠٥)	جكرمة: بن عبدالله.	(٥)	شيبه العُيَظِيُّ.	(١٣٦)	زيد بن أسلم.
(٥)	علاء بن سبابة.	(٤٩٤)	الشاذلي: عزيزي.	(٤٥)	زيد بن ثابت.
(١٤٣)	علي بن أبي طلحة.	(٥)	الشاذلي:...	(١٢٢)	زيد بن علي.
(٥)	عصاة بن خالد.	(٥)	صالح المري.	(١٢٨)	الشاذلي: إسماعيل.

شمر بن ذر (١٥٣)	الماتريدي: محمد (٢٣٢)	مؤرج الشدوسي: ابن عمر (١٩٥)
عمرو بن عبيد (١٤٤)	المازني: بكر (٢٤٩)	موسى بن عمران (٦٠٤)
عمرو بن ميمون (٥)	مالك: بن أنس (١٧٩)	ميمون بن مهران (١١٧)
عيسى بن عثمة (١٤٩)	مالك بن دينار (١٣١)	النخعي: إبراهيم (٩٦)
القوفي: عطية (١١١)	المالكي (٥)	نصر بن علي (١)
العيني: محمود (٨٥٥)	المتولي (٥)	نقوم بك: بن بشر (١٣٤٠)
الغزالي: محمد (٥٠٥)	شجاع: بن جبير (١٠٤)	بغظويه: إبراهيم (٣٢٣)
الغزالي: ... (٥٨٢)	المعاصري: حارث (٢٤٣)	النقاش: محمد (٣٥١)
الغاري: محمد (٣٣٩)	محبوب: ... (١)	الثوري: يحيى (١٧٦)
القاسي (١)	محمد أبي موسى (٥)	هارون: بن حاتم (٧٢٨)
الفضل الرقاشي (٢٠٠)	محمد بن حبيب (٢٤٥)	الهدلي: قاسم (١٧٥)
قتادة: بن دعامة (١١٨)	محمد بن الحسن (١٨٩)	هشام بن حارث (٥)
الغزوي: محمد (٧٣٩)	محمد بن شرح الأصبهاني (١)	الواحد: علي (٤٦٨)
الغريب: محمد (٢٠٦)	محمد بن عبد الله بن حسن بن عبد الله (١)	وژش: عثمان (١٩٧)
الغزال: محمد (٣٢٨)	محمّد الشيباني: محمد (١٣٢٣)	وهاب بن جرير (٢٠٧)
الغلامي: محمد (٥٢١)	محمّد الشيباني: محمد (١)	وهاب بن شبة (١١٤)
غزاع النمل: علي (٣٠٩)	مروان بن حكم (٦٥)	يحيى بن جمدة (١)
الجبالي: علي (١٨٩)	المشهر بن عبد الملك (١)	يحيى بن سعيد (١)
كعب الأحبار: ابن مانع (٣٦)	مصلح الدين اللاري: محمد (٩٧٩)	يحيى بن سلام (٢٠٠)
الكبي: عبدالله (٣١٩)	مطرّف بن الشقيير (٨٧)	يحيى بن وثاب (١٠٣)
الكنعني: إبراهيم (٩٠٥)	معاذ بن جبل (١٨)	يحيى بن يثغر (١٢٩)
الكلبي: محمد (١٤٦)	معتز بن سليمان (١٨٧)	يزيد بن أبي حبيب (١٢٨)
كلثومي (١)	المصري: حسين (٤١٨)	يزيد بن رومان (١٢٠)
الكلبي الطبري (١)	المفضل الغني: ابن محمد (١٨٢)	يزيد بن قعقاع (١٣٢)
الكلبي: حسن (٢٠٤)	مكحول: بن شهاب (١١٢)	يعقوب: بن إسحاق (٢٠٢)
الكلبي: علي (٢٢٠)	المنذري: محمد (٣٢٩)	اليمني: عثمة (٥)
الليث: بن مطر (١٨٥)	المهدي: أحمد (٤٤٠)	